حركة فتح

بين المقاومة والاغتيالات

١٩٦٥ - ٢٠٠٤

(الجزء الأول)

حركة فتح

بين المقاومة والاغتيالات

١٩٦٥ - ٢٠٠٤

اللواء محمود الناطور

(ابو الطيب)

المدير العام

لمركز الناطور للدراسات والأبحاث

الطبعة الأولى2014

تصميم الغلاف :محمود أبو قلبين

“mailto:r.e.d.black@hotmail.com” r.e.d.black@hotmail.com 00962799560833

التصميم والإخراج :معاوية عطا اللحام

m.moawia@yahoo.com - 00962795545572

اللواء محمود الناطور
(ابو الطيب)

المدير العام
لمركز الناطور للدراسات والأبحاث

حركة فتح

بين المقاومة والاغتيالات

١٩٦٥ - ٢٠٠٤

(الجزء الأول)

مركز الناطور للدراسات والأبحاث



www.natourcenter.info

شكر وتقدير

أنجز هذا الكتاب بفضل مساهمة فريق كانوا عونا لي وبذلوا جهودا تستحق الثناء، وأجد من الإنصاف أن أتوجه بالشكر إليهم وهم:

اللواء يوسف عبد العزيز حسين (كايد يوسف).

د. يوسف يونس.

د. أحمد حماد.

الأخ المناضل بكر أبو بكر.

الكاتب والصحفي فؤاد معمر.

د. سعيد البيشاوي.

اللواء إسماعيل عنبه (أبو أحمد).

اللواء عبد العزيز أبو فضه.

العميد جمال زيده.

الآنسة أسيل البدن.

السيدة يسرى أبو الحسن (أم خالد).

المهندس إبراهيم الأغواني.

الأستاذ مصطفى الأسعد.

وهنا لا بد لي من التنويه، بأن هناك أسماء لرجال عظماء وشهداء روت دمائهم أرض فلسطين فأينع ربيعها، هؤلاء الشهداء الذين قدموا أرواحهم رخيصة من أجل هذا الوطن ما زالوا بيننا في كل زغرودة وفي كل خطاب، هم المجد أولهم المجد.. ولم ترد أسمائهم في هذه العجالة، لأنني ذكرت أسماء أخوتي وأحبتي الذين عشت معهم خلال هذه المسيرة الطويلة، وشاركتهم حياتهم وآمالهم وحلمهم.. فلكل الشهداء المجد والخلود.

لكل من ذكرت، ولزوجتي وأسرتي، أقدم شكري وعرفاني لهم على ما قدموه من جهد ونضال وقدرة على الصبر والاحتمال من أجل إبراز الكتاب ليكون في خدمة أجيالنا، وخدمة كل من يرغب في تدوين جزء غير يسير من الذاكرة الوطنية الفلسطينية.



ياسر عرفات وتسلسلا من أعلى اليمين عبد الفتاح الحمود، أبو علي إياد، ممدوح صيدم، أبو يوسف النجار، كمال عدوان، ماجد أبو شرار، سعد صايل، خليل الوزير، صلاح خلف، هايل عبد الحميد، صبحي أبو كرش، خالد الحسن، فيصل الحسيني، صخر حبش، هاني الحسن.

الإهداء

لكل المعروفين ولكل المجهولين من شهداء وجرحى وأسرى ومنتظري الشهادة، أو الحرية، تحية للوجوه الأولى والأصوات الأولى والبيانات الأولى والأسماء الأولى التي أعادتنا إلى فلسطين لنرى فيها نصابا لأجيالنا وحبلا لاعتصامنا، تحية للجميع، في ياسر عرفات الذي قال وربما ابتعد من استقرب واقترب من استبعد وربما كانت الرصاصة الأولى هي الأخيرة، غير أن الرصاصة الأخيرة ما زالت هي الذخيرة ليوم التحرير الآتي(١).

---

١ السيد هاني فحص.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وتقدير	٥
الاهداء	٧
الفهرس	٩
فتح .. بنت فلسطين وأمها، قراءة في أوراق الناطور أبي الطيب	٢٣
المقدمة	٣٣
الفصل الأول:	
حركة فتح: الانبعاث الثوري للشعب الفلسطيني	٤١
بيت دجن - جزء من الروح والذاكرة - والهدف	٤٤
بيت دجن قبل سنة ١٩٤٨	٤٥
احتلالها وتهجير سكانها	٤٥
المستعمرات الإسرائيلية على أراضي القرية	٤٨
ذاكرة اللجوء	٤٩
القوى السياسية في مخيم الكرامة	٥٦
القاعدة الارتكازية في سوريا	٥٧
الطريق إلى الأزمة العاصفة	٦١
القاعدة الارتكازية في الأردن	٦٦
لجان حركة فتح الأساسية في اربد - الأغوار - مخيم اربد.	٧٧

الأجنحة والمجموعات والعمليات العسكرية التي بدأت بها انطلاقة حركة فتح ٨٦
خطة سير العملية ٨٦
بداية تنفيذ العملية ٨٧
انتمائي إلى حركة فتح ٩٠
حركة فتح والانطلاقة الثانية ٩٥
قواعد العاصفة في الأغوار ٩٥
تنظيم حركة فتح في الكرامة ٩٦
استشهاد عبد الفتاح الحمود ٢٨-٢-١٩٦٨م ٩٩
الموقف الأردني من العمل الفدائي في بداياته ١٠٠
معركة الكرامة ٢١-٣-١٩٦٨م ١٠٤
صباح يوم المعركة ١٠٧
مجريات العمليات العسكرية في معركة الكرامة ١١٠
العدو يفشل في تحقيق أهدافه ١١٥
نتائج معركة الكرامة بالأرقام ١١٥
أبو عمار يتحدث عن معركة الكرامة ١١٦
شهادة الفريق مشهور حديثه ١١٨
شهادة مميزة للواء معن أبو نوار ١٢٢
إجابات الملك حسين على أسئلة الصحفيين ١٢٢
ردود الفعل الإسرائيلية على المعركة ١٢٣
بعد ٤٢ عاما إسرائيل تعترف بفشلها في معركة الكرامة ١٢٣
جهنم في الكرامة ١٢٦
قادة إسرائيل في ورطة ١٢٧
تصاعد التأييد ومضاعفة عمليات العاصفة ١٢٧
إعادة تشكيل القطاعات العسكرية لقوات العاصفة ١٣٠

قواعد فتح في الجنوب (قطاع الجنوب) ١٣١
العدوان على السلط ١٣٣
قاسم مقدادي من الجيش الأردني تحدث عن معركة السلط ١٤٠
تصريح ناطق عسكري أردني حول الإعتداء الإسرائيلي على منطقة السلط ١٤١
الاختراق الإسرائيلي كان له دور في الهجوم على السلط ١٤٢
الموقف الأردني من العمل الفدائي بعد معركة الكرامة والعدوان على السلط........ ١٤٢
معركة غور الصافي ١٤٥
الرواية الفلسطينية (رواية قائد مجموعة من قاعدة عراق المنشية
الوحدة الخاصة (محمود عبد الرحمن – اربد ٢٠١٢/١١/٢م) ١٤٦
تفاصيل عملية غور الصافي ١٤٧
العقيد المتقاعد هشام فوزي العبد حسين (الجيش الأردني) ١٤٨
كتبت صحيفة الدستور الأردنية – عمان ١٥١
اعتراف إسرائيل: تل أبيب – رويتر ١٥١
عمليات فتح داخل الأراضي المحتلة ١٥٣
ردا على العدوان الإسرائيلي ١٥٤
خصوصية الحالة الأردنية ١٥٨
المنظمات الفدائية (١٩٦٨-١٩٦٩م) ١٦٢
عمليات حركة فتح للعام ١٩٦٩ .... ١٦٦
جهاز الرصد المركزي ١٦٨
جهاز الأمن في الفترة ما بين ٦٥- ١٩٦٧م ١٦٩
الفترة ما بين ١٩٦٧-١٩٧٠م ١٦٩
تنظيم الكرامة القوة الأولى ١٧١
أقسام العمل في الجهاز ١٧٢
أهم إنجازات الرصد ١٧٣
شهادة سمير السكسك «أبو خميس» عن تأسيس جهاز الرصد ١٧٤

الفصل الثاني:

الطريق إلى أيلول، مقدمة لابد منها ١٨٥
الطريق إلى أيلول ١٩٣
اطلاق النار على موكب الملك حسين ١٩٤
تهدئة بوساطة عربية ١٩٦
مبادرة روجرز ١٩٩
انفجار الموقف ٢٠١
الشرارة التي أحرقت السهل ٢٠٣
خطف الطائرات يزيد التوتر ٢٠٤
اتفاق وقف اطلاق النار ٨-٩-١٩٧٠م ٢٠٩
تشكيل الحكومة العسكرية ٢١١
برقيات الرئيس عبد الناصر ٢١٥
الخيار العسكري يفرض نفسه ٢١٧
أحداث حي المصاروة ٢٢١
اعتقال عدد من قيادات حركة فتح، حسب رواية صلاح خلف ٢٣٣
الحرب الدبلوماسية (حرب اللقاءات والتهدئة) ٢٣٩
التدخل السوري ٢٤١
الوساطة العربية ٢٤٤
ياسر عرفات في القاهرة ٢٤٧
إتفاقية القاهرة بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية ٢٤٨
وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ٢٥١
اتفاقية تنظيم العلاقات بين الأردن و (م.ت.ف) ٢٥٢
شؤون العمل الفدائي ٢٥٥
بروتوكول تنفيذ اتفاقية عمان ٢٥٩



من أيلول ١٩٧٠ إلى أيلول ١٩٧١م كان الخروج من الأردن ٢٦٣
استشهاد أبو علي إياد ٢٦٦
استشهاد ممدوح صيدم (أبو صبري) ٢٧٣
تداعيات أحداث أيلول على الثورة الفلسطينية ٢٧٤

الفصل الثالث:

سنوات المقاومة والاغتيالات ٢٧٥
لبنان والوجود الفلسطيني ٢٧٩
اللجوء الفلسطيني ودوره في ازدهار لبنان ٢٨١
فلسطينيو لبنان ودورهم في الثورة الفلسطينية ٢٨٤
الخروج من الأردن ٢٨٧
جهاز العمليات الخارجية ٢٨٩
عملية تريستا - إيطاليا ١٩٧١/٨/٤م ٢٩٤
مكتب القائد العام وبداية التمركز في بيروت ٢٩٧
رحلة الاستطلاع والعمل في ألمانيا ٣٠١
مفارقات خلال عملية الاستطلاع ٣٠٤
إختيار المجموعة ٣٠٥
العودة إلى بيروت والتفرغ لقوات الـ١٧ .... ٣١٥
جواسيس في المصيدة ٣١٦
الصحافة تكشف التفاصيل ٣٢٠
اغتيال رئيس الوزراء الأردني وصفي التل ٣٣٣
إعتقال زوجتي.. زوجتي تضع مولودنا الأول في السجن ٣٣٤
الصراع الاستخباري الفلسطيني - الإسرائيلي ٣٣٨

الأجهزة الأمنية الإسرائيلية ٣٣٩
١- جهاز الموساد ٣٤٠
٢- جهاز الأمن العام «الشاباك» ٣٤٠
٣- جهاز الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية «أمان» ٣٤١
أساليب أجهزة الأمن الإسرائيلية في التجنيد ٣٤١
فرق الإغتيالات الإسرائيلية ٣٤٢
حروب غولدا مائير السرية ٣٤٥
حرب الاغتيالات ٣٤٨
اغتيال وائل زعيتر ١٦-١٠-١٩٧٢ .... ٣٤٩
اغتيال الدكتور محمود الهمشري ٣٥١
الرد الفلسطيني لم يتأخر ٣٥٤
اغتيال مسؤول محطة الموساد في مدريد باروخ كوهين ٣٥٦
إغتيال كارل أحد أعضاء فريق الإغتيالات ٣٥٧
اغتيال ضابط المخابرات موشيه جولان ٣٥٨
فضائح الموساد تتوالي ٣٦٠
فضيحة اغتيال المغربي أحمد بوشيكي ٣٦١
الموساد وفضيحة كنيسة جلاروس في سويسرا ٣٦٢
عمليـة فـردان: إغتيال القادة الثلاثة ٣٦٤
غولدا مائير تتخذ قرار عملية الفردان ٣٦٧
شارع الخرطوم ٣٧٠
أيهود باراك وأمنون شاحاك في قيادة العملية ٣٧٣
أبو عمار في تلك الليلة ٣٧٧
عملية الفردان وثغرات أمنية ٣٨٤
عملية الفردان والحقائق المؤكدة ٣٨٨



إعادة تشكيل الأجهزة الأمنية الفلسطينية ٣٨٩
من «الرصد» إلى «الأمن الموحد»........ ٣٨٩
الأمن الموحد ٣٩٠
الأمن المركزي ٣٩٢
جهاز الإستخبارات العسكرية ٣٩٣
قوات الـ١٧ .... ٣٩٤
اغتيال محمد بوضيا ٣٩٥
الاختراقات الأمنية الإسرائيلية وسقوط الجاسوس «أبو السعيد» .. ٣٩٩
حرب تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣م ٣٠٤
الاستعدادات الفلسطينية لحرب ١٩٧٣ .... ٤٠٨
اندلاع العمليات العسكرية ٤١٢
المشاركة الفلسطينية في العمليات العسكرية ٤١٤
المقاومة داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة........ ٤١٥
العمل الفدائي الفلسطيني عبر الحدود اللبنانية........ ٤١٦
المشاركة الفلسطينية على الجبهة السورية ٤١٧
المشاركة الفلسطينية على الجبهة المصرية ٤١٩
انعكاسات حرب أكتوبر ١٩٧٣م على الثورة الفلسطينية ٤٢١
إسرائيل والفشل الاستخباري الكبير ٤٢٢
الاستخبارات الإسرائيلية: أشرف مروان كان أقدر عميل مزدوج في التاريخ
الحديث وجزء من ماكينة التحايل المصريّة ٤٢٤

الفصل الرابع:

المستنقع اللبناني وسنوات الحرب الأهلية ٤٢٩
اندلاع المواجهات - ١٩٧٣م.. ٤٣١
الصدام المحتوم على الأرض اللبنانية.............................. ٤٣٣
اغتيال معروف سعد ٤٣٥
مفارقات لا تنسى ٤٤٠
الشرارة تحرق السهل ٤٤١
الأحزاب والقوى التي كانت موجودة خلال الحرب الأهلية ٤٤٥
اغتيال التفاؤل في الكرنتينا والدامور.............................. ٤٤٦
حصار مخيمات بيروت الشرقية ٤٤٩
معركة الدامور ٤٥٢
خطة الهجوم ٤٥٣
شهادة محمد مصلح العزة (مصعب العزة) في معركة الدامور......... ٤٥٥
انشقاقات الجيش اللبناني ٤٥٦
حرب الفنادق والأسواق التجارية والجبل ٤٦١
الثقة المفقودة بين حركة فتح والنظام السوري...................... ٤٦٧
الاتفاق الأمريكي السوري في طريقه للتنفيذ ٤٧١
الاجتياح السوري.. ٤٧٤
القائد العام يعود بحراً ٤٧٨
ردود الفعل الدولية والعربية على التدخل السوري.................. ٤٨١
مخيم تل الزعتر الجرح الذي لا ينسى ٤٨٢
مجزرة تل الزعتر ٤٨٥
شهادات من مخيم تل الزعتر ٤٩٠
معركة الشياح.. ٤٩٧



الدور الإسرائيلي في المرحلة الأولى من الحرب الأهلية ٥٠٠
حرب الجبل ١٩٧٦م ٥٠٣
قوات الردع العربية ٥٠٤
استشهاد كمال جنبلاط ٥٠٦
إغتيال يوسف السباعي في قبرص- (١٧/٢/١٩٧٨م) ٥١٠
عملية دلال المغربي ٥٢٢
تحديد موعد تنفيذ العملية ٥٢٣
تفاصيل العملية ٥٢٤
تعليمات القائد أبو جهاد لأفراد المجموعة الأبطال ٥٢٤
سير المعركة ٥٢٤
اجتياح الجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ وإنشاء الشريط الحدودي ٥٢٨
التحضيرات التي سبقت العدوان ٥٢٩
سير الأعمال القتالية ٥٣٠
شهادة معين الطاهر قائد كتيبة الجرمق ٥٣٤
القوات الدولية في جنوب لبنان ٥٣٦
إعادة هيكلة المؤسسة العسكرية الفلسطينية ٥٣٦
اغتيال القائد علي حسن سلامه «أبو حسن» ٥٤٠
البدايات النضالية لأبو حسن سلامة ٥٤٠
أبو حسن والعمليات الخارجية ٥٤٣
أبو حسن سلامة والاتصالات الفلسطينية الأمريكية ٥٤٤
أنا وصديقي أبو حسن ٥٤٦
تفاصيل عملية الاغتيال ٥٥٢
الموساد ينفذ الجريمة ٥٥٣
ردود الفعل على جريمة الاغتيال ٥٥٦
قوات الـ١٧ بعد فقدان القائد أبو حسن سلامة ٥٦١

الفصل الخامس:

وداعا بيروت - الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢م ٥٦٣
الإعتداءات الإسرائيلية تتواصل ٥٦٥
بشير الجميل يحسم صراع الموارنة ٥٦٨
إسرائيل على خط المواجهة بين سورية والانعزاليين ٥٦٩
أزمة زحلة تنفجر........................ ٥٧١
اغتيال نعيم خضر وتدمير المفاعل النووي العراقي ٥٨٠
شارون وزيراً للدفاع في إسرائيل ٥٨١
رغبة أمريكية في التهدأة مع سورية ٥٨٣
إسرائيل تتخذ قرار الاجتياح ٥٨٥
استشهاد ماجد أبو شرار ٥٨٧
إكتمال الحشود الإسرائيلية ٥٩٣
الإستعدادات الفلسطينية تتواصل........................ ٥٩٤
صاروخ فروغ الذي لم يأت ٥٩٥
خريطة انتشار القوات الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ٥٩٨
بداية العدوان الإسرائيلي........................ ٦٠١
أبو عمار يعود إلى لبنان ٦٠٤
المعارك في الجنوب ٦٠٦
أولاً: قلعة الشقيف ٦٠٦
شهادات بعض ضباط العدو الإسرائيلي حول معركة قلعة الشقيف . ٦١٠
ثانياً: معركة صور والمخيمات المجاورة لها........................ ٦١١
ثالثا: معركة صيدا ومخيم عين الحلوة........................ ٦١٣
معركة الإنزال البحري في مصب نهر الأولي شمال صيدا ٦١٤
المعركة داخل مدينة صيدا ٦١٥

معركة مخيم عين الحلوة ٦١٦
معارك الشوف والجبل ٦١٦
دور قوات الـ١٧ في المعركة ٦١٩
شهادة أبو العبد الحجاوي عن معارك الشوف والجبل ٦٢١
تقدم القوات الإسرائيلية لحصار بيروت ٦٢١
القوات الإسرائيلية على مشارف بيروت ٦٢٣
إسرائيل تقصف وعملاء الداخل يفجرون ٦٢٦
ضغوط وتدخلات أمريكية ٦٢٨
مراوغة السوريين ٦٢٩
ليس في نية الفلسطينيين أن يستسلموا ٦٢٩
التخطيط لاقتحام بيروت ٦٣١
المطالب الفلسطينية ٦٣٣
مفاوضات في مقر قوات الـ١٧ .... ٦٣٦
إستقالة ألكسندر هيج (وزير الخارجية الأمريكي) ٦٣٨
إصابتي في المعركة ٦٤٠
الشروط الإسرائيلية ٦٤٢
رد ياسر عرفات على الشروط الإسرائيلية ٦٤٣
ضياع حقيبة أبو عمار ٦٤٤
لن يرحلوا (برافو يا عرفات) ٦٤٦
استشهاد عزمي الصغير وبلال الأوسط ٦٥١
بشير الجميل مرشحاً للرئاسة ٦٥٤
بيغن يصر على الكتائب لاقتحام بيروت ٦٥٥
الاتفاق النهائي بالشروط الفلسطينية ٦٥٦
برنامج خروج قوات الثورة الفلسطينية من بيروت ٦٥٦

شمس لن تغيب.. ووداع مؤقت ٦٥٧
أبو عمار يتحدث عن الملحمة الأسطورية في بيروت ٦٥٨
موكب القبلات والدموع في الرحلة إلى تونس ٦٦٣
حالة من الحنين ٦٦٧
بيروت تودع ياسر عرفات ٦٧١
اللواء سعد صايل «أبو الوليد» رحلة مشرفة ٦٧٥
نتائج الغزو عسكرياً وسياسياً على إسرائيل ٦٨٢
اهتزاز الانضباط العسكري في صفوف أفراد الجيش الصهيوني ٦٨٥

الفصل السادس:

لبنان بعد الخروج الفلسطيني ٦٩١
بشير الجميل رئيساً ٦٩٣
بشير الجميل ومعاهدة الصلح مع إسرائيل ٦٩٤
بشير الجميل يفقد صوابه ٦٩٧
اغتيال بشير الجميل ٧٠٠
الحزب القومي السوري ينفي علاقته باغتيال بشير الجميل ٧٠٣
القوات الإسرائيلية تحتل بيروت الغربية ٧٠٥
صبرا وشاتيلا الجريمة الكبرى ٧٠٨
الجريمة في يومها الأول: الخميس ١٦-٩-١٩٨٢م ٧١٠
الجريمة في يومها الثاني الجمعة ١٧-٩-١٩٨٢م ٧١٢
الجريمة في يومها الثالث: السبت ١٨-٩-١٩٨٢م ٧١٥
أعداد الضحايا ٧١٨
شهادات الناجين من المجزرة ٧١٩
شهادات صحفية ٧٢٠



الأمريكيون متورطون في الجريمة ٧٢١
المجزرة وأهداف إسرائيل الحقيقة ٧٢٣
انتشار الجيش اللبناني في بيروت الغربية ٧٢٦
أمين الجميل رئيساً ٧٢٨
اغتيال القائد سعد صايل «أبو الوليد» ٧٣٠
تفاصيل عملية الاغتيال ٧٣٢
حركة أمل تقف وراء الجريمة ٧٣٨
أولاً: إسرائيلياً وأمريكياً ٧٤٣
ثانياً: سوريا ٧٤٤
ثالثاً: حركة أمل ٧٤٥
إسقاط الاتفاق اللبناني الإسرائيلي ٧٥٠
الجاسوس الايراني علي رضا اصغري كنز المعلومات الاسرائيلي ٧٥٢
مولده ونشأته ٧٥٣
العلاقة بين أصغري وعماد مغنيه ٧٥٥
هكذا نسفت السفارة الأمريكية في بيروت ٧٥٦
الجنرال أصغري والانشقاق عن النظام الإيراني ٧٥٨
إسرائيل تدعي انتحار الجنرال أصغري في أحد سجونها ٧٦٠
الخروج من بيروت وذكريات لا تنسى مع قوات الـ١٧ .... ٧٦٢
الرواية الأولى: لو كنت أفهم مثلك ٧٦٩
الرواية الثانية: مرطبان العسل ٧٧٠
الرواية الثالثة: مقاتل رغم أنفه ٧٧١
الرواية الرابعة: كلب بسن من ذهب ٧٧٢
الرواية الخامسة: صلاح الفلس ٧٧٤
الرواية السادسة: السبع يمشي على عكاكيز ٧٧٤



فتح.. بنت فلسطين وأمها

قراءة في أوراق الناطور أبي الطيب

هاني فحص







كان أبو الطيّب على الهاتف من عمان، أخبرني أنه سوف يرسل لي أوراقاً هي مشروع كتاب لأقدم ملاحظاتي عليها.. وتوالت بيننا الرسائل حيث كان يوقع باسم محمود الناطور، حفظت الاسم الجديد علي، القديم على صاحبه أو أنه أصبح جديداً عليه أيضاً لطول ما هجره.. حفظته بالتكرار ولولا ذلك نسيته، كما كنت وما زلت أنسى أسماء الإخوة الفلسطينيين، الذين اضطرتهم فلسطين (التهمة الجميلة) إلى التخفي وراء أسمائهم المتعددة، بين الحقيقة والمجاز، إلى أن أصبح المجاز بالتقدم والمقاومة والصواب والخطأ حقيقة أخرى وأحياناً أرسخ.. أي أن الفلسطيني حقيقتان أو يملك حقيقتين، حقيقة الإنتماء، وحقيقة التاريخ، ما مضى وما يأتي، وما لا يقاس بالسنوات والأعمار، وعدد الشهداء، بل يقاس بالاستمرار والصبر والأمل، وبتدفق فلسطين على الذاكرة والحلم، دائماً، ليل نهار، وكأنها نهر قد انبثق لتوه، من صخرة بيت المقدس مربط البراق النبوي، وسقى النخلة ذات الرطب الجني غذاء للجنين البهي.. ليصب في غزة هاشم، وضوءاً للشافعي، وبللاً يشبه عرق العائدين من دورياتهم، يضمخ كوفية أبي عمار فتفوح عطراً، يسافر مع الفجر إلى حمام الوزير، ويملأ منه أبو جهاد، قارورة، يرسلها إلى والدة دلال المغربي، علها تغسل جراحها، وتنام ملء عينيها مطمئنة على شهيدتها.

قبلت العرض، مقدراً أني سوف أقرأ كلاماً في ما لا يزيد عن ثلاثمئة صفحة، وأني سوف أقرأه بمشاعر محايدة، وأنا أقرب إلى المجاملة، لأن حساسيتي الأدبية وتكويني الرومانسي الريفي، الذي ما زلت أحبه بالرغم من الضرائب والأوجاع التي تأتيني من جهته، كان ذلك، يعني أن هناك فرقاً نوعياً –غير قيمي– بيني وبين رجال منذ نعومة أظافرهم، وبدء الخشونة الضرورية، أو الزائدة أحياناً، في أظافر حركة (فتح) رجال اشتهروا بصفتهم الأمنية، بما تحمل أو تستدعي من انطباعات لا تلغي أهمية المنجزات والأنشطة التي ترقى إلى مستوى الضرورة وترتفع فيها نسبة الخطورة.. وماذا يمكن أن يكتب أبو الطيب، محمود الناطور سابقاً أو لاحقاً، والذي كان ينظر إلي كما أنظر إليه بتركيز شديد، للحظة

أو لحظتين، مع قليل جداً من الكلام، من دون عداوة ظاهرة أو باطنة، وبسبب، ربما بسبب غموض أقر به، في فهمي للعمل الأمني، في حين قد يكون هو في حيرة من أمري، على أساس أنه مفهوم أن يكون رجل دين متعاطفاً مع ثورة ما وقيادتها، أما أن يراه أسبوعياً على الأقل في مقر عمليات (فتح) صاعداً نازلاً بين ضباط وعناصر (١٧) مع شيء من المودة المترددة، فهذا أمر قد يدعوه إلى الاستغراب، وقد كانت الاستمرارية هي التي خففت من هذا النوع من المشاعر.

كنت أجدني مضطراً إلى مسافة بيني وبين الأمن في (١٧) وغيره، من دون كراهة، ومع جاهزية دائمة للنقد البناء، ولكن أبا الطيب وجهازه، ووراء تفاصيل الحياة الأمنية بكل وجوهها واحتمالاتها، كانت له مهمة محببة، هي حماية حبة القلب، قلب فلسطين، قلبنا أو قلوبنا جميعاً، شاء من شاء وأبى من أبى، أبي عمار.. وهذا يعني أن اختيار أبي عمار للرجل، هو عن ثقة، ليس مصدرها منحصراً في الأمانة واليقظة في الحماية والاستعداد للتضحية، كما حصل أكثر من مرة، بل هناك أمور أو أنشطة أخرى، تتفرع عن الحماية الشخصية، وتتصل بحماية الثورة، حيث تستوي معادلة الجدل الفتحوي بين سلامة الثورة وسلامة قيادتها، بحيث تتمكن الثورة، حتى إذا حان وقت الشهادة، الرسوخ، وغاب القائد، أو غيّب، اشتد الوجع ولكن ديمومة الثورة، كانت قد أصبحت مسلمة، تتبدل من حين لآخر، مظاهر تجليها، ولكنها محكومة بوحدة الجوهر والمصدر والمسار.

ثم كانت مفاجأتي الكبرى، عندما قرأت المقطوعة الأدبية الشفافة والعميقة، التي أثارت غبطتي وغيرتي، قطعة أبي الطيب عن السيدة زوجته في لحظات شديدة الحرج، مع تفاصيل الخوف والحب والشوق ومرارات الحياة والإلحاح على الوفاء الذي يرقى بالعلاقات الزوجية إلى أعلى منظومات القيم الروحية والإنسانية والجمالية.. إذن فرجل الأمن له قلب!! بلى وله أصدقاء وأحباء وله أعداء، وهو يضحك ويبكي ويخطئ ويحزن ويشتاق ويحب ويتألم.. ويقرأ أدباً ويكتب، ويعيش قلقاً تفصيلياً، كل لحظة، في نومه وصحوه، وأنا أعيشه أقل منه، لأني لا أعلم به إلا قليلاً، فيفيدني جهلي به.. أما العلم بالخطر على الثورة وعلى القائد وعلى الإخوة، فهو دائم ومثير.. ولذلك فإن رجل الأمن الحقيقي، يتجهم،

يقطع ضحكته في منتصف الطريق، ويبدو دائماً، وكأنه لم ينم لليلتين متواليتين، لأن العدو يعد العدة للشر.. وتزداد المرارة والقلق، عنما يكون العدو أخاً أو رفيقاً أو شقيقاً.. وهنا يحسن السكوت، من أجل عيون فلسطين. كما يحسن الاعتراف بأن هناك سراً فتحوياً، يأتي من كونها حركة الشعب الفلسطيني بكل ما فيه، ولذلك تنشط في جسمها حركة إنتاج المضادات الحيوية للخراب.

ولو كنت تراقب حركة فتح من بعيد، في زمن العواصف والزلازل، لخفت عليها أن تنهار صباح الغد.. ولكن ما يلبث أبو عمار أن يعود من سفره، حتى يحتشد حوله، من كانوا يرجمونه أمس مع من كانوا يدافعون عنه، ليتباحث الجميع في الشراكة من أجل تجاوز الأخطاء وتعويض الخسائر ومراكمة الإنجازات الصعبة دائماً، وإعطاء اهتمام قليل أو كثير، وإن كان غير كاف، لمعالجة الالتواءات ومظاهر التصدع المحصورة، على أساس القناعة الحقيقية، وإن كانت أحياناً مبالغاً فيها، فإن فتح جسم كبير ومرن يتسع ويتسع ويهضم، ويعيد التشكيل، ويستعيد التائهين.. ما جعلنا نقول عن خبرة ومشاهدة، بأن فتح عمارة، أو مدينة. يجد من يريد الدخول إليها أبواباً كثيرة مفتوحة على وسعها، أما إذا أراد الخروج، أو أراد أحد أن يخرجه، فإنه لن يجد باباً يخرج منه، فلا بد له من البحث عن ثقب في جدار ينسحب من خلاله، ليجد نفسه بلا مأوى ولا أهل ولا رفاق ولا قضية.. ويعود إلى بيت أبيه تائباً لا يخشى من إذلال.. إلا إذا تورط بالدم. كانت القطيعة هي الإجراء الأخير انتظاراً لعقوبة الله والتاريخ.

وأنا في حالة من هذه الهواجس، تذكرت خطأي، الذي تحول إلى وجع، وذكرني به أبو الطيب، أثناء حديثه المتكرر عن أبي حسن سلامة، فقد وقعت في خطأ وفقني الله للعودة عنه، عندما اكتشفت شخصية أبي حسن وإنجازاته، قبل استشهاده بسنة وعدة أشهر، وكنت أتهرب من العلاقة به والكلام معه، لأنه رجل أمن ويعمل بأسلوب مختلف عن أسلوب العقائديين الذين كنت مخدوعاً بهم.. نسيت، أو أنساني أهل الثرثرة والغيبة والفراغ أنه رافعة أمن فتح والثورة وفلسطين والقيادة والميدان.. وكان رحمه الله يعامل برودتي بابتسامة ناعمة وصمت.. هكذا كانت صورة أبي حسن في كتاب أبي الطيب نقية وغنية،

وتقول لي أن الشراكة الأمنية، هي شراكة الخوف والحرص على القضية والشعب والثورة والقيادة والدم، ولذلك فإنها تحول المجال الأمني، إلى ما يشبه الرحم الجامعة.. لبشر يخطئون كما، أو أقل، مما يخطئ التطهيريون، الذين يتطهرون بسوء ظنهم بالآخرين، ولا يطهرون.

سوف أستمر هكذا في الكتابة، أي أني لن أكتب مقدمة تاريخية ولا وصفية ولا سياسية، لأن هذا الكتاب الحاشد بالذكريات الأليمة التي تدخر الفرح أو المفرحة فرحاً مشوباً بالألم.. يكفي.. وهناك كتب ودراسات تكمله، لمن يريد استزادة.. أما أنا فقد أعطاني هذا الكتاب أدلة إضافية على جمال وصعوبة جدل الثورة، جدل الإنسان والوطن، جدل النظام والحرية، جدل القتال والثقافة والسياسة، جدل فلسطين والعرب، جدل الماضي والمستقبل، جدل التنظيم والإبداع، جدل القيادة والقاعدة، جدل الهزيمة والنصر، جدل التراجع والتقدم، جدل الخطأ والصواب، جدل الانتماء والعصبية، جدل التعدد والوحدة، جدل الوطنية والقومية، جدل العروبة والأنسنة، جدل الدين والمدينة، وحوار كربلاء والجلجلة.. هل كان هذا كان موجوداً في حركة فتح؟ بلى وأكثر من ذلك، وكان فيها شوك كثير.. وشر أيضاً.. ولكن إصرارها على أن تكون بسعة فلسطين وتطاول عمر القضية في الماضي البعيد والحاضر المديد والمستقبل العتيد، جعلها مصنعاً حضارياً يحول الشوك إلى حارس للورد ويمنع الورد أن يغتر بلونه وعطره، إلا إذا استشهد، وحينئذ يحق لأهل الشهيد ورفاقه أن يحملوه إلى الجنة وأن يجعلوه ضمير الأمة وزيتونة فلسطين.

لقد توثقت علاقتي بأبي الوليد سعد صايل مثلاً صدفة.. لأكتشف أن صمته وعبوسه آت من عقله، ولو كان يعمل بإمرة قلبه فقط لابتسم حتى في نومه.. لقد اكتشفت الإنسان الرجل وجاءت صورته عند أبي الطيب لتؤكد لي أن عقلي أصاب كما أصاب قلبي في محنة أبي الوليد والحزن عليه.

هذا وبإمكاني وبودي أن أقول كلاماً كثيراً في القادة الأحبة، الشهداء والأحياء، الذين قال فيهم أبو الطيب كلاماً طيباً ويبقون مصدراً للطيبة والريح الطيبة، الآتية من دمهم الفلسطيني النقي وعرقهم الطاهر.. والذي أشعر بالامتنان فيه لأبي الطيب هو أنه وضّح



لي ملامح وجوه ونفوس وأرواح من حركة فتح لم أكن على معرفة بتفاصيلها.

كأني أكتب عن كتاب في السيرة ! أبداً هذه الصور الجميلة لم يركبها أبو الطيب إلا من خلال الأحداث والوقائع.. وقد كان ليكون مملاً لو أنه أرخ بأسلوب أكاديمي.. أبداً لقد جاء هذا المزج بين الأحداث والأشخاص والأفعال والمشاعر سرداً محبباً، ألزمني بعد تردد بقراءة النص الطويل جداً، بسرعة لم أعتدها.. أنا لا أريد أن أقول أن أبا الطيب عبقري.. بل أريد أن أقول بأن أبا الطيب رمم ذاكرتي التي هي أكثر من سياسية.. هي نضالية، وقدم لي مسوِّغات إضافية لاعتزازي بفتح ولنقدي لها وغضبي عليها أحياناً ولأسباب تتصل بالماضي والحاضر وتقلقني على المستقبل.. لأني أريد لفتح أن تعالج أعطابها.. لأن فلسطين لا تستغني عنها. وأنا لا أحب فتح لأنها جميلة أو طويلة أو غنية، أنا أحب فتح لأنها بنت فلسطين التي تشبهها.. ولأنها أم فلسطين التي تشبهها. ولا أحب أن يتراجع الشبه بين فتح وفلسطين لأن في ذلك حراماً بيناً وشبهات لا تبعد كثيراً عن الحرام.. حرام على فتح أن تنسى جذورها.. ومن ينسى جذوره ينسى فروعه ومن ينسى ماضيه ينسى مستقبله.. أما ماذا نتذكر من الماضي.. فأنا أربأ بكل من أحبه أن يتذكر ما فسد من هذا الماضي.. وأن لا يتذكر إلا الجميل الذي يصلح لصناعة المستقبل. أما القبيح فلا نتذكره إلا لنتفادى تكراره.

تحية لفتح الوسطية.. التي أنتجتها الطبقة المتوسطة صانعة الدول والأوطان والعلم والتنمية والاجتماع والتاريخ والثقافة والتي إن مر الدين عبرها سلم.. ودين فلسطين المركب من أهلها وذاكرتهم وعيشهم المشترك وحلمهم المشترك، الساهر في المساحة الجميلة بين الأقصى والقيامة، ليذهب فجر الميلاد معاً إلى بيت لحم.. هذا الدين وجدته في حركة فتح عندما لم يلتفت أحد إلى عمتي السوداء كعلامة شيعية، بل كعلامة هاشمية عربية مسؤولة من دون امتيازات.. ولم ألتفت إلى أن أحداً من فتح بعيد عني لأننا مختلفان دينياً أو مذهبياً أو فكرياً.

قرأت كتابك يا أبا الطيب مخلاً بوعدي معك بأني سأقرأه قراءة عمودية استطلاعية.. قرأته لأنه أغرقني في تفاصيل غائبة.. وفي التفاصيل يكمن التعريف الحقيقي، المعرفي والميداني، لأي ثورة.. وأي قائد.. وأي عنصر بسيط يرقى ببساطته إلى مستوى قضيته

فيصبح مثلها عظيماً.. هناك كثيرون يكتبون مادة أكاديمية راقية ولكننا بحاجة إلى من يكتب مادة سردية راقية أيضاً.. وجوانية.. كأنها شهادة، وسرديتك استفزتني حتى ملأت الصفحات بتعليقات لازمة وغير لازمة.. وبشكل فوضوي وقاس أحياناً، ولم أتوقف عن الكتابة.. انقطعت الكهرباء وانطفأ المصباح في أول ليل لبناني يبدأ فيه العد العكسي لفتنة سنية شيعية تشوه معنى الربيع العربي الذي لا يشوهه إلا بعض أهله أو الأدعياء.. هذا وفتح وقواتها ومنظمة التحرير ليست في لبنان، ولا أدري لو عدتم، وأنا لا أريد، لأني أريدكم أن تبقوا في فلسطين، في القضية لا في زواريبنا.. لو كنتم فهل كانت الفتنة قوية هكذا. ونحمد الله على سلامتكم من الأمراض اللبنانية المتفشية الآن.. وعلى أي حال، فقد خرجتم وبقيت فلسطين القضية ملجأً لنا نقول فيه أن لنا قضية مقدسة مهما دنسوا قضايانا الوطنية.. سلاماً يا أبا الطيب.. كتابك يستأهل المديح والنقد.. وأنا أمام النص الفلسطيني ضعيف وغير قادر على الموضوعية.. ولا أستطيع أن أمارس إلا نقداً ناعماً. وقد يكون مؤجلاً إلى وقت صدور الكتاب.

هاني فحص





المقدمة

ما أدونه هنا يشكل الجزء الأهم من حياتي وعشقي ووجداني الملتصق بهذه الثورة وهذا الوطن.. وأولئك الرجال الذين نزفت دمائهم وروت كل شبر من أرض فلسطين التي ما زالت عطشى.. وما زلت أفيق وأصحو كل يوم أجتر في عقلي وذاكرتي الوجوه والأيام واللحظات التي مرت ولا تزال منذ لحظات شبابي الأولى والتي انتهت بقفزات الرجولة والمسؤولية المتلازمة بين الحياة والشهادة عبر سنوات ترجع لأكثر من أربعين سنة. والأكثر من العطاء، والأكثر من البحث عن الذات والهوية والبحث عن مكان تحت هذه الشمس الغائبة إلا من بقايا بصيص من الأمل الناجم عن الإيمان بالله، وهؤلاء الأشبال الذين يقبضون على حجارة الجمر، مكملين الطريق الذي سلكناه بروح أقوى بالمعرفة والشفافية والصدق.

ما أسجله هنا إلا ما صنعه هذا الشعب في الداخل والخارج، وما قدمه أبناء هذا الشعب من تضحيات تفوق كل وصف، وما أذكره هنا في هذا التدوين يلتزم بالأشخاص الذين التصقت بهم شخصياً وعانيت معهم وتقاسمت الحلم والألم والأمل في قوات ال١٧مع معرفتي بالآلاف من الشهداء الذين سقطوا على أرض الوطن، فلكل واحد منهم حكاية وقصة وروعة استشهاد، إن لم أقل أن زغرودة كل أم شهيد هي فصل من فصول أي كتاب وأوسع وأقوى. ولهذا أتمنى أن نسجل تلك الأسماء الخالدة في تاريخ شعبنا، ونحفر تلك الأسماء على صخور مدننا وقرانا لتبقى نبراسا وشعلة تضيء لنا ظلمة هذا الطريق إلى نور المستقبل الذي نؤمن به أنه قادم.

أعرف جيداً أن كتابة التاريخ صعبة وشاقة، وتتخللها متاعب كثيرة وتناوله قد يتخذ مساراً نقدياً، وقد يتخذ مساراً مؤيداً أو مزدوجاً من النقد والتأييد، ولكنه في كل الأحوال يكون مساراً هادفاً من خلال الحاجات التي تطرح نفسها، وقد كنت في جوانب كثيرة من الذين شهدوا الوقائع ولا بد لهم أن يشهدوا فالتزمت أن أكون كعهد الناس بي، واضحاً وعفوياً، لا أدعي جاهاً لم يكن لي، ولا مواقف لم أخضها، واضعاً نفسي في المكان الذي لا يعرضني للشبهات أو للسؤال والمسائلة، متمسكاً بذاتي وعقيدتي وأفكاري العصيّة على

التلون والنفاق، مدركاً أن كتابات عديدة ظهرت بأقلام أعلام وقادة وأصحاب معرفة وفكر كلها تدور في البرهة الزمنية التي يتناول أحداثها الكتاب، إلا أن إدراكي لذلك لم يحل دون صراحتي، فأنا في الحقيقة وإن أراد بعضهم القول بأن الحقيقة حمالة أوجه، فأنا مع الحقيقة بوجهها الواضح ولست معنياً بوجوهها الأخرى كوني مع الوضوح المطلق.. ولا أنكر أبداً أنني عندما شرعت في تنفيذ فكرة ومضمون الكتاب كنت متهيباً؛ لأن التعرض لأحداث ومراحل وأعلام المرحلة المقصودة أمر يشبه المغامرة التي تحتاج إلى أعصاب قوية، وإرادة فولاذية وقناعة تامة لا سيما أن التضحيات كانت كثيرة، وحالات فقد الأخوة كانت مدمرة والكمائن والأشراك المنصوبة لنا كثورة ومجتمع وعقيدة نضالية كانت متوالدة كالفطر.. ومما لا شك فيه أنه ليس من السهل على الباحث أو المؤلف أن يجمع الأحداث والوقائع الفلسطينية طيلة أربعين عاماً (١٩٦٤ - ٢٠٠٤م) بين دفتي كتاب، لا سيما أن كل يوم من أيام تلك السنين يحمل حدثاً أو أكثر قد تضيق الصفحات في رصد تفاصيله وأبعاده. رغم أن المعلومات الأساسية كانت متوفرة ولكنني علقت الأمل على أن أتمكن من اكتساب نوع جديد من التبصر. كما أن العشرات من المحطات النضالية، والانعطافات الثورية في مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني تحتاج إلى متابعات في التوثيق والتدقيق، وإلى تقصي الحقائق بما يتطلب التنقيب في آلاف الملفات والوثائق والمصادر.. ويندرج في هذا السياق انعكاس المواقف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحزبية والفصائلية في الساحة الفلسطينية على خصوصية الحدث الفلسطيني الذي يتوافق بعضه أو يتنافر بعضه الآخر مع مؤثرات عربية وإقليمية ودولية، والأهم من ذلك أن طبيعة الحدث كانت طيلة تلك السنين، وستظل رهينة لصراعنا مع العدو الإسرائيلي، والصراع العربي - الإسرائيلي، وما اقتضاه ذلك من تضحيات واستعدادات وحشد للطاقات لمواجهة إرهاب الدولة الإسرائيلية الذي أفرز المئات من المجازر الوحشية، وأساليب البطش والقمع والتنكيل، وهي تضحيات من صميم تاريخنا الوطني الذي اتسم بروح التحدي والمواجهة، لا سيما أن شعبنا هو شعب «الجبارين» لا يمكن له أن يهون أو يستسلم للظلم والعدوان.

لقد مضت على مسيرة العمل الوطني الفلسطيني كل تلك السنين، فكانت سنوات عطاء هائل ومخزون كبير من التضحيات والشهداء والعمليات البطولية وسلسلة طويلة من نماذج الفداء التي لا يماري فيها أحد.. ولا يشك فيها عاقل.



وقد حاولت في هذا الكتاب.. وعلى مدى خمس سنوات من العمل اليومي المتواصل والمعاناة القاسية والتحمل على النفس؛ بسبب تشابك المعلومات وتضاربها في أغلب الأحيان، وفقدان مصادرها، وغياب العديد من الشهداء المعنيين بالحدث أما عن طريق الاغتيال أو خلال معارك الشرف والبطولة، وقد قابلت أيضا باتصالاتي الخاصة عددا من المسؤولين والشهود ممن أمكنهم إلقاء بعض الضوء على جانب أو آخر من جوانب الأحداث وأشعر أنه بإمكاني ذكر الكثير منهم بالاسم أما بعضهم الآخر فإنه لا يمكنني ذكر أسماؤهم وذلك بناء على رغبتهم.

حاولت أن أعيد تدوين الوقائع الفلسطينية منذ الإرهاصات الأولى لانطلاقة حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) فوجدت الغوص بهذا الجانب يحتاج إلى مجلدات وسنوات فاكتفيت بكتابة لمحة بسيطة عن البدايات وتواجد المؤسسين على امتداد الساحات العربية، لا سيما أن حركة فتح تمكنت من تشكيل تيار وطني واسع، وإطار تنظيمي عريض شكّلا العمود الفقري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني عموما وليس لجزء منها، وتمكنت حركة فتح عبر مسارها هذا من استقطاب معظم الطاقات الفلسطينية الفاعلة على مختلف اتجاهاتها ومستوياتها، ومن خلال الرؤية المتفتحة صارت فتح قوية ورائدة الكفاح الوطني الفلسطيني بإقرار جميع الفصائل الفلسطينية أو القوى والأنظمة العربية أيضا، وهكذا واصلت رصد الحدث حتى وقائع استشهاد الأخ الرئيس ياسر عرفات.

مسترشدا بالتجربة الشخصية، وهي الأساس، ثم بمختلف المصادر من مراجع ودراسات وأبحاث على ندرتها إن كان بسبب قصف الطيران الإسرائيلي لمراكز الأبحاث الفلسطينية، وإن كان بسبب مسيرة الترحال الثوري الفلسطيني نحو العواصم العربية. معتمداً أنه ليس كافيا الحصول على المعلومة الحديثة التي هي متوافرة بضغطة زر وإنما لا بد أن تكون المعلومة صحيحة لأن بضاعة الإعلام قابلة للغش مثل أي بضاعة أخرى.

وحرصا مني على جمع شتات الأحداث والتطورات والمواقف المهمة، فقد اعتمدت لإنجاز هذا الكتاب على التسلسل الزمني للأحداث، متطرقاً إلى الأسباب والنتائج والعوامل التي أسهمت في بلورة الأحداث وإيجاد الوقائع، كاشفاً بإسهاب العديد من الأسرار والحقائق التي وقفت وراء ذلك بهدف إنصاف التاريخ الفلسطيني والانتقال به من (ضحية التاريخ)

إلى الإسهام في صناعة التاريخ على غرار ترجمة قول المناضل العالمي نيلسون مانديلا (أن من يصنع الحرب يصنع السياسة)، ورغم بلاغة هذه المقولة إلا أنني ومنذ أن انتسبت لحركة فتح لم أهتم كثيراً بالسياسة بقدر ما كان اهتمامي ينصب على تحقيق الإنتصارات في حربنا مع العدو.

وبموجب هذه الرؤية اجتهدت أن يكون مضمون هذا الكتاب المتعدد الفصول بمثابة «ذاكرة كفاحية» في تاريخ الثورة الفلسطينية من خلال إنصاف الذين ضحوا بأرواحهم في أكثر من موقف وتاريخ ومكان لا تقودهم نحو الكرامة والعزة سوى روحهم الوطنية الباسلة وأردت أن أكتب لأبنائهم وأحفادهم عنهم لكي يعرفوا لأي سلف هم ينتسبون ولأي وطن هم ينتمون، وكي يستفيد منها الراغبون في إعادة تدوين تاريخ الثورة الفلسطينية وتنقيته من الروايات المختلفة والمزورة، التي أسهم إعلام العدو الإسرائيلي وأجهزته الأمنية، وكذلك خصوم الثورة الفلسطينية، في بثها كإشاعات تحريضية ضد قيادات العمل الوطني الفلسطيني وضد مسيرة الكفاح المسلح لتأليب الأطراف بعضها ضد بعض. وتأجيج النزاعات بين فصائل الثورة ومختلف النظم العربية.

وشمل منهج البحث لإعداد الكتاب إبراز الجوانب المتعلقة بمكافحة الإرهاب، والصراع التجسسي مع الأجهزة الأمنية الإسرائيلية (جهاز العمليات الخارجية) وبعض المنظمات الإرهابية (تنظيم أبو نضال) مقدما تفاصيل جديدة لم يتم كشفها سابقاً عن عدد من عمليات الاغتيال للقادة والشهداء الفلسطينيين والعرب من خلال استعراض سيرهم الذاتية وإدراجهم في الذاكرة الفلسطينية، كما خصصت جانبا للمعارك التي فرضتها قوى عربية ودولية ضد الوجود الفلسطيني على الساحات العربية شارحا خلفيات كل طرف وأهدافه التي كان يعمل على تحريكها وعلى وجه الخصوص حروب المنشقين ضد الشرعية الفلسطينية وحروب الكتائب اللبنانية وحركة أمل ضد المخيمات الفلسطينية والوجود الفلسطيني في لبنان، موضحا بإسهاب طبيعة العلاقات الفلسطينية مع المسيحيين والطوائف الأخرى في لبنان، والعلاقات الفلسطينية مع سوريا على مدار سنوات الثورة، ونتائج الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي وأثر ذلك على التحولات التي طرأت في الموقف من الحركة الوطنية اللبنانية وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية خلال الحرب الأهلية اللبنانية والى ما قبل الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م.. حيث قدّمتُ

رصدا لعوامل صمود قوات منظمة التحرير الفلسطينية أمام الغزو الإسرائيلي وحصار بيروت، ملقيا الضوء على الدور الإسرائيلي في تنصيب بشير الجميل رئيساً للبنان ثم اغتياله والشروع في تنفيذ مجزرة صبرا وشاتيلا بعد ذلك.

وفي الدائرة الأوسع يجد القارئ والباحث في فصول الكتاب معلومات غزيرة عن الشخصيات التي كان لها دور مؤثر في الأحداث، إن كان من خلال هوامش الكتاب أو من خلال السرد المعلوماتي في سياق الأحداث، وتم تدعيم كل ذلك بذكر صريح للمصادر على مختلف تبايناتها والجانب الأبرز في الكتاب يحفل باستعراض للمهمات التي أوكلت لي قبل وبعد تسلمي قيادة قوات ال١٧ ناقلا شهادتي على زمن عشته بكل ما فيه من تفصيلات ومواجع ومواقف اعتزاز ليس لأنها مواقفي ومواقف إخوة لي وإنما لأنها صارت مواقف هي اليوم جزء من تاريخ حركة فتح.

فرغت من كتابي لا أريد من وراءه الشهرة أو الاستئثار بالأمجاد أو هضم حقوق الآخرين وأفعالهم أو التقول على حياة قادة ومناضلين، هنا صار تاريخهم فلسطين كما لا أريد تقديم نفسي على الآخرين أو أقول كلام إلى انساب شريفة أو نبيلة.. لم تكن لي نية التقرب من المراتب العليا أو رسم الأدوار وصوغها على غير حقيقتها إطلاقاً.

ما أردته من سرد هذه الأحداث هو أن أسجل بالكلمة الصادقة والمشاعر الحساسة أدق تفاصيلها وأسحب من الأمكنة الظليلة المتواري منها الذي ظل طوال سنوات عدة مستودعاً للأسرار، الإقتراب منه يعني الموت والخوض فيه يعني التهور غير الحميد، كما كتبت هذه الأحداث لأنصف أخوة لي كانوا هم سياجي مثلما كنت سياجهم. هؤلاء الذين إختاروا طرقاً ودروباً أخرى لكي يحبو بها الوطن ويخلصوا له.. هؤلاء الذين كانوا مثالا نادرا للشجاعة الكلية والوطنية العزيزة والروح المجبولة على البذل والفداء.. أردت حقيقة أن أنصف الذين ابتعدوا عن دائرة الضوء والحوار والمشادة ليس خجلاً أو ضعفاً أو إقصاء وتنحية؛ وإنما إبتعدوا إستجابة لدوافع ذاتهم الصادقة في تربيتها الوطنية والقومية والإنسانية..

أتحدث عن هؤلاء الأخوة لأنصفهم، قبل إنصاف نفسي، لأنهم أصحاب تاريخ مشرف كانوا هم صنّاعه، حاولت أن أكتب وأقدم المعلومة التي أعرفها شخصيا عنهم، وأن آخذ بالمعلومات التي قالها بعض الأخوة عنهم وهي محل تقاطع واشتراك في المصداقية والثقة.

ارتجفت يداي وأنا اخط أولى الكلمات عن القائد الرمز الشهيد ياسر عرفات ولمسيرته ولذكراه المفعمة بالآمال كما هي حياته التي عشناها معه وعرفناها من خلال أعماله البطولية وصموده الأسطوري. وعندما أصر أصدقائي لكي أكتب بعض البعض عما عشته وعرفته عن قائدي أبا عمار ترددت لأنني اعرف الكثير الكثير وفي نفس الوقت لا امسك بيدي لا روحه ولا روحي بل بضع دمعات سكبتها بصمت دون أن يرى من حولي ضعفي وهذا ما دفعني لأكتب الفصل العاشر والأخير في سيرة فتح ومجدها التليد وسيرة قائد هذه المسيرة وسيرة رمز هذه الأمة من المحيط إلى الخليج فهو في ذاكرتنا وفي وجدان أبنائنا.. لا يستطيع أحد منا إلا أن ينحني أمام قبره إجلالاً ودعوات ملئى بالدموع البيضاء التي تمسح أجفاننا ووجوهنا وصدورنا.

وفي هذه العجالة لا بد لي من الإعتراف أن هناك الكثير من الحقائق والمعلومات التي آثرت عدم التطرق لها نظراً لحساسيتها.

إن المنطلق التوثيقي للتجربة يقتضي منا ذلك البعد المتكامل من الأمانة والموضوعية والإحاطة الممكنة لأن التجرد من تشابك أو تضارب علاقات الماضي الذي انطوت صفحاته يضفي مزيداً من السمو والموضوعية تتطلبه ضرورات التوثيق.وفي النهاية لا بد لي أو أوضح للجميع في جيلنا أنه وبالرغم من أن تجربة الثورة الفلسطينية فريدة في فكرها وسياستها وقبولها وحضورها وزمنها، وأطراف الصراع فيها وحولها، وأعدائها وأصدقائها، وتحتاج إلى العديد من المجلدات لإحصاء أحداثها وصانعيها ومقاتليها وشهدائها، وكذلك ما كتب عنها تقييما، سلباً أو إيجاباً، وما لها وما عليها إلا أنني لم أخترق سدود تقييم هذه التجربة، فأنا ما زلت أبحث عن البدايات وأين توقفت، وعن مراحل النمو والضعف والحضور والغياب لهذه الثورة، هل هي النكبة الثانية وليس النكسة عام ١٩٦٧م، أم خروجنا من غور الأردن والنهاية المتلازمة بذلك عام ١٩٧٠م.. هل كان أيلول النهاية! أم تواريخ الوجود في لبنان بكل الأحداث والمحطات! أم الخروج من بيروت حاملين بقايانا حتى العصي!.. متى هي البداية كانت، ومتى هي النهاية لهذه التجربة.. أم تجمدت!.

وأنا هنا لست بصدد تقييم هذه التجربة بما لها وما عليها.. وللخوض في ذلك يتطلب العديد من الوقت ولسنوات والمراجع، وكذلك النتائج التي من أيدينا يجب أن تخضع للتحليل



والتدقيق بعيدا عن المزاجية والمواقف المسبقة والنفاق والعلاقات الشخصية مع الآخرين والخوف من الحقيقة سواء كانت مرة.. علقماً أم لا.

إنما أنا هنا لأسرد بعض الأحداث والوقائع والقصص العظيمة بموضوعية وببساطة هادفاً إلى معرفة الجيل الجديد أن ما سبق هو البداية وأن صانعي هذه البداية بذلوا جهداً خارقاً من أجل أن تكون النهاية هي الحرية والإشراق المرسوم بلون الدم.. وكما قلت فإني أترك لصانعي السياسة والعلماء والخبراء وقادة مستقبل هذا الشعب، تحديد مواقع الحقيقة في جوهر وتاريخ الثورة. وما أنا إلا صوت أضم نفسي لجوقة الباحثين عن الإيمان بهذا الوطن وهذا الشعب. وأعتقد أنه آن الأوان لأن يأخذ الشباب دورهم، وأثق بقدرتهم على القيام بالكثير من الأشياء التي عجزنا عن فعلها.

وأخيرا...

لقد كان الهدف الأسمى من إعداد هذا الكتاب هو إثراء الذاكرة الفلسطينية بوقائع مسيرة الكفاح الوطني الفلسطيني طيلة أربعين عاما لتكون في متناول أجيالنا المقبلة وفق فهم موضوعي لحقائق هذه المسيرة النضالية.

اللواء/محمود الناطور

أبو الطيب



الفصل
الأول:



حركة فتح:
الانبعاث الثوري
للشعب الفلسطيني



أجد لزاماً علي أن أروي قصة الإنبعاث الثوري للشعب الفلسطيني بقيادة حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح»، فمنذ نكبة عام ١٩٤٨م التي حولت شعبنا من مالك للأرض الفلسطينية إلى لاجئ في دول الشتات، لم يتح لهذا الشعب فرصة للتعبير عن إرادته الوطنية التي صودرت بذريعة تمكين الجيوش العربية من الإستعداد العسكري لخوض غمار معركة تحرير فلسطين، ولم تبذل الدول العربية جهداً على صعيد تعبئة الطاقات الفلسطينية، وإنما ظلت تتعامل مع الفلسطينيين كلاجئين حتى جاءت لحظة الحقيقة يوم الخامس من حزيران عام ١٩٦٧م حين إنكشف الموقف عن هزيمة مؤلمة للجيوش العربية على ثلاث جبهات هي مصر وسوريا والأردن بالإضافة إلى مشاركة الجيشين العراقي واللبناني، وثبت أن هذه الهزيمة أو (النكسة) كما أطلق عليها لم تكن هزيمة للشعب الفلسطيني وإنما كانت منطلقاً لتولي زمام الأمور فلسطينياً لتأطير كامل الشعب الفلسطيني في مسيرة النضال الوطني التي إنطلقت سراً يوم ١/١/١٩٦٥م، ولكنها تفجرت كبركان من الغضب عقب هزيمة حزيران ١٩٦٧م.

ولتقديم رؤية موثقة للأجيال الفلسطينية القادمة لا بد من التطرق إلى الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسة لشعبنا، الذي إزدحمت به مخيمات الشتات، وصولاً لمرحلة إنطلاقة الثورة الفلسطينية بقيادة حركة «فتح» التي صنعت وبكل فخر واعتزاز انتصار معركة الكرامة جنباً إلى جنب مع أبطال الجيش العربي الأردني، واستعراض نتائج هذه المعركة التي ألحقت ولأول مرة في تاريخ الصراع العربي – الإسرائيلي الهزيمة بالجيش الإسرائيلي الذي قيل عنه أنه لا يقهر. وسرد الأحداث الهامة التي كان لها تأثير على مسيرة الثورة من العدوان على مواقع الثورة الفلسطينية في محيط مدينة السلط واستشهاد البطل الرائد خالد وصولاً إلى أحداث عامي ١٩٦٩ – ١٩٧٠م.

لم أكن أهدف من هذا التوثيق التاريخي تمجيد الثورة الفلسطينية على حساب الإساءة لدور الدول العربية، وإنما هكذا كانت الأحداث التاريخية التي حرصت أن أرويها واستعرض نتائجها بهدف إتاحة الفرصة أمام أبناء الشعب الفلسطيني وأبناء الأمة العربية للاستفادة من التجربة، والعمل على تعزيز لحمة النضال الفلسطيني والعربي في مواجهة الأطماع الإسرائيلية التي لم تعد تهدد فلسطين وشعبها وإنما كل الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج، كما لم أقصد أبداً الإنتقاص من القوات العسكرية العربية وقادتها العسكريين، فقد أثبتت معركة الكرامة أنها فاتحة الباب أمام توالي الإنتصارات العربية التي برزت وتجلّت في الإنتصار العربي الكبير في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م.

بيت دجن - جزء من الروح والذاكرة - والهدف

لم يكن في تفكيري يوماً أن أقدم نفسي «للقراء»، فلست بحاجة للبهرجة الإعلامية، ويمكن أن يعود ذلك إلى طبيعة عملي السابق ونظام حياتي الذي ارتبط بمتطلبات هذا العمل...

وفي الوقت نفسه بقيت التصق بجذوري حيث ولدت، وحيث عاش أبي وأجدادي، وأعيش مع ذكريات أحاديثهم ونضالهم ضد الانجليز والصهاينة، وعن ذكريات أصدقائهم في الكفاح والذين كانوا رموزاً معروفة في كل فلسطين، وأعود إلى بلدتي بيت دجن التي من أجلها ومن أجل كل فلسطين قاتل جدي وأبي، واليوم لن أتنازل عن حقي فيها...

وقبل أن أتناول الحقائق عن بيت دجن كمساحتها وعدد سكانها وعائلاتها.. ومصادر رزق أهلها.. ومكانتها التاريخية في المنطقة المحيطة بها، ودورها في الاقتصاد الفلسطيني.. أود أن أعبر عن افتخاري واعتزازي العميقين لانتمائي لأسرتي ولبيت دجن..

فدائما كنت سعيداً بحديث أصدقائي وزملائي وهم يتحدثون عن جذورهم ومدنهم وقراهم وبلداتهم في فلسطين، ويصل الأمر إلى أن بعضهم يذكر كل شجرة وكل صخرة ونبعة ماء.. وبعض منهم يذكر عادات الأفراح والأعراس وحتى المآتم.. وطرق ممارستها، وهذا الأمر يصيبني بالشجن لأنني خرجت لاجئاً مهاجراً صغيراً لم أتمتع بكل ما كانت تمتلكه بيت دجن بلون الشجر وتنوعه فيها، برجالها وسمرة وجوههم من لفح الشمس وعملهم في الحقول..

واليوم لم أترك وسيلة إلا واستخدمتها للتعرف على بيت دجن من روايات شيوخنا الذين عاشوا وعملوا فيها من نسائنا اللاتي رسمن أجمل وأغلى الأثواب الشعبية والتي تميزت بغزارتها وتكاليفها وهي التي في واقع الحال انعكاس للواقع الاقتصادي، فكلما كان ذلك جيداً كان الجهد أكبر وأجمل وأكثر كلفة.. وهذا ما تميزت به أثواب ومطرزات بيت دجن.. وحازت على إعجاب البلدات والقرى الأخرى المجاورة..

لهذا تراني أدعو كل فلسطيني ومن هم في سني أن يعلموا أولادهم وأحفادهم عن كل قرية وكل بلدة وكل مدينة في فلسطين، وليذكروا لهم مواقع نموهم وحتى لو تغيرت المعالم قسراً، فستبقى هذه الذكريات وهج الحنين المتواصل الذي لن يعطي لشذاذ الحق في بيتي وأرضي في بيت دجن...

وقد جمعت معلوماتي من رجالنا ونسائنا، أصبح بالإمكان الآن الوصول إلى هذه المعلومات عبر الموسوعات المختلفة والكتب التي تتناول قرى ومدن فلسطين، وعبر ما زود به «الانترنت» من معلومات..

وأقدم هنا بكل المحبة والحنين بيت دجن للقراء...

بيت دجن قبل سنة ١٩٤٨

كانت القرية المشيدة على تل رملي في السهل الساحلي الأوسط تقع إلى الجنوب قليلاً من خط سكة حديد يافا– القدس. عندما تقاطع الطريق العام الممتد بين يافا والرملة والطريق العام الساحلي الممتد جنوبا نحو عزة. ويعود تاريخ بيت دجن إلى عصر الكنعانيين، إذا إنها ذكرت في العهد القديم باسم بيت داجون(يشوع١٥: ٤١). كما عرفت ببيت دجانا في عهد الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥–٦٨١ ق.م.). وقد سميت القرية كبياراداغون في عصر الرومان. وحل السامريون بالقرية في القرن الرابع، ومكثوا فيها حتى القرن العاشر على الأقل. وقد شيد الخليفة الأموي هشام بن عبد المللك (٧٢٤– ٧٤٣م) فيها قصراً أعمدته من الرخام الأبيض. وبنى صلاح الدين وأعاد بناؤها ريتشارد قلب الأسد سنة ١١٩١م / ٥٨٧هـ. كانت بيت دجن قرية في ناحية الرملة (لواء عزة) في سنة ١٥٦٩م / ٩٧٧هـ، وكان عدد سكانها ٦٣٣ نسمة. وكانت تؤدي الضرائب على عدد من الغلال كالقمح والشعير والفاكهة والسمسم، بالإضافة وخلايا النحل وكروم العنب.

في أواخر القرن التاسع عشر كانت بيت دجن قرية متوسطة الحجم ومحاطة بأشجار الزيتون .وكانت منازلها الحديثة مبنية بالطوب أو بالحجارة والأسمنت ومنتشرة في أرجاء الموقع من دون أن يتخذ شكل انتشارها نمطاً خاصاً. وكان سكانها في معظمهم من المسلمين وبين ال ٣٨٤٠ عربياً، كان ثمة ١٣٠ مسيحياً. وكان في القرية مدرستان: الأولى للبنين والأخرى للبنات. وجرى ضم مساحة بلغت خمسة عشر دونما من الأرض إلى مدرسة البنين التي أسست في سنة ١٩٢٠م / ١٣٣٩هـ، لتدريب التلامذة على أصول الهندسة الزراعية،وكان فيها مكتبة احتوت على ٦٠٠ كتاب. وكان يؤم تلك المدرستين ٣٥٣ تلميذاً و ١٠٢ من التلميذات في سنة ١٩٤٠م / ١٣٥٩هـ. في ١٩٤٤ / ١٩٤٥، كان ما مجموعه ٧٩٩٠ دونما مخصصا للحمضيات والموز، و ٦٧٦ دونما للحبوب، و ٣١٩٥ تروى من آبار ارتوازية. كما كانت بقايا القلعة الصليبية المذكورة أنفا لا تزال مرئية في سنة ١٩٤٨م / ١٣٦٧هـ.

احتلالها وتهجير سكانها

كانت القرية منذ كانون الثاني / يناير ١٩٤٨م / ١٣٦٧هـ هدفاً لهجمات شنتها قوات البلماخ المتمركزة في مبنى كيرين كاييمت ليسرائيل (الصندوق القومي اليهودي)، الكائن جنوبي طريق

يافا- القدس العام مباشرة. وقد دمر منزل من منازل القرية في إحدى غارات البلماخ. ولعل أوسع هجوم في تلك الفترة بحسب المؤرخ الفلسطيني عارف العارف هو ذاك الذي شنته قوة يهودية مسلحة بمدافع فقتل جراءه ثلاثة من سكان القرية،وجرح أربعة ودمر أحد المنازل. وأفادت صحيفة (نيويورك تايمز) أن البريطانيين اشتبكوا مع سكان القرية يوم ١٩ شباط / فبراير بعد توقف إحدى قوافلهم العسكرية في القرية فبراير لاعتقال رجل كان يحمل بندقية. ويذكر مقال الصحيفة أن السكان صوبوا النيران على الجنود البريطانيين وأن اثنين من السكان قتلا وجرح ثلاثة، كما قتل جندي بريطاني عندما (قفز من شاحنته حاملاً رشاشاً من نوع برن واندفع داخل القرية ونيران رشاشه تقدح)، بحسب تعبير مراسل (نيويورك تايمز).

وربما لم تحتل بيت دجن إلا في نهاية نيسان / ابريل، إذا سقطت على يد لواء ألكسندروني في سياق تنفيذ عملية حميتس التي جرت بين ٢٥ و ٣١ نيسان / أبريل، واستهدفت سلمة ويازور وقرى عربية أخرى تقع إلى الشرق من يافا.

كان من المقرر لعملية حميتس (الخميرة) أن تنفذ في أثناء عيد الفصح اليهودي (أي عندما يكون أكل المآكل التي تدخل الخميرة فيها محرما عند اليهود المتدينين). وكان هدفها المباشر الاستيلاء على القرى الفلسطينية الكبرى الواقعة على جانبي خط سكة الحديد الذي يصل يافا بعمقها العربي. وكانت القرى الواقعة إلى الشمال من خط سكة الحديد (من الغرب الى الشرق) وهي: سلمة والخيرية وساقيه وكفر عانة والعباسية (اليهودية)، أما تلك التي كانت تقع إلى الجنوب من خط سكة الحديد فهي: يازور وبيت دجن والسافرية وكان من شأن احتلال تلك القرى أن يعزل يافا- أكبر مدينة فلسطينية بسكانها السبعين ألفا- عزلا تاما ويضمن سقوطها في يد الهاغاناه مثل (خوخة ناضجة). لذلك كان الهدف النهائي للعملية الاستيلاء على يافا من دون اللجوء الى هجوم جبهي.

عقد الهجوم الجبهي الذي شنه عصابة الإرغون في ٢٥ نيسان / ابريل، تنفيذ عملية حميتس. وهدف هجوم الإرغون الى عزل موقع حي المنشية الاستراتيجي المتاخم لتل أبيب عن باقي يافا. فإذا سقط حي المنشية تشن الإرغون هجوماً واسعاً على باقي يافا. وقد استلزم الهجوم على المنشية هجوماً من الشرق في اتجاه البحر غرباً، ورافقه فصف مكثف عشوائي لمناطق يافا السكنية والتجارية، نشر الذعر في صفوف المدنيين على نطاق واسع، وتسبب بنزوحهم برا وبحرا. وجوبه الهجوم على المنشية بمقاومة حازمة شديدة ولم يحقق أهدافه إلا عند فجر

٢٩ نيسان / ابريل بعد مرور نحو ثمانين ساعة. في هذه الأثناء قرر البريطانيون، الذين كانوا متواطئين مع الهاغاناه خلال هجومها على حيفا (عملية مسبارييم ٢٢-٢٣ نيسان / ابريل)، التدخل في يافا ضد الإرغون. وفي الوقت نفسه قبلت الإرغون التي استنزفها الهجوم وأنهكها، الانضواء تحت قيادة الهاغاناه فيما يتعلق بجبهة يافا.

شنت الهاغاناه عملية حميتس في ٢٩ نيسان / إبريل، وانضوت الألوية الثلاثة كرياتي وألكسندروني وغفعاتي تحت قيادة دان إبشتاين، قائد لواء ألكسندروني فهاجمت وحدات ألكسندروني انطلاقاً من قاعدتها في كفار أزار، قريتي الساقية والخيرية واستولت عليهما. وانطلقت وحدات كرياتي من تل أبيب وهاجمت سلمة وضاحيتي أبو كبير و جباليا من ضواحي يافا. ومع حلول ليل اليوم ذاته، كانت سلمة قد سقطت في قبضة وحدات كرياتي وغفعاتي.

لم يلق هجوم غفعاتي الذي شن من مكفي يسرائيل جنوبي خط سكة الحديد النجاح نفسه. إذا بينما نجح هذا اللواء في الاستيلاء على يازور في ٢٩ نيسان / ابريل، أو بعيد ذلك فانه واجه صعوبات في تل الريش وهو تل حصين بين يازور ويافا. فقد تمكن اللواء، أول الأمر من اكتساح التل مستخدماً مدافع هيسبانو- سويزا التي وصلته حديثاً. لكن بعد أن شنت (كتيبة) من جيش الإنقاذ العربي، يقودها ميشال العيسى وقوامها ٢٥٠ رجلا جميعهم من الفلسطينيين هجوما مضادا اضطرت وحدات غفعاتي الى الانسحاب من التل بعد أن تكبدت خسائر فادحة بلغت ٣٣ بين قتيل ومفقود ونحو ١٠٠ جريح بحسب ما جاء في (تاريخ الهاغاناه) وكان ميشال العيسى ورجاله قد وصلوا الى الموضع في اليوم السابق (٢٨ نيسان / ابريل)، في مسعى لتخفيف الضغط المتصاعد عن يافا. وبقي العيسى في يافا حتى ١٠ أيار / مايو، محاولا محاولة أخيرة يائسة الحؤول دون سقوط ضاحية أبو كبير، إحدى الضواحي الشمالية في يافا. ثم قرر في اليوم ذاته الانسحاب جراء تضيق الخناق الذي فرضته عملية حميتس.

ظهرت أولى بوادر الاستسلام من فلسطيني يافا في ١١ أيار / مايو. ثم استسلمت يافا رسمياً للهاغاناه في ١٣ أيار / مايو، وغادر البريطانيون المنطقة في اليوم التالي. وكانوا يقومون، منذ بداية عملية حميتس بمواكبة المدنيين المذعورين من يافا، على الطريق العام الرئيس إلى اللد والرملة اللتين كانتا يومها ملاذين آمنين. وكي يمنع البريطانيون الهاغاناه من إحكام الحصار على يافا، حافظوا على بعض قوتهم في بعض أنحاء قرية يازور قريباً من الطريق. ويذكر (تاريخ الهاغاناه) أن (قوات الإيتسل قد عملت في أثناء ذلك بقيادة (الهاغاناه) وأفادت العملية كثيرا

بقصفها وسط يافا بمدافع الهاون بفعالية). ويبدو أن تضافر عدة عوامل منها الهجوم على يافا (ولا سيما قصفها المطول بمدافع الهاون)، ومنها مشهد فرار سكانها ذعراً،ومنها سقوط القرى التي تصل يافا بباقي أنحاء البلد، قد تفاعل كل منها مع الآخر (مثلما خطط لها أن تفعل) وتعاون على إحباط معنويات سكان يافا والقرى التي استهدفتها عملية حميتس أيضاً.

ويشير المؤرخ الإسرائيلي بني موريس الى إن سكان بيت دجن أخلوا قريتهم في ٢٥ نيسان / أبريل ١٩٤٨م / ١٣٦٧هـ من جراء سقوط (مدينة مجاورة)،أي يافا. ويذكر نيسان / ابريل ويضيف عارف باشا العارف أن القرية احتلت في ٣٠ نيسان / ابريل، ويضيف أن تفادي احتلالها كان ممكناً لو لم يوافق جيش الإنقاذ العربي على هدنة رعاها البريطانيون في المنطقة، بعد أن تعرضت تل أبيب لقصف شديد في ٢٨ نيسان / ابريل. غير أن رواية لصحيفة ((نيويورك تايمز)) أفادت أن بيت دجن احتلت مع قرية القباب بعد أسبوعين من ذلك، إذا اندفعت القوات اليهودية تقاتل لإعادة فتح الطريق العام المؤدي الى القدس.

شرع الصندوق القومي اليهودي في تدمير بيت دجن في أوائل حزيران / يونيو، فضلاً عن بضع قرى أخرى. وفي ١٦ حزيران / يونيو، دون رئيس الحكومة الإسرائيلية دافيد بن-غوريون، في يومياته أن عملية التدمير جارية في القرية على قدم وساق. ثم إن القرية اعتبرت في أيلول / سبتمبر، موقعا ملائما لتوطين المهاجرين اليهود الجدد.

المستعمرات الإسرائيلية على أراضي القرية

ثمة أربع مستعمرات إسرائيلية على أراضي القرية: بيت دغان(١٣٤١٥٦)، وقد أنشئت في الموقع بعد ستة أشهر من احتلال بيت دجن في نيسان / ابريل ١٩٤٨م / ١٣٦٧هـ، حيميد (١٣٥١٥٨) وقد بنيت في سنة ١٩٥٠م / ١٣٦٩هـ غنوت (١٣٣١٥٨)، وقد بنيت في سنة ١٩٥٣ م / ١٣٧٣هـ.

القرية اليوم

بقيت بضعة منازل بعضها مهجور وبعضها الآخر تشغله أسر يهودية أو يستخدم متاجر أو مستودعات أو مكاتب. ويبدو في هذه المنازل معالم معمارية متنوعة. أحد هذه المنازل الآهلة مبني بالأسمنت له شكل مستطيل وسقف مسطح ونوافذ أمامية مستطيلة ونافذاتان مقنطرتان على جانبيه. وحول منزل آخر الى كنيس إيلي كوهين، وهو مبني بالأسمنت وله سقف مسطح وباب ونافذة أماميان تعلوهما قنطرتان مستديرتان وقد رسمت نجمة داود على بابه الأمامي وكذلك على باب آخر يبدو أنه باب مرآب. ولأحد المنازل المهجورة المبنية بالأسمنت سقف قرميدّي هرمي الشكل متداع الى السقوط. أما المنازل المهجورة الأخرى فهي مختومة، وتظهر وسط النباتات والأعشاب البرية. وينبت الصبار وأشجار السرو والتين والنخيل في أرجاء الموقع. ويزرع الإسرائيليون الأراضي المجاورة.

ذاكرة اللجوء :

كان عام ١٩٤٨م كارثيا على الشعب الفلسطيني، فقد شهد نهاية لمرحلة نضالية فلسطينية أثبت خلالها المجاهدون الفلسطينيون أنهم الأقدر على التصدي للعصابات الصهيونية المسلحة المدعومة من الصهيونية العالمية بتواطؤ من دولة الإنتداب البريطانية التي سمحت بإدخال السلاح والعصابات اليهودية المهاجرة إلى فلسطين، في حين كانت تلقي القبض على كل فلسطيني يحمل السلاح دفاعاً عن الأرض والعرض والنفس، وتزج بالمجاهدين في السجون، إلا أن كل تلك الإجراءات من دولة الانتداب، وكل تلك الممارسات الإجرامية للعصابات الصهيونية لم تقيد أيدي المجاهدين الفلسطينيين ولم تعرقل عملياتهم الجهادية التي أبرزت قادة عظماء في مسيرة الجهاد الفلسطيني.

كانت هزيمة الجيوش العربية عام ١٩٤٨م سببا في نشوء الكارثة الفلسطينية التي حولت شعبنا من شعب مجاهد، إلى شعب توزعته دول اللجوء الفلسطيني، التي منعت على أبناء شعبنا مواصلة عملياتهم الجهادية بحجة أن الجيوش العربية ستعيد ترتيب قواتها وسلاحها لتحرير الأرض الفلسطينية، التي تم احتلالها من قبل العصابات الصهيونية وأعلنوا فوق ترابها الوطني "إنشاء دولة إسرائيل".



بلدة بيت دجن قديماً



مدخل بيت دجن حديثاً

أنتمي لعائلة الناطور الفلسطينية المعروفة من بلدة بيت دجن[١] ونتيجة لسقوط بلدتي أمام العصابات الصهيونية المتفوقة في العدد والعدة، لجأت عائلتي شأن العديد من العائلات الفلسطينية إلى رام الله فترة من الزمن، ومنها إنتقلت إلى شرق نهر الأردن حيث أقامت بداية في بلدة السخنة، ثم انتقلت إلى بلدة الكرامة" بالأغوار، وبالرغم من فقدان البيت والأرض والممتلكات، إستطاع والدي أن يبني منزلا صغيرا، في حين كانت خيمة اللجوء "هي البديل القسري لمعظم اللاجئين" حيث تم إنشاء "مخيم الكرامة".

بدأت مرحلة الوعي والإدراك في مخيم الكرامة، وأهم ما كان يثير إهتمامي هي تلك البندقية التي استطاع جدي الشيخ جابر الناطور الاحتفاظ بها ونقلها معه إلى مكان اللجوء، وكانت بالنسبة إليه تشكل العزاء الوحيد في الحالة التي أصبحنا عليها، وكانت تلك البندقية مبعث فخره وإعتزازه، وإعتزازنا جميعا، ورغم صغر سني فقد كانت تتردد على مسامعي قصص الأبطال والمجاهدين، ومنهم المجاهد الكبير عبد القادر الحسيني[٢] الذي استشهد في معركة القسطل في

١ بيت دجن بلدة فلسطينية عربية تقع على بعد ١٠كم جنوب شرق يافا.

٢ عبد القادر موسى كاظم الحسيني، ولد في إسطنبول ١٩١٠م، والده موسى الحسيني شغل مناصب عالية في الدولة العثمانية متنقلاً بين اليمن والعراق ونجد واستانبول وفلسطين. منحته الحكومة العثمانية لقب (باشا)، ومع الانتداب البريطاني على فلسطين كان رئيس بلدية القدس، وتم انتخابه رئيساً للجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني الفلسطيني، قاد العديد من الاحتجاجات ضد سلطات الانتداب واصيب في احداها حتى فارق الحياة في ١٩٣٤م. أتم عبد القادر دراسته الثانوية ثم التحق بكلية الآداب في الجامعة الأمريكية في بيروت. وطُرد منها لنشاطه الوطني فتوجه إلى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ودرس الكيمياء، طردته السلطات المصرية بعد اتمام دراسته فعاد إلى القدس عام ١٩٣٢ ليشرع في مرحلة جهادية في مواجهة سلطات الانتداب البريطاني فقام بتنظيم هجمات على منزل سكرتير عام حكومة فلسطين والمندوب السامي البريطاني واغتيال الميجور سيكرست مدير بوليس القدس ومساعده، بالإضافة إلى مهاجمة القطارات الإنجليزية، وفي ١٩٣٩م حيث بلغت المقاومة أشدها في معركة الخضر الشهيرة التي اصيب فيها إصابة بالغة. وانتقل بعدها الى إلى العراق ليحصل على جواز سفر عراقي وعمل مدرساً للرياضيات في إحدي المدارس العسكرية، وأيد ثورة =



المجاهد حسن سلامة



المجاهد عبد القادر الحسيني

مواجهة تاريخية مع العصابات الصهيونية، والمجاهد الشيخ حسن سلامه[٣] الذي استشهد في معركة رأس العين والشيخ يحيى الناطور[٤] الذي كان قائداً لفصيل الثوار في بيت دجن، وكم كانت هذه البطولات الجهادية موضع الحديث لرجال البلدة في ديوان عمي جواد الناطور.

رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١، وإعتقلته السلطات البريطانية لثلاثة سنوات، وبعد تدخل الملك عبد العزيز آل سعود تم اطلاق سراحه وتوجه إلى السعودية وأمضى فيها مع اسرته عامين. عاد مطلع ١٩٤٦ إلى مصر وبدأ في اعداد خطة المقاومة الفلسطينية ضد المشروع الصهيوني في فلسطين وأنشأ معسكراً سرياً بالتعاون مع قوى وطنية مصرية وليبية بالقرب من الحدود المصرية الليبية، وكان على تواصل مع مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني لتمويل خطته، وأنشأ معملاً لإعداد المتفجرات إضافة إلى إقامته محطة إذاعية في منطقة رام الله وانشاء محطة لاسلكية في مقر القيادة في بيرزيت، قام بتجنيد فريق مخابرات لجمع المعلومات عن العدو. قاد قوات المجاهدين في قطاع القدس الذي نفذ عدة عمليات منها، معركة مقر القيادة العسكرية اليهودية، مقر «ميقور حاييم»، ومعركة صوريف ومعركة بيت سوريك، ومعركة رام الله – اللطرون، بالإضافة إلى معركة النبي صموئيل، والهجوم على مستعمرة النبي يعقوب ومعركة بيت لحم الكبرى. غادر القدس إلى دمشق أواخر ٣-١٩٤٨م للاجتماع بقادة اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية، أملاً في الحصول على السلاح. الا ان للجنة العسكرية طالبته بعدم افتعال تصرفات فردية وطالبوه بعدم الذهاب نحو القسطل، فقال ردا عليهم: إنني ذاهب إلى القسطل وسأقتحمها وسأحتلها ولو أدى ذلك إلى موتي، والله لقد سئمت الحياة وأصبح الموت أحب إلي من نفسي من هذه المعاملة التي تعاملنا بها الجامعة، إنني أصبحت أتمنى الموت قبل أن أرى اليهود يحتلون فلسطين، إن رجال الجامعة والقيادة يخونون فلسطين». وبالفعل عاد إلى القدس وقاد معركة القسطل في مواجهة العصابات الصهيونية لمدة ٨ ايام حتى استشهد صباح ٨-٤-١٩٤٨م لتشيعه جماهير الشعب الفلسطيني الى مثواه الاخير في القدس.

٣ الشيخ حسن عبد الرحمن سلامة ولد في قرية قولة قضاء اللد عام ١٩١٢م، من أبرز قادة ثورة فلسطين خلال الفترة ١٩٣٦– ١٩٣٩م وكان قائد القطاع الغربي «لواء اللد». لجأ الى المانيا مع مجموعات من الثوار بعد اخماد ثورة ١٩٣٩م وتلقى تدريبات عسكرية متقدمة. وعاد إلى فلسطين عندما هبط بالمظلة من طائرة ألمانية مع مجموعة من الثوار. واتخذ من قرية العباسية مقرا له، قاد مجموعات المجاهدين في لواء اللد وقام بتنفيذ عمليات كبيرة ضد العصابات الصهيونة وسلطات الانتداب البريطاني، وكان من القادة العسكريين البارزين في تلك المرحلة، استشهد في معركة رأس العين جنوب مدينة قلقيلية عندما شنت العصابات الصهيونية هجوما على قلعة رأس العين الكبيرة المشرفة على ضواحي تل أبيب عام ١٩٤٨م، واستشهد فيها جمعة يوسف عبد الجليل «أبو يوسف»، فايز حسن سالم «أبو حسن»، عيسى عبد الفتاح عبدالهادى «أبوزياد»، وقد عم الحزن فلسطين على فقدان هذا القائد الكبير.

٤ يحيى الناطور بدأ جهاده ضد الإنتداب والعصابات الصهيونية عام ١٩٢٧م، وقد شارك في معركة وادي الصرار، والقسطل للدفاع عن مدينة القدس،انظر: سعيد البيشاوي، بيت دجن عبر التاريخ، ص١٣٣،١٣٦،١٣٧.

هكذا نمت مشاعري كطفل، حيث لا حديث ولا روايات بين الأهل والجيران في المخيم سوى ذكريات الشهداء والمجاهدين، وتطرزت ذاكرتي الطفولية بقصص البطولة حتى بلغت مرحلة الوعي التي صيغت تماماً بالحنين إلى فلسطين والشوق إلى حمل السلاح للجهاد من أجل العودة لوطني.. وكان أقراني في المخيم يشاركونني هذا الأمل، فلم يكن لنا حديث سوى عن فلسطين، وزاد من تعلقنا بهذا الأمل ظهور مرحلة العمل القومي بعد الثورة المصرية عام ١٩٥٢م التي تزعمها الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

ما زلت أذكر القصص والحكايات البطولية التي كنا نرويها نحن جيل النكبة والكارثة الفلسطينية ونحن ذاهبين أو عائدين من مدارس الأونروا "وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين" التي تتوسط المخيم وكنت أنتقي صداقاتي مع أبناء جيلي وفقاً لما يحفظونه من أغان وأناشيد وطنية، لذا فقد كان لي أصدقاء كثر لا سيما أن عائلات المخيم هاجرت من مدن وقرى مختلفة، وكان الأبناء يحفظون عن ظهر قلب ما تتميز به بلدانهم وقراهم ومدنهم التي هجروا منها، وكنا ونحن في طريق العودة من المدارس نقرأ أسماء البقالات والدكاكين والمحلات التجارية التي كانت كلها تذكر بالمدن والقرى والبلدات الفلسطينية ونتسابق في سرد المعلومات عنها. أما في أوقات الفراغ فكنا نتجمع في حلقات لنتبارى أيضا فيما نحفظه من أشعار وطنية، كان يلهب حماسنا خلالها ما ينشده الشاعر الفلسطيني المعروف "خليل زقطان"[٥]صاحب الديوان الشعري "صوت الجياع"، وفي بعض الأوقات كنا نجتمع إما في مقهى بور سعيد أو مقهى أبو عجوة، أو دكان خليل الشيخ، ابن قرية بيت دجن والمولود فيها عام ١٩٤٤م، ثم هاجرت أسرته إلى اللد، ومنها إلى قرى رام الله، وأخيراً استقرت العائلة في مخيم الكرامة، وكانت لقاءاتنا تزيدنا وعياً بقضيتنا وحماسا يعزز آمالنا وإحساسنا بالمسؤولية الوطنية التي كانت تزداد اشتعالاً في الأعراس الشعبية على ألحان "الشبابه" التي كان يعزف عليها أبو علي المنسي.

إن مجمل الواقع الاجتماعي في مخيم الكرامة متشابه إلى حد كبير، فقد فعلت المعاناة، وقساوة

---

٥ الشاعر خليل زقطان: ولد عام ١٩٢٨م في قرية زكريا قضاء الخليل، عرف بنظم الشعر في مؤتمر عقد لإحباط عملية بيع الأراضي للحركة الصهيونية في خربة عمورية من أراضي قرية عجوة، وعمل مديراً لمركز التربية الأساسية في مخيمات اللاجئين في عمان واستقر في مخيم الكرامة إلى سنة ١٩٦٧م ثم استقر في الرصيفة وتوفي فيها يوم ١٩٨٠/٦/٣م، المصدر: الموقع الالكتروني لوزارة الثقافة الأردنية. منٍ أشهر أشعار خليل زقطان: أخي ما عالم الخيمات إلا مصانع بعثنا بعد الرقود.. قبورا قد أرادوها ولكن أحلناها قبوراً للجمود.. زئير اليائسين بها يدوي كإعصار الطبيعة والرعود.



العيش فعلها الذي كسا الوجوه بملامح مشتركة، فالآباء من رعيل الهجرة كانوا يحتالون على لقمة العيش لإطعام أطفالهم من خلال العمل في مهن بسيطة مثل الزراعة ومزارع الدجاج، ولولا الإعانة التي كانت تقدمها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأونروا) من طحين وسكر وبعض الزيوت والمعلبات لافترس الجوع والمرض غالبية السكان، أما الأمهات (فحدث ولا حرج) فهن اللاتي دفعن بحق ثمن نكبة عام ١٩٤٨م، فمنهن من فقدت زوجا أو أخا أو أبا أو إبنا، ورغم ذلك كافحن لتربية أولادهن، وتقدير تأثير المرارة التي تشعل النار في صدور أزواجهن بسبب "قلة الحيلة واليد" وكن يجتهدن كل الاجتهاد لبعث "الأمل" في نفوس أفراد أسرهن، لمحو مظاهر الإحباط واليأس المنتشرة بين الجميع من رجال ونساء وشباب، وكانت بعض النسوة يعملن المستحيل بكل شرف وإباء من أجل المساعدة في توفير أقل متطلبات الحياة لأطفالهن، لذا فقد اكتسبت بعضهن الشهرة في إدارة شؤون الأسرة، وما زلت أذكر "بابور الكاز" الذي كان الوسيلة الحضارية آنذاك للنساء كي لا يطبخن على الحطب.

كلما كنت أستعيد الذكريات عن مخيم الكرامة في فصول الشتاء كنت أتذكر أن المعاناة في فصول الصيف لا تقل عنها، فلا مراوح ولا أجهزة تكييف تقلل من حرارة الطقس، ولا ثلاجات لتبريد الماء للشرب، ففي الشتاء كانت الطرقات بين البيوت وكذلك الشوارع تتحول إلى خبيص ووحول تغوص فيها الأقدام ويكون من الصعب اقتلاعها، كما أن معظم بيوت المخيم مصنوعة من الطين والتبن، وقليل منها مصنوعة من الطوب ومغطاة بالإسمنت، وكانت بعض أسقف تلك البيوت "تدلف" ماء الشتاء على رؤوس النيام الممددين على الأرض، ومن المناظر المأساوية المألوفة في تلك الأيام أن ترى بعض الأسر وقد وضعت كل أواني الطبخ وما توافر من علب فارغة لتجميع المياه التي تدلف من السطح، وكان الحديث آنذاك عن العناية بالصحة، ومكافحة الأوبئة نوعاً من الحاجة الملحة، نظراً لنقص المراكز الصحية وعدم توافر العلاج الجراحي وحسب معرفتي فإن مخيم الكرامة، وكل المخيمات الفلسطينية في أماكن اللجوء كانت تعتمد على العيادات الصحية التابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين التي كانت تغطي جزءاً من الاحتياجات الصحية الأولية، وفي هذا السياق كانت غالبية الولادات تتم في البيوت على أيدي القابلة "الدايه" التي كانت تقوم بمهنة التوليد؛ نظرا لعدم توافر مثل هذه الخدمة على أيدي الأخصائيين، وكذلك فقد كانت مهنة "المطّهر" هي الرائجة فالمطهر كان يقوم بمهنة مزدوجة فهو في الأصل حلاق يستخدم موس الحلاقة لحلاقة الذقون ويستخدمه في الوقت نفسه لمهنة الطهور.

كل شيء في مخيم الكرامة كانت له "دلالة اجتماعية" تكاد تكون موجودة في كل المخيمات لا سيما أن المخيم جمع لاجئين من مدن وقرى فلسطينية عديدة من أقصى شمال فلسطين إلى أقصى الجنوب، ولذلك فإن أبناء المخيمات سواء كان أهله من الميسورين وهم قلة، أو من المعوزين، وهم الأكثرية، مشتركون في "رباط العيش" وتقاسم أعباء الحياة والآمال والطموحات وكلهم يدركون أن ما يعانونه ويقاسونه هو بسبب الإرهاب الإسرائيلي الذي سرق منهم أحلامهم وقطع عليهم آمالهم وطموحاتهم، فأبن المخيم وطني بالسليقة لأنه عرف بالتحديد ما يعنيه فقدان الوطن، وهذا كله يفسر سبب اهتمام وعناية اللاجئين الفلسطينيين بالتعليم واكتساب مهارات مهنية أو إدارية عالية، كونها تضمن لهم حياة كريمة تؤهلهم لتوفير متطلبات طموحاتهم في مواصلة النضال من أجل استرداد الكرامة والعيش الكريم، وما زالت كلمات عبد الرحمن الهباب أول مدير للمخيم في ذاكرتي عندما كان يوجه نصائحه لذوي الطلبة فيقول: ليس أمامكم سوى أن تعلموا أبناءكم.. وتأخذوا أموركم بأيديكم.. وفي النهاية لن يكون الحق إلا لكم ومعكم، وقد صدق في مقولته حيث أنجب مخيم الكرامة العديد من قيادات العمل الوطني الفلسطيني الذين أسهموا في تأجيج مسيرة الكفاح المسلح، كما خرج من المخيم العديد من المؤهلين أكاديمياً في أعلى المستويات العلمية.

هذا التفاعل بين الأحاسيس الوطنية والواقع في المخيم مهد السبيل أمام ظهور الأحزاب والحركات السياسية آنذاك، وكانت حركة القوميين العرب التي حملت في شعارها شرارات التغيير.

لقد شكلت حركة القوميين العرب الجناح الثاني في الحركة القومية الفاعلة في المشرق العربي حضوراً وعملاً إلى جانب حزب البعث، كما شكلت الوعاء الحاضن الأكثر اتساعاً للفئات والمجموعات والأفراد من اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات ومواقع اللجوء في البلدان المضيفة نظراً لعدة اعتبارات يقف على رأسها قدرة الحركة على التغلغل في أوساط اللاجئين من أبناء فلسطين، لا سيما أن العنوان الفلسطيني هو العنوان الذي تشكلت الحركة من أجله أساساً، بالرغم من حالة التنافس الحاد للحركة مع جماعة الإخوان وحزب البعث العربي الاشتراكي عربياً، إلا أن حركة القوميين العرب كانت الأوسع انتشاراً فلسطينياً، حيث استطاعت أن تؤسس إطارها بين جمهور اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات الشتات والضفة الغربية وقطاع غزة، واحتفظت كذلك بنفوذ واسع في الشارع العربي.



لقد تجمعت نذر الثورة والمقاومة والتغيير داخل كل مواقع الشتات الفلسطيني في قطاع غزة، ولبنان وسوريا والأردن، فضلاً عن القدس والضفة الغربية، وشكلت أوساط اللاجئين الفلسطينيين حالة استقطابية فاعلة في ظل المد القومي الذي اجتاح المنطقة سنوات الخمسينيات والستينيات، لا سيما مع إندلاع ثورة الجزائر الكبرى عام ١٩٥٤م واكتساح الخطاب الناصري ميدان الفعل والعمل الجماهيري إثر اعتلاء الرئيس جمال عبد الناصر سدة الرئاسة في مصر[٦].

٦ بعد مشاركة الجيش المصري في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، بالرغم من عدم جاهزيته، نسفت العصابات الصهيونية جسر بيت حانون وقطعت اوصال الجيش المصري وخطوطه على الساحل الفلسطيني مما اضطر القيادة لسحب القوات من أسدود والمجدل إلى غزة، مما شكل للعصابات الصهيونية فرصة ثمينة لاحتلال مدينة بئر السبع، فوجدت بذلك قوات المقدم/ طه، والرائد، جمال عبد الناصر محاصرة في قطاع الفالوجة من ١٩٤٨/١٠/٢١م إلى ١٩٤٩/٢م. وخلال حصار جمال عبد الناصر كانت الإمدادات والتموين تصل إليه من قرية عراق المنشية الواقعة في منطقة الخليل، وكان خالد الطيطي أحد شباب عراق المنشية يرسل هذه الإمدادات ليلاً، وكان محل تقدير واحترام جمال عبد الناصر لدرجة أنه سمى ابنه خالد على اسم خالد الطيطي، وكتب عنه حلقات في إذاعة صوت العرب تقديراً لشجاعته. وهاجر خالد الطيطي من قريته واستقر في مخيم العروب، وأصبح مختاراً لعائلة الطيطي، وبعد حرب ١٩٦٧م استقر في شرق الأردن.

القوى السياسية في مخيم الكرامة:


جمال عبد الناصر

نشطت في المنطقة في تلك الفترة أحزاب وحركات سياسية مارست مهمات وتنظيمية شجعت الشباب من جيلي على الانخراط والتفاعل معها. وكانت حصة مخيم الكرامة من هذه الأحزاب كبيرة، فكان هناك:

١. جماعة الإخوان المسلمين: بقيادة أحمد خالد و محمود شاهين. كان طغيان تصورهم الإسلامي الأممي قد همش خصوصية الوضع الفلسطيني في فكرهم وممارساتهم السياسية.

٢. حركة القوميين العرب: بقيادة وديع حداد وتوفيق رمضان وعمران الطرشه و محمود الفجاوي، وحسين طباخه وعمر الكلباني وكانت تتبنى شعارات التحرير والعودة والكفاح لإسترداد فلسطين فقد وجدت فيها تجسيداً لما أحمله من حماس ثوري، وعليه فقد التحقت بحركة القوميين وكان لي بين أقراني نشاطا بارزا في الدعوة لها واستقطاب الأعضاء. وخلافا لما توقعناه فقد غرقت الحركة في التحليلات الرومانسية للواقع العربي ورفعت شعارات خيالية بعيدة عن هموم المرحلة ومتطلباتها، ولم تكن ممارساتها النضالية تلبي حاجة الفلسطينيين الماسة إلى إبراز هويتهم الوطنية المطموسة. فالأحزاب القومية كانت تضع مطلب الوحدة العربية في مكان الصدارة في برامجها.

٣. حزب البعث العربي الإشتراكي: بقيادة سليمان الكعكوري ودرويش داوود وزكي نصار. خاض الحزب معارك طوباوية على الساحة العربية داعياً إلى النضال القومي دون أن يلحظ الدور الخاص المميز للشعب الفلسطيني المتضرر الأول والأساس في الصراع.

٤. الحزب الشيوعي: بقيادة محمد غيث، كامل المحسيري، يوسف عبيد، محمد صدقي ومحمد الكواملة. الأحزاب الشيوعية غلبت الصراع الأممي على مفهوم التحرر الوطني، وجعلتها تبعيتها للإتحاد السوفيتي أسيرة لمقرراته وتوجهاته السياسية الدولية مما أبعدها عن واقع الصراع وآمال الشعب، وكان لموقفها من قرار التقسيم الذي أيده الإتحاد السوفيتي أبعاداً سلبية في أذهان الجماهير.

إلا أنه وبعد إنطلاقة حركة فتح، التي بدأت بممارسة الكفاح المسلح، وجدت نفسي في شوق لحمل البندقية ومواصلة مسيرة ثوار بيت دجن في الجهاد من أجل استعادة وطني. وهذا الشعور كان لدى الكثيرين من أبناء جيلي في تلك الفترة الذين كان يراودهم الحنين إلى الوطن وحلم العودة مقتنعين تماماً أن هذا الحلم لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الكفاح المسلح، وهذا ما لمسوه في حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" التي لامست أحلامهم وآمالهم وطموحاتهم.

القاعدة الارتكازية في سوريا

كانت قيادة فتح منذ تأسيسها مشغولة، شأنها في ذلك شأن أي ثورة في السعي لتأمين قاعدة ارتكازية لانطلاقة عملها العسكري ونضالها المسلح، وكان لابد من توافر عدد من الشروط الضرورية في هذه القاعدة، كأن تكون أولا من الناحية المعنوية قاعدة حليفة أو صديقة، ولها تماس جغرافي مباشر ومشترك مع حدود العدو، وقادرة على تأمين متطلبات العمل الفدائي ومستلزماته، وقادرة في الوقت ذاته على حماية نفسها وتحمل ردود فعل العدو العدوانية والانتقامية تجاهها.

والأهم أن تكون من الناحية السياسية منسجمة فعلاً مع الشعارات القومية التي ترفعها، وأن تحترم استقلالية العمل الفلسطيني، وتلتزم بعدم التدخل في شؤونه الداخلية، وكان صعباً منذ البداية، ولا يزال صعبا حتى يومنا هذا تأمين مثل هذه القاعدة الارتكازية وتكون لها كل هذه المواصفات أو الحد الأدنى منها.

من الناحية النظرية هناك أربعة أقطار عربية كانت مرشحة لأن تلعب دور هذه القاعدة الارتكازية وهي مصر والأردن وسورية ولبنان. ولم يكن هذا الخيار متاحاً عام ١٩٦٢م إلا في سورية وحدها، حيث كانت القيادة الجديدة هناك حريصة على التمايز مع نظام عبد الناصر في مصر بل وتسعى للدخول معه في تنافس متصاعد وصل إلى حد إحراجه.

كما لعب التنافس الداخلي ما بين أجنحة القيادة السورية نفسها دوراً مهماً في إتاحة الفرصة أمام حركة فتح أن تبدأ انطلاقتها الأولى من الأراضي السورية بالذات. وهكذا بدأ التحضير للعمليات العسكرية الأولى للحركة بموافقة ضمنية سورية، بينما لم تتمتع العمليات التي انطلقت من الأردن ولبنان في الفترة نفسها بأي موافقة لا علنية ولا ضمنية.

ورغم هذا الهامش الواسع من التسهيلات التي قدمها النظام في سورية للعمل الفدائي الفلسطيني في بداياته، والذي لم تنكره قيادة «فتح» ولم يتنكر له أحد، إلا أن حال قيادة فتح على الساحة السورية كانت تشبه إلى حد كبير المشي ليلاً في حقل كبير من الألغام الموقوتة.

كان ياسر عرفات قد انتقل من الكويت إلى سورية على رأس مجموعة من قيادات وكوادر حركة فتح، وكان أبو جهاد بدوره قد انتقل على رأس مجموعة أخرى من قيادات وكوادر فتح من الجزائر إلى سورية، وكان طبيعياً أن ينتقل مركز ثقل الفعل والعمل والقيادة إلى حيث كان ياسر عرفات وخليل الوزير.

وقد انشغلت هذه القيادة في تلك الأيام بتصعيد العمل العسكري انطلاقا من سورية، وبناء قواعد ارتكازية سرية أخرى خارج سورية وخاصة في الأردن ولبنان، وداخل قطاع غزة والضفة الغربية، وبدأت كل هذه المواقع تجتذب المزيد من كوادر وأعضاء حركة فتح من جميع الساحات الأخرى العربية.. والأوروبية.

وبصدد بدايات العلاقة مع سورية فإنه بصعود حزب البعث إلى السلطة عملت قيادة فتح على إقامة صلة وعلاقة مع مجموعة من الضباط السوريين ذوي الميول القومية الذين كان لهم دور كبير في تسيير الأحداث هناك.

ويقول أبو جهاد «أن الصلات بيننا وبينهم تعمقت لدرجة أننا كنا على إطلاع مستمر وتفصيلي بكل ما يحدث في سورية وكانوا بدورهم على إطلاع بأننا نقوم بتشكيل الحركة». ويضيف أبو جهاد "عندما قام الإنقلاب العسكري على الانفصال في عامي ١٩٦٣ و١٩٦٤م عززنا علاقتنا مع الضباط الذين وصلوا هناك إلى السلطة، وكان وفد رسمي من حركة فتح قد زار العاصمة السورية –دمشق يوم ٧/ ٥/ ١٩٦٣م وأجرى مباحثات مع القادة السوريين، حيث وافق وزير الدفاع السوري آنذاك اللواء حمد عبيد على السماح لمقاتلي فتح في الإعداد للعمل الفدائي الفلسطيني على الأراضي السورية، وتعزز هذا التعاون السوري مع حركة فتح بعد مقابلة ياسر عرفات مع اللواء أحمد سويداني رئيس هيئة أركان الجيش السوري، وبموجب ذلك اللقاء تم رفد الحركة بمجموعة من الكفاءات العسكرية السورية للعمل مع الفدائيين بالإضافة إلى عدد من الخبرات العسكرية الفلسطينية المجندة في الكتيبة الخاصة (٦٨(٧)) في الجيش العربي السوري، وتم اعتماد أول مكتب علني لحركة فتح وسط دمشق/ شارع الباكستان، ومكتب آخر تم إهداءه من الحرس القومي السوري في منطقة دمر الواقعة شمال غرب دمشق، حيث

---

٧ الكتيبة ٦٨ في الجيش العربي السوري، كتيبة للاستطلاع الخارجي والعمل الفدائي في فلسطين على امتداد سنوات الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، ولدت من نواة وحدة الفدائيين الفلسطينيين في جهاز الاستطلاع السوري التي تشكلت عام ١٩٤٩م برئاسة النقيبين في المكتب الثاني السوري برهان أدهم، وبرهان بولص للعمل في فلسطين، وأعيد إنشاؤها بقرار من العقيد عبد الحميد السراج مسؤول المكتب الثاني أثناء الوحدة المصرية السورية تحت اسم الكتيبة ٦٨، حيث شكل اللاجئون الفلسطينيون في سوريا ولبنان قوامها الأساس بالتواصل مع أعضاء مقيمين في الجليل بقيادة العقيد السوري أكرم الصفدي، والمقدم الهيثم الأيوبي، والعقيد أحمد حجو، واتخذت الكتيبة من بساتين بلدة حرستا، بضواحي دمشق مقراً لها، إضافة إلى مقرات ومواقع ميدانية على جبهة الجولان وجنوب لبنان، وكلفت الكتيبة بإدارة وتنفيذ عمليات الاستطلاع وغيرها شمال فلسطين (كعملية نسف باص عسكري إسرائيلي ومقتل عدد من ركابه على طريق صفد – عكا نفذها علي الخربوش، وجلال كعوش وقتل فيها خمسة إسرائيليين وجرح أربعون، ومن أبرز أعضاء (الكتيبة ٦٨) الذين انضموا إلى حركة فتح: الشهيد جلال كعوش، الشهيد الرائد الشرعان (أبو جمال الشوف)، الشهيد الرائد روبين أبو العلا، الشهيد يوسف أحمد عوض (أبو فالح)... والقيادي في جبهة التحرير العربية كمال كعوش ... ومن الجبهة الشعبية الشهيد رفيق عساف، المقدم الهيثم الأيوبي، ومن (الجبهة الشعبية/ القيادة العامة) الشهيد أبو علي الأخضر بطل معركة عين يهيف، والشهيد خالد الأمين)، (المهندس فضل كعوش، صفحات مطوية من تاريخ حركة فتح في لبنان، مقال ١٥/ ٤/ ٢٠١٢م).

قام النقيب موسى العلي بتدريب مجموعات حركة فتح على رمي القنابل الدفاعية والهجومية، وتحمس رئيس الجمهورية في سوريا آنذاك الفريق أمين الحافظ، واللواء صلاح جديد لموضوع العمل الفدائي، وعليه تم إنشاء معسكر للتدريب في منطقة حرستا بإشراف اللواء محمد إبراهيم العلي (أبو ندى)، وفيه خضع المتدربون لتدريبات على الرمي بالمسدسات والبنادق الآلية وقواذف ب٢، وتم إحداث معسكر آخر في يبرود / منطقة القلمون، وبلدة مصياف.

وفي هذا السياق تم ترتيب إسناد قوات العاصفة بصفقة السلاح الجزائري المعروفة عن طريق العقيد الطاهر الزبيري رئيس أركان الجيش الجزائري بحضور مسؤول مكتب حركة فتح محمد أبو ميزر (أبو حاتم).

حيث أرسلت المعدات باسم الحرس القومي في سوريا وكانت بوزن (١٢) طن من مسدسات شارلينغ البريطانية مع ذخيرتها، ومسدسات طاحونة بلجيكية وفرنسية مع ذخيرتها، وقنابل يدوية هجومية ودفاعية، وألغام مضادة للأفراد والآليات، ودخلت الشحنة الجزائرية إلى سوريا بطائرتي أنطونوف، وهبطتا في مطار المزة القريب من دمشق في آذار / مارس ١٩٦٥م، وأفرغت الحمولة في سيارات (زيل١٥٧) عسكرية سورية روسية الصنع، حيث نقلت الحمولة إلى مستودعات الحرس القومي ثم سلمت لحركة فتح، وقسم من العتاد تم تخزينه في مخيم اليرموك، وقسم إلى منزل خليل الوزير، وقسم إلى معسكر لحركة فتح في غوطة دمشق.

وعمليا، فقد تم افتتاح أولى القواعد الفدائية العسكرية الفلسطينية على الأرض السورية في تاريخ الثورة الفلسطينية واستلام قوات العاصفة لأول شحنة سلاح من الجزائر(٨) عبر مطار المزة بدمشق، وكانت قاعدة فتح العسكرية الأولى في منطقة قريبة من مخيم اليرموك، ما لبث أن تم نقلها إلى موقع معسكر «الهامة»(٩) ألحق بها معسكر مجاور هو معسكر «ميسلون» على الطريق من دمشق إلى بيروت، لتصبح مقر القيادة ومركز التدريب الرئيس بقيادة أبو علي إياد وهي القاعدة التي خرجت المئات من قادة حركة فتح العسكريين المتواجدين حاليا داخل فلسطين».

وتحتشد في ذاكرة خليل الوزير (أبو جهاد) قائمة طويلة من أسماء القيادة السورية التي عايشت هذه الفترة ومنهم: نور الدين الأتاسي وإبراهيم ماخوس اللذان عملا كطبيبين في الجزائر مع قوات الثورة هناك قبل أن يصعدا إلى سدة القيادة والحكم في سورية، والرئيس

---

٨ الجزائر هي أول بلد عربي يفتح بها مكتب لفتح وهو أول بلد عربي يزود فتح بشحنة سلاح.

٩ قصفت قاعدة الهامة ثلاث مرات من خلال غارات الطيران الإسرائيلي: المرة الأولى عام ١٩٦٨م، والثانية عام ١٩٦٩م، والثالثة عام ١٩٧٢م، والذي استشهد فيه أبو الأدب مع أربعة مساعدين له، وقد كان مسؤولا عن قوات معسكر الهامة، وتم إغلاقها بعد حرب تشرين أول/ أكتوبر ١٩٧٣ لأسباب تتعلق بقربها من مواقع الاصطياف والسياحة وتعرضها المتكرر للقصف الجوي الإسرائيلي، وافتتحت بعدها العديد من القواعد العسكرية الفدائية في سوريا، خاصة في منطقة دمشق.

حافظ الأسد الذي كان رئيسا لهيئة الأركان السورية وأحمد السويداني الذي خلفه في رئاسة الأركان، ومصطفى طلاس وزير الدفاع السوري السابق الذي كان قائداً للمنطقة العسكرية الوسطى ومنيب المجذوب قائد الشرطة العسكرية وحكمت الشهابي الذي كان رئيسا لشعبة الاستطلاع السورية التابعة لوزارة الدفاع، ثم أصبح فيما بعد رئيساً لأركان الجيش السوري، وناجي جميل الذي كان قائدا لقاعدة الضمير الجوية، والمحامي منير العبد الله.. وعشرات أخرى من الأسماء التي لمع بعضها في سماء السياسة السورية.

ورغم ركام السنين فإن أبا جهاد احتفظ في ذاكرته وفي مكان بارز منها بأسماء اثنين من الذين عرفهم وعرفوه في سورية في تلك الفترة: محمد إبراهيم العلي «أبو ندى» كان اسم الرجل الأول الذي كان قائداً للحرس القومي في سورية، وحدثنا عنه أبو جهاد وبشكل مسهب وعن الدور الذي لعبه بكل إخلاص في تقديم العديد من التسهيلات في مجالات العمل العسكري وخاصة في مجالي التسليح والتدريب(١٠)، وكان المساعد "أبو المجد" أو محمد عبد ربه هو الساعد الأيمن لأبي ندى الذي أسهم عمليا وبكل جدية وإخلاص في تقديم كل عون ممكن للعمل الفدائي الفلسطيني على الأراضي السورية.

غادر أبو جهاد بيروت في مهمة طويلة بدأها بزيارة الجزائر في نهاية عام ١٩٦٥، لمقابلة الرئيس هواري بومدين وتأخر الرئيس في مقابلة أبو جهاد، وقبل أن يعود من جديد إلى بيروت إذ به يفاجأ بقرار ياسر عرفات بنقل أم جهاد وولديه إلى دمشق في أعقاب اعتقال الشهيد جلال كعوش من قبل السلطات اللبنانية (المكتب الثاني)، حيث استشهد بالسجن نتيجة التعذيب، على إثر هذه الحادثة قام أبو عمار بالاتصال بزكريا عبد الرحيم (أبو يحيى) لنقل أحمد الأطرش من لبنان إلى سورية فورا خوفا من اعتقاله وفعلا قام الأخ أبو يحيى بنقل الأخ أحمد الأطرش بشهر ١ /١٩٦٦م إلى دمشق، وهكذا انتقل أبو جهاد وأسرته إلى دمشق وتحديدا إلى المنزل الكائن في منطقة ركن الدين، لم تكن هناك مكاتب أو مقرات علنية لحركة فتح في تلك الأيام، وكانت كل منازل أعضاء الحركة بمثابة مكاتب ومقرات لها، وكان أهم مركزين للقيادة في دمشق هما المسكن الذي كان يقيم فيه ياسر عرفات وأبو العبد العكلوك وزكريا عبد الرحيم، في منطقة المزرعة في قلب دمشق، وكان المركز الثاني هو السكن الذي أقام فيه أبو علي إياد في منطقة حي زقاق الصقر، وانتقلت أسرة أبو جهاد إلى منزلهما الكائن بمنطقة ركن الدين.

---

١٠ أهدى اللواء محمد إبراهيم العلي النادي العربي الذي يملكه في مخيم اليرموك إلى حركة فتح للقيام بالعملية التعبوية آنذاك.

الطريق إلى الأزمة العاصفة



الشهيد جلال كعوش

كان الأخ زهير العلمي مدرسا بالجامعة الأمريكية بلبنان، وكان من المؤسسين لحركة فتح، وقد استطاع بمنتصف عام ١٩٦٣م من تنظيم كل من الأخوة: زكريا عبد الرحيم، أحمد الأطرش، جلال كعوش. وكانت هذه المجموعة هي بمثابة اللبنة الأولى لحركة فتح في لبنان، حيث الظرف في لبنان من أصعب الظروف الحياتية والأمنية للشعب الفلسطيني. استطاع الاخوة تقسيم العمل بينهم، حيث تولى الأخ زكريا عملية تنظيم وضم قسم كبير من المناضلين بالإضافة للقيام بشراء الأسلحة والمتفجرات.

وبعد تنظيم الأخوة المذكورين بمنتصف عام ١٩٦٣م حضر الأخ أبو عمار بعد أسبوعين واجتمع مع الأخوة المذكورين، فأخذت القيادة بالتناوب على الذهاب إلى بيروت للاجتماع بالأخوة. ويذكر الأخ زكريا عبد الرحيم في شهر ١٠ / ١٩٦٥ حضر الأخ محمود عباس (أبو مازن) إلى لبنان واجتمع بالكوادر هناك، وكان الاجتماع على رمال برج البراجنة (حيث لم يكن هناك في تلك السنة قليل من المباني، بل بالعكس كانت هناك تلال رملية).

لقد كان عام ١٩٦٦م هو عام تصعيد العمليات الفدائية ضد العدو الصهيوني انطلاقا من الجنوب اللبناني، فقد شهد ذلك العام عددا من العمليات التي حاولت المخابرات اللبنانية (المكتب الثاني) منعها، فبينما كان الشهيد جلال كعوش أحد كوادر قوات العاصفة وهو من مخيم عين الحلوة يشرف على الدوريات المنطلقة إلى الأرض المحتلة، وكثيرا ما كان يشارك بالنزول معها وبتاريخ ٢٣ / ١٢ / ١٩٦٥م وهو عائدا من الدورية التي كانت عائدة من الأرض المحتلة بعد تنفيذ مهامها، اعترضتهم دورية تابعة للمخابرات اللبنانية، وتمكنت من اعتقال جلال كعوش(١١)

١١ جلال كعوش هو أول شهيد للثورة الفلسطينية فوق الأرض اللبنانية، استشهد في (٩/١/١٩٦٦م)، ولد سنة ١٩٢٤م في قرية ميرون قضاء صفد ـ تلقى دراسته الإبتدائية في مدرسة القرية، وفي ١٩٤٨م هُجِّر مع عائلته إلى مخيم عين الحلوة، التحق بالعمل الفلسطيني المسلح، وكانت البداية ضمن تشكيلٍ فدائي حمل اسم الكتيبة ٦٨ في الجيش السوري، إعتقلته السلطات اللبنانية عام ١٩٥٧م وقضت إحدى المحاكم اللبنانية، بسجنه١٥ عاماً، لإقدامه على نسف السفارة الفرنسية ببيروت، وتوجه إلى سورية، ومنها عاد مع بعض المسلحين، وانضموا جميعا إلى الثوار في صيدا. وغدا القائد العسكري لهذه المنطقة. انضم إلى حركة فتح عند انطلاقتها وأثناء عودته إلى جنوب لبنان بعد تنفيذ عملية فدائية شمال فلسطين المحتلة، قام عناصر المخابرات اللبنانية، باعتقاله في ٢٣/١٢/١٩٦٥م، ثم ما لبثوا أن أطلقوا سراحه، ليعيدوا إعتقاله بعد خمسة أيام. وفي ٩/١/١٩٦٦م سلم عناصر المكتب الثاني إلى عائلته بلاغا يفيد بمقتله أثناء التحقيق معه بقضية تتعلق بأمن الدولة وأثناء التحقيق قفز من غرفة التحقيق محاولاً الفرار، فأصيب بجراح انتهت بوفاته بعد ثلاثة أيام إلا أن الكشف الطبي أثبت أنه توفي نتيجة لتعرضه لتعذيب قاسي أدى استشهاد. وكانت مظاهر التعذيب واضحة على جثة الشهيد حيث كانت أجزاء من جسده ممزقة، كما ظهرت بقع حرق السجائر على فوق صدره وفي وجهه وبقع عديدة وكبيرة زرقاء اللون. فكان شهيد فلسطين وقوات العاصفة الأول فوق الأرض اللبنانية، واستشهد بالطريقة نفسها رفيقه عطا أحمد الدحابرة، من مخيم عين الحلوة، بتاريخ ١٤/٥/١٩٦٧م. وفي ١٠/١/١٩٦٦م شُيع جلال كعوش في موكب مهيب في مدينة صيدا، و دفن في مقبرتها. وشهد لبنان على مدى شهر كامل مظاهرات عارمة شارك فيها مئات الآلاف من الفلسطينيين واللبنانيين في بيروت وصيدا وطرابلس، نددوا بجريمة القتل وطالبوا الحكومة اللبنانية إعادة تشريح جثة الشهيد والتحقيق ومحاسبة المسؤولين، وقد شهدت تلك لمظاهرات مصادمات عنيفة مع قوى ألأمن والجيش اللبناني سقط أثناءها العديد من الجرحى من الفلسطينيين واللبنانيين. (أوس داود يعقوب، الفدائي جلال كعوش، دنيا الوطن ١٠-٠١-٢٠١٠م).

وأودعته في زنازين المخابرات حيث تعرض لتعذيب قاس أدى إلى استشهاده داخل الزنزانة، وبالأسلوب نفسه تم اعتقال الشهيد عطا أحمد الدحابرة بعد عودته من تنفيذ عملية فدائية وهو من المخيم نفسه حيث استشهد تحت التعذيب.

شهد عام ١٩٦٦م واحدة من أخطر الأزمات(١٢) التي كادت أن تعصف بحركة فتح، وتفتك بقوات العاصفة، ورغم تشابك وتعقيدات هذه الأزمة فإن جذورها الحقيقة تكمن في الصراع ما بين الخط الوطني المستقل وبين القوى الأخرى التي لا تقبل بالتعايش مع هذا الخط.

كانت مصالح وأهداف حركة فتح قد تقاطعت مع القيادة الجديدة لحزب البعث في الفترة ما بين عامي ٦٥ – ١٩٦٧م وقد أدت حالة التقاطع هذه إلى دخول عدد من الكوادر ذات الانتماء البعثي إلى جسم فتح وانتظمت في هيكلها السياسي وجناحها العسكري، كان بعضهما مدفوعا بمشاعره الفلسطينية الوطنية، بينما كان البعض الآخر مدفوعا من قبل الأجهزة والأجنحة البعثية التي لم تكن تقبل التعايش مع فكرة استقلالية العمل الوطني الفلسطيني.

ويذكر أبو جهاد أن فرع فلسطين في حزب البعث العربي الاشتراكي (الشق السوري) وقف وراء هذه الأزمة مدفوعاً برغبته في السيطرة على حركة فتح التي حققت نجاحات على طريق الكفاح المسلح، فقد نفذت قوات العاصفة خلال العام ١٩٦٥م حوالي ١٤٦عملية فدائية، وكانت تباشير عام ١٩٦٦م تنبئ بتضاعف هذه العمليات وتصاعدها وتطورها كميا ونوعيا(١٣).

كانت المعلومات التي تضمنها كتاب «مشاعل الثورة على دروب العودة» عن حصاد النضال الفلسطيني في عام ١٩٦٥م تؤكد أن قوات العاصفة قد نفذت في عام ١٩٦٥م، مائة وست وأربعون عملية فدائية، وكانت تباشير عام ١٩٦٦م تنبئ بتضاعف هذه العمليات وتصاعدها وتطورها كميا ونوعيا. وكان ذلك من أبرز الأسباب التي حركت دوافع أزمة ٩ / ٥ / ١٩٦٦م.

وشهدت الفترة نفسها محاولة أخرى لتوحيد الجبهة الثورية لتحرير فلسطين مع حركة فتح ونتيجة الحوارات عين النقيب يوسف عرابي وهو ضابط فلسطيني في جيش التحرير الفلسطيني في المكتب العسكري الموحد لفتح وعين محمد زهدي النشاشيبي في القيادة السياسية، وفي حادث مؤسف وقع اطلاق نار ما بين يوسف عرابي ومحمد حشمة قتل على أثره محمد حشمة وقام عبد المجيد الزغموط بإطلاق النار على يوسف عرابي حيث استشهد الاثنان يوسف عرابي ومحمد حشمة.

لم تهدأ الأمور، فقد كانت هناك أطراف عديدة تعمل جاهدة على تسخين حرارة الأزمة ودفع الأمور بشكل متسارع باتجاه الانفجار، وهكذا وصلت الأزمة ذروتها ودخلت المؤامرة إلى أخطر مراحلها.

---

١٢ المقصود بالأزمة هي أزمة يوسف عرابي.

١٣ زهير الوزير، المرجع نفسه.

على أثرها صدر قرار سوري باعتقال قيادة فتح في سورية وعلى رأسهم ياسر عرفات وخليل الوزير وأبو صبري صيدم وعبد الكريم العكلوك وزكريا عبد الرحيم ومختار بعباع وعبد المجيد زغموط.

يقول أبو جهاد: «رغم أن حزب البعث العربي في سورية قد استقبل انطلاقتنا بحفاوة ملموسة إلا أن الفرع الفلسطيني في الحزب أثار ضدنا الحملات، وسرعان ما تغير موقف حزب البعث بعد حادثة يوسف عرابي ومحمد حشمة، وشنت ضدنا حينذاك حملة مليئة بالحقد وتم اعتقالنا في عام ١٩٦٦م ولم يكن هذا كله إلا بسبب أننا حققنا بعض الخطوات على طريق الكفاح المسلح في حين أنهم كانوا يريدون احتكار الكفاح لأنفسهم ومع الأسف أنهم لم يفعلوا»(١٤). سنسعى في الفصل السابع من هذا الكتاب إلى التوسع في شرح تفاصيل هذه الأزمة.

ومن المصادفات الغريبة أن تعتقل القيادة الفلسطينية في يوم ٩/٥/١٩٦٦م وهو اليوم نفسه الذي صدر فيه بلاغ القيادة العامة لقوات العاصفة حول محاكمة الأسير الفلسطيني الأول محمود بكر حجازي أمام محكمة عسكرية إسرائيلية قضت بسجنه لمدة ثلاثين عاما. وكانت القيادة العامة لقوات العاصفة قد ضمنت هذا البيان مقاطع من قصيدة حماسية تقول أبياتها:

« لا السجن يرهبني ولا السجان … ما دام يغلي في دمي الإيمان

لا القيد يثني همتي عن قصدها … لا السوط لا التعذيب لا الطغيان

سأثور عاصفة تهب عتية … فيها المنايا السود والنيران».

بعد خروجه في المرة الثانية من سجن المزة العسكري توجه ياسر عرفات صيف عام ١٩٦٦م إلى جنوب لبنان على رأس مجموعة فدائية تضم (١٢ مقاتلا)(١٥) وخلال عودة المجموعة بعد تنفيذ عملية ضد مواقع للعدو الإسرائيلي في شمال فلسطين المحتلة، قامت السلطات اللبنانية

---

١٤ زهير الوزير/ سفارة فلسطين في النمسا، سفير فلسطين لدى النمسا والمراقب الدائم لدى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية في فيينا، ملف كامل «أمير الشهداء: خليل الوزير(أبو جهاد).. في ذكرى استشهاده».

١٥ أسماء المجموعة: ياسر عرفات، أبو علي إياد، خالد أبو العلا، سعيد الشرعان، مصباح عبد الحق، مصطفى الصالح، أبو بسام، منير الشيخ صبري، أبو علي شمدين، شعبان الشاعر، حسين الهيبة، نعيم الوشاحي. علي بدوان/ صفحات من تاريخ الكفاح الفلسطيني، ط١، دمشق ٢٠٠٨م، ص٥٤.

باعتقال المجموعة ودام اعتقالهم (٤٥ يوما) ثم أفرج عنهم(١٦).

نفذت حركة فتح قبل انطلاق العمليات العسكرية في ١ / ١ / ١٩٦٥م سلسلة من عمليات الاستطلاع في لبنان.

كما كان أحمد الأطرش من أبرز القيادات العسكرية على الساحة اللبنانية، وبخاصة في داخل المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان، وقد أشرف في عام ١٩٦٤م على الإعداد لأول دورة عسكرية أقيمت سرا في طرابلس بشمال لبنان، ضمت اثنى عشر متدربا. وعندما رتب خليل الوزير أول دورة عسكرية للضباط في الجزائر، قام أحمد الأطرش بترشيح كل من علي عباس وأخيه زياد الأطرش للالتحاق بهذه الدورة(١٧). ومع انطلاقة فتح أشرف أحمد الأطرش على إرسال الدوريات الفدائية عبر الحدود اللبنانية إلى فلسطين المحتلة(١٨).

---

١٦ يقول اللواء المتقاعد سامي الخطيب رئيس قوات الردع العربية في لبنان ١٩٧٦م والضابط الأسبق في الشعبة الثانية (المخابرات اللبنانية): تضايقنا من نشاط قوات العاصفة، وكتبنا للجامعة العربية أن هؤلاء يتسللون خلف الجيش ويطلقوا صواريخهم على إسرائيل دون علم الجيش، فأصدر قائد القوات العربية المشير علي عامر أمراً بعدم إطلاق صواريخ بدون إعلام السلطات المحلية وبموجب ذلك عملنا دوريات ولسوء الحظ وقعت دورية من قوات العاصفة بيد الجيش اللبناني. نقل أفراد الدورية إلى ثكنة إميل الحلو وكان مكتبي بجوارها بصفتي رئيس فرع الأمن الداخلي في الشعبة الثانية ومشرف على فرع اللاجئين الفلسطينيين، وأبلغني الملازم أول فريد بومرعي باعتقال أعضاء الدورية مع سلاحهم وهم عائدين من تنفيذ عملية في الأرض المحتلة، وبعد حوالي ٤٥ يوماً علمنا أن ياسر عرفات قائد قوات العاصفة ضمن أفراد المجموعة فاتصلت مع غابي لحود في قيادة الأركان فطلب إحضار ياسر عرفات، ذلك أن الضباط كلهم كانوا يريدون التعرف على ياسر عرفات الذي كسر الروتين في النشاط الفلسطيني وأوجد مناخاً جديداً وروحية جديدة، وبالفعل قعدنا معه وقلنا له «بدنا نكرمك» وأعدنا لهم سلاحهم وركبنا المجموعة وقلنا للضابط نعيم فرح تنقل الشباب وتسلمهم للمخابرات السورية بجديدة يابوس. (خفايا العلاقات السورية اللبنانية، قناة الجزيرة، برنامج زيارة خاصة ٢٠٠٩/٥/٢م). سامي الخطيب: لواء لبناني متقاعد، كان ضابطا في الشعبة الثانية (المخابرات) اللبنانية عام ١٩٦٩، وفي بداية السبعينات حوكم وفصل من المخابرات للتجاوزات التي اقدم عليها اثناء عمله في الشعبة الثانية، ارسل الى الرئيس السوري حافظ الاسد يطلب اللجوء والحماية فلم يلبث ان عاد الى لبنان مع دخول الجيش السوري ١٩٧٦ كقائد لقوات الردع العربية وبضغوط من سوريا تم تعيينه وزيرا للداخلية في لبنان تتبع له قيادة الامن الداخلي اللبناني

١٧ يقول زكريا عبد الرحيم: كان يقوم بشراء الأسلحة والمتفجرات في لبنان وكان يعطي نصفها للشهيد أحمد الأطرش والنصف الثاني كان يسلمه للأخ أبو عمار الذي ينقلها في سيارته الفولكس فاجن سوداء اللون والتي كانت تحمل رقم ٩٦٢٥ وينطلق بها إلى دمشق رغم كثافة الحواجز والدوريات اللبنانية.

١٨ فايز حامد الرنتيسي، قادة حركة فتح على طريق الشهادة، ص١٢٦-١٢٧.

غادر لبنان إلى سوريا واستمر في تنظيم الدوريات الفدائية من الأراضي السورية والأراضي اللبنانية حتى استشهاده(١٩) بتاريخ ٢٨ / ٢ / ١٩٦٧م على أثر قيامه بالتدريب على عبوة في معسكر الهامة فانفجرت العبوة هو والشهيد منهل شديد(٢٠) وأصيب الشهيد أبو علي إياد إصابة بالغة رافقته حتى استشهاده.

وهكذا أغلق ملف أزمة ١٩٦٦م وخرجت منها حركة فتح متعافية وعفية بعد اختبار قاس لإرادتها وصلابتها ولقدرتها على التحدي والمواجهة والاستمرار. ومن ثم بدأت القيادة ترتيب أوضاعها الداخلية وتوجهاتها الخارجية مستفيدة من دروس الأزمة وعبرها. كان عام ١٩٦٦م يكاد ينصرم بأحداثه المروعة مخليا الطريق أمام تسارع وتيرة الأحداث على المسرح السياسي للشرق الأوسط استعداد لرفع الستار عن مرحلة الهزيمة العربية في يونيو (حزيران) من عام ١٩٦٧م.



الشهيد أحمد الأطرش



الشهيد منهل شديد

١٩ ولد أحمد محمد الأطرش في شفا عمرو عام ١٩٣٨م وبعد أن أكمل دراسته الثانوية في دمشق انتسب إلى كلية الآداب في الجامعة اللبنانية في بيروت. انتظم في صفوف حركة فتح. شارك في عمليات العاصفة انطلاقاً من جنوب لبنان. كان أحمد الأطرش وأبو علي إياد ومنهل شديد يشرفون على تدريب عسكري للمقاتلين في معسكر الهامة في دمشق، وقد وقع انفجار شديد هناك أسفر عن استشهاد أحمد الأطرش ومنهل شديد فيما أصيب أبو علي إياد إصابة في عينه. ووري الشهيدان الثرى في دمشق.

٢٠ الشهيد منهل توفيق مكاوي شديد، من مواليد علار في ١٩٤٢م، حصل على شهادة الثانوية عام ١٩٥٨م، وفور إعلان استقلال الجزائر عام ١٩٦٢م انتقل إليها ليعمل مدرساً ثم تم تنظيمه بحركة فتح عن طريق أبو جهاد ودخل دورة تدريبية في الكلية الحربية الجزائرية عام ١٩٦٤م. وعمل مدرباً لقوات العاصفة في معسكر الهامة في سورية عام ١٩٦٥م، وأثناء قيامه بتدريب مجموعة من الفدائيين على استعمال الألغام المضادة للآليات وقع إنفجار أدى إلى استشهاده على الفور.

القاعدة الارتكازية في الأردن

اعتمدت حركة فتح الأردن بضفتيه الغربية والشرقية قاعدة ارتكاز لانطلاقة حركة فتح وتعود هذه الخصوصية إلى أسباب عديدة منها:

الحدود الطويلة بين الضفة الغربية والأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م.

الحدود الطويلة بين الأردن وفلسطين.

حجم وطبيعة الوجود الفلسطيني في الضفتين وخاصة في المدن والمخيمات.

قرب الساحة الأردنية من القاعدة الأمنة التي أقامتها حركة فتح في سوريا وذلك من أجل الإمداد والتسليح.

ما توفره الساحة الأردنية لحركة فتح من القدرة على التعامل المتواصل مع الشعب الفلسطيني في الأردن بضفتيه ودول الخليج(٢١).

ركزت قيادة حركة فتح خاصة الشهيد أبو عمار والشهيد أبو جهاد في مرحلة الإعداد للانطلاقـــة على الساحة الأردنية وهذا أخذ سنوات بدايـــة من ١٩٦١م ولغايـة الانطلاقة في ١ / ١ / ١٩٦٥م.

سوف نستند في حديثنا هذا إلى شهادة شيخنا محمد أبو سردانة حيث كان أول اتصال به مع المجموعة التي أصبحت قيادة الساحة الأردنية منذ بداية التأسيس عن طريق الأخوة أبو جهاد وأبو عمار وأبو يوسف النجار وكان شيخنا أثناء تواجده في غزة من أركان الإخوان المسلمين وعمل مدرسا لكثير من قيادة «فتح» أمثال أبي جهاد وأبي يوسف النجار وكمال عدوان وغيرهم، وحينما نتكلم عن القادة المؤسسين في قطاع غزة ومعظم هؤلاء أيضا بدأوا حياتهم السياسية في حركة الإخوان المسلمين لأنهم لم يجدوا أمامهم في غزة آنذاك إلا الإخوان والشيوعيين وكان الشيوعيين يدعون إلى التعايش مع إسرائيل، ووافقوا على قرار

٢١ يقول المهندس سعيد خليل المسحال في كتابه (بين الثورة والنط وأعمدة الشر – رقم الايداع ٢٠١٣/٣/٩٠٧) – المملكة الاردنية الهاشمية)، بدأت انطلاقة فتح الاولى من الضفة الغربية وكان نشاطنا في الاردن سريا ولم يخرج الى العلن الا بعد نكسة حزيران ١٩٦٧، اما وجودنا في دمشق فكان نصف علني اذ كان السوريون يسمحون لنا ببناء قواعد ومواقع تدريب وتخزين لكنهم كانوا يمنعوننا من القيام بعمليات عسكرية انطلاقا من الحدود السورية، وقد رضينا بذلك حتى نضمن استمرار تعاون سوريا معا.



التقسيم في سنة ١٩٤٧م، فنفر منهم اللاجئون ولهذا على الأرجح التحقت طلائعهم بجماعة الإخوان المسلمين، لكن هذه الطلائع التي التحقت بالإخوان المسلمين لأسباب وطنية سرعان ما خرجت من صفوفهم لأسباب وطنية، فقد اكتشفوا أن مشروع الإخوان أسلمة المجتمع، ولا تحتل قضية فلسطين فيه إلا ركنا بسيطا ومؤجلا، لا أحد ينكر أن الكويت كانت منشأ الخلية الأولى لحركة فتح ولا أحد ينكر أنه أسست هذه الخلية منبرا إعلامياً في لبنان باسم «فلسطيننا– نداء الحياة» وصدرت هذه المجلة في تشرين الأول أكتوبر ١٩٥٩م بإشراف كل من الحاج توفيق حوري والسيد هاني فاخوري وإسماعيل شموط وظلت هذه المجلة توالي الصدور حتى أيلول ١٩٦٤م، وكان أبو جهاد يشرف عليها ويكتب مع ياسر عرفات معظم مقالاتها(٢٢).

هناك رجالات كبيرة أسهمت في بناء هذه الثورة الفلسطينية والسلطة الفلسطينية بشكل كبير ولها إسهامات كبيرة أين هي وما هي، أخبارها، ماذا فعلت فيها الدنيا الموت من يذكر بعضها أو ينساه ويمكن أن نعرف لو أحدهم نعته حركة فتح أو القيادة الفلسطينية وبأحسن الأحوال تسمى أحد جلسات المجلس الثوري باسم أحدهم إن كان يحمل مرتبة عضو لجنة مركزية أو مجلس ثوري.

وتقول أم جهاد في شهادتها حينما اعتقلت القيادة على أثر أزمة يوسف عرابي أوكلت القيادة لأم جهاد وأبو علي إياد واحمد الأطرش.

لم أقرأ الكثير عن هؤلاء الأبطال وهم أول من أسسوا للعمل العسكري على الساحة اللبنانية.

سأذكر مجموعة من الأبطال ٩٠٪ استشهدوا لو لم يكن أكثرهم من أسسوا للعمل العسكري داخل أرضنا المحتلة من خلال قواعدهم بالأردن، كثيرة هي التفاصيل التي

---

٢٢ في شهادة لتاريخ الشرفاء يقول الاخ فؤاد بلبيسي (موريس) وهو من القدماء الذين عايشوا و رافقوا الشهيد ابو جهاد عام ١٩٦٩ واستمر عمله بالقطاع الغربي كمسؤول مرتبط مباشرة مع ابو جهاد يقول: كلفت اكثر من مرة من الشهيد خليل الوزير لانقل الرسائل السرية للاخ هاني فاخوري وكان يعمل في بنك لبنان والمهجر بساحة ادريس ببيروت وكنت التقي معة في منزلة وكان ابو جهاد يعتمد علية في بعض الامور اللوجستية.. نذكر هنا ايضا الاخ رفيق بلعة ووالده وهم من الرموز اللبنانية الوطنية وكانوا ايضا على علاقة نضالية مع ابو جهاد وكنت احمل رسائل خاصة للحاج والد الاخ رفيق وهو صاحب شركة بلعة المعروفة بساحة ادريس.. كان الاخ ابو جهاد يثق بهؤلاء النخبة المناضلين واذكر ان والد الاخ رفيق بلعة قال لي في احدى المرات انهم على معرفة جيدة ووثيقة بخليل الوزير قبل عام ١٩٦٠ وانهم داعمين لفتح معنويا وماليا.

يمكن أن أتحدث بها عن هؤلاء الجبابرة كما كان يسميهم أبو عمار، كانت الدوريات المقاتلة الفلسطينية تخرج من شرق الأردن ومن جنوب لبنان لمقاتلة العدو الصهيوني حتى شيخنا الجليل محمد أبو سردانة للأسف الكل يتحدث عن البدايات والشيخ وأخوانه المؤسسين لحركة فتح سواء بالأردن أو الضفة الغربية لم أجد سيرة لهؤلاء الرجال.

ومع رحيل كل واحد من هؤلاء الرواد الأوائل في الحركة تخسر حركة فتح أحد الشخصيات الذي يمكن أن يروي تجربة طويلة وكبيرة وعميقة ولم يتم تأريخها وكتابة أسطرها بأيدي الفتحاويين وبألسنتهم بل يدون التاريخ بروايات الغير وكثيرا الرواية الفتحاوية ما تغيب عن تلك المؤلفات والروايات.

من سيكون المرحوم القادم من هؤلاء القادة التاريخيين لا أحد يعلم فالموت يختار من تسقط ورقته ويختاره الله إلى جانبه، المطلوب نفض غبار النسيان عن الكثير من القادة الذي ضحوا بأرواحهم على درب الثورة وتحرير فلسطين، حرام على فتح أن تنسى جذورها.. ومن ينسى جذوره ينسى فروعه ومن ينسى ماضيه ينسى مستقبله.

يتحدث الشيخ محمد أبو سردانة عن البدايات فيقول: الجمعة ١٣ / ١٠ / ١٩٦١م سافرت ومعي عبد الله حسن جبر إلى القدس لصلاة الجمعة في المسجد الأقصى وقابلنا على انفراد كلا من السيد رمضان البنا والسيد خليل عوده بقصد البحث فيما يجب عمله لقضيتنا الفلسطينية، وذلك بعد أن زارني في عمان السيد خليل الوزير المقيم في الكويت وكان أحد طلابي في ثانوية رفح للبنين -فترة تدريسه في قطاع غزة- عندما نقلت إليها، وقد أعلمني بأنه كلف من بعض الإخوة لمفاتحتي في تشكيل نواة لحركة هدفها تحرير فلسطين بالعمل الثوري تحت اسم حركي فتح بعد تعذر العمل تحت راية الإخوان المسلمين في مصر وقطاع غزة والحيطة القصوى في اطلاع قادة الإخوان المسلمين في الأردن على أي تخطيط بهذا الخصوص، لأن لهم سياستهم الخاصة في هذا الموضوع، من هؤلاء الإخوة يوسف عميرة والأخ موسى نصار والأخ سليم الزعنون وكلهم من سكان الكويت، واقترح الأخ خليل أن أسافر للكويت لالتقاء هؤلاء والبحث في هذا الموضوع تفصيلا، وقد أطلعت الأخ عبد الله حسن جبر على ذلك فأبدى موافقته وأطلعت الأخ رمضان البنا، فوافق دون تحفظ لسابق معرفته بالإخوة المذكورين أيام عملنا في الإخوان المسلمين بقطاع غزة.



زارني في عمان الأخ محمد يوسف النجار بتاريخ ٥ / ١ / ١٩٦٢م قادماً من قطر مقر عمله بعد خروجه من قطاع غزة، وكان أحد العناصر النشطة في الإخوان المسلمين بقطاع غزة وصلته بي وثيقة في تلك الفترة حتى خروجي من القطاع إلى الأردن، واستضفته ليلة لم ننم فيها إلا ساعات قليلة استعرضنا فيها أيام عملنا النشط في القطاع وصلتنا بالكتيبة الفلسطينية بقيادة الأخ عبد المنعم عبد الرؤوف، وانتهاء بتجميد مشروع التوطين في سيناء الذي كانت معارضتي له مع باقي الإخوان المسلمين السبب الرئيس في مغادرة القطاع، فقال: إن السبب الوحيد في زيارتي لك ولمدة أربع وعشرين ساعة هو وضعك في الصورة الحقيقية لما قام به تلامذتك من شباب الإخوان المسلمين من الوطنيين المخلصين الذين شكلوا خلايا سرية للتخطيط لعمل ثوري في أراضي فلسطين المحتلة، وذكر لي بعض الأسماء التي كانت على صلة وثيقة بي في فصول الدراسة وفي شعب الإخوان المسلمين منهم الأخ يوسف عميرة وموسى نصار وسليم الزعنون وهم الآن في الكويت، والأخ خليل الوزير الذي سافر للسعودية ومنها استقر في الكويت، وأحمد رجب في قطر وياسر عرفات في الكويت، وفتحي البلعاوي في قطر وصلاح خلف في الكويت، وقال: هناك شباب فلسطيني يحملون هذه الفكرة ويعملون في جميع الأقطار العربية وبعضهم لا يزال في قطاع غزة، فقلت له: لعله من توارد الخواطر وتوافق الأفكار أنني أعمل لهذه الفكرة مع مجموعة من شباب فلسطين المخلصين بالأردن بضفتيه وطلب مني اللقاء في الكويت في أقرب فرصة ممكنة للاجتماع بالنخبة الطيبة التي جاءت من القطاع للعمل بها فوعدته خيرا، وقد غادرا في اليوم الثاني إلى قطر.

يقول خليل الوزير: «بدأت قيادة فتح مطلع عام ١٩٦٢م العمل التنظيمي على الساحة الأردنية، حيث زار خليل الوزير الأردن وانتقل إلى الضفة الغربية في هذا العام، وقام بجولة واسعة النطاق شملت جميع مدن الضفة الغربية وقراها للتعرف عليها بصورة مباشرة وأجرى الكثير من الاتصالات مع عدد كبير من الشخصيات الذين تم تنظيمهم في الكويت وعادوا للضفة، وبدأ عملية إنشاء الخلايا السرية وانتقاء المجموعات المهيأة للعمل العسكري ممن لهم خبرة ومعرفة بالأرض ومواقع الأهداف الإسرائيلية الحساسة، أما بالنسبة إلى الأسلحة والمتفجرات فقد بدأ شراؤها آنذاك بشكل فردي من الضفة الشرقية والضفة الغربية وكانت تخزن في مستودعات لدى المجموعات التي خصصت للعمل العسكري عندما

تحين لحظة الانطلاق، كما كانت تتم عمليات نقل أسلحة ومتفجرات عبر الحدود السورية باتجاه الأرض المحتلة وكانت منطقة الحمة أهم نقاط العبور لوقوعها في نقطة متوسطة بين سورية والأردن والضفة الغربية والأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨م. وبعد أن غادر خليل الوزير الضفة الغربية عن طريق مطار قلندية بحوالي ساعتين جرى اعتقال أحد قادة حركة فتح ومعه نحو عشرين مناضلاً (سوف نتطرق لتفاصيلها بالفصل التاسع).

الحديث للشيخ أبو سردانة: «في ٢٥ / ٣ / ١٩٦٢م مساء هذا اليوم فوجئت بزيارة ثانية لتلميذي السابق في مدرسة رفح السيد خليل الوزير الذي كان من أنجب الطلاب وأكثرهم حماسا في قسم الطلاب بشعبة الإخوان المسلمين في رفح(٢٣) بعد أن انقطعت عني أخبار العناصر الطيبة من الإخوان المذكورين في قطاع غزة بعد مغادرتي له سنة ١٩٥٥، كانت مفاجأة سارة وسلاماً حاراً وما أن جلس حتى قال: أنا ضيفك هذه الليلة، وأحمل لك تحيات الكثير من محبيك وستكون ليلتنا عامرة بالحديث والاستشارات والأخبار السارة، فقلت: البيت بيتك، ومحبتنا وسابق صلتنا تقتضي البقاء أطول مدة، فقال: الظروف والمهمة التي جئت بها لا تسمح لي بالبقاء أكثر من سواد هذه الليلة، فقلت له: على الرحب والسعة، تناولنا عشاء لا تكليف فيه كما اعتدنا في رحلاتنا السابقة إلى شواطئ غزة وخان يونس في مجموعات شبابية لتلقي التدريب العسكري على يد بعض الإخوان المسلمين (إسماعيل حسين وأخيه مصطفى حسين) وقد عينهما حينئذ الأخ عبد المنعم عبد الرؤوف لتدريب شباب الإخوان المسلمين في القطاع ممن لم تستوعبهم الكتيبة الفلسطينية كجنود رسميين وكنت همزة الوصل بين هؤلاء وبين الأخ عبد المنعم، وكان ضيفي السيد خليل الوزير من طلائع الشباب الذين تلقوا تدريبات شاقة، خاصة على حرب العصابات وكان من أنشطهم استيعابا وتحملا وانضباطا وسرعة في التنفيذ راجعنا صفحات الذاكرة في تلك الأيام بالسرعة الممكنة وقلت له: هات ما عندك، فقال: إن زيارتي هذه هي امتداد لزيارتي الخاطفة في ١٣ / ١٠ / ١٩٦١م وزيارة الأخ محمد يوسف النجار التي كانت في ٥ / ١ / ١٩٦٢م والمهمة هي تفصيل لما أجمله

---

٢٣ كان خليل الوزير قد قدم مذكرة للاخوان المسلمين في غزة يطالبهم بالعمل المسلح،قبل خروجه من الاخوان ومن غزة، فرفضوا طلبه هذا كما يشير د.عبد الله أبوعزة من قيادة الاخوان المسلمين الفلسطينيين في غزة في كتابه عن الاخوان المسلمين في الدول العربية. وخرج عديد من قادة وكوادر فتح من «الاخوان» ليشكلوا أو ينضموا لحركة فتح، اما ياسر عرفات،ومن معلوماتنا الموثقة ومنه، فلم يكن عضوا في «الاخوان المسلمين» وأن احتفظ بعلاقات جيدة معهم، سواء الفلسطينيين فيهم أو المصريين في عقلية الانفتاح على كافة الأحزاب والتنظيمات التي تميز بها.



إليك الأخ محمد النجار.

لهذا بعد أن جمع الإخوة في الكويت على اختيارك والاسترشاد بآرائك رأوا خطورة في مجيئهم الجماعي للأردن، لهذا الغرض وأجمعوا على أن الأسلم والأبعد عن الإثارة حضورك اليهم والبحث في كل متطلبات العمل واختيار اسم الحركة من عدة أسماء مقترحة لها، فقلت له: لا مانع ولكني لا اعمل للقضية بصفة فردية فعندي كثير من المخلصين الفلسطينيين في الساحة الأردنية، ولا بد من أخذ رأيهم والتشاور معهم وفي ضوء ما يجد من آراء لا بد من لقاء فردي معك أنت في عمان قبل سفري إلى الكويت لبحث ما يجد من أفكار وسنكون على صلة تامة بوساطة الأخ يوسف عميرة والأخ موسى نصار في الكويت اللذين لم تنقطع مراسلاتي معهما منذ مغادرتنا لقطاع غزة.

الحديث للشيخ: في ٢٥ / ٦ / ١٩٦٢م بعد عصر هذا اليوم ذهبت إلى محل الحاج مصباح الزميلي في زيارتي التقليدية فرحب بي الأخ محمد غنيم وبادر كالمعتاد بطلب كأس من الشاي أتسلى بشربه حتى يعود الأخ الحاج مصباح الزميلي من بيته، فاغتنمت هذه الفرصة وطلبت من الأخ محمد غنيم ليزورني بعد عشاء هذا اليوم في منزلي لأمر هام لا مجال للحديث فيه حاليا، فوافق دون تردد، الأخ محمد غنيم له من الصفات الحسنة ما تفرض على جليسه أن يألفه ويخلص إليه منها ابتسامة عريضة لا تفارق محياه وبشاشة وجه ترحب بمن تلقاه وحسن خلق يلازم تصرفاته وعمق إيمان يظهر على تصرفاته وثورة شباب من أجل قضية فلسطين، ثم يشير الشيخ أبوسردانة أنه تحاور مع محمد غنيم أبوماهر بعد صلاة العشاء حول حركة جديدة لتحرير فلسطين يعمل لها شباب فلسطيني مؤمن مقره الكويت وبعض البلاد العربية.

الأخ الفاضل الشيخ محمد

تحية طيبة مباركة تحمل تمنياتي أنبل المشاعر وأحلاها بمناسبة
[illegible] الكريم أرسل هذه العجالة بعد رسالتكم الكريمة راجياً أن
تصلكم وأنتم متمتعون بتمام الصحة والعافية وهنيئاً بمناسبة [illegible]
عيدكم والعيد الكريم كل عام وأنتم بخير

استلمت رسالتكم الأخيرة المرسلة لي مع أحد الأخوة وقد سررنا
جميعاً بما حوته من روح طيبة ومعاني كريمة لا تستغرب
من أمثالكم.

علماً بأن [illegible] [illegible] حتى على عيد الفطر فما
رأيكم لو تكرمتم بالحضور لزيارتنا هنا في الكويت خلال [illegible]
[illegible] أخي ستكون فرصة طيبة [illegible] اذا اتسعت لنا
الفرص الا تحرمنا منها.

أخبار الأهل في الأردن طيبة وهم على اتصال مستمر معنا.
كيف حال الشعب والأهل عندك. نرجو أن تبلغونا أخباركم
طيبة وكذلك صحتكم [illegible].

وأخيراً اختتم هذه الرسالة راجياً الله كل خير وتقدير
والسلام عليكم ورحمة الله

١٩/٣/٦٢

المخلص

[illegible]

رسالة أبو عمار للشيخ أبو سردانة يدعوه للحضور إلى الكويت



وكان محمد غنيم (أبو ماهر) من قيادات حركة فتح المؤسسين وعضو قيادة قوات العاصفة وعضو لجنتها المركزية، انضم للإخوان المسلمين عام ١٩٥١م ومجموعة معه على خلفية مشاركة "الإخوان" في حرب فلسطين وقد خرج من "الإخوان المسلمين" عام ١٩٥٨م لسبب وقوف "الإخوان" مع التدخل الإنجليزي في العراق، وكان خروجه مع مجموعة معه ضمت عبدالله حسن جبر ومحمود عثمان والشيخ رمضان البنا، والشيخ محمد أبو سردانة وغيرهم، وكان ارتباط أبو ماهر والبؤرة أو الخلية القيادية الأولى في الأردن مع بواكير حركة فتح من العام ١٩٦٠م أو العام ١٩٦١م، وكان له قرار واضح بضرورة الانطلاقة دون انتظار تكوين جيش فلسطيني وإعدادات مكثفة لم تكن لتصل أو تحصل إلا في إشعال فتيل الانطلاقة عام ١٩٦٥م.

وتوجه نشاطهم خالصاً لقضية تحرير فلسطين مستثمراً الثورة الجزائرية التي كانت مشتعلة حينها في الخمسينات وأوائل الستينات، وكان للمجموعة الريادية هذه عديد اللقاءات مع أبو جهاد وأبو عمار، كما أشار أبو جهاد في كتابه مميزا لقاءاته مع أبو ماهر، ولاحقا في شهر ٩ / ١٩٦٥م كان لهذه المجموعة الدور الكبير في قرار الانطلاقة الذي أيده بعضهم وعلى رأسهم أبو ماهر، فيما عارضه آخرون.

سافر الشيخ محمد أبو سردانة إلى الكويت بتاريخ ١٠ / ٤ / ١٩٦٣م بتكليف من المجموعة القيادية في الأردن التي كان منها محمد راتب غنيم (أبوماهر) وعبد الله جبر ومحمود عثمان وكانت زيارته الأولى لها، وعقد الشيخ منذ اليوم الثاني لوصوله اجتماعاً في منزل يوسف عميرة بتاريخ ١١ / ٤ / ١٩٦٣م سواء بهذه الأسماء التي حضرت أو بمجموعة الإخوان في الكويت وتوالت الاجتماعات على مدار خمسة أيام التي قضاها هناك ثم عاد بعدها إلى الأردن.

وحضر الاجتماع كل من:

١. ياسر عرفات (أبو عمار)
٢. خليل الوزير (أبو جهاد)
٣. صلاح خلف (أبو إياد)
٤. فتحي البلعاوي
٥. سليم الزعنون (أبو الأديب)

٦. محمد يوسف النجار (أبو يوسف)

٧. يوسف عميرة

٨. فاروق القدومي (أبو اللطف)

٩. محمود عباس (أبو مازن)

١٠. خالد الحسن (أبو السعيد)

١١. محمود الخالدي

كانت اجتماعات الشيخ محمد أبو سردانة مع القيادة مهمة جداً، وبحجم المهمات التي كلف بها "الشيخ" في الأردن والضفة، وفعلا بدأ العمل على بناء قاعدة ارتكازية في الأردن.

قام أبو عمار بزيارة إلى الأردن في شهر ١١-١٩٦٣م وكان يعرف حينذاك باسم الدكتور أبو محمد، واستأجر منزلاً في جبل الحسين بمساعدة صديقه نزيه حجازي وبعدها اتصل بالشيخ محمد أبو سردانة حيث طلب منه الاجتماع بالخلايا التي تحدث عنها سابقا، فقام الشيخ بالاتصال بهاشم أبو سردانة (وهو ابن شقيقته) وأبلغه بموعد قدومنا وعليه إعلام الإخوة بطرفه، وبالفعل فقد اجتمعنا إلى أول خلية سرية لحركة فتح في مخيم إربد بمنزل هاشم أبو سردانة والتي تعتبر النواة للعمل التنظيمي الفتحاوي في الأردن وضم الاجتماع بالإضافة للشيخ محمد أبو سردانة عدد من الكوادر عرف منهم:

١. هاشم أبو سردانة

٢. فهمي الطيطي

٣. إبراهيم خريس

٤. محمد يوسف الحايك (كان دوره نقل أسلحة إلى تنظيم فتح في الضفة الغربية للحاج الجيلاني في أريحا وأبو محمود العجوري في الخليل، وشارك في عملية مشتركة من كوادر فتح والجبهة الشعبية في قضاء الناصرة).

٥. أحمد يوسف الحايك «أبو ناصر» (رئيس تنظيم مجموعة آل الحايك وضابط ارتباط مع يوسف عرابي بدرعا).

٦. عمر سويطي «أبو حميد» (اشترك في عملية الناصرة واستلم مستودعات فتح في الشمال).

٧. محمود أبو الهيجا «أبو فتحي» (قاد أول عمليات فتح بقصف مصنع بوتاس إسرائيل في وادي عربة نهاية عام ١٩٦٧م، واشترك بعملية طوباس والحزام الأخضر، استشهد بتاريخ



٢٦ / ٣ / ١٩٧١م).

٨. أبو أكرم صبيحي حسن شهاب (قاد عملية غابة عرب صبيح واستشهد فيها).

٩. علي اللافي «أبو حنا» (اشترك في أول عملية لانطلاقة فتح بتاريخ ١ / ١ / ١٩٦٥م).

١٠. محمود قاسم قصاص «أبو العبد» (اشترك في أول عملية لانطلاقة فتح بتاريخ ١ / ١ / ١٩٦٥م).

١١. الشيخ صبري الحايك (اشترك بدورية أبو عمار الأولى واعتقل مع المجموعة في لبنان على يد الدرك اللبناني).

١٢. فهد زعطوط (نقل أسلحة وذخائر إلى تنظيم الشمال).

١٣. محمد إبراهيم أبو خليل / عبود أبو إبراهيم (قائد تنظيم جنين اشترك بأول عملية لحركة فتح في غور الصافي نهاية عام ١٩٦٧م وقائد عملية العين البيضاء بتاريخ ٤ / ٥ / ١٩٧٠م).

١٤. أحمد موسى دلكي (قائد عملية عيلبون واستشهد بعد تنفيذ العملية، وهي أول عملية لحركة فتح، وهو أول شهيد لحركة فتح).

وتكلم ياسر عرفات وقال لقد أطلعكم أخي الشيخ في لقاءات سابقة على تأسيس حركة «فتح» وأهدافها وثوابتها وأسباب قيامها.

إن حركة فتح قد نذرت نفسها وعزمت على إعادة راية الكفاح المسلح ليد أبناء الشعب الفلسطيني وانها بالتشاور مع عناصرها المؤمنة وأنتم في طليعتها قد صممت على القيام بعمليات عسكرية داخل أرضنا المحتلة (فما حك جلدك إلا ظفرك) وبهذا يتأكد العدو المحتل أنه لا يضيع حق وراءه مطالب بقوة السلاح لا في أورقة هيئة الأمم أو مهرجانات الجامعة العربية أو ندوات الخطابة والمزايدات الوطنية، وأسهب في حديثه الذي تخلله حوار واستفسارات من الحاضرين الذين اقتنعوا بالحديث لان صداه يدور في نفوسهم منذ مغادرتهم لديارهم، وانتهت الجلسة بعد ساعتين بقولهم للأخ ياسر عرفات لن نقول لك ما قاله بنو إسرائيل للنبي موسى عليه السلام (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) بل نقول ما قاله اتباع رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم له (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون) وقد أعجب الأخ ياسر عرفات بهذه الروح المعنوية العالية وبهذا الاستعداد للتضحية، حدد اجتماعا ثانياً بعد أسبوع بحضور كوادر جديدة أبدت استعدادا والتزاما ببرنامجها النضالي وتعهد التنظيم تغطية مصاريف الحركة من أموالهم الخاصة دون تكليف القائد دعما ماليا، ثم تناولنا عشاءنا مع باقي الإخوة وانطلقنا

عائدين إلى عمان.

عقد اللقاء الثاني في منزل عبد الخالق الحايك في مخيم اربد، وفي هذا اللقاء لم يحضر الشيخ أبو سردانة، بحيث كان اللقاء مع الكوادر العسكرية، وفي هذا الاجتماع حدد أبو عمار مسؤولية بعض الإخوة الحضور وفوض الأخ عمر السويطي (أبو حميد) أن يكون قائداً عسكرياً للمجموعة الأولى لفتح وكان اختيار أبو حميد لأنه كان يعمل مع النظام السوري الناصري زمن عبد الحميد السراج حيث كان خبير متفجرات وكان مسؤولاً على الاستطلاع (الحدود الإسرائيلية)، عين أبو حميد نائبا له هو الأخ علي لافي (أبو حنا) بعد حديث مطول للأخ أبو عمار مع مجموعة الكوادر تطرق عن إعلان انطلاق ثورة فلسطينية بدايتها الإعداد والتنظيم والاستطلاع ريثما تكتمل جاهزية العمل المسلح بعدها تنطلق ثورة فلسطين قاعدتها مخيمات اللاجئين والأغوار وساحتها القتالية أراضي فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م.

الحاضرين للاجتماع الأول من قدامى مجاهدي فلسطين الذين حاربوا في ثورة (١٩٣٦ – ١٩٤٨) وقليل من شباب جيل النكبة لكنهم جميعا كانت تطلعاتهم بكلمة واحدة (كلنا فداء فلسطين).

الاجتماع الثاني كان اجتماعاً ودياً، تنظيميا رغم فارق الأعمار والثقافة، لكن الحماس والاندفاع إلى مسيرة ثورية دفعت أبو عمار على اعتماد المجموعة قيادة حركة فتح المسلحة انطلاقا من اربد ومخيمها والأغوار داعيا إياهم إعداد تنظيم لحركة فتح وجناحها العسكري قوات العاصفة وتشكيل قيادات المدن والمخيمات وتجنيد وتسليح الراغبين بالمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي.

طلب الدكتور أبو محمد (ياسر عرفات) تدريب الأعضاء على استخدام الأسلحة الخفيفة علما أن أكثرهم من قدامى المقاتلين ولديهم خبرة قتالية والانطلاق لتنظيم خلايا ومجموعات داخل الأراضي المحتلة اعتمادا على الأقارب والأصدقاء في قرى ومدن فلسطين الذين لم يتركوا وطنهم بعد النكبة ليكونوا مجموعة فتح القيادة الأولى، وأدلاء لدورياتها في المستقبل طليعة لقيادة أعمالها حين إعلان الانطلاقة.

كما دعاهم تحديد أماكن خاصة في مدن وقرى فلسطين المدمرة والمهجرة التي غادروها على أن تكون بعيدة عن دوريات الجيش الإسرائيلي لاتخاذها قواعد تكديس وتخزين أسلحة لتزود بها دوريات فتح في الداخل، وتسهيلا لأعمالهم القتالية، وتخفيفا عنهم عناء حمل ونقل أسلحة



من مسافات طويلة تؤثر على حركة المقاتل عبور النهر تسريعاً في تنفيذ أعمال قتالية بأقل جهد وخسائر.

أشار أبو عمار أن نجاح حركة المقاومة يعززه احترام وتعاون مع البيئة التي يتواجد فيها الفدائي قائمة على احترام المواطن وإقناعه أن يكون نصيراً للثورة والتركيز على استقلالية الدولة التي يتواجدون على أراضيها واحترام قانونها دون التدخل في سياستها والابتعاد التام بأي شكل من الأشكال من الاحتكاك مع قوى الأمن كونهم قواعد دعم وإسناد للمقاومة في حالة عبور النهر لتنفيذ عمليات قتالية ضد العدو الإسرائيلي، أو في حالة عودة الفدائيين تكون قوى إسناد وتغطية للمجموعات العائدة إلى قواعدها.

بعد انتهاء الاجتماع الثاني على انفراد سلم أبو عمار مبلغا من المال (١٥٠ دينار) إلى أبو يوسف حايك طلب منه شراء بنادق لتأهيل أعضاء فتح وتدريبهم على فنون القتال بعد فترة انقطاع عن استخدام البندقية.

اشترى تنظيم فتح في اربد خمس رشاشات («كارلو عدد ٣ وتومسون عدد ٢) وزعت إلى جماعة أبو سردانه ثلاثة والى جماعة أبو حميد اثنتان، وبدأ التدريب وإنشاء اللجان الشعبية وهي كالتالي.

لجان حركة فتح الأساسية في اربد – الأغوار – مخيم اربد

لجنة زعماء المخيمات:

– محمد عبد العزيز الفاهوم – من مدينة الناصرة عضو اللجنة القومية الفلسطينية عام ١٩٣٦ من مقاتلي فلسطين في معارك الناصرة وعضو المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد عام ١٩٦٤ في مدينة القدس ومن وجوه مدينة اربد.

– صالح العفيفي – من مدينة صفورية صاحب شركة باصات حيفا – الناصرة، أحد أعيان مدينة اربد

– صالح العرابي أبو احمد – من عرابة جنين، بعد النكبة نزل اربد وعمل موظفا في الجمارك الأردنية من رجالات الثورة.

– الحاج خليل الصانع – من شيوخ بدو جنوب فلسطين ومن مؤسسي حركة فتح في اربد عرف عنه الإصلاح بين الناس.

مجموعة نقل الأسلحة دعاها أبو عمار «مجموعة الجبابرة» (العتالين):

لكثرة المواد التي ينقلوها وزيادة وزنها وصعوبة حملها، لكنهم صبروا على الأوزان الثقيلة ووعورة المناطق التي كانوا يسلكونها سيرا بالليل بين الأودية والتلال من قرية المزيريب وعبور نهر اليرموك ومروراً في وادي الشلالة السحيق حتى اربد وكل ذلك يستغرق سفرهم خمس ساعات.

أوكلت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) نقل الأسلحة للجميع رغم اختلاف أعمارهم وكبرهم لكنهم كانوا شبابا دون استثناء، فنجد الشيخ صبري الذي تجاوز الستين سنة وعلي اللافي ابن العشرين سنة كل يحمل على ظهره أسلحة تزيد عن ثلاثين كلغم يتسابقون لنقلها.

ومن مجموعة العتالة: الشيخ صبري الحايك، وأبو يوسف الحايك، وأبو العبد قصاص(١)، وعلي اللافي وأبو أنطون وفهد زعطوط وأبو حميد مسعود أبو خليل ويوسف فياس ومحمود أبو الهيجا ونصر يوسف والشيخ نعيم ونعمان وأبو اكرم وأبو قاسم.

نقل العتالون أسلحة وذخائر ومواد ناسفة من درعا من معسكر جيش التحرير كتيبة (٤١٢) ومن الحمة السورية إلى مستودع دار الحايك في اربد ومنها نقلت بمخابئ في سيارات إلى أعضاء فتح في الضفة الغربية إلى مدينة قلقيلية كان أبو علي إياد، والى جنين كان عبود أبو إبراهيم، وإلى الخليل كان أبو محمود عجوري، وإلى أريحا كان عبد الجولاني، وبواسطة سيارته الأمريكية نقلت إلى مدن الضفة وكان هذا بعد عام ١٩٦٣ – ١٩٦٥.

ظلت أعمال التنظيم ونقل وتخزين أسلحة ومواد ناسفة ناجحة وسرية حتى اعتقلت دورية أمن أردنية سيارة أجرة نقلت أسلحة ومتفجرات كانت في طريقها إلى الضفة الغربية بسبب وشاية من مواطن من تل الأربعين «عميل مزدوج» وعند حاجز مخفر وادي العرب طريق الأغوار كمنت دورية للسيارة واعتقلت ركابها محمد أبو حشمة وفهد زعموط وسائقها أبو أسعد السوري بتاريخ ٥ / ١٢ / ١٩٦٥م.

اعترف ركاب سيارة الأجرة بحقيقة عملهم، وبعدها شنت أجهزة الأمن والمباحث حملة اعتقالات واعتقلت (ثمانين) من كوادر حركة فتح على ساحة الأردن لمدة (٢٢) شهراً حتى نشوب حرب الأيام الستة ٦ / حزيران / ١٩٦٧م.

وتدخل الشيخ فهد أحمد الجابر الكويتي وأحد كبار ضباط الجيش الأردني من عشيرة «عريقات» للإفراج عن الفدائيين واستجابت الأردن لوساطتهم وأفرجت عنهم. وبقي في سجن



المحطة: عبود، أبو اكرم، أبو يوسف حايك، فرحان الحاج صالح، أبو محمود عجوري، أبو قاسم صبيحي، فهد زعطوط، بعد إخلاء سبيل الفدائيين المعتقلين في أول يوم من حزيران ١٩٦٧م، ومن سجن الجفر والمحطة نقلت سيارات عسكرية أردنية أعضاء حركة فتح بعد أن سلمت كل واحد مسدساً وذخيرته وتوجهت بهم نحو الضفة الغربية حيث معارك دائرة بين الجيش الإسرائيلي والقوات الأردنية المدافعة عن الضفة الغربية.

كان قرار الإفراج من الحكومة الأردنية عن الفدائيين مشروطاً بالتحاقهم بكتائب وسرايا الجيش الأردني في الضفة الغربية على ان يقاتلوا تحت إمرة الجيش، فلاقى هذا تجاوباً من الفدائيين لكنهم عند وصولهم منطقة الجفتلك وللقدس والعيزرية كانت الضفة قد احتلت من إسرائيل، وارتحل الجيش شرقاً.

لجنة نقل الأسلحة للضفة الغربية:

- أبو أسعد السوري
- محمود الهمشري
- ناصر نصراوي
- أبو محمود عجوري

لجنة تنظيم كوادر فتح (قيادة ميدانية):

- أبو العبد قصاص
- أبو فتحي أبو الهيجا
- أبو أكرم صبيحي
- أبو ناصر الحايك
- الشيخ صبري حايك
- أبو حميد سويطي
- حسين غورو الدلكي
- علي اللافي
- محمد يوسف الحايك
- أحمد موسى الدلكي

لجنة تدريب الأسلحة والمتفجرات:

- أبو إبراهيم عبود مدرب أسلحة
- أبو حميد مدرب متفجرات
- يوسف فياس مدرب متفجرات
- أبو فتحي مدرب أسلحة

أعضاء حركة فتح من عشيرة دلكي:

- أحمد موسى دلكي
- حسن فرحان دلكي
- حسين الضاوي دلكي
- محمد عبد الله دلكي
- حسين غورو دلكي
- حسين فرحان دلكي
- حسن احميدي دلكي
- وحش محمود دلكي

أعضاء فتح فصيل صبري الحايك:

- محمد يوسف الحايك
- الشيخ صبري الحايك
- عبد القادر الحايك
- محمود القصاص
- علي اللافي أبو حنا
- أحمد يوسف الحايك
- عبد الخالق الحايك
- سليم سالم الحايك
- إبراهيم اخو زينه
- محمد صبري الحايك

أعضاء فتح فصيل أبو أكرم:

- أبو أكرم صبيحي محمود محمد حسن
- أبو علي محمد ذياب صبيحي
- يوسف عسكر
- أبو قاسم صبيحي محمد شهاب
- قاسم صبيحي
- صبحي الراجي

مجموعة عبود أبو إبراهيم:

- إبراهيم الصلاح – جنين
- علي أبو خليل – مخيم اربد

- مسعود أبو خليل –مخيم اربد
- محمود العتيق – مخيم جنين
- جميل منيزل – مخيم جنين
- مرعي نصار – مخيم جنين
- يوسف فياس – مخيم جنين
- فرحان الحاج صالح – جنين
- أحمد سبعاوي – مخيم جنين
- أبو ساطي بني سعيدات – مخيم جنين
- محمد إبراهيم جرار (أبو قطنه)
- داوود أبو خليل – مخيم جنين

أعضاء فتح مجموعة مخيم اربد:

- محمود أبو الهيجاء
- يونس أبو الهيجاء
- نمر أبو الهيجاء
- محمد حسن
- صبحي صلاح
- محمد احمد
- محمود أبو السمن (أبو أنطون).
- علي مفلح أبو الهيجاء
- موسى أبو الهيجاء
- عبد الرحمن نجيب
- علي يوسف
- شفيق أسعد
- محمد حسين

أعضاء فتح مجموعة طوباس:

- الحاج حسن (عبد الإله)
- يونس أبو جابر
- سميح دواس
- أبو عراق الطوباسي
- محمد سعيد طوباسي
- أبو الحكم (محمد سعيفان)
- طارق بن زياد
- عز الدين دواس
- أبو سليم جهاد طوباسي
- نافذ حمد الله

فدائيو حركة فتح - الأغوار الشمالية- تل الأربعين والشيخ حسين والجسورا - المنشية - وقاص:

- تركي كنعان
- محمد حيان
- حسن أبو جويد
- سعد جمعة أبو القناني(أحمد حسين جدوع)
- محمد إبراهيم أبو حشمه
- توفيق أبو جويد

– يوسف أبو جويد – احمد جدوع أبو سرور
– يوسف الهايل – عبد الرحمن ياسين
– نايف عماره – سليمان أبو غندور
– صالح أبو السكر – محمود أبو عجين – المشارع
– إبراهيم محارب الحاج كادلاك – المشارع(٢٤)
– نصر يوسف (مصطفى العمري) وقاص
– احمد عاشور – المنشية
– حسين منيزل – تل الأربعين.

وكان من أنصار ومؤيدي المقاومة الفلسطينية أبو عيسى رؤوف الحلبي (صاحب بيارة في بلدة الشيخ حسين) ساعد الفدائيين بالمال والسلاح حتى استشهد حين طاردته طائرة حربية إسرائيلية قرب جسر قناة الغور الشرقية في وادي اليابس، وأطلقت صاروخ جو / أرض أصاب سيارته ودمرها، واستشهد ظاهر حسن الغزاوي رفيق القائد أبو عمار الذي التقاه في الحمة السورية قبل استشهاده بساعات قليلة من اجتياح قوة كوماندوز إسرائيلية قرية تل الأربعين وبعد مقاومة عنيفة استشهد وعدد من أهالي القرية بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٩٦٦م.

بعث أبو عمار برسالة عاجلة لكل من الإخوة محمود أبو الهيجاء والشيخ صبري الحايك، وأبو يوسف الحايك حضورهم إلى دمشق وفعلاً توجه الشيخ صبري حايك وأبو يوسف الحايك ومحمود أبو الهيجاء إلى دمشق واستقبلهم ياسر عرفات والنقيب يوسف عرابي، حيث طلب منهم أبو عمار توجه أفراد المجموعة الفدائية بالتحديد إلى منطقة الحمة السورية لتلقي دورة مكثفة لتدريبهم على المتفجرات وزرع الألغام واستخدام ساعات التوقيت، وأشرف على تدريبهم النقيب يوسف عرابي الذي كان عسكرياً متمرساً وخبيراً بالمتفجرات، وفعلا حين سافر الإخوة عادت المجموعة وكانت تضم الأعضاء الخمسة بقيادة أحمد موسى الدلكي وتدربت على مدار أسبوعين (دورة مكثفة) ثم عادوا إلى الأردن ينتظرون الأوامر لتنفيذ أول عملية عسكرية، كذلك تم الاتفاق على نقل أسلحة إلى المزيريب، ومنها تنقل براً عن طريق الشلالة وتخزينها في دار الحايك ثم تنقل وتوزع إلى قيادة الضفة الغربية فوراً.

وشهدت تلك المرحلة قيام ياسر عرفات «أبو عمار» وبدعم من خليل الوزير «أبو جهاد»

---

٢٤ إبراهيم محارب (الحاج كادلاك) كان سائق الدورية التي أوصلت أبو عمار من الحمرا إلى الأرض المحتلة.

بتنفيذ عملية مبكرة قرب بلدة السموع[٢٥] في منطقة الخليل دون أن يتم الإعلان عنها موفياً بالعهد الذي قطعه على نفسه للبدء بالثورة قبل نهاية عام ١٩٦٤م حيث كان أبو عمار وأبو جهاد يؤيدان وجهة النظر القائلة بأن الأمور أصبحت ناضجة وأن الإسراع في البدء أفضل بكثير من الانتظار حتى فترات لاحقة[٢٦].

وامتدت قواعد «فتح» من الشونة الشمالية إلى الكرامة وإلى منطقة الأغوار حتى الشونة الجنوبية ومرتفعات السلط لتلتئم بتنظيم الكرامة الذي تولى مسؤولية انتشار القواعد في هذه المناطق، وقد تعددت زيارات أبو عمار بهذه الفترة إلى الأردن وكل مرة كان يحضر فيها كان يقوم بالاجتماع بالكوادر العسكرية.

يقول الشيخ أبو سردانة: في ٥ / ١٠ / ١٩٦٤م عاد وزارني الأخ محمد يوسف النجار قادما من الكويت عبر لبنان وسوريا ضمن زيارة لأقاربه في الأردن كغطاء لتحركه، وقد كلفه الأخ ياسر وإخوانه بأن يبلغني الآتي:

١. قام الأخ ياسر عرفات بعد عودته من الإسكندرية والأردن باتصالات عدة بقيادات الحركة الفلسطينية من أجل التشاور والتنسيق للقيام بعمل ثوري جاد يحرك القضية الفلسطينية من الجمود الذي أحاط بها نتيجة الخلافات العربية لكن روح التقوقع والانفرادية والتبعية كانت سائدة عند رموز تلك الفصائل لهذا فقد كان على فتح تحمل المسؤولية كاملة في حمل راية الكفاح

---

٢٥ تعد منطقة السموع – لواء الخليل إحدى أهم قواعد حركة فتح في جنوب الضفة الغربية والتي شهدت انطلاق العديد من العمليات الفدائية في بدايات إنطلاقة حركة فتح، قامت القوات الإسرائيلية في ١٣/١١/ ١٩٦٦م ورداً على تصاعد العمليات الفدائية بشن هجوم واسع على منطقة السموع بحجة وجود قاعدة للعمل الفدائي وقفت وراء عمليات عسكرية في العمق الإسرائيلي. وكانت المواجهة مع قوات الجيش الأردني – لواء حطين تحت قيادة العقيد الركن بهجت المحيسن الذي كان مسؤولاً عن الدفاع عن منطقة واسعة تشمل محافظة بيت لحم ومحافظة الخليل. وكان موقع قيادته في منطقة كفار عصيون، اجتاز الإسرائيليون خطوط الهدنة برتلين من الدبابات تساندهما عدة أسراب من الطائرات المقاتلة. تحرك أحدهما باتجاه بلدة السموع والآخر بإتجاه مدينة يطا بهدف التضليل. أصدر العقيد بهجت المحيسن أوامره بالتصدي، وتحركت قوتين باتجاه السموع. استشهد في هذه المعركة خمسة عشر جندياً وضابطاً منهم: الملازم طيار موفق بدر السلطي والرائد محمد ضيف الله الهباهبة، وجرح فيها ولأول مرة في التاريخ العسكري الأردني قائد اللواء على أرض المعركة بالإضافة إلى ٢٢ آخرين. وإعادة أسيرين أحدهما جندي يدعى محمد قاسم محمد حسين بعد أن تم التحقيق معه والثاني أعيدت جثته بعد إدعاء الجانب الإسرائيلي أن محاولاتهم لإسعافه لم تجد وهو الرائد محمد ضيف الله، وكانت الخسائر المدنية استشهاد ثلاثة مدنيين وجرح سبع وثمانين آخرين. ويذكر أن الخسائر الإسرائيلية هي مقتل ضابط واحد هو العقيد يواف شاهام. قائد لواء المظليين وقائد العملية، وجرح عشرة جنود آخرين، وتمكن الطيارون الأردنيون من إسقاط ثلاثة طائرات إسرائيلية. تراجعت القوات الإسرائيلية إلى داخل حدودها وتمكنت القوات الأردنية من الحصول على عدة غنائم من الأسلحة العسكرية الإسرائيلية. وقد سلم بهجت المحيسن عينة منها إلى الملك حسين عند تفقده أرض المعركة. (المصدر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

٢٦ صالح القلاب، المرجع نفسه.

المسلح وفتح الباب لمن يريد سلوك هذه الطريق التي ستوصلنا لتحرير وطننا السليب وإعادة أهلنا المشردين.

٢. اجتمع أعضاء اللجنة المركزية لفتح في الكويت منذ أيام قلائل لبحث ما يجب عمله في ضوء الأوضاع العربية والإسلامية والدولية السائدة وعجز جامعة الدول العربية عن اتخاذ خطوة حاسمة بالنسبة للقضية الفلسطينية وشعبها المشرد نتيجة للخلافات المستحكمة بين محاور دولها مكتفية بتعليق العمل على شجاب منظمة التحرير الفلسطينية التي ولدت مكبلة بقيود الجامعة ورغبات دولها واستعرض الإخوة ظروف قيام الثورة المصرية والانقلابات في العراق وسوريا واليمن والجزائر والتي ساهم الشعب الفلسطيني في إنجاح الكثير منها بطاقاته وقدراته المتاحة على أمل ان يقوم أولئك الثوار مجتمعين أو منفردين بالحل الحاسم لقضية فلسطين.

٣. اتخاذ الخطوات اللازمة والسريعة لتعزيز كوادر فتح في الأردن بعناصر وطنية مخلصة والحرص على أن تكون الكوادر ضمن مجموعات لا تزيد إحداها عن ثلاثة أفراد في الوقت الحاضر مع توخي السرية والحذر الشديدين، بحيث لا يعرف مسؤول المجموعة إلا أفراد مجموعته ويبقى الإشراف على المجموعات ضمن قيادة ثلاثية مكونة من المسؤول الأول ثم الثاني ثم الثالث وأن تتواجد معظم هذه المجموعات في الضفة الغربية وهي المنطلق الحقيقي للثورة الفلسطينية.

٤. الحصول على أكبر قدر من الرشاشات الخفيفة والقنابل اليدوية والمتفجرات والمسدسات والمتفجرات خاصة عبوات (ت.ن.ت) وتدريب تلك المجموعات على استعمالها ضمن خطة سرية في أماكن بعيدة عن العمران ومن مدربين متخصصين وهم وفرة في صفوف أنصار فتح والحمد لله، وتخزين تلك الأسلحة في أماكن متفرقة من الضفة الغربية ومنطقة اربد.

٥. من حيث توعية الأفراد فإن فتح ستقوم بطبع منشورات ومطبوعات تتضمن أهداف وثوابت الحركة وستقوم بتمريرها لكم في الأردن، بالإضافة إلى أعداد من مجلة فلسطيننا التي أسسها الأخ خليل الوزير في لبنان على أن يوزع ذلك على عناصر فتح في المرحلة الحالية ويراعي في ذلك الحذر والسرية أيضا.

٦. سيقوم الأخ ياسر عرفات بجولة في لبنان وسوريا لهذا الغرض وسيزوركم في الأردن للاطمئنان على تنفيذ ما أخبرتكم به إن شاء الله، وخلال اربع وعشرين ساعة غادر الأخ محمد

النجار عائدا للكويت كما جاء، أخبرت الأخوين عبد الله جبر ومحمد غنيم بهذه الرسالة ووجوب التحرك السريع لتنفيذ مضمونها.

قبل تنفيذ العمليات بعشرة أيام حضر كل من ياسر عرفات ومحمد يوسف النجار معا ولحق بهم خليل الوزير (أبو جهاد) قادما من الجزائر، وسليم الزعنون قادما من الكويت، ونزلوا بفندق بارك جرت لقاءات سريعة مع الرموز القيادية لحركة فتح في الضفتين خلال هذه الأيام من هؤلاء الإخوة عبد الله جبر ومحمد غنيم وهاشم أبو سردانة واحمد موسى الدلكي (الذي اجتمع به على انفراد) ورمضان البنا ومحمد أحمد ذياب (أبو لطفي) وخليل علي عودة (أبو إبراهيم) وأعاد عرفات على مسامعهم ما ذكره لي وبحضور الأخوين خليل الوزير ومحمد يوسف النجار وما قررته فتح في لقائها بالكويت في ١٨ / ١٢ / ١٩٦٤م من وجوب القيام بعمليات عسكرية موجعة للعدو داخل أرضنا المحتلة وللأسباب التي رأتها الأقلية، وقد أجمع الحاضرون في هذه اللقاءات على تبني هذا الرأي والعمل على التنفيذ في الموعد المحدد، وقبل التنفيذ بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩٦٤م عاد الأخ سليم الزعنون إلى الكويت والأخ محمد يوسف النجار إلى قطر وبقي الأخوان ياسر عرفات وخليل الوزير لمواصلة الإشراف العسكري على المجموعات المكلفة بالقيام بالعمليات حسب الخطة المرسومة.

وخلال أحاديثه العابرة أكد أبو جهاد أنه رغم الاتفاق على إعلان الثورة في اجتماع الصليبيخات على شواطئ الكويت تقرر أن تحمل البلاغات العسكرية في المراحل الأولى اسم قوات العاصفة وليس اسم حركة «فتح» وذلك من أجل المحافظة على سمعة هذه الحركة في حال الفشل وعدم القدرة على الاستمرار في العمليات العسكرية.

وتم اتخاذ الخطوات الآتية:

١. يتولى الأخ ياسر عرفات قيادة خطة الانطلاق ويساعده الأخ خليل الوزير وضع اللمسات الأخيرة على خطوات التنفيذ لسابق خبرته العسكرية أثناء اشتراكه في حرب الاستنزاف على قنال السويس وتخرجه من عدة دورات عسكرية في مصر.

٢. استنفار بعض خلايا فتح المتواجدة في الضفتين عن طريق مسؤوليها لتكون جاهزة لتنفيذ ما يطلب منها.

٣. نقل بعض الأسلحة والمتفجرات والألغام الموقوتة إلى مخابئ قريبة من حدود فلسطين وهي مواقع الانطلاق في الخطوط الأمامية وللعلم فإن الأسلحة المطلوبة للانطلاقة جاءت خلال

هذا العام من مصدرين الأول من الداخل حيث تم شراؤها عن طريق بعض تجار السلاح وهي قديمة الاستعمال وبعضها من مخلفات الحروب في صحراء مصر الغربية ونقلت عبر سيناء وهربت للضفة الغربية، والمصدر الثاني من الخارج تم التبرع بها وإدخالها بواسطة انصار فتح وأصدقاء رموزها في الدول العربية المجاورة.

الأجنحة والمجموعات والعمليات العسكرية التي بدأت بها انطلاقة حركة فتح:

أولاً: قامت المجموعة الأولى من الجناح الثالث بتنفيذ عملية نفق عيلبون بتاريخ ١ / ١ / ١٩٦٥م وكان ذلك مساء يوم الجمعة الموافق ١٧ رمضان وكانت المجموعة من التالية أسماؤهم وهم أبناء عمومة بالإضافة إلى دليل الدورية الذي كان بانتظارهم في الأرض المحتلة:

١. الشهيد أحمد موسى الدلكي – قائد المجموعة
٢. حسين إبراهيم الدلكي (حسين غورو) – نائب قائد المجموعة
٣. حسن حميدي الدلكي – مقاتل
٤. وحش إبراهيم الدلكي – خبير متفجرات
٥. محمد عبد الله الدلكي – مقاتل
٦. أبو إبراهيم – دليل الدورية.

خطة سير العملية:

أ. وصول مجموعة المجاهدين الخمسة إلى خربة ناصر الدين بالزي المدني وكان بانتظارهم العنصر الخامس وهو الدليل الذي كان متخفيا على شكل راعي مع بعض من أغنامه.

ب. الوصول بالقرب من كفر حطين مكان وجود النقطة الميتة المدفون تحتها الألبسة الخاصة بالعملية وحقيبة المتفجرات والأسلحة وهي عبارة عن بندقيتين سينوبال ورشاشتين كارول وحقيبة قنابل يدوية ومجموعة مخازن ذخيرة.

ج. الوصول إلى منطقة المجدال القريبة من شاطئ بحيرة طبريا وبعد التفتيش بين أشجار الشاطئ عن مكان مناسب للاستراحة والمبيت وبعد ترتيب الحراسة أمضى المجاهدون ساعات الليل الأولى على دراسة الخطة وتوزيع المهام ليعود الدليل مع أغنامه لمسح الآثار وتواعدوا معه على أن يلتقي مع المجموعة وهم في طريق عودتهم عند قرية الشجرة.

بداية تنفيذ العملية

١. تحركت المجموعة عبر الوادي المؤدي إلى عين رافيد، وتحت ثيابهم البدوية أخفوا الأسلحة والمتفجرات ومن بين شجيرات الوادي الكثيفة وصلوا إلى موقع العين ونصبوا كمينهم الأول تحضيراً للانتقال إلى الموقع.

٢. وعند حلول الظلام تم توزيع المهام فيما بينهم وأرسلوا أحد العناصر للاستطلاع ومراقبة الحراسة القائمة على موقع الهدف، وباشروا بتحضير المتفجرات والتأكد من سلامتها ومراجعة خطة التنفيذ بانتظار انقضاء منتصف الليل لحين عودة الراصد الذي أكد لهم أن الخطة المرسومة تسير على ما يرام وحدد لهم مواقع الحراسة القابعة في أماكنها لأن الليل كان بارداً جداً وأصبح الهدوء يسود المنطقة بعد نهاية الاحتفالات بقدوم العام الجديد.

٣. وصول عناصر التنفيذ إلى موقع الهدف، واتخاذ المجموعة كمينها، واستحكام كل مجاهد حسب موقعه في خطة الهجوم، وقبل آذان الفجر كان مهندس المجموعة قد أتم زرع المتفجرات عند جدار النفق وبين المضخات وتوربينات الطاقة الكهربائية وقد حدد توقيت التفجير لينطلق بعد ٤٥ دقيقة لكي تتمكن المجموعة من الانسحاب إلى المرتفعات شمال منطقة الهدف لمراقبة نجاح التفجيرات.

٤. وصول كامل عناصر المجموعة، وبعد ١٠ دقائق دوى صوت الانفجارات عالياً وشاهدوا أنوار النيران المشتعلة بالمحطة، ويبدو أن الحراس قد أصابهم الفزع لمدة ٢٠ دقيقة حينما بدأ صوت منبهات الإنذار يعلو وكان هذا مبشراً على نجاح العملية، وتمكنت المجموعة من التسلل عبر الوديان وخلف المرتفعات من شمال دير حنا وأتموا مسيرهم حتى وادي عربة ومن خلف جبل البطوف تفرقوا للوصول بأمان مستغلين قلة حركة السير على الطرقات باعتباره اليوم الأول من السنة الجديدة.

٥. نقطة الوصول عند موقع قرية الشجرة ليجدوا الدليل بانتظارهم وكان قد استطلع ما حدث ليلة التفجيرات وأخبرهم أن دوريات الجيش الإسرائيلي قد انطلقت من معسكر زيتيم باتجاه عيلبون، وبأن المروحيات العسكرية حلقت من معسكر يفنائيل، فقررت المجموعة أن تتحرك بسرعة للوصول إلى قرية زبوبا شمال مدينة جنين وعند حلول الظلام وعند أول الشريط الفاصل بين الضفة وحدود الـ٤٨ غادرهم الدليل لإخفاء الثياب والأسلحة وتفرقت المجموعة للعودة إلى قواعدها بشكل فردي، حيث أنهم لاحظوا أن الدوريات الأردنية شمال جنين قد ازدادت حركتها وتمكن ثلاثة مجاهدين من الوصول إلى قواعدهم سالمين باستثناء المجاهد أحمد الدلكي الذي

علم لاحقاً بأنه استشهد[٢٧].

ثانياً: قامت المجموعة الثالثة من الجناح الثاني بنسف خزان المياه ومحطة الضخ في دير نحاس بالقرب من قرية الدوايمة المحتلة عام ١٩٤٨م.

ثالثاً: تحركت قوة من المجموعة الثانية من الجناح الأول بقيادة جلال كعوش ومعه المناضل عطا احمد الدحابرة من مخيم عين الحلوة، ونسفت جسرا على طريق عكا – المنصورة في الجليل الغربي شمال فلسطين.

رابعاً: قامت قوة من المجموعة الثالثة بنصب كمين على طريق بئر السبع – إيلات وقد قتل ثلاثة جنود من العدو وكانت المجموعة بقيادة المقاتل مسمح سليمان البلوي من عشيرة البلوي من بئر السبع والمقاتل محمد سلامه ناصر أبو داهوك من عشيرة الجهالين.

وبعد أن عادت المجموعات التي قامت بتنفيذ العمليات باستثناء قائد عملية نفق عيلبون «أحمد موسى الدلكي» الذي استشهد أثناء عودته بعد تنفيذ العملية ليكون الشهيد الأول في الثورة الفلسطينية[٢٨].

اجتمع القائد ياسر عرفات بقادة المجموعات واستمع لتقرير شفوي منهم، ومن ثم طار إلى بيروت ومعه الأخ خليل الوزير لطباعة البيان رقم ١ بعد صياغته النهائية وتوزيعه على الصحافة ورجال الإعلام ووكالاته باسم العاصفة، وقد كان صدى نجاح هذه العمليات عاصفة حقيقية على العدو الصهيوني، وما أن جاء مساء ذلك اليوم حتى كانت وكالات الأنباء العالمية تردد أخبار هذه العمليات الجريئة وسط صمت إسرائيلي رهيب وحيرة عالمية حول هذه المنظمة الثورية الفلسطينية (العاصفة) التي لم يسمع باسمها من قبل ولا بظروف تشكيلها ولا رموز أفرادها وقادتها فضلا عن الأماكن التابعة لتواجدها ومصادر تمويلها وتسليحها..الخ.

واستطاع اللاجئون الفلسطينيون من تحويل نكبة العام ١٩٤٨، والسكن في خيام اللجوء إلى عمل جماهيري، ثم فدائي وسياسي ودبلوماسي، وصولاً إلى الأمم المتحدة، التي اعترفت بعضوية دولة فلسطين – عضو مراقب.

---

٢٧ يعرف بعض المؤرخين هذه المرحلة الفدائية المليئة بالكثير من الرومانسية والقليل من النتائج العملية الأولى لـ«فتح» فجر اليوم الأول من سنة ١٩٦٥م، وليس من شك في أهمية تلك العملية الكبيرة بمقاييس الأمس، والبسيطة بمقاييس اليوم، فهي التي أعلنت وشرعت العمل الفدائي دربا للتحرير– مقالة لزوجة شفيق الحوت/ المصدر– «بيان نويهض».

٢٨ أمّا أبطال عملية عيلبون، فمنهم من استشهد لاحقاً في عمليات أخرى مثل: الشهيد حسين غورو، الذي استشهد خلال القيام بعملية فدائيّة في العام ١٩٦٧، والشهيد وحش إبراهيم في العام ٢٠٠٥، الذي توفي بعد معاناة مع مرض السرطان، أمّا البقية فقد توفوا تباعاً، رحمهم الله.. ولم تكن عائلة الدلكي تشترك بالثورة فقط برجالها، بل بالعكس وضعت بيوتها لتكون مستودعات للأسلحة والذخائر والمتفجرات، وأولادها كانت تقوم بمهمة الاستطلاع ونسائهم كانت تقوم بنقل الأسلحة على رؤوسهم ونذكر منهم المناضلتين حمامة غورو شقيقة حسين غورو وعدلة زوجة وحش الدلكي التي كانت تنقل الرسائل والأسلحة.

بسم الله الرحمن الرحيم

منظمة التحرير الفلسطينية
حركة التحرير الوطني الفلسطيني

"فتح"
القيادة العامة لقوات العاصفة

أبطال عملية الانطلاقة الثورة الفلسطينية
مهندس العملية: ياسر عرفات
خليل الوزير (أبو جهاد)
قائد العملية: الشهيد أحمد موسى إبراهيم دلكي
المقاتل البطل حسين غورو الدلكي
المقاتل البطل حسن الحميدي الدلكي
المقاتل البطل وحش إبراهيم الدلكي
المقاتل البطل محمد عبد الله الدلكي

الشهيد الأول القائد أحمد موسى دلكي"
أول شهيد في الثورة الفلسطينية وحركة فتح "قوات العاصفة"
قائد وبطل عملية انطلاقة الثورة الفلسطينية وحركة فتح
"عملية تدمير نفق عيلبون"
٣١/ ١٢/ ١٩٦٤ – ١/ ١/ ١٩٦٥م

البلاغ العسكري رقم (١): الصادر عن القيادة العامة لقوات العاصفة

بسم الله الرحمن الرحيم

اتكالاً منا على الله وإيماناً منا بحق شعبنا في الكفاح المسلح لاسترداد وطنه المغتصب وإيماناً منا بواجب الجهاد المقدس.. وإيماناً منا بموقف العربي الثائر من المحيط إلى الخليج.. وإيماناً منا بمؤازرة أحرار وشرفاء العالم..

بذلك فقد تحركت أجنحة من قواتنا الضاربة في ليلة الجمعة ٣١/ ١٢/ ١٩٦٥م – ١/ ١/ ١٩٦٥م وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ضمن الأرض المحتلة وعادت جميعها إلى معسكراتها سالمة، واننا لنحذر العدو من القيام بأية إجراءات ضد المدنيين الآمنين العرب أينما كانوا لأن قواتنا سترد على الاعتداء باعتداءات مماثلة، وستعتبر هذه الإجراءات من جرائم الحرب، كما واننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأي شكل لان قواتنا سترد على هذا العمل بتعريض مصالح هذه الدول للدمار أينما كانت.

عاشت وحدة شعبنا وعاش نضاله لاستعادة كرامته ووطنه

التاريخ: ١/ كانون الثاني ١٩٦٥م

القيادة العامة لقوات العاصفة

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغ عسكري رقم (٢)

تلبية لنداء الواجب المقدس تجاه وطننا السليب، وإيمانا منا بحقنا المغتصب وبأن السبيل لاسترجاعه هو الثورة المسلحة فقد تحركت قواتنا في أرضنا المحتلة كما يلي:

١. قامت قوة ضاربة من المجموعة الأولى من الجناح الثالث بمهاجمة العدو منشآت تحويل نهر الأردن واستطاعت هذه القوات أن تصب أهدافها المحددة لها في كل من نفق عيلبون وسهل البطوف، وقد استشهد في هذه العملية مناضل واحد انضم لإخوانه في قائمة البطولة والشرف.

٢. واصطدمت قوة من لمجموعة الثالثة بمفرزة من جنود العدو على طريق بئر السبع – إيلات وقد قتل ثلاثة من جنود العدو في هذه العملية، وعادت القوة إلى وقواعدها سالمة.

٣. تحركت قوة من المجموعة الثالثة ونسفت خزان المياه ومحطة للضخ في بيت نخاس في المنطقة الجنوبية وعادت القوة إلى قواعدها سالمة.

٤. تحركت قوة من المجموعة الثانية (الجناح الأول) ونسفت جسراً على طريق عكا – المنصورة.

عاشت وحدة النضال لشعبنا المناضل

عاشت فلسطين حرة عربية

انتمائي إلى حركة فتح:

علمت عن نشاط حركة فتح لأول مرة من أحد أصدقائي وهو خالد يحيى الذي كان يعمل في سد زقلاب بمنطقة القليعات حيث أبلغني بأنه يلاحظ تسلل عدد من الفدائيين القادمين من سورية عبر تلك المنطقة وينفذون عمليات فدائية غرب النهر، بالإضافة إلى مجموعات أخرى تتسلل عبر مخاضة عبد سليمان القريبة من جسر المجامع ومنطقة القطاف – مخاضة الضابطي (في منطقة الشونة الشمالية في الأردن)، وبعد البحث علمت أن هؤلاء الفدائيين ينتمون إلى حركة تسمى «فتح» فاجتمعت مع عدد من شباب تنظيم الكرامة في حركة القوميين العرب وقررنا إرسال سعيد فودة الذي كان يدرس القانون في جامعة دمشق لتحري الحقيقة حول حركة فتح وأهدافها، وخلال وجوده في دمشق تعرف على عدد من قيادات فتح وعلم أن قيادة حركة فتح تسعى لبناء



قواعد ارتكازية سرية أخرى خارج سورية وخاصة في الأردن ولبنان وأطلع سعيد فودة قيادة حركة فتح بأمر مجموعتنا (تنظيم شباب الكرامة) وإمكانية اعتمادنا كقاعدة ارتكازية في بلدة الكرامة وغور الأردن، وعند عودته أبلغنا بكافة التفاصيل عن حركة فتح وأنها تنظيم وطني فلسطيني يسعى إلى ممارسة الكفاح المسلح ضد العدو الإسرائيلي، ونظرا للرغبة العارمة لدينا في النضال العملي بالسلاح من أجل تحرير الأرض المغتصبة، فقد انضمت المجموعة بالكامل وعددها (٦٥ عضواً)، وهكذا أصبحت عضواً في فتح اعتبارا من ١ / ١ / ١٩٦٦م وتم تكليفنا بالتمهيد لإقامة قواعد في المنطقة التي تمتد من الشونة الجنوبية إلى الشونة الشمالية، وفي تلك الفترة تعرفت على الإخوة أحمد صالح أبو سردانة «أحمد نفيسة» وأخيه محمد «أبو راشد» وهما من بلدة الفالوجة وكانا يعملان في مهنة صيد السمك وعند الحديث معهما تفاجأت أنهما منتظمين بحركة فتح، ويعملان بشكل سري، وكانوا مكلفين باستطلاع منطقة نهر الأردن.

حركة فتح والانطلاقة الثانية:

شنت إسرائيل عدوانها الموسع على الجبهات المصرية والسورية والأردنية في ٥–٦–١٩٦٧م واحتلت سيناء والضفة الغربية والجولان وخلال هذه الفترة جمدت قوات العاصفة عملياتها انتظاراً لتهيئة الأجواء لإشعال حرب التحرير الشعبية داخل الوطن المحتل. وعقدت حركة فتح اجتماعا في دمشق بتاريخ ١٢و١٣ / ٦ / ١٩٦٧م ضم العديد من القيادات لمناقشة إمكانية تصعيد الكفاح المسلح، وخلال هذا الاجتماع جرى تفريغ الإخوة محمد يوسف النجار، عبد الفتاح الحمود وصلاح خلف للعمل الحركي، وتقرر البدء في جمع السلاح من مخلفات الجيوش العربية في سيناء والضفة الغربية والجولان، والقيام بجمع التبرعات من الفلسطينيين العاملين خارج الوطن، وتولى هذه المهمة الإخوة محمد يوسف النجار، وكمال عدوان، ومحمود عباس، وخالد الحسن، وسعيد المسحال، كما تقرر إنزال ياسر عرفات على رأس مجموعة فدائية إلى الأرض المحتلة لبناء قواعد إرتكازية للعمل الفدائي.

وعقد اجتماع بمنزل خليل الوزير بدمشق في أوائل شهر ٧ / ١٩٦٧م لمناقشة التقارير الواردة من الداخل حول البدء بحرب التحرير الشعبية[٢٩]. وبموجب ذلك وبتوصية من ياسر عرفات أعلنت قوات العاصفة أنها نقلت مقرها إلى داخل الأراضي المحتلة وعليه انتقل ياسر

---

٢٩ عصام عدوان: حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، رسالة ماجستير (غير منشورة) ١٩٩٨، ص١٧٨.

عرفات للعمل كقيادة مباشرة للعمل التنظيمي والعسكري السري داخل الوطن المحتل، وأقام مقر قيادته في القدس، ثم في حي القصبة بنابلس، وعمل على تشكيل خلايا داخلية من السكان المناصرين للمقاومة(٣٠).



كمال عدوان، أبو يوسف النجار، أبو عمار

وبدأت موجات الأمل تزحف إلى فلسطين المحتلة لتبدد بعطائها وضيائها عتمة الإحباط، وظلمة الهزيمة، وتركزت جهود فتح في هذه المرحلة على أربعة محاور أساسية:

أولاً: جمع السلاح وتوفيره وتخزينه في الأرض المحتلة قبل أن تصله أيدي العدو.

٣٠ ضمت الدورية التي رافقت أبو عمار في دخوله إلى الضفة الغربية: أبو علي المدني، عبد الإله العلاوي، أحمد قمحية، محمود أبو راشد، أبو إدريس، عمر أبو ليلى (مجاهد)، عبد العزيز شاهين، عبد الحميد القدسي، منصور أبو دامس، عبد الله السوري، محمد علي عمران، نزيه ضبان (الضبع)، وكان دليل الدورية عبد الجليل. عبرت الدورية إلى الضفة الغربية من خلال مخاضة (مرج نفحة) في نهر الأردن، وأول ما وصلت إلى عشيرة الدواوسة (أبو دواس) الذين استقبلوها بالترحاب ثم انتقلت إلى منطقة الزبابدة إلى جبال قباطية الغربية حيث استقبله عزت أبو الرب (خطاب)، وبعدها وصلت الدورية إلى جنين حيث استقبلت الأخت تودد عبد الهادي أبو عمار ثم استقرت الدورية في نابلس حيث طلب أبو عمار من أعضاء دوريته التوجه إلى بيت فوريك فيما انتقل هو إلى القدس ونزل في بيت إبراهيم الشنطي، ورافق أبو عمار خلال جولاته في القدس عبد الحميد القدسي، ومن القدس انتقل أبو عمار إلى مدينة رام الله بضيافة هشام السعودي وتولى بعدها مصطفى عيسى (أبو فراس) تنقلاته، (المصدر: مصطفى الأسعد).

ثانياً: هو العمل الحثيث لبناء قواعد التنظيم في الداخل وزرع الخلايا والوحدات التنظيمية السرية على امتداد خريطة الوطن المحتل بطوله وعرضه.

ثالثاً: هو بناء القواعد العسكرية السرية والقواعد الارتكازية للثورة في كافة ربوع الوطن.

رابعاً: هو العمل التعبوي والتحريض الثوري لأوسع قطاعات الجماهير الفلسطينية لاستنهاض روح المقاومة والتحدي ومجابهة نزعة الاستسلام التي كان العدو يعمل على بثها بين المواطنين.

في تلك الأثناء كانت كوادر فتحاوية تجوب مرتفعات الجولان السورية حيث جمعت كميات من السلاح الذي خلفه الجيش السوري عند انسحابه، وقامت فتح بتسليم تلك الأسلحة إلى الجيش السوري، إلا أن تطورا مفاجئا لدى القيادة السورية أدى إلى إبلاغ حركة فتح بالتوقف عن جمع الأسلحة.

واجتمعت قيادة فتح الموجودة في سوريا في ٢٠ / ٨ / ١٩٦٧م لمناقشة التقارير المرسلة من أبي عمار من داخل الأرض المحتلة والتي تفيد بضرورة تصعيد العمليات العسكرية لتتزامن مع ردود الفعل عليها مع انعقاد القمة العربية في الخرطوم (٢٩ / ٨ / ١٩٦٧م) لتأكيد قيادة حركة فتح للنضال الوطني الفلسطيني. وبالفعل في تلك المرحلة تم تنفيذ عملية في غزة يوم ٢٨ / ٨ / ١٩٦٧م[٣١] وبناء على تقارير حركة فتح داخل الأراضي المحتلة تم تحديد هدف اقتصادي بضواحي مدينة الناصرة هو مصنع سيارات دودج، وتحركت دورية من تنظيم الأردن سراً إلى الأغوار وعبرت نهر الأردن ليلاً سباحة ثم سلكت طريقاً وعراً بين الأشجار البرية وصولاً إلى مغارة في غابة عرب الصبيح والتي كانت مستودعا للأسلحة والمتفجرات، ثم كمنت المجموعة[٣٢] على مقربة من (كفر كما) الشركسية ومستعمرة بيت كيشت الإسرائيلية، وبعد

٣١ يقول زهير الوزير إن قوات العاصفة دشنت انطلاقتها الثانية بعد هزيمة ١٩٦٧م بعملية فدائية ضد دورية لجيش الاحتلال في مدينة غزة يوم ١٩٦٧/٨/٢٨م بالتزامن مع انعقاد القمة العربية في السودان يوم ١٩٦٧/٨/٢٩م، في رسالة من حركة فتح إلى القمة، كما يذكر أبو جهاد كذلك الجهد الهائل الذي بذل في تلك المرحلة لبناء وتثبيت القواعد الارتكازية للثورة الفلسطينية على الضفة الشرقية لنهر الأردن التي لعبت دوراً أساسياً في تطور الثورة الفلسطينية بشكل عام والكفاح المسلح بشكل خاص، حيث دخل هذا الكفاح مرحلة جديدة من مراحل التصعيد على المستويين الكمي والنوعي، وكانت أبرز نتائجه الفعلية معركة الكرامة يوم ١٩٦٨/٣/٢١م.

٣٢ عناصر مجموعة تفجير مصنع دودج: ١- أبو أكرم الصبيحي محمد شهاب، ٢- محمود صالح أبو الهيجاء (أبو فتحي)، ٣- محمد إبراهيم أبو خليل (عبود)، ٤- عمر سويطي (أبو حميد)، ٥- يوسف فياس، ٦- حسن أبو عريشة، ٧- شريف يونس (من تنظيم الداخل)، ٨- طارق الجماعيني (دليل الدورية في الداخل)، ٩- رياض عواد، ١٠- علي بديوي (أسد بغداد).

الساعة الثانية ظهراً من يوم ١٣ / ١٠ / ١٩٦٧م وصلت سيارتان نقلتا المجموعة إلى الناصرة، وانتظرت المجموعة حتى التاسعة ليلاً ثم شنت الهجوم على المصنع.

وخلال انعقاد جلسات مؤتمر القمة العربية في الخرطوم أعلن وفد حركة فتح انسحابه من المؤتمر احتجاجا على ما ورد في البيان الختامي الذي تجاهل المذكرة التي قدمتها فتح وتتضمن ستة مبادئ أساسية يجب أن يرتكز عليها أي حل للقضية الفلسطينية وأكدت أنه لا يحق لأي دولة عربية أن تنفرد بقبول أي حل للقضية الفلسطينية.

وكان من نتائج تصعيد الكفاح المسلح، تنامي الوعي الجماهيري الفلسطيني بحركة فتح وأهدافها، وتبلور هذا الوعي يوم ١٤ / ١٢ / ١٩٦٧م حين تقدم سبعة أعضاء في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ببيان يطالبون باستقالة أحمد الشقيري رئيس المنظمة آنذاك[٣٣]. والأعضاء السبعة هم: عبد الخالق يغمور، بهجت أبو غربية، أسامة النقيب، يحيى حمودة، وجيه المدني، نمر المصري ويوسف عبد الرحيم، وكان لذلك البيان أثره في تقديم الشقيري لاستقالته[٣٤] من رئاسة المنظمة رسميا يوم ٢٤ / ١٢ / ١٩٦٧م وقبلتها اللجنة التنفيذية وكلفت يحيى حمودة القيام بمهامه مؤقتا، وهذا الحدث يؤكد أن حركة فتح قد أصبحت في الواجهة للبدء بقيادة مسيرة الكفاح الوطني الفلسطيني.

---

٣٣ أحمد الشقيري (١٩٠٨ – ٢٥ فبراير ١٩٨٠م) شخصية سياسية فلسطينية، والده أسعد الشقيري مفتي الجيش الرابع العثماني. التحق بالجامعة الأميركية في بيروت، وطرد بسبب قيادته مظاهرة احتجاجاً على الوجود الفرنسي في لبنان، وابعدته السلطات الفرنسية عام ١٩٢٧م. ثم التحق بمعهد الحقوق في القدس. بين عامي ١٩٣٦ و١٩٣٩ م شارك في أحداث الثورة الفلسطينية الكبرى، ونشط في الدفاع عن المعتقلين. شارك في مؤتمر بلودان في أيلول ١٩٣٧م فلاحقته السلطات البريطانية، فغادر إلى مصر. ـ مديراً لمكتب الإعلام العربي في واشنطن، ثم مديرا لمكتب الإعلام العربي المركزي في القدس حتى عام ١٩٤٨م حيث هاجر إلى لبنان. اختير من الحكومة السورية ليكون عضواً في بعثتها لدى الأمم المتحدة عام ١٩٤٩/ ١٩٥٠. عاد بعدها إلى القاهرة وشغل منصب الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية حتى عام ١٩٥٧م. اختير في السعودية ليشغل منصب وزير الدولة لشؤون الأمم المتحدة، ثم عين سفيراً دائما للسعودية في الأمم المتحدة. بعد وفاة أحمد حلمي عبد الباقي ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية عين الشقيري في المنصب. في اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني الأول (٢٨ مارس إلى ٢ يونيو ١٩٦٤م) انتخب الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية وتولى وضع أسس العمل والأنظمة في المنظمة واشرف على إنشاء الدوائر الخاصة بها وتأسيس مكاتب لها في دول العالم واشرف على بناء جيش التحرير الفلسطيني. وعلى اثر هزيمة ١٩٦٧ ظهرت خلافات بين أعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة، فقدم الشقيري استقالته في ديسمبر ١٩٦٧م، وتم انتخاب يحيى حمودة رئيساً للجنة التنفيذية بالوكالة. أقام في القاهرة بعد استقالته، وعندما وقع الرئيس السادات معاهدة السلام مع إسرائيل غادر القاهرة إلى تونس. وبعد عدة أشهر أصيب بالمرض، ونقل على إثر ذلك إلى مدينة الحسين الطبية في عمّان، توفي في ٢٥–٢–١٩٨٠م عن عمر ناهز الـ ٧٢ عاماً. وبناءً على وصيته، دفن في مقبرة الصحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح في غور الأردن التي تطل على فلسطين. وحضرت برفقة الأخ خليل الوزير من بيروت إلى عمان خصيصاً للمشاركة في الجنازة.

٣٤ جريدة الأهرام المصرية القاهرة ٢٥/١٢/١٩٦٧م.



بعد عودة ياسر عرفات من مهمته داخل الأرض المحتلة بأسابيع في أواخر عام ١٩٦٧م قام الصحفي المعروف محمد حسنين هيكل بترتيب لقاء له مع الرئيس جمال عبد الناصر حيث طلب منه (إشعال حرائق في المنطقة) فقال له عرفات (بل سأشعل ثورة) حينها قال عبد الناصر أن الثورة الفلسطينية أنبل ظاهرة وهي وجدت لتبقى، فأضاف أبو عمار (ولتنتصر).

قواعد العاصفة في الأغوار:

خطة حركة فتح لإعادة البناء في الداخل تطلبت وجودا قويا داعما في الخارج، وقريبا من خطوط الاختراق، وذلك للنقل السريع للمقاتلين والمعدات، بدلا من إرسالهم من سوريا إلى الأردن بدون دعم لنقلهم إلى الداخل ومن هذا المنطلق بنت الحركة القواعد الآتية:

١. قاعدة أبو صبري صيدم.

٢. قاعدة صلاح التعمري – كانت قاعدته تهدف إلى تجميع أكبر عدد من الأشبال لتعبئتهم وتدريبهم وكانت مهمته الأولى تعبوية أكثر منها عسكرية.

٣. قاعدة وليم نصار.

٤. قاعدة عبد الإله الأثيري.

٥. قاعدة وليد أبو نضال شمال الكرامة.

وكان تنظيمنا يقوم برصد ومتابعة جميع الوافدين من الضفة الغربية حين اتضح لنا أن الجيش الأردني قام ببناء جسرين عسكريين جسر اسماه (المندسة) والجسر الثاني اسماه (أم الشرط) وهما جسران عسكريان وقد قام الجيش الأردني بتدميرهما أثناء حرب ١٩٦٧م وبقيت بعض أجزاء منهما، بحيث أن كثيراً من الأشخاص العاديين كانوا يقومون بالتهريب عبر الجسور – فكنا نرصدها وذلك بناءً على طلب أبو صبري، وكم من الكوادر قاموا بالعبور للضفة الغربية عبر هذه الجسور ومع تطور الوجود الفدائي في منطقة الأغوار بدأ الناس يحسون بأن احتمالات القضاء على الفدائيين وقواعدهم الناشئة في الأغوار قد تراجعت، واعتبروا هذه التطورات إنتصاراً رمزياً لصمود الفدائيين؛ ولهذا بدأت حركة تطور واندفاع نحو الانضمام للثورة وتزايد عدد المتطوعين يوما بعد يوما حيث جاء أبو عمار وأبو صبري بزوارق صغيرة

وحديثة من لبنان بدأت تنقل الدوريات بشكل مستمر[٣٥].

تنظيم حركة فتح في الكرامة:

وبالعودة إلى تحركاتنا في الكرامة خلال تلك الفترة تعرفت على الرائد فايز حمدان «الرائد خالد» الذي حضر إلى الكرامة في بيت الصديق الدكتور توفيق رمضان الذي كانت تربطني به علاقات عائلية، وكان أحد قيادات حركة القوميين العرب ويعمل طبيباً في وكالة الغوث وبدأت بالعمل مع الرائد خالد الذي امتاز بالإخلاص والتفاني وبقدر متميز من الأخلاق، وبالتعاون مع كوادر تنظيمنا المسمى (تنظيم الكرامة) كون جميع عناصره من سكان البلدة، بدأنا بإرسال الشباب للتدريب في معسكر الهامةبسوريا ومن ضمن هؤلاء كان (٥٥ شابا) من تنظيم حي المصاروة بجبل عمان، عادوا إلى منطقة الكرامة بعد أن أنهوا دورتهم التدريبية حيث تمركزت قاعدتنا وحلفاؤنا عند دكان خليل عليان "أبو الشيخ" الذي كان أحد أعضاء تنظيمنا المميزين.

وبناءً على طلب القائد ممدوح صيدم "أبو صبري" الذي كان مسؤولا عن إنزال الدوريات من الضفة الشرقية للأردن إلى الضفة الغربية، وكنا نؤمن احتياجات دوريات العبور ومنها الحبال اللازمة لاجتياز نهر الأردن وكان يسمى عند المزارعين "الشريعة" حيث ارتفاع المنسوب وازدياد سرعة تدفق الماء في نهر الأردن خلال فصل الشتاء.

وكانت الأسلحة تصل إلينا في الكرامة بأمر من خليل الوزير وأبو علي إيادعبر دوريات تنقلها إلى الحدود السورية الأردنية، وبعدها يتم تجميعها داخل الحدود الأردنية في منطقة (الحمرا) بإشراف إبراهيم صيدم "أبو الخل" وبالتنسيق مع ممدوح صيدم "أبو صبري" وبمساعدة

---

٣٥ يقول المناضل العقيد خالد محمد طنطش (خالد القدسي) إنه فوجئ بعد عودته لقاعدته في القطاع الأوسط في السلط بعدة أيام أن أبا عمار يطلبه إلى مكتبه في (الـ ٢٣) بدمشق وبحضور الإخوة أبو جهاد وأبو ماهر غنيم ويبلغه بأن ما طلبه وإخوانه في القاهرة من أبي اياد وأبي اللطف سوف يتحقق، وقال له ارجع إلى موقعك وابدأ في اختيار أربعة عشر كادراً ممن تنطبق عليهم المواصفات للسفر إلى ألمانيا الشرقية وعدت إليه بعد عدة أيام في مكتب (الـ ٣٦) في دمشق ووجدته متوعكاً وكان برفقتي أربعون مقاتلاً أدخلتهم بطريقة عسكرية لائقة ليسلموا عليه فتحدث لي قائلاً: إن شاء الله ترجعون من ألمانيا رجال بحر أكفاء وأشداء، وهنا تدخل علي ظاظا من الاستخبارات السورية قائلا: هل ستذهبون في دورة إلى ألمانيا فقال أبو عمار له نعم وهم نواة للبحرية الفلسطينية فقال له فوراً: إن لدينا دورة في اللاذقية ويدربها ضباط روس أكفاء، اقترح إرسالهم بطرفنا= وهذا= سيرفع نسبة المشاركين، وعلى الفور وافق الأخوة جميعاً أبو عمار، وأبو جهاد، وأبو علي إياد، وتحركنا إلى اللاذقية، حيث وصل عدد أفراد الدورة إلى سبعين كادر في نهاية ١١-١٩٦٨م، من أعضاء تلك الدورة تيسير حسن منصور (أبو العز) وهو الآن في شرطة رام الله والمقدم أحمد نمر (جلال) وهو في الشرطة البحرية وعصام البليدي (أبو عدنان) ويؤكد الأخوة في البحرية ومن عاشوا البدايات أن سوريا لعبت دوراً هاماً في تدريب وتطوير البحرية، ويضيف المقدم ناجي أحمد يوسف للحق أنها ساعدتنا في كل مرحلة التأسيس. وكان ذلك قد تم خلال الأعوام ١٩٦٨-١٩٧٠ (المصدر: منتديات المطاريد ٢٠٠٩/٣/٢٩م).



من الإخوة في الجيش العراقي الذين كانوا في تلك المنطقة، وتولت قوات صلاح الدين العراقية دون علم قيادتها نقل السلاح من منطقة الحمرا إلى الكرامة.

ويتحدث الملازم عفيف أبو الرب "فراس" : كنت مع زميل لي اسمه محمد أبو وردة (جمال الجزائري) في الجيش العراقي[٣٦] وأثناء إجازتي حضرت من العراق حيث كنت اسكن في بلدة وقاص– الشونة الشمالية، وتعرفت على الأخوة: أحمد سلامه، حمد سلامه، أبو خالد علاري، محمد الزير، أحمد الزير، حيث عرضوا علي الانضمام إلى حركة فتح، وفعلا انتظمت بحركة فتح وبقيت في الجيش العراقي في منطقة أربيل. وأثناء حرب عام ١٩٦٧م جاءت قوات بعد ثلاث أيام من المعركة بتاريخ ٨ / ٦ / ١٩٦٧م، وخيمت في المفرق على طريق مكتب الجمارك، حيث كانت قيادة الفوج العراقي وكان من بين القوات أنا وزميلي الملازم محمد أبو وردة حاولت الكتيبة العراقية التقدم شرق البحر الميت ففشلت وأخذت موقعا لها حول الإذاعة الأردنية (منطقة ناعور). خلال الفترة ٧–٨ / ١٩٦٧م عادت الكتيبة إلى منطقة المفرق عند الحمراء[٣٧]. في هذه المنطقة تسلمنا أنا وزميلي محمد أبو ورده فصيل حجاب حيث جاء إلى منطقتنا سائق سيارة كان يحمل بسيارته أسلحة ومجموعة أفراد حين تم الحديث معهم عرفنا أنهم من حركة فتح، وكان يقود السيارة شخص اسمه السيد، وفي فترة لاحقة جاء نفس السائق وكان هذه المرة معه أبو عمار وبعض الأشخاص، وخلال اجتماعنا مع أبي عمار حدثنا قائلاً أننا بحاجة إلى بعض الضباط ليكونوا بصفوف ثورتنا وبعد أن أقنعنا قمنا بتقديم استقالتنا من الجيش العراقي والتحقنا فورا بحركة فتح، حيث عاد أبو عمار إلى دمشق ولحقنا به هناك وتوجهنا إلى معسكر الهامة. وعند وصولنا كان هناك الأخوة: أبو اللطف، أبو علي إياد، هاني الحسن، مصطفى الجزائري، وأبو الليل (الأسمر) كان ينقل أسلحة على الخيل من سوريا إلى الحمراء، ونزيه ضبان «الضبع» كان ينقل مقاتلين من الهامة إلى الحمراء.

---

٣٦ فتحت الكلية الحربية العراقية ببغداد دورة ضباط عام ١٩٦٤ لأبناء فلسطين بلغ عددهم ٨٤ منهم: عفيف أبو الرب، خليل قدسية، خالد السيد، حسين أبو الهيجاء، نعيم راجح منصور، عبد المجيد يوسف، عمر فريد، عبد الرحيم مدلل، إسماعيل صرصور، علي سعود، بشير حايك، راتب حايك، محمد أبو وردة «جمال الجزائري»، جميل أبو الرب، لبيب قدسية، محمد بستوني، مروان وآخرون، بعد تخرجهم التحق جزء منهم بدورة صاعقة وعددهم ٤٠، ودورة شؤون عسكرية وعددهم ٤٢، والتحق ٣٥ ضابط الى قوات القادسية وخمسة ضباط إلى الجيش العراقي منهم بشير حايك وعفيف أبو الرب ومروان ومحمد أبو وردة (جمال الجزائري) وآخر، التحقوا بالفرقة العراقية الأولى فرقة المغاوير وقيادتها مدينة أربيل.

٣٧ تقدمت القوات العراقية ودخلت الأردن بناء على طلبه نتيجة اتفاقية الدفاع المشترك والتي تقتضي أنه وفي حالة وجود خطر حرب داهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها، تبادر الدول الموقعة على الاتفاقية على الفور إلى توحيد خططها ومساعيها في اتخاذ التدابير الدفاعية.

ومن الجدير بالذكر فإن أبو عمار أصدر قراراً بتعييننا في بلدة الكرامة حيث كان القرار موجهاً للرائد خالد الذي كان قائداً للمنطقة، فتم تعييني نائبا له وتم إرسال محمد أبو وردة ليكون قائدا لمنطقة المشارع ووادي اليابس، ومن الجدير بالذكر أنه كان لالتحاق الإخوة عفيف أبو الرب «فراس» والملازم محمد أبو وردة بحركة فتح الأثر الكبير خاصة في منطقة الأغوار لأننا كنا بحاجة ماسة للضباط خريجي الكليات العسكرية.

استشهاد عبد الفتاح الحمود ٢٨-٢-١٩٦٨م:


عبد الفتاح الحمود

في تلك الفترة فجع الشعب الفلسطيني بنبأ استشهاد عبد الفتاح الحمود عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، وسأورد هنا ما ذكره ياسر عرفات عن الحادثة قائلاً: «قبل استشهاده كنت انتظر وصوله إلى نقطة الحمراء (قرية بالقرب من المفرق) على الحدود بين الأردن وسوريا، كان من المفروض أن ينقلني بسيارته إلى الكرامة، ولكنه تأخر.. وبعد ذلك وصل ضابط عراقي وقال أن هناك حادثة بين سيارة وشاحنة وقد مات السائق، وسألناه عن لون السيارة وماركتها فقال لا أعرف.. وبدأنا نقلق عليه بسبب التأخير ثم توجهنا إلى مكان الحادث فوجدنا سيارة مهشمة وعرفنا أن صاحب السيارة كان عبد الفتاح الحمود، ونقلوه إلى مستشفى المفرق، وانتظرنا إلى أن انتقل الجثمان إلى منزله في مدينة الزرقاء، ودخلت وكنت مصراً على طبع قبلة على جبينه، وقد فعلت ذلك رغم اعتراض بعض الناس بأن هذا لا يجوز وكانت زوجته أم صلاح حاملا، وقد تم تسمية المولود «صلاح» تيمنا بالعلاقة الوطيدة والصداقة الحميمة التي كانت تجمعه مع صلاح خلف «أبو إياد»». وأقيمت للشهيد جنازة كبرى في العاصمة الأردنية عمان حيث شيعته الجماهير الحاشدة في أول بادرة تشير إلى تعاظم التأييد الشعبي للعمل الفدائي(٣٨).

٣٨ ولد عبد الفتاح عيسى الحمود في قرية «التينة» قضاء الرملة عام ١٩٣٣م، هاجر مع اسرته (والدته وإخوته) عام ١٩٤٨م إلى غزة ذلك أن والده كان قد انتسب إلى الجيش الأردني واستقر عمله في مخيم عقبة جبر، وفي غزة أكمل دراسته الثانوية ثم سافر إلى القاهرة ليكمل دراسته في الجامعة بكلية الهندسة – قسم البترول، وخلال سنوات دراسته تزوج يوم ١٢/٧/١٩٥٤م ثم عاد لإكمال الدراسة حيث تخرج عام ١٩٥٧م، وبعد تخرجه توجه إلى مخيم عقبة جبر وعمل مدرسا لفترة محدودة في مدارس الانروا ثم انتقل للعمل في السعودية مهندسا للبترول في الدمام، ثم عمل مع شركة الزيت العربية الأمريكية (ارامكو) في الظهران، وبعد ذلك اشتغل مع شركة شل (قطر) نائبا لرئيس قسم العمليات البحرية حيث أرسلته الشركة في دورة تدريبية عام ١٩٦٦م إلى بهولندا. بدأ حياته منخرطا في الأخوان المسلمين، وأسهم بشكل رئيس في تأسيس رابطة الطلاب الفلسطينيين في القاهرة، وشغل منصب نائب الرئيس لخمس سنوات، شكل مع كمال عدوان اللبنة الأولى لتنظيم فتح في السعودية. انعقد المؤتمر الأول لحركة فتح وحضره عبد الفتاح الحمود وتحدث بإسهاب عن الثورة ومقتضياتها والتضحيات التي يفترض أن تقدم من اجل نجاحها وتحقيق أهدافها، وكان حديثه تمتلئ مصداقية وجدية أثارت إعجاب الحاضرين، ولفتت النظر إليه وقدمته لمن لم يعرفه في الماضي كقائد ومسؤول قادر على أن يتحمل المسؤولية، وفي المؤتمر انتخب عضوا في اللجنة المركزية وأوكلت إليه مهمة «أمين سر إقليم الأردن». استقال من عمله في شركة شل بقطر شهر (١٠/١٩٦٧م) ووضع أولاده وزوجته في سيارة الفولكس فاجن التي يملكها بعد أن باع أمتعته الشخصية، وعاد إلى مدينة الزرقاء يوم ٩/١٠/١٩٦٧م ونزل في بيت والده، حيث استقر هو وزوجته وأولاده الخمسة في غرفة واحدة كتب يصفها لأحد أصدقائه فقال: «هل تعلم بأنني لا زلت أعيش بأولادي الخمسة وزوجتي في غرفة واحدة نتقاسم بلاطاتها لنفرش عليها الفرشات عندما يأتي الليل ولكنها في نفوسنا جميعا أوسع من بيتنا في الدوحة، وأن أم صلاح اعتقد أنها ستتأقلم مع الحياة الجديدة، قد تتبرم بعض الشيء ولكن لا حيلة بيدي أو بيدها، فأنا مصمم على هذا النهج من الحياة وهذا الأسلوب من العيش، عمري ٣٥ عاما ولكنني أحس أنني ولدت من جديد، لكنني انمو بسرعة كبيرة» وفي رسالة أخرى لأحد الأخوة بتاريخ ١٧/١٢/١٩٦٧م قال: إنها حياة جديدة هذه التي بدأتها الآن، إنني بدأت العام الماضي الأسود الذي أغرقني في الريالات الزائفة. لقد كان شعاره طلقة على الحدود خير من ألف كلمة تقال» وكان على قناعة تامة بالثورة الشعبية وحرب الشعب، وبهذا الخصوص قال: «في الخامس من حزيران برهان على أن الجيوش يمكن أن تهزم والأنظمة تتهاوى، ولكن الثورة الشعبية وحرب الشعب مهما كانت الصعاب في طريقها لا يمكن أن تهزم، الآن الأٍنظمة في حالة سقوط والشعب في حالة نهوض وعلى الطليعة أن تمسك بالفرصة السانحة».و كان عبد الفتاح الحمود في تلك الأيام قد أصبح متفرغاً في حركة فتح، لكنه بعد أن صدر القرار بتفريغه قال: «أخشى ما أخشاه في المستقبل أن يتحول التفرغ للعمل النضالي إلى وظيفة أو وسيلة لكسب العيش وبدلا من أن تكون تضحية تصبح مكسبا ومغنما، وهذا سيفرز طبقة نفعية همها المحافظة على مكتسباتها ومواقعها بدلا من أن تتسابق لإحراز إحدى الحسنيين». استشهد في حادث سيارة بالقرب من المفرق على الحدود بين سورية والاردن في ٢٨-٢-١٩٦٨م.



عبد الفتاح الحمود مع صلاح خلف «أبو إياد»



صلاح خلف، عبد الفتاح الحمود

الموقف الأردني من العمل الفدائي في بداياته:

كان موقف الحكومة الأردنية من العمل الفدائي إلى ما قبل حزيران ١٩٦٧م منسجماً مع الموقف العربي العام، (باستثناء سورية في ظاهر الأمر) وكانت الدول العربية متفقة ضمنا على معارضة النشاط الفدائي لسببين:

أولاً: إن هذه الدول كانت تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية[٣٩] التي أخذت عن عاتقها تنظيم نشاطات الفلسطينيين من الناحيتين السياسية والعسكرية.

ثانياً: القرارات التي توصلت إليها مؤتمرات القمة العربية قبل حرب حزيران والتي كان من جملتها عدم تشجيع العمل الفدائي حتى لا يتخذ العدو منه ذريعة للقيام باعتداءات على الدول العربية.

ومن هنا فقد كان موقف الأردن من العمل الفدائي هو موقف الالتزام بمقررات مؤتمرات

٣٩ الفضل الأول في ولادة منظمة التحرير الفلسطينية يعود إلى الدور المصري بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر ودوره القومي في إقناع أكثر من دولة عربية للاعتراف بالكيان الفلسطيني الجديد، منظمة التحرير الفلسطينية، والحق يقال كذلك إن الفضل أيضا يعود للمرحوم أحمد الشقيري الذي انتهز فرصة صدور قرار القمة العربي الذي عقد في القاهرة يوم ١٩٦٤/١/١٣م بهذا الصدد، فبادر إلى تنفيذه (أسامة محمد أبو نحل ومخيمر سعود أبو سعدة، جامعة الأزهر، غزة- ٢٠٠٧/١٠/٢م، منظمة التحرير الفلسطينية، قراءة جديدة.



القمة العربية التي أخذت بعين الاعتبار تقدير المصلحة العربية العليا وتنسيق الموقف العربي العام ضمن مقتضيات المسؤولية الجماعية حسب رؤية الأنظمة العربية الرسمية.

ثم جاء العدوان الإسرائيلي في ٥ /٦ /١٩٦٧م وفي هذا المناخ وجد العمل الفدائي فرصة مواتية للظهور في حلبة الصراع، وهنا استجمعت الذاكرة صور المقاومة الناجحة التي خاضتها الشعوب المقهورة على أعدائها، من تدمير طرق مواصلات العدو وضرب مواقعه الحيوية وزرع الفزع في قلوب جنوده حتى تجعل احتلاله للأرض وبالا عليه وتجبره للتراجع عن مواقعه خطوة بعد أخرى. وأخذ الفدائيون يقومون بغاراتهم ضد العدو في الأرض المحتلة، ولكن النظرة العربية العامة للعمل الفدائي كانت في بادئ الأمر مشوبة بالقلق والتردد، بعيدة عن الحماسة والاندفاع.

وعلى الرغم من قصف مدافع العدو وغارات طائراته واعتداءاته المتكررة على مواقع الجيش الأردني ومعسكراته وعلى القرى والمزارع الأردنية ففي ظني أن الحكومة الأردنية والجيش والشعب الأردني، كل هؤلاء فتحوا صدورهم وأذرعهم للفدائيين وقدموا لهم كل مساندة وحماية أملا في أن يشتد عود العمل الفدائي وتكتمل بنيته ويصبح رفيق مسيرة مشتركة في درب التحرير والكفاح، وقد تمثل الموقف الأردني من الوجهتين الرسمية والشعبية في الآتي:

أولا: منح العمل الفدائي الدعم المعنوي إلى أقصى حد ممكن وكان موقف الأردن الرسمي نابعا من الأمل في تعميق الأخوة وترسيخها عن طريق التضحية والمشاركة الإيجابية الصامتة دون اللجوء إلى إعلان ظاهري أو مزايدات كلامية.

ثانياً: تقديم الدعم العسكري من قبل الجيش الأردني إلى فصائل المنظمات الفدائية (وخاصة فتح) وكان ذلك على النحو الآتي:

أ – تقديم معونات لوجستية ومواد تموينية.

ب – تمهيد عمليات العبور عبر نهر الأردن وإسداء التوجيه وتقديم الإسناد ثم تغطية عمليات الانسحاب إذا اقتضى الأمر ذلك.

ج – تقديم الدعم المعنوي من قبل كافة وحدات الجيش على خط المواجهة.

ثالثاً: وضع الأرض الأردنية بكاملها تحت تصرف العمل الفدائي تمارس فيها المنظمات الفدائية حرية مطلقة في العمل والحركة والإعداد والحشد.

رابعاً: منح الحركة المطلقة للعمل الفدائي كي يمارس نشاطه السياسي والتعبوي والتنظيمي

في جميع المدن والقرى ومضارب القبائل.

خامساً: منح الحرية التامة للمنظمات الفدائية في جمع التبرعات من مختلف فئات المواطنين ومن جملتهم موظفي الحكومة والسماح بدخول السيارات التابعة للمنظمات أو التي تحمل معونات لها من الخارج دون أي تقيد أو إلزام برسوم جمركية.

سادساً: تسهيل حركة الأفراد التابعين للمنظمات في الدخول إلى المملكة والخروج منها بغض النظر عن الجنسية والتابعية ودون وضع أية قيود على تحركاتهم ودون إلزامهم بتقديم الوثائق الرسمية اللازمة في هذه الحالات

سابعاً: إعفاء كل من ينتسب لإحدى المنظمات الفدائية من أداء الخدمة الوطنية الإلزامية.

إن هذا الموقف الذي وقفه الأردن ملكا وحكومة وشعبا كان نابعا من قناعة وجدانية كاملة بأن القضية التي يدافع عنها الفدائيون هي قضية الأردن وإن من حق كل مواطن عربي وعلى الأخص كل فلسطيني وأردني أن يتصدى للعدوان وأن يحارب الاحتلال.

وقد توافرت القناعة لدى الأردن بأنه مادام العدوان قد وقع فإن المحاذير التي كانت تخشاها مؤتمرات القمة قد وقعت ولم تعد هناك أسباب تدعو لتقييد العمل الفدائي، ومن هنا وضع الأردن أرضه وقواته المسلحة وشعبه كله وكل إمكاناته المادية والمعنوية في خدمة العمل الفدائي ومن أجل تعزيزه ودعمه وتقويته.

وهكذا دخل النضال الفتحاوي بعد الانطلاقة الثانية مرحلة جديدة من التصعيد على المستويين الكمي والنوعي، وكانت الجماهير العربية في كل مكان قد بدأت تتابع بكل مشاعرها أخبار حركة (فتح) وعمليات فدائيي العاصفة الآخذة في التصاعد حتى أن شهر أكتوبر / ١٩٦٧م وحده شهد ١٨ عملية عسكرية ضد العدو الصهيوني داخل الأرض المحتلة، وشهدت تلك السنة ١٩٦٧م العديد من الملاحم البطولية التي نفذها فدائيو العاصفة، نذكر منها على سبيل التاريخ: الاشتباك المسلح في طوباس ٤ / ١٠ / ١٩٦٧م الذي كبد فيه الفدائي الشهيد سيد حجاب – مازن أبو غزالة العدو خسائر فادحة قبل أن يُفجر نفسه شهيداً بحزامه الناسف وسط الجنود الصهاينة الذين تجمعوا لأسره. ومعركة طوباس البطولية الثانية في ٢ / ١٢ / ١٩٦٧م بقيادة الشهيد البطل أحمد شريح، ومعركة القدس الخالدة في ٣ / ١٢ / ١٩٦٧م التي سقط فيها الشهيدان عبد الله الحسن و محمود كامل اللذان استشهدا بعد أن كبدا العدو خسائر جسيمة في صفوف ضباطه وجنوده، ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر العملية النوعية البارزة في تاريخ الكفاح المسلح ضد العدو،



والتي جرت على أرض بيت فوريك في ٧ / ١٢ / ١٩٦٧م وشهدت قتالاً واسعاً بين عدة مجموعات فدائية من قوات العاصفة ووحدات عسكرية كبيرة من الجيش الإسرائيلي مدعومة بالطائرات الهيلوكوبتر والقوات المظلية، واستمرت لأكثر من سبع ساعات متواصلة وأسفرت عن عدد كبير من القتلى والجرحى في صفوف العدو سقطوا بنيران أسلحة العاصفة ورجالها المغاوير الذين أُستشهد منهم ستة هم: سعيد عريفة، ومحمد خرطبيل، وخالد أبو سويد، ومصطفى بخيت، ووليد زامل، وغازي غبن، وكانوا فاتحة العهد لسلسلة من المعارك العسكرية الكبيرة شملت أنحاء الأرض المحتلة كافة، الخضيرة، ناتانيا، الناصرة، بئر السبع، تل أبيب، واستهدفت كل ما يمكن أن تطاله أيدي فدائيي العاصفة، من مصانع تجميع السيارات ومصانع التعليب والقطارات والسكك الحديدية والمحطات الكهربائية، وطور الفدائيون عملياتهم باستخدام مدافع الهاون (المورتر)، ومعارك المواجهة المباشرة الطويلة ضد قوات الاحتلال، في طوباس حيث استمرت المعركة يومان، ومعركة المغير واستمرت عشرة ساعات وخسر فيها العدو ٨٣ قتيلاً وطائرتي هيلوكوبتر، ومعركة بني نعيم في الخليل واستمرت ثلاثة أيام، ومعركة وادي القف التي استمرت يوماً كاملاً، وخلال هذه المعارك تكبد العدو خسائر فادحة.

معركة الكرامة
٢١-٣-١٩٦٨م:

واجهت حركة فتح بسبب عمليات مجموعاتها الفدائية في الداخل حملة إعتقالات واسعة نفذتها أجهزة الأمن الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ مطلع عام ١٩٦٨م وحتى منتصف شهر (٣ / ١٩٦٨م) فقدت الحركة ما يزيد عن مائتين من أعضاء خلاياها إلا أن ذلك لم يمنع انطلاق المجموعات القتالية عبر نهر الأردن لتنفيذ عمليات فدائية نوعية، وفي الفترة نفسها وقعت اشتباكات عنيفة بين القوات الإسرائيلية والجيش الأردني أدت إلى سقوط ٢٠ جنديا ومدنيا أردنيا، بالإضافة إلى جرح ٥٨، وكانت إسرائيل تهدف من اعتداءاتها على الجيش الأردني وقرى الغور إلى الضغط على الحكومة الأردنية لمنع تنامي العمل الفدائي في الأغوار، وقد ردت قوات العاصفة على الإعتداءات الإسرائيلية بتنفيذ (٣٢ عملية عسكرية) على أهداف إسرائيلية.

قبل بداية معركة الكرامة بثلاث ليال، قام أحمد عفانة «أبو المعتصم»، (الذي انتسب لحركة فتح منذ انطلاقتها وبعد إحالته على التقاعد برتبة عقيد في الجيش الأردني بعدما كان قائداً لكتيبة الهندسة الرابعة، تفرغ في حركة فتح ليصبح اعلى رتبة عسكرية في الحركة من الذين انضموا من الجيوش العربية وكان في هذه الفترة من ضمن القيادة في منطقة الأغوار)، بزيارة لموقع سعد صايل «أبو الوليد» في الفرقة الأولى بالجيش العربي الأردني في الكتيبة وأبلغه بالمعلومات التي بحوزة حركة فتح حول استعداد إسرائيل لشن عملية حربية واسعة، واستشاره في شأن الموقف الأفضل للفدائيين في حالة اندلاع المعركة فقال له أبو الوليد: بالنسبة لحركة فتح والثورة ما تزال في بدايتها وضمن الظرف الحالي وحتى الآن لم تعرف الجماهير ما يكفي عنكم، وأن أي احتكاك واسع مع إسرائيل يخدم الثورة، لذا أعتقد أن يبقى الفدائيون في الكرامة ويقاتلوا.. مع علمي الأكيد أنه ليس من واجب محارب العصابات أن يثبت في موقع ويقاتل فيه، إلا أنني أعتقد أن مسألة التلاحم مهمة، وإذا حدث نصر سيكون رد الفعل كبير جدا، ونصح أبو الوليد بأن يلتحم الفدائيون أثناء العملية القتالية بقوات العدو لأن الالتحام سوف يبطل دور الطيران الإسرائيلي ويعرقل عمل الدبابات.

ثم أبلغ سعد صايل قائد الفرقة الأولى الفريق مشهور حديثة بما دار بينه وبين أحمد عفانة فتم التوافق على التنسيق المشترك مع الأخوين ممدوح صبري (أبو صبري) وأحمد عفانة (أبو المعتصم) وأكد مشهور حديثة على ضرورة الاستفادة من حملة الآر.بي.جي، كون ذلك السلاح لم يكن موجوداً لدى الجيش الأردني بسبب طبيعة تسليحه الغربية.

واستعداداً لمواجهة الهجوم الإسرائيلي حشدت القوات الفلسطينية (٥٧٥) عنصراً من قوات فتح، و(١٥٠) من قوات التحرير الشعبية و(٢٣٥) من الميليشيا وتنظيم الكرامة و قوات أنصار سكان مخيم الكرامة، و(٩٦٠) بندقية فردية مختلفة، في الكرامة ومحيطها، وقبيل المعركة بحوالي (٤٨ ساعة) طلب رئيس الأركان الأردني عامر خماش وقائد الجيش العراقي في الأردن حسن النقيب[٤٠] الالتقاء مع القيادة الفلسطينية، وتم اللقاء مع الأخوين ياسر عرفات وصلاح خلف "أبو إياد" حيث أبلغا بالاستعدادات الإسرائيلية للهجوم على طول الجبهة، ونوايا القوات الإسرائيلية باقتحام الكرامة للقضاء على الفدائيين الفلسطينيين، وأبلغ أبو عمار رئيس الأركان الأردني بقرار حركة فتح وهو "الثبات والقتال وعدم الخروج من الكرامة" قائلاً: إننا نريد أن نقنع العالم أن هناك في الأمة العربية من لا ينسحب، ولنمت تحت جنازير الدبابات ونغير اتجاه التاريخ في المنطقة، لقد قررنا أن نثبت ولو أدى ذلك إلى استشهادنا.

ومن الجدير بالذكر أنه عندما حضر أبو عمار إلى الكرامة اتخذ من منزل محمد تيم مقرا له، حيث كان يوجد الرائد خالد، وكان المنزل عبارة عن غرفة عمليات، وفيها تجتمع القيادة المكونة من الأخوة أبو عمار وأبو إياد وأبو اللطف، وأبو صبري بحكم أنه كان قائدا لمنطقة الأغوار، وبما أن أبو عمار لم يكن يحب المكوث في مكان واحد أخذ من منزل يوسف عبيد الملقب (وفا) قيادة تبادلية له، وفي كثير من الأحيان كان ينام في هذا الموقع، كان أبو عمار حريصا على زيارة كل القواعد التابعة لحركة فتح، والاجتماع مع قادة هذه القواعد ومقاتليها، ويرافقه في هذه الزيارات الأخوة أبو إياد، وأبو اللطف، وأبو صبري.. كان يخاطب المقاتلين ويقول: "إن حركتكم وضعت خطة تقوم على أساس البدائل المتوقعة في لحظة الصدام".. هل ستكون "فتح" وحدها في المعركة.. أم ستشترك معها قوى أخرى.. وكما ترون يا أخوتي أن الصف

٤٠ حسن النقيب بعد تسريحه من الجيش العراقي عمل سفيراً لدولة العراق في السويد، وأثناء تبني العراق للعميل صبري البنا، اشتد الخلاف بين حركة فتح والقيادة العراقية استقال من منصبه والتحق بحركة فتح في بيروت وعقد مؤتمرا صحفيا تحدث فيه ضد النظام العراقي، وفي السنوات اللاحقة عمل في غرفة العمليات إلى جانب العميد سعد صايل في عام ١٩٨٢م، وخرج بعد معركة بيروت ١٩٨٢م ليستقر في دمشق.

الأول لقيادتكم رفضوا المغادرة، وكذلك جميع المسؤولين العسكريين، إن العدو يهدف إلى تدمير ثورتكم والقضاء نهائيا على شعلة الكفاح في شعبكم.. ولهذا قررنا أنا و أبو إياد وأبو صبري وأبو اللطف أن نستشهد سوياً أو ننتصر سوياً.. وبعد شرح الموقف.. أخذ يحثهم على القتال والمواجهة ومقاومة أي عدوان تتعرض له المنطقة".. وكانت له مقولة شهيرة "ستدخل الكرامة التاريخ.. وستكون الكرامة ستالنغراد الثانية.. وهانوي ثانية.. وهي بدر الأولى لحركة فتح.. وإنني أرى النصر في عيونكم".

في تلك الأثناء كان ممدوح صيدم عضو القيادة العسكرية للعاصفة يواصل التنسيق مع اللواء مشهور حديثه وسعد صايل تأكيدا لقرار حركة فتح بالتصدي للعدوان.

كان مقاتلونا في الكرامة ومن بينهم جزء من شباب بلدة الكرامة مسلحين على نفقتهم الخاصة[٤١]، والآخرون كانوا من خيرة الشباب الجامعي الملتزم بقضية وطنه وقيادته التي وقفت أمامه وليست خلفه، وحتى تؤكد حركة فتح أنها طليعة الكفاح المسلح الفلسطيني وأنها قررت التصدي للهجوم الإسرائيلي وجهت اللجنة المركزية دعوة لاجتماع عسكري في الكرامة إلى قيادة قوات التحرير الشعبية، والجبهة الشعبية وخلال المداولات اتخذ أحمد زعرور وأحمد جبريل القرار بالانسحاب شرقا إلى التلال خارج بلدة الكرامة تطبيقا لمبدأ أن الحفاظ على الذات هو أعقل خيار في وجه عدو يتمتع بالتفوق، ولم يكن لقرار الجبهة الشعبية بالانسحاب أي أثر على قرار حركة فتح وقوات التحرير الشعبية بالمواجهة. فقد اتخذت قيادة حركة فتح هذا القرار لتبديد أسطورة التفوق الإسرائيلي منذ حرب حزيران ١٩٦٧م ولفتح صفحة جديدة في المقاومة العربية تشكل منعطفاً ودرساً سيذكره التاريخ. وقامت القيادة بتوزيع المجموعات كما هو مبين في الخارطة أدناه:

ولتحقيق الأهداف الآتية:

١. رفع معنويات الجماهير الفلسطينية والعربية بعد نكسة حزيران / يونيو١٩٦٧م.

٢. تحطيم معنويات العدو وإنزال أكبر الخسائر في قواته.

٣. تحقيق الالتحام الثوري مع الجماهير، حتى يصبح الشعب قوة منيعة ضد أي تحرك ضد الثورة.

٤. زيادة التقارب والثقة بين قوات العاصفة وأفراد الجيش الأردني الباسل.

---

٤١ اللواء محمود الناطور (أبو الطيب)، كتاب معركة الكرامة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٩، ص١٠٩،

٥. تنمية قوى الثورة داخل صفوف شعبنا.

٦. اختبار ثقة المقاتلين بأنفسهم في معارك المواجهة مع العدو في هذه المرحلة من كفاحنا المسلح.

صباح يوم المعركة:

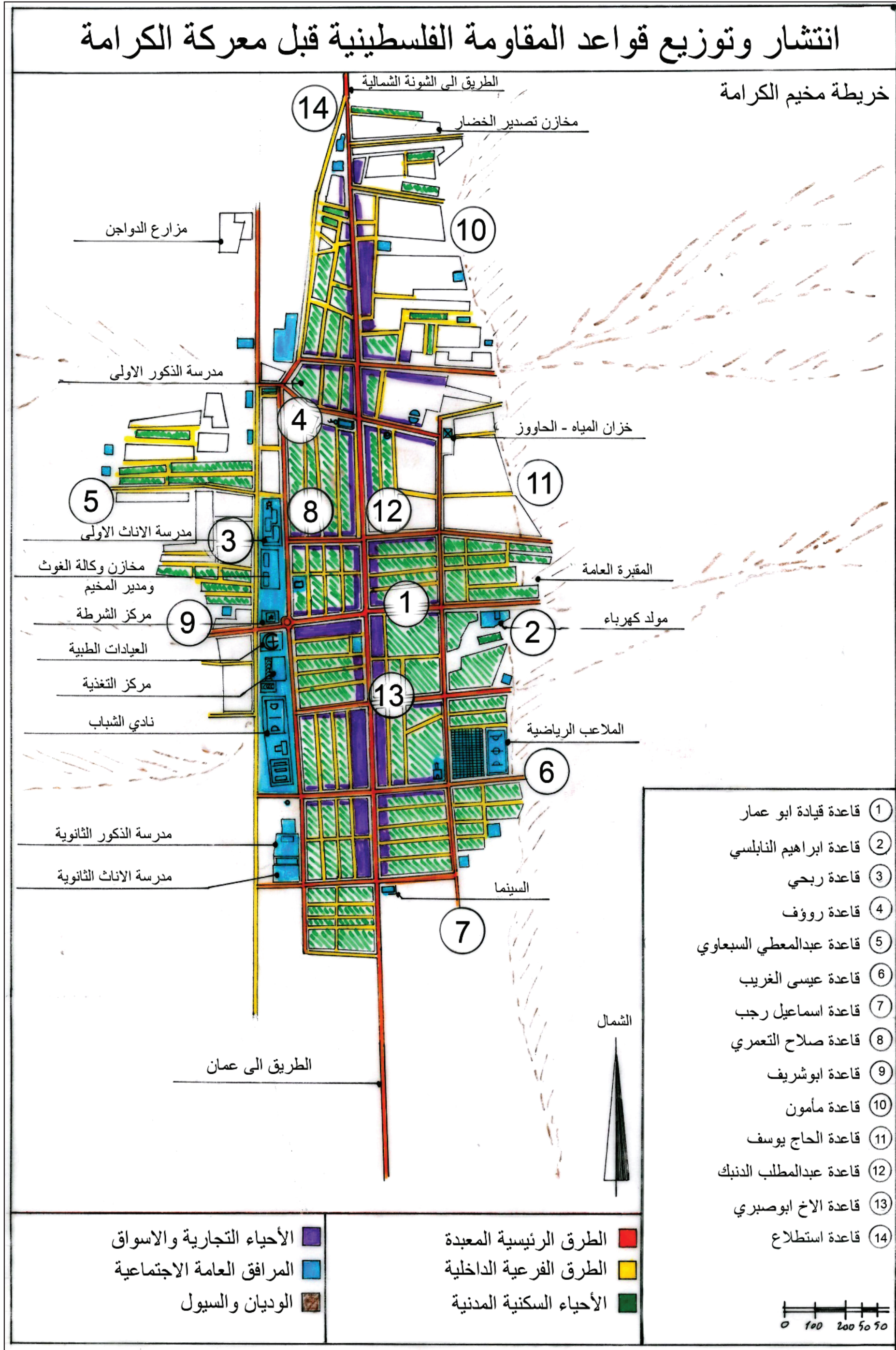
في ليلة ٢١ / ٣ / ١٩٦٨م كنا منهمكين بالتحضير على قدم وساق لمواجهة قوات العدو الإسرائيلي فيما لو قام باقتحام الكرامة حيث كانت جميع وسائل الإعلام تقول أن العملية سوف تنفذ بين ليلة وضحاها، كان لنا اجتماع نحن تنظيم الكرامة بوجود المرحومة أم يوسف التي «كانت تلقب بأم الفدائيين» حيث طلبت منا بأن نقوم بإحضار بعض الإسعافات الأولية التي لم تكن متوافرة بكثرة في عيادة وكالة الغوث بالكرامة، حيث لم تكن لنا عيادات خاصة إلا بيت أم يوسف، وفي أغلب الأحيان كان هناك الدكتور عبد الله حجازي والأخت رقية عبد الرحيم وقد تبين أننا بحاجة إلى (كمبريصة) لحفر طريق الإسفلت من أجل زرع الألغام، وتم تكليفي بإحضارها مع الإسعافات الأولية لذا قررنا بعد الاجتماع أن نتوجه إلى عمان لإحضار «كمبريصة»، وبالفعل توجهت أنا وصلاح الشاويش في الليلة نفسها (٢٠ / ٣ / ١٩٦٨م) إلى عمان وقصدنا بيت الحاجة تودد التي كانت تسكن بشارع وادي السير بالقرب من مطبعة الحرية وللأسف لم نجدها فتوجهنا إلى حي المصاروة حيث انضم إلينا « فائق علي سالم» ثم اتصلت براسم الغول وذهبنا جميعا إلى ورشة سعيد الناطور وأحضرنا الكمبريصة من عنده.

وفي نفس الليلة وصلت سيارة تحمل أسلحة من دمشق إلى الكرامة في الساعة الثالثة صباحا كان أرسلها أبو جهاد وقام مقاتلونا بإنزال الأسلحة منها ولم نتمكن من إفراغها تماماً؛ لان الهجوم قد بدأ في حدود الساعة الخامسة والنصف صباحاً.

وفي صباح يوم ٢١ / ٣ / ١٩٦٨م حيث بدأت المعركة في الساعة الخامسة والنصف صباحاً، توجهنا من عمان نحو الكرامة وفي الساعة التاسعة والنصف صباحاً وصلنا منطقة وادي شعيب حيث كان هناك حاجز للجيش الأردني يمنع مرور السيارات لمنطقة الكرامة أوقفنا سيارتنا البيكأب بجانب أحد المشاتل في وادي شعيب وأخذنا نتسلق الوادي متجهين إلى جبال عيرا ويرقة؛ ولأننا أبناء المنطقة كنا نعرف الطريق جيدا، وكم من مرة أطلقت علينا النار من بندقية صديق لأنه كان هناك بعض الإنزالات الإسرائيلية وكان بعض الإسرائيليين يرتدي لباس الجيش وبعضهم يرتدي لباس الفدائيين حتى وصلنا مرتفعات عيرا ويرقة، كانت الساعة

الواحدة والنصف ظهرا، بهذه الساعة اخذ القصف يخف، أخذنا نحن الأربعة التمركز في المرتفعات للاستعداد للتصدي لأي إنزال وبقينا مع الكثير من المجموعات وكانت مشتركة من جميع التنظيمات.

ومن الجدير بالذكر أننا في الكرامة ارتبطنا بصداقة مع الشهيد موسى عرفات أثناء قيادته القطاع الجنوبي، وكثيرا ما كانوا يطلبون من تنظيمنا مساعدتهم بأشياء كثيرة، مثل تزويدهم ببعض السيارات حيث كان سعيد الناطور يعمل بشركة مارتن كاولي، وكان مسؤول عن السيارات وكان من خلال الشركة يقوم بالتبرع لهم، كذلك على صعيد تجنيد بعض الشباب الذين كنا نرسلهم لهم من عمان، وبالمقابل لم يبخلوا علينا بالسلاح حيث زودونا بكل ما نحتاج له ابتداء من دوشكا عدد ٣ إلى بنادق كلاشنكوف وجميع أنواع القنابل مع قذائف (آر.بي.جي).


انتشار وتوزيع قواعد المقاومة الفلسطينية قبل معركة الكرامة
خريطة مخيم الكرامة
الطريق الى الشونة الشمالية
مخازن تصدير الخضار
مزارع الدواجن
مدرسة الذكور الاولى
خزان المياه - الحاووز
مدرسة الاناث الاولى
مخازن وكالة الغوث
ومدير المخيم
المقبرة العامة
مركز الشرطة
مولد كهرباء
العيادات الطبية
مركز التغذية
نادي الشباب
الملاعب الرياضية
مدرسة الذكور الثانوية
مدرسة الاناث الثانوية
السينما
الطريق الى عمان
الشمال
1 قاعدة قيادة ابو عمار
2 قاعدة ابراهيم النابلسي
3 قاعدة ربحي
4 قاعدة رووف
5 قاعدة عبدالمعطي السبعاوي
6 قاعدة عيسى الغريب
7 قاعدة اسماعيل رجب
8 قاعدة صلاح التعمري
9 قاعدة ابوشريف
10 قاعدة مأمون
11 قاعدة الحاج يوسف
12 قاعدة عبدالمطلب الدنبك
13 قاعدة الاخ ابوصبري
14 قاعدة استطلاع
الطرق الرئيسية المعبدة
الطرق الفرعية الداخلية
الأحياء السكنية المدنية
الأحياء التجارية والاسواق
المرافق العامة الاجتماعية
الوديان والسيول

مجريات العمليات العسكرية في معركة الكرامة:

بعد أن استكملت إسرائيل حشد اللواء المدرع السابع الذي استدعي من بئر السبع للقيام بالهجوم الرئيس، وكذلك اللواء المدرع(٦٠) ولواء المظليين (٣٥) ولواء المشاة (٨٠) وعدد (٢٠) طائرة هيلوكوبتر لنقل المظليين، وخمس كتائب مدفعية، بالإضافة إلى قواتها التي كانت متمركزة من قبل في تماس مع الحدود الأردنية على إمتداد خط وقف إطلاق النار، وكذلك سلاحها الحربي بالطائرات القاذفة والمقاتلة وقوة هجوم إضافية كانت مكلفة باجتياح غور الصافي، وبدأ العدو عدوانه طبقا للتفاصيل الآتية:

في الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة من صباح (٢١ / ٣ / ١٩٦٨م) تحركت القوات الإسرائيلية لاجتياح الأغوار الأردنية على أربعة محاور هي:

١- محور العارضة: ويأتي من جسر الأمير محمد (دامية) إلى مثلث المصري ثم إلى طريق العارضة الرئيس باتجاه السلط.

٢- محور وادي شعيب "ويأتي من جسر الملك حسين (اللنبي سابقاً) إلى الشونة الجنوبية إلى الطريق الرئيس المحاذي لوادي شعيب.

٣- محور سويمة: ويأتي من جسر الأمير عبد الله إلى غور الرامة ثم ناعور ثم إلى عمان على الطريق الرئيس بين القدس وعمان.

٤- محور الصافي: من جنوب البحر الميت إلى غور الصافي إلى الطريق الرئيس حتى الكرك.

أطلق الإسرائيليون على العملية العسكرية اسم "توفت" بقيادة قائد الجبهة الغربية الجنرال "عوزي تركيس" ونائبه العميد تال: بدا الإسرائيليون هجومهم بقصف مدفعي كثيف على مواقعنا ومواقع الجيش الأردني، من جسر دامية وحتى جسر سويمه على نهر الأردن. وتقدمت الدبابات الإسرائيلية وعبرت النهر باتجاه الأراضي الأردنية تحت قصف مدفعي وقذائف الدبابات والقصف الجوي، على عدة محاور من الجنوب والوسط والشمال، بهدف محاصرة الكرامة التي تعرضت لقصف كثيف من المدفعية الإسرائيلية غرب النهر، بينما حلقت الطائرات العمودية فوق الكرامة في عملية تمشيط مركزة بالرشاشات.

وعلى الفور لعب سلاح المدفعية الأردني وقناصو الدروع دوراً كبيراً في المعركة على طول الجبهة وخاصة في السيطرة على جسور العبور الأمر الذي منع القوات الإسرائيلية من دفع أية قوات جديدة لإسناد الهجوم، وذلك نظرا لعدم القدرة على السيطرة على الجسور خلال ساعات المعركة. وقد أدى ذلك إلى فقدان القوات الإسرائيلية المهاجمة عنصر المفاجأة وبالتالي المبادرة،

وساعد بشكل كبير في تخفيف زخم الهجوم وعزل القوات المهاجمة شرقي النهر، وسهل التعامل معها واستيعابها وتدميرها بشكل ما، وقد استمر سلاح الدروع والمدفعية الأردني يلعب دوره بشكل حاسم طيلة المعركة من خلال حرمان الإسرائيليين من التجسير أو محاولة إعادة بناء الجسور القديمة وحتى نهاية المعركة التي برزت فيها أيضا أهمية الإستخبارات العسكرية الأردنية التي كانت تراقب الموقف عن كثب وتبعث بالتقارير لذوي الاختصاص أولاً بأول حيث توقعوا الاعتداء الإسرائيلي وقدروا حجمه مما أعطى فرصة للاستعداد الصحيح.

ملحق: أوامر عسكرية بتنفيذ عملية رقم ٣ ضد منظمة «فتح» في الكرامة

سري للغاية

عملية رقم ٣

عام:

١. مركز ينفذ عملية ضد قواعد «فتح» في منطقة الكرامة.

توجيه:

٢. مركز يصفي قاعدة «فتح» في الكرامة وضواحيها.

٣. يهدم كافة منازل «فتح» في الكرامة وضواحيها.

٤. يظهر وجود جيش الدفاع الاسرائيلي في الميدان وينسحب بموجب أمر.

التنفيذ:

٥. تنفيذ عملية في وضح النهار، والسيطرة وتدمير قواعد «فتح» في الكرامة من خلال تأكيد وجود جيش الدفاع الاسرائيلي في المنطقة، كل هذا بواسطة قوات مدرعة، ومشاة يتم نقلهم بواسطة آليات مصفحة، وقوات تنقل جوا بواسطة مروحيات بهدف سد منافذ انسحاب عناصر فتح من منطقة الكرامة شمالا وشرقا بمساعدة من سلاح المدفعية وسلاح الجو.

٦. يوم ال«ع» الخميس ٢١ آذار ١٩٦٨ الساعة «ش».

صدر بيوم ١٩ آذار ١٩٦٨.



صورة لأمر تصفية «فتح» في الكرامة

بهذا الأمر تحركت القوات الإسرائيلية للقضاء على حركة فتح[1]

١ جوني منصور وفادي نحاس، المؤسسة العسكرية في إسرائيل (تاريخ، واقع، استراتيجيات وتحولات)، ص١٨٩.

توزيع محاور هجوم القوات الاسرائيلية صباح تاريخ 21 - 3- 1968 الكرامة

خط الهدنة لعام 67
الطرق الرئيسية
الطرق الفرعية
الوديان والانهار
المخيمات الفلسطينية
المناطق السكنية
القوات الفلسطينية والاردنية
القوات الاسرائيلية
مسطرة قياس كم
0 1 2 3

قوات مشاة
مرابض مدفعية
كمائن رشاشات
مدافع هاون
كمائن متقدمة
المدرعات الاردنية
قوات مشاة
تشكيل دبابات
مواقع المدفعية
سلاح الهندسة والميكانيك
ادارة العمليات
معسكرات ثابتة
المروحيات والانقاذ

الشمال

وكان أساس الخطة الفلسطينية الإختفاء والإنتشار لحين امتصاص الضربة العسكرية الإسرائيلية الأولى، بانتظار تقدم أرتال الدبابات، وتمكنت المدفعية الأردنية التي تعاملت مع التقدم الإسرائيلي منذ اللحظة الأولى في صد بدايات الهجوم، ودفعت إسرائيل بأسراب طائراتها القاذفة وركزت القصف المدفعي، على مواقع المدفعية الأردنية، وعند الساعة العاشرة صباحا، وبعد مرور أكثر من أربع ساعات على بدء الهجوم وصلت الدبابات الإسرائيلية إلي مشارف بلدة الكرامة، وقامت بإنزال قوات المظليين بوساطة الطائرات العمودية خلف البلدة، وقامت مجموعات الفدائيين باصطياد الدبابات الإسرائيلية علي مشارف الكرامة والشونة، وبسبب ضعف إمكاناتها اندفعت إلى داخل بلدة الكرامة، التي وصلتها الدبابات الإسرائيلية بدعم كثيف من طائرات الهليكوبتر، حيث دارت معركة ضارية وجها لوجه بين مقاتلينا والقوات المدرعة الإسرائيلية، في أزقة الكرامة ومن خلال ركام بيوتها المهدمة، من شارع إلى شارع، حيث لم تبق معالم لأي شارع بفعل الدمار، واستخدم مقاتلونا الأحزمة الناسفة واندفعوا بها بأجسادهم لنسف الدبابات الإسرائيلية، بينما اندفع آخرون بالسلاح الأبيض والقنابل اليدوية نحو مشاة القوة الإسرائيلية، كان نداء " الله أكبر " نداء يدوي في الكرامة، كان هو نداء القوة والعزيمة التي شحنت، وكلما ارتفع نداء " الله أكبر" كان الانتصار، وللمرة الأولى في تاريخ الحروب مع إسرائيل رفض الطلب الإسرائيلي بوقف إطلاق النار من قبل الأردن قبل إنسحاب القوات الإسرائيلية تماماً من الأراضي الأردنية إلي غرب النهر، ورغم تكرار طلب الإسرائيليين للهدنة إلا أن الملك حسين شخصياً رفض الهدنة، وهكذا تم فانسحبت القوة الإسرائيلية إلى غرب النهر تاركة وراءها عددا من الآليات مندحرة بعدما فشلت في تحقيق أهدافها.

وفي الساعة الرابعة والنصف اخذ القصف يتوقف، وبدا واضحاً أن الإسرائيليين شرعوا في لملمة قتلاهم وجرحاهم استعدادا للانسحاب وبدأت جميع العناصر الموجودة في المرتفعات بالنزول إلى الكرامة وفي الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الخميس، بدأ جيش العدو بالانسحاب فعلا وبدأنا نحن في تفقد المخيم وهنا اكتملت صورة المعركة من هدم جميع بيوت المخيم وسقوط عدد من الشهداء وبرفقة القيادة وعلى رأسهم أبو عمار قمنا بتجميع الشهداء في منطقة وسط الكرامة «مقهى أبو عجوة» وأثناء تفقدنا وتجميع الشهداء وجدنا بعض سكان المخيم بين الشهداء[٤٢].

---

٤٢ يقول الدكتور محمد المناصير في مقال له ٢٠٠٩/١٢/٧م تحت عنوان «صفحة من تاريخ الأردن،٧٥» نقلاً عن كاسب صفوق الجازي قائد لواء الأميرة عالية أثناء معركة الكرامة: « تمكنت قوات الهندسة الأردنية في اليوم التالي من جمع خمسين جثة بين الكرامة ونهر الأردن من شهداء الجيش والفدائيين ومن المدنيين من أهل المنطقة، وكان العدو يربط جثث الشهداء بالحبال معاً ويزرع الألغام بينها كي تنفجر أثناء إخلائها».

ويقول أحد كوادرنا من تنظيم الكرامة هو حسين عبد الفتاح صالح (حسين صبحية) بعد انتهاء المعركة: «كنت أنا وسعيد الناطور فالتقينا بنصر يوسف وتوجهنا إلى مخيم الحسين للاستراحة، وهناك طلب نصر يوسف أن نحضر له صديقا اسمه زهير الصالحي، وعندما حضر طلب منه تموينا لعناصرنا في الكرامة، وبكل الحماس أحضر لنا سيارتين محملتين بالتموين والأغطية، وأمرنا أن نذهب بها إلى مخيم الكرامة لتزويد مقاتلينا بها، وفعلا تحركنا الساعة الخامسة من صباح ٢٢ / ٣ / ١٩٦٨م وتوجهنا عن طريق السلط وادي شعيب حيث وصلنا الساعة السابعة صباحا وعندما سألنا عن أبي عمار أفادونا بأنه في نقطة التجمع وذهبنا فوجدناه جالسا على الأرض وبجانبه فراس أبو الرب، وكانت نقطة التجمع هي مقهى ابطيط في وسط الكرامة فألقينا عليه السلام وأبلغناه عن سيارتي التموين اللتين جئنا بهما من عمان فطلب منا أن نقوم بإفراغهما في نقطة التجمع، وكان أول من دخل الكرامة بعد المعركة قادما من عمان، المناضل يحيى فوده وكان الآخر قد أتى بسيارتين محملتين بالمواد التموينية إلى الكرامة».

بعد أن أمر أبو عمار بتجميع الشهداء في (قهوة أبو عجوة) في وسط البلدة قمنا نحن تنظيم الكرامة بعمل حاجز على كل مدخل من الشارع خوفا من تدفق الأشخاص حيث كان يوجد بعض الألغام التي لم تنفجر، وقد أمر أبو عمار أن يتم نقل عشرة شهداء إلى عمان ليتم تشييعهم، أما باقي الشهداء فدفنوا في مقبرة جماعية بمخيم الكرامة ما زالت تعرف بصرح الشهيد «الذي نأمل أن تتم العناية به».

وفي اليوم التالي تم تشييع عشرة شهداء في عمان حيث خرجت جنازة كبيرة لهؤلاء الشهداء وقد انطلقت الجنازة من الجامع الحسيني الكبير وسط مدينة عمان إلى مقبرة موجودة بالقرب من مخيم الوحدات، التي عرفت فيما بعد بمقبرة الشهداء، وأثناء التشييع فوجئ الناس بحضور أبو عمار إلى المقبرة كما شارك في التشييع بالإضافة إلى أبو عمار جميع القادة الفلسطينيين وبعض الرسميين من الجانب الأردني، وطلب أبو عمار من الأخت تودد عبد الهادي أن تلقي كلمة التأبين وقام السيد كامل عريقات رئيس مجلس الأعيان آنذاك إلقاء كلمة التأبين عن الجانب الأردني، وبعد مراسم التشييع ذهب أبو عمار إلى السلط حيث كانت نقطة التجمع وكنا برفقته ومن نقطة التجمع توجهنا إلى الكرامة لتفقد المقاتلين.

العدو يفشل في تحقيق أهدافه:

انتهت معركة الكرامة بفشل ذريع للجيش الإسرائيلي في تحقيق الأهداف التي قام من أجلها بشن عملية شرق نهر الأردن، حيث اثبت الفدائي الفلسطيني والجندي الأردني قدرة هائلة على الثبات والمحافظة على روح قتالية عالية وتصميم وإرادة على تحقيق النصر وعدم تمكين العدو من تحقيق ما سعى إليه من هذا الحشد العسكري الهائل مستندا إلى:

١- الإستهانة بقوة الجيش الأردني على طول الحدود مع فلسطين المحتلة.

٢- إنه لم يمض وقت طويل على هزيمة العرب في حرب ١٩٦٧م وبالتالي فالروح المعنوية القتالية لن تكون بالمستوى المطلوب.

٣- لم يتمكن الجيش الأردني من إعادة تسليح قواته أو تعويض خسائره في حرب ١٩٦٧.

٤- عدم تمكن الأردن من تعويض سلاحه الجوي؛ مما يجعل القوات الأردنية بدون غطاء جوي.

٥- التعجيل بضرب القوات الفدائية وإنهاء وجود حركة فتح على طول الحدود في محاولة لوقف الهجمات الفدائية.

نتائج معركة الكرامة بالأرقام:

الفدائيون	شهداء حركة فتح ٧٤ شهيداً[*] شهداء قوات التحرير الشعبية ٢٧ شهيداً	١٠٠ جريح من الأهالي والفدائيين	- أسر حوالي ١٣٠ من الأهالي والفدائيين - تدمير مخازن ومعدات في الكرامة منها تدمير ٢٠٠ بيت
الجيش الأردني[1]	٨٧ شهيداً بينهم ٦ ضباط	١٠٨ جرحى بينهم ١٢ ضابط	-تدمير ١٣ دبابة -إعطاب ٣٩ آلية
إسرائيل[2]	٢٥٠ قتيل	أكثر من ٤٥٠ جريح في أقل من ١٨ ساعة	- تدمير ٨٨ آلية - تدمير ٢٧ دبابة - تدمير ٢٤ سيارة مسلحة - تدمير ١٨ ناقلة جند - تدمير ١٩ سيارة شحن - إسقاط ٧ طائرات

(*) منذ انطلاقة حركة فتح عام ١٩٦٥ لغاية عام ١٩٧٠م لم تكن فتح تعتمد الرتب العسكرية لقادتها العسكريين وكان التسلسل فيها يسمى بخلية أو كادر ومعظم شهداء حركة فتح في معركة الكرامة كانوا كوادر وطلاب جامعات.

(١) خسائر الجيش الأردني نقلاً عن موقع القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية - معارك الشرف والبطولة - معركة الكرامة ١٩٦٨م.

(٢) خسائر قوات العدو نقلا مقال بعنوان جهنم في الكرامة للكاتب الإسرائيلي أفيتار بن تسيدف نشرها في مدونته الالكترونية "غلوبال ريبورت" تداولها الكثير من المدونات والمواقع الالكترونية الاسرائيلية لما فيها من اعتراف واضح وصريح بأول هزيمة عسكرية يتذوقها الاسرائيليون منذ اغتصابهم لفلسطين عام ١٩٤٨م. (المصدر أيمن الحنيطي، "معركة الكرامة الخالدة: جهنم في عيون الإسرائيليين"، وكالة الانباء الأردنية (بترا)، ٢٠/ ٣/ ٢٠١٣م).

(٣) توفيق أبو بكر، معركة الكرامة الخالدة، شهادات وكتابات، ص١١،١٠،٩، الاعلام المركزي، ١٩٩٨م.

أبو عمار يتحدث عن معركة الكرامة(٣٩):



ياسر عرفات في إحدى القواعد في منطقة الأغوار

لم تكن معركة الكرامة حدثاً عابراً في التاريخ الفلسطيني المعاصر وفي التاريخ العربي الحديث حين جاءت في وقت كانت الجباه تنزف دما على حد تعبير القائد جمال عبد الناصر، وجاءت في وقت كان موشي دايان ينتظر بتعجرف مكالمات الاستسلام من الزعماء العرب بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م، دخلتُ إلى أرضنا في الضفة الغربية بعد أن قررت حركة فتح تنظيم الانطلاقة «الثانية» حتى يتواصل الصمود دون انقطاع ودون فجوات تغري بالإسترخاء والاكتفاء بالوضع الراهن، وعدت إلى الأغوار لتنظيم العمل العسكري عبر نهر الأردن، وحين تجمعت إشارات هجوم إسرائيلي كبير على قواعدنا في الكرامة أخذنا قراراً تاريخياً لا علاقة له بالنظريات العسكرية التقليدية في حروب العصابات وخاصة مراحلها الأولى، حين أبصرنا بعين المستقبل النافذة أن الصمود وتقديم لحوم الشباب المتحمس لتحرير وطنه والقادم من كل جامعات العالم طعوما للدبابات سيفتح عصرا ذهبيا جديدا للثورة الفلسطينية.

تسابق الشباب لامتطاء ظهور الدبابات وهم يرتدون الأحزمة الناسفة، وسقط العشرات من شبابنا، ووقف جنود وضباط الجيش الأردني وفي مقدمتهم مشهور حديثة قائد الفرقة الأردنية الأولى المسؤولة عن الأغوار وقفة عز، وقاتلوا ببسالة ليختلط الدم الفلسطيني والأردني ولنصنع معا ملحمة الكرامة التي أجبرت الغزاة على استجداء وقف إطلاق النار لأول مرة في تاريخ

الصراع والحروب التي خاضوها مع العرب.

كنت في الكرامة مقاتلا مثل كل المقاتلين، وتدافع آلاف الشبان العربي ليلتحقوا بالثورة، وحيّا الزعيم جمال عبد الناصر في خطابه بعد الكرامة شباب فتح وفتيان الكرامة الذين نسفوا الدبابات بأجسامهم، ترسخت منظمة التحرير منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا الرقم الصعب في معادلة الشرق الأوسط، فلا سلام ولا استقرار ولن يستريح شهداء الكرامة إذا لم يتحقق سلام عادل جدير بدمائهم، بعدما رسخوا بتضحياتها أساس البنيات الذي اكتمل بتضحياتهم، عاما بعد عام بتضحيات من لحقوا بهم في كل معارك الثورة، حيث هبت روائح الجنة في حصار بيروت كما هبت يوم الكرامة ولا يملك الأحياء من الجيل الذي صنع الملحمة إلا الإنحناء أمام جبال الجماجم الذي يطاول عنان السماء والإصرار على أن لا تذهب هذه التضحيات سدى، ويبقى العهد هو العهد والقسم هو القسم.

نحن دعاة سلام عادل ومتمسكون بهذا الخيار الإستراتيجي، ولكننا لا نستطيع إخلاصاً لهؤلاء الشهداء أن نقبل أي سلام، يخطئ قصار النظر في إسرائيل إذا تصوروا سلاما مفروضا بقوة الأمر الواقع يمكن له أن يدوم، إنه مقدمة لحروب قادمة، فكما أخطأوا باندفاعهم لاجتثاث العمل الفدائي الناشئ في ساعات وإذا بهم يتواجهون بإرادات كانت خارج الحسابات[٤٣]، جاء في الآية الكريمة (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل)– آل عمران: ١٧٣.. صدق الله العظيم.

٤٣ يقول ياسر عبد ربه: كان ياسر عرفات جريئا إلى حد التهور أحيانا، وبدون جرأته تلك التي تصل أحيانا حدود اللامعقول الخرافي، وأحيانا أخرى حدود اللامألوف المتطرف، ربما ما كنا وصلنا بالحركة الوطنية الفلسطينية إلى ما وصلت إليه، إن جرأته وحدها هي التي دفعت لاتخاذ قرار البقاء داخل قرية الكرامة خلافا لنصائح وتقديرات بعض العسكريين «العباقرة»، ومنهم من ظل يتباهى على شاشة الجزيرة حتى قبل أشهر بأنه كان الأصح في موقفه عسكريا لقد دفع قراره «المجنون» وفق حسابات أولئك العسكريين – إلى سقوط عشرات الشهداء الذين أحاط بهم العدو الإسرائيلي من كل جانب، ولكنه القرار الذي اخرج الحركة الفلسطينية إلى الشارع الفلسطيني والعربي من أوسع مداخله، كان لديه حس مرهف يدفعه إلى انتهاز لحظة التهور والإقدام عليها وعدم تركها وهو الحس الذي ظل يوجهه طوال حياته ولم يخنه إلا في لحظات محددة، خاصة في السنوات الأخيرة من حياته، ففيها اعتمد فقط على حسه الذي يغريه بأن يلجأ إلى الجرأة بدون أن يرفقه بحسابات دقيقة وإعادة حسابات كانت تمليها أوضاع دولية وإقليمية وإسرائيلية أصبحت أكثر تعقيدا وخاصة بعد أحداث سبتمبر الأمريكية. (ياسر عبد ربه، مجلة آفاق تصدر عن هيئة التوجيه السياسي والوطني، حركة فتح العدد ١٦).



شهادة الفريق مشهور حديثه (٤٤):

لم يكن هناك تكافؤ لا بالعدة ولا بالعدد ولكن الإيمان والصمود وقرار الدفاع عن الوطن مهما تكون التضحيات أمكننا من حصد النصر المؤزر، وقدرنا خسائرهم بحوالي ١٢٠٠ جندي بين قتيل وجريح وحوالي ٤٠٠ – ٥٠٠ آلية و٧ طائرات، أما خسائرنا أقصد خسائر الجيش فقد كانت في حدود ١٢٠ جندي بين شهيد وجريح وهو شيء لا يمكن مقارنته بخسائر العدو، الفدائيون قاتلوا ببسالة نادرة وقدموا حوالي مائة شهيد، وهذه الخسائر الكبيرة قياسا لحجمهم المتواضع في ذلك الوقت تثبت خطأ المقولة بأن الفدائيين لم يشتركوا في المعركة، هذا كلام غير صحيح، فقد اشتركوا بكل شراسة وروح معنوية عالية، وقدموا تضحيات كبيرة حيث اشتبكوا مع الإسرائيليين في الكرامة بالسلاح الأبيض واستبسلوا وأبلوا بلاء حسنا، الشيء الوحيد الذي حز في نفسي هو الإنزال الإسرائيلي على الكرامة، إذ لم استطع أن أعالجه بالقصف المدفعي فذلك كان سيؤدي لقتل أهلنا من مدنيين وفدائيين داخل المخيم والبلدة، لو كان إنزالهم على مواقع عسكرية لانقضت عليهم مدفعيتنا بكل قوة، ولكن كان قتال وجه لوجه داخل الكرامة فكيف سأتدخل بالقصف المدفعي.

ويكمل مشهور حديثة: «معركة الكرامة كانت معركة بين جيشين إضافة للفدائيين ودورهم الكبير وقوة الحجاب التي اصطدم بها المهاجمون عند النهر هي قوة عسكرية، وبمجرد محاولتهم قطع الجسر أعطيت الأوامر لفتح النار، كانت تعليماتنا بضبط الأمور ولكن إذا اعتدى العدو فلا ننتظر الأوامر وإنما افتح النار فورا ودون انتظار تعليمات، أنا كقائد في الميدان لا أستطيع أن أسمح لأية قوة أن تدخل أرضي وأقف متفرجا ولهذا قررت الرد فورا وهذا من مسؤوليتي كقائد أن أتعامل مع الأرض ومع الميدان ومع المعطيات، وأن أثبت للإسرائيليين الخطأ الذريع

---

٤٤ توفيق أبو بكر، معركة الكرامة الخالدة (شهادات وكتابات) ط١، ص٦٩، الإعلام المركزي ١٩٩٨.



الذي وقعوا فيه حين قرروا خوض معركة بهذا الحجم واسقطوا من حسابهم الجيش العربي الأردني، وقد لقناهم درسا لم ينسوه بالتأكيد، التصدي للعدو مسؤولية القائد في الميدان وحتى قرار وقف إطلاق النار يجب أن يكون مسؤولية القائد العسكري أولا على ضوء مسار المعركة ومتطلباتها[٤٥].

أما بالنسبة للفدائيين فقد كان لي تنسيق معهم قبل شهور من المعركة، نسقنا معهم تنسيقا كاملا وكانت قواعدهم ضمن مناطقنا العسكرية وحمايتنا، ولقد استفدنا من حملة الـ"آر بي جي" من الفدائيين بسبب طبيعة تسليحنا، وقد قمنا بتوزيع هؤلاء المقاتلين حملة الـ"آربي جي" في مناطق محددة يستطيعون من خلالها ضرب الدبابات، وقد فعلوا ذلك بكفاءة عالية حيث قاموا بحرب عصابات جيدة، وحيث كانت المنطقة مكسوة بالعشب في فصل الربيع وكان الفدائي قادرا على الاختفاء وسط الأعشاب والتحرك من خلال ذلك، لقد ساعدنا وجودهم في هذه المكامن في تحطيم العدو وإرهاقه ومفاجأته أحيانا مما كان يسبب لجنوده القادمين في نزهة الإرباك الشديد، إنني أتحدث عن مقاتلي "فتح" فهم حسب علمي الذين قاتلوا، كانت هناك ثقة بيننا وبينهم لأننا نعلم أنهم يعملون لتحرير وطنهم، ولا يريدون التدخل بشؤون الآخرين والاستيلاء على الحكم والسلطة وغير ذلك من شعارات رفعها آخرون وأضرت بهم وبغيرهم.

كانت معركة من معارك العرب الخالدة عكس تصورات وأحلام الجنرال المتغطرس موشي دايان وزير الحرب الصهيوني الذي وصل به الغرور كما قيل يومها أنه دعا حوالي الثلاثمائة صحفي ليشربوا معه الشاي في السلط في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الكرامة، كانوا قبل ذلك التاريخ قد طلبوا وقف إطلاق النار لأول مرة في حروبهم مع العرب".

٤٥ من المعروف أنه إذا هاجم العدو أرض الجيش الذي يدافع، فليس من الضروري انتظار الأوامر العليا للرد وصد الهجوم بكل القوى المتوفرة وهذا ما حصل عندما أعطى الفريق مشهور حديثة أوامره بالتصدي.

وفي شهادة أخرى للفريق الركن مشهور حديثة[٤٦] يقول[٤٧]:

بالرغم من هذا استطعت إن أبني الجسور الطيبة مع قادة المقاومة وعلى رأسهم أبو عمار والمرحوم أبو صبري واستطعنا أن ندمج قواعدهم ضمن مناطقنا القتالية..

بدأت إسرائيل تشعر في أحيان عديدة بمساعدتنا للفدائيين لأننا أتحنا الفرصة للمقاومة وللعمل الفدائي بالإسناد إسنادا كاملا من قواتنا ومن مدافعنا، وهذا أزعج إسرائيل؛ ولذلك قررت إسرائيل إنهاء العمل الفدائي في الأردن بقرار من موشيه دايان وزير الدفاع وموافقته وموافقة حكومته بالطبع بأن يقوموا بعملية عسكرية كبرى لخلع جذور الفدائيين وتصفيتهم.. ولذلك اتخذت كافة الإجراءات تنسيقا مع العمل الفدائي وتنسيقا مع الجيش.. ومن أهم ما تحقق في هذه المعركة هو وحدة الدم والهدف بين الجندي الأردني وأخيه المقاتل الفلسطيني حيث قاتلا صفا واحدا.. لقد أثبتنا في الكرامة قولا وعملا أنه يمكن دحر هذا العدو المتغطرس الذي أدخل في روع المواطن العربي أنه العدو الذي لا يقهر وأصبناه بهزيمة قاسية.

إن صمود الجيش الأردني أمام الهجوم الإسرائيلي يشكل نقطة تحول بالنسبة إلى الجيوش العربية، هذا ما قاله كبار القادة العسكريين في العالم تعليقاً على نتائج معركة الكرامة التي خاضها الجيش الأردني. ومن الجدير بالذكر أن هذه هي أول مرة تنشر فيها التفصيلات الكاملة للمعركة.. وقد أخذت حقائقها من الوثائق الرسمية للجيش الأردني.. ومن القادة والضباط وضباط الصف الذين خاضوا المعركة.. وقد اشترك في عرض حقائقها مدراء الفروع المعنيين في رئاسة الأركان.. قادة الأسلحة المختلفة، وتعتبر السجل التاريخي العسكري للمعركة..

ويقول مشهور حديثة عن نتائج المعركة أيضاً:

أولاً: كانت نقطة تحول في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، بحيث أثبتت هذه المعركة قدرة الجندي العربي - إن لم يعدم السبل والإمكانات في ساحة المعركة من جهة - ثم إنه ضمن له عدم

٤٦ الفريق الركن مشهور حديثة الجازي عسكري اردني ذو كفاءة عالية وله مواقف مشرفة من العمل الفدائي، ولد عام ١٩٢٨ في منطقة معان، التحق بقوة البادية الاردنية في ١٩٤٣/٦/٢٨م، وفي عام ١٩٤٦ التحق بجناح الثقافة في مركز العبدلي، واشترك بدورة تأهيل مرشحين عام ١٩٤٧م وكان رقمه العكسري (٥٠٥) وبعد تخرجه التحق بكتيبة المشاة الثانية، وفي عام ١٩٦٢ أصبح قائد اللواء المدرع (٤٠) وقائد للجبهة الشرقية ثم قائدا للفرقة الاولى في عام ١٩٦٧م والتي شاركت في معركة الكرامة، عين قائدا عاما للقوات المسلحة الاردنية بتاريخ ١٩٧٠/٦/١١م، ثم مستشارا خاصا للملك حسين حتى ١٩٧٠/١٢/١م.

٤٧ إعداد توفيق أبو بكر معركة الكرامة الخالدة، ط١، ص٦٧، ١٩٩٨.



التدخل في تحركاته من جهة أخرى.. وبالطبع في ظل قيادة مؤمنة وصادقة بوعد الله.

ثانياً: فرضت هذه المعركة احترام وتعاطف شعبي كبير مع الحركة الفدائية، بحيث تطوعت أعداد هائلة من الشباب الفلسطيني والعربي في صفوف الحركة، وكسبت تعاطف الرأي العام العالمي وحازت على الدعم المادي الكبير من الدول العربية.

ثالثاً: سقوط قائد الحملة الجنرال ديان واعتزاله الجندية والسياسة وعودته للتنقيب عن الآثار ونهبها في فلسطين المحتلة.

رابعاً: سقوط مقولة «أن الجيش الصهيوني الذي لا يقهر.. وما كان يردده الأعداء بأن القوات العربية لا تصمد أمام القوة الإسرائيلية».

خامساً: إفشال الهدف الإسرائيلي في إيجاد منطقة أمنية خاضعة للسيطرة الإسرائيلية على غرار ما يسمى بالشريط الحدودي في جنوب لبنان.

سادساً: ضربت هذه الملحمة الخالدة مثلاً رائعاً في التلاحم بين القيادة والقاعدة وبين الرئيس والمرؤوس.

سابعاً: اكتساب الأردن مكانة مميزة بين الدول العربية، بصفته صاحب أطول خط مواجهة مع إسرائيل.

إن المعركة انتهت وفشل الجيش الإسرائيلي في تحقيق أي من الأهداف التي قام بهذه العملية العسكرية من أجلها وعلى جميع المحاور، وأثبت العسكري الأردني قدرته على تجاوز الأزمات السياسية ويحارب جنباً إلى جنب مع عناصر الفصائل الفلسطينية، وقدرتهم جميعاً على الثبات وإبقاء روح قتالية عالية وتصميم وإرادة على تحقيق النصر. وقد أثبتت الوثائق التي تركها القادة الإسرائيليون في ساحة القتال أن هذه العملية تهدف إلى إحتلال المرتفعات الشرقية لوادي الأردن وأنه تمت دعوة الصحفيين لتناول طعام الغداء فيها أو الشاي.

الإعداد المعنوي: جسدت هذه المعركة أهمية الإعداد المعنوي للجيش، فمعنويات الجيش العربي كانت في أوجها، خصوصاً وأن جميع أفراده كان تواقين لمسح سمة الهزيمة في حرب ١٩٦٧م التي لم تسنح لكثيرين منهم فرصة القتال فيها.

الاستخبارات العسكرية: أبرزت المعركة حسن التخطيط والتحضير والتنفيذ الجيد لدى الجيش العربي. مثلما أبرزت أهمية الاستخبارات؛ إذ لم ينجح الإسرائيليون في تحقيق عنصر المفاجأة، نظراً لقوة الاستخبارات العسكرية الأردنية والتي كانت تراقب الموقف عن كثب وتبعث

بالتقارير لذوي الاختصاص أولاً بأول حيث توقعوا الاعتداء الإسرائيلي وحجمه مما أعطى فرصة للاستعداد الصحيح.

الغطاء الجوي: برزت أهمية الاستخدام الصحيح للأرض حيث أجاد جنود الجيش العربي الاستخدام الجيد لطبيعة المنطقة وحسب السلاح الذي يجب أن يستخدم وإمكانية التحصين والتستر الجيدين، بعكس الجيش الإسرائيلي الذي هاجم بشكل كثيف دون معرفة بطبيعة المنطقة معتمداً على غطائه الجوي. كما أن التخطيط السليم والتنسيق التام بين جميع وحدات الجيش وأسلحته المختلفة والالتحام المباشر عطلا تماماً ميزة الغطاء الجوي الإسرائيلي.

لقد شعر الجيش الأردني أن التركيز ينصب أساسا على احتلال أجزاء من الأراضي الأردنية وقد سرى اعتقاد في أوساط الحكم والجيش أن الهجوم الإسرائيلي لم يكن يستهدف الفدائيين فقط، وإنما كانت له أهداف أوسع كاحتلال الأرض، ولذلك ارتفعت معنويات الجيش الأردني عاليا لأنهم اعتقدوا أنهم أفشلوا الخطة الإسرائيلية في احتلال جزء من أرض شرق الأردن.

وفي شهادة مميزة يقول اللواء معن أبو نوار:

«ففي بلدة الكرامة أجرى أول تنسيق عملي على الأرض من أعلى مستوى في قيادة الدولة وقيادة الجيش وحركة التحرير الفلسطينية «فتح» وعناصر من جيش التحرير الفلسطيني، وهكذا ولأول مرة وقف الرجال صفا واحدا يقابلون المصير الواحد، إما العيش بكرامة وشرف أو الموت بكرامة وشرف عند النهر.. على خط المواجهة.. على مشارف الشهادة في سبيل الله يدا واحدة، وقلبا واحدا في بلدة الكرامة.. وقد قصد بهذا الاسم التذكير بأن النصر لا يأتي إلا بوحدة القلوب ووحدة الصف وبوحدة العمل خالصة لوجه الله دون تحفظ»[٤٨].

وفي إجابات الملك حسين على أسئلة الصحفيين قال:

أود أن أرفض الرأي القائل بأن الكثير منا هنا في الأردن وفي الأجزاء الأخرى من العالم العربي كنا ضحايا إسرائيل وعدوانها، وكذلك إخواننا في الأراضي المحتلة الذين يمارسون حقهم في المقاومة، إن هذه المقاومة هي أمر طبيعي مارسته كثير من الشعوب التي ترزح تحت

---

٤٨ معن أبو نوار، معركة الكرامة، ط٣، ١٩٧٠/٣/٢١، ص١٤٠.



احتلال أجنبي في ظروف مشابهة. أما بالنسبة لنا فإننا نتحمل مسؤولية كل ما تقدم على عمله تحت أية ظروف، هناك أنواع كثيرة من الناس فمنهم المجاهدون الذين كرسوا حياتهم لمقاومة احتلال أراضيهم وبيوتهم، وهناك المثقفون الذين هم على أتم الاستعداد للتضحية بكل شيء في سبيل إنقاذ كرامتهم وكرامة أهليهم وأمنهم، ولذا فإننا نرى أن مشكلتنا متعددة الأطراف، وأن علينا تنظيم أنفسنا كما نرى بوضوح نوايا إسرائيل وسياستها.

وردا على سؤال عما إذا كان عدد الضحايا المدنيين في معركة الكرامة الذي أعلن عنه يضم الفدائيين الذين استشهدوا فقال: ربما كان كذلك ولكن حقيقة ما حدث هو أن سكان الكرامة قاوموا ببسالة، ومن الصعب أن نميز بين الفدائي وغيره وقد نصل إلى مرحلة نصبح فيها جميعا من الفدائيين، وربما يتم هذا في المستقبل القريب»[٤٩].

لقد جرت اتصالات لوقف إطلاق النار بعد الظهر وقد قلنا أننا لم نبدأ بإطلاق النار، وأن الإسرائيليين هم الذين بدأوا بالعدوان وعندما ينسحب الإسرائيليون إلى الجانب الآخر من وقف إطلاق النار، وعندما يوقفون إطلاق النار الذي بدأوه عندها فقط نكون على استعداد لوقف إطلاق النار وهكذا استمرت المعركة.

ردود الفعل الإسرائيلية على المعركة:

- ليفي اشكول رئيس الحكومة في الكنيست ٢٥ / ٣ / ١٩٦٨م: عملية الكرامة لم تحل مشكلة الإرهاب.
- حاييم بارليف رئيس الأركان (هآرتس ٣١ / ٣ / ١٩٦٨م): إسرائيل فقدت في هجومها الأخير على الأردن آليات عسكرية تعادل ثلاثة أضعاف ما فقدته في حرب حزيران، وقال أيضا في حديث له نشرته جريدة " إن عملية الكرامة كانت فريدة من نوعها ولم يتعود الشعب في (إسرائيل) مثل هذا النوع من العمليات، وبمعنى آخر كانت جميع العمليات التي قمنا بها تسفر عن نصر حاسم لقواتنا، ومن هنا فقد إعتاد شعبنا على رؤية قواته العسكرية وهي تخرج منتصرة من كل معركة أما معركة الكرامة فقد كانت فريدة من نوعها، بسبب كثرة الإصابات بين قواتنا، والظواهر الأخرى التي أسفرت عنها المعركة مثل إستيلاء القوات الأردنية على

---

٤٩ معن أبو نوار، معركة الكرامة، ط٣، عمان ١٩٧٠ ص٢٧٩.

عدد من دباباتنا وآلياتنا وهذا هو سبب الدهشة التي أصابت المجتمع الإسرائيلي إزاء عملية الكرامة.

- عضو الكنيست شموئيل تامير: (الوسط الحر) طالب بتشكيل لجنة تحقيق برلمانية للبحث في "التعقيدات السياسية المسؤولة عن نتائج عملية الكرامة"، تخطيط العملية وتنفيذها يخلفان أسئلة كثيرة تتطلب الإجابة وطالب بتشكيل لجنة برلمانية للتحقيق في نتائج الحملة على الأردن، لأن عدد الضحايا أكثر نسبياً في القوات الإسرائيلية.
- وصف قائد مجموعة القتال الإسرائيلية المقدم (أهارون بيلد) المعركة فيما بعد لجريدة دافار الإسرائيلية بقوله: لقد شاهدت قصفاً شديداً عدة مرات في حياتي لكنني لم أر شيئاً كهذا من قبل لقد أصيبت معظم دباباتي في العملية ما عدا اثنتين فقط.
- ناتان بيليد ممثل حزب المابام: على إسرائيل أن تصوغ تكتيكها العسكري لأساليب القتال المتبعة عند العدو والظروف السياسية المحيطة.
- يوري افنيري (هعولام هازيه): المفهوم التكتيكي للعملية كان خاطئا من الأساس، وأن النتائج انتهت إلى نصر سيكولوجي للعدو الذي كبدنا خسائر كبيرة.
- مجلة جويش كرونيكل: أن إسرائيل عكفت هذا الأسبوع على إعادة تقييم شاملة لسياسية الغارات الإنتقامية العسكرية الثقيلة كغارة الكرامة، وأن المسؤولين الإسرائيليين كانوا مهتمين بالخسائر التي تكبدها الجيش، هناك "اعتقاد سياسة الغارات الانتقامية قد وصلت إلى نهاية عمياء وأنها بحاجة إلى إعادة تقييم أساسي، فبعد أربع وعشرين ساعة من انسحاب الإسرائيليين من الكرامة عاود الإرهابيون العرب نشاطهم من جديد.

بعد ٤٢ عاما إسرائيل تعترف بفشلها في معركة الكرامة(٥٠)

كشفت إسرائيل وللمرة الأولى منذ ٤٢ عاماً، عن وثائق سرية تعترف بالفشل في معركة الكرامة وظهر ذلك بما قاله المحرر العسكري لصحيفة هآرتس يوسي ميلمان بأن هذه الوثائق تظهر محاولات المسؤولين الإسرائيليين التغطية على الفشل، موضحاً أن مثل هذه المحاولات

٥٠ يوسي ميلمان، هآرتس ٢٤-٤-٢٠١١م.



استمرت في حرب لبنان الثانية وفي «الرصاص المصبوب» في غزة. واستذكر ميلمان أن قادة الكيان وقتها زعموا أن «الإنجازات في الكرامة تبرر كلفتها العالية»، مشيراً إلى أن الجيش يكشف النقاب بعد عقود عن حقيقة التسرع والاستخفاف والثقة الزائدة بالنفس التي تسببت في الفشل في المعركة. وأكد أن فشل إسرائيل الذريع لم يتم التحقيق به واستخلاص العبر، حتى وقعت هزة أرضية ثانية في حرب تشرين بعد خمس سنوات، مضيفاً أن الفشل كبّد إسرائيل خسائر موجعة، علاوة على الفشل في ضرب منظمة التحرير. لم تؤد هذه الصفعة الموجعة إلى إيقاظ إسرائيل بمستوييها السياسي والعسكري، لافتاً إلى أن حقائق تلك الحملة العسكرية، معروفة لكن التفاصيل تم إخفاؤها ولم يتحمل أحد مسؤوليتها. وأخيرا قرر الجيش الاعتراف بعد صدور كتاب حول الكرامة لمؤلفه د.آشر بورات الذي شارك في العدوان وفقد فيه ذراعه، وبعد الكشف عن وثائق سرية أرشيفية تكشف أن إسرائيل خططت لشن العدوان وتدربت على اجتياز نهر الأردن قبل حرب ١٩٦٧ حينما كانت الضفة الغربية تحت الحكم الأردني، وأراد الجيش «كيّ وعي الفدائيين» بقتلهم وأسرهم من خلال إنزال قوات خلف صفوفهم واصطيادهم. وبحسب الوثائق رجحت إسرائيل أن ترد القوات الأردنية بشكل غير جدي كما في حرب ٦٧ وفي حال كان عكس ذلك فعلى الطائرات الإسرائيلية تدميرها.

وأشار ميلمان إلى أن إسرائيل ارتكبت أخطاء استراتيجية وتكتيكية في حملتها على الكرامة موضحاً أن إنذار الأردن بعدم التدخل من خلال الولايات المتحدة منح ياسر عرفات الاستعداد للمعركة وحفز الجيش الأردني إلى التدخل. وأكد تورط الجيش الإسرائيلي في الحملة، وبلغ الفشل ذروته بتدمير دبابتين من رتل دباباته وبمحاولة إنقاذ طواقمهما حيث أصيبت ٢٧ دبابة أخرى خلال محاولة الإنقاذ حيث واصلت المدفعية الأردنية بالقصف رغم استهدافها بطائراتنا.

وبحسب الوثائق أخطا الجيش بتقديراته معتقداً أن الكرامة خربة صغيرة، فيما كانت بلدة تعد آلاف المنازل كما تعترف بأن مقاومتها كانت شديدة للغاية وتروي عن قيام فدائيين باستهداف المدرعات والدبابات (خاصة الوحدة الخاصة التابعة لهيئة الأركان بقيادة نائب وزير الحرب الحالي متان فلنائي) بالقنابل اليدوية عن بعد أمتار. ونقلت الوثائق اعترافات قائد الجيش حاييم بار ليف أن الاستخفاف بالعدو والتوغل أكثر من اللازم أديا دوراً في الفشل لافتاً إلى أن النتائج وبقاء بعض المعدات الإسرائيلية أضرت بصورة إسرائيل وقوة ردع جيشها.

جهنم في الكرامة(٥١):

بعد مرور أربعين عاماً على الهزيمة التي عصفت بجيش إسرائيل في معركة الكرامة عام ١٩٦٨م: انتهت عملية جهنم « الاسم الذي أطلقه جيش إسرائيل على معركة الكرامة « بإقالة الجنرال عوزي ناركيس، قائد ما يسمى بالمنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي حينها والذي تولى قيادة المعركة عن الجانب الإسرائيلي، دون أن يكون لإقالته حينها أي صدى يذكر حتى يومنا هذا.

أحد الجنود الإسرائيليين الذين شاركوا في معركة الكرامة ويدعى « بيني « وهو أحد قدامى المقاتلين في سلاح المدرعات الإسرائيلي، أنعش ذاكرته بأشياء منسية عندما قال له: «مرت أربعون عاما على هزيمتنا في معركة الكرامة، وهي أكثر الهزائم التي جرحت إسرائيل في الصميم».

الهزيمة في الكرامة ألحقت بإسرائيل ضررا إستراتيجيا خطيرا وخلفت عشرات القتلى والجرحى وبثت الأمل في الروح العربية وأصبح بإمكان العرب مواجهة الترسانة العسكرية الإسرائيلية بكل ما تمتلك من قوة لدرجة أنه بات يمكن كسر شوكة هذه الترسانة ودفعها إلى الاستسلام. لقد مهدت معركة الكرامة الطريق أمام إندحار إسرائيل في حرب الإستنزاف مقدمة إلى هزيمة الجيش الإسرائيلي في حرب رمضان ١٩٧٣م.

ويربط الكاتب في مقالته بين هزيمة الجيش الإسرائيلي في معركة الكرامة وبين الهزيمة التي لحقت بجيش الاحتلال خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان في تموز ٢٠٠٦م إذ يقول «هناك خط رهيب ومتصل يربط بين معركة الكرامة و» حرب لبنان الثانية» – مثلما اصطلح الإسرائيليون على تسميتها – إلا وهو خط المهارة والحرفية التي بدأها المقاتلون قبل أربعين عاماً».

٥١ جهنم في الكرامة، الكاتب الإسرائيلي افيتار بن تسيدف، مدونته الالكترونية غلوبال ريبورت.

قادة إسرائيل في ورطة(٥٢):


ياسر عرفات، الملك فيصل وجمال عبد الناصر

أن ما فاجأ الإسرائيليين حينها هو الأداء الناجح للجيش الأردني والفدائيين أثناء سير المعركة. لقد خطط الجيش الإسرائيلي في المرحلة الأولى للسيطرة على المنطقة الممتدة بين جسر الأمير محمد وجسر الأمير عبدا لله «شمال البحر الميت ثم الزج بقوات برية إسرائيلية إلى عمق الأراضي الأردنية للسيطرة على المنطقة، لكن فشلت جميع مخططات الجيش الإسرائيلي عندما لم يفلح سلاح الهندسة التابع له بمد جسر على نهر الأردن بسبب القصف المكثف من قبل المدفعية الأردنية التي أمطرت قوات إسرائيل بقذائفها. وبفضل الدفاع الباسل تبين للقادة الإسرائيليين حجم الورطة الكبيرة التي أوقعوا أنفسهم فيها في مواجهه الجيش الأردني المنظم والفدائيين فقرر رئيس الأركان حاييم بارليف سحب القوات الإسرائيلية وأجبرت هذه القوات على التقهقر إلى الضفة الغربية من نهر الأردن ونتيجة للمقاومة الشرسة، فشل جيش إسرائيل أيضا في تنفيذ عملية الإنسحاب بشكل منظم.

تصاعد التأييد ومضاعفة عمليات العاصفة:

كان للانتصار المشترك الذي حققه الفدائيون والجيش الأردني في معركة الكرامة، الأثر الكبير في تزايد التأييد الشعبي والرسمي الأردني والعربي للعمل الفدائي، وقد نجحت حركة فتح في توظيف الانتصار لتعزيز تماسكها الداخلي حيث تم تعيين ياسر عرفات يوم ١٤ / ٤ / ١٩٦٨م

٥٢ موقع إسرائيلي يسمى « حيتسر: وتعني بالعبرية «الباحة».

متحدثا رسمياً باسم حركة فتح[٥٣]، في خطوة قطعت الطريق على عضو اللجنة المركزية "محمود مسوده" الذي كان آمرا لعدد من القواعد العسكرية المقاتلة، ويستعد لإعلان نفسه قائداً عاماً لحركة فتح، وكان لصلاح خلف الدور الرئيس في تثبيت القيادة لياسر عرفات بشكل مؤقت لحين انعقاد المؤتمر الثاني لحركة فتح في بلدة الزبداني بسورية في ٧ / ١٩٦٨م بحضور (١٠٠ مندوب) حيث تم إنتخاب لجنة مركزية جديدة للحركة على رأسها ياسر عرفات ولم ينتخب محمود مسوده فيها وصدر قرار بتعيينه ممثلاً لحركة فتح في السودان[٥٤]، كما تم تشكيل المجلس الثوري في ذلك المؤتمر ليكون رقيباً على اللجنة المركزية.

واتخذ الجانب العربي عدة خطوات أسهمت إلى حد بعيد في تقوية حركة فتح وتأجيج الكفاح الفدائي الفلسطيني ومن هذه الخطوات:

أولاً: وجه الملك السعودي فيصل بن عبد العزيز[٥٥] دعوة إلى خليل الوزير وصلاح خلف

---

٥٣ يقول صلاح خلف في كتابه فلسطيني بلا هوية: «بعد مرور ثلاثة أسابيع على معركة الكرامة تلقيت تقريراً سرياً يفيد بأن أحد أعضائنا يستعد للمناداة بنفسه قائداً لقوات العاصفة. كانت خطته هذه تخاطر بإثارة أزمة داخل الحركة وتشويشاً خطيراً في الرأي العام، سيما وأن تركيب قيادة فتح كان لا يزال في ذلك الحين سريا، وقد وجدت نفسي وحيداً في دمشق الذين كانوا غالبيتهم متوزعين بين القاهرة وعمان وبيروت فقد اتخذت المبادرة وأعطيت الصحافة بياناً يعلن تعيين ياسر عرفات ناطقاً باسم فتح (وبالتالي باسم العاصفة). وزع البيان فوراً على الصحافة العربية، وقال لنا فيما بعد عماد شقورة، وهو فلسطيني من مواطني فلسطين المحتلة انضم إلى صفوف «فتح» بعيد حرب ١٩٦٧م وأقام في دمشق: «أرسلنا البيان أيضا إلى صحيفة الأهرام القاهرية، التي طلبت صورة عاجلة للشخص المعني. لم تكن لدينا صور له، وكان عرفات يومها في الجزائر. لكن إنعام، أخت عرفات، كانت تعيش في القاهرة أرسلت بالصورة التي بدا فيها يافعاً، أصلع، بشاربين، غير حليق اللحية أيضا، ومرتدياً قميصاً وربطة عنق. وفي ٧-١٩٦٨، عقد المؤتمر العام لحركة» فتح» في مكان قريب من دمشق وصادق على تعيين ياسر عرفات ناطقا رسميا وقائدا عاما لقوات العاصفة.

٥٤ محمود مسوده كان محسوباً على الجناح الإسلامي في حركة فتح، وأطلق على نفسه «فتح الإسلام» وضم في قياداته نمر صالح وقد شكل هذا الجناح بعد أن تم حل فتح الإسلام ما يسمى «قواعد الشيوخ» وكان يضم قيادات إخوانية كبيرة منها عبد الله عزام، إلا أن هذا الجناح إنسحب نهائياً من حركة فتح، وشق طريقه نحو الجهاد في أفغانستان ضد النفوذ السوفييتي هناك.

٥٥ الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، ولد في ١٩٠٦م، أدخله والده في السياسة في سن مبكر، حيث أرسلة في زيارات لبريطانيا وفرنسا مع نهاية الحرب العالمية الأولى وكان وقتها بعمر ١٣ سنة، كما رأس وفد المملكة إلى «مؤتمر لندن» عام ١٩٣٩ حول القضية الفلسطينية. أثناء توليه وزارة الخارجية طلب من الملك عبد العزيز قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة بعد قرار تقسيم فلسطين. في ٩-١٠-١٩٥٣م تم تعيينه نائبًا أول لرئيس مجلس الوزراء بالإضافة إلى كونه وزيرًا للخارجية. وفي ٢-١١-١٩٦٤م وبعد خلع الملك سعود تم مبايعت ملكا للسعودية. اهتم بالقضية الفلسطينية، وشارك في الدفاع عن حقوق فلسطين عالميًا، وظهر ذلك واضحًا عندما خطب في عام ١٩٦٣ في الأمم المتحدة حيث ذكر إن الشيئ الوحيد الذي بدد السلام في المنطقة العربية هو المشكلة الفلسطينية. ورفض الاعتراف بإسرائيل، وطالب توحيد الجهود العربية وإنشاء هيئة تمثل الفلسطينيين، وإشراك المسلمين في الدفاع عن القضية. وعلى الرغم من خلافاته مع الرئيس عبد الناصر، إلا أنه بعد حرب ١٩٦٧ تعهد بتقديم معونات مالية سنوية حتى تزول آثار الحرب على مصر، كما أنه قرر مع عده دول عربية بقطع البترول أثناء حرب أكتوبر. وفي ٢٥-٣-١٩٧٥م قام الأمير فيصل بن مساعد بن عبد العزيز آل سعود بإطلاق النار عليه في مكتبة وأرداه قتيلاً. وهناك مزاعم بأن ذلك تم بتحريض الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بسبب سياسة مقاطعة تصدير البترول التي انتهجها في بداية السبعينات من القرن العشرين بعد حرب أكتوبر.

لمقابلته في الرياض تعهد خلالها بتقديم دعم مالي كبير لحركة فتح.

ثانياً: تحولت علاقات حركة فتح مع مصر إلى تحالف إستراتيجي، حيث كان الرئيس المصري جمال عبد الناصر يسعى إلى تشكيل جبهة شرقية تضم سوريا والأردن ومصر، وأمر عبد الناصر آنذاك بإرسال شحنة أسلحة لحركة فتح تعويضا عن خسائرها(٥٦).

ثالثاً: اعتبرت مصر العمل الفدائي مكملا ومفيدا للدبلوماسية العربية الهادفة لزيادة الضغط على إسرائيل للقبول بحل وسط، وكانت الحصيلة دعوة ياسر عرفات وفاروق القدومي لمقابلة الرئيس المصري جمال عبد الناصر، حيث تم البحث في مسألة التعاون العملي مع رئيس الإستخبارات العسكرية المصرية محمد صادق ومع وزير الدفاع محمد فوزي ورئيس المخابرات العامة أمين هويدي، فيما تولى سامي شرف مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر ومسؤول مديرية الأمن القومي متابعة الشؤون العملية المتعلقة بحركة فتح والمنظمات الفدائية، وظهر الدليل العملي والفعلي على العلاقة الجديدة مع مصر يوم ١٠ / ٥ / ١٩٦٨م عندما أعطيت حركة فتح موجة خاصة بها لتبث منها يومياً من إذاعة القاهرة «صوت فلسطين».

رابعاً: عززت مصر الوجود الفدائي في الأردن بنقل (١٣٠) ضابطا وجنديا من قوات عين جالوت التابعة لجيش التحرير الفلسطيني إلى جنوب الأردن، وذلك منتصف شهر (٤ / ١٩٦٨م) بناء على طلب من ياسر عرفات(٥٧).

خامساً: إزداد عدد مقاتلي حركة فتح الذين يتلقون التدريب العسكري في مصر على إطلاق الصواريخ وكضفادع بشرية ومدربي صاعقة إعتباراً من شهر ٦-١٩٦٨م، ولتعزيز التنسيق الأمني تم تعيين ضابطي إرتباط ملحقين بالسفارة المصرية بعمان هما إبراهيم الدخاخني ومحمد عبد السلام، ويذكر أن إبراهيم الدخاخني كان قد زار دمشق مطلع ٨ / ١٩٦٨م حيث قابل قادة فتح، وقدم مساعدة عسكرية فورية لهم حيث نقلت طائرة مصرية أول شحنة من المعدات القتالية، وعاد على متن الطائرة نفسها بعد إفراغ حمولتها وبصحبته (خمسين مقاتلاً) من فتح لتلقي التدريب على قتال القوات الخاصة، وبعدها استمرت الإمدادات المصرية في الوصول بمعدل طائرة شهرياً.

سادساً: أرسلت مصر «القوة الخاصة» وهي جهاز خاص تم تشكيله آنذاك للإستخبارات المصرية لتكون مرتبطة مع الرئيس جمال عبد الناصر مباشرة ومهمتها تنفيذ عمليات تجسس وعمليات سرية في الخارج(٥٨)، وكانت تلك القوة الخاصة تتلقى التعليمات والأوامر بالإتفاق مع

---

٥٦ يزيد الصايغ، المرجع نفسه، ص٢٧٦.

٥٧ يزيد الصايغ، المرجع نفسه، ص٢٧٨.

٥٨ المصدر نفسه، ص٢٧٨.

الإستخبارات العسكرية، وترأس تلك القوة الخاصة الضابط أحمد حلمي المعروف بلقب «أبو هاني» وهو من القوات الخاصة المصرية، وحل محله فيما بعد جمعة الجمله وهو فدائي سابق من الكتيبة (١٤١) التي تضم ضباط من جيش التحرير الفلسطيني من أبرزهم: فاخر النحال ووليد أبو شعبان وأحمد مفرج الذين أصبحوا من القيادات العسكرية لحركة فتح، وقد تولت حركة فتح إمداد المجموعة باحتياجاتها فيما سيطرت الإستخبارات العسكرية المصرية على مهماتها التي شملت التدريب والاستطلاع والعمليات الخاصة ومنها ضرب مصنع البوتاس الإسرائيلي على البحر الميت وقاعدة مسادة الجوية الإسرائيلية، وتحصينات مفاعل ديمونة في النقب، حيث إستخدمت القوة الخاصة صواريخ من عيار (٢٤٠ ملم)[٥٩] أرسلتها مصر لحركة فتح وقد توسع نشاط هذه القوة بعد وصول مروان عبد الحكيم وضابطين آخرين توليا إقامة معسكر تدريب لحركة فتح.

إعادة تشكيل القطاعات العسكرية لقوات العاصفة:

تزايدت أعداد المتطوعين الفلسطينيين والعرب بعد معركة الكرامة من مصر والعراق وسوريا وبقية الدول العربية أضعافاً مضاعفة، وبفضل هذه الأعداد الهائلة من الفدائيين تمكنت حركة فتح من تقسيم قواتها إلى ثلاثة قطاعات فدائية تمتد من أم قيس في الشمال إلى وادي عربة جنوب البحر الميت، وكان لكل قطاع آمر وضابط عمليات ومعسكر تدريب ويتألف من عدة قواعد، فأعيد تجميع كل ١٢ قاعدة في وحدة مقاتلة وشكلت كل أربع أو خمس وحدات قطاعاً عسكرياً. ويذكر أن القطاعات الثلاثة الرئيسة لقوات العاصفة كانت كالتالي[٦٠]:

١ – قطاع الشمال: بقيادة معاذ عايد (أبو سامي).

٢ – قطاع الوسط: بقيادة الرائد خالد، وبعد استشهاده تسلم بادي عواد قيادة القطاع.

---

٥٩ المصدر نفسه، ص٢٧٨.

٦٠ وجود حركة فتح في دول الطوق وعلى سبيل المثال مصر حيث كانت تقوم بتدريب الكوادر العسكرية والأمنية، وكانت أوائل الدفعات قد تخرجت من الجزائر وثاني دفعة من مصر، هذا بالإضافة إلى أن عدداً كبيراً من ضباط المخابرات والاستخبارات كانت تلتحق بقواعد الفدائيين لتقوم بنفس هدف المقاومة، أضف إلى ذلك مساعدتنا بالسلاح والذخيرة، أما الأردن فكما قلت فتحت كل أراضيها للعمل الفدائي وقد أنشأت ثلاثة قطاعات، كانت جنبا إلى جنب مع القوات الأردنية وتصديها لقوات الاحتلال، أما سوريا فهي الأخرى فتحت معسكرات تدريب لحركة فتح وغيرها، ولم تبخل بمساعدة فتح بمدها بالذخيرة والسلاح، كما أنشئ قطاع في هضبة الجولان وسمي بقطاع الجولان، أما لبنان لم تسمح الحكومة اللبنانية بوجود العمل الفدائي رسمياً على أراضيها، ولكن فتح استطاعت أن تجبر الحكومة اللبنانية بالاعتراف على تواجدها وخاصة أن هناك أكثر من نصف مليون لاجئ فلسطيني على الأراضي اللبنانية، حتى جاءت اتفاقية القاهرة ١٩٦٩م بتنظيم عملية وجود العمل الفدائي على الساحة اللبنانية. لقد كانت فتح ساعية منذ الانطلاقة الأولى لها تعمل على وجود قواتها على خطوط التماس مع قوات الاحتلال، وهذا ظاهر من وجود قطاعاتها، ولم يخطر ببالها أن تكون في العواصم والمدن العربية إلا من خلال مكاتب إدارية وإعلامية عكس الآخرين.



٣ – قطاع الجنوب: بقيادة منذر الدجاني «أبو العز» ومن بعده موسى عرفات.

وبعدها تم تشكيل القوة المحمولة وكتيبة الأمن وقوة الإمداد والشرطة العسكرية واللجنة العلمية ومدرسة الكوادر لإعداد القادة العسكريين. وفي مرحلة لاحقة في عام ١٩٦٨م تشكل (قطاع الجولان) في سوريا وبدأ التمدد الفدائي الكبير في لبنان، وفي العام نفسه أيضا وفي منطقة العرقوب تأسس قطاع قوات نسور العرقوب.

كانت الصين في هذه الفترة داعماً أساسا في مجال التزويد بالسلاح، إضافة إلى مصر والجزائر وسورية والعراق، وجهزت حركة فتح فدائييها بأسلحة متقدمة، وقدمت الصين بنادق كلاشنكوف من طراز(أ. ك–٤٧) وقذائف صاروخية مضادة للدبابات من طراز (آر. بي.جي٢ و ٧) ومدافع هاون عيار (٦٠ملم) و(٨٢ملم) ومدافع صاروخية عيار (١٣٠ ملم) وكانت كميات السلاح تصل إلى دمشق والى قاعدة الحبانية الجوية العراقية، أو يجري شحنها بحرا إلى مينائي اللاذقية والبصرة، ثم يجري نقلها براً إلى الأردن وكانت الشاحنات التابعة للوحدات العراقية والسورية المرابطة في الأردن تقوم بإدخال السلاح وأدى هذا الدعم لحركة فتح إلى إزدياد العمليات الفدائية ضد إسرائيل عبر الحدود الأردنية وفي داخل الضفة الغربية، وقد شكل ياسر عرفات في شهر (٦ / ١٩٦٨م) مكتبا ملحقا بالقيادة العامة لحركة فتح مهمته التخطيط للعمليات الفدائية، وتم إعتماد هذا المكتب تحت اسم «مفوضية الوطن المحتل» وشاعت عليها تسمية «القطاع الغربي».

وأنهى الإقبال الواسع على التطوع في صفوف الفدائيين الظاهرة الإنتقائية عبر الأطر التنظيمية لرفد القوات بالمقاتلين، وأحدث ذلك التوسع نوعاً من الخليط في القواعد التي ازدادت انتشاراً وخاصة في الساحة الأردنية وفي مناطق الأغوار مما أدى إلى زيادة الحاجة للإعداد السياسي والتربوي في إطار قوات العاصفة، لقد انتهى الأمر بقرار تشكيل جهاز للتوجيه السياسي في قوات العاصفة في النصف الثاني من عام ١٩٦٩م.

قواعد فتح في الجنوب (قطاع الجنوب):

بعد معركة الكرامة تزايدت أعداد الفدائيين الملتحقين بالحركة، قامت القيادة بافتتاح معسكرات تدريب للمقاتلين الجدد وتزويد القواعد الفدائية بكوادر جديدة من فدائيين مؤهلين عسكريا على خوض المعارك وقد استدعى هذا التطور تشكيل (قطاع الجنوب) الذي تناوب

على قيادته في البداية كل من عبد الحميد وشاحي "شيخ نعيم"، منذر الدجاني "بو العز" ثم استقرت القيادة على النحو الآتي:

١. موسى عرفات– قائد القطاع.
٢. عبد المعطي السبعاوي– ضابط العمليات.
٣. زيد مناصرة– ضابط الإدارة.
٤. حمد– مسؤول التسليح.
٥. رسمي العرقان (أبو عامر) – مسؤول التموين.
٦. المفوض السياسي – صلاح التعمري.

واستقرت قيادة قطاع الجنوب في البداية بمدينة الطفيلة ثم انتقلت بعد منتصف ١٩٦٨م إلى البتراء. وشمل قطاع الجنوب وحدات عسكرية تضم كل وحدة عدداً من القواعد، وهذه الوحدات هي:

١. الوحدة الخاصة وتولى قيادتها رستم ونائبه أبو القاسم، مقرها بين الطفيلة والكرك.
٢. الوحدة المحمولة تولى قيادتها عادل خلف ونائبه حميدو
٣. وحدة تضم ثلاث قواعد

البتراء – قائدها جابر عبيد
قلعة الشوبك – قائدها محمد الحارث
قاعدة القيش – قائدها واصف محمد

غور الصافي

١. وحدة الحاج حسن الطوباسي ونائبه أبو ابراهيم– ضابط العمليات أبو الوفا.
٢. وحدة الجمال– الشوبك بقيادة الرائد رعد.

الخدمات الطبية

١. محجوب عمر، يسري هاشم، د.خالد العراقي، أبو حاتم، أبو زياد.

العدوان على السلط:


الشهيد فايز حمدان (الرائد خالد)

نفذت حركة فتح بتاريخ ١٩٦٨/٨/١م أكبر عملية فدائية بالإشتراك مع قوات التحرير الشعبية وقوات القادسية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني «عملية الحزام الأخضر» التي غطت قطاعا واسعا ممتدا على مسافة (٧ كلم) من الحدود الأردنية مع العدو الإسرائيلي، وهو الهجوم الذي أعلن أنه بداية لمرحلة جديدة أعطيت "اسم الحرب المتحركة" وقد ألحقت العملية الفدائية خسائر فادحة في التعزي زات العسكرية الإسرائيلية التي انتشرت على طول الحدود مع الأردن، وخاصة تجاه الأغوار إعتباراً من يوم ١٩٦٨/٥/٣١م إنعكاسا للقلق الإسرائيلي من تنامي قوة حركة فتح والمقاومة الفلسطينية التي تمركزت في القرى والمدن الأردنية وخاصة مدينة السلط لقربها من الأغوار ولأهميتها الإستراتيجية في حماية العاصمة عمان من أي هجوم إسرائيلي.

وكان ياسر عرفات اختار الرائد خالد عبدالمجيد ليكون مساعداً لأبي صبري في منطقة الأغوار، وتم تكليفه كذلك بقيادة معسكر التدريب قرب نبع "عين حزير" جنوب المدينة وتم منحه صلاحيات عسكرية كاملة، لا سيما بعد أن عاد من زيارة لمصر قابل خلالها الرئيس جمال عبد الناصر.

وكان معسكر حركة فتح آنذاك يستقبل مئات المقاتلين للتدريب على فنون العمليات القتالية بإشراف بادي عواد قائد القطاع الأوسط والرائد خالد عبد المجيد(٦١) ضابطي للعمليات، والملازم أبو الفهود (فهد أحمد الجابر الصباح) وأبو علي المدني وعزت أبو الرب ركن التدريب.

بدأ الهجوم الجوي الإسرائيلي في صباح يوم الأحد ٤ /٨ /١٩٦٨م بهدف تدمير القدرات العسكرية لحركة فتح والمنظمات الفدائية الأخرى في مدينة السلط ومناطق البستان والأطلال وعين حزير ومخيم عمال الأشغال العامة في العارضة ومصنع الإسمنت في الفحيص ومزارع وادي شعيب، وشمل القصف جميع قواعد المقاومة ومعسكرات التدريب وهي:

١. قاعدة وادي شعيب.

٢. قاعدة الصبيحي.

---

٦١ فايز محمود حمدان (الرائد خالدعبدالمجيد) ولد سنة ١٩٣٨م في صور باهر قضاء القدس وعمل في الجيش الأردني وسرح برتبة نقيب وانتدب ممثلاً لجبهة النضال الشعبي في القدس لبناء قواعد ثورية، وتعرف على عبد الحميد القدسي (مسؤول تنظيم حركة فتح) وبعد اعتقال القدسي هرب الرائد خالد من الضفة والتحق بمعسكر الهامة وانضم لحركة «فتح»، وقام أبو عمار بترفيعه إلى رتبة رائد وانتدب ليكون مسؤولاً عن منطقة الأغوار ويتبع عسكرياً للشهيد أبو صبري، وفعلاً كان له دور مميز في بناء هذه القواعد وقبل معركة الكرامة انتدب من قبل مركزية فتح، حيث ذهب على رأس وفد لمقابلة محمد حسنين هيكل من أجل ترتيب لقاء للأخ أبو عمار مع الرئيس عبد الناصر واثناء سفره حصلت معركة الكرامة وبعدها نقل مقر قيادته إلى مرتفعات السلط واستطاعت اسرائيل قصف مقر قيادته وسقط شهيداً بتاريخ ٤-٨-١٩٦٨م. في مذكرات محمد حسنين هيكل يقول عنه: شاب فلسطيني تنبه وعيه بعد النكبة واقتات من عذابها وآلامها واحترف الجندية بوحي من وجدانه الداخلي، وأصبح ضابطا في الجيش الأردني، واتصل بالتيارات السياسية المؤثرة في الجيش. جاءت حرب ١٩٦٧م وهو قائد بطارية مدافع قرب القدس وحين سمع عن طريق الإذاعة ببدء المعارك على الجبهة المصرية أدار مدافعه في اتجاه القدس الجديدة وأصدر أمراً بالقصف وكانت مدافعه على وجه القطع هي أول دوي على الجبهة الشرقية.. وعاش كابوس الأيام الستة وحين التزم الكل بقرار وقف إطلاق النار كان تمرده على هذا القرار غالبا بألا يقاوم فودع رفاق السلاح في بطارية المدافع الأردنية، ومضى متسللا داخل الأرض المحتلة، وكان أحد مؤسسي جبهة النضال الشعبي مع الدكتور سمير غوشه وبهجت أبو غربية وخليل سفيان أبو الحكم واتصل بمنظمة فتح وانضم إلى جناحها العسكري (العاصفة) وتولى قيادة «ضابط عمليات» وراح يقضي أيامه ولياليه في تحدي الخطر أمام عدو شرس، حملته مسؤوليته إلى القاهرة يتحسس سبيله فيها كي يفتح بابا للتعاون بين منظمة فتح والجمهورية العربية المتحدة وكان إيمانه أن مثل هذا التعاون سوف يحدث تغييرا كميا وكيفيا لصالح المقاومة.. كان خالد يأتي إلى المطار فإذا هو يحتجز فيه لأنه يحمل مسدسه ولا يقبل تركه في المطار لكي يعود بعد إلى استلامه عند خروجه من القاهرة وفي كل مرة كان علي أن اتصل بمن يستطيع أن يسمح «لفدائي فلسطيني» من قادة المقاومة أن يدخل القاهرة بسلاحه؛ لأنه لا يستطيع أن يتخلى عنه.. ولقد رأيت خالداً مرة واحدة ينزع «طواعية» سلاحه ويومها كنت على موعد مع الرئيس جمال عبد الناصر واستأذنت في أن أجيء معي بفدائي فلسطيني يمثل جيل المقاومة.. وأمام بيت الرئيس قلت لخالد أنه سيقابل الرئيس وتوقف لحظة يستوعب ما قلت ثم انفجرت حماسته ثم تملكته الهيبة وقال: «لماذا لم تترك لي وقتا أطول لكي أهيأ نفسي..؟ فجأة توقف خالد وتحسس صدره ثم أخرج مسدسه وقال، نحتفظ بهذا في سيارتك حتى نخرج، ولا أدخل عليه بسلاح وفقط أمام الرئيس نعم أنزع سلاحي.. يوم الكرامة كان خالد في القاهرة وصلها في اليوم السابق للمعركة، وكان خالد قائد معسكر الكرامة الذي استهدفه الهجوم الإسرائيلي ثم اتصل معي وحضر مكتب الشؤون العربية ووضع رسما تخطيطيا عن المعركة. كان قلقا على القائد أبو عمار لأنه كان في الكرامة ولن يخرج منها، وإنما سيبقى فيها مهما كان الثمن، لأنه من زمن طويل كان يحلم بمواجهة واسعة مع العدو لتطعيم رجالنا بالدم.. في نهاية النهار كان خالد كنمر حبيس في قفص، وكان يلوم نفسه؛ لأنه لم يكن في الكرامة وقت المعركة، وكان خياله يجمع مع تفاصيلها وتخطر له فيها كل الاحتمالات وقلبه وأعصابه مع رفاق له يعرفهم ونحن لا نعرف عنهم شيئا.. صباح اليوم التالي تلقى أنباء عن المعركة وما حدث فيها وكانت كلها أنباء انتصار لا شك فيه رغم الخسائر والتضحيات. انظر: عمر أبو النصر، لكي لا تنسوا أيها العرب، دار أبو النصر للنشر، بيروت، ص٩٧.



٣. قاعدة القدس (جبهة النضال الشعبي).
٤. قاعدة الشهيد منهل.
٥. قاعدة شرق منزل محمد رسول الكيلاني.
٦. قاعدة خليل أبو لمعان بين قريتي عيرا ويرقا (جيش التحرير الفلسطيني)
٧. قاعدة ارميمين.
٨. قيادة قطاع السلط في عين حزير جنوب السلط ومعسكرات التدريب في البستان والأطلال.

وقبيل العدوان بفترة وجيزة، كان الرائد خالد عبد المجيد قائد قطاع السلط في اجتماع بمكتب الرصد الثوري الذي يبعد عن قيادة السلط بحدود (٣٠٠متر) حيث كان البحث مع القيادات الأخرى يتعلق بمعلومات حول نوايا العدو الإسرائيلي شن عدوان على القواعد الفدائية في السلط وجوارها. وبعد انتهاء الاجتماع عاد الرائد خالد إلى مقر القيادة وبرفقته الملازم أول المهندس عمر السرطاوي[٦٢] والملازم أول الأمير الكويتي أبو الفهود.


الشهيد المهندس عمر عبد الفتاح السرطاوي

وعندما حلقت طائرات سكاي هوك الإسرائيلية في أجواء قاطع السلط، أعلن الرائد خالد عبد المجيد الإنتشار في مواقع دفاعية واستعداد قوات مضادات الطائرات لإطلاق نيران الدوشكا على طائرات العدو الإسرائيلي حيث تمكنت قوات المقاومة الأرضية والجيش الأردني من منع العدو تحقيق إصابات مباشرة على مواقع الثورة ومعسكرات الجيش العربي الذي أطلق نيراناً غزيرة على طائرات العدو التي كانت على إرتفاعات شاهقة، وأطلقت طائرات إسرائيل ٢٦ صاروخا من النابالم أشعلت حرائق هائلة[٦٣].

وبدأت الطائرات الإسرائيلية تقصف مواقعنا، وأعلنت حالة استنفار وانتشر المقاتلون في مواقع حصينة بعد إخلاء القاعدة، أطلق فصيل رشاشات مقاومة الطائرات نيرانا غزيرة على

٦٢ المهندس عمر السرطاوي ولد في جنين عام ١٩٤٢م وتخصص في هندسة الطيران من كلية بيرث في بريطانيا، واشتغل في الخطوط الجوية العراقية، وبعد ذلك التحق بحركة فتح واستشهد على ارض السلط يوم ١٩٦٨/٨/٤م.

٦٣ مقابلة عفيف أبو الرب، الملازم فراس (خطاب)، ضابط تدريب، معسكر البستان/إربد تاريخ ٢٠٠٥م.

طائرات إسرائيلية حاولت الإغارة على قاعدة "أبو طعان" حول عين حزير ومنعتها من تحقيق إصابة مباشرة. كما قصف سرب من طائرات إسرائيلية من إرتفاعات شاهقة قاعدة القدس التابعة لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، لكن صواريخ الطائرات أخطأت هدفها بسبب كثافة نيران المقاومة من مقاتلي جبهة النضال والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من قاعدة ارميمين التي (كان رامي الدوشكا المكلف بذلك فيها ضريرا لكنه بتوجيه من مساعده كان قناصا ومن أمهر الرماة)[٦٤].

في غرفة عمليات قيادة القطاع في معسكر البستان التدريبي كان أبو الفهود وقائد القطاع الأوسط بادي عواد والملازم أبو حميد (جيش التحرير) والملازم حسين جراده (جيش التحرير) والملازم حسين صبيحي (جيش تحرير) وقائد قاعدة القدس (يوسف أبو العز) وقائد معسكر ارميمين (نصري دلقموني)، لم تتمكن غارات طائرات إسرائيل من توجيه صواريخها بسبب غزارة أسلحة مقاومة الطائرات، لكن إحدى الطائرات تمكنت من توجيه صاروخ إلى القاعدة التي يوجد فيها الرائد خالد. انفجر أحد الصواريخ قريباً من قاعدة القيادة حين كان الرائد خالد والملازم أول المهندس عمر السرطاوي والملازم حسين جراده والصحفي اللبناني صلاح سلام (الذي كان يغطي الأحداث لصالح صحيفة الأنوار اللبنانية) وكانت إصابة الصاروخ مباشرة حيث استشهد كل من الإخوة: الرائد خالد (لحظة إصابته كان حياً، وتم نقله إلى سيارة إسعاف لعلاجه في مستشفى السلط، إلا أن الطيران الإسرائيلي قصف سيارة الإسعاف بصاروخ فاستشهد بداخلها). والملازم أول المهندس عمر عبد الفتاح السرطاوي. الملازم حسين جراده. الصحفي اللبناني صلاح سلام.

---

٦٤ مقابلة في عمان عام ٢٠٠٩م مع العميد ركن حسين صبيحي/ قائد معسكر جيش التحرير الفلسطيني في قطاع السلط.

أخي ورفيقي وصديقي وصاحبي "أبو خالد"

سلامٌ يطلع في الخلود :: فتى خلف حدود الخلود
أبراج الفولاذ :: تفتح المدافع والجنود
في أرض سقى الشهيد :: وبالشهيد عدا الفقود

يا أخي في السلاح والكفاح
يا رفيقي في النضال والقتال
يا صاحبي في الخطر
ألتقي في مثواك في رقدتك الطويلة لأرثيك أهديك تحية الأخ والصديق والرفيق.

لقد قاتلنا في سبيل هدف سام هدف كبير هدف أمتنا ووجودنا وكرامتنا وكنت سباقاً بما قلته. كنت سباقاً للشهادة التي طلبناها سوياً. رحلت وتركت المسئولية الخطيرة لرفاقك وأخوانك. وإننا نعاهدك ونعاهدك أمام الله والوطن على أن نسير على الدرب حاملين الراية خفاقة حتى النصر.

نم يا أبا خالد، نم مطمئناً، في جنات الخلد مع الرفيق الأعلى مع الشهداء والصديقين والنبيين.

أخوك
أبو عمار

وثيقة رثاء «الأخ أبو عمار» للرائد خالد عبد المجيد


فهد الاحمد الصباح

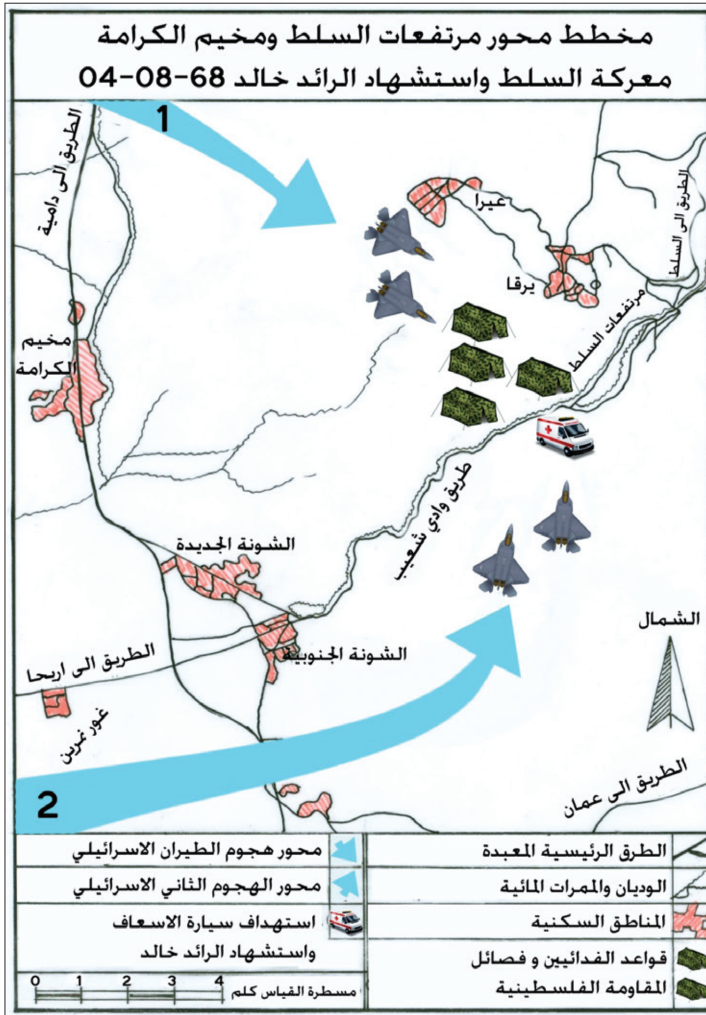
فور توقف الهجوم الإسرائيلي توجهت مع صلاح التعمري إلى أحد مكاتبنا في مدينة السلط وهو عبارة عن مستوصف (مركز صحي لحركة فتح حول مدخل مدينة السلط أعدته القيادة لعلاج الفدائيين الجرحى الناجين من المعارك مع العدو الإسرائيلي أو المصابين من حوادث سيارات)، فوجدنا أبو عمار قد سبقنا إلى هناك فرافقناه في عملية تفقد جميع المواقع. ومن الجدير بالذكر أنه وعلى أثر استشهاد الرائد خالد قام الأخ أبو عمار بتعيين بادي عواد قائداً للقطاع الأوسط.

ومن الجدير بالذكر فقد أصيب أيضا في معركة السلط الأمير الكويتي الملازم أول أبو الفهود(٦٥) وعولج في المستوصف الذي أنشأته حركة فتح عند مدخل مدينة السلط وعاد بعدها إلى قواعد

---

٦٥ أبو الفهود الكويتي (الشيخ فهد أحمد الجابر): كان جريئاً منذ نعومة أظفاره وتنامت ميوله الشخصية في حبه للعمل العسكري، فالتحق جندياً دفاعاً عن وطنه بدورة ضابط ميدانٍ بكلية حرب بريطانية أكسبته مهارات فنون القتال على الأسلحة الخفيفة والثقيلة. عاد إلى وطنه الكويت برتبة ملازم خبيراً في الشؤون العسكرية وأسهم في معارك عام ١٩٦٧م عندما كان قائداً للكتيبة الكويتية في معارك سيناء. تعرف على أبي عمار أثناء عمله مهندساً في وزارة الأشغال الكويتية وكان من مؤسسي حركة فتح وتبرع بدعم مالي دائم استعداداً لانطلاقة حركة «فتح». ارتضى إسماً حركياً في قوات العاصفة هو «أبو الفهود» برتبة ملازم أول وزاد إصراراً أن يكون ضابطاً ميدانياً بين رجال المقاومة مدرباً في معسكر الهامة على الأسلحة والمدفعية جنبا إلى جنب المدرب القائد أبو علي إياد وموجها ومفوضا سياسيا عكس فكرة القومي واجبا أساسيا لتحرير فلسطين للمتدربين الفدائيين. تعاون في معسكر الثورة مع ضباط كانوا سابقا في الجيش العراقي والسوري لكنهم غادروا مواقعهم والتحقوا بالثورة ليكونوا الكوادر الأولية في إعداد وتدريب جيش المقاومة بعد نكسة حزيران التي حطت ظلالها على الأمة العربية ولكنه بعد أن رأى تدفقا من العسكريين ذوي الخبرات رأى وجوده في ميدان جديد اقرب إلى تطلعاته العسكرية خدمة لقضية فلسطين، فغادر دمشق إلى قواعد الثورة في الأغوار في قاعدة صوفرة وقاعدة المفرق حيث كان ينقل الأسلحة والفدائيين إلى قواعد الداخل وتسهيل مهام عبورهم بالتعاون مع قائد القوات العراقية في منطقة المفرق. قبل معركة الكرامة بيومين كان أبو الفهود قد رافق وحدة من فدائيي فتح إلى الحدود الأردنية عن طريق بلدة جاب ثم مركز قاعدة فتح في بلدة الحمراء. كان بانتظارهم أبو صبري صيدم وتحركت قافلتهم بسيارات نقل عراقية نحو السلط ومنها إلى الكرامة حيث أبو عمار وصلاح التعمري بالاستقبال. اخذ عناصر الوحدة مواقفهم في بلدة الكرامة بقيادة أبو الفهود الذي قاد أحد قطاعات الكرامة. وبعد المعركة طلب من أبو عمار أن يبقى جوالا بين قواعد فتح مقاتلا ومدربا، فكان له الحرية، لكن الزحف الجماهيري التحاقا بالحركة دفعته أن يكون مدربا على الأسلحة التي وصلت الثورة، وتأكيدا على دوره الثوري كان متجولاً في السلط والكرامة والشونة الشمالية وغور الصافي يثري القادة والمقاتلين معرفة زيادة على خبراتهم القتالية. في ١٩٦٨/٨/٤م قصفت طائرات إسرائيلية ضواحي السلط ومركز استراحة مسافرين في منطقة عين حريز ومعسكرات الثورة الفلسطينية في منطقة البستان وارميمين وألقت صواريخ ثقيلة من قنابل النابالم حارقة على المدنيين، لكن رشاشات الجيش الأردني ومدافع دوشكا الفدائيين قاومت الطائرات الإسرائيلية ومنعتها من تحقيق إصابات على المناطق التي تعرضت للقصف. خلال الغارة كان أبو الفهود وضابط عمليات القاطع الأوسط الرائد خالد وقائد القطاع بادي عواد في قيادة غرفة العمليات. في أحد الغارات سقطت صواريخ إسرائيلية على الموقع حيث استشهد الرائد خالد وأصيب أبو الفهود. وفي ١٠-١٩٦٨م كلفه أبو عمار الانتقال إلى جنوب لبنان للإشراف على تأسيس قواعد للثورة الفلسطينية إلى منطقة الهبارية (٢). حاصرت قوات لبنانية قاعدة الثورة وأنذرتهم بالاستسلام وأشار عليهم أبو الفهود الاستسلام ؛ لأن الرصاصة الفلسطينية انطلقت لقتال العدو الصهيوني، والتزم الجميع بقراره ونقل الجميع إلى سجن الرمل في بيروت. وحينما عرف السفير الكويتي بتوقيفه تدخل لدى الحكومة اللبنانية بالإفراج عنه لكنه رفض الخروج إلا مع رفاقه وهذا ما حصل فعلاً ورافق جماعته بقاعدتهم جنوب لبنان ثم عاد إلى دمشق ثم إلى الأردن في قواعد الثورة حتى عاد لوطنه الكويت منتصف السبعينيات، استشهد الشيخ فهد أحمد الجابر) أثناء الغزو العراقي للكويت؛ لأنه رفض مغادرة قصره.. فلقد كان رمزاً للثورة الفلسطينية ورمزاً خالداً لشعبه ووطنه الكويت. انظر: جريدة الدستور،عمان، ١٩٦٨/٨/٥م. (٢) رواية عفيف أبو الرب من قادة فتح - إربد/٢٠١٠م).

حركة «فتح» في الأغوار من الشونة الجنوبية حتى الشونة الشمالية، وكان لوجود الأمير الكويتي بين صفوف المقاتلين الفلسطينيين الأثر النفسي الكبير، ذلك أن مثل هذا الرجل الذي ترك بلده وثروته وجاء ليعيش بين هؤلاء المقاتلين في الحياة البسيطة والصعبة، وليكون دائما تحت خطر الموت، فكم من مرة تعرض المذكور للقصف الإسرائيلي، وكانت تضحياته وبطولاته تأكيدا على أن القضية الفلسطينية قضية مركزية لدى الشعوب العربية، وفي هذا السياق نستذكر بطولات العشرات من المناضلين العرب الذين التحقوا بصفوف الثورة الفلسطينية ومنهم السوداني محمد عمر صالح، الذي خاض العديد من المعارك مع أخوانه الفدائيين، وعاد بعد معركة السلط إلى بلاده وأصبح وزيراً في حكومة الرئيس جعفر النميري.



تحدث قاسم مقدادي من الجيش الأردني عن معركة السلط فقال:

حين أخترقت طائرات إسرائيل المجال الجوي الأردني فإنها كانت تحلق عالياً بعيداً عن نيران مدافعنا موجهة صواريخها أثناء عودتها باتجاه الأراضي المحتلة خوفاً من إصابتها وسقوطها داخل الأراضي الأردنية. أصدر قائد المنطقة العقيد قاسم معايطة ونائبه لافي حريثان أمراً ميدانياً لكافة قوى مقاومة الطائرات بالتصدي للغارة دفاعاً عن الأرض والإنسان والمقاومة الفلسطينية، وكذلك أصدر قائد القطاع الأوسط للثورة الفلسطينية بادي عواد الأوامر لمنع العدو من تحقيق أهدافه. أطلقت نيران غزيرة باتجاه طائرات العدو الإسرائيلي المغيرة ومنعتها من تحقيق إصابات مباشرة على قواعد المقاومة الذين انتشرت عناصرهم بين غابات المنطقة واتخذت مواقع دفاعية بإطلاق نيران رشاشاتهم الثقيلة على الطائرات. أصابت مدافع المقاومات الأرضية الأردنية إحدى طائرات إسرائيل وهوت محترقة شرق الشونة الجنوبية وهبط قائدها بالمظلة وقبل وصول قوات الجيش العربي لأسره إستطاعت طائرات هيلوكوبتر إسرائيلية إنقاذه. وفي الساعة الثالثة وخمسة وأربعين دقيقة استأنفت طائرات العدو قصفها على المواقع السابقة التي تعرضت للقصف لغاية الساعة الرابعة وخمسة وعشرين دقيقة حيث توقف القصف نهائياً.

وصل موكب الملك الحسين يرافقه الأمير الحسن إلى مدينة السلط بعد الغارة الإسرائيلية مباشرة ووقف ألوف المواطنين على جانبي طريق السلط عمان هاتفين للجيش العربي الأردني والمقاومة الفلسطينية. وتابع الموكب سيره إلى إحدى مواقع القصف، والتقى الملك بالجنود والفدائيين واطمأن على أوضاعهم مخاطباً إياهم بالصبر والمقاومة لأن النصر حليفهم واستمع الملك إلى تفاصيل غارات طيران إسرائيل وكيف تعامل الجيش وقاوم أسراب طائرات إسرائيل وطالبت الجماهير بأسلحة مضادة للطائرات دعماً للمقاومة والصمود وبارك صمودهم في ردع العدوان وإحباط محاولات العدو.

وأوضح الملك أن حسابات العدو وخوفه من مواجهة الجيش الأردني في معارك مواجهة دفعته إلى انتهاج أسلوب القصف من سلاحهم الجوي المتفوق، لكن ذلك لن يفلح ولن ينال من دفاعنا عن حقوقنا المشروعة لحماية الوطن وتحرير فلسطين، وطالب من اللجنة العليا الوزارية لإغاثة اللاجئين تقديم مساعدات فورية لجميع المتضررين وبإشراف محافظ البلقاء أحمد الهنداوي.

وتعليقاً على العدوان صرح رئيس الوزراء «بهجت التلهوني» الذي شارك في تأبين الشهداء



بأن هذه الإعتداءات الإسرائيلية لن تزيدنا إلا صموداً في وجه التحديات وأشاد بالقوات العراقية والسعودية التي تقف جنباً إلى جنب مع القوات الأردنية. وأجرى وزير الخارجية عبد المنعم الرفاعي اتصالات مع عدد من سفراء الدول الكبرى وشرح عدوان إسرائيل على السلط والقرى المجاورة وطالبهم تجريم العدوان. وفي واشنطن دعا مندوب الأردن في الأمم المتحدة السيد «محمد الفرا» مجلس الأمن عقد جلسة عاجلة لإدانة العدوان الغادر على الأراضي الأردنية وتقدم بشكوى على قرصنة إسرائيل الجوية واستجاب المجلس لطلب الأردن وصدر القرار رقم ٢٥٦ بتاريخ ١٦-٨-١٩٦٧م والذي تضمن إدانة واضحة للعدوان الإسرائيلي وتعريض السكان المدنيين وأبدى أسفه على تعنت إسرائيل وقصفها مدن ومخيمات ومزارع.

تصريح ناطق عسكري أردني حول الإعتداء الإسرائيلي على منطقة السلط[٦٦]:

في الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة من بعد الظهر (٤ / ٨ / ١٩٦٨م) قامت طائرات من سلاح الجو الإسرائيلي بقصف مناطق الأردنية جنوب وغرب السلط، وتصدت لها مدفعيتنا المقاومة للطائرات واستمرت عمليات القصف الجوي على فترات متلاحقة حتى الساعة الثالثة وعشر دقائق حيث توقفت. وتمكنت مدفعيتنا المضادة للطائرات من إسقاط طائرة مقاتلة قاذفة من نوع سكاي هوك في الساعة الثانية وخمس وعشرين دقيقة حيث شوهدت تهوي شمال أريحا، كما وقعت بعض الإصابات في عدد من الطائرات الأخرى، ووقع جراء هذا القصف عدد من الإصابات بين المواطنين الأردنيين. وفي الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة استأنفت طائرات العدو الإسرائيلي القصف على المواقع السابقة نفسها وتوقفت عملياته في الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة. وكانت خسائرنا على النحو التالي:

- خمسة شهداء عسكريين بينهم ضابط برتبة رئيس، وستة جرحى بينهم ضابطان برتبة رئيس وملازم.
- ثلاثة وعشرون شهيدا مدنيا من بينهم امرأتان وطفل، وممتلكات في المنازل.
- الجرحى ستة وسبعون جريحا.

٦٦ الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٨م، مؤسسة الدراسات، ط١، بيروت ١٩٧٠م، ص٥٨٤.

الاختراق الإسرائيلي كان له دور في الهجوم على السلط

بعد معركة الكرامة الخالدة، والصعود الجماهيري لدعم العمل الفدائي، كانت عملية التدقيق في السير الذاتية للمنخرطين في العمل الفدائي تشوبها بعض الاختراقات وقد ثبت أن أحد الطيارين الحربيين الإسرائيليين تمكن من اختراق قوات المقاومة في السلط مدعيا أنه هولندي الجنسية ومن أنصار الثورة الفلسطينية وكان مقيما في ألمانيا، وجاء إلى الأردن للانضمام لجانب المقاتلين ونقل صورة إيجابية عن الثورة الفلسطينية، وقدم سيارته كهدية رمزية عربونا عن قناعته بالمقاومة، فتم تغيير اسمه من «جوزيف الهولندي» إلى «يوسف الهولندي» الذي قدم نفسه خبيراً في إصلاح أعطال السيارات وأجهزة الاتصال والتصوير، وبذلك تمكن من التنقل بين القواعد الفدائية في السلط وتجميع معلومات كثيرة عنها كان يسلمها لعملاء خلال ذهابه إلى العاصمة عمان.

وبعد أن انتهت غارة السلط، اختفى تماماً حيث بدأ الفدائيون البحث عنه ظناً أن يكون قد لحقت به إصابة قاتلة ولكن عملية البحث لم تسفر عن شيء، وفوجئ الفدائيون في اليوم الثالث من اختفائه أنه يجري مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية كشف خلالها أنه طيار حربي إسرائيلي من مواليد هولندا وقد تمكن من اختراق قوات المقاومة في السلط وكان له الدور الأساسي في تصوير القواعد والمعسكرات الفدائية في منطقة السلط[٦٧]، وأنه كان يغادر معسكر البستان بطريقه إلى عمان لتوصيل ما ملكت يداه من وثائق وصور وبرامج المعسكر إلى طرف ما بانتظاره في عمان ومنها إلى مرجعيته بإسرائيل.

الموقف الأردني من العمل الفدائي بعد معركة الكرامة والعدوان على السلط:

بعد أن برهنت حركة فتح عن اقتدارها على قيادة العمل الوطني والكفاحي الفلسطيني، لا سيما بعد معركة الكرامة، عملت جاهدة من أجل توحيد الصف الفلسطيني وإشراك سائر قوى الشعب الفلسطيني في بوتقة كفاحية ونضالية موحدة، إلا أن بعض الدول العربية وتحت حجة التنافس الشريف والتسابق إلى الفداء، أخذت تشكل منظمات فدائية وتقدم لها الدعم المالي والتسليحي.

---

٦٧ عفيف ابو الرب، نائب الرائد خالد، ضابط عمليات قطاع السلط مقابلة في إربد بتاريخ ٢٠١٢/٦/١٤م من قبل مصطفى الأسعد.



ونظرا للحماس الوطني لدى غالبية أبناء الشعب الفلسطيني في المخيمات وفي الدول العربية وفي جميع أنحاء العالم، فقد تسابقوا للانخراط في حركة فتح كبرى المنظمات الفدائية وأكثرها قبولا لدى الجماهير الفلسطينية والعربية، وبعضهم انخرط في المنظمات الأخرى التي وجدت المساندة والدعم من الدول التي شكلتها فبعض المنظمات تتبع سورية، وبعضها يتبع العراق.

وكان لعامل المنافسة الذي تذرعت به المنظمات دور في عرقلة الصعود الجماهيري الفلسطيني والعربي لحركة فتح، فقد أعلنت المنظمات اليسارية والشيوعية المتطرفة عن خلافها مع فتح سياسيا وكفاحيا وبدأت تزاود عليها داخل الساحة الأردنية وتطلق عليها صفات المهادنة للنظام الأردني ومحاولة خلق مناخات من الفرقة والخصومة والعداء بين القوى الوطنية الفلسطينية والنظام الأردني. وبينما كانت معظم المنظمات اليسارية تمارس عملها الأيديولوجي والحزبي سراً قبل انطلاق الثورة الفلسطينية بقيادة حركة فتح، فقد وجدت في الاندفاع الجماهيري فرصة للظهور والمزايدة بارتكاب أعمال مهدت الطريق لفسخ العلاقة الكفاحية بين مقاتلي الثورة وشركائهم من ضباط وأفراد الجيش العربي الأردني.

ولعله من الجدير بالذكر أن أحد الأسباب التي جعلت فتح تغض الطرف عن ظاهرة تنامي تلك التنظيمات هو حاجتها إلى الدول العربية التي أوجدت هذه المنظمات وعدم الرغبة في التصادم معها، فقد كانت تلك الدول تمد حركة فتح ذاتها بالسلاح وتسمح لها بنقل السلاح والذخيرة عبر أراضيها، وتمنحها معسكرات للتدريب، بالإضافة إلى حرص فتح على توطيد علاقاتها الودية مع جميع الدول العربية، وهكذا رأى قادة فتح أن يسكتوا عن قيام تلك المنظمات ويعتبروا سكوتهم بمثابة ضريبة مقابل التسهيلات والمساعدات الممنوحة لهم، ويمكن القول أن فتح تغاضت عن قيام التنظيمات الماركسية انطلاقا من النظرة ذاتها؛ لأن فتح كانت تتلقى مساعدات مختلفة من الدول الشيوعية وخاصة من الصين الشعبية؛ فكان من الطبيعي أن تصبر على قيام منظمات ماركسية تلتقي مع بكين في العقيدة والهدف والمبدأ، فضلا عن أن عدداً كبيراً من كوادر حركة فتح تلقوا تدريبهم في الصين الشعبية.

بدورها تغاضت الحكومة الأردنية عن قيام تلك المنظمات الحزبية المسلحة المتسترة وراء شعارات الفداء والتحرير، وكان تغاضي الحكومة مبنياً على آمال في أن تستطيع حركة فتح احتواء تلك المنظمات والسيطرة عليها، أو تعديل خط سيرها وتوجيهها نحو الهدف الأساس للفداء والتحرير، ذلك لأن الحكومة ظلت تعتقد بأن أهداف فتح المعلنة أصلاً بقيت كما كانت

عليه، وهي أهداف كانت نقطة الالتقاء الرئيسة بين (فتح) من جهة وبين الحكومة والشعب من جهة أخرى، لذلك تركت الحكومة الأردنية جميع الأبواب مفتوحة على مصراعيها لجميع المنظمات، ويمكن القول أيضا أن الحكومة الأردنية في ذلك الحين لم تستطع استقراء الحقيقة في مفهوم الحركات اليسارية المسلحة، وكانت بدافع حسن النية تظن أن هذه الحركات ستعنى بقضية التحرير وتحت سمع الحكومة وبصرها، ومن خلال موجة حسن الظن والنية الطيبة لدى الحكومة، استقر المطاف بالمنظمات الفدائية في قلب عمان وإربد والزرقاء وغيرها من المدن والقرى في كل أنحاء المملكة، ولكن مركز ثقل تلك المنظمات تحول إلى العاصمة عمان ووجدوا أن التمركز بين أحياء المدينة في الحارات والأزقة والدروب أمام أنظار الناس عمل أقل مشقة، وأهون من عمليات الحرب والنزال[٦٨].

أخذت المنظمات الحزبية اليسارية تمارس سلوكيات لا علاقة لها بالعمل الفدائي ضد الحكومة وضد المؤسسات الاقتصادية الكبيرة في الأردن، فأخذت تزج بنفسها في كل صغيرة وكبيرة من الأمور الداخلية، ولم تترك المنظمات مناسبة إلا واتخذتها مبرراً لعملية التظاهرات المسلحة إظهاراً للقوة وتعطيلاً لمرافق الحياة في المدن، وتمزيق هيبة الحكم والسلطة وتعميق الإحساس الطبقي تمشيا مع الخط الماركسي الذي اعتمدته، دون أن تلقي بالاً لطبيعة المرحلة التي تجتازها الأمة أو للأوضاع التي وجدت البلاد نفسها فيها نتيجة للعدوان الإسرائيلي.

عملت «فتح» بعد انتخاب أبو عمار قائداً عاماً لقوات الثورة الفلسطينيةلضبط تلك المنظمات حيث أنشأت جهاز الكفاح المسلح[٦٩] على أن يتبع لـ م.ت.ف لمساعدة قوات الأمن الأردنية على ضبط الأمن، وكان الكفاح المسلح له دور مميز واصطدم عدة مرات مع عناصر غير منضبطة، واعتقل عددا منهم لمخالفتهم من سرقة سيارات إلى غيرها، هوجمت مقرات الكفاح المسلح من قبل عناصر التنظيمات، وبالمقابل وعلى مدار الساعة كان صلاح خلف مجتمعا بكل قادة الفصائل وحثهم على عدم التجاوزات (وهذا موثق بالصوت والصورة..) ورغم أن التنظيمات حاولت ولأكثر من مرة أن تجر فتح إلى حلبة المزايدات الثورية والمجادلات الدعائية حيث كانت تتهم باليمينية والذيلية والرجعية من قبل المنظمات الحزبية اليسارية، ورغم كل ذلك كانت «فتح»

---

٦٨ كتاب العمل الفدائي في الأردن.

٦٩ أنشئ الكفاح المسلح في ١٩٦٩/٢م للتنسيق بين المنظمات وفض لنزاعات بين التنظيمات المتنافسة ومنع الإخلال بالأوضاع الداخلية.



تتحمل كل هذا أمام التحديات لأنها كانت ترى أنها صمام الأمان إضافة إلى الشعور بالمسؤولية القومية العليا والتصرف طبقا لذلك الشعور بشجاعة.

وضعت حركة فتح كل إمكاناتها تحت تصرف الكفاح المسلح لضبط الأمور، وبعد كل مخالفة كانت حركة «فتح» تدعو لاجتماع لجميع المنظمات وتحثهم أن يبذلوا قصارى جهدهم لمقارعة العدو في الأرض المحتلة، ولكن للأسف بدلا من أن تعمل تلك المنظمات على إنشاء قواعدها وخلاياها في قلب الأرض المحتلة، كانت تبتعد عن خط المواجهة وتعود للاحتماء في المدن.



معركة غور الصافي:

قبل عملية غور الصافي الإسرائيلية بفترة زمنية لم تتجاوز شهرا تأزم الموقف العسكري وبناء عليه اتخذ القائد سليم أبو علي قائد قاعدة الشهيد أبو أميه وهي قوات خاصة لتنفيذ عمليات داخل الوطن المحتل واتخذ إجراءات الحيطة والحذر من هجوم متوقع.

نزلت قوات قاعدة الشهيد أبو أمية في مدينة البتراء الأثرية وتحصنت في غرف وكهوف المدينة الأثرية.

تعرضت القاعدة إلى هجوم جوي إسرائيلي شنته طائرتا هيلوكوبتر لكن قوة حماية القاعدة من قوات المقاومة الجوية رماة رشاشات الدوشكا وناوشت الطائرات الإسرائيلية الهجومية ومنعتها إصابة أهدافها.

خلال إطلاق رامي رشاش الدوشكا على طائرات الهيلوكوبتر تعطل الرشاش وزادت الطائرات من الطيران حول موقع القاعدة لتحديد أهدافها بصورة استعراضية بطيران من ناحية الشمال إلى الجنوب.

فجأة تمكن رامي رشاش الدوشكا من إصلاح العطل ويدعى (الثعلب) فيما بعد أصبح مرافق القائد موسى عرفات بقيادته بمدينة الطفيلة.

فجأة انطلقت صليات من رشاش الدوشكا على الطائرتين اللتان تراجعتا غربا نحو الوطن المحتل، وقد تصادمت في أجواء البتراء وسقطتا في عمق الأراضي المحتلة بعد اشتعال نيران فيهما وأصدرت حركة فتح بيانا عسكريا صادر عن المجموعة (٣٠٠) أي الوحدة الخاصة المركزية وإسقاط طائرتي هيلوكوبتر.

جاء في الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٩م إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت – طبعة عام ١٩٧٠م صفحة ٤٥٣: أن القوات الأردنية أسقطت إحدى المقاتلتين الإسرائيلية أغارتا على بعض المواقع الأردنية في وادي الأردن الجنوبي واحترق طيارها بداخلها، ولم تقع خسائر بين القوات الأردنية.

وقال ناطق عسكري أردني أن خسائر القوات الإسرائيلية كانت أيضا تدمير آليتين وإسكات ثلاث مواقع مدفعية كما شوهدت طائرات الهيلوكوبتر الإسرائيلية تخلي مكان الاشتباك من الإصابات وقد اعترفت إسرائيل رسميا بأن النيران الأرضية الأردنية أسقطت الطائرة وأن قائدها قتل.

الرواية الفلسطينية (رواية قائد مجموعة من قاعدة عراق المنشية الوحدة الخاصة (محمود عبد الرحمن - اربد ٢٠١٢/١١/٢م):

قاعدة عراق المنشية من القواعد المركزية لوحدة غزة في منطقة قطاع جنوب الأردن من جنوب البحر الميت حتى شمال العقبة فترة قيادة الحاج حسن ونائبه هاشم أبو حليوه قاعدة عراق المنشية في منطقة غور الصافي وفيفا.

نشاط قاعدة الحاج حسن يوميا اطلاق صواريخ على مصانع البوتاس الإسرائيلية والنحاس.

فقد أخذ القائد الحاج حسن عهدا على نفسه أن لا يرى دخان مصنع البوتاس وإن شاهد ذلك كان سريعا يدعو سائقه حميد سويطي وفصيل من فدائيي القاعدة تحميل صواريخ إلى منصات الإطلاق لقصف المصنع وإشعال النيران في أقسامه ومستودعاته.

إحدى عمليات قاعدة عراق المنشية ارسل الحاج حسن مجموعة اقتحام المصنع وتدمير منشأته وعندما حاصرت مجموعة الفدائيين المصنع اصطدمت بالحراس الإسرائيليين وهناك التحم زياد أبو حليوه مع أحد الحراس واشتبك قتالا بالأيدي واللكمات أي (البوكسات) وأخيرا تمكن زياد من قتل الحارس الإسرائيلي واستولى على سلاحه.

وزياد أبو حليوه قصير القامة نحيف الجسم وناعم الصوت لكنه من أشجع فدائيي القاعدة وسجله العسكري اعترف له بمائة عملية هجومية على مواقع إسرائيلية في قاطع جنوب الأردن.

تفاصيل عملية غور الصافي:

بداية اجتازت آليات عسكرية إسرائيلية من جنوب البحر الميت باتجاه جبال الشرق لغور الصافي منها «قاعد عراق المنشية» بين الجبال الشرقية لوادي عربه.

يقظة الفدائيين تابعت عبور آليات إسرائيلية في بداية الحدث شاهدوا قوة العدو يتقدمها جرافات عملت على فتح الطريق الترابي وتوسعته اعتقادا منهم اقتحام القاعدة بشكل فجائي يؤدي إلى مباغتة وتدمير المستودعات وقتل الفدائيين أو اعتقالهم اسرى كما حدث لقاعدة أبو علي الأخضر بالغرندل.

لكن القاعدة كانت تراقب التقدم العسكري وهم على جاهزية قتالية بالأسلحة الثقيلة والخفيفة.

قبل الاقتراب من موقع القاعدة حلقت طائرات حربية إسرائيلية قصفت المنطقة الجبلية بطريقة عشوائية كانت غاية الطيار الإسرائيلي تفريغ حمولته على أي منطقة قبل تحديد أهدافه وزيادة في ذلك كانت طائرات إسرائيل تحلق عاليا شرقا وفي حركة التفافية نحو الغرب تلقى حمولتها من صواريخ قبل رؤية أهدافها.

لهذا كانت تلقي أطنان متفجرات على مناطق خالية من مواقعنا خوفا من إصابتهم من نيران رشاشات المقاومة، كانت آليات مجنزرة قبل اقترابهم من القاعدة تعرضوا إلى قصف بالمدفعية والصواريخ وأنواع رشاشات مما أربك قوة العدو المتواجدة في منطقة واسعة ورجال مقاومة الطائرات فتحوا نيرانا غزيرة على طائرات حربية قصفت مناطق خالية من القواعد الفدائية والجنود الأردنيين.

عادت طائرات العدو خائبة بعد أن شاركت قوات أردنية بكافة الأسلحة في التصدي للاجتياح الإسرائيلي.

بعد أيام قليلة زار القائد أبو جهاد «خليل الوزير» قاعدة عراق المنشية غرب مدينة معان وأشرف شخصيا عل قصف مدينة إيلات بصواريخ كاتيوشا من منطقة على أبواب المدينة يدعى «المقص» وهو مركز تفتيش شرطة اردني للمسافرين العابرين والخارجين من المدينة.

شكل الانتصار في معركة الكرامة باعثا للحماس بين الفدائيين وجنود الجيش الأردني، حيث فتح الجيش قواعده العسكرية لتدريب الفدائيين وبدا ينسق معهم رسميا في كل العمليات القتالية والفدائية، وذلك باتفاق بين ياسر عرفات والملك حسين الذي أعلن أنه (الفدائي الأول)، الأمر

الذي ترجم عمليا في معركة غور الصافي يوم الذكرى الأولى لمعركة الكرامة (٢١ / ٣ / ١٩٦٩م) تلك المعركة تبرز بجلاء أن وحدة الدم هي المقدمة الأولى لوحدة المصير المشترك بين الفلسطينيين والأردنيين، وفي رواية العقيد الأردني المتقاعد هشام فوزي العبد حسين عن معركة غور الصافي برهان ودليل أكيد على ذلك.

يقول العقيد المتقاعد هشام فوزي العبد حسين (الجيش الأردني)[٧٠]

بعد معركة الكرامة عدنا للتنظيم في منطقة وادي شعيب، وبقيت سريتي الخامسة لغاية ١٩٦٩م وأثناء وجودي في سلاح الهندسة قبل انتقالي للقوات الخاصة، طلبوا مني تشكيل مجموعة حربية، حيث كنا نقوم بتدريب الفدائيين على الألغام وغير ذلك، فكانت تأتينا القوات الفدائية ونقوم بتدريبها، وكانت بعد معركة الكرامة تأتينا غارات جوية إسرائيلية وتقوم بقصفنا، وأذكر أن سعد صايل التحق بفتح بعد أن ترك اللواء واستلم قائد قوات اليرموك ثم انتقل مع المنظمة إلى بيروت، وأذكر أن (٦٥٪) من سلاح الهندسة التحقوا بالمنظمة الفلسطينية للدفاع عن فلسطين وتحريرها والشهادة في سبيل الله والحق.

وأثناء إعادة التنظيم للجيش كانت البعثة الباكستانية قد جاءت بفريق كامل للمساعدة في عملية التنظيم برئاسة ضياء الدين الحق، الذي أصبح رئيساً لجمهورية الباكستان فيما بعد، وطلب مني قائد القوات الأردنية وضياء الحق أن أجلب أسيراً إسرائيلياً من الصافي الذي كان محتلا حتى نقدمه إلى هيئة الأمم، وكان اليهود قد وصلوا إلى وادي الحسا واحتلوا نصف الصافي. وأثناء قيامي بالاستطلاع، كانت أربع منظمات فدائية موجودة هي جيش التحرير الفلسطيني بين الطفيلة والكرك، وقوات حركة فتح، والجبهة الشعبية والمنظمة العربية وهذه المنظمة كانت جميعها من العراقيين، تعسكرت في الجبهة الجنوبية، فالتقيت مع قادة المنظمات الأربع وسألتهم عما سيقومون بعمله، فأخبروني أنهم في ٢١ / ٣ يريدون إحياء معركة الكرامة وسيقومون بضرب مصانع البوتاس الإسرائيلية في جنوب البحر الميت، فأخبرتهم عن مهمتي (أسر جندي إسرائيلي) فوافقوا على ذلك.

علمنا أنه سيكون هناك هجوم إسرائيلي على منطقة الصافي، فقمت ومن معي إضافة إلى أن كل

---

٧٠ جريدة الرأي الأردنية، صفحة أبواب، ١٧/١/٢٠١٠م، والعقيد هشام فوزي العبد حسين من عشيرة العواملة تقاعد من الجيش الأردني ١٠/٥/١٩٧٩م.



منظمة شاركت بعدد ٣٠ مقاتل والمجموع الكلي (١٢٠ مقاتل) فوزعتهم على المنطقة، وتم تعيين الأهداف الرئيسة وإعطاء سر الليل وكان معي إسناد من القوات السعودية التي كانت قيادتها في (الضير) وتبعد ٣ كلم عن الصافي. ليلة المعركة كان معي سيارة سعودية وسائق ومأمور جهاز للاتصال بيني وبين قائد الكتيبة السعودية، كما ونسقت مع الفدائيين، وقمت بتوزيع الأهداف وكان سر الليل (لا اله إلا الله محمد رسول الله) وجواب سر الليل (٢١ / ٣)، وعندما رأيت الحشد الإسرائيلي قادما نحونا، أدركت أن العدو قرر التمركز في مصنع البوتاس، لذلك تقدمت قواته لضربنا فتمركزت في عمارة حتى حل المساء وقمت بإعطاء سر الليل والإشعار بكيفية بدء الهجوم بطلقة تنوير وأن يكون الانسحاب بطلقة تنوير أيضا وعينت موقع الانسحاب إلى بستان الأمير زيد حالياً، وكان خلفه جبال ووديان، وعندما قمنا بتوزيع القوات حل الليل، فبدأت قوات العدو بالدخول وكان توزيعنا كالآتي: جهة اليمين للجبهة العربية حتى البحر، ومنطقة الوسط لي، وجهة اليسار لجيش التحرير، ومن الجانب الأيسر أيضا قوات حركة فتح ثم الجبهة الشعبية والمنطقة كانت من وادي الحسا لغاية أول ضفاف البحر الميت.

علمنا أن القوات الإسرائيلية دخلت وتمركزت في العمارة التي ذكرتها والمكونة من طابقين وكنا نسميها برج إيفل لأنها كانت أعلى عمارة في الصافي. وكنت قد أرسلت أحد جنودي بالسيارة السعودية مع السائق السعودي للذهاب قبلنا للكشف، وأخبرتهم أن يسيروا ببطء ولا ينيروا الأضواء، لكن السائق سامحه الله أسرع وأنار الأضواء فقام اليهود بضرب السيارة فاشتعلت، وبعدها بدأ القصف المدفعي على المكان الذي كنت به، وعلى الفور قسمت الأفراد الذين معي وعددهم (٣٠ فردا) إلى قسمين، قسم اقتحام وآخر إسناد، وبدأت أسدد وأطلق النار وأتقدم باتجاه العمارات وعندما وصلنا أوقفت إطلاق النار وأصبح الاشتباك بالأيدي بين قواتنا وقوات العدو، وكان المسؤول عن الاقتحام الملازم محمد ضيف الله الرافعي، واستشهد في الموقع العريف ماجد نجيب، بعدها بدأ الجيش الإسرائيلي بطلب الطيران للمساندة، حيث كانوا يعتقدون بأننا سنخاف وننسحب، لكننا لم ننسحب إلا عندما نفذت منا آخر طلقة، فأطلقت طلقة تنوير للانسحاب إلى بستان الشريف زيد بن شاكر.

عندما شعرت القوات الإسرائيلية بالخسارة طلبوا تعزيز، فدخلت سرية إسرائيلية ثانية واشتبكت معها قوات فتح وجيش التحرير الفلسطيني، ثم أرسل الإسرائيليون سرية ثالثة لكنهم بالنهاية بدأوا ينسحبون من المناطق التي احتلوها وكان عددهم لا يقل عن (٧٠ عسكريا)

ومن كان في الطابق الثاني من جنود العدو لم يستطيعوا الوصول إلينا وكان بينهم المسؤول عن الدورية فأخبرني باسمه (موفاز) وهو الذي أصبح وزيرا للدفاع الإسرائيلي فيما بعد.

وفي الصباح تحدثت مع قائد الكتيبة السعودي لإخلاء الخسائر، وقمنا بأخذ الجرحى والشهداء ولأول مرة يترك العدو أسلحته والدبابات والخرائط وبالنسبة لشهدائنا كانوا ثلاثة وجريح استشهد في الطريق ومن الجيش السعودي شهيدان، ومن الفدائيين ٤٠ – ٥٠ شهيدا حيث أن الفدائيين اشتركوا في هذه المعركة مشاركة فاعلة، وقد نظموا أنفسهم، لكن في معركة الكرامة كانت بداياتهم..

سألني جلالة الملك حسين عن الخسائر فأخبرته عن خسائرنا وخسائر الفدائيين لكن بالنسبة للعدو أخبرت جلالته بأنني لا أستطيع إحصاءها، فقال لي: السفارة الأمريكية في إسرائيل اتصلت مع السفارة الأمريكية في الأردن وقالت بأن خسائرهم من ٢٠٠ – ٢٩٠، واذكر أن ياسر عرفات أرسل لي بندقية رشاش صناعة مصرية وتفضل جلالة الملك بأن أمر لي بوسام الكوكب ثم كرمني بوسام ثاني هو وسام الاستحقاق العسكري[٧١].

بينما مسيرات ضخمة اخترقت شوارع العاصمة عمان ومهرجانات ومعارض في يوم ذكرى معركة الكرامة يوم السبت الساعة العاشرة صباحا عندما احتفل الأردن مثلما احتفل الوطن العربي كله بالذكرى الأولى لمعركة الكرامة، المعركة التي حطمت خرافة القوة في جيش العدو، وأثبتت قدرة المقاتل العربي على تحقيق النصر وكانت انعطافا إيجابيا وخطيرا في المسيرة العربية لاسترداد ما سلب بالغش والخداع والتآمر في معركة حزيران الأسود.

في ذلك التاريخ ٢١ / ٣ / ١٩٦٩م فتح العدو نيران مدفعيته ودباباته على مواقع عسكرية على قاطع شرق النهر من أريحا حتى جنوب وادي عربة وحلقت طائرات حربية إسرائيلية.

على مسامع الجماهير الحاشدة في عمان ومدن ومخيمات الأردن جاءت بشارة الناطق العسكري الأردني نقلا عن مراسله ان المقاومات الأرضية الأردنية أسقطت طائرة إسرائيلية قرب الكرامة في يوم الكرامة.

---

٧١ الدستور الأردنية، عمان، السبت، ١٩٦٩/٣/٢٢م العدد ٦٨٩.

كتبت صحيفة الدستور الأردنية - عمان..

صرح ناطق عسكري اردني بما يلي:

في الساعة الثانية والربع من بعد ظهر اليوم «الجمعة» فتح العدو نيران مدفعيته من عيار ١٠٥ ملم على قواتنا في منطقتي جسر المندسة ومخاضة أم نخلة في وادي الأردن الجنوبي.

وقد ردت قواتنا على الرماية بقصف مدفعي معاكس حين بدأ يقصف المنطقة بمدافع الهاوتزر ومدافع الدبابات والهاونات الذي وسع نطاق عدوانه وصوب مدفعيته باتجاه القوات الأردنية التي قامت بالرد عليه.

في الساعة الثالثة وخمس وخمسين دقيقة قامت طائرتان مقاتلتان للعدو من نوع «مستير» بقصف نفس المنطقة وكذلك مواقع قواتنا شرق جسر الملك حسين.

فتصدت لها مقاوماتنا الأرضية الأردنية وتمكنت من إسقاط طائرة شرق جسر الملك حسين بمسافة كيلو متر واحد داخل الأراضي الأردنية وقد احترق طيارها بداخلها.

في الساعة الرابعة وعشرين دقيقة توقفت الرماية نهائيا ولم تعق أي خسائر بين قواتنا، وأما خسائر العدو المنظورة فكانت إسقاط طائرة مستير وقتل طيارها وتدمير آليتين نصف مجنزرة وإسكات ثلاث مواقع عسكرية[٧٢].

وقال ناطق عسكري أردني: أن قائد الطائرة الإسرائيلي الذي قتل أثناء سقوط الطائرة هو الملازم (شاؤول جلبوع) ويبلغ من العمر ٢٣ عاما.

اعتراف إسرائيل: تل أبيب - رويتر

أعلنت رسميا أن النيران الأرضية الأردنية أسقطت طائرة رسميا إسرائيلية شمال البحر الميت بعد ظهر أمس وأن الطائرة الإسرائيلية أحد طائرتين أرسلتا لإسكات مواقع أردنية عبر النهر.

وقد أصيبت الطائرة بنيران أردنية وتحطمت داخل الضفة الشرقية من الأردن جنوب جسر الملك حسين وأن قائد الطائرة التي أسقطت لم يشاهد يقفز بالمظلة ويفترض أنه قتل واعترف الناطق إصابة جنديين.

---

٧٢ الدستور الأردنية – عمان – السبت ١٩٦٩/٣/٢٢م العدد ٦٨٩.

تناثر حطام الطائرة صفحة ١ تاريخ ١٩٦٩/٣/٢٣م - صحيفة الدستور - جثة الطيار الإسرائيلي تحولت إلى لحم محترق:

كتب أمين القطب:

تمكنت قوات الجيش العربي الباسل من إسكات نيران مدفعية العدو من عيار ١٠٥ ملم التي بدأت اطلاق قذائفها الساعة الثانية والربع من بعد ظهر أمس في منطقتي المندسة ومخاضة أم نخلة في وادي الأردن الجنوبي مما أدى إلى قيام العدو بإخلاء مراكزه على طول الجبهة تحت غطاء طائراته التي حاولت الإغارة على مواقعنا حين تصدت مقاوماتنا الأرضية وتمكنت من إسقاط طائرة قرب جسر الملك حسين.

وقد احترق الطيار بداخلها واسمه «شاؤول جلبوع» وهو برتبة ملازم أول وعمره (٢٢ عاما) وهو من مستعمرة مشمار هاعميك، وقد تناثر حطام الطائرة في أماكن بعيدة بسبب انفجارها في الجو وهي محملة بالصواريخ وهي قاذفة قنابل من نوع مستير هز انفجارها المنطقة بأسرها.

وقد حاولت إحدى طائرات الهيلوكوبتر الإسرائيلية الوصول إلى مكان حطام الطائرة تحت حراسة طائرتين نفاثتين إلا أنها لم تتمكن من الاقتراب بسبب مقاوماتنا الأرضية التي تصدت لها فاضطرت إلى الفرار.

وقد شوهدت النيران وهي تشتعل وتتناثر في المراكز الإسرائيلية في بيارة العلمي وأم نخلة، كما شوهدت طائرات هيلوكوبتر وهي تقوم بنقل قتلى وجرحى العدو.

وتوجه مندوب الدستور يرافقه المصور يعقوب تورنيان إلى مكان الحادث حيث تمكنا من تصوير بقايا الطيار الإسرائيلي المحترقة مع مظلته وهي تحمل الرقم ٥ باللغة الإنجليزية، وعندما اقتربنا من مكان حطام الطائرة لتصويره فتح العدو علينا نيرانه.

وفي صورة نادرة التقط يعقوب تورنيان صورة أشلاء الطيار اليهودي المحترقة في قماش مظلته وقد أحاط به ثلاثة من الصحفيين هم: أمين القطب مندوبو الدستور، وكمال أباظة مندوب وكالة الأنباء الأردنية، وعبد الحميد القدسي مندوب التلفزيون الأردني.

وجاء في صحيفة الدستور الأردنية في عمان الصادرة يوم الأحد ٢٣ / ٣ / ١٩٦٩م في عددها رقم ٦٩٩ ما يلي:

قام الصحفيون الأجانب أمس السبت بزيارة إلى موقع الطائرة الإسرائيلية التي أسقطتها المقاومات الأردنية الأرضية خلال العدوان الإسرائيلي مساء أمس الأول وقد التقط الصحفيون الأجانب عدة صور للطائرة والنيران التي لا تزال تشتعل فيها.

عمليات فتح داخل الأراضي المحتلة:

أصدرت القيادة العامة لقوات «العاصفة» بلاغا عسكريا يحمل رقم ٤١٥ عن عملياتها داخل الأرض المحتلة، وفيما يلي نص البلاغ بناء على التعليمات الصادرة:

قامت قوة من المجموعة (٤١٥) الساعة الرابعة من صباح يوم ٢١ / ٣ / ١٩٦٩م بالاشتباك مع قوات العدو بجوار المندسة شرق أريحا.

وعلى أثر ذلك استدعى العدو عددا من الآليات والدبابات والمجنزرات التي قامت بضرب طوق حول قواتنا وقد اشتبكت معها قواتنا في معركة عنيفة استمرت حتى الساعة الحادية عشرة من مساء نفس اليوم، وفي الساعة الحادية عشرة صباحا تحركت وحدات إسناد في محاولة لكسر الطوق حول قواتنا إلا ان العدو دفع بطيرانه إلى المعركة في الوقت الذي يقصف المنطقة بمدافع الهاوزر ومدافع الدبابات والهاونات وقد ردت قواتنا على النار بالمثل وقامت بقصف تجمعات العدو بمدافع الهاون والرشاشات وقد وسع العدو نطاق عدوانه صوب مدفعية باتجاه القوات الأردنية التي قامت بالرد عليه.

وفي الساعة الرابعة صباحا دفع العدو بعدد من طائراته إلى مكان المعركة وتمكنت المقاومات الأرضية الأردنية من إسقاط طائرة سوبر مستير سقطت في الأراضي الأردنية واحتراق قائدها بداخلها، وقد تمكنت قواتنا من كسر الطوق والانسحاب إلى قواعدنا، وقد سقط لنا في هذه المعركة اثنان من مناضلينا الأبطال هما:

- الشهيد البطل سمير صالح خليل الملقب أمير خالد
- الشهيد البطل علي عارف محمود عساف الملقب بصالح الأسد.

وكانت خسائر العدو كما يلي:

أولا: تدمير ثلاث آليات للعدو تدميرا كاملا.

ثانيا: إصابة بعض المواقع العسكرية للعدو في أم نخلة والمندسة

ثالثا: إعطاب عدد من مصفحات العدو.

رابعا: قتل وجرح عدد من الجنود.

ردا على العدوان الإسرائيلي:

قصفت فتح عدة مستعمرات في النقب الجنوبي وغزة، أصدرت القيادة العامة لحركة فتح البلاغات العسكرية التالية بناء على الأوامر الصادرة تحركت قواتنا كما يلي:

١. قامت وحدة المدفعية الثقيلة التابعة للمجموعة ٣٣٣ في الساعة الحادية عشرة من ليلة ٢٢ / ٣ / ١٩٦٩م يقصف مركز من المدفعية الثقيلة على معسكر أبو الغزيلات التابع للعدو في النقب الجنوبي، وقد استمر القصف مدة أربعين دقيقة استهدف تجمع آليات العدو في المعسكر، وشوهدت النيران مشتعلة في المعسكر، وتشير التقديرات الأولية إلى أن خسائر العدو كبيرة للغاية في الأرواح والمعدات ولم تحدد حتى ساعة إعداد هذا البلاغ، وعادت الوحدة إلى قواعدها سالمة.

٢. قامت وحدة المدفعية الثقيلة للمجموعة(٢٣٠) في نفس الليلة ونفس الوقت بقصف مركز من المدفعية الثقيلة على مستمرة الغزيلات في النقب الجنوبي أدى القصف إلى تدمير عدة منشآت حيوية في المستعمرة واشتعلت النيران في عدة أماكن فيها، كما شوهدت سيارات الإسعاف والإنقاذ والإطفاء تهرع إلى أماكن القصف لإخلاء خسائر العدو.

وقد أطفئت الأضواء في المستعمرة خلال مدة القصف وعلى الأثر قدمت إلى المنطقة قوات نجدة للعدو، معززة بالدبابات وناقلات الجنود.

ولكن وحدة الحماية كانت قد زرعت الطريق المؤدي للمنطقة بالألغام، وقد انفجرت ثلاثة من الألغام في ثلاث مجنزرات محملة بالجنود فدمرت تدميرا كاملا وقتل وجرح من فيها، وعادت الوحدة إلى قواعدها سالمة.

٣. كما قامت وحدة المدفعية الثقيلة التابعة للمجموعة (٣٥٩) في الساعة العاشرة من ليلة ٢٢ / ٣ بقصف مركز على مستعمرة وادي لصف في النقب الجنوبي واستهدف القصف المناطق العسكرية المجاورة، وأدى ذلك إلى إصابة المستعمرة بإصابات مباشرة وتقدر الخسائر الأولية بأنها كبيرة للغاية في الأرواح والممتلكات، وقد استمر القصف مدة أربعين دقيقة، وشوهدت النيران مشتعلة في عدة أماكن في المستعمرة كما شوهدت سيارات الإسعاف والإنقاذ والإطفاء تهرع إلى مكان القصف في المستعمرة، وعادت الوحدة إلى قواعدها سالمة.

٤. قامت وحدة المدفعية الثقيلة التابعة للمجموعة (٣٥٥) في نفس الليلة ونفس الوقت في العملية السابقة بقصف مركز بالمدفعية الثقيلة على معسكر وادي أبو لصف الذي يبعد كيلو مترين عن



مستعمرة وادي لصف في النقب الجنوبي، وقد استهدف القصف تجمع آليات العدو في المعسكر ومهاجع جنوده، وأدى القصف إلى تدمير عدد من الآليات والمهاجع، وشوهدت النيران مشتعلة فيها، وتقدر خسائر العدو بأنها كبيرة للغاية في الأرواح والمعدات.

وعلى الأثر قدمت إلى المنطقة قوات نجدة العدو معززة بالدبابات والسيارات النصف المجنزرة وناقلات الجنود، ولكن وحدة الحماية التابعة لنفس المجموعة كانت قد زرعت الطريق المؤدية إلى المنطقة بالألغام، وقد انفجر لغمين من هذه الألغام في سيارتين محملتين بالجنود فدمرتا تدميرا تاما، وقتل وجرح جميع من فيها، وعادت الوحدة إلى قواعدها سالمة.

وبناء على الأوامر الصادرة تحركت قواتنا كما يلي:

١. قامت وحدة الصواريخ التابعة للمجموعة (٦٦٧) في الساعة العاشرة وعشرين دقيقة من ليلة ١٢ / ٣ / ١٩٦٩م بقصف مركز بالصواريخ على مستعمرة أبو زابوره في المنطقة الجنوبية من الأرض المحتلة كما شمل القصف تجمع السيارات وآليات العدو العسكرية، ونتج عن ذلك إصابة الأهداف إصابات مباشرة وقد شوهدت النيران مشتعلة في عدة أماكن من المستعمرة كما شوهدت سيارات الإسعاف والإنقاذ تهرع إلى المستعمرة لإخلاء خسائر العدو وتشير التقديرات الأولية بأن خسائر العدو كبيرة في الأرواح والمعدات والممتلكات، وعادت القوة إلى قواعدها سالمة.

٢. قامت قوة من نفس المجموعة وفي نفس الليلة بوضع عبوات ناسفة شديدة الانفجار اسفل خط المياه بين مستعمرة الرابية ومستعمرة الزابورة في الوقت المحدد انفجرت العبوات مما أدى إلى تدمير جزء من خط المياه وعادت القوة إلى قواعدها سالمة.

٣. قامت قوة من المجموعة ٦٦٧ ليلة ١٥ / ٣ / ١٩٦٩م بنصب كمين لسيارات العدو العسكرية ما بين مستعمرة الماسورة ومستعمرة أبو سالم في المنطقة الجنوبية من الأرض المحتلة وفي تمام الساعة ٢٣٠٠ قدمت إلى المنطقة سيارة نصف مجنزرة ولاندروفر تابعتان للعدو ففاجأها الكمين بقذائف الار.بي.جي — ٧ مما أدى إلى تدمير اللاندروفر والنصف مجنزرة تدميرا تاما واشتعال النيران فيهما.. وقد تمكن رجالنا بعد ذلك من تطهير اللاندروفر والنصف مجنزرة بالرشاشات والقنابل اليدوية مما أدى إلى قتل جميع من فيهما... وقد عادت القوة حاملة معها أحد مناضلينا الذي أصيب بجراح خفيفة.

وبناء على الأوامر الصادرة تحركت قواتنا كما يلي:

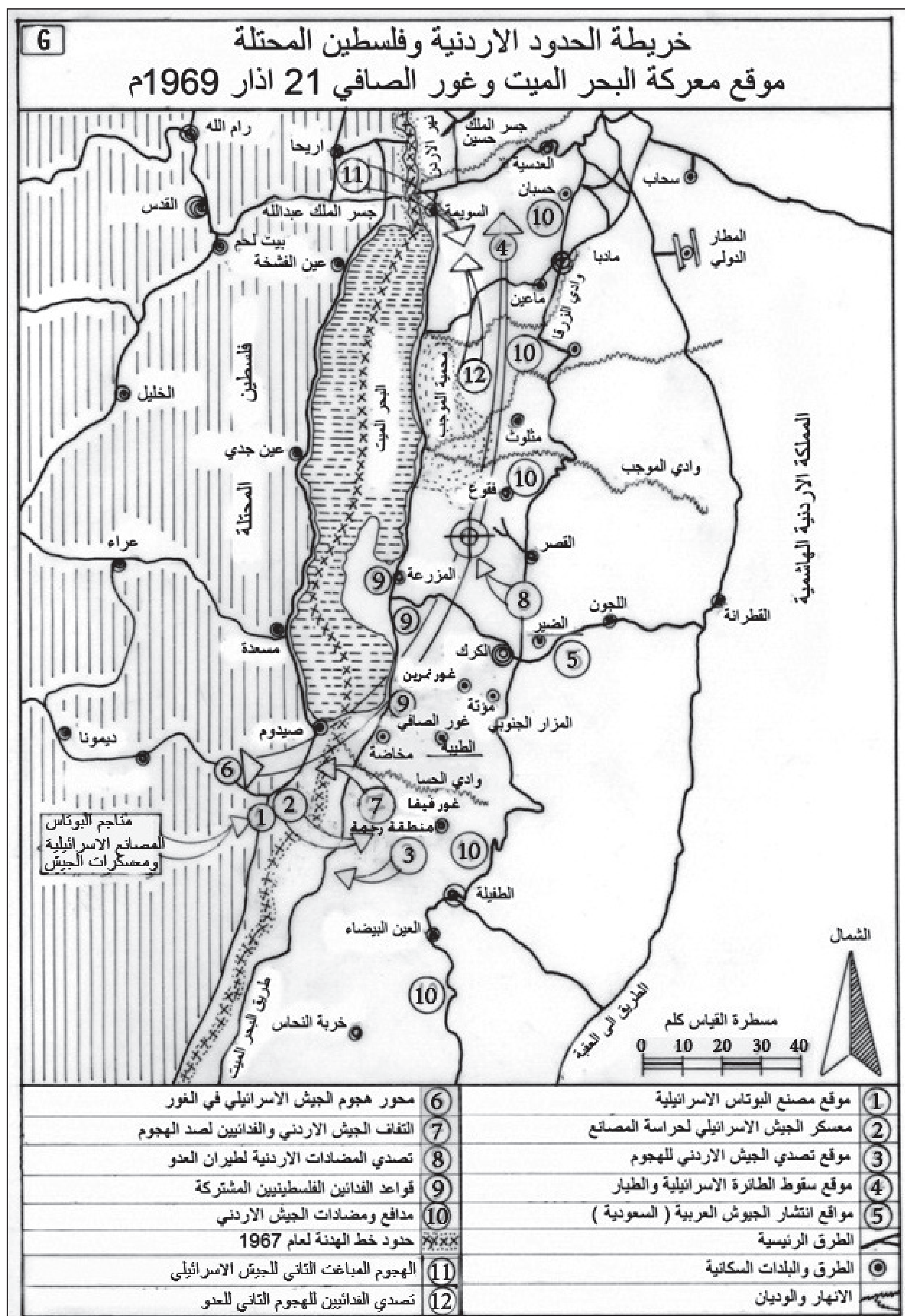
١. قامت وحدة الصواريخ التابعة للمجموعة ٨٦٦٧ / ٣ / ١٩٦٩م بقصف مركز على مستعمرة أبو سته الواقعة شرقي الشيخ حمودة وجنوب شرق دير البلح، وقد أصابت الصواريخ أهدافها مما أدى إلى إشعال النيران في المستعمرة، وعلى الأثر قام العدو بإنارة المنطقة، وقد أشرك العدو عدة طائرات هيلوكوبتر لملاحقة مقاتلينا الذين تمكنوا من الانسحاب والعودة إلى قواعدهم سالمين.

٢. قامت قوة من المجموعة رقم (٦٦٧) ليلة ١٠ / ٣ / ١٩٦٩م بقصف كمين لسيارات العدو العسكرية على الطريق الواقعة بين مستعمرة الرابية وقرية الشيخ نوران في المنطقة الجنوبية من الأراضي المحتلة وفي تمام الساعة الحادية عشرة والربع من نفس الليلة قدمت للمنطقة ناقلتان للجنود تابعتان للعدو ففاجأها الكمين بقذائف الار.بي.جي -٧ المضادة للدروع وقد أصيبت الناقلتان إصابات مباشرة ودمرتا تدميرا تاما واشتعلت النيران فيهما، وقتل وجرح جميع من فيها وعادة القوة إلى قواعدها سالمة[٧٣].

---

٧٣ يقول الجندي عوني الشيخ الهامي (الجيش الأردني): كانت قواتنا ترقب هجوم اسرائيل بانتظار صدور اوامر من قائد اللواء الى كتائب الميدان وخاصة قيادة معسكر الجيش الاردني الواقع على منطقة مرتفعة شرقا من بداية نزول الخرزة الى منطقة اللسان وهذا الوادي يربط الكرك بالاغوار.

محاور معركة غور الصافي ١٩٦٩/٣/٢١م، ١. المنطقة الشمالية عبرت قوات اسرائيلية من جسر المندسة على نهر الاردن باتجاه الشرق وحاولت مهاجمة فدائيين، ٢. المنطقة الجنوبية: تقدمت جرافات ومجنزرات اسرائيلية من منطقة عروس ومستعمرة كالية غرب البحر من الجنوب وعبرت الشارع وفتحت شوارع وتوجهت الى وادي الحسا حيث مجمع سكني احتلوه وبحثوا عن فدائيين. جنوب البحر الميت كانت فرقة الهندسة زرعت الغام حتى تمنع حدوث أي عبور آليات اسرائيلية وعندما اقتربت قوات كبيرة من حقول الالغام هرب جنود السرية تاركين سيارة الذخيرة في وادي وصادف ان العدو لم يشاهدها وعندما ابتعدت القوة الاسرائيلية ذهبت مع جندي سائق واعدنا الناقلة الى خندق في وادي نزول الخرزة فيه قواعد فدائيين وسعوديين. بعد معركة الكرامة وصلت الجبهة تعزيزات من ضباط وجنود ومدرعات وتكاثر الفدائيين بالمنطقة في قواعد بين الاودية والجبال ووادي عربة كان مدفعية الجيش الاردني تقوم بحماية للفدائيين عندما يعودون من معاركه قبل احتلال غور الصافي بيوم طلب قائد اللواء «بهجت المحيسن» طفيلي من الكتائب والسرايا الاستعداد والتعاون مع الفدائيين والسعوديين. كنت جنديا لم اعرف كبار ضباط الجيش او الفدائيين او السعوديين الا من خلال احاديث الآخرين الذين ذكروا قائد الفدائيين وقيادته في بلدة الطفيلة من دار عرفات «موسى عرفات» وقائد الجبهة الشعبية كان رجلا طويل القادمة شاهدناه كثيرا لان قاعدته قريبة من نزول الخرزة وهو من الشام ويدعى عارف ابو صالح. كنت مأمور اشارة على جهاز لاسلكي نقلت برقية الى القيادة حسب ملاحظات قوات الحاجب عن حركة مجنزرات وآليات اسرائيلية تتقدم من منطقة عروس ومستعمرة كالية غرب البحر الميت باتجاه منطق اللسان وغور الصافي. وأن القوات الاسرائيلية تقدمها جرافات فتحت طرق وخنادق بالمنطقة وبدأت باستعراض قواتها، ووضعت دوريات ثابتة على طريق غور الصافي الشونة الجنوبية. قيادة اللواء تركت للعدو حرية التقدم حتى احتلت تجمعات ونزلت من مجنزراتها وتمركزت في مواقع مكشوفة للجيش وفجأة انهالت قذائف مدفعية ودبابات ورشاشات ثقيلة على الجيش الاسرائيلي من الجبال وسقطت طائرة اسرائيلية شرق البحر الميت فوق اللسان والذي اصابها السعوديون والفدائيون. اصابتا مباشرة نزلت على العدو دفعهم بعد ان تقدموا حتى غور الصافي وحاولوا الانسحاب في ارض ساقطة عسكريا والتراجع الى تل عروس وكالية اللتان تبعدان مسافة ١٠ كلم لكن المدفعية والرشاشات ظلت تلاحقهم وتركوا اسلحة وذخائر وادوات اسعاف جرحاهم وعدد كبير من القتلى بجوار غور الصافي. بعد تطهير المنطقة من العدو مسحت قوات الجيش والفدائيين المنطقة من الغام ووجدت غنائم وقتلى جنود وقد جمعت الجثث في بيت في غور الصافي يدعى (العلية) وهو اعلى بيت بالبلدة يتكون من طابقين وصاحبه المواطن عبد الحافظ العشوش وبعد ايام وصل رجال الهدنة واستلمت الجنود القتلى واعادوهم الى اسرائيل. مقابلة مصطفى الاسعد مع الجندي عوني الهامي ٢٠١٣/٧/١٦م.


G
خريطة الحدود الاردنية وفلسطين المحتلة
موقع معركة البحر الميت وغور الصافي 21 اذار 1969م
رام الله
اريحا
القدس
جسر الملك عبدالله
بيت لحم
عين الفشخة
جسر الملك حسين
العدسية
حسبان
سحاب
السويمة
المطار الدولي
مادبا
ماعين
وادي الزرقا
فلسطين المحتلة
الخليل
عين جدي
البحر الميت
محمية الموجب
مثلوث
وادي الموجب
فقوع
القصر
عراء
المزرعة
اللجون
القطرانة
الضير
الكرك
مسعدة
غور نمرين
مؤتة
المزار الجنوبي
غور الصافي
صيدوم
ديمونا
الطيبة
مخاضة
وادي الحسا
غور فيفا
منطقة رجمة
مناجم البوتاس
المصانع الاسرائيلية
ومعسكرات الجيش
الطفيلة
العين البيضاء
المملكة الاردنية الهاشمية
الشمال
طريق البحر الميت
خربة النحاس
الطريق الى العقبة
مسطرة القياس كلم
0 10 20 30 40
1 موقع مصنع البوتاس الاسرائيلية
2 معسكر الجيش الاسرائيلي لحراسة المصانع
3 موقع تصدي الجيش الاردني للهجوم
4 موقع سقوط الطائرة الاسرائيلية والطيار
5 مواقع انتشار الجيوش العربية (السعودية)
الطرق الرئيسية
الطرق والبلدات السكانية
الانهار والوديان
6 محور هجوم الجيش الاسرائيلي في الغور
7 التفاف الجيش الاردني والفدائيين لصد الهجوم
8 تصدي المضادات الاردنية لطيران العدو
9 قواعد الفدائيين الفلسطينيين المشتركة
10 مدافع ومضادات الجيش الاردني
حدود خط الهدنة لعام 1967
11 الهجوم المباغت الثاني للجيش الاسرائيلي
12 تصدي الفدائيين للهجوم الثاني للعدو

خصوصية الحالة الأردنية:

أدركت حركة فتح منذ بدايات العمل على الساحة الأردنية، أن للأردن خصوصيته التي لا بد من إحترامها، ولم تكلف العديد من المنظمات نفسها قبل اختراقها للساحة الأردنية فهم الحالة الأردنية التي يؤكدها الميثاق الوطني الأردني الذي جاء فيما بعد لتوضيح هذه الخصوصية وبيانها على أساس أن حقائق العلاقة التاريخية والجغرافية الوثيقة بين الأردن وفلسطين من خلال العصور، وانتماء الأردنيين والفلسطينيين القومي ودافعهم الثقافي والإيماني التوحيدي في الحاضر والمستقبل، جعلت من هذه العلاقة «حالة مميزة» تعززها طبيعة الروابط وقوة العلاقات وعمق المصالح المشتركة بينهما، مما يؤكد ضرورة إستمرار هذه العلاقة وتمتينها في مواجهة الخطر الصهيوني العنصري الإستعماري، الذي يهدد وجود امتنا العربية وحضارتها ومقدساتها، ويستهدف الأردن مثلما يستهدف فلسطين[٧٤].

ومن الطبيعي في ظل العلاقات التاريخية والجغرافية والاقتصادية والديمغرافية والعلاقات الاجتماعية والعائلية الممتدة بين الجانبين، أن تكون العلاقة الأردنية الفلسطينية لها خصوصيتها، فالأردن استقبل العدد الأكبر من الفلسطينيين، ويواجه العدو الإسرائيلي والأرض المحتلة في جميع قطاعاتها وعلى مسافة حدودية طويلة، ويعتبر دولة المواجهة الأولى مع إسرائيل، وطرفا أساسيا في أي مشروع من مشاريع تسوية القضية الفلسطينية[٧٥].

وقد حرص الملك حسين بن طلال على تأكيد هذه الخصوصية في العلاقة الأردنية الفلسطينية فقال: "منذ متى نستطيع أن نفصل المصير الأردني عن واقع القضية الفلسطينية ومصيرها..؟ ومنذ متى تدار السياسة دون أي اعتبار للجوار الجغرافي والتشابك الديمغرافي.؟ ألم يتشكل تاريخنا السياسي وواقعنا الاجتماعي والاقتصادي بسبب القضية الفلسطينية وتطوراتها"[٧٦]. وقال الملك حسين منذ بواكير العمل الفدائي في الأردن ضمن كتاب التكليف لحكومة الرئيس بهجت التلهوني يوم ٧ / ١٠ / ١٩٦٧م: "إن القضية الفلسطينية هي حجر الأساس، وحجر

٧٤ الميثاق الوطني الأردني، ص٤٩

٧٥ محمد مصالحة: سياسة الأردن نحو القضية الفلسطينية، ص٢٠.

٧٦ خطاب الملك حسين أمام المؤتمر الوطني الأردني بتاريخ ١٢/١٠/١٩٧١م.

الزاوية في سياسة الأردن الداخلية، العربية والخارجية، ولئن كانت هذه القضية مقدسة بالنسبة للأمة فهي مسألة حياة أو موت بالنسبة للأردن، ويدرك الأردن رغم إمكاناته المادية المحدودة المسؤولية الكبيرة التي يتحملها تجاه القضية الفلسطينية، إلا أنه يؤكد على استعداده الدائم لتحمل هذه المسؤوليات ضمن أقصى طاقاته وإمكاناته، وهو يؤمن في ذات الوقت، أن أعباء القضية الفلسطينية من الجسامة بحيث تقتضي جهدا عربيا موحدا وإجماعا من الدول" .

كي تنجلي وقائع الأحداث أمام القارئ حول العمل الفدائي في تلك الحقبة (١٩٦٨– ١٩٦٩م) أورد شهادات الملك حسين الموثقة في كتابه «مهنتي كملك» حيث يقول: «ثم وقعت الغارة على الكرامة في آذار(مارس) ١٩٦٨م من قبل القوات اليهودية، وكان الاشتباك دمويا، من الجانبين، خسائر في الأرواح البشرية وتدمير للمعدات، وكان دفن الشهداء من الفدائيين مناسبة لقيام مظاهرة ضخمة مؤيدة لهم كبداية لنواة من المقاومة أكثر رسوخا وأمتن بنيانا، وما من شك في أن المنظمة التي كان الفدائيون يجاهدون تحت لوائها (يقصد حركة فتح) كانت تلفت النظر بروعتها حقا»[٧٧].

بالطبع فإنه لا يحق لأحد بعد هذه الشهادة الصريحة من قبل الملك حسين أن يزايد على العلاقة الكفاحية التي كانت سائدة بين الجيش الأردني والمقاومة الفلسطينية، وهي العلاقة التي لم تعجب إسرائيل، فقامت بشن سلسلة من الغارات والاعتداءات على قواعد الجيش الأردني وعلى القرى والمزارع الأردنية على طول حدود المواجهة، ولم تستثن قواعد الفدائيين من تلك الاعتداءات، لكن الأمر اخذ منحى آخر بعد الانتصار التاريخي للجيش والفدائيين في معركة الكرامة، حيث بدأت بعض المنظمات بارتكاب المخالفات التي ارتكبت في محاولات يائسة لعزل المقاومة عن جماهيرها.

وأبرز دليل على تعدد المخالفات التي ارتكبت باسم الفداء ما وقع يوم ٢٨ / ٥ / ١٩٦٨م، ففي عصر ذلك اليوم قامت المجموعة (٥٨) التابعة لقاعدة المشارع، وهي من قواعد منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) بهجوم على قيادة شرطة العاصمة عمان، استعملت فيه المدافع الرشاشة، وكانت هذه المجموعة تمر في عمان بطريقها إلى موقع آخر، وأثناء وجودها في العاصمة عمان تغيّب أحد أفرادها وبلغ رفاقه خبر مختلق بأنه قيد الاعتقال من قبل الشرطة، فقاموا بهجومهم على قيادة الشرطة حيث أسفر الهجوم عن إصابة إثنين من أفراد الشرطة

٧٧ الحسين بن طلال، مهنتي كملك، ص ٢١٣ – ٢١٤.

بجراح وإصابة اثنين من المدنيين، ومقتل ثالث متأثرا بجراحه. أما الدليل الآخر فهو ما حدث أيام ٢، ٣، ٤ / ١١ / ١٩٦٨م فقد قامت الهيئات الوطنية بمسيرات شعبية ضخمة في مدن المملكة الرئيسة للتعبير عن سخطها في ذكرى صدور وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وأثناء المسيرة يوم ٢ / ١١ في عمان أخذ عناصر من منظمة تدعى "كتائب النصر" يطلقون العيارات النارية وقادوا الهجوم على مبنى السفارة الأمريكية في عمان، وتمكنوا من إنزال العلم الأمريكي وتمزيقه، وفعل عناصر هذه المنظمة في بلدية الزرقاء مثلما فعلوا في عمان، وفي يوم ٣ / ١١ / ١٩٦٨م قامت سلطات الأمن الأردنية بإلقاء القبض على طاهر دبلان(٧٨) واثني عشر شخصا من رجاله وأودعوا السجن العسكري في الزرقاء رهن التحقيق، وعلى أثر ذلك قام أشخاص آخرون من المنظمة المذكورة باعتقال اثنين من رجال الشرطة وأطلقوا النار على سيارة عسكرية، وفي صباح يوم ٤ / ١١ / ١٩٦٨م حاولت مجموعة من رجال الأمن تطويق مقر المنظمة في جبل النظيف بقصد تجريد أفرادها من السلاح، إلا أنهم عملوا على حشد جمهور كبير من المواطنين وقرروا القيام بمظاهرة مسلحة في عمان وسارت المظاهرة وسط إطلاق كثيف للنيران ورفع شعارات ضد السلطة، وقد اصطدمت المظاهرة بالجيش الأردني في جبل الحسين ففر المتظاهرون. وفي الزرقاء قامت عناصر منظمة «كتائب النصر» بمهاجمة شرطة الزرقاء واستولت على مسدسات رجاله، ثم أشعلت النار في المخفر وعملت على هدم جدرانه، وعلى الفور تدخل الجيش لتفريق العناصر المهاجمة ثم فرض منع التجوال في المدينة.

وبفضل الحرص المشترك على ضبط الأمور والتنسيق المشترك شهدت الفترة من ٢ / ١١ / ١٩٦٨ وحتى ١ / ٢ / ١٩٦٩م هدوءاً أسهم إلى حد بعيد في تمكين حركة «فتح» بالاتفاق مع الحكومة الأردنية على ضبط الأمن وإقناع المنظمات باحترام القانون الأردني لكن بعض المنظمات لم تستجب وشنت هجمات إعلامية على حركة «فتح» واتهمتها بالرجعية واليمينية

---

٧٨ طاهر دبلان: سوري الجنسية (من أصل فلسطيني) كان برتبة عقيد في الجيش السوري، وتم تسريحه عام ١٩٥٩م، أسس عام ١٩٦٧م جبهة التحرير الشعبية الفلسطينية، وانضم إلى منظمة الصاعقة في مؤتمر القاهرة للقوى الفلسطينية عام ١٩٦٨م، لكنه خرج مجددا من منظمة الصاعقة في ١٩٦٨/٣م ليؤسس كتائب النصر الفدائية في عمان بالأردن ومعه العقيد عبد الكريم العمر وهو فلسطيني الجنسية (وكان من رجال الحاج أمين الحسيني) وآخرين، حيث بدت تنظيما فاعلا في الساحة الأردنية، فضمت مئات المقاتلين، لكن القصور السياسي وسوء التقدير أديا إلى تلاشيها بعد اعتقال قائدها العقيد طاهر دبلان في عمان بعد أحداث ١٩٦٨/١١/٤م واتهامه بإطلاق النار على موكب الملك حسين ووضعه في سجن الجفر، وكذلك قيام مجموعته بممارسات مخلة بالأمن في شوارع عمان وإربد، واعتقل معه بحدود ١٠٠ عنصر من مجموعته، أطلق سراحهم بعد صدور العفو العام في عام ١٩٧٣م، وتوفي دبلان في الكويت أواسط السبعينيات من القرن الماضي./المصدر: ويكيبيديا – الموسوعة الحرة.



وبدلا من التعاون لضبط الأمور وتمركز العمل الفدائي على طول خطوط المواجهة مع العدو كما فعلت حركة «فتح» بدأت تلك المنظمات محاولات للتمركز داخل المدن والاصطدام مع الكفاح المسلح، في حين كانت عمليات قوات العاصفة متصاعدة.

وبالمناسبة، فإن خصوم فتح على الساحة الفلسطينية كانوا دائماً يستغلون المناخ السائد في المنطقة، ويتدثرون بتوجهات المرحلة الفكرية التي يعيشها أبناء الأمة العربية ليزايدوا على فتح من خلالها، فمثلاً حين كان المناخ العام في الوطن العربي يرفع شعارات الأمة والوحدة والتحرير الشامل، وكانت المشاعر القومية الرومانسية في أوجها، لم تجد حركة القوميين العرب من تهمة تلصقها لفتح سوى الزعم أنها حركة إقليمية قطرية تتعارض مع السياق القومي العام وتتصادم مع التوجهات والاستعدادات القومية – الوهمية – للمعركة الشاملة، وحين تبين صحة طرح فتح وصدق وواقعية أسلوبها النضالي، وانحسر المد القومي الحالم، وتحولت حركة القوميين العرب نفسها إلى حركة «إقليمية» تحت اسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واتخذت الماركسية – اللينينية منهجاً لها لم تلبث المزايدة أن اتخذت لوناً جديداً لها في ظل بروز التيارات اليسارية والفكر اليساري، فتحولت فتح في نظرهم فجأةً إلى حركة يمينية تمثل البرجوازية الصغيرة، وتعرقل اليسار الثوري عن مسيرة العمل النضالي الطبقي، الخ.. وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي واضمحلال الطرح اليساري في المنطقة وحلول الطرح الإسلامي السياسي ضمن ما يسمى «الصحوة الإسلامية» ونمو الاتجاهات السياسية الدينية في الوطن العربي والعالم، اهتدوا إلى تهمة جديدة يلصقونها بفتح فأصبحت فتح في نظرهم حركة علمانية أقرب إلى الكفر ولا توالي الله ورسوله والمؤمنين، الخ..



ياسر عرفات والملك حسين

المنظمات الفدائية (١٩٦٨-١٩٦٩م):

ولتوضيح الصورة للقارئ سنقوم باستعراض خريطة المنظمات الفدائية الرئيسية التي كانت قد ظهرت خلال تلك المرحلة وهي على النحو التالي:

١. قوات التحرير الشعبية: تأسست كفصيل فدائي في إطار وحدات جيش التحرير الفلسطيني في ٢ /١٩٦٨م بمبادرة من أحمد الشقيري في إطار سعيه لتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية عسكريا وانتهاج الكفاح المسلح، فركزت عملياتها إلى جانب حركة فتح على طول الحدود مع فلسطين من غور الأردن حتى جبهة الجولان، وبنت لها ثلاث قواعد في الكرامة مع وجود لعناصر لها في منطقة الكرك، ولعبت دورا مميزا في معركة الكرامة، ولم يسجل لهذه القوات مخالفات تسيء للعمل الفدائي.

٢. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: كانت البداية الأولى خلال انعقاد الاجتماع العام لحركة القوميين العرب في شهر (٤ / ١٩٦٣م) في بيروت حيث تم البحث لانطلاقة الجناح العسكري



الفلسطيني من رحم الحركة بمشاركة بعض المجموعات الفلسطينية، وكانت حركة القوميين العرب قد اتخذت عام ١٩٦٠م قرارا بتكوين جهاز فلسطيني خاص عرف باسم (إقليم فلسطين) ومن أفراد هذا الجهاز انبثق الجناح العسكري الذي نفذ أول عملياته في الجليل بشمال فلسطين يوم ٢١ / ١٠ / ١٩٦٦م وبعد نكسة حزيران ١٩٦٧م أعلن الدكتور جورج حبش قيام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يوم ٧ / ١٢ / ١٩٦٧م مكونة من ائتلاف نضالي يضم الجبهة القومية لتحرير فلسطين (شباب الثأر) بقيادة الدكتور وديع حداد (أبو هاني) وأحمد اليماني وعبد الكريم حمد ومن مجموعة الضباط الأحرار (ناصريون) بقيادة النقيب في الجيش الأردني أحمد زعرور بالإضافة إلى تنظيم جبهة التحرير الفلسطينية بقيادة أحمد جبريل ومجموعة أبطال العودة بقيادة الحاج فايز جابر (أبو نافذ) وصبحي التميمي (أبو جبريل) وعقدت الجبهة مؤتمرها الأول في شهر (٨ / ١٩٦٨م) ثم واصلت نضالها قبل الانشقاق.

٣. طلائع حرب التحرير الشعبية– قوات الصاعقة: تم تأسيسها بقرار من التنظيم الفلسطيني لحزب البعث العربي الاشتراكي في سورية حيث أصدرت القيادة القومية للحزب بعد المؤتمر القومي السادس قرارها بإنشاء إطار حزبي مستقل للقطر الفلسطيني والأردني معا، وخلال انعقاد المؤتمر القومي التاسع لحزب البعث في سورية (١٩٦٦م) اقر تشكيلها، إلا أنها ظهرت عمليا في يوم ١٠ / ١٢ / ١٩٦٦م وحملت اسمها (منظمة الصاعقة– طلائع حرب التحرير الشعبية)، في شهر (٢ / ١٩٦٨م) بعد أن انضمت إليها مجموعات صغيرة هي جبهة ثوار فلسطين بقيادة محمد أبو سخيلة، وجبهة التحرير الشعبية الفلسطينية بقيادة العقيد طاهر دبلان الذي انشق عنها فيما بعد، ومنظمة الجليل الأعلى الفدائية بقيادة داود أبو الشكر. ومن اللافت للنظر ان كوادر منظمة الصاعقة انتشرت على الأرض الأردنية في مطلع العام ١٩٦٨م، في مشهد مثير للاستغراب خاصة أن حزب البعث السوري قام بإيجاد هذه المنظمة ودفع بها للعمل على الأراضي الأردنية بدعوى ممارسة العمل الفدائي، بينما كان أولى بأركان ذلك الحزب أن يمارسوا العمل الفدائي في الجولان السورية المحتلة.

٤. منظمة فلسطين العربية: أسسها أحمد زعرور ومساعدوه محمد أبو سمرة، مروان مفيد، أحمد عمرو، يوسف أبو إصبع وآخرون عام ١٩٦٩م بعد انشقاق زعرور عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ودانت هذه المنظمة بالولاء للجمهورية العربية المتحدة التي تدعمها بالمال والسلاح، ولذلك وقفت إلى جانب (الهيئة العاملة لتحرير فلسطين) في تأييد مصر لقبولها

بمشروع روجرز وللحل السلمي مما كان له السبب في اشتباكات بقية المنظمات معهما.

٥. الهيئة العاملة لتحرير فلسطين: أسسها الدكتور عصام السرطاوي ومحمد الحديدي، ومحمد الحنفي وصالح عبد الرحمن، وليم جورج، هادي حسني وعبد الغني عبد الحي عام ١٩٦٨م، وقد اندمجت هذه الهيئة في حركة فتح خلال الدورة الخامسة للمجلس الوطني الفلسطيني التي عقدت عام ١٩٦٩م.

٦. جبهة النضال الشعبي لتحرير فلسطين: جبهة النضال الشعبي تأسست في القدس في شهر ٧-١٩٦٧م على يد عدد من المناضلين الفلسطينيين من أصحاب الجذور القومية في حزب البعث وحركة القوميين العرب والمستقلين، منهم: د. صبحي غوشة، بهجت أبو غربية، الرائد خالد عبد المجيد، كمال النمري، د.سمير غوشة، أبو جمال عسكر، سفيان خليل سفيان، مصطفى وزوز، إبراهيم فتياني، خالد الخروف. ويسجل للجبهة الدور البارز الذي لعبه مسؤولها العسكري العميد الركن أبو جمال عسكر عضو المجلس العسكري الفلسطيني الأعلى في توفير أشكال من الدعم اللوجيستي لوحدة المغاوير المصرية التي نفذت عملية نسف السفينة الإسرائيلية إيلات عام ١٩٦٨م عندما كان قائداً لقاعدة فدائية لجبهة النضال بين العقبة وجنوب البحر الميت. وترأس هذه الجبهة فيما بعد المناضل بهجت أبو غربية ومن بعده الدكتور سمير غوشة.

٧. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة: هي تنظيم موال لسورية تشكلت نواته الأولى في مخيم اليرموك بسورية يوم ١١ / ٤ / ١٩٥٩م على يد مجموعة من الضباط الفلسطينيين في الجيش العربي السوري تحت اسم (جبهة التحرير الفلسطينية) وبعد حرب حزيران ١٩٦٧م أسهمت في تكوين ائتلاف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة الدكتور جورج حبش، لكنها عادت وانشقت بقيادة أحمد جبريل نهاية عام ١٩٦٨م وحملت اسم (الجبهة الشعبية- القيادة العامة) وعقدت مؤتمرها الأول نهاية عام ١٩٦٨م بالتحالف مع مجموعة الشهيد أحمد زعرور قبل انشقاقه وتشكيل منظمة فلسطين العربية.

٨. جبهة التحرير العربية: تأسست يوم ٧ / ٤ / ١٩٦٩م كجناح فدائي للتنظيم الفلسطيني لحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، وأعلن عن تأسيسها رسميا وفعليا في شهر (٨ / ١٩٦٩م) عند تخريج دفعة من (٣٠٠ مقاتل) من أعضائها، وتناوب على أمانة سرها أعضاء في القيادة القومية لحزب البعث في العراق وهم بالترتيب: اللبناني الدكتور زيد حيدر، أحمد المرعشلي،

الدكتور عبد الوهاب الكيالي، المهندس عبد الرحيم أحمد وركاد سالم.

٩. المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين: تأسست منتصف عام ١٩٦٤م عشية الدورة الأولى للمجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في القدس وتكونت من ثلاثة روافد هي: يساريون من حركة القوميين العرب وأعضاء سابقون في حزب البعث العربي الاشتراكي، وأعضاء سابقون في الحزب الشيوعي الأردني، وبعد عدة انشقاقات في صفوفها اندمجت المنظمة في إطار قوات التحرير الشعبية.

١٠. الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين: ولدت في ٢٢ / ٢ / ١٩٦٨م عندما انشق نايف حواتمة وعدد من مناصريه عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، واتخذت هذه المنظمة خطا سياسيا ماركسيا متطرفا وطرحت شعارات مناهضة للنظام الأردني «لا سلطة فوق سلطة المقاومة» وشعار «كل السلطة للمقاومة» وفور تشكيلها بدأت في توجيه الانتقادات لحركة فتح، ومن قياداتها صالح رأفت، عصام عبد اللطيف، قيس عبد الكريم السامرائي «أبو ليلى» عراقي الجنسية.

١١. قوات الأنصار: بعد حرب ١٩٦٧م وبروز ظاهرة العمل الفدائي وقف الشيوعيون العرب موقف المعارضة من العمل المسلح ووصفوه بالإتجاه العاطفي الذي يشكل خطرا على حركة التحرير الوطني خاصة وأن أهدافه غير قابلة للتطبيق حيث يعطي المبرر لإسرائيل لشن مزيد من الإعتداءات. هذا الموقف أفقد الشيوعيين تعاطف الناس من خارج صفوفهم وعزلهم عن الرأي العام، مما جعل عددا من قادتهم ينتقدون موقفهم وينادون بالسير مع الإتجاه العام وتكوين مجموعة يحمل أفرادها السلاح ضد الصهاينة «عملاء الإمبريالية». ومن الجدير بالذكر أن الشيوعيين العرب كانوا في السنين السابقة يؤيدون إسرائيل كشعب وأيدوا قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر في ٢٢-١١-١٩٦٧م وانتقدوا العمل الفدائي لمدة تزيد على عامين. ما أدى إلى عزلهم وجعلهم في وضع بالغ الحرج، ومن هنا عقد قادتهم من العراق وسورية ولبنان والأردن اجتماعا في أواخر ١٩٦٩م وقرروا تأييد العمل الفدائي والإسهام فيه بقوات أطلقوا عليها «قوات الأنصار» وأخذوا يعملون على تأليفها في مطلع ١٩٧٠م، وهذا الموقف الجديد منح الشيوعيين: مرونة الحركة والفرصة للتغلغل بين الجماهير وبث مبادئهم العقائدية. والظهور بمظهر الحركة الوطنية بغية إحتضان المنظمات الأخرى ذات الإتجاه الماركسي. والتغلغل في المنظمات الفدائية وتوجيه قياداتها على نحو يخدم

مقاصد الشيوعية، ومن هنا طرح الشيوعيون: إقامة حكومة وطنية، توطيد علاقات الأردن بدول المعسكر الشرقي وخاصة الاتحاد السوفياتي وقطع العلاقات مع الدول الغربية وخاصة أمريكا. وخلال أزمة شباط ١٩٧٠م بدأ النشاط الفعلي لقوات الأنصار، إذ وقف أفرادها إلى جانب المنظمات الأخرى، وطلبوا الدخول في القيادة الموحدة التي الفتها المنظمات ولكن طلبهم قوبل بالرفض على أساس أنهم لم يقوموا بأية عمليات ضد إسرائيل. وفتحت قوات الأنصار مكاتب لها في عمان وأنشأت قاعدتين في إربد ثم أغلقتهما في أيلول ١٩٧٠ وجلبت أفرادها إلى منطقة عمان. ومن قادة هذه المنظمة: الدكتور يعقوب زيادين، عبد العزيز أحمد العطي، اسحق إسماعيل الخطيب فائق محمد وراد، عيسى عايد مدانات، بشير البرغوثي، عوني فاخر، وزكي الطوال، وضمت قوات الأنصار أعضاء شيوعيين من العراق وسورية ولبنان.

عمليات حركة فتح للعام ١٩٦٩[٧٩]

حتى نهاية عام ١٩٦٩ استطاع أبطال العاصفة تنفيذ (٢٣٥٦) عملية كالآتي:

الشهر	العمليات
كانون ثاني	83 عملية.
شباط	78عملية.
آذار	124 عملية
نيسان	107 عملية.
أيار	135 عملية.
حزيران	126عملية.
تموز	191 عملية.
آب	277 عملية.
أيلول	209عملية.
تشرين أول	223عملية.
تشرين ثاني	247 عملية.
كانون أول	590 عملية.
المجموع: 2390 عملية.	

أما نوعية العمليات فكانت كالآتي:

النوع	العمليات
اشتباك:	826 عملية.
تدمير:	329عملية.
قصف:	441 عملية.
ألغام:	295 عملية.
كمائن:	250 عملية.
إلقاء قنابل:	26 عملية.
قناصة	242عملية.
المجموع: 2409 عملية.	

(المجموع يختلف عن مجموع العمليات لأن بعض العمليات صنفت أكثر من مرة).

٧٩ المصدر: موقع الصوت الحر تاريخ ٢٠٠٧/٩/٦.



وقد شملت هذه العمليات كافة أجزاء الأرض المحتلة. ولعل أبرزها عملية (القسام) التي نفذت ليلة ٢ / ٥ / ١٩٦٩م والتي تم خلالها اقتحام الحمة والسيطرة عليها لمدة ثلاث ساعات وتشكل هذه العملية فاتحة معطاءة لعدد من العمليات الكبيرة وأهمها[٨٠]:

١. عملية رأس الحربة التي تم فيها احتلال مخفر السويعة ليلة ٢٤ / ٨ / ١٩٦٩م.

٢. عملية حراب الفتح التي تم فيها مهاجمة مواقع على امتداد (٢٢) كم من التركمانية شمالا إلى مخفر السويعة جنوبا ليلة ٢٤ / ٨ / ١٩٦٩م.

٣. عملية أشبال فتح حيث هوجمت مواقع تقع على امتداد ٢٠ كم من القنيطرة شمالا إلى خسفين جنوبا ليلة ٥ / ٩ / ١٩٦٩م.

٤. عملية الأرض الطيبة حيث تم اقتحام الحمة للمرة الثالثة ليلة ٤ / ٩ / ١٩٦٩م.

٥. عملية دير ياسين التي تم خلالها اقتحام مستعمرة جبين بالجولان ليلة ١٥ / ٩ / ١٩٦٩م.

٦. عملية فرحان السعدي حيث هوجمت مواقع على امتداد (٤٠) كم من شويعر شمالا إلى البحر الميت جنوبا ليلة ١٩ / ٩ / ١٩٦٩م.

٧. عملية عبد القادر الحسيني التي تم خلالها مهاجمة مستعمرة كفار روبين وعدة مواقع ونقاط مراقبة ليلة ٢١ / ٩ / ١٩٦٩م.

٨. عملية بيت ساحور حيث هوجمت مواقع تمتد من مستعمرة ماعوز حاييم شمالا إلى البحر الميت جنوبا (أكثر من ١٠٠ كم) ليلة ٣٠ / ٩ / ١٩٦٩م.

٩. عملية أبو دية حيث تم اقتحام معسكر جبات الزيت ليلة ٣٠ / ٩ / ١٩٦٩م.

١٠. عملية المقدم فايز حمدان (الرائد خالد) التي نفذت مساء أول أيام عيد الفطر ليلة ١٠ / ١٢ / ١٩٦٩م وهوجمت فيها مواقع العدو على امتداد الغور الأوسط.

١١. نسف سد نهر إيم ليلة ١١ / ٩ / ١٩٦٩م وتدمير معدات إعادة بناء السد ليلة ٢٤ / ٩ / ١٩٦٩م.

١٢. كما نفذ ثوارنا عملية عبد الفتاح الحمود باقتحام مستوطنة ارحينيا في الغور الشمالي.

وتمكن ثوار العاصفة من تدمير الأسلاك المكهربة والإلكترونية على امتداد خط المواجهة شمال البحر الميت وجنوبه وذلك ليلتي ١٩ / ٨ و ١٧ / ٧ وإعادة نسف بعض الأجزاء التي رممها العدو بعد العمليتين. وتم خلال العام الماضي قصف بيسان عشرات المرات بالصواريخ الثقيلة

---

٨٠ توثيق العمليات يوضح بأن حركة فتح توجهت بكل مقاتليها نحو خطوط المواجهة مع العدو ولم تبق قواتها داخل المدن.

وكذلك جميع مستوطنات ومنشآت العدو في غور بيسان الذي تتمركز فيه صناعات هامة للعدو كما أنه يعتبر منطقة زراعية هامة(٨١).

جهاز الرصد المركزي(٨٢):

إن البحث في تاريخ ونشأة المخابرات الفلسطينية مسألة معقدة وصعبة، لعدة اعتبارات أهمها فقدان المصادر المنشورة من كتب أو دراسات، وأبحاث متعمقة في المكتبات، والمراجع رغم الكتابات العديدة عن تاريخ الثورة الفلسطينية ونشأة حركة فتح، ولطالما ابتعد الباحثون عن الكتابة في هذا المجال الذي يعتمد على شهادات قادة وكوادر جهاز الأمن الفلسطيني، لطبيعة عملهم الذي كان يقتضي السرية والكتمان أو لأن الوقت لم يحن أو الأحجام عن كتابة المذكرات وهى مسألة لم يألفها قادة وكوادر «فتح» على الرغم من أهميتها القصوى في تأريخ الثورة والوطن والقضية، ولعلهم انغمسوا في صناعة الحدث أكثر من التحليل والتقييم وكتابة التاريخ بقلم صناعه، وعلى الرغم من أنه جرت محاولات لكتابة تاريخ الثورة إلا أنها لم تستمر ولم تصدر في كتاب جامع واف، وجرت عدة محاولات أخرى عبر لقاءات تلفزيونية قام بها الأخوة في هيئة التوجيه السياسي والوطني ولكنها كانت جميعها بالطبع بعيدة عن تاريخ جهاز الأمن الفلسطيني..

وهذه المحاولة التي أبدأها، ستكون فقط عن الرصد المركزي في بداية تأسيسه، ذلك أن كتابة تاريخ الأمن يحتاج إلى لقاءات مطولة مع غالبية القيادات والكوادر التي شاركت في الجهاز الأمني الفلسطيني، وقد يستغرق ذلك سنوات.

---

٨١ تفاصيل العمليات المذكورة والبيانات التي صدرت على صفحات الجرائد على موقع «مركز الناطور للدراسات والأبحاث».

٨٢ منذ تأسيس حركة فتح فإن قاعدة رئيسة تم العمل بها، وهي أن كل عضو ومهما كان عمله مكلف بالقيام بالسهر على التنظيم ورعايته والحفاظ عليه تجاه الإخطار والأخطاء من أي مصدر كانت في الداخل والخارج، مما يترتب عليه توجيه هذا العضو لمبادئ الحيطة والحذر وكيفية التصدي للخطر والخطأ بنفسه أو التعاون مع غيره وتنمية حسه الأمني، أن الثورة أو التنظيم هو جهاز مقاوم وأمني وإعلامي وباني متطور في وقت واحد، ولكن يبقى في نطاق العموميات ومجال التهرب من المسؤولية بالتخصص أو التفرغ المفقود والواجبات متفرقة، كما أن اتساع قاعدة التنظيم ومجال نشاطه وانكشاف بعض منه وزيادة الفعل المضاد فرض بداية الاهتمام بتأسيس جهاز للأمن وتطوير ما يتلاءم وحاجات الثورة في هذه الناحية.

جهاز الأمن في الفترة ما بين ٦٥- ١٩٦٧م:

مع انطلاقة فتح في العام ١٩٦٥ كان التركيز ينصب على تشكيل الخلايا العسكرية، ومحاولة لبناء تنظيم بناء حركي، هدفه إمداد الجهاز العسكري بعناصر قتالية، وجمع الأموال، وتنظيم الأفراد، وكتابة الأدبيات، أما الأمن، فكان من مهام أعضاء الحركة كافة، في فترة اقتضت السرية التامة والكتمان الشديد لنشاط الحركة في المجالات كافة، وكلف المختار صبري (بعباع) وزكريا عبد الرحيم بمهام أمنية وليس بتشكيل جهاز مركزي للأمن، فتولى المختار صبري– رحمه الله– مهمة الاتصال بالسلطات الأمنية السورية (حيث يقيم) وكلف زكريا عبد الرحيم بالعديد من المهام الأمنية لحماية التنظيم من الاختراقات، ومع نهاية هذه الحقبة القصيرة كلف فاروق القدومي بتشكيل جهاز أمني للحركة لكن ذلك لم يدم طويلاً فمر عام كامل دون أن يتفرغ لهذه المهمة بالإضافة إلى بعد اختصاصه عن هذا المجال.

الفترة ما بين ١٩٦٧-١٩٧٠م:

مع انتهاء حرب ١٩٦٧م، بدأت حركة فتح بتثبيت هيكلها التنظيمي، وتوزيع مهامها على أعضاء اللجنة المركزية، بعد أن تفرغ العديد منهم للعمل الحركي، أسندت اللجنة في إحدى اجتماعاتها مهمة تشكيل جهاز أمني أطلق عليه «الرصد» إلى صلاح خلف، ولعل كراهية قيادة الحركة لاسم» مخابرات» نابع من الحقبة التي واجهتها الحركة في البدايات ومن قبلها، من أجهزة المخابرات العربية، من مطاردة وملاحقة واعتقال ورصد لنشاطها، مما شكل بغضاً لتسمية الجهاز «المخابرات» واختير اسم» الرصد» تعبيراً عن مهمته الوقائية للدفاع عن الثورة وليس الدور التعرضي الذي تقوم به أجهزة المخابرات في تلك الحقبة، قام صلاح خلف بنفسه باختيار مجموعته القيادية لقيادة جهاز الرصد من تنظيم فتح في مصر والكويت والسعودية وسوريا، وترؤس الجهاز واختيار علي حسن سلامة (أبو حسن) نائباً له.

تشكلت المجموعة الأولى من علي حسن سلامة، ومحمد داوود عودة (أبو داوود) (كان يعمل مدرساً في السعودية وكان أكثرهم ثقافة)، ومجموعة من الطلبة الجامعيين من تنظيم فتح في مصر وهم مهدي بسيسو(أبو علي) ومريد الدجاني (أبو رجائي) وسفيان الأغا(مجيد) ومهنا عزيز الظاهر (عرار)، غازي الحسيني وقد برعوا في العمل التنظيمي والطلابي. وأضيف لهم صديقهم فخري العمري، الذي كان يرتبط مع أبي إياد بصداقة ومعرفة حيث ترعرعا معاً في يافا قبل الهجرة.

وواكب تشكيل النواة الأولى بدء العلاقات مع الرئيس جمال عبد الناصر وإقامة علاقات متينة مع جهاز المخابرات المصرية الذي تلقى توجيهات من الرئيس عبد الناصر بالتعاون وتقديم المساعدة لحركة «فتح» فكان طلب أبو إياد تأسيس نواة جهازه الأمني «الرصد» بتدريب من المخابرات العامة في مصر، جاءت الموافقة على طلب أبو إياد وافتتحت الدورة التدريبية واستمرت حوالي ثلاثة أشهر، تم فيها أخذ محاضرات عن كيفية قيادة الجهاز الأمني، وقواعد الأمن، والمكافحة، وجمع المعلومات وتحليلها، وغيرها من الدروس الأمنية، وتولى التدريس نخبة رائعة من جهاز المخابرات المصرية، وفى هذا السياق تم تشكيل مكتب للمخابرات المصرية في عمان أحد مهامه الأساسية العلاقة الأمنية مع الأمن الفلسطيني وتقديم الخبرات والمشورة، وكلف محمد نجيب جويفل (أبو عاصم) بترؤس المندوبين ونائبه محمد عبد السلام (المحجوب) محافظ الإسكندرية والوزير سابقاً، وكذلك اللواء محمد عبد القادر حيث استأجروا مقراً لهم خارج السفارة المصرية، وكان هؤلاء غاية في الصدق والإخلاص والأمانة والمهنية، وإضافة لذلك حبهم لفلسطين الذي فاق كل حد من خلال دعمهم ونصائحهم وتقديراتهم ووفائهم.

وفى الفترة التي أرسل أبو إياد نواته الأولى إلى القاهرة للتدريب توجه إلى بيروت باحثاً عن كادر ليتولى مسئولية الأمن في لبنان. والتقى هناك مع نزار عمار[٨٣] وأبلغه أنه مكلف ببناء جهاز للأمن الفلسطيني (الرصد الثوري) وطلب منه إنهاء علاقته بالتنظيم وكلفه بتشكيل جهاز الرصد في لبنان ليكون أحد أذرع الجهاز المركزي لحين عودة النواة القيادية للجهاز من دورة القاهرة.

ويقول نزار عمار: ومع انتهاء دورة القاهرة شكل أبو إياد أول قيادة لجهاز الرصد الذي أسماه فيما بعد «الرصد المركزي» من خريجي هذه الدورة الأولى، بقيادة أبو حسن سلامة، الذي كان قائداً متميزاً بكل المعاني والمقاييس، وعندما عاد أبو إياد من القاهرة في نهاية ١٩٦٧م وبدأ في هيكلة الجهاز حيث شكل دوائر المعلومات، مكافحة التجسس، التحقيق، والأمن، وقيادة الجهاز في مناطق الأردن الشمال» إربد» والجنوب» الكرك». وهكذا، كان الكادر القيادي ضئيل العدد، والمهام جسام، لذا سعى أبو إياد فور عودة (الدورة الأولى) على تشكيل الفريق الثاني

٨٣ نزار عمار (نزيه المباشر) – التحق بصفوف تنظيم حركة فتح أثناء دراسته في بيروت ووقع الاختيار عليه لتأسيس نواة جهاز الأمن الفلسطيني «الرصد» في لبنان ثم انتقل إلى الأردن ليكلف بمسؤولية دائرة المعلومات في المقر الرئيس في جبل الحسين، وفي فترة لاحقة أصبح من قيادات جهاز الأمن الموحد مع صلاح خلف وبعد تأسيس السلطة الفلسطينية عمل في قسم الدراسات في قيادة قوات الأمن الوطني. توفي في القاهرة إثر مرض عضال شهر ٢٠١٢/٤م.

لكادر الرصد وأرسلهم إلى الدورة الثانية في مصر، كانت هذه النخبة الممتازة التي تم اختيارها بدقة متناهية، الأعمدة الأساسية التي بنى عليها جهاز الرصد حيث تحملت مسؤوليات غاية في الخطورة والحساسية والتنوع[٨٤].

وأسندت المهام لرجال» الدورة الثانية» وأثبتوا شجاعةً وإقداماً لا مثيل لهما وتفانياً في العمل الأمني المحترف، وبالمحصلة يمكن التأكيد أن هذا الجهاز قد أمد القيادة بأدق وأثمن المعلومات السرية، وأطلعها على تفاصيل المخططات والمؤامرات التي كانت تدبر لها، وكشف العديد من محاولات الاغتيال والتصفيات التي خططت ضد قيادتهما، كما قامت دائرة مكافحة التجسس بحماية الحركة من محاولات الجهاز الأمني الإسرائيلي اختراق صفوف الحركة وقواعد الفدائيين. وحماية الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع من التقارير الكيدية التي كانت تصل إلى الجهاز عن طريق العملاء، والتي كانت تصل للجهاز بالمئات ومرجعها نزاعات عائلية أو قبلية أو مصلحية وكانت مهمة الجهاز فرز التقارير الكيدية واستدراج العملاء إلى الأردن، وكان دور للجهاز في مراقبة التنظيمات التي أنشأتها أجهزة المخابرات العربية وغيرها للقيام بأعمال مسيئة للنضال الفلسطيني وضرب العلاقة النضالية بين فتح والشعب الأردني كما تولى الجهاز العلاقة الأمنية بين فتح والمنظمات الفلسطينية التي تشكلت منها م.ت.ف.

تنظيم الكرامة القوة الأولى..

على أثر معركة الكرامة وتحديداً في ١٤ / ٤ / ١٩٦٨م تم إشهار ياسر عرفات متحدثاً رسمياً باسم حركة فتح ليتواصل العمل المسلح في الضفة الغربية وقطاع غزة بشكل مكثف وعبر الساحة الأردنية، الأمر الذي رفع من أسهم حركة فتح، التي واجهت صعوبات في استيعاب الأعداد الهائلة من المتطوعين. وهنا بدأت فتح في تنظيم صفوفها وتكوين مؤسساتها، وأول ما كانت الحركة بحاجة إليه هو جهاز – مخابرات قوي – حيث أننا عانينا من الاختراق الأمني لتنظيماتنا من العدو الصهيوني، وحينما كنا نجلس مع صلاح خلف في الكرامة كان دائما يحدثنا أنه بصدد تشكيل جهاز امني قوي، ويريد انتقاء عناصره من خيرة شباب حركة «فتح»، وفعلا ما أن انتهت معركة الكرامة حتى بدأ الإعداد لهذا الجهاز، حيث تولى صلاح خلف قيادته وعلي

---

٨٤ مقابلة شخصية مع نزار عمار، قبل وفاته.

حسن سلامه (أبو حسن) نائبا له، وفي أول لقاء جمع أبو حسن سلامه مع عدد من أعضاء تنظيم الكرامة بدأ باستمالتنا للانضمام لجهاز الأمن الفلسطيني وعرف فيما بعد باسم (الرصد المركزي) وحينما انضممنا إلى الرصد كنا قوة مجهزة بكامل أسلحتها.

ونجح أبو حسن في ضم أكبر عدد من تنظيم الكرامة، وكنت أنا على رأس من انضموا للجهاز وعندما نقلت قيادة الرصد المركزي إلى عمان / جبل الحسين، انتقلت من الكرامة إلى عمان وأوكلت إلي مهمة «القوة التنفيذية»، وكان مقرها جبل عمان / حي المصاروة، وفي هذه الفترة بالذات أصبحت فتح تعاني الكثير من مسلكية التنظيمات الفلسطينية الموجودة على الساحة الأردنية، بحيث أصبحت كل دولة عربية لها منظمة فدائية على الساحة الأردنية.

استطاع صلاح خلف (أبو إياد) أن يرسخ مكانة الجهاز في الثورة الفلسطينية عبر انتقاء عناصر الجهاز، ودعمه بكوادر مؤهلة ومدربه، وأصبح الجهاز بمثابة جهاز امن مركزي منذ عام ١٩٦٩م، وبرز كقوة شبه مستقلة لها شبكة واسعة من المنتسبين والمتعاونين من الفلسطينيين والعرب، بالإضافة إلى كوادر قدرت بـ٦٠٠ فدائي. مارس جهاز الرصد، وصلاح خلف (أبو إياد) على رأسه، مهمة الأمن الهجومي والأمن الوقائي من خلال مكتب مركزي أقيم في جبل الحسين في عمان، نشط من خلاله عملياته بوساطة المندوبين المنتشرين.

أقام الرصد المركزي معسكرا للتدريب العسكري والأمني في بداية عام ١٩٦٩م وهو معسكر اللواء في السخنة / الزرقاء، وتخرج منه فلسطينيون وثوار من مختلف دول العالم، ولأهميته قصفته القوات الإسرائيلية في ٢٥ / ٨ / ١٩٦٩م فنقل إلى منطقة مجاورة. وتولى مهام التدريب في المعسكر جزائريون ومدربون فلسطينيون تخرجوا من كليات عسكرية في الجزائر ومن مصر والعراق وكوبا، بالإضافة إلى عدد من الضباط الأردنيين المختصين بالأمن.

أقسام العمل في الجهاز:

كان الجهاز الذي ارتبط تنسيقا مع إقليم حركة «فتح» في الأردن، وخاصة عبر سميح أبو كويك (قدري) وعبر قائد الميليشيا في» فتح» بالأردن (أبو داوود) يضم الأقسام الأمنية الآتية:

١. دائرة المعلومات والتوثيق
٢. مكافحة التجسس
٣. النشاط العام



٤. قسم التحقيق
٥. القوة التنفيذية.
٦. الأمن الداخلي.
٧. أمن الأقاليم (والأقاليم هي فروع حركة فتح في مختلف الدول).
٨. قسم التدريب والإعداد.
٩. قسم البحث العلمي.

أهم إنجازات الرصد:

- إقامة علاقات تعاون أمني مع مصر وسوريا وعدد من الدول العربية الأخرى.

ولقد استفادت مصر من المعلومات التي وردتها من حركة «فتح» وخاصة تلك التي تتعلق بإسرائيل. ومن الجدير بالذكر فإن التواصل المصري مع حركة «فتح» و»الرصد المركزي» ظل قائماً من خلال ملحق السفارة المصرية في الأردن إبراهيم الدخاخني وحميد يوسف في السفارة المصرية بدمشق.

- مكافحة الاختراقات الخارجية.
- غربلة العناصر المنتمية حديثا للتنظيم (الأنصار).
- القيام بعمليات الاستطلاع التي تسبق العمليات العسكرية.
- تنفيذ عمليات ضد أهداف استخبارية إسرائيلية مثل قتل ضابط الاستخبارات

الإسرائيلي في أريحا والحاكم العسكري عام ١٩٦٨م.

- حماية المدنيين الأجانب الذين أطلق سراحهم في عمليات الاختطاف لمطار (الثورة).
- المشاركة في كافة المعارك التي خاضتها الثورة الفلسطينية.

شهادة سمير السكسك «أبو خميس» عن تأسيس جهاز الرصد[٨٥]:

مع نكسة حرب ١٩٦٧م وهزيمة الجيوش العربية التي خاضتها وضياع كل فلسطين وأجزاء عظيمه من أراضي دول الطوق العربية، برز العمل الفدائي كخيار حقيقي للأمة العربية وأستطاع في زمن قياسي أن يأسر قلبها بالروحية النضالية للفدائي، وعليه فقد سعى الألوف من الشباب الفلسطيني والعربي وحتى الأجنبي للالتحاق بالعمل الفدائي وشكل هذا الأمر ضمن أمور أخرى عبئا أمنيا على التنظيم الفدائي، كما وأن بروز فتح كرائد للمقاومة قد استلزم من جميع أجهزة الأمن العربية والعالمية والإسرائيلية على وجه الخصوص أن تسعى لاختراقها.

وكانت المعارك التي خاضتها الثورة الفلسطينية قبيل معركة الكرامة في حاجة ماسة للاستطلاع العسكري بعد الاستعداد على الأرض لمواجهة الهجوم الواسع الذي شنته إسرائيل، هذا الأمر فرض أهميته على أولويات القيادة وكان ياسر عرفات يمتلك عنصر المبادرة دائما فأصدر أمرا بتشكيل جهاز الرصد المركزي، وتمت تسميته من قبل صلاح خلف «أبو إياد» باسم الرصد المركزي.

نتيجة لانشغال عرفات بمتابعة الجهد العسكري والسياسي باعتباره أصبح آنذاك المتحدث الرسمي باسم فتح وأيضا لضرورات القيادة الجماعية التي اعتمدتها الحركة في حينه، عهد لصلاح خلف بالمسئولية المباشرة عن الأمن، وبالتالي عن تشكيل جهاز الرصد المركزي.

ومما لا شك فيه أن الزعيم العربي المصري جمال عبد الناصر كان قد ألهب مشاعر أبناء أمته جميعا وخصوصا الشباب، ولكن التنظيمات القومية آنذاك كانت دون طموحات المشاركة الجدية لهم باستثناء الخروج في مظاهرات التأييد كما وأنها ركزت جهدها بصوره انتقائية سواء أكانت إسلامية التوجه أم قومية، حتى "فتح" كانت تركز جهدها على الطلبة الجامعيين في باكستان ومصر وألمانيا الغربية كما كانت تعرف آنذاك.

---

٨٥ اختياري لأبي خميس السكسك كمصدر موثوق لهذه المعلومات، كوني عرفت فيه لسنوات طويلة المصداقية، فقد كان من خيرة كوادر حركة فتح في الإلتزام بمبادئ وأهداف وغايات الحركة، وتميز بالصفات التي جعلته موضع إحترام وتقدير من الجميع وهو فوق كل هذه الصفات مقاتل ذو بأس شديد، واكب مسيرة حركة فتح في جميع مراحل الدفاع عن الشرعية والقرار الفلسطيني المستقل، وقد عملنا معا، وتكونت لديه القدرة الأمنية العالية، وكان متميزا بذاكرة حديدية دفعتني لإجراء اللقاء معه، وبتاريخ ٢٦/١٠/٢٠١٣م انتقل إلى رحمة الله أبو خميس حيث كان عدد غفير من كوادر حركة فتح في الجنازة بالإضافة لمعظم كوادر الرصد المركزي القدماء كانوا بالتشييع.



لابد من الإشارة إلى أن الخليج العربي آنذاك أقتصر عمليا على الكويت لناحية حجم الجالية الفلسطينية وتطور الأوضاع المعيشية، ولكن لم تنشأ جامعة الكويت إلا عام ١٩٦٦ لذا اضطرت فتح للتعامل مع جيل الشباب الفلسطيني في مرحلة الثانويات مما أدى إلى قيام أول اتحاد طلبة فلسطيني من بينهم، وكانت لفتح فيه الغلبة الواضحة على كل ما عداها في ذات العام، ولابد من الإشارة هنا إلى أن المشاعر الوطنية الصادقة لأبناء الكويت كانت واضحة لعدم وجود أجهزة أمنية معادية لقضية تحرير فلسطين مما هيأ الساحة لنمو تنظيمي معقول، ووفر مناخا مثاليا لأبي إياد لأن ينتقى ما شاء من عناصر للتنظيم العام، وكان له ما أراد، وبعد النكسة وتفرغه لفتح واستلامه لمسئوليته عن الرصد المركزي عاد لاختيار مجموعه منهم للعمل معه في جهاز الأمن، كانت تلك في الحقيقة فرصة ذهبية لأبي أياد أن يجمع حوله كتلة عملت معه وعرفها عن كثب.

ككل المشاريع الجديدة وككل القيادات الغضة وككل عمل جماعي بصورة عامة وتحت ضغط المواجهات المتفجرة السرعة تم الاستعجال بإرسال المجموعة الأولى من كوادر الحركة للالتحاق بدورة مخابرات في مصر، كان قد تم الاتفاق بشأنها مع الرئيس عبد الناصر، مما الحق بها ضررا مبكرا حيث تم اكتشاف أن واحدا من أفرادها العشرة كان مدسوسا لجهاز أمنى لأحدى دول الطوق.

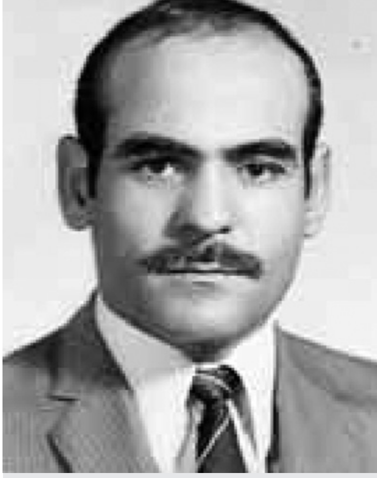
وقد كان ممن حضروا تلك الدورة: رئيسها على حسن سلامه، ومهدي بسيسو، سفيان الأغا (مجيد)، أبو محمد العمري، مريد الدجاني، مهنا عزيز الطاهر، محمد داوود عوده (أبو داوود) ومحمد صبيح وفخري العمري.

كان عبد الناصر قد أعاد تنظيم جهاز المخابرات العامة وكلف برئاسته محمد أمين هويدي الذي إستعان بمجموعة من أطهر ضباط الجيش المصري عقيدة وسلوكا وكانوا مستعدين ليس فقط لمشاركة الفلسطينيين بما لديهم من معلومات، بل حتى والمشاركة المباشرة في العمل في داخل فلسطين، لذلك فأنهم لم يدخروا وسعاً في المشاركة فيما لا يحدث عادة أو أنه لا يجوز حدوثه أحيانا، فالمعلومات الأمنية والتدريب المرتبط بها هي من أسرار الدولة العليا ومن أخطرها على أمنها الذاتي.

كان انطباع لدى الأخوة في المخابرات العامة المصرية بأن متدربيهم سيتم إرسالهم لداخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، مما أسهم في أيجاد علاقة متينة وعميقة للغاية بين الطرفين وهو

الأمر الذي شجعهم على استعجال تدريب المجموعة الثانية خصوصا وأنه كان قد أصبح واضحا أن احتياجات فتح لهذا النوع من الكفاءات يتضاعف على مر الساعة وبالذات بعد اندفاع الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني للانخراط في صفوف الثورة وتوسع إسرائيل في هجماتها على مختلف الجبهات العربية. كانت المجموعة الثانية برئاسة غازي الحسيني، وشملت كل من الشهداء: أبو حسن خيري، أبو علي خالد، مازن درويش، يحيى بسيسو، أبو شريف عوايص، موسى العزراوي (جرادات) ومن الأحياء عادل صالح (باسل)، مصطفى الشبل، عثمان حنو، تيسير كايد، محمد المدني، سمير السكسك، وأبو جمال، هايل عبد الحميد (أبو الهول) الذي اضطر للإنسحاب من الدورة بسبب مسئولياته عن إقليم فتح في القاهرة.

على أثر عودة المجموعة الثانية ألحقت اللجان والقواعد الثورية للمليشيا بالرصد المركزي برئاسة الشهيد المختار أبو يوسف من مخيم الوحدات وكذلك تنظيم الكرامة المسلح بقيادة محمود الناطور «أبو الطيب» وبدأ بذلك سياسة نشر الجهاز في أماكن وجود الشعب الفلسطيني على الأراضي الأردنية وصولا لدرعا في الأراضي السورية.


الشهيد نزيه ضبان

في مجال متصل تم استئجار مقر رسمي لجهاز الرصد المركزي في جبل الحسين/ عمان، وأنضم للعمل به أحد أهم رجال الأمن الفلسطيني نزيه المباشر «نزار عمار» وكذلك أستلم الرصد الإذاعي بالعبري، والتحقيق (رمزي)، وتم أيضا إنشاء معسكر السخنة للتدريب العسكري بقيادة الشهيد نزيه ضبان (الضبع)[٨٦]. وأصبح الجهاز متكاملا بصورة جيدة ومسلحا بقوة ضاربة وأمتلك سمعة قوية للغاية، خصوصا وأنه استطاع أن يحقق إنجازات مخابراتية جيدة في فترة زمنية قصيرة ضد إسرائيل.

---

٨٦ نزيه ضبان «الضبع»، ولد في المجدل عام ١٩٤٤م لعائلة من غزة انتقلت إلى المجدل حيث كان والده يعمل في التجارة، وفي عام ١٩٤٨عادت عائلته إلى غزة، انتظم والده في الخلايا السرية المسلحة وعند احتلال غزة عام ١٩٥٦م فرّ إلى الأردن ثم لحقت به عائلته وسكنت في مدينة الزرقاء، انخرط نزيه في العمل الفدائي منذ الإنطلاقة وكانت مجموعة الزرقاء تضم نزيه ضبان، وروبين نواس، وكركر، وأبو الروس، وأبو نعيم وآخرين، وهو أول من عمل على نقل الأسلحة والأفراد من الهامة إلى الحمراء وثم إلى الأغوار، في حرب ١٩٦٧م كلف نزيه ضبان بنقل الأسلحة والذخائر عبر نهر الأردن إلى نابلس حيث كان يستلمها تيسير هواش وأبو جميل قعقورة ومؤيد البحش وآخرون، وكان اتصاله مع مجموعة الشهيد ركس الذي كان ضابط الاتصال وعندما استشهد ركس ومجموعته بدأت القوات الإسرائيلية بالبحث عنه وتمكنت من إلقاء القبض عليه ولكنها لم تكشف هويته الحقيقية حيث ضللهم بأنه انتحل هوية شخص من نابلس اسمه بدر كان قد استخرج هوية باسمه وبقي في سجن نابلس ما يقارب الشهر وأبعد على أساس أنه مدني، أثناء معركة بيت فوريك قام بمرافقة أبو صبري في الخروج عبر نهر الأردن حيث كان يعتبر الدليل الأول في معرفة الطرق وخاصة إلى منطقة نابلس، كان له دور بارز في معركة الكرامة حيث كانت مجموعته والتي ضمت روبين نواس، حميدو أبو عياش، كركر، أبو الروس، موسى، وأحمد حماد تتولى نقل الذخائر والأسلحة وتأمين الاتصال بين المجموعات الفدائية، وقد كان ملازما لأبي عمار في معركة الكرامة، حدث أنه بعد معركة الكرامة بأسبوع في ١٩٦٨/٣/٢٩م تشكلت لجنة من تنظيم الكرامة ونزيه ضبان لتقوم بالإشراف على من تبقى من الأخوة في الكرامة وترتيب أوضاعهم. ثم عمل في الرصد المركزي وتولى قيادة معسكر اللواء للوحدات الخاصة وتدريب كوادر الرصد المركزي في مسكر الجبل الأبيض، اعتمد عليه الرصد المركزي في اللوجيستيك وعمليات نقل الأسلحة والمعدات. توطدت علاقتي به منذ التقيت به في الكرامة، وبقيت علاقتي به حينما تم تشكيل الرصد المركزي وتوليه قيادة معسكر اللواء، وبعد أحداث أيلول وخروجنا من الأردن حيث تم استقرارنا في لبنان تم تشكيل جهاز أمن الرئاسة (قوات ال١٧) كان نزيه من أوائل الضباط الذين التحقوا بنا وكانت تربطه علاقة مميزة بي وبأبي حسن، يذكر أنه أثناء اعتقاله في نابلس لدى قوات الاحتلال ونتيجة تعذيبه بالسجن، بقي يعاني آلاما في الظهر وبقي مترددا على ألمانيا الشرقية للعلاج ولكنه لم يتوقف عن العمل حيث كان يساعد أبا حسن في العمليات الخارجية واستشهد نزيه ضبان وترك خلفه ولدين، لقد فارقنا الشهيد «نزيه ضبان» لكن ذكراه ما تزال عامرة في ذاكرة كل الذين عايشوه أثناء فترة عمله في قوات ال١٧ لشهامته وجرأته وصدقه فقد كان صديقا لنا جميعا أعطى لثورته روحه، وظل حاملا لها على راحته فداء لفلسطين حتى استشهاده عام ١٩٨٢م.

تشكلت قيادة موسعة لجهاز الرصد شملت الدورتين الأولى والثانية، وتم توزيع المهام عليها بصورة عامة كالآتي: قائد الجهاز أبو حسن سلامه ونائبين له هما أبو علي مهدي ومريد الدجاني (أبو رجائي)، منسق عام للجهاز أبو منصور غازي الحسيني عمران أرسل لقوات العاصفة، أبو محمد العمري أرسل لقيادة فرع الجهاز في إربد والشمال، نزار عمار لقسم الدراسات الأمنية، أبو داوود عوده لقيادة القواعد الثورية (مليشيا المخيمات)، مجيد الأغا لقيادة العمل اليومي مع الحسيني وللتنسيق مع قيادة العاصفة، أبو العبد باسل للأمن الداخلي، أبو خميس السكسك لمكافحة التجسس والمراقبة والتحري مع مصطفى الشبل نائبا له، وفيما بعد الحق بهم أبو جمال وأبو شريف عويص قبل إرساله في مرحلة لاحقة لاستلام الرصد في درعا خلفا لأبي يافع «محمد المدني» الذي التحق بالعمل في القطاع الغربي، وأرسل أبو علي يحيى بسيسو للزرقاء، أبو علي خالد استلم نواة اللجنة الأمنية الفنية التي تم استئجار موقع منفصل لها في منطقه الدوار الرابع بجبل عمان وكانت بعيدة جدا عن المركز الحضري آنذاك وأما بقية الأخوة فكانوا للمساعدة اليومية. وفي مرحلة لاحقة حضر زكريا بعلوشه من القاهرة بعد إتمامه لدورة فنية، وأرسل للجنة الفنية الأمنية. أما بالنسبة للوضع في سوريا بقيادة الشهيد مختار البعباع ورغم تبعيته للمركز فإنه احتفظ بهامش واسع من الاستقلالية بسبب ارتباطه المباشر بأبو على إياد عضو اللجنة المركزية عضو القيادة العامة لقوات العاصفة والمسؤول الأول عن الساحة السورية.

كان لبنان ومازال بلداً تمتع بقدر كبير من التقدم والتطور والانفتاح والتعددية الطائفية وغيرها، عدا عن كونه الحق فتحاويا بأبي علي إياد، ناهيك عن أن العمل فيه كان ما يزال معقداً جداً قبل إبرام اتفاق القاهرة مع حكومته مما أدى إلى إقامة نوع من العلاقات المنتخبة مع بعض أبناء الصفوة الثقافية والمجتمعية، وبعض قيادي تنظيم فتح والشعب الفلسطيني هناك.

أسهم انتشار العمل الفدائي وفتح في العالم برفد مقر قيادتها في الأردن بكم هائل من المعلومات لا يمكن أن يخطر في بال أحد وكانت تقدم مجانا مما خفف من حقيقة أن الجهاز وإن كان مركزيا إلا أنه لم يكن في الحقيقة منتشرا وملتزما بما يكفي، كما هي حال أجهزة المخابرات الأخرى في العالم.

كان معظم العاملين بالجهاز دون الثلاثين من العمر ودون أية خبرة حقيقية لا بالعمل المهني ولا بالحياة بصورة عامة، وكان عامل الخطر وضرورات السرعة في الإنجاز والموروث عن أداء الأجهزة العربية قد دعي، وبررت اللجوء لممارسات عنيفة وأساليب تحقيق غاية في السوء خصوصا في سوريا حيث مورس التعذيب بالشبْح والدولاب والحلاق.. الخ خصوصا وأن الضرب المبرح تحديدا كان ينظر إليه على أنه أمر عادى. وأذكر أنه وقبل تخرج مجموعتي الأمن الأولى والثانية كان لإقليم الأردن مسؤول أمن سيء الصيت والسمعة هو صبري البنا. وفي الحقيقة أن نظرية الأمن في سوريا



كما في الأردن وتباعا في القواعد العسكرية شابها الكثير الكثير من الفساد والوحشية في التعامل مع المشتبه بهم وكان من الضروري وضع المسألة تحت السيطرة لأسباب عديدة ليس أقلها المحافظة على تماسك وسلامة العاملين النفسية والمعنوية والأخلاقية. واستطاع جهاز الرصد المركزي، وإلى حد بعيد جدا، أن يخرج نفسه من تلك الممارسات غير المهنية في وقت قصير للغاية، ولم يعد مقبولا كثيرا ضرب حتى المشتبه بتعاملهم مع العدو الإسرائيلي، وخاصة بعد تولي كوادر الدورتين الأولى والثانية مهام عملهم في داخل الجهاز.

كان الشباب في فتح وفي الرصد بصورة خاصة في غير وارد التعامل بينهم على أساس النسب العائلي أو الانتساب المناطقي وباستثناء احتمال الاستدلال على المنابت من خلال اللهجات، لم يكن للمسألة أهمية من أي نوع وبدا أن الجميع اكتفوا بصورة عامة بالرفاقية النضالية دون تفاصيل شخصية، خشي الجميع أن تمس متطلبات العمل السري واعتبرت من تصرفات جاهلية ما قبل الانضمام للثورة مثل غازي عبد القادر الحسيني الذي برغم معرفة الجميع بهويته أصر على العمل تحت أسم غازي منصور.

عندما أتى الرجال للالتحاق بالعمل الفدائي تخلى معظمهم عن أسمائهم الحقيقية وأكبر قدر ممكن من حيثياتهم الشخصية، لذلك كان من مساوئ هذا الأمر أن الفرد كان يتصرف كفرد في حين أن آخرين لجأوا لبنية عصبوية وكان في ذلك ظلم شديد، عندما تكون هناك عصبة فإن قدرتها على التأثير أكبر من فرد وعندما تقبل العصبة على مصالح دنيوية في مقابل فرد أقبل على الثورة طلبا للشهادة، يصبح الخلل فاحشا والعدل مفقودا إلا عند الله.

كانت الحركة تقدم الطعام والمأوى والسجائر والشاي والقهوة لمن يتعاطاها وأجرة الطريق من والى مكان سكن الأهل كل شهر أو شهرين، ومصاريف بسيطة للغاية لتأدية العمل، وفجأة أتخذ قرار بصرف مرتبات شهرية للجميع وكانت زهيدة جدا لكن نفذ الأمر بصعوبة لعدم اقتناع الغالبية العظمى بالأمر، وهم الذين جاءوا وليس في ذهنهم ونيتهم أن تطول حياتهم حيث كانوا يتبارون من يكون الأسرع من بينهم للارتقاء للشهادة، مع أن بعضهم كانت لديه مسؤوليات اجتماعية تفرض عليه الحصول على راتب.

كانت الحركة تقاتل إسرائيل على خطوط التماس وترسل دوريات إلى داخل عمقها وتتسلح وتتدرب وتواجه ألف مشكلة أمنية يوميا في الشارع وغزوا تجسسيا على جميع الجبهات وغارات الطائرات على مواقعها وكان عليها عبء تثقيف شعبها وأمتها وبناء تنظيمها والمحافظة على ذاتها من الإختراق ومهمات لا تعد ولا تحصى والمهم أنه كان عليها أن تنتصر وتستمر.

عندما أطاح الملك حسين بـ«غلوب باشا» وعرّب قيادة جيشه، ونتيجة لهزيمة عام ١٩٦٧م وخسارة الأردن للضفة الغربية كاملة والقدس أعتبر الملك حسين أن واجبه بكل صورة من الصور يلزمه بالسعي لإعادة ما سلخته إسرائيل من المملكة الأردنية الهاشمية، وأيضا الانتقام لكرامة الجيش العربي، ويبدو أنه رأى في العمل الفدائي وسيلة ناجعة لتحقيق ذلك الأمر خصوصا وأن الشعوب العربية أعلنت أنها تؤيد ذلك الخيار بلا تحفظ مع التأكيد هنا أن شعبه كان في طليعة من تبنوا ذلك الخيار وعلى رأسهم وفى مقدمتهم الأردنيون الأصل قبل مواطنيه من أصول فلسطينية.

بدأ العمل الفدائي بنشر قواعده من الرمثا وحتى العقبة وكان واضحا أن التأييد الشعبي كان كاسحا إلى أبعد قدر ممكن دون أن ننسى أن الأردن في النهاية هو دولة يتوجب عليها أن تراعى المجتمع الدولي والتزاماتها، وباختصار شديد تجلى موقف الدولة من خلال الدور المشرف الذي قام به الجيش العربي في توفير الكثير من المعلومات الخاصة بالاستطلاع العسكري وتسهيل عبور الدوريات المقاتلة للضفة الغربية وعودتها في أحيان كثيرة تحت غطاء المدفعية الأردنية وصولا لمعركة الكرامة في ٢١ / ٣ / ١٩٦٨م والنصر الذي تم إنجازه في ذلك اليوم.

عندما انطلقت فتح بمشروعها للكفاح المسلح واعتماد الحرب الشعبية وسيلة لتحرير فلسطين كان اليسار العربي ملتزما بقيادة الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر وكان العالم العربي مقسوما بين دول تقدمية ودول غير تقدمية. وجاءت التنظيمات اليسارية ومعها منطلقاتها التاريخية التي من أهمها تخوين النظام الأردني ومشاريعها لإقامة أنظمه اشتراكيه بالحد الأدنى والأسوأ أنها تورطت في محاولة تغيير النظام بما يتناسب ورؤيتها، ولزيادة الطين بله بدأت في الانقسام على نفسها بصورة سريعة للغاية مما زاد من المزايدات داخل أجنحتها حدة وعنفا، ورأى الناس الفدائيين وهم يتصارعون في الشوارع، في الحقيقة أن معظم عناصر القوى اليسارية كانوا من أنبل الرجال ولاشك أن معظمهم كان أكثر ثقافة ووعياً من الفدائيين العاديين الذين جاؤوا للثورة بعواطفهم الوطنية الجياشة وبالقليل من الجهد التنظيمي الذي كانت الحزبية اليسارية تتميز به.

كان محمد رسول الكيلاني يرأس المخابرات العامة الأردنية عام ١٩٧٠م وكان اللواء جويفل رئيسا للبعثة الأمنية المصرية في عمان، وكلاهما ارتبط بصورة أو أخرى بتنظيم الإخوان، كما أن عددا لا بأس به من قيادة حركة فتح كانوا من الأعضاء السابقين للإخوان، سهل ذلك بعضا من المصاعب التي واجهها العمل الفدائي في الأردن، إلا أنه من الحقيقة أن يقال أنه كانت هناك مناسبات عدة بذل فيها أعضاء مهمون وكوادر متقدمة من فتح تحديدا جهدا لتخفيف حجم الممارسات السلبية سواء بحق الدولة أو الأفراد، ولربما بسبب الثقة العالية بالنفس والشعور بالمساواة مع المستويات الأعلى، وكان الهامش واسعا، ذلك كان زمناً تساوى فيه بصورة أو بأخرى الجميع أو هكذا بدا الأمر.



قدم الجيش العربي على خط التماس خدمات جليلة لحماية العمل الفدائي، وكان التنسيق ضرورة لابد منها للنجاح، وعليه ساعدت الدوريات في جلب معلومات هامة من الميدان، كما أن مكافحة التجسس استلزمت مساعدة الأردنيين للفلسطينيين وبالعكس، وأحيانا كثيرة بوساطة مصرية فاعلة كالذي حدث في قضية الشهيد جبار الذي عمل كعميل مزدوج مع الإسرائيليين والذي كان يقوم بتصوير قواعد للفدائيين يتم أخلائها فورا ليقصفها الطيران الإسرائيلي في اليوم التالي والذي جلب معدات اتصال كانت في حينها غاية في التقدم والتطور لدرجة أن السوفييت حصلوا على الجهاز الأساسي لمدة يوم واحد من خلال وساطة المصريين وكانوا في منتهى الامتنان. كانت معلومات الشهيد جبار شديدة الأهمية للجيش العربي الذي كان يسهل عبوره عبر أحد المخاضات المأمونة على نهر الأردن ذهابا و إيابا، من المؤسف أن قناصاً أردنياً قتل الشهيد جبار[٨٧] قرب المحطة أثناء محاولته إنقاذ بعض الجرحى أثناء حوادث أيلول ١٩٧٠م.

على الصعيد الداخلي استطاع الأمن أن يوفر للقيادة معلومات تفصيلية عن تحركات الأطراف المتقاتلة، واختراق الأمن الداخلي اختراقات شملت مجموعة من السفارات الأجنبية وفى مقدمتها الولايات المتحدة، لهذا شاع الصيت القوي للرصد لدرجة أن بعضهم أطلق عليه جهاز الـ«سي آي اف».

كما وقامت إحدى المنظمات بسرقة سيارات من مزرعة مدير المخابرات محمد رسول الكيلاني وأعادها الرصد المركزي سالمة في اليوم التالي بعد هجوم مسلح على اللصوص كلفه اثنين من الجرحى، وكذلك سرقة بعض الخيول العربية الأصيلة من إسطبلات خال الملك الشريف ناصر ومحاولة تهريبها إلى لبنان، وأيضا سرقة سيارات من الديوان الملكي ذاته، في أحد تجليات التنسيق جاء الجهد الذي بذله الرصد المركزي بالتعاون مع الأردنيين لتأمين حضور الملك حسين افتتاح المؤتمر العام للاتحاد العام لطلبة فلسطين في عمان، حيث تم ذلك برغم اكتظاظ القاعة بالمسلحين من كل التنظيمات، وهنا لابد من الإشارة للشجاعة الفائقة للملك الذي كان على بينه تامة من المخاطر.

طبعاً لابد من أن نذكر بأن سوق الذهب و البنك المركزي الأردني في وسط مدينة عمان كانا في عهدة الرصد المركزي ولم يتعرضا لأي اعتداء، بل أنه تم إعدام ثلاثة لصوص من المدعين بانتمائهم للمنظمات الفدائية أمام باب شركة الدخان الأردنية لتورطهم في محاولة سرقة إحدى الشركات، كما لم تسجل أي محاولة للهجوم على أي من البنوك في المدينة أو مراكز البريد وباستثناء حادثة واحدة وقعت من طرف الجبهة الديمقراطية.

---

٨٧ الشهيد جبار للأسف استشهد ولم نكن نعرف عنه أي شيء سوى اسمه.

كانت قيادات الرصد في مطار الثورة حيث اختطفت الجبهة الشعبية بعض الطائرات وهبطت بها على الأرض وسعت قيادة الرصد لمنع قتل الرهائن، ومن بعد لمنع تفجير الطائرات[٨٨] والتي تم تفجيرها لاحقاً. وقام الرصد بتفكيك عشرات التنظيمات التي حاولت دخول معترك العمل الفدائي لا لخدمة القضية، بل لأنها رأت أنها لربما تستطيع الاستفادة مادياً أو لأغراض مشابهة، والغريب أنه مع خطورة ما كان يتعرض له أفراد الرصد كان يتضح لاحقا أن معظم تلك التشكيلات كان يسلحها هذا القائد أو ذاك كمليشيا شخصية، علما بأن أمثال أولئك القادة كانوا يستميتون حتى لا يحصل الرصد على السلاح أو المال إلا القليل منه. قبل كارثة أيلول بوقت قصير سعت إحدى المنظمات مستغلة إرتفاع قاعدتها في حي المصاروة بجبل عمان لردم مقر شركة الكهرباء الواقع على الشارع العام تحتها وقتل من كان به من جنود الحراسة لولا تدخل الرصد بقيادة قائد القوة التنفيذية «أبو الطيب» وتحريره للعناصر الواحد والعشرين الذين كانوا بداخل المقر وتسليمهم للكفاح المسلح معززين مكرمين توطئة لتسليمهم لقيادة الجيش.

إن الحوادث العديدة التي بذل فيها الرصد المركزي جهودا لمنع الاعتداء على الدولة وجيشها ومؤسساتها المختلفة تدل بكل أمانة على نضوج وتعقل كبيرين، مع الأسف لم يكن الرد عليها بإيجابية في معركة معسكر اليادودة حيث قتل للرصد المركزي الكثير من العناصر. ولقد كان لاستشهاد البطل فيصل حيات ورفاقه في اليادودة والوحشية المطلقة التي تعرضوا لها وآخرين آثار سلبية عميقة بين من عايشوا التجربة. وتبين عند بداية المعركة أنه لم يكن هناك مجموعات عسكرية شبه نظامية، كما إنحلت المليشيا والقي بالسلاح بما في ذلك مدافع الـ١٠٦ والـ٧٥ القناصة للدبابات في الشوارع حتى بدون محاولة إعطابها، كما صادر الجيش كميات هائلة للغاية من المواد التموينية والأسلحة التي طالما حلم بعض أبناء الحركة بها بما فيها أعداد كبيرة من الصواريخ. أما الذين قاتلوا في عمان فربما لم يتجاوز عددهم ٣٠٠–٤٠٠ شخص وكانوا خليطاً من كل المنظمات، ومع ذلك أبلوا بلاءً حسناً وسقطت أسماء كبيرة للغاية لطالما ملأت الدنيا صخباً وزايدت بامتلاكها شجاعة عنترة العبسي[٨٩]. المفاجأة خلال الأحداث جاءت من الرصد الذي قاتل رجاله في كل المواقع وأسر قائده أبو إياد، لقد كانت المواقع المساندة للجهاز في حي المحطة والأشرفية وجبل النصر وحى المصاروة والوحدات وغيرها قلاع حقيقية للمقاومة وسقط من بين رجالها شهداء مازالوا مظلومين لأن أحداً لم يسع لإنصافهم.

---

٨٨ يقول الدكتور «جورج حبش» أرسلت فتح مجموعات مسلحة تحت ستار زيارة الطائرات؛ لأننا كنا سمحنا للمواطنين بزيارة الطائرات في أوقات محددة، وقد حاولت إحدى هذه المجموعات الاستيلاء على الطائرات من الداخل لذلك منعنا أي شخص مسلح من الصعود إليها. أنظر: غسان شربل، أسرار الصندوق الأسود، ص٣٧٩).

٨٩ المقصود هو مجموعة أبو السرهد وأبو حديد.



وأثناء أحداث أيلول لم يعد لدينا مجال للاحتفاظ بالموقوفين في جهاز الرصد في ظل تصاعد الاشتباكات وأذكر في هذا الصدد أنه تم إطلاق سراح العديد منهم واذكر عبد العزيز الأطرش، الذي تم تخييره ما بين القتال أو الهرب فاختار في موقف وشجاعة نادرة ان يقاتل إلى جانب قواتنا حتى وصل إلى معسكر المزيريب جنوب سوريا. لقد كان الأطرش مثالا للرجل الشجاع ولمن نسي نقول أنه اشترك في عملية اختطاف طائرة العال إلى مطار بن جوريون مع الشهيد على طه من الجبهة الشعبية والشهيدة ريما طنوس والأخت تريز هلسه التي كانت قد هربت من الداخل لتصبح فدائية[٩٠].

عند خروج القوات الأساسية من الأردن وفى ظل حماية كل قائد لجهازه باستثناء الرصد الذي كان أبو إياد عاجزاً عن تأمينه نظراً لكونه قد أسر في أيلول. لقد قدم الرصد كقربان لخطايا القيادة؛ لأن أجهزة الأمن لا تملك السلطة لا على البنية العسكرية أو الإعلام، الملفت للنظر أن المنطق كان يقول بغير ذلك خصوصاً وأن رجال الرصد قاتلوا بشرف في كل المعارك وفى أحيان كثيرة كانت قيادة الـ١٧ تنال حظوتها عند عرفات لتنفيذها مهمات ومسئوليات كانت لصالح الحركة وفي رصيدها المباشر.

---

٩٠ عملية سابينا –نفذتها مجموعة من حركة فتح بتاريخ ١٩٧٢/٥/٨م حيث تم اختطاف طائرة سابينا التابعة للخطوط البلجيكية برأس مال بلجيكي إسرائيلي مشترك، وكانت العملية بقيادة الشهيد علي طه وتضم كل من عبد العزيز الأطرش وتريز هلسه وريما طنوس. (المجموعة المنفذة انطلقت من بيروت إلى روما ١٩٧٢/٥/٢م ومن هناك تم الحجز على طائرة سابينا المغادرة من بروكسيل إلى مطار اللد يوم ١٩٧٢/٥/٨م وبينما كانت الطائرة في الجو سيطرت المجموعة عليها قبل الهبوط في مطار اللد، وبعد هبوط الطائرة في المطار طالبت المجموعة بالإفراج عن ١٠٠ من المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، وجرت مفاوضات مع القوات الإسرائيلية التي هرعت إلى المطار عبر مكبرات الصوت فتظاهر الإسرائيليون بالموافقة على تزويد الخاطفين بوقود للطائرة، وطعام للرهائن عن طريق الصليب الأحمر، وقامت القوات الإسرائيلية بعملية تمويه على المجموعة الخاطفة حيث ارتدى عدد من الجنود لباس يحمل شارات الصليب الأحمر الدولي، وأصعدتهم إلى سيارة لاندروفر، وأبلغت المجموعة أن السيارة سوف تقترب من الطائرة لتزويدهم بالطعام للرهائن، وما أن فتح علي طه قائد المجموعة الطائرة لإدخال الطعام حتى فاجأه رصاص عناصر القوة الإسرائيلية فسقط غارقاً في دمائه، ثم اقتحم الإسرائيليون الطائرة، وأفرغوا رصاصهم في جسدي الشهيد عبد العزيز الأطرش والشهيدة ريما طنوس، فيما تم إلقاء القبض على المناضلة تريز هلسه بعد إصابتها فنقلت إلى المستشفى ثم أودعت في سجن نيفي تريستا وبعدها قدمت للمحاكمة وصدر حكم بحقها بالسجن (٢٤٠ عاما) لكنها خرجت من السجن في صفقة تبادل أسرى، فوصلت إلى الأردن يوم ١٩٨٤/٤/٩م). وكتب المعلق العسكري «زئيف شيف» في صحيفة هآرتس بتاريخ ١٩٧٢/٥/١٠م يقول: «يجب أن نعترف بأن الفدائيين الأربعة الذين خطفوا طائرة سابينا تمتعوا بمستوى كبير من الجرأة، ليس لمجرد الخطف وإنما لفكرة دخولهم عرين الأسد إسرائيل وإجراء مفاوضات لتحرير فدائيين من السجن الإسرائيلي، بينما طائرتهم محاطة بالجنود الإسرائيليين ومن هذه الناحية فقد وصلت جرأتهم إلى قمة لا مثيل لها في أعمال الخطف السابقة والصدام مع مسافرين غير مسلحين، وقد شارك الصليب الأحمر الدولي في الخدعة، ففي الوقت الذي كان يجب أن يقوم فيه بالإشراف كليا على إدخال الطعام والتأكد من شخصية العمال لمنع دخول الجنود والأسلحة إلى الطائرة تواطأ وتآمر وتم إدخال الجنود في ملابس العمال مع الطعام إلى الطائرة، وهذا يفسر تدخلهم قبيل انتهاء فترة الإنذار وطلبهم تمديده، وكان أول شخص يقترب من الطائرة هو مندوب الصليب الأحمر، وجميع من اقتربوا أو دخلوا الطائرة بعد ذلك كانوا برفقته (عناصر القوة الإسرائيلية)، لهذا نحن نعتبر مندوبي الصليب الأحمر الدولي شركاء في هذه الجريمة.



الفصل الثاني:



الطريق إلى أيلول



مقدمة لابد منها:

ليس من السهل اجترار الذكريات والأحداث والوقائع المؤلمة في حياة الأفراد، فكيف يكون الحال عندما يتعلق الأمر برواية لجملة من الأحداث والوقائع المؤسفة في تاريخ الشعوب مثلما حدث في الأردن خلال شهر (أيلول– ١٩٧٠م) نتيجة لمؤامرة حيكت للتفريق بين الشعبين التوأمين (الفلسطيني والأردني) حيث لعبت قوى عربية ودولية دورا في إذكاء تلك الفتنة التي لم يكن لأي من الطرفين مصلحة في إيصالها لما وصلت إليه، ولم يكن أي من الطرفين راغبا في ولوجها، لكن تدبير رجالات القوى العظمى جعلها أمرا كان مفعولا على غرار ما فعلوا بالشعب الألماني حين قسموه بعد الحرب العالمية الثانية إلى دولتين شرقية وغربية رغما عن إرادته الوطنية، فمنذ أن أنارت شعلة الكفاح المسلح الوطني الفلسطيني سماء فلسطين والأرض العربية، إمتزج الدم الفلسطيني بدماء الأشقاء العرب في مصر وسوريا ولبنان والجزائر وتونس واليمن والعراق والأردن، وكان احتضان الثورة الفلسطينية منذ عام ١٩٦٥م بقيادة حركة فتح ورفدها بالدعم والمجاهدين، وقد تحملت هذه الدول كل أوزار الحقد الإسرائيلي الذي قذف المدن العربية بآلاف مؤلفة من أطنان القنابل، وشن عليها حروبا طاحنة، واقترف عشرات المجازر الجماعية بحق أبنائها.

ومنذ أن حلّت النكبة بفلسطين وشعبها، فتحت العواصم العربية أبوابها لاحتضان اللجوء الفلسطيني وكان للأردن بصفته الشقيق التوأم النصيب الأكبر في تحمل مسئوليه الثورة الفلسطينية، وعلى ترابه توحّد الدم الفلسطيني لتحقيق أول انتصار فلسطيني عربي في معركة الكرامة على الجيش الإسرائيلي، الذي قيل عنه أنه جيش لا يقهر، لكن الإرادة الفلسطينية الأردنية الموحدة قهرته وهزمته، وأشفت غليل أسر أردنية استشهد أبطالها في القدس والمدن الفلسطينية الأخرى دفاعا عن فلسطين. وبعد انتصار الكرامة سقطت هيبة العدو الإسرائيلي، وأصبح الأردن هدفا أساسيا للمؤامرات والمخططات الإسرائيلية، حيث أن العدو الإسرائيلي لم يحتمل ذلك الاحتضان الأردني الرسمي والشعبي للثورة الفلسطينية. وعلى أثر ذلك تحركت القوى الإستعمارية لتأجيج الصراع لفك لحمة الأخوة الفلسطينية الأردنية واستهداف الثورة الفلسطينية التي وجدت الدعم والتمركز الآمن فوق أراضيه وعلى طول الحدود مع العدو الصهيوني.

وقد كانت أحداث أيلول أحداثا مدبّرة بامتياز إسرائيلي ودولي أحدث إختراقاً مؤذياً للأردن كدولة ولمنظمة التحرير الفلسطينية كثورة، فكان ما كان من أحداث أيلول ١٩٧٠م..

وعندما قررت أن أكتب عن أحداث أيلول بكل ما لها وما عليها، كنت على يقين أن بعضهم لا يريد جلاء الحقيقة والكشف عن أسرار تلك المرحلة خدمة لأهداف سياسية أقلها إستخدام تلك الأحداث لإثارة فتنة بين أبناء الوطن الواحد من أصول فلسطينية أو أردنية، وقد تعمد هؤلاء تضخيم الأحداث والمبالغة في خسائرها لإثارة النفوس، ولكني من منطلق تصويب الأمور، ووضعها في نصابها الطبيعي مستندا إلى الحقائق والوثائق أبيت أن أبقى صامتا، كي لا أرى غبار تلك المرحلة التي أباح الحديث عنها الملك عبد الله الثاني بن الحسين(١) بقوله: بأن جميع المواضيع يجب أن تطرح للنقاش، فلا يوجد شيء نخجل من الحديث عنه حتى إذا كان هناك من يريد الحديث عن أحداث السبعين، فذلك أصبح من التاريخ، ودعونا نفكر للمستقبل وليس في الماضي، وقد أصاب الملك عبد الله الثاني بن الحسين كبد الحقيقة أيضا عندما قال(٢): من الخطأ اعتبار (أيلول) حربا أهلية بين الأردنيين والفلسطينيين.

وكان الملك الراحل الحسين بن طلال والرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات أبعد عن أن يكونا قائدين متحاربين، وإنما كانا قائدين متفاهمين حول مختلف القضايا التي تهم شعبيهما، وقد أكد هذه المقولة المؤلف آفي شلايم في كتابه(٣) بعنوان (أسد الأردن – حياة الملك حسين في الحرب والسلام) حيث قال: لم يكن الحسين ولا عرفات يريدان خوض معركة ضارية لحل مشكلة من يحكم الأردن، فكلاهما كانا معتدلين يسعيان إلى إرساء قواعد التعايش، لكن المتطرفين في الجانب الفلسطيني شجعوا المتطرفين في الجانب الأردني، وفي موقع آخر من الكتاب قال: مثلما كانت فتح أكبر الفصائل فقد كانت أكثرها اعتدالا وعلى هذا الأساس عارضت قيادتها اتخاذ موقف ضد النظام في الأردن.

---

١ وكالة بترا ٢٠١١/٩/١١م «حديث الملك عبد الله الثاني بن الحسين خلال لقائه نخبة من الأدباء والمثقفين والمفكرين والأكاديميين الأردنيين.

٢ الملك عبد الله الثاني بن الحسين، كتاب السلام في زمن الخطر، ط١، دار الساقي، ٢٠١١م.

٣ آفي شلايم، أسد الأردن (حياة الملك حسين في الحرب والسلام)، ط١، مركز الكتب الأردني، ٢٠١١م.



وقد كانت حركة (فتح) منذ إنطلاقة الثورة الفلسطينية على مصداقية عالية في عدم تدخلها بالشؤون الداخلية للدول العربية، وليس في الأردن فقط(٤)، لكنها كانت في الأردن أكثر التزاما بهذا المبدأ لكونه يشكل آنذاك أهم ساحات المواجهة مع العدو الإسرائيلي لطول حدوده مع الكيان الغاصب، ولدعم شعبه للنضال الفلسطيني إلى أبعد الحدود، وحتى حين اختلفت الرؤى السياسية للأردن كدولة ولحركة فتح كثورة للشعب الفلسطيني، كانت القيادة الفلسطينية ممثلة بالأخ ياسر عرفات وأعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح «تتفهم» مبررات القبول المصري ومن بعده الأردني لقرار وقف إطلاق النار إستجابة لمبادرة وزير الخارجية الأمريكية وليم روجرز التي طرحها على مصر والأردن وإسرائيل استنادا إلى قرار مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ وإقامة مباحثات للتوصل إلى سلام عادل ودائم على أساس الإعتراف بالسيادة وسلامة الكيان الإقليمي لكل طرف واستقلاله السياسي، إلا أن الإتحاد السوفييتي قد ألقى بكل ثقله وعلاقاته من أجل إفشالها، وأوعز إلى الدول العربية والأحزاب اليسارية والشيوعية السائرة في فلكه بالعمل على تخريب الأوضاع وخلط الأوراق وتحديدا على الساحة الأردنية ضد النظام الأردني وضد حركة (فتح) باعتبارها واجهة (اليمين) الفلسطيني في حين كانت فتح في ذروة وقمة تصعيدها للكفاح المسلح، بينما تلك الدول كانت تمنع إطلاق رصاصة واحدة على إسرائيل من حدودها، وكانت تلك المنظمات اليسارية والشيوعية التي تدور في فلك «اليسار» لا يصدر عنها سوى بيانات تبالغ فيها بأدوارها الكفاحية وقلب المعادلة من الكفاح المسلح ضد إسرائيل إلى «الكفاح ضد الأردن وحركة فتح» لكن حركة فتح ولأنها «أم الحركة النضالية» كانت ترفض الإنسياق وراء هذه التحريضات لتلك الدول والمنظمات والفصائل والحركات التي كانت تزايد من خلال طرح الشعارات الهادفة لزرع فتنة مزدوجة، شقها الأول بين حركة فتح والمنظمات والفصائل في إطار التخريب على منظمة التحرير الفلسطينية، وشقها الثاني بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة حركة فتح، ووصل الأمر بأصحاب هذه الفتنة من دول عربية ومنظمات وفصائل تدور في فلك الاتحاد السوفييتي إلى افتعال اشتباكات مع قوات الأمن والجيش الأردني لجر الجانبين الأردني والفلسطيني إلى حرب أهلية، وإلى استعداء النظام الأردني بطرح شعار «كل السلطة للمقاومة».

---

٤ نصت المادة (٢٧) من النظام الداخلي لفتح أن حركة فتح لا تتدخل في الشؤون المحلية للدول العربي ولا تسمح لأحد بالتدخل في شؤونها أو بعرقلة كفاح الشعب الفلسطيني لتحرير وطنه، يذكر أن حركة فتح ضربت مثالا في ضبط النفس وعدم الاصطدام مع الأنظمة العربية منذ انطلاقتها وحتى الآن إلا أنه كان من العسير على الحركة أن تتجنب عرقلة الأنظمة لها حيث حاولت بعض الأنظمة العربية مثل سورية تجيير فتح لصالحها.

تحملت حركة فتح بكل صبر معظم هذه التوجهات المبرمجة التي كانت تستهدف وحدة النضال الوطني الفلسطيني لفك أواصره مع مصادر الدعم العربي والإقليمي والدولي، ودعت الحركة إلى اعتماد الحوار كوسيلة وحيدة للوصول إلى برنامج وطني مشترك معلنة «تحريم الاحتكام للسلاح» وتحريم الدم الفلسطيني والأردني وصولا إلى التفاهم.

ونتيجة لتحالف اليسار الفلسطيني والعربي مع الدول العربية الحليفة للسوفييت وللسلوك الطائش الذي مارسته الفصائل الفلسطينية اليسارية التي شقت الصف الفلسطيني بين يسار ويمين، من خلال اللجوء لممارسات خارجة عن القانون، فقد استطاع هذا التحالف أن يحقق مراميه ومخططاته حيث لم يعد الأردن كنظام ومنظمة التحرير الفلسطينية كقائدة للنضال الوطني الفلسطيني بقادرين على تجنب الاحتكام إلى السلاح في سبيل القضاء على كل ممارسات هذا التحالف الذي قرر جر منظمة التحرير الفلسطينية إلى أتون المعركة دفاعا عن النفس، وفي مقابل مؤامرات ومخططات قوى اليسار، انجرّ تيار داخل الجيش الأردني إلى ممارسة الأخطاء نفسها وسعى إلى تصعيد المواجهات دون علم من القيادة الأردنية وعلى رأسها الملك حسين بن طلال، وقد أكد ذلك العميد بهجت المحيسن قائد الفرقة الثانية بالجيش الأردني في مذكراته حيث أشار: إلى أن بعض التطورات قد اضطرته إلى الاستقالة وأهمها عدم وضوح تسلسل قيادي للقطاعات العسكرية، وتجاوزها في كثير من الأحيان لقائد الفرقة المنوطة به المسؤولية حيث كانت تصدر أوامر بتحريك قطاعات من فرقته وحدوث إشتباكات مع الفصائل الفلسطينية دون علم قائد الفرقة وذلك لوجود أطراف وقيادات سياسية وعسكرية أردنية كانت تروج وتعمل باتجاه التصعيد ضد فصائل المقاومة وإشعال الفتن في الأردن.

يقول الكاتب والسياسي راكان المجالي(٥)، الناطق الرسمي للحكومة الأردنية (حكومة عون الخصاونة) فاضحا دور القوى العظمى الأمريكية والسوفيتية في إدارة الحرب الباردة بينهما على الساحة الأردنية في مقال له: «أما الموقف السوفييتي فقد كان فعالا ومؤثرا من خلال توفير غطاء للتدخل السوري العسكري، كان السر الكبير في أحداث أيلول هو مغامرة موسكو لأول مرة في المنطقة». وهكذا فقد خدم أقصى اليسار في الثورة أقصى اليمين في الدولة، حيث كان كل ذلك انعكاسا للتآمر الأمريكي والسوفييتي خلال أحداث أيلول في إطار اشتعال الحرب الباردة بعد موافقة مصر والأردن على مبادرة روجرز.

---

٥ راكان المجالي- موقع اجبد بتاريخ ٢٠١٠/١٠/٨م.

من جانب أخر نشرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية في ملحقها الأسبوعي (المصدر: الجزيرة ٢٠ / ٩ / ٢٠٠٩) تقريرا مطولا تضمن وثائق عن جلسات داخلية لمسؤولين أمريكيين ومراسلات ومحادثات هاتفية بينهم وبين نظرائهم الإسرائيليين، وحسب هذه الوثائق فإن وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكي ريتشارد بنكسون لشؤون الأمن القومي آنذاك قد حض المسؤولين الأمريكيين على فرض الهيمنة على الفدائيين الفلسطينيين في الأردن كي لا تسقط مبادرة أمريكية لاتفاقية سلام بين الأردن وإسرائيل الأمر الذي يكشف أن الإدارة الأمريكية وقتها كانت تعد لمبادرة سلام شرق وسطية (مباردة روجرز) لذلك حرضت على ضرورة السيطرة على الفدائيين في الأردن.

عندما أشعلت فصائل اليسار الإشتباكات على كامل ساحة الأردن من شماله إلى جنوبه سرعان ما غادر قادة تلك المنظمات والفصائل الأردن إلى الدول العربية التي شكلت لهم الدعم والحماية من أجل «تفجير الأوضاع» وتأجيج الأزمة، تاركين وراءهم أبناء شعبهم لمواجهة المجهول بينما دفعت حركة فتح الثمن الأكبر باعتقال عدد من قياداتها واستشهاد العدد الآخر.

وطيلة أيام الإشتباكات وحتى خروج الثورة من الأردن كان تحالف اليسار يضخم ويهول الأمور في اتجاه تكريس القطيعة والعداء بين الأردن كنظام ومنظمة التحرير الفلسطينية، وكانت صحف تحالف اليسار ودوله ومنظماته وأبواقهم الإعلامية والدعائية تذكر أرقاما هائلة للخسائر البشرية بين المدنيين والمقاتلين، في حين أن كل الوثائق تؤكد أنها أرقام مبالغ فيها(٦).

ورغم كل هذه المؤامرة التي إستهدفت الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية التي تصنف بأنها اليمين الفلسطيني فإن المنظمة لم تفقد البوصلة، وأشارت بوضوح خلال أعمال المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثامنة التي انعقدت في القاهرة للفترة من ٢٨ / ٢ – ٥ / ٣ / ١٩٧١م ودورته التاسعة للفترة من ٧-١٣ / ٧ / ١٩٧١م إلى مسؤولية اليسار الفلسطيني في افتعال الأحداث ولم يكتف تيار اليسار الفلسطيني بهذه المغامرة في إطار المؤامرة ضد منظمة التحرير الفلسطينية على الساحة الأردنية، وإنما استمر في تصعيده ضد المنظمة في سوريا، لبنان، ولعب دوره الفاضح والواضح في انشقاق حركة فتح عام ١٩٨٣م، لكن وكما فشل في أحداث أيلول ١٩٧٠م تكرر له الفشل عام ١٩٨٣م فيما بعد.

كانت أحداث أيلول فتنة لا أنكر أبدا أنها تركت آثارها السياسية والنفسية والاجتماعية

---

٦ يقول صلاح خلف: إن معارك أيلول أوقعت عددا يتراوح بين ٧٠٠- ٨٠٠ قتيل وجريح، أنظر: فلسطيني بلا هوية، ص١٥٦.

على الشعبين الفلسطيني والأردني وبنت جداراً من عدم الثقة لفترة محدودة بين القيادتين الفلسطينية والأردنية، إلا أن وحدة الدم والمصير المشترك ومساعي كلا الطرفين للاستفادة من التجربة كانت البلسم الشافي للجراح وكما أزيل سور برلين، الذي قسم الشعب الألماني، فإن الرئيس عرفات والملك حسين تداركا الأمور وأعادا العلاقات الفلسطينية الأردنية إلى حالتها الصحية في وقت أبكر بكثير من إزالة سور برلين، وحيث تطرقت إلى وقائع تلك الفتنة فإنني لم أقصد أبدا أن أنكأ الجراح أو ألقي بالمسؤولية على أي طرف فكلا الجانبين هما الخاسر في النتيجة، لأن الأردنيين والفلسطينيين تربطهم وحدة المصير والعيش المشترك، وهم نسيج أسرة واحدة إذا إشتكى منها عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وليس من السهل على أي جهة مهما كانت أن تفك أواصر اللحمة بين هذه الأسرة الأردنية الفلسطينية، وربما ينجح أصحاب الفتنة بعض الوقت، لكنهم بالتأكيد لن ينجحوا كل الوقت.

ومما لا شك فيه أن التطرف والإعجاب بالذات وغياب القضية عن بعضهم قد أدى إلى هذه الفتنة، أتمنى من الله عز وجل أن يقينا ويقي جميع الشعوب العربية شر الفتنة والاقتتال، التي كان المستفيد الوحيد منه هو العدو بتنوع أشكاله ومنابته وأصوله.

إن حوادث أيلول انقضت بما لها وما عليها، ويقيناً أن الأردن الرسمي والشعبي خلال تلك الأحداث وما قبلها لم يكن في وارد الانقلاب على الثورة الفلسطينية بقيادة حركة فتح، وهي الثورة التي تعاظمت على الأرض الأردنية بعد معركة الكرامة بتاريخ ٢١ / ٣ / ١٩٦٨م، وقد تأكد ذلك من خلال الموقف الرسمي الذي مثله حينذاك الملك حسين في خطاباته أمام المحافل الدولية لإدانة الاحتلال الإسرائيلي، ودعم حق الشعب الفلسطيني في المقاومة لطرد هذا الإحتلال، وارتقى هذا الموقف الرسمي إلى ذروته عندما صرح الملك حسين بأنه الفدائي الأول، أما على الصعيد الشعبي فقد احتضن الأردنيون، في مدنهم وقراهم وغورهم وحتى في جيشهم، الثورة الفلسطينية وناصروها وقدموا من أجلها الشهداء.

في أحداث أيلول كان لتطرف اليسار الفلسطيني دوره في تأجيج التطرف في الجانب الأردني، وفي كل الأحوال فإن ما حدث يتحمل الجميع مسؤوليته والقصد من إستعادة أحداثه هو لجلاء النفوس وإزالة «الغل» من صدور الذين «جذعوا أنوفهم» كي لا يشتموا رائحة المؤامرة، وآخرين «صمّوا» آذانهم كي لا يسمعوا الحقيقة.

الطريق إلى أيلول:

استمر الكفاح المسلح في ضبط أوضاع المنظمات الفدائية دون حدوث أي مشكلات أو تجاوزات تذكر حتى ١٠ / ٢ / ١٩٧٠م حين أصدرت الحكومة الأردنية ممثلة بوزير الداخلية محمد رسول الكيلاني قراراً دون تنسيق مسبق مع الكفاح المسلح بشأن تطبيق إجراءات قالت أنها تكفل قيام «مجتمع مدني موحد ومنظم» شعرت المنظمات الفدائية أنه يستهدفها ويحد من تحركاتها، لذلك أعلنت معارضتها للقرار.

وبهدف تطويق ردود الفعل على قرار وزير الداخلية الأردني انعقد مساء يوم ١١ / ٢ / ١٩٧٠م في منزل رئيس الوزراء بهجت التلهوني اجتماع بحضور الملك حسين وعدد من المسؤولين الأردنيين وممثلين عن القيادة الموحدة للمنظمات الفدائية للبحث في الموقف، وتجدد الاجتماع مرة ثانية صباح ومساء يوم ١٢ / ٢ / ١٩٧٠م، وجرى ذلك في جو من الإخوة والصراحة حيث ظهرت رغبة صادقة وأكيدة من جانب الجميع بضرورة صون المصلحة الواحدة المشتركة، وكان في طليعة ما اتفق عليه إيقاف كل عمل وتصرف استفزازي من قبل جميع الجهات المعنية وتجميد جميع الإجراءات والتدابير وأسباب التوتر.

عقد الملك حسين مؤتمراً صحفياً صباح يوم ١٤ / ٢ / ١٩٧٠م أعلن فيه أن قرار وزير الداخلية كان خطأ يعود إلى عدم الإحاطة بالموضوع، وبعد عشرة أيام من المؤتمر الصحفي ٢٤ / ٢ / ١٩٧٠م أقال الملك حسين وزير داخليته محمد رسول الكيلاني.

كانت القيادة الموحدة لحركة المقاومة الفلسطينية بدورها قد أعلنت في بيان أصدرته يوم ١٧ / ٢ / ١٩٧٠م أنها جابهت أزمة ١٠ / ٢ / ١٩٧٠م بقيادة موحدة صلبة وحديدية، كما وقفت بشجاعة أمام تجربة عام ١٩٦٩م تمارس نظرة نقد ذاتية تجاه مجموعة من العلاقات الداخلية بين المنظمات، وعلاقة العمل الفدائي بالجماهير في الأردن خاصة والوطن العربي عامة، لتصحيح هذه العلاقات وتمتينها في اتجاه يزيد التماسك فيما بينها وبين الجماهير، وخلصت القيادة الموحدة في بيانها إلى النقاط الآتية:

أولاً: إن المنظمات الفدائية مطالبة أمام جماهير شعبنا والأمة العربية أن تصحح العلاقات الداخلية فيما بينها لبناء جبهة وطنية موحدة صلبة ومرتبطة ببرنامج سياسي وعسكري محدد

يقود خطاها على درب التحرير الطويل النفس والغالي التضحيات.

ثانياً: إن المنظمات الفدائية مطالبة بتوفير وبناء علاقات صحيحة، والوقوف أمام أي أخطاء في هذا التعاون مع الجماهير للقضاء على أية سلبيات تنشأ من خلال النضال والكفاح، وعدم التردد مرة واحدة في تصفية أي خطأ يرتكبه أي مقاتل ومناضل في صفوف المقاومة.

ثالثاً: تعزيز العلاقات مع أبناء الشعب من جنود وضباط في الجيش الأردني والأمن العام ليكون الجميع صفا واحدا في مجابهة العدو الصهيوني وتكون جميع البنادق موجهة إلى صدر العدو، وقطع الطريق على أية دوائر معادية تحاول تمزيق وحدة الفدائيين والجيش في معركة المصير الواحد، إذا فالقيادة الموحدة تتوجه لجميع فصائل المقاومة وتناشد جنود وضباط الجيش في بناء علاقات أخوية صادقة.

رابعاً: ضرورة الانضباط الثوري الواعي لجميع فصائل المقاومة والوعي العام بضرورة المساواة بين جميع المواطنين والوقوف صفاً واحداً أمام أي تصرف فردي خاطئ يخرق قواعد السلوك الثوري.

خامساً: التقيد التام من طرف جميع فصائل المقاومة لتعليمات القيادة الموحدة السياسية والعسكرية والانضباطية.

سادساً: إبلاغ القيادة الموحدة عن أية مخالفات لتقف أمامها وتضع حدا لها على الفور، فإن رجولة الثوريين أن يقفوا أمام الخطأ مهما كان ويعالجوه بشجاعة.

سابعاً: أي إزعاجات للمواطنين في بيوتهم وأماكن العمل والإنتاج وفي الدوائر الرسمية تنفي العلاقة الحقيقية بين الشعب والمقاومة المسلحة فالشعب هو السياج الثوري لحماية العمل الفدائي.

اطلاق النار على موكب الملك حسين:

تواصل الهدوء وضبط الأمور، وعزز من ذلك إعادة تشكيل الحكومة الأردنية برئاسة بهجت التلهوني يوم ١٩ / ٤ / ١٩٧٠م لكن الأحداث السياسية التي استجدت صباح يوم ١ / ٥ / ١٩٧٠م عقدت الأمور حين فاجأ الرئيس المصري جمال عبد الناصر العرب والعالم أثناء خطابه بمناسبة عيد العمال، حيث وجه رسالة إلى الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون للتدخل والضغط على إسرائيل مقابل استعداد العرب للسلام مع إسرائيل شريطة تنفيذ قرار مجلس

الأمن الدولي (٢٤٢)(٧)، كما بعث الملك حسين يوم ٢ / ٥ / ١٩٧٠م برقية للزعيم جمال عبد الناصر أيده في النداء الذي وجهه إلى الرئيس نيكسون، وأصدرت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية يوم ٣ / ٥ / ١٩٧٠م أيدت فيه دعوة الرئيس المصري في حين تأخر الرد الفلسطيني حتى يوم ١ / ٦ / ١٩٧٠م حين انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة وأعرب عن رفضه لقرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٤٢) وقرر بأن الحل العسكري هو الوحيد لحل الصراع مع العدو الإسرائيلي، واتخذ المجلس قرارا بتشكيل «قيادة عسكرية موحدة للثورة».

بعد الموافقة الأردنية وموافقة جامعة الدول العربية على مبادرة الرئيس المصري جمال عبد الناصر والاستعداد للقبول بعملية السلام مع إسرائيل، أصبحت المقاومة الفلسطينية أمام استحقاق صعب فرض عليها الاستعداد للدفاع عن نفسها أمام التحول العربي نحو خيار السلام بينما لم تمر سوى ثلاثة أعوام فقط على نكسة حزيران (يونيو) ١٩٦٧م، وقد ظهرت بوادر حالة الدفاع عن النفس صباح يوم السبت الموافق ٦ / ٦ / ١٩٧٠م حين اندلعت مواجهات مسلحة في العاصمة عمان بين عناصر من الجيش وقوات فدائية لتزداد حدة يوم الأحد الموافق ٧ / ٦ / ١٩٧٠م في مدينة الزرقاء حيث سقط حوالي سبعين بين شهيد وجريح.

وفي ظل حالة التوتر جاءت وقائع ما أعلنته وزارة الداخلية يوم الاثنين الموافق ٩ / ٦ / ١٩٧٠م لتزيد الاشتباكات اشتعالا، حيث أفاد بيان صادر عن وزارة الداخلية الأردنية أنه صباح ذلك اليوم أطلقت النيران على موكب الملك حسين قرب منطقة صويلح لكن الملك نجا من الهجوم.

لقد أثار الإعلان عن الهجوم على موكب الملك تصعيداً قتالياً خطيراً انتشر إلى جميع المدن الأردنية حيث لم يعد هناك لدى الطرفين سيطرة أو ضبط للنفس بسبب حالة الاحتقان واستخدام كل أنواع الأسلحة في العمليات القتالية بما فيها القصف المدفعي ومدافع الدبابات الأمر الذي دفع المقاومة الفلسطينية إلى المطالبة بإبعاد كل من الشريف ناصر بن جميل والشريف زيد بن شاكر والالتزام بوقف إطلاق النار.

---

٧ القرار (٢٤٢) صدر عن مجلس الأمن الدولي أثر العدوان الإسرائيلي على الدول العربية في حرب ١٩٦٧م، وقد حدد القرار الأسس التي يراها مجلس الأمن صالحة لتحقيق تسوية سلمية في الشرق الأوسط مؤكداً عدم شرعية الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب والحاجة إلى سلام عادل ودائم تستطيع أن تعيش فيه كل دولة في المنطقة، ودعا القرار (٢٤٢) إلى انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في النزاع الأخير (النص الإنجليزي يشير إلى انسحاب من أراض) وأكد القرار على ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية في المنطقة، وتحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين، وضمان حدود كل دولة في المنطقة، واستقلالها السياسي عن طريق إجراءات من بينها إنشاء مناطق منزوعة السلاح. (انظر: تيسير جبارة: تاريخ فلسطين، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٨م، ص٣٥١-٣٥٢).

بينما كانت عمان والمدن الرئيسة في الأردن تشتعل بالمعارك، أصدرت حركة فتح بيانا صباح ١٠ / ٦ / ١٩٧٠م قالت فيه أنه حين طرحت «فتح» مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية كانت تريد أن تفهم الأنظمة العربية التي كان يمكن أن ترى في الثورة الفلسطينية تهديداً مباشراً لوجودها أن الثورة فلسطينية الوجه، عربية العمق، قومية الأهداف والنتائج، وأنها لا تتبنى نظرية حزبية معينة، ولا تتبع خطاً سياسياً إيديولوجياً، وإنما تتجه بكل قواها لتحقيق هدف واحد أوحد هو تحرير الأرض المحتلة، إلا أن ذلك لا يعني أبدا السماح للأنظمة بتطويق الثورة وتصفيتها، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن يعني ذلك إسقاط نظام الحكم في الأردن لأننا نريد تحرير وطننا فقط، وليس تسلم زمام السلطة في أي بلد عربي.

تهدئة بوساطة عربية:

حدد الرئيس جمال عبد الناصر يوم ١٠ / ٦ / ١٩٧٠م موقف مصر بهدف التهدئة وضمان وقف الإشتباكات والفوضى التي استفحلت في الساحة الأردنية، وقال إن المقاومة الفلسطينية ومنظمة «فتح» بالذات في مقدمتها تعتبر من أهم الظواهر الصحية في نظامنا العربي، وأن مصر لا تتغافل عن بعض الأخطاء التي يمكن أن تكون صدرت عن بعض منظمات المقاومة، وأن مصر لا تستطيع أن تتفرج على ما يجري في الأردن؛ لأن الخطر يحيق بالجميع ولأن المصير واحد ولابد من إسدال الستار على ذلك المشهد الانتحاري الحزين.

وبدوره قال العقيد معمر القذافي أن خطورة المعركة والتحديات المصاحبة لها تتطلب من أبناء الأمة العربية قاطبة الارتفاع إلى مستوى تلك التحديات، معلنا أن حركة فتح بريئة من إشعال نار الحرب الأهلية في الأردن، ووجه التحية لجنود الأردن الذين يقفون على خط النار مع إسرائيل.

واستجابة لمطالب الفدائيين أعلن الملك حسين صباح يوم ١١ / ٦ / ١٩٧٠م في رسالة موجهة إلى القوات المسلحة الأردنية إعفاء اللواء ناصر بن جميل القائد العام للقوات المسلحة والزعيم الركن زيد بن شاكر قائد اللواء المدرع الملكي من منصبيهما وعين اللواء مشهور حديثة قائداً للقوات المسلحة، وبعث برقية جوابية لكل من الرئيس جمال عبد الناصر والعقيد معمر القذافي أكد فيها أن الحالة في الأردن تتحسن بسرعة كبيرة نتيجة الجهود المخلصة والخيرة الهادفة.

وبهدف ممارسة مسؤولياتها الفعلية لضبط سلوكيات المنظمات الفدائية قررت اللجنة

المركزية لحركة المقاومة يوم ١١ / ٦ / ١٩٧٠م وضع كافة قوات الثورة الفلسطينية تحت إمرتها وتكليف ضباط الكفاح المسلح بالآتي:

مسؤولية حفظ الأمن الداخلي للمنظمات الفدائية وتنظيم علاقاتها مع الجماهير والسلطة.

مراقبة أية تصرفات لا انضباطية لأي فدائي واتخاذ الإجراءات بحقه.

مكافحة العبث بممتلكات المواطنين ووضع حد لذلك.

تطبيق قرار القيادة الموحدة الصادر يوم ١٨ / ٢ / ١٩٧٠م حول تنظيم القوات العسكرية والانضباطية للمنظمات.

عقد اجتماع بين ممثلين عن السلطة الأردنية واللجنة المركزية في حركة المقاومة الفلسطينية صباح يوم ١٣ / ٦ / ١٩٧٠م وبحضور الوفدين العراقي (برئاسة الفريق أول الركن صالح مهدي عماش نائب رئيس الجمهورية العراقية)، والجزائري (برئاسة عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائري آنذاك ورئيس الجمهورية الجزائرية حالياً)، وقد ساد الاجتماع جو من التفاهم العميق لجسامة المسؤوليات وخطورة الموقف وتقرر فيه تشكيل لجنة مشتركة تمارس عملها في مقر رئاسة الأركان مهمتها السيطرة على الموقف ومنع أية أعمال أو تصرفات استفزازية بجميع الوسائل التي تقتضيها الظروف، وتتألف اللجنة من ممثلين عن السلطات الأردنية وهم عبد المنعم الرفاعي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، واللواء زهير مطر مدير الأمن العام والزعيم غازي عربيات مدير الإستخبارات العسكرية في الجيش والزعيم مضر بدران مدير المخابرات العامة، وممثلون عن اللجنة المركزية لحركة المقاومة هم ممدوح صيدم "أبو صبري" وعصام سرطاوي، وأحمد اليماني، وأبو ماهر غنيم، وصالح رأفت، وقد تمكنت اللجنة فعلاً من تطبيق وقف إطلاق النار وإعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي.

وفي خاتمة لأحداث ١٠ / ٦ / ١٩٧٠م وجه اللواء جعفر النميري رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء السوداني برقية إلى ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية يوم ١٧ / ٦ / ١٩٧٠م قال فيها: «واليوم والأنباء تحمل لنا أن نيران الفتنة قد بدأت تخبو ألسنتها بفضل ما تحليتم به من الحكمة وضبط النفس والشعور بالمسؤوليات العظيمة التي تحملونها عن الأمة العربية في هذه الفترة المصيرية العصيبة والحرجة، فإن أمانة التاريخ وواجب الأخوة ورفعة النضال تفرض علينا أن نتوجه إليكم بالنداء الحار بأن تبذلوا كل ما في وسعكم وطاقتكم، وأنه لأمر عظيم أن يلتزم الجميع باتفاق وقف إطلاق النار التزاما كاملا ونافذا».

انقضى الأسبوع الدموي الذي بدأ باشتباكات ٦ / ٦ / ١٩٧٠م بين الجيش الأردني والفدائيين الفلسطينيين كما ذكرت سابقاً بالاتفاق على وقف إطلاق النار وتشكيل لجنة أردنية – فلسطينية مشتركة لمتابعة التنفيذ وضبط الأوضاع، وجاء بعده بأسبوعين حدث عربي مهم جدا حيث توافد عدد من الملوك والرؤساء العرب إلى ليبيا يوم ٢٠ / ٦ / ١٩٧٠م للإشتراك في الاحتفال بجلاء القوات الأمريكية عن قاعدة عقبة بن نافع «هويلس سابقاً» وكان من بين المشاركين الملك حسين بن طلال، وقد استثمر ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والناطق الرسمي باسم «فتح» هذا الاجتماع العربي ووجه رسالة للملوك والرؤساء العرب قال فيها: «بأن الأيام الخمسة السوداء في عمان شيء لا يمكن أن يصدق، ولقد استطعنا بعد جهد كبير أن نوقف حمام الدم الذي استهدفوا به أبناء شعبنا، وأن هذا المخطط الرهيب ليس إلا جزءا من مخططات ضرب قوى المواجهة مع العدو الصهيوني الذي يحاول أن ينال من قوة جبهتنا العسكرية الشرقية». وأضاف عرفات: «ان الثورة الفلسطينية معرضة لمؤامرة أخرى تكون أكثر بشاعة من سابقتها يتعرض خلالها الجيش الأردني وقوى الشعب والثورة إلى صدام تكون نتيجته كومة من الأنقاض ومزيدا من الدماء العربية، ومن جهتنا نرفض أن نكون طرفاً في قتال مع الجيش الأردني الباسل الذي نعتبر أنفسنا وإياه في خندق واحد.

أما عن نتائج وقرارات اجتماع الملوك والرؤساء العرب الذي إنعقد في طرابلس يوم ٢٠ / ٦ / ١٩٧٠م فقد تم تشكيل لجنة رباعية تضم الجزائر ومصر وليبيا والسودان هدفها تسوية الأزمة بين النظام الأردني والثورة الفلسطينية.

وبتاريخ ٢٧ / ٦ / ١٩٧٠م أعفى الملك حسين حكومة بهجت التلهوني وأمر بتشكيل حكومة أردنية جديدة برئاسة عبد المنعم الرفاعي، وكان من أول منجزات الحكومة الجديدة استقبال اللجنة الرباعية العربية التي اجتمعت في عمان يوم ١٠ / ٧ / ١٩٧٠م بحضور قايد أحمد ممثل عن الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ومحمد نجم ممثل عن الجمهورية العربية الليبية، والدكتور حسن صبري الخولي ممثل عن الجمهورية العربية المتحدة، والرائد المأمون عوض أبو زيد ممثل عن جمهورية السودان الديمقراطية، وتدارست اللجنة الأوضاع مع ممثلي الحكومة الأردنية وممثلي اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية وتم التوصل إلى القرارات الآتية:



أن تكون اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية(٨) هي المسيطرة والملتزمة والمسؤولة عن جميع التنظيمات الفدائية وأعمالها.

ما تلتزم به اللجنة المركزية نحو الحكومة يكون ملزماً لجميع المنظمات الفدائية، وما تلتزم به الحكومة نحو اللجنة المركزية يسري على جميع المنظمات.

حرية وحماية العمل الفدائي وتأمين سلامته وحقه في التعبئة الشعبية والوطنية تضمنها الحكومة بما لا يمس سيادة الدولة.

قررت اللجنة كذلك بأن تقوم الحكومة الأردنية بإلغاء جميع التدابير والإجراءات التي اتخذتها أثناء الأزمة.

مبادرة روجرز:

مضى اثنا عشر يوماً فقط على قرارات اللجنة العربية الرباعية التي توصلت إليها خلال اجتماعاتها في العاصمة الأردنية عمان لتطغى الأحداث السياسية من جديد على الموقف وتمهد لتفجيره من جديد، ففي يوم ٢٢ / ٧ / ١٩٧٠م تم الإعلان عن رسالة محمود رياض وزير الخارجية في الجمهورية العربية المتحدة والموجهة إلى وليام روجرز وزير الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية حول قبول الحكومة المصرية بمشروع روجرز الذي كان بعث به للحكومتين المصرية والأردنية يوم ١٩ / ٦ / ١٩٧٠م.

بعث الملك حسين برقية للرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٦ / ٧ / ١٩٧٠م أكد فيها.. انسجام الموقف الأردني مع الموقف المصري من القضية الفلسطينية، فيما أدلى عبد المنعم الرفاعي رئيس الوزراء الأردني يوم ٢٨ / ٧ / ١٩٧٠م بتصريحات لصحيفة النهار اللبنانية أعلن فيها: عن موافقة حكومته على مقترحات وزير الخارجية الأمريكية وليام روجرز.

وطبقا للتفاصيل التي أوردها الرئيس المصري جمال عبد الناصر في خطابه أثناء إفتتاح المؤتمر القومي الرابع يوم ٢٣ / ٧ / ١٩٧٠م أن المبادرة تتطلب: أن توافق مصر وإسرائيل والأردن على العودة إلى وقف إطلاق النار لفترة محدودة (ثلاثة أشهر) ثم يعود السفير الأمريكي لدى الأمم المتحدة غونار يارينغ إلى استئناف عمله وفق قرار مجلس الأمن على أساس أن توافق مصر وإسرائيل والأردن على:

---

٨ للتوضيح فإن التسمية (اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية) آنذاك كانت هكذا إلا أنه فيما بعد تم تبديل التسمية إلى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وبقيت اللجنة المركزية صفة لقيادة حركة فتح.

أولا: تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي (٢٤٢) لسنة ١٩٦٧م بكل أجزائه للتوصل إلى اتفاق حول إقامة سلام عادل ودائم مستندا إلى الإقرار من جميع الأطراف بالسيادة وسلامة الأراضي والاستقلال لكل دولة.

ثانيا: الإنسحاب الإسرائيلي من الأراضي المحتلة خلال حرب ١٩٦٧م وذلك طبقا لقرار مجلس الأمن الدولي(٢٤٢).

أعلنت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية رفضها الكامل لمشروع روجرز بتاريخ ٢٨ / ٧ / ١٩٧٠م، كما أعلنت رفضها لوقف إطلاق النار ودعت الجماهير إلى القيام بإضراب عام شامل حددته يوم ٣٠ / ٧ / ١٩٧٠م. وكانت القيادة الفلسطينية ترى في قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الذي اشترط انسحاب إسرائيل وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين مقابل الاعتراف المتبادل والأمن لجميع دول المنطقة بما في ذلك إسرائيل، كانت منظمة التحرير الفلسطينية ترفض قرار مجلس الأمن ٢٤٢ باستمرار معترضة بأن القرار حوّل الصراع بشأن فلسطين إلى مجرد مشكلة لاجئين، وكرّس احتلال إسرائيل الدائم لـ٨٠٪ من الأراضي الفلسطينية تقريبا.

كان يوم ٨ / ٨ / ١٩٧٠م يوما كارثيا في تاريخ المقاومة الفلسطينية، وبناءً على بيان وزارة الخارجية في الجمهورية العربية المتحدة حول تحقيق وقف إطلاق النار، فقد بدأ مفعوله رسميا في الساعة الواحدة من صباح ٨ / ٨ / ١٩٧٠م، واعتبر البيان أنه منذ ذلك التاريخ أصبح الطريق مفتوحاً أمام جهود السفير غونار يارينغ المبعوث الشخصي للسكرتير العام للأمم المتحدة المكلف بتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢.

وعلى الفور أصدرت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا حول وقف إطلاق النار قالت فيه: "إن القضية الفلسطينية دخلت بعد الموافقة على المقترحات الأمريكية مرحلة التصفية العملية، فالإجراءات اليومية جارية من اجل تنفيذ قرار مجلس الأمن (٢٤٢) الصادر في ٢٢ / ١١ / ١٩٦٧م، فقد تم وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية، وجددّت السلطة الأردنية التزامها بوقف إطلاق النار، وقالت اللجنة المركزية في بيانها.. بأن هذه الإجراءات هي اتجاه واضح لحملة ضد العمل الفدائي، وتنفيذ شرط تأمين حدود آمنة لإسرائيل بعد أن صرح وزير الخارجية الأردني يوم ٨ / ٨ / ١٩٧٠م بأن حكومته ستعترف بدولة إسرائيل التزاما بقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ والمقترحات الأمريكية بالاعتراف بالوجود الإقليمي والاستقلال السياسي لدولة إسرائيل".



وفي المقابل فقد كان القبول الأردني بمبادرة روجرز يعني الالتزام أمام الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والدول العظمى والمجتمع الدولي بوقف إطلاق النار فليس من المعقول أن يعترف الأردن بالمبادرة السلمية، ويعلن وقف إطلاق النار، بينما تشتعل حدوده مع إسرائيل بالعمليات العسكرية والفدائية وكان الأردن يأمل من منظمات المقاومة الفلسطينية تقدير موقفه، حيث أعلن الملك حسين أن القبول الأردني بمبادرة روجرز ووقف إطلاق النار هو قبول مؤقت لحين معرفة نوايا إسرائيل للإنسحاب من الأراضي العربية المحتلة.

انفجار الموقف:

كانت أولى النتائج السلبية للموافقة المصرية والأردنية على قرار وقف إطلاق النار إلغاء قيادة الجبهة الشرقية واندلاع الخلافات بين العراق وسوريا من جهة، والأردن والجمهورية العربية المتحدة (مصر) من جهة ثانية.

أما ثاني النتائج السلبية وأخطرها فهو أن المقاومة الفلسطينية أصبحت في مواجهة تحول عربي بالموافقة على مشروع روجرز والقبول بوقف إطلاق النار، مما يفرض عليها إختيار أحد أمرين: إما التخلي عن الكفاح المسلح للتحرير والقبول بوقف إطلاق النار، وإما الدفاع عن نفسها في حال استمرارها بالرفض والمقاومة وعدم قبولها بوقف إطلاق النار، والأمران كلاهما مر، ويلزم اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية باتفاق جميع فصائل المقاومة على رفض قرار وقف إطلاق النار، مما جعلها تقف مباشرة أمام مواجهة وشيكة للدفاع عن نفسها ووجودها، وفي كلمة ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في أحد معسكرات التدريب التابعة لحركة «فتح» قال: إننا نقول لكل العالم أنه لن يمر مشروع من مشاريع التسوية أو التصفية، وأية مؤامرة كانت على هذا الشعب لن تمر إلا على أجسادنا.

وطبقا لما هو متوقع فقد انطلقت يوم ٢٦ / ٨ / ١٩٧٠م بعض الحوادث والاشتباكات الفردية، إلا أن تصريحاً لمصدر وزاري أردني مختص حول هذه الحوادث صدر في اليوم نفسه أشار إلى التعاون بين قوى الأمن العام وقيادة الكفاح المسلح من أجل تطويق الحوادث المؤسفة مما ساعد على إعادة الحال في العاصمة عمان إلى الوضع الطبيعي.

وبدورها أصدرت اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية بيانا في اليوم نفسه أيضا (٢٦ / ٨ / ١٩٧٠م) اعتبرت تلك الحوادث والاستفزازات مقدمة لتوتير الأجواء السياسية

عشية انعقاد الدورة الطارئة للمجلس الوطني الفلسطيني، وأن اللجنة المركزية تحذر من وجود جهات مشبوهة تهدف إلى خلق أجواء من الصدام الدموي بين أبناء الشعب الواحد من فدائيين وجنود.

وبتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٩٧٠م انعقدت الدورة الطارئة للمجلس الوطني الفلسطيني في عمان بحضور وفود رسمية من عدة دول ومنظمات تحررية، وفي الجلسة الختامية كانت كلمة ياسر عرفات تجسد خطورة الموقف حيث قال: «نحن في منعطف خطير ودقيق علينا جميعا أن نواجهه بكل شجاعة، وبكل ذكاء، وبكل حنكة، وصحيح ما قاله أخي ممثل حركة الفهود السود.. قطرة دم وقطرة عرق وقطرة حبر، ولكننا الآن بحاجة إلى قطرات من الدم وقطرات من العرق وقطرة واحدة من الحبر».

وقد أكد المجلس الوطني الفلسطيني في قراراته على أن واجب شعب فلسطين والشعب العربي عامة في هذه المرحلة النضالية الحاسمة يجب أن لا يقتصر على مجرد إعلان الرفض للحلول الإستسلامية والمؤامرات التصفوية للإمبريالية الأمريكية، بل عليه أن يصنع وينفذ الخطط العملية النضالية من أجل إحباط جميع المشاريع والخطط وحماية الثورة المسلحة واستمرارها، كما يؤكد على أن الساحة الأردنية بحكم واقعها السياسي والوطني والاجتماعي هي الساحة الأساسية التي يمكن فيها البدء بعملية إحباط الحلول. ودعا المجلس في قراراته إلى تشكيل هيئة قيادية شعبية عربية تمثل تحرك الشعب العربي وتقوده في نضاله، وطالب المجلس الدول العربية المعنية إطلاق حرية جيش التحرير الفلسطيني ووضعه بالفعل تحت تصرف قيادة منظمة التحرير الفلسطينية لتقوم بدورها في تحريك هذا الجيش ونقله إلى الأماكن المناسبة التي يجب أن يكون فيها وخاصة في الأردن، ودعا الأنظمة العربية التي أعلنت رفضها لمبادرة روجرز إلى ترجمة هذا الموقف ودعم المقاومة.

من جهته وجه الملك حسين بن طلال خطابا إلى الشعب يوم ٢٩ / ٨ / ١٩٧٠م أوضح فيه: «أن التحرك السياسي الذي اتجه إليه الأردن والجمهورية العربية المتحدة أحدث رد فعل غير إيجابي في بعض الأقطار العربية الشقيقة، وفي منظمات المقاومة الفلسطينية، ورأت فيه هذه الأوساط سلوك طريق سلمي لا يتفق مع طريق النضال المسلح، وقد أوضحنا بما لا يدع مجالا للشك أننا واقعا طليعة هذا النضال المسلح ومضمونه وصداه شاء من شاء وأبى من أبى.. ثم إننا في جهودنا المتعددة الميادين إنما نعمل على استرداد الأرض المحتلة وتحرير شعبنا فيها



وإنقاذ المدينة المقدسة من أن يغيبها العدوان، وقد درجنا في هذه المملكة على سياسة عربية موحدة بحكم قوميتنا ووضعنا ومركزنا بين الشقيقات العربيات وأن نجعل من ترابنا الوطني موقعا لكل قوة عربية تحب أن تقف معنا هنا في جبهة النضال».

الشرارة التي أحرقت السهل:

انطلقت الشرارة، التي بدأت في إحراق السهل، ليلة ٢٨ / ٨ / ١٩٧٠م، حين قامت عناصر تابعة للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين بمحاولة إلصاق منشورات على واجهة البريد الآلي في عمان، وعندما حاولت الحراسات منعهم انسحبوا إلى الجهة المقابلة من الشارع واخذوا يطلقون النار بكثافة وعددا من الصواريخ على مبنى البريد لمدة ثلاث ساعات ما أدى إلى بث الرعب في المدينة. وذكر تصريح رسمي أردني: أنه عندما تكاثر إطلاق النار اضطرت العناصر التي كانت داخل البناية وكان من بينها عدد من عناصر الكفاح المسلح إلى الرد على إطلاق النار، واستمر الوضع على هذه الصورة حتى حوالي الساعة الحادية عشرة إلا عشر دقائق ليلا، حين بدأت عناصر تلك المنظمة تطلب بوساطة مكبرات الصوت إلى العناصر الموجودة داخل البناية إلقاء السلاح والاستسلام وإخلاء البريد الآلي، وإلا فإنهم سيدمرونه، وحوالي الساعة الحادية عشرة أطلقوا ثلاثة صواريخ على بناية البريد، واستمر تبادل إطلاق النار بغزارة ثم توقف في الساعة الثانية عشرة بعد وصول المزيد من قوات الأمن العام وجيش التحرير والكفاح المسلح وبعد الجهود الكبيرة التي بذلتها اللجنة المركزية للمقاومة.

عقدت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية في أعقاب هذا الحادث اجتماعا يوم ٢٩ / ٨ / ١٩٧٠م ناقشت فيه أسباب الحوادث التي أسفرت عن استشهاد عدد من المواطنين وجنود الجيش الأردني وجنود جيش التحرير الفلسطيني والفدائيين، وأكدت أنها مصممة على صيانة أمن الثورة والعمل الفدائي، وأنها لن تتراخى في إنزال أشد العقاب بكل إنسان يعبث بأمن المواطن باسم العمل الفدائي، وقررت تعزيز الكفاح المسلح وإعطاء الصلاحيات بممارسة الرقابة والسلطة الكاملة على جميع عناصر الفدائيين في المدن والقرى والمخيمات، وناشدت الحكومة الأردنية أن تقوم بواجبها وتمنع تلك التصرفات التي تخلق حالة من الذعر في نفوس المواطنين.

ثم جاء يوم ١ / ٩ / ١٩٧٠م لينذر بأسوأ التطورات، فقد صدر بيان رسمي أردني يشير إلى

أنه بينما كان موكب الملك حسين متوجها إلى مطار عمان «مطار ماركا القديم» أطلق مسلحون النار على الموكب الملكي قرب مقطع سكة الحديد على طريق عين غزال، حيث فجر هذا الحادث معارك ضارية بين الجيش والفدائيين الذين نفوا أي علاقة لهم بالحادث، ولم يخفف من وطأة ذلك اليوم العصيب سوى خطاب العقيد معمر القذافي الذي ألقاه في الاحتفال بذكرى ثورة الفاتح حيث قال: «بأن الجمهورية العربية الليبية يقلقها ما سمعته من أعمال مصادمات ومضايقات ومطاردات للمقاومة الفلسطينية في الأردن بالذات، وأن الجمهورية العربية الليبية سوف تعيد النظر فيما لها من مواقف في تلك الساحة، كما إننا نستمر في التنبيه على المنظمات وخاصة مواقف المنظمات الإنشقاقية والإنحرافية التي تدين بالعمالة لعواصم أجنبية، وأن الجمهورية الليبية ليست على وفاق مع أولئك الإنشقاقيين المنحرفين الذين يستوردون المبادئ والعقائد التي لا يمكن أن تنمو فوق الأرض العربية ذات التراث العظيم وذات الحضارة العظيمة، وذات التاريخ المجيد المقدس، وينشقون عن المقاومة الفلسطينية الأصيلة».

خطف الطائرات يزيد التوتر:

بينما كانت الإشتباكات متواصلة خلال الأيام الأولى من شهر ٩-١٩٧٠م وكانت المنطقة تشهد تداعيات مبادرة روجرز، كانت قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تعتبر أن: «القبول بالتسوية السلمية يعني القضاء على المقاومة الفلسطينية». في هذه الأجواء وجه الدكتور جورج حبش(٩) رسالة إلى وديع حداد يمكن اختصارها بكلمتين هما: (أشعل المنطقة)، وهذا يعني أن المطلوب من وديع حداد كان القيام بعملية تقلب الأجواء والمعادلة، وهكذا بدأ التحضير لخطف

٩ الدكتور جورج نقولا رزق حبش، ولد في مدينة اللد ١٩٢٥م درس في فلسطين، ثم انتقل إلى بيروت عام ١٩٤٤م للإلتحاق بكلية الطب في الجامعة الأمريكية وتخرج منها عام ١٩٥١م، وتزوج من ابنة عمه هيلدا حبش عام ١٩٦١م، وأنجب منها ابنتان هما: ميساء ولمى، وحمل لقب «حكيم» أثناء معالجة أبناء شعبه في مستوصف مدينة اللد عندما عاد إليها في حزيران ١٩٤٨م، رغم أنه كان ما يزال طالبا في كلية الطب ومساعدا للطبيب مصطفى زحلان، قام د.جورج حبش مع مجموعة من رفاقه هم وديع حداد، هاني الهندي، أحمد الخطيب، صالح شبل، حامد جبوري وآخرين بتأسيس حركة القوميين العرب عام ١٩٥١م التي عقدت مؤتمرها الأول في عمان عام ١٩٥٦م بعد العدوان الثلاثي على مصر، وبدأت الحركة ممارسة الكفاح المسلح وسقط أول شهيد لها وهو «خالد الحاج أبو عيشه» عام ١٩٦٤م، بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م أسس مع رفاقه الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. وفي عام ٢٠٠٠م طلب من المؤتمر العام السادس للحركة إعفاءه من المسؤولية بسبب المرض، حيث تفرغ لكتابة تاريخ القوميين العرب والجبهة الشعبية وتجربته النضالية، كما أسس مركزا للدراسات، ونشط في مجال مقاومة التطبيع وتفعيل لجان حق العودة، توفي الدكتور جورج حبش يوم ٢٦/١/٢٠٠٨م ودفن في عمان بعد معاناة طويلة مع المرض.



مجموعة من الطائرات(١٠) فقامت مجموعة تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باختطاف عدد من الطائرات المدنية يوم ٦ / ٩ / ١٩٧٠م، حيث سيطر مسلحون من هذه الجبهة في الأجواء الأوروبية على طائرة من طراز «بوينغ ٧٠٧» تابعة لشركة (TWA) وعلى طائرة من طراز "بوينغ جامبو –٧٤٧ " تابعة لشركة بان أمريكان، وطائرة ثالثة من طراز "دي سي ٨" تابعة لشركة سويس اير، وأجبروا طائرة بان أمريكان على التوجه إلى القاهرة بعد هبوطها في مطار بيروت، وتم في القاهرة الإفراج عن الركاب ونسف الطائرة، في حين اجبروا طائرتي سويس اير وتي دبليو ايه على الهبوط في "مطار الثورة" في الأردن(١١).

وبينما كان العالم مشغولا بحوادث خطف تلك الطائرات تعرضت طائرة رابعة تابعة لشركة طيران «العال» الإسرائيلية لمحاولة خطف فوق الأجواء البريطانية، لكن حراس الطائرة قتلوا أحد الخاطفين (باتريك ارجيلو من نيكاراغوا) وسيطروا على زميلته «ليلى خالد» وهبطت الطائرة في مطار هيثرو بلندن، حيث تم تسليم ليلى خالد للشرطة الإنجليزية، وبهدف الإفراج عن ليلى خالد وجثة الخاطف سيطرت مجموعة أخرى تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يوم ٩ / ٩ / ١٩٧٠م على طائرة من طراز (بي. او. ايه. سي) وقادتها هي وركابها البريطانيين إلى مطار الثورة.

شكلت أزمة اختطاف الطائرات حالة إرباك للقيادة الفلسطينية التي كانت حريصة على عدم إعطاء «المتربصين» فرصة الإستفادة من الرأي العام العالمي، الذي يعارض عملية الاختطاف، ويصفها بالإرهاب، وحرصت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية على انتزاع فتيل الخطر من صاعق الإنفجار بالعمل على تأمين سلامة ركاب الطائرات.

على الرغم من عدم الموافقة على الأسلوب الذي اتبعته الجبهة الشعبية وكذلك التوقيت والمكان إلا أن الوضع الداخلي والحفاظ عليه اقتضى إصدار بيان من اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية حول الإفراج عن ركاب الطائرات المحتجزة لدى الجبهة الشعبية في مطار الثورة، وقد نص البيان على:

نقل جميع الركاب إلى عمان ووضع هذا الإجراء موضع التنفيذ.

---

١٠ غسان شربل، انظر: أسرار الصندوق الأسود، ص٤٩.

١١ مطار الثورة: عبارة عن مطار قديم أو مهبط طائرات كان يستخدمه البريطانيون في الحرب العالمية الثانية تحت اسم «مطار داوسن» ويقع خلف معسكر شويعر الأردني في الطريق من الزرقاء إلى مدينة الأزرق، واكتسب المطار اسم «مطار الثورة» اثر هبوط الطائرات المختطفة فيه.

الإفراج عن جميع الركاب من مختلف الجنسيات باستثناء الإسرائيليين ذوي الصفة العسكرية، لدى صدور تصريح رسمي من الحكومات الأجنبية المعنية بالتعهد بإطلاق سراح الفدائيين الفلسطينيين المسجونين والموقوفين في ألمانيا الغربية وسويسرا وبريطانيا.

الإفراج عن الطائرات الثلاث وملاحيها حال وصول الفدائيين المذكورين أعلاه إلى الأردن، أو أي قطر عربي آخر، بالإضافة إلى جثة الشهيد النيكاراغوي الذي قتل في طائرة (العال) الإسرائيلية التي هبطت في مطار لندن.

الاحتفاظ بالركاب الإسرائيليين ذوي الصفة العسكرية في عمان ريثما يتم الوصول إلى اتفاقية في المحادثات الجارية مع الصليب الأحمر من أجل أن تفرج السلطات الإسرائيلية المحتلة عن العدد الذي يتم الاتفاق عليه من الفدائيين والفدائيات الفلسطينيين المسجونين في سجون إسرائيل، ويتم الإفراج عن الركاب الإسرائيليين المذكورين حال وصول الفدائيات والفدائيين الذين يتم الاتفاق على الإفراج عنهم من السجون الإسرائيلية.

يقوم "الهلال الأحمر الفلسطيني" بمشاركة "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في المباحثات الجارية مع الصليب الأحمر الدولي بتنفيذ جميع هذه الإجراءات.

اللجنة المركزية وهي تتخذ هذه القرارات إنما تنطلق من الدوافع الإنسانية للمحافظة على حياة جميع الركاب، وتقديم كل رعاية لهم، وترغب اللجنة المركزية أن تكشف عن زيف الدعاوى الإستعمارية بالاهتمام بحياة هؤلاء الركاب في حين أن هذه الأوساط التي خلقت مأساة شعب فلسطين، وشردته من وطنه، وفرضت عليه الحياة عبر عشرين سنة ولغاية الآن في أقسى ظروف العيش، وبدلا من وضع حد لمأساة شعب فلسطين بالعمل على إعادته لوطنه، تحاول الآن فرض حياة التشرد واللجوء عليه إلى الأبد، وإغتصاب وطنه نهائيا وفقا للسياسات الاستعمارية في منطقة الشرق الأوسط.



حطام إحدى الطائرات التي اختطفت من قبل الجبهة الشعبية عام ١٩٧٠م

وجاءت التطورات على الأرض أسرع من المتوقع، حيث قامت أمريكا بسد الطرق أمام تنفيذ «مطالب الجبهة الشعبية»، كان رد فعل الجبهة القيام بتفجير الطائرات ما أدى إلى ازدياد حالة الإرباك التي تعيشها الساحة الفلسطينية، وقد أصدرت الجبهة الشعبية البيان الآتي لتبرر به عملية التفجير: «استجابة للدوافع الإنسانية تعلن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أنها قامت بإخلاء الطائرات الثلاث التي تسيطر عليها من ركابها، وإخلاء سبيل هؤلاء الركاب ما عدا حوالي الأربعين شخصا ممن ينتمون إلى الجنسيات الإسرائيلية والأمريكية والسويسرية والألمانية والإنجليزية، والذين بقوا محتجزين لدى الجبهة بعضهم برهن التحقيق، وبقيتهم كرهائن مقابل إطلاق سراح أسرى الثورة الفلسطينية في كل من إسرائيل وسويسرا وألمانيا وبريطانيا».

وأصدرت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية قرارا يوم ٧ / ٩ / ١٩٧٠م بتجميد عضوية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في اللجنة المركزية وكشفت أن وفدا من اللجنة المركزية قد ذهب إلى موقع الطائرات بعد أن فشلت المحاولة الأولى، إلا أن الجبهة الشعبية لم تلتزم بقرارات اللجنة المركزية وعليه فقد قررت:

تجميد عضوية الجبهة الشعبية في اللجنة المركزية نظرا لخرقها بيان ٦ / ٥ / ١٩٧٠م الذي تشكلت بموجبه اللجنة المركزية وخرقها لقرارات اللجنة المركزية الصادرة يوم ٦ / ٩ / ١٩٧٠م.

إدانة تصرفات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وعدم التعامل معها لعدم التزامها بالاتفاقات والقرارات الصادرة عن اللجنة.

الوقوف بحزم ضد أية تصرفات من قيادة الجبهة الشعبية تمس سلامة وأمن الثورة، أو تحرفها عن معركتها الحقيقية ضد العدو الصهيوني.

وحول أزمة احتجاز الرهائن يذكر الدكتور جورج حبش تفاصيلها قائلاً: "احتجزنا الرهائن

والطائرات إلى ١٣ / ٩ / ١٩٧٠م أي لمدة أسبوع بعدما اتخذنا قرارا بنسف الطائرات، ونقل الرهائن إلى عمان لاستكمال الإتصالات والمفاوضات مع الجهات الدولية المعنية(١٢) في هذه الأثناء اتصلت بنا السفارة المصرية في عمان وقالت إن الرئيس جمال عبد الناصر يتمنى عليكم إنهاء موضوع الرهائن، على أن تتولى الحكومة المصرية عمليات نقلهم ومتابعة المطالب التي أعلناها، وافقنا على طلب الحكومة المصرية؛ لأن قضية الرهائن لم تعد تحتل مكانا مهما بالقياس إلى ما هو حاصل من معارك ومجازر، ولأن مصير الثورة ووجودنا أهم بكثير من الرهائن، وهكذا أنهيت العملية من دون أن تحقق الهدف الأساس منها وهو إطلاق المعتقلين في سجون الإحتلال. حينما سُئِل إذا كان لوديع حداد دور في هذه العملية فقال: بالطبع كان لوديع حداد دور أساسي فهو كان المشرف الأول على العمليات الخاصة، لكن تنفيذ العملية تم بقرار سياسي من الجبهة، بالمناسبة كان وديع حداد موجودا في منطقة خطف الطائرات لكنه غادر المكان قبل أيلول بأيام معدودة إلى مكان آخر وتسلم الرهائن عقيد مصري اسمه إبراهيم الدخاخني (سامي) الذي قام بالإفراج عن جميع الرهائن دون أن يصاب أي منهم بأذى(١٣).

وفي هذا السياق يضيف اللواء إبراهيم الدخاخني: بعد اختطاف الجبهة الشعبية للطائرات، وبعد تفجيرها والاحتفاظ بركابها كرهائن: جاءت برقية من الرئيس جمال عبد الناصر، موجهة للأخوة الجبهة الشعبية «جورج حبش» بأن هذا العمل يضر بالقضية الفلسطينية، ويرجو إخلاء سبيل الركاب.. حملت البرقية وقابلت الأخوة د.جورج حبش، ووديع حداد، وكان أبو مصطفى ياغي، وبعد أن أمر د. جورج حبش بتسليمي الرهائن، قمت بتقدم الرهائن وأنا أحمل منديلاً أبيض، وتوجهت بهم إلى شركة الدخان بمنطقة راس العين ومن هناك ركبنا إلى السفارة المصرية وكان اتصالي مع رئيس الأركان الأردني حيث طلبت منه تأمين الطريق، وبعد وصولنا إلى السفارة المصرية طلب مني رئيس الأركان الأردني التوجه بهم إلى مستشفى المعشر، وفعلا ذهبت إلى هناك، لأجد خلافاً بين ممثل السفارة الأمريكية بعمان وممثل الصليب الأحمر الدولي على من يستلم الرهائن.. وهنا طلب الطرفان رأيي في ذلك فقلت أن الصليب الأحمر هو الأحق وهو المسؤول عن حماية الرهائن كما نصت عليه المعاهدات الدولية.. فامتثل الفريقان لرأيي، وفعلا تم تسليمهم إلى الصليب الأحمر الدولي، وقد كان بين الرهائن حاخام بالجيش الإسرائيلي(١٤).

---

١٢ يقول بسام أبو شريف «مع خيوط الفجر الأولى ليوم ١٥/٩/١٩٧٠م اقتربت سيارات المقاتلين من موقعنا، فيما سارت الأخيرة نحونا ببطء، ضغط الضابط على جهاز التحكم عن بعد فدوّت السماء والتهبت، وتناثرت قطع الطائرات الثلاث وحطامها لمسافات بعيدة، ويوم ٩/١٦ اندلعت المعارك مع الحكومة الأردنية فازدادت عملية حماية الرهائن صعوبة يوما بعد يوم، انظر، بيروت مدينتي، ص٢٣٤.

١٣ غسان شربل: الصندوق الأسود، مصدر سابق.

١٤ مقابلة شخصية مع اللواء إبراهيم الدخاخني.



اللواء أبو الطيب مع اللواء إبراهيم الدخاخني بالقاهرة بتاريخ ٧ / ١١ / ٢٠١٢م

اتفاق وقف اطلاق النار ٨-٩-١٩٧٠م:

بعيدا عما تركه حادث اختطاف الطائرات من إضافات مؤلمة لمشهد المعارك والاختراقات بين الجيش والفدائيين فقد تمكنت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية من إصدار بيان مشترك بشأن وقف إطلاق النار، وذلك بناء على طلب الحكومة الأردنية في اجتماع جرى يوم الثلاثاء الموافق ٨ / ٩ / ١٩٧٠م لتهدئة الأمور، إلا أن البيان المشترك الداعي لوقف إطلاق النار فورا لم يصمد لساعات، حيث أعلنت اللجنة المركزية بأن قوات الجيش الأردني لم توقف عمليات القصف والحصار لقواعد الفدائيين في إربد، وإن اللواء المدرع الأربعين يضرب القواعد بالمدفعية الثقيلة حيث استشهد ثلاثون فدائيا وجرح أربعون آخرون.

وإزاء هذا الإختراق ناشدت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيان لها يوم ٩ / ٩ / ١٩٧٠م الملك حسين بن طلال حقن الدماء وفصل العناصر المسبّبة لجميع الاختراقات، وفي صباح يوم ١٠ / ٩ / ١٩٧٠م اجتمعت اللجنة العربية الخماسية(١٥) وتداولت في الموقف

١٥ تشكلت اللجنة الخماسية خلال اجتماع مجلس الجامعة العربية في القاهرة يوم ١٩٧٠/٩/٦م وضمت مصر، ليبيا، السودان، الجزائر، والأمانة العامة لجامعة الدول العربية وكان الهدف من تشكيلها مراقبة تنفيذ الاتفاقات المعقودة بين منظمة التحرير الفلسطينية والأردن. انظر: الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية، ١٩٧٠م، ص١٢٧.

والأحداث الجارية، وقدمت مذكرة لكل من الحكومة الأردنية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية جاء فيها: «بأن اللجنة الخماسية مستشعرة واجبها المقدس والمنصوص عنه في قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم (١٦٦٥) ترى الآتي:

على ضوء ما حدث يوم الثلاثاء ٨ / ٩ والأربعاء ٩ / ٩ والخميس ١٠ / ٩ فإن كلا الطرفين لم يتقيد بإيقاف إطلاق النار، وعليه تطلب اللجنة الالتزام به.

الإلتزام بتنفيذ اتفاقية ١٠ / ٧ / ١٩٧٠م الداعية إلى تشكيل لجان تحقيق مشتركة وتشكيل دوريات مشتركة لمراقبة وقف إطلاق النار.

ترى اللجنة أن يتم تنفيذ هذه الطلبات حتى صباح ١١ / ٩ / ١٩٧٠م وإذا انفضت تلك المدة ولم يتم تنفيذ المطلوب فإن اللجنة ستجد نفسها مضطرة لرفع تقرير بذلك إلى مجلس الجامعة تبين فيه استحالة تحقيق أي من الأمور، ما لم تكن هناك سيطرة من القيادات المعنية.

لقد كانت الحرب دائرة بكل أنواع الأسلحة، وكانت الحرب الإعلامية لا تقل عنها خطورة، مما أشعر الجميع فلسطينيين وأردنيين وعرب بأن الأمور تتجه نحو الحسم القاطع بين السلطة الأردنية والفدائيين، إلا أن هذا الشعور أجبر الطرفين يوم ١٥ / ٩ / ١٩٧٠م إلى التوصل إلى اتفاق هذا نصه:

تستبدل الحراسات القائمة حالياً في جميع المواقع في مدينة عمان بشرطة مدنية، وهذا يشمل السفارات والمرافق العامة، ولا يشمل الديوان الملكي وقصر زهران والقلعة والحاووز في جبل التاج.

تخفيف الحراسات القائمة حالياً في الحاووز في جبل التاج والقلعة.

تسحب جميع قوى الأمن التي إحتلت أماكن حديثا.

تسحب كافة القوات العسكرية من حول عمان.

ينسحب الفدائيون من جميع المواقع التي احتلوها أخيرا في شوارع عمان.

ترفع كافة الحواجز من كافة الطرقات العامة.

عدم قيام الفدائيين بالتعرض للمدنيين والعسكريين.

يمتنع الفدائيون عن تفتيش البيوت وإعتقال الأشخاص.

عدم تعرض رجال القوات المسلحة والأمن العام لأي عنصر فدائي في أي مكان.

يكون هناك وجود رمزي للكفاح المسلح في المناطق الآتية: البريد، مولدات الكهرباء والمياه في رأس العين.



تسحب القواعد العسكرية للفدائيين من عمان.

يتم تنفيذ هذه الإجراءات ابتداء من صباح ١٦ / ٩ / ١٩٧٠م.

تشكل لجنة مشتركة من الآتية أسماؤهم:

عن الحكومة الأردنية: اللواء الركن محمد خليل عبد الدايم، العقيد عبد الرحمن محادين، العقيد العيط مطر، المقدم خليل قعوار.

عن اللجنة المركزية الفلسطينية: العقيد أحمد عفانة، العقيد سمير الخطيب، المقدم عبد الرحمن العرموطي، والمقدم أبو علاء.

ويتم تطبيق بنود هذا الاتفاق في جميع مدن المملكة..

تشكيل الحكومة العسكرية:

وجه الملك حسين رسالة إلى الفريق مشهور حديثة بمناسبة إعفائه من منصبه جاء فيها أنه يقدر شخصيا الجهود القصوى التي بذلها في الآونة الأخيرة موضحا أن الظروف الدقيقة والأخطار الوشيكة قد اضطرته إلى اتخاذ عدد من الإجراءات للمحافظة على الوطن.

في إطار خطوات الملك حسين بعد إعفاء الفريق مشهور حديثة قرر تعيين المشير حابس المجالي قائدا عاما للقوات المسلحة الأردنية، وقال في الرسالة الملكية الموجهة إليه أن الأردن يجتاز مرحلة خطرة، ويواجه خطرا موجها ضده وضد الشعب بأسره، لذلك فإنه ينتظر من المشير حابس المجالي أن يقوم بدوره بالنظام والدقة المتعارف عليهما عسكريا لمواجهة التحدي أو أي محاولة شريرة هدامة.

كما قدم رئيس الوزراء الأردني عبد المنعم الرفاعي إستقالته صباح يوم ١٥ / ٩ / ١٩٧٠م تمهيدا لقرار الملك حسين الرامي إلى تشكيل حكومة عسكرية مؤقتة برئاسة الزعيم محمد داوود.

لقد كان رئيس الوزراء عبد المنعم الرفاعي والفريق مشهور حديثة أصحاب دور ورؤية ثاقبة وعلى قدر كبير من المسؤولية في ضبط الأمور وتوطيد العلاقات بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية، وثبت بالدليل القاطع أنهما عملا بصدق على تنفيذ توجيهات الملك حسين لحماية العمل الفدائي، إلا أن الجهات التي كانت متربصة بالأردن وبالمقاومة الفلسطينية أسهمت إلى حد بعيد في إيصال الأوضاع إلى ما وصلت إليه، وعليه فقد كان كتاب التكليف الملكي للزعيم محمد داوود يحمل في مضامينه كل مبررات ضبط الأوضاع، حيث طالبة الملك معالجة الموقف

بما يتطلبه من جهد وحزم وثبات لإعادة الأمن والنظام والاستقرار، وأتبع الملك حسين في اليوم التالي (١٦ / ٩ / ١٩٧٠م) موقفه بخطاب إلى المواطنين طالبهم بالوقوف صفا واحدا، وأن يقدموا للحكومة والمسؤولين التعاون المخلص والتجاوب المطلق.

وفور تشكيل حكومة الزعيم محمد داوود العسكرية اتخذ مجلس الوزراء قرارا بتعيين المشير حابس المجالي حاكما عسكريا عاما، وبدوره اصدر المشير حابس المجالي قرارا بتعيين القادة العسكريين الآتية أسماؤهم:

الزعيم مازن العجلوني نائبا للحاكم العسكري العام.

اللواء قاسم المعايطة حاكما عسكريا محليا لمحافظتي الكرك والبلقاء.

العقيد كاسب صفوق حاكما عسكريا لمحافظة العاصمة.

الزعيم بهجت المحيسن حاكما عسكريا محليا لمحافظة إربد.

الزعيم محمد إدريس حاكما عسكريا محليا لمتصرفية الزرقاء.

الزعيم سالم عودة نجادات حاكما عسكريا محليا لمحافظة معان.

وبعد الانتهاء من مراسيم تشكيل الحكومة العسكرية وجهت بيانا إلى المواطنين يوم ١٦ / ٩ / ١٩٧٠م قالت فيه: «أنها ستضرب بيد من حديد على أيدي العابثين والمضللين، وإن ثقتنا كبيرة في تعاونكم مع الحكومة ودعمكم لها، وإن ما يجري على أرضنا ليس وليد صدفة، بل إنه جزء من مخطط تآمري يستهدفنا مثل غيرنا، بل يخشى أن يكون تمهيدا لاجتياح جديد بعد أن تستنزف في ظلال الفوضى كل قواتنا وطاقاتنا، وتعدل عنا رفيقة دربنا وكفاحنا شقيقتنا الكبرى الجمهورية العربية المتحدة بكل طاقاتها الهائلة وقدراتها الجبارة التي بدونها لا يمكن أن نمسك بزمام المبادرة والسيطرة في المعركة، وبذلك نمكن العدو من تكريس احتلاله لأرضنا وتهديد أخواننا وأهلنا، ولهذا فإن قواتكم المسلحة التي جاءت لتمنع وقوع كارثة جديدة لا يعلم إلا الله نتائجها، بعد تخاذل بعض أجهزة الحكم في مواجهة التحديات بوعي وشجاعة، لتهيب بكم أن تتسلحوا بالوعي واليقظة نابذين شائعات المضللين وأقوال المغرضين متعاونين معها في رص الصفوف وتمكين الوحدة الوطنية وكشف العملاء والدخلاء والمزايدين».

ووجهت الحكومة العسكرية في الوقت نفسه نداء إلى الفدائيين لتسليم أسلحة المليشيا الفدائية(١٦)وقالت: وليتحرك المناضلون الشرفاء إلى الأماكن التي تم الإتفاق عليها، والجيش هو منكم وإليكم سيؤمن كل التسهيلات اللازمة، ثم ليقم أفراد المليشيا بتسليم أسلحتهم إلى المنظمات التي ينتمون إليها ليعاد توزيعها على المواطنين جميعا دون إعتبارات إقليمية ووفق ترتيب جديد.

بعد ذلك بدأ الزعيم محمد داوود بإجراء الاتصالات مع اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومع رئيسها ياسر عرفات، مشيرا إلى أن حكومته تلتزم التزاما تاما باتفاقية ١٥ / ٩ / ١٩٧٠م، وإن مهمتها تقتصر على وضع تلك الاتفاقية موضع التنفيذ، وكانت تلك الاتصالات تجري عن طريق أمين طاهر شبلي رئيس اللجنة العربية الخماسية، وقد وعد ياسر عرفات في البداية بالرد على طلب الحكومة بعقد اجتماع بين الطرفين للتباحث والتفاهم، لكنه عدل عن ذلك فيما بعد، وكلف أبو ماهر غنيم بالرد بأنه لم يعد هناك مجال للتفاهم، هكذا وردت الرواية في البيان الذي أصدره الزعيم محمد داوود يوم ١٦ / ٩ / ١٩٧٠م.

يروي العميد الركن «عبد الرزاق اليحيى» قائد جيش التحرير الفلسطيني، والشاهد الحي على رواية الزعيم محمد داوود رئيس الحكومة العسكرية المؤقتة فيقول: «كنت أجلس بجانب ياسر عرفات عندما هاتف الزعيم محمد داوود طالبا أن يتحدث مع ياسر عرفات، وما أزال أحفظ عن ظهر قلب ما قلته له «هي الآن مسؤوليتك إذا أمكن إنهاء الموضوع سلميا وحقن الدماء، فأرجو أن تفعل هذا، أرجو أن تتكلم بهدوء، وإذا طلب اللقاء فالتق به، والذي حدث أن عرفات إستجاب لطلبي وتكلم بهدوء، ثم جري على الجانب الآخر ما عكر هدوء عرفات.. فقد أضاف الداوود مطلبا جديدا على المطالب الأردنية المألوفة وهو خروج المقاومة الفلسطينية فورا من عمان قبل أي مفاوضات بين الجانبين، بل أنه وجه هذا المطلب بصيغة إنذار، فانقطعت المكالمة.. قطعها عرفات»(١٧)...

---

١٦ المليشيا: هي قوات مدنية غير محترفة تقوم بعملية الدفاع الذاتي، وبعملها الخاص في ظل التزاماتها بالقتال، إذ أن القتال بالنسبة لها قضية تأتي بعد أعمال أخرى، وقد تعرف «المليشيا» أيضا بأنها تمثل الجماهير المسلحة أو الجماهير المنظمة والمسلحة معا، ويذكر العميد سعد صايل أنه في حرب الجنوب كانت المليشيا تردف القوات العسكرية أثناء الصدامات مع العدو، وكنا نعتمد عليها اعتمادا رئيسا في حماية الطرق الخلفية وخطوط الإمداد لقواتنا، حيث تمكنت دائما من نقل التموين للوحدات في أصعب أوقات القتال، ولقد قامت المليشيا بواجبين: بالربط بين القوات العسكرية المنتشرة وبحماية المناطق الخلفية من خطوط مواصلات ومؤسسات ومستودعات، وقد لعب هذا دوراً إيجابياً في معاركنا. (تحرير: د.محمد شتية، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية ص٥٨١).

١٧ عبد الرزاق اليحيى، بين العسكرية والسياسة (ذكريات)، صدر عن مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني، رام الله ٢٠٠٦، الفصل ١١.

قررت المنظمات الفلسطينية في مقابل تشكيل الحكومة العسكرية وضع قواتها والمليشيا تحت إمرة ياسر عرفات الذي اختير «قائدا لقوات الثورة الفلسطينية» كما أصدرت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا حول إمتناعها عن إرسال وفد يمثلها للاجتماع بممثلي الحكومة العسكرية، وكانت تنطلق من أسس واضحة وهي أنها ملتزمة بالاتفاقية التي وقعتها مع حكومة دستورية بحضور اللجنة العربية الخماسية، وأنها ترى أن الحكومة العسكرية غير مؤهلة لتنفيذ الاتفاقية الموقعة يوم ١٥ / ٩ / ١٩٧٠م بحضور اللجنة العربية الخماسية، وأن محاولة الحكومة العسكرية إبداء نية حسنة لتنفيذ الإتفاقية إنما هو محاولة لإخفاء نواياها تجاه الثورة والشعب.

تحرك ياسر عرفات حيث وجه رسالة إلى الملوك والرؤساء العرب شرح فيها تطورات الموقف مشيرا بأن اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية «فوجئت يوم ١٦ / ٩ / ١٩٧٠م بتشكيل الحكومة العسكرية وتنصيب الحكام العسكريين من ضباط الجيش لجميع المناطق، والبدء في التعبئة بعد ساعات قليلة من الإتفاق الذي تم التوصل إليه مع حكومة عبد المنعم الرفاعي، وبإشراف اللجنة العربية الخماسية وهو الإتفاق الذي يضع الأساس التمهيدي لإعادة الحياة الطبيعية للبلاد، ولإنشاء علاقات أخوية راسخة بين الحكومة والجيش الأردني من جهة وبين الثورة الفلسطينية والشعب الأردني والفلسطيني من جهة ثانية».

وفور إختيار ياسر عرفات قائدا عاما لقوات الثورة الفلسطينية اتخذ قرارا ينص على الآتي:

يمنع منعا باتا إطلاق النار على أي موقع عسكري تابع للقوات المسلحة الأردنية في المدن والقرى والمخيمات إلا إذا بدأ ذلك الموقع بإطلاق النيران، وفي هذه الحالة ينحصر إطلاق النار على الموقع العسكري الذي بدأ بإطلاق النار.

إذا حاولت أية قوة عسكرية اقتحام أي موقع للثورة يجب ردها بالقوة، وينحصر إطلاق النار بالفئة التي تحاول القوة العسكرية اقتحام مواقعها.

يلتزم كل مقاتل بتنفيذ كافة التعليمات التي تصدر إليه من قائد موقعه.

برقيات الرئيس عبد الناصر:

وفي محاولة لتدخل عربي من أجل حقن الدماء ووقف الاقتتال وجه كل من الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، واللواء جعفر النميري رئيس مجلس قيادة الثورة السوداني، والعقيد معمر القذافي رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء الليبي، رسالة إلى كل من الملك حسين بن طلال وياسر عرفات حملها إلى عمان الفريق محمد صادق رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية تطلب وقف الصدام وإتاحة الفرصة للحوار.

ورغم كل الوساطات التي قامت بها اللجنة الخماسية والاتصالات العربية فقد اشتعل الأردن اعتبارا من يوم ١٥ / ٩ / ١٩٧٠م، ولم تتوقف المعارك والإشتباكات وهو الأمر الذي اضطر الرئيس جمال عبد الناصر إلى توجيه برقية للملك حسين يوم ١٩ / ٩ / ١٩٧٠م هذا نصها:

الأخ جلالة الملك حسين بن طلال...

إن الفريق محمد صادق رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة لم يتمكن حتى الآن بسبب ظروف خارجة عن إرادته من الاجتماع بالأخ ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية برغم أن هذا اللقاء من وجهة نظرنا ضروري وحيوي لإنجاح الجهد الذي نحاول القيام به لوقف الصراع الدموي بين الأخوة في الأردن، ونحن بأمانة المسؤولية لا نستطيع ترك الموقف على هذا النحو، ولهذا فإنني أتوجه إليكم مباشرة بنداء عربي صادق مخلص بأن يتوقف إطلاق النار بأسرع وقت ولو لمدة ٢٤ ساعة لكي يتيح لأمتنا فرصة نحتاج إليها وطنيا وقوميا وحتى إنسانيا.. وإن معلوماتنا عن الخسائر مخيفة وتقديراتنا للعواقب محفوفة بالخطر، وهناك آلاف الأبرياء تحت رحمة النيران أو تحت رحمة النزف في الشوارع، إن ذلك وضع لا يمكن أن تقبله أمتنا وهو عار يلحقنا جميعا أمام ضمائرنا وأمام أجيالنا المقبلة وأمام صديقنا وعدونا...

إنني أكرر النداء إليكم، وقد أبلغنا الفريق صادق أن يضع نفسه في خدمة جهد عاجل لوقف إطلاق النار ولو لمدة محدودة، ورجائي أن يتمكن من الاتصال بالأخ ياسر عرفات لكي يستطيع التنسيق، وإنني واثق من أن هذا النداء سوف يلقى استجابتكم الفورية بما يمكننا جميعا من وقف المأساة المحزنة الجارية الآن، ووضع حائل يصد المؤامرة الدولية التي تبدو في التحركات المشبوهة للأسطول الأمريكي السادس في البحر الأبيض المتوسط وهي مؤامرة تحاول أن تستغل حوادث الأردن المؤسفة بما يعطيها فرصة للتدخل، وهذا أمر لو وقع سوف تكون له عواقب وخيمة لا يمكن أن ترضى أمتنا بها أو تقبلها، إن مسؤوليتكم التاريخية في هذه الساعات حاسمة والله يعيننا على أن يقوم كل منا بواجبه.

كما بعث الرئيس جمال عبد الناصر برقية أخرى في الوقت نفسه إلى ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية هذا نصها:

الأخ ياسر عرفات

لقد أبرقت الآن إلى جلالة الملك حسين لإبلاغه أن الفريق محمد صادق رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة لم يتمكن حتى الآن بسبب ظروف خارجة عن إرادته من الاجتماع بكم برغم أن هذا اللقاء من وجهة نظرنا ضروري وحيوي لإنجاح الجهد الذي نحاول القيام به لوقف الصراع الدموي الرهيب بين الأخوة في الأردن..

إننا بأمانة المسؤولية لا نستطيع ترك الموقف على هذا النحو، ولهذا فإننا نتوجه بنداء عربي مخلص لوقف إطلاق النار في أسرع وقت ولو لمدة أربع وعشرين ساعة لكي نتيح لأمتنا فرصة نحتاج إليها وطنيا وقوميا، وإن الجمهورية العربية المتحدة تعتقد أن الشعب الفلسطيني هو العصب الحساس في النضال العربي المعاصر كله، وأن المقاومة الفلسطينية هي تجسيد حي لوجود هذا الشعب ولدوره ولآماله، وأن الجمهورية العربية المتحدة تحرص حرصا كاملا على المقاومة الفلسطينية حرصها على جنود الجيش الأردني وضباطه، فالكل أبناء هذه الأمة وهم رجالها، وفوق هذا فقد تلقينا تفاصيل محزنة عما يعانيه أهلنا المدنيين في عمان وغيرها بسبب ما يجري الآن، ولهذا كله فإنني طلبت من الملك تعاونه في وقف إطلاق النار بما يعطينا جميعا متنفسا.. ورجائي إليكم أيها الأخ أن تساعدونا من جانبكم في تحقيق ذلك حتى نستطيع تجنب موقف متفجر كما هو محزن، وآمل أن يتمكن الفريق صادق بعد ذلك من الاتصال بكم والتنسيق بطريقة حاسمة نتيجة لما تلقاه من إستجابة لجهد تقوم به الآن منزها عن الهوى يقصد وجه الحق وحده ويستهدف أمن أمتنا ومقدرتنا على مواصلة النضال.

وقد رد الملك حسين.. على برقية الرئيس جمال عبد الناصر معلنا أنه بادر على الفور إلى الإستجابة لطلبه وسوف يأمر بوقف إطلاق النار في عمان بعدما سيطر الجيش على الوضع إلا في وجه أية نار موجهة إلى القوات المسلحة والمواطنين، وبدوره أصدر ياسر عرفات نداء إلى قوات الثورة لفلسطينية بوقف إطلاق النار إستجابة لطلب الرئيس جمال عبد الناصر.

ورغم ذلك فقد اضطر الرئيس جمال عبد الناصر إلى توجيه برقية ثانية للملك حسين بشأن وقف إطلاق النار أبلغه فيها أنه تلقى من الفريق محمد صادق برقية تفيد بأنه بعد جهد طويل،



وبعد مخاطر عديدة تمكن من ترتيب لقاء مع ياسر عرفات رئيس اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك ضمن مهمته التي كلف بها من الإخوة معمر القذافي وجعفر النميري ومنه، ثم علم الآن أن المكان الذي رتب فيه الاجتماع يتعرض لقصف شديد وعنيف من جانب عناصر من الجيش الأردني، وعبر الرئيس جمال عبد الناصر عن اعتقاده بأن الملك لا يمكن أن يرضى بذلك وناشد الملك اتخاذ قرارات فورية لوضع حد لما يجري.



الخيار العسكري يفرض نفسه:

واقع الحال آنذاك صار يشير إلى أن الحكومة العسكرية الأردنية وبعد أن لجأت إلى السلاح لحسم الموقف قد بدأت ترفع من سقف مطالبها وصولا إلى «إلغاء الوجود الفدائي في الأردن» الأمر الذي أثار غضبا عارما بين القادة الفلسطينيين، ففي إجتماع اللجنة المركزية بحضور الأعضاء وكل من كان في مقر حركة فتح في جبل الحسين جرى صخب شديد، حيث طالب بعضهم بإعلان العصيان المدني ضد الحكومة العسكرية.

ويروي العميد الركن عبد الرزاق اليحيى جانبا من وقائع اجتماع اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية فيقول: «بدأت أن ذكرت الحاضرين بصفتي العسكرية، وبهذه الصفة طالبتهم بأن يعملوا كل ما يلزم لتجنيب الصدام العسكري مع الجيش الأردني، وجزمت بأن الصدام العسكري لن يفيدنا بشيء، وحذرت من أن الصدام سينهي وجودنا في الأردن ويؤدي إلى خروجنا منه وقلت أن الأردن يشكل القاعدة الاستراتيجية الأساسية ذات الأهمية القصوى لصلتنا بالأرض المحتلة ولا يجوز أن نجازف في أي نحو قد يجعلنا نخسرها، ودعيت إلى عمل دبلوماسي يجنبنا الصدام المسلح».

رغم حديث العميد الركن عبد الرزاق اليحيى ومطالبته باللجوء إلى العمل الدبلوماسي في محاولة لتجنب الصدام، إلا أن التهديد الذي تلقاه ياسر عرفات من الزعيم محمد داوود رئيس الحكومة العسكرية وانقطعت بموجبه المكالمة بينهما ترك أثراً على غالبية الحضور لاجتماع اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية الذين قرروا إتخاذ كل الخطوات للدفاع عن العمل

الفدائي، وهو الأمر الذي دفع بالعميد الركن عبد الرزاق اليحيى إلى وضع خطة الدفاع في حال هجوم الجيش فقط مع عدم البدء بالإشتباك تحت أي ظرف كان، وهذا نصها:

١ - المناطق:

أولا: يقسم القطر الأردني إلى المناطق الآتية:

منطقة إربد ومقر قيادتها في إربد وتشمل جميع القوات الموجودة في المنطقة الواقعة بين الحدود السورية شمالا إلى الخط الوهمي الممتد من دير أبو سعيد غربا إلى النعيمة فالمفرق شرقا (داخلا) يضاف إلى منطقة المفرق وادي الضليل.

منطقة جرش ومقر قيادتها في جرش، وتشمل جميع القوات الموجودة في المنطقة الواقعة بين الخط الوهمي الممتد من دير أبو سعيد إلى المفرق (خارجا) وحتى نهر الزرقاء (داخلا).

منطقة السلط: ومقر قيادتها في السلط وتشمل جميع القوات المتواجدة في المنطقة بين نهر الزرقاء شمالا وحتى محور ناعور (داخلا) ومن الشرق البقعة وصويلح، وادي السير، ناعور (داخلا).

منطقة عمان: ومقر قيادتها جبل الحسين وتشمل جميع القوات المتواجدة في مدينة عمان وضواحيها بما في ذلك الرصيفة ومأدبا والجيزة.

منطقة الزرقاء: ومقر قيادتها في الزرقاء وتشمل جميع القوات المتواجدة في المنطقة من مقطع السكة في عوجان (داخلا) إلى السخنة (داخلا).

منطقة الجنوب: ومقر قيادتها في الكرك وتشمل جميع القوات من الموجب حتى حدود السعودية.

ثانيا: تقسم مدينة عمان إلى المناطق الفرعية الآتية:

المنطقة الأولى: وتشمل النزهة – الحسين – الحدادة – جبل القصور.

المنطقة الثانية: وتشمل الشميساني.

المنطقة الثالثة: وتشمل جبل عمان واللويبدة والمهاجرين.

المنطقة الرابعة: وتشمل حي نزال – الكسارات – الزهور – الجبل الأخضر.

المنطقة الخامسة: وتشمل النظيف – المريخ – الوحدات – الأشرفية.

المنطقة السادسة: وتشمل التاج –النصر –الجوفة – نادي السباق.

المنطقة السابعة: وتشمل الهاشمي الشمالي – الهاشمي الجنوبي– المحطة.

المنطقة الثامنة: وتشمل ماركا – شنلر – الرصيفة.

ثالثا: تشكل في كل منطقة لجنة قيادة ويعين لها قائد من قبل اللجنة المركزية.

٢ - الواجبات العامة:

أولا: تكلف كل قيادة بتحقيق الآتي:

وضع خطة الدفاع الخاصة بالمنطقة مع الإهتمام بالدفاع تصدق هذه الخطط من قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني.

تشكيل قوات احتياطية مكونة من وحدات متحركة تشتمل على مجموعات هندسية وعناصر إتصال.

اتخاذ التدابير اللازمة للتأمين القتالي على النحو الآتي:

١ – تخزين مواد تموينية وذخائر لمدة أسبوع في عدة نقاط وعلى مستوى القواعد والقطاعات.

٢ – القيام بالأعمال الهندسية في القواعد والمحاور الرئيسة (سدود.. حفريات.. الخ)

٣ – تنظيم الإسعاف والإخلاء الطبي.

٤ – تنظيم الدفاع في القواعد والقطاعات.

تنظيم الإتصالات محليا، مع تنظيم رفع تقارير الموقف للقيادة.

القيام بأعمال المقاومة في الأرض المحتلة في قطاعات العمل الفدائي مهما كانت الظروف، والمباشرة فورا بتشكيل السرايا المشتركة في القطاعين الشمالي والأوسط.

الضبط والنظام والأمن في كل منطقة وكذلك تنظيم العلاقات الجيدة مع المواطنين.

المحافظة على المرافق العامة.

السيطرة التامة على النيران وخاصة نيران قوات الميليشيا.

ثانيا: تكلف منطقة الزرقاء بالدفاع عن المدينة.

٣ - الاحتياط العام:

أولا: تكليف جيش التحرير الفلسطيني بتشكيل احتياطي عام من قواته بحجم لا يقل عن كتيبة تتواجد في نقاط تحدد من قبل قيادة الكفاح المسلح.

ثانيا: تعتبر كافة إحتياطات المناطق تحت تصرف قيادة الكفاح المسلح عند الطلب.

٤- الإتصالات:

أولا: تعتبر كافة شبكات اللاسلكي العائدة لجيش التحرير والمنظمات تحت تصرف قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني وذلك لربط المناطق مع القيادة.

ثانيا: يكلف جيش التحرير الفلسطيني وفتح والجبهة الشعبية (القيادة العامة) بتأمين شبكات إتصال بين قيادة عمان ومناطقها الفرعية.

ثالثا: تكليف جيش التحرير الفلسطيني بتنظيم شبكة إتصال سلكية خاصة في جبل الحسين.

رابعا: يجري إستخدام شبكات الاتصال الهاتفي المدني والمراسلين والراجلين كوسائل اتصال إضافية.

٥ - الخدمات الطبية:

أولا: تكليف الهلال الأحمر الفلسطيني والخدمات العسكرية للجيش بفتح نقاط إسعاف في كافة المناطق الرئيسة والفرعية، وتنظيم عمليات الإخلاء وذلك بالتنسيق فيما بينهما، ويحدد عدد الأطباء والمرضين في كل نقطة حسب عدد الإصابات المحتمل.

ثانيا: تنظم لكل المصابين نماذج خاصة تحدد مكان ووقت ونوع الإصابة وجهة الإخلاء وجهته التنظيمية.

ثالثا: تعتبر المستشفيات والمراكز الطبية الآتية نقاط إخلاء للمناطق في عمان حسب موقعها: المستشفى الجراحي، مستشفى عاقلة، مستشفى ملحس، مستشفى المعشر، العيادة الشعبية التابعة للحكومة، دار الشفاء، مستشفى فلسطين، مستشفى الطوارئ، مستشفى الزرقاء العيادات الطبية في الرصيفة، عيادة الهلال الأحمر الفلسطيني، مستشفى لوزميلا المستشفى الأهلي.

٦ - نظام التعاون:

أولا: تكلف رئاسة أركان الكفاح المسلح الفلسطيني بوضع نظام للتعاون بحيث يمكن ضبط سير العمليات على أحسن وجه.

اللجنة العسكرية العليا

عنها / العميد الركن عبد الرزاق اليحيى

القائد العام لجيش التحرير الفلسطيني

أحداث حي المصاروة:

بعدما كلف الملك حسين الزعيم محمد داوود بتشكيل الحكومة العسكرية، بدا واضحا أن خريف العلاقة الأردنية الفلسطينية قد بدأ، وأن النوايا الحسنة بين الطرفين قد أخذت تتساقط كما أوراق الشجر حين تعصف بها رياح عاتية، وفي تلك الأثناء لم أكن أملك سوى الكثير من الآمال التي تئن تحت ضغوط الغضب المتزايد لدى أفراد الجيش الأردني وعناصر الفدائيين، وتملكتني جرأة تدفقت في كياني بعدما شعرت بخطورة الموقف ذلك أن حالة الدفاع عن النفس لا تنتظر لسماع صوت العقل، فالجندي لابد أن يطيع أوامر قيادته، والفدائي سيفعل الشيء نفسه، والنتيجة أن الموت سيكون وليد عملية قيصرية وليست لها علاقة بالطبيعة البشرية التي تجعل الإنسان يحب الحياة ويتعلق فيها بحبال الأمل.

تمنيت أن تحدث معجزة تنقذ الموقف، فشريان الدم الذي سيهدر واحد.. لا فرق إن كان قد شرب من ماء غرب النهر أو شرقه.. وأشرقت أمنيتي بصور إنسانية تحز في النفس، وتجعل الألم ينساب في العقل قبل الجسد، وتخيلت ذلك الجندي الذي انساق إلى المعسكر استجابة لمشاعر وطنية جياشة، وقد انحسر حلمه في أمل العودة إلى قريته وأهله وزوجته وأولاده، ولم يخطر في باله يوما أن يوجه فوهة بندقيته إلا إلى صدر العدو انتصارا لهدف إزالة آثار العدوان ودفاعا عن الحق الفلسطيني، كما تخيلت ذلك الفدائي الذي التحق بركب المقاومة الفلسطينية تعبيرا عن رفضه للعيش خارج الوطن، وقد استهواه حلم العودة فشعر أن تحرير الأرض يستحق منه الفداء بالروح والدم.

أردد كل الآهات.. وأين المفر..؟ فالمعارك ستأتي نحونا رغم عدم الرغبة في الذهاب إليها، هكذا كانت الحالة النفسية للجندي والفدائي بعد سلسلة من الأحداث والاشتباكات الدامية أوصلت الأمور إلى تشكيل حكومة عسكرية... وقد وضحت الرؤية اللعينة عندما تسلمت خطة الدفاع عن الثورة كما أعدتها القيادة (العمليات المركزية).

كانت الخطة قد قسمت عمان العاصمة إلى ثماني مناطق وشكلت اللجنة المركزية لجنة قيادة في كل منطقة وعينت قائدا لكل لجنة، وكانت المنطقة الثالثة التي تشمل جبل عمان واللويبدة والمهاجرين الشيطان ذا الرؤوس الثلاثة الذي كان من واجبي الاستعاذة بالله منه كما علمتني

والدتي رحمها الله في الصغر، إذ كانت تقول لي إذا أردت أن تطرد الشيطان فاستعذ بالله وقل «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وبعد التدقيق والتمحيص في الخطة طلبت إعفائي من المسؤولية عن جبل اللويبدة لعدم وجود خط إمداد لتلك المنطقة.

وبقي جبل عمان نزولا إلى المهاجرين في نطاق مسؤولياتي، ويا لها من مسؤوليات جعلتني ألملم وطني واحتضن ذكريات تحكي قصة الوحدة الوطنية منذ الخمسينيات في القرن العشرين، حيث كانت حدود العاصمة عمان تنتهي بجبل عمان بعد أن ترك كل من سكن على سيل رأس العين مسكنه هربا من رداءة البيئة وطمعا في عيش أفضل، فتجمع الناس في قديم عهدهم بحي المهاجرين، الموصوف بأنه حي الأغراب وغالبيتهم من الشركس والأردنيين من شتى الأصول والمنابت وبعضهم من سوريا.

بمرور الزمن، وبسبب إنتقال العائلات الثرية من جبل عمان في الدوار الأول إلى المناطق الأكثر حداثة في الدوار الثاني والثالث والمناطق المجاورة لها، بقي حي المصاروة واحدا من شوارع جبل عمان الذي يشهد حالياً على بساطة الفقراء وأولئك الذين أرادوا العيش على هامش المدينة أو بالقرب منها.. وكم أشعر بالحزن والأسى لما آل إليه حي المصاروة في الزمن الراهن، فبعد أن كان منارة لعلية القوم، ومن أنبل الأحياء وأكثرها رقيا، أصبح كما يدعي بعضهم ضحية لإهمال بعض ساكنيه الذين اختلفت جنسياتهم ووجوههم، ربما لضيق غرفه والتصاق مبانيه وقدمها، وبالتالي رخص أسعار إيجاره.

الطريق إلى حي المصاروة حالياً معبدة ومنحدرة حيث تتكاثر محلات بيع الألبسة الأوروبية المستعملة (البالة) وتدخل إلى الحي عبر درج إسمنتي قديم، فأول ما يلفت الانتباه مجموعات الصبية وهم يلعبون كرة القدم وسط الشوارع، ثم تندهش لرؤية المظهر الخارجي للبيوت المتلاصقة المطلية بدهان منبعث من عوادم السيارات في حي رأس العين المطل عليه.

عندما كلف الملك حسين الزعيم محمد داوود بتشكيل الحكومة العسكرية يوم ١٥ / ٩ / ١٩٧٠م كان جبل عمان يزهو بشارع الرينبو الذي يعني «قوس قزح» أو «طيف قزح» وبالفعل كان هذا الشارع والشوارع المتفرعة عنه يحوي كل أنواع الطيف السياسي والاجتماعي والاقتصادي الأردني، وفي الأمسيات الهادئة كان شارع الرينبو يتحول إلى «شارع العشاق والمحبين» المزدحم بالسيدات ذوات الطبقة الراقية والثرية، وبرجال الأعمال والمال والاقتصاد والسياسة بكل ألوانها وأطيافها، وآنذاك لم يكن في عمان حي أكثر رقيا وجمالية من جبل عمان، وأخص بالذكر

الدوار الأول حيث يتهادى شارع الرينبو.

لقد تراءت كل تلك الذكريات في خاطري عندما قررت أن أتخذ من حي المصاروة مقرا لقيادتي، فالمكان بسكانه وتاريخه هو تجسيد للوحدة الوطنية، وفيه نشأت السياسة الأردنية الحديثة بمولد الملك الحسين بن طلال، واستقرار كبار القادة السياسيين، وكل هذه المميزات تفرض على كل مسؤول أن يفكر مليا قبل اتخاذ أي قرار، وأن لا يتردد في التصدي لكل من يريد أن يعكر صفو هذه الوحدة الوطنية للسكان والتاريخ الأردني، ولأسباب استراتيجية فإن حي المصاروة هو الأفضل لأنه حي قديم وممراته ضيقة لا تستطيع عبورها الدبابات.

تمركز في مقر القيادة ٩٥ عنصرا من المليشيا و٧٠ عنصرا متفرغاً من ذوي الخبرات الذين أنهوا دورات عسكرية متقدمة في دمشق، وتولى القيادة العسكرية لمنطقة جبل عمان عن المليشيا فؤاد البيطار الذي كان مسافرا يوم الإشتباك، وكانت قوات المليشيا تحت قيادة نائبه مجدي الأنصاري «علي الزيبق»، بالإضافة لهذه القوات كانت بعض الوحدات الرمزية لقوات بعض التنظيمات الفلسطينية ومنها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة العربية لتحرير فلسطين. وعندما تسلمنا خطة القيادة التي أعدها العميد الركن عبد الرزاق اليحيى قائد جيش التحرير الفلسطيني حينذاك دعا إلى اجتماع طارئ تم خلاله، وضع خطة الدفاع عن المنطقة (جبل عمان والمهاجرين) وجرى توزيع المهام لكل فصيل.

ورغم هذه المظاهر شبه العسكرية، فقد كانت علاقتنا بسكان الحي علاقة التحام مصير، تتميز بروح الود والتعاون، وكان الجميع يتطلع لنا بعين المحبة والأمل بالمساعدة، وما زلت حتى هذه اللحظات أتذكر وجوه الجيران وأصحاب البقالات، وأكرر ما كانوا يرددونه على مسامعي من قصص تعبر عن واقعهم وآمالهم في العيش الكريم وتطلعاتهم لمستقبل آمن يزيل تلك الغمة التي أرخت بظلالها وهمومها ومآسيها على الجميع، كان البقال «أبو أحمد» يحكي لي قصة ارتحاله من الضفة الغربية إلى عمان، وبعد أن قاسى ويلات العمل في الطوبار والبناء، تمكن من افتتاح بقالته التي جلبت له الراحة الجسدية بعد التقاعد عن أعمال البناء، كما جلبت الراحة النفسية لعائلته التي شعرت بالاستقرار، لكن «أبو أحمد» كان يشعر بالقلق على مستقبله ومستقبل أسرته، وأقصى ما كان يطمح إليه أبو أحمد هو أن يحمي بقالته خوفا أن يخسرها في حال تصاعدت أعمال العنف والقتال.

وما زلت أيضا أسمع شكوى المرأة الفاضلة «أم حسن» تلك المرأة الخمسينية التي تحولت

إلى أرملة غادرها زوجها «أبو حسن» إلى مثواه الأخير تاركاً لها إعالة «نصف دزينة» من الأولاد الأيتام لترعاهم بقضاء هزيع من الليل وهي منكبة على ماكينة الخياطة لترثي للجارات بعض الثياب أو لخياطة ملابس الأطفال التي لا يكفي الربح من بيعها لإطعام الأسرة خبزا، كنت حينذاك أزداد ألما كلما أراها تنهر أولادها بعدم اللعب في الشارع، وتحرص على أن يبقوا إلى جوارها وكأنها تستشعر ما سيحدث مع قابل الأيام. أم حسن امرأة أردنية ارتحلت مع زوجها من سحاب لينتهي بها المطاف في حي المصاروة لتتلقى بين الحين والآخر بعض المساعدات من سكان الحي الذين قدموا من سحاب أيضا، وفي تلك الأيام اكتشفت عظمة الوحدة الوطنية حين علمت أن البقال أبو أحمد كان يتكفل تلك الأسرة ببعض المواد التموينية، وأنه ما كان ليستطيع إفتتاح بقالته لولا مساعدة صديق أردني له من سحاب حيث اقرضه مبلغ مائتي دينار، وكانت آنذاك ذات قيمة كبيرة.

وكانت القوة التنفيذية لجهاز الرصد، والتي كنت اقف على رأسها، مثالا للالتزام الثوري وانعكس ذلك في تصديها للكثير من التجاوزات والأخطاء الفردية لبعض الأفراد والتنظيمات التي كانت السبب في الكثير من الأحيان في انفجار الأوضاع بين الأردن والثورة الفلسطينية، بسبب مسلكياتها الخاطئة. فقد استطعنا، وبالتنسيق مع عناصر الكفاح المسلح، ضبط الكثر من تلك العناصر وإحباط مخططاتها التي كانت تستهدف أملاك المواطنين، سواء منازل أو محلات أو شركات. ومن الجدير بالذكر فإن سوق الذهب والبنك المركزي وسط مدينة عمان كانا في عهدة الرصد المركزي ولم يتعرضا لأي اعتداء، بل أنه تم إعدام ثلاثة لصوص من المدعين بانتمائهم للمنظمات الفدائية أمام باب شركة الدخان الأردنية لتورطهم في محاولة سرقة إحدى الشركات. وكذلك فقد ساهمت القوة التنفيذية لجهاز الرصد في الحيلولة دون الاعتداء على مقرات حكومية مثلما حدث في واقعة التصدي للهجوم على مقر البريد المركزي بالتعاون مع عناصر الكفاح المسلح. فقد كانت مواقفنا تنطلق من الوعي بخطورة المرحلة وضرورات العمل على منع الانزلاق إلى الهاوية.

ومن مقر القيادة كنا نطل على الجبل الأخضر، ونمتاز بسرعة الهبوط بشارع خرفان عبر حي المهاجرين نحو منطقة رأس العين، كانت تربطنا إلى وسط العاصمة عدة شوارع أو دخلات تسهل علينا الحركة، الأمر الذي جعل مقر القيادة يمتاز بأهمية إستراتيجية في تلك الأوضاع التي أجبرنا على التعامل معها دون أن تكون لنا رغبة فيها ولم يكن بوسعنا أن نتجنبها، فقد كانت



الأوضاع بعد تشكيل الحكومة العسكرية كالقدر الذي لا مفر منه، وكانت المقاومة الفلسطينية أمام خيارين، أحلاهما مر، فإما الدفاع عن النفس لحماية المشروع الوطني الفلسطيني وتصعيد الكفاح المسلح ضد العدو الإسرائيلي أو القبول بوقف إطلاق النار مقابل تسوية غير مضمونة النتائج فلسطينياً على الأقل، وفي كلا الحالتين لا بد من الاصطدام بالأمر المحتوم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كان العقيد أحمد عفانه «أبو المعتصم» مكلفا بتوزيع القوات واختيار مراكز تخزين السلاح والأعتدة، وكنت في غالب الأحيان أساعده في مهمته التي كان كارها لها ليس عن جبن، فالرجل مشهود له بالشجاعة والإقدام ولكنه كان يشاطرني الرأي بأن هذا السلاح الذي نخزنه كان معدا لمقاتلي حركة «فتح» في قواعدهم على طول خط النار مع إسرائيل والذين ما زالوا مرابطين بكل شموخ يشاغلون العدو ليلا ونهارا في عمليات فدائية جريئة، لكن وكما يقولون ويتساءلون «ما العمل.؟» أمام القول المأثور لا بد مما ليس منه بد !! لهذا كانت تعليماتنا للمقاتلين هي «الحفاظ على مواقعنا فقط».

وكما هو معد في خطة الدفاع عن المنطقة تم وضع كمائن بالقرب من مستشفى ملحس بجبل عمان، وبالقرب من الحاووز، وكانت تحركات مجدي الأنصاري «علي الزيبق» بين المواقع تستحق كل الثناء حيث كان يقضي كل أوقاته متحركا يشجع المقاتلين على التأهب والاستعداد لحماية مواقعهم والحفاظ عليها.

بدأ هجوم الجيش الأردني على مواقعنا فجر ١٨ / ٩ / ١٩٧٠م بقصف شديد ومركز، وفي المقابل فقد كانت تعليمات القيادة إلى مواقع المقاومة بضرورة ضبط النفس، والتزم الجميع بذلك، إلا أن حالة من الغضب كانت تنتشر كالنيران في الهشيم لدى المقاتلين الذين شعروا أنهم مستهدفون لا محالة، وبسبب القصف الشديد اهتاج سكان الحي الذين انتهزوا فترة هدوء القصف لإسعاف الجرحى ونقلهم بصعوبة إلى المستشفى، في حين لم يكن هناك مجال لإقامة مراسيم الجنازة للذين سقطوا شهداء.

وانقضى اليوم الأول من القتال بتعدد عمليات القصف وتوقفه على فترات متباعدة، إلا أن تباشير صباح اليوم الثاني (١٩ / ٩ / ١٩٧٠م) كانت تحمل لنا أخبارا سيئة، فسياسة «ضبط النفس» لقوات الفدائيين في منطقة الجبل الأخضر انتهت بسقوط هذا الجبل بأيدي القوات الأردنية، بعد سلسلة من العمليات القتالية، وقد وقعت علينا تلك الأنباء كالصاعقة حيث خسرنا

نحن في جبل عمان الظهير الحامي، وأصبحنا مكشوفين تماما أمام مدفعية الجيش الأردني. وتواصل القصف علينا ليلا ونهارا طيلة أيام ١٩، ٢٠، ٢١ / ٩ / ١٩٧٠، وفتحت علينا جبهة عسكرية لم نكن نتوقعها، ونتيجة القصف خسرنا عشرة شهداء وخمسة وعشرين جريحا. وطيلة الأيام الثلاثة لم نذق طعم النوم، وبياض عيون المقاتلين تحول إلى احمرار بلون الدم، إلا أن عزائم الشباب كانت في حالة المقدرة على الصمود والثبات، وانتهزنا فترة الهدوء التي هلت علينا بعد منتصف الليلة الثالثة لتدبير الأمور، في حين أخذ بعضنا قسطا من النوم والراحة، وانشغل الباقي بترتيب تجهيزات الحماية لنا ولسكان الحي وتزويد من استطعنا الوصول إليه بالمؤن.

أشرقت شمس ٢٢ / ٩ / ١٩٧٠م على صمت مطبق من مدافع الجيش الأردني، فقمت مع مجموعة من المقاتلين عددها (١٥ مقاتل) بالتقدم نحو منطقة الحاووز، وما أن وطأت أقدامنا أول درجات الدرج الذي يربط حي المصاروة بالحاووز حتى سقطت فوقنا ثلاث قذائف هاون حصدت ثلاثة شهداء على الفور، وبفعل عملية تفريغ الهواء بسبب انفجار القذائف وجدت نفسي ملقى على الأرض أمام مدخل أحد المنازل، فاستعدت تماسكي على الفور، ونهضت لتفقد البقية رغم انطلاق الرصاص الكثيف نحونا، احتميت لبرهة منتظرا توقف إطلاق النار، وما أن حانت الفرصة حتى انطلقت عائدا إلى حي المصاروة وسط قذائف المدفعية التي انهالت علينا من الجبل الأخضر، وأنقذتني عناية الله حيث سقطت قذائف المدفعية على منزل مقابل لي يتمركز فيه عدد من المقاتلين من بينهم الأخت «سعدية « والمقاتلة إحسان برناوي فاستشهد إثنان وجرحت الأخت سعدية.

لم يتوقف القصف ويبدو أن موقعنا كان مكشوفا تماما لذلك أصبحت عملية التمركز في المكان تحمل مخاطر استشهادنا جميعا تحت الأنقاض فلم يكن أمامنا خيار سوى مغادرة الموقع على عجل والاحتماء بمكان آمن، تذكرت أن بالقرب منا مغارة فانطلقنا نحوها وبقينا هناك ما يقارب نصف الساعة حيث توقف القصف وكم كانت دهشتنا كبيرة بعد انجلاء الموقف، فالمغارة التي احتمينا بها كنا قد استخدمناها مستودعا لتخزين الذخائر والأسلحة، وسبب الدهشة أننا احتمينا بالمغارة باعتبارها مكانا آمنا لتحمينا من القصف لكننا في واقع الحال احتمينا بمكان كان من الممكن أن يقتلنا جميعا، ويسبب كارثة في الحي لو سقطت إحدى القذائف نحونا.

أصبح الوضع في جبل عمان لا يحتمل وحالة السكان ازدادت سوءا، وكثرت المخاطر وتعدد



سقوط الشهداء وتزايدت أعداد الجرحى، لكن الموقف كان ما يزال تحت السيطرة. إلا أن سكان الحارة قد تأثروا لدرجة كبيرة نظرا لسقوط عدد من الشهداء المدنيين.

وفي ذات لحظة من الهدوء وتوقف القصف المدفعي اكتشفت حقيقة كانت غائبة عنا تماما وهي اشتداد القصف المدفعي علينا وبشكل كثيف وعنيف كلما صدرت من قبلنا إحدى القذائف للرد على مصدر النيران، فعندما كنت أرصد الإذاعة الأردنية كنت استمع إلى بلاغات الجيش بالسيطرة الكاملة على جميع أحياء العاصمة عمان، وبما أننا أكثر المواقع قربا من فندق الأردن حيث ينزل فيه الصحفيون وممثلو وكالات الأنباء والسفراء والدبلوماسيون فكان لابد من إسكاتنا على الفور، ذلك أن أي إطلاق نيران من طرفنا سيشعر وكالات الأنباء والدبلوماسيين الأجانب بعدم صدقية ما تعلنه الإذاعة الأردنية. تلك الحقيقة التي اكتشفتها كانت تعني أن منطقة جبل عمان مستهدفة بهجوم واسع من قبل الجيش الأردني وقد يصل الأمر للقتال من بيت إلى بيت فالجيش لن يسمح بإطلاق النيران في مكان قريب من فندق الأردن وعلى مسمع من نزلائه. وبدافع الحرص والحيطة جمعت المقاتلين وأبلغتهم بتوقعاتي وشرحت لهم الموقف حيث لا مجال أمامنا إلا الصمود.

لم يكن بالأصل لدينا احتياط بالذخيرة يوم ٢٣ / ٩ / ١٩٧٠م، وكحل لهذه الضائقة اقترحت على مجدي الأنصاري (علي الزيبق) أن نذهب إلى مكتبنا (مقر قيادة الرصد المركزي) في جبل الحسين للتزود بالذخيرة، ووسط ذلك الجو المتوتر وغير مضمون السلامة بسبب استمرار القصف المدفعي وتبادل إطلاق النار، كان لابد من إيجاد وسيلة نقل مأمونة، وبعد تفكير طويل اهتديت إلى فكرة منقذة، حيث ذهبت يرافقني مجدي الأنصاري إلى مستشفى ملحس واستعرنا سيارة "باص صغير" تشبه سيارات الإسعاف، ثم طلبت إحضار علبة دهان وكتبنا على جانبي السيارة عبارة "مستشفى الأشرفية" وتوكلنا على الله منطلقين باتجاه جبل الحسين، وبعد رحلة طويلة وعناء شديد حيث كان كل من يشاهد السيارة يعتقد أنها سيارة إسعاف حقيقية، فكان الناس يعترضون طريقنا لنقل بعض المصابين والشهداء وهم لا يعلمون ما هوية السيارة، حيث تسبب لنا هذا الموقف بإحراج شديد ومسبات، ووصل الأمر إلى رجم السيارة بالحجارة لعدم توقفنا، ولم يكن أولئك الذين يسبوننا ويرموننا بالحجارة يدركون طبيعة مهمتنا، إلا أن الأمر الذي "زاد الطين بلّة" كما يقولون هو أنني ومرافقي علي الزيبق كنا نرتدي الزي الأبيض الخاص بالمرضين، وقد اضطرت امرأة يعصرها الألم على ابنها الجريح أن تعترض طريق

السيارة في وسط الشارع، فحاولنا تفاديها إلا أن محاولاتنا باءت بالفشل حيث أجبرتنا على الوقوف حيث لم يعد "باليد حيلة" فالوقوف لإقناعها بأي طريقة أفضل من صدمها بالسيارة: صاحت المرأة: الحقوني.. الحقوني.. ابني بيموت!! فقا لها علي الزيبق مهدئا من روعها: يا حجة نحن لسنا سيارة إسعاف!! والله العظيم لسنا سيارة إسعاف!! ردت المرأة: يا ابني الله يخليك.. أنقذوا ولدي!! قال لها علي الزيبق: أين ابنك يا حجة..؟ ابعدي شوي عن السيارة، وعندما تفاءلت المرأة بأننا سنقوم بنقل ابنها انطلقت بالسيارة بأقصى سرعة.. بينما كانت مسبات المرأة ودعاؤها علينا تتلاشى رويدا.. رويدا بعد أن تخلصنا من هذا المأزق، إلا أنني وحتى كتابة هذه السطور ما زلت أشعر "بغصة" في حلقي كلما تذكرت تلك المرأة!! إلى أن وصلنا إلى مكتب الرصد المركزي الذي كان يخلو من معظم المقاتلين حيث استقبلنا غازي الحسيني الذي ظل صامدا رغم ضراوة المعارك، ولم يغادر موقعه إلا لتفقد المواقع الأخرى في جبل الحسين، وقد أعطى بصموده وثباته المثل الذي يضرب في الشجاعة والإقدام، والقدوة التي تحظى بالاحترام والتقدير، متمسكا بجرأته دفاعا عن قدسية الهدف الوطني الذي خاطر بنفسه من أجله، وحاملا روحه على كفه من اجل تحقيقه، وبعد أن قدمت له تقريرا عن الموقف في جبل عمان استلمنا عدد من صناديق الذخيرة وبدأنا رحلة العودة إلى حي المصاروة.

كانت رحلة العودة إلى حي المصاروة مشوبة بالحذر الشديد لذلك استغرقت وقتا أطول بسبب الانعطافات الكثيرة، والتأكد من الاحترازات الأمنية، لكننا عدنا إلى مقر القيادة سالمين، وبينما كنت أهم بالنزول من خلف مقود السيارة بادرني أحد الأشخاص من سكان الحي ويعرفني جيدا وهو صاحب بقالة من قرية بيت فجار، بادرني مهنئا بالسلامة وأضاف: يا أخ أبا الطيب إن المكتوب على السيارة عبارة "مستشفى الأشرفية" فإن كنت تقصد المستشفى الموجود هناك، فاسمه "المستشفى الجراحي" أما إذا كنت تقصد مستشفى آخر فأنا لا أعلم أن في الأشرفية مستشفى بهذا الاسم، فانفجرت ضاحكا من هذه المفارقة العجيبة وأجبته: والله معك كل الحق يا صاحبي فالمقصود هو المستشفى الجراحي، وعلى الفور أمرت بكتابة الاسم الصحيح.


الشهيد اللواء عبد المعطي السبعاوي

من محاسن قيادات العمل الفدائي خلال الأزمات بقاؤهم على اتصال وتواصل مع المواقع وأسجل للأخ خليل الوزير «أبو جهاد» أنه كان دائم التفقد لأوضاعنا، وفي إحدى المرات وبينما كان في طريقه إلينا عبورا من منطقة رأس العين تعرضت سيارته لقصف مدفعي ونيران كثيفة لكنه نجا بأعجوبة.

ما أحضرناه من ذخيرة عن طريق مكتب الرصد المركزي من غازي الحسيني لم يكن كافيا لتأمين صمودنا والدفاع عن مواقعنا، فكان لابد من وسيلة أخرى للتزود بالذخائر، فخطرت في ذهني فكرة الحصول على الذخائر من مقر القوة المحمولة المتمركزة في شارع بارطو بين منطقة المصدار والأشرفية، وكنت على علاقة قوية مع عبد المعطي السبعاوي(١٨)، لكن أن يخطر ببالك فكرة وأن تسعى إلى تطبيقها شيء آخر ومختلف تماما، إذ كيف الوصول إلى مقر القوة المحمولة تحت وابل القصف المدفعي وازدياد الرصاص المتواصل، وما هي ضمانات العودة دون التعرض لإحدى القذائف المدفعية إذ أن المنطقة مكشوفة تماما للقوات الأردنية المتمركزة في الجبل الأخضر والتي تمطرنا كل دقيقة بعشرات القذائف، وتحت ضغط الحاجة المتزايدة للتزود بالذخائر قررت خوض المغامرة، فاقترحت أن نتحرك ضمن مجموعة من ستة أشخاص بينهم مجدي الأنصاري، على أن نركب السيارة إلى أول طلعة المصدار ثم نركنها هناك ونكمل المسير إلى مقر القوة المحمولة سيرا على الأقدام.

---

١٨ عبد المعطي حسين السبعاوي (أبو ياسر).. عرفته منذ أيام الانطلاقة الأولى، ورأيته في قواعد الأغوار، جاهزا لتنفيذ أية مهمة ضد العدو، متنقلا بين القواعد ببراءة وجهه وبسمته المميزة، لا يثقل عليك بالسؤال ويجيب على سؤالك ضمن حدوده، طيب المعشر.. شهم المواقف.. انتقل معنا من الأردن إلى لبنان وقائدا للكتيبة «المحمولة»، حيث شارك في كل معارك الثورة في الجنوب اللبناني ضد العدو، وشارك في حرب أكتوبر ١٩٧٣م على الجبهة المصرية، حيث أسر مع الجيش المصري وأخلي سبيله في تبادل أسرى الجيش المصري ولم يتعرف عليه الإسرائيليون، وتميز بإرادته الصلبة وصموده في أحلك الأوقات.. دخل عدة دورات عسكرية في الاتحاد السوفييتي، وساعده ذلك في قدرته على التحرك وتجديد قواعده بالإضافة إلى مساهمته في تدريب العديد من عناصر وكوادر الحركة الوطنية اللبنانية، وبنى علاقة مميزة مع الأب الروحي للحركة الإسلامية الشيخ محمد حسين فضل الله والشيخ عباس الموسوي، واشترك في مواجهة القائمين على العدوان ضد شعبنا في مخيماته وما سمي «بحرب المخيمات» متحركا بقواته إلى مغدوشة وجنسنايا شرق عين الحلوة، ومخيم الميه وميه وأرغم المعتدين على فك الحصار عن هذه المخيمات عند عودته إلى لبنان بعد حرب عام ١٩٨٢م، وللذكرى ولحفظها فإننا نشهد أنه لم يغادر قواعد القتال.. لم يجبن.. لم يتأخر يوما عن تأدية واجبه وفي كل المواقع.. كان الشهيد عبد المعطي حسين السبعاوي مقداما.. مجاهدا.. مناضلا... لم يتوقف يوما عن العطاء حتى بعد العودة إلى الوطن وتسلمه موقعه كمساعد لمدير الشرطة الفلسطينية للعمليات والتخطيط والتنظيم، استشهد العميد البطل عبد المعطي حسين السبعاوي في ٢٠٠٠/١٢/١٩م وهو يقوم بتفكيك وتفجير قذيفة سقطت على غزة.. فوهبه الله الشهادة كما تمنى..!

وصلنا إلى مقر القوة المحمولة بسلام واستقبلنا عبد المعطي السبعاوي الذي لاحظت أنه بهيئة غير طبيعية حيث يبدو عليه الحزن الشديد، لكني سرعان ما علمت سبب ذلك الحزن الذي اعتراني أيضا، ذلك أنه قبل وصولنا استشهد أحد ضباط القوة المحمولة الذي يحمل اسما حركيا هو "أبو القاسم" وكان من أكفأ الضباط وأكثرهم التزاما وصاحب خلق كريم أشاع محبته في قلوب جميع زملائه والأمر الوحيد الذي كان يشعرنا بالعزاء والصبر على استشهاده مع الكثيرين من أمثاله هو أننا جميعا "مشروع شهادة".

حمل كل فرد منا ما يستطيع حمله من صناديق الذخائر، وقفلنا عائدين نحو السيارة التي ركناها في أول طلوع المصدار.. وبينما نحن نسير انطلاقا من شارع بارطو نزولا باتجاه المصدار وإذ بالقصف ينهمر نحونا بكثافة، فاحتمينا حتى حلت عتمة الليل ثم واصلنا المسير وما هي إلا خطوات قليلة حتى لاح أمامنا طيف شخصين يتحركان.. وضعنا صناديق الذخائر على الأرض وأخذنا أهبة الاستعداد فناديت بصوت مسموع، من هناك؟ فجاءني الرد من صوت أعرفه حق المعرفة، لقد كان خليل الوزير «أبو جهاد» وبرفقته كمال عدوان، وبعد أن تعانقنا شرحت للأخ أبو جهاد تفاصيل الموقف في حي المصاروة وجبل عمان وأن مهمتنا كانت تقتضي التزود بالذخائر من مقر القوة المحمولة، وعلى غير طبيعته وفي مشهد لا يمكن أن أنساه ما حييت، حيث أثار شجوني وحماس الأخوة، انطلق أبو جهاد يردد بصوت مسموع عبارة «ثورة.. ثورة حتى النصر» ثم ودعنا وشد من أزرنا وحثنا على الصمود وواصل جولاته على المواقع الأخرى.. وقفلنا نحن عائدين لموقعنا.

كانت الأيام تتوالى، وكان القصف يزداد شراسة وعنفا، وأصبحت صيحات الجرحى تُسمع في كل مكان من العاصمة عمان، فتذكرت عبارة كنت قرأتها من كتاب لم اعد اذكر مؤلفه تقول: «حينما يراق الدم ستمر دهور كثيرة حتى يجف الجرح النازف» وصرخت من أعماقي « لماذا كل هذا»..؟ ولماذا نساق نحو الموت كالقطيع..؟ أليس روح القطيع هي أقصى ما يمكن أن يدمر الاستقلال الذاتي للإنسان..؟ وعليه يمكن أن ينهدم البنيان الفكري للأمة فتعجز عن التطور والتجديد الخلاق، فعندما يتحول الإنسان إلى مجرد فرد من أفراد القطيع يتحرك معه لكنه لا يعرف إلى أين ولماذا يتحرك أصلا، فهو بهذا يفقد القدرة على التفكير الأصيل النابع من كيانه وذاته، فالقطيع كفيل أن يصنع له كل الأفكار وأن يدفعه للتحرك إلى حيث لا يريد.. وهكذا كان الحال طيلة أيام القتال كنا نتحرك كالقطيع.. لسنا نحن فقط.. بل كل من شارك في القتال الذي احدث الشرخ في جدار الوحدة الوطنية.

وكما يقول الشاعر «النابغة الذبياني» «دع عنك هذا» فقد تناسيت كل تلك الأفكار بعدما جاءنا رسول الاستطلاع ليخبرنا بأنه تم رصد سيارات لاندروفر محملة بالمدفعية تابعة للجيش الأردني تتقدم في موازاة سور الكلية العلمية الإسلامية متوجهة نحو الحاووز، فهب الجميع في حالة استنفار، لكن الهجوم بدأ، ودارت معركة ضارية سقط لنا عشرة شهداء وجرح واحد وعشرين، لكن الجيش تراجع وانسحب من المكان، فتقدمنا نحوه حيث عثرنا على سيارتين لاندروفر وكل سيارة محملة بمدفع (١٠٦ ملم)(١٩) بالإضافة إلى الذخائر والعتاد العسكري، ولا يبدو عليهما أية آثار لأي إصابات ولم يدل الأثر على أي بقعة دماء، كما لم نعثر على أي شهيد أو جريح من القوة الأردنية مما يدل أنه لم تقع أي إصابة بهذه القوة. قمنا بقيادة السيارتين إلى مقر القيادة في حي المصاروة، وأبلغنا خليل الوزير «أبو جهاد» بذلك فطلب منا إيصال السيارتين إلى جبل الأشرفية حيث كان موجودا هناك بطرف مقر محمد عبد الله عياش «شاستري».

كانت الساعة تشير إلى الرابعة عصرا، مما يعني أن تحريك السيارات في ذلك الوقت سيعرضنا لخطورة كبيرة قد تفقدنا السيارتين ومن سيقودهما، حيث أن السيارتين تابعتان للجيش الأردني وقد تتعرضان لنيران الفدائيين في حين أن مقاتلينا ليس لديهم معرفة باستخدام السلاح المركب عليهما إضافة إلى أن الجيش الأردني قد يقصفهما بالمدفعية أو يتعرض لهما بالنيران في حالة رصد حمولتيهما من الفدائيين لا سيما أنه ليس لنا من مخرج لإيصال السيارتين سوى شارع خرفان نزولا إلى حي المهاجرين باتجاه رأس العين ثم طلعة المصدار عبورا إلى شارع بارطو باتجاه حاووز الأشرفية، وهذا الطريق مرصود بالعين المجردة من قبل الجيش الأردني والفدائيين على السواء خاصة منطقة المهاجرين المطلة على الجبل الأخضر حيث يتمركز الجيش.. وكي لا نتلكأ في تنفيذ طلب أبو جهاد وضعت الخطة الآتية:

أن يتم تحميل كل سيارة من السيارتين بعدد ستة مقاتلين باستثناء السائق.

أن تتحرك السيارتان الساعة السابعة والنصف بعد الغروب.

فور إنطلاق السيارتين يبدأ المقاتلون بهتاف "الله أكبر".

عندما وضعت هذه الخطة إستلهمت مدى تأثير عبارة "الله أكبر" على المواطنين والفدائيين والجيش الأردني، فلهذه العبارة مفعول إيجابي كبير لوقف إطلاق النار يفوق كل محاولات الوسطاء.. وكم كانت المفاجأة مدهشة، فما أن تحركت السيارتان وبدأ المقاتلون بالهتاف حتى

---

١٩ علمت من الملازم مازن الذي كان في القوات الأردنية ثم التحق بالثورة مع باقي القوات أنه كان المسؤول عن القوة التي هاجمتنا، وترك السيارتين وانسحب مع القوة المهاجمة من المكان.

صعد الناس على أسطح المنازل.. وخرجوا إلى الشوارع.. والكل يهتف "الله أكبر".. وكلما تردد الهتاف كلما شاركت الأحياء الأخرى بالهتاف أيضا.. وخرجت عمان عن بكرة أبيها لتردد الهتاف.. فتوقف القصف وعمّ الهدوء لفترة وجيزة. يصف بسام أبو شريف الذي أصبح فيما بعد مستشارا للرئيس ياسر عرفات تلك اللحظات فيقول: علت أصوات رخيمة.. بعيدة وكأنها أصوات صيادي سمك على شاطئ بحر هادئ.. تبسمت وقلت محدثا مرافقيني: صار الواحد يسمع أصواتا وكأنها مظاهرة، ضحكنا فالفكرة بدت خيالا أو وهما أو سرابا.. وعلت الأصوات وتكاثرت الله أكبر.. الله أكبر.. إنها الجماهير التهبت مشاعرها وأحاسيسها وعلا الصوت واقترب هادرا.. اختلطت به نبرات النساء بنبرات الرجال.

وصلت السيارتان بسلام، واستثمر المواطنون برهة وقف إطلاق النار بتفقد ممتلكاتهم والإطمئنان على بعضهم بعضا، وخلال ذلك جاءنا مرسال من الهلال الأحمر الفلسطيني الموجود في الدوار الأول بجبل عمان يطلب سيارة مع سائق لنقل مواد طبية وإرسالها إلى مستشفى الأشرفية الذي لم يعد لديه ما يسعف به الجرحى، وعلى الفور قمنا بإحضار السيارة وإرسالها إليهم، حيث طلب الهلال الأحمر الفلسطيني تأمين وصول السيارة وحمولتها إلى مستشفى الأشرفية، فقمنا بتلبية الطلب رغم المخاطر الكبيرة. وقد وصف الدكتور محجوب عمر وهو من أبرز أطباء المستشفى الجراحي آنذاك تلك المخاطرة فقال: عندما وصلتنا السيارة المرسلة من الهلال الأحمر الفلسطيني حتى باب القسم الجراحي، اندفع عدد من العاملين إلى القادمين يحملون ما أتت به من أدوية وأدوات وأغطية، ويسألون عن الأخبار وعن مصدر هذه الأدوية فقيل لهم أنها من الهلال الأحمر الفلسطيني في الدوار الأول بجبل عمان، فطار الخبر إلى قاعات المصابين حيث استبشر الجميع خيرا بصمود جبل عمان.

وفي صباح (٢٥ / ٩ / ١٩٧٠م) وبينما كنت مع بعض المقاتلين في جولة تفقدية سيرا على الأقدام للبحث عن الشهداء والمصابين وتقدير الخسائر عبرنا شارع خرفان نزولا إلى وسط البلد، وإذ بنا نشاهد سمير السكسك «أبو خميس» متكئا على إحدى الدرجات وهو ينزف ويحمل بندقيته في حالة الاستعداد للدفاع عن النفس، فمنذ أن عرفته وجدت فيه روح الشجاعة والإقدام والصبر والثبات، فحاولنا إسعافه ونقله من المكان لكنه رفض أن يغادر موقعه. وبينما نحن في الموقع حضر لطرفنا الأخوة سعداوي وأبو النمر وهما من كوادر الرصد المركزي، وأبلغونا أن جبل الحسين قد سقط، فعدنا إلى المقر.

ظل حالنا يسوء.. لكن صمودنا يزداد، فحالة الدفاع عن النفس تفرض عليك أن تحافظ على

رباطة الجأش والإستعانة بالصبر.. وأذكر أنه في اليوم الأخير من القتال وبينما توصل الجيش والفدائيون إلى اتفاق لوقف إطلاق النار تم قنص نائب القائد حسين الهيبة الذي وصل على رأس قواته من الجولان السورية وتمركز في منطقتنا، وردا على ذلك قام حسين الهيبة بنصب مجموعة من الصواريخ لإطلاقها على مواقع الجيش الأردني.. الأمر الذي أفقدني صوابي.. فليس من المعقول أن نبدأ بخرق وقف إطلاق النار الذي أوقف الكارثة.. وعلى الفور أبلغت القائد أبو جهاد الذي أمرني بضرورة منعه من ذلك حتى لو اضطرت إلى استخدام القوة واعتقاله. ولحسم الموقف توجهت إلى مقر حسين الهيبة، وبعد نقاش استغرق ثلاث ساعات لم يخل من التهديد والوعيد اقتنع بسحب الصواريخ. ورغم هذه الأزمة الطارئة بقيت علاقة طيبة بيني وبين حسين الهيبة.

اعتقال عدد من قيادات حركة فتح، حسب رواية صلاح خلف(٢٠):

ذهبت إلى مقر العمليات الذي كان يقع هو الآخر في جبل الحسين ولكنه لم يسقط بيد القوات الأردنية، ووجدت ياسر عرفات الذي كان يحاول يائسا الاتصال بالملك بالهاتف، في حين أن القذائف كانت تتساقط حولنا كالمطر، فقلت له: «اقفل الهاتف فالهاتف لا يجدي نفعا، إن أحدا لا يريد حتى أن يخاطبك» وكنت مصيبا فيما أقول، فقد طلب الكلام مع الملك، ثم من عدد من أعضاء بطانته واحدا بعد واحد، فكان جوابهم هو أنهم يؤدون صلاة الصبح ولا يريدون أن يزعجهم أحد. كنا أقل تنظيما عما كان حالنا يوم معركة الكرامة، فلم نُعدّ أي مخطط للمعركة، ولم نكن نستطيع أن نتصل ببعض القيادات العسكرية، ولم نعُدّ مخابئ لأعضاء القيادة، وكان خمسة منا موجودين في دائرة العمليات العسكرية، فكان ينبغي لنا أن نتفرق، واقترحت على عرفات أن يتحصن في جبل اللويبدة، بينما غادرت أنا المكان بصحبة فاروق القدومي وإبراهيم بكر وبهجت أبو غربية وسمير الخطيب لنتجه نحو مقر جهاز الرصد المركزي وما كدنا نصل طرف الشارع حتى رأينا أربع أو خمس دبابات من الجيش تخرج وتتقدم نحونا وهي تطلق النار في جميع الإتجاهات، فأسرعنا نحو أقرب منزل حيث وجدنا قاضيا أردنيا من الطائفة المسيحية عرض علينا ضيافته، ولم نكن نعلم أننا سنضطر لأن نمضي خمسة أيام دراماتيكية في ضيافته.

ويتابع صلاح خلف قائلاً: عرفنا أن الحي محاصر من قبل قوات الملك التي فرضت منع

٢٠ صلاح خلف، فلسطيني بلا هوية، لقاءات مع الكاتب الفرنسي أريك رولو، ص١٣٨.

التجول على مجمل المدينة، ورسمنا عدة خطط للفرار، لكن المراقبة كانت على قدر من الشدة بحيث اضطررنا إلى التخلي عنها وذات يوم، عمدت قوات الأمن إلى تفتيش كافة بيوت الحي بصورة منتظمة، وراح صوت آمر عبر المذياع يطلب من السكان الوقوف على مداخل المباني لمراقبة هوياتهم، كان من المستحيل علينا أن نقاوم، فدسسنا مسدساتنا تحت الفراش ونزلنا إلى الشارع. كان الجنود المسلحون بالرشاشات، يتطلعون بريبة وحذر ويسائلون ويفتشون ويشمون الأيدي طلبا لرائحة البارود التي تنم عمن استخدم الأسلحة النارية. ثم أن رائدا شابا راح يتفرس فينا وهو يقترب منا، ثم قال لنا بلهجة ملتبسة: ماذا تفعلون هنا؟ فبادر القاضي الذي كنا ملتجئين عنده للإجابة بدلا منا بشجاعة: إنهم ضيوفي، أصدقاء لي من الكويت، وأمام عظيم دهشتنا فإن الضابط اكتفى بذلك ولم يطلب معرفة المزيد، وتركنا نمضي.. لكن ما أن كدنا نهم باللحاق بالمنزل حتى صاح جندي بسيط: هذا رئيس الفدائيين، أنا أعرفه، ثم أسرع نحو إبراهيم بكر وصفعه، وإذ فوجئ الضابط، فإنه أشار إلينا لننسحب في حين وضعت القيود بيدي رفيقنا.

وفي غداة اليوم التالي، علمنا بارتياح أن حظر التجول سوف يرفع لمدة ساعة للسماح للأهالي بالتموين، وهكذا فقد حانت أخيرا الفرصة التي تمكنا من مغادرة ملاذنا، واللحاق بصورة أو بأخرى بمقاتلينا... إلا أننا استيقظنا في صباح اليوم التالي على جلبة وضجيج، فقد جاءت قوات إضافية تضم دبابات ومدرعات وبدأت تحاصر المكان، وما أن استقر المقام بهذا التشكيل العسكري حتى انطلق صوت مذياع يقول: أبو إياد.. إننا نعرف أنك هنا، سلم نفسك، وإلا قصفنا الحي كله!! وقرابة الساعة العاشرة صباحا، أي بعد الإنذار الأول بأربع ساعات، انهمرت الرشاشات، وتتالت الانفجارات المرعبة وأصيب عدد من منازل الحي.. فاغتنمنا فترة السكوت التي تلت ذلك لنقنع جيراننا بالصبر حتى الظهر، أي حتى الساعة التي سيرفع فيها منع التجول، وبهذا نغادر المنزل بدون أن نرفع أذرعتنا بعلامة الاستسلام.

وما كدنا نسير في الشارع المستقر بعد دخول الهدنة حيز التنفيذ بدقائق حتى نادانا أحد العسكريين ليقودنا إلى رئيسه الذي يريد رؤية أوراقنا والذي أصر على اقتيادنا إلى معسكر طبربور العسكري الذي يستخدم كمركز اعتقال. كان الاستقبال الذي حظينا به هناك استقبالا سيئ الطالع، فقد خلعوا أحذيتنا ونزعوا أمتعتنا الشخصية قبل أن يأخذونا حفاة إلى زنازين تحت الأرض.. وجعلتني الاثنتا عشر ساعة المتوالية أغرق في كآبة عميقة، ليس لأن اغتيالنا

كان يبدو أمرا محتوما، وإنما بسبب الوصمات التي سيحاول أعداؤنا تلويث شرفنا بها بعد إعدامنا، إذ لا ريب أنهم سيقدمون توقيفنا كاستسلام جبناء بهدف تحطيم معنويات قواتنا..» (انتهى الاقتباس).

عندما علمنا باعتقال الأخوة القادة من خلال الإذاعة الأردنية يوم ٢٣ / ٩ / ١٩٧٠م، أصابتنا الدهشة والحيرة ولم نعد متأكدين من نهاية سعيدة لوقف إطلاق النار وهل بالإمكان مواصلة الصمود في ظل انتشار الإشاعات والأقاويل غير الصحيحة حول اعتقال أبو عمار.. ولا شك أن الأحوال اختلفت كثيرا حيث معنويات مقاتلي حركة فتح بدأت تتدهور إن كان بسبب هذه الإشاعات والأقاويل وإن بسبب انتشار الخوف والرعب بسبب استمرار إطلاق النار وتزايد أيام الحصار داخل البيوت والملاجئ، إلا أن المعنويات ارتفعت كثيرا حينما تأكد أن أبو عمار لم يعتقل، وبرفقته علي حسن سلامة (أبو حسن) ومجموعة من الكوادر، أنه شكل غرفة عمليات للإشراف على جميع المحاور(٢١).

أما نحن في جهاز الرصد المركزي، فقد كان اعتقال صلاح خلف (أبو إياد) بصفته مسؤول الجهاز عامل إحباط نفسي رغم ما أبديناه من تماسك، إلا أن ذلك لم يمنع من استشراء الضعف داخل الجهاز حيث فقد البعض الأمل في حسم الوقائع بما يضمن السلامة للجميع وزاد من هذا الشعور توالي الانهيارات في دفاعات المقاتلين ليس عن ضعف، وإنما عن تردد في تصعيد القتال، فلم يكن لدى مقاتلي حركة فتح أوامر بمقاتلة الجيش، وإنما الدفاع عن النفس فقط.

لقد كانت رواية صلاح خلف (أبو إياد) لوقائع وملابسات اعتقاله هو و فاروق القدومي (أبو اللطف) تعكس الإرادة الصلبة التي كانا يتميزان بها، وعدا ما كنا نعرفه من الصفات الجريئة للأخ صلاح خلف فقد كان موقف فاروق القدومي تعبيرا عن أقصى درجات الهدوء وضبط النفس والالتزام بالموقف الفتحاوي في ظل ضغوطات الاعتقال، وذلك لم يكن غريبا عليه، فهو قائد واسع الحكمة، وسريع البديهة، له رؤية مستفيضة للحدث ونتائجه، يضاف لذلك أنه خطيب مفوه، وسياسي ذو أبعاد عميقة لفهم المتغيرات والتحولات في المواقف العربية والإقليمية والدولية، وطالما التزم بتوجيه ضباط وكوادر فتح سياسيا، لذلك فقد عرفته القواعد الفدائية، وعرفه الفدائيون كونه كان قريبا من تطلعاتهم، ويضفي وجوده على المكان الذي يجتمع فيه إليهم إحساسا من الألفة والمحبة والحماس الثوري الذي كان منذ انطلاقة حركة فتح الدم الذي يسري في عروق الفدائيين.

---

٢١ فلسطيني بلا هوية، مصدر سابق، ص١٤١.

كان فاروق القدومي (أبو اللطف) منذ بدايات ميوله الثورية يملك ملكة التنظير السياسي التي اخترق بها أهم النظم العربية واكتسب تأييدها لصالح الاعتراف بحركة فتح والثورة الفلسطينية، فهو أول من التقى بالرئيس عبد الناصر بصحبة صلاح خلف، والعديد من القادة العرب وقادة حركات التحرر الوطني، وجمعتهما الأقدار مجددا في الاعتقال. اتسم سلوك أبو اللطف منذ انتسابه لحركة فتح مرورا بتجربته النضالية الأولى في رابطة طلاب فلسطين بالقاهرة «بالقيادية» التي تجمع بين السياسة والبندقية، وكان إيمانه بالكفاح المسلح طريقا لتحرير فلسطين انعكاسا لما علق في ذاكرته إبان مرحلة الصبا من جرائم العصابات الصهيونية ضد أبناء شعبه، وحتى في أيام اعتقاله لم تتغير عاداته الثورية، وظل قائدا فتحاويا أشد ما كان يقلقه هو معرفة مصير إخوانه في قيادة حركة فتح وعلى رأسهم القائد أبو عمار، ومصير المدافعين عن كرامة الثورة وقدسيتها، لكن ذلك القلق زاده إصراراً على التمسك بسلوكه الوطني وانتمائه الفتحاوي الذي تجلى في صياغة الرسالة التي تحدد مطالب الثورة الفلسطينية المرسلة من الاعتقال إلى الملك حسين من أجل حقن الدماء ووقف القتال وقد وقع الرسالة مع أخيه أبو إياد نيابة عن الثورة الفلسطينية ودون أن يكونا بديلين عن قائد الثورة وإخوانهما في القيادة انسجاما مع ما تمتاز به حركة فتح التي لا تميز بين أعضاء قيادتها، فالكل قائد في ظرفه ومكانه.

وأذاعت الإذاعة الأردنية في نشرتها الإخبارية بأن الأخوة فاروق القدومي (أبو اللطف) وصلاح خلف (أبو إياد) قد وجهوا رسالة لجلالة الملك حسين في منتصف ليلة ٢٣ / ٩ / ١٩٧٠م الموقعة منهم بتاريخ ٢٤ / ٩ / ١٩٧٠ هذا نصها:



بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الجلالة الملك حسين حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

أكتب لك هذه الرسالة باسم شعب فلسطين الذي قست عليه الظروف وجعلته أكثر من عشرين عاما مشردا هائما على وجهه ثم وجد نفسه في العمل الفدائي الذي لا يبتغي من ورائه إلا تحرير فلسطين وعودة أهاليها إليها واليوم هذا الشعب مع شقيقه الشعب الأردني يعيش مأساة حقيقية تكاد الفتنة من خلالها تأكل كل شيء لذلك ومن أجل هذا الشعب الذي أهديته حياتك أن تتوجه إلى الجميع بنداء الوالد الذي لا ينحاز إلى جهة بل يحرص على الجميع من شعب وجيش وفدائيين.. نداء فيه روح الذي يقطع دابر الفتنة ويمنع استمرارها بشكل يحفظ الجميع وأضع بين يدي جلالتكم الاقتراحات العملية التالية:

أولا: أن ينسحب الجيش إلى أماكن مناسبة حول العاصمة.

ثانيا: عندها ينسحب الفدائيون من المدينة وتلغى كافة القواعد من المدينة.

ثالثا: بعد هذه الخطوات يمكن التوصل إلى صيغة تتضمن ما يلي:

التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني وإنهاء التشرذم في العمل الفدائي.

يكون تواجد الفدائيين على حدود الوطن المحتل ولا يتواجدون في المدن.

تقيد الفدائيين والتابعين لهم بأنظمة البلاد وقوانينهم ثم يتفق على النقاط الأخرى بروح المصالحة الوطنية التي ليس فيها غالب ومغلوب إنما فيها روح الصفاء الوطني.. وأمل بجلالتكم أن تكون كما عهدناك حريصا على أن يتم ذلك بإشرافك وجهدك وحتى تظل وحدة هذا الشعب خالدة وحتى نتمكن من العمل على التحرير الكامل لترابنا ووطننا السليب.. ولا أنسى يا جلالة الملك أخوانك وأتباعك المعتقلين الذين أعتبرتهم ضيوفك وبرعايتك. هذا ورعاك الله والسلام عليكم ورحمة الله...

أخوكم فاروق القدومي (أبو اللطف)، أخوكم صلاح خلف (أبو إياد)

وردا على الرسالة، وجه الملك حسين خطابا إلى أبناء الأردن أفراد القوات الأردنية المسلحة والفدائيين أعلن فيها موافقته على المبادئ التالية لإرساء أسس العلاقات في المستقبل بين الأردن والحكومة من جهة وبين حركة المقاومة الفلسطينية من جهة أخرى:

أولا: أن المكان الطبيعي للفدائيين وقواعدهم هو خط المواجهة مع العدو وأن القوات الأردنية المسلحة باعتبارها درع الوطن وحامية الديار وحارسة الأمن والنظام وحصن الحرية والاستقلال أن تتواجد في الأماكن التي يقتضيها الأمن الوطني وتمليها ظروف المعركة المصيرية مع العدو وعلى هذا الأساس فسوف تصدر الأوامر إلى الجيش بأخذ مراكزه المعتادة مع انسحاب الفدائيين وانتقال قواعدهم من المدن والقرى إلى حدود الأرض المحتلة.

ثانيا: التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني على أساس أنها تمثل وحدة العمل الفلسطيني السياسي وأنها تتحرك بإرادة واحدة وانضباطية واحدة وقيادة واحدة وعقيدة واحدة بعيدة عن التيارات والمؤامرات والمتاهات الحزبية نحو هدف واحد هو هدف التحرير.

ثالثا: يمنع وجود أية قواعد للفدائيين في عمان والمدن والقرى الأردنية ويكون تواجد القواعد على حدود الأرض المحتلة.

رابعا: تطبق أنظمة الدولة وقوانينها على الفدائيين وتمارس الدولة سيادتها التامة على جميع من يوجد فوق أرضها ويتمسك الجميع باحترام تلك السيادة.

وفي المقابل بعث ياسر عرفات برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٤ / ٩ / ١٩٧٠م يقول فيها: «فوجئنا الآن باتفاقية لا علمٍ للثورة بها باتفاقية تعلن باسم إخوة هم في الواقع أسرى لا يمثلون الثورة الفلسطينية حالياً ولا يمارسون فيها أية مسؤولية»(٢٢).

---

٢٢ عندما قرر الوفد العربي العودة إلى القاهرة وبصحبته قادة حركة فتح المعتقلين، طلب الملك حسين إلا بقاء على صلاح خلف في عمان، فرفض الفريق صادق واصر على اصطحابهم جميعا إلى القاهرة، بناءا على تعليمات الرئيس عبد الناصر. ويذكر أبو إياد في هذا السياق أنه أثناء الرحلة علم من الرئيس النميري بصدور بيان وقف إطلاق النار الذي أذاعه راديو عمان، باعتبار أنه جرى بالاتفاق مع صلاح خلف وفاروق القدومي، وهنا غضب صلاح خلف بشدة والقى الوثيقة أرضا وقال إنه «باطل لاغ»، وبالفعل فإن قيادة فتح نشرت بيانا بهذا المعنى مبدية أننا لم نوافق عليه لأننا كنا مسجونين ولسنا في وضع يمكننا من ممارسة إرادتنا. وكان جمال عبد الناصر في انتظار الوفد في مطار القاهرة واصطحبهم في سيارته إلى قصر القبة حيث كان رؤساء الدول العربية مجتمعين منذ بضعة أيام ينتظرون نتائج المهمة التي قام بها مندوبوهم في عمان (المصدر: صلاح خلف، فلسطيني بلا هوية، ص١٤٥-١٤٦).

الحرب الدبلوماسية (حرب اللقاءات والتهدئة):

«إن شراسة الأيام والأحداث والمواقف تدفعني أن أستغني عن كلماتي ومذكراتي وذاكرتي لألجأ إلى الآخرين ليخففوا عني قسوة الذكريات ومن هؤلاء العميد الركن عبد الرزاق اليحيى».

فيما يلي فقرات من شهادة العميد الركن عبد الرزاق اليحيى قائد جيش التحرير الفلسطيني ونائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية خلال المعارك حيث يحكي وقائع ذات دلالة واضحة(٢٣):

دخلت مقر القيادة العامة في الأشرفية في الثانية بعد منتصف ليلة ٢٣ / ٩ / ١٩٧٠م، وانعقد فور وصولي اجتماع ترأسه ياسر عرفات، كلفت فيه أن أرأس الوفد الفلسطيني الأمني الذي سيفاوض الجانب الأردني بعد أن أفلح التدخل العربي الذي قاده عبد الناصر في ترتيب أمر إجراء مفاوضات بين الجانبين، وكان الرئيس السوداني جعفر النميري ومعه وفدا عربيا قد زار عمان موفدا من الرئيس عبد الناصر ومؤتمر القمة العربي الذي دعي إلى الانعقاد في القاهرة، وأخذت الآلة الدبلوماسية تتحرك في أجواء القتال بأمل وقف إطلاق النار وإفساح المجال أمام التفاوض. وكان قد حصل أن أجريت اتصالا بالشريف زيد بن شاكر وأنا ما أزال بعد في جبل الحسين، اتصلت بالمسؤول الأردني الكبير بعد أن اقتحم مسلحون فلسطينيون مخفر الشرطة في جبل الحسين واحتجزوا عناصره، فذهبت بنفسي وأطلقت سراحهم فصارت لي عند الجانب الأردني سمعة انضافت إلى سمعتي بوصفي داعية لتجنب الصدام، فصار من الحصافة أن أكون أنا من يفاوض على وقف إطلاق النار، وقد انضم خليل الوزير إلى وفدنا الذي ضم نهاد نسيبة وجواد عبد الرحيم مدير استخبارات جيش التحرير وأحمد عفانة من فتح.

ولكي نصل بسلام إلى فندق الأردن الذي سيلتقي فيه المتفاوضون، جاء إلى الأشرفية ضابط مصري أتذكر أن اسمه سمير فنقلنا بسيارته الدبلوماسية، وكان العميد أحمد حلمي الضابط المصري القادم من القاهرة الذي سيرعى المفاوضات الأمنية قد سبقنا إلى الإقامة في الفندق وزودني سمير برقم حجرته، وحين بلغنا الفندق لم أتوقف عند الاستقبال بل تجاوزته واتجهت دون تردد إلى هذه الحجرة وقرعت الباب، وما أن سمع الذي يشغل الحجرة اسمي عبر الباب

---

٢٣ عبد الرازق اليحيى، بين العسكرية والسياسة (ذكريات) دار الجليل للنشر والدراسات، ص٢٣٣، عمان– الأردن.

حتى فتحه وتلقاني بين ذراعيه، كان المهتم ببدء المفاوضات ينتظر وصولي على أحر من الجمر، وكانت مفاتيح الحجرة المخصصة لي موجودة معه، فتوجهت إلى حجرتي ونمت واسترحت قبل أن يعرف الجانب الأردني أني موجود في الفندق.

التقى في الفندق وفدان أمنيان كنت أرأس الوفد الفلسطيني ويرأس الشريف زيد بن شاكر الوفد الأردني، ووفدان سياسيان احدهما فلسطيني يرأسه إبراهيم بكر، والثاني أردني يرأسه راضي العبد الله، وفي عداد الوفد الأردني الأمني جاء مدير المخابرات العامة نذير رشيد، الذي برز في الخمسينيات بوصفه من نشطاء الحركة الوطنية الأردنية المعارضة حسبما أذكر، وأعتقد أنه كان واحدا من الذين جرى تهريبهم من الأردن إلى سوريا في حينه، وشارك في التآمر على الملك حسين، لكنه صفح عنه.

لا أتذكر في أي يوم من أيام القتال بدأت مفاوضاتنا ولعله كان اليوم الرابع أو الخامس ولكني أتذكر كم كانت مفاجأة المفاوضين الأردنيين شديدة حين ظهرت أمامهم فجأة فعرفوا أني قضيت ليلتي في الفندق، وقد توعد نذير رشيد بمعاقبة رجال مخابراته لأنهم لم يفطنوا إلى وصولي، ووقعت بسبب هذا مشادة كلامية بين نذير رشيد وراضي العبد الله، وكانت المشادة عنيفة حتى أن مدير المخابرات ترك المكان غاضبا وصار علينا نحن أن نتدخل لتهدئة الجو.

اللقاء الأول حضره أعضاء الوفود جميعها، الأمني منها والسياسي، وفي هذا اللقاء عرض الجانب الأردني أن يوقف هجومه ويتوقف إطلاق النار إذا قبلنا أن نسحب مسلحينا كلهم من عمان ومناطق سيطرتنا في جرش والشمال وأي مناطق مأهولة ونضعهم في منطقة الأحراش بين جرش والسلط، ولما كنا نحن مقتنعين في قرارة أنفسنا بأن استمرار الهجوم علينا سينهي وجودنا المسلح في المدن ويكبدنا خسائر فادحة فقد تركزت مطالبنا على ما يوفر سبل السلامة لمقاتلينا أثناء انتقالهم ويبقي أسلحتهم معهم ويمنع التعرض لهم بأي ذريعة، وتشبثنا بضرورة أن يفرج الجانب الأردني عن المعتقلين الفلسطينيين كافة، وبضمنهم المسؤولين الذين تم احتجازهم من قبل القوات الأردنية مثل صلاح خلف «أبو إياد» وفاروق القدومي «أبو اللطف» وسمير الخطيب ونهاد نسيبة وغيرهم.

أتاح اللقاء الأول لكل جانب أن يتعرف على مطالب الجانب الآخر وتقرر فيه متابعة التفاوض، على أن تبحث المجموعتان الأمنيتان تفاصيل الشؤون الأمنية فيما تنصرف المجموعتان السياسيتان إلى بحث الشؤون السياسية وتحدد الهدف: صياغة مشروع اتفاق ينظم العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية والأردن ليعرض على القمة العربية كي تصادق عليه وتكفل تنفيذه والالتزام به.



تعززت مجموعتنا السياسية بانضمام عضو مركزية « فتح» كمال عدوان إليها، وكنت إلى جانب مشاركتي في المفاوضات الأمنية أنضم إلى المجموعة السياسية، كلما اقتضى الأمر، وفي المفاوضات الأمنية التي جرت فيما الاشتباكات مستمرة، لم تسر الأمور في خط مستقيم بل واجهتنا عقبات كثيرة وساد «النكد»، وكان من شأن أي حادث يقع خارج مكان الاجتماع أن يزيد الأمور تعقيدا، وكثيرا ما أدى اشتباك يقع في مكان ما من ساحات المواجهة إلى انسحاب هذا الجانب أو ذاك من الاجتماع، وبالإجمال ظل التصعيد والهدوء يتناوبان جو مفاوضاتنا.

تقصينا سبل وقف الإشتباكات الدائرة في أماكن عدة وتثبيت وقف إطلاق النار ورسم الترتيبات الدائمة التي ستليه، قمنا الشريف زيد وأنا معا، بجولات على خطوط التماس لنعاين سبل الفصل بين المقاتلين، وكنا نتفاوض في فندق الأردن الواقع تحت الحماية الأردنية، والتقيت عدة مرات مع الشريف زيد في منزل رئيس الوفد الأردني راضي العبد الله، كان يتم هذا بمعرفة القيادة السياسية الفلسطينية، وأنا أتذكر أن أبا جهاد احتاج مرة للذهاب إلى الأشرفية عن طريق رأس العين لتقديم تقرير لياسر عرفات فأطلقت النار على السيارة التي تقله وهو على الطريق مقابل حي المهاجرين، واقتضى الأمر أن أستعين بالشريف زيد لتسوية الموضوع، وأتذكر أن مرجعي المباشر في المفاوضات كان إبراهيم بكر رئيس الوفد الفلسطيني، إلا أنني ظللت أتصل بياسر عرفات كلما اقتضى الأمر أو أرسل إليه رسائل غالبا ما كان ضباط مصريون هم الذين يحملونها إليه في الأشرفية.

التدخل السوري:

بينما كانت المعارك تدور على أشدها بين الجيش الأردني والفدائيين كانت القيادة السورية آنذاك تتزعم المعارضين لمبادرة روجرز وتشن هجمات إعلامية ضد الأردن والرئيس جمال عبد الناصر، فقط وحده وزير الدفاع السوري حافظ الأسد من بين القادة السوريين كان مقدرا لموقف القيادة المصرية، وقد تفهم دوافع الرئيس جمال عبد الناصر وتعاطف مع مواقفه(٢٤).

وعندما قررت القيادة السورية التدخل عسكريا لصالح الفدائيين في الأردن ظل حافظ الأسد على موقفه رافضا دخول القوات السورية للأراضي الأردنية، وينقل باتريك سيل في كتابه «الصراع على الشرق الأوسط» قول حافظ الأسد آنذاك «لم أكن في حياتي كلها مؤيدا للفوضى

٢٤ عادل رضا قراءة في فكر الأسد، «التاريخ لا يحركه الصدفة»، مؤسسة أخبار اليوم- القاهرة ١٩٩٣، ص١٦٦.

على الإطلاق ولن أكون، كنت أود أن تبقى المقاومة الفلسطينية متحررة من التورط في الشؤون الداخلية للأقطار العربية، ولكن بينما أعارض الفوضى الفلسطينية في الأردن أو في لبنان أو في أي بلد عربي آخر فإنني أؤمن أيضا بأن للفلسطينيين حقا في إيجاد أرضية ينطلق منها نضالهم في سوريا والأردن ولبنان ومصر وأي مكان آخر».

ورغم موقف حافظ الأسد المعارض للتدخل السوري في أحداث الأردن إلا أن تيار صلاح جديد داخل حزب البعث والقيادة السورية كان مسيطرا، وعليه صدرت التعليمات للقوات البرية بالتحرك ودخول الأراضي الأردنية، وعلى أثر ذلك وجه الملك حسين بن طلال رسالة إلى الملوك والرؤساء العرب حول دخول قوة من الجيش السوري إلى الأراضي الأردنية بتاريخ ٢٠ / ٩ / ١٩٧٠م، جاء في الرسالة أنه: «فوجئنا كما فوجئ معنا كل عربي مخلص باعتداء آثم لا تقوم به السلطة الحاكمة في إسرائيل هذه المرة إنما حكام دمشق ويؤسفني أن أبلغكم الآن أن القوات السورية دخلت الأردن بوحدات مدرعة كبيرة وكثيفة، وعلى طول القطاع الشمالي بكامله متحركة في اتجاه إربد، وأشار الملك حسين إلى أن القوات الأردنية تمكنت من صد العدوان.

أرسل الرئيس جمال عبد الناصر رسالة جوابية إلى الملك حسين يوم ٢١ / ٩ / ١٩٧٠م حول المحاذير المحيطة بتصفية المقاومة يبلغه أنه طلب من الفريق محمد صادق مغادرة عمان بسبب التطورات المؤسفة والمحزنة التي لا تزال مستمرة» وقال فيها: «إذا كان لي أن أقول لجلالتكم شيئا في هذه اللحظات الخطيرة من حياة أمتنا فإنني أضع أمامكم الآتي:

إن استمرار العمليات العسكرية بالطريقة التي جرت وما تزال تجري في عمان ينبغي لها أن تتوقف، وكان يجب أن تتوقف منذ وقت طويل، وكان يتحتم على السلطة الأردنية أن تكون أقدر على ضبط النفس خصوصا بعد أن توصلنا إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، إن المسألة ليست مسألة السلطة، ولكن هناك عوامل وطنية وقومية وإنسانية لها حرمتها، ولها احترامها ولست أتصور كيف يمكن أن تقوم سلطة في الأردن أو تستقر على الأنقاض والأشلاء وعلى دم يراق بغير حساب.

إن جلالتكم تذكرون منذ لقائنا في الإسكندرية في ٢١ / ٨ / ١٩٧٠م أنني أوضحت لكم وجهة نظري كاملة في أنه ليس من المصلحة العربية العليا الآن ولا في صالح نضالنا المستقبلي أن تتعرض المقاومة الفلسطينية لأية عمليات تؤدي إلى تصفيتها أو تحمّل شبهة مثل ذلك القصد، ولقد أحسست أني أوضحت رأيي أمامكم وأن اقتناعكم به كان باديا، ومن سوء الحظ أن شكل



الحوادث منذ بدأ تشكيل حكومة عسكرية في الأردن خلق انطباعا معاكسا لهذه الروح، ثم توالت التصرفات بعد ذلك، بما لم يكن هناك مبرر له، وإني أدرك أنه وقعت من الجانب الآخر أخطاء، ولكن الجمهورية العربية المتحدة لا تستطيع أن تقبل بأن يكون الرد على ذلك بما يظهر للكل وكأنه ضربة للمقاومة كلها.

إنني لا أملك إلا مصارحة جلالتكم بأن الظروف الأخيرة دفعت إلى مواقع المسؤولية في الأردن بعناصر لا أظن أنني قادر على الاطمئنان إلى حسن نواياها، ولست أعتبر أن النصيحة التي يمكن أن يقدمها هؤلاء نصيحة صائبة أو خالصة، ومع أنه ليس من حقي أن أتدخل في الشؤون الداخلية للأردن، فإنني لا أستطيع بمسؤولية الظروف غير أن أصارحكم بذلك، وتقديري أن خطر هذه العناصر لا يتربص بالمقاومة الفلسطينية فقط ولكن يمكن أن يؤدي إلى مخاطر على الأردن نفسه وعلى مؤسساته الوطنية.

إن الجمهورية العربية المتحدة تؤمن بأهمية دور المقاومة الفلسطينية وتؤمن بشرعيتها، وتعتقد بفاعليتها في النضال المستمر ضد العدو، وفي هذا كله فإن الجمهورية العربية المتحدة كانت ترى دائما وما زالت حماية المقاومة الفلسطينية من كل أعدائها ومن بعض الذين يتظاهرون لمآربهم لصداقتها، بل ومن بعض العناصر المنتمية إليها ذاتها، وكما نقول وما زلنا نقول أن المقاومة الفلسطينية ظاهرة من أنبل الظواهر التي أسفرت عنها نكسة حزيران ١٩٦٧م، وكنا نريد ولا زلنا نريد أن تتصرف كل القوى العربية على هذا الأساس حرصا على الأمل وحفاظا على الحق، وتجسيدا لوجود الشعب الفلسطيني في ساحة الصراع.

إن الفريق محمد صادق سوف يقدم إلى جلالتكم نداء أخيرا بوقف إطلاق النار لكي نستطيع جميعا أن نعيد تقدير مواقفنا، إن إستمرار تداعي الحوادث على هذا النحو يعرض مئات الألوف من أبناء الشعب العربي لأهوال مروعة، ثم أنه يفتح الباب أمام مضاعفات قومية ودولية لا بد أن نحذر منها، وكرجاء نهائي فإني أرجوكم الاستجابة لهذا النداء بأسرع وقت وحفاظا على مستقبل هذه الأمة وأمنها وكرامتها، إننا لا نملك أن نتابع ما يجري الآن في الأردن ساكتين ولا نستطيع تقبل تردِّيه ساعة بعد ساعة، وأريدك بأمانة أن تعرف أننا لن نسمح بتصفية المقاومة الفلسطينية ولن يكون بمقدور أحد أن يصفيها.

الوساطة العربية:

قرر ملوك ورؤساء الدول العربية المجتمعون في القاهرة يوم ٢٢ / ٩ / ١٩٧٠م إرسال وفد من قبلهم إلى الأردن للعمل على وقف إطلاق النار، وقد تشكل الوفد من الرئيس السوداني اللواء جعفر النميري، والباهي الأدغم رئيس مجلس الوزراء التونسي، والشيخ سعد العبد الله السالم الصباح وزير الدفاع الكويتي، والفريق محمد صادق رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة، وقد انتقل الوفد العربي إلى العاصمة الأردنية عمان والتقى مع الملك حسين وقادة العمل الفدائي حيث تم التوصل لقرار بوقف إطلاق النار أعلنه المشير حابس المجالي في أمر صادر عنه يوم ٢٣ / ٩ / ١٩٧٠م، إلا أن ما تضمنته البرقية المرفوعة من ياسر عرفات إلى الرئيس جمال عبد الناصر نفت التوصل إلى إتفاقية بين الطرفين مشيرا إلى أن من وقعوها عن الجانب الفلسطيني هم أسرى لا يمثلون الثورة الفلسطينية(٢٥).

وفي ظل هذه الظروف العصيبة والتناقضات المؤذية، قدمت الحكومة العسكرية في عمان استقالتها للملك حسين بن طلال بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٩٧٠م، وتزامن ذلك مع قرار الملوك والرؤساء العرب بتكليف الرئيس جعفر النميري مرة ثانية بالسفر إلى عمان على رأس وفد يضم رئيس وزراء تونس الباهي الأدغم، ورئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية الفريق محمد أحمد صادق، ووزير الدفاع الكويتي الشيخ سعد العبد السالم الصباح، وانضم إليهم عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الإشتراكي العربي حسين الشافعي، وذلك للعمل بكل الوسائل من أجل وقف إطلاق النار. وعلى أثر وصول الرئيس جعفر النميري والوفد العربي إلى عمان وجه سيادته رسالة إلى ياسر عرفات أذيعت من الإذاعة الأردنية يوم ٢٣ / ٩ / ١٩٧٠م يطلب فيها تحديد كيفية الاجتماع به، حيث أن الأمر مهم وعاجل.

أما عن كيفية وصول الرسالة إلى ياسر عرفات والطريقة التي وصل بها إلى مقابلة اللجنة العربية، فلذلك قصة تفاصيلها كالآتي:

كان الهجوم كثيفا ومركزا وطال القصف جميع المواقع دون استثناء، لكن مواقع فتح في ضواحي جبل الحسين ومخيم الحسين تعرضت في بداية الهجوم لأكبر ضغط عسكري مما أدى إلى سقوط هذه المواقع واعتقال عدد كبير من قيادات فتح وكان من بينهم أعضاء في اللجنة المركزية لكن الرئيس عرفات الذي أخلى مكتبه تحرك مع المقاتلين للدفاع عن المواقع، وأسهم

---

٢٥ المقصود الأخوين صلاح خلف (أبو إياد) وفاروق القدومي (أبو اللطف) كونهما كانا معتقلين لدى السلطات الأردنية.



في وضع المتاريس عند دوار مكسيم (دوار فراس حالياً) بجبل الحسين، وكان يعلم أن وضع المتاريس لن يؤدي إلا إلى عرقلة مؤقتة ستمنحه مزيدا من الوقت للتحرك لموقع آمن أو أكثر حماية.

وعندما وصلت اللجنة العربية برئاسة جعفر النميري رئيس السودان وكان من بين أعضائها الشيخ سعد العبد الله ولي عهد الكويت آنذاك لم تتمكن من إجراء اتصال مع ياسر عرفات أو القيادة الفلسطينية إلا بعد أن تم توجيه رسالة للجنة عبر الإذاعة، وعندما علمت اللجنة العربية بمكان أبي عمار في جبل الحسين توجه إليه الفريق محمد صادق واصطحبه معه إلى مقر الاستخبارات العسكرية في جبل اللويبدة عند اللواء محمد عبد السلام المحجوب، وعند وصولهما إلى هناك تلقى الفريق محمد أحمد صادق برقية من الرئيس جمال عبد الناصر بضرورة إحضار أبو عمار للقاهرة لحضور مؤتمر القمة الذي سيعقد هناك فأبلغ الفريق صادق أبو عمار بأن يبقى في مقر الاستخبارات العسكرية لأنه سيمر عليه غداً.

وحينما حضر الفريق صادق في اليوم التالي لمقر الاستخبارات العسكرية في اللويبدة، لم يجد أبو عمار هناك فسأل أين ذهب؟ فقيل له أن مجموعة أتت وذهب أبو عمار برفقتها إلى شارع بارطو بالأشرفية – حيث توجد هناك الإذاعة الفلسطينية زمزم ١٠٥، وفي حقيقة الأمر أن المجموعة توجهت بداية إلى جبل الحسين حيث مقر أبو عمار هناك لكن الأمور لم تكن آمنة بما يكفي فتراجع أبو عمار والمجموعة التي كان يقودها نائب رئيس جهاز الرصد المركزي علي سلامة من دوار مكسيم وهبطوا نحو شارع السلط قرب البنك المركزي عبر الدرج الطويل الذي كان يربط ذلك الجزء من جبل الحسين بشارع السلط وسط مدينة عمان، وانتقلت المجموعة من زقاق لآخر حتى وصلت إلى سوق الذهب القريب من الجامع الحسيني، ثم سلكت راجلة الطريق المؤدي إلى الأشرفية ومخيم الوحدات حيث تتمركز قوات فلسطينية للدفاع عن المخيم، ومع حلول الظلام وصل أبو عمار والمجموعة المقاتلة المرافقة له إلى مركز قوات صلاح الدين في الأشرفية، ثم انتقل إلى مكان آمن بالقرب من الإذاعة الفلسطينية في نهاية شارع بارطو الذي يفصل الأشرفية عن مخيم الوحدات، وانتشر خبر وصول عرفات إلى المنطقة، وعند منتصف الليل خرج الآلاف من سكان المنطقة متوجهين لجامع أبو درويش يهللون ويكبرون.

وخلال وجود الفريق صادق في مقر الاستخبارات العسكرية بجبل اللويبدة حيث لم يجد عرفات هناك جاءت برقية أخرى مستعجلة إلى الفريق صادق من الرئيس عبد الناصر بالتأكيد

على ضرورة إحضار أبو عمار للقاهرة فسلم الفريق صادق البرقية للواء إبراهيم الدخاخني لأنه كان يعلم أنه على اتصال دائم مع أبو جهاد بواسطة جهاز اللاسلكي (كان اسم اللواء إبراهيم الدخاخني الحركي هو أبو اليسر) فقام اللواء الدخاخني بالتنسيق مع أبو جهاد للوصول إلى أبو عمار، وبذلك تم ترتيب الأمور لانتقال اللواء الدخاخني إلى حيث يوجد أبو عمار بهدف اصطحابه إلى السفارة المصرية في جبل عمان حيث توجد اللجنة العربية.



من اليمين عاطف صدقي رئيس وزراء مصر السابق، أبو عمار، اللواء محمد عبد السلام، أبو الطيب



من اليمين مرافقي أبي عمار، أبو النسور، اللواء ابراهيم الدخاخني في ايلول عام ١٩٧٠م

ياسر عرفات في القاهرة:

طلب أبو عمار من أبي حسن سلامة دراسة خطة الوصول للسفارة المصرية مع الضابط المصري، فبعث لي أبو حسن مستفسراً عن الطريق الملائم وطالبا توزيع مجموعات للاستطلاع والحماية، فاخترنا طريقاً بعيدة عن الشوارع الرئيسة ويتخللها الانتقال من بيت إلى بيت عبر الدخلات والأزقة تفادياً لأي صدام مع الجيش الأردني، ويتقدم أفراد المجموعة من منزل إلى منزل، ثم يشيرون للأخ أبو عمار ومن معه بأن يتبعوهم، وهكذا استمر السير إلى أن وصل أبو عمار مبنى السفارة، واتخذ من منزل خلف السفارة المصرية كان يسكنه نائب إبراهيم الدخاخني (زاهر لشين) مكانا لمنامة أبو عمار، وكانت السفارة المصرية مقابل فندق الأردن، وبعد أن تم الاطلاع على موقف اللجنة العربية اقترح الشيخ سعد العبد الله أن يتوجه الرئيس عرفات معهم إلى القاهرة لحضور القمة العربية، وافق الرئيس، وبدأ أبو حسن سلامة بدراسة خطة خروج الرئيس مع الوفد إلى المطار ثم إلى القاهرة ذلك أن الطريق من السفارة المصرية للمطار ملأى بالآليات والمصفحات والجنود، واقترح أبو حسن سلامة أن يتنكر الرئيس بلبس دشداشة كويتية والحطة والعقال الكويتيين، الشيخ سعد الصباح طويل القامة وجسده ضخم فيما الرئيس رفيع متوسط القامة، وانهمك أبو حسن وضباط المخابرات المصرية في ترتيب الدشداشة بحيث تبدو مناسبة.

عندما انتهى الأمر ووضع الرئيس الدشداشة والحطة والعقال وتم التشييك على جاهزية عائلتين من عوائل الدبلوماسيين التونسيين الراغبين بالمغادرة على الطيران المصري، أصبح الوفد جاهزاً للتحرك، ثم توجه موكب اللجنة العربية ويضم اللواء جعفر النميري، والباهي الأدغم، والشيخ سعد العبد الله السالم الصباح، والفريق محمد صادق وياسر عرفات و أبو حسن إلى المطار وكذلك العائلتان التونسيتان الأمر الذي أدى إلى اختلاط الوفد بالعوائل التونسية مما أسهم في تسهيل عدم الاشتباه بوجود أبو عمار ضمن الوفد، وهناك أصدر الرئيس جعفر النميري التعليمات بالصعود إلى الطائرة فوراً ودون بروتوكولات بسبب الأوضاع الطارئة وللالتحاق بالقمة العربية بأسرع وقت ممكن، ووصل ياسر عرفات ومعه أخي أبو حسن بصحبة اللجنة

العربية حيث حضر أبو عمار افتتاح القمة العربية الطارئة يوم ٢٥ / ٩ / ١٩٧٠م(٢٦).

قدم الرئيس جعفر النميري تقريراً لمؤتمر القمة العربي حول الأوضاع في الأردن، ثم عقد مؤتمرا صحفيا، وقام بإذاعة نص التقرير وبدلا من أن يخفف التقرير من حالة التوتر ويوقف القتال، أثار موجة من الغضب الأردني وأصبحت الأمور تتجه نحو الحسم لا سيما أن الرئيس النميري اتهم السلطات الأردنية بأنها تنفذ مخططاً كاملاً لإبادة رجال المقاومة الفلسطينية والفلسطينيين الموجودين في عمان كافة، ويجري تنفيذ المخطط برغم كل الوعود والإتفاقات.

وإستجابة للمطالبة العربية من الملك حسين كانت الحكومة العسكرية برئاسة الزعيم محمد داوود قدمت إستقالتها يوم ٢٦ / ٩ / ١٩٧٠م وتشكلت حكومة مدنية برئاسة السياسي المخضرم أحمد طوقان جاء في كتاب تكليفها إن صوت «النعرة الإقليمية» إن كان قد سمع في الأردن في يوم من الأيام فهو يجب أن «يختنق» إلى الأبد بلد واحد بضفتيه، ووحدة أهلنا، وأبناء شعبنا غرب النهر وشرقه منذ الأزل وستبقى على مر الدهور.

إتفاقية القاهرة بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية(٢٧):

طار الملك حسين إلى القاهرة يوم ٢٧ / ٩ / ١٩٧٠م أيضا لشرح موقف بلاده من الأحداث أمام مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في القاهرة وذلك بعد أن أقال الحكومة العسكرية وتكليف أحمد طوقان بتشكيل حكومة مدنية، وقد تمكن المؤتمر من إنجاز إتفاقية بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية وقع عليها كل من الرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين وياسر عرفات والملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، والأمير صباح السالم الصباح والرئيس اللبناني سليمان فرنجية، والرئيس الليبي العقيد معمر القذافي، والرئيس السوداني اللواء جعفر النميري والباهي الأدغم رئيس وزراء تونس، وأحمد الشامي عضو المجلس الجمهوري اليمني ونصت الإتفاقية على الآتي:

---

٢٦ ينقل الصحفي محمد أمين عن الفريق الأول محمد صادق خلال حديثه في حلقات نشرتها مجلة أكتوبر يوم ٢٠١٢/١١/٦ ما يلي: انطلقت الطائرة للقاهرة ونزل منها الرئيس السوداني جعفر النميري والوفد المرافق، واتجهت بياسر عرفات فوراً إلى رئاسة الأركان واتصلت هاتفيا مع الرئيس عبدالناصر وقت له «المهمة نفذت يا فندم»، فرد الرئيس عبدالناصر قائلا: ماذا فعلت؟ فقلت له: عرفات معي بالمكتب. فرد على غير مصدق.. معك في مكتب في القاهرة؟! قلت: نعم يا فندم بجواري الآن يرتدى بدلة الياور المرافق لي. فرد الرئيس عبدالناصر فرحاً: حالاً تكون عندي فورًا!! وبعد دقائق كنا في منزل الرئيس عبدالناصر وكان اللقاء مؤثراً وتعانق الرئيس عبدالناصر وعرفات وردد عبدالناصر «الحمد لله» عدة مرات وفى اليوم التالي كان الملك حسين في طريقه للقاهرة، وتم لله الحمد التوصل لاتفاق نهائي لوقف نزيف الدم يوم ٢٧ سبتمبر.

٢٧ موقع نادي الفكر العربي (وثيقة) اتفاق القاهرة الأردني الفلسطيني.

وصولا إلى حقن الدماء العربية نتيجة لما حدث في المملكة الأردنية الهاشمية خلال العشرة أيام السابقة لهذا الإتفاق، وصونا لأمن وسلامة الأمة العربية لما تتعرض له من مؤامرات إستعمارية، وتحقيقا للاستقرار في الأردن الشقيق الذي يتعرض للتمزق والألم، تم الاتفاق التام في هذا اليوم ٢٧ / ٩ / ١٩٧٠م بين المجتمعين في مؤتمر الملوك والرؤساء العرب على الآتي:

أولاً: انتهاء كل العمليات العسكرية من جانب القوات المسلحة الأردنية وقوات المقاومة الفلسطينية فورا، مع إنهاء كافة التحركات العسكرية التي لا تحتمها مقتضيات النشاط المعتاد وإيقاف كافة الحملات الإعلامية التي تتنافى مع أغراض هذا الاتفاق.

ثانياً: السحب السريع لكل القوات المسلحة الأردنية من عمان وإرجاعها إلى قواعدها الطبيعية مع سحب جميع القوات الفدائية من عمان وإعادة تمركزها في أماكن تلاءم العمل الفدائي.

ثالثاً: فيما يتعلق بمدينة إربد وغيرها من المدن تعود الأوضاع العسكرية والمدنية إلى ما كانت عليه قبل الحوادث الأخيرة تحت الإدارة الأردنية.

رابعاً: تحمل سلطات الأمن الداخلي حفظ الأمن تحت الإدارة المدنية.

خامساً: إطلاق سراح المعتقلين لدى الجانبين فوراً.

سادساً: تكوين لجنة عليا لمتابعة تطبيق هذه الاتفاقية الأساسية مع ما قد ينبثق عنها من اتفاقيات فرعية مع ممارسة تنسيق العمل والعلاقات بين كل من السلطة الأردنية والمقاومة الفلسطينية حتى يستتب الأمن وترجع الأمور إلى حالتها الطبيعية، كما أن لهذه اللجنة الحق ومسؤولية التوصية إتخاذ كل ما تراه من تدابير عملية وإجرائية كفيلة بما يحقق عودة الوفاق بين الأطراف المعنية وعودة الحياة إلى حالتها الطبيعية.

سابعاً: تكون للجنة المتابعة العليا ثلاثة مكاتب فرعية تابعة لها وتأتمر بأمرها على النحو الآتي:

مكتب عسكري يمارس جميع الشؤون العسكرية لتنفيذ بنود هذه الإتفاقية.

مكتب مدني يعنى بالشؤون المدنية التي تهم العلاقات الأخرى غير العسكرية بين الطرفين.

مكتب الإغاثة والإسعافات الذي يتولى الإشراف على توزيع المؤن والمساعدات التي تصل إليها من الدول العربية وغيرها على الضحايا والمصابين والمحتاجين.

ثامناً: تقوم اللجنة العليا للمتابعة بإعداد وإبرام اتفاقية ملزمة للطرفين تضمن استمرار النشاط والعمل الفدائي واحترام سيادة البلاد في حدود القانون فيما عدا الإستثناءات اللازمة للعمل الفدائي.

تاسعاً: القرارات التي تتخذها اللجنة العليا للمتابعة تنفيذا لهذه الإتفاقية تكون ملزمة إلزاما نهائيا وتاما لكل من الطرفين.

عاشراً: تمارس اللجنة العليا للمتابعة مسؤولياتها المشار إليها سلفا وفورا على أن ترفع تقارير عنها إلى الملوك والرؤساء العرب من وقت لآخر حول ما تقوم به من مهام، وما تتخذه من قرارات، وعن مدى سير هذه الإتفاقية وتقيد الأطراف المعنية بها.

حادي عشر: تتألف اللجنة العليا للمتابعة برئاسة السيد باهي الأدغم رئيس وزراء جمهورية تونس، وعضوين آخرين احدهما يمثل السلطة الأردنية يعينه الملك حسين، والثاني يمثل المقاومة الفلسطينية ويعينه ياسر عرفات.

ثاني عشر: تهيئة الجو المناسب لتنفيذ هذه الإتفاقية مما يجعل الوصول إلى ما رمت إليه من أهداف سامية ممكنا وشرعيا ويلتزم الطرفان بإنهاء كافة الأوضاع الإستثنائية والحكم العسكري.

ثالث عشر: في حالة إخلال أي من الطرفين الأردني والمقاومة الفلسطينية بأي بند من بنود الاتفاقية أو عرقلة تنفيذها ستقوم كل الدول العربية الموقعة باتخاذ إجراءات موحدة وجماعية ضدها.

رابع عشر: دعم الثورة الفلسطينية والوقوف معها حتى تتحقق أهدافها في التحرير الكامل ودحر العدو الإسرائيلي الغاصب.



من اليمين الملك حسين، جمال عبد الناصر، ياسر عرفات، القذافي وجعفر النميري اثناء انعقاد مؤتمر القمة الطارئ عام ١٩٧٠م الذي عقد في القاهرة على أثر أحداث أيلول

وفاة الرئيس جمال عبد الناصر:

بينما كان الرئيس جمال عبد الناصر يستعد لتوديع إخوانه من الملوك والرؤساء العرب الذين أشرفوا على إنجاز إتفاقية القاهرة بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية شعر بوعكة صحية لم تسعفه طويلا، حيث صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٧٠م لتلحق بالأمة العربية نكسة هي في حد ذاتها أشد وطأة من نكسة حزيران عام ١٩٦٧م.

لم يكن الرئيس جمال عبد الناصر زعيما للجمهورية العربية المتحدة وحسب، بل كان زعيما للأمة العربية، وزعيما عالميا يحظى بكل التقدير والاحترام سواء لدى دول عدم الإنحياز أو لدى الدول العظمى، وقد تركت وفاته أثرها على المقاومة الفلسطينية التي فقدت سندها الكبير، كما خيم الحزن والأسى على البيوت الفلسطينية والعربية التي رفعت الرايات السوداء حداداً عليه.

فقدت الأمة العربية بوفاته ثقلها في تعزيز العمل الوحدوي العربي، وتأثرت مكانتها إقليميا ودوليا وخسر الأمن القومي العربي قائدا مفكرا وصاحب رؤيا إستراتيجية لبناء نظام عربي

موحد هو الأساس لقوة العرب، وقد بكته الجماهير العربية بحرقة فقد كان المجسد لآمالها وطموحاتها في استرجاع الأراضي العربية المحتلة، وكان رمزها للعزة والكرامة والصمود والتحدي في مواجهة العدو الإسرائيلي وكل أعداء الأمة العربية.

وبناءً على إقتراح قدمه اللواء جعفر النميري عقد جميع الملوك والرؤساء العرب وممثليهم اجتماعا في القاهرة يوم ١ / ١٠ / ١٩٧٠م بمناسبة وفاته حيث أصدروا البيان الآتي: «نحن قادة الأمة العربية وممثلي قادتها من ملوك ورؤساء المجتمعين بالقاهرة يوم ووري جثمان عزيزنا الراحل، وفقيدنا الكبير، المقاتل المستبسل، والبطل الجسور، المغفور له الرئيس جمال عبد الناصر.. نعاهد أمتنا ونعاهد عزيزنا الراحل ولا تزال كلماته المهيبة تستنهضنا.. وقدوته المثلى الرائعة تلهمنا وتستحثنا على الاستمرار بأشد عزماً واقتداراً مما كنا عليه، قولا وفعلا.. في مواجهة الإستعمار بكافة أشكاله وأساليبه، وشتى مؤامراته ومخططاته، وفي حرب الصهيونية حركة وتنظيما، ودولة واحتلالا وحلفا، حتى نحرر كل شبر سليب في الوطن، سيناء، والجولان، والقدس وكل فلسطين دولة دولة متجاوزين على شكليات حدودنا، الإقليمية الضيقة، مطلين فوق همومنا الصغيرة على جراح وطننا الأكبر الكثيرة، متضافرين في وجه عدونا المشترك، نابذين خلافاتنا وحزازياتنا عاقدين العزم على الموت أو الانتصار.

اتفاقية تنظيم العلاقات بين الأردن و (م.ت.ف):

كان مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذي نجح في التوصل إلى إتفاق وقف إطلاق النار في الأردن، قد كلف رئيس مجلس الوزراء التونسي باهي الأدغم برئاسة اللجنة العليا المكلفة بمتابعة تنفيذ الإتفاق وقد اجتمعت اللجنة في العاصمة الأردنية عمان يوم ١ / ١٠ / ١٩٧٠م وأصدرت البيان التالي حول الخطوات الواجبة لتنفيذ إتفاقية القاهرة(٢٨):

إخلاء القواعد الفدائية القديمة المعروفة لدى الطرفين والمحتلة من قبل قوات الجيش العربي الأردني حتى تتمكن القوات الفدائية المنسحبة من عمان من العودة إليها وبشكل خاص الموجودة حول السلط وإربد والبحر الميت.

تتجمع القوات الفدائية المنسحبة من عمان إلى مناطق أحراش عجلون كمرحلة أولى لإعادة تنظيمها ثم توزيعها فيما بعد في قواعد تمركزها القديمة بما في ذلك القواعد التي كانت في الجنوب،

---

٢٨ شبكة المحامين العرب، الرياض.



وذلك بعد ٤٨ ساعة من إنسحاب الجيش من القواعد التي يحتلها الآن.

تنسحب قوات جيش التحرير الفلسطيني إلى أماكن تمركزها القديمة بين إربد والطرّة.

تعود القوات الفدائية التي انسحبت إلى داخل الحدود السورية إلى مواقعها القديمة في الأردن.

تعود القوات الفدائية التابعة لقطاع الجولان إلى قواعدها في الجولان (سوريا).

ضمان حرية التحرك على كافة الطرق الرئيسة والفرعية المؤدية إلى القواعد.

فتح طريق الرمثا – درعا مع حرية الدخول والخروج لقواعد جيش التحرير الفلسطيني والفدائيين من سوريا إلى الأردن وبالعكس على أن يحمل كل فرد هويته الشخصية وبها صورته على غرار هوية الجندي في جيش التحرير الفلسطيني وتعتبر الهوية وثيقة دخول وخروج مقبولة.

يبدأ التنفيذ اعتبارا من الساعة ١٢ يوم السبت الموافق ٣ / ١٠ / ١٩٧٠م وتنتهي في ظرف (٤٨) ساعة.

تعود قوات الجيش الأردني من مواقعها الحالية وإرجاعها إلى قواعدها الطبيعية خلال (٤٨) ساعة، من الساعة ١٢ يوم السبت الموافق ٣ / ١٠ / ١٩٧٠م ويشمل هذا الاتفاق عموم مدن وقرى الأردن.

يشرف المكتب العسكري على تنفيذ هذه الاتفاقية ويرفع تقريره إلى رئيس اللجنة فور إنهاء الإنسحاب لكلا الطرفين.

أصدرت اللجنة العليا بتاريخ الاثنين ٥ / ١٠ / ١٩٧٠م بيانا حول المباشرة بتنفيذ إتفاقية القاهرة جاء فيه خلافا لما نشر في بعض الصحف والإذاعات تؤكد اللجنة أن الهدوء يسود جميع أنحاء المملكة، وأن مراقبيها العسكريين لم يلاحظوا أي مناوشات أو حوادث تعرض الأمن للخطر أو تعوق وقف إطلاق النار، وتود اللجنة أن تذكر الجمهور بنداءاتها السابقة لاستعمال العقل وعدم الإصغاء إلى ما ينشر من معلومات غير صحيحة التي تفسد الجو ولا تساعد على خلق الثقة وإعادة الطمأنينة، ويسر اللجنة أن تعلن خطوة ناجحة في تطبيق بند اتفاقية القاهرة الخاص بالإفراج عن المحجوزين.

فقد أفرج يوم ٤ / ١٠ / ١٩٧٠م عن (٧٤٠٠) شخص من المحجوزين في مبنى الجمارك الجديد، وسيفرج عن (٥٠٠) آخرين اليوم (٥ / ١٠ / ١٩٧٠م) وسيوضع المبنى في تصرف

مكتب الإسعاف التابع للجنة، أما بالنسبة إلى المحتجزين في طبربور سيبقى (١٥٠) فقط من أصل (٦٠٠) محتجز، ويفرج عن هؤلاء في الساعات القليلة القادمة، وفي مدرسة الأيتام بالزرقاء سيبقى (١٢٠٠) فقط من أصل (٣٨٣٢ محتجز) وهؤلاء سيفرج عنهم في الثماني والأربعين ساعة القادمة، وفي كلية الهندسة بالزرقاء أفرج عن (٣٠٠٠) محجوز والباقون سيفرج عنهم في الثماني والأربعين ساعة القادمة.

ظهرت بوادر انفراج جديد في الأزمة يوم ١٣ / ١٠ / ١٩٧٠م حين وقع كل من الملك حسين وياسر عرفات والباهي الأدغم اتفاقية تنظيم العلاقات بين الأردن واللجنة المركزية لـ(م.ت.ف)، وجرى توقيع الإتفاقية خلال احتفال غريب، حيث لم يتم الإحتفال في مجلس الوزراء كما هو الحال في المناسبات المماثلة، لكنه جرى في السفارة التونسية حيث إستقبل الباهي الأدغم بصفته ممثلا لرؤساء الدول العربية ياسر عرفات والملك حسين عند مدخل السفارة التونسية في عمان، واقتادهما إلى قاعة كبرى تملؤها مقاعد من طراز لويس الخامس عشر وقد امتلأت برؤساء البعثات الدبلوماسية العربية المعتمدين في عمان.

كان ياسر عرفات مرتديا لباسه الكاكي ومعتمراً كوفيته التقليدية ذات المربعات السوداء والبيضاء، ودخل بمهابة عظيمة والابتسامة على شفتيه ووجهه مستبشر، فحيا الحضور.. في حين دخل الملك حسين يرتدي بزة جنرال وبعد أن صافحه الجميع توجه نحو ياسر عرفات وحياه وجلس بالقرب منه، وبعد برهة من الوقت رافق الباهي الأدغم ضيوفه نحو طاولة مستطيلة يعلوها غطاء أخضر، فجلس الملك حسين على يمينه وجلس ياسر عرفات على شماله، وحينذاك بدأت عملية التوقيع على الإتفاق.

وبعد ديباجة الإتفاقية جاء الآتي(٢٩):

تنفيذا للمادة الثامنة والثانية عشر من إتفاقية القاهرة التي وقعها الملوك والرؤساء العرب يوم ٢٧ / ٩ / ١٩٧٠م والتي ما زالت سارية المفعول، بالإضافة إلى الاتفاقية المنبثقة عنها المتعلقة بالإنسحاب والمؤرخة في عمان في ١ / ١٠ / ١٩٧٠م والمرفقة مع هذه الاتفاقية والمعتبرة من ملحقاتها. تم الاتفاق على:

الأردن بضفتيه أرضا وشعبا وحدة واحدة لا تتجزأ، وهو القاعدة الأساسية للثورة

٢٩ المرجع نفسه.



الفلسطينية وللنضال من أجل تحرير فلسطين.

تأسيسا على ما جاء في الفقرة (١) أعلاه ومن أجل تحقيق مضمونها، تسخر الطاقات الشعبية والعسكرية في الأردن لخدمة هدف تحرير فلسطين، وتلتزم الحكومة الأردنية بمساندة الثورة الفلسطينية في المعركة من أجل التحرير وانتزاع الحق من يد العدو الغاصب واتخاذ كل ما من شأنه تمكين التساند بين الجيش العربي الأردني والثورة الفلسطينية ليصبحا قولا وعملا في خندق واحد ضد العدو الصهيوني ولتحقيق هدف التحرير.

الوحدة والتعبئة والتنظيم الشعبي والقتالي وحركة العمل والتنقل السياسي والعسكري والإعلامي والاجتماعي والمالي، من الأمور الأساسية للثورة الفلسطينية وتمارسها بحرية.

الشعب الفلسطيني وحده ممثلا بالثورة الفلسطينية هو صاحب الحق في تقرير مصيره.

إن الثورة الفلسطينية هي قوة وطنية نضالية وهي من المستلزمات الأساسية للمعركة ضد العدوان من أجل التحرير ولهذا ينبغي تعضيدها وتصعيدها.

تتعهد الحكومة بأن لا يقوم أو يعمل أي جهاز أو تنظيم أو أي جهة في الأردن ضد مصلحة الثورة الفلسطينية والوحدة الوطنية.

تعميق الوحدة الوطنية بممارسة المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين كل أبناء الشعب في كافة ميادين الحياة ومؤسسات الدولة المدنية والعسكرية والسياسية والاقتصادية بدون أي تمييز.

شؤون العمل الفدائي(٣٠)

تعد عمان المقر الرئيس للجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بجميع فروعها السياسية والعسكرية والإعلامية والاجتماعية وغيرها.

تنشئ اللجنة المركزية مكاتب فرعية لها في مدن وقرى المملكة حسب ما ترى ذلك مناسبا.

تؤمن اللجنة المركزية الحراسات اللازمة لمكاتبها في العاصمة والأماكن الأخرى، كما تؤمن الحراسة للقياديين.

تكون قوات الثورة الفلسطينية من قوات جيش التحرير الفلسطيني وقواعد الفدائيين، وتتولى القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية المعينة من قبل اللجنة المركزية مسؤولية هذه

---

٣٠ المرجع نفسه.

القوات بأجمعها.

اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية هي المسيطرة والملتزمة والمسؤولة عن الثورة الفلسطينية سياسيا وعسكريا وفي كل ما يتعلق بشؤون العمل الفدائي ونشاطه وحقوقه وواجباته.

ما تلتزم به اللجنة المركزية نحو الحكومة الأردنية يكون ملزما للثورة الفلسطينية لكافة قواتها ومؤسساتها، وما تلتزم به الحكومة نحو اللجنة المركزية يكون ملزما لكافة أجهزة الدولة.

حرية وحماية العمل الفدائي وتأمين سلامته وحقه في التعبئة الشعبية والوطنية تضمنه الحكومة الأردنية، بما لا يمس سيادة البلاد في حدود القانون مع مراعاة الاستثناءات اللازمة للعمل الفدائي.

يجري توجيه أجهزة التعبئة المعنوية والإعلام لخدمة هدف التحرير المشترك.

تعتبر المؤسسات الآتية مؤسسات رئيسة للجنة المركزية وتمارس عملها بحرية تامة وهي:

مؤسسة الهلال الأحمر الفلسطيني.

مؤسسة المليشيا، وتتولى القيادة العامة للثورة الفلسطينية المعينة من قبل اللجنة المركزية مسؤولية هذه المؤسسة وكل شؤون الضبط والربط الخاصة بها، ويلتزم أفراد المليشيا بأحكام البنود(ب) من المادة (٢) من الفصل الرابع.

مؤسسة رعاية أسر المجاهدين والشهداء.

جريدة وإذاعة حركة فتح.

الخدمات الطبية لقوات الثورة الفلسطينية.

المؤسسات الإنتاجية الخاصة للثورة الفلسطينية.

مؤسسة الدراسة والبحث العلمي.

التنقل والتحركات(٣١)

تؤمن حرية التنقل والتحرك لقوات الثورة على كافة الطرق الرئيسة والفرعية إلى كافة قيادات ومواقع وقواعد قوات الثورة بما في ذلك الطريق المؤدية إلى داخل وخارج البلاد، ولا يجوز إقامة الحواجز والموانع من كلا الطرفين على هذه الطرق.

---

٣١ المرجع نفسه.



يسمح بمرور سيارات قوات الثورة الفلسطينية داخل المدن والقرى سواء كانت مسلحة أو غير مسلحة على أن يكون لديها أمر مهمة موقع حسب الأصول من المرجع المختص لدى قيادة الثورة مع الإلتزام بقواعد السير المقررة.

يسمح للمجازين بارتداء اللباس العسكري أثناء تنقلهم على أن يتم التنقل بدون سلاح، ويستثنى من ذلك القادة السياسيون والعسكريون إذ يجوز لهم حمل الأسلحة الفردية بإذن خطي من القيادة العامة للثورة الفلسطينية.

تلتزم الحكومة الأردنية بالآتي:

عدم التعرض لأفراد قوات الثورة الفلسطينية أو التدخل في شؤونهم من قبل أي سلطة وتحت أي ظرف إلا عن طريق قيادتهم.

إعتماد الوثائق الصادرة عن اللجنة المركزية والقيادات العسكرية وأجهزتها.

المخالفات العسكرية والانضباطية يبث فيها من قبل قيادة الثورة الفلسطينية ويخضع أفراد الفدائيين فيما عدا ذلك إلى المحاكم المدنية الأردنية.

تقوم مديرية الأمن العام بتبليغ قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني لدى توقيف أي فدائي من جراء إرتكاب جريمة من الجرائم الداخلة في اختصاص المحاكم المدنية والجزائية النظامية.

في الجرائم التي لها مساس بالقوات المسلحة الأردنية يجري تحقيق مشترك من قبل الطرفين ويحال المتهم إلى المحكمة ذات الإختصاص.

يعامل أفراد قوات الثورة الفلسطينية المعاملة اللائقة التي يعامل بها أفراد القوات المسلحة الأردنية، ويكون لقوات الثورة الفلسطينية الحقوق والتسهيلات نفسها العائدة للقوات المسلحة الأردنية.

تلتزم اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بمراعاة الآتي:

عدم التعرض للمواطنين وممتلكاتهم بأي شكل من الأشكال من قبل أي فرد ينتمي إلى قوات الثورة الفلسطينية.

عدم التعرض لأي فرد من أفراد القوات المسلحة الأردنية من قبل أي فرد ينتمي إلى قوات الثورة الفلسطينية.

التقيد بالقوانين والأنظمة المرعية مع مراعاة الإستثناءات اللازمة للعمل الفدائي.

تمنع الجباية من قبل الأفراد ويعتمد أسلوب الجباية الموحدة المقرر من اللجنة المركزية.

كل فدائي يرتكب جرم الإعتداء على أي مواطن أو أملاكه يسلم إلى المحاكم الأردنية المختصة.

يحمل كل فدائي هوية تثبت شخصيته وتحمل صورته الشمسية على غرار الهوية المعتمدة في جيش التحرير الفلسطيني، وفي حالة تحركه تعتبر هذه الهوية وثيقة سفر مقبولة على أن يحمل معه إجازة أو أمر مهمة من مرجعه المختص.

يجري ترقيم كافة السيارات التابعة لقوات الثورة الفلسطينية من المرجع المختص في اللجنة المركزية أو القيادة العامة لقوات الثورة، ويترتب على كل سائق أن يحمل شهادة قيادة سيارة إما مدنية صادرة عن دائرة السير، أو عسكرية صادرة عن قيادة الثورة، على أن يراعى توحيد علامات السير وأماكن تثبيت العلامات على السيارات.

عدم حمل السلاح من قبل كافة أفراد قوات الثورة الفلسطينية في المدن إلا في الحالات الواردة في البنود السابقة.

عدم القيام بأية تظاهرات عسكرية.

عدم إطلاق الرصاص أو إجراء المناورات والتدريب بالذخيرة الحية داخل المدن والقرى الآهلة بالسكان.

(ملاحظة): بما أن البند الخامس من اتفاقية القاهرة يقضي بإطلاق سراح المعتقلين فورا، فإنه لا يجوز إعتقال أو توقيف أي فرد بسبب الحوادث الأخيرة.

إنطلاقا من الرغبة المشتركة في تنفيذ إتفاقية القاهرة نصا وروحا، وكذلك هذه الاتفاقية، ومن اجل معالجة أي قضية تنشأ، تؤلف لجنة مشتركة دائمة تتكون من ممثل عن حكومة المملكة الأردنية وممثل عن اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ويرأسها رئيس لجنة المتابعة العربية العليا المنبثقة عن اجتماع الملوك والرؤساء العرب المنعقد في شهر أيلول ٩ / ١٩٧٠م بالقاهرة، أو من ينتدبه، ويتفرع عنها بنفس تركيب اللجنة المشتركة الدائمة الآتي:

مكتب سياسي دائم الإنعقاد يعنى بكل الشؤون غير العسكرية.

مكتب عسكري دائم الإنعقاد يعنى بجميع الشؤون العسكرية يتبع له جهاز تنفيذي مكون من عدد من الضباط العرب.

مكتب إغاثة ويعنى بجميع شؤون إغاثة المواطنين ومساعدة المنكوبين في الحوادث الأخيرة.

بروتوكول تنفيذ اتفاقية عمان:

تم الاتفاق على "بروتوكول لتنفيذ اتفاقية عمان" في ٢١ / ١٠ / ١٩٧٠م على النحو الآتي:

تنفيذا للبنود الثاني والثالث والرابع والسادس من إتفاقية عمان، وإعمالا لنصوص لائحة تنظيم أعمال اللجنة العسكرية العليا وما يتفرع عنها من لجان، فقد اجتمع في عمان الساعة التاسعة من صباح يوم الأربعاء الموافق ٢١ / ١٠ / ١٩٧٠م الآتية أسماؤهم:

– اللواء الركن محمد خليل عبد الدايم	رئيس هيئة الأركان الأردنية
– اللواء الركن زهير عمر مطر	مدير الأمن العام الأردني
– الزعيم الركن مفضي عبد المصلح	مدير العمليات الحربية الأردنية
–العميد أحمد عبد الحميد حلمي	رئيس اللجنة العسكرية العليا
– المقدم أحمد عبيدات	مساعد مدير المخابرات العامة الأردنية
– السيد أبو إياد (صلاح خلف)	عن اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية
– السيد ممدوح صيدم "أبو صبري"	عضو اللجنة المركزية لحركة فتح
– العميد الركن عبد الرزاق اليحيى	القائد العام لجيش التحرير الفلسطيني
– العميد الركن سمير الخطيب	منظمة التحرير الفلسطينية
– العقيد أحمد عفانه (أبو المعتصم)	حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"
– العقيد جواد عبد الرحيم	منظمة التحرير الفلسطينية
– المقدم نهاد نسيبه	منظمة التحرير الفلسطينية

واتفقوا على الآتي:

أولا:

أن يكون المقر الرئيس للجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بجميع فروعها حسب الجدول الملحق بهذا البروتوكول.

أن يكون عدد العمارات المخصصة لجميع مكاتب ودوائر منظمة التحرير الفلسطينية عشر عمارات بحد أعلى.

يخصص عمارتان لجيش التحرير بجميع فروعه ومكاتبه.

تخصص عمارة واحدة كمستشفى لجيش التحرير.

يختار مكان جديد لمبنى الكفاح المسلح وكذلك مكان جديد لجيش التحرير على ألا يعود لأي من هاتين الهيئتين أو أية هيئة أو مكتب أو قوات من قبل الفدائيين إلى إعادة احتلال المبنيين القديمين.

ثانيا: مكتب اللجنة المركزية:

يفتح في كافة مدن المملكة الأردنية الهاشمية مكاتب تابعة للجنة المركزية وكذلك في المخيمات كالآتي:

تخصص عمارة في مدينة إربد وبناية مناسبة لتكون مكتبا في مدينة الزرقاء.

تحدد أماكن المكاتب في المخيمات بمعرفة اللجنة العربية العليا.

تحدد أماكن المكاتب في المدن بمعرفة اللجنة العليا.

ثالثا: الحراسات:

تكون الحراسات على جميع القيادات والمكاتب والدوائر التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية كالآتي:

فصيل من جيش التحرير قوامه ثلاثون فردا.

عشرة حظائر من جيش التحرير تتكون كل حظيرة من ثمانية أفراد، ويكون بذلك مجمل أفراد الحراسات اللازمة مائة وعشرة أفراد.

يكون التسليح لهذه الحراسات تسليحا شخصيا وهو إما المسدس، أو البندقية الكلاشنكوف.

تخصص الحراسات للقادة العسكريين لمنظمة التحرير الفلسطينية كالآتي:

القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية وحرسه الخاص حسب تقدير القائد العام، حيث عدد الأفراد والتسليح.

القائد العام لجيش التحرير الفلسطيني ويحرسه حرسه الخاص حسب تقديره من حيث عدد الأفراد والتسليح.

قادة القوات ويخصص لكل قائد فردان للحراسة.

رابعا: القيادات:

القيادة العامة ومقرها الرئيس في مدينة عمان حسب ما ورد في التشكيل السابق الموضح في الجدول (أ) الملحق بهذا البروتوكول. أما القيادات الفرعية فيشكل في كل قطاع من القطاعات العسكرية مركز للقيادة ومركز تموين ومستودعات للإعاشة يختار مكانان في أطراف المدن ليكونا مقرا للورش، ومشاغل الصيانة، ولا يجوز إطلاقا أن يتواجد مسلحون في هذين المكانين.

أما القواعد فتحدد مراكزها كما حددت باتفاقية عمان ومراكز القواعد التدريبية تحدد بعد استطلاع الأرض بما يناسب وينسجم مع تواجد القواعد الفدائية على ألا يتجاوز المناطق المنصوص عليها في إتفاقية عمان.

خامسا: الكفاح المسلح:

توزيع الأفراد: يتم توزيع الأفراد في الكفاح المسلح كالآتي:

في عمان:

في نقط التفتيش على مداخل المدينة وهي:

المدينة الرياضية خمسة أفراد.

مثلث صويلح خمسة أفراد.

ماركا خمسة أفراد.

أم الحويان خمسة أفراد.

في داخل مدينة عمان: يحدد عدد أربعين فردا للعمل كدوريات داخل المدينة للمحافظة على الانضباط العسكري.

في جرش:

في داخل مدينة جرش عشرة أفراد.

في مخيم سوف خمسة أفراد.

في مخيم غزة خمسة أفراد.

في مخيم البقعة خمسة أفراد.

وبذلك يكون جملة الأفراد في منطقة جرش خمسة وعشرين فردا.

في السلط: يتواجد ستة أفراد.

حوالي السلط: يتواجد ستة أفراد.

في الزرقاء:

في مدينة الرصيفة خمسة أفراد.

في مخيم شنلر خمسة أفراد

في مدينة الزرقاء عشرة أفراد.

وبذلك يكون جملة الأفراد في مدينة الزرقاء عشرون فردا.

في مدينة إربد: يتواجد ١٥ فرداً.

في مثلث الرمثا: خمسة أفراد

الرمثا: سبعة أفراد

نظام العمل

لا يجوز لسيارات الكفاح المسلح أن يركب عليها أية رشاشات.

يكون أفراد الكفاح المسلح في مدن جرش والزرقاء وإربد والسلط والرصيفة والمخيمات عبارة عن دوريات راجلة وليست نقطا ثابتة.

سادساً: التنقل والتحركات:

يسمح لأعضاء اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ولجميع ضباطها بحمل سلاحهم الفردي (المسدس) على أن يكون مع كل منهم ترخيص من قيادة الثورة بحمل هذه الأسلحة.

ترقيم السيارات:

تحدد أرقام السيارات العسكرية التابعة لجيش التحرير وتعطى أرقاما خاصة، وتحمل جميع الوثائق الخاصة بملكية هذه السيارات لهذه القوات وتتقيد بأنظمة السير المعمول بها في المملكة.

يحدد لون خاص لهذه السيارات.

تحدد أرقام سيارات قوات الثورة الفلسطينية وتعطى أرقاما محددة، وتحمل جميع الوثائق التي تثبت ملكية هذه السيارات للثورة وتتقيد بأنظمة السير المعمول بها.

من أيلول ١٩٧٠ إلى أيلول ١٩٧١م كان الخروج من الأردن:

جاء يوم ٢٨ / ١٠ / ١٩٧٠م بحكومة أردنية جديدة برئاسة وصفي التل، بينما كان المواطنون في الأردن عاكفين على صيام شهر رمضان، وقد ازدادت مخاوفهم لقرب موعد ٩ / ١١ / ١٩٧٠م حيث من المقرر أن تتولى فيه قوات الأمن الأردنية وحدها حسب الإتفاقية الموقعة بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية صلاحيات المحافظة على الأمن دون رقابة اللجنة العسكرية، وإنه في ذلك اليوم ستنسحب قواعد الفدائيين من عمان، وكانت حكومة وصفي التل قد استبقت هذه الإجراءات بوضع مخفر للشرطة في كل حي وشارع، حيث لم تعد بحاجة إلى الإبقاء على الدبابات الأردنية لضبط الأمن والسيطرة على الشارع الأردني.

والشيء الوحيد الذي كان مطمئنا للناس منذ ذلك التاريخ هو وجود باهي الأدغم رئيس اللجنة العليا للمتابعة في عمان، حيث كان يرقب الأوضاع من خلال اللجنة العسكرية المنبثقة برئاسة العميد أحمد حلمي، وكان ضمن اللجنة العميد حمدي والعقيد سمير وهما من الخبراء في الشأن الفلسطيني إلا أنه ما إن غادر باهي الأدغم العاصمة عمان عائداً إلى تونس حتى اندلعت الاشتباكات من جديد بين القوات الأردنية والفدائيين وصفها العميد أحمد حلمي في تقريره للباهي الأدغم قائلاً: بأن هناك بين السلطات الأردنية من لم يعد يعبأ بوجود لجنة الرقابة العسكرية.

ثم جاء إنعقاد الدورة الثامنة للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة يوم ٢٨ / ٢ / ١٩٧١م دون أن يقرر شيئا على صعيد إنقاذ الثورة الفلسطينية، أو التمكن من إيجاد وسيلة لوقف إطلاق النار الذي ظل مستمرا بلا هوادة، وكانت شدته في معركة الشمال «إربد»...

ويروي يحيى يخلف، الذي كان آنذاك أميناً لسر التنظيم في منطقة شمال الأردن، مأساة تلك الأحداث فيقول: «في الشهور الأولى من ١٩٧١م أصبح أبو علي إياد نافذتنا الوحيدة بعد أن أحكمت قوات الجيش الأردني السيطرة على الطرق المؤدية إلى عمان، كان أبو علي إياد آنذاك يتخذ من أحراش عجلون موقعا لقيادته، وذلك بعد أن وزع خليل الوزير المهام حيث تسلم هو شخصيا منطقة أحراش جرش بمساعدة أحمد عفانة (أبو المعتصم) وكان يتردد على الأحراش كمال عدوان، وكان مرجعنا في إربد أبو ماهر غنيم الذي التحق بدورة في الأحراش في الفترة التي

سبقت هجوم الجيش على إربد، والحقيقة أن أبا ماهر غنيم كان قائدا منحنا الدعم والمساندة طوال فترة وجوده في إربد.. ومنحنا الكثير من وقته لمعالجة مشاكلنا، والسهر على شؤوننا لكن موقع الأحراش في عجلون ظل النافذة القريبة المفتوحة التي يلجأ إليها الجميع، كنا نتبادل الرسائل مع القائد أبو علي إياد من خلال الأخوات من بنات التنظيم في إربد، يحملن الرسائل ويتحملن الخطر، وعندما كانت تصل رسالة من أبي علي إياد كنا نقرأها فترتفع معنوياتنا نحن الذين نعيش حالة حصار، كانت إربد محاصرة من جميع الجهات، ولم يبخل علينا أبو علي إياد بالأموال ولا بالعتاد ولا بالكلمات التي تعزز صمودنا، وكنا نمده بالتقارير والمعلومات التي نحصل عليها، وفي يوم ٢٦ / ٣ / ١٩٧١م أحكمت قوات اللواء المدرع (٤٠) السيطرة على مداخل المدينة، وأصدرت لنا أمرا بإلقاء السلاح والإستسلام، وعليه اجتمعنا في قيادة المليشيا أنا وأبو أروى وجمعة الناجي وموسى عامر «كفاح عوده» وعدد من الأخوة الآخرين، وكان معنا القائد العسكري «أبو فتحي أبو الهيجا» أحد المسؤولين عن منطقة عجلون –إربد، وكان قادما لزيارة عائلته، حيث قررنا الدفاع عن مواقع الثورة في منطقة إربد حتى آخر لحظة، واتصلنا بالأحراش فجاء صوت أبو علي عبر جهاز اللاسلكي ليبارك قرارنا. لقد كانت معركة إربد غير متكافئة، قاتلنا فيها بالفعل حتى آخر طلقة، واستشهد العديد من إخواننا ومن بينهم «أبو فتحي أبو الهيجا»(٣٢)، وانتهت معركة إربد بخروجنا من منطقة الشمال، وزج بالذين تم إعتقالهم في معتقل الجفر الصحراوي، ومن كتبت له النجاة ذهب مشيا على الأقدام إلى الحدود السورية، بعد معركة إربد أصبحت الأحراش وعجلون منطقة محاصرة من جميع الجهات، وأصبح قلقنا على مصير أخواننا هناك وعلى رأسهم أبو علي إياد متزايدا، وقد مضت شهور قبل أن تبدأ معركة الأحراش».

ورغم اجتماع ممثلي الملوك والرؤساء العرب في القاهرة يوم ١٠ / ٤ / ١٩٧١م وإرسالهم رسائل لكل من الملك حسين بن طلال وياسر عرفات، إلا أن الجيش الأردني كان قد أحكم سيطرته على العاصمة عمان، ودل على ذلك بيان المشير حابس المجالي الحاكم العسكري العام في الأردن يوم ١٣ / ٤ / ١٩٧١م حول إخضاع مناطق عمان للتفتيش عن الأسلحة، وجاء في البيان أنه استكمالا لعمليات التفتيش عن الأسلحة الممنوعة التي تقوم بها قوات الأمن العام فقد تقرر

٣٢ محمود صالح أبو الهيجاء لقبه الحركي «درويش»، لقبه أبو علي إياد بـ«تاريخ فلسطين» من الرعيل الأول بقيادة فتح في قطاع شمال الأردن، اشترك بالإعداد لعملية عيلبون عام ١٩٦٥/١/١م ورافق أبو علي إياد بعملية بيت يوسف ١٩٦٦/٤/٢٥م وقاد عمليات طوباس القتالية مع العدو، ثم التحق لدورة عسكرية للصين الشعبية. بعد عودته للجبهة قاد قطاع عجلون وأشرف على عمليات فدائية ناجحة حتى زيارته مخيم إربد الذي غادره قادته بتاريخ ١٩٧١/٣/٢٤م واستشهد بعد عصر يوم السبت ١٩٧١/٣/٢٦م في حادث مريع بعد محاولته إبرام صفقة وقف اطلاق النار مع قائد الحملة العسكرية الأردنية. المصدر: (مصطفى الأسعد).



أن تجري عمليات التفتيش صباح الأربعاء ١٣ / ٤ / ١٩٧١م في مناطق الوحدات والأشرفية والجوفة والتاج للتأكد من خلوها من الأسلحة والمسلحين، وعليه ألفت انتباه المواطنين إلى أن تعاون سكان جبل الهاشمي الشمالي والجنوبي والمحطة والنصر قد ساعد على عملية التفتيش بهدوء ويسر.

بعد سيطرة الجيش الأردني على العاصمة عمان ومدن الزرقاء وإربد وحصار الفدائيين في أحراش عجلون وجرش والسلط وغور الأردن، وتسليم ثغرة عصفور من قبل الفدائيين إلى الجيش الأردني حيث شهدت الأحوال هدوء نسبيا استمر حوالي ثلاثة أشهر لم تخل من الاختراقات والمصادمات التي أصبحت روتينا عاديا حتى أحداث يوم ١٣ / ٧ / ١٩٧١م حين وجهت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية مذكرة إلى السفراء العرب في دمشق تقول أن الجيش الأردني بدأ منذ الساعة الثالثة من فجر يوم ١٣ / ٧ / ١٩٧١م بتنفيذ عملية هجوم واسعة ضد قواعد الفدائيين في الأحراش وغور الأردن دافعا لتنفيذها الفرقة الثانية ولواءين من سلاح الدروع وكتيبتين من المدفعية وكتيبتين من الصاعقة، وهذه القوات مسنودة بمدفعية الفرقة الأولى المتمركزة في منطقة السلط وعلان والمصيطبة ومنطقة الرادار قرب ساكب.

وخلال الهجوم الأردني على عجلون وجرش كان ياسر عرفات في دمشق، وطلب مقابلة الرئيس السوري حافظ الأسد من أجل توسيطه لوقف إطلاق النار لدى الأردن، فشكل الرئيس السوري وفدا سوريا برئاسة اللواء الدردري، وكان في عضوية الوفد فريق عمل فلسطيني برئاسة خليل الوزير (أبو جهاد) وعضوية كل من أحمد عبد الرحمن ومنذر الدجاني وموريس أبو بشار (فؤاد) وعامل اللاسلكي (الخالدي) من أجل تأمين الاتصال مع القيادة في دمشق وكذلك مع القيادة الموجودة في جرش وعجلون، ونزل الوفد في فندق (الأردن– انتركونتيننتال) حيث قابل عدد من المسؤولين الأردنيين، عاد بعدها الوفد إلى دمشق للتشاور، وفي مرحلة لاحقة عاد الوفد بسرعة إلى العاصمة الأردنية عمان حيث انقسمت مجموعة العمل الفلسطينية المشاركة بالوفد إلى قسمين أحدهما توجه إلى جرش بمرافقة موريس وضباط سوريين والرائد الأردني (عودة حداد)، والثاني توجه إلى عجلون، وعلى ضوء نتائج المباحثات تم تجميع القوات الفلسطينية المنسحبة من أحراش جرش–دبين إلى منطقة وادي إخشيبة وكان على رأسها أحمد عفانة (أبو المعتصم) ومن هناك تحرك موكب القوات الفلسطينية إلى مطار المفرق. (عندما عاد الوفد السوري إلى دمشق اصطحب معه أحمد عفانة وعزمي الزغير).


أبو علي إياد

استشهاد أبو علي إياد:

الأيام الأخيرة في حياة القائد (وليد احمد نمر) أبو علي إياد(٣٣) يرويها المناضل والكاتب «منذر ارشيد» حيث كان المذكور مرافقا له حتى استشهاده.

بعد أحداث أيلول عام ١٩٧٠م وقد خرجت الثورة من المدن الأردنية إلى الأحراش بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠م قام حافظ الأسد بحركته التصحيحية كما سميت بتلك الفترة (وقام الأسد باعتقال كل من الأتاسي وصلاح جديد ويوسف زعين والطويل وكل من لف لفهم من القادة الموالين لهم).

بدون ادنى شك كانت هذه ضربة موجعة لأبي علي إياد بشكل خاص لأنه فقد أكبر قوة داعمة له على الساحة السورية خاصة وزير الداخلية محمد رباح الطويل، الذي كان على تواصل كامل وشبه يومي مع القائد أبو علي إياد وكان مساعده أبو المجد الذي كان ضابط الارتباط بينهما.

تغير وتبدل كل شيء في سوريا وما عاد لأبي علي ولحركة فتح ما كان في السابق من حرية ومن دعم كبير والذي كان أهمها معسكرات التدريب والتسليح وتسهيل أمور المقاتلين وتحركهم للعمل على جبهة الجولان.

النظام الجديد لا يمكن ان يكون كالنظام السابق وخلاصة أن الأمور كانت تتفاقم على الجولان بسبب الهجمات الفدائية التي كانت تنطلق من الأراضي السورية، وهو أمر لم يكن يرُق للنظام الجديد الذي وعد بالمحافظة على الهدوء على الجبهة السورية.

فأول خطوة أخذها النظام قاموا باستصدار قوانين تنظيم تواجد العمل الفدائي وتحدد تحركاته على الساحة السورية.

ثانيا: عدم القيام بعمليات ضد العدو الإسرائيلي من جبهة الجولان، وذلك للحفاظ على الهدوء على الجبهة.

ثالثا: صدر قرار بإبعاد أبو علي إياد عن الأراضي السورية وذلك بسبب علاقته المميزة مع محمد رباح الطويل وزير الداخلية، بالإضافة أن أبو علي إياد دائم التدريب للدوريات وإرسالها عن طريق الجولان لمقاومة إسرائيل.. وفعلا أبلغت القيادة بهذا القرار وقامت بإبلاغه لأبي علي إياد، على أثر هذا القرار تحرك أبو علي إلى الجنوب اللبناني وبدأ يستعد لإقامة قيادته هناك، وبدأ يبعث برسائل إلى المتواجدين من أبناء

---

٣٣ المصدر منذر ارشيد

فتح سواء على الساحة السورية أو في جبهة الجولان للتجمع في منطقة العرقوب، وأثناء تحرك أبو علي في الجنوب وإذ بعدة برقيات تصل من أبو عمار للالتقاء به للضرورة، لم يكترث أبو علي إياد بالبرقيات وبدأ بالتجوال، وصدفة التقت سيارته بسيارة أبو عمار أثناء تجولنا بالجنوب، وأخذه أبو عمار برفقته بالسيارة وتوجه به إلى بيروت.

وفي صباح اليوم الثاني تغيرت الخطة وفهمنا من أبو علي إياد أن هناك قرار من اللجنة المركزية بأن يذهب أبو علي إياد إلى الأردن في منطقة أحراش جرش ليكون مسؤولا وقائدا لجميع قوات فتح في الأحراش وكان هذا القرار أبلغ به أثناء اجتماعه مع أبو عمار وأبو إياد في معسكر الهامة، حسب تقديري أن أبو علي إياد تفهم الرسالة ان السوريين متضايقون من وجوده حتى في الجنوب اللبناني، إذا لم يكن له خيار إلا الذهاب للأردن، وفعلا توجه أبو علي إلى الأحراش وذلك لتثبيت المقاتلين ورفع معنوياتهم هناك، تقبل أبو علي القرار حتى لا يثير مشاكل داخلية خاصة وأن الحركة بعد أحداث أيلول بالأردن وانقلاب الأسد بدأت في لملمة جراحها، وحينما ودع أخوة السلاح بدمشق وهو متوجه إلى أحراش الأردن قال: هذه آخر مرة ستروني بها استودعكم الله..

لحقت به بعد أسبوع بعد أن تأكدنا أنه لن يعود وكان يقيم في مقر القيادة في معسكر اشتفينا القريب من عجلون وهو على مفترق طرق يربط اربد بعجلون وجرش، وكان مقره عبارة عن مغارة تحت الأرض وفيها غرفتان محصنات، كانت الأمور عادية جدا إلى ما قبل الأحداث التي كانت فاصلة حيث كنا ننتقل معه من موقع إلى موقع في مختلف المناطق والقرى المحيطة وخاصة منطقة فارة الهاشمية والوهادنة، وبالرغم من التواجد الفدائي في المنطقة، إلا أننا لم نلمس أي رفض من الجماهير الأردنية التي كنا نتواجد حول قراها وجبالها بل على العكس تماما كنا نرى الرضى والسرور من جميع من التقينا بهم وخاصة الأخ أبو علي إياد كان على تواصل مع شيوخ العشائر في المنطقة، وكانت الزيارات متبادلة وكم كنا نرى بعض الشخصيات الأردنية تزور القواعد الفدائية معبرين عن دعمهم وتأييدهم لهم.

الحقيقة أن أبو علي إياد قام بكثير من الأمور التي جعلت مواطني المنطقة التعاطف معنا وأهم ما قام به الضبط والربط الذي كان شديدا، ولم يكن يسمح بأي تجاوز وخاصة ما يسيء للمواطنين.

وكان القائد العسكري للجيش الأردني لتلك المنطقة آنذاك هو المسؤول المباشر عن الأمن وخاصة مع حدود فلسطين.

وكان أبو علي باستمرار يرسل المقاتلين بدوريات عبر نهر الأردن إلى الأراضي الفلسطينية وعبر منطقة الأغوار المواجهة لمنطقة جرش وعجلون واربد، إلا أن القوات الأردنية المتواجدة في المنطقة كانت تمنع أي دورية أو مجموعة من الوصول إلى النهر وذلك لما يترتب عليه من ردود عنيفة من الجانب الإسرائيلي، إسرائيل كانت تتعمد قصف مناطق الأغوار وخاصة المزارع والبيارات مما أثر على إنتاج الخضروات التي كانت مورد الأردن الأساسي، وقد جاء المقدم محمد الحوراني مندوبا أو حتى وسيطا بين قائد المنطقة العسكرية وأبو علي إياد في مقره في عجلون لأول مرة أرى الرجل ولاحظت العلاقة الحميمة بينهما وكان وسيطا نزيها، ودار الحديث بشكل ودي (كان الرجل صادقا، وقد تمنى على أبو علي إياد التوقف عن إرسال

المجموعات الفدائية المقاتلة ولو مؤقتا حتى يتم اللقاء بينه وبين قائد المنطقة العسكرية.

كنت ضمن الحاضرين في اللقاء واسجل فحوى الحديث كما حصل بالضبط، قال له أبو علي: إذا أوقفت العمليات ضد إسرائيل فمن أقاتل، وانا هنا لي وظيفة واحدة قتال العدو فقط، وقال بالحرف الواحد أليست رغبتكم أن نخرج من الأحراش ومن الأردن نهائيا.

رد عليه المقدم الحوراني: يا أخ أبو علي أنت تعرف الظروف وأن الأردن ما عاد يحتمل ضربات إسرائيل، والأغوار كما تعرف سلة الأردن الغذائية وكل شيء تدمره إسرائيل.

رد أبو علي إياد: طيب ونحن بدنا نريحكم يا إخوان افتحوا لنا الطريق عبر النهر وأنا أوعدك خلال شهر لن تجد أي فدائي هنا، وسندخل في مشاريع شهادة ولن نقبل الاشتباك معكم.

قال المقدم الحوراني: يا أخ أبو علي لنعمل لقاء بينك وبين القائد العسكري وننهي المشكلة من خلال التفاهم.

رد أبو علي : أنا موافق ولكن على شرط ان يسمح خلال الأيام القادمة للدوريات بالعمل ضد القوات الإسرائيلية وبعد أسبوع بشوف اذا مشى الحال بعطيك جواب.

حصل بعدها أن أرسل مجموعتين من المقاتلين للدخول لفلسطين إلا أنهم ووجهوا من قبل القوات الأردنية وتم استشهاد ثلاثة أخوة قبل عبورهم نهر الأردن، وكان هذا بمثابة رد على الرسالة التي أرسلها أبو علي إياد عبر المقدم الحوراني.

لم يكن عند الشهيد أبو علي أي خطة لمواجهة الجيش الأردني وقالها أكثر من مرة لا تشتبكوا مع الجيش الأردني وحاولوا تجنب مواقعه وهدفنا فلسطين وعدونا إسرائيل فقط، وبدأت مناوشات هنا وهناك وتضييق واضح على القواعد المنتشرة من خلال محاصرتها.

وحدث أكثر من حادثة اشتباك بين المقاتلين والجيش الأردني رغم تعليمات أبو علي للمقاتلين أن يرصدوا مواقع الجيش الأردني ويبعدوا عنها ولا يلفتوا انتباههم.

لم يكن أمام أبو علي أي مجال إلا الاستمرار في إرسال الدوريات، وهنا أصبحت عملية تحدي وقد ارسل دورية بقيادة شاستري لكن الدورية اصطدمت بالحاجز العسكري في اشتفينا وهو لا يبعد عن موقع القيادة سوى خمسمائة متر فقط، ويفصل بينهما تلة جبل صغير، وكانت عملية قاسية جدا حيث قتل جميع أفراد القوة وأصيب عدد آخر من بينهم مسؤول الدورية شاستري، وكانت الشرارة التي أشعلت فتيل الانفجار، وكأن الأمر كان مدبرا ابتداء من الفعل ورد الفعل، لأنه لم يمض على تلك العملية خمس دقائق حتى كان الجحيم ينهال علينا من كل فج عميق، وللتاريخ أقول أنه لم يكن هناك تقدم للجيش الأردني خلال اليومين الأولين على الإطلاق، وكان كل ما في الأمر قصف مركز على تجمعات الفدائيين وقواعدهم ومراكز تموينهم ومستودعاتهم لإبعادهم عن القواعد الارتكازية التي تم تأسيسها في الجهاد والدوريات وبين الأحراش الكثيفة.

أعطى القائد أبو علي التعليمات والأوامر لقادة المواقع والوحدات بالصمود وحرية التصرف وهنا أحب أن أشير إلى مسألة هامة جدا لم أسمع من أبو علي أي أمر بقتال الجيش الأردني حتى أنه قال



بالحرف الواحد هؤلاء إخوتنا والمفترض أن يكونوا بصفنا، ونحن لن نقوم بأكثر من الدفاع عن النفس كل ما سمعته منه «اصمدوا وتوجهوا نحو النهر، وقاتلوا عدوكم الذي احتل أرضكم وابتعدوا عن الأردنيين» ومن يستطيع الدخول إلى فلسطين فليدخل، واليوم يوم الشهادة على ارض فلسطين.

كان اليوم الأول وكما أسلفت مع أبي علي إياد بحدود خمسة عشر مقاتلا، اذكر منهم الشهيد مصباح نوفل ومحمد والشهيد منذر نزال (ركس) مرافقين دائمين لابي علي، الشهيد شاستري كان مصابا، الشهيد شريف يونس، عز الدين دواس، وعباس زكي، ومنذر ارشيد، ونزيه طلوزي، ومحمود الرجا (سبع الليل).

حصلت اتصالات كثيرة عبر اللاسلكي من قبل أبو جهاد الذي كان متواجدا في عمان ضمن اللجنة العربية، وحصل اتصالان من أبو عمار الذي كان متواجدا في درعا، وكان يحاول شد أزر أبو علي والطلب منه ان يتجاوب مع المساعي العربية التي هدفها إنهاء الوضع والخروج الآمن، «الأمور تغيرت والجماعة هنا عايزينك» واتفقنا معهم ان تكون في لبنان، (يقصد أبو عمار السوريين).

ولكن أبو علي رفض وقال لأبي عمار بالحرف الواحد «يا أبو عمار إنت بس دير بالك على حالك إنت والإخوان وبلاش ينضحك عليكم.

وحين كان يجهز نفسه مع ما تبقى من المجموعة للتوجه إلى فلسطين أنا لن أسلم نفسي لأحد إلا الله، وقال مقولته الشهيرة (سنموت واقفين ولن نركع).

سمعنا في بث للإذاعة الأردنية أن أبو علي إياد قد قتل، وهنا بدأت القواعد بالاتصال عبر اللاسلكي للتأكد من الخبر.

كانت لنا مجموعة قريبة من كنيسة الوهادنة، فأرسلني أبو علي لأطمئن المجموعة بأن أبو علي حي يرزق وحين عودتي إلى المقر الذي كان يوجد به أبو علي وصلت المكان وبدأت أدوس على أجسام لم أعرف ما هي، وعندما تحسستها عرفت أنها أغنام نافقة، سمعت صوت من يقول مين هنا: وكان الرجل صاحب الغنم، وصلته وإذا به في حالة يرثى لها وكان يندب حظه وقد نفقت معظم أغنامه جراء القصف المدفعي، بعد أن عرفته على نفسي، أخبرني التالي قال بعد المغرب مباشرة وقد كان أبو علي في داخل المغارة وكان كما أخبره أنه سيغادر المغارة عند العشاء حيث الظلام، ولكن قذيفة من العيار الثقيل كانت مركزة على نفس المغارة وأضاف أن حجارة المغارة وصخورها وترابها كله انهال علينا، وأصبحنا في جحيم، وها أنت كما ترى حالتنا وها هو ابني يموت وقد أصيب إصابات بالغة، قلت له، وبعدين ماذا جرى قال: كما ترى مات جميع من في المغارة، قلت ممكن يكونون خرجوا عند القصف.

قال البدوي: مستحيل لأني كنت قد خرجت لتوي من عندهم قبل أن تنهدم المغارة، وقد أعطاني أبو علي مولد الكهرباء وودعني وقال: بلغ الناس والشعب الأردني أننا نحبهم وأننا لم نرد بهم شرا وكنت أتمنى لو سمح لنا بفتح الطريق لنتوجه إلى فلسطين، وأن نترك الأردن لنقاتل العدو، على كل حال بلغهم أننا من أجل فلسطين ومن أجلهم سنستشهد، أشهد الله يا ابني كنت أراقب خروجهم بفارغ الصبر ولم يخرجوا.. لم يخرجوا.. لقد ماتوا في المغارة.. لقد كان يوم الاثنين ٢٧ / ٧ / ١٩٧١م يوما حزينا في تاريخ مسيرة الثورة الفلسطينية.

لم أصدق ما سمعت فذهبت إلى مكان المغارة ولكني تفاجأت أن لا مغارة ولا أي أثر لها، صدق القائد عندما قال قررنا أن نموت واقفين ولن نركع(٣٤)، أما أنا حاولت أن أنجو بنفسي من خلال توجهي إلى منطقة وادي اليابس وقد أخبرني الرجل أنها تبعد عنا ٣ كلم ولكنني وقعت بكمين للجيش وألقي القبض علي ونقلت إلى المعتقل.

---

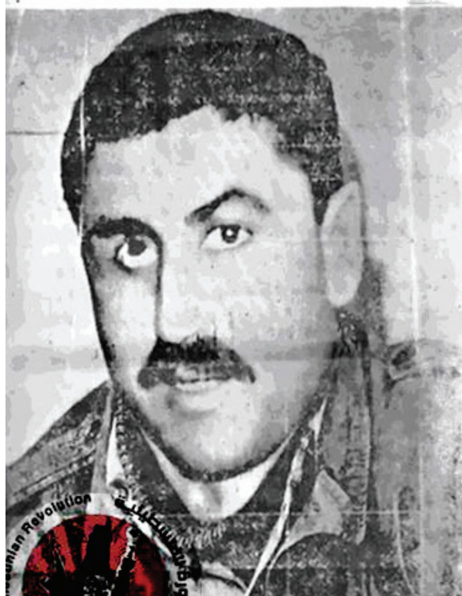
٣٤ القائد الشهيد وليد أحمد نمر نصر الحسين (أبو علي إياد) ولد في بلدة قلقيلية بتاريخ ١٩٣٥/١/١٨م وأنهى فيها دراسته الابتدائية والثانوية، حيث حصل على شهادة المترك عام ١٩٥٣م وعمل مباشرة مدرسا في قريتي مداره وعزون ولفترة وجيزة سافر إلى العراق حيث حضر دورة تدريبية لإعداد المعلمين في مدينة «بعقوبة» عام ١٩٥٤م. ثم تعاقد للعمل مدرسا مع المملكة العربية السعودية، واصل عمله في السعودية لمدة ثمان سنوات (١٩٥٤ – ١٩٦٢م). وفور إعلان استقلال الجزائر عام ١٩٦٢م انتقل إليها ليعمل مدرسا وليسهم في حركة التعريب في هذا البلد العربي، وهناك انضم لحركة فتح، وأمضى ثلاث سنوات (١٩٦٢ – ١٩٦٥م). شارك في أول دورة تدريبية عسكرية لكوادر فتح بالجزائر (١٩٦٤). بعد مغادرة خليل الوزير الجزائر وتفرغه للعمل الثوري في بيروت ودمشق عام ١٩٦٥ اتصل بالإخوة وليد أحمد نمر (أبو علي إياد)، ممدوح صيدم (أبو صبري)، وطلب منهما الاستقالة من العمل والحضور إلى دمشق والتفرغ للعمل النضالي وساروا معا ينشرون أفكار حركة فتح وتوجهاتها في الشارع الفلسطيني، والقائمة على المناداة بالكفاح المسلح كوسيلة وحيدة لتحرير فلسطين، في عام ١٩٦٦ م انتقل إلى الضفة الغربية حيث أوكلت إليه مسؤولية الإعداد للعمل العسكري في الأرض الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م ضد العدو الصهيوني انطلاقا من الضفة الغربية وقد أسهم في هذه الفترة في ضم الكثيرين من أبناء فلسطين لحركة «فتح» وقد قاد عدة عمليات عسكرية آنذاك ضد العدو الصهيوني منها: معركة مستعمرة (بيت يوسف) في ١٩٦٦/٤/٢٥م والتي وصفها قادة الصهاينة بأنها كانت اعنف هجوم تعرضت له مستعمراتهم حتى ذلك التاريخ، ومعارك مستعمرات المنارة وهونين وكفر جلعادي وغيرها من العمليات العنيفة الناجحة التي أقضت مضاجع الصهاينة. وفي عام ١٩٦٦م غادر الضفة الغربية إلى سوريا ليقوم هناك بتدريب وإعداد قوات العاصفة وإعداد قوافل الأشبال ورعايتهم في إطار الثورة المسلحة، وأثناء التدريب في معسكر الهامة على أحد الألغام، انفجر اللغم فأصيب في عينيه وساقه التي استعاض عنها بعصاه، ولا عجب إذا قلنا بأن معظم القيادات العسكرية هي من أشبال أبو علي إياد، هذا القائد الصلب لم يسلم من ملاحقة الأقربين له فقد طورد واعتقل وعذب في أكثر من سجن عربي من اجل نضاله، وكان يقوم بتوجيه مجموعاته عبر نهر الأردن إلى الأرض المحتلة لتقوم بعمليات ناجحة ضد العدو الصهيوني وقواته ومستعمراته، كان أبو علي إياد رجل العمل والممارسة يعد لدوريات القتال والاستطلاع ودوريات العمق، يشرف بنفسه على التفاصيل والأهداف وكان يجسد بنضاله وحركته الدؤوبة الفكر الوطني الذي أطلقته حركة فتح فكان مع المقاتلين منذ انطلاقة الثورة وحتى سقط شهيدا يوم ١٩٧١/٧/٢٧م في معارك جرش بعد أن أرسل برقيته التاريخية للقيادة (قررنا أن نموت واقفين ولن نركع). وقد أهلته خبرته العسكرية وصلابة مواقفه بأن يصبح أحد أعمدة القيادة العامة لقوات العاصفة كما انتخب في المؤتمر الحركي العام الثاني عضوا في اللجنة المركزية لحركة فتح رغم وجوده في المستشفى أثناء انعقاد المؤتمر، وقد لعب دورا متميزا في العلاقة مع قوات الجيش العراقي المتواجدة على الجبهة الشرقية، وكانت مهمته التدريب والتحضير والإمداد فكان يشكل الرصيد الاستراتيجي لكل العمل في القواعد الارتكازية شرق النهر وللعمليات البطولية داخل الأرض المحتلة، وقبيل خوض معركة الكرامة المجيدة في آذار ١٩٦٨م قام أبو علي إياد بإعداد مقاتلين وإرسالهم إلى أرض الكرامة، بالتنسيق مع الجيش العراقي، وحين نشبت المعركة كان أبو علي إياد في سوريا، فعاد إلى الأردن وتوجه إلى السلط دون أن تكون لديه الوثائق اللازمة، فقد كانت معركة الكرامة أول رد لإعادة الكرامة للأمة العربية بعد أن فقدتها في نكسة حزيران١٩٦٧م، وبدأ التدفق العسكري يزحف إلى «فتح» بعد أن رأت فيها الجماهير العربية مبعثا للأمل والنصر وبدأت قيود الأنظمة العربية تتهاوى وتتآكل وأصبحت ورقة إجازة المقاتل الممهورة بتوقيع أبو علي إياد بمثابة جواز سفر للفدائي يجتاز بها كل الحدود العربية ففي مبادرة ابتكارية لهذا القائد الذي أراد إرسال رسالة إلى إخوته في سوريا لطلب المدد بعد معركة الكرامة فكتب على ورقة من مفكرته. (إلى من يهمه الأمر.. يرجى السماح للمناضل/ محمد حسن بالذهاب إلى سوريا والعودة في السيارة رقمٍ/ ٣٥٢٦٨٠ٍ) القيادة العامة لقوات العاصفة – أبو علي إياد، وهكذا ذهبت السيارة إلى سوريا وعادت وأصبحت هذه المبادرة تقليدا وحقاً مكتسباً وغدت إجازة فتح، السيف الذي مزق اتفاقية (سايكس بيكو) وأصبح أعضاء حركة فتح يتنقلون إلى جانب الهوية العسكرية من الأردن إلى سوريا.. إلى لبنان.. إلى العراق وحتى الكويت، وهنا لا بد أن نشير إلى أن هذا القائد العسكري كان ضد دخول رجال الثورة إلى المدن، وأنه يحبذ بقاءهم في الجبال والأغوار، والى جانب عمله العسكري فقد شارك أبو علي إياد في نشاطات سياسية فكان ضمن الوفود الفلسطينية التي زارت الأقطار العربية والدول الاشتراكية، وكان آخر زياراته مع وفد الثورة الفلسطينية/ أبو عمار إلى الصين، صفاته ومميزاته الفكرية والعسكرية: كان رجلا صلبا وعنيدا، شجاعا ومقداما، نذر حياته ونفسه للوطن، فعفت نفسه وزهد في دنياه، وقد تميز هذا القائد بخشونته المنسجمة مع طبيعته العسكرية، إلى جانب الإيمان بالتضحية بالروح والدم والوقت من اجل تحرير فلسطين، التي جعلت منه بلدوزرا دون كوابح، في إنجاز العديد من المهام العسكرية، كان موسوعة علمية في الجانب الروحي، وبعث الهمم وإحياء القيم والقدرة على الإقناع وكان لا تأخذه في الحق لومة لائم، فاستحق اللقب الذي أطلقه عليه أبو عمار: عمروش فلسطين (نسبة إلى القائد الجزائري «عمروش» بطل الجبل، أثناء حصاره في جرش ذهبت إليه اللجنة العربية لترافقه على مغادرة موقعه إلا أنه رفض، كذلك ذهب إليه أبو جهاد مرة ثانية بمرافقة اللجنة لحثه على الخروج إلا أنه رفض.

حركة التحرير الوطني الفلسطيني
فتح
القيادة العامة لقوات العاصفة

بسم الله الرحمن الرحيم



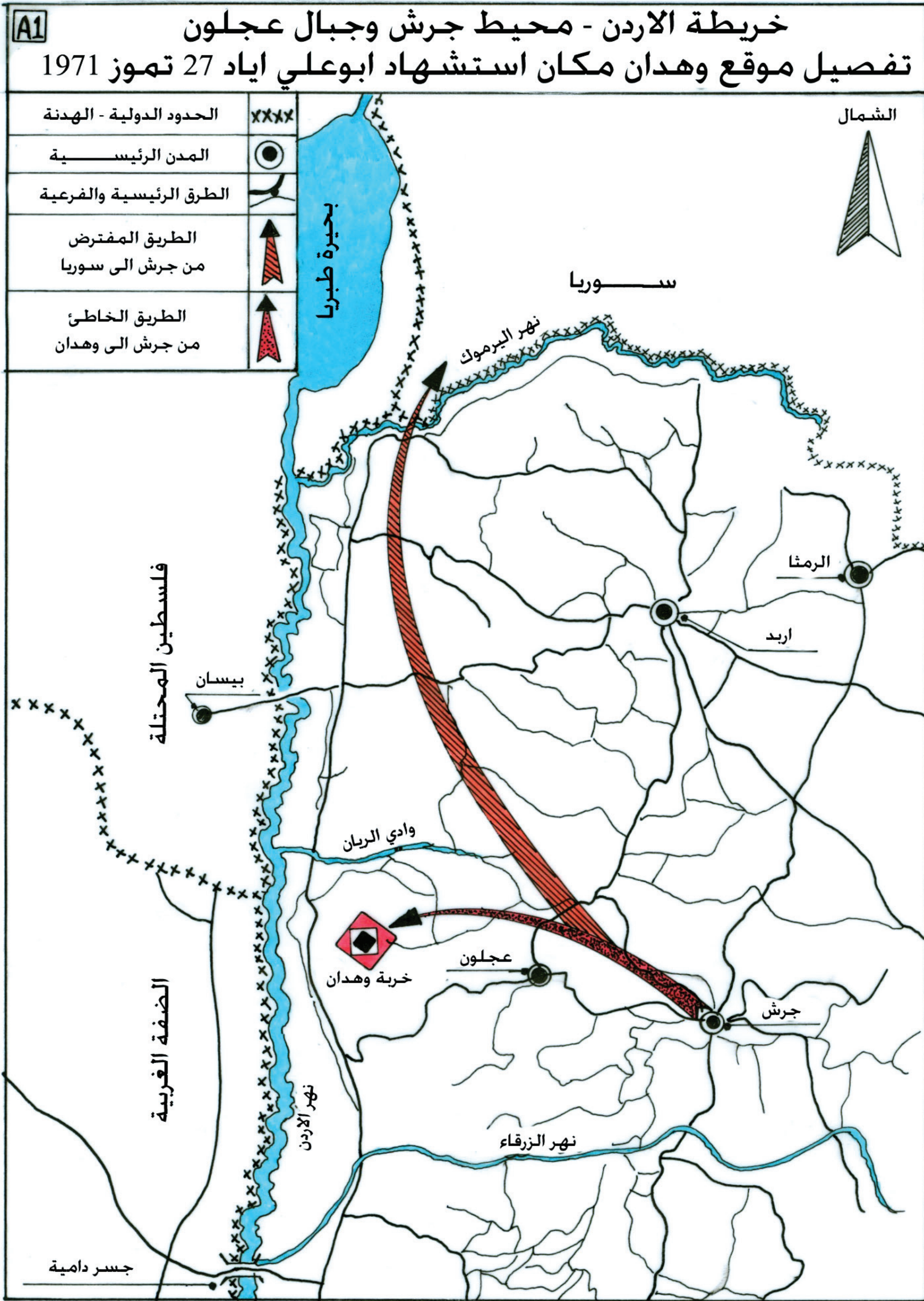
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . صدق الله العظيم



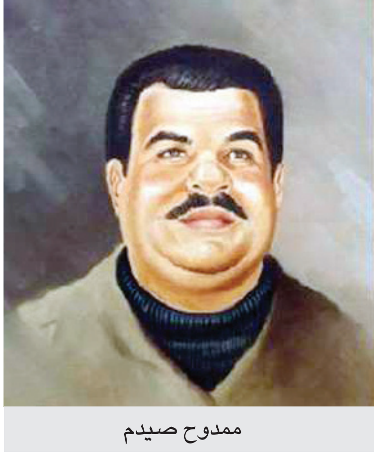
فتح تودع قائداً آخر من قادتها الاوائل
الاخ المناضل وليد احمد نمر نصر الحسن
(ابو علي اياد)

— فقدت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) والثورة والجماهير الفلسطينية يوم ٨ جمادي الثاني ١٣٩١ هـ الموافق ١٩٧١/٧/٢٧ قائداً من قادتها هو الأخ المناضل وليد أحمد نمر نصر الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح وعضو القيادة العامة لقوات العاصفة .

— ولد الشهيد عام ١٩٣٤ في بلدة قلقيلية .
— انهى دراسته الثانوية وحصل على شهادة المترك عام ١٩٥٣
— تلقى دورة تدريبية في بعقوبة بالعراق عام ١٩٥٤
— عمل مدرساً في المملكة العربية السعودية لمدة ثماني سنوات
— ادى فريضة الحج سبع مرات
— بعد ان انتزعت الجزائر استقلالها عام ١٩٦٢ ، كان من أوائل الذين ساهموا في عملية التعريب فيها .
— كان من أوائل الذين استجابوا لنداء الثورة الفلسطينية حيث تفرغ للعمل العسكري منذ انطلاقته في عام ١٩٦٥
— كان مسؤولاً عن الاعداد للعمل العسكري في الارض المحتلة عام ١٩٦٦ ، من الضفة الغربية .
— شارك في عدة عمليات عسكرية ضد العدو الصهيوني في الارض المحتلة ، وقاد معركة مستعمرة بيت يوسف في ١٩٦٦/٤/٢٥ والتي وصفها الصهاينة بانها كانت اعنف ما تعرضت له مستعمراتهم حتى ذلك التاريخ .
— شهدت مستعمرات المنارة وهونين وكفار جلعادي وغيرها من المستعمرات الكثير من المعارك الناجحة التي قادها .
— لوحق واعتقل وعذب في اكثر من سجن عربي في سبيل ثورته .
— اصيب في عينه وساقه مرتين . وبقي يحمل فيهما وسام النضال .
— شارك طيلة الثلاث سنوات الماضية في القيادة العامة لقوات العاصفة .



هذه الخارطة تبين خط سير الشهيد أبو علي إياد وهو متوجه إلى فلسطين وليس إلى دمشق


ممدوح صيدم

استشهاد ممدوح صيدم (أبو صبري):

أعلنت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بتاريخ ١٨ / ٧ / ١٩٧١م أن عدداً كبيراً من قيادات الثورة بينهم المناضل صالح رأفت قد وقعوا أسرى بيد السلطات الأردنية.. وبتاريخ ٢٤ / ٧ / ١٩٧١م فجعت حركة فتح كذلك باستشهاد قيادي كبير هو ممدوح صيدم (أبو صبري) عضو اللجنة المركزية لحركة فتح(٣٥).

٣٥ الشهيد القائد ممدوح صيدم «أبو صبري»- ولد في قرية عاقر قضاء الرملة عام ١٩٤٠م، اجتاحت العصابات الصهيونية قريته عام ١٩٤٨م فاضطر وأسرته للنزوح من قريته عاقر واللجوء إلى مدينة المجدل، وعندما انسحبت القوات المصرية من الشريط الساحلي توجهت عائلته سيرا على الأقدام، بمحاذاة شاطئ البحر المتوسط متجهين إلى مدينة غزة، ومنها جنوبا إلى مخيم النصيرات القريب من البحر المتوسط، حيث استقر بالأسرة المقام في هذا المخيم، وقد عاش منذ بداية حياته كما يعيش الآلاف من أبناء شعب فلسطين المشرد، ولاقى كما لاقوا من الجوع والعذاب والآلام، وقد تلقى دراسته الابتدائية والإعدادية بمدرسة النصيرات الإعدادية التابعة لوكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين، وفي هذه الفترة بدأ ممدوح يتحسس الآلام اليومية بنفسه، حيث فقد والدته الحنون وهو في الثانية عشرة من عمره، وأخذ يصارع نكبات الدهر بنفسه، وبدأ يشعر بضرورة الاعتماد على ذاته، وساعده في ذلك شعوره باستقلالية شخصية وهو صغير، وكانت مشاريعه كثيرة منها الاشتراك في الرحلات والنوادي والكشافة، وقد التحق بمدرسة خالد بن الوليد الثانوية، وكانت له نشاطات سياسية كثيرة، حيث اشترك في مظاهرات عديدة، وفي عام ١٩٥٦ اجتاحت قوات العدو الصهيوني قطاع غزة، أثناء العدوان الثلاثي على مصر (إنجلترا، فرنسا، الكيان الصهيوني) على اثر تأميم قناة السويس الذي أقدم عليه الرئيس جمال عبد الناصر، وقد اعتقلت القوات الصهيونية ممدوح ووالده وأودعتهما معسكر التجمع، حيث تعرض لتعذيب وحشي أمام والده، بعد تخرجه من جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٣م عاد إلى غزة ليفتش عن عمل، وهناك التقى بالأخوين خليل الوزير وأحمد وافي وأقنعاه بالالتحاق بحركة فتح ثم سافر إلى الجزائر حيث عمل مدرسا في مدينة بليدة ولمدة قصيرة، وبعدها ترك العمل كمدرس وتفرغ للعمل في مكتب فلسطين بالجزائر حيث كلف بشؤون البعثة الثقافية والتعليمية والطلابية للشباب الفلسطيني وهناك واجهته مشاكل كثيرة لكنه تغلب عليها، وكانت له نشاطات سياسية وتنظيمية وعسكرية للشباب الفلسطيني حيث رافقه في هذا الميدان، الكثير من الإخوة الثوار، كان مثالا للفداء والنضال والقدوة الحسنة لأبناء شعبه، شارك في عدة دورات عسكرية شارك في أول دورة تدريبية عسكرية لكوادر فتح بالجزائر (١٩٦٤)، وأشرف على تخريج دفعات من الضباط الفلسطينيين من الكليات العسكرية بالجزائر وعندما غادر خليل الوزير الجزائر وتفرغ للعمل الثوري عام ١٩٦٥ استدعى أخيه ممدوح صيدم إلى دمشق حيث عملا مع رفاق آخرين على نشر أفكار حركة فتح وتعميقها في الشارع الفلسطيني والعربي، والقائمة على المناداة بالكفاح المسلح، والكيان الثوري والوحدة الوطنية والقرار الفلسطيني المستقل البعيد عن الوصاية والتبعية للأنظمة العربية. وفي عام ١٩٦٦ اعتقلته السلطات السورية ضمن القيادة الفتحاوية عندما حاولت الاستخبارات السورية الاستيلاء على حركة فتح حيث دفعت بأحد ضباطها (يوسف عرابي) لتنفيذ الخطة. وفي المؤتمر الحركي العام الأول ١٩٦٧ انتخب أبو صبري عضوا في اللجنة المركزية لحركة فتح، وعضوا للقيادة العامة لقوات العاصفة، وأنهى دورة عسكرية في كلية «نانكين» العسكرية في الصين، وبعد كارثة الخامس من حزيران ١٩٦٧م التحق أبو صبري بإخوانه الثوار في الأرض المحتلة تلبية لنداء الواجب وخاض على أثرها عدة معارك ضارية وقاسية وعنيفة في الضفة الغربية، ومن أبرزها معركة بيت فوريك التي قادها وشارك في تنفيذها.

صفاته ومميزاته: كان رجلا صلبا مخلصا في توجهاته الوطنية. شجاعا مقداما في ساحة القتال.. إنسانا كريما معطاء في المواقف الإنسانية، صادق الوعد والعهد.. ففلسطين بالنسبة له أمه وأبيه، ودنياه التي تأويه.. كان يتميز بالجدية والمثابرة، صاحب قيم ومبادئ سامية.. كان عزيز النفس شامخا كقامته المديدة التي لم يحنها إلا لخالقه. كان إنسانا وقائدا مثاليا في سلوكياته حريصا على تربية أبنائه وإخوته من المقاتلين تربية ثورية سوية تؤكد معاني الالتزام والانضباط، والحفاظ على طهارة الثورة وسمعتها، وكان يكرس في نفوسهم مفهوم الثائر الحقيقي.. وقد شهد له أستاذه صلاح خلف بأنه كان طالبا غير عادي في مدرسة خالد بن الوليد الثانوية، فلم يكن اهتمامه منصبا على الدراسة بل كان يجعل من كل مادة مدخلا للحديث عن الهم الفلسطيني ومناقشة أبعاد الصراع الفلسطيني الصهيوني، ووسائل تحقيق عودة اللاجئين إلى ديارهم. في صباح يوم السبت في ١٩٧١/٧/٢٤م انتقل ممدوح صبري صيدم إلى جوار ربه، بعد شهور مريرة قضاها في مصارعة مرض مفاجئ الم به، وقد ودعت الثورة الفلسطينية وجماهير الشعب الفلسطيني أحد قادة «فتح» الأوائل الذين تحملوا مسؤولية تفجير الثورة والانطلاق معها منذ أيامها الأولى.

تداعيات أحداث أيلول على الثورة الفلسطينية:

وما أن جاء «أيلول ١٩٧١م» حتى كان ما تبقى من المقاتلين الفلسطينيين قد خرج إلى سوريا ولبنان، وفي دمشق عقدت القيادة الفلسطينية أول اجتماع لها في أيلول ١٩٧١م بكامل هيئتها، وقررت نقل مركز الثقل في الكفاح المسلح الفلسطيني إلى الجبهة اللبنانية.

ولقد كانت نتائج حملة أيلول ضد المقاومة الفلسطينية ذات آثار عميقة على الصعيد الفلسطيني في مستوييه العسكري والسياسي، فقد أدت نتائج الحملة هذه وما تبعها من معارك إلى إنهاء الوجود العلني لحركة المقاومة في الأردن، وبالتالي فقدان المقاومة لقاعدة ارتكازها الرئيسة في الضفة الشرقية وأثر ذلك بدوره على مستوى الكفاح المسلح الفلسطيني في فلسطين المحتلة وخاصة الضفة الغربية.

وكان واضحا بأن الصراع لم ينته فعلى م.ت.ف خوض معارك متعددة وعلى جميع الجبهات في محاولة للحفاظ على وجودها وكونها تمثل شعبا بأكمله وكانت الفترة التي عاشتها المقاومة بعد أيلول تتسم بالدفاع عن النفس في وجه الهجمات السياسية.

في أعقاب فقدان الموقع الاستراتيجي الأردني كأطول خط مواجهة مع العدو، فقد تصرفت المقاومة وكأنها تستطيع تجنب الصدام بوسيلة ما، وكان من الطبيعي أن تعكس ذلك نفسه على الصعيد العسكري، فأخذت المقاومة الفلسطينية موقفا دفاعيا محضا وأخذت تنتظر خطوات النظام تقوم بالرد عليها، وبهذا انتهت أحداث أيلول إلى وضع أبقى حركة المقاومة ضمن حدود ضيقة فعلا وكرس وجود النظام وسيادته، ولكن أفقد النظام حرية التحدث أو التعبير عن مصير مشترك للفلسطينيين والأردنيين أو حتى التحدث عن مشروع مشترك، مشروع ربما سيرفض من قبل الشعب الفلسطيني كالذي حدث في مارس ١٩٧٣م بالإعلان عن المملكة العربية المتحدة، وحين لاحظ وتأكد الملك بأن مشروعه قد فشل في ظل تلك التطورات أخذ الملك يعمل على الخروج من العزلة والعودة إلى طريق الوحدة العربية ولاقى توجهه نجاحا نسبيا في ظل الاتفاق المصري – السوري غير المعلن آنذاك خوض حرب محدودة ضد إسرائيل، وانسجاما مع هذه السياسة الجديدة للنظام الأردني وتأثير الظروف قام الملك يوم ١٩ / ٩ / ١٩٧٣م بإطلاق سراح غالبية الفدائيين الذين تم اعتقالهم في الأردن، وبرزت على السطح مجددا محاولات عربية لخلق



أرضية جديدة من التفاهم بين النظام الأردني و(م.ت.ف) وكان اندلاع حرب أكتوبر ١٩٧٣م بمثابة تجميد مؤقت لهذه المحاولات، وكان لهذه الحرب تأثيرات هامة على الصعيد العربي العام وخصوصا على الصعيد الفلسطيني فقد جسدت هذه الحرب صدق مقولة الكفاح الفلسطيني بضرورة توحيد الطاقات والصفوف العربية لمواصلة النضال ضد إسرائيل(٣٦).

---

٣٦ عيسى الشعيبي، الكيانية الفلسطينية.



الفصل الثالث:



سنوات المقاومة والاغتيالات



لبنان والوجود الفلسطيني:

استطاع الإنتداب الفرنسي أن يورث اللبنانيين نظاما للحكم يكرس الطائفية والطبقية، ففي عام ١٩٤٣م وبناءً على اتفاق ثنائي بين بشارة الخوري ورياض الصلح اعتمدت صيغة طائفية للحكم في لبنان جعلت رئاسة الجمهورية من نصيب الطائفة المارونية وكذلك رئاسة الجيش، فيما أعطى المسلمين السنة رئاسة الوزراء والمسلمين الشيعة رئاسة مجلس النواب، وبذلك كان لبنان أول دولة عربية يحكمها نظام طائفي ضاعف من حدة الصراع الطبقي الذي منح الطائفة المارونية في لبنان الذين لا تزيد نسبتهم في التعداد السكاني عن (٢٠٪) من إجمالي سكان لبنان بجميع طوائفه، كل الامتيازات، بينما حوالي (٨٠٪) من السكان كانوا يحصلون على (٣٢٪) من الدخل القومي(١).

وبموجب هذا النظام كان التمايز بين المسيحيين والمسلمين قائماً قبل عشرات السنين من وجود العمل الفدائي الفلسطيني على أرض لبنان، كما كانت الأطماع الصهيونية باقتطاع أجزاء من الأراضي اللبنانية وضمها إلى إسرائيل تسبق بكثير إنطلاقة الثورة الفلسطينية وانتشار التأييد لها بين الجماهير اللبنانية، يقول رئيس الوزراء الإسرائيلي الأول ديفيد بن غوريون في رسالة مؤرخة يوم ٢٧ / ٢ / ١٩٥٤م: «من الواضح أن لبنان هو الحلقة الأضعف في جامعة الدول العربية.. ربما الآن هو الوقت المناسب للعمل على إنشاء دولة مسيحية بجوارنا»، وفي قول منسوب إلى موشيه شاريت وزير خارجية إسرائيل في الخمسينيات مفاده: «بالنسبة إلى موشيه دايان إن الشيء الوحيد الضروري هو أن نجد ضابطاً مارونياً ولو برتبة رائد نكسب عطفه أو نشتريه بالمال لنجعله يقبل بإعلان نفسه منقذاً للسكان الموارنة، عندها سيدخل الجيش الإسرائيلي إلى لبنان وسنحتل ما هو ضروري من الأرض وسينشئ نظام مسيحي حليف لإسرائيل، أن الأراضي التي تقع جنوب الليطاني ستُضم إلى إسرائيل(٢).

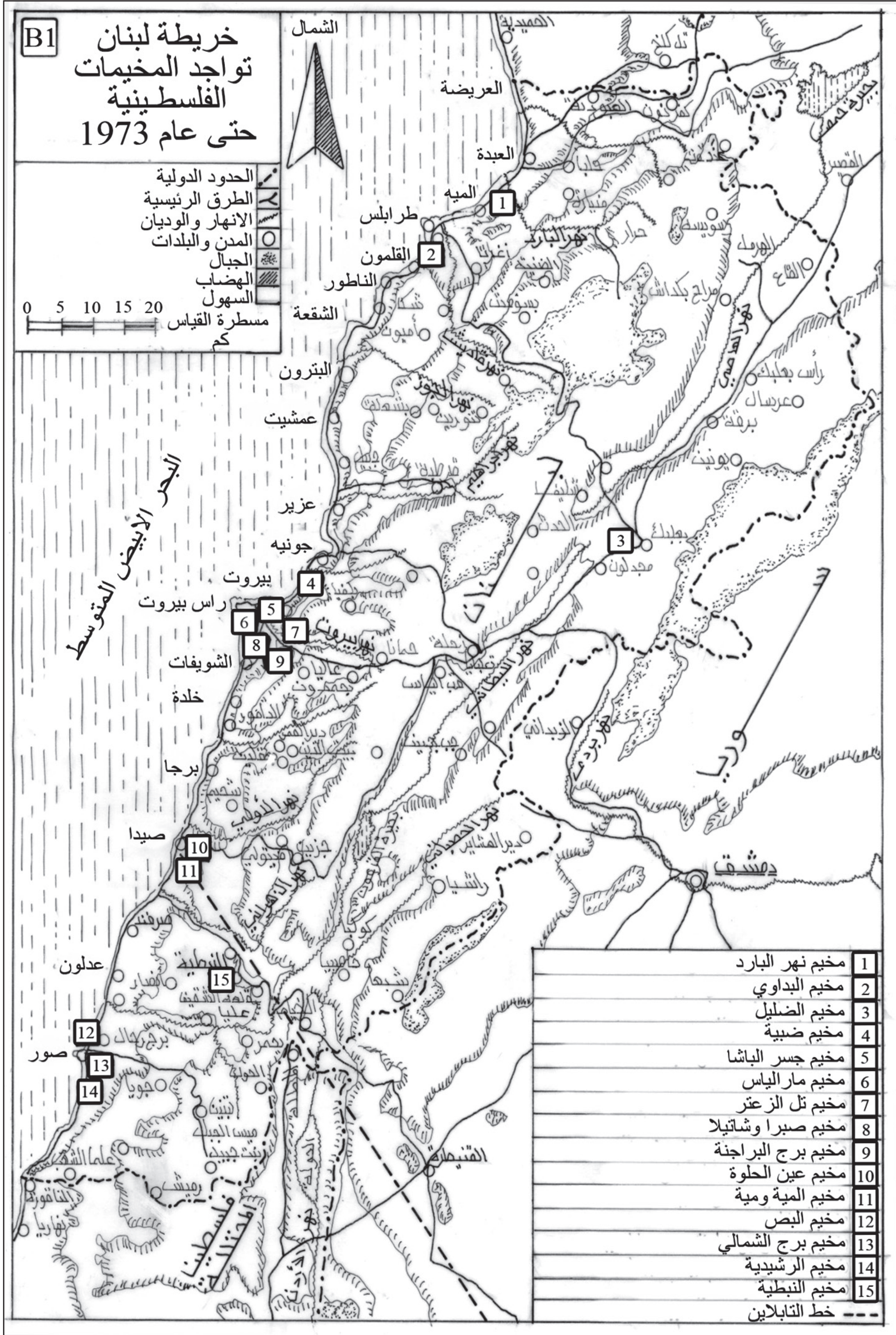
وبسبب المجازر الإسرائيلية الدموية ضد أبناء الشعب الفلسطيني الأعزل في إطار نكبة عام ١٩٤٨م لجأت أعداد كبيرة من أهالي فلسطين إلى لبنان تم حشرهم في (ستة عشر مخيماً) تشبه معسكرات الاعتقال أو تزيد عنها بالمعاملات السيئة(٣).

---

١ عز الدين المناصرة، الثورة الفلسطينية في لبنان (١٩٧٢ – ١٩٨٢) ط١، الأهلية، عمان ٢٠١٠م، ص٣٠-٣١.

٢ المرجع نفسه، ص١٥.

٣ ١٩٩٨، ص٤٧٠-
٤٧٣، وكتاب محمود عبد الله كلم (ذاكرة الدم)، دار بيسان، بيروت، ٢٠٠٣م.


B1
خريطة لبنان
تواجد المخيمات
الفلسطينية
حتى عام 1973
الشمال
الحدود الدولية
الطرق الرئيسية
الانهار والوديان
المدن والبلدات
الجبال
الهضاب
السهول
0 5 10 15 20
مسطرة القياس
كم
البحر الأبيض المتوسط
العريضة
العبدة
الميه
طرابلس
القلمون
الناطور
الشقعة
البترون
عمشيت
عزير
جونيه
بيروت
راس بيروت
الشويفات
خلدة
برجا
صيدا
عدلون
صور
مجدلون
دمشق
1 مخيم نهر البارد
2 مخيم البداوي
3 مخيم الضليل
4 مخيم ضبية
5 مخيم جسر الباشا
6 مخيم مار الياس
7 مخيم تل الزعتر
8 مخيم صبرا وشاتيلا
9 مخيم برج البراجنة
10 مخيم عين الحلوة
11 مخيم المية ومية
12 مخيم البص
13 مخيم برج الشمالي
14 مخيم الرشيدية
15 مخيم النبطية
خط التابلاين

اللجوء الفلسطيني ودوره في ازدهار لبنان:

لم يشهد لبنان الازدهار الفعلي إلا بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، ففي ذلك العام لجأ إلى لبنان (١٠٦،٧٥٣) فلسطيني حسب سجلات الأونروا وإن هؤلاء اللاجئين حملوا معهم أموالاً وكان بينهم عمالة ماهرة ومدربة أسهمت في العمران وفي تطوير السهول الساحلية وازدهار ميناء بيروت ومطار بيروت الدولي، ويضاف إلى أعداد هؤلاء اللاجئين الذين سبقوهم بسنوات من الفلسطينيين الذين حملوا الجنسية اللبنانية، كما أن العديد من الشخصيات اللبنانية البارزة كانت تعيش في فلسطين قبل النكبة وغادرت إلى لبنان بعدها(٤).

وتأكيد على ذلك نشرت صحيفة السفير اللبنانية وبالتحديد القسم المتعلق بالتوثيق والبحوث الذي يشرف عليه رئيس التحرير طلال سلمان مقالاً بعنوان: "الفلسطينيون جوهرة الشرق" حول الدور المحوري الذي لعبه الفلسطينيون قبل نكبة ١٩٤٨م وبعدها في نهضة لبنان(٥)، وجاء في المقال أن الازدهار اللبناني الاستثماري لم يبدأ إلا بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م، وذلك لسبب حجم الدور الإيجابي الذي لعبه الفلسطينيون في لبنان حيث حملوا معهم ما قيمته ١١٥ مليون جنيه، أي ما يعادل مليار دولار بعملة اليوم، أنعشت الاقتصاد اللبناني، كما أن إغلاق ميناء حيفا أسهم في تنشيط ميناء بيروت.

هل تعلمون أن فلسطينيي لبنان في الإمارات على سبيل المثال يحولون سنويا مبلغ ٣٦٨ مليون دولار، وهل تعلمون أن خريجي الجامعة الأمريكية في لبنان من الفلسطينيين إما يساووا أو يزيدوا عن اللبنانيين، فعندما يدخل الزائر إلى الجامعة الأمريكية يجد هناك قاعة طلال أبو غزالة وقاعة حسيب صباغ، وقاعة كمال الشاعر، وجميعهم فلسطينيون ممن أسهموا في بناء وتطوير الجامعة بتبرعات خاصة. وإليكم بعض من الأسماء التي تنحدر من أصل فلسطيني في لبنان ولعبت دوراً كبيراً فيه وهم: يوسف بيدس (مؤسس بنك انترا وكازينو لبنان وطيران الشرق الأوسط واستديو بعلبك)، وحسيب الصباغ وسعيد خوري (مؤسسا شركة C.C.C)،

---

٤ بحسب وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة «الأونروا»، يبلغ عدد المخيمات الفلسطينية في لبنان ستة عشر مخيماً، هي عين الحلوة ونهر البارد والرشيدية وبرج البراجنة، والبرج الشمالي والبداوي وويفل «الجليل» و«المية ومية» والبص ومار الياس وصبرا وشاتيلا وتل الزعتر والنبطية والدكوانة وجسر الباشا، علماً أنه تم تدمير المخيمات الأربعة الأخيرة أثناء الحرب اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠م). وبموجب الأنظمة اللبنانية، يمنع على الفلسطينيين ممارسة قرابة ٧٠ مهنة، كما يمنع عليهم امتلاك العقارات والمنازل، ويحظر أيضاً، اعتباراً من العام ٢٠٠٤ إدخال مواد البناء إلى المخيمات، وذلك بحجة «منع التوطين»، غير أن ذلك حول المخيمات إلى بؤر للبؤس والفقر، وعزز النزعات المتشددة فيه.

٥ «الفلسطينيون جوهرة الشرق»، صحيفة السفير اللبنانية ٢٠٠٩/٥/١٥م

ورفعت النمر(البنك الاتحادي العربي ثم بنك بيروت للتجارة وفيرست بنك انترناشونال) وباسم فارس وبدر الفاهوم (الشركة العربية للتأمين) وزهير العلمي (شركة خطيب وعلمي) وكمال الشاعر(دار الهندسة) وريمون عودة (بنك عودة) وتوفيق غرغور(توكيل مرسيدس وشركة ليسيكو ومشاريع تجارية أخرى كبيرة) وأول شركة لتوزيع الصحف والمطبوعات في لبنان أسسها فلسطيني هي شركة (فرج الله) وأول سلسلة محلات لتجارة الألبسة الجاهزة هي (محلات عطا الله فريج) الفلسطيني، وأول الذين أسسوا محلات السوبر ماركت في بيروت هو السيد أودين أبيلا الفلسطيني وهو ذاته صاحب سلسلة المطاعم الشهيرة في مطار بيروت الدولي وكازينو لبنان، وأول من أسس شركة لتدقيق الحسابات في لبنان هو فؤاد سابا وشريكه كريم خوري الفلسطينيان، وأول من بادر إلى إنشاء مباني الشقق المفروشة في لبنان هما الفرد سبتي وتيوفيل بوتاحي الفلسطينيان، علاوة على عبد المحسن القطان ومحمود فستق، ومنى جمّال زوجة رئيس الجمهورية إلياس الهراوي وهي فلسطينية من القدس.

واشتهرت، بعد النكبة بعض العائلات الفلسطينية التي كان لها شأن بارز في تطوير بساتين الجنوب مثل آل عطايا، كما كان لليد العاملة الفلسطينية حضور في معامل جبر وغندور وعسيلي واليمني. ومن بين أساتذة الجامعات الفلسطينيون نقولا زيادة وبرهان الدجاني ونبيه أمين فارس وصلاح الدباغ ونبيل الدجاني ويوسف الشبل وجين مقدسي وريتا عوض وفكتور سحاب ويسرى جوهرية عرنيطة ورجا طنوس وسمير صقيلي ومحمود زايد وعصام مياسي وعصام عاشور وطريف الخالدي. ومن أوائل مؤسسي مراكز البحث العلمي في بيروت الفلسطيني وليد الخالدي، وفي مجال النقد الأدبي اشتهر الدكتور محمد يوسف نجم والدكتور إحسان عباس، ومن رواد العمل الإذاعي كامل قسطندي وغانم الدجاني وصبحي أبو لغد وناهده فضلي الدجاني وعبد المجيد أبو لبن وشريف العلمي ورشاد البيبي.

وبرز من بين الفنانين التشكيليين جوليانا سيرافيم وبول غيراغوسيان وناجي العلي وإبراهيم غنام وتوفيق عبد العال ومليحة أفنان وإسماعيل شموط ومحمد الشاعر وكميل حوا، وموسى طيبا، وفي الصحافة ظهرت كوكبة من الفلسطينيين في لبنان كان لها شأن وأثر أمثال: غسان كنفاني ونبيل خوري ونايف شبلاق وتوفيق صايغ وكنعان أبو خضرا وجهاد الخازن ونجيب عزام والياس نعواس وسمير صنبر والياس صنبر والياس سحاب وخازن عبود ومحمد العدناني وزهدي جار الله. وأول من وصل إلى القطب الجنوبي في بعثة علمية ورفع العلم اللبناني

هناك هو الفلسطيني اللاجئ إلى لبنان جورج دوماني.

ومن رواد العمل السياحي في لبنان سامي كركبي الفلسطيني الذي كان أول من جعل مغارة جعيتا على مثل هذا البهاء وأول من قاد طائرة جمبو في شركة طيران الشرق الأوسط MEA)) هو حنا حوا الفلسطيني، ومن رواد الفرق المسرحية والعمل الإذاعي أيضا الأستاذ صبري الشريف الذي كان له الفضل الكبير على الأخوين رحباني وعلى مهرجانات بعلبك، ومن رواد علم الآثار الحديث في الجامعات اللبنانية الفلسطيني ديمتري برامكي مدير متحف الجامعة الأمريكية. ومن رواد تدريس الرياضيات في لبنان كل من جميل علي وسالم خميس وعبد الملك الناشف ووصفي حجاب، وكان أحمد شفيق الخطيب وقسطنطين تيودوري رائدي العمل القاموسي، وسعيد الصباغ أول من تخصص في رسم الخرائط.. وأول من أطلق فكرة تأسيس مدارس تعليم اللغة الإنجليزية كان الفلسطينيان إميل أغابي وإدي جمل.

وأول رئيس عربي مقيم للجامعة الأمريكية هو الفلسطيني الدكتور إبراهيم السلطي، ومن رواد الموسيقى في لبنان المطربة الشهيرة فيروز وهي من أب فلسطيني من قرية (فسّوطة) قضاء عكا، ولأم لبنانية من آل البستاني، والمطربة رونزا والموسيقية فاديه طنب الحاج، وفريد وحنا وريتشارد السلفيتي وحليم الرومي وابنته ماجدة الرومي، ورياض البندك وسلفادور عرنيطة والفاريس بولس ثم سليم سحاب وعبد الكريم قزموز وعبود عبد العال ومحمد غازي (من قرية بيت دجن / يافا)، واشتهر في التربية قيصر حداد وصادق عمر وجورج شهلا، وأول فرقة للرقص الشعبي أسسها الفلسطينيان مروان جرار ووديعة حداد جرار، وأول من أسس الفرق الكورالية الموسيقية كانا الفلسطينيان الفاريس بولس وسلفادور عرنيطة.

ومن اللبنانيين الذين ولدوا أو عاشوا في فلسطين الأديب ميخائيل نعمه الذي درس في القدس والأديبة الكبيرة مي زياده التي ولدت في مدينة الناصرة لأم فلسطينية وأب لبناني، والأديب وديع البستاني والباحثة بيان عجاج نويهض التي ولدت في القدس ونجيب نصار صاحب جريدة الكرمل، ونجيب عازوري صاحب كتاب يقظة الأمة، وجورج أنطونيوس صاحب كتاب يقظة العرب وغيرهم الكثير.

فلسطينيو لبنان ودورهم في الثورة الفلسطينية:


الشهيد خليل عز الدين الجمل

كانت حركة فتح في لبنان تصدر مجلة علنية خلال الفترة من ١٩٥٩م وحتى ١٩٦٤م باسم (نداء الحياة – فلسطيننا) التي تنادي بالثورة المسلحة وأشرف على سياستها خليل الوزير (أبو جهاد) بالتعاون مع اللبنانيين الحاج توفيق حوري وهاني فاخوري ويخرجها الفنان الفلسطيني إسماعيل شموط، وبعد عام ١٩٦٤م أشرف أحمد الأطرش وهو من مخيم عين الحلوة، على إعداد أول دورة عسكرية سرية في طرابلس بشمال لبنان ضمت اثنا عشر متدرباً كما تولى عملية إرسال الدوريات الفدائية عبر الحدود.

تموضع الفدائيون جنوب شرق لبنان منذ أواخر عام ١٩٦٧م في قرى الهبارية وكفر شوبا وشبعا (مزارع شبعا) وراشيا والخيام سراً في البداية، ثم تمددوا إلى راشيا الوادي وحاصبيا، ومنذ عام ١٩٦٨م أصبحت المساحة التي يتموضعون فيها ممتدة إلى قرى وبلدات عين عرب، ومدوخا وراشيا الفخار وصولا إلى مجدل سلم عام ١٩٦٩م. يقول نصر يوسف ذهبنا مع ٧٠ مقاتل لتأسيس قطاع العرقوب، كان آمر القطاع أبو العز الدجاني، ونصر يوسف للإدارة ومن ضمن الضباط كان نعيم وحسين الهيبة.

ثم أنشأت حركة فتح قيادة إقليمية في لبنان في مخيم تل الزعتر بقيادة راجي النجمي عام ١٩٦٦م لكن الأمور بقيت تدار بشكل سري حتى (٤ / ١٩٦٨م) حين استشهد خليل عز الدين الجمل(٦)

---

٦ الشهيد خليل عز الدين الجمل، أول شهيد لبناني ضمن قوات الثورة الفلسطينية، من مواليد بيروت ٢١/١/١٩٥١م، نشأ في بيت شجعه على حب فلسطين، وأتاح له فرصة الاطلاع على إنطلاقة الثورة والعمليات التي ينفذها الفدائيون ضد الأهداف الإسرائيلية، فالتزم بالثورة، وانضم إلى الفدائيين في أغوار الأردن ضمن قاعدة تل الأربعين بقيادة سعد أبو القناني، وبتاريخ ١٠/٤/١٩٦٨م قام العدو الإسرائيلي بمغامرة ضد الفدائيين، حيث وضع العدو جسرا حديديا متحركا بالقرب من بيارةٍ(أبو فاروق الشبول) عبرت فوقه دبابة وعدد من الآليات العسكرية، فيما كانت طائرة هيلوكوبتر تقوم بإنزال مظليين بلغ عددهم(٧٥ مظلياً) وفي المقابل كانت قوات العاصفة ترابط في كمين نصبته في المكان ذاته، وكان خليل أحد أفراد هذا الكمين، ووقع الاشتباك مع المظليين الصهاينة وقتل منهم عشرة. استمر الفدائيون في ملاحقة فرقة المظليين التي تراجعت وانسحبت إلىٍ داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، فأصدر قائد الكمين أمرا للمقاتلين بالانسحاب بعد أن وصلت الإصابات في صفوف العدو(١٥ جندياً) بين قتيل وجريح. تولى خليل الجمل حماية أفراد الكمين خلال انسحابهم إلى مواقعهم، لكن قذيفة مضادة للدروع أصابت كتفه فظل يواصل حماية إخوانه حتى استشهد وهو في السابعة عشرة من عمره، طلب القائد أبو علي إياد نقل جثمانه إلى لبنان ورافق الجثمان من دمشق كل من محمد عبد الله عياش(شاستري) وأبو النسور، والشمعة، ومصباح سائق أبو علي إياد حيث استقبله جمهور من اللبنانيين ومن رجال الصليب الاحمر اللبناني، وسار الجثمان في موكب انضم اليه السيد جورج صاروفيم محافظ البقاع، وواكبه وفد من رجال العاصفة الجناح العسكري لحركة «فتح» بملابسهم الرسمية وسلاحهم الكامل. الموكب استقبل بالزغاريد والهتافات واطلاق النار بالفضاء وقرعت اجراس الكنائس لدى مروره بالمدن والقرى المنتشرة على الطريق الى بيروت التي رفعت اعلاما جللت بالسواد. حضر الصلاة الدكتور عبد الله اليافي رئيس الوزراء والشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية وعدد كبير من رجال الدولة، ثم نقل الجثمان بعد الصلاة الى مقبرة الشهداء. وصدر مرسوم من الدولة اللبنانية بمنح الشهيد وسام الاستحقاق اللبناني، كما وجه الرئيس جمال عبد الناصر للشهيد تحية في خطابه في شهر ٤/١٩٦٨م.



وهو أول شهيد لبناني من حركة فتح حيث أقيمت له جنازة كبرى شارك فيها رئيس الوزراء اللبناني السابق عبد الله اليافي وممثلون عن جميع الطوائف اللبنانية والأحزاب والنقابات والجمعيات وكافة القوى الشعبية التي تداعت إلى التظاهر يوم ٢٣ / ٤ / ١٩٦٨م، وقد اصطدمت المظاهرة بالجيش اللبناني وقوات الأمن حيث سقط (١١ شهيد وجرح ٨٠) وأعلنت حالة الطوارئ واستقالت حكومة رشيد كرامي.

بالطبع لم تكن إسرائيل راضية عن تطورات الأحداث في لبنان لا سيما التعاطف الكبير الذي أبداه اللبنانيون لدعم العمل الفدائي، وانتقاما من لبنان وبقصد إجباره على اتخاذ إجراءات لمنع العمل الفدائي قامت إسرائيل مساء يوم السبت ٢٨ / ١٢ / ١٩٦٨م بالهجوم على مطار بيروت ودمرت (١٣ طائرة مدنية) حيث صدر القرار (٢٦٢) بتاريخ ٣١ / ١٢ / ١٩٦٨م الذي يدين العدوان الإسرائيلي رغم إنقسام ردة الفعل اللبنانية حيث طالب ريمون إده رئيس حزب الكتلة الوطنية بإرسال قوات دولية لحماية لبنان في حين أبدت الأحزاب اليسارية والقومية موقفا مؤيدا للعمل الفدائي(٧).

اضطرت حركة فتح بعد هذه الأحداث في مطلع ١٩٦٩م إلى التفاهم مع النظام اللبناني وبرعاية مصرية وتم توقيع «اتفاق القاهرة» في ٣ / ١١ / ١٩٦٩م –وكانت أول إتفاقية تعقدها حكومة عربية مع المقاومة الفلسطينية– من قبل العماد إميل بستاني عن الجيش اللبناني وياسر عرفات، الذي سبق أن أعد مسوده هذا الإتفاق في منزل يوسف الصايغ(٨) يوم ٩ / ٥ / ١٩٦٩م بالاتفاق مع العماد إميل البستاني واطلع عليه كل من الرئيس شارل حلو ورشيد كرامي وغابي لحود مدير الإستخبارات العسكرية وإلياس سركيس والعميد يوسف شميط وفؤاد شهاب وجوني عبده(٩).

---

٧ في ذلك العام نشأت «الحركة اللبنانية المساندة لفتح، وهي الهيئة الشعبية الوحيدة يومذاك التي التزمت بدعم فتح في لبنان، ثم تحولت إلى حركة منظمة ضمت معظم العاملين في حقل الإعلام و القطاعات الأخرى، وتولى قيادة هذه الحركة منذ تأسيسها الدكتور هاني فاخوري، ولعبت دورا أساسيا في دعم المقاومة الفلسطينية عام ١٩٦٩م وخاصة في التحضير لتظاهرة ١٩٦٩/٤/٢٣م، وفي العام ١٩٧٣م قام أفرادها بمهمات حراسة للمخيمات الفلسطينية بعدما قام الجيش اللبناني بقصفها كما شاركت هذه الحركة في الدفاع عن المقاومة خلال الحرب الأهلية (١٩٧٥–١٩٧٦م)

٨ يوسف الصايغ الاقتصادي الفلسطيني العربي المتميز، من أعلام فلسطين، وهو واضع خطة بناء الدولة الفلسطينية قبل أوسلو، وقد سبق أن قام بعدة مهمات في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومنها رئاسته للصندوق القومي.

٩ ولد جوني عبده في مدينة حيفا بفلسطين المحتلة لأبوين لبنانيين بتاريخ ١٩٤٠/٢/٢٤م التحق بالمدرسة الحربية وأصبح رئيساً للفرقة العسكرية للعماد إميل بستاني ثم مديراً للمخابرات العسكرية اللبنانية في عهد إلياس سركيس وهو ينتمي للطائفة المارونية.

وعندما انتقلت الثورة الفلسطينية إلى لبنان بعد أحداث أيلول عام ١٩٧٠م وأحداث جرش عام ١٩٧١م كانت الثورة الفلسطينية بجميع فصائلها تدرك طبيعة التركيبة الطائفية في لبنان وخاصة دور الطائفة المسيحية المؤثر اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، ولم تكن الثورة الفلسطينية معنية أصلا بالمشكلة الطائفية، فالمسيحيون الفلسطينيون أو العرب كان لهم دور مشرّف في إنطلاقة الثورة الفلسطينية وتشكيل فصائلها وكان القادة المسيحيون يتصدرون نضالاتها ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ونايف حواتمه الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وكمال ناصر الناطق الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية، والمطران إيليا خوري عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وإدوارد سعيد عضو المجلس الوطني الفلسطيني، والمطران كبوجي (مطران القدس) والأب إبراهيم عياد مستشار ياسر عرفات، وناجي علوش الأمين العام السابق للإتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، وعفيف صافية ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في بريطانيا، ووديع حداد مسؤول العمليات الخارجية في الجبهة الشعبية، والأخوة فايز، يوسف، وأنيس الصايغ مدير عام مركز البحوث الفلسطيني وصبري جريس مدير مركز البحوث الفلسطيني، ونعيم خضر ممثل منظمة التحرير في روما وغيرهم كثير.

وقد أسهم مسيحيو لبنان بدور لا يمكن إنكاره في دعم الثورة الفلسطينية بما في ذلك الطائفة المارونية التي لم تعترض عام ١٩٥٨م على تجنيس بعض الفلسطينيين لكن المتشددين انتهجوا مسلكا عدوانيا ضد الفلسطينيين وارتكبوا مذابح ضد المسيحيين اللبنانيين في الأحزاب الأخرى مثل قادة وأعضاء حزب الوطنيين الأحرار، كما ارتكبت قوات الجبهة اللبنانية جرائم حرب ضد المسيحيين الفلسطينيين في مخيم ضبّيه وتعاونت مع القوات الإسرائيلية أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م وقبله بسنوات.

الخروج من الأردن:

أقبل خريف «أيلول ١٩٧٠م» الذي تناثرت فيه أرواح الشهداء والأبرياء الذين دفنوا على امتداد خط المواجهة مع العدو الإسرائيلي في غور الأردن، قليلهم حظي بجنازة عارمة، وكثيرهم فاز بجنازات ملائكية تفوح منها نسائم المسك والريحان، وبعضهم فاز بقبر وشاهد، والآخرون يعلم الله أين مدافنهم.. وقبل الخروج من الأردن وكانت أسطورة المقاومة قد ولدت من بطن الألم.. ومن رحم المأساة.. تماما كما يولد الأطفال من رحم أمهاتهم على وقع صرخات الألم واندلاع الدماء.. مبشرين بحياة جديدة تزرع الطمأنينة في النفس، وكما تنسى الوالدات آلام المخاض.. ينسى رجال المقاومة المحن وظلم ذوي القربى، لكنهم يتذكرون صباحاً مساءً حقد العدو مغتصب الأرض ومنتهك الكرامة..

لقد كنا أول المجموعات التي تغادر الأردن إلى سوريا أواخر عام ١٩٧٠م بعد أن اتخذت القيادة قرارا بتخفيف التواجد الفتحاوي في عمان، وكما الروح تغادر الجسد قمت بانتزاع ذاتي ومن تبقوا معي تنفيذا لأوامر القيادة. وباعتقادي فإن الثورة الفلسطينية هي أول ثورة في العالم تنتقل مع قيادتها من مكان إلى آخر على الأرض، وفوق البحر وفي الجو، بينما هي ثابتة في روح الشعب الفلسطيني وراسخة في أعماق وجدانه. وحين اكتمل وجع الرحيل إلى لبنان، تحزم من بقي معي من عناصر الصمود في جبل عمان وحي المصاروة برمق الحياة واعتمروا بكوفية المجد، ثم امتطوا جياد المستقبل، متأهبين لمرحلة جديدة إلى أرض جديدة.

لقد خرجوا بصحبتي.. ستة عشر مقاتلاً طاش عنهم الرصاص بعد أن كانت صدورهم مفتوحة لاستقباله، وكنت السابع عشر في المأساة، خرجنا في البداية إلى دمشق لا نحمل سوى حقائب الإحباط، وبنادق محشوة برصاص من الغضب، وخيبة الأمل، نمنّي النفس بمواصلة النضال ليس للذات أو لكرامة الشهداء وإنما إجلالا لكرامة الوطن التي تسكن في ذاكرة كل واحد منا.

كنا جميعا ننتسب إلى جهاز الرصد المركزي الذي توليت فيه قيادة "القوة التنفيذية" توقفت قافلة الخروج في درعا السورية، حيث معسكر مزيريب للمقاتلين، الذي كان يضم نخبة من كوادر الرصد المركزي الذين خرجوا من الأردن بعد أحداث أيلول، وبتعليمات من أبي علي إياد

تسلمت إدارة المعسكر، وبعد فترة قصيرة جاءني أمر من أخي علي حسن سلامه "أبو حسن" بضرورة السفر إلى بيروت وملاقاته هناك حيث ترك لي عنوانه في بيروت، فاستأذنت أخي أبو علي إياد ثم انتدبت أخي مجدي الأنصاري "علي الزيبق" كي يرافقني، وانطلقت مسافراً إلى بيروت قاصداً العنوان المطلوب. وعندما وصلنا إلى بيروت، قصدنا العنوان وصعدنا المصعد، وقفنا أمام الشقة وطرقنا الباب، فجاءنا الصوت من الداخل من على الباب؟

– مَن؟ هكذا جاء الصوت قبل أن يفتح الباب..

أنا... أبو الطيب..

– أهلا.. وقبل أن تكمل عبارة الترحيب انفتح الباب لأكون وجها لوجه أمام والدة "أبو حسن" وبالطبع لم أكن على معرفة بها من قبل.

أين أخي أبو حسن..؟

– إنه غير موجود الآن تفضل يا ابني واشرب فنجان قهوة.

أشكرك، لكني مضطر للعودة وأرجو أن تبلغيه حين عودته بأني قدمت من دمشق حسب الطلب، وأنني سأعود ثانية إلى دمشق للإقامة في فندق "الكمال".. وغادرت بعد أن تركت رسالة بالعنوان لأخي أبي حسن.

دقائق معدودة هي التي أتاحت لي التعرف إلى والدة علي حسن سلامه، ومع ذلك فقد تركت تلك الدقائق والكلمات في نفسي أثراً مشوباً بالحزن والافتخار في آن واحد، إنها أم لرجل وهب حياته للقضية، فحمل روحه على راحته ومضى مكافحاً من أجل نيل شرف الشهادة لهدف نبيل وقضية وطنية أنبل، لقد قدمت في سيرتها وتاريخ حياتها ملحمة العطاء والتضحية، فكانت المثل والقدوة لكل نساء جيلها الفلسطينيات اللاتي حملن وسام احتضان جيل من المناضلين الشهداء الذين نحسبهم عند الله أحياء يرزقون، وفي مقدمتهم زوجها شيخ المجاهدين الشهيد حسن سلامه "أبو علي" هذه المرأة التي هاجرت مع زوجها من فلسطين إلى بلاد الأنصار في العراق وسوريا ومصر ولبنان متحملة مشقات الحياة وقساوة الأيام مع زوج مطارد لقوى الاحتلال البريطاني، فكانت له المعين.. والحاني.. والرؤوم.. بين يديها ترعرع علي حسن سلامه "أبو حسن"، فقد أرضعته حب الجهاد.. وحب فلسطين. بعد أن ودعتها تذكرت والدتي وأمهات رجال المقاومة الفلسطينية.. وأيقنت أن المرأة الفلسطينية ستظل "ولودة" تنجب الأبطال وترفد قوافل الشهداء بكل شموخ وإباء..



قفلت عائداً إلى دمشق بصحبة مجدي الأنصاري "علي الزيبق" وحجزنا في فندق الكمال.. وبعد مرور ثلاثة أيام وحلول الليلة الرابعة، وتزامنا مع دقات الساعة مشيرة إلى تمام الثانية والنصف صباحاً، تلتها على الفور دقات على باب الغرفة. نهضت متثاقلاً ومتسائلاً من بالباب..؟ لم أستطع تمييز صوت الطارق، ومع ذلك توجهت لفتح الباب.. وما أن أدرت "شق الباب" حتى تفاجأت بأخي أبي حسن، وفي معيته كل من فؤاد الشمالي وأبو غسان، لقد كانت لحظة إشراق، تماما مثلما تشرق الشمس بعد انقضاء ليلة حالكة الظلام، فقد انتهت معارك أيلول، وما كنت أظن أن أحدنا سوف يلتقي الآخر.. تعانقنا.. ثم دعوتهم إلى الدخول...إلا أن أبو حسن اعتذر طالباً مني التهيؤ حالا للسفر برفقته، وقال نحن ننتظرك في صالة الاستقبال، قمت بإيقاظ مجدي الأنصاري من النوم، وبعد أن جهزنا أمتعتنا حملنا الحقائب وتوجهنا نحو إدارة الفندق وسددنا الحساب، وما هي إلا لحظات حتى كنا جميعا في داخل السيارة التي أقلتنا إلى بيروت وبعد أن انطلقت بنا السيارة أصابتني حالة من صمت اللسان المطبق، لكن التفكير قد انطلق عنانه حيث كنت أستعيد شريط الذكريات عن المعارك وما تخللها من حالات مؤلمة كان الإنسان يتوقع وفاته في كل لحظة، ولم ينقذني من هذه الحالة سوى استفسار أخي أبو حسن قائلاً:

شو.. شايفك غرقان في التفكير!!

أجبته: ومن منا باستطاعته تجنب التفكير فيما حدث؟

أجاب: عندك حق يا أبا الطيب.. والله اللي شفناه في "أيلول" لم يخطر على بال أحد.. من كان يتوقع أن ينج من تلك الحمم التي انصبت فوق رؤوس الجميع..؟

أجبته: إنها فعلاً معجزة إلهية.. الحمد لله على سلامتكم.

وبدأ أبو حسن يستعرض ما حدث من وقائع بعد أن جاءت اللجنة العربية إلى عمان، وكيف كان في كل ليلة يخاطر بحياته حفاظا على سلامة القائد أبي عمار حتى خرج معه برفقة الوفد العربي إلى القاهرة، وأضاف.. لقد كان جهاز الحراسة يضم (٧٠) مقاتلاً لم يبق منهم إلا (١٣) مقاتلاً.

جهاز العمليات الخارجية:

وصلنا بيروت نحو الساعة السادسة والنصف صباحا.. ونزلنا في بناية سماحة بشارع الحمرا.. وكانت عبارة عن شقق فندقية، في حين ودعنا أبو حسن ليذهب إلى منزله لأخذ قسط

من الراحة ثم يعود لنا ثانية. قضيت نهار ذلك اليوم في الشقة، أستعيد مجريات الأحداث التي انقضت.. وأفكر في الأيام والسنوات المقبلة التي ستفرض علينا إثبات قدرتنا على تجاوز مرحلة الخروج من الأردن والعمل بكل ما نملك من إيمان وإرادة لتعظيم مسيرة الثورة الفلسطينية، وعندما حل المساء عاد أبو حسن بعد أن كان قد غادرنا وقت الظهيرة.. فاجتمعت إليه منفرداً على عجل بناء على طلبه وقال: يا أبا الطيب.. بناءً على قرار القيادة التي اجتمعت في دمشق تم تشكيل جهاز للعمليات الخارجية(١٠)، وأن مهمة هذا الجهاز توجيه ضربات لتجمعات البترول في أوروبا ذلك أنه بسبب حالة اليأس والشعور بالأسى نتيجة الخروج من الأردن، فقد شعرت المقاومة الفلسطينية أن هناك تواطؤ دولي ضدها قوامه الصمت وتجاهل الحقوق الوطنية المشروعة لشعبنا، فتقرر توجيه رسالة للعالم أجمع بأنه إذا لم يشعر الفلسطينيون بالأمن والسلام وإعادة حقوقهم المسلوبة فلن تسلم مصالح كل الدول التي تدعم إسرائيل واحتلالها للأرض الفلسطينية.

ثم قدم لي أبو حسن اعتذاره لأنه اضطر للسفر إلى إيطاليا بعد أن ارسل في طلبي، ذلك أنه سبق أن خطط على عجل لتنفيذ عملية في إيطاليا(عملية تريستا) لنسف خزانات النفط مستعيناً في تنفيذها بالمناضل محمد بوضيا ومجموعته بعد أن أرسل إليهم خبير المتفجرات (أبو النور) وعندما أبلغه محمد بوضيا عن الجاهزية في التنفيذ اضطر للسفر كي يشرف على العملية، وفور عودته إلى بيروت وعلمه بالرسالة التي تركتها له تحرك ليلحق بي في دمشق على الفور لاصطحابي إلى بيروت (سوف أتحدث عن العملية لاحقاً بالتفصيل كما رواها لي منفذوها)

ناقشته في بعض التفاصيل التي استدعت أن نتحرك على الفور باتجاه دمشق لمقابلة عضو اللجنة المركزية الذي كلف بالإشراف على العمليات الخارجية، حيث أبلغني أبو حسن أنه قابل عضو اللجنة المركزية قبل سفره إلى إيطاليا، ولكن هذه المرة نحتاج لتفاصيل العمل، وفور وصولنا اجتمعنا بالرجل المقصود، وتدارسنا معه جميع الاحتمالات، وبعد أن تلقينا توجيهاته وتعليماته بأن لا يمس أي شخص من البلدان التي سوف تحدث بها العمليات في أوروبا، وأن تكون عملياتنا ضد أهداف وليس ضد أشخاص، شرعنا بالعودة إلى بيروت ثانية.

---

١٠ **العمليات الخارجية: هي العمليات العسكرية والأمنية خارج الوطن، وقد أطلق عليها الخطاب السياسي الفلسطيني اسم العمليات الخارجية أو العنف الثوري الذي استهدف المصالح الإسرائيلية، وهو مصطلح متداول في كثير من الأجهزة الأمنية في العالم، ويقصد به التعامل مع العدو بالقتل أو الترهيب أو التخريب لمؤسساته أو مصالحه، إلا أنه كان بالنسبة لتنظيمات الثورة الفلسطينية الأخرى باستثناء جماعة أبو نضال ذات العمليات المشبوهة والمأجورة اكتساب ساحة جديدة للعمل الثوري ضد العدو، (موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، ص٣٨١)**



دقت ساعة العمل كما يقولون، وبدأ أبو حسن يستعين بمجموعة من الكفاءات الفكرية والسياسية والعسكرية والفنية من الفلسطينيين والعرب ثم انهمك فوراً بالتخطيط والإعداد لعمليات في أوروبا، وقد ساعد آنذاك أنني و أبو حسن كنا مرتبطين بعلاقات قوية مع عدد من قيادات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكنت شخصيا مرتبطا بعلاقة مع "علي طه" الذي لعب فيما بعد دوراً كبيراً في تنفيذ بعض العمليات لصالح حركة فتح وكان قبل ذلك مقربا من الدكتور وديع حداد مخطط العمليات الخارجية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان أبو حسن على علاقة مع محمود الهمشري وفؤاد الشمالي(١١)، والذي تمت معرفته عن طريق رضا كبريت(١٢) قام محمود الهمشري بتعريف أبو حسن على محمد بوضيا الذي بدأ ينسق مع أبي حسن أثناء زيارته إلى فرنسا، ففي تلك الفترة كان هناك صعودا لليسار الجديد بعد ثورة الطلاب في فرنسا في شهر ٥ / ١٩٦٨م، وبعد ظهور جماعات العنف الثوري حيث أصبح جيفارا البطل الرمزي لأحرار العالم وظهرت الألوية الحمراء في إيطاليا، وجماعة بادر ماينهوف في ألمانيا، وكانت وجهة نظر محمد بوضيا في تلك الفترة أن يوجه هذا العنف وصعود اليسار في سياق الصراع الأممي، أي أن يتوجه بضرباته إلى الإمبريالية بما يعكس النتائج على التضامن مع فلسطين بالتحديد، كما كان يعتقد أن العنف يمكنه لعب دوراً فعلياً في هذا السياق.

---

١١ فؤاد سعد الشمالي، لبناني من الطائفة المارونية، عضو المجلس الأعلى للحزب السوري القومي الاجتماعي الذي شكل ظاهرة مميزة في لبنان ومنذ إعدام مؤسس الحزب أنطوان سعد والذي تبنى الحزب مقولته الشهيرة (الحياة وقفة عز) كان رجالات الحزب يتميزون بالثقافة وعمق الانتماء للقضايا الوطنية وتحت شعار «تحيا سوريه» وتحيتهم المميزة كانوا يندفعون لتلبية نداء الواجب، وقد شكلت القضية الفلسطينية وإنطلاقة الثورة مصدر الهام لقيادات هذا الحزب، وكان العناصر والقيادة يتسابقون في تقديم أية خدمة للثورة، وشكلوا رافدا قويا لمنظمة أيلول الأسود في أوروبا بحكم حضورهم وتواجدهم ومعرفتهم عدة لغات، وشكلوا فريقاً إلى جانب محمد بوضيا والشهيد كمال خير بيك في تأمين الاحتياجات والدعم اللوجيستي، ورغم وجود العديد من قيادات الحزب داخل السجن، إلا أن العلاقة مع «فتح» تطورت مع تيار إنعام رعد وعبد الله سعادة والذين حملوا شعارات الثورة الفلسطينية، ونتيجة لهذه العلاقة وهذا الدعم دفع الحزب الثمن، باغتيال محمد سليم وتوفيق الصفدي وإيلي الجقل والعشرات من كوادر الحزب في معارك الكورة الشهيرة، وكان الشهيد فؤاد الشمالي وكمال خيربك وبشير عبيد على صلة وثيقة مع أيلول الأسود، وبإسهاماتهم شكلوا قوة لأيلول الأسود امتدت عبر القارات، وكانت من عناصر التحدي لإسرائيل والموساد. توفي الشهيد فؤاد الشمالي بعد مصارعة طويلة مع المرض، ونحن إذ نخلد ذكراه فهو جزء من الوفاء لأولئك الذين ضحوا وناضلوا وأعطوا قدراتهم لشعبنا وثورتنا الفلسطينية (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)

١٢ رضا كبريت: أحد قيادات الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي كان منزله مأوى لكل قيادات المقاومة الفلسطينية واللبنانية على مدار عشرات السنين، وقدم للثورة الفلسطينية خدمات جمة



فؤاد الشمالي



كمال خير بك

استغرق التحضير لتشكيل جهاز العمليات الخارجية أياماً وأسابيع حيث يتم التدقيق جيداً في السيرة الذاتية للأشخاص الذين سيشكلون عصب الجهاز وقياداته، وبعد تدقيق وتمحيص تشكلت قيادة الخارج من الإخوة محمود الهمشري، سلمان (أبو محمد) وفؤاد الشمالي، وانضم لهذه القيادة أيضا فيما بعد محمد بوضيا المناضل الجزائري المعروف الذي جاء بخمسة عشر جزائرياً كان على رأسهم خالد الجزائري، أما قيادة الجهاز في بيروت فتركها أبو حسن لحين اختيار الضباط الذين سيساعدوني لإدارة أمور القوات. وتولى مهمة الإشراف على الاتصال بالتنظيم في أوروبا أبو حسن وكان كمال خير بك(١٣)يساعده في بعض الأحيان.

التخطيط للعمليات الخارجية لم يكن سهلا، إنما يندرج في إطار "المستحيل الممكن" الذي يتطلب عملا وجهدا مركزا ومنظما إضافة إلى ضرورة وجود قيادات ذات إرادة من حديد

١٣ كمال خير بيك «أبو زياد» متحدر من أسرة أرستقراطية علوية، ولد عام ١٩٣٥م، وكان مسؤولاً بارزاً في الحزب السوري القومي الاجتماعي آمن بمشروع سوريا الكبرى، حكم بالإعدام في سوريا فالتجأ إلى لبنان، طلب اللجوء السياسي إلى فرنسا وعاد إلى لبنان بعد صدور العفو عام ١٩٦٩م، واغتيل يوم ١٩٨٠/١١/٥م في مشكلة بين سائقين لم يكن متورطاً فيها، حملت القضية الفلسطينية أسماء عربية وأجنبية هامة جداً، كان لها دورها النضالي الوطني والأمني، وهذه الأسماء تركت بصمات مميزة في تاريخ المقاومة وكفاح الشعب الفلسطيني، والتي بقيت خالدة ولا يمكن نسيانها وتناسيها، ومن هذه الأسماء كمال خير بيك «أبو زياد». هذا المناضل الشفاف في وجدانياته يحمل الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة جنيف، حيث تدور أطروحته حول الحداثة بالشعر العربي وهو من رجالات التحديث في الشعر العربي ومقدمتهم، وهو رائد «قصيدة الومضة» له أربعة دواوين شعرية مهمة هي: دفتر الغياب، مظاهرات صاخبة للجنون، وداعاً أيها الشعر، البركان. كان مستهدفا من قبل الموساد الإسرائيلي مما دفعه للتنقل في الدول الأوروبية وخاصة في فرنسا التي تعرض فيها لعدة محاولات اغتيال، كانت علاقاته تتسم بالدقة والاستعداد للتضحية، وقاد العديد من العمليات ضد العدو الصهيوني في أوروبا وبالتنسيق مع فؤاد الشمالي ووديع حداد ومحمد بوضيا وغيرهم.. ولم يكن نشاطه يقتصر على فصيل دون آخر بل مع كل من يحارب إسرائيل.

ومصممة على تحقيق أهدافها، وهنا يمكن أن ندرك لماذا استحدث أبو حسن وسائل كانت تسمى "الأسلحة السرية للثورة" وكانت تتمثل تحديداً بأسلوبين من العمل هما:

الوثائق التي كانت تساعد على اختراق القيود على تحركات الفلسطيني المحاصر في المخيمات والممنوع من التنقل خارج المخيمات وليس بين الدول فقط.

الأسلحة المهربة ووسائل إدخالها يتجاوز وسائل الحماية والتفتيش التي تضعها الدول لمواجهة هذا النوع من العمليات.

القيام بمثل هذه المهمات الخارجية أمر يتجاوز الشجاعة، ومن تنقصه الشجاعة لا يتخذ قرارا بسلوك هذا الطريق الذي يؤدي إما إلى السجن وإما إلى الاستشهاد، ومن يقرروا التضحية بأنفسهم من أجل مبادئهم وقناعاتهم وحرية شعوبهم سيجدون أن حياتهم ستصبح صعبة ومليئة بالأخطار لا سيما في تلك المرحلة التي تصاعدت فيها الاتهامات الموجهة إلى المقاومة الفلسطينية ووصمها بالإرهاب، وقد كنا ولم نزل كفلسطينيين ننبذ الإرهاب، ونحن أكثر إنسانية من أي طرف آخر، إلا أن العدو الإسرائيلي الذي يمارس علينا «إرهاب الدول» في كل لحظة أجبرنا على حماية شعبنا والدفاع عن النفس.

إن مثل هذا العمل الذي تم التخطيط لتنفيذه ضد المصالح الإسرائيلية في أوروبا كان موجودا في كل التجارب التي يوجد فيها طرف قوي مسيطر على طرف أضعف، وفي مثل هذا الحال يضطر الأضعف إلى استخدام أساليب غير تقليدية في الرد، لأن الآخر يسحقه ولا يترك له أي خيار، ففي أدبيات الثورة الروسية مثلا، تحدث لينين عن العنف واستخداماته ولماذا وأين.؟ وخلال الحرب العالمية الثانية استخدمت المقاومة الأوروبية أساليب المقاومة ضد النازيين فقاموا بوضع عبوات في محطات القطار والمطاعم يرتادها الألمان. والعمليات الخارجية كان من بديهيات وجود الحركة الصهيونية.

كانت أولى الخطوات لبناء قاعدة جهاز العمليات الخارجية في بيروت أن قام أبو حسن باستقدام عدد من الكوادر المتخصصة بالمتفجرات، في حين قمت باستدعاء عناصر الرصد المركزي الستة عشر الذين خرجوا معي من الأردن، وأوكلت لهم بالإضافة لعملهم في الجهاز مهمة حماية ياسر عرفات الذي أصدر قرارا لهيئة الإدارة والتنظيم – باعتماد كشف رواتب لهذه المجموعة حيث كتب "تعتمد هذه القوة ال١٧ من لوازم وتموين ورواتب"، وبقي اسمها القوة ١٧ من ذلك اليوم، وكان هذا في عام ١٩٧١م، وفي بداية عام ١٩٧٢م تم الانتقال إلى حي الفاكهاني بطريق الجديدة في بيروت (خلف حبس الرمل سابقاً) وتم استئجار مكتب للقائد العام

وبطريق الصدفة كان رقم الهاتف لهذا المقر ٣١٧٠٥٢، وأصبح يعرف المكتب والقوة باسم ال١٧ ومن هنا جاء الاسم.

تذكرت أن لي صديقاً من بلدتي "بيت دجن" يقيم في حارة الناعمة، هو محمد دلدوم "أبو بلال" المولود لأم لبنانية، ومنذ أن هاجر من فلسطين عام ١٩٤٨م اتجه إلى لبنان وتزوج من لبنانية، ويمتلك مقهى صغير في منطقة الميناء، فتوجهت لزيارته وبعد الترحاب واكتمال واجب الضيافة طلبت منه استئجار ثلاث شقق، وكنت قد أبلغته بأن مجموعة عناصر عددها (١٦) تريد أن تقيم لمدة شهرين فقط، وقد أنجز المهمة فعلاً، حيث قمت بتوزيع عناصر القوة على الشقق، ثم قمت بعد ذلك باستئجار شقتين في شارع أبو شاكر (المرابطون) حيث انتقلت المجموعة من حارة الناعمة إلى شارع أبي شاكر، وبعد مكوثنا لمدة ثلاثة شهور قمنا باستئجار شقتين أخرتين في منطقة طريق الجديدة شارع الفاكهاني– حي الدامرجي بالقرب من كلية الهندسة وحبس الرمل وهذا الموقع أصبح فيما بعد يعرف بمكتب الـ١٧، طبعا كنا نستأجر هذه الشقق على أننا طلبة في الجامعات.. وذلك لسببين:

من غير المسموح للفدائي الفلسطيني التواجد بهذه المناطق حسب الاتفاق مع السلطة اللبنانية، فالتواجد في المخيمات فقط (علما أن تواجدنا في منطقة طريق الجديدة يعتبر خارج حدود المخيم).

المحافظة على سرية عملنا حيث كنا حريصين كل الحرص بأن لا أحد يعرف عنا أي شيء بما في ذلك حياتنا اليومية، وكنا منعزلين كلياً عن باقي الأخوة الذين خرجوا من الأردن وتواجدوا في بيروت سواء في الأجهزة الأمنية أو الإدارية أو العسكرية..

وبعد أن تمت تلك الترتيبات قرر أخي أبو حسن بأن يتم تشكيل لجنتين أحدهما للاستطلاع والثانية للتخطيط، حيث تقوم الأولى بجمع المعلومات عن الأهداف، وترفع تقريراً بها للجنة التخطيط، وبعد التدقيق يتم إطلاع لجنة ثالثة هي لجنة التنفيذ لاتخاذ الإجراءات اللازمة.

عملية تريستا – إيطاليا ١٩٧١/٨/٤م:

بناءً على المعلومات التي كانت متوافرة لدى علي حسن سلامة بصفته المسؤول عن العمليات الخارجية والمتعلقة بمدينة تريستا التي تقع شمال شرق إيطاليا على الطرف الشمالي للبحر الأدرياتيكي، ولا يزيد عدد سكانها عن ٢٤٠ ألف نسمة، وقد كانت قديما مستعمرة رومانية منذ القرن الأول قبل الميلاد وحتى عام (٥٠٠م) وتشتهر بصناعة الحديد والصلب، وصناعة



الملابس، والدهانات، اختار أبو حسن مستودع النفط هدفاً نظراً لأن طاقته الاستيعابية كبيرة جدا ويقع على رأس خط أنابيب ينطلق من تريستا مرورا بجبال الألب إلى فيينا وأنجلوشيا في مقاطعة بافارياالألمانية على الحدود مع فرنسا.

وعلمت من أخي أبي حسن بعد تنفيذ العملية وحضوره إلى بيروت أن الفريق الموجود في إيطاليا وكان بقيادته(١٤) وعضوية محمد بوضيا وخالد الجزائري الشاب الأقرب إلى بوضيا الذي يشرف على جيل من شباب المغرب العربي في أوروبا، والذين وجدوا في الثورة الفلسطينية سبيلاً للنضال ضد الغزاة الأجانب ومن أجل تحرير الأرض العربية من احتلالهم، قد اجتمعوا لاتخاذ القرار الأخير.

وبعد أن أعيدت دراسة الخطة قرر أبو حسن اختيار كل من خالد الجزائري(١٥) وسليم المفتش "أبو النور"(١٦) لتنفيذ العملية فهما يتمتعان بكل الصفات التي تؤهلهما لذلك، فاختلى بهما أبو حسن على إنفراد مخاطبا خالد الجزائري. ها قد جاءت الفرصة للبدء بمرحلة جديدة من مراحل مواصلة الكفاح الوطني والعمليات الخارجية لا تقل خطورة عن معارك المواجهات والعمليات الفدائية ضد أهداف العدو في الأرض المحتلة، بل قد تزداد عنها خطورة لصعوبة وتعقيد العودة إلى قواعد الانطلاق، أو توفير الملاذ الآمن واختلاف الظروف الشكلية والموضوعية في الإعداد والتنفيذ.

أجاب خالد: أوه يا أبا حسن، بالله عليك لا تعقد الأمور، لقد سبق أن خضنا في بلادنا معارك.. كنا نداعب الموت خلالها بفوهات البنادق، فزادنا ذلك قناعة بأن الاستشهاد بوابة لعبور جسر التحرير والعودة.

فقاطعه سليم المفتش "أبو النور": شايف يا أبا حسن.. هيك حولته من مقاتل إلى فيلسوف.

رد عليه خالد معنفا إياه: ولك أنت طول عمرك ما قرأت كتاب، الآن صرت تفهم بالفلسفة، عليك أن تفهم أن كل جزائري شريف هو فلسطيني حتى العظم.

---

١٤ كان أبو حسن قبل هذا الوقت في زيارة لإيطاليا بصحبة محمد بوضيا، حيث استطلع وخطط ونفذ العملية قبل وصولنا إلى بيروت.

١٥ خالد الجزائري: نائب محمد بوضيا في إطار التواصل مع حركات التحرر، استشهد خلال الحرب الأهلية اللبنانية، جاء خبر استشهاده أثناء وجودي في الأردن لحضور جنازة الشهيد نعيم خضر بتاريخ ١٩٨١/٦/٢م

١٦ أثناء تنفيذ العملية كان سليم المفتش «أبو النور» قد أصيب بالتهاب رئوي، وللأسف منذ عودته إلى بيروت نقل إلى مستشفى الجامعة الأمريكية، ولم يشف من مرضه حتى وافته المنية في شهر (١٩٧١/٩م)، حيث دفن في مقبرة الشهداء ببيروت.

أجاب سليم المفتش "أبو النور": يا حبيبي خللي الفلسفة إلك، أنا من يوم وعيت على الدنيا بطلت أفهم إلا بهذا "وأمسك بيده رشاش الكلاشنكوف"..

تدخل أبو حسن لفض هذا الاشتباك الأخوي بينهما.. واتفق معهما على التفاصيل.

عندما أمسك سليم المفتش "أبو النور" برشاش الكلاشنكوف فكأنه كان يقصد القول بأن حسم الأمور هو للعمل والتنفيذ وليس للكلام، فأبلغني سليم المفتش "أبو النور" بعد أن تم تنفيذ العملية وعاد الفريق إلى لبنان بصحبة أبو حسن: يا أخ أبو الطيب ونحن في إيطاليا "شممنا" رائحة فلسطين، فاشتعلت بداخلنا موجة من الغضب العارم على ما آل إليه حالنا من رحيل إلى رحيل يبعدنا عن الوطن، فأدركنا أن ما يقربنا إلى فلسطين هو الاستشهاد في سبيل تحريرها، وتمنيت وأنا في الطريق إلى تريستا أن أموت "حبا في فلسطين" وكنت أسرق بعض النظرات إلى أخي خالد الجزائري الذي كان يجلس بجواري، وأدقق في قسمات وجهه، وكنت أرى العزم والإصرار شعارا على جبينه، وتذكرت حكمة المصريين القدامى عندما نحتوا تمثال "أبو الهول".

وأضاف سليم المفتش "أبو النور" طبقا للتعليمات فقد وصلنا إلى روما صباح ١ / ٨ / ١٩٧١م وكانت حرارة الجو في روما تشبه إلى حد بعيد درجات الحرارة في معظم دول حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد تعرفنا على المصدر الذي كان في استقبالنا بسهولة وكأننا نعرفه منذ سنوات، حيث اصطحبنا إلى الشقة، وبعد استراحة طويلة اجتمعنا إلى المصدر الذي كان مستعدا تمام الاستعداد حيث سبق أن قام بتصوير الهدف وعرض خريطة الطرق الموصلة إليه، وكيفية التلغيم بالمتفجرات، واتفقنا أن نذهب في اليوم التالي للاستطلاع الميداني.

صباح يوم ٢ / ٨ / ١٩٧١م توجهنا إلى الهدف ركوبا في سيارة الشخص المصدر والدليل لنا وتجولنا حول الهدف بحرية مطلقة دون أن ينتبه أحد لمقصدنا، ونظرا لسهولة الإجراءات قررنا أن تتم العملية صباح يوم ٤ / ٨ / ١٩٧١م.

كان الهدف يضم (٢٥) خزانا للوقود، إلا أن الوقت الزمني المقرر لزرع المتفجرات وتوقيتها لم يمكنا إلا من تلغيم (٤ خزانات) ثم انسحبنا من الموقع وغادرنا المكان فورا.

هزت الانفجارات مدينة تريستا في تمام الساعة التاسعة من صباح يوم ٤ / ٨ / ١٩٧١م واندلع حريق هائل في الخزانات الأربعة ثم انفجر الخزان الخامس بفعل الحرارة.. واستمر اشتعال النيران في خزانات نفط تريستا ثلاثة أيام، وكان أكبر تلك الخزانات قد دمر تماما فيما



أصيب (١٨) شخصا بجروح وحروق، فلقد كانت العملية ناجحة بكل المقاييس الاستخبارية والمعلوماتية وعمليات الرصد، وإدخال المتفجرات وتوقيتها، الأمر الذي هيأ المناخ لتطبيق التجربة في مناطق أوروبية أخرى وتحديدا ألمانيا.

إن نجاح عملية تريستا واستعدادنا لتطبيق التجربة في مناطق أوروبية أخرى، كان ينسجم إلى أبعد الحدود مع التحليل الذي يقول بأن عدونا الصهيوني يقوم على ثلاث ركائز هي: الركيزة الاقتصادية، والعنصر البشري، والمؤسسة العسكرية، لذلك فقد اعتبرنا أن ضرب هذه الركائز أو أي واحدة منها يسهم في استنزاف العدو مقدمة للانتصار عليه. فالعمليات الخارجية كانت تستهدف ضرب أهداف لا يستطيع المقاتل العادي في الداخل أو الخارج الوصول إليها بالطرق العادية، هناك أهداف داخل إسرائيل، وهناك مصالح صهيونية خارج الأرض المحتلة، وطالما أن الصراع مستمر وأن العدو يمارس على شعبنا كل أساليب القهر والظلم والاستبداد فإن ضرب تلك الأهداف والمصالح هو مقاومة مشروعة.

مكتب القائد العام وبداية التمركز في بيروت:

في تلك الأيام كانت جميع اجتماعاتنا مع علي حسن سلامه تتم في منزله في شارع فردان، قبل أن ينتقل إلى شارع حمد وانتقاله بعد ذلك إلى "ساقية الجنزير"، وفي بعض الأحيان كنا نلتقي في مكتب صبرا التابع للأمن المركزي بقيادة أبو يوسف النجار، حيث كان أبو حسن على علاقة طيبة مع زياد الحوت (أبي غسان) منذ أيام عملهما بدولة الكويت، لذا كان يتردد عليه في مكتب صبرا كونه يتواجد هناك، ونظرا لأن معظم عناصر المكتب هم من سكان لبنان، فقد كانت معرفتي بهم ضئيلة، ولم أكن أذهب إلى هناك إلا بوجود أبي حسن. وفي تلك الأيام قمت باستئجار شقة للسكن مقابل المكتب في بناية أبو سمير الدامرجي بالطابق الخامس، حيث كان الشارع يفصل بين شقتي والمكتب. بعد حوالي شهر انتقل ياسر عرفات للإقامة في مكتبنا بحي الفاكهاني، فيما جهز أبو حسن مكتبا له في إحدى الغرف، إلا أن ياسر عرفات قرر أن يجعل من شقتي المقابلة للمكتب في بعض الأحيان مكاناً لمنامته.

وحسب ما كان معمولا به في لبنان آنذاك، فقد كان العمل الفدائي محظورا عليه التواجد خارج المخيمات الفلسطينية، باستثناء مكتب الإقليم الذي كان يرأسه يحيى عاشور (حمدان) وهو من قيادات فتح التاريخية وكان من أوائل الذين انتقلوا إلى لبنان حيث كان معتمد الإقليم، ومكانه بالقرب من دوار الكولا، وما هي إلا أشهر معدودة تلت استئجارنا لتلك الشقق، حتى

أصبحت منطقة الفاكهاني تعج بمكاتب الثورة الفلسطينية من جميع الفصائل.

ومن الجدير بالذكر فانه ومنذ خروج الثورة الفلسطينية من الأردن وتمركزنا في لبنان، صعدت إسرائيل اعتداءاتها على لبنان بهدف إثارة الفتنة بين الجيش اللبناني والفدائيين، وهي اعتداءات تواصلت منذ نشوء قواعد «فتح» في الجنوب اللبناني، الأمر الذي فرض علينا مسؤوليات جديدة تقتضي توفير الحماية لياسر عرفات وتأمين سلامته. وكان أبو عمار خلال تلك الفترة يتنقل في منامته ما بين شقتي ومنزل هاني الحسن القريب من مكتبنا، والذي أصبح فيما بعد منامة دائمة له بعد أن تبرع به هاني الحسن وكذلك في منزل أم ناصر.

وبما أن مكاتبنا قد استقرت وأصبحت جاهزة للعمل، فقد انضم إلينا في المكتب فاروق القاضي المعروف حركياً باسم «أحمد الأزهري»(١٧) الذي عمل مستشاراً قانونياً لياسر عرفات، فاتسع نطاق خدمات المكتب، حيث استأجرنا مستودع البناية واستخدمناه لتخزين الأسلحة، ثم استأجرنا المستودع المقابل له وجهزناه قاعة للاجتماعات، ومع اشتداد زحمة العمل صار لا بد من إيجاد مكتب آخر فاستأجرنا الطابق الرابع من البناية لهذا الغرض، إلا أن هذه «الزحمة» وتزايد أعداد كبار المسؤولين ممن يترددون على المكتب اقتضت التوسع في مسؤولياتنا الأمنية التي لم تقتصر فقط على حماية ياسر عرفات وإنما حماية كبار المسؤولين والقادة، وأخذ كل الاحتياطات اللازمة لمواجهة وإحباط عمليات الاختراق واستهداف القادة والمسؤولين العسكريين والأمنيين، بالإضافة إلى الاستعداد لمواجهة احتمالات القصف الجوي الإسرائيلي، أو أي اعتداءات إسرائيلية أخرى لزيادة الشرخ بيننا وبين الجيش والسلطات الأمنية اللبنانية.

---

١٧ فاروق القاضي – المعروف بأحمد الأزهري- يعرفه كل من عاصر وجود الثورة في الأردن وفي لبنان.. ويعرفه الكتاب والصحفيون الفلسطينيون، وهو الصديق المقرب جداً من الشاعر الكبير المرحوم معين بسيسو، والشاعر الكبير المرحوم محمود درويش، حيث كان يشكل ثلاثتهم عصبة ثقافية اجتماعية ثورية متميزة والى جانبهم يلتحق الأديب الشاعر السوري اللبناني أودنيس، والكاتب والصحفي الياس خوري، مشكلين معا طبقة ثقافية متقدمة. صدر لهذا المثقف المصري كتابه «آفاق التمرد» وهو عبارة عن قراءة نقدية في التاريخ الأوروبي والعربي والإسلامي، وصدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، ختم بحثه بالتأكيد على: «حتمية التمرد للحاق بالعصر، التمرد على كل ما يقيد الإنسان فكرا وإرادة. التمرد على جمود الحياة السياسية». انضم (أحمد الأزهري) وهو في الرابع الثانوي كما كانت تسمى الصفوف الدراسية آنذاك، وفي العام ١٩٤٤ – ١٩٥٤م إلى إحدى لجان الطلبة الوفديين، وشارك في أحداث ١٩٤٦م التي أشعلها طلاب مصر في ٢١ شباط ١٩٤٦م، مطالبين بجلاء القوات البريطانية عن الأراضي المصرية، وخلال هذه الأحداث سقط ٢٣ شهيداً و ١٢٣ جريحاً، وسمي هذا اليوم بعد أن اختارته هيئة الأمم المتحدة بيوم الطلاب العالمي. عمل فاروق القاضي بعد تخرجه في الصحافة المصرية، وفي عام ١٩٦٧م التحق بحركة «فتح» وأصبح مستشاراً للرئيس عرفات عام ١٩٧١م وبقي كذلك حتى الخروج من بيروت عام ١٩٨٢م، استقر بعد ذلك في الأردن واستطاع خلال السنوات الأخيرة إعداد «سجل الحركة الطلابية المصرية».



كان مكتب أبو عمار يستقبل اختصاصات جديدة لا سيما بعد أن تحولت إليه المنح الدراسية حيث أشرف عليها الأستاذ أحمد الأزهري وفق مسؤوليات محددة للأخ خليل عليان «أبو الشيخ» ومن بعده حسين أبو العلا، وفي هذا الوقت كان مكتبنا يزداد توسعا كذلك، فقد كان أبو حسن ينسج علاقات وثيقة مع الكثير من رجال السياسة من الفلسطينيين واللبنانيين، ومع قادة حركات التحرر العالمية.

وفي ظل تزايد المهمات، والحاجة إلى تنظيم العمل، وضبط الأمور الإدارية أطلت علينا الأخت أم ناصر(١٨) بحضورها ووقارها، حيث تولت إدارة مكتب الأخ أبو عمار، الذي تحول بفضل لمساتها الجمالية إلى «مسكن الرئيس» وليس مكتب، حيث صار يؤدي عمله وينام ويأكل فيه. لقد كانت أم ناصر نموذجا للمرأة المبدعة وذات الذوق الرفيع والحماس النابع عن علم ومعرفة وإرادة قوية على العمل والعطاء في أقصى لحظات الحذر والمخاطرة، ورغم أن أساليب

---

١٨ نجلاء عادل ياسين – «ام ناصر» – هي «أم ناصر» هكذا نعرفها، وهكذا يعرفها ابناء حركة «فتح» بل وكل ابناء الثورة، يغمرك لطفها ورقتها، وتشدك اناقتها بدون مبالغة، وحضورها المميز،وأصبحت تشكل جزءا من حياتنا اليومية، ومن حاجاتنا، ومن حضورنا.. كانت تجلس في المقر الخاص بالأخ أبو عمار حتى ساعات متأخرة من الليل، وتسمع القصف المدفعي والصاروخي يقترب ويبتعد وهي تنتظر عودة الأخ أبو عمار من اجتماعاته او لقاءاته في اماكن اخرى، وبعد ان تطمئن عليه تغادر الى بيتها، كانت تقوم بزيارة المرضى من مقاتلينا، وتطمئن على عائلاتهم، كما تقوم بإحضار الهدايا للأطفال الجدد وأمهاتهم وتعتني بعائلات الشهداء وتداوي جراحهم، فهي دائمة الحضور، حيث يكون الجميع بحاجة لها ! لم يقصدها مقاتل بأية رتبة او موقع الا وتبنت قضيته وساعدته، وتردد اسمها في كل مواقع المقاتلين فمن هي أم ناصر..؟!
هي نجلاء عادل ياسين مواطنة لبنانية بجذورها السورية التي لم تنفصل عن لبنان الا على اثر اتفاقية سايكس بيكو، شغل والدها منصب محافظ بجبل حوران، وبقي في وظيفته في سوريا رغم التقسيمات التي فرضتها دولتي الاستعمار الفرنسي والبريطاني، حصل والدها على الجنسية السورية وبقي متمسكا بها، وتزوج من ابنة عمه، التي قدمت من طرابلس اللبنانية الى دمشق حيث ولدت ام ناصر... درست أم ناصر في مدارس دمشق، وتزوجت من فلسطيني قادم من حيفا.. انتقلت معه في بداية الستينيات الى الاردن، وهناك تعرفت على نشطاء حركة القوميين العرب، والتحقت وزوجها بصفوفهم، وحملت اسم «أم ناصر» نسبة الى القائد جمال عبد الناصر، وفي هذا الاثناء تعرفت على قيادة حركة «فتح» بعد ان شدتها الانباء عن الفدائيين الذين يقومون بعمليات في فلسطين المحتلة، فالتحقت بحركة «فتح» سنة ١٩٦٦، وتحول بيتها قاعدة لتزويد الفدائيين باحتياجاتهم الشخصية وخاصة اولئك الذين كانوا يستعدون للذهاب في عملياتهم داخل الوطن. وفي العام ١٩٧٢ أصبحت مديرة لمكتب القائد العام.. وتكيفت مع طبيعة عمل الأخ أبو عمار.. ففي بعض الاحيان كانت تبقى في موقع العمل اكثر من ثمان عشرة ساعة.. كانت كريمة في بيتها، وكانت تهتم بإطعام العناصر والحرس قبل القيادة او الأخ أبو عمار وضيوفه.. وبعملها كانت أمينة سره.. لم يقتصر عملها على ادارة مكتب الأخ أبو عمار، بل كانت تنشط محليا وعربيا ودوليا في ابراز الهوية الفلسطينية وشكل عملها في احياء التراث الفلسطيني، وتأسيس الفرق الفنية اولوية اهتماماتها، بالاضافة الى انها عملت على تأسيس مراكز التأهيل والتدريب لابناء والشهداء والاسرى (بيت الصمود) ومن أبرز أدوارها في هذا المجال تأسيسها للمتحف الوطني للتراث الفلسطيني في تونس، كما عملت على النهوض بواقع المرأة الفلسطينية ورفع مستواها فكانت عضوا فاعلا في الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، حيث انتخبت عضوا في امانته العامة وأسندت لها مسؤولية الاعلام ثم أمينة للسر ولا زالت حتى الآن، وكان لها دورها على الصعيد العربي، فشاركت في تسيير سفينة السلام التي حملت الغذاء والدواء، بمشاركة من الاتحادات النسائية العربية وبعض المؤسسات الدولية لكسر الحصار الامريكي على الشعب العراقي الشقيق، كما ساهمت في توحيد الاتحاد النسائي العربي العام بعد ان تعرض لبعض الانشقاقات.
«أم ناصر» المناضلة الفلسطينية العربية تبقى نموذج المرأة العربية المعطاءة، وستبقى تلك السيدة الشجاعة والرقيقة.. الصلبة في مواقفها..

ووسائل العمل أو التعامل مع الآخرين في مكتب الأخ أبو عمار كانت تقتضي الصرامة والدقة والحرص الشديد وسرعة البديهة فقد كانت إمرأة أنيقة في زيها ومهذبة في حديثها، وودودة في سلوكها وتعاملها، حيث فرض حضورها بيننا إعادة تنظيم مكتب الأخ أبو عمار ليشمل الشؤون السياسية والإدارية والعلاقات الخارجية، والاستشارات القانونية، بالإضافة إلى مكتب الأخت أم ناصر، ومكتب رمزي خوري الذي جاء به هاني الحسن، ومكتب شكيب، لتكون هذه المكاتب في جناح خاص.



أم ناصر مع أنعام شقيقة ياسر عرفات الكبرى

رحلة الاستطلاع والعمل في ألمانيا:

تزامنت عملية «تريستا» وتفجير خزانات النفط هناك ٤ /٨ / ١٩٧١م مع اختتام مؤتمر الرؤساء العرب الذي انعقد في العاصمة الليبية طرابلس لبحث أوضاع المقاومة الفلسطينية في الأردن على ضوء الاشتباكات المستمرة، حيث قرر الرؤساء المجتمعون الالتزام بدعم الثورة الفلسطينية ماليا ومعنويا وعسكريا بما يمكنها من الاستمرار في نضالها ومن حماية وجودها في الأردن باعتباره المنطلق الطبيعي للثورة الفلسطينية، واعتبار أي مساس بالثورة الفلسطينية وكرامتها تشويها لكرامة الأمة العربية وضميرها. بالرغم من هذا الدعم للثورة إلا أن القيادة الفلسطينية كانت تدرك أنها خسرت أطول جبهة حدودية للعمليات الفدائية ضد إسرائيل، وعليه كان قرار القيادة بتصعيد العمليات عبر الحدود اللبنانية واللجوء إلى العمليات الخارجية لضرب خزانات النفط في الدول الأوروبية كما ذكرنا سابقاً.

سارت الأمور في لبنان بشكل مختلف، إذ أن انتقال مركز ثقل الثورة إلى هذا البلد أدى إلى زيادة العمليات الفدائية انطلاقا من الجنوب اللبناني وانتشار مؤسسات الثورة في مختلف الأراضي اللبنانية وخاصة في المخيمات وبيروت والشمال، لذا بدأت آثار الردع الإسرائيلي بالظهور دون إبطاء، وزاد من حدتها تصعيد الاعتداءات الإسرائيلية وتزايد وتيرتها واتساع مداها وانتقالها إلى ضرب أهداف تقع شمال لبنان وبيروت بالإضافة للجنوب، وبدا واضحا أن السلطة اللبنانية تسعى تحت تأثير الردع إلى القيام بعمل ما، وكانت كل المؤشرات تدل على أن هذا العمل آت بشكل محتوم وسيؤدي إلى صدام عنيف.

في ظل تلك الأجواء كانت المجموعات الثلاث الموزعة على الشقق في بيروت على أتم الإستعداد لتنفيذ المهمات، ويتشوق أفرادها للعمل ضد مصالح العدو الإسرائيلي لتقديم البرهان بأن انتقال الثورة إلى لبنان لم يكن إضعافا لقدراتها في مواصلة إلحاق أكبر وأفدح الخسائر البشرية والمادية بالعدو، وإنما هو مرحلة جديدة من مراحل تصعيد الكفاح المسلح، ليس عبر الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة وحسب، وإنما وصولا لكل مصالح العدو الإسرائيلي حيثما كانت.

وتحدثت مع أخي أبي حسن أن وجهة نظري أنه يتعين على أي كادر مرشح للعمل في جهاز العمليات الخارجية أن يكون موثوقا به وهادئ الطباع، وينفذ الأوامر بدقة دون إبداء أي حماس زائد، ويمتلك الحماس الوطني كدافع أساس للتنفيذ، إضافة لذلك يجب أن يتمتع بالذكاء والقدرة على الإبداع، وأن يمتاز بالمهارة الفائقة وسرعة البديهة والتدريب الجيد، وأخيرا

الجرأة الكافية للإقدام على التنفيذ. كل تلك الصفات كانت ضرورية لا سيما أن جهاز العمليات الخارجية لا بد أن يعتمد على معلومات دقيقة، ذلك أن الساحة الأوروبية آنذاك كانت مرتعاً لعملاء أجهزة المخابرات الإسرائيلية الذين يرصدون أنشطة منظمات المقاومة الفلسطينية.

استقر رأينا بعد بحث خيارات عديدة لدول مختلفة أن تشهد ألمانيا الغربية باكورة عملياتنا المقبلة لا سيما أن مندوبنا هناك والصديق يوسف عبد المهدي(١٩) كان أحد أعضاء التنظيم في ألمانيا كان يتميز بقدرة وكفاءة عالية، ويحظى بشعبية وسمعة طيبة بين الجالية الفلسطينية هناك عمالاً، وطلاباً، وتجاراً، وممن يحملون الجنسية الألمانية، وله علاقات مع القوى والأحزاب الألمانية، ومطلع على النشاط الإسرائيلي الألماني في عدة مجالات.

وقد برزت أمام أفراد المجموعات إشكالية توفير الوثائق اللازمة للسفر، كون غالبيتهم يحملون جوازات سفر لبعض الدول العربية التي تحتاج إلى استخراج (فيزا) من أجل السفر إلى أوروبا، وهو أمر صعب الحصول عليه من بيروت.

أطلعت أخي أبو حسن على إشكالية حصولي على جواز سفر يكون لأحد الدول التي لا تحتاج إلى فيزا لأوروبا ليكون بمقدوري حرية التنقل بسرعة، فوعدني أن يبذل المستحيل لتوفير جواز سفر لي، وبعد الانتهاء من الحديث عن اختيار المجموعة فكان جوابه لي: "سوف أترك لك حرية اختيار المجموعة التي ستتوجه إلى ألمانيا".

في تلك الفترة كانت إحدى الدول العربية الداعمة للثورة الفلسطينية والكفاح المسلح الفلسطيني، تتحمل أعباء وواجبات كثير من أجل تسهيل المهمات للمناضلين الفلسطينيين، وكان أخي أبو حسن على علاقة جيدة مع سفير تلك الدولة في بيروت، فقصده للزيارة وعرض عليه خلالها إمكانية صرف جواز سفر، فرحب السفير العربي بذلك ولم يتردد في الاستجابة للطلب، وبموجب ذلك حصلت على جواز السفر المطلوب باسم (طيب بلخروف). بعد استلامي جواز السفر، قمت بشراء تذكرة طيران وحجزت على الرحلة المنطلقة من بيروت باتجاه هامبورغ بألمانيا الغربية، وفور مغادرتي لمطار هامبورغ فوجئت بالاستقبال الذي أعده لي مندوبنا هناك الصديق يوسف عبد المهدي حيث كان عدد كبير من كوادر تنظيم فتح في استقبالي وقد أثاروا إعجابي بالمشاعر الوطنية التي أبدوها نحوي.

---

١٩ يوسف محمد عبد المهدي عبد الجليل من مواليد قرية سالم شرق نابلس عام ١٩٣٩م، هاجر إلى ألمانيا في عام ١٩٦٤م، التحق بالاتحاد العام لعمال فلسطين في ألمانيا ومنها انضم إلى تنظيم حركة فتح عام ١٩٦٧م، وتزوج من فتاة ألمانية وله منها أبناء اثنين، كان أكثر الأعضاء المتحمسين للحركة ولخدمة القضية، شارك في كافة المجالات التنظيمية، ونظم زوجته الألمانية وكانت بحماسة لخدمة الحركة وفلسطين.



كانت مدينة هامبورغ يوم وصولي بتاريخ ٢٦ / ١١ / ١٩٧١م تتزين استعدادا لقدوم موعد عيد الميلاد المجيد وقد أضفت مظاهر الزينة في المدينة أجواء احتفالية مميزة توحي بأن الشعب الألماني على قدر كبير من الاهتمام بهذه المناسبة الدينية المقدسة لديهم، ولذلك تعمد شباب التنظيم إلى اصطحابي في جولة فورية داخل شوارع المدينة للاطلاع على معالمها الراقية، ولم أرغب أن أعكر عليهم الجو الاحتفالي بقدومي لذلك تظاهرت بالارتياح رغم شعوري بالحاجة إلى قسط من الراحة بعد عناء تلك الرحلة الطويلة.

طلبت من يوسف عبد المهدي ترتيب اجتماع مع أبرز كوادر تنظيم فتح في صباح اليوم التالي ٢٧ / ١١ / ١٩٧١م، وتم الاتفاق أن يكون ذلك في الساعة الخامسة مساء بمنزله، وذهبت في الموعد المحدد لحضور الاجتماع بصحبة يوسف، فوجدت كوادر التنظيم قد حضروا في وقت مبكر تعبيرا عن التزامهم وانضباطهم وتأكيد ارتياحهم لحضوري وزيارتي لألمانيا.

أطلعت كوادر التنظيم على التطورات السياسية وأوضاع الثورة الفلسطينية، وفي نهاية الاجتماع طلبت منهم تشكيل "مجموعة عمل" لتتواصل معي طيلة وجودي في ألمانيا، وقام يوسف عبد المهدي بترشيح تلك المجموعة نظرا لخبرته ومعرفته بهم وبدوري اعتمدت هذه المجموعة للرصد وتحديد الأهداف المحتملة والحصول على مزيد من المعلومات إضافة لما هو متوافر لديهم وإعداد جدول زمني لزيارة الأماكن التي نستطلعها وتزويدي بما لديهم في أرشيف التنظيم من خرائط ومعلومات تتعلق بالمهمة.

بقيت في هامبورغ حتى يوم ٢ / ١٢ / ١٩٧١م حيث اكتملت كافة إجراءات الرصد والرقابة وتحديد الأهداف، ثم ركبت الطائرة عائدا إلى بيروت، وفور وصولي اجتمعت إلى علي حسن سلامة وأطلعته على المعلومات والأهداف والخرائط، ومن بينها مخطط لأحد المصانع التي تقوم بتصنيع محركات للطائرات الحربية الإسرائيلية. و تم تحديد الفريق المنفذ لتسهيل كل الإجراءات والمستلزمات له، حيث طلب أبو حسن الاستعانة بالمجموعات الأوروبية التي التقى بها في زيارة خاصة لباريس أثناء وجودي في هامبورغ بالتنسيق مع محمود الهمشري والمناضل الجزائري محمد بوضيا الذي تم اعتماده على رأس مجموعة مكونة من (١٨ عنصراً) أغلبهم من المغرب العربي، وكلفت تلك المجموعة من طرف أبي حسن سلامة بشراء وتخزين السلاح بالإضافة إلى رصد الأهداف واكتشاف عملاء الموساد في الدول الأوروبية.

مفارقات خلال عملية الاستطلاع:

كانت رحلتي إلى ألمانيا الغربية في نهاية ١١ / ١٩٧١م هي الأولى حيث لم أتمكن من مشاهدة معالم مدينة هامبورغ كما يجب، وقد تميزت مدينة هامبورغ في تلك الفترة بتراكم الثلوج وانخفاض شديد في درجات الحرارة، لذا فقد انحصرت جميع التحركات باتجاه استطلاع ورصد الأماكن المستهدفة. من بين المشاهد التي استهوتني في هامبورغ وجود بركة سباحة كبيرة في وسط المدينة، وحينما سألت عن سبب وجود تلك البركة قيل لي أن هامبورغ كانت مدينة يحبها هتلر، وأثناء الحرب العالمية الثانية حفر هذه البركة في وسطها وأضاء على جوانبها «لمبات كهربائية» لتمويه طائرات الحلفاء أثناء عمليات القصف الجوي، فكانت القنابل تسقط في الماء ولذلك كانت هامبورغ أقل المدن الألمانية تضررا أثناء الحرب.

وبينما كانت عمليات الاستطلاع والتحري والتخطيط تجري على قدم وساق، جاءني رسول ليبلغني بتوخي أقصى درجات الحيطة والحذر ذلك أن أحد الأهداف الكبرى في روتردام بهولندا قد تم رصده وتصويره، وأن مجموعة هناك ستقوم بالتنفيذ.

ومن المفارقات الأخرى التي أضافت إلى معلوماتي الأمنية قضايا حيوية مثل الإنتباه إلى أحوال الطقس عند التخطيط لأي عملية خارجية، أذكر أنني وصلت إلى هامبورغ منتعلا حذاءً جلدياً من النوع الطري سبق أن اشتريته من بيروت، وبينما كنت أتابع إحدى الجولات الاستطلاعية مع الشباب على مقربة من خزانات النفط بألمانيا شعرت أن قدمي توقفتا عن الحركة، فلم أعد قادرا على انتزاعهما. فتسمرت في مكاني، الأمر الذي أثار استغراب شباب المجموعة المرافقين لي، حيث اعتقدوا للوهلة الأولى أنني أعاني من موجة «مغص» أو أنني أصبت «بالبرد» أو ما شابه ذلك، فأخبرتهم بأنني لم أعد قادراً على تحريك قدمي، فأدركوا أن قدمي أصيبتا بالتجمد من برودة الثلج، فتطوع إثنان منهما كي أستند على كتفيهما وأجر قدمي جراً حتى الوصول إلى السيارة، وعندما وصلنا للسيارة أقعدوني في المقعد الأمامي، ثم نزعوا الحذاء وأداروا مفتاح التدفئة في السيارة، وبدأوا يدلكون قدمي حتى عاد الدم يجري في العروق.. وعندما عدنا إلى الشقة عرفت أن أحذية المجموعة كانت كلها «مبطنة» من الداخل بفرو خاص لمقاومة الثلج، فصار لا بد من شراء حذاء من النوع نفسه.

إختيار المجموعة:

يقول الأستاذ الفخري آر.جي. رومل أستاذ العلوم السياسية في جامعة هاواي في كتابه «القتل من قبل الدولة» أنه ما بين عامي (١٩٠٠ –١٩٨٧م) قتل على يد حكومات الدول (١٧٠ مليون) إنسان تقريبا، وعلى الرغم من أن الإبادة الجماعية ليست طارئة في الحياة، لكن هناك إجماعا لدى الباحثين على أن وتيرة القتل الجماعي قد تضاعفت خلال القرن العشرين.

وكانت إسرائيل طبقا لمارساتها من قبل العصابات الصهيونية قبل عام ١٩٤٨م أو على يد الجيش الإسرائيلي بعد الإعلان عن قيام الدولة اغتصابا وظلما وتشريدا، كانت من أوائل الدول التي مارست الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني، الأمر الذي أوجد حافزا لإستخدام العنف للدفاع عن النفس، فليس من المنتظر أن يصمت شعب على الجرائم التي ترتكب بحق أبنائه أو تسلب أراضيه وممتلكاته وتشرد الغالبية عبر أساليب القتل والإرهاب. وليس من المستغرب أيضا أن يكون الحماس الوطني لدى جيل النكبة أشد وطأة في تأثيره على العدو، نظرا للشعور بالغبن والحرمان وما تركته عمليات القتل الإسرائيلي من رغبة عارمة في الانتقام، وقد كنت بصفة شخصية المس ذلك في كل سلوكيات ومشاعر ودوافع كل من اختاروا الانخراط في «قوات الـ١٧» لذا كنا نعتمد في محاضرات التوجيه المعنوي على توجيه هذا الحماس الوطني، وتوظيفه في ضرورات الدفاع عن النفس، وردع العدو عن القيام بعمليات القتل والإبادة ضد شعبنا وإجباره على الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة.

ورث جيل النكبة الرغبة في الموت حفاظا على الكرامة عن الآباء والأجداد الذين جاهدوا دفاعا عن النفس والوطن بكل وسائل المقاومة الممكنة، حتى أنه لم يبق بيت فلسطيني إلا في صدارته صورة شهيد أو فقيد أو أسير أو مصاب، كما أصبح اعتزاز الفلسطيني بكرامته في بعض الحالات «عناداً وقساوة اجتماعية» في الشكل والسلوك يجب على قادة العدو الصهيوني ادراك مقاصده وأبعاده.

وبعد حالة من القلق والتوتر، حول كيفية اختيار المجموعة، وعلى أي أساس سوف يتم اختيارهم، استقر رأينا على ثمانية كوادر من خيرة المقاتلين وذوي الخبرات العالية، على رأسهم مجدي الأنصاري (علي الزيبق)، وبعد اكتمال المجموعة، أطلت مشكلة تأمين «الفيزا» لدخول ألمانيا، وقال أبو حسن أن حل هذه المشكلة لدى شخص يدعى أبو جورج «ناظم اشكنتنا» يعمل في مكتب صبرا، حيث إن المذكور خبير في عمل أي فيزا تطلب منه، كذلك كان متخصصا في

عمل حقائب يستطيع بها إخفاء أي قطع من السلاح أو المتفجرات أو أمور أخرى، وقد صدق أبو جورج فيما وعد حيث قام بطباعة الفيزا لزيارة ألمانيا على جوازات السفر، إلا أننا اكتشفنا بأن مجدي الأنصاري يحتاج إلى جواز سفر لأنه كان يملك وثيقة سفر وبمساعدة من أبي حسن صدر له جواز سفر باسم «دحمان الحريثي»، من إحدى الدول العربية.

بعد أن تم انتقاء المجموعة بشكل جيد وتجهيز جوازات السفر مع الفيز لجميع الأفراد، جاءنا أبو حسن إلى المكتب وكان معه أبو جورج، وهو يحمل ٨ شنط مختلفة الألوان والأشكال، وكان قد أنزل من سيارته حوالي ٤٥ كلغم متفجرات واجتمع معي منفردا وأبلغني بأنه أحضر المتفجرات والصواعق لنقوم بنقلها معنا إلى ألمانيا وأضاف أنه أحضر معه أبو جورج بصفته خبير في عمل مخبأ داخل الشنط بحيث يخفي بها المتفجرات والصواعق. واخبرني ان هذه المتفجرات أحضرتها من دمشق وأثناء حديثي معه طلب دخول أبو جورج الذي كان ينتظرنا بالغرفة المجاورة، وحين حضر أبو جورج ومعه الشنط والمتفجرات والصواعق وبدأ في عرض ما كان يحمله، وحين فتح الشنطة أمامي وأمام أبو حسن وأطلعنا على المخبأ السري بها، اكتشفت أن أبا جورج كان تجهيزه للشنط الأسلحة في المخابئ وليس للمتفجرات، وهنا اعترضت على هذه الشنط لأنها لا تصلح للمتفجرات لأن كل شخص سوف يحمل معه بحدود ٧ كلغم متفجرات والمخبأ لا يتسع لمثل هذه الكمية.

وهنا تحدث أبو جورج أن الشنطة لا تستطيع إخفاء هذه الكمية من المتفجرات فاقترحت على أخي أبي حسن أن يترك لي الموضوع وسوف أتدبر الأمر، لكن أبو حسن أصر أن يكون على اطلاع كل صغيرة وكبيرة حتى يتأكد بنفسه على سلامة الشنط فطلبت منه أن يأخذ أبو جورج الشنط ويترك لنا المتفجرات والصواعق، ونحن سنقوم بشراء شنط من عدة محلات ببيروت حيث تكون ماركاتها مختلقة وألوانها كذلك، وفعلا تركنا أبو حسن على أن نلتقي في اليوم الثاني، ومنذ الصباح الباكر دعيت لاجتماع للمجموعة وشرحت لهم الموقف وكنت قد وضعت أمامهم المتفجرات والصواعق وكانت المتفجرات من نوع ت.ن.ت النوع اللين وأصفر اللون كالمعجونة تماماً.

حضر فيصل أبو شرخ ونحن مجتمعون حيث كنت أرسلته من الصباح الباكر لتأمين الشنط وفعلاً عاد وأحضر معه الشنط التي كان قد اشتراها من عدة محلات. بدأت في توزيع الشنط على عناصر المجموعة ومع كل شنطة ٧ كلغم متفجرات، أثناء تسليم كل واحد من أفراد المجموعة



ما يجب أن يحمله لاحظت بعض القلق على الوجوه وأن بعضهم ينظر إلى الآخرين باستغراب ودهشة، فقلت للأخ مصطفى جاد الله (مصطفى الطيب) خير إن شاء الله مالكم تنظرون إلي وكأن هناك شيئاً غلطاً، رد مصطفى الطيب: يا أخ أبا الطيب كل واحد فينا يحمل ٧ كلغم متفجرات وهي كمية كبيرة يمكن اكتشافها في حال بقيت كما هي، اقترح أن نفكر في إيجاد وسيلة للتمويه حتى نضمن وصولنا بالسلامة. هنا أدركت أن مصطفى على صواب هو وبقية أعضاء المجموعة الذين كانوا قد أيدوا حديثه.

وعلى الفور قفزت إلى ذهني فكرة، حيث أمرت فيصل بالتوجه فوراً لشراء ورق سوليفان وبعض أصابع معاجين الحلاقة والأسنان وحين عاد فيصل بالأغراض اقترحت على أفراد المجموعة أن نقوم بلف هذه المتفجرات على شكل حلويات وتوضع في علب على أنها حلوى شرقية وكانت بالقرب منا مطبعة حصلنا منها على علب كرتون فارغة لنقوم بتعبئتها بهذه المتفجرات بعد تغليفها. وبعد أن تسلم كل واحد من الشباب شنطته وكمية متفجراته، دخل علينا أبو حسن، وحينما أخذنا نشرح عملية التمويه التي توصلنا إليها وبعد مشاهدته لبعض العينات التي بدأ الشباب بتجهيزها. سألني كيف ستخفي الصواعق قلت له لقد أتينا بهذه المعاجين وقمت أمامه بفك معجون الحلاقة من الأسفل ومن الأعلى وبعد أن قمنا بتغليف الصواعق بالنايلون أدخلنا هذه الصواعق من اسفل عبوة المعجون وبما أن أصبع المعجون مفتوح من الأعلى بدأ المعجون يخرج من الفتحة الأمامية إلى أن استقر الصاعق ثم قمنا بإعادة إغلاق المعجون من أسفل كما كان سابقاً، وبهذه الطريقة استطعنا إخفاء الصواعق أيضا. ونفذنا هذه العملية بوجود أبو حسن، وهنا اقترح علي الزئبق أن نأخذ معنا مسدسين احتياطات أمنية، فاعترضت على الموضوع لأنني كنت على علم بأن أبو محمد يستطيع أن يؤمن لنا أكثر من مسدس وهو كان يملك مسدس.

هنا كانت الأوامر الأخيرة لأبي حسن حيث اقترح أن أسبق المجموعة عدة أيام وأن أجهز لهم مكان الإقامة مع إحضار سيارتين لنقلهم من المطار إلى المكان المفروض أن ينزلوا فيه، اعترضت على الموضوع وأصريت أن يكون سفري مع المجموعة وهنا ثارت المجموعة ضدي مؤيدين اقتراح أبو حسن، وبعد إصرارهم فعلا ذهبت للحجز من عند المرحوم عمر مراد وحجزت لي تذكرة سفر بيروت – هامبورغ – تونس – بيروت وكان الحجز يوم ٢٠ / ١٢ / ١٩٧١م وحجزت للمجموعة يوم ٢٣ / ١٢ / ١٩٧١م.

وقبل سفري بيوم واحد جاء أبو حسن واجتمع بنا لمدة ثلاث ساعات وبدأ يشرح أن عملياتنا

هذه موجهة ضد المصالح الإسرائيلية وللضغط على الدول الأجنبية المؤيدة لإسرائيل، كما أكد عدم جرح أي مواطن ألماني أو أجنبي.. واقترح أن تكون عملياتنا بتوقيت واحد ولا يوجد دوام للأشخاص أي أن تختار عملياتنا ليلا. وأضاف قائلاً كان عام ١٩٧٠ – ١٩٧١م عاما أليما علينا أرادوا كسر أحلام حية في ذلك العام.. أرادوا أن يفرضوا علينا الأمر الواقع ولكن من قال أن سياسة الأمر الواقع هي أمر حاسم وقاطع وغير قابل للانكسار أو التحوير والتغيير يجب أن تعلموا جيدا أن نجاح هذه العمليات ستعيد قضيتنا إلى الخارطة لأنهم ظنوا أن خروجنا من أكبر قاعدة كنا نتمتع بها وهي الأردن أي بطول ٦٤٠ كلم خط مواجهة مع العدو الإسرائيلي سيفقدنا الأمل باستمرار ثورتنا واننا لم نعد نقدر على مواصلة الكفاح المسلح لذلك يجب أن يعملوا إذا فقدنا مواجهتنا عبر الحدود الأردنية مع العدو لذا فإنهم فتحوا لنا جميع قارات العالم، فهم الذين وسعوا دائرة المواجه لنا. لقد اثقل حديث أبو حسن أثناء اجتماعه معنا علينا وأوضح حجم المسؤولية الكبيرة الملقاة علينا وفي الوقت نفسه قام بشحن المجموعة لدرجة أن بعضهم كان يتمنى أن يسافر معي باليوم التالي وليس باليوم الرابع وبعد أن أنهى أبو حسن حديثه ودعنا متمنيا لنا النجاح.

اتصلت مع يوسف (أبو محمد) لإبلاغه بقدومي إلى ألمانيا وفعلا سافرت وحدي ووصلت بنفس يوم الحجز وبعد إتمام إجراءات المطار خرجت فوجدت أخي يوسف في انتظاري بالمطار، وقلت له إن كان حجز لي بالفندق فأجابني أنه سوف يذهب إلى منزله للراحة لبعض الوقت ونتكلم هناك كان يوسف متزوج من امرأة ألمانية وكان له منها ابنان، وفعلا توجهنا إلى منزله وبعد تناول الطعام شرحت له عن عدد المجموعة التي سوف تصل بعد ثلاثة أيام وعددهم، هنا أصر يوسف أن أقضي الليلة في منزله وغداً يذهب إلى الفندق، لم أمانع من ذلك لأنني كنت بحاجة للحديث معه لتفاصيل كثيرة في مهمتنا.

وخلال حديثي معه اقترحت عليه أن يحجز لنا في فندق درجة رابعة وشرحت له ليس المقصود توفير نقود لكن خطتي كانت أنني أبلغت المجموعة حين حضورها إلى ألمانيا تكون لابسة ملابس عادية، مخالفاً بذلك أسلوب ما يخطط له معظم رجال الأمن حيث يأمرون عناصرهم بارتداء الملابس الفاخرة مع التميز بربطة العنق والنظارة على العينين، فقد كان المظهر الخارجي لمجموعة هامبورغ يوحي بأنهم قادمين للعمل وأنهم من طبقة العمال. وفعلا استقر الرأي مع يوسف وركبت معه بالسيارة حيث قمنا بتفقد عدة فنادق واستقر الرأي على الحجز في بنسيون

أكثر نزلائه من العمال الأتراك وفعلاً قمت في اليوم الثاني من وصولي هامبورغ بالانتقال من منزل يوسف إلى البنسيون وحجزنا خمس غرف فيه وكانت هناك غرفة لي، وكل شخصين في غرفة واحدة.

ذهبت برفقة يوسف بسيارته إلى المطار يوم ٢٣ / ١٢ / ١٩٧١م لاستقبال الشباب وفعلاً وصلت الطائرة في الوقت المحدد، وبدأ الركاب بالخروج وأول من خرج كان إبراهيم وبدأت المجموعة تتبعه واحداً تلو الآخر، لكن الغريب أني حينما سلمت عليهم كان القلق والخوف بادي عليهم جميعاً، إلى درجة اصفرار وجوههم وكان أبو فارس آخر من وصل وقام يوسف بإعطاء سائقي تاكسي عنوان الفندق حيث قسمت المجموعة إلى قسمين وقمنا بإعطائهم عدداً من الماركات الألمانية ليدفعوا أجرة التاكسي.

كنت قلقاً فعلاً وطلبت من "علي الزئبق" ان يركب معي بالسيارة وتحركنا وبدأ علي الزيبق بالحديث حيث أخبرني أنه بعد أن قمنا بختم جوازات سفرنا تقدمنا لرجل الجمارك ومررنا جميعا دون تفتيش وكان آخر شخص أبو فارس فوجئنا بأن رجل الجمارك يطلب من أبي فارس فتح الشنطة وبعد خروجنا، كنا جميعاً ننتظر المأساة التي سوف تحل بنا وإذ بأبي فارس يفتح الشنطة وحين سأله رجل الجمرك عن هذه الأشياء الملفوفة بورق السوليفان ما هذا ليقوم أبو فارس بنزع الورق ويقتطع قطعة صغيرة من المتفجرات ويأكلها ليقول لرجل الجمرك الألماني أنها حلويات. وقام أبو فارس بقطع قطعة ثانية صغيرة مقدماً إياها لرجل الجمرك بمعنى تفضل تذوق رد عليه الرجل "نو ثانكس" وبعدها أمر أبا فارس بإغلاق شنطته والخروج..

حقيقة أثناء حديث علي بما أخبره به أبو فارس من موقف وحسب مشاهدته الشباب ذرفت الدمع.. إني أعرف أن يخوض المقاتل معركة ويكون عنده أمل ٥٠٪ للاستشهاد و ٥٠٪ للنجاة، فالجريح مثلا قد تقطع أحد أطرافه ويبقى متأملاً بالشفاء أما أن يبتلع الشخص متفجرات وهو يعرف أنه يبلع سموماً مقابل إنقاذ مجموعته والتضحية بنفسه لأجل إنقاذ المجموعة من الانكشاف فهذه تضحية كبيرة، ومن هنا كان اختياري لهذه المجموعة اختيارا جيدا وهنا بعد هذه الحادثة تأملت أن ننجح في جميع عملياتنا وفعلا ما أن وصلت الفندق وبعد أن وضع كل شخصين في غرفة أحضرت أبا فارس الذي بدأ يتلوى من ألم معدته وإذ به يسقط أرضا من الألم والمغص الشديد، وهنا بدأنا نفكر في كيفية علاج أبو فارس مما زاد الوضع مأساوية أنه لم يكن بمقدورنا اصطحاب أبو فارس إلى أي طبيب إذ ربما يكتشف سبب الألم والمغص وتؤول مهمتنا

إلى الفشل الذريع فالمعتاد هو أن يسأل الطبيب عن سبب الألم والشكوى، وقد يسأل السؤال المحظور وهو ماذا تناولت من طعام أو شراب.. قد يكون السبب في هذا المغص الشديد وعندها سوف ينكشف أمرنا. كانت الدقائق تمر سريعة والأسرع منها تتابع موجات المغص الشديد الذي يعاني منه أبو فارس.. أخذ يصرخ علي الزيبق: افعل شيء يا أبا الطيب فليس من المعقول أن يموت أبو فارس بين أيدينا ونحن نتفرج عليه..؟

رددت عليه: هذه المشكلة ما لها إلا طبيب..

قال لي علي: فلنذهب به إلى الطبيب إذن، وليكن الطوفان !!

ورغم ألمه وما يعانيه من مغص فقد صاح أبو فارس: أرجوك يا أبا الطيب لا ترد عليه. أنا أقبل بالموت ولا نتعرض جميعا لمخاطر الاعتقال وإفشال المهمة، فربما يكتشف الطبيب سبب المغص الأمر الذي يعرضنا حينها للمساءلة وانكشاف أمرنا. انتابتني موجة عاطفية من عبارة أبي فارس، إلا أنني بدأت أفكر بهدوء في كيفية إنقاذ أبو فارس، وتذكرت أنني احتفظ برقم هاتف لأحد الطلبة الفلسطينيين الدارسين للطب في هامبورغ وكان حينذاك في سنته الرابعة. فقررت مهاتفته والاستعانة به، وبعد أن هاتفت الشاب، توجهنا لمقابلته، حيث طلبت من يوسف عبد المهدي أن يوصلنا بسيارته إلى العنوان المطلوب، وبعد الوصول للمكان طلبت من يوسف عبد المهدي أن يغادر فوراً، حتى لا يتعرف عليه الطبيب بأنه مقيم في ألمانيا وتسقط حجتنا التي سنعرضها عليه وهي أننا لا نعرف أحدا في هامبورغ وقصدناه للمساعدة.

طرقنا باب الشقة وما هي إلا لحظات حتى فتح لنا طالب الطب الباب، وقام باحتضان كل منا بلهفة وشوق ودعانا إلى الدخول حيث ادعيت أمامه أننا جئنا إلى هامبورغ بغرض شراء السيارات. وأننا بحاجة إلى شراء بعض الحاجات من السوق الألماني، وسوف نعتمد عليه بمصاحبتنا لأنه يجيد اللغة الألمانية، واعتذرنا عن الضيافة التي أصر بإلحاح عليها طالبين منه مرافقتنا حالا. فاستجاب بكل الترحاب، وغادرنا مسكنه فورا ثم استأجر لنا سيارة أجرة، حيث ادعيت أمامه أننا لا بد أن نمر على البنسيون لإحضار دواء السكري للحصول على مثله من الصيدلية.

وفور دخولنا الغرفة في البنسيون حيث شاهد مجموعة من الشباب حول أبو فارس ارتاب الطالب في مقصدنا لكنه لم يعبر عن ذلك، وتمالك نفسه جيداً.. وقد هدأ روعه بعد أن قام علي بتقديم القهوة العربية. أطلعته فورا على السبب الحقيقي لاتصالي به، وشرحت له ما حدث مع



أبي فارس بالضبط، وأن مهمتنا هي إحدى المهمات الوطنية، وأن واجبه يقتضي الإسهام بإنقاذ المريض.

رغم الدهشة التي بدت على محيّاه إلا أنه أجاب على الفور: ماذا تنتظرون..؟ فلنذهب إلى الصيدلية فوراً.. وهنا استأذنته أنني على علاقة بأحد العمال في ألمانيا وهو يوسف والذي يملك سيارة وقد نستعين به وهو قريب من سكنانا فرحب وفعلا قمنا بالاتصال بيوسف وحضر وبدأ يسلم علينا وكأنه يشاهدنا لأول مرة وقبل جلوسه معنا استأذناه بأن أحد الشباب قد أصابه مغص شديد فذهب علي ويوسف والطبيب إلى أقرب صيدلية. وعاد الثلاثة بعد فترة وجيزة ومعهما أدوية لغسيل المعدة بالإضافة إلى الأدوية اللازمة حيث بدأت عملية علاج أبو فارس الذي كان في حالة يرثى لها، وكانت حالة بقية المجموعة في حالة مماثلة تماما، وقمت بشكر طالب الطب على شهامته وموقفه الرجولي حيث وعد بزيارتنا كل يوم للاطمئنان على أبي فارس حتى الشفاء التام، وقد أعفيناه من وعده بعد أن لاحظت بعض التحسن على الحالة العامة لأبي فارس.

طلبت من يوسف عبد المهدي في اليوم الثالث لوصولنا إلى هامبورغ «٢٦ / ١٢ / ١٩٧١م» الاتصال مع مجموعة تنظيم ألمانيا الذين سبق اختيارهم أثناء رحلة الاستكشاف والرصد، وإبلاغهم بقدوم المجموعة. وبعد أن حضر ممثل عن الشباب إلى الفندق أبلغني أن المجموعة تنتظرنا في أحد البيوت، وأن الشباب في غاية الشوق إلى اللقاء، واعتذر لي عن عدم حضور المجموعة بالكامل إلى البنسيون للترحيب مؤكدا أن ذلك إجراءً أمنيا، وقد أشعرتني عبارته الأخيرة بالارتياح، فهؤلاء الشباب يبدون استعدادا منقطع النظير لتحمل المسؤوليات الوطنية رغم أنهم جاءوا إلى ألمانيا إما للدراسة أو العمل.

انتقلت بصحبة الشاب ويوسف عبد المهدي إلى حيث كان الشباب في الانتظار، وفور الوصول أدهشوني باستقبالهم الحار الأمر الذي أشعرني بأن العلاقة الإنسانية من خلال العمل والالتزام الوطني ربما تفوق بكثير العلاقة الناجمة عن صداقات مصلحية أو من خلال عمل تجاري أو عن ذات القربى، وبعد تناول الطعام برفقتهم شعرت أنهم متحفزون لما أحمله من أخبار، فبدأت أشرح لهم تفاصيل المهمة ونجاحنا في إدخال المتفجرات والصواعق ورغم ما بدا عليهم من حماس شديد للعمل والتنفيذ، إلا أنهم عبروا عن انزعاجهم بسبب ما حدث مع أبي فارس، وجن جنونهم لأننا أحضرنا شاب (طالب كلية الطب) لأنه لم يكن من التنظيم، لكني هدأت من روعهم، وخلال الاجتماع تم الإتفاق على نقل المتفجرات فوراً إلى منزل أحد شباب التنظيم.

وإلغاء حجز البنسيون ويتم توزيع عناصر المجموعة على بيوت الشباب حسب طلبهم بسبب استدعائنا للطبيب.

وبعد مكوثنا ثلاثة أيام ألغينا بالفعل الحجز في البنسيون وحمل كل منا حقيبته، وتوزعنا فرادى، حيث استقل كل اثنين منا سيارة برفقة أحد شباب التنظيم في ألمانيا إلى المأوى الجديد لكل منا، لتبدأ بعد ذلك مهمة تجميع الحقائب بما تحوي في المكان المتفق عليه.

استدعيت مجموعة العمل لاجتماع في اليوم الخامس ٢٨ / ١٢ / ١٩٧١م وتم استعراض المخططات وأساليب التنفيذ، فاستقر الرأي أن يكون أول الأهداف في ألمانيا تفجير مستودعات "شركة اسّو" الكائنة في ميناء هامبورغ، وكان ثانيها مصنع المحركات للطائرات الإسرائيلية "مصنع شترويفر" أما الهدف الثالث فكان تفجير مصنع الغاز الطبيعي في رافنشتين، كما قمت بتوزيع الشباب إلى مجموعات بحيث تتولى كل مجموعة متابعة تنفيذ المهمة الموكلة إليها دون أي اتصال أو تواصل مع المجموعات الأخرى، وبعد أن عرفت كل مجموعة كافة التفاصيل عن الهدف الموكل إليها تفجيره، فاجأني أحد أفراد مجموعة الشباب في ألمانيا بالسؤال عن العدد المطلوب لمهاجمة المصنع، فأجبت على الفور لا نحتاج إلا لشخص واحد فقط !! حيث سنتدبر إدخاله إلى المصنع لوضع المتفجرات وتوقيتها حسب الخطة، وهنا تدخل عضو آخر قائلاً: إذا كان الأمر كذلك فإن المسألة محلولة سلفا يا أخ أبو الطيب، ذلك أن عدد من العمال يعملون في المصنع نفسه وبالإمكان استبدال أحدهم بالشخص المنفذ بعد الحصول على هوية دخول العامل الذي سنستبدله، ونظرا لكثرة تبديل العمال في المصنع فلن ينتبه أحد لشخصية المنفذ، وعليه طلبت منهم اختيار أحد العمال الذي سيتم استبداله.

اجتمعت المجموعة للمرة الأخيرة لمزيد من التفاصيل في اليوم السادس ٢٩ / ١٢ / ١٩٧١م، وكنت هذه المرة اصطحبت معي إلى الاجتماع المهندس إبراهيم خبير المتفجرات، وقبل أن نشرع في التفاصيل لاحظت الدهشة تعلو وجه أحد أفراد مجموعة شباب ألمانيا، وعندما تحققت من السبب علمت أن المهندس إبراهيم يشبه تماما أحد العمال الذين يعملون في المصنع وهو على معرفة به ورشحه لعملية الاستبدال وأن اسمه «الهادي»، وقد تمت مفاتحته بالموضوع وأبدى الاستعداد الكامل للتعاون، فطلبت من أحد أفراد مجموعة شباب ألمانيا دعوة العامل المطلوب لمقابلتي لمزيد من التأكد. وبينما ذهب الشخص المكلف بإحضار العامل «الهادي» لاستدعائه ناقشت المجموعة كافة التفاصيل حول العمليات الأخرى.



حين حضر الهادي وشاهدت ملامحه أصابتني الدهشة حيث كان ينطبق عليه المثل القائل «يخلق من الشبه أربعين» فهو صورة طبق الأصل عن المهندس إبراهيم لدرجة أن إبراهيم ذاته لم يصدق مثل هذه الصدفة العجيبة، وبعد أن رحبت بالهادي وشكرته على تطوعه بتقديم هويته، وبعد شرح مطول عن وضع العبوة، وأن توضع في غرفة الأجهزة الفنية، فاجأني بطلبه التطوع لتنفيذ العملية قلت له كيف تستطيع وضع العبوة وأنت لم يسبق لك أن تدربت على المتفجرات، وبعد حديثي المطول مع الهادي عن خطورة المتفجرات لاحظت أن المهندس إبراهيم يريد محادثتي على انفراد فاستجبت لطلبه.

قال المهندس إبراهيم: يا أبا الطيب إن العامل «الهادي» هو الأفضل لتنفيذ العملية.. أما بالنسبة لتدريبه على زرع المتفجرات والتوقيت فاسمح لي أن أختلي به لمدة ساعة واحدة فقط لأنه ليس مطلوباً منه صناعة المتفجرات بل فقط المطلوب هو توقيت الساعة وهذا لا يحتاج إلى جهد، ولسوف أجعله خبيرا في ذلك وبعد أن اقنعني المهندس إبراهيم سمحت له بالاختلاء بالعامل «الهادي» حيث قام بتدريبه على تجهيز العبوة وطلب منه تكرار التدريب على توقيت الساعة عدة مرات.

تفهمت موقف المهندس إبراهيم، واقتنعت بفكرته لا سيما بعد أن لاحظت ارتفاع معنويات «الهادي»، وعندما هممت بإبلاغ الهادي بالموافقة قاطعني قائلاً: «لقد غامرتم بقطع هذه المسافات وتخطيتم كل هذه المطارات، وحملتم الأسلحة والمتفجرات، حتى إن بعضكم قام بأكل قسم منها مغامرا بحياته للوصول للهدف، أرجوك أخ أبو الطيب لا تكمل حديثك، نحن هنا في ألمانيا جزء من القضية ولا نقل عنكم وطنية.. وقد جاء دوري لأشارك بهذا العمل».. لكن وصيتي إن سجنت أو استشهدت أن تأخذ بالك من زوجتي وابنتي وكان عمرها ثلاث سنوات.

بعد أن تمت عملية المراجعة للأهداف ودراسة كافة المعلومات دونت الملاحظات الضرورية عن كل هدف، ثم قمت بعد ذلك بتوزيع العناصر حسب الاختصاص، كلفت المهندس إبراهيم بإعادة تدريب «الهادي» والأشخاص الآخرين المكلفين بإعداد العبوات الناسفة لمزيد من الإتقان وباكتمال إجراءات التنفيذ لجميع العمليات، الثلاث وهي ضرب مستودعات الغاز الطبيعي في رافنشتاين، وتفجير مستودعات شركة «اسو» الموجودة في ميناء هامبورغ،

وتفجير مصنع محركات الطائرات الإسرائيلية([٢٠])، تم الاتفاق أن تختار المجموعة التوقيت المناسب الذي يتفق معها أمنيا للتنفيذ وزراعة المتفجرات ويحبذ أن يكون أحد أيام السبت تجنبا لعدم وقوع خسائر بشرية ذلك أن يوم السبت هو يوم عطلة أسبوعية للعمال.

بعد اكتمال التخطيط فوجئت بوصول المناضل محمد بوضيا إلى هامبورغ حاملا رسالة من أبو حسن سلامة تفيد أنه سيشرف على تنفيذ العمليات بالتنسيق معي، حضر بوضيا برفقته أربعة كوادر جزائريين وعلى رأسهم خالد الجزائري، وأحضر معه ست قنابل يدوية وثلاثة رشاشات كاتم صوت و٣ مسدسات ٩ ملم، حينما رأيت هذه الأسلحة انتابني شعور عدم الرضى فلاحظ ذلك بوضيا وسألني عن امتعاضي من قدومهم، أجبته لا إنني أعلم أنك مساعد أبو حسن الأول في عملياتنا هذه ولكن المهام المكلفين بها هي تفجير مستودعات نفط وليس قتل أي شخص وأنت اليوم تجلب أسلحة وهذا يعني أن هناك مخطط للقيام بأعمال ما. فقط أردت التوضيح، أجابني أن هذه الأسلحة كان قد تم شراؤها عندما كان يعمل مع الجبهة الشعبية ورأى فرصة لنقلها من باريس خاصة وأن أحد عناصرهم تم توقيفه من البوليس الفرنسي وهو يعلم عن هذه الأسلحة وخوفا من اعترافه قاموا بنقلها. بموجب ذلك عقدت اجتماعين، أولهما للمجموعة التي وصلت معي، وأخبرتهم أن أمرا هاما قد طرأ يستدعي التعاون مع المناضل بوضيا، ويجب أن تبقى الأمور على ما هي عليه، وقد كان أغلبهم يعرفون بوضيا وخالد الجزائري، وكان الاجتماع الثاني مع مجموعة ألمانيا وشرحت لهم الموقف وقمت بتعريفهم على بوضيا.

٢٠ أفاد تقرير من الأرض المحتلة أن شحنات غريبة تصل بالطائرات والسفن يتم نقلها بصورة سرية وتحت حراسة مشددة إلى (حولون) جنوب تل أبيب وبعد المراقبة تبين أن الشحنات عبارة عن محركات ومولدات كهربائية للطائرات الإسرائيلية مصدرها مصنع المحركات في هامبورغ.

العودة إلى بيروت والتفرغ لقوات الـ١٧:

بعد عشرون يوما من وجودي في هامبورغ تلقيت اتصالا من أخي أبو حسن بضرورة العودة إلى بيروت على وجه السرعة فحجزت على أول طائرة متوجهة إلى بيروت، وعندما وصلت توجهت فوراً لمقابلة أخي أبو حسن الذي أبلغني أن الرئيس أبو عمار جن جنونه عندما علم أنني أرسلتك إلى ألمانيا وقال لي بلهجة قاسية: مش لاقي غير أبو الطيب ترسله إلى ألمانيا، وأنت تعلم مدى حاجتنا إليه هنا في بيروت، وأنت يا أبو حسن مكلف بالاتصالات مع الجانب الماروني والزعامات السياسية اللبنانية وحركات التحرر ومضطر للسفر دورياً إلى أوروبا، ضروري استدعاء الطيب فوراً.

ثم قام أبو حسن باصطحابي على الفور لمقابلة أبي عمار وبعد السلام قال موجهاً كلامه للرئيس: هذا أبو الطيب، لقد أمرته بالعودة فوراً لكنه زعلان بشدة، فرد أبو عمار: إيه يا طيب، معقوله تسافر وتسيبني؟! وبعد أن تم تطييب خاطري قام أبو عمار بصرف (٣٠ قطعة سلاح) من طرف إبراهيم غالب، وبدأ يبدي توجيهاته بضرورة تطوير قوات ال١٧.. ومنذ تلك اللحظة بدأت قوات ال١٧ تعزز حراسات لحماية أعضاء اللجنة التنفيذية إضافة لمهماتها الأساسية.

وقد كانت هذه الخطوة بمثابة إعادة توزيع للأدوار جرى من خلالها ووفق رغبة أبو عمار أن أتولى مهام الإشراف على شؤون قوات ال١٧ على الساحة اللبنانية ويتولى أبو حسن الإشراف على شؤون العمليات الخارجية والاتصالات الدولية. كما جاءت هذه الخطوة لتعكس رغبة أبو عمار في توسيع دور قوات ال١٧ في تلك المرحلة التي كانت قد بدأت تتضح معالم التعقيد والانفجار المحتملة والتي تتطلب التفرغ الكامل لمواجهة تلك التحديات على الصعيد الداخلي.

وبدأ أبو حسن بالفعل في التفرغ للقضايا الأمنية التي كلف بها من قبل أبو عمار وخاصة تلك التي تتعلق بالعمليات الخارجية والتي كان، لضرورات العمل، يفضل الحفاظ على سيرتها فكان يحتفظ بالكثير من الأوراق في منزله وهو الأمر الذي ارتأيت في تلك المرحلة أن ما قام به أبو حسن رحمه الله كان خطوة في الاتجاه الصحيح وتعبر عن رؤية ثاقبة.

ومن الجدير بالذكر أنه في أعقاب استشهاد أبو حسن قامت الأخت أم حسن بتسليم كل الأوراق والملفات السرية الخاصة بالمهام التي أشرف على تنفيذها أبو حسن والتي كانت في منزله إلى أبي عمار الذي قام بالاحتفاظ بتلك الملفات ضمن أرشيفه الخاص لسنوات طويلة.

جواسيس في المصيدة:

منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية، استنفرت إسرائيل كل أجهزتها الأمنية في محاولات الاختراق، وتجنيد العملاء لتنفيذ عمليات تصفية واغتيال القادة والناشطين الفلسطينيين داخل وخارج الأرض المحتلة، حيث فتحت حربا سرية بجمع المعلومات وتحديد الأهداف من أفراد ومراكز وتجمعات، ثم استخدام الطيران الإسرائيلي في عمليات القصف الجوي، واستخدام عملاء الموساد لتنفيذ الاغتيالات وبأساليب متعددة، وفي حربها ضد فصائل الثورة الفلسطينية وقادتها أنشأت علاقات تعاون مع أجهزة استخبارية أمريكية وبريطانية وفرنسية وأوروبية بشكل خاص، مما جعل ساحة المواجهة مع الفلسطينيين واسعة جداً، وقد كانت أجهزة الأمن الفلسطينية أكثر دراية بأساليب المخابرات الإسرائيلية، واستطاعت اختراقها بشكل واسع فاق قدرات بعض الأجهزة المخابراتية العربية، كما استطاعت أجهزة الأمن الفلسطينية رصد وملاحقة العملاء الذين كانت المخابرات الإسرائيلية تجندهم من الفلسطينيين والعرب والأوروبيين وغيرهم، وتأتي قصة تصفية العميل «مبدي» التي سأرويها على لسان المناضل محمد بوضيا كواحدة من مئات القصص التي تؤكد إمكانية الوصول إلى عملاء إسرائيل (علمت بهذه الرواية حين عاد المناضل محمد بوضيا من أوروبا إلى بيروتوسألته عن سبب إغتيال مبدي).

قال محمد بوضيا موجها كلامه لي «أنه بعد أن تم الاتفاق على موعد تنفيذ العمليات مع علي الزيبق فوجئت أن مجموعة الشباب (تنظيم ألمانيا) ترغب بالاجتماع بي منفرداً لأمر هام وقد ذهلت لمطلبهم المفاجئ والذي لم أكن أتوقعه» بعد أن اجتمعت بهم، قال أحدهم: أخ بوضيا نحن سعداء جدا بمجيئك خاصة وقد أحضرت معك أسلحة رشاشة بكواتم وبكل صراحة لن يتم تنفيذ العمليات ما لم تسمح لنا بتصفية العميل «مبدي». أجبت: أولا لست أنا المخول بإعطائكم القرار، وثانيا من هو «مبدي» الذي سيعرقل المهمات بعد كل هذا الجهد والعناء..؟

قال المتحدث إنه فلسطيني من بلدة «سريس» في الضفة الغربية وهو من الذين سبق أن قام بتنظيمهم أحد الأخوة لصالح حركة فتح عندما كان أبو عمار قد دخل إلى الضفة، فكان على اطلاع كامل بتحركات أبو عمار والأماكن التي يتردد عليها، وحدث أن قامت أجهزة الأمن



الإسرائيلية باعتقال «مبدي» لفترة قصيرة ثم أطلقت سراحه بعد أن تم تجنيده للعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية ليزودهم بكل المعلومات التي يحصل عليها بالإضافة إلى تتبع جميع تنقلات أبو عمار تمهيدا لإلقاء القبض عليه، وخلال فترة قام بتسليم عدد من كوادر حركة فتح وعلى رأسهم أبي علي شاهين، ثم أوفده الموساد الإسرائيلي إلى ألمانيا لتجنيد بعض الطلبة والعمال الفلسطينيين لصالح إسرائيل للتجسس على نشاط المنظمات الفلسطينية وخاصة حركة «فتح» وما زال يواصل مهمته في اصطياد الشباب الفلسطينيين.

أمام هذه المعلومات اتصلت مع القيادة في بيروت للتدقيق عن العميل «مبدي» المقصود، فعلمت أن له قيداً أمنياً تحت اسم «مبدي» أحمد يوسف القاسم» وكانت المخابرات الإسرائيلية قد انتدبته بطلب من المخابرات المركزية الأمريكية ليعمل لصالحها في ألمانيا الغربية، وتم تزويده بتصريح عمل وترتيب إقامته في ألمانيا وتحديد دوره مع السفارة الإسرائيلية لتجنيد العملاء، وتقديم تقارير عن الطلبة والعمال الفلسطينيين والعرب في ألمانيا الغربية، وفور وصوله إلى ألمانيا زودته السفارة الإسرائيلية بمفتاح «ماستر كي» وحصلت له على تصريح وترخيص عمل بفتح الشقق السكنية ومكاتب الشركات والمؤسسات التي يفقد أصحابها مفاتيحها، وكان يتقاضى ٥٠ مارك إذا كان فتح الشقة نهارا، و١٠٠ مارك ليلا.

وكان يستخدم ذلك المفتاح في الدخول إلى سكن الفلسطينيين والعرب خلال فترات غيابهم والتفتيش في أغراضهم وأدواتهم، وكان بالإضافة إلى ذلك يترصد الشباب الفلسطيني القادمين للعمل في ألمانيا ويصطحبهم إلى السفارة الإسرائيلية ليتنازلوا عن حقهم بالعودة مقابل مساعدة السفارة لهم في إيجاد العمل والإقامة. بعد استلام المعلومة سألني المتحدث: أعتقد أنك توافق على العملية الآن، والعميل المذكور موجود حالياً في مدينة كولن الألمانية.

قلت: أين تقع هذه المدينة..؟

قالوا: أنها تبعد عن هامبورغ ١٧٠٠ كلم.

قلت: شو.. (١٧٠٠ كلم).. هذا يعني مضيعة للوقت وتعطيل للعمل..

قال: نعرف ذلك، لهذا قررنا أن نفاتحك بالموضوع كي تزودنا بالسلاح.

قلت: حتى تزويدكم بالسلاح يحتاج إلى موافقة القيادة في بيروت لأن السلاح الذي أحضرته سيكون لصالح مهمات أخرى في أوروبا..

قال المتحدث: لا عليك يا أخ بوضيا، نرجو الاتصال مع القيادة وأخذ الإذن.

أجبت: أخشى أن يؤدي طلبكم إلى تأخير موعد التنفيذ.

قال الشاب: نعدك يا أخ بوضيا بتنفيذ العمليات حسب موعدها المقرر.

وتحت إصرار وإلحاح مجموعة شباب ألمانيا وخشية من عرقلة التخطيط والتوقيت، نزلت عند رغبتهم وتم إرسال مضمون مذكرة الشباب إلى القيادة في بيروت، باستخدام الشيفرة السرية وكان الرد بالتريث وتأجيل هذه المهمة إلى موعد آخر، هنا أصر جميع أعضاء تنظيم هامبورغ أنه لا بد من الموافقة، وقمت أنا بإرسال رسالة مشفرة أخرى أطلب من القيادة الموافقة لأن الأخوة سوف يقومون بتعطيل كل ما تم إنجازه من خطط، وأن المذكور يمثل مشكلة كبيرة للشباب هنا، ورجوت علي حسن سلامه لمساعدتي بأخذ الموافقة على العملية، وبعد جدل كبير حصلت على الموافقة من القيادة. شريطة تنفيذ جميع العمليات الأخرى في يوم واحد سواء مصنع الغاز أو تفجيرات هامبورغ، وقد أجلت هذه الاتصالات مع القيادة لتنفيذ العمليات إلى مطلع شهر ٢ / ١٩٧٢م وعندما طلب شباب المجموعة الإذن بالتحرك فوراً إلى مدينة كولن للتنفيذ، فاعترضت على سفر المجموعة كاملة تحسباً لأي طارئ، فاقترح المتحدث باسم المجموعة أن يذهب اثنان فقط أحدهما من مجموعتهم والآخر من المجموعة القادمة من بيروت، واستقر الرأي على ذلك، فتم تجهيز حقائب الشباب برشاشين كاتم.

انطلق الاثنان المنفذان إلى كولن بوساطة القطار، ونزلوا هناك في فندق من الدرجة الثالثة، وحسب الخطة التي وضعوها، تم إبلاغ مندوب «مبدي» في هامبورغ الذي لديهم كامل المعلومات عنه بأنهم يقصدان مدينة كولن لتأمين أحدهم الذي وصل حديثاً من الأردن للإقامة والعمل، ويرغبان في مقابلة «مبدي» لمساعدتهم، وأنهم على استعداد لتنفيذ جميع طلباته.. فزودهما المندوب برقم هاتف «مبدي»، واعداً إبلاغه بذلك.

أجريا اتصالاً مع «مبدي» الذي رحب بهما وطلب منهما الحضور لطرفه وأعطاهما العنوان بالتفصيل (بالطبع كان المنفذان يعرفان العنوان، وأعطيتهما تعليمات بعدم العودة إلى هامبورغ بعد التنفيذ، وكل ما عليهما إشعار المجموعة بنجاح المهمة)، وكانت الأوامر الصادرة للشباب بضرورة تنفيذ العملية بالالتزام التام مع موعد تنفيذ العمليات الثلاث الأخرى.

جهز كلا من الشابين نفسه ووضعا كاتم الصوت داخل حقيبة الكتف، وتوجها نحو شقة «مبدي» وكان ذلك الساعة التاسعة مساءً ٦ / ٢ / ١٩٧٢م، وعند وصولهما قاما برصد مداخل البناية، ثم دخلا البناية وقبل أن يطرقا الباب أخرج كل منهم كاتم الصوت حيث دنت



لحظة الانتقام لعشرات المقاتلين والأبرياء الذين زج بهم «مبدي» في السجون الإسرائيلية، واستحضرا الآلام التي حلت بأبناء الثورة، قام أحدهما بالطرق على الباب بكل هدوء رغم خطورة المهمة، فتح أحد العمال الأتراك الباب، حيث كان الطابق مكوناً من شقتين وبابهما واحد، إحداهما لسكن العامل التركي والثانية كان يقيم بها مبدي. وعند رؤيته للشابين يشهران المسدسات تجمد في مكانه من هول المفاجأة، صاح به أحد الشابين بلغة ألمانية إرفع يديك. ثم اقتاداه إلى غرفة كان بابها مفتوحاً ودفعاه إلى الداخل بعنف وأغلقا عليه الباب، فامتثل إلى الأمر سريعاً، ثم اندفع الشابان إلى غرفة «مبدي» الذي كان مجتمعا مع أربعة أشخاص حيث أربكت المفاجأة الجميع، وفوراً قام مبدي بأخذ لحاف كان بجانبه وبدا وكأنه يحتمي به من الرصاص – وهذا يدل على كفاءته في التدريب حيث أن الطلقة حينما تخترق أي نوع سميك من الأقمشة وخاصة مثل الألحفة تصل الطلقة باردة لجسم الإنسان، يقول بوضيا على لسان الشابين المنفذين أنهم عانوا من الجاسوس والسبب أنهم أرادوا قتله لكن زملاءه الذين كانوا معه حاولوا المستحيل وقاموا وهاجموا المسلحين لدرجة أنهم كانوا يريدون تخليص الأسلحة من أيديهم، مما اضطرنا بأن نقوم بإصابتهم بأرجلهم للحد من مقاومتهم وفي النهاية استطعنا أن نقضي على مبدي حيث سقط، وبعد التأكد من موته انسحبنا حسب الخطة وغادرنا المكان فورا، وتم إبلاغي بعد وصولهما للمكان المتفق عليه بنجاح العملية التي كان العبء الأكبر في تنفيذها على مجدي الأنصاري (علي الزئبق) صاحب الخبرة القتالية العالية.

وصل رجال البوليس الألماني بعد حوالي ساعتين لمعاينة موقع العملية، وبينما هم منهمكون في العمل وإذا بفتاة ألمانية تخرج عارية من إحدى الخزائن وعمرها (٢٥ عاماً) قالت أنها كانت تمضي الليل لدى مجموعة مبدي، وأنها كانت لحظة الهجوم بغرفة صديقها التركي، الذي فتح لهما الباب، وعند سماعها للجلبة والصراخ اختبأت في الخزانة خوفاً وفزعاً. ولم تستطع المرأة الألمانية تقديم أية أوصاف للمنفذين لأنها لم تكن مع مجموعة «مبدي» وقت الهجوم عليهم.

الصحافة تكشف التفاصيل:

تحت عنوان «انفجار يطحن المصنع» كتبت صحيفة هامبورغ يوم ٧ / ٢ / ١٩٧٢م، نحن نأمل أن نستأنف إنتاجنا خلال هذا الشهر بصورة عادية رغم أن العديد من أجهزة المصنع قد دمرت تماما، أو أصيبت بأضرار جسيمة، وقد قدرت الخسائر بالملايين، هذا ما صرح به المسؤول عن مصنع شركة «شتروفر» الذي أفاد بأن صوت الإنفجار سمع عن بعد كيلو مترين من المصنع، وأن غيمة من الدخان الكثيف غطت المنطقة.

بتاريخ ٧ / ٢ / ١٩٧٢م ورد في صحيفة بلد هامبورغ تحت عنوان القتلة يفاجئون ضحاياهم أثناء النوم خمسة رجال يموتون رميا بالرصاص: رشاشات كاتم الصوت هل هو عمل انتقام سياسي، مجموعة الأمن في بون تتحرك، عارية تجلس بالخزانة. أضخم عملية إطلاق نار بعد الحرب العالمية في ألمانيا حصلت أمس عندما قتل خمسة أشخاص في برويل وقالت مصادر مسؤولة بأنه يحتمل أن يكون العمل إنتقام سياسي.

بتاريخ ١٠ / ٢ / ١٩٧٢م ورد في صحيفة المحرر اللبنانية: واصل رجال الأمن التحقيق في حادث إنفجار في مصنع ينتج شحنة من المولدات الكهربائية للطائرات الإسرائيلية في وقت وصل فيه إلى شرطة هامبورغ نبأ يفيد بأن منظمة "أيلول الأسود" (٢١) قد ادعت مسؤوليتها عن الحادث.

ونقلاً عن صحيفة دير شبيغل الألمانية ورد في صحيفة المحرر اللبنانية في ١٦ / ٢ / ١٩٧٢م: «ويمكن إدراج الانفجار الذي وقع في محطة الضخ التابعة للشركة الهولندية (غاز اوني) التي تنتج الغاز الطبيعي وتعتبر من زبائن مصانع (اشتروفر) كما هوجمت مؤسسة (إسو) في مرفأ هامبورغ. وكانت الصحيفة بتاريخ ١٠ / ٢ / ١٩٧٢م نقلت عن مسؤول في منظمة أيلول الأسود فيما يتعلق بتفجير مصنع (شتروفر) قوله: لقد راقبنا هذا المصنع وبدأت شبهاتنا حوله بعد تقرير جاء من الأرض المحتلة يفيد بأن شحنات غريبة تصل أحيانا بالطائرات وأحيانا بالسفن ثم يصار نقلها بصورة سرية وتحت حراسة مشددة إلى (حولون) جنوبي تل أبيب، حيث للعدو جملة من مواقع ذات أهمية عسكرية، وبعد المراقبة اكتشفنا أن هذا المصنع يزود العدو

---

٢١ عند الإتفاق على تنفيذ العمليات الخارجية لم يكن هناك قرار بإصدار بيانات حول العمليات، ولم يكن في اعتبارنا "لا أيلول الأسود ولا أيلول أبيض"، وكل ما حدث هو أن الأستاذ شفيق الحوت رئيس تحرير صحيفة المحرر اللبنانية آنذاك كان صديقاً عزيزاً علينا وخصوصاً قوات الـ١٧، وعليه فقد كان أبو حسن يعطيه المعلومات وتفاصيل العمليات، فقام الأستاذ شفيق الحوت بنسبها إلى أيلول الأسود حسب رؤيته، أصبح شفيق الحوت فيما بعد عضواً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وممثلا للمنظمة في لبنان، ويعتبر شفيق الحوت رحمه الله علماً من أعلام الثقافة الفلسطينية، ومناضلاً فذاً امتد نضاله من مدينة يافا حيث ولد إلى بيروت ساحة العلم والثقافة والشهادة.



بنوعين من المعدات بعضها مدني وبعضها عسكري ذو أهمية تكنيكية بالغة.

وكانت صحيفة المحرر اللبنانية عدد (٢٦٣١) تاريخ ٢٢ / ٢ / ١٩٧٢م قد نقلت عن وكالة رويتر حول ما ذكر عن عدم اعتراف منظمة أيلول الأسود بالعمليات، بأن مصدر في المنظمة المذكورة قد صرح بأن تلك هي العملية الرابعة (قاصداً تفجير عبوات ناسفة في مخازن النفط التابعة لشركة إسو) كما نقلت عن صحيفة (فيلت أم سونتاغ) أن سلطات البوليس تتوقع سلسلة من الهجمات، وإن الهجمات الأربع التي نفذها الفدائيون تمت كلها في يوم واحد وفي الأسبوعٍ نفسه.

ونقلاً عن وكالة رويتر قالت جريدة المحرر اللبنانية ٢٢ / ٢ / ١٩٧٢م: دمرت عبوة من الديناميت محطة لتنظيم انسياب الغاز الطبيعي، وأن سلطات البوليس أفادت بأن الأسلوب الذي اتبع في تفجير العبوة يشبه ما حدث في انفجارات سابقة متزامنة، وقالت سلطات البوليس الألمانية أن الإنفجار تسبب في خسائر كبيرة، وأضافت: بأن الأسلوب الذي اتبع في الانفجارات الأربعة التي وقعت في يوم واحد أضيف لها تصفية شبكة التجسس الإسرائيلية في مدينة كولن. وقالت سلطات البوليس أن ليس لديها دليل دامغ على علاقة العرب بذلك على الرغم من أن الشركة هي «اودلف شتروفر» تستخدم في مصنعها عددا من العمال العرب الذين يعيشون في ألمانيا، وأشارت بأن هذه الشركة تصدر إنتاجها كذلك إلى بلدان أمريكا الجنوبية وإلى وحدات تابعة لحلف شمال الأطلسي.

وحول عملية إغتيال «مبدي» قالت صحيفة المحرر اللبنانية ١٥ / ٢ / ١٩٧٢م إن «مبدي» كان عميلاً للمخابرات الإسرائيلية واستطاع لفترة أن يخدع بعض الكوادر السرية العاملة لفتح في الضفة الغربية، وانتهت به الخيانة إلى تسليم سلطات الاحتلال ثلاثة من كبار مناضلي فتح. وأضافت: شقيق مبدي رفض التعرف على جثة أخيه وكان يندد في كل مجالسه بمواقف أخيه ويتهمه بشتى التهم المشينة على الصعيدين الوطني والأخلاقي.

رفض البوليس الألماني السماح لأي صحفي بالاقتراب من مكان الحادث وصدرت الصحف الألمانية في اليوم التالي لتشير إلى مبدي باسم (أحمد نجم) حسب ما هو وارد في جواز سفره المزور بعد خروجه من إسرائيل، وقامت صحيفة ديرشبيغل الألمانية بنشر معلومات حول المعني فقالت "إنه عميل للمخابرات الاتحادية في كولونيا وأنه بعد أن دخل إلى ألمانيا الغربية خضع لمراقبة المخابرات وللشعبة السادسة المختصة بالأجانب وقد استخدمه المفتش (بيرند كلاين) ومن بعده مع زميله (هاينس ميركر)، حيث كان يزود المخابرات الألمانية بمعلومات عن خطط ونشاطات المنظمات الفلسطينية السرية في المانيا، وقبل مقتله

بيوم واحد كان على موعد مع رئيس محطة الموساد بأوروبا وعند تفتيش غرفته تم العثور على نصف مليون مارك ألماني(٢٢).



أبو عمار، أبو الطيب، أبو علي شاهين بعد خروجه من المعتقل مباشرة عام ١٩٨٥م

٢٢ يقول أبو علي شاهين، في حديثه بشهادات من تاريخ الثورة الفلسطينية "عندما دخل أبو عمار إلى الضفة الغربية في شهر (١٩٦٧/٧م) لبناء قواعد فتح في الداخل كان "أبو علي شاهين" أحد القيادات الأولى التي دخلت مع أبي عمار، وعن عمالة "مبدي" مع المخابرات الإسرائيلية يروي في شهادته قائلا: التقيت بأخ يدعى (مبدي أحمد يوسف القاسم) كنت قد شاهدته من قبل في زيتون قباطية، كان يومها يريد الدخول لرؤية أبو عمار، لكن حصل خطأ، حيث كتب له رباح (نصري محمد سعد الله موسى) رسالة لإيصالها إلى الشام، لكنه قام باطلاع خاله عليها، فقال له اقرأها، ربما يكون فيها إعدامك فنصحه خاله بأن يذهب ويسلم نفسه للإسرائيليين، كان هذا الشاب قد رآني أكثر من مرة بين أشجار الزيتون في قباطية، سألني: أين أبو محمد.؟ وهذا الاسم كنا نطلقه أيضاً على أبي عمار في الضفة الغربية، قلت له: مين أبو محمد؟ لا اعرفه.. كنا في كراج الباصات بالمحطة المركزية، عاد وقال لي: أنا رأيتك بين زيتون أبو الرب في المغارة عندما كان أبو محمد موجوداً. قلت له: أنت تشبه علي برجل آخر والله يخلق من الشبه أربعين.. إذا كان انت محتاج لفلوس خذ. وأعطيته كم دينار.. وركبت، وحتى لا يحفظ أحد صورة وجهي كنت كمن يغط في النوم وأخفيت رأسي ما بين الكرسيين، وبعد أن تحرك الباص ووصل قبالة القسطل، أحسست بضربة تخبطني على رأسي، تلفت إلى الخلف فإذا بالجيش موجود، قوات كثيرة، وحرس حدود وشرطة، هنا تذكرت وجه الذي ضربني وأمسك بي حيث صعد رجل من لهجة كلامه كان (يهودي) إلى الباص، قال للسائق: هل تأخذني معك على الطريق.؟ أريد أن انزل عند دوار الرملة، قال له السائق: اطلع، فطلع ودفع أجرة الباص، بالنسبة لي لم أشك فيه، وفي أثناء تلك اللحظة تم إلقاء القبض عليّ من قبل الجنود الإسرائيليين في الباص، فتأكدت أن "مبدي" قد أبلغ عني".

شهادة اللواء برهان جرار «رشاد الكاسر» حول عمالة مبدي : أعتقل مبدي من قرية سريس في شهر أيلول، وكان يعمل في صفوف قوات العاصفة ومسؤول عن تخزين الأسلحة في منطقة سيريس، إنهار حال إعتقاله ومن الساعة الواحدة حتى الرابعة، فوافق على العمل مع الإسرائيليين وأرشدهم إلى مكان تخزين الأسلحة ما يقرب من ٤٠ قطعة سلاح. بعد ذلك ألبسوه كيساً من الخيش له ثقبان ليتمكن من رؤية من يعرفهم من الفدائيين والإشارة إليهم دون أن يعرفوه. أحضر الساعة الخامسة إلى قرية ميثلون للتعرف على مجموعة من الفدائيين كان قد تعرف عليهم ومن حسن حظ قائد المجموعة أن مبدي انزل على مسافة ١٠٠ متر من المقهى، فتمكن قائد المجموعة من معرفته من طريقة مشيه. كان في المقهى اثنان من المجموعة فقاما بالإختباء في بيت صاحب المقهى نايف سليم حيث أغلق الباب الفاصل بين المقهى ومنزله وبعد ذهاب قوات جيش الاحتلال قام نايف سليم بإحضار سيارة مرسيدس يقودها أحمد الأنيس حيث قام بتهريب عنصري المجموعة إلى نابلس وتمكنا في اليوم التالي من الخروج إلى الأردن ولكن اثنين من أبناء عم قائد المجموعة اعتقلا لمدة ٢٠ – ٢٥ يوماً وغادرا القرية بعد ذلك للعمل في الكويت.

بتاريخ ١٢/٧ ٧٦ كتبت صحيفة هامبورغ HAMBURG الألمانية الغربية تحت

سري

"انفجار يحطم المصنع"

بعد تأكد أن نشاطات اتجاهها ضد هذا المصنع بصورة جادية. العدد كبير من مفاتيح وأجهزة المصنع (الإدارة) إما أنها دمرت تماماً أو أصيبت بأضرار جسيمة. وتقدر الخسائر بأنها تتجاوز الملايين.

صرح بهذا الحديث المسؤول عن إدارة المصنع لشركة شتولبر لصناعة الأجهزة وعبارات الصواريخ "شتولبر" لمراسل الجريدة "هامبورجر أبند بلات" "HAMBURGER ABEND BLATT"



ation im Obergeschoß aus

الطابق العلوي لقاعة التجمع لمصنع الأجهزة دمر تماماً (تحت الصورة).

أفاد البوليس الجنائي بأن المصنع كان في الساعة ١٩,١٥ مغلقاً. شركة شتولبر تزود أجهزة خاصة لمنطقة الشرق الأوسط. ولقد تحقق البوليس بأن العمل لا يخلو من كونه ذا هدف سياسي.

حصل صوت الانفجار ... كيلومترين من المصنع الساعة ٢,٤٥ في طريق بنيندورف وحواليها. ثم إن المصنع ظهرت فيه شقوق بيضاء. (يقع المصنع في طريق بنيندورف رقم ١١) وقد تحطم سقف قاعة التجمع والذي يبلغ طولاً ٨٠م وعرضها ٣٠م، وقد طار ثلاث من الأجهزة مسافة ١٥ متراً في الهواء. وفي سقف الطابق الأرضي تحت فجوة قطرها ٦٠سم المصنوع من الإسمنت المسلح، وقد ألقى البوليس التحقيق والاستقصاء سرياً. وأجرى خبراء المتفجرات كشفاً ثانياً في المكان في محاولة للكشف عن خيوط تدل على الفاعلين.



Durchmesser klaffte in der Decke der Fertigungshalle

التعليق على الصور:

الصورة رقم (١): رجال البوليس تحفظ أمن أرض المصنع وسلامته بعد الحادث مباشرة.

الصورة رقم (٢) طابق الطابق الأرضي كما نرى أن الطابق قد هدّ بطريقة جدية.

الصورة رقم (٣) فجوة قطرها ٦٠سم في سقف الطابق الأرضي.

35

صحيفة «بلد هامبورغ» ..
BILD HAMBURG
7/2/1972 - ٧٢/٢/٧ تاريخ

السلاح المستخدم
رشاش ستيرلنغ ٩ ملم
Sterling M.P.
9.mm. ٩ ملم - عيار

Ein Kripobeamter hält die Tatwaffe: Eine 9-mm-Sterling-MP

...rschossen

...n Schalldämpfer ● Politischer Rache-Akt? ● Sicherungs-
...tet ● Nackte saß im Schrank ● Polizei sucht 2 Jordanier

...fünf Männer ...grausiges Bild: In ihren drei Zimmern ...der Kellerwohnung Wilhelmstraße 4 im ...Villenviertel Brühls lagen fünf leblose ...danische Gastarbeiter. Niederge... ...mäht von einer MP-Salve. Zwei der Männer, die nur Unterhosen und Schlafanzüge trugen, waren bereits tot. Sie waren im Bett überrascht worden.

Ihre drei Landsleute lagen blutüberströmt auf dem Boden. Sie hatten offensichtlich noch zu fliehen versucht. Sie wurden mit einem Rettungshubschrauber ins Krankenhaus gebracht. Trotzdem kam jede Hilfe zu spät.

Mordkommission, Bundesnachrichtendienst und Sicherungsgruppe Bonn fahnden nach zwei Jordaniern als mutmaßliche Mörder. Einer soll 1,60 Meter groß und zwischen 25 und 28 Jahre alt sein, der andere wird auf 1,80 Meter und etwa 34 Jahre geschätzt.

Der Staatsanwalt: Sie sehen aus wie „Pat und Patachon".

(Lesen Sie bitte weiter auf Seite 6)

تحت عنوان: «القتلة يفاجئون ضحاياهم أثناء النوم - خمسة رجال يموتون رميًا بالرصاص»
«رشاشات كاتمة للصوت - هل هو عمل انتقام سياسي»
«مجموعة الأمن في بون تتحرك»
«عارية تجلس بالخزانة»
«البوليس يبحث عن أردنيين»
لم أسمع بعملية إطلاق نار بعد الحرب العالمية في ألمانيا حصدت أكثر عندما قتل
خمسة أشخاص في بروهل. وقالت مصادر مسؤولة بأنه يحتمل أن يكون لهم انتقام سياسي

Montag, 7. Februar 1972 - 20 Pf
Nr. 31/7. W. • HAMBURG-AUSGABE • C 1784 A ***

Bild
HAMBURG
UNABHÄNGIG · ÜBERPARTEILICH

Die Mörder überraschten ihre Opfer im Schlaf:

5 Männer ersc

Maschinenpistolen hatten Schalldämpfe
gruppe Bonn eingeschaltet ● Nackte sa

Von WERNER HAAS u. STEFAN HEYDECK

Brühl (b. Köln), 7. Februar
Bei der größten Schießerei der Nachkriegszeit in Deutschland sind gestern morgen in Brühl fünf Männer ermordet worden. Die Staatsanwaltschaft: Wahrscheinlich handelt es sich um einen politischen Racheakt.

Der Polizei bot sich am Tatort ein grausiges Bild: In ...
der Kellerwohnung ...
Villenviertel Brühls ...
jordanische Gastar...
mäht von einer [illegible] ...
Männer, die nur Unte...
anzüge tragen, wäre...
waren im Bett überra...

في بناية في حي فيلات وجد الأردنيون الخمسة مقتولين برشاش..
وثلاثة من الخمسة كانوا مع الأرض بمحاولة للهرب ادخلوا المستشفى بواسطة
الهليوكبتر ومجموعة الأمن في بون تبحث عن اردنيين يشتبه بأنهما الفاعلون
احدهما طوله ١٦٠سم وعمره بين ٢٥ - ٢٨ سنة والآخر طوله ١٨٠سم وعمره حوالي
٣٦ ـــ

Hamburg



Kurz nach der Explosion sicherten Polizeibeamte das Firmengelände ab



Wie nach einem Bombenangriff sah es nach der Detonation im Obergeschoß a

Wie von einer Faust durchbohrt

Explosion verwüstete Fabrikhalle

„Wir hoffen, daß wir noch im Laufe dieses Monats unsere Produktion wieder voll aufnehmen können. Eine große Anzahl in der Fertigung befindlicher Schaltanlagen ist vernichtet oder stark beschädigt worden. Der Schaden wird vermutlich an die Millionen-Grenzen gehen."

Das sagte ein Sprecher der Geschäftsleitung der Firma Strüver Ad. KG, Aggregate-Tankwagenbau, dem Hamburger Abendblatt. Vermutlich durch einen Sprengstoffanschlag ist das Obergeschoß einer Aggregat-Fertigungshalle am Sonnabendabend total zerstört worden.

Nach den ersten Ermittlungen der Kriminalpolizei war die Halle gegen 18.15 Uhr geschlossen worden. Die Firma Strüver liefert u. a. Schaltanlagen für Notstrom-Aggregate in den Vorderen Orient. Nach Auskunft der Polizei ist ein politischer Anschlag auf das Werk nicht ausgeschlossen.

Eine kilometerweit hörbare Detonation hatte um 20.45 Uhr die Anwohner am Niendorfer Weg und Umgebung aufgeschreckt. Über dem Firmengelände der Strüver Ad. KG am Niendorfer Weg 11 stand ein weißer Rauchpilz. Wenige Minuten nach der Explosion waren Polizei und Feuerwehr am Einsatzort. Das Wellblechdach der fünfzig Meter langen und zwanzig Meter breiten Fertigungshalle war durch die Druckwelle der Detonation zum Teil abgedeckt worden.

Ein zwölf Zentner schwerer Schaltschrank wurde fünfzehn Meter durch die Halle geschleudert. In der Decke zum Erdgeschoß klaffte ein dreißig Zentimeter großes Loch. Wie von einer Riesenfaust war die 35 Zentimeter starke Eisenbetondecke durchschlagen worden.

Die Staatsschutzabteilung der Polizei hat sich in die Ermittlungen eingeschaltet. Sprengstoffexperten untersuchten auch heute morgen noch die zerstörte Fertigungshalle, um eine Spur der eventuellen Attentäter zu finden. Ist



Ein Loch von 35 Zentimeter Durchmesser klaffte in

لقصة الكاملة لـ

كان الخمسة الذين نـ

عملاء لاسرائيل بمعرفة المـ

ئيس العصابة "مـدّى" سلّم

غادرته الضفة الغربية ثلاثة مـ

بالمحرر :
قريبا ان ترفض اوساط البوليس الالماني
على ما نشرته « الاهرام » حول موضوع العملاء
الذين قتلوا في مدينة « بروبل » صباح الاحد ٦
١٩٧ وعلاقتهم باسرائيل ، لان هذه الاوساط ،
انكشفت الآن حقيقة اخرى ، غير التي
اليها « الاهرام » وهي ان المخابرات الالمانية
على علم بعلاقة هؤلاء العملاء باسرائيل ، كما
تشكل لهم نوعا من الغطاء لتسهيل مهمتهم
لقوا من اجلها الى المانيا .
وقد عاد القتلون للعملية الى قواعدهم سالمين ،
هناك ما يخشى عليهم ، فباستطاعة « المحرر »
الى معلومات خاصة وموثوقة نقلتها ، وان
على الضوء على « عملية بروبل » وان تكشف
خلفياتها .

● اولا : العملاء الخمسة هم من فلسطينيي الضفة الغربية ، ورئيسهم ، واسمه الحقيقي « مبدى » من قرية في قضاء جنين .

● ثانيا : كان « مبدى » عميلا للمخابرات الاسرائيلية ، واستطاع لفترة ان يخدع بعض الكوادر السرية العاملة « لفتح » في الضفة الغربية ، وانتهت به الخيانة الى تسليم سلطات الاحتلال ثلاثة من كوادر مناضلي « فتح » وفي طليعتهم « النقيب ابو مجاهد » .

● ثالثا : لما انكشف امر « مبدى » وزمرته ، توجه الى المانيا بجواز سفر اسرائيلي ، وباوامر من المخابرات الاسرائيلية التي كانت قد اشعرت عميلها في سفارة بون بضرورة حماية مبدى وجماعته وتأمين الحماية اللازمة له عن طريق المخابرات الالمانية .

● رابعا : كانت لمبدى وعصابته مجموعة مهام ، وكان عليه القيام بها في المانيا . من هذه المهام

● ١ – تشويه سمعة العمل الفدائي ، من القيام بصفقات تهريب المخدرات ، يلصقها بالعمل عند اكتشافها .

● ٢ – مراقبة التنظيمات الطلابية والعمالية العربية والفلسطينية في اوروبا ومحاولة التغلغل باعوانه لشقها وشرذمتها وبث روح الهزيمة صفوفها .

● ٣ – تهديد كل من له نشاط فلسطيني بـ... او اغراقه بالمال .

● ٤ – استقبال الهاربين من الضفة الغربية ومساعدتهم على الانحراف النهائي ، سواء عن ... ايجاد العمل لهم ، او تسهيل مدة اقامتهم تسفيرهم لكندا او استراليا . وهنا كان دور المـ

لة لعملية "بروبل"

ذين نفّذ بهم حكم الاعدام
رفة المخابرات الالمانية
سلّم لسلطات الاحتلال، قبل
لاثة من خيرة مناضلي "فتح"

يه القيام بها في المانيا . من هذه المهام :
ـ تشويه سمعة العمل الفدائي ، عن طريق
سفقات تهريب لمخدرات، يلصقها بالعمل الفدائي
سانها .

ـ مراقبة التنظيمات الطلابية والعمالية
والفلسطينية في اوروبا ومحاولة التغلغل فيها
لشقها وشرذمتها وبث روح الهزيمة في
.

ـ تهديد كل من له نشاط فلسطيني متزايد
ه بالمال .
ـ استقبال المهجرين من الضفة الغربية
هم على الاغتراب النهائي ، سواء عن طريق
عمل لهم ، او تسهيل مدة اقامتهم ، او
لكندا او استراليا . (وهنا كان دور المخابرات
الالمانية كبيرا في تقديمه العون لمبدى وعصابته) .

● ٥ ـ تزويد المخابرات الاسرائيلية بكل تحركات قادة حركة المقاومة في اوروبا وتهيئة ملفات كاملة عنهم وبالصور .

وقد استطاع مبدى الذي غير اسمه الى « محمد نجمه » ان يقوم بمهمته بنجاح ، بعد ان مدته سفارة اسرائيل في بون وعملاء المخابرات الالمانية بكل التجهيزات اللازمة .

● ٦ ـ لاحظ المنفذون ، ان طائرة هليكوبتر المانية قد اصبحت في اجواء مدينة بروبل بعد اقل من نصف ساعة من تنفيذ العملية ، الامر الذي يثير مزيدا من الشبهات حول موقف المخابرات الالمانية والاسرائيلية ومدى التعاون بينهما . اذ ليس من المعقول ان يهتم البوليس الالماني الى هذه الدرجة لولا معرفته المسبقة بالذين اغتيلوا عقب تسلمه المخابرة التلفونية من الجيران الاتراك الذين كانوا يسكنون في الشقة المقابلة لمنزل رجال العصابة .

● ٧ ـ بقي ان نشير الى ان شقيق مبدي ، رفض التعرف على جثة شقيقه ، وكان في كل مجالسه يندد بمواقف اخيه ويتهمه بشتى التهم المشينة على الصعيدين الوطني والاخلاقي .

● ٨ ـ ان ثمة شخص « سادس » كان يقيم مع الخمسة الذين نفذ بهم حكم الاعدام ما زال متواريا عن الانظار . وقد كان من « حسن حظه » انه كان قد غادر المنزل قبل تنفيذ العملية لمراقبة المنفذين بناء على اوامر من مبدى . ولكنهم كانوا « اشطر » منه، فضيعوه ... وهكذا انقذت حياته .

● ٩ ـ عاد المنفذون الى قواعدهم سالمين ، بانتظار مهمة اخرى لتصفية اي عميل للعدو الصهيوني.

جريدة «المحرر» اللبنانية رقم العدد ٢٦٢١
التاريخ ٢٢/٢/١٩٧٢

منظمة ايلول الاسود

هذه هي عمليتنا الرابعة

اما الثالثة التي لم نعلن عنها فهي:

نسف مخازن شركة "اسّو"

هامبورغ — ٢١ — رويتر — دمرت عبوة من الديناميت محطة لتنظيم انسياب الغاز الطبيعي هنا وقالت سلطات البوليس ان الاسلوب الذي اتبع في تفجير العبوة يشبه ذلك الذي اتبع في انفجارات سابقة ادعى الفدائيون العرب مسؤوليتها .

وقالت سلطات البوليس ان الانفجار وقع مساء يوم السبت الماضي وتسبب في خسائر تبلغ قيمتها ٦٠،٠٠٠ مارك اي اكثر من ٧،٠٠٠ جنيه استرليني.

واضافت هذه السلطات تقول ان الاسلوب الذي اتبع يشبه ذلك الذي اتبع في اربعة انفجارات اخرى وقعت خلال هذا الشهر .

وكانت منظمة « ايلول الاسود » الفلسطينية قد ادعت مسؤولية اثنين من هذه الانفجارات الاربعة .

وقالت صحيفة «فيلت ام سونتاغ» امس ان سلطات البوليس تتوقع سلسلة من الهجمات على التسهيلات الاسرائيلية في المانيا الغربية وعلى الشركات التي تصدر انتاجها الى اسرائيل .

وقد علمت « المحرر » من مصادرها الخاصة ان « منظمة ايلول الاسود » قد اعلنت مسؤوليتها عن هذا الانفجار .

وتعليقا على القول الوارد في البرقية حول عدم اعتراف « منظمة ايلول الاسود » بالعملية الثالثة ، اكدت هذه المصادر ان المنظمة هي التي فجرت عبوات ناسفة في مخازن النفط التابعة لشركة « اسو » . وكانت المنظمة قد ترددت في اعلان مسؤوليتها بانتظار وصول تقرير يؤكد مسؤوليتها ، لا سيما وان وكالات الانباء حاولت التخفيف من اهمية العملية . ولكن المنظمة ، بعد وصول التقرير المفصل تعلن اليوم ان مجموعاتها هي التي قامت بتلك العملية وتؤكد ان الخسائر كانت اضعاف اضعاف ما اعترف به التقرير الرسمي .

والمعروف ان منظمة ايلول الاسود كانت قد اعلنت مسؤوليتها عن نسف مصنع شترويفر ، ومصنع الغاز الطبيعي في راقشتين .

وقد حدثت هذه العمليات كلها في يوم واحد ، وفي نفس الاسبوع الذي تم به تصفية شبكة التجسس الاسرائيلية في مدينة « بروبل » .

جريدة «اللواء» اللبنانية رقم العدد
٤٠٥٩
4059
التاريخ ٢٢/٢/١٩٧٢

نسف محطة للغاز في المانيا الغربية

مرت عبوة من الديناميت مساء السبت الماضي ، محطة لتنظيم انسياب الغاز الطبيعي في مدينة هامبورغ بالمانيا الغربية .

وقالت السلطات الالمانية ان الاسلوب الذي اتبع في تفجير العبوة يشبه ذلك الذي اتبع في انفجارات سابقة ، كان قد ذكر ان منظمة « ايلول الاسود » الفدائية الفلسطينية قامت بها .

جريدة «المحرر» اللبنانية

رقم العدد: ٢٦١٩

التاريخ ١٠/٢/١٩٧٢

فدائيو منظمة أيلول الأسود

مصنع "شتروفير" في هامبورغ

نسف مصانع تك...
في رافنشتاين



الوثيقتان المكتوبتان باللغات الاجنبية فيهما يعطي التبادل لما يصدره مصنع شتروفر من انتاج الى ... اسرائيل من اجهزة حربية

الوكالات تنقل تطورات التحقيق في الانفجار

هامبورغ – ٩ – رويتر – واصل رجال الامن التحقيق اليوم في حادث انفجار قنبلة وقع مساء يوم الاحد الماضي في مصنع ينتج شحنة من المولدات الكهربائية للطائرات الاسرائيلية في وقت وصل فيه الى سلطات بوليس هامبورغ نبأ يقول ان منظمة ايلول الاسود ادعت مسؤولية الحادث.

وامتنع ناطق بلسان البوليس من التعليق على النبأ الذي نشرته صحيفة «المحرر» البيروتية. ولكنه قال انه يبدو ان الانفجار كان متعمدا.

وقالت سلطات البوليس ان ليس لديها اية بينة دامغة تثبت ان للعرب علاقة بالحادث على الرغم من ان الشركة وهي شركة ادولف شتروفر تستخدم في مصنعها عددا من العمال العرب الذين يعيشون في المانيا. واشارت هذه السلطات الى ان الشركة تصدر انتاجها كذلك الى بلدان امركا الجنوبية والى وحدات تابعة لحلف شمال الاطلسي.

وقد تسبب الانفجار الذي سمع دويه في مختلف انحاء المدينة في اضرار قدرت بثلاثة ملايين مارك (حوالي ٣٦٠٠٠٠ جنيه استرليني).

خاص «بالمحرر»:

انفردت «المحرر» يوم امس بكشف الدافع السياسي لعملية «نسف مصانع شتروفر» الالكتروني في مدينة هامبورغ حينما نسبته، بناء على المعلومات التي تلقتها، الى فدائيي منظمة ايلول الاسود.

وقد انهالت، على الاثر، المكالمات التلفونية على مكاتب «المحرر» وحركة المقاومة، من قبل المراسلين الاجانب، والالحاح منهم بشكل خاص للتأكد من مدى صحة الخبر.

وكان مندوب «المحرر» بدوره يبحث عما يمكن تقديمه للقراء من وثائق وصور لدعم صحة الخبر وتوكيده، فكانت هذه الوثائق والصور المنشورة الى جانب هذا الكلام، والتي حصلت عليها من مصادر وثيقة الصلة بفدائيي منظمة ايلول.

ولم يكتف احد المسؤولين في هذه المنظمة بتقديم هذه الوثائق وهذه الصور بل قال لمندوبنا:

– باستطاعتكم ان تعلنوا ايضا، مسؤوليتنا عن عملية ثانية قام بها رجالنا في هولندا حيث تمكنوا اجزاء حيوية من مصانع تكرير الغاز الطبيعي وذلك يوم الاحد الماضي ٦–٢–٧٢. وهو نفس اليوم الذي جرت فيه عملية شتروفر في هامبورغ. واضاف المسؤول:

– تملي اثر مسلسل من الانفجارات الناجمة عن العبوات الناسفة التي وضعها رجالنا اشتعلت النيران في خط الغاز في روتردام، وتلا ذلك انفجار اخر في احد محطات الضخ الرئيسية للغاز. اما الخسائر فتقدر بملايين الفلورينات.

وكان المسؤول ان يعلن عن عملية ثالثة على اثر مكالمة تلقاها، ثم اثر الصمت قائلا:

– بانتظار ان نطمئن تماما على رجالنا سنعلن لكم عن عملية ثالثة يكون ... هذه المرة.

– ان جريدة «لوموند» الفرنسية كانت في ٨–٢–٧٢ قد نشرت خبرا حول انفجارات مصنع الغاز الهولندي، وانها نسبت هذا العمل الى من اسمتهم بـ«مجموعات العمل الشمالية» تعبيرا عن استيائهم لوجه البطالة التي تعم هولندا...

ابتسم وقال:

– هل نسيت «لوموند» ان هذه هي المرة الثانية التي تتعرض لها مصانع التكرير في روتردام لمثل هذه العمليات. ولقد كانت الاولى من قبل رفاق لنا في حركة المقاومة، وقبل تشكيل منظمتنا. وقد حاولت جميع الدول المعنية بهذا الامر كتمان الخبر في المرتين، ولولا ان كان ذلك غريبا من المستحيل. ان الصهيونية والامبريالية حريصتان على التعتيم على اخبار النضال الفلسطيني لكيلا تتعرفا الى تلة شعوب اوروبا بسبب السياسة الموالية لاسرائيل.

ثم دفع بالوثائق والصور التي بين يديه وقال:

– انشرها، فلعل «لوموند» تغير من رأيها بعد ان ترى ما لا يمكن انكاره. وسلهم على لساني: اليس كثيرا ان تكون مجرد صدفة حدوث انفجارين في يوم واحد. واحد في هامبورغ والثاني في رافنشتاين. وثالث... سيأتي الحديث عنه في الوقت المناسب.

وسألنا المسؤول عن الاهمية الحقيقية لنسف مصنع شتروفر فقال:

– لقد راقبنا هذا المصنع منذ فترة، وبدأت شبهاتنا حوله بتقرير جاء

المحرر ٢٦١٩/١٠/٢/١٩٧٢

لول الاسود يؤكدون بالوثائق مسؤوليتهم عن نسف
تر» في هامبورغ ويعلنون مسؤوليتهم عن عملية جديدة في هولندا

تكرير الغاز الطبيعي
تاين وروتردام

ر من انتاج غير حربي . اما الوثيقة العربية فيها ما تستورده

بعض الاجهزة الحربية من النوع الذي يصدر للعدو

من داخل الارض المحتلة عن « شحنات غريبة » تصل احيانا بالطائرة واحيانا بالسفن ، ثم يصار توصيلها بصورة سرية وتحت حراسة شديدة الى « حولون » جنوبي تل ابيب حيث للعدو جملة مواقع ذات اهمية عسكرية خاصة . وبعد المراقبة اكتشفنا ان هـذا المصنع يزود العدو بنوعين من المعدات ، بعضها مدني ، وقد استوردوا منه حتى الان ما يزيد عن ١٥٠ جهازا ، وبعضها عسكري وذو اهمية تكنيكية بالغة ، وقد استورد العدو من هذا النوع من الاجهزة ٤٠٠ جهازا منذ عام ١٩٦٧ حتى اليوم . وجميع هذه الاجهزة يتراوح سعر الواحد منها بين ٨٠ ـ ١٠٠ الف مارك وتدفع ثمنه الحكومة الالمانية التي حرصت ان لا ينزل اسم « اسرائيل » ضمن اسماء زبائن هذه الشركة .

كذلك فان في المصنع بعض رجال المخابرات الاسرائيلية الذين يتعاونون مع المخابرات الالمانية لضمانة « سرية » العمل في المصنع سواء من حيث سرية العمل او سرية التصدير . ويكفي دلالة على ذلك ان المرحلة الاخيرة من صنع هذه الاجهزة الحربية يتم بمعرفة ثلاثة مـن اليهود المعروفين بميولهم الصهيونية . ولا يسمح لاحد بالاقتراب من ذاك الجزء المسؤول عن انجاز المرحلة الاخيرة من هذه الاجهزة .

وقبل ان ننتهي من هذا التحقيق الصحفي لا بد من الاشارة الى امرين :

ـ الاول ان المنظمة حرصت في توقيتها للعمليتين ان لا تصيب احدا باذى من العاملين .

ـ والثاني ان المنظمة لا تستطيع الافصاح عن كل ما لديها من وثائق والا « نكون بذلك نخدم المخابرات الامبريالية ومن دون جائزة الـ ٥٠٠٠ مارك » كما قال المسؤول في نهاية حديثه وهو يضحك !

"درشبيغل" تؤكد معلومات "المحرر":

عملية برويل وعملية هامبورغ متصلتان وزعيم الاردنيين الخمسة كان عميلا

اغتيل يوم الاحد الاسبق في برويل بالقرب من كولونيا خمسة اردنيين ، واحد منهم كان عميلا للمخابرات الالمانية الغربية .

قرع القتلة الباب في التاسعة الا الثلث . وفتح عامل تركي باب الشقة التي تتسع لسكنى عائلتين ، والكائنة في فيلهلم شتراسه رقم ٤ في برويل بالقرب من كولونيا .

عربيان دفعاه جانبا ودخلا الى المسكن حيث كان الاردنيون الخمسة ، الذين سكروا طوال الليل ، لا يزالون يغطون في النوم .

وبعد اطلاق ١٤ رصاصة من مسدسات بريطانية الصنع عيار ٩ ملليمتر ، من طراز سترلينغ ، مزودة بكاتم صوت ، كان في الشقة ميتان ثلاثة رجال مصابين اصابات خطيرة . لكن هؤلاء ماتوا في وقت لاحق من اليوم نفسه ... وكان التاريخ ٦ شباط (فبراير) .

وعاد القاتلان الى الاختفاء . ولم تحصل الشرطة والمخابرات الا على اوصاف هزيلة للرجلين لا تمكنها من عمل شيء .

كانت القضية تخص المخابرات مباشرة . وقد اثبتت الابحاث التي اجرتها « درشبيغل » ان الرجل المقصود من العرب الخمسة هو احمد نجم (نجمه) ٢٣ سنة ، العميل المأجور لدى مكتب المخابرات الاتحادية في كولونيا (لم تعط « درشبيغل » ادلة على ان نجم وحده كان المقصود) .

فبعد ان دخل الى المانيا الغربية خلسة ، خضع لمراقبة المخابرات ، وللشعبة السادسة بالتحديد (المختصة بمراقبة الاجانب) في فرع كولونيا . وفي الصيف استخدمه المفتش بيرند كلاين (الاسم زيفته المجلة عمدا) . وسلم كلاين الرجل الموثوق الجديد الى زميله هاينتس ميركر ، بعد ان تعلم كتابة التقارير من نموذج ب ٢ .

وبدأ نجم يزود المخابرات الالمانيةباستمرار بمعلومات عن خطط ونشاطات المنظمات الفلسطينية السرية ، على الارض الالمانية ، وخاصة منظمة « فتح » .

وهذه المنظمة المعادية لاسرائيل ، لها في اوروبا الغربية ، كما يعترف مكتب الاستخبارات في كولونيا « عددا كبيرا من المجموعات ومراكز الاتصال والعناصر المقيمة » . ففي الاراضي الاتحادية وحدها ، للمنظمة ٢٣ مركز انطلاق وحوالي ١٢ مركز اتصال . والهدف العملي لمنظمة « فتح » وغيرها هو نسف المحال او السفن او الطائرات التي تحمل بضائع الى اسرائيل، لتجميد الحركة التجارية معها .

انفجار هامبورغ

هذا ما اعلنه الفدائيون انفسهم ، الذين كانوا في الاسبوع الماضي ايضا قد فجروا احدى ورش شركة « شتروفر » في هامبورغ التي تصنع ادوات الكترونية للاتصالات ، لحساب الجيش الالماني الغربي ، وجيش اسرائيل على السواء .

وعلى حساب الفدائيين الفلسطينيين ايضا يمكن ادراج الانفجار الذي وقع ايضا في محطة الضخ التابعة للشركة الهولندية « غاز اوني » التي تنتج الغاز الطبيعي ، والتي تعتبر من زبائن مصانع « شتروفر » .



الشرطة الالمانية تنقل جثة احد قتلى عملية «برويل».

وقبل ايام ايضا هوجمت مؤسسة « اسو » في مرفأ هامبورغ بواسطة متفجرة القيت هناك .

وجميع هذه العمليات « لها علاقة مباشرة بعضها ببعض » حسبما يعترف مكتب المخابرات في كولونيا .

وحتى يتمكن الفدائيون من اعداد وتنفيذ خطط هذه العمليات ، انتظموا بشكل سري ، واقسموا يمين الطاعة العمياء ، واستخدموا الارقام ليتعرفوا على بعضهم ، بدل الاسماء .

ازاء هذا اتبعت المخابرات سياسة جديدة ، لمحاولة « التغلغل » في اوساط الفلسطينيين . وبدلا من ان توقف الدخول غير المشروع ، استخدمت المتسللين الى المانيا كاجراء لديها . وتلك كانت الوسيلة التي جرى استخدام نجم من طريقها .

« لقد كان يعمل بثقة كاملة بالنفس » هذا ما قاله عنه نائب رئيس المخابرات الالمانية الاتحادية غيرنر سمويدنتسين . لكنه في مرة نام ، وكان مسافرا بالقطار من شتوتغارت الى بون ، وذلك في ايلول (سبتمبر) من العام الماضي . وسرقت منه امواله (٦٠٠ مارك) . وقد استدعي الى مونشن (ميونيخ) ومنذئذ لم يعد يشاهد رئيسه المفتش ميركر .

ويوم الاحد الاسبق ، كان المفتش ميركر في الساعة العاشرة ينتظر نجم في احدى النقاط المتفق عليها . لكن رجله كان ميتا في تلك الساعة .

ويقول سمويدنتسن : « لقد قمنا بدقة شديدة بواجباتنا » .

لاي سبب اغتيل نجم ومواطنوه الاربعة ؟ لم تتضح الاجابة حتى الان ، اهي خلافات داخلية بين فدائيين فلسطينيين ، لهم علاقة بالمخابرات ، ام هي قصة عميل مزدوج .

ان سمويدنتسين متأكد من امر واحد : « لقد كان رجلنا وحده هو المقصود » .

عربها عن « درشبيغل » دكتور سحاب

اغتيال رئيس الوزراء الأردني وصفي التل:

أثناء وجودي في ألمانيا في ٢٨ / ١١ / ١٩٧١م وصلني نبأ اغتيال رئيس الوزراء الأردني وصفي التل(٢٣) في القاهرة.

---

٢٣ ولد وصفي مصطفى وهبي صالح التل عام ١٩١٩م لأب أردني وأم كردية من آل بابان، في بلدة (عرب كير) في جنوب الأناضول التابعة لولاية (معمورة العزيز)، عاد وصفي إلى الأردن عام ١٩٢٤م بصحبة جده لأمه إبراهيم بابان ليعيش في كنف والده، ودخل المدرسة الابتدائية في إربد ثم انتقل إلى مدينة السلط لإكمال دراسته الثانوية، وفي عام ١٩٣٨م أرسل في بعثة إلى الجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج منها عام ١٩٤١م وفي أواخر عام ١٩٤٢م انتسب إلى الجيش البريطاني بتعليمات من الحزب القومي السوري حيث دخل الكلية العسكرية الإنجليزية في قرية صرفند بفلسطين وتخرج منها برتبة ملازم ثان عام ١٩٤٣م، وفي عام ١٩٤٥م تم تسريحه من الخدمة وكان برتبة نقيب فالتحق بالمكتب الغربي التابع لجامعة الدول العربية في القدس والذي كان يرأسه موسى العلمي، ثم انتقل إلى مكتب لندن، وفي عام ١٩٤٧ م سافر إلى دمشق والتحق بجيش الإنقاذ الفلسطيني وشارك في العمليات الحربية من ١٩٤٧–١٩٤٩م، وبعد نكبة ١٩٤٨م وحل جيش الإنقاذ عام ١٩٤٩م كان برتبة مقدم، وفي عام ١٩٥٠م عاد إلى الأردن وعمل في دائرة الإحصاء العامة وتزوج من سعدية الجابري ابنة الزعيم السوري إحسان الجابري، وفي الأعوام التالية تنقل في العديد من الوظائف الحكومية منها سفيراً لبلاده في ألمانيا الغربية ورئيساً للتشريفات في الديوان الملكي وسفيراً في العراق ثم شكل حكومته الأولى يوم ٢٨/١/١٩٦٢م، وحكومته الثانية ١٣/٢/١٩٦٥م، ثم أعيد تكليفه بالحكومة الثالثة يوم ٢٨/١٠/١٩٧٠م خلال أحداث أيلول، كان الموقف المصري من وصفي التل شديد العداء حتى أن الرئيس عبد الناصر هاجمه في الخطاب الذي ألقاه بوفد من العمال العرب يوم ٢٦/٥/١٩٦٧م، وعندما شكل وصفي وزارته الثالثة بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٧٠م كان وجوده سببا رئيسا وراء سوء العلاقة الدبلوماسية بين مصر والأردن، وأدت الأزمة إلى إلغاء زيارة الملك حسين إلى القاهرة وقد عبرت صحيفة الأهرام ٣٠/١٠/١٩٧٠م عن وجهة نظر مصرية حيث كتبت تقول: «إن للتل مواقف سياسية سابقة ومشهورة» كما أنه من الناحية السياسية أبرز المحركين وراء الأزمة الداخلية بين السلطة الأردنية والمقاومة الفلسطينية وكان هو القوة الحقيقية وراء الحكومة العسكرية التي ترأسها محمد داوود. كان وصفي التل على قناعة تامة بأن الذي حدث في أيلول ١٩٧٠م مؤامرة واسعة النطاق لتصفية قضية فلسطين على حساب الأردن واتهامه بهذه التصفية، وأكد ذلك لاحقا بتاريخ ١٧/٤/١٩٧١م في حديث لصحيفة الحياة قائلاً: «الذي حدث في أيلول كان مؤامرة واسعة النطاق لتصفية قضية فلسطين على حساب الأردن واتهامه بهذه التصفية، وأنا لا أستبعد أن تكون هناك أياد عربية اشتركت عن قصد أو غير قصد في هذه المؤامرة، كما لا أستبعد أن تكون هناك بعض الجهات العربية كائنة من كانت شريكة أو ممهدة لهذا التآمر». في الساعة الثالثة والدقيقة الأربعين من بعد ظهر يوم ٢٨/١١/١٩٧١م اغتيل أمام فندق شيراتون القاهرة خلال انعقاد مجلس الدفاع العربي بدعوة من الجامعة العربية وفيما يلي بعض الحقائق حول عملية إغتياله: ١. قبل سفره إلى القاهرة لحضور المؤتمر عاد السفير الأردني في القاهرة «علي الحياري» إلى عمان يحمل رسالة شفوية تقول: «إنهم لا يريدون وصفي التل رئيساً للوفد الأردني»، وقد استفزت هذه الرسالة وصفي التل إلى أقصى درجات الغضب وأصر على الذهاب للقاهرة. ٢. وفي قول منسوب إلى فارس سليمان النابلسي أن السفير علي الحياري زار والده راجيا إياه أن يثني وصفي عن السفر لأن هناك خطورة على حياته، وفي أقل تقدير قد لا يقدم المصريون الاحترام البرتوكولي اللازم له، فاتصل أبو فارس به وكانت المكالمة بلا فائدة. ٣. في مذكرات مدير المخابرات السابق نذير رشيد (صفحة ٢١٢) يقول بأن دائرة المخابرات العامة كانت تعلم أن هناك محاولة جادة لاغتياله وتعرف أسماء القتلة، وكان معروفا أيضا أن حكومة أنور السادات لن تقدم له أو تؤمنه بحماية مناسبة بل أنها قد تساعد القتلة على تنفيذ مخططهم. ٤. عند توجه وصفي التل إلى مطار عمان مصرا على السفر إلى القاهرة حضر فجأة الملك حسين بن طلال إلى المطار لوداعه واقترح عليه إلغاء السفر مع إجراء تعديل وزاري وتكليف إبراهيم الحباشنة بوزارة الدفاع كي ينوب عنه في المهمة إلا أن وصفي رفض بشدة. ٥. عند وصوله إلى مطار القاهرة لم يكن في استقباله سوى سفير الأردن في القاهرة وموظف بسيط في قسم تشريفات بالجامعة. ٦. يقول الدكتور محمد الجمل: «قال لي جواد أبو عزيزة، أحد المتهمين في اغتيال وصفي التل، عندما قابلته في منزل أخيه محمود أبو عزيرة في أبو ظبي عام ١٩٧٣م بعد أن خاطبته: (أنت الذي قتلت وصفي التل) فأجاب: لا والله، أنا أطلقت عليه طلقة واحدة ثم (روكب مسدسي) وأصابته الطلقة في ذراعه الأيمن. ٧. وصل في يوم الإغتيال نفسه مدير المخابرات الأردنية ومعه أحد كبار الضباط الذي حضر التحقيق في مقتل وصفي التل إلا أنه أصر على الكشف عن جثمانه، فتردد الضباط المصريون، وأمام إلحاحه أخذوه إلى المشرحة ورأى مدخل طلقة في العنق خلف عظمة الترقوة غير الطلقة الثانية التي في ذراعه الأيمن، أي أن قاتلاً آخر قد أطلق الرصاصة الثانية من مكان عال». (المصدر: ملحق قضايا الساعة/ جريدة الرأي الأردنية، ٢٨/١١/٢٠١١م).

إعتقال زوجتي.. زوجتي تضع مولودنا الأول في السجن:

حين أرغمتني الظروف على مغادرة الأردن إلى بيروت لم أصطحب المحبة معي، فزوجتي كانت بالنسبة لي نبع الحب الصافي الذي يغسل نفسي من أحاسيس الكراهية، وقد كان والدي محقا عندما أفهمني مبكرا بأن للقوة دوراً مهما في الحفاظ على الكرامة، لذلك كنت على يقين بأن الكراهية لا تفهم، أو أنها لا تريد أن تفهم لأنها تدرك في اللاشعور أنها لو فهمت لما استطاعت أن تستمر في تيار الحقد والصراع والانتقام، فالكراهية تضخم من ذات الإنسان إلى الدرجة التي تعميه عن رؤية الآخرين. وهكذا فإن الكراهية التي أرغمتني على مغادرة الأردن الذي أحب وتركت فيه من أحب. حملت مشاعري وعواطفي وأحاسيسي في «بقجة» كتلك التي حملها أبناء شعبي عند إجبارهم على مغادرة قراهم وأراضيهم وذكرياتهم، بفعل الكراهية والحقد الذي كان سلاح العصابات الصهيونية، نعم حملت بقجتي.. وخيمت في حارة الناعمة التي اخترتها أنا وشركاء الرحيل من الشباب لا لشيء، وإنما لعلمنا بوجود «أبو بلال» هناك.

وكما هي الطبيعة حيث علاقة الأرض بالقمر هي التي تسيطر على حركة المد والجزر في البحار لمنعها من الطوفان، فإن علاقتي بزوجتي الشابة والحديثة الزواج بي كانت كذلك، أو ربما تفوق ذلك، وأقرب وصف لهذه العلاقة اقترفه الشاعر الراحل والصديق الأعز محمود درويش عندما قال: "ثلاثة أشياء لا تنتهي هي أنت.. والحب.. والموت" لذا لم أطق صبراً وفراقاً.. وطلبت من زوجتي اللحاق بي..

قرأت ذات مرة عبارة تقول.. "هناك من يكتب التاريخ بدمه.. وهناك من يكتب التاريخ بدم الآخرين.. ولكن لا كتابة في مسيرة أمثالي ممن وضعوا أرواحهم على أكفهم إلا وتكون مغموسة بكل القيم الإنسانية. وإذا كان أمثالي آنذاك مشروع شهادة، فإن من سبقونا كتبوا تاريخهم النضالي بدمهم الطاهر. وقد تذكرت هذه العبارة عندما تم الإتفاق مع أخي أبي حسن على ضرورة سفري إلى ألمانيا، فكمن يطعن ذاته بسيف الهجر والسلوان. لم يكن أمامي سوى إعادة زوجتي إلى الأردن لتكون ضيفة على أهلي لمدة لا يعلمها إلا الله، وكان بيت أهلي آنذاك في شارع وادي السير، أمام مطبعة الحرية في عمان، وكم آلمني قرار إعادة زوجتي إلى عمان وما جعل الألم يفيض مرارة وأسى أنها كانت حاملاً في شهرها الثالث.



ارتحلت إلى ألمانيا وارتحلت زوجتي إلى عمان، وما بين الشروق والغروب مسيرة إشعاع مضيء لشمس قد تكون قاسية حينا، وقد تعترضها غيوم تحيل الأجواء إلى نسائم لطيفة.. وقضيت شطرا من الأيام في ألمانيا.. لا أدري كيف انقضت.. فالأمر لم يكن مجرد رحلة للتمتع، وإنما هي مهمة مطوقة بمشاعر المسؤولية، ولكن على أية حال عدت إلى بيروت يوم ١٨ / ٨ / ١٩٧٢م لأفاجأ بنبأ كان له وقع الكارثة، فلقد اعتقلت المخابرات الأردنية زوجتي وأودعتها السجن لا لذنب اقترفته ولا لخيانة تسترت عليها.. وتهمتها أنها زوجتي. عصرت رأسي بين يدي مفكرا بعمق، وشعرت بالحزن يثور في نفسي باعثا روائح الشوق والحنين.. تفجرت الذكريات في هذه النفس المكلومة بالنبأ المفعم بالكراهية.. وحارت الأفكار في ذهني.. وتراقصت أسئلة عديدة بلا إجابات، فهل كان اعتقالها وهي التي لم تقم بأي عمل يسيء للأردن يهدف إلى توجيه رسالة لي وممارسة لعبة الضغوط الهوجاء، ولماذا أكون المقصود بذلك..

للحظات كنت أتخيل زوجتي البريئة والمثقلة بحملها، والذي ازداد بهموم السجن والاعتقال.. كنت أتخيل عينيها الكسيرتين تتلاطم، فبهما أمواج ثائرة من الحزن والغضب في آن واحد.. وكان قلبي معها.. وكان عقلي معها.. وكم كنت أزهو رغم المصاب الجلل عندما أتخيلها تمشي داخل السجن مشية الواثقة المقهورة، التي كانت ترى حبنا وكأنه فاجعة درامية تجعلها تزهو هي أيضا بتضحيتها البطولية. وكبركان انفجر يقذف بالحمم انفجرت في داخلي قنابل الأعراف والتقاليد التي ترى في سجن الفتاة إهانة لها ولذويها، والأسوأ من هذا الشعور بالظلم لإنسانة في ريعان الصبا والشباب، ذلك أن زوجتي من مواليد ١٩٥٢م، وكما هي حمم البركان تفوق حرارتها لتصهر الصخور، فقد كان اعتقال زوجتي في شهر ٨ / ١٩٧٢م وهو الشهر الموصوف بأنه (آب اللهاب). لقد علمتني التجارب فأرغمت نفسي على الصمود وعدم الإنكسار أمام وجع الضمير الذي كان يلح علي أنها أعتقلت بسببي، لكن وجع الضمير كان يغيب كلما تذكرت أن النظام الأردني يستند إلى العشائرية، والعشائر مهما تنافخت كرها أو تهيؤاً لحرب فإنها لا تهين عرضا ولا تقلع زرعا ولا تقتل طفلا، فمثل هذه الرذائل موصوف بها العدو المحتل لا غيره..

تنامى الخبر إلى ياسر عرفات الذي استدعاني، ولما وقفت بين يديه لم يترك كلمة في قاموس بعث الحماس والصبر في النفوس إلا وأمطرني بها مؤكدا أن اعتقال زوجتي هو شرف وطني، ووسام شجاعة ستظل تحمله فخرا وتورثه لأولادها وأحفادها، وما كدت اخلص من تشجيع ياسر عرفات حتى استدعاني صلاح خلف وكنت احتفظ له بكل المودة في حياته وهي المودة التي

تعاظمت بعد استشهاده، ولقد تعرفت على القائد أبي إياد أيام الكرامة حين كنا نجلس ساعات طويلة نناقش أمنياته بتشكيل جهاز مخابرات قوي، وقد عاش أبو إياد ليرأس هذا الجهاز فيما بعد. وأخذ صلاح خلف يشد من أزري وعزيمتي، وبعد أن استنفذ وسيلته لطمأنتي، شد على يدي قائلاً: "إذا احتجت لأي مبلغ كي توكل لها محامي فأنا جاهز"، فأجبته: "وهل لها أي تهمة يا أخ أبو إياد تستحق توكيل محامي؟!

إن مسيرة الحياة تتهادى بين حزن لا يطول، وفرح لا يدوم، ومع ذلك فقد لاحت بارقة الأمل عندما التقيت بالأميرة دينا عبد الحميد(٢٤) بعد أشهر من إعتقال زوجتي، تلك الأميرة الإنسانة التي تفيض مشاعر إنسانية.. تهب لنجدة كل طالب عون، واختزن لها في ذاكرتي مئات القصص الإنسانية منذ عرفتها أيام الكرامة.. بعدما علمت أنها آتية لتقديم الدعم والعون لمخيم الكرامة.. ووصلتني تلك المعلومة عن طريق الدكتور توفيق رمضان الطبيب بوكالة الغوث بعدما التقى بالأميرة في الشونة الجنوبية. وعلى الفور نقلت المعلومة إلى صلاح التعمري الذي استعد لملاقاتها عند أول قاعدة للفدائيين بجوار مزرعة سنقرط التي تسبق الكرامة بحوالي (ثلاثة كيلومترات) وكنت ممن استقبلوا الأميرة وتسلموا المواد التي تبرعت بها، ومنذ زيارتها تلك توثقت علاقتها بصلاح التعمري ولم تنقطع صلتي بها.

أطلعت الأميرة على إعتقال زوجتي، وحاولت شد أزري مؤكدة أنها ستعمل على إقناع المسؤولين للإفراج عنها، وبعد أن غابت الأميرة شهرين التقيتها مرة ثانية وكانت زوجتي آنذاك في شهرها السابع.. فمازحتني قائلة. بأن أطلق على إبنتي عند ولادتها اسما لإحدى الشخصيات المعروفة "الأميرات" فأجبتها أننا منذ أن غادرنا بلدتنا "بيت دجن" في فلسطين لم نواجه عدوا ولا نعرف عدوا سوى العدو الإسرائيلي، وما اعتركته الساحة الأردنية من صراع وأحداث دامية في أيلول ١٩٧٠م ليس لأن الأردن عدو لنا، وإنما لأن الأردن والفدائيين كانا مستهدفين من العدو الإسرائيلي، ولهذا يا سيدتي الفاضلة لا أريد أن أتملق إليك وأوافقك على الاقتراح، فأنا قررت أن أطلق على المولود أو المولودة اسم "جهاد" لتكون لحظة وفاء لجهادنا من أجل تحرير الأرض، ومن أجل الوفاء لعدد كبير من السجينات الفلسطينيات اللاتي اعتقلن بلا سبب سوى أنهن جمعن حبهن للحياة مع حب الوطن وأداء الواجب نحوه. وبكل براءتها وطيبة سريرتها

---

٢٤ الأميرة دينا بنت عبد الحميد(١٩٢٩م) الزوجة الأولى للملك حسين بن طلال ووالدة الأميرة عالية بن الحسين، وهي ابنة عم الملك حسين من الدرجة الثالثة، حيث يلتقي نسبهما في الشريف محمد بن معين بن عون، وكانت جسر محبة بين النظام الأردني و(م.ت.ف)، وكانت في كثير من الأحيان تقوم بالمساعدة على إخراج جوازات سفر للكثير من المقاتلين الذين لم يتمكنوا من التجديد، والمساعدة بإدخال العائدين منهم، وكان أبو عمار يكن لها كل الإحترام والتقدير.



قالت الأميرة: لقد فهمتني خطأ.. إنما مازحتك بذلك كي أجد وسيلة للحديث، فأجبتها بعفوية.. سوف تظلين أختنا وكبيرتنا، ولن ننسى يوما فضلك على الثورة سواء خرجت زوجتي من السجن أم بقيت في زنازينه..

وجاء يوم الفرح الدامع بتاريخ ١١ / ٢ / ١٩٧٣م فصمدت زوجتي على سجنها وألمها، وأعطت المثل والقدوة لغيرها من النشميات الفلسطينيات في أي سجن كنّ.. وبالفرح ولدت داخل السجن، لكنه فرح دامع، بكت السجينات وهن يباركن ميلاد شعلة الأمل في نفسي، إبنتي "جهاد" التي أبكتني أبوة وشوقا وحنينا لها ولوالدتها التي وهبتني حياة جديدة.. كما بكيت في تلك اللحظة لعذاب زوجة ابن عمي جهاد يانس التي اعتقلتها المخابرات الأردنية بعد اعتقال زوجتي بثلاثة أشهر (خلال شهر ١١ / ١٩٧٢م) وهي إمرأة أرملة وأم لثلاثة أبناء، بنتان وولد واحد، وكانت تدرس التمريض في ألمانيا الغربية، وعند حضورها للأردن تم إعتقالها لا ادري لأي سبب، ولربما لبعض العمليات الفدائية التي جرى تنفيذها في ألمانيا، لكن تلك المرأة الجريحة بفراق أولادها لم يكن لها أي علاقة بالعمل الفدائي.

بعد أن أنجبت زوجتي ابنتنا "جهاد" داخل السجن كان قد مضى على اعتقالها ما يزيد عن السنة، إلا أن الأميرة دينا استمرت في التوسط للإفراج عنها وتكلمت مع الملك حسين الذي أمر محمد رسول الكيلاني مدير المخابرات بإحضارها إلى الديوان الملكي، فاستقبلها وقبل طفلتي وقام بتنقيطها (١٠٠ دينار)، وأفرج عنها بتاريخ ٢٦ / ٣ / ١٩٧٣م لتعود إلى منزل أهلي، وتقوم بمعاملة إضافة ابنتي لجواز سفرها، وتمكنت من السفر إلى بيروت، فاستقبلتها رافع الرأس بثباتها، واستقبلت إبنتي "جهاد" وكان عمرها ستة أشهر، وحين هممت بحملها من حضن والدتها رفضت أن تتقبلني.. فتحول دمي في جسدي إلى دموع من تلك اللحظة الحرجة التي تحرمنا من معانقة أطفالنا، لكنني التفت نحو زوجتي قائلاً: لا بأس.. لا بد أن ندفع ضريبة النضال والكفاح فهي إن لم تكن تقبلني صغيرة.. لعلها تفتخر بي عندما تكبر!!

عكفت زوجتي على تربية الأولاد.. وقد كان اهتمامها بالبيت كبيرا، الأمر الذي جعلني أتفرغ لمهماتي الوطنية، وأشير هنا إلى أنني لم أسمعها تسألني في يوم من الأيام أين كنت.. وإلى أين ذهبت.. وماذا عملت.. فقد كانت صابرة على غيابي.

الصراع الاستخباري الفلسطيني – الإسرائيلي:

لم تستطع أجهزة الأمن الإسرائيلية عرقلة العمليات الفدائية داخل الأرض الفلسطينية المحتلة منذ انطلاقة حركة فتح، وشعرت تلك الأجهزة بعد الانتصار الفلسطيني في معركة الكرامة أن الثورة الفلسطينية تسعى إلى تطبيق نظرية (توازن الرعب) وإلحاق أكبر الخسائر البشرية والعسكرية والمادية والاقتصادية بإسرائيل، يضاف إلى ذلك أن أجهزة الأمن الإسرائيلية لم تعد قادرة على كبح جماح تصاعد الكفاح المسلح الفلسطيني أو التأثير على العلاقات النضالية الفلسطينية مع حركات التحرر العالمية التي ساندت كفاح الشعب الفلسطيني وأدانت الاحتلال الإسرائيلي. وما كان يهم إسرائيل على مستوى العمليات العسكرية أن تظل عمليات المقاومة بعيدة عن العمق الإسرائيلي، لذا عمدت إلى سياسة الاغتيالات والإبعاد ونسف البيوت وشق الطرق وإقامة الأسلاك الشائكة على طول الحدود وضرب قواعد المنظمات والمدنيين بهدف عزل المقاومة عن جماهيرها.

وانحصر رد إسرائيل لعمليات ما قبل ١٩٧٢م بالإجراءات الدفاعية أو على ردات الفعل حيث كانت تقوم بعمل عسكري معين بعد كل عملية، فقد أعلنت إسرائيل أن هجومها على مطار بيروت في نهاية عام ١٩٦٨م(٢٥) وتدمير عدد من الطائرات اللبنانية بأنه رد على مهاجمة الفدائيين الفلسطينيين لطائرة إسرائيلية في مطار أثينا، وردا على اختطاف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لعدد من الطائرات وإنزالها في مطار صحراوي أردني عام ١٩٧٠م.

وكان لنجاح العمليات الخارجية التي نفذها الفدائيون الفلسطينيون بدءا من عام ١٩٧١م الأثر الصاعق على رئيسة الوزراء الإسرائيلية آنذاك «غولدا مائير» التي أمرت جهاز الموساد بتشكيل فريق إغتيالات إسرائيلي لملاحقة المسؤولين الفلسطينيين في الدول الأوروبية وتصفيتهم، وبذلك أعلنت إسرائيل عن «حرب مفتوحة» تستخدم فيها كل الوسائل القذرة لسفك الدماء، إلا أن أجهزة الأمن الفلسطينية التي صارعت أجهزة المخابرات الإسرائيلية وجهت ضربات

٢٥ قام الطيران الحربي الإسرائيلي يوم ١٩٦٨/١٢/٢٨م بالإغارة على مطار بيروت الدولي، ودمر ١٣ طائرة مدنية لبنانية جاثمة على المطار بحجة أن فدائيين فلسطينيين هاجموا طائرة لشركة «العال» في مطار أثينا كانوا غادروا لبنان عبر مطار بيروت، أما الفضيحة فهي أن الجيش اللبناني وقوات الأمن اللبنانية المكلفة حماية المطار لم تتصد للقوة الإسرائيلية المهاجمة التي نفذت مهمتها بسهولة تامة، وغادرت المطار من دون إيقاع أي خسائر في جنودها. انظر: صقر أبو فخر «أنيس النقاش»، أسرار خلف الأستار، ص١٨.

قاسية للموساد الإسرائيلي وعملائه في الخارج، وفي لبنان الذي فرض الوجود الفلسطيني فوق أراضيه واقعا أمنيا صعبا، حيث استماتت أجهزة المخابرات الإسرائيلية في الدفع بعملائها للتجسس على المنظمات الفدائية والقوى الوطنية اللبنانية، الأمر الذي جعل من مهمات «القوة ١٧» غاية في الدقة والحساسية واليقظة لإحباط مخططات الموساد وعملائه في لبنان، سواء أولئك المرسلين من الخارج أو الذين يتم تجنيدهم بدوافع مختلفة، إضافة إلى تجنيد العملاء.

الأجهزة الأمنية الإسرائيلية:

إسرائيل دولة تعيش على هاجس الأمن، فالمواطن العادي دائما في حالة خوف ويشعر أنه مستهدف دائما وانتقل هذا الشعور إلى أجهزة الدولة الأمر الذى حدا بالقائمين على أمر هذه الدولة إلى تأسيس أجهزة أمنية مختلفة ضمن محاولات يائسة للشعور بهذا الأمن. وتستند النظرية الأمنية الإسرائيلية إلى أنه: «سيأتي عصر على الأمم الصغيرة يكون فيه أول خط دفاعي لها هو المعرفة»، وإسرائيل تعتمد على المعرفة الدقيقة والشاملة للأنشطة التي يقوم بها أعداؤها قبل اعتمادها على مدفعيتها وجنودها وأساطيلها البحرية والجوية، كما أنه من غير الممكن محاربة الأنشطة المعادية في الداخل والخارج بالقوة العسكرية فقط. ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى جهاز مخابرات قوي وعلى كفاءة عالية، يعمل في سرية تامة يشبه أمثاله من أجهزة المخابرات في العالم لأن بقاء إسرائيل متوقف بالدرجة الأولى عليه.

وحاولت إسرائيل إقامة "جدار أسطوري" حول نشاطات أجهزتها الأمنية بادعاءات وهمية عن عمليات هجومية نفذتها مستهدفة خصومها بالتصفية والاغتيال أو الاختطاف في عمليات معقدة لم يتخللها أية أخطاء أو تقصير من تلك الأجهزة وذلك في محاولة لرفع معنويات الشعب الإسرائيلي الواقع دائما تحت ضغوط التهديدات الأمنية. إلا أننا وفي إطار صراعنا المتواصل مع تلك الأجهزة، والذي جعلنا نقترب أكثر من هذا الجدار، لنكسر محرمات ونكشف حقائق هامة تؤكد أننا قادرون على أن ننتقل إلى دائرة القدرة على اختراق الأمن الإسرائيلي الذي ظهر مشوها بفضل عمليات الثورة الفلسطينية(٢٦).

---

٢٦ أكد مناحيم بيغن على أهمية الإرهاب في صنع التاريخ وصياغته وقال: «إن قوة التقدم في العالم ليست للسلام بل للسيف»، وكتب في مذكراته قائلاً: «أنا أحارب إذن أنا موجود».. وورد في كتابه «الثورة» ما يلي: «من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال، اليهودي المحارب».. وسار بن غوريون، في الاتجاه نفسه وقال: «بالدم والنار سقطت يهودا وبالدم والنار ستقوم ثانية». ويقوم الاعتقاد الديني والفكر الصهيوني على أن فلسطين هي أرض الميعاد، وبالتالي يصبح الشعب العربي الفلسطيني، الامتداد التاريخي للشعوب الكنعانية التي حاربها وأبادها قادة اليهود ومنهم يوشع وهذه الشعوب هي بقايا الشعوب السبعة الواردة في التوراة ومنهم العماليق وأهل مدين، ومن هنا يعتبر نتنياهو أن الأراضي الفلسطينية أراض محررة وليست محتلة كما يعتبرها العالم أجمع.. ولذلك يقوم الكيان الصهيوني بإبادة الشعب العربي الفلسطيني وترحيله من وطنه وتهويد أرضه ومقدساته، وقتل الأطفال والنساء والشيوخ تماماً كما كان يفعل يوشع بالكنعانيين. ويؤمن الصهاينة أن العربي لا يفهم إلاّ لغة القوة، وأن الطريقة الوحيدة للتعامل معه هي قتله. (دكتور غازي حسين، ينابيع الإرهاب الإسرائيلي، موقع المنار الإلكتروني ١٨/١١/٢٠١٢م).

ولمعرفة أهمية الأجهزة الاستخبارية والأمنية المختلفة بالنسبة إلى إسرائيل لابد من الإشارة إلى أن مهمة الإشراف عليه منوطة مباشرة برئيس الوزراء واللجنة الوزارية لشؤون الأمن ولجنة الأمن والخارجية التابعة للكنيست الإسرائيلي رئيس اللجنة العليا لأجهزة الأمن. ويتكون المجتمع الاستخباري الإسرائيلي من ثلاثة أجهزة رئيسية:

١ - جهاز الموساد:

تأسس جهاز الموساد في ١٣-١٢-١٩٤٩م بإشراف رئيس الوزراء الإسرائيلي بن جوريون، وهو الذي جعل تعبير المهام الخاصة شعاراً رسمياً لهذا الجهاز نظراً لأن مجال عمله قد حدد خارج نطاق أجهزة الدولة الأخرى، العسكرية والمدنية. ويتركز مجال نشاط جهاز الموساد في خارج الأراضي الإسرائيلية. ويقع مقره الرئيس في تل أبيب ويضم أكثر من ألفى موظف ورئيسه يتبع رئيس الوزراء الإسرائيلي مباشرة. ويضم ثلاثة أقسام رئيسة:

الأول: قسم المعلومات: يتولى جمع المعلومات واستقراءها وتحليلها ووضع الاستنتاجات بشأنها.

الثاني: قسم العمليات: يتولى وضع خطط العمليات الخاصة ضمن إطار مخطط عام للدولة.

الثالث: قسم الحرب النفسية: يشرف على خطط العمليات الخاصة بالحرب النفسية وتنفيذها.

– يوجد في حيفا مدرسة خاصة لتدريب المندوبين والعملاء على قواعد العمل السرى والأعمال التجسسية.

٢- جهاز الأمن العام «الشاباك»:

جهاز خاضع لرئيس الوزراء مباشرة ويهتم بالأمن الداخلي في إسرائيل، تم إنشاؤه عام ١٩٤٨م. متخصص في محاربة نشاطات تنظيمات المقاومة الفلسطينية في داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة والسعي لإحباط عملياتها، ومن مهماته جمع معلومات عن الأشخاص المرشحين لمناصب ووظائف حساسة. ويعد من الأجهزة الأمنية ذات الحضور والتأثير على عملية صنع القرار السياسي والعسكري في إسرائيل. وله ثلاثة أذرع رئيسية:

الأول: قسم الشئون العربية: معنى بمكافحة العمليات التي تقوم بها التنظيمات الفلسطينية أو العربية. الثاني: قسم الشئون غير العربية: ينقسم إلى قسمين القسم الشيوعي وغير الشيوعي حيث يتجسس على البعثات الدبلوماسية داخل إسرائيل.

الثالث: قسم الأمن الوقائي وهو معنى بحماية مقار الحكومة الإسرائيلية والسفارات والمصانع العسكرية والمنشآت العلمية وشركات الطيران الإسرائيلية.

٣ - جهاز الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية «أمان»:

وهو جهاز مكلف بملاحقة أي مصدر للعداء مع إسرائيل، ولا يعتمد على المصادر البشرية فقط في الغالب مثل الجواسيس أو العملاء، بل يحصل على معلوماته اعتماداً على الوسائل الإليكترونية مثل محطات الإنذار المبكر والرصد وأجهزة التنصت والتصوير وغيرها. وهو من أكثر الأجهزة الاستخباراتية تكلفة لإسرائيل. الجهاز مسئول بشكل أساسي عن تزويد الحكومة الإسرائيلية بالتقييمات الاستراتيجية التي على أساسها تتم صياغة السياسات العامة للدولة.

أساليب أجهزة الأمن الإسرائيلية في التجنيد:

إن اكتشاف طرق وأساليب ودوافع التجنيد لأي منظمة إستخبارية له أهمية للوقاية منها ومحاربتها وكشف من وقع في حبائلها، ومراقبة شبكاتها وتختلف أساليب تجنيد وطرائق التجنيد في الموساد حسب «جنسية المجند» فلكل جنسية طرائق وأساليب ودوافع مختلفة.

وتتنوع أساليب أجهزة الأمن الإسرائيلية في تجنيد العملاء وتدريبهم والسيطرة عليهم حسب اختلاف الهدف ومجال العمليات، وحسب القسم المسؤول عن العميل في المركز الرئيس، ولا توجد قاعدة واضحة محددة تستلزم الحصول على موافقة المركز الرئيس قبل تجنيد عملاء. والإسرائيليون مستعدون لاستغلال أي نوع من الدوافع لكسب عملاء جدد ويستغلون في تجنيد العملاء نقطة الضعف التي يتصف بها أولئك العملاء، ويمكن أن نلخص نقاط الضعف هذه أو الدوافع على سبيل المثال لا الحصر بالآتي:

الدافع المادي: بغرض تحقيق رغبة، يصبح الفرد أسيرا لها، وهنا يتم عرض أو إغداق المال على العميل إما لقضاء حاجته أو للتمتع بالخمر والنساء والظهور بمظهر القادر واللائق أمام حبيبته أو أهله أو زوجته أو القادر بعد فشله لسنوات في جمع المال، أو بعد تجارة خاسرة، أو للإستمرار في الظهور بنفس الحياة بعد فقدان ذلك أو عرض مبالغ أو رواتب على موظفي الفنادق أو سائقي تاكسيات الأجرة ذوى الدخل المحدود ورغبة بعض هؤلاء في عدم الاكتفاء بالدخل المشروع، واتباع أقصر الطرق وأسهلها للثراء مع الاستهتار بجميع القيم.

الأفراد المتضررون: الذين لحق بهم ضرر نتيجة قيام الثورات في سوريا، ومصر، أو نتيجة للتأميمات، أو الذين أغتيل أو أعدم مقربون لهم، كأزواجهم أو أبنائهم لخيانتهم فتستغل الموساد ذلك وتتصل ببعض هؤلاء بدافع الانتقام والشعور بالاضطهاد وما يتولد عند هؤلاء من حقد.

نقص الدافع الوطني: خاصة عند الذين يكثرون من الاختلاط بالأجانب، ويقلدونهم ويتقمصون شخصيتهم وطريقتهم في الحياة، المغتربون وطنيا الذين يعنون «الاغتراب الفكري» وبعض هؤلاء يتولد عندهم عدم «الولاء» خاصة من أفراد بعض الأقليات والمتجنسين.

الضعف الخلقي والشذوذ الجنسي: أو خلق الشذوذ أو ممارسته مع بعضهم بهدف تجنيده، مع تصويره وتهديده بذلك.

الإبتزاز والضغط والتهديد والمساومة: مثلا الإفراج عنه مقابل مهمات معينة، أو تخفيف العقوبة مقابل تجنيده، أو تهديده بأحد أفراد أسرته، بقتل طفلة، أو إغتصاب ابنته أو زوجته، أو ما شابه ذلك، خاصة بالنسبة لبعض المناطق التي تقدم هذه المسألة على مسألة «الخيانة».

تجار المخدرات والمهربين: مقابل مساعداتهم في التهريب، أو تمرير بضائعهم، يدفعون «المقابل».

التهديد بالقتل: أو العمل مع الموساد، وهذه قد تنجح مع بعض المترددين والمهزوزين وطنيا.

العمل لصالح دولة أخرى: كأن تقوم الموساد بتجنيد فرنسي يعمل مع (حلف الناتو) وأن يقوم عربي (عميل للموساد) بتجنيد عميل للعمل لصالح الإستخبارات المصرية أو السورية أو يدعي فلسطيني أنه في المقاومة ويقوم بتجنيد مجموعة على هذا الأساس، وفي اللحظة التي تنوي هذه المجموعة العمل يتم ضبطها وتهديدها والمساومة معها وتجنيد بعضها.

إستغلال دافع الغيرة والمنافسة والخلافات السياسية والعشائرية.

فرق الإغتيالات الإسرائيلية:

لجأت أجهزة الأمن الإسرائيلية إلى تشكيل «فرق خاصة» للإغتيالات والحرب المضادة، كان يطلق على بعضها اسم «الماسادا» نسبة إلى القلعة التي تحصن فيها اليهود في آخر محاولة من جانبهم للصمود أمام الرومان، وقد لجأ جهاز الموساد إلى أسلوب إغتيال المناضلين العرب والفلسطينيين على ثلاث مراحل عبر مسيرة الصراع العربي – الإسرائيلي:

المرحلة الأولى عام ١٩٥٦م: ردا على دعم الرئيس جمال عبد الناصر لتدريب وتسليح وتجهيز الفدائيين الفلسطينيين الذين كانوا يتسللون داخل الأرض المحتلة وينفذون عمليات جريئة



ضد المستوطنات الإسرائيلية، فقد اكتشف الإسرائيليون أن تلك العمليات الفدائية آنذاك كان يشرف عليها البكباشي مقدم «مصطفى حافظ» رئيس المخابرات المصرية في غزة، وبتاريخ ١١ / ٧ / ١٩٥٧م توجه البكباشي مصطفى حافظ لمقابلة أحد المخبرين، وكان «عميلا مزدوجا» فتسلم منه رسالة بدعوى أنها شخصية، ولما قام بفتحها إنفجرت به حيث سقط شهيداً(٢٧). وبعد ذلك بثلاثة أسابيع تسلم الملحق العسكري المصري في الأردن «صلاح مصطفى»(٢٨) كتابا واردا من الأمم المتحدة، ولما فتحه انفجر في وجهه وسقط شهيدا. ومن الجدير بالذكر فإن التفجيرين كانا من تدبير جهاز الإستخبارات العسكرية لإسرائيلية (أمان) وبإشراف مديره يهوشفاط هاركابي الذي سبق وأن صرح في ١٠ / ١٩٥٥م أن مصطفى حافظ هو العقل المخطط لعمليات الفدائيين، وإن صلاح مصطفى هو منظمها في الأردن، أما صاحب فكرة قنبلتي الطردين فهو ضابط إستخبارات وعضو متمرس في حزب البالماخ واسمه «حاييم ليفاكوف».

المرحلة الثانية: وكانت في عهد رئيس جهاز الموساد الإسرائيلي «أيسر هارئيل» في الستينيات، حين بدأ العلماء الألمان في مصر يتلقون رسائل مفخخة.

المرحلة الثالثة بعد عام ١٩٧٢م: حين بدأت الطرود المفخخة ترد تباعا لعدد من القادة والمسؤولين الفلسطينيين. والجدير بالذكر إن أول خطاب ناسف في التاريخ كان قد أرسله

---

٢٧ العقيد مصطفى حافظ من مواليد قرية كفر أبو النجا بمدينة طنطا بتاريخ ١٩٢٠/١٢/٢٥م، انتقلت أسرته للعيش في مدينة الإسكندرية التي يحمل أحد ميادينها اسمه، أنهى تعليمه الابتدائي عام ١٩٣٤م، ثم التحق بمدرسة فؤاد الثانوية بالقاهرة (المدرسة الحسينية حالياً) وحصل على الثانوية عام ١٩٣٨م ثم التحق بالكلية الحربية وتخرج منها عام ١٩٤٠ برتبة ملازم، والتحق بسلاح الفرسان، وفي عام ١٩٤٥م رقي إلى رتبة بكباشي، كانت مهمة مصطفى حافظ هي إدارة عمليات التجسس داخل إسرائيل والاستخبارات المضادة داخل قطاع غزة، وأصبح مسؤولا عن كتيبة الفدائيين الفلسطينيين عام ١٩٥٥م والتي نفذت اجرأ العمليات داخل الأرض المحتلة، وفي مساء يوم ١٩٥٦/٧/١١م كان العقيد مصطفى حافظ جالسا في حديقة مقر عمله في غزة عندما وصل أحد العملاء من فلسطين، فذهب العقيد مصطفى حافظ وزميله الرائد عمرو الهويدي لمقابلته واسمه «محمد الطلالقة» الذي سلمه كتاب مغلف بورق بني اللون مرسل إلى مفتش شرطة غزة «لطفي العكاوي» وادعى أن الإسرائيليين سلموه الكتاب للعكاوي كون الكتاب يحوي رسالة سرية موجهة من الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية إلى العكاوي، وعندما فتح العقيد مصطفى الكتاب انفجرت الشحنة الناسفة فأصيب العقيد مصطفى بإصابات بالغة توفي على أثرها بعد ساعات، كما أصيب الرائد عمرو الهويدي بجروح بالغة أيضا. (انظر:إيان بلاك وبيتي موريس: حروب إسرائيل السرية، ترجمة عمار جولاق وعبد الرحيم الفرا، الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٩٢م ص١٣٢).

٢٨ المقدم صلاح مصطفى- هو الملحق العسكري في السفارة المصرية في العاصمة الأردنية عمان سنة ١٩٥٥م، وكان ينسق الجهود مع الفدائيين في الجانب السوري، وساعد على دفع الثورة المصرية لمزيد من الاهتمام بنشاط الفدائيين وقد اغتاله الموساد الإسرائيلي بطرد ناسف، وكان سائقه قد أحضر الطرد من مكتبٍ بريد عمان في اليوم الثاني لمقتل العقيد مصطفى حافظ (أي يوم ١٩٥٦/٧/١٢م وسلمه للمقدم صلاح وكان يحوي كتاباً يحكي السيرة الذاتية للمارشال الألماني فون رند ستيت وفور أن فتح المقدم صلاح الطرد انفجر في وجهه حيث توفي بعد ساعات. أنظر: إيان بلاك وبيتي موريس: حروب إسرائيل السرية، ترجمة، ص١٣٣-١٣٤.

المهندس السويدي «مارتن اكنبرنج» عام ١٩١٠م إلى رجل أعمال سويدي، وكان اكنبرنج آنذاك يعيش في لندن حيث ألقي القبض عليه من قبل جهاز اسكوتلاند يارد حين كان عائداً إلى منزله في كلابهام، وأدلى باعترافات قبل أن يشنق نفسه في سجن بريكسنون. ولم يستخدم هذا الأسلوب إلا حين لجأت إليه العصابة الصهيونية «شتيرن» ضد الضباط البريطانيين عام ١٩٤٨م ثم استخدمته المخابرات الإسرائيلية في المراحل التي ذكرتها سابقاً.

إن لجوء «الموساد» الإسرائيلي إلى الطرود الناسفة والى عمليات الاغتيالات ضد القادة والمسؤولين الفلسطينيين كان بمساعدة من أجهزة إستخبارات غربية وعلى وجه الخصوص المخابرات الفرنسية والبريطانية والألمانية والإسبانية، وكذلك المخابرات الأمريكية وجاء هذا التعاون الاستخباري الغربي مع الموساد الإسرائيليتحت ادعاء بأن المخابرات السوفييتية كانت تقدم الدعم والمساندة للمنظمات الفلسطينية التي كانت تنفذ العمليات الخارجية ضد أهداف إسرائيلية ونفطية غربية(٢٩).

ولجأ جهاز الموساد إلى الادعاء أنه على الرغم من أن منظمة «أيلول الأسود» تديرها سرا حركة «فتح» فإن المخابرات السوفييتية هي التي توجهها وتساعدها. وأنه لم تخلُ مدينة كبيرة في أوروبا كلها من خلايا المنظمات الفدائية، بل إن بعض المدن مثل روما كانت تستخدم كمستودعات للإمدادات، وغيرها مثل باريس وزيوريخ كانتا تستخدم كمراكز لجمع المعلومات، أما لندن وأمستردام فقد كانتا مراكز لتجنيد عناصر لصالح المنظمات الفلسطينية، وكانت شبكة الاتصالات الخاصة بأيلول الأسود مرتبطة بشبكة المخابرات الروسية، وأنه عند الضرورة يمكن لرجال أيلول الأسود استخدام شبكة المخابرات الروسية، وقد كانت خلية المخابرات الروسية التي تتحكم في الاتصالات مع أيلول الأسود موجودة في «قبرص». وعززوا ادعاءاتهم بترويج أن محمد بوضيا كان أحد أبرز عملاء المخابرات السوفييتية «كي.جي.بي» وأنه كان يقف وراء كل عمليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الخارج، وإن «كارلوس» كان يعمل تحت أمرته قبل أن ينضم إلى العمل مع الدكتور وديع حداد في العمليات الخارجية(٣٠).

ولكن كان لدينا في المقابل دوافع قوية للتمييز بين وسائلنا وأهدافنا الكفاحية ضد مصالح

٢٩ كانت كل الدول الأوروبية وأمريكا بالتحديد حينذاك تمد أجهزة المخابرات الإسرائيلية بكل ما تحتاجه من معلومات أو مساعدات سواء مادية أو تقنية أو إستخبارية. في المقابل فإن الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية لم تقدم لنا أية مساعدة تذكر في هذا الشأن.

٣٠ ريتشارد ديكون، الموساد جهاز الموت اليهودي الدامي، ص٣٣٩.



إسرائيل والأهداف النفطية الغربية، لذا كنا شديدي الحرص على عدم الاندفاع وراء حماس بعض المنظمات الفلسطينية لخوض «حرب بالنيابة» عن الإتحاد السوفييتي مع إسرائيل والغرب، ولم نكن نسمح بالانخراط في عمليات يمكن تصنيفها فعلا بأنها إرهابية، وتلحق الضرر بالأبرياء من المدنيين الذين لا علاقة لهم بالصراع الدائر في منطقة الشرق الأوسط، كان لدينا اعتقاد راسخ للتفريق بين «القاتل والمقاتل» فالمقاتل يدافع عن قضية عادلة لاسترداد الحقوق الوطنية المشروعة لشعبه، في حين أن «القاتل» هو عميل مجند من قبل أجهزة المخابرات للتفجير أو الاغتيال، كما أن المقاتل قد يقتل خلال المعارك العشرات، لكنه لا يجرؤ على تنفيذ حكم القتل في شخص معين، بينما القاتل لديه الاستعداد لذلك.

حروب غولدا مائير السرية:

قامت مجموعة فدائية تابعة لحركة فتح يومي ٥-٦ / ٩ / ١٩٧٢م باحتجاز الوفد الإسرائيلي المشارك في دورة الألعاب الأولمبية العشرين المعقودة في مدينة ميونخ بألمانيا، وطالبت المجموعة بإطلاق سراح (٢٣٦) معتقلا فلسطينيا من السجون الإسرائيلية من بينهم الياباني كوزو اوكاموتو بالإضافة إلى الألمانيين أولريكه ماينهوف وادرياس بادر.

وبناءً على مفاوضات الحكومة الألمانية مع المجموعة فقد تم الاتفاق على نقل المجموعة والمحتجزين على متن مروحيات إلى مطار «فود سنفيلد بروك» العسكري على بعد (٢٥كم) من مدينة ميونخ ليستقلوا الطائرة من هناك متوجهين إلى مصر حسب طلب المجموعة، إلا أن رجال الأمن الألمان نصبوا كمينا في المطار وحولوا العملية الفدائية إلى مجزرة، فما أن هبطت المروحيات حتى استهدفتها النيران الألمانية حيث قتل جميع الرهائن وخمسة من الفدائيين الثمانية إضافة إلى شرطي ألماني وقائد مروحية، وقد اعترف «د. برونو ميرك» وزير داخلية مقاطعة بافاريا بما حدث، إلا أن رئيسة وزراء إسرائيل غولدا مائير اتهمت علي حسن سلامة (أبو حسن) بالتخطيط لهذه العملية في حين لم يكن له أي علاقة من قريب أو بعيد بالعملية.

بعد عملية ميونيخ طلبت رئيسة الحكومة الإسرائيلية في ذلك الوقت غولدا مائير(٣١)تشكيل فريق اغتيال لقادة المقاومة الفلسطينية. وقامت باستحداث منصب جديد هو منصب مستشار رئيس الوزراء لشؤون للمهام الخاصة، وكان (اهارون ياريف) أول من تولى هذا المنصب وأوكلت إليه صلاحيات مطلقة للاستفادة من الأجهزة الأمنية الإسرائيلية المختلفة والتنسيق بينها لتوجيه ضربات موجعة إلى المقاومة الفلسطينية من خلال الاغتيالات والعمليات الخاصة ضد المكاتب والقادة والمقرات والأفراد المؤثرين، وتم في البداية تشكيل فرقة خاصة أطلق عليها اسم «فرقة التصفية» ضمت ١٥ عنصراً وزعوا على خمس مجموعات، تتكون كل مجموعة من شخصين أو أكثر لكل منها عمله المحدد، فبعضها لتغطية الانسحاب والأخرى للمراقبة، والثالثة للمهاجمة والرابعة للاتصالات، وقد كلفت هذه الفرق بملاحقة كوادر وقادة منظمة التحرير في الدول الأوروبية، ولإدارة عمل هذه الفرق والتنسيق بين أنشطتها وأنشطة الأجهزة الأخرى(٣٢).

وفي هذا السياق يقول الضابط «أفنير» (أحد عناصر وحدة الاغتيالات التي شكلتها غولدا مائير): استدعيت لمقر الموساد وحين وصل تقدم سائق سيارة رئيس الموساد تسفي زامير، وفتح له باب السيارة وأجلسه بالخلف حيث كان يجلس رئيس الموساد، وانطلقت بهم السيارة إلى القدس. وفوجئت أنني أمام منزل رئيسة الوزراء غولدا مائير، وكان في استقبالنا ضابط تشريفات حيث فتح لهم باب الشقة ودخل وفوجئ بوجود الجنرال أرئيل شارون يجلس في المنزل(٣٣).. وبعد دقائق جاءت إليهم غولدا مائير وبعد أن سلمت عليهم، سألتهم إذا كانوا يريدون شرب أي شيء، أو أكل بعض الفواكه. وبعد أن أوحت بالمهمة التي سوف أقوم بها، بدأ تفكيري هل ستكون مهمة شبيهة بمهمة ايلي كوهين، هل سيعني ذلك أنني سأعمل في الظلام

---

٣١ غولدا مائير: هي أخطر امرأة في تاريخ الكيان الصهيوني بلا منازع، وواحدة من أكثر رموزه تطرفاً ومن أشهر أقوالها» كل صباح أتمنى أن أصحو ولا أجد طفلاً فلسطينياً واحداً على قيد الحياة « !!، زعيمة حزب العمل الإسرائيلي، ورئيسة الحكومة في الفترة من ١٩٦٩ – ١٩٧٤م، بعد موت رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي أشكول في فبراير ١٩٦٩م، تعرّضت الحكومة الائتلافية التي ترأّستها لنّزاعات داخلية وأثارت الجدل والتساؤلات في مقدرة حكومتها على القيادة خاصّة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وتعرّضت غولدا مائير لضغوط داخلية أجبرتها على تقديم استقالتها ليخلفها في رئاسة الوزراء إسحاق رابين، ماتت غولدا مائير في٨-١٢-١٩٧٨م ودفنت في مدينة القدس.

٣٢ كان ٨٠٪ ممن تكلفهم الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بعمليات إغتيال أو تفجير من المرتزقة الذين يتبعون شركات أمنية لأن إسرائيل كانت تحرص أنه في حال فشل أي عملية أو إلقاء القبض على القتلة ألا تحرج أمام المجتمع الدولي كون المرتزقة يحملون جوازات سفر غير إسرائيلية.

٣٣ جورج جوناس، الانتقام، ص٦٩.



وانتحل شخصية أخرى..؟ وعندما ودعتنا غولدا مائير قالت: تذكر هذا اليوم، إن ما تفعله سيغير التاريخ اليهودي.. تذكر لأنك جزء منه.

كان وجود غولدا مائير في الاجتماع له علاقة بالسياسة الداخلية للموساد، فبحلول خريف عام ١٩٧٢ أصبح الجنرال تسفي زامير في موضع مخزي لعجزه عن منع الهجمات مثلما حدث في اللد وميونيخ، ولذلك جاء تعين الجنرال اهارون ياريف أخصائي المخابرات العسكرية كمساعد خاص للجنرال زامير للشؤون الإرهابية، وقيل أن ياريف كان مفضلاً بصورة شخصية لدى غولدا مائير، وربما كان وجود غولدا مائير في الاجتماع لرغبة الجنرال زامير في توريط رئيسة الوزراء أو ليظهر لها الجهود التي يبذلها بصفته رئيسا للموساد لمواجهة الإرهاب، الذي يعتبر من أهم التهديدات المسلحة التي أصبحت تهدد الروح المعنوية للإسرائيليين.

بعد يوم من مقابلة (أفنير) لغولدا مائير ذهب لمقابلة تسفي زامير في تل أبيب، وذلك بحضور شخص في الخمسينيات من العمر يدعى "ميموفي" طلب من أفنير أن يناديه باسم "أفرييم" ، وقال سأكون الضابط المختص بشؤونك، اصغ إلي إننا جميعا نتحسس طريقنا في هذا المجال. سأل أفنير لماذا وقع إختياركم عليّ..؟ فسأل افرييم: "لماذا، ما هو الشيء غير المناسب فيك». وأجاب أفنير: "ليس ثمة شيء غير ملائم بالنسبة لي، إنني أعرف أوروبا، كما أنني منظم ممتاز، إنني أعتقد أنه بإمكاني أن أتم ما أبدأه من عمل، ولكن لماذا أنا.؟ إنني لم أقم بمثل هذا النوع من قبل». ومال افرييم إلى الأمام وأصبح صوته أكثر رقة: "من الذي قام بمثل هذا النوع من العمل.؟ لا تسيء فهمي، ولكن من كان ينبغي علينا اختياره؟ كل ما عندنا من فتيان هم مثلك، شبان، مدربون، في حالة طيبة، لهم سجل ممتاز ويتحدثون لغات.. إذا كنت تريد أن تعرف، فإن الأمر ليس سرا كبيرا ربما لم يقم أحد باختيارك ربما يكون الكمبيوتر هو الذي فعل ذلك، إننا نضع بعض الأسئلة، فيعطينا هو بعض الأسماء. وفي اجتماع آخر بين افرييم وفريق العمل قام بتعريفهم على من سيقوم بالمهمات الخاصة قائلاً: أريد أن اقدم لكم افنير.. يا أفنير.. هذا هو كارل.. وهنا روبرت.. وهانز.. وبطبيعة الحال ستيف(٣٤).

---

٣٤ جورج جوناس، الانتقام، ص٨٢.

حرب الاغتيالات:

في الذكرى الحادية والعشرين لقيام مجموعة أيلول الأسود، باحتجاز البعثة الرياضية الإسرائيلية في دورة الألعاب الأولمبية في ميونخ الألمانية عام ١٩٧٢م، أدلى أهرون ياريف مدير مركز الأبحاث الإستراتيجية في جامعة تل أبيب، والذي شغل منصب رئيس الاستخبارات العسكرية في تلك الفترة بحديث لشبكة التلفزيون البريطانية (بي.بي.سي) في أيلول ١٩٩٣م روى فيه قصة الإغتيالات التي نفّذتها إسرائيل وطالت عدداً من القادة الفلسطينيين في عواصم عالمية، قال ياريف: «كان هدفنا توصيل رسالة للفلسطينيين ولغيرهم، بأن من يقتل إسرائيلياً سيظل مطارداً حتى في فراشه». وجاء ياريف بعد سنوات من الصمت ليبرر تلك الموجة الطويلة من الاغتيالات التي استمرت سنوات، بحادث مقتل الرياضيين في ميونخ، وهو أمر من الصعب إخضاعه لأي منطق، إلا أن سياسة الاغتيالات هي استراتيجية ثابتة لدى قادة إسرائيل يمارسونها، في كل الظروف وكل الأوقات، وبدون حاجة لأي مبرر. ورغم أن الجميع كان يدرك مسؤولية إسرائيل عن الإغتيالات، إلا أن اعترافات ياريف، أثارت ضجة كبيرة حتى في إسرائيل.

والقصة، كما رواها رئيس الإستخبارات الأسبق، هي أن غولدا مائير رئيسة الوزراء، شكّلت فرقة إغتيالات، بعد عملية ميونخ، وبدأت الفرقة عملها بإشراف رئيس الموساد وقتذاك تسفي زامير، وكان على رأس الفرقة مايك هراري (المرتزق الصهيوني الذي كان مقرباً من رئيس بنما السابق الآن نورييغا المعتقل في أمريكا). وحسب ياريف فإن الذين تم اغتيالهم بحجة ميونخ، يتضح بأن العديد منهم لم يكن له علاقة بالعمل العسكري بشكلٍ عام، وبميونخ على وجه الخصوص، وربما لم يحمل بعضهم مسدساً في حياته، وهو ما كانت تفسره المصادر الفلسطينية، بأن عجز الموساد وفشله، في أحيان كثيرة، ولأسباب مختلفة عن الوصول للعسكريين، كان يعوّض باغتيال الدبلوماسيين والكتاب(٣٥).

ولقد شهدت تلك الفترة قيام المخابرات الإسرائيلية بتنفيذ العديد من عمليات الاغتيال بحق القادة الفلسطينيين منهم غسان كنفاني (بيروت ٨-٧-١٩٧٢)، وائل زعيتر (روما ١٦-١٠-

---

٣٥ المركز الفلسطيني للإعلام ٢٠١٢/٩/٢٥.

١٩٧٢)، محمود الهمشري (باريس ٨-١٢-١٩٧٢)، حسين البشير (قبرص ٢٤ / ١ / ١٩٧٣)، باسل الكبيسي (باريس ٦-٤-١٩٧٣)، محمد بوضيا (باريس ٢٨ / ٦ / ١٩٧٣)، محاولة إغتيال أنيس صايغ (١٩-٧-١٩٧٢) ومحاولة اغتيال بسام أبو شريف (٢٥-٧-١٩٧٢). وهنا يهمني التأكيد بأن تناول السيرة الذاتية لبعض هؤلاء الشهداء من حركة فتح لا يعني تجاهل كل الشهداء سواء من فتح أو بقية الفصائل الفلسطينية لأن ذكرهم جميعا يحتاج إلى كتاب آخر نأمل بإذن الله أن نتمكن من إصداره، لكن الهدف هو إعطاء فكرة واضحة عن طبيعة الصراع مع أجهزة الأمن الإسرائيلية.

اغتيال وائل زعيتر ١٦-١٠-١٩٧٢:


وائل زعيتر

كان وائل زعيتر أول من استهدفته فرقة الاغتيال التي شكلتها غولدا مائير.

كان الشهيد وائل زعيتر(٣٦) يحمل على كتفيه هموم القضية الفلسطينية، ويشرح مأساة شعبه وتاريخه وثقافته للإيطاليين وللأوروبيين، خاصة أصدقائه من كبار الفنانين والأدباء والمفكرين مثل الروائي ألبرتو مورافيا والكاتب المسرحي الفرنسي جان جينيه والمؤرخ مكسيم رودنسون والموسيقي برونو كاليي.

أسس مع أصدقائه من قوى إيطالية مختلفة لجنة للتضامن مع القضية الفلسطينية، وربطته علاقات وثيقة مع الحزبين الاشتراكي والشيوعي.

اقترب زعيتر من بوابة منزله الذي يسكن فيه حوالي الساعة ١٠،٣٠ من مساء يوم ١٦-١٠-

---

٣٦ ولد وائل زعيتر في نابلس سنة ١٩٣٤م، والده عادل زعيتر شيخ المترجمين العرب وشقيقته نائلة محاضرة في جامعة النجاح الوطنية وتحمل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، عمه أكرم زعيتر أديب وسياسي. في العام ٢٠١١ كشف الصحفي الفلسطيني عدنان حطاب عن وجود أكثر من ١٥ رسالة وبطاقة بريدية بخط يد الشهيد إلى صديقه وملهمه الذي يكبره سنا وهو أمين الرياحي وتعكس الرسائل ما تحلى به الشهيد من طيبة وكرم وتواضع وإخلاص لصديقه وحبه لوطنه ورغبته العارمة في الاطلاع على الثقافة والفلسفة الغربية وحبه للموسيقى والشعر والأدب وتاريخ هذه الرسائل في الفترة ما بين ١٩٥٧- وحتى اغتياله في روما عام ١٩٧٢ وتغطي فترة وجود الشهيد وعمله في دولة الكويت بوزارة الأشغال ثم انتقاله لعمان وبيروت ثم روما.

١٩٧٢م مرتدياً بلوز رمادي اللون وسترة شتوية سوداء تحتها قميص مزركش الألوان وبيده حقيبة حوائج بداخلها شطائر طعام وإحدى الصحف.

كانت مجموعة الاغتيال بقيادة الضابط مايك هراري قد اتخذت مواقعها على جاهزية التنفيذ كل بموقع مناسب لتنفيذ العملية. وحدة المراقبة أبلغت عناصر الموساد أن منطقة الهدف خالية من العوائق وأن زعيتر اقترب من مكان إقامته بالسكن وحيداً. سيارة إنقاذ عناصر الموساد من نوع فيات ١٢٥ استؤجرت سابقاً قبل موعد التنفيذ بمساعدة أحد عناصر وحدة قيساريا الذي انتحل شخصية سائح كندي تواجد على مسافة غير بعيدا بجوار ركن الشارع وعلى زاوية ٩٠ من مكان الهدف المقصود تصفيته.

كانت وحدة الاغتيال بانتظاره حول درجات البناية المعتمة انتظروه حتى دخل بداية العمارة حيث استبقه أحدهم وأطلق عليه (١٢) رصاصة من مسدسات من نوعية بريتا مزودين بكواتم الصوت حيث أصيب بصدره ورأسه سقط على الأرض فاقداً حياته على الفور. تراجع منفذو عملية الاغتيال بخطوات سريعة إلى خارج البناية، وعلى مسافة غير بعيدة أشار قائد العملية مايك هراري إلى باقي أفراد المجموعة بالتوجه نحو سيارة لنقلهم بعيداً عن المكان. وبعد دقائق قليلة تم إبلاغ تسفي زامير رئيس الموساد، والذي كان قد وصل إيطاليا للإشراف شخصياً على العملية، بنجاحهم في تنفيذ المهمة.

وبعد إتمام العملية قام فريق الاغتيال بجمع وثائقهم ومعداتهم وخلال أربع ساعات غادروا إيطاليا. وفي صباح اليوم التالي وخلال جلسة الكنيست تحدثت رئيسة حكومة إسرائيل عن أول عملية إنتقامية بعد ميونيخ وبدأت حديثها بمفردات ومصطلحات عامة حول مكافحة الإرهاب وهذه طرق مكافحة من صفاتها غير محددة الوسائل الدفاعية، وأكدت ضرورة الاستقصاء والتحري عن القتلة الجناة وتحديد أماكنهم وقواعدهم وتحديد نواياهم وخططهم القادمة.

وفي المقابل فإن تحقيقات الأجهزة الأمنية الإيطالية لم تكن جدية واكتفت بما قام به عناصر الشرطة من إجراءات روتينية وإعلانهم أنهم وصلوا إلى طريق غامض ولم يتم التعرف على هوية الجناة وصرح كبير المحققين للصحف أن حادث القتل سببه دوافع سياسية على أيدي مجموعة يهودية. وهذا ما يجعلنا نؤكد صحة الاتهامات الموجهة لبعض الدول الأوروبية بالمشاركة ومساعدة المخابرات الإسرائيلية في تنفيذ العديد من عمليات الاغتيال التي نفذت على أراضيها.

اغتيال الدكتور محمود الهمشري(٣٧):


محمود الهمشري

كان القلق والتوتر يصيب الإسرائيليين إذا استطاع أي فلسطيني مخاطبة العقل الأوروبي والأمريكي، ويتفاعل مع القوى السياسية والأحزاب والمنظمات في هذه البلدان، وكأن الإسرائيليين يريدون بناء جدار فاصل بين الفلسطينيين وبقية العالم حتى لا تتكشف حقائق هذا الكيان العنصري، ووجود شعب هو صاحب الحق في هذه الأرض منذ بداية التاريخ، وأن العصابات الصهيونية استولت على فلسطين بالإرهاب، واستطاع العديد من الفلسطينيين أن يجتازوا أسوار الحصار الإسرائيلي والوصول إلى بعض المجتمعات اليهودية في أوروبا، وأبدع البعض في بناء شبكة علاقات مع السياسيين الأوروبيين، ومع العديد من الأحزاب والجمعيات ومن هؤلاء القادة الطليعيين الدكتور المناضل محمود الهمشري.

كان عناصر جهاز الموساد الإسرائيلي يراقبون نشاط محمود الهمشري يوماً بيوم، وقد أغاظهم هذا النشاط لأن تأثيره كان أكثر من القنابل، وقد أدى هذا النشاط إلى زيادة التعاطف والاهتمام بالقضية الفلسطينية ووضع اسمه على لائحة الإغتيالات. وكان الموساد حينها قد عجز عن توجيه ضربات إنتقامية لمخططي العلميات الخارجية ضد أهداف إسرائيلية فقرر تصفيه سياسيين وناشطين فلسطينيين وكان الهمشري من هذه الشخصيات.

---

٣٧ الدكتور محمود الهمشري التحق بحركة «فتح» قبل الإعلان عن انطلاقتها في ١٩٦٥/١/١، وهو من مواليد قرية «أم خالد» بقضاء طولكرم عام ١٩٣٨، وفي هذه القرية تلقى تعليمه الابتدائي، ثم انتقل وعائلته إلى طولكرم حيث أكمل تعليمه الثانوي هناك.. ذهب إلى الكويت حيث عمل في سلك التعليم وانتقل إلى الجزائر وعمل في نفس المجال، إلى جانب خليل الوزير (أبو جهاد) وشارك في أول دورة تدريبية عسكرية لكوادر فتح بالجزائر (١٩٦٤)، وكان من أوائل الذين عادوا إلى أرض الوطن بعد هزيمة عام ١٩٦٧ وشارك في العديد من العمليات الفدائية، كان يشكل طاقة عالية في القدرة على التنظيم، وثم اختياره من قبل القيادة للدراسة في الجزائر، وأصبح رئيسا لاتحاد الطلبة الفلسطينية هناك، وخلال فترتي وجوده في الجزائر الأولى والثانية أتقن اللغة الفرنسية، والتحق بجامعة السوربون في باريس، وهناك نسج شبكة علاقات واسعة مع العديد من المنظمات السياسية الفرنسية، وفي أواخر عام ١٩٦٩ عين محمود الهمشري معتمدا لحركة فتح وممثلا لمنظمة التحرير الفلسطينية في فرنسا، حيث اتسع نشاطه ليمتد إلى بعض الدول الأوروبية الأخرى، وحظي أبو داوود بتكريم بعض الجهات، فمنح جائزة (فلسطين– محمود الهمشري) تكريما له بعد نشر كتابه، وأنشأت الجائزة جمعية التضامن العربية، الفرنسية ومجلة فرنسا– البلاد العربية، بعد اغتيال الهمشري.

فريق الاغتيال(٣٨):

كارل.. قام بدور الصحفي الإيطالي حينما أخذ موعداً من د. محمود الهمشري وحين التقاه أظهر عدم معرفته معرفة جيدة بالقضية الفلسطينية لأنه كان يأمل أن يكون له موعد آخر مع د. الهمشري، وتحجج أنه سوف يدرس الأوراق والمقالات التي أحضرها لتحديد موعد لقاء الصحيفة. وهذا كل ما كان يريده الموساد وفعلا كان مهاتفته للمرة الثانية هي التي حددت وجود د. الهمشري وتم تفجيره بعد التأكد أن المتحدث الدكتور الهمشري.

روبرت وهانز.. انتحلا شخصية عمال صيانة الهواتف، ساعدهم أحد أعوانهم ويدعى لويس في إحضار ملابس هيئة إصلاح الهواتف حيث ارتديا "الزي" واستطاعوا دخول الشقة وتركيب القنبلة.

ستيف.. كانت مهمته المراقبة والاتصال بين المجموعة وقائدها أفنير.

أفنير قائد المجموعة كان يشرف على العملية.. وهذا الذي أعطى الأمر ساعة التنفيذ.

تفاصيل الاغتيال:

كان محمود الهمشري، باعتباره ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس، له اتصالات عديدة بالصحافة، ولم يكن بالأمر غير العادي، خلال الأسبوع الأول من شهر ١٢ / ١٩٧٢م، أن يتلقى مكالمة هاتفية في شقته الكائنة برقم ١٧٥ شارع دي اليزيا في الحي رقم ١٤ بباريس، من أحد الصحفيين الإيطاليين يطلب فيها إجراء مقابلة معه، أما الأمر الذي ربما يكون قد أدهشه، عند لقائه بالصحفي في إحدى المقاهي الصغيرة المجاورة في اليوم التالي للمكالمة هو أنه قد بدا بشكل لافت للنظر أنه ليس على علم بالشؤون الفلسطينية، فقد ظل الصحفي يجادله مستخدما غليونه، واقترح في النهاية على الهمشري أنه قد يكون مستعداً بشكل أفضل لإجراء حوار آخر معه، واتفقا على أن يتصل مجددا خلال يوم أو اثنين.

شعر كارل أن أداءه لدور الصحفي الإيطالي لم يكن قد جانبه الخطأ، فقد كان على الأقل طيباً بدرجة تكفي لعدم إثارة شكوك الهمشري، وقد استكشف أفنير وستيف في نفس الأثناء وبشكل مدقق تماما ذلك الحي الصاخب والمزدحم من مختلف الجنسيات، والذي يدعو في نفس الوقت إلى الاحترام حيث كان يعيش الهمشري.

---

٣٨ جورج جوناس، الانتقام، ص١٤٤-ص١٥٧.



كانت الخطة تعتمد على وضع قنبلة في قاعدة هاتف الهمشري، وحينما يرفع سماعة الهاتف، في تلك اللحظة تماماً يتم إرسال إشارة عن طريق الراديو لأحداث عملية التفجير. ومن الجدير بالذكر فإن تلك القنبلة جرى تهريبها من بلجيكا إلى فرنسا في ٦ / ١٢ / ١٩٧٢م، مصنوعة من متفجرات بلاستيكية شديدة الانفجار.

كانت الخطة تقضي بالانتظار في الصباح إلى أن تكون "نانيتي" زوجة الهمشري قد خرجت مع ابنتها أمينه، وتكون قد اصطحبت الهمشري في عربتها طراز رينو. وفي التاسعة صباحا كان على روبرت وهانز، وهما في هيئة من عمال صيانة الهواتف(٣٩)،الدخول إلى الشقة وتركيب القنبلة داخل الهاتف خلال فترة من ٢٠ – ٣٠ دقيقة، وخلال تلك الفترة سيتواجد أفنير وستيف وكارل خارج المبنى للقيام بمهمة تحذير روبرت وهانز إذا ما عاد أي من أفراد أسر الهمشري، وتحسبا لموقف كهذا وفر لويس زوجان فرنسيان شابان تكون مهمتهما الوحيدة هي الدخول مع مدام الهمشري في مناقشة إلى أن يمكن لأفنير أو ستيف الاتصال بالاثنين الآخرين لإخراجهما من الشقة.

أخذوا مواقعهم عبر الشارع من ناحية المبنى الذي توجد به شقة الهمشري في يوم الجمعة ٨ / ١٢ / ١٩٧٢م قبل الثامنة صباحاً بقليل، انتظر روبرت وافنير وكارل في العربة على مسافة ٢٠٠ ياردة تقريبا من المبنى، بينما كان ستيف وهانز على مسافة أقرب قليلاً من المدخل الرئيس للمبنى في إحدى العربات، حيث كانوا يقومون بمهمة الحراس، وكان عملهم أيضا هو التأكد من أن مدام الهمشري أو الطفلة لم تعد إلى الشقة.

وفي الثامنة والنصف تقريباً ظهرت زوجة الهمشري وبنت صغيرة خارج المبنى، كانتا تقصدان موقف الأتوبيس الذي لا يبعد كثيرا عن المبنى، وكان من المهم التحرك بسرعة حيث كان من الممكن أن تتصل بالهمشري تليفونياً في أي دقيقة.

وقام كارل بالتوجه إلى أحد الهواتف العامة في أحد المطاعم الصغيرة على بعد خمسين ياردة تقريبا، لإجراء اتصال هاتفي مع الهمشري حيث أنه ووفق الخطة الموضوعة فإن المجموعة الأخرى كانت تنظر في السيارة وتحمل معها جهاز التفجير عن بعد الذي سيتم من خلاله تفجير العبوة المزروعة في هاتف الهمشري وذلك عند التأكد أن الهمشري هو الذي رد بالفعل على

---

٣٩ يوجد في أوروبا شركات من خلال مندوبين يكونوا حاصلين على ترخيص بحصولهم على مفتاح (ماستر كي) لفتح أي باب حيث يفقد أصحاب الشقق مفاتيح شققهم فيستعينوا بهؤلاء الأشخاص لفتح باب الشقة مقابل أجر، وسهل جداً أن تحصل الموساد على مثل هذه المفاتيح مما يسهل عليها دخول أي شقة.

الهاتف وهنا كان الاتفاق على تواجد أفراد المجموعة في أماكن قريبة يمكن مشاهدة بعضهم البعض لملاحظة الإشارات المتفق عليها.

وعند تأكد كارل أن الهمشري هو الذي أجاب على المكالمة الهاتفية أعطى إشارته المتفق عليها، وكانت أن يقوم برفع يده ويضعها على مقدمة رأسه ثم يحرك أصابعه قليلا، للمجموعة الأخرى المتواجدة في السيارة والمكونة من أفنير وروبرت وعندها قاما بتفجير العبوة من خلال جهاز التحكم الذي كان بحوزتهم في داخل السيارة. وانفجرت العبوة وأصيب الهمشري إصابة جسيمة ونقل إلى مستشفى كوشي بشارع فيورسان جاك حيث فارق الحياة على بعد وصوله إلى المشفى بقليل.

قضى فريق الاغتيال ليلتين أخريين في منازلهم الآمنة في باريس، وأعادوا العربة المقفلة والسيارة، وكذلك بعض البنادق اليدوية إلى لويس، وسددوا فواتير حساباتهم التي بلغت قرابة مائتي ألف دولار، ثم عادوا إلى فرانكفورت في ١٠ / ١٢، كل منهم في رحلة طيران مختلفة عن الآخر، مستخدما جواز سفر يختلف عن ذلك الذي استخدمه عند الدخول إلى باريس، كان ذلك يوم أحد، وبدأ رجال الشرطة يحتشدون في كل مطارات باريس، إلا لم يعترضهم أنه أحد.

الرد الفلسطيني لم يتأخر:

على بعد أميال من مدينة تل أبيب، وفي مكان لا يبعد عن الخط السريع الموازي لساحل البحر، تنتصب سلسلة من البنايات الإسمنتية ذات اللون الأبيض المائل إلى الرمادي، وهي بنايات عالية تؤدي إليها طريق محاطة بالأشجار، وعند الوصول إلى تقاطع «غليلوت» يبدو منظر الجنود الإسرائيليين الذين ينتظرون الحافلات مثيرا للاهتمام، ومن خلال الانعطاف إلى اليسار يبدو نصب تذكاري تم بناؤه عام ١٩٨٤م وهو يؤرخ لحوالي (٤١٥) إسرائيليا سقطوا قتلى وهم يؤدون مهمات إستخبارية لصالح إسرائيل.

تم بناء ذلك النصب التذكاري بجدران حجرية متقاطعة منقوش عليها أسماء أولئك القتلى وتواريخ وفاتهم فقط دون أي إشارة إلى رتبة القتيل أو الوحدة الإستخبارية التي خدم بها أو مكان موته، أو الإشارة إلى الملابسات المحيطة بعملية قتله.

قام أحد عناصر القوة ١٧ بزيارة لذلك النصب التذكاري، ثم عاد من تل أبيب ليقدم لي صورا ملتقطة لجميع الأسماء المنقوشة على النصب، فتبين أن (٢٦١) هم من عناصر الإستخبارات



العسكرية (أمان) وأن (٨٠ عنصراً) هم من عناصر الشين بيت و (٦٥ عنصراً) من عناصر الموساد، أما البقية فلم نعرف مكان خدمتهم.

وظاهرة بناء النصب التذكارية لمختلف الوحدات العسكرية في إسرائيل منتشرة، سواء للقتلى من المظليين أو سلاح الجو، أو سلاح الدروع، إلا أن النصب التذكاري لقتلى أجهزة المخابرات الإسرائيلية يظل فريداً من نوعه ويتميز بغرابة من نوع ما، ذلك أن معظم دول العالم تخلو من مثيل له، لكن بناؤه في إسرائيل هو اعتراف صريح بقدرة أجهزة الأمن الفلسطينية على الوصول لهؤلاء رغم كل ما يشاع من أساطير كاذبة عن أجهزة المخابرات الإسرائيلية.

فبينما ادعت إسرائيل نجاحها بتنفيذ العديد من عمليات الاغتيال التي طالت بعض القادة الفلسطينيين في أوروبا إلا أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية استطاعت الرد على جهاز الموساد بصورة أكثر فعالية حيث قامت بتنفيذ العديد من عمليات الاغتيال التي استهدفت عددا من العملاء وضباط الموساد خلال الفترة ما بين ١٩٧٢ –١٩٧٣م في أوروبا فقط ونذكر عددا من تلك العمليات على سبيل المثال:

تسادوك عوفير (مسؤول محطة الموساد في بروكسل) يعمل تحت غطاء أنه السكرتير الأول بالسفارة الإسرائيلية في بروكسل ١١ / ٩ / ١٩٧٢م.

الصحفي السوري خضر قنوع من أهم عملاء الموساد في فرنسا في ١٣ / ١١ / ١٩٧٢.

باروخ كوهين (مسؤول محطة الموساد في مدريد ٢٦–٣–١٩٧٣)

عامي تساحوري من ضباط جهاز الموساد في أمستردام في ١٠–٩–١٩٧٣م.

المدعو هاني خوني الذي كان يقوم بجمع معلومات عن محمد بوضيا في فرنسا.

تصفية العميل مبدي و ٤ عملاء في ألمانيا.

تصفية الدكتور امي شاسوري بعد أيام قليلة من عملية ميونيخ وهو أحد الدبلوماسيين الإسرائيليين (ملحق زراعي) بعد تلقيه رسالة ناسفة من جماعة أيلول الأسود.

تم تصفية ٣ ضباط من فريق العمل الذي شكلته غولدا مائير الذي كان مكون من ٥ ضباط وهم: كارل (شارك في اغتيال الهمشري) تم قتله في فندق في لندن. روبرت – تم قتله في بلجيكا (شارك في اغتيال الهمشري وقام بتركيب العبوة التي أودت بحياة الشهيد محمد بوضيا). هانز تم قتله في ألمانيا (شارك في عملية اغتيال الهمشري).

اغتيال مسؤول محطة الموساد في مدريد باروخ كوهين:

جاء رد الأجهزة الأمنية الفلسطينية سريعا على إغتيال الشهيدين وائل زعيتر ومحمود الهمشري، حيث تم توجيه ضربة كبرى لأجهزة الأمن الإسرائيلية في أوروبا باغتيال باروخ كوهين مسؤول محطة الموساد في مدريد بتاريخ ٢٦ / ٣ / ١٩٧٣م.

لم يكن باروخ كوهينعميلاً عادياً للموساد بل كان تاريخه الطويل في قتل الفلسطينيين في الأرض المحتلة يجعله واحداً من أهم الأهداف التي يعمل الفدائيون على تعقبهم واصطيادهم في أي مكان بالعالم. فقد كان باروخ أحد الذين طاردوا ياسر عرفات في أعقاب حرب ١٩٦٧م حينما دخل الأرض المحتلة وكاد يمسك به إلا أن عرفات نجا بأعجوبة.

كان باروخ كوهين من ضباط المخابرات الإسرائيلية البارزين كان يسكن مع عائلته في مدينة حيفا وكان يتحدث العربية بطلاقة وكان يبلغ من العمر ٣٠ عاماً عند مقتله. المذكور بعد أن أدى الخدمة العسكرية عام واحد التحق للعمل في جهاز الشاباك بوظيفة منسق ارتباط في مدينة نابلس وتمت ترقيته إلى رتبة سكرتير قضاء وكان معروفا لدى معظم سكان نابلس وجوارها بالكابتن.

في العام ١٩٧٠م انتقل إلى «تسومت» نظراً لقدراته الأمنية وإنجازاته التي جعلته ضابطاً بارزاً وموضع ثقة قيادته وخاصة نجاحه في تجنيد العديد من الطلاب الفلسطينيين بعد عودتهم إلى الوطن لزيارة ذويهم لقضاء العطلة الصيفية. ومن الجدير بالذكر فإنه وبعد عملية ميونيخ وجهت قيادة «تسومت» إلى باروخ كوهين مهامهم تجنيد عناصر فلسطينية جديدة على قدرات عالية من التنفيذ لمهام أمنية خاصة في أوروبا. وبالفعل بذل باروخ كوهين جهوداً كبيراً لتجنيد العديد من الطلاب الفلسطينيين وكان أحدهم الطالب «سمير» القادم من الأراضي المحتلة للدراسة في إسبانيا والذي تعرض لضغوط كبيرة للإيقاع به للعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية.

ونظرا للمضايقات والملاحقات الكثيرة لسمير ولرغبته الشديد في عدم الانصياع لتلك المهام القذرة التي حاول الموساد أن يقحمه فيها قام بإبلاغ أجهزة الثورة الفلسطينية بهذه الدعوة التي تلقاها من ضابط المخابرات الإسرائيلي باروخ كوهين الذي كان يتواجد في إسبانيا تحت غطاء رجل الأعمال «أوري مولوف». واعتبرت عناصر الأمن الفلسطيني أنها أمام «صيد ثمين» يتمثل في إمكانية استخدام «سمير» كعميل مزدوج للإيقاع بضابط

المخابرات الإسرائيلية. وتم الاتفاق مع «سمير» على التعاون الحذر مع «باروخ كوهين» للاستحواذ على ثقته.

وعندما تيقنت عناصر الأمن الفلسطيني أن الضابط كوهين أصبح يعتمد على «سمير» جاءت اللحظة المناسبة لاصطياده. فتم الإتفاق على طلب مقابلته لإطلاعه على معلومات هامة وعاجلة. وتوجه الضابط الإسرائيلي إلى المكان المتفق عليه في مقهى موريسون الذي يقع في شارع خوسا انتوناف في قلب العاصمة الإسبانية مدريد. وبعد خروجهما من المقهى اقترب منهما فجأة رجلان من عناصر الأمن الفلسطيني وقاما بإطلاق ثلاث رصاصات على باروخ كوهين أصابته بصورة مباشرة ثم لاذوا بالفرار.

وفي ذلك المساء أعلنت أيلول الأسود بيانا تحملت مسؤولية اغتيال عميل الموساد «اوري مولوف» (حسب بيانات جواز السفر الذي تعامل به المدعو باروخ كوهين) أما وسائل الإعلام الإسبانية فقد أعلنت أن مواطناً إسرائيليا يدعى «موشيه حنان يشاي» لاقى حتفه قتلا بمدريد علماً أن إسرائيل وإسبانيا في تلك الفترة لم تكن بينهما علاقات تبادل دبلوماسي رسمي. ونشرت حكومة إسرائيل اسمه الحقيقي حال عودة جثته إلى إسرائيل وأعلن رئيس الحكومة الحداد على مقتل باروخ كوهين. وذكرت وسائل الإعلام الإسرائيلية أن حادثة مقتل باروخ كوهين كانت إنتقاماً من أيلول الأسود على تصفية زعيتر والهمشري.

وأربكت هذه العملية، ومن قبلها إغتيال مسؤول محطة الموساد في بروكسل تصادوق عوفير، حسابات قيادة جهاز الموساد في تل أبيب وفرضت عليهم تغيير قواعد التعامل مع عناصرهم ومندوبيهم في أوروبا وتقييد حرية الحركة التي كانوا يتمتعون بها في فترات سابقة. وصدر قرار من قيادة الموساد لحماية عناصرهم في الخارج تضمن أن على أي ضابط جمع معلومات في مكان ما بالعالم أن يرافقه وحدة أمن وحماية ماهرة بفنون القتال.

إغتيال كارل أحد أعضاء فريق الإغتيالات:

ولد كارل في هامبورج، وأرسله والداه إلى إسرائيل في أواخر الثلاثينيات عندما كان صبيا في السادسة أو السابعة من عمره، ونشأ مع عمته وعمه في نهاريا، والتحق بمدرسة زراعية ثم

انضم إلى الجيش وظل يعمل في الجيش كمعلم حتى وقع إختيار الموساد عليه.

وقع الاختيار عليه للمشاركة في فريق الاغتيالات الذي شكلته غولدا مائير واشترك في عملية اغتيال د.محمود الهمشري في باريس وبعد عمليات ملاحقة معقدة من قبل أجهزة الأمن الفلسطينية توصلت إلى معلومات تؤكد أن المدعو كارل يتواجد في لندن فقام فريق من «أيلول الأسود» باغتياله في أحد فنادق لندن حيث كان يتواجد مع المدعو أفنير الذي كان عضواً في فريق الإغتيالات المذكور.

ومن الجدير بالذكر فإن مسؤول مجموعة الموساد المدعو أفنير يتذكر الحادثة فيقول: إن الباب لم يكن مغلقاً.. دخل أفنير.. كان كارل راقداً على ظهره في الفراش تحت الأغطية، وكانت عيناه مغلقتين، وعندما جذب أفنير البطانية استطاع أن يرى على الفور علامة صغيرة على شكل نجمة لرصاصة أطلقت من مدى قريب، كانت هناك بعض الدماء الجافة وحلقة من بارود أسود محترق حول الجرح، أطلق شخص النار على صدر كارل ففارق الحياة. بعد إغتيال العميل كارل شعر أفنير بالخوف لذلك استقال من عمله بالموساد وذهب ليعيش في الولايات المتحدة الأمريكية(٤٠).

اغتيال ضابط المخابرات موشيه جولان:

لم تقتصر هزيمة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية على الفشل المتوالي في تنفيذ عدد من عمليات الاغتيال، أو رصد المعلومات والتنبؤ بالأحداث، إنما حققت أجهزتنا الأمنية اختراقات قاتلة وسط تلك الأجهزة مهدت السبيل أمامنا للوصول إلى رؤوس كبيرة، وقصة إعدام ضابط المخابرات الإسرائيلي في نابلس المدعو موشيه جولان «أبو شريف» توضح ذلك.

كان من أهم عمليات تجنيد العملاء بالنسبة لضابط المخابرات أبو شريف، هو تجنيد الشاب بسام محمد عبد السلام حبش، ابن شقيق صخر حبش (أبو نزار) القيادي في حركة فتح، قاصداً من وراء ذلك تجنيد بسام لإغتيال عمه.

ولد بسام حبش في مخيم بلاطة بتاريخ ٢/٦/١٩٥٨م، ودرس هناك، وحين جاء الإسرائيليون لتجنيده كان يدرك ما يريدون منه فسايرهم بما أرادوا ليتمكن من كسب ثقتهم.. وطيلة تلك الفترة كان على اتصال بعمه صخر حبش إلى أن جاء اليوم الموعود حسب ضابط

٤٠ المصدر: جورج جوناس، ص٢٥٢.


صخر حبش

المخابرات فسافر بسام إلى عمان ومن هناك قام بالاتصال مع عمه، لوضع خطة كما وعده بالسابق، فقام صخر حبش(٤١)بربط بسام بإحدى الأجهزة الأمنية الفلسطينية التي وضعت لبسام خطة اغتيال الضابط الإسرائيلي، وبعد أن تأكد الجهاز الأمني من ان بسام عمق ثقة الضابط الإسرائيلي به لدرجة أنه أصبح معروفاً لحراس منزله أثناء الذهاب والإياب لمنزله حتى أنه لا يخضع لتفتيش الحراسات.

حاول المسؤول في جهاز الأمن الفلسطيني إيجاد مسدس كاتم للصوت لتأمينه لبسام، لكنه لم يتمكن من ذلك، فكان الاقتراح أن يأخذ بسام سكين ويقوم بإخفائها في ملابسه ليتمكن من قتل ضابط المخابرات بالسكين. بعد عودة بسام من عمان كان على موعد مع ضابط المخابرات الإسرائيلي، فذهب إليه ودق جرس المنزل، ففتح ضابط المخابرات الباب لبسام الذي جلس على أريكة مقابل ضابط المخابرات، قال الضابط هات يا بسام ما في جعبتك، رد عليه بسام جئتك بمعلومات مهمة ومد يده في جيبه ليوهم الضابط بأنه سيخرج له المعلومات وإذ به يخرج سكينا

---

٤١ ولد صخر حبش في قرية بيت دجن بالقرب من مدينة يافا عام ١٠/١١/١٩٣٩م، وفي نكبة عام ١٩٤٨م هجّر من قريته فوصل إلى مدينة رام الله بداية ثم انتقل إلى مخيم بلاطة للاجئين في محافظة نابلس. انتقل في منتصف الخمسينيات إلى القاهرة ودرس الجيولوجيا والموارد المائية في جامعة عين شمس حيث تخرج في العام ١٩٥٨م. وحصلٍ على شهادة الماجستير في الهندسة الجيولوجية من جامعة أريزونا في الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٦٢م، وعمل مسؤولا لسلطة المصادر الطبيعة في الأردن. وفي أوائل الستينيات من القرن العشرين التحق بحركة فتح، ونظم على يد مهندس البترول حسني يونس. أسس بالأردن عام ١٩٦٨م مؤسسة الأشبال والزهرات، وكان يرأس المؤسسة صلاح التعمري، وبسبب انشغال صلاح بأمور أخرى والسفر للخارج، قام صخر بافتتاح معسكرات للأشبال والزهرات بمنطقة البلقاء «السلط والأغوار»، وكان عضوا في لجنة إقليم الأردن، وشارك في تأسيس إذاعة صوت فلسطين بالأردن، الذي كان مسؤولا عنها ربحي عوض منذ عام ١٩٦٧م ولغاية ١٩٧٠م والتي كانت تعرف باسم زمزم ١٠٥. انتقل بعد أحداث أيلول عام ١٩٧٠م إلى الساحة اللبنانية وتقلد مواقع قيادية أبرزها عضو لجنة لإقليم لبنان وفي تشرين الأول من عام ١٩٧٣ تولى قيادة الإقليم. انتخب أمينا لسر المجلس الثوري للحركة عام ٧٦، ثم انتخب عضوا في اللجنة المركزية لحركة فتح في المؤتمر الخامس عام ١٩٨٩ الذي عقد في تونس، ومن ثم مفوضا للشؤون الفكرية والدراسات حتى عاد للوطن عام ١٩٩٤م. صخر حبش أحد الكتاب المميزين بحركة فتح ومسطّر كتاب (النقد والنقد الذاتي) و(تطور الفكر الفتحاوي) من بين كتب أخرى كثيرة أصبحت تعد من أدبيات حركة فتح، أبو نزار رئيس تحرير دورية (فتح) لسنوات طوال صاحب النفس الطويل والثورة المستمرة لم يخلع بزته الخضراء المتواضعة حتى وفاته. لم يكن يناور أو يداور كان واضحا في آرائه يعبر عنها باقتناع حتى لو صدمت أو خالفت الآخرين، فكان حّراً مقداماً وهى سمة الكتاب والمفكرين الحقيقيين. ألف العديد من الكتب وكتب الكثير من المقالات والدراسات عن فتحٍ وعن العلاقات العربية وعن الدولة الفلسطينية، وعن الدور الأمريكي وعنٍ الثوابت الوطنية والاحتلال الصهيوني ولم يترك مجالا في السياسة أو الفكر التنظيمي إلا وكتب فيه، والى ذلك كان رحمه الله شاعرا فذا كتب الشعر بأنواعه كما كتب الشعر العامي واشتهرت له قصيدة أصبحت لازمة له هي قصيدة (لازم تزبط)، وقصيدة دليلة الملحمية، ثم قصيدته الرائعة عن أبي عمار التي كتبها تحت عنوان (سيد البشرى). ظل مدافعاً شجاعا عن المشروع الوطني، وعن الوحدة الوطنية والديمقراطية والحرية حتى الرمق الأخير من حياته. توفي في رام الله في ١/١١/٢٠٠٩م.

قوية وينقض على الضابط وينحره.

انتظر بسام حتى تأكد من موته، فقام بكتابة ورقة يقول فيها: "تريد قتل عمي يا كلب فأنا قتلتك"، وخرج دون أن يشعر به أحد من الحراسات، وطبقا للتعليمات لبسام فقد أخذ معه كمية من الفلفل الأسود لرشها في آخر نقطة يريد الاختباء فيها حتى لا تستطيع كلاب الأثر البوليسية أن ترصد أثره، لم يذهب إلى مخيم بلاطة، بل ذهب لمنطقة كان يعرفها جيداً، وهي قرية "عراق التايه" بالقرب من نابلس، وفي غضون ساعتين اكتشف حراس الضابط مقتل مسؤولهم وقامت سلطات الاحتلال بالإعلان عن صاحب الصورة واسمه ومعلومات كاملة عنه، وكان المقصود "بسام" الذي أصبح مطلوباً لأجهزة الأمن.

وتوجهت قوة من الجيش الإسرائيلي إلى مخيم بلاطة وطوقته للبحث عن بسام، الذي بقي مختبئا لمدة أربعة أيام، لكنه بعد ذلك شعر بالجوع الشديد فاضطر إلى مغادرة مخبأه ولجأ إلى بيت قريب طالباً بعض الطعام، وعندما فتحت له صاحبة البيت تفاجأت به وعرفته فوراً؛ لأن صورته ظهرت على التلفاز الإسرائيلي عدة مرات مصحوبة بإعلان عن مكافأة مالية كبيرة لكل من يدلي بمعلومات عنه، وفي اليوم التالي اتصلت المرأة بالإسرائيليين وأبلغتهم عن مكانه.

جاءت قوة إسرائيلية عند الفجر وداهمت المكان فاشتبك معها بسام حتى سقط شهيدا، وفي اليوم الثالث قامت إسرائيل بهدم منزل الشهيد بسام حبش في مخيم بلاطة، وأبلغت مختار المخيم استلام جثته التي نقلت إلى جامع المخيم، وبعد الصلاة عليها شيع بسام بجنازة تليق باستشهاده عن عمر ٢٠ عاماً بتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٩٧٩م.

وتقول عمة الشهيد زينب حبش (في الوقت الذي كان فيه رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن يتلقى العزاء بالضابط الإسرائيلي كان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات يتلقى بدوره العزاء بالشهيد بسام حبش، الذي حصل على أعلى وسام في الثورة وهو وسام فلسطين)(٤٢).

فضائح الموساد تتوالى:

واستمراراً لتوالي الضربات التي تعرضت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية خلال تلك الفترة تلقت تلك الأجهزة ضربة قوية عندما تم تحميلها بصورة رسمية الفشل في توفير المعلومات حول حرب أكتوبر ١٩٧٣م، كما فشلت هذه الأجهزة في تحقيق إختراقات جوهرية في بنية المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية خلال غزو العام ١٩٨٢م وهو ما تبلور في فشلها في

---

٤٢ زينب حبش: الفراشة والأخطبوط، ط١، مؤسسة العنقاء، رام الله ٢٠٠٥م، ص ١٧٢.

استهداف أي قائد فلسطيني خلال حصار بيروت سواء بوساطة الاغتيال أو بتحديد الأهداف وإعطاء معلومات دقيقة عن تحركات القيادة لسلاح الطيران الإسرائيلي الذي كان يشكل مظلة في سماء العاصمة اللبنانية وعلى مدى ٢٤ ساعة.

وانعكس الارتباك والاتهامات بالفشل التي وجهت إلى أجهزة الأمن الإسرائيلية خلال تلك الفترة في قيامها بالعديد من العمليات الفاشلة التي اعتبرت بمثابة فضائح وصمت تلك الأجهزة لسنوات طويلة وانعكست سلبا على علاقات إسرائيل على المستوى السياسي والإستخباري مع الكثير من دول العالم التي كانت تمنح إسرائيل غطاءً هاما سهل الكثير من عملياتها خلال تلك الفترة، وسنحاول التركيز على أبرز تلك الفضائح وهي إغتيال المغربي أحمد بوشيكي في النرويج واقتحام كنيسة جلاروس في سويسرا.

فضيحة اغتيال المغربي أحمد بوشيكي:


أحمد بوشيكي

فضيحة الفضائح بالنسبة إلى الموساد عندما قام رجالها بعدة مطاردات لأبي حسن سلامة أدت إلى اغتيال عامل مغربي بسيط هو أحمد بوشيكي في النرويج عام ١٩٧٣م ظناً منهم أنه أبو حسن سلامة. وأثارت تلك العملية الفاشلة سخط الرأي العام الأوروبي.

أحمد بوشيكي، مواطن مغربي كان يعمل في أحد مطاعم النرويج، ويحيا حياة هادئة مع زوجته النرويجية، قبل أن يغتاله ثلاثة رجال من الموساد في مدينة ليليهامر النرويجية في ٢١ / ٧ / ١٩٧٣م كان القتلة يستعملون مسدسات كاتمة للصوت، وحين شاهدوا أحمد بوشيكي يخرج من السينما مع زوجته لاحقوه بسيارة مستأجرة، وعندما نزل من الحافلة بالقرب من منزله، أطلقوا الرصاص عليه. واكتشف عناصر المخابرات الإسرائيلية أنهم قد وقعوا في خطأ كبير، فالشخص المقتول لم يكن هو المطلوب، فهو ليس الأمير الأحمر علي حسن سلامة المطارد من قبل الموساد، إعتقد فريق القتلة بأن بوشيكي هو الزعيم الفلسطيني لتشابه الملامح بينهما، وتشاء المصادفة أن يجتمع أحمد بوشيكي في اليوم السابق لاغتياله في أحد المقاهي مع الجزائري كمال بو نعمان، الذي كان

الموساد يعتقد أنه أحد أعضاء جماعة أيلول الأسود وهو ما كان غير صحيح على الإطلاق.

وأدت هذه العملية إلى اعتقال فريق الاغتيال من قبل السلطات النرويجية، باستثناء العميل زامير الذي تمكن من الفرار. وفي ١ / ٢ / ١٩٧٤م أصدرت المحكمة النرويجية أحكامها المختلفة بمعاقبة الجناة، وتراوحت الأحكام بين السنتين والنصف، والخمس سنوات !!!. ومن الجدير بالذكر فإن عميلة الموساد سيلفا رافائيل التي شاركت في عملية اغتيال بوشيكي، والتي كانت وراء إغتيال أبرز القيادات الفلسطينية منذ السبعينيات، قتلت على أيدي أبطال الثورة الفلسطينية في جزيرة قبرص عام ١٩٨٥م.

نقل جثمان الشهيد أحمد بوشيكي إلي وطنه، واحتفل بدفنه رسمياً وشعبياً، وبعد إغتياله بمدة قصيرة من الزمن ولدت له ابنه ترعاها والدتها النرويجية، وقد اضطرت إسرائيل بعد سنوات إلى الاعتراف بالمسؤولية عن إغتياله وقدمت تعويضاً مالياً كبيراً لأسرته.

وكشفت الحادثة مدى استهتار إسرائيل بالعلاقات الدولية، وخصوصا في أعقاب إلقاء القبض على ضابط الإستخبارات الذي نفذها واعترف بأنه تلقى الأوامر من تسفي زامير رئيس الموساد الذي كان يعمل مباشرة تحت إمرة رئيس الحكومة غولدا مائير.

الموساد وفضيحة كنيسة جلاروس في سويسرا:

وصل فريق الموساد المكلف بملاحقة أبو حسن سلامة وأبو داوود معلومات بتاريخ ٧ / ١ / ١٩٧٤م أفادت أنه كان من المفترض أن يلتقي الرجلان في مدينة سويسرية صغيرة تسمى جلاروس في وسط سويسرا على مقربة من حدود ليختنشتاين داخل إحدى الكنائس الكاثوليكية. وادعت إسرائيل أنها توافرت لديها معلومات عن تعاون القساوسة مع التنظيمات الفلسطينية في تنفيذ بعض العمليات التي جرت في أوروبا في بداية السبعينيات. وبناءً على تلك المعلومات قام فريق من عناصر الموساد مكون من ثلاثة أفراد بمهاجمة الكنيسة وقاموا بقتل ثلاثة من حراس الكنيسة وتدخلت العناية الإلهية لحماية ثلاثة من القساوسة حيث اتضح أن عناصر الموساد قاموا بتنفيذ عمليتهم بناءً على معلومات غير صحيحة، فقد اكتشفوا أنه لا وجود لأبي حسن سلامة وأبو دواود في الكنيسة وأنهم قاموا بقتل الأفراد الخطأ.

لقد كشفت هذه العملية زيف أسطورة الموساد الذي حاول إيهام العالم بأنه أقوى جهاز مخابرات في العالم، بينما الحقيقة عكس ذلك. ففي نشاطات الموساد التي تسرب منها الكثير إلى



الصحافة العالمية والوسائل المرئية الكثير من الشطحات، والأكاذيب والأوهام الجامحة(٤٣).

وصدر في ١١ / ٢٠١١م عن يديعوت أحرنوت كتاباً حول (مجتمع الاستخبارات الإسرائيلية) لمؤلفاه أهارون فركش(٤٤) ودوف تماري(٤٥) يكشف سلسلة طويلة من الإخفاقات والعمليات الفاشلة التي هزت الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية وتسببت بجرح بالغ لإسرائيل، وألحقت ضررا بعلاقاتها على المستوى الدولي. وأثار الكتاب جدلاً في إسرائيل، نظراً لـ»جرأة» المؤلفين غير المسبوقة، سيما وأنهما قادمين من قلب المؤسسة الأمنية. وتضمن الكتاب الكثير من إخفاقات المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، تؤكد ما ذكرناه، فإضافة إلى الفشل في جوانب أخرى مثل اغتيال أحمد بوشيكي، وإقحام إسرائيل في المستنقع اللبناني عام ١٩٨٢م وتقديم معلومات مضللة عن الأوضاع هناك، واعتقال السلطات الأمريكية للعميل جوناثان بولارد عام ١٩٨٥م وتزوير جوازات سفر أوروبية لاستخدامها في عمليات اغتيال ضد شخصيات فلسطينية في لبنان، والكشف عن تفاصيل اغتيال محمود المبحوح. ويكشف الكتاب إخفاقات أخرى تتعلق بالفشل في وضع تقديرات لأحداث إقليمية ودولية ومنها: انهيار النظام السوفييتي، وتعرض إسرائيل لصواريخ عراقية سنة ١٩٩١م، وحركة القوات السورية في الجولان سنة ١٩٩٦م، وأحداث النفق في المسجد الأقصى ١٩٩٦م، والعمل العسكري المتوقع لحزب الله عقب الانسحاب من جنوب لبنان سنة ٢٠٠٠م، وحرب لبنان الثانية سنة ٢٠٠٦م، وفوز حماس في الانتخابات التشريعية وسيطرتها على قطاع غزة سنة ٢٠٠٧م، وجميع هذه الإخفاقات وغيرها انعكست سلباً على واقع «إسرائيل» كدولة، وعلى علاقاتها الخارجية. ووجه المؤلفان انتقاداتهما إلى هذه الأجهزة التي «أوقعت» الجيش في عدد من العمليات الحربية الفاشلة، ليس بسبب القصور في الناحية اللوجستية، وإنما لأسباب استخبارية تكمن في عدم فهم الواقع المعادي جعلت الجيش الإسرائيلي لم يُجهّز نفسه لكل السيناريوهات، ويبدو أن إحدى المشاكل في تلك المواجهات العسكرية هو مستوى التوقعات العالية من الجيش، بفضل التقارير الأمنية المغلوطة.

---

٤٣ جورج جوناس، الانتقام، ص٢٣٣.

٤٤ الجنرال فركش من مواليد رومانيا (٦٣ عاما) شغل عدة مناصب عسكرية وأمنية رفيعة المستوى في إسرائيل بين أعوام (١٩٦٦– ٢٠٠٦م) كان آخرها رئيساً لجهاز الإستخبارات العسكرية(أمان).

٤٥ دوف تماري (٧٥ عاماً) باحث في مركز جافي للدراسات الاستراتيجية، مستشارا معهد التكنولوجيا، محاضر حول العقيدة العسكرية.

عملية فردان: إغتيال القادة الثلاثة:

شهدت المنطقة العربية في الربع الأخير من عام ١٩٧١م مرحلة «فك وتركيب» انعكاساً لأحداث إقليمية ودولية، فقد انتهت المعارك بين الفدائيين الفلسطينيين والجيش الأردني بخروج قوات الثورة باتجاه مواصلة العمل الفدائي ضد إسرائيل عبر الحدود اللبنانية، مما دفع إسرائيل إلى تصعيد مخططاتها على الساحة اللبنانية بأمل تكرار تجربة الأردن والوقيعة بين المقاومة الفلسطينية والجيش اللبناني.

وظهرت بوادر عملية «الفك والتركيب» يوم ١٤ /٨ /١٩٧١م حيث أعلنت البحرين استقلالها، فيما أعلنت كل من مصر وسوريا وليبيا عن قيام اتحاد الجمهوريات العربية، في ظل تنامي أوضاع دولية مناهضة للولايات المتحدة الأمريكية، حين قدمت ألبانيا مشروعها إلى الأمم المتحدة لإدخال الصين الشعبية إلى عضويتها وفاز المشروع بأغلبية يوم ٢٥ / ١٠ / ١٩٧١م، فأصبحت الصين عضواً فاعلاً في الأمم المتحدة مما أشاع أجواء من الارتياح لدى غالبية دول العالم الثالث.

وتحركت إيران يوم ٣٠ / ١١ / ١٩٧١م وقامت باحتلال الجزر العربية الثلاث، وهي جزيرة أبو موسى التابعة لإمارة الشارقة، وجزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى التابعتين لإمارة رأس الخيمة، الأمر الذي دفع إمارات أبو ظبي والشارقة وأم القوين ورأس الخيمة وعجمان إلى الإتحاد في دولة الإمارات العربية المتحدة يوم ٢ / ١٢ / ١٩٧١م.

واندلعت الحرب الشرسة بين الهند والباكستان يوم ٥ / ١٢ / ١٩٧١م حيث اعترفت الهند في اليوم التالي (٦ / ١٢ / ١٩٧١م) باستقلال باكستان الشرقية تحت اسم "بنغلادش" ولم تفلح كل الجهود الباكستانية والإسلامية في منع الهند عن سلخ باكستان الشرقية.

وما أن دخل عام ١٩٧١م حتى تغير المناخ الدولي بعد فوز الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في الانتخابات الرئاسية معلناً عن سحب (٧٠ ألف جندي أمريكي) من فيتنام يوم ١٣ / ١ / ١٩٧٢م، وهو نصف عدد القوات الأمريكية هناك مشيرا إلى أن الإنسحاب الكامل سيكون خلال عدة أشهر.

تلك المناخات العربية والإقليمية والدولية كانت مواتية كي تخترق إسرائيل الساحة اللبنانية، وتشن هجمات جوية وبرية على الجيش اللبناني لإجباره على وقف نشاط قوات المقاومة الفلسطينية في الجنوب اللبناني وقد أثمرت الضغوط الإسرائيلية على الرئيس اللبناني سليمان



فرنجية، حيث وجه رسالة إلى الملوك والرؤساء العرب يوم ١٧ / ١ / ١٩٧٢م إثر إعتداءات إسرائيلية متكررة على الجنوب اللبناني قال فيها: "إن الظرف الذي يمر به لبنان اليوم يحملني على الاتصال بكم بصورة مباشرة لكي نتبادل الرأي في ما نحن فيه وما قد نصل إليه، فالعدو الإسرائيلي قام باعتداء على الأراضي اللبنانية منذ (ثلاثة أيام) وأتبعه اليوم باعتداء جديد، وهو يحشد قواته على مقربة من الحدود ويهدد بشن حملة واسعة النطاق في عمق البلاد متذرعا بالأعمال التي تقوم بها المنظمات الفدائية وبنوع خاص بأنها تطلق الصواريخ من الأراضي اللبنانية على المناطق التي يحتلها".

وبالفعل شنت إسرائيل عدواناً واسعاً على الأراضي اللبنانية حيث توغلت في العرقوب بالجنوب، وبدأت يوم ٢٧ / ٢ / ١٩٧٢م بشق طرق واستحكامات، ثم انسحبت في اليوم التالي ٢٨ / ٢ / ١٩٧٢م ليتسلم الجيش اللبناني تلك المواقع والإستحكامات التي انسحبت منها القوات الإسرائيلية(٤٦).

وبينما كانت إسرائيل تصعد من هجماتها على لبنان طرأ تحول نوعي في الموقف الأردني حين أعلن الملك حسين عن مشروع المملكة العربية المتحدة(٤٧) يوم ١٥ / ٣ / ١٩٧٢م، وهو المشروع الذي رفضته منظمة التحرير الفلسطينية في بيان رسمي صادر يوم ١٦ / ٣ / ١٩٧٢م، كما رفضته إسرائيل في اليوم نفسه، وأعلن إتحاد الجمهوريات العربية الذي يضم مصر وسوريا

---

٤٦ عند الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ١٩٧٢/٢/٢٧م قامت كتيبة مصفحة إسرائيلية تساندها عناصر منقولة من المشاة، وتحت غطاء جوي كثيف بتطويق بلدة عيترون، ثم اقتحمت عيناتا ودمرت (٢٢ منزلا) وألحقت أضرارا بحوالي (٣٠ منزل) آخر، وفي المساء قام الطيران الإسرائيلي بقصف مرتفعات عين عطا، عيحا، دير العشاير، حلوه، ثم شنت المصفحات هجمات ضد راشيا الفخار، كفر حمام، الهبارية، وأعلنت القوات الإسرائيلية أنها لن تنسحب من هذه القرى ما لم يتسلمها الجيش اللبناني، وعدم دخول الفدائيين إليها.

٤٧ المملكة العربية المتحدة: أعلن الملك حسين في ١٩٧٢/٣/١٥م في خطاب موجه للشعبين الأردني والفلسطيني عن مشروع المملكة العربية المتحدة والذي يرتكز على الأسس الآتية:
تصبح المملكة الأردنية الهاشمية مملكة متحدة وتسمى بهذا الاسم.
تتكون المملكة العربية المتحدة من قطرين هما:
أ- فلسطيني ويتكون من الضفة الغربية وأية أراضي فلسطينية أخرى يتم تحريرها ويرغب أهلها في الإنضمام إليها.
ب- أردني ويتكون من الضفة الشرقية.
ج- تكون مدينة عمان هي العاصمة المركزية للمملكة وفي الوقت ذاته تكون القدس عاصمة للقطر الفلسطيني.
د- رئيس الدولة هو الملك ويتولى السلطة التنفيذية المركزية ومعه مجلس وزراء مركزي، أما السلطة التشريعية المركزية فتناط بالملك وبمجلس يعرف باسم مجلس الأمة، ويجري انتخاب أعضاء هذا المجلس بطريقة الاقتراع السري المباشر وبعدد متساو من الأعضاء للقطرين.
تكون السلطة القضائية المركزية منوطة بمحكمة عليا ومركزية.
للمملكة قوات مسلحة واحدة قائدها الملك.
يتولى السلطة التنفيذية في كل قطر حاكم عام ومجلس وزراء قطري.

وليبيا رفضه أيضا للمشروع يوم ١٨ / ٣ / ١٩٧٢م، وقد رفضه كذلك مجلس الشعب المصري يوم انعقاده بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٩٧٢م.

وبهدف كسب التأييد الدولي لمواقفه، أعلن لبنان عن إعادة علاقاته الدبلوماسية مع ألمانيا الاتحادية يوم ٣٠ / ٣ / ١٩٧٢م، بعد إعتراف جمهورية ألمانيا الإتحادية بإسرائيل، إلا أن هذا التقارب اللبناني مع الغرب لم يمنع إسرائيل يوم ٢١ / ٦ / ١٩٧٢م من شن عدوان على جنوب لبنان حيث أسرت القوات الإسرائيلية خمس ضباط سوريين وضابط لبناني.

وفي إعادة لمشهد «الفك والتركيب» أعلن الرئيسان السادات والقذافي عن قيام الوحدة بين مصر وليبيا يوم ٢ / ٨ / ١٩٧٢م، فيما اقترح الرئيس السادات يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٧٢م تشكيل حكومة فلسطينية في المنفى، سرعان ما اعتبرت منظمة التحرير الفلسطينية بأن اقتراحه غير مناسب ورفضته.

في هكذا أجواء استغلت منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٣م، وعقدت يوم ٦ / ١ / ١٩٧٣م اجتماعا في القاهرة للمجلس الوطني الفلسطيني استمر حتى يوم ١٢ / ١ / ١٩٧٣م تعهدت خلاله بمواصلة الكفاح المسلح وانتخبت لجنة تنفيذية جديدة للمنظمة على النحو الآتي:

- ياسر عرفات رئيساً (فتح)
- محمد يوسف النجار (أبو يوسف) (فتح)
- زهير محسن (الصاعقة)
- أحمد اليماني (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين)
- ياسر عبد ربه (الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين)
- الدكتور عبد الوهاب الكيالي (جبهة التحرير العربية)
- حامد أبو سته (مستقل)
- زهدي النشاشيبي (مستقل)
- الدكتور يوسف صايغ (مستقل)
- كمال ناصر (مستقل)

وقد خرج من اللجنة كل من خالد الحسن وفاروق القدومي من فتح، وسامي عطاري من الصاعقة، وصلاح صلاح وتيسير قبعة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأحمد المرعشلي من جبهة التحرير الفلسطينية، كما تم تأليف مجلس مركزي من ٢١ عضواً ليكون صلة الوصل بين المجلس الوطني الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية.

غولدا مائير تتخذ قرار عملية الفردان:

مع تصاعد العمليات الفدائية الفلسطينية والتي أحدثت ارتباكاً كبيراً في داخل إسرائيل وسببت إحراجاً كبيراً للأجهزة الأمنية الإسرائيلية التي أصبحت متهمة بالفشل والتقصير في أداء واجباتها ومهامها في حماية الدولة.. شهد جهاز الموساد في تلك الفترة نقاشا حاداً بين رئيس الجهاز وأعضائه وكان السؤال الذي لم تحدد إجابته حتى هذه اللحظة: كيف يمكن مواجهة تلك الانتقادات بصورة عملية.

وانقسم أعضاء الموساد إلى قسمين الأول يرى ضرورة قتل ياسر عرفات والآخر يرى أن الأهم هو قتل جورج حبش وبدأت فرق الموساد تخطط لاغتيال عرفات أو جورج حبش، وفشلت كل المحاولات لاغتيال هذين القائدين حتى تلك المحاولة التي تم خلالها تغيير مسار طائرة لبنانية قادمة من ليبيا وتوجيهها إلى قاعدة عسكرية إسرائيلية ظناً أن جورج حبش على متنها باءت هذه المحاولة أيضا بالفشل إذ لم يكن جورج حبش يستقل الطائرة ونجا الزعيم الفلسطيني.

وانتقل هذا القلق إلى رئيسة الوزراء الإسرائيلية غولدا مائير التي أصبحت في غاية القلق من تنامي قدرة حركة فتح والتنظيمات الفلسطينية الأخرى، ونجاحها في توجيه ضربات مؤثرة للمصالح الإسرائيلية في الداخل والخارج، وخاصة عملية ميونخ واغتيال عدداً من ضباط الموساد في أوروبا.

ولإعادة الاعتبار لجهاز الموساد أعارت هيئة رئاسة الأركان اللواء يكتوئيل آدم للخدمة في الجهاز وكان على علاقة قوية مع وزير الدفاع موشيه دايان ومع رئيس هيئة الأركان فيما بعد «بن اليعازر» وقد اتفق الثلاثة عل ضرورة تنفيذ عملية كبرى ضد منظمة التحرير الفلسطينية تعيد الهيبة لجهاز الموساد وتخفف من غضب رئيسة الوزراء غولدا مائير التي كانت تريد الانتقام من القادة الفلسطينيين الذين خططوا لعملية ميونيخ وقتل طاقم الألعاب الأولمبية الإسرائيلي.

تم اختيار أيهود باراك ليكون القائد المنفذ لعملية كوماندوز في بيروت، وكان قد أصبح رئيساً لدورية هيئة الأركان في ٤-١٩٧١م بتوجيه من رئيس شعبة الإستخبارات اللواء أهارون ياريف ومن رئيس الأركان آنذاك إسحق رابين الذي قدم شرحاً وافياً لوزير الدفاع موشيه دايان عن قدرات أيهود باراك وكفاءته العسكرية، كما كان اللواء يكتوئيل آدم يعلم بأن إيلي زعيرا رئيس شعبة جمع المعلومات في الإستخبارات العسكرية قد أثنى على أيهود باراك عندما كان يعمل لفترة لدى تلك الشعبة. وسمحت العلاقة الجيدة بين يكتوئيل آدم وإيهود باراك بتقريب الأفكار بين الاثنين، حيث يسعى يكتوئيل آدم لإعادة الاعتبار لجهاز الموساد فيما أيهود باراك يريد إثبات قدرة دورية هيئة الأركان على تنفيذ العمليات الناجحة ضد المنظمات الفلسطينية.

وعرض باراك خطة إغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة كمال عدوان(٤٨)، أبو يوسف النجار(٤٩)

٤٨ «احمد كمال» عبد الحفيظ علي عدوان (أبو رامي) من مواليد قرية بربرة جنوب المجدل عام ١٩٣٥ م كان والده مقاولاً ومن وجهاء بربرة، لجأت العائلة إلى قطاع غزة أثر نكبة ١٩٤٨م وأقامت في رفح مدة ستة أشهر ثم فضل والده الإقامة في غزة، وما لبث أن توفي فيها في عام ١٩٥٢م فتولى أخوه الأكبر «محمد علي» مساعدته على إكمال دراسته، درس الإبتدائية في مدرسة بربرة، وفي غزة أكمل دراسته الإعدادية في مدرسة الرمال الإعدادية التابعة لوكالة غوث اللاجئين، ثم انتقل إلى مدرسة الإمام الشافعي الثانوية والتحق بالإخوان المسلمين عام ١٩٥٢م رغبة منه في تحرير فلسطين وسلوك كل طريق تؤدي إلى هذا الهدف، وكان من زملائه في المدرسة غالب الوزير وخليل الوزير ورياض الزعنون. ومع بدء توجيه جماعة الإخوان المسلمين اهتمامها الأول ضد الرئيس عبد الناصر مطلع عام ١٩٥٤م وجعلها الشأن الفلسطيني في المرتبة الثانية اتجه إلى العمل الوطني فكتب مشروعاً لتنظيم حركة وطنية في غزة وأرسله مع أحد أصدقائه إلى القاهرة ليطلع زملاءه في رابطة الطلبة عليه إلا أن المشروع ضبط واعتقل كمال لبضعة أيام، ثم خضع لمراقبة المخابرات المصرية. التحق بجامعة القاهرة عام ١٩٥٤م حيث دخل كلية الهندسة تخصص بترول ومعادن، وتعرف على ضابط المخابرات المصري اليوزباشي مصطفى حافظ، واستفاد من خبرته العسكرية حيث زوده بكتب وخرائط عسكرية واصطحبه في عمليات استطلاعية داخل الأراضي المحتلة، ومن هنا نشأت فكرة العمل المسلح الفدائي وأهميته في زعزعة استقرار وأمن إسرائيل في ذهنه، ودعا إلى أول اجتماع لإقامة تشكيل فلسطيني عريض غرضه تحرير فلسطين واخذ زمام المبادرة في العمل الفلسطيني من أيدي الحكومات والأحزاب العربية، حضره ١٢ شابا، منع من السفر حتى كانت الغارة الإسرائيلية على غزة في ١٩٥٥/٢/٢٨م فانطلقت المظاهرات على أثرها تجوب شوارع قطاع غزة تطالب بالتجنيد والتسليح. غادر غزة إلى مصر في ١٩٥٥/٣/٢م ومنها إلى قطر حيث عمل مدرساً لسنة واحدة، حيث تعرف على محمود عباس ومحمد يوسف النجار. ثم تعاقد مع السعودية، ولما أعلن الرئيس عبد الناصر عن تأميم قناة السويس وزع بيانا يحذر الغرب من مغبة الإعتداء على مصر مهددين بنسف آبار البترول التي تشرف عليها شركة أرامكو مما أدى إلى طرد ألف عامل فلسطيني كانوا يعملون لدى الشركة في السعودية. عمل مهندسا متدربا في حقل البترول مع شركة أرامكو في الدمام في عام ١٩٥٨ م، كان له دور طليعي في إرساء مبادئ فتح وكان يطبع منشورات فتح الأولى بشكل سري على ماكينات الرينو الخاصة مع شركة أرامكو مما يعد مخاطرة بعمله وبوجوده في السعودية. شارك في المجلس الوطني الفلسطيني منذ دورته الأولى في القدس ٢٨/٥ – ١٩٦٤/٦/٢م، ترك عمله في قطر في أيلول ١٩٦٨م وتفرغ للعمل في حركة فتح مسؤولا عن الإعلام واتخذ من مدينة عمان مقرا له واستطاع أن يقيم جهازا إعلاميا متطورا. إنتقل بعد أحداث أيلول إلى دمشق وبيروت حيث عمل على إعادة بناء جهاز الإعلام التابع لحركة فتح، وشارك في تأسيس وكالة الأنباء الفلسطينية وفا، انتخب عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح في المؤتمر الثالث في ٩–١٩٧١م وأوكلت إليه مسؤولية قطاع الأرض المحتلة (القطاع الغربي)، ثم اختير عضواً في اللجنة التحضيرية لاختيار أعضاء المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي عقد في القاهرة خلال ١٩٧٢/٣م. كان مناضلا كبيرا وواعيا يجمع بين وضوح الفكرة وشمولها وصلابة العزيمة وحرارة الإيمان وديناميكية الحركة، وكان ذو عقل متفتح ومنظم، كان يحظى باحترام وتقدير معظم القواعد والكوادر. استشهد في ١٩٧٣/٤/١٠م في شقته بشارع فردان ببيروت وقاتل مهاجميه حتى الرصاصة الأخيرة واستطاع أن يقتل ويصيب عدد من مهاجميه قبيل استشهاده.

٤٩ محمد يوسف النجار (أبو يوسف): من مواليد قرية يبنا قضاء الرملة عام ١٩٣٠م، درس في مدرسة يبنا الإبتدائية، ثم التحق بالكلية الإبراهيمية في القدس وتخرج منها عام ١٩٤٦ م وعمل مدرسا في قريته حتى ١٩٤٨م، لجأ مع أسرته إلى قطاع غزة واستقر في مخيم رفح، عمل موظفا في مركز الخدمات الاجتماعية بوكالة الغوث ثم مدرسا حتى ١٩٥٥م، انضم للإخوان المسلمين ١٩٥١، عرف بمواقفه الوطنية فقد قاد إحدى المظاهرات سنة ١٩٥٤ م وطالب فيها بالتجنيد الإجباري للشبان الفلسطينيين واعتقل لأربعة أشهر، ثم اعتقل في ٣/ ١٩٥٥م لقيادته إحدى المظاهرات، انتقل إلى قطر للعمل في دائرة المعارف، وهناك تعرف على كمال عدوان ومحمود عباس ورفيق النتشة وغالب الوزير وعبد الله الدنان وبدأ حديثهم عن إنشاء تنظيم فلسطيني هدفه تحرير فلسطين، وكان عضوا في لجنة دولة قطر إلى الأقطار العربية لاختيار المدرسين للعمل في قطر، واستخدم أبو يوسف موقعه هذا في العمل السياسي والتنظيمي وبخاصة أثناء زياراته للضفة الغربية وقطاع غزة، كان من الرواد الأوائل لحركة فتح في قطر منذ أوائل ١٩٦٠، اختير عضوا في اللجنة المركزية لحركة فتح منذ ١٩٦٣ وشغل منصب المفوض المالي، تفرغ عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح في صيف ١٩٦٧ واشرف لفترة قصيرة على الجهاز المالي لحركة فتح، وانتخب في الدورة الخامسة للمجلس الوطني الفلسطيني (القاهرة ١–١٩٦٩/٢/٤م) عضواً في اللجنة التنفيذية عن حركة فتح ورئيساً للدائرة السياسية فيها، وكان رئيساً للجنة الشؤون الفلسطينية في لبنان حيث كان له الدور الكبير في حقن الدم العربي على أرض لبنان، شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات العربية والدولية وكان آخرها مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في بنغازي (٢٤–١٩٧٣/٣/٢٦م) حيث كان رئيساً لوفد فلسطين، تسلم جهاز الأمن في حركة «فتح» في صيف ١٩٧١م بعد انعقاد المؤتمر الثالث لحركة «فتح» في بسوريا، وكان حمد العايدي «أبو رمزي» نائبا له، حينما تسلم قيادة جهاز الأمن، وسع نشاطه للعمل بالدرجة الأولى ضد قوات الاحتلال، وكانت عملية «سابينا» التي كان قائدها (علي طه) من تخطيط جهاز الأمن الذي كان يقوده أبو يوسف النجار، وكان على تنسيق مع الشهيد كمال عدوان للعمل داخل الأرض المحتلة.. استشهد وزوجته رسمية أبو الخير في عملية فردان في بيروت.


الشهيد كمال ناصر

وكمال ناصر(٥٠)معتمداً على المعلومات التي قدمتها شعبة الإستخبارات العسكرية، فقام اللواء يكتوئيل آدم بعرض الخطة على رئيس الأركان الذي عرضها على وزير الدفاع موشيه دايان.

قرر وزير الدفاع موشيه دايان توسيع الخطة لتشمل أهدافا أخرى غير إغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة آملا بأن تكون العملية أكبر عملية تنفذها إسرائيل ضد منظمة التحرير الفلسطينية وقياداتها في لبنان، وتم تكليف مساعد رئيس شعبة الأركان اللواء «يوني افراتي» بإعداد الخطة الموسعة، وبعد أن أكملها تم عقد لقاء مع باراك في مبنى رئاسة الأركان بحضور اللواء يكتوئيل آدم حيث تم الإتفاق على توحيد الخطة، كما تم الإتفاق على أن يتم تنفيذ العملية الكبرى تحت قيادة قائد سلاح المظليات.

أعد باراك الخطة الجديدة ووافق عليها وزير الدفاع موشيه دايان وتم إختيار طواقم التنفيذ، وبدأ التدريب عليها مطلع شهر (٢ / ١٩٧٣م) على شاطئ تل أبيب بعد أن تم اختيار بنايتين تشبهان تلك اللتين يسكنهما القادة الثلاثة في بيروت وانضم إلى عملية التدريب إلى جانب إيهود

---

٥٠ كمال ناصر من قياديي الثورة الفلسطينية– ولد في بير زيت التابعة الآن لمحافظة رام الله والبيرة عام ١٩٢٤م، واستشهد في بيروت عام ١٩٧٣م في عملية عسكرية إسرائيلية استهدفته وقائدين فلسطينيين آخرين هما كمال عدوان ومحمد يوسف النجار، نال شهادة البكالوريوس في الآداب والعلوم من الجامعة الأمريكية في بيروت وعاد إلى فلسطين سنة ١٩٥٥م. عمل مدرساً للأدب العربي في مدرسة صهيون بالقدس، ثم درس الحقوق في معهد الحقوق في القدس وعين سنة ١٩٥٧م أستاذاً للأدب العربي في الكلية الأهلية برام الله، انتسب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي في سنة ١٩٥٢، انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في شباط سنة ١٩٦٩م وتولى رئاسة دائرة الإعلام والتوجيه القومي فيها وأصبح الناطق الرسمي باسمها، استشهد في ١٩٧٣/٤/١٠م مع رفيقيه كمال عدوان ومحمد يوسف النجار إثر الغارة الإسرائيلية على بعض مراكز منظمة التحرير الفلسطينية في مدينة بيروت، ترك كمال مجموعة كبيرة من الكتابات والقصائد الشعرية. وأهم آثاره الأدبية في مجال النثر وافتتاحيات «فلسطين الثورة»، المجلة الرسمية الناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية، إذ كان يتولى منصب رئيس تحريرها منذ إصدارها في يونيو ١٩٧٢م حتى تاريخ استشهاده، وأهم المعارك التي خاضها كمال ناصر واستشهد وهو يصب من قلبه دماً هي قضية الوحدة الوطنية بين فصائل الثورة، فقد كان له رأي محدد في هذا المجال لم يهتز إيمانه به إلى آخر لحظة في حياته فقد كان يرى أن القضية الفلسطينية ولدت من جديد من من خلال الثورة والكفاح المسلح، وأن من حق الذين يموتون ويقاتلون أن يقودوا المرحلة، وبالتالي فعلى كل حملة البنادق والملتزمين بخط المقاتلين أن يتوحدوا في جبهة واحدة وعلى أرض واحدة، وكانت آخر كلماته في حوار مع الشهيد صلاح خلف «أبو إياد»: أنتم لا تعرفون قيمة ثورتكم كما أعرفها أنا بحسي الثوري، أرى أن قضية الوحدة هي قضية عمري، وسأناضل من أجلها وستنتصر إرادة الوحدة رغم كل المعوقين والحاقدين.


الشهيد ابو يوسف النجار


الشهيد كمال عدوان

باراك رئيس شعبة العمليات في الدورية «امنون بيران».

بعد اكتمال عملية التدريب تم إطلاع وزير الدفاع موشيه دايان بذلك، حيث قام بإطلاع رئيسة الوزراء غولدا مائير التي وافقت على تنفيذ العملية بأسرع وقت، وتم الإتفاق على أن يكون موعد التنفيذ يوم ١٠ / ٤ / ١٩٧٣م وبما أن العملية كانت مشتركة بين جهاز الموساد والإستخبارات العسكرية، فقد التزم اللواء يكتوئيل آدم بإرسال فريق من الموساد إلى بيروت في وقت متزامن تماماً مع بداية التدريب على العملية (مطلع شهر ٢ / ١٩٧٢م) ليقوم ذلك الفريق بالتشييك النهائي على المعلومات وانحسرت مهمته في جمع المزيد من المعلومات واستئجار السيارات التي ستستخدم في العملية ورسم خرائط للطرق التي ستسلكها السيارات خلال عملية التنفيذ وتحديد موقع الإنزال البحري، واستكشاف المواقع المستهدفة وعددها (ستة مواقع) بناءً على طلب وزير الدفاع موشيه دايان بتوسيع العملية، منها موقعان أحدهما في شارع الخرطوم حيث مقر الجبهة الديمقراطية، والآخر في شارع فردان حيث يسكن القادة الفلسطينيون الثلاثة، ونقطة الإنزال البحري في منطقة الرملة البيضاء. بالإضافة إلى ثلاثة مواقع أخرى على مشارف المدينة، ونقطتا الإنزال البحري لها في شاطئ الأوزاعي وجونيه.

شارع الخرطوم:

وصل عملاء الموساد الثمانية إلى بيروت بجوازات سفر مزورة وتوزعوا نزولاً في ثلاثة فنادق هي فندق ساندوس، وفندق كورال وفندق أتلانتا، وقاموا باستئجار ثماني سيارات، وبدأوا



يتجولون في المناطق المستهدفة، في حين كان أكثرهم أهمية هو «أندرو ماكي» الذي نزل في فندق أتلانتا بجواز سفر ألماني مزور حيث كان المذكور على اتصال مع عدد من العملاء المحليين(٥١).

كانت الساعة وصلت الحادية عشرة صباحاً يوم ٣ / ٤ / ١٩٧٣م، كما تشير إلى ذلك ساعة الحائط المثبتة خلف موظفي استقبال فندق ساندوس في بيروت، عندما دخل سائح إنجليزي أبيض البشرة، أزرق العينين وشعره يميل إلى الإحمرار وتوجه من فوره إلى موظف الاستقبال وحياه ثم طلب منه حجز غرفة.

سأله الموظف ليملأ استمارة الدخول عن اسمه فقال: ديتور ألتور، رجل أعمال، المدة التي سيقضيها في الفندق.. ثلاث ليال.. وربما ثلاثون! ثم طلب موظف الفندق جواز سفره ليستكمل بقية إجراءاته وناوله السائح الجواز وصعد مع أحد خدم الفندق إلى غرفته وترك الجواز مع الموظف الذي نادى عليه لكي يوقع على استمارة الدخول، رد عليه السائح، ليس مهما ربما في المساء. وفي المساء وقف السائح الإنجليزي ألتور يسأل الموظف: هل هناك محلات قريبة تبيع أدوات صيد؟

- نعم ياسيدي.. لماذا؟
- أنا هاوٍ للصيد ولكني أهواه ليلاً فقط.
- غريبة.. أتصطاد ليلا فقط؟
- نعم إنها هواية غريبة ولكني أجد متعتي في ذلك دائماً،

ظل ألتور يخرج مساء كل ليلة من الفندق حاملاً صنارته ويسير على الشاطئ في الظلام حتى منطقة تسمى مغارة الحمام حيث يمارس هوايته ويعود في آخر الليل وكأنه صياد عائد من رحلة صيد حقيقية. وبعد ثلاثة أيام من وصول هذا السائح الغريب وصل إلى الفندق نفسه ثلاثة سائحين كل منهم على حدة وفي توقيت يختلف عن توقيت الآخر بفارق ساعتين بين كل سائح وآخر، ولكن كان السائح الإنجليزي «آندرو» هو أول من وصل وكان يبدو كرجل إنجليزي تقليدي، كلاسيكي المظهر، متأنق ومتحفظ في كلامه، وأملى بياناته للموظف وسلمه جواز سفره أيضاً. بعد ساعتين وصل سائح آخر قال لموظف الاستقبال أنه بلجيكي واسمه شارل بوسار ولكنه كان قادماً من روما.. وكان يبدو في الأربعين من عمره وعندما بلغت الساعة التاسعة مساء كان قد وصل سائح إنجليزي ثالث اسمه جورج ألوار لم يتحدث بأية كلمة مع أي من

---

٥١ جورج جوناس، الانتقام، ص١٨٢.

العاملين بالفندق وعندما أراد موظف الإستقبال أن يسأله عن اسمه ألقى له بجواز سفره ثم طلب مفتاح غرفته وصعد إليها وكان يبدو في الثلاثين من عمره. لم يكن أي من السياح الثلاثة يعرف أحدهم الآخر بشكل مباشر ولم يسبق أن التقوا من قبل لكنهم كانوا جميعاً يعملون لحساب جهة واحدة!!

دقت الساعة الثانية عشرة منتصف ليل بيروت عندما فوجئ موظف إستقبال فندق «ساندوس» بالسائح الإنجليزي جورج يقف أمامه ويسأله:

– كيف يمكنني أن أذهب إلى شاطئ البحر؟

- الآن ياسيدي؟

- هل هناك خطر يمنع ذلك؟

- لا ولكن الوقت متأخر وعموماً إليك الطريق.. وصف موظف الاستقبال الطريق للسائح الإنجليزي جورج الذي خرج من الفندق متجهاً إلى شاطئ البحر.

في فندق «أتلانتيك» تكرر المشهد نفسه أيضاً من سائح إنجليزي اسمه اندروميسي الذي إختار هذا الفندق الواقع على شاطئ البياضة ومنذ لحظة وصوله وحتى مغادرته الفندق ظل يسأل عن حالة الطقس وكلما أجابه عامل من الفندق عن الطقس أعطاه مبلغاً من المال.

لم يلاحظ عمال الفندق وموظفوه وجود أية علاقة بين هؤلاء السياح إطلاقاً، فهم لم يلتقوا مع بعضهم في صالة الفندق وكان كل منهم يخرج بمفرده ليتجول في شوارع بيروت سيرا على الأقدام ولكنهم جميعاً كانوا يسيرون يومياً وبانتظام في شارع الخرطوم ببيروت أكثر من مرة في اليوم الواحد. كان شارع الخرطوم هو هدف جميع هؤلاء السياح، وفي الحقيقة أنهم لم يكونوا أيضاً سياحاً.. ولكن المؤكد أنهم لم يكونوا على معرفة مباشرة ببعضهم لكنهم جميعاً يعملون لصالح الموساد وقد تلقى كل منهم على حده تعليمات محددة بالسفر إلى بيروت والوصول بالطريقة التي وصلوا بها وألا يتحدث كل منهم للآخر أبداً داخل الفندق وأن يدرسوا جيداً شارع الخرطوم.. أهم شارع بالنسبة لهم في لبنان كله.. ولكن لماذا؟

لسبب بسيط وهو أن مكاتب قيادة الجبهة الديمقراطية الفلسطينية تقع في هذا الشارع، الذي يسكنه أيضاً بعض قادة فتح. كان شارع الخرطوم طويلاً ممتداً لمسافة بعيدة تنتهي بملعب وناد رياضي مقام على أحدث طراز لذا فإنهم كانوا يلتقون في نهاية كل جولة يقومون بها لشارع الخرطوم في هذا الملعب ليس للعب الكرة أو البولينغ بل لمراقبة مبنى قيادة الجبهة الديمقراطية.

كان هناك أيضاً شارع آخر لا بد لهؤلاء الجواسيس من مراقبته غير شارع الخرطوم، اسمه شارع فردان وهذا الشارع بالتحديد كان يسكن فيه الأعضاء المطلوبون من فتح.. كان المطلوبون هم علي حسن سلامة، كمال عدوان وكمال ناصر أبو يوسف النجار وكانوا جميعهم يقيمون بشارع فردان إلا أن الذي لم يكن العملاء متأكدين من إقامته في هذا الشارع هو علي حسن سلامة(٥٢).

أيهود باراك وأمنون شاحاك في قيادة العملية:

بعد أن أبرق عملاء الموساد لقادتهم في إسرائيل بأن كل شيء قد أصبح جاهزاً(٥٣)، تسلم إيهود باراك و أمنون شاحاك (رئيس كتيبة الشبيبة الطلائعية المظلية) مهمة تنفيذ عمليتي الهجوم على الأهداف داخل بيروت، فتسلم أيهود باراك قيادة المجموعة المنفذة لاغتيال القادة الثلاثة في شارع فردان، وتسلم أمنون شاحاك قيادة المجموعة المهاجمة لمقر الجبهة الديمقراطية، فيما أوكلت قيادة العملية كاملا والإشراف عليها من داخل سفينة القيادة (جعس) في البحر إلى منو شكيد (قائد سلاح المظليات). كما تولت رئاسة الأركان تجهيز طواقمها. اجتمع باراك مع كبار ضباط وحدة سيريت متكال لمناقشة تفاصيل العملية قبل البدء بالانطلاق للعملية بأيام معدودة، وكان من بين هؤلاء الضباط نائبه يوني نتنياهو (الأخ الأكبر لبنيامين نتنياهو، والذي قتل بعد ثلاث سنوات خلال عملية عملية عنتيبي)(٥٤).

وصل ستة عشر من أفراد الكوماندوز الإسرائيلي إلى ميناء حيفا يوم التنفيذ (٩ / ٤ / ١٩٧٣م) حيث كان بانتظارهم رئيس الأركان ديفيد بن اليعازر ورئيس وحدة أمان إيلي زعيرا وصعد أفراد الكوماندوز إلى سفينة القيادة التي انطلقت ترافقها سفن صاروخية غربا باتجاه قبرص وقبل وصولها انحرفت بالطرق التجارية البحرية الناقلة إلى بيروت. وعلى بعد ثلاثة كيلومترات من الشاطئ اللبناني نزلت مجموعة الكوماندوز في أربعة قوارب مطاطية

---

٥٢ كشف الرصد الإسرائيلي أن منزل علي حسن سلامه كانت عليه حراسة مشددة؛ ولهذا السبب لم يجرؤ المنفذون على التوجه لمنزله لاغتياله رغم أن المنزل لا يبعد أكثر من ٥٠٠ متر فقط على منزل الشهداء.

٥٣ أبلغت وحدة المراقبة قيادتها في تل أبيب عن أعداد الحراسات وجاهزية الشرطة اللبنانية ومراكزهم ومواقع المناوبة وأعداد الدوريات الثابتة والمتحركة واستنفارهم في حالات الطوارئ. (أهارون كلاين، كتاب حساب مفتوح، عملية ربيع الصبا، الطبعة الأولى، دار الكتب ٢٠٠٦م).

٥٤ وقعت عملية عنتيبي في أوغندا في ١٩٧٦/٧/٤م حينما اختطفت مجموعة تابعة لوديع حداد طائرة إسرائيلية وتمكن الكوماندوس الإسرائيلي اقتحام الطائرة، بتواطؤ من أوساط أمنية أوغندية. وقتل في العملية يوني نتنياهو، واستشهد فايز جابر وجايل العرجا وأبو الدرداء (عراقي) وفتاة وشاب من ألمانيا. أما عملية مقديشو فقد قامت بها مجموعة أخرى من جماعة وديع حداد، وتمكنت من اختطاف طائرة ألمانية، وقد قتل الخاطفون وجرحت سهيلة السايح. أنظر: صقر أبو فخر، أنيس النقاش، أسرار خلف الأستار،ص١٤٨).

من طراز (مارك –٧) وتوجهوا نحو شاطئ فندقساندوس والذي كان عملاء الموساد توصلوا لنتيجة مفادها أن رياح شهر مارس الباردة تطيّر ذرات من مياه مالحة وغبار باتجاهه من ناحية البحر ولذلك يلجأ المقيمون بالفندق إلى إغلاق الستائر في غرفهم. وعلى مسافة بضعة مئات من الأمتار عن الشاطئ قاموا بإطفاء محركات القوارب المطاطية وبدأوا التجديف بالأيدي وحال وصولهم قفزوا من القوارب إلى الماء رافعين وسائلهم ومعداتهم القتالية عاليا.

كانت ثلاث سيارات أجرة (بويك كاديلاك) بانتظارهم في ساحة الفندق ويقودها عملاء للموساد تنكروا بهيئة سياح، وعلى الفور صعد أعضاء المجموعة إلى السيارات متراصين على بعضهم ؛مما أدى إلى تعطل جهاز الإتصال مع السفينة الأم في البحر.

خرج أفراد المجموعة من السيارات على زاوية شارع فردان حوالي الساعة الواحدة والنصف من صباح ١٠ / ٤ / ١٩٧٣م وانقسموا إلى أربع مجموعات، الأولى كانت بقيادة أمنون شاحاك (من المظليين) وكانت مهمتها تدمير بناية من سبعة طوابق تشغلها الجبهة الديمقراطية والتي كانت تبعد حوالي ٢٠٠ متر عن مقر قوات ال١٧، وتضم البناية مكتب الأمين العام نايف حواتمة والمكتب السياسي ومكتب العلاقات الخارجية والدائرة المالية والأرشيف ومستودع أسلحة وتموين، والمجموعة الثانية والثالثة لاغتيال القادة الثلاث، والمجموعة الرابعة كان من المقرر أن تهاجم هدفا آخر في شمال لبنان إعتقد الإسرائيليون أنه مصنع للألغام لكن ألغي الهدف واستبدل بهدف آخر في جنوب بيروت هو بناية تحتوي مصنعاً للذخيرة وأوكلت مهمة تدميره للعقيد شاؤول زيف. وتوزع أفراد الكوماندوز كل إلى هدفه فيما ظل في المراقبة كل من باراك الذي تخفى بزي إمرأة يرافقه عميرام ليفن وطبيب الوحدة الدكتور شموئيل كيتس.

نزل موكي بتسار وفتح الباب ل إيهود باراك الذي كان في هيئة إمرأة ووضع يديه حول كتفي إيهود باراك وضمه إلى صدره، لأنه شاهد رجلي شرطة لبنانيين، ثم واصلا السير باتجاه البنايتين التي يسكنها القادة الثلاثة، وكانت الساعة تشير إلى الواحدة و٢٩ دقيقة عندما إقترب موكي بتسار من باب العمارة الخارجي ووجده مفتوحا، فترك إيهود باراك واقفا وأعطى إشارة إلى بقية الفريق للحاق به، فصعد عبر الدرج ولحق به الفريق حيث توجه كل من نحمائي وتسيبكه كل نحو الشقة المخصصة للاقتحام(٥٥).

لم يصبه، فتراجع الحارس نحو السيارة وهو يطلق نيران سلاحه، فاضطر باراك إلى تبادل إطلاق النار معه فأصابت إحدى رصاصاتهم سيارة أخرى أطلقت صفارة إنذارها، واستيقظ السكان وأبلغوا الشرطة، واستدعى باراك سيارة الإنقاذ وعندما اقتربت من المجموعة دخلت المنطقة سيارة لاندروفر تابعة لشرطة، فقذف موكي بتسار قنبلة على سيارة الشرطة فأصابت جميع أفرادها وتمكن باقي أفراد المجموعات من الوصول إلى السيارات التي حملتهم إلى الشاطئ. ولقد كشفت تحقيقاتنا عدم صحة الرواية الإسرائيلية خاصة أنه لم يثبت وجود قتلى أو جرحى من الأمن اللبناني لكنها عادة إسرائيلية للتمويه والتغطية على تفاصيل أمنية هامة في عمليات الاغتيال التي قاموا بتنفيذها.



فجر المهاجمون باب شقة أبي يوسف النجار واقتحموها، أسرع أبو يوسف وأغلق الباب الفاصل بين غرفتي النوم و الجلوس وحاول الوصول إلى مسدسه إلا أن رصاص موكي بتسار كان أسرع فسقط شهيداً بينما حاولت زوجته افتداءه بنفسها واحتضنته لكن المهاجمين أمطروها بالرصاص(٥٦)، وكانت بحق أروع النماذج الإنسانية في التضحية، أما يوسف الابن الأكبر فقد تمكن من استخدام كيبل الهاتف للنزول إلى شقة في الطابق الخامس حيث استقبله بعض القساوسة الإيطاليين الذين سقوه بعض العصير الذي اتضح أن به مخدراً ليتضح لاحقا أنهم من عملاء جهاز الموساد(٥٧).

كانت المجموعة الثانية تقتحم شقة في الوقت نفسه كمال عدوان الذي استطاع استخدام بندقيته من نوع كلاشنكوف للتصدي للمجموعة المهاجمة فأصاب أحدهم في حين أصيب هو بعدة رصاصات سقط على أثرها شهيداً، وخلال انسحاب المهاجمين ركضا عبر درج الهبوط فتحت أحد أبواب الشقق ففتح المهاجمون النار على الباب فقتلت إمرأة إيطالية تناهز سبعين عاماً.

وكان بقية أفراد الطاقم قد اقتحموا شقة كمال ناصر الذي كان جالساً وقت الاقتحام خلف مكتبه يكتب مقالاً عن صديقه الشاعر المرحوم عيسى نحلة، وقد حاول كمال ناصر استخدام مسدسه لكن الرصاص إنهمر على جسده فسقط شهيداً والسلاح في يده. أما في حي

٥٦ رسمية أبو الخير «أم يوسف النجار» بينما كان أبو يوسف مشغولاً بمتابعة قضاياه الوطنية في الشقة التي يسكنها بالطابق السادس في إحدى البنايات بشارع فردان، كانت أم يوسف كعادتها تشاركه السهر، فلم يسبق أن طاوعتها النفس يوماً بأن تذهب كي تنام قبل أن تطمئن على خدمة زوجها. وفجأة دوى انفجار اقتلع باب الشقة، واقتحمت فرقة الإغتيال الإسرائيلية وهي تطلق الرصاص في الأرجاء، اندفع أبو يوسف محاولاً أن يفتح درج مكتبه ليخرج مسدسه، لكن رصاصة الغدر كانت أسرع. اندفعت أم يوسف نحوه لتحتضنه وتفتديه بالروح والجسد، لم ترهبها اللحظة، ولم تخيفها فوهات البنادق التي تمطر الرصاص نحو زوجها. فكانت لحظة عناق أبدي لم يعرف مثله العاشقون في أوج اندفاعاتهم العاطفية.. وكما كانت لحظة ليلة الزفاف حيث العروسين متشابكي الأيدي والمدعوون يغنون ويرقصون ويزغردون، فقد كانت لحظة استشهادهما أكثر التصاقاً وعناقاً للروح بالروح.. بينما ملائكة الرحمن ترفف في أرجاء الشقة تزفهما في عرس الشهادة.. إنها المرأة الأمثولة والقدوة لغيرها من النساء، ففي لحظة الحب كان أبو يوسف الأقرب إليها من فلذات كبدها رغم أنها تفيض حناناً وأمومة.. فمن بعد أبي يوسف لن ترى فرحاً إلا في عيون أولادها أو في انتصارات يصنعها رفاق درب زوجها، فقد فاقت أم يوسف بتضحيتها وافتداء زوجها بالروح «خنساء العرب» التي فقدت أخوتها.. ومن هي تلك المرأة التي تجرؤ على اقتحام الموت دفاعاً عن زوجها مثل الشهيدة أم يوسف.

٥٧ فقد يوسف حوالي الخمسة ساعات بعد اغتيال والده وبعد البحث عنه تبين أنه نائم في الطابق الخامس عندما نزل باستخدام كيبل الهاتف عليه، وعندما رأوا يوسف خائفا وعليه علامات الرعب قاموا باسقائه كأسا من العصير وكان به مخدرا فنام، وتبين بعد التحري أن الذين كانوا يسكنون بالطابق الخامس جاؤوا واستأجروا الشقة على أساس أنهم قساوسة إيطاليين وتبين أنهم عملاء من الموساد، حيث رحلوا مع القوات الإسرائيلية بعد تنفيذ عملية الاغتيال وبنفس الليلة تركوا الشقة.

الفاكهاني(٥٨) فقد كان فريق أمنون شاحاك يتقدم نحو مبنى الجبهة الشعبية الديمقراطية. وكان شاحاك في المقدمة، وخلفه مباشرة كل من حاجي مهينان وابيدع شور وهما جنديان من دورية المظليين، وكانا يحملان مسدسات كاتمة للصوت بهدف إغتيال الحراسات الموجودة على مقر الجبهة وخلفهما بقليل (ايجال برسلر) وهو قائد فصيل في المظلات ومعه بقية القوة المهاجمة، فاكتشفهم حراس المقر وأطلقوا عليهم النيران فقتلوا ابيدع فوراً وأصيب حاجاي معينان وقتل هو الأخر فيما بعد متأثرا بجراحه، واشتبكت القوة الإسرائيلية المهاجمة مع

٥٨ الفاكهاني: حي سكني في غرب بيروت، انتقل إلى واجهة الأحداث في مرحلة ما بعد اتفاق القاهرة (١٩٦٩م) بين (م.ت.ف) والحكومة اللبنانية، حيث برز كأنه المركز السياسي والإداري للمنظمة، فهناك يقع مكتب ياسر عرفات، وعلى تخومه تنتشر معسكرات ومقرات إدارية وأمنية عديدة، مناوئو المنظمة أطلقوا عليه ومنذ بدايات الحرب الأهلية اللبنانية اسم «جمهورية الفاكهاني» بسبب كثافة تواجد الكوادر الفلسطينية السياسية والإعلامية والعسكرية، إضافة لما شغله من مقرات ومعسكرات حماية، عرفت باسم قوات الـ١٧، لم يكن التواجد العسكري والسياسي الفلسطيني كثيفاً نسبيا في فترة ما قبل الحرب الأهلية على ما هو بعدها. فقد فرضت ظروف الحرب الأهلية نوعا من التقسيم الجيوسياسي ما بين «بيروت الغربية» والشرقية» كما أوجبت تلك الظروف تعميق أواصر التحالف بين م.ت.ف وفصائل وقوى وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية، وخلال تلك الحرب تطورت مناهج «تفريغ» العناصر على نحو غير مسبوق، وبدأ سيل القوات العسكرية وغيرها في الوصول إلى بيروت، وبالتالي التمركز في حي الفاكهاني، وخلال تلك المرحلة تبلورت مفاهيم الدولانية الفلسطينية لدرجة أن مؤسسات ودوائر المنظمة باتت تشكل «دولة داخل دولة»، فهناك مؤسسة الرئاسة وحولها دوائر (م.ت.ف) ومؤسساتها، فقد كان «الهلال الأحمر الفلسطيني» يمثل عبر كوادره وعياداته وأسطول سياراته، ما يتجاوز قدرات أية وزارة صحة عربية. وكان الفلسطينيون يصدرون في حي الفاكهاني ما يزيد على ثماني عشرة صحيفة ما بين يومية وأسبوعية وشهرية، ويسيطرون سيطرة أمنية كاملة على حي الفاكهاني، بهدف حماية القيادات، وتلاقت على حمايته الفصائل على تناقضاتها السياسية والأيديولوجية وهو ما سماه الرئيس عرفات «الديمقراطية وسط البنادق» تلاقت قوى مختلفة في حي الفاكهاني، وكان لتلاقيها مخاطرة في البدايات، حيث شهد هذا الحي اشتباكات دامية. كما قامت الفصائل بطباعة منشوراتها وملصقاتها في الفاكهاني، وجعلت من جدرانه ما يشبه المعارض الدائمة. وتحولت كتائب الفصائل المسلحة إلى ما يشبه الجيش النظامي الرسمي، حيث برزت التراتبية الهرمية، وكذلك التسلح بالأسلحة الثقيلة، كالمدفعية وراجمات الصواريخ وغيرها. ولعل في وجود قوات نظامية مسلحة بأسلحة ثقيلة في حي من الأحياء ما يعطي له أبعادا أخرى، وكأنه قطعة سياسية – أمنية تختلف بنسيجها، عما يحيط بها من أحياء مجاورة. ولعل فيما جرى غداة دخول القوات السورية إلى بيروت عام ١٩٧٦م ما يوضح حقيقة ذلك، فقد تم الاتفاق على بقاء القوات السورية خارج نطاق الفاكهاني، في وقت تسلم فيه الأمن في هذا الحي مفارز من «الكفاح المسلح الفلسطيني». وتعرض الفاكهاني إلى استهدافات عسكرية إسرائيلية متنوعة كان بعضها على شكل عمليات خاصة، وبعضها الآخر إغارات جوية استهدفت مراكز قيادية، وكان منها مكتب الأمانة العامة للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وخلال تواجد (م.ت.ف) في لبنان كان مركز الرئيس وطاقمه في الفاكهاني، وبحماية قواته الخاصة من حرس الرئاسة تحديدا، وفي مقره كان يستقبل كبار زائريه الدوليين والعرب، وعبر شارع المنطقة الرئيس «شارع الجامعة العربية» كانت احتفالات انطلاقة الثورة ليل ١/١ تجري عبر استعراضات عسكرية وشعبية عارمة، يحضرها قادة الفصائل والحركة الوطنية اللبنانية وهي تشبه إلى حد بعيد الاستعراضات الرسمية التي تجري في الدول المستقلة، شكل الفاكهاني عمليا أمرا واقعا كعنوان سياسي وعسكري فلسطيني، كما كان موئلاً للمعارضات العربية وحتى العالمية على اختلاف أشكالها، كان الفاكهاني قادراً إلى حد ما على حماية المعارضات العربية، بل وتقديم يد العون لها، ودعم نشاطاتها السياسية والإعلامية، وبالمقابل فقد شارك معارضون عرب كثيرون خاصة العراقيين منهم في النشاطات الإعلامية والعسكرية الفلسطينية، وبرزت من بين صفوفهم أسماء لامعة احتلت مواقع مرموقة، قامت جمهورية الفاكهاني كحقيقة واقعة طوال سنوات ١٩٧٥ – ١٩٨٢م، وغداة خروج قوات المنظمة دخل الجيش الإسرائيلي إلى بيروت الغربية، مركزاً قواته في حي الفاكهاني، وعلى مقربة منه جرت مذابح صبرا وشاتيلا. سميح شبيب، الفاكهاني، أنظر: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، ص٤٠٦-٤٠٧.



مقاتلي الجبهة الديمقراطية الذين هبوا يدافعون عن المقر، فأصيب ايجال برسلر إصابة خطيرة، في حين حاول مناحيم زوتورسكي قائد الوحدة ونائبه أهارون سبح الوصول إلى المبنى لنسفه إلا أنهما اضطرا إلى تفجير العبوات الناسفة بالقرب من المقر لعدم التمكن من الوصول إليه بسبب الحراسة الجيدة التي كانت تحرس المقر خاصة المقاتل البطل غانم عبد الرحمن محمود عيدة الذي كان على رشاش الدوشكا وكان أول من شاهد القوة الإسرائيلية وبدأ بالاشتباك معها وظل يقاتل حتى نفذت ذخيرته واستشهد على مدفع الرشاش.

وبينما كانت مجموعات الاقتحام تنفذ عملياتها في شارع فردان وحي الفاكهاني كانت المجموعة المهاجمة المتوجهة نحو الأوزاعي قد اصطدمت بمجموعات أولاد ناصرالذين خرجوا لاستكشاف ما يجري، فاشتبكوا مع القوة الإسرائيلية المهاجمة وأوقعوا بها عدد من الخسائر، في حين استشهد عدد من سكان الحي ومن ضمنهم رئيس بلدية الأوزاعي. ويذكر أن جزءاً من المجموعة الأخيرة كانت قد رست في ميناء جونيه ثم توجهت نحو مخيم تل الزعتر وكان هدفها اللجنة العلمية لحركة فتح فاقتحمتها وفجرت جزءاً من محتوياتها خاصة ورشة صيانة الأسلحة، ومشغل تصنيع العبوات المفخخة وبعض الأسلحة.

أبو عمار في تلك الليلة:

طيلة أسابيع قبل عملية فردان كان ياسر عرفات يتوقع هجوماً إسرائيلياً لاستهدافه وقيادات (م.ت.ف)، وقد عبر عن توقعاته لجميع القيادات الفلسطينية وكان هو أشدهم حذرً واستشعاراً بالخطر الذي شكل هاجساً مرافقا له حتى في ساعات نومه، وأذكر أنه قبل عملية فردان واغتيال القادة الثلاثة بيوم واحد فقط كان أبو عمار نائماً في شقتي الكائنة مقابل بناية مقر قوات الـ١٧ في شارع الجامعة العربية بالطابق الخامس من بناية أبو سمير الدامرجي.. ولم يكن معه في تلك الليلة سواي ومرافقه الخاص فتحي.. وفجأة هب أبو عمار من غفوته يردد.. إيه ده.. لقد بدأ الهجوم.. لقد سمعت هدير الدبابات.. وتناول سلاحه وأخذ في الاستعداد لإصدار التوجيهات لمختلف المواقع للدفاع ضد الهجوم.. وللوهلة الأولى سيطرت المفاجأة وعلامات الاندهاش عليّ وعلى فتحي.. فنحن لم نسمع هدير للدبابات وليس لدينا أي دليل على وقوع هجوم إسرائيلي، فقلت للأخ أبو عمار: ليس هناك أي هجوم يا ختيار.. وليس هناك أي خطر يتهددنا.. عندها عاد إلى النوم، لكني أدركت أنه كان يتوقع هجوماً إسرائيلياً في عقله الباطن لا سيما أنه كان مستنفراً قبل ذلك بحوالي ٤٨ ساعة لم ينم خلالها دقيقة واحدة.

كان أبو عمار في ليلة الهجوم نائماً في شقتي مرتدياً كامل لباسه العسكري ومسدسه من نوع شتاير في متناول يده. وفور سماعنا دوي الانفجار قفزنا على الفور وحمل كل منا سلاحه واتخذ أبو عمار كامل هيئة الدفاع عن النفس فيما سيطر علينا شعور حمايته مهما كانت التضحيات، قال أبو عمار: إنه هجوم إسرائيلي!! فقلت له: يا ختيار إنه اشتباك بين الديمقراطية والشعبية «القيادة العامة» فهما في حالة اشتباك مسلح منذ استشهاد النقيب فايز خلدون بمخيم تل الزعتر على يد مقاتلي القيادة العامة التي قد تكون عاودت الهجوم في بيروت على مقر الجبهة الديمقراطية، فقال أبو عمار: لا.. إن السلاح الموجود لدى الجبهتين القيادة العامة والديمقراطية هو قذائف الآر.بي.جي والأسلحة الرشاشة، ولكن ما سمعناه للتو هو انفجار مختلف.. إنه هجوم إسرائيلي.

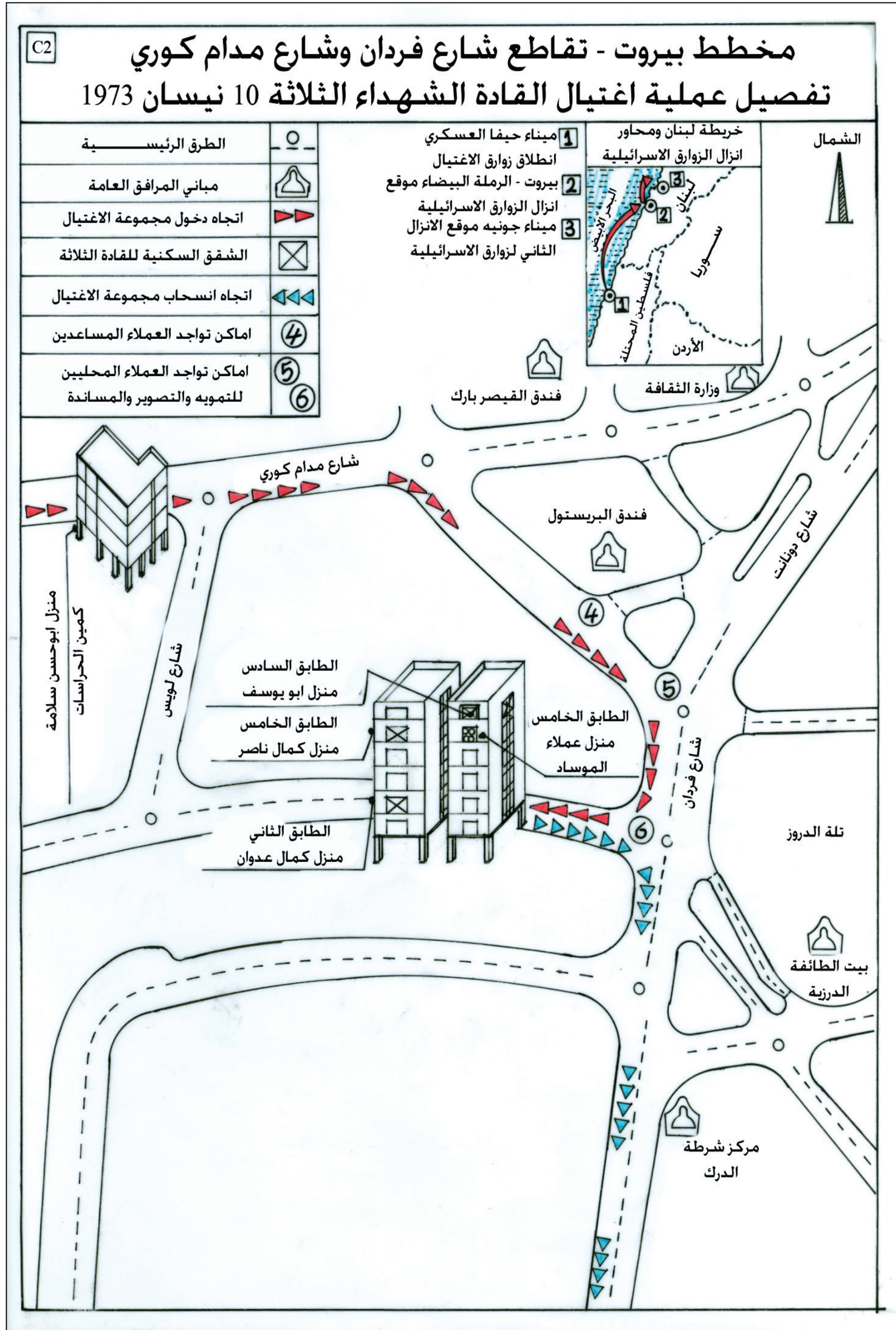
كانت شقتنا تطل من جهة الخلف على الشارع المؤدي من بنايات الصادق إلى اتجاه المدينة الرياضية، وكانت كلية الهندسة آنذاك قيد البناء، وفور سماعنا للانفجارات هرعنا إلى الشرفة وكانت تطل على بناية كان يسكن بها حمد العايدي (أبو رمزي) كذلك بناية تسكن فيها الأخت أم ناصر كما تطل على مثلث لتقاطع طرق، فشاهد أبو عمار بعض السيارات القادمة من دخلة مطعم ابو فراس تتجه نحو مكان الإشتباكات، حيث كان مكتب الجبهة الديمقراطية يقع جنوب مكتب الـ١٧ ولا يبعد عنه كثيرا، وعلى الفور قال أبو عمار: كيف تتوجه تلك السيارات المدنية إلى موقع الإشتباكات.. إنه هجوم إسرائيلي.. فتناول كل منا رشاشه وحملنا ما استطعنا من قنابل يدوية وصعدنا إلى سطح البناية لمراقبة ما يجري على الأرض.. وأثناء تلك اللحظات لم يكن يشغل بالي سوى كيفية الحفاظ على حياة القائد أبو عمار.. لذا فقد أصدرت الأوامر إلى محمد قنن «أبو النور» الذي كان أول من وصل إلينا فور سماع الانفجارات باتخاذ جميع تدابير الحذر مع تطويق البناية وتعزيز الحراسات على مدخل الشارع المؤدي إليها، وأن يكون على اتصال دائم معي.. كما اقترحت على أبي عمار أن «نغامر» وننسحب من المنطقة.. فسأل إلى أين سيكون الإنسحاب..؟ أجبته: بأنه يوجد بحوزتي مفتاح لمنزل في شارع أبو شاكر في منطقة» المرابطون» سلمني إياه إبراهيم قليلات «أبو شاكر» شخصياً لاستخدامه في حالات الطوارئ وسبق أن استخدمناه للمنامة مرة واحدة.. وبما أننا نجهل حجم الهجوم والأماكن المستهدفة فإن بقاءنا في هذا المكان سيعرضنا للمحاصرة.. وبعد أن فكر أبو عمار فيما قلته وافق على الإنسحاب من المكان، وبدأ يخطط لعملية الإنسحاب حيث تقيدنا بها تماماً ونزلنا عن

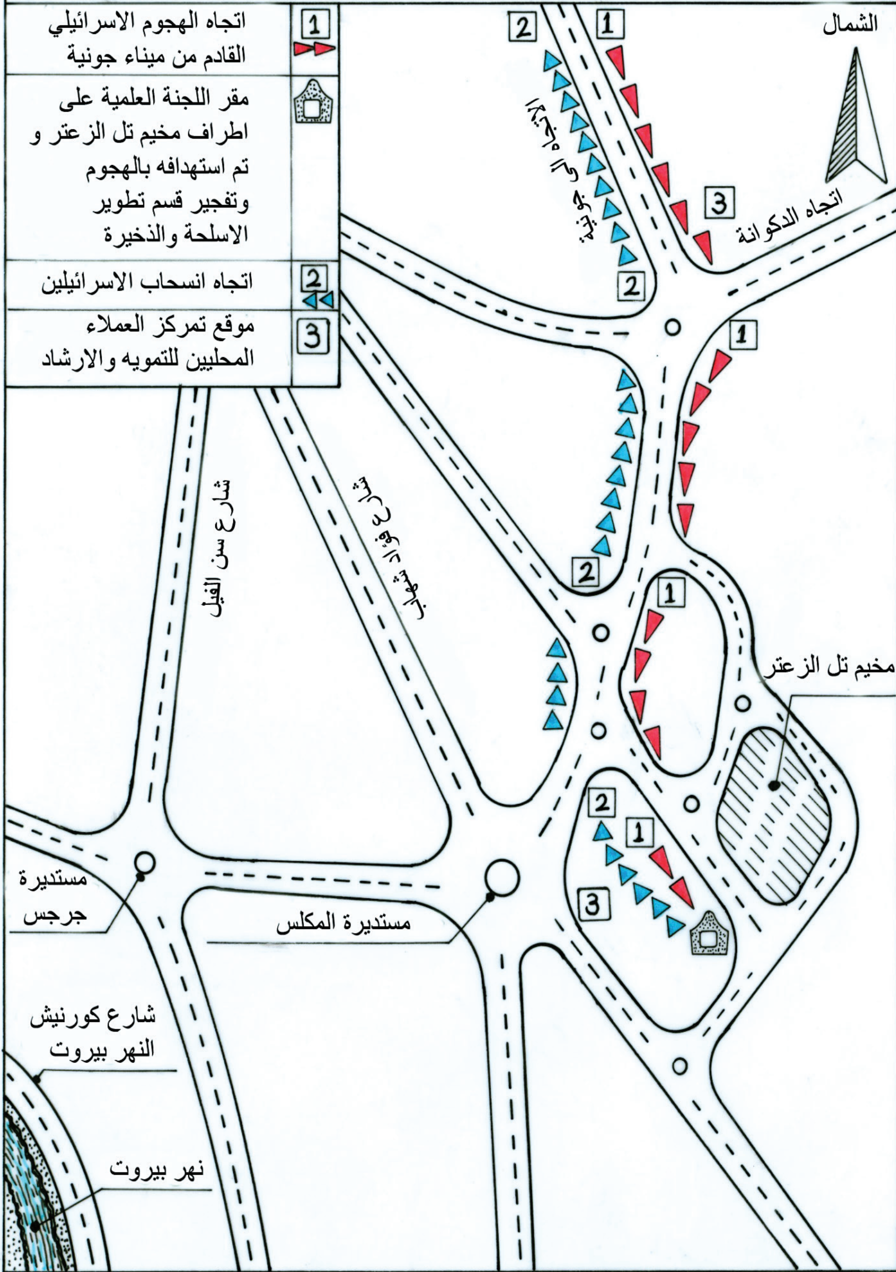


سطح البناية بوساطة الدرج حتى الطابق الأرضي، وطبقا لأوامره انطلقنا سيراً على الأقدام كون المسافة المقصودة ليست طويلة، ولم نحرك أي سيارة، لكن عدداً من مقاتلي قوات الـ١٧ رافقونا للحماية طوال الطريق، فقد سلكنا طريقاً يقطع شارع الفاكهاني فانطلقت نحونا قذيفة اينرجا، لكننا تعمدنا عدم الرد على مصدر الإطلاق، واجتزنا منطقة حبس الرمل فدخلة المكتب الثاني للجبهة الديمقراطية القريب من غرفة العمليات، حتى وصلنا إلى شارع الجامعة العربية وقطعناه باتجاه شارع أبو شاكر حيث يوجد المنزل المقصود.

وفور الوصول فتحنا الباب وعبرنا إلى الداخل حيث باشر أبو عمار الاتصالات الهاتفية ببيوت القادة الذين كانوا يسكنون خارج مربع الفاكهاني، وكان أول ببيت اتصل به هو بيت الشهيد كمال عدوان حيث علم من زوجته بتفاصيل الهجوم الإسرائيلي الذي استهدف زوجها والشهيدين أبو يوسف النجار وكمال ناصر. وبكل ما عرف عن القائد العام ياسر عرفات من رباطة جأش وقدرة على إدارة الأزمات فقد أصدر أوامره لجميع القطاعات بتطويق المكان والاشتباك مع القوات المهاجمة، وكنت شخصياً على رأس أول قوة تصل إلى منزل الشهيد كمال ناصر، حيث كانت القوة الإسرائيلية المهاجمة قد غادرت المكان، فدخلت لأتفقد منزل الشهيد كمال ناصر فوجدته مسجى على طاولته الصغيرة وهو قابض على مسدسه بيده، وبكل عذابات النفس ولوعة الأسى والفجيعة على شهداء أحبة، أعزة على القلب والوجدان.. جررت قدماي نحو منزل أخي علي حسن سلامه «أبو حسن» لتفقده، فلم أجده في المنزل لذلك قمت بالاتصال معه وعرفت مكانه، فالتقينا وذهبنا سوياً إلى حيث كان يوجد أبو عمار.


C1
خريطة بيروت - محيط جونية والاوزاعي
عملية فردان لاغتيال القادة الشهداء الثلاثة 10 نيسان 1973
1 الرملة البيضاء
2 شارع فردان
3 الجامعة العربية
4 شارع الخرطوم
5 ميناء جونية
6 تل الزعتر
7 مطار بيروت
الشمال
ميناء جونية
البحر الابيض المتوسط
مكايل
طبية
انطلياس
جد الديب
ميناء بيروت
زلقا
جديدة
رأس بيروت
النجمة
الحمرا
سن الفيل
دكوانة
الاشرفية
برج حمود
المكلس
الحازمية
الرملة البيضاء
الفكهاني
حريك
نهر بيروت
البراجنة
الاوزاعي
بعبدا
طريق الى دمشق
عالية
الطريق الى صيدا
خلدة
A موقع انزال الزوارق
B موقع الهدف فردان
C موقع الهدف الفكهاني
D موقع العملاء المحليين
E موقع الهدف تل الزعتر


C2
مخطط بيروت - تقاطع شارع فردان وشارع مدام كوري
تفصيل عملية اغتيال القادة الشهداء الثلاثة 10 نيسان 1973
الطرق الرئيسية
مباني المرافق العامة
اتجاه دخول مجموعة الاغتيال
الشقق السكنية للقادة الثلاثة
اتجاه انسحاب مجموعة الاغتيال
اماكن تواجد العملاء المساعدين
اماكن تواجد العملاء المحليين للتمويه والتصوير والمساندة
1 ميناء حيفا العسكري انطلاق زوارق الاغتيال
2 بيروت - الرملة البيضاء موقع انزال الزوارق الاسرائيلية
3 ميناء جونيه موقع الانزال الثاني لزوارق الاسرائيلية
خريطة لبنان ومحاور انزال الزوارق الاسرائيلية
البحر الأبيض
لبنان
سوريا
فلسطين المحتلة
الأردن
الشمال
فندق القيصر بارك
وزارة الثقافة
شارع مدام كوري
فندق البريستول
شارع مونانت
منزل ابوحسن سلامة
كمين الحراسات
شارع لويس
الطابق السادس
منزل ابو يوسف
الطابق الخامس
منزل كمال ناصر
الطابق الخامس
منزل عملاء
الموساد
الطابق الثاني
منزل كمال عدوان
شارع فردان
تلة الدروز
بيت الطائفة الدرزية
مركز شرطة الدرك


C3
مخطط بيروت - محيط سن الفيل ومخيم تل الزعتر
تفصيل الهجوم لفريق الزوارق الثالث الاسرائيلي لمقر اللجنة العلمية
1
اتجاه الهجوم الاسرائيلي القادم من ميناء جونية
مقر اللجنة العلمية على اطراف مخيم تل الزعتر و تم استهدافه بالهجوم وتفجير قسم تطوير الاسلحة والذخيرة
2
اتجاه انسحاب الاسرائيليين
3
موقع تمركز العملاء المحليين للتمويه والارشاد
الشمال
اتجاه الدكوانة
الى جونية
شارع سن الفيل
شارع فؤاد شهاب
مخيم تل الزعتر
مستديرة جرجس
مستديرة المكلس
شارع كورنيش النهر بيروت
نهر بيروت


مخطط بيروت - محيط جامعة بيروت العربية - 1973-04-10
تفصيل الهجوم لفريق الزوارق الثاني الاسرائيلي لمقر الديمقراطية G4
شارع سليمان البستاني
الملعب البلدي
شارع ابوشاكر
جامعة بيروت العربية
اوتوستراد كميل شمعون
كلية الهندسة
شارع البغدادي
شارع فؤاد ارسلان
شارع الجامعة
شارع الخرطوم
شارع غانا
الشمال
المدينة الرياضية
سيارة الجيب للمهاجمين الاسرائيليين
حركة دخول الاسرائيلين الم المهاجمين
مواقع الدوشكا حماية الديمقراطية
بناية مقر قيادة قوات الـ 17
انسحاب الهجوم الفاشل للاسرائيليين
بناية منزل ابو الطيب مقابل مقر القيادة
موقع مطعم ابوفراس
بناية مقر قيادة الديمقراطية المستهدف
اتجاه الطريق الامن لخروج
ابوعمار نحو شارع ابوشاكر
بناية منزل الاخت ام ناصر
بناية منزل الاخ احمد العايدي

عملية الفردان وثغرات أمنية:

لقد انكشفت أهداف العملية الإسرائيلية التي تركت آثاراً مؤلمة في النفس، فالشهداء أبو يوسف النجار وكمال عدوان هما من الصفوة الفتحاوية حيث كانوا يتولون أصعب المهام النضالية، وكان عضو اللجنة التنفيذية الشهيد كمال ناصر مقاتلاً بفكره وكلمته. ورغم المرارة والألم فقد كنت مقتنعاً بأننا في الثورة الفلسطينية مشاريع شهادة، لذا فلا وقت للعزاء أو الرثاء إلا تعبير عن محبتنا لشهدائنا الثلاثة.

لقد أسهم الخلاف الذي كان قائماً بين الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية القيادة العامة قبل عملية (ربيع فردان) حول الاختلاف على البرنامج السياسي المرحلي لـ(م.ت.ف)وتصاعد إلى إشتباكات مسلحة في مخيم تل الزعتر استشهد خلالها النقيب فايز خلدون من الديمقراطية. وهذا ما أثار الالتباس لدى الكثيرين في تلك الليلة وهنا يذكر ممدوح نوفل (القائد العسكري في الجبهة الديمقراطية) أحداث تلك الليلة قائلاً: أنه عندما سمع صوت الرصاص الكثيف والانفجارات غادر منزله القريب من مقر الجبهة راجلاً لاستطلاع ما يجري وكان واثقا بأن حرس المقر إشتبك مع مجموعات من الجبهة الشعبية «القيادة العامة» لكنه فوجئ عندما منعه أفراد مجموعات الحراسات من الاقتراب من المبنى موضحين أنهم تعرضوا لهجوم إسرائيلي، وحاولت المجموعة المهاجمة نسف المقر. لم أصدق أقوال الرفاق إلا بعد أن سلمني أحدهم مسدساً عيار (٦ ملم) كاتم للصوت يحمل شعار نجمة داوود، وتبين لي بالفعل أن القوات الإسرائيلية هاجمت المقر في سيارتين مدنيتين تحرسهما من بعيد سيارة جيب عسكرية تشبه تماما سيارات الدرك اللبناني. وخلال وجودي حضر أحد أفراد حرس صلاح خلف وهمس قائلاً: أبو إياد موجود في المبنى المقابل ويريد أن يراك(٥٩)، فتحركت مباشرة إلى حيث يوجد مستغرباً وجوده في ذلك المكتب الفرعي التابع لأمن حركة فتح. بادرني أبو إياد قائلاً: "هل هذا وقت الاشتباك مع القيادة العامة؟ ولم يصدق أن الاشتباك كان مع مجموعة الكوماندوز الإسرائيلية إلا بعد أن بينت له مخلفات المجموعة المهاجمة.

---

٥٩ في تلك الليلة ذهب صلاح خلف مع فخري العمري (أبو محمد)، أبو غبن، سعدون، لاستقبال الإخوة طرزان، عدنان، جمال الجشي، أبطال عملية ميونخ الذين تم الإفراج عنهم من السلطات الألمانية، حيث كانوا يسكنون في شقة مفروشة بالطابق الثاني في منطقة الفاكهاني تبعد فقط ٢٠٠ متر عن ثكنة ال١٧، و١٥٠ متر عن مقر الديمقراطية، وكانت هذه الشقة بنفس البناية التي كان بها مقر الجبهة الشعبية «القيادة العامة» والتي قام أحمد جبريل بنسفها لاحقاً بسبب الخلاف مع أبي العباس.



وبعد هذه السنوات سنقوم بمحاولة الكشف عن العديد من الثغرات الأمنية التي رافقت العملية الأخطر في تاريخ الثورة الفلسطينية التي أدت إلى إغتيال ثلاثة من قادة حركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية. والتي يمكن اختصارها في الثغرات الأمنية الآتية:

الثغرة الأولى: نقص الحراسة الأمنية:

عدم وجود القوة الإسرائيلية المهاجمة لمنزل الشهداء الثلاثة أية صعوبات أو عوائق تذكر لتنفيذ مهمتهما في اقتحام المنزل القائم في منطقة الفردان وذلك بسبب عدم تواجد أية حراسات أمنية على البناية سواء فلسطينية أو لبنانية. ومن الجدير بالذكر فإن هذه الثغرة لا تعود لتقصير أي من الشهداء الثلاثة أو من الجهات المختصة في أجهزة الأمن الفلسطينية ذلك ان اتفاقية القاهرة، التي تنظم وجود ونشاطات الثورة الفلسطينية على الأرض اللبنانية والموقعة سنة ١٩٦٩م بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية برعاية مصرية، كانت تنص على عدم تواجد مكاتب أو مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية خارج المخيمات الفلسطينية. وهذا الاتفاق كان أبو يوسف النجار، الذي كان مسؤولاً العلاقات الفلسطينية – اللبنانية، وجد أنه مطالب أخلاقياً بالالتزام بالإتفاقات الموقعة مع الحكومة اللبنانية مما دفعه إلى عدم الالتزام بتطبيق نظام حراسات وحماية خاص به كان من الممكن أن يعرقل قوات الكوماندوس الإسرائيلية المهاجمة ويحول دون تنفيذها مهامها بهذه الطريقة.

الثغرة الثانية: مسؤولية أجهزة الأمن اللبنانية:

كما ذكرنا في البند السابق فقد فرضت اتفاقية القاهرة قيودا على تحركات ونشاطات الثورة الفلسطينية على الأراضي اللبنانية ألزمتها، حتى تاريخ عملية الفردان، بالالتزام بالقوانين اللبنانية. وخاصة تلك التي تتعلق بعدم متابعة أية اختراقات أو نشاطات استخبارية معادية للثورة الفلسطينية على الأراضي اللبنانية خاصة وإن كانت تحمل غطاء جنسيات أجنبية مختلفة.

ولعله من قبيل التجني على أجهزة الأمن الفلسطينية تحميلها مسؤولية الثغرات الأمنية التي رافقت العديد من عمليات إغتيال قادة الثورة الفلسطينية خاصة ان هذه الأجهزة كانت تعمل في ظل غياب الأرضية المناسبة التي تؤهلها للتحرك خصوصا فقدان عامل السيادة على الأرض التي ينطلق منها العمل، فالأجهزة الأمنية الفلسطينية منذ تشكيلها تعمل فوق أرض

ليست لها، وليس بمستطاعها أن تمارس مهماتها بحرية داخل دولة تفرض قوانينها وفق مقتضيات مصالحها العليا، ولا تسمح لأي أجهزة أمنية بالعمل فوق أراضيها مضافا إلى ذلك إلى أن أهم مبادئ الثورة الفلسطينية هو عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى. هذه الحالة فرضت على أجهزتنا الأمنية التقيد الشديد بالتعليمات والحذر في إدارة المهمات الأمنية تجنبا لاستياء الدول المضيفة، ويكون أساس العمل قائم على التعاون والتفاهم وفق الاتفاقيات الموقعة مع منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي هذا السياق أذكر أنه في عام ١٩٧٣م وبعد اغتيال القادة الثلاثة في عملية فردان، وقعت الشبهة على مواطن فرنسي يملك مطعماً في بيروت اسمه (ايف دي توريس) فتم اعتقاله واستدعاء المناضل محمد بوضيا كونه يجيد الفرنسية للمساعدة في التحقيق معه، وكاد هذا العميل الفرنسي أن يعترف بدوره في عملية فردان، إلا أن ضغوطاً من سلطات الدولة اللبنانية أجبرتنا على تسليمه للحكومة التي أفرجت عنه بعد ٢٤ ساعة، وبعد شهر بعث محمد بوضيا لنا برسالة من باريس يقول فيها أنه ليس من قبيل الصدفة أن اصطدم بالفرنسي دي توريس الذي حققت معه في بيروت في كل مكان أذهب إليه في باريس، وبعد يومين من تسلم الرسالة اغتيل المناضل بوضيا.

ولقد كشفت تلك الحادثة عن القيود المفروضة على الأجهزة الأمنية الفلسطينية ومنعها من القيام بمهامها في الاطار الجغرافي الذي تستلزمه وظيفتها لحماية الثورة الفلسطينية.. فقد نشطت في تلك الفترة الأجهزة الاستخبارية من مختلف دول العالم في مرحلة ما بعد انتقال الثورة الفلسطينية إلى لبنان وتحديداً ما بعد عملية ميونخ ولدينا العديد من الدلائل على التنسيق الوثيق بين تلك الأجهزة الأمنية العالمية والمخابرات الإسرائيلية لمتابعة نشاطات الثورة الفلسطينية.

ولعل هذه القيود المفروضة على الأجهزة الأمنية الفلسطينية قد ساعدت في توفير المناخ والأرضية المناسبة لتحركات عناصر المخابرات الإسرائيلية على الأراضي اللبنانية، قبيل تنفيذ ذلك الهجوم المتعدد على مقرات الثورة الفلسطينية المختلفة في العاصمة اللبنانية بيروت، بما ساعد على توفير قاعدة المعلومات اللازمة لإنجاح مهام وحدات الكوماندوس الإسرائيلية المنفذة للهجوم.

الثغرة الثالثة: غياب الجيش والدرك اللبناني:

بالرغم أن الاشتباكات استمرت لعدة ساعات في مناطق حيوية داخل بيروت وعلى امتداد



مساحة جغرافية واسعة تحركت عليها قوات الكوماندوس الإسرائيلية منذ تنفيذها عملية الإنزال شواطئ بيروت وحتى انسحابها لوحظ أنها لم تصطدم بأية قوى أمنية أو عسكرية لبنانية من المعروف أنها كانت تقوم بعمليات انتشار وتوزيع لحواجزها الثابتة والمتحركة في مناطق مختلقة في إجراء اعتيادي في تلك الفترة. إضافة إلى ثكنة هنري شهاب التي كانت قريبة من منطقة الفردان والتي تعتبر من الثكنات الرئيسية للجيش اللبناني المسؤولة عن منطقة بيروت. وكذلك يوجد مركز للدرك اللبناني بالقرب من منزل الشهداء الثلاثة كما هو موضح في الخريطة. اصطدمت إحدى مجموعات الكوماندوس الإسرائيلية المهاجمة مع عناصر من عائلة أولاد ناصر في منطقة الأوزاعي، الذين خرجوا لاستطلاع الموقف وحقيقة الاشتباكات الدائرة، فحدث الإشتباك الذي سقط فيه العديد من الضحايا من أولاد ناصر ومنهم رئيس بلدية الأوزاعي، إلا ان تلك القوات المهاجمة لم تلاق أية اعتراضات ولم تصطدم مع قوى الأمن والجيش اللبناني. التي لم تكلف نفسها حتى عناء الخروج لاستطلاع الموقف.

وهو ما يطرح علامات استفهام حول حقيقة هذا الموقف ومن هي الجهة التي وقفت وراء القرار الصادر بعد عدم تدخل أو تحريك قوات الدرك وقوات الجيش اللبناني لاستطلاع الموقف واتخاذ الإجراءات الاعتيادية المتعارف عليها في مثل تلك المواقف والاكتفاء بالبقاء في المواقع والثكنات وانسحاب كافة الحواجز من الطرق المؤدية إلى مواقع الاشتباكات.

الثغرة الرابعة: طرق الدعم والإسناد لمجموعات الكوماندوس:

قامت قوة الكوماندوس الإسرائيلية بمهاجمة أربعة أهداف في وقت واحد، واعتمدت الرواية الإسرائيلية على مزاعم أنه قد تم انزال تلك الوحدات على الشواطئ اللبنانية وانقسمت تلك الوحدات إلى أربع مجموعات كل منها تحرك باتجاه الهدف المحدد له مسبقاً.. وهنا تظهر علامات الإستفهام الآتية:

كيفية انسحاب تلك المجموعات بعد تنفيذها لأهدافها؟ وهل سلكت في طريق العودة الطريق الذي سلكته أثناء الهجوم نفسه؟

هل كانت إسرائيل قد اعتمدت خطة إنزال بحري لوحدات الكوماندوس بهذا العدد الكبير من جنودها على الشواطئ اللبنانية وتحركهم باتجاه الأهداف الأربعة وتنفيذ الهجوم ثم العودة للخروج من الأراضي اللبنانية عن طريق البحر وخروجهم بعد تنفيذ العملية الهجومية بدون توفير أي غطاء أو إسناد جوي من طائرات سلاح الجو الإسرائيلي؟

كيف كانت طبيعة تحركات الوحدات المهاجمة بعد تنفيذ الهجوم والتي شهدت وقوع إصابات في صفوف وحدات الكوماندوس الإسرائيلي ما بين قتلى وجرحى وهو الأمر الذي يؤثر على سرعة عملية الانسحاب لدى الوحدات المهاجمة؟

عملية الفردان والحقائق المؤكدة:

لقد تعمدت أجهزة الآمن الإسرائيلية أن تضفي دائماً نوعاً من البطولة على عملياتها ضد قادة الثورة الفلسطينية بما يخدم استراتيجيتها لخلق الجدار الأسطوري حول نشاطاتها ويعزز مكانتها في داخل إسرائيل وفي صفوف المواطنين وكذلك موقفها في الصراع وحرب الاستخبارات المتواصلة. ويلاحظ في هذا الصدد تكرار الرواية الإسرائيلية في معظم عمليات الإغتيال التي نفذتها بحق قادة الثورة الفلسطينية التي تتضمن الحديث عن قدوم الكوماندوس من البحر وتنفيذ العمليات ثم العودة. وهو ما حدث خاصة في عملية إغتيال القادة الثلاثة في بيروت وكذلك عملية إغتيال خليل الوزير «أبو جهاد» في تونس.

وفي المقابل كما كشفت تحرياتنا وتحقيقاتنا عن العديد من الثغرات الأمنية الكبيرة التي ترافقت مع هجوم الكوماندوس الإسرائيلي على بيروت وتنفيذ عملية إغتيال القادة الثلاثة فإن الهجوم الإسرائيلي وبالنظر إلى الخريطة المرفقة يؤكد عدم صحة تلك الرواية وأن ما حدث على الأرض يؤكد أن هناك قاعدة أرضية تم العمل من خلالها وشكلت مركز دعم وإسناد وعودة للمجموعات المهاجمة. خاصة أنه من المستبعد أن تعود وحدات الكوماندوس الإسرائيلية بعد تنفيذ هجماتها إلى نقطة الانطلاق على طريق البحر خاصة أن كافة الطرق شهدت استنفار العديد من القوى الفلسطينية والوطنية اللبنانية وهو ما يجعل من المستحيل عودة تلك الوحدات إلى شاطئ البحر. وكما ذكرنا فإن العودة كانت تستلزم وجود غطاء دعم وإسناد جوي لحماية مجموعات الكوماندوس بعد عودتها وهو ما لم يكن موجوداً في تلك الفترة.

إضافة إلى أن الحرية التي توافرت لمجموعات الموساد التي كانت على الأرض اللبنانية قبيل الهجوم وساعدتها على جمع أكبر قدر من المعلومات مما يؤكد أن هناك محطة استخبارية هامة وجدت في بيروت في تلك الفترة قامت بالإشراف على تلك العملية بمجملها وفي جميع مراحلها سواء جمع المعلومات أو الدعم والإسناد أو توفير قاعدة آمنة لعودة مجموعات الكوماندوس بعد تنفيذ الهجوم. ولذلك فإن الحقيقة المؤكدة تشير إلى أنه وعلى الرغم من إمكانية أن تكون وحدات الكوماندوس قد وصلت بالفعل إلى الأراضي اللبنانية عن طريق البحر ولكنها لم تغادر

كذلك عن طريق البحر وهذا ما يؤكد وجود قاعدة آمنة تم توفيرها لعناصر تلك المجموعات بعد تنفيذ الهجوم داخل الأراضي اللبنانية.

إعادة تشكيل الأجهزة الأمنية الفلسطينية:

منذ أن تشكل جهاز الرصد الثوري أوائل عام ١٩٦٨م كان ذلك الجهاز هو الأول الذي تخصص بالمهمات الأمنية لحركة فتح، وتركز عمله على حماية مراكز ومعسكرات الثورة وحماية القادة من مخططات العدو الإسرائيلي الذي استهدف الثورة منذ انطلاقتها ساعياً لاغتيال قادتها أو قصف مراكزها، أو تجنيد العملاء لجمع المعلومات وبث الدعايات المضادة أو تنفيذ عمليات تحريض وتخريب داخل الدول العربية المضيفة للثورة لزرع الشقاق والخلافات بين الحكومات وقيادة الثورة أو بين الشعوب والجيوش العربية والمقاتلين الفلسطينيين وبموجب ذلك كانت مسؤولية جهاز الرصد الثوري شاقة وصعبة، في مواجهة إمكانيات العدو وعدم وجود صلاحيات باعتقال الأفراد أو التحقيق معهم أو تنفيذ العقوبات ضدهم داخل الدول حتى وإن كانوا من العملاء والجواسيس، لكن بعض الدول العربية التي دعمت الثورة الفلسطينية منذ إنطلاقتها استشعرت هذا الخطر المحيط بالعمل الفدائي ضد إسرائيل، فسمحت لنا بإرسال دورات تدريبية مختصة بالأمن وعززت من تطوير قدراتنا الأمنية.

وعندما قامت إسرائيل باغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة في لبنان أبو يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر. فرضت تلك الجريمة الإسرائيلية إعادة تشكيل الأجهزة الأمنية الفلسطينية وتطوير مهماتها واختصاصاتها لتكون قادرة على التصدي للأجهزة الأمنية للعدو الإسرائيلي والدول التي تناصره.

من "الرصد" إلى "الأمن الموحد":

يعد جهاز «الرصد الثوري» الذي أنشيء أوائل العام ١٩٦٨م أول جهاز أمني منظم ظهر بقرار من حركة فتح. وبعد أحداث جرش وما سبقها من أحداث أيلول تعرض الجهاز وقيادته عموما لنقد عنيف فترك صلاح خلف (أبو إياد) الجهاز كما تم إقصاء القسم الأكبر من اتباعه، وتسلم الجهاز مؤقتا محمود عباس (أبو مازن)، وبعد انعقاد المؤتمر العام لحركة فتح صيف عام ١٩٧١م تسلم الجهاز محمد يوسف النجار (أبو يوسف) الذي عين حمد العايدي (أبو رمزي) نائباً له، ونظراً لأن أبو يوسف كان رئيساً للجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان

ورئيسا للدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولعدم توفر الوقت اللازم لإدارة الجهاز، أطلقت يد حمد العايدي في الجهاز بشكل واسع، وكان أول عمل اتخذه أبو يوسف هو حل جميع العناصر المتبقية فيه من مؤيدي أبو إياد وأصدر قراراً بإرسالهم إلى قواعد الجنوب لكن أبو إياد استبقى عدداً منهم وشكل منهم جهازاً خاصاً بالأمن عرف بـ«جهاز شؤون الأردن».

تولى صلاح خلف مهمة جهاز شؤون الأردن منذ ١٩٧١ – ١٩٧٣م، وتنسب له قيادة منظمة «أيلول الأسود» في الفترة نفسها، وحين استشهد القادة الثلاثة عام ١٩٧٣م (أبو يوسف النجار وكمال ناصر وكمال عدوان) توجهت حركة «فتح» لإعادة ترتيب أولوياتها، فتم إنشاء «جهاز الأمن المركزي» وليتسلمه هايل عبد الحميد (أبو الهول) الذي كان قد انضم للجنة المركزية حديثا، وليلحقه تأسيس «جهاز الأمن الموحد» في العام نفسه ويترأسه صلاح خلف (أبو إياد) بتكليف من اللجنة التنفيذية لـ(م.ت.ف) لغرض توحيد الأجهزة الإستخبارية للتنظيمات الفلسطينية المختلفة وتنسيق الجهود الأمنية، وفي الفترة السابقة كلف ياسر عرفات الأخ أبو حسن سلامه برئاسة الحرس الشخصي للرئيس وهو الجهاز الذي عرف باسم (القوة ١٧) وفي خضم تعدد الأجهزة الأمنية في الساحة اللبنانية ترأس عطا الله عطا الله (أبو الزعيم) جهاز الإستخبارات العسكرية.

ومن الجدير بالذكر فإن جهاز الأمن والمعلومات كما كان يسمى في الفترة من (١٩٧١ – ١٩٧٣م) كان ضمن مسؤولية أبو يوسف النجار الذي تعاون مع زميله في اللجنة المركزية لحركة فتح كمال عدوان الذي تسلم القطاع الغربي (الأرض المحتلة)، حتى اغتيالهما وكمال ناصر في بيروت.

الأمن الموحد:

صلاح خلف الذي حاز لقب الرجل الثاني في حركة «فتح» بشخصيته المؤثرة، وقدرته على الحركة، ونفوذه السياسي الواسع، وصوته الهادر، لم يكن يوماً قائداً فلسطينياً فحسب، بل كان أهم الأسلحة التكتيكية للحركة والثورة، في كل معاركها الداخلية والخارجية، ومخزون الحجة والمناورة السياسية الذي لا ينضب، والمجلس العاكس لكل توترات فتح الداخلية، حين تنهال الحركة على بعضها، مستمع من الطراز الأول ينجذب إليه المثقفون والمبدعون، فقد استطاع أن يحكم سيطرته على جهاز «الأمن الموحد» بأسلوبه الثوري الناقد أو المعارض لأخطاء القيادة، واحتفظ بمسافة جيدة ميزت شخصيته الطاغية وأسلوبه اللاذع وهجوميته



وجرأته التي شكلت منه قطبا جاذبا للجميع، بمن فيهم أطراف المعارضة المختلفة، سواء في حركة «فتح» أو التنظيمات الفلسطينية الأخرى، بحيث استطاع تليين أو إقناع أو تهديد أو التفاهم مع هذه الأطراف المعارضة بما لا يؤدي للتمرد أو الاقتتال.

لقد استطاع صلاح خلف أن يحتضن «خطوط اليسار» المختلفة في حركة «فتح» ودعم تيارات التمرد المحسوب، كما دعم المبادرة الفاعلة في الأطر المختلفة داخل حركة «فتح» وفي المنظمات الشعبية الفلسطينية، وشكل مظلة لكل رافض للفساد أو الأخطاء، ولكل حانق أو متضايق أو مناوئ لأي من التيارات أو الخطوط أو أساليب القيادة المتعددة في جسد هذا التنظيم أو ذاك، وكان الهاجس الأكبر الذي يشغل ذهن صلاح خلف ذي الرؤية السياسية البعيدة والعقلية الأمنية، والحرص التنظيمي والبعد الوحدوي والمرونة المحسوبة هو أن يتيح المجال لكافة الأفكار والآراء والتيارات لكي تعبر عن نفسها بديمقراطية، عرفت في لبنان بـ(ديمقراطية غابة البنادق)، أي دون أن تصل الحالة إلى النزاع المسلح الداخلي، رغم حصول الكثير من الحوادث الفردية أو المعزولة أو المرتبطة بنظام عربي في إطار المسيرة، مثل الانشقاقات التي حصلت في التنظيمات الفلسطينية وفي حركة «فتح» خاصة عام ١٩٨٣م، والتي صاحبها استخدام السلاح، إضافة لفترة التدخل السوري العسكري في لبنان منذ عام ١٩٧٦م. كان يهرع إليه الغاضبون والحالمون، لم يتردد يوماً في التصدي لما كان يراه خطأً من أبو عمار، لكنه أيضا موحد صاخب، ففي اللحظة الأخيرة كان يقف حائلاً وجداراً صلباً يحمي أبو عمار من سكاكين الغدر والانقسام.

شكل الأمن الموحد مظلة حماية للثورة الفلسطينية من تدخلات الأنظمة العربية والغربية في جسد الثورة، فكانت صورته المرتبطة بعنصري القوة والتخويف رادعاً لكثير من الأنظمة التي كان يطلب منها عمل التخريب في جسد الثورة. واستطاع الجهاز أن يحافظ على علاقة جيدة مع العديد من الأجهزة الأمنية العربية والعالمية لما فيه صالح القضية الفلسطينية وبما لا يتعارض مع خطها السياسي.

مارس صلاح خلف كمسؤول للأمن الموحد وبالتعاون مع القائد ياسر عرفات وهايل عبد الحميد عملية تعيين ضابط أمن في بعثات (م.ت.ف) بالخارج، كما حافظ على علاقة الجهاز الذي يترأسه مع أجهزة الإستخبارات الغربية بتبادل المعلومات عن الإرهاب الدولي. وضم الجهاز كوادر من الطراز الأول في العمق السياسي والفهم الأمني والوعي التنظيمي.

الأمن المركزي:

أتحدث هنا عن هايل عبد الحميد (أبو الهول) والذي ربطتني به علاقة حميمة في آخر عشر سنوات، بعد أن أوكلت له مهام جهاز أمن الأرض المحتلة بعد استشهاد «أبي جهاد» وسوف استشهد بحديثي عنه بما قاله المناضل محسن إبراهيم(٦٠):

كان الدور الأمني لأبي الهول دوراً شعبياً، وليس أمراً بسيطاً أن تقول عن مسؤول أمني أنه يضطلع بدور شعبي فالأجهزة الأمنية في العادة لا شعبية لها، ويرد ذكرها في معرض الشكاية منها على الصعيد الشعبي، سمي الشهيد مفوضا للأمن ولكن ذلك لم يقطع الجذر الشعبي لتجربته فأتى بها وبحصيلتها إلى الساحة اللبنانية، وهذه التجربة حافظت على طابعها الشعبي على الرغم من أن الصفة التقنية الغالبة عليها أصبحت الصفة الأمنية، وهذا أمر بالغ الأهمية في تجربتنا اللبنانية.

ولابد من استحضار الوجه الثالث للدور الأمني لأبي الهول وهو وجه الصمود، وأعني الصمود أثناء حصار بيروت عام ١٩٨٢م. فقد ترأس أبو الهول اللجنة الأمنية المشتركة للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية(٦١) طوال أيام الحصار وقادها بجدارة وكفاءة وشجاعة خاصة بعد أن أطبق علينا الحصار وكان الاجتياح شمل ضواحي بيروت وأصبحنا ضمن المربع الأضيق في الداخل ولنا أن نتصور ما معنى حفظ الأمن في مربع بهذا الضيق، تحتشد فوقه هذه الكمية من المواطنين والمقاتلين وحملة البنادق والأجهزة الأمنية وأجهزة

٦٠ محسن إبراهيم، الأمين العام لمنظمة العمل الشيوعي والأمين التنفيذي للحركة الوطنية اللبنانية، وأحد قادة حركة القوميين العرب سابقاً، ومستودع أسرار الحرب الأهلية اللبنانية، ولد في بلدة أنصار جنوب لبنان عام ١٩٣٥م، وحاز الإجازة في الحقوق من الجامعة اللبنانية، انضم إلى حركة القوميين العرب، وتبنى الخط الماركسي، أسس عام ١٩٦٩م منظمة الاشتراكيين اللبنانيين بعد حل حركة القوميين العرب واتحدت هذه المنظمة عام ١٩٧١م مع منظمة لبنان الإشتراكي وهي امتداد لليساريين البعثيين وشكلا منظمة العمل الشيوعي التي كانت لها شأن كبير في الحركة الوطنية اللبنانية، وفي عام ١٩٨٢م إبان الغزو الإسرائيلي للبنان أطلق جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية مع الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني جورج حاوي، أبي عمار و أبو الهول وكان له دورا مؤثرا في أحداث طرابلس دفاعا عن الشرعية الفلسطينية.

٦١ الحركة الوطنية اللبنانية: هي جبهة مكونة من عدة أحزاب وحركات قومية ويسارية تشكلت عام ١٩٦٩م وانطلقت سنة ١٩٧٣م على أساس برنامج مشترك ينادي بإحداث إصلاحات سياسية واقتصادية إضافة إلى الإعلان الواضح لعروبة لبنان، ضمت الحركة التي يرأسها كمال جنبلاط عدد من الأحزاب: الحزب التقدمي الإشتراكي، الحزب الشيوعي اللبناني، منظمة العمل الشيوعي، الحزب السوري القومي الاجتماعي، حزب البعث (الموالي لسوريا)، حزب البعث (الموالي للعراق) حركة الناصريين المستقلين، حركة أمل، التنظيم الشعبي الناصري، تحالفت مع بداية الحرب مع (م.ت.ف)في مواجهة الجبهة اللبنانية اليمينية، وحققت نجاحات عسكرية جعلها تسيطر على ٨٠٪ من الأراضي اللبنانية، لكن سرعان ما دبت انقسامات بين أعضاءها على خلفية الخلاف مع سوريا، تلقت ضربات مع التدخل السوري في ١٩٧٦/٦م واغتيال كمال جنبلاط، وما لبثت أن حلت فعليا مع الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢م.



المخابرات، والاختراقات على أنواعها، ولتمكين القيادة من أن تخرج سالمة من بيروت، لقد كان الأمر يتطلب قدرة خلاقة على نسج أعمق الصلات مع المواطنين. وكل الذين عايشوا صمود بيروت يدركون أهمية نجاحنا في ضبط الأمن لتمكين المدينة من الصمود طوال خمسة وثمانين يوما وتمكين القيادة من البقاء طليقة في تصرفها وقادرة على ممارسة عملها حتى النهاية. هايل عبد الحميد كان فريدا في خصائصه كقائد أمني خرج محبوبا وموثوقا ورمزاً من رموز النظافة في الثورة الفلسطينية، وهذا أمر يعني الكثير بالنسبة إلى تجربة الثورة الفلسطينية في لبنان" (٦٢).

ولا شك في أن التكوين الشعبي للأخ هايل هو الذي جعل منه رجل أمن من طراز خاص تمتع به خلال اضطلاعه بمسؤوليات جسيمة جعلته قادراً على أن يعطي للأمن دورا فاعلا في حل معضلات كانت في حقيقتها معضلات سياسية وشعبية، وأستطيع القول أن هايل عبد الحميد إستطاع أن يطور جهاز الأمن المركزي (مخابرات فتح) حيث قام بعمل مؤسسات في هذا الجهاز تشمل دوائر وأقسام، وخصص لكل قسم مجال عمله، كما استقطب هذا الجهاز في عهده عددا كبيرا من الأخوة المناضلين الذين كانت لهم خبرات أمنية سواء ممن تلقوا الدورات الأمنية الأولى والثانية، أو ممن لهم خبرة في أجهزة الأمن سابقاً، وكان للأمن المركزي دورا مميزا في أحداث طرابلس فيما بعد، وله الفضل في الكشف عن العديد من العملاء الذين اندسوا في صفوف الثورة وعلى رأسهم الجاسوسة "أمينة المفتي" التي تم إستبدالها بعدد من الأسرى منهم أبو علي مهدي ووليم نصار وهم من قادة حركة فتح، والأهم من ذلك إن هذا الجهاز حظي باحترام كل الدول العربية والأجنبية، حيث كان العديد من القادة الأمنيين يسعون إلى تنسيق علاقات مع هايل عبد الحميد.

جهاز الإستخبارات العسكرية:

أنشيء جهاز الإستخبارات العسكرية في العام نفسه وتولى قيادته اللواء عطا الله عطا الله (أبو الزعيم) الذي كان من الضباط الأذكياء في الجيش الأردني ثم أحيل على التقاعد وانتسب إلى حركة فتح، ويمتاز بثقافة عالية وحس أمني كبير، استطاع أن يشكل جهاز أمني قوي، حافظ على القوات من اختراقات العدو الصهيوني، وكان بالإضافة لعدد من الأشخاص مقرباً من ياسر عرفات، واستطاع نسج علاقات مع جميع الأوساط اللبنانية. شارك أبو الزعيم في

٦٢ هذه الفقرة هي جزء من شهادة محسن إبراهيم عن هايل عبد الحميد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح.

جميع معاركنا سواء بالحرب الأهلية في لبنان أو أثناء الإعتداءات الإسرائيلية، وفي معركة بيروت١٩٨٢م لم يغادر غرفة العمليات وكان جنباً إلى جنب مع اللواء سعد صايل(٦٣).

قوات الـ١٧:

كانت مسؤولية أمن الرئيس وحمايته هي المهمة الأساس التي أنشئت من أجلها القوة ١٧ وهي أهم مهمة وأشقها في الوقت نفسه، فالقائد العام لقوات الثورة كان دائما مستهدفاً والمحافظة على أمنه مهمة صعبة وخطيرة، وقد بدأت هذه القوة بعدد قليل ولكنها أخذت تكبر وتنمو إلى أن وصلت حوالي ٣٠٠٠ مقاتل بكامل أسلحتها البرية وكامل السلاح الثقيل أيضا رغم أن هذه القوات لم تكن ضمن القوات البرية في حركة «فتح»، إلا أن الحرب الأهلية اللبنانية حتمت أن تأخذ موقعها على محاور القتال.

وفي العام ١٩٨٢م استقرت في القاطع الثالث بالإضافة إلى كتائبها الثلاث التي خاضت معاركها مع قوات العدو كقوة نظامية، ونستطيع القول إن قوات الـ١٧ في لبنان أصبحت تتشكل من قوات محمولة ومجموعات للمهام الخاصة، بالإضافة إلى الدور الإستخباري الذي انتدبت نفسها له حيث كان تنظيمها في آخر سنتين تأخذ شكل الكتائب من الناحية الإدارية، أما من الناحية العملية فإنها لم تتجاوز نطاق الفصائل والسرايا وخصوصا في السنوات الأولى من منتصف الثمانينيات حيث فرضت علينا المهام المنوطة بنا هي التي تفرض عليها الطابعين.. طابع السرية وطابع العلنية، فهذه القوات كانت بغالبيتها خلال التواجد السابق في بيروت فوق الأرض وكانت القبضة الحديدية للقيادة الفلسطينية سواء على صعيد كبح المخالفات الداخلية أو على مستوى توفير الحماية والمشاركة في معاركنا مع الانعزاليين.

وهنا أقول إن قوات الـ١٧ ليست سوى ساعد من سواعد حركة "فتح" اضطرت إلى ولوج باب العمليات الخارجية مبكراً والتي كان مسؤولا عنها بشكل مباشر علي حسن سلامة مؤسس هذه القوات، ولا أريد التحدث عنه هنا إنما سوف أخصص له أحد فصول الكتاب..

وبصدور قرار الرئيس ياسر عرفات اعتماد "القوة ١٧" لتكون المسؤولة عن أمن الرئاسة فقد أضيف إلى الأجهزة الأمنية جهازا أكدت الوقائع أن تشكيله كان إختيارا موفقا من الرئيس عرفات، وإدارة كفؤة وعالية الخبرات من أبي حسن سلامة، بالإضافة إلى ما تم استحداثه وتطويره وتجهيزه بكل المستلزمات والتقنيات الضرورية فيما بعد.

---

٦٣ أما عن انشقاق أبي الزعيم عن «فتح» أقول للتاريخ إن جميع من انشقوا لم يختلفوا مع الرئيس أبي عمار والكل كان مقتنعاً أنه كان قائداً بلا منازع وهو صاحب مشروع وطني بلا جدال، ولكن هناك ممن كانوا يقومون بإجبار الأشخاص على أخذ مواقف كانت بعيدة عن واقعهم، ولا أريد هنا التحدث عن هذا الموضوع لأنني بصدد عمل كتاب خاص عن الإنشقاقات التي حصلت في «فتح» وسوف يقرأ القارئ ويحكم من خلال المعلومات التي سوف نقدمها عن المنشقين عن حركة «فتح» وكيف تسببت هذه الإنشقاقات في هدم حركة «فتح» وضعفها، ملاحظة من المؤلف.

اغتيال محمد بوضيا:


محمد بوضيا

وجهت المخابرات الإسرائيلية الاتهام لمحمد بوضيا(٦٤) بالمسؤولية عن مقتل ضابط الموساد باروخ كوهين في مدريد، إضافة إلى مسؤوليته عن العديد من العمليات التي نفذتها منظمة أيلول الأسود أوروبا إبان تلك الفترة. ومن هنا كان القرار من الحكومة الإسرائيلية بوضعه على قائمة الشخصيات المحسوبة على الثورة الفلسطينية والتي يجب اغتيالها.

---

٦٤ الشهيد محمد بوضيا: تتميز شعوب الدول المغاربية العربية بشفافية علاقاتها مع القضية الفلسطينية، وقوة التصاقها الروحي بالقدس الشريف وبالأقصى، حيث يوجد باب المغاربة، وهم الذين كانوا يرتحلون سابقا من دول المغرب ليبيا وتونس والجزائر (ومراكش) المغرب وموريتانيا إلى القدس أولا في طريقهم إلى مكة المكرمة لقضاء مناسك الحج، وكثير منهم استقروا في فلسطين، ولم يعودوا إلى المغرب، هذه العلاقة المتميزة دفعت المناضل الكبير الشهيد محمد بوضيا الجزائري الأصل، إلى مقارعة الاستعمار الفرنسي للجزائر مع الجبهة الوطنية لتحرير الجزائر (FLN) وحكمت السلطات الاستعمارية الفرنسية عليه بثلاث سنوات لدوره في تفجير مخازن النفط في فرنسا، وعندما حصلت الجزائر على الاستقلال عام ١٩٦٢م تم إطلاق سراح محمد بوضيا الذي عاد إلى الجزائر، كان محمد بوضياٍ شغوفا بالعمل المسرحي والتمثيل، ومن هنا قام الرئيس الجزائري أحمد بن بله الذي كانت تربطه علاقة شخصية مع محمد بوضيا بتعيينه مديرا للمسرح الوطني، وبعد الإطاحة بنظام الرئيس أحمد بن بله انتقل إلى باريس، حيث استمر في ممارسة هوايته وعين مديرا لمسرح حديث وصغير حمل اسم "مسرح الغرب" وهذا المجال ساعده على تقمص شخصيات عدة وأعطاه إمكانية التواصل الثوري.. فتتبع تطور حركة المقاومة الفلسطينية. في تلك الفترة كان هناك صعود لليسار الجديد بعد ثورة الطلاب في فرنسا في شهر ١٩٦٨/٥م وبعد ظهور جماعات العنف الثوري وأصبح جيفارا البطل الرمزي لأحرار العالم وظهرت الألوية الحمراء في إيطاليا، وجماعة بادر ماينهوف في ألمانيا، بدأ صعود اليسار الجديد في تلك الفترة، كانت وجهة نظر محمد بوضيا أن يوجه هذا العنف في سياق الصراع الأممي أي أن يتوجه بضرباته إلى الإمبريالية وأن تنعكس نتائجه على التضامن مع فلسطين بالتحديد وكان يعتقد أن العنف يمكنه أن يلعب دورا فعليا في هذا السياق. وبحكم موقعه اليساري، اتصل بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وعمل مع وديع حداد في العديد من العمليات الخارجية، ثم تعرف على أبو حسن سلامه في باريس بعد أن اتخذت القيادة قرار بنقل جزء من الصراع مع العدو إلى الخارج، وخاصة ضرب مواقع تخزين النفط وملاحقة بعض عملاء الموساد، وكان محمد بوضيا سباقا في هذا المجال، وبحكم معرفته وإتقانه للغة الفرنسية شكل بالنسبة للمقاومة في تلكٍ المرحلة أهمية بالغة، وقام بوضع الخطط ورسم الخرائط ووفر الإمكانيات بالتنسيق اليومي واللحظي مع الشهيد أبو حسن سلامه الذي كان مكلفا بذلك الملف آنذاك، وكانت أول عملية تم تنفيذها تفجير منشآت النفط الخاصة بشركة "غولف أويل" في ميناء روتردام في هولندا.. أما العملية الثانية التي تمت وبالتنسيق مع أبي حسن سلامه فهي عملية (تريستا) في إيطاليا في مطلع شهر آب من العام ١٩٧٢م، وقد أعلنت منظمة أيلول الأسود في بلاغ صادر عنها في بيروت تبنيها للعملية ومسؤوليتها عنها، وأصبحا صديقٍين حميمين في فترة وجيزة، وكان أبو حسن يؤمن له الدعم "اللوجستي" أي كافة الإمدادات، وخصص جهاز الموساد الإسرائيلي فريقا خاصا لمراقبة محمد بوضيا، بدأ يشعر أن هناك تخطيطا لمهاجمة المصالح الإسرائيلية في أوروبا، وخاصة بعد مراقبة تطور العلاقة مع أبو حسن سلامه.. لقد جند محمد بوضيا العديد من الرجال أمثال كارلوس الذي تعرف عليه في الاتحاد السوفييتي أثناء فترة الدارسة في جامعة باتريس لومومبا وأقنعه بالعمل مع حركات التحرر، والفتيات للعمل في الثورة وأرسل بعضهم إلى فلسطين المحتلة، ومنهم "أولين بارنج" الفرنسية، والأخوات ناديه ومارلين باردلي وهن بنات رجل أعمال مغربي دفعهن الانتماء للقضية الفلسطينية للاستعداد بالتضحية بأرواحهن، ومن خلال محمد بوضيا وصلن إلى فلسطين المحتلة، وقمن بزرع عبوات ناسفة مع أجهزة توقيت في تسع فنادق في تل أبيب عشية عيد الفصح، وكذلك قام بتنظيم وأديت وبيار بورغهالتر الزوجان الفرنسيان، كان محمد بوضيا يتمتع بحس أمني قوي وكان يعلم أنه ملاحق من الموساد الإسرائيلي، فلا ينام في شقة معينة بل يتنقل في أماكن مختلفة، وكان يتنكر بشكله ولباسه، فمرة تراه يلبس لباس شيخ مسن وبلحية بيضاء.. ومرة أخرى بلباس سيدة متكاملة "الماكياج" كان يشعر أن ما يقدمه لفلسطين هو قمة النضال، فيضع كل ذكائه وخبرته. بوضيا كان يرى القضية الفلسطينية أنها القضية الأولى والمركزية والأساسية للأمة العربية ودول الإقليم وثوار وأحرار وشرفاء العالم.. هي قضية القضايا الإنسانية في التاريخ خاصة في العصر الحديث. في أعقاب عملية ميونيخ الشهيرة أمرت غولدا مائير الموساد بتنظيم عمليات اغتيال قيادات فلسطينية في جميع أنحاء العالم كعملية شارع فردان في بيروت عام ١٩٧٣م واغتيال فلسطينيين مثل محمود الهمشري، وائل زعيتر إضافة إلى باسل الكبيسي.. محمد بوضيا أدان الاغتيالات عبر إعلانات نشرت في جريدة (لوموند) الفرنسية ووقعت عليها شخصيات عديدة منها يهود ودفع هو ثمن الإعلانات وكان يعلم جيدا أنه هو أيضا مستهدف، لذلك كان شديد الحرص، لذلك خطط الموساد لاغتياله بتجنيد يهود فرنسيين يعملون في مديرية أمن الإقليم (dst) حيث تم زرع لغم تحت مقعد سيارته الرينو ١٦ الزرقاء اللون، وسقط محمد بوضيا شهيدا في صباح يوم ١٩٧٣/٦/٢٨م أمام المركز الجامعي لشارع فوس برنار في باريس، تولى القاضي جون باسكال التحقيق ولم يتوصل إلى أية نتيجة.. تكريما وتقديرا للرجل ورغم كونه معارضا سمح الرئيس هواري بومدين بدفن جثمانه في مقبرة القطار بالجزائر العاصمة.

واجه فريق الاغتيالات الإسرائيلي صعوبات كبيرة في ملاحقة شخصية غامضة مثل بوضيا الذي كانت تحركاته تتميز بالحذر واتخاذ أعلى درجات السرية ما جعل من المستحيل الحصول على معلومات بخصوصه من المصادر الاستخبارية التقليدية التي يمتلكها جهاز الموساد.

واستطاع فريق الاغتيالات الإسرائيلي بعد جهود مضنية إحداث إختراق إستخباري هام أسهم في الاقتراب من ملاحقة الحلقة الضيقة للشهيد محمد بوضيا.. فقد كان الشهيد بوضيا على علاقة قوية مع الكثير من الجماعات الثورية التي كانت قد نشطت في أوروبا ومنها جماعة بادر ماينهوف الألمانية.. حيث اعتمدت فريق المخابرات الإسرائيلي على أن بعض عناصر تلك المجموعات الثورية كان لديها نقاط ضعف قوية وخاصة الإغراءات المالية.

وجاء الاختراق متمثلاً في المدعو «بابا» الفرنسي الجنسية كان يعمل بالجيش السري الخاص بالوطنيين الفرنسيين أثناء الحرب العالمية، كانت له علاقة بحركات التحرر العالمية، ومنها جماعة بادرماينهوف، إضافة إلى ارتباطاته بمجموعات المافيا، مما أفسح المجال أمام ارتباطه بمجموعة الاغتيالات الإسرائيلية التي أصبحت تعتمد عليه لتأمين الأسلحة والمتفجرات والوثائق المزورة ومتابعة ورصد من كانوا يخططون لاغتيالهم، ودفن موتاهم دون علم سلطات البلدان التي كانت تحصل بها عملية تصفية عملائهم.

ومن خلال مكالمة هاتفية تلقى ضابط الموساد روبرت اتصالاً من لويس ابن الفرنسي «بابا» أكد له أن محمد بوضيا موجود في باريس. وهنا بدأ فريق الاغتيالات الإسرائيلي في تجميع صفوفه لاصطياد الهدف الذي أصبح من الممكن الإمساك به وفق إجراءات معقدة ودقيقة، خاصة أنه كان من الصعب جدا ضبط بوضيا في مكان ما، فهو على العكس من كل مستهدفيهم السابقين كان من الممكن أن يمضي الليل في أي مكان، ومن الصعب التنبؤ بالوجهة التي يذهب إليها في الصباح أو بموعد مغادرته للمكان الذي يبيت فيه. وبذا أصبح الحل الوحيد هو وضعه تحت مراقبة مستمرة وحينما يكون بمفرده – ليلاً أو نهاراً – فإنهم سيقومون باغتياله بإشعار فوري، إذا بدأ أن المكان والتوقيت والظروف الأخرى ملائمة، ويشترط لنجاح المهمة ألا يلاحظ ذلك بوضيا وجود متابعة أو مرافقة، وبغية جعل هذه المخاطرة عند حدودها الدنيا سمح ضابط الموساد «افنير» للمدعو «لويس» أن يقوم بالمراقبة على نطاق واسع للغاية، وأن يستخدم أفرادا كثيرين مختلفين وتحاشي استخدام الأشخاص أنفسهم أو المركبات مرتين في متابعته.

ولما كانت تحركات بوضيا تتم غالبا بواسطة سيارة، فإن افنير وكارل قررا تكليف روبرت



بتجهيز قنبلة توضع في السيارة دون استبعاد الاحتمالات الأخرى، كما كان الاغتيال رميا بالرصاص وسيلة احتياطية على الدوام لا تحتاج إلى إستعدادات كثيرة، فضلاً على أنه لا ينطوي على شيء من «المهارات.

أعد روبرت وعميله البلجيكي قنبلة من نفس طراز تلك القنبلة التي استخدمت في اغتيال الهمشري ولكنها أصغر وأبسط بعض الشيء، فبدلاً من الاعتماد على ست قنابل صغيرة كانت تعتمد على وحدة تفجير واحدة من الطراز الانشطاري، أما وسيلة التفجير فكانت مماثلة لسابقتها، وتقرر وضع القنبلة تحت كرسي السيارة، وتتهيأ للعمل من جراء الضغط على الكرسي ثم يتم التفجير بواسطة إشارة لاسلكي.

قاد بوضيا سيارته إلى مكان قريب من مجمع سكني بالدائرة الخامسة، فقطعت السيارة الطريق من شارع بونيو إلى شارع دي فوس سانت برنارد في ٤٥ دقيقة، وفي الساعة السابعة إلا ربع يوم ٢٨ / ٦ / ١٩٧٣م أوقف بوضيا سيارته في موقف الانتظار خارج مبنى بيير وماري كوري الحديث الخاص بجامعة باريس. نزل بوضيا وأغلق السيارة وتبعه واحد من فريق المراقبة سيرا على الأقدام. وفي غضون نصف ساعة وصل ستيف وروبرت في سيارة وانتظرا بها أمام سيارة بوضيا وهما يرتديان ملابس عمال ميكانيكيين لإصلاح السيارات، وعلى الرغم من وجود العديد من المحال التجارية على الجانب المقابل من شارع دي فوس سانت برنارد كانت حركة مرور المشاة خفيفة في تلك الساعة من ساعات الصباح، وعلى أي حال كانت السيارة الطويلة التي كانت تقف أمام سيارة بوضيا كان من شأنها أن تخفيها من نظرات المارة العارضة، وكان من المستحيل توقع موعد بوضيا.

وقام الفريق بزراعة قنبلة في داخل سيارة بوضيا، لم تكن تحتاج إلى وقت يذكر ليتم تثبيتها تحت كرسي القيادة، فلقد كانت عبارة عن وحدة ذاتية التكوين شبيهة بطرد، ليس لها جهاز توقيت يتم ضبطه، ولا يتم توصيلها بأية أسلاك، وفي خلال أقل من نصف دقيقة فتح ستيف باب سيارة بوضيا، وانتهى روبرت من وضعها تحت الكرسي في أقل من دقيقة.

لم تكن الساعة قد تجاوزت بعد الثامنة، وعاد ستيف وروبرت إلى سيارتهما وقاداها إلى ناصية شارع يسوع وشارع دي فوس سانت برنارد، في الوقت الذي نجح فيه أفنير وهانز في حجز مكاني انتظار بسيارة واحدة، ولدى وصول سيارة ستيف وروبرت تحرك أفنير وهانز بسيارتهما إلى الأمام ومكنا السيارة الثانية من الانتظار بجوار الرصيف خلفهم. كان كارل

في سيارته المنطقة المجاورة، ومرت قرابة ثلاث ساعات، أصبحت الساعة الحادية عشرة إلا ربعاً ولم يظهر أي أثر لبوضيا، ثم وقفت عربة نقل ضخمة في صف انتظار ثان في نفس المكان الذي أوقف فيه ستيف وروبرت عربتهما من قبل في مواجهة السيارة الملغومة وحجبت الرؤية بينهما، ولم يكن بوسعهم أن يفعلوا شيئاً بخصوص عربة النقل.

وفي الحادية عشر جاء بوضيا وفتح السيارة ودخلها ثم أغلق الباب، ووقع الانفجار وأدى إلى انبعاج سقف السيارة، وكانت القنبلة المستخدمة شديدة الإنفجار وأحدثت دوياً هائلاً وقتل على الفور الشهيد محمد بوضيا.

وانطلاقا من المعرفة بخلفيات بوضيا ووقع الانفجار قبالة مبنى بيير وماري كوري الذي كان الكثير من الطلبة اليساريين يعملون فيه في المعامل الكيميائية، تكهنت صحف باريس في اليوم التالي بإمكان أن يكون بوضيا قد راح ضحية متفجرات حصل عليها لتوه من هناك، وأخذ البوليس بهذه النظرية في البداية نظراً لأن السيارة لم تبدو ملغومة.

واعترفت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية أنها قامت بإغتيال محمد بوضيا وهي بذلك أفسحت المجال ومهدت الطريق أمام تعيين شخص أكثر تطرفاً ليؤسس أكثر شبكات الإرهاب الدولي تعقيداً ففي غضون أسابيع حل شخص آخر محل بوضيا وتم تغيير تسمية منظمة باريس الشرقية ليصبح اسمها مجموعة فدائيي بوضيا، وكان الشخص الجديد فنزويليا اشتهر باسم «كارلوس ابن آوى»(٦٥) والذي خلف بوضيا في منصبه فقد نفذ عملية مطار أورلي في باريس عام ١٩٧٥م ضد طائرات العال الإسرائيلية باسم عملية الشهيد محمد بوضيا(٦٦).

---

٦٥ كارلوس، ولد ايليتش راميريز سانشيز الملقب كارلوس في العاصمة الفنزويلية كاركاس بتاريخ ١٢/١٠/١٩٤٩م، وسط أسرة ميسورة الحال، انتسب إلى جامعة باتريس لومومبا في موسكو لدراسة الفيزياء والكيمياء. وهناك التقى مع المناضل الجزائري محمد بوضيا الذي نظمه لصالح الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وبعد أن اجتمع مع الدكتور جورج حبش الأمين العام للجبهة، دعاه للمشاركة في تدريبات عسكرية في الأردن، وفي العام ١٩٧١م التحق بتنظيم العمليات الخارجية في الجبهة الذي كان يقوده الدكتور وديع حداد ونفذ عمليات في معظم العواصم الغربية، وكانت عملية احتجاز وزراء نفط منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبك) عام ١٩٧٥م من أشهر العمليات التي نفذها، واتبعها بعدد آخر من العمليات أصبح بعدها (ثورياً محترفاً). عام ١٩٨٣م استقر في دمشق ولحقت به زوجته الأولى (ماجدولينا كوب) بعد خروجها من السجن وأنجب منها ابنة وفي العام ١٩٩٣م تزوج من الأردنية ذات الأصول الفلسطينية (لينا جرار)، وذهب من الأردن إلى سورية، وإثر الضغوطات على سورية تم طرد كارلوس من سوريا وذهب لليبيا التي ما أن اكتشفت شخصيته بعد العثور على بندقية كلاشنكوف في حقيبته قامت بإعادته مجدداً على الطائرة نفسها إلى سورية ومنها إلى جيبوتي ومن ثم ذهب إلى السودان واستقر بالخرطوم دون علم السلطات السودانية وعندما تم اكتشافه قامت السلطات السودانية باعتقاله وتم تسليمه لأجهزة الاستخبارات الفرنسية يوم ١٤/٨/١٩٩٤م، وأودعته فرنسا في السجن حيث ما يزال مسجوناً بعد صدور حكم المؤبد بحقه.

٦٦ جورج جوناس، كتاب الانتقام، القصة الحقيقية لمهمة إسرائيل المضادة للإرهاب، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة، ص٢١٤-٢١٥.

الاختراقات الأمنية الإسرائيلية وسقوط الجاسوس «أبو السعيد»:


كارلوس

أصبحت الثورة الفلسطينية منذ انتقال المقاومة الفلسطينية إلى لبنان هدفاً تسعى لإختراقه أجهزة المخابرات الإسرائيلية والغربية وحتى الشرقية والعربية، وأصبح لبنان ساحة لـ «حرب مخابرات». وأصبحت مكاتب ومعسكرات الثورة الفلسطينية وتحركات قادتها خاضعاً للرصد من أجهزة المخابرات المختلفة، مما جعل من مهمة أجهزة الأمن والرصد الفلسطينية غاية في الصعوبة أمام هذا الحشد من أجهزة المخابرات المعادية. والتي سعت لتسخير كل وسائل التجنيد لإسقاط العملاء القادرين على تقديم المعلومات اللازمة.

ولقد كان جهاز أمن الرئاسة متيقظا دائما فكل داخل لا بد أن يعرف مقصده، ولا بد أن تدقق هويته وكل من يمر أمام مقر الجهاز في الشارع العام لا بد أن تراقبه العيون، وكل سيارة تهدئ من سرعتها أو تبحث عن مكان للوقوف يجب رصدها ومعرفة مقاصد سائقها، وساكنوا الشقق المجاورة يخضعون لرقابة دقيقة، لذا كان كل عابر سبيل من غير أهل المنطقة يبدو هدفا للملاحقة والتأكد من هويته، وكل هذه المهمات يجب أن تتم دون إثارة الريبة أو الإزعاج للسكان وأصحاب المصالح التجارية.

ورغم أن أجهزة المخابرات تواصل التدقيق على سلوك المكلفين بالمهمات الأمنية ومن لهم علاقة بها، إلا أن إحتمالية الإختراق تبقى واردة لا سيما أن الجواسيس يتم انتقائهم بعناية ويخضعون لتدريبات متطورة لضمان عدم إثارة الشكوك حولهم. وبينما كانت ملفات جميع العاملين في جهاز أمن الرئاسة قد درست بعناية، وتم اختيارهم من عناصر تدين بالولاء لحركة فتح والثورة الفلسطينية. فقد كانت إحدى أهم الثغرات التي تعاني منها الأجهزة الأمنية الفلسطينية هو «الثقة الزائدة في العاملين في الجهاز الأمني»، الأمر الذي يخفض مستوى المتابعة والرقابة إلى درجة يمكن أن تفسح المجال أمام الاختراق المضاد.

إلا أنه ومهما اجتهد الجاسوس في إبعاد الشبهات عن نفسه، إلا أنه يترك بعض الأثر الذي سيدل عليه، ذلك أن تجنيد العملاء يصبح فاشلاً في عدد من الحالات أبرزها استدراج العميل عن طريق النساء أو المال والتجارة، أو المخدرات أو الثقة الزائدة بالعميل عند حالات الاختراق للجهة المضادة مثلما عمدت إسرائيل إلى تجنيد أخوة وأخوات الشهداء ظنا بأن هؤلاء لن يخضعوا للتدقيق. ومنذ أن عملت في مجال الأمن، والذي تعززت قدراتي وتطورت بتخرجي من الدورات الأمنية، كنت أؤمن بأن غريزة «الفراسة» التي تعتمد على رؤية المرء لتقدير حالات معينة في الأشخاص الذين يقابلهم، هي حالة نادرة لا يتمتع بها سوى عدد محدود من الناس، ولا أدعي أمرا لست أهلاً له، فقد كنت واحداً من هؤلاء الناس الذين حباهم الله بغريزة «الفراسة» التي ساعدتني كثيرا في سبر أغوار شخصيات مختلفة، وجعلتني أتوقع سلفاً ما قد يضمرونه بالخفاء، كما أن التجربة علمتني أن أتوقع سلوك الطرف الآخر من خلال حركاته أو نظراته على سبيل المثال فإن العميل الذي يخفي أمراً يتجنب النظر مباشرة في وجه الذي يقابله خوفاً أن تكشفه عيونه وبعضهم وبسبب كتمان حالة التوتر الداخلي يقوم بحركات لا إرادية يمكن ملاحظتها بسهولة.

وقصة الجاسوس «أبو السعيد» أقدمها كدليل على الإختراق الأمني بسبب (الثقة الزائدة في جاسوس الموساد الإسرائيلي الذي تم تجنيده عن طريق النساء ولعبة القمار، لكن حركاته أثارت الشكوك حوله وكان لغريزة الفراسة دور في كشفه قبل أن يستفحل أمره وفيما يلي التفاصيل:

لقد كان محمد عبد الله عياش «شاستري» أبو العبد معروفاً من قبل الجميع، وقريبا إلى عقولهم وقلوبهم، وحدث أن جاءنا ذات يوم من أيام شهر تموز عام ١٩٧٣م وبرفقته الشخص المذكور طالباً توظيفه في جهاز أمن الرئاسة، وبأسلوب ينم عن إحترامي وتقديري له أفهمته أن معظم كوادر الجهاز من فئة الشباب، والمذكور يتجاوز الخامسة والأربعين، ومن الصعب عليه التجانس معهم، إلا أن شاستري قصد أبو حسن سلامه وأقنعه بتوظيف الرجل؛ لأن أبو حسن يعتبر شاستري من النبلاء والمخلصين في حركة «فتح» الذي تربطنا به علاقات عمل وثيقة. ولذلك لم يطلب أحد تدقيق السيرة الذاتية للموظف الجديد محمد سعيد الطيبي «أبو السعيد» إذ يكفي تزكيته للعمل من قبل شاستري، وعلى ضوء ذلك قمت بتعيينه في الإدارة(٦٧) استجابة لتوصية من أخي علي حسن سلامه.

٦٧ أبو السعيد وقبل التحاقه بقوات الـ١٧ كان مسؤول التسليح في القوة المحمولة (المصدر: اللواء سلمان شديد (سلمان كيشر).



كان «أبو السعيد» غامضا كلغز، يبدي إهتماماً كبيراً بالعمل، وعلى قدر جيد من الثقافة، ورغم كبر سنه وسنوات عمله في الكويت إلا أنه كان أعزب ولم يسبق له أن تزوج، وقد فضل السكن وحيداً، حيث كان يستأجر شقة صغيرة بمنطقة الروشة، وكنت أرقبه خلال الاجتماع الأسبوعي للعاملين في الإدارة حيث ندربهم على كيفية التعامل مع الأشخاص الراغبين في مقابلة أبي عمار، وكيفية استخلاص المعلومات من الأشخاص الذين يودون مهاتفته قبل تحويل المكالمة، بالإضافة لأمور خاصة أخرى تتعلق بأمن وسلامة الجهاز الإداري، حيث كان «أبو السعيد» يبدي قدراً كبيراً من الإهتمام.

تعودت أن أدعو لإجتماع إداري كل أسبوع لضباط الإدارة فقط، وبينما كنت أتحدث في الشؤون الإدارية قاطعني أبو السعيد بلطف متسائلا حول موضوع مختلف تماما فقال: «أخ أبو الطيب ما هو تصور حركة فتح للمرحلة المقبلة.؟» لقد أثار سؤاله المفاجئ حفيظتي لكني تعمدت عدم إظهار ذلك على ملامح وجهي وحاولت تجاهل سؤاله والخوض في حديث طويل ليس له علاقة بفحوى السؤال بما يوحي إليه عمداً وكأنني لا علم لي بما يجيب على سؤاله وفضوله. انتابني شعور بالقلق والحذر من سلوك «أبي السعيد» داخل مكتب الإدارة، وتنبهّت كل حواسي استشعاراً لكل حركة يؤديها، إلا أن هذه الرقابة الحذرة لم تجعلني أجازف بالخشية من أن يكون عميلاً للموساد الإسرائيلي، إلا أنه ومن باب الحيطة والحذر أمرت بعدم تسليمه مفاتيح الأرشيف، وأن يقتصر عمله على مهماته المباشرة فقط.

ظل أبو السعيد قيد رقابتي فقد كان لدي إحساس داخلي بأن هذا الرجل يخفي وراءه سراً ما، وقد حفزني ذلك الإحساس على الإصرار على كشف ذلك السر، فبدأت أتلمس سيرته الذاتية من بعض الأخوة ممن عملوا في الكويت ولكن دون جدوى، الأمر الذي حوله إلى لغز شغلني. إلا أنه لم يكن من طبعي إدانة أحد لمجرد الشكوك، ذلك إن ظلم الآخرين هو سلوك اربأ بنفسي عنه، وكنت وما زلت أتمسك بحسن الظن بهم، وإن كان من ثروة إنسانية جمعتها طيلة ما يزيد عن أربعين عاماً من العمل الوطني، فهي ثروة ثقة الآخرين بي ومبادلتهم الإحترام بأحسن منه، وكنت أردد بيني وبين نفسي «هذا الرجل لن أتركه يخرجني عن طوري» فالصبر مع الرقابة هو من صفات الثبات في العمل الأمني.

في وقت كانت سماء بيروت وأجواؤها عرضة لاختراقات الطيران الإسرائيلي يوميا، وربما عدة مرات في اليوم الواحد يخترق في أثنائها جدار الصوت بصورة تثير الهلع، حيث كان «أبو

السعيد» كلما شعر بتحليق الطيران الإسرائيلي يترك عمله ويفر هارباً من دون جميع العاملين في الإدارة، وقد بررت هلعه وخوفه بكونه لم يعارك العمل العسكري، وأنه لم يلم بعد بخطط الانتشار والتصرف أثناء إحتمالات قصف الطيران الإسرائيلي لمواقعنا.

بدأت مرحلة الشك بأبي السعيد، حيث عززت الرقابة الدائمة لمتابعة حركاته، كان في غالب الأحيان يبدو سارح الفكر، وفي أحيان أخرى كان يداعب شعر رأسه بأن يلفه حول إصبعه.. ورغم طول المراقبة لم أعثر على أي دليل يدينه.

طلب «أبو السعيد» إجازة لمدة خمسة عشر يوماً، إدعى أنه سيسافر خلالها لزيارة أهله في الكويت، وبعد عودته من السفر بيومين جاءني خليل أبو الشيخ طالباً أن أعطيه مبلغ ألف ليرة لبنانية ديناً على أن يردها لي خلال يومين، فأعطيته المبلغ فورا دون أن أسأل عن السبب. وفي اليوم التالي كان المفترض أن يكون أبو السعيد الضابط المناوب في الإدارة. وفوجئت بالحارس يتصل بي ويبلغني أن المكتب بدون ضابط إدارة، حيث إنتهت مناوبة الضابط مهران وحانت مناوبة أبو السعيد الذي لم يحضر، فأمرت بإعتقال أبي السعيد ووضعه في السجن لعدم حضوره وعدم الالتزام بالدوام، فلما علم خليل أبو الشيخ بذلك جاءني متوسلا إطلاق سراحه، حيث علمت أن المبلغ الذي طلبه بالأمس وقدره ألف ليرة لبنانية قد تركه لدى أبو السعيد، ويبدو أنه لعب القمار وخسره ولذلك لم يأت إلى الدوام كونه محرجاً من إعادة المبلغ، لكنني رغم هذا التفسير أمرت بإعتقاله وطلبت إحضار جواز سفره بعد أن اقتيد إلى السجن للتأكد من سفره إلى الكويت؛ لأن الشكوك كانت تراودني بعدم مصداقيته لكنه تردد في تسليمه وطلب من مأمور السجن أن يقابلني قبل تسليم جواز السفر، وذلك لأمر هام جداً. فذهبت لمقابلته حيث كانت المفاجأة الكبرى بانتظاري.

بادرني أبو السعيد قائلا: «أخ أبو الطيب، ها قد جاءت فرصتك، سوف أجعلك ترفع رأسك عاليا وتلقي القبض على أكبر شبكة لعملاء الموساد الإسرائيلي في لبنان، قلت: وكيف ذلك يا أبا السعيد..؟ هنا تلّون أبو السعيد بلون الحرباء.. وحاول أن ينفث سمومه في وجهي قائلاً: لا أخفيك سرا أن الموساد قام بتجنيدي مؤخرا، وأن عميل الموساد الذي جندني سوف يحضر لمقابلتي، ويقترح أن نلقي القبض عليه لتتبع خيوط الشبكة في لبنان(٦٨)..

لقد كان إعتراف «أبو السعيد» سهلاً وبلا مقدمات، الأمر الذي زاد من ارتيابي وشكوكي

٦٨ كان تجنيد أبو السعيد في فترة قريبة جداً قبل توقيفه، بحيث لم ترسل له إسرائيل المندوب المشرف على تشغيله، لهذا كان طلبه أن نلقي القبض على مندوب الموساد الذي سوف يأتي لمقابلته.



في روايته، لذا تعمدت إثارة حفيظته وقلت له: إنك إنسان تافه جداً ولا أظن أن الموساد قد يلجأ لشخص من أمثالك، وطلبت منه فورا تسليمنا جواز سفره فاستشاط غضبا، وأفاد أن جواز السفر موجود في شقته وطلب مني مرافقته للشقة ليسلمني الجواز وما لديه من أدوات للتجسس.

قمت باستدعاء «جواد هنية» وهو من أشرس مقاتلينا ويحتفظ على الدوام بمسدس من طراز (ماغنوم – ٦ انش) فيما تحزمت بمسدسي، وطلبت من جواد هنيه أن يقود السيارة، وجلست إلى جواره في الكرسي الأمامي، فيما جلس «أبو السعيد» في المقعد الخلفي، وحتى تلك اللحظة لم أكن على يقين من صحة أقوال أبو السعيد؛ ولذلك اكتفيت بأن يرافقني جواد هنديه دون اللجوء إلى استنفار قوة أمنية كاملة، وبعد أن وصلنا الشقة وولجنا إلى داخلها، جاء أبو السعيد بفرشاة للشعر ومعها دبوس، وضغط على الفرشاة وإذا هي مخبأ سري انفتح بسرعة وبداخله رسالة مشفرة تطلب منه الإبلاغ فورا عن أي تحرك لكل من أبي عمار وأبي جهاد وأبي الوليد أو أي مسؤول آخر نحو الجنوب اللبناني، بعد ذلك أحضر أبو السعيد جهاز راديو متوسط الحجم وشرح لنا كيفية تلقيه للشيفرة والمعلومات اليومية عن طريق الراديو.

لم يعد أمامي من مجال لتأويل ما سمعته ورأيته وهو الأمر الذي حل لي لغز تردده في تسليم جواز سفره واعترافه السريع، فكما ذكرت لقد ادعى العميل أبو السعيد أنه سافر إلى الكويت عندما حصل على الإجازة، وفهم تلقائياً أننا سنكتشف كذبه في حال استلامنا لجواز السفر حيث كان قد سافر إلى اليونان وأنه في حال اكتشافنا لذلك سيتعرض إلى موجة من التحقيقات الصعبة لذا حاول «مقايضتنا» للخروج من هذه الورطة والإدعاء باستعداده لتسليمنا باقي الشبكة في لبنان.

بدأ التحقيق مع العميل «أبي السعيد» من خلال لجنة تشكلت خصيصاً لذلك وتوالت الإعترافات تباعا، وروى أبو السعيد قصة تجنيده لصالح الموساد، حيث أفاد أنه في كل يوم سبت كان يذهب للعب القمار في كازينو (لبنان) وهناك تعرف على إمرأة أجنبية أقام معها علاقة صداقة، وكان يستدين منها المال بعد خسارته، وأخبرته أنها يونانية الجنسية، وعرضت عليه مرافقتها في رحلة إلى اليونان للتعرف على أهلها، وأنه عندما طلب الإجازة بحجة السفر إلى الكويت سافر بصحبة تلك المرأة إلى اليونان، حيث قضى معها إسبوعا ثم وجهت له الدعوة لتناول العشاء مع أهلها، وخلال ذلك تم التقاط العديد من الصور له مع الحضور ممن ادعوا أنهم أقرباؤها، وبعد تحميض الصور فاجأه أحدهم بالتعريف على نفسه أنه ضابط في الموساد

الإسرائيلي، وكذلك زملاؤه الآخرون الذين أطلعوه على بطاقاتهم الشخصية والعسكرية، وساوموه على الصور التي بحوزتهم طالبين منه التعاون معهم، وإلا سوف يرسلون الصور إلى أبي عمار، وأفهموه أنهم لا يريدون تعريض حياته للخطر، وكل مهمته محصورة بإبلاغهم عن تحركات أبي عمار وأبي جهاد وأبي الوليد نحو الجنوب اللبناني. وطلب منه جهاز الموساد التقرب لدى المكتب الثاني التابع للمخابرات اللبنانية بحيث من الممكن أن يشكل هذا غطاءً هاما لعمله مع جهاز الموساد وذلك لسببين:

يمكن في حالة اكتشافه أن يشكل له الجهاز حماية بحيث يحصل تمويه لمسلكه، كجاسوس للموساد يكون جاسوسا لأمن الأجهزة العربية.

في حالة ألقي القبض عليه يحكم عليه كجاسوس للموساد بالإعدام، أما إذا كان جاسوسا لدولة عربية فإن الحكم عليه يكون مخففا.

وأضاف "أبو السعيد" في إعترافاته أن مندوب الموساد في بيروت سوف يقابله في مقهى "ستراند" بحيث يجلس أبو السعيد ويضع أمامه جريدة السفير اللبنانية وفوقها علبة سجائر من نوع مارلبورو، وفوق علبة السجائر ولاعة يكون لونها أحمر ويكون عميل الموساد مرتديا قميصاً أزرق اللون سوف يتقدم نحوه طالبا أن يشعل إحدى السجائر للتعريف بشخصه.

حملنا ملف التحقيقات وقمت بعرضه على أبي حسن سلامه، فطلب رؤيته شخصيا والاستماع منه للرواية بلسانه، وبالفعل اصطحبت «أبو السعيد» إلى منزل أبي حسن سلامه بشارع حمد، حيث قص روايته كاملة أمامه، وبعد إعادة أبي السعيد إلى السجن توجهت بصحبة أبي حسن سلامه للقاء الرئيس عرفات وإطلاعه على تفاصيل التحقيقات، حيث ذكر أبو عمار أنه حديث التجنيد ولم يتلوث بدماء القادة والمقاتلين، إلا أنني رجوت أبو عمار بإصدار قرار بإعدامه حتى يكون عبرة لكل من تسول له نفسه بالتعاون مع الموساد ولإحباط كل من يخطط لتجنيد عملاء ضد الثورة.

أدرك أبو السعيد أن حكم الإعدام سيكون مصيره، لذلك تعمد اختلاق رواية جديدة في كل يوم على أمل إطالة الفترة الزمنية قبل إعدامه، وأسوأ رواياته تلك التي إدعى فيها أنه «يهودي» الأصل حيث عمدت إسرائيل إلى إيداعه عندما كان طفلا لدى عائلة فلسطينية شأنه شأن العديد من الأطفال اليهود الذين توكل إسرائيل تربيتهم لعدد من الأسر في الدول العربية، موضحاً أن لديه معلومات كافية عن بعض هؤلاء ومنهم من أصبح مسؤولاً مرموقاً في بعض الدول العربية.

لقد قرأت عشرات الكتب عن الموساد الإسرائيلي واستمعت إلى العديد من الروايات التي



تمجد ذلك الجهاز الإستخباري، بالإضافة إلى أنني استعرضت تاريخ العمل المخابراتي منذ فجر التاريخ، لكنني لم أعثر على دليل يشير إلى صحة ما ذكره أبو السعيد حول قصة إيداعه وهو طفل لدى عائلة فلسطينية شأنه شأن العديد من الأطفال اليهود الذين توكل إسرائيل تربيتهم لعدد من الأسر العربية، فكل هذه القصص والروايات هي من نسج الخيال ولا صحة لها وإنما يقصد من ورائها الإيحاء بأن إسرائيل موجودة في كل بيت عربي وعلى وجه الخصوص بيوت المسؤولين، وهذا أمر مشكوك في صحته تماما.

وفي رواية أخرى ادعى العميل «أبو السعيد» أن المخابرات الإسرائيلية أبلغته بوجود جهاز إرسال كبير في النفق الواصل إلى البحر عن طريق الجامعة الأمريكية، وبعد التحري ثبت أن روايته كاذبة ومختلقة، وأن الهدف من وراء اختلاق هذه القصص هو إطالة التحقيق معه لتأجيل إعدامه.

نهاية الأمر تم تحويل ملف العميل أبو السعيد إلى الأمن المركزي(٦٩)، الذين استكملوا التحقيق معه بصورة رسمية وقاموا بإعداد مذكرة الاتهام القانونية للمذكور وعرضها أمام القضاء الفلسطيني. وجرت محاكمته حيث أصدرت عليه المحكمة حكماً بالإعدام رميا بالرصاص، وتم تصديق القرار من الرئيس أبي عمار، تم تفصيل بدلة حمراء للجاسوس أبي السعيد، عندها أدرك أن نهايته قد اقتربت، وأن حكماً بالإعدام قد صدر ضده، ولأول وهلة بدا وكأنه ليس آبهاً لمصيره، وانتابه صمت طويل كمن يفكر بعمق، وفجأة انهار تماما وأخذ يبكي بمرارة. وبعد أن انتهت تلك النوبة من البكاء أعيد إلى زنزانته.

كان أبو السعيد طيلة الأيام التي سبقت موعد تنفيذ الإعدام يبدو متقلب الحالات، مرة تنتابه هستيريا الصراخ. وأخرى كان يتصنع التجلد والثبات.. وثالثة يضحك بلا سبب، وفي بعض الأحيان يبدو كمن ينتظر أحدا لينقذه من ذلك المصير المحتوم. وبلا شك فإن تأنيب الضمير قد أفقده إحترام ذاته وكان ضاغطاً على أعصابه في تلك الأحوال التي كان أبناء شعبنا ومقاتلينا يتمنون الشهادة في معارك الشرف والبطولة خلال عمليات المواجهة مع العدو الإسرائيلي. وهو يعلم علم اليقين، إضافة لكونه شاهد عيان على الإرهاب الإسرائيلي الذي لم يتوقف عن استخدام طائراته الحربية في قصف وتدمير البنايات فوق رؤوس الأبرياء من فلسطينيين ولبنانيين، لذا

---

٦٩ يذكر في هذا السياق أن عبد الله عبد الحميد لبيب «هواري» مسؤول المندوبين في جهاز الأمن المركزي أفاد أن أحد المندوبين أخبره بأن أبي السعيد الذي يعمل ضابط إدارة في قوات الـ١٧ شوهد يتردد على المكتب الثاني فطلبت منه المزيد من المعلومات لاستكمال التحقيق مع المذكور، لكنه لم يقدم مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع.

فإن تأنيب الضمير في حالته يرسم في خياله صور النساء الثكلى والأرامل، وأمهات الشهداء، وجرحى الثورة الذين خذلهم وخانهم، وانحاز إلى جانب العدو كمشارك في قتلهم.. فالجاسوس في حالة الكفاح الوطني هو قاتل بامتياز لا يمكن لدموعه في حالة اليأس أن تغسل العار الذي لحق به.

وفي اليوم المحدد للتنفيذ تم استدعاء ثلاثة كوادر من كل جهاز من أجهزة حركة فتح حتى وصل العدد إلى (٢٥ كادرا) وأحضر أبو السعيد إلى ساحة الثكنة الموجودة مقابل مكتبنا، وكان يلبس بدلة حمراء، وبدأ هواري مندوباً عن جهاز الأمن المركزي بتلاوة قرار المحكمة بحضور الجميع وممثل الإدعاء العام للجهاز وتم تنفيذ الحكم بعد ذلك فوراً رمياً بالرصاص.

إن قصة العميل أبو السعيد ليست الأولى، ولن تكون الأخيرة، لكنها ستظل عبرة في مسيرة الصراع المستمر مع أجهزة المخابرات الإسرائيلية التي خسرت العديد من العملاء الذين جندتهم بفضل كفاءة وقدرة «أجهزة أمن فتح مجتمعة» على التصدي لحرب الجاسوسية.

حرب تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣م :



المقدمة بعد حرب حزيران ١٩٦٧م وهزيمة الجيوش العربية واحتلال كل أرض فلسطين إلى جانب شبه جزيرة سيناء من مصر والجولان من سوريا وعدة كيلو مترات من الأردن في وادي عربة، هذه النكسة التي سماها عبد الناصر أضافت أعباء على الأمة العربية تساوي إن لم تكن اكبر من نكبة عام ١٩٤٨ وقد حققت الحركة الصهيونية اكبر بكثير من حلمها بإقامة " إسرائيل " وتجاوزته بالتوسع والخروج عن حدودها لتصبح دفاعاتها العسكرية بعيدة عن التجمعات السكانية الإسرائيلية والعمق الأمني الإسرائيلي بشكل عام. وعلى ضوء ذلك عقدت قمة الخرطوم في الفترة ما بين ٢٩ / ٨ إلى ٩ / ١٩٦٧ وصدر عنها ما اتفق عليه سياسياً بمصطلح اللاءات الثلاثة وهي (لا صلح – لا مفاوضات – لا اعتراف) ودخلت الأمة العربية في النفق المظلم إلى ان أتى الأمل وشعاع من النور من قوات الثورة الفلسطينية وتحديداً من حركة فتح التي أخذت قرار الانطلاقة المسلحة لتكون العسكرية الفلسطينية هي أول من أوجد



إرادة التحدي وتكون بذلك راس الرمح العربي الموجه لصدر " إسرائيل " القوات الفلسطينية تقاتل على الجبهتين : لقد كان الدور الأول للقوات الفلسطينية تحركها السريع لجمع الأسلحة والعتاد من الجبهات العربية التي منيت بالهزيمة وتخزينها وأعادت انطلاقتها بقوة وراحت توجه الضربات بقوة إلى جنود العدو الذين كانوا منشغلين بانتصارهم السهل والسريع في حرب حزيران ١٩٦٧ وأخذت الأمة العربية جماهيرها وأنظمتها تقدم الدعم للثورة الفلسطينية التي أصبح لها قوات وتشكيلات حديثة تمتد على اتساع الحدود الأردنية من خليج العقبة حتى حدود سوريا ومنطقة الجولان وجنوب لبنان وتوجت الثورة الفلسطينية ضرباتها بانتزاع أول انتصار على العدو في معركة الكرامة عام ١٩٦٨م بمشاركة الجيش الأردني.

لقد كانت للضربات الفلسطينية الموجه لإسرائيل نتائج هامة على صعيد إعادة بناء وتشكيل وتأهيل القوات المسلحة في كل من الأردن وسوريا ولبنان حيث أنها شغلت الفراغ الناتج عن الهزيمة أولا وجعلت إسرائيل تنتقل لردات الفعل التي كانت تلاحق قواعد الثورة الفلسطينية والمخيمات في الشتات وأبعدت ذهن القيادة العسكرية والسياسية الإسرائيلية عن إعادة البناء التي كانت تتم على قدم وساق في دول الطوق، حيث كانت القوات الإسرائيلية تقوم بقصف المواقع الفلسطينية في الأردن وسوريا ولبنان بالطائرات و كان ذلك يتم شبه يومي، من اجل منع القوات الفلسطينية من التطور وكإجراءات استباقية لمنع الهجمات الفلسطينية على قواتها ومستوطناتها هذا ومن جانب أخر لإلحاق الهزيمة بها استكمالاً لهزيمة الجيوش العربية، ولكن هزيمتها في معركة الكرامة، اجهض وأضاع منهم الجانب المعنوي لانتصارهم وكان ذلك واضحاً بمقولة دايان وزير الحرب الإسرائيلي عندما قال المقاومة الفلسطينية "كالبيضة في يدي اكسرها متى أشاء". وكان من أبرز ما حققته المقاومة الفلسطينية في تلك المرحلة أنها قد أكملت مأسسة قواتها وأصبح لديها قدرة نيران كبيرة إلى جانب بنائها لخلايا فدائية عالية في اختيار الأهداف الإسرائيلية وتنفيذ العمليات العسكرية ضدها، وفي ٢٧ – ٣٠ / ١ / ١٩٧٣م عقد في القاهرة مجلس الدفاع المشترك وهي من الأجهزة التابعة للجامعة العربية بحث فيه موضوع قومية المعركة بحضور وزراء الدفاع العرب ووزراء الخارجية، وقد تقدم الفريق أول احمد إسماعيل على باسم مصر بتقرير حول الأوضاع في إطارها الاستراتيجي وقد كان ذلك بمثابة خطة عامة لشن الحرب على إسرائيل ومما جاء فيه ان التخطيط للعمليات التعرضية للعمل العسكري العربي المشترك يجب ان يهدف إلى :

إرغام العدو على القتال في كل الجبهات في وقت واحد لحرمانه من استراتيجيته المبنية على

العمل ضد جبهة واحده في وقت واحد.

استخدام الجبهتين السورية والأردنية لتهديد قلب العدو بنيراننا وخاصة القوات الجوية.

العمل على تشتيت احتياطات العدو التعبوية والاستراتيجية.

قطع خطوط مواصلات العدو البحرية في البحرين المتوسط والأحمر.

استخدام الفدائيين على نطاق واسع داخل إسرائيل.

ان تبدأ العمليات التعرضية في اقرب وقت ممكن.

ومن المعلوم ان الحرب بدأت من الجبهة المصرية والسورية وبفتح الجبهة الثالثة من قبل القوات الفلسطينية في لبنان حيث فاقت كل التقديرات التي وضعت لها في البند الخامس من تقرير الفريق أول احمد إسماعيل على الذي أشار إلى تدعيم العمل الفدائي ليلعب دوراً أساسيا في المعركة ويعتبر هذا العمل جزء لا يتجزأ من قومية المعركة ويجب ان يعمل العمل الفدائي من جميع الجبهات لتشتيت جهود العدو ضمن الخطة العامة للقوات العربية وتزال العقبات التي تعترض طريقه.

الاستعدادات الفلسطينية لحرب ١٩٧٣ :

لقد نجحت حركة فتح في بناء الأطر والخلايا التنظيمية والعسكرية وحاولت بناء قواعد ارتكازية داخل فلسطين المحتلة، ولهذا أرسلت ياسر عرفات على رأس مجموعة من الكوادر العسكرية والتنظيمية، حيث أسسوا ما عرف بالانطلاقة الثانية للكفاح المسلح وكان ذلك في ٢٧ / ٨ / ١٩٦٧ حيث تم نقل مقر القيادة لحركة فتح من عمان إلى رام الله. وقد نجحت قوات العاصفة في تجميع كميات من الأسلحة وتخزينها وأنشأت المجموعات العسكرية التي انطلقت بعملياتها ضد إسرائيل حيث حظيت حركة المقاومة الفلسطينية باحترام الجميع وعلى راسهم الزعيم جمال عبد الناصر الذي قال عنها أنها انبل ظاهرة أنجبتها الأمة العربية وأضاف «أنها وجدت لتبقى « وفتحت سوريا أبوابها لاحتضان المعسكرات والمستودعات التي تدفقت عليها الأسلحة والذخائر من الدول الصديقة والشقيقة حيث نزلت أول طائرة محملة بالسلاح هدية من الجزائر في مطار المزة الذي اغلقه الرئيس الأسد « الأب « من اجل هذه الغاية حيث بدأت مرحلة متقدمة في تطور العمل الفدائي وهي مرحلة استيعاب الأسلحة الحديثة وبناء التشكيلات الخاصة بذلك والتي مكنت الثورة الفلسطينية بجدارة من مشاغلة العدو من عام ١٩٦٧ حتى بدء حرب أكتوبر ١٩٧٣ مما مكن مصر وسوريا من إعادة البناء والتأهيل وإجراء المناورات



التدريبة على مستوى الفرق والألوية واستعداداً للحرب حيث كانت ردود الفعل الإسرائيلية ضد العمل الفلسطيني شبه يومية و كبيرة حيث استخدم سلاح الجو بكثافة إلى الحد أنه مسح مخيم النبطية عن الوجود، وتابعت قوات الثورة الفلسطينية عملياتها من جنوب لبنان على شكل ضربات سريعة تنزلها بالعدو في منطقة القشرة وقد ساعد على ذلك طبيعة الأرض في الجنوب حيث كان التسلل ممكناً وحيث لم يكن هناك عائق مائي أو خط حواجز إسرائيلي على طول الحدود اللبنانية وحيث كانت الأهداف قريبة. وقد نجحت القوات الفلسطينية في استدراج القوات الإسرائيلية للاشتباك المتواصل معها من عام ١٩٦٧ حتى بدء حرب ١٩٧٣م إلى ان أوصلتها الرسالة واضحة بأن التشجيع العربي للثورة الفلسطينية واتساع الحرب معها قد يعني ان العرب لا يفكروا في شن حرب عليها وقد استنفرت قوات الجيش الإسرائيلي في البر والبحر والجو، وقد وجه الطرفان ضربات موجعة لبعضهما البعض، وسرت بين بعض المحللين معلومات تفيد بأن التصعيد الفلسطيني تم بالاتفاق مع الرئيس السادات وأجهزته لإبعاد اهتمام إسرائيل عن الجهة الغربية حتى تتمكن مصر من شن هجومها(٧٠).

خلال شهر (٣ / ١٩٧٣) استقبل الرئيس السادات كل من ياسر عرفات، خليل الوزير، صلاح خلف ومحمد يوسف النجار، وقبل الاجتماع أفضى إليهم كبار ضباط الجيش أن موعد المعركة ضد إسرائيل قد تحدد في شهر (٥ / ١٩٧٣م) لكن الحرب لم تندلع في الموعد المشار إليه.

ولم تفت أبو عمار فرصة العمر بدفع جيش التحرير الفلسطيني بالمشاركة في حرب ١٩٧٣م على الجبهتين المصرية والسورية وأخذ يتحدث عن الجبهة الثالثة على الرغم من التعتيم الإعلامي آنذاك إلى أن اعترف العدو بذلك عندما وقف مندوبه في الأمم المتحدة عشية بحث مجلس الأمن في قرار لوقف الحرب على جبهتي القتال ليقول أن حكومته تشترط كذلك التزاماً عربياً بإيقاف النار على الجبهة الثالثة التي يحارب فيها الفلسطينيون.

ويتحدث الأخ فاروق القدومي (أبو اللطف) فيقول: "اتصل السيد الرئيس أنور السادات بالأخ صلاح خلف (أبو إياد) وقال له" "أنا عاوزكم للضرورة، وأرجو أن تحضر مع أبو اللطف ونتقابل في برج العرب"، كان ذلك في شهر أيلول ١٩٧٣م، ذهبنا صباحا إلى برج العرب لقاء الرئيس الساعة ١٢ ظهرا، بالفعل جاء الرئيس مبتسما ورحب بنا بحرارة وكنا ثلاثة فقط وقال: "أنا عاوزكم تعرفوا أنو حتقوم الشرارة عن قريب"، ولكنه لم يحدد الزمن وأضاف: "

---

٧٠ اللواء مازن عز الدين، مقال: دور القوات الفلسطينية في حرب أكتوبر ١٩٧٣م، ٢٠١٣/١٠/٧م.

وسيعبر الجيش القناة وبعد عشرة كيلو من القتال سنقف، ويمكن تيجي الدول الكبرى تحوش بينا، بس يعني دوركم تكملوا المشوار، وعايزكم تجيبوا هنا ٣٠٠ أو ٤٠٠ فدائي من إخوانكم لتكملوا دوركم"، وأضاف: "هذا الحديث لكم فقط"، ثم قال: "اتصلوا بممدوح سالم علشان يدخل أخوانكم اللي جايين، وفي الوقت اللي انتو عايزينوه".

ويضيف أبو اللطف: "قضينا ساعة بعد اللقاء وشربنا القهوة، ودار بيننا حديث عن أعمالنا الفدائية، وتمنى لنا التوفيق، وقال: "أنا بقول الكلام لكم وليس لأحد تاني"، واستأذنا بعد نهاية الجلسة حيث كنا نستمع فقط لحديث الرئيس، وعدنا إلى القاهرة، على الفور قمنا بالاتصال مع ممدوح سالم (وزير الداخلية) وأخبرنا الأخ ربحي عوض ممثلنا في القاهرة بأننا سننقل عدد من الإخوة الفدائيين إلى مصر للضرورة، وعليك بالتنسيق مع ممدوح سالم مباشرة، في اليوم التالي على الفور سافر الأخ أبو إياد إلى لبنان لإعلام الأخ أبو عمار بالموضوع مع الكتمان.

هذا، وعندما اندلعت الشرارة (الحرب) وعبر الجيش قناة السويس بنجاح، استدعانا الرئيس السادات مرة أخرى وذهبنا إليه واجتمعنا به بالقصر في القاهرة مساء، وكان السرور باديا على وجهه ورحب بنا وقال: "أهلا وسهلا" وكان يتكلم بالهاتف حيث قال: "أيوة.. إيه.. حصل إيه.. الطابية التاسعة دمرتموها، باقية كم واحدة..؟"، أنهى حديثه بالتلفون على ما يبدو مع قيادة الجيش سكت قليلا ثم قال: "اخلصنا من إزعاج العرب" وكان ذلك باللهجة المصرية.. وفي حديث آخر قال لنا: "عايزكم تيجوا معاي تحضروا المؤتمر الدولي للسلام، لأن قضيتكم ستناقش"، ومعروف أنه بعد أيام جرت مقابلات مع الرئيس وقابل كل من كوسيجين وكيسنجر، للتمهيد لعقد المؤتمر الدولي للسلام، جرى اجتماع تحضيري وكان من المفترض أن نحضر هذا المؤتمر ولكن الوفد الإسرائيلي رفض حضورنا(٧١).

---

٧١ مكالمة هاتفية مع الأخ فاروق القدومي (أبو اللطف).



ياسر عرفات ومحمد أنور السادات

استقبل السادات ياسر عرفات بعد لقاءه مع الأخوة أبو إياد وأبو اللطف في المرة الأولى بعد ذلك اللقاء بثلاثة أيام ١٢ / ٩ / ١٩٧٣م وأكد له أنه سيعلمه بالموعد المحدد لإعلان الحرب، وظل الأمر على هذا الحال حتى يوم ٦ / ١٠ / ١٩٧٣م حين سمع أبو عمار بالحرب من محطات الإعلام أن أول ضربة جوية للقوات المصرية كانت الساعة ٢:٠٤ من بعد الظهر من يوم ٦ / ١٠ / ١٩٧٣م.

طلبني ياسر عرفات واخبرني بضرورة تحضير (٦جالونات) كبيرة، تعبأ منها (٥ جالونات) بنزين والجالون السادس بالماء، وأمرني بتجهيز نفسي للإنتقال معه فورا إلى البقاع، وكذلك الاتصال مع مساعد مدير التسليح إبراهيم غالب في البقاع وإبلاغه بقدومنا اليوم، فتم ذلك عبر الشيفرة المتبعة، كما استدعى أبو عمار الأخ عطا الله عطا الله "أبو الزعيم" وأبلغه بتجهيز نفسه لمرافقتنا إلى البقاع.

تحرك الموكب نحو البقاع في ست سيارات حملتنا مع المرافقين يوم ٦ / ١٠ / ١٩٧٣م وعند الوصول كان إبراهيم غالب في استقبالنا وأطلعنا على كافة التحضيرات التي أنجزها وتضم مكتب للقائد العام وغرفة عمليات، ومنذ تلك اللحظة باشر أبو عمار الاتصالات والاجتماعات مع قادة القطاعات العسكرية المتواجدة في البقاع متدارسا معهم فحوى الدور الذي ستقوم به قواتنا في هذه المعركة.

انتقلت بعض مجموعاتنا إلى الأراضي السورية للاستطلاع لتنفيذ توجيهات القائد العام بنقل وتخزين كميات من الأسلحة من البقاع إلى الجبال السورية حيث حددنا مواقع عدد من "الكهوف" التي تستوعب الكميات التي سيتم تخزينها، وكانت تحركاتنا طيلة أيام حرب أكتوبر تتم من خلال عدد من السيارات بحيث تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة كافية، أما سيارة القيادة فكانت تضم أبو عمار وعطا الله عطا الله "أبو الزعيم" وأنا، وشكل وجود القائد العام وسط القوات والقادة العسكريين خلال الحرب حافزاً قوياً لرفع معنويات مقاتلينا وهذا أسهم فيما بعد على زيادة عملياتنا ضد العدو الإسرائيلي.

اندلاع العمليات العسكرية:

بدأت عمليات حرب ١٩٧٣م في تمام الساعة الثانية من يوم ٦ / ١٠ / ١٩٧٣م بالضربة الجوية التمهيدية الأولى، التي شاركت فيها مصر بحوالي ٢٠٠ طائرة قاذفة ومقاتلة، استهدفت تدمير القواعد الجوية التي أقامتها إسرائيل في سيناء ومواقع دفاعاتها الجوية وكل النقاط الحصينة على «خط بارليف». وعلى الجبهة السورية شاركت ١٠٠ طائرة في الضربة الجوية الأولى التي انطلقت في التوقيت نفسه.

وانطلقت عمليات القصف الأرضي أيضا، حيث استخدم على الجبهة المصرية أكثر من ٢٠٠٠ مدفع ميدان ومدافع ١٠٠٠ دبابة، سقط منها على المواقع والأهداف الإسرائيلية حوالي ثلاثة آلاف طنا من القذائف، بمعدل إطلاق أكثر من ٥٦ طنا من القذائف في كل دقيقة. وعلى الجبهة السورية شارك حوالي ١٠٠٠ مدفع في مرحلة الرمي التمهيدي، التي شهدت في الوقت ذاته عمليات التقدم نحو المواقع والاستحكامات الدفاعية الإسرائيلية في الضفة الشرقية لقناة السويس، وعلى جبهة الجولان.

وكانت القوات المصرية قد نجحت في تجاوز المانع المائي لقناة السويس، وتمكنت خمس فرق من عبور القناة في ١٢ موجة متلاحقة، بعد أن قهرت الساتر الترابي والاستحكامات الدفاعية وحقول الألغام ونيران النابلم، التي كانت إسرائيل قد دعمت بها الخط الأمامي لخط "بارليف" على حافة القناة. وعلى الجبهة السورية كانت الموجة الأولى من وحدات الدبابات وناقلات الجند



المدرعة بدأت تقدمها نحو الخط الدفاعي الإسرائيلي الأول في الجولان المعروف "بخط ألون".

في اليوم الأول تمكنت القوات المصرية من الاستيلاء على ١٤ نقطة حصينة من ٢٤ من هذه النقاط التي تشكل "خط بارليف". وفي ٧ / ١٠ / ١٩٧٣م أتمت القوات المصرية الاستيلاء على النقاط الحصينة في "خط بارليف"، وكانت المدرعات المصرية قد نجحت في اليوم الأول في العبور إلى الضفة الشرقية للقناة بعد نصب الجسور الهندسية العائمة، وفي ٧ / ١٠ / ١٩٧٣م كانت ٥٠٠ دبابة مصرية قد عبرت القناة وتمسكت برؤوس الجسور على الضفة المقابلة. وعلى الجبهة السورية تمكن لواءان مدرعان من اختراق خط الدفاع الإسرائيلي الأول، واجتياز "خط التبلاين" حتى أصبحا على مشارف بحيرة طبريا.

كما شهد اليوم الأول للحرب استخدام قوات الصاعقة المصرية، ووحدات المغاوير السورية في أداء مهماتها خلف خطوط العدو لتدمير وإعاقة قوات الاحتياط الإسرائيلية من الاندفاع على محاور الحركة في العمق العملياتي للجبهة، وعلى الجبهة السورية تمكنت وحدات "المغاوير" من الاستيلاء على المرصد الإسرائيلي على قمة "جبل الشيخ".

واندلعت يوم ٨ / ١٠ / ١٩٧٣م المعارك الكبيرة بالدبابات والمدرعات، حيث تمكنت القوات المصرية من تدمير اللواء الإسرائيلي المدرع ١٩٠، ولم يتبق منه سوى خمس دبابات، وتدمير اللواء المدرع ٦٠٠، ما دفع القيادة الإسرائيلية لوقف كل عمليات هجومها المعاكس والاكتفاء بعمليات صد القوات المصرية جراء النقص الحاد في المدرعات بعد الخسائر الجسيمة التي لحقت بها في الأيام الثلاثة الأولى للقتال. وعلى الجبهة الشمالية، كانت القوات السورية تمكنت من تحطيم عدد كبير من مدرعات اللواء الإسرائيلي ٣٨، كما استطاعت الاستيلاء على مقر قيادة القوات الإسرائيلية في الجولان، وتدمير جزء كبير من لواء إسرائيلي مدرع آخر، ولكن القوات الإسرائيلية نجحت في مساء اليوم ذاته في استرداد المعسكر إثر تنفيذ هجوم مدرع معاكس. وكانت القوات الإسرائيلية تمكنت من إعادة تنظيم وحداتها وركزت جهدها العسكري على الجبهة الشمالية نظراً لخطورتها، وقبل وصول القوات العراقية إلى هذه الجبهة.

وفي مواجهة المخاطر التي كانت تتهدد الجبهة السورية في هذه المرحلة الحرجة من الحرب، اندفع اللواء المدرع العراقي، الذي كان وصل الجبهة السورية لتوه، للاشتباك مع القوات الإسرائيلية، واستمرت هذه المعركة من صباح ١٢ / ١٠ / ١٩٧٣م حتى فجر اليوم التالي، وفقد العراقيون حوالي ٤٠ دبابة في هذه المعركة. في اليوم نفسه عبر اللواء الأردني المدرع ٤٠

الحدود السورية– الأردنية، لكنه لم يشتبك مع القوات الإسرائيلية إلا في معركة واحدة في ١٦ / ١٠ / ١٩٧٣م.

وكانت القيادة المصرية قررت بدورها تطوير الهجوم في العمق العملياتي لجبهة سيناء لتخفيف الضغط العسكري على القوات السورية والجبهة الشمالية، وتحدد يوم ١٤ / ١٠ / ١٩٧٣م موعداً لبدء هذا الهجوم على ثلاثة محاور.

وفي ١٥ / ١٠ / ١٩٧٣م بدأت القوات الإسرائيلية في تنفيذ خطة الهجوم المعاكس على الجبهة المصرية التي استهدفت العبور إلى الضفة الغربية من ثغرة "الدفرسوار" بين البحيرات المرة وبحيرة التمساح، ولقيت العملية الإسرائيلية مقاومة عنيفة في بدايتها لكنها نجحت لاحقا في التمسك برأس الجسر الذي أقامته هناك، وتدفقت القوات الإسرائيلية لتوسيع جيب الثغرة.

وفي ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٣ توقف إطلاق النار للمرة الأولى، ولم يكن الجيب الإسرائيلي في الثغرة يشكل في حينه ورقة ضغط استراتيجية، واستغلت إسرائيل وقف إطلاق النار وقامت بخرقه وواصلت هجومها باتجاه الجنوب صوب مدينة السويس، ونجحت هذه القوات أخيرا في تطويق قوات الجيش الثالث على الضفة الشرقية للقناة وكانت أقصى نقطة وصلت إليها هي الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة– السويس، لكنها فشلت في اقتحام مدينة السويس نفسها– رغم المحاولات التي كررتها يومي ٢٤ و ٢٥ / ١٠ / ١٩٧٣م. حيث كبدتها المقاومة خسائر كبيرة، ما أجبرها على العدول عن اقتحام المدينة.

وفي الأثناء كان الموقف العسكري على الجبهة السورية قد تجمد بسبب تدخل القوات المدرعة العراقية في الحرب، ما أعاد للقوات السورية توازنها وتنظيمها على خط الدفاع الثاني. واستغلت إسرائيل أيضا القرار الأول بوقف إطلاق النار، وشنت هجوما معاكسا بالقوات المحمولة جوا واستعادت المرصد الواقع على قمة جبل الشيخ.

توقف إطلاق النار في ٢٨ / ١٠ / ١٩٧٣م، تنفيذاً لقرار مجلس الأمن ٣٤٠، ووصلت طلائع قوات الطوارئ الدولية للإشراف على تنفيذه.

المشاركة الفلسطينية في العمليات العسكرية :

على الرغم من أن حرب ١٩٧٣م جرت بين الدول العربية وإسرائيل بوساطة الجيوش النظامية، واعتمدت على استخدام صنوف الأسلحة الحربية الثقيلة والمتقدمة تكنولوجيا، فإن المقاومة الفلسطينية لعبت دورا مهما في هذه الحرب، ما اضطر القائد السابق في الاستخبارات

العسكرية الإسرائيلي ورئيس دولة إسرائيل السابق حاييم هرتسوغ للقول أن إسرائيل واجهت جبهة ثالثة في الحرب(٧٢).

وعن الدور الفلسطيني في القتال خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣م وجه الرئيس الجزائري هواري بومدين برقية إلى ياسر عرفات يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٧٣م حول القتال الدائر على الجبهات العربية أشاد فيها بالدور الفلسطيني في المعركة حيث قال: إن أنظار الأمة العربية تتجه كلها في هذه اللحظات الحاسمة إلى المعركة الدائرة في سيناء والجولان وداخل الأرض المحتلة، حيث تقوم المقاومة الفلسطينية بدورها الكامل في المعركة، وتؤدي واجبها في تنظيم طاقات الشعب الفلسطيني لمواجهة العدو الصهيوني مواجهة منتصرة وأن اندفاع شعبكم الشقيق بقيادة ثورته المسلحة إلى تحمل مسؤولياته بكل ما لديه من إمكانات ووسائل في معركة التحرير الشاملة يشكل عاملا أساسيا لتحقيق النصر(٧٣).

المقاومة داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة(٧٤):

إذا كانت الشجاعة في المعارك تتصل بكفاءة الرجال فإن نتيجة الحرب تتصل بالفكر السياسي والعسكري الذي يقود، ولا يمكن أن ينسى أحد ذلك التصعيد الفلسطيني للقتال، أثناء وبعد قرار وقف إطلاق النار، في حرب أكتوبر، عندما وقف مندوب العدو بمجلس الأمن يصرخ أوقفوا الجبهة الثالثة التي فتحها الفلسطينيون لقد قاموا بـ٢٠١ عملية خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة.

فقد شهدت جبهة الأراضي الفلسطينية المحتلة نمواً واضحاً في حجم ونوعية النشاط الفدائي قبل اندلاع حرب ١٩٧٣م، وتمكنت المقاومة من تنفيذ ٣٦ عملية عسكرية خلال شهر ٩-١٩٧٣م، وكانت عملية اغتيال موشيه كارمي مساعد مدير الشرطة الإسرائيلية في غزة يوم ٥ / ١٠ / ١٩٧٣م واحدة من أبرز هذه العمليات. وكان الناطق العسكري للثورة الفلسطينية أعلن عن تنفيذ ٧٨ عملية عسكرية داخل الأراضي المحتلة في الفترة ٦-٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣م اشتملت على استهداف القوافل العسكرية الإسرائيلية وخطوط الإمداد ومعسكرات الجيش الإسرائيلي ومهاجمة قاعدة بحرية في "عتليت".

---

٧٢ حرب تشرين الأول المجيدة والثورة الفلسطينية/مقالة للدكتور سعيد حمود

٧٣ الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٣ ص ٣٥٠ - ٣٥١.

٧٤ يزيد الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، الطبعة ١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ٢٠٠٢م.

كما أعلن عن تنفيذ ٥١ عملية فدائية أخرى في الفترة التالية للحرب وحتى انعقاد مؤتمر جنيف في ٢١ / ١٢ / ١٩٧٣م، ونجحت إحدى العمليات في نسف خط أنابيب البترول الممتد بين إيلات وعسقلان، وتخريب خطوط السكك الحديدية، ونصب الكمائن على الطرق، وزرع الألغام، كما استهدفت هذه العمليات الهجوم على المستوطنات، وعلى مراكز العدو ومخازن أسلحته.

ورغم المحاولات الإسرائيلية للتكتم على أخبار هذا النشاط العسكري البارز لرجال المقاومة، فإنها اضطرت في النهاية إلى ممارسة أساليب الإرهاب الجماعي ضد المواطنين في الأراضي المحتلة، فأصدرت في ١٠ / ١٢ / ١٩٧٣م أمراً عسكرياً بإبعاد ثمانية من قيادات العمل الوطني الفلسطيني بتهمة تحريض السكان والتعاون مع المنظمات الفدائية واعتقلت السلطات الإسرائيلية ما يزيد على ٥٠٠ مواطن، كما هدمت العديد من المنازل، وأعلنت يوم ٢١ / ١٢ / ١٩٧٣م الضفة الغربية منطقة عسكرية مغلقة، وفرضت عليها حظر التجول.

العمل الفدائي الفلسطيني عبر الحدود اللبنانية:

كانت قوات المقاومة الفلسطينية على الجبهة اللبنانية في حرب ١٩٧٣م تقدر بعدة كتائب تابعة لفصائل المقاومة، فضلا عن كتيبة «مصعب بن عمير» التابعة لجيش التحرير الفلسطيني، وتلقت هذه القوات التعليمات بالتحرك إلى خطوط التماس الحدودية، بما في ذلك وحدات المدفعية، وكان الناطق العسكري باسم الثورة الفلسطينية أصدر ١٦٠ بلاغا عسكريا من ٦ – ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣م عن العمليات التي نفذتها المقاومة على جبهة العمليات الممتدة من الساحل الغربي حتى نقطة التقاء الحدود مع سوريا في سفوح جبل الشيخ، والتي بلغت ٢٠٧ عملية عسكرية، شملت القصف (٢٪ من العمليات) والتفجير (٢٣٪)، والهجوم (٢٢٪) والكمائن (١٣٪) والاشتباك (١٪) والإغارة والقنص (٧٪) أخرى (٣٢٪).

فقد نجح الفدائيون الفلسطينيون في اجتياز خط الحدود، ونفذوا ١٠٨ عملية، ولعبت المدفعية الفلسطينية في حدود إمكاناتها دورا بارزا في القتال وتمكنت من قصف ٤٢ مستعمرة إسرائيلية فضلا عن مواقع الجيش والمرافق الاقتصادية، كما جرى إطلاق ٣٠ – ٤٠ صاروخ كاتيوشا تجاه هذه الأهداف، ووصل حجم بعض الدوريات القتالية التي اشتبكت مع العدو إلى ٢٠ دورية، واضطرت السلطات الإسرائيلية إلى تهجير سكان عدد من مستعمراتها الأمامية تحت وطأة القصف وهجمات الفدائيين، وسجلت البيانات سقوط ٥٩ شهيدا و ٤٣ جريحا سقطوا أثناء تنفيذ مهامهم القتالية على الجبهة اللبنانية.

المشاركة الفلسطينية على الجبهة السورية:

قوات حطين وقوات العاصفة وقوات الصاعقة وقوات القادسية جميعها قاتلت على الجبهة السورية حيث أدت مهام قتالية متنوعة منها عميات محمولة جواً وهي معركة تل الفرس في ٧ / ١٠ / ١٩٧٣م ومعركة واسط كفر نفاح في ٩ / ١٠ / ١٩٧٣م وعمليات الإغارة على مواقع العدو وخلف خطوطه مثل عملية تل الشعار في ١١ / ١٠ / ١٩٧٣م وتل مطوق في ١٣ / ١٠ / ١٩٧٢م وتل شمس في ١٦ / ١٠ / ١٩٧٣م وغيرها(٧٥). أما قوات القادسية التي بقيت مؤلفة من كتيبتين في احتياط جيش التحرير فقد تمركزت في بعض المناطق الهامة في عمق الجبهة السورية ولم تستخدم هذه القوات في المجابهة المباشرة مع العدو، بل كلفت بإحباط أية محاولة للعدو للضرب في العمق والتصدي لأي محاولة إنزال جوي(٧٦) "وقد أوضح زهير محسن القائد العام لقوات الصاعقة ورئيس الدائرة العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية رداً على سؤال عن دور المقاومة الفلسطينية في القتال: أن القوات الفلسطينية النظامية منها والفدائية تشارك على نطاق واسع في القتال الذي بدأ منذ السادس من تشرين الأول وكتائب جيش التحرير المعسكرة في سوريا قامت بدورها كاملاً إلى جانب القوات السورية الباسلة، إن سرية من جيش التحرير هي التي اقتحمت نقطة تل الفرس في الجولان، وعملت خلف خطوط العدو، كذلك نفذ الفدائيون عمليات هامة خلف الخطوط في المنطقة السورية"(٧٧). وإلى جانب الدور المباشر لجيش التحرير الفلسطيني وقوات الصاعقة تم زج ثلاثة كتائب من قوات العاصفة التابعة لحركة فتح هي:

الكتيبة الثالثة بقيادة الرائد حسن أبو شنار.

الكتيبة الثانية بقيادة الرائد زياد صغير.

كتيبة قطاع الجولان بقيادة المقدم نصر يوسف، إلى جانب سرية خالد بن الوليد التي يقودها النقيب صلاح أبو زرد والتي استشهد منها ستة ضباط في كمين نفذته وحدة خاصة إسرائيلية ما بين قرية دربل وكفر حور وقد تمركزت هذه القوات حسب الخطة العملياتية السورية، ونجحت في تحرير بعض التلال والاحتفاظ بها إلى ما بعد وقف إطلاق النار، ويقول المشير محمد عبد الغني الجمسي "بذلت المقاومة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية كل جهد

٧٥ هيثم الكيلاني، الاستراتيجية العسكرية، ص٤٨٣.

٧٦ علي بدوان، صفحات من تاريخ الكفاح المسلح، ص٣٦

٧٧ عدنان الملوحي، وتحطم خط بارليف، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٣م ص١٦٥.

ممكن في كل مجال وطوال السنوات الطويلة ولقد كانت الفرصة متاحة عام ١٩٧٣م لوضع فكرة وفلسفه قومية المعركة موضع التنفيذ(٧٨) الجبهة الثالثة / جنوب لبنان: لقد كان عماد الجبهة الثالثة قوات العاصفة التي فتحت جبهة ممتدة من البحر المتوسط غرباً حتى بلدة كفر شوبا وكفر حمام شرقاً في قطاع العرقوب وكانت تقاتل في المحاور التقليدية الثلاث وهي المحور الغربي، والأوسط، والشرقي وكان الحشد كبيراً حيث عملت قوات العاصفة بكل تشكيلاتها ووحداتها الفرعية إلى جانب كتيبة مصعب بن عمير من قوات القادسية من جيش التحرير، وجميع قوات الثورة الفلسطينية التي تتشكل منها قوات فصائل م.ت.ف. وتركزت العلميات القتالية بأسلوبين:

الأول: باستخدام المدفعية وراجمات الصواريخ الحديثة.

الثاني: بالعمليات الفدائية الراجلة التي كانت تقوم بالإغارة وزرع الغام والعبوات واستهداف كافة مناحي الحياة في إسرائيل، مصانع، إذاعات، محطات توليد وقطارات..الخ، وقد اعترف وزير الدفاع الإسرائيلي في حينه موشي ديان بشدة العمل الفدائي الفلسطيني في مذكراته حيث قال: "ففي المفاوضات التي كانت مستمرة للاتفاق على وقف اطلاق النار وتنظيم مؤتمر جنيف راحت المنظمات الإرهابية تزيد من نشاطها وتفتح صفحة جديدة والقبض على رهائن والتهديد بنقلهم والموت معهم إذا لم تنفذ مطالبهم بإطلاق (إرهابيين) من السجن(٧٩).

لقد أدت وحدات جيش التحرير الفلسطيني كل المهام التي أوكلت لها بكفاءة ونجاح لدرجة جعلت القيادة السياسية السورية والعسكرية السورية تمنح وساما لعلم فلسطين، وأوسمة الشجاعة من الفئات المختلفة لضباط جيش التحرير الفلسطيني ولأرواح شهدائه(٨٠).

وشاركت قوات العاصفة بمجموعات فدائية خلف خطوط العدو، وكانت كتيبة الصاعقة الثالثة التي يقودها حسن أبو شنار على تماس مباشر مع العدو وكان قائد الكتيبة الثانية في تلك الفترة النقيب سميح نصر وقاتلت هذه الكتيبة على القاطع الشمالي للجبهة السورية ضد القوات الإسرائيلية في بلدة خان الشيخ وبلدة بيت بتما وأخذت موقع الإسناد في بلدة كفر حور وبيت سابر في مواجهة مزرعة بيت جن على السفوح الشرقية لجبل الشيخ، وصدرت الأوامر لهذه الكتيبة بالسيطرة على بلدة مغر المير، فيما سيطرت سرية فلسطينية من قوات العاصفة

---

٧٨ المشير محمد عبد الغني الجمصي ، مذكرات حرب أكتوبر ١٩٧٣م الهيئم المصري العامة للكتاب ١٩٩٨م ص٢٥٠.

٧٩ يوميات قادة العدو، موشي ديان ص٤٥٧.

٨٠ ناصر حمودة، منظمة التحرير الفلسطينية من ١٩٦٤– ١٩٧٣، رسالة ماجستير غير منشورة ص٣٣٣.

على بلدة دربل الواقعة في السفوح الشرقية العليا لجبل الشيخ، ويذكر ان بعض سرايا من قوات العاصفة ظلت في اشتباكات مستمرة مع قوات العدو الإسرائيلي لمدة (أربعة عشر يوماً) إلى حين حضور قوات الطوارئ الدولية للفصل بين الطرفين.

المشاركة الفلسطينية على الجبهة المصرية :

وصل إلى القاهرة يوم الاثنين ١ / ١٠ / ١٩٧٣م(٨١) عدد من كبار ضباط المقاومة الفلسطينية ونحو (١٢٠ من رتب أخرى) ليلتحقوا بقوات عين جالوت بقيادة اللواء "منصور الشريف" الموجودة في مصر ((واللواء منصور الشريف قائد قوات عين جالوت من مواليد حيفا عام ١٩٣٤م في فلسطين المحتلة، وصاحب تجربة نضالية عريقة، حيث عرف عنه اهتمامه الشديد بالقضية الفلسطينية منذ بواكير سنوات الشباب، انخرط في جيش التحرير الفلسطيني وتلقى دوراته العسكرية في أرقى كليات الأركان الحربية، وأصبح يمثل النموذج في العسكرية الفلسطينية، كان يمتاز بدماثة أخلاقه وحسن معاملته لكافة مراتب القوات الفلسطينية، وخاض العديد من المعارك دفاعا عن الشرعية الفلسطينية وضد قوات العدو الصهيوني ويسجل له جرأته في خوض المعارك وإدارتها عسكرياً، وبينما كنت أجري اللمسات الأخيرة على هذا الكتاب وصلني نبأ وفاة اللواء منصور الشريف في القاهرة يوم السبت الموافق ١٧ / ١١ / ٢٠١٢م))، كما وصلت لمصر وحدات من قوات العاصفة التابعة لحركة فتح (الوحدة الخاصة) وكان الشهيد اللواء عبد المعطي السبعاوي قائداً لإحدى المجموعات الفدائية، وتم إرسال هذه القوات إلى جبهة السويس، وقد بلغت خسائر هذه المجموعات (ثمانية عشر مقاتلا بين شهيد وجريح).

يذكر أن اللواء محمد جهاد العموري قائد قوات أجنادين كان توجه في شهر ١١ / ١٩٧٣م على رأس كتيبة إلى مصر بعد ثغرة الدفروسوار يرافقه عدد من الضباط الفلسطينيين ومنهم: النقيب شكري عبد الحميد، النقيب عوني سمارة والنقيب أحمد أبو الشيخ وعدد من ضباط الصف والكوادر من الصاعقة والمظليين الذين تدربوا في مصر وبعد انتهاء الحرب تم نقلهم إلى خليج السويس حيث زارهم هناك أبو عمار.

أما قوات عين جالوت بقيادة اللواء «منصور شريف» كانت تشارك بثلاث كتائب وهي «ك٣٩» والتي يقودها الرائد حسين أبو لبدة و «ك٤٩» والتي يقودها الرائد نمر حجاج، و «ك٥٩» والتي يقودها الرائد محمد أبو مهادي فقد خاضت بدورها معارك ضاربة وكانت أول من أبلغ عن

٨١ محمد حسنين هيكل، الطريق إلى رمضان، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٥م، ص٣٢.

الحشد الإسرائيلي المعادي في ثغرة الدفرسوار، وأسهمت بدور مميز في عرقلة تقدم القوات الإسرائيلية وتأخيرها (٧٢ ساعة) لكنها خسرت (٣٠ شهيداً) و (٧٠ جريحاً) عدا المفقودين.

وعندما بدأت العمليات القتالية أصدر ياسر عرفات نداء إلى المقاتلين الفلسطينيين لتوجيه ضرباتهم إلى خطوط العدو الخلفية ومراكز تجمعاته ومرافقه الحيوية في حين انطلقت قوات حركة فتح لتنفيذ مهمات قتالية على امتداد السفوح الشرقية لجبهة سيناء، وخلال إحدى المعارك أُسر الشهيد اللواء عبد المعطي السبعاوي ضمن قوات الجيش المصري ولم يتعرف عليه الإسرائيليون بأنه من فتح بل أنه أحد ضباط الجيش المصري وأطلق سراحه مع أسرى القوات المصرية.

أما قوات البحرية الفلسطينية التي كانت تتمركز في قاعدة (رأس هلال) البحرية على الساحل الشرقي الليبي فقد انضمت لقوات البحرية المصرية وشاركت ببسالة في العمليات القتالية.

وفي احتفال رسمي بعد انتهاء الحرب وجهت دعوة رسمية للرئيس ياسر عرفات من الفريق أول احمد إسماعيل علي لزيارة الجبهة المصرية تم وضع ارفع وسام على العلم الفلسطيني تقديراً للمشاركة الفلسطينية في القتال على الجبهة المصرية.

وفي رسالة وجهها الرئيس السادات إلى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشرة المنعقد في القاهرة يوم ٢ / ٦ / ١٩٧٤م قال : «إن هزيمة سنة ١٩٦٧م بدلاً من أن تخمد أنفاس الشعب الفلسطيني أشعلت جذوته وحركت مشاعر قوته وعزيمته فاشتعلت بكم ثورة ونهضت على أكتافكم مقاومة مسلحة»(٨٢).

٨٢ وثائق فلسطينية، دار الثقافة ومنظمة التحرير الفلسطينية، ص٤٢٢.

انعكاسات حرب أكتوبر ١٩٧٣م على الثورة الفلسطينية :

جاءت التطورات السياسية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، لتفرض تغييرات في النظرة السياسية للواقع الناشئ، حيث تبنت حركة فتح الشعار المرحلي، والعمل من أجل دولة فلسطينية مستقلة فوق الأرض المحتلة عام ١٩٦٧م، واتخاذ الخيارات السياسية التفاوضية، إلى جانب العمل المسلح، معتبرة بأن مراكمة النتائج على الأرض وحصدها سياسياً خير من تفويت الفرص والتمترس وراء شعارات الرفض اللفظي.

ولقد كان ياسر عرفات، وخاصة بعد حرب أكتوبر، على قناعة بأن الولايات المتحدة الأمريكية تريد حقا تسوية في المنطقة، وأن وزير الخارجية الأمريكي آنذاك هنري كيسنجر بإمكانه تحقيقها، وقد عزز هذه القناعة لدى عرفات مجموعة من المستشارين ذوي «ربطات



الرئيس السادات يتفقد القوات الفلسطينية على الجبهة المصرية
أثناء حرب أكتوبر وفي استقباله قائد قوات عين جالوت اللواء منصور الشريف

العنق» الذين أقنعوه بأن التفوق العسكري الإسرائيلي واندحار العرب وانقسامهم قد أضعف من قدرة «الحرب الفدائية» على إقامة الدولة بالقوة، كما بذلوا جهداً كبيراً في تغيير قناعاته نحو خيار السلام موحين له أن العالم لم يعد يستسيغ لغة الحروب وأن عليه مخاطبة العالم بلغة السلام والمصالح.

ونجح عرفات وحركة فتح وبدعم قوى فلسطينية، في الدورة الثانية عشر للمجلس الوطني، التي عقدت في القاهرة في حزيران ١٩٧٤م، في تمرير برنامج النقاط العشرة، الذي كتب فقراته الرئيسة، بعد إجراء التعديلات التي طالب بإدخالها العديد من القوى الفلسطينية، الدكتور جورج حبش، في منزل الأمين العام لمنظمة الصاعقة زهير محسن في بيروت، وبحضور الأمناء العامين لفصائل المقاومة الفلسطينية.

وأدى تناغم العملين السياسي والعسكري إلى تعزيز المكانة السياسية للثورة التي استطاعت جذب أنظار العالم إلى قضيتها العادلة وحصلت على اعتراف معظم الدول بحق شعبنا في تقرير مصيره.

وجاء مؤتمر القمة العربية في الرباط ٢٦-٢٩ / ١٠ / ١٩٧٤م ليؤكد إعتراف كافة الدول العربية بمنظمة التحرير ممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني وهي التي تتولى إدارة كل أرض فلسطينية يجلو عنها العدو الإسرائيلي، وقد تقبل الأردن هذا القرار معتبرا أنه يعفيه من التزاماته كدولة مواجهة (٨٣).

وأصبح الدعم السياسي لبرنامج (م.ت.ف) عالميا واحتلت القضية الفلسطينية موقعها بعد أن أقر العالم بأنها جوهر النزاع في الشرق الأوسط ووافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على دعوة (م.ت.ف) للمشاركة في نقاشاتها.

إسرائيل والفشل الاستخباري الكبير:

مساء ٤ / ١٠ / ١٩٧٣م وصلت إلى تسفي زامير (رئيس الموساد) برقية من أحد عملاء الموساد في أوروبا كانت تحمل بين كلماتها رمزا متفق عليه هو كلمة «تسنون» التي يقابلها بالعربية «الفجل» تؤكد أن الحرب وشيكة ولكن بدون موعد محدد. لم يخبر رئيس الموساد رئيسة الوزراء غولدا مائير ووزير الدفاع موشيه دايان، ورئيس هيئة الأركان ديفيد بن اليعازر

---

٨٣ يوضح أبو عمار في رده على الذين انتقدوا النقاط العشرة فيقول أنهم يخلطون بين العمل السياسي والحل السياسي، نحن بعملنا السياسي والدبلوماسي وسائر أشكال النضال الأخرى نعمل على تعزيز مكانة الثورة، وتحركنا هذا يرتكز على قاعدة عملنا العسكري، فليس عندنا فصل بين أشكال النضال أنها روافد تصب في خدمة قضية الشعب وأهدافه.

بمضمون البرقية وقرر السفر إلى أوروبا لمقابلة العميل للحصول من العميل على المزيد من المعلومات. واكتفى بإبلاغ رئيس الإستخبارات العسكرية إيلي زائير عن البرقية وخطوته القادمة (٨٤).

ومن جهته قام رئيس الإستخبارات العسكرية بإبلاغ وزير الدفاع موشيه دايان بموضوع البرقية وأطلعه على نية رئيس الموساد السفر لمقابلة العميل، لذلك قرر وزير الدفاع إطلاع كل من رئيسة الوزراء غولدا مائير ورئيس هيئة الأركان ديفيد بن اليعازر على التطورات، فقرر الجميع انتظار عودة رئيس الموساد قبل اتخاذ أي إجراء فعلي لاستنفار الجيش الإسرائيلي، والاكتفاء بالاحتياطات الاحترازية السارية على الجبهتين المصرية والسورية، إلا أن وزير الدفاع أبلغ رئيس هيئة الأركان بضرورة وقف إجازات الضباط بمناسبة يوم عيد الغفران، إلا في الحالات الطارئة.

سافر رئيس الموساد حيث التقى مع العميل منتصف ليلة ٥-٦ / ١٠ / ١٩٧٣م واستمر لقاءهما زهاء ثلاث ساعات أنهك خلالها عميله من كثرة الأسئلة ومصداقية المصادر وإجراء الاتصالات المشفرة، وخلص في النهاية إلى أن المعلومات تؤكد بأن موعد الهجوم المصري والسوري سيكون الساعة السادسة من مساء يوم ٦ / ١٠ / ١٩٧٣م، وبموجب ذلك أجرى تمام الساعة (٣،٥٥) صباحاً اتصالاً مع رئيس الاستخبارات العسكرية وأبلغه أن موعد الهجوم العربي سيكون بعد غروب شمس يوم ٦ / ١٠ / ١٩٧٣م.

قام رئيس الاستخبارات العسكرية بإيقاظ مدير مكتب رئيس الأركان "افنير شاليف" طالبا منه إبلاغ ديفيد بن اليعازر بمعلومات رئيس الموساد، وفي تمام الساعة (٤،٣٠) من صباح يوم ٦ / ١٠ / ١٩٧٣ اتصل أفنير شاليف مع رئيسه وأبلغه بالمعلومات.

اجتمع كبار القادة العسكريين الساعة السادسة صباحا في مكتب رئيس الأركان في تل أبيب وتم التداول في المعلومات الواردة، حيث "دب الذعر" في قلوب الجميع ذلك أنه من المستحيل أن تتم تهيئة الجيش لمواجهة هجوم وشيك بعد ساعات معدودة.. وبعد أن انفض الاجتماع هرع كل قائد إلى مركز القيادة في وحدته لإنقاذ الموقف.

وفي أسوأ حالة من حالات فشل أجهزة الأمن الإسرائيلية، دفعت إسرائيل ثمن أكبر هزيمة منذ قيامها كدولة، حيث نجحت المخابرات المصرية والسورية بتطبيق "تعميه شاملة" على

---

٨٤ إيان بلاك وبيتي موريس، كتاب «حروب إسرائيل السرية»، ص٢٧٠-٢٧٢.

موعد الهجوم الذي قرره الرئيس السادات والسوري الأسد في لقاء سري في القاهرة يوم ١٢ / ٩ / ١٩٧٣م، ليكون تمام الساعة (١:٥٥) من بعد ظهر يوم ٦ / ١٠ / ١٩٧٣م بفارق (٤ ساعات) عن الموعد الذي قدرته الموساد.

استخدمت القوات المصرية والسورية، بمشاركة القوات الفلسطينية، عنصر المفاجأة وهذا ما أكدته رئيسة وزراء إسرائيل في مذكراتها حيث قالت: "لم تكن المشكلة في طريقة بدء الحرب بل لأن عددا من تخميناتنا قد برهنت خطأها في قلة احتمال نشوب حرب (٨٥).

وبموجب هذا الفشل الاستخباراتي الإسرائيلي وبعد انتهاء الحرب والاتفاق على وقف اطلاق النار على جميع الجبهات (يوم ٢٩ / ١٠ / ١٩٧٣) شكلت إسرائيل "لجنة اغرانات" برئاسة رئيس المحكمة العليا "شمعون اغرانات" وأصدرت اللجنة تقريرها يوم ٢ / ٤ / ١٩٧٤م حيث أوصت بعزل رئيس الاستخبارات العسكرية "ايلي زائير" ونائبه "اريبه شاليف" وضابط أمن القيادة الجنوبية "ديفيد غيدالياه" ورئيس شعبة الشؤون المصرية في الاستخبارات العسكرية المقدم "يونا بندمان" وعزل رئيس الأركان "ديفيد بن اليعازر" وقائد المنطقة الجنوبية "شمويل غونين". وتم تنفيذ تلك التوصيات حيث حل الجنرال شلومو غازيت" بدلا من "إيلي زائير" وحل "يهوشواع ساغي" بدلاً من نائبه "اريبه شاليف" كما تم استبدال رئيس شعبة الشؤون المصرية المقدم "يونا بندمان" بالمقدم "زفي شيلر" (٨٦).

الاستخبارات الإسرائيلية: أشرف مروان كان أقدر عميل مزدوج في التاريخ الحديث وجزء من ماكينة التحايل المصريّة(٨٧)

رئيس الموساد: الفشل الاستخباراتيّ في عام ١٩٧٣ هو نفس الفشل في حرب لبنان الثانية لأنّ إسرائيل استهترت واستخفت بالعدو

على الرغم من مرور أربعين عامًا على حرب أكتوبر ١٩٧٣ ما زال النقاش في الدولة العبريّة حول الفشل مستعرًا بين القادة الذين أداروا الحرب، والنزاع الأكبر ما زال قائمًا بين الموساد (الاستخبارات الخارجيّة) ورئيسه في ذلك الحين، تسفي زمير (٨٨ عامًا)، وبين شعبة

---

٨٥ يوميات قادة العدو (غولدا مائير – الحقد) دار المسيرة، عمان ١٩٨٨، ص٣٠٤.

٨٦ خسرت إسرائيل في حرب أكتوبر ١٩٧٣ (٢٥٠٠ جندي قتيل) حسب اعترافات غولدا مائير، أنظر: يوميات قادة العدو، ص٢٩٩).

٨٧ زهير أندراوس، القدس العربي مقال بتاريخ ٧/١٠/٢٠١٣م.



الاستخبارات العسكريّة (أمان) وقائدها في تلك الفترة الجنرال في الاحتياط إيلي زعيرا (٨٥ عامًا)، وهو الخلاف الذي وصل إلى أروقة المحكمة العليا الإسرائيليّة، ولكنّ الأجهزة الأمنيّة في الدولة العبريّة ولمنع كشف أسرار أخرى عن الفشل، طلبت من رئيس الموساد زمير، الذي رفع دعوى قضائيّة ضد الجنرال زاعيرا بشطب الدعوى، واللجوء إلى محكّم بين الاثنين.

وعلى الرغم من أنمّ المحكّم أصدر قراره بإدانة زعيرا بالإفشاء بأسرار الدولة العبريّة لوسائل الإعلام بهدف المسّ بالموساد، فإنّ النزاع بين الرجلين ما زال مستمرًا، وأمس الأوّل، كما أفادت صحيفة يديعوت أحرونوت العبريّة، التقى الرجلان في مؤتمر عُقد في مركز أبحاث الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب لمناقشة قضية الفشل، إلا أنّهما امتنعا عن الحديث مع بعضهما، أو حتى المصافحة بينهما، كما أنّ زمير هاجم في كلمته الاستخبارات العسكريّة على فشلها تزويد المستوى السياسيّ بالمعلومات حول استعدادات الجيشين المصريّ والسوريّ للهجوم، بينما عاد زعيرا واتهم الموساد بأنّه هو المسؤول عن الفشل الاستخباراتي الإسرائيليّ، الذي ما زال يقضّ مضاجع صنّاع القرار في تل أبيب، خشية أنْ يتكرر مرّة أخرى، وهو الأمر الذي دفع حكومات إسرائيل بعد أنْ وضعت الحرب أوزارها إلى اتخاذ قرار بتوثيق العلاقات بين الأجهزة الأمنيّة، كما أنّها قررت تشكيل مجلس الأمن القوميّ، الذي يرأسه اليوم الجنرال في الاحتياط يعقوف عميدرور، لمناقشة المعلومات الاستخباراتية التي تجمعها الأجهزة الأمنيّة عن الدول الأعداء، طبخها وتقديمها للمستوى السياسيّ بحيث تكون المسؤوليّة جماعيّة.

وقالت الصحيفة العبريّة أيضًا إنّ أحد جنرالات الحرب الذي شارك في المؤتمر قاطع خطاب زعيرا عدّة مرّات، ولكن مع ذلك امتنع زعيرا من اتهام الموساد بأنّه وقع في المصيدة التي أعدّها له الجاسوس المصريّ، أشرف مروان، وبالمقابل امتنع زمير عن اتهام زعيرا بأنّه هو الذي كشف عن اسم الجاسوس أمام الإعلام الغربيّ والإسرائيليّ.

ولفت د. رونين بيرغمان، محلل الشؤون الاستراتيجية في الصحيفة إلى أنّ الجنرال زعيرا، لم يتحمّل المسؤولية في الكلمة التي ألقاها بالمؤتمر عن فشل الاستخبارات العسكريّة في تقدير نوايا السادات، حيث كانت تعتقد الاستخبارات أنّ إمكانية نشوب الحرب منخفضة جدًا، وهي المعلومة الرئيسيّة التي وصلت إلى المستوى السياسيّ، مع ذلك أشار زعيرا في كلمته إلى أنّ السبب الرئيسيّ الذي أدّى إلى الفشل من الناحية الاستخباراتيّة كان مردّه العدوان في العام ١٩٦٧، إذ أنّ الجيش أدخل نفسه في رؤية بأنّ العرب لن يجرؤوا بعد على خوض حرب ضدّ

إسرائيل بسبب انتصارها الكاسح في حرب الأيام الستة، كما تُسّمى إسرائيليًا، وبالتالي، أضاف زعيرا، فإنّ الجيش الإسرائيليّ في حرب ١٩٧٣ لم يكن حاضرًا ولم يكن جاهزًا لخوض حرب ضدّ الجيشين السوريّ والمصريّ.

ولفت زعيرا إلى أنّ هذا هو الفشل الرئيسيّ لوزير الأمن في ذلك الحين، موشيه دايان، ورئيس هيئة الأركان العامّة في حرب ١٩٧٣، الجنرال دافيد إلعازر. من ناحيته، قال زمير، كما ذكرت (يديعوت أحرونوت) أنّ شعبة الاستخبارات العسكريّة ارتكب عدّة أخطاء، وتحديدًا عدم تزويدها المستوى السياسيّ بالمعلومات الكافية والوافية.

وقال إنّ ما حدث في حرب ١٩٧٣ شبيه جدًا لما حدث في حرب لبنان الثانية عام ٢٠٠٦ ضدّ حزب الله اللبنانيّ، ولكن من منظور آخر: أيضًا عشية حرب لبنان الثانية، قال رئيس الموساد الأسبق، اعتقد المستوى السياسيّ والأمنيّ في إسرائيل بأنّ حزب الله يُشكّل مشكلة صغيرة يُمكن القضاء عليها، وأنّ الجيش الإسرائيليّ قادرٌ على إنهاء المعركة وحسمها في أسرع وقت ممكن، عن طريق استغلال مكثف لسلاح الجو الإسرائيليّ.

وخلص إلى القول إنّه في الحالتين، حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحرب لبنان الثانية تبينّ أنّ الفرضيّة كانت خاطئة، وعبّرت عن استهتار وفوقية واستعلائيّة قبالة عدو يملك إصرارًا كبيرًا وقوة كبيرة، على حدّ قول زمير.

وقال بيرغمان أيضًا إنّ أحداث السنة الأخيرة رفعت من قيمة زعيرا، خصوصًا بعد أنّ سمحت الرقابة العسكريّة الإسرائيليّة بالنشر عن أنّ رئيس الموساد في ذلك الحين ومدير مكتبه تصرفا بشكل غير لائق مع الجاسوس أشرف مروان، كما أنّه في الآونة الأخيرة، أضافت الصحيفة، تتزايد الأصوات في الموساد وفي شعبة الاستخبارات العسكريّة التي باتت على قناعة تامّة بأنّ مروان كان عميلاً مزدوجًا، وأنّه كان جزءًا من ماكينة التحايل المصريّة على إسرائيل، كما أنّه كان العميل المزدوج الأحسن في التاريخ الحديث، بحسب المصادر الأمنيّة التي تحدثت للصحيفة العبريّة ولمحللها بيرغمان، صاحب الباع الطويل في المنظومة الأمنيّة الإسرائيليّة.

كما كشف زعيرا النقاب عن أنّ المسؤول عن تفعيل بطاريات أجهزة التنصت على المصريين، لم يقُم بتفعيلها، وأنّه أبلغه بأنّه قام بتشغيلها وكذب عليه، ولفت بيرغمان إلى أنّه بعد مرور أربعين عامًا على الحرب لم تقُم شعبة الاستخبارات العسكريّة بفحص هذه القضية التي أسماها بحبة البطاطا الملتهبة، على حدّ وصفه.



في السياق ذاته، رأى الجنرال افيف كوخافي، رئيس شعبة الاستخبارات العسكريّة في الجيش الإسرائيليّ، في مقالٍ نشره بصحيفة 'معاريف'، أمس الاثنين أنّ الفشل الاستخباري الإسرائيليّ في حرب ٧٣ كان مردّه الثقة الزائدة بالنفس وانعدام الشك بما يتعلق بنوايا العدو، وماذا سيفعل وفي أي ظروف، لافتًا إلى أنّها كانت ثقة سيطرت شعبة الاستخبارات نتيجة سلسلة نجاحات سابقة، وتحديدًا عدوان ١٩٦٧. ولفت الجنرال كوخافي في مقاله، إلى الفجوة التي كانت قائمة بين الوقائع على الأرض وبين تحليلها، مشيرًا إلى أنّ المشكلة لم ترتبط بتوفر المعلومات، إنّما بتحليل هذه المعلومات.

وكشف النقاب عن أنّ التقرير الاستخباري الذي قامت بإعداده شعبة الاستخبارات العسكريّة عشية حرب عام ١٩٧٣ شمل ٣٧ بندًا تناولت استعدادات مكثفة للعدو' في جميع المجالات، في ما كان البند الأبرز هو البند ٤٠ الذي تحوّل إلى عنوان الفشل الاستخباري الخطير، حيث جاء فيه أنّ احتمالات قيام مصر بشنّ حرب ضدّ إسرائيل منخفضة، على حدّ قوله.



الفصل الرابع

4

المستنقع اللبناني وسنوات الحرب الأهلية

الفصل الرابع:

المستنقع اللبناني وسنوات الحرب الأهلية

اندلاع المواجهات – ١٩٧٣م:

بعد أن نفذت مجموعة من القوات الإسرائيلية الخاصة عملية فردان يوم ١٩٧٣/٤/١٠م واستشهاد القادة الثلاثة، إتهم رئيس الحكومة صائب سلام[*] الجيش اللبناني بإهمال واجبه في الدفاع عن العاصمة، وقدم إستقالة حكومته، وأبلغ رئيس الجمهورية سليمان فرنجية بأن السلطات اللبنانية غير قادرة على ضمان حماية مخيمات اللاجئين. وانزعجت الأحزاب والمليشيات الإنعزالية من حجم المشاركين في تشييع جنازة الشهداء الثلاثة في بيروت، والذين زاد عددهم عن ربع مليون شخص، إضافة للمسيرات والتظاهرات الأخرى التي انطلقت في المدن والبلدات اللبنانية، وشنت الأحزاب الإنعزالية حملة إعلامية وفي المحافل الرسمية مطالبة بإلغاء إتفاقية القاهرة وطالبت بإزالة الأسلحة الثقيلة من المخيمات.

وفي خطوة تصعيدية اعتقل الجيش اللبناني في ١٩٧٣/٤/٣٠م ثلاثة من أعضاء الجبهة الديمقراطية في بيروت، لكونهم يحملون أسلحة غير مرخصة، وردت الجبهة في ١٩٧٣/٥/١م باختطاف جنديين لبنانيين، الأمر الذي أشاع أجواء من التوتر والاستنفار. فقام الجيش اللبناني بحملة عسكرية كبيرة بتاريخ ١٩٧٣/٥/٢م وبدأ بتطويق خمسة مخيمات في بيروت مطالبا بإطلاق سراح الجنديين، وعندما انتهت المدة المحددة فتح نيرانه على المخيمات. ومن جهتها اعتبرت (م.ت.ف) أن جهات لبنانية استغلت حادثة الخطف كذريعة لشن هجوم على المخيمات، ومع ذلك إعتبرت أن الجبهة الديمقراطية مسؤولة جزئيا عن الأزمة، وأجبرتها على إعادة الجنديين، إلا أن الجيش لم يوقف هجومه وأعلن حظر التجول في معظم أنحاء لبنان، واستأنف إطلاق النار في ١٩٧٣/٥/٣م وأعلن الرئيس سليمان فرنجية وتحالفه الانعزالي المعادي لـ(م.ت.ف)، وكذلك قيادة الجيش أنهما يسعيان لإستبدال إتفاقية القاهرة بأخرى تضع الفدائيين ومخيمات اللاجئين تحت سيطرة الحكومة اللبنانية.

(*) صائب سلام: زعيم إسلامي سني، ولد عام ١٩٠٥م في لبنان، بدأ نشاطه السياسي عام ١٩٣٦م، قاوم الانتداب الفرنسي، انتخب عضوا في البرلمان في ١٩٤٣م بعد عام من حصول لبنان على إستقلاله، وعين وزيرا في ١٩٤٦م، تولى رئاسة الوزراء عدة مرات بين ١٩٥٢–١٩٧٣م، قدم إستقالته عام ١٩٥٦م بعد مناورة الحكم اللبناني في مواجهة العدوان الثلاثي على مصر، وقاد المعارضة لمشروع ايزنهاور وحلف بغداد، ثم شكل جبهة الإتحاد الوطني إبان حكم الرئيس كميل شمعون، وفي أثناء الحرب الأهلية اللبنانية طرح شعار "لا غالب ولا مغلوب" وعرف بمناصرته للقضية الفلسطينية، بوفاته خسر لبنان شخصية بارزة من حقبة استقلال لبنان (ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

بدأ تحرك الجيش اللبناني لاقتحام المخيمات الفلسطينية خاصة منطقة الفاكهاني وصبرا وشاتيلا والجامعة العربية وبرج البراجنة حيث تم التقدم من محور المطار وصولاً إلى مدخل برج البراجنة، وهناك واجهته قوات الثورة وقوى لبنانية حليفة عرقلت تقدمه، وقد كان لقوات الـ١٧ سرية في برج البراجنة غالبيتها من جرحى حركة فتح، وكانت بقيادة النقيب راسم الغول، وخلال المواجهات استشهد من هذه السرية (ثمانية مقاتلين) وسقط عدد من الجرحى، وعندما حاولت قوات الجيش اللبناني التقدم جوبهت بمقاومة عنيفة من قبل جميع فصائل المقاومة الفلسطينية، بالمشاركة مع قوات الحركة الوطنية اللبنانية، خاصة (قوات المرابطين)، ونشبت معارك عنيفة على مداخل ذلك المربع حيث وضعت الكمائن لقوات الجيش التي اندفعت إلى منطقة مكشوفة، ذلك أن الكثير من البنايات حينذاك لم تكن مكتملة البناء من دوار الكولا وحتى المدينة الرياضية كان هناك مناضلون لبنانيون نعرفهم بأسمائهم في المنطقة يقودهم علي أبو طوق. وقد تكبدت قوات الجيش خسائر قبل الانسحاب وهنا أسجل للأخ المناضل مروان جاموس أبو ذراع وهو مقاتل فتحاوي جريء خاض العديد من المعارك وتولى مسؤوليات مختلفة برهن من خلالها على قدرته وسعة أفقه والتزامه ووعيه وانضباطه وإدارته الناجحة لكل المهمات التي كلف بها الذي كان يعمل في الإقليم ومسؤولا عن مستودع التسليح فيه، حيث قام بفتح المستودعات وتوزيع السلاح الموجود على قواتنا مما عزز صمودنا.

وتعرضت التعزيزات العسكرية للجيش اللبناني التي تمركزت على مثلث خلده(*)لقطع الطريق بيروت – الجنوب، لهجمات مكثفة من قوات المقاومة وقوات الحركة الوطنية، وشاركنا في الهجوم بإرسال فصيل مع سيارتين محمولتين من قوات الـ١٧، مما اجبرها على إخلاء مواقعها. وكانت نتيجة الإشتباك أن أستشهد من طرفنا ستة مقاتلين على رأسهم الملازم أول (بعجر)، في حين تمركزت باقي قواتنا في النفق الموجود ما بين البحر ومصنع شمعون، وخلال القتال الليلي أسرت هذه القوة أحد جنود الجيش وأحضرته إلى مقر قواتنا، وكان على رأس تلك القوة الملازم نبيل اللول والملازم سعيد مهران.

واصل الجيش اللبناني هجمات الدروع والمشاة على المخيمات، ثم أشرك سلاح الجو في العمليات الحربية، واستولى على مخيم ضبية، مما دفع القوات الفلسطينية إلى الدفاع عن النفس، واستمر القتال حتى أعلن الجيش تعليق عملياته العسكرية يوم ١٩٧٣/٥/٥م، حين هدد رئيس

(*) مثلث خلده هو مفترق طرق المدخل الجنوبي لبيروت، عندما يبدأ طريق بيروت – صيدا – صور إلى الجنوب، ومنه يتفرع طريق جبلي يتجه شرقا إلى بلدة عاليه على طريق بيروت – دمشق، واحتل هذا الطريق الجبلي أهمية حيوية منذ أيام الحرب الأهلية عندما سيطرت قوات الكتائب على مداخل طريق بيروت – دمشق الدولي، وتحول الطريق الجبلي الفرعي إلى طريق رئيسي ولم يعد هناك أي طريق يوصل إلى الجبل أو إلى مدينة عاليه سوى هذا الطريق الجبلي الضيق، لذلك كان الاستيلاء على مثلث خلده التحكم في هذا الطريق وإحكام الحصار على مدينة بيروت.

الحكومة أمين الحافظ الذي خلف حكومة صائب سلام بتقديم إستقالته أيضاً، وبعد وقف العمليات العسكرية انتشرت حالة من الفزع داخل الجيش بسبب إحالة (١٨ ضابطاً وطياراً) إلى محاكمة بسبب عدم إطاعتهم الأوامر بقصف مخيمات الفلسطينيين وتخريب الأسلحة الثقيلة لمنع إستخدامها ضد الثورة الفلسطينية.

يذكر أن قوى عسكرية وسياسية لبنانية رافضة لاتفاقية القاهرة، ضمت رئيس الجمهورية سليمان فرنجية وقائد الجيش والانعزاليين، كانت قد خططت لاقتحام المخيمات إلا أنها فوجئت بالمقاومة الشرسة للقوات الفلسطينية والقوى اللبنانية المتحالفة معها، من مفرق الكولا وحتى مدخل المدينة الرياضية. وكشف عجز الجيش اللبناني عن تحقيق هذا المخطط جدلاً واسعا على كل المستويات في لبنان، حيث خلصت الأطراف المعادية للثورة الفلسطينية في لبنان بأن الجيش اللبناني ليس بمقدوره إنهاء المقاومة الفلسطينية وأن إعادة تدريبه وتسليحه وبنائه على أسس جديدة قد تستغرق سنوات، إضافةإلىأن تركيبة الجيش متناقضة نظرا للتركيبة الطائفية التي تجعله مختلفا عن جيوش العالم وقد تؤدي إلى الانقسام. واتفقت الأطراف المعادية للثورة الفلسطينية في لبنان على اعتماد المليشيات الخاصة في القتال ضد القوات الفلسطينية، بالإضافة إلى الجيش. وجرى ذلك في اجتماعات بين رئيس الجمهورية سليمان فرنجية وقائد الجيش العماد إسكندر غانم، وعدد من قيادات حزب الكتائب على رأسهم بيير الجميل. ثم تمت اجتماعات أخرى بين بيير الجميل وكميل شمعون، واتفق على تذليل العقبات الأربع التي قيل أنها تعترض تجهيز المليشيات وهي التمويل والتسليح والتدريب والموارد البشرية(*).

الصدام المحتوم على الأرض اللبنانية:

بعد أن برهنت الثورة الفلسطينية على قدراتها العسكرية في حرب أكتوبر ١٩٧٣م إلى جانب الجيشين المصري والسوري انعكست هذه النتائج على نشاطاتها في متابعة العمليات الفدائية بعد وقف إطلاق النار حيث بقيت البندقية الفلسطينية مشرعة في وجه العدو وتنامت العلاقة النضالية بين الثورة الفلسطينية وقوى حركة التحرير الوطني العربي والعالمي، كما تلاحمت مع الجماهير اللبنانية ذات التوجهات القومية والديمقراطية والتحررية. وفي المقابل فقد كثف العدو وجوده على الحدود اللبنانية الفلسطينية وجعل تسلل الدوريات إلى الأرض المحتلة أكثر صعوبة، لهذا سلكت الدوريات طريق البحر لبلوغ أهدافها وصعّدت العمل العسكري في الداخل، ولجأت إلى تصعيد

(*) اعترف الرئيس أمين الجميل كشاهد على العصر على الجزيرة ٢٠٠٩/١٢/١٢م أن: اشتباكات ١٩٧٣م بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية كانت أخطر من اشتباكات ١٩٧٥م، في إشارة إلى فشل الجيش اللبناني في اقتحام المخيمات والقضاء على المقاومة الفلسطينية، ولذلك بدأت مرحلة عدم الاتكال على الجيش وبناء المليشيات الإنعزالية لتكون البديل في مخطط التآمر على الوجود الفلسطيني في لبنان.

العمليات الفدائية بغية تحسين مردود وفاعلية الدوريات الخارجية المحدودة التي تتمكن من التسلل إلى عمق الأراضي المحتلة.

وكثفت الآلة العسكرية الإسرائيلية عملياتها الانتقامية ضد قواعد الثورة ومخيمات اللاجئين والقرى والمدن اللبنانية ردا على تصاعد العمليات الفدائية الفلسطينية في العام ١٩٧٤ الذي سمي عام "العمليات الفدائية". وكان الهدف الإسرائيلي من وراء تصعيد عملياته الانتقامية رفع الروح المعنوية داخل إسرائيل وتخفيف حدة التناقضات والانتقادات التي ظهرت بسبب إخفاق الجيش الإسرائيلي في حرب أكتوبر ١٩٧٣م من خلال التركيز على محاولات تدمير الجهاز العسكري للثورة الفلسطينية وإلحاق خسائر كبيرة بسكان المخيمات لخلق عامل ضغط معنوي على قيادة الثورة. كما سعت إسرائيل إلى فصل الارتباط بين اللبنانيين والفلسطينيين، ودفع الطرفين إلى صدام مسلح، وهو هدف قديم ما برحت إسرائيل تسعى إلى تحقيقه، فتحصل بذلك عملياً من طريق استنزاف القدرات العسكرية والسياسية الفلسطينية على وقف إطلاق النار في الجبهة الوحيدة، التي ما فتيء القتال دائرا فيها، إذ أن معارك داخلية كهذه تمنع تصاعد العمليات في المناطق المحتلة، وعلى خطوط وقف اطلاق النار.

وظل الجنوب اللبناني الجبهة الوحيدة المشتعلة مع إسرائيل، بعد توقيع اتفاقية فك الارتباط على الجبهة السورية في ١٩٧٤/٥/٣١م، ولذلك سعت الحكومة اللبنانية إلى الحصول على ضمانات جديدة من الدول الكبرى في مواجهة احتمال احتلال إسرائيل للجنوب، بدعوى تحطيم القواعد الفدائية. ويبدو أن لبنان نجح في التوصل إلى تفاهم من هذا النوع مع الولايات المتحدة الأمريكية إثر زيارة هنري كيسنجر في ١٩٧٣/١٢/١٦م على ألا تخضع الأراضي اللبنانية لمفاوضات مؤتمر جنيف للسلام.

إلا أن هذا التفاهم لم ينجح في وقف الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة، فلجأت السلطات اللبنانية إلى محاولة الحصول على دعم عربي، واستجابت الدول العربية ودعت إلى عقد مجلس الدفاع العربي المشترك بالقاهرة في ١٩٧٤/٦/٥م ورفض لبنان العرض الذي تقدمت به الدول العربية لتقديم مساعدات أو وجود قوات عربية، كما رفضت المطالب الفلسطينية شراء أسلحة متطورة للدفاع، وبررت موقفها بأن التسلح الكثيف سيعطي إسرائيل ذريعة لبدء هجوم رادع على لبنان واحتلال جنوبه، وطالبت الدول العربية، أن تستخدم نفوذها السياسي والاقتصادي لإقناع الغرب بالضغط على إسرائيل لوقف غاراتها.

ووفق هذا المنطق كان الصدام على الأرض اللبنانية أمراً محتماً، وقد وعت الثورة هذه الحقيقة في الأشهر الأولى من عام ١٩٧٤م، عندما تكاثرت المؤشرات التي تدل على أن المواقف

المعلنة وغير المعلنة تشير إلى عزل مصر وإخراجها من دائرة الصراع مع إسرائيل، وزاد من قناعة الثورة بحتمية الانفجار الحملة الإعلامية التي قادتها القوى اللبنانية الإنعزالية ضد الوجود العسكري الفلسطيني في لبنان، وضد القوى اللبنانية الوطنية المؤيدة للثورة الفلسطينية، ورفعت تلك القوى الإنعزالية شعار (السيادة والأمن) مع التركيز على التجاوزات والأخطاء، وكان كل ذلك دافعاً للتحريض والتعبئة النفسية استعداداً لعمل مضاد ضد الوجود الفلسطيني.

اغتيال معروف سعد:

كان لبنان مطلع عام ١٩٧٥م يعاني من أزمة سياسية ذات جذور، اجتماعية واقتصادية وتاريخية عميقة، وإن أخذت وجهاً طائفياً؛ إذ اقتضت مصلحة الكيان السياسي في لبنان، ذي النظام الطائفي، الانخراط الاقتصادي الكبير في العالم العربي، وفي الوقت نفسه، الإنعزال السياسي الكبير عن قضاياه وصراعاته. واستطاعت الانعزالية اللبنانية، ولا سيما حزب الكتائب، أن تفرض هذه العزلة على لبنان، وأن تجعل مواقفه السياسية متسمة بالحياد السلبي، وأن تنأى به، إلى حدّ بعيد، عن الانتفاضات، التحررية والاجتماعية، التي شهدها العالم العربي، قبْل عام ١٩٦٧. وعلى الرغم من وجود بعض الظواهر، الوطنية أو التحررية، في لبنان، إلا أنه أمكن الكيان اللبناني أن يمتصها، من دون حدوث تغييرات داخلية عميقة، داخل هذا الكيان. فالتناقضات الاجتماعية المتعددة في لبنان، ومن أبرزها التخلف الذي كان سائداً في جنوبي لبنان. فبينما تتمركز المصالح الاقتصادية في العاصمة، تتردّى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الجنوب. وبينما تشهد العاصمة نمواً وازدهاراً، في كافة المجالات، يعاني الجنوب وأهله الحرمان.

وشهد لبنان، قبَيل حربه الأهلية، تحوّلاً اجتماعياً كبيراً. تجلى في نمو قوى طفيلية ورأسمالية، عديدة، وتدهور أوضاع الطبقة الوسطى، واضطرابات طلابية وعمالية، عنيفة، واستشراء الغلاء، وظهور قوى اجتماعية وتقدمية، جديدة، رأت في التغيير الاجتماعي علاجاً لأوضاع لبنان ومشاكله. لكن هذه التغييرات، لم تكن واضحة لبعض القوى اليمينية في لبنان.

انفجر هذا الصراع الطبقي صباح ١٩٧٥/٢/٢٦م (بين أغنياءالمسيحيين الذين قاتلوا فقراء المسلمين)، عندما انطلقت مظاهرة صيادي الأسماك في مدينة صيدا بقيادة النائب اللبناني "معروف سعد"[١] احتجاجاً على الترخيص الذي منحته السلطات اللبنانية لشركة "بروتين" التي

(١)ولد معروف سعد في صيدا سنة ١٩١٠م، وبدأ دراسته في مدرسة الفنون الإنجيلية وتخرج منها سنة ١٩٢٩ م ثم عمل ١٩٣٠ – ١٩٣٧م في مجال التعليم بين لبنان وسوريا وفلسطين، وشارك سنة ١٩٣٦ م في المقاومة الوطنية ضد مخططات الانتداب البريطاني في فلسطين، حيث كان الاتصال يتم بينه وبين مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، ساهم مع مجموعة من اللبنانيين في شراء الأسلحة ونقلها إلى فلسطين، ثم سافر إلى مصر حيث عمل على إنشاء مجموعات مقاومة للدخول في حرب فلسطين، وشارك في معارك المالكية، قدس، الهراوي، النبي يوشع، ومعروف أن الصهاينة تكبدوا خسائر كبيرة في معركة المالكية.

يرأس مجلس إدارتها الرئيس اللبناني السابق كميل شمعون ويقضي بمنح الشركة احتكار صيد السمك على الشاطئ اللبناني لـ٩٩ عاما. ومن الجدير بالذكر فإن الطائفة المارونية كانت تسيطر على الاقتصاد اللبناني، أما "بروتيين" فهي شركة لبنانية يرأس مجلس إدارتها الرئيس اللبناني كميل شمعون تأسست بمرسوم جمهوري عام ١٩٧٣م، ويتكون رأسمالها من رساميل لبنانية وخليجية وإيرانية، وحدد المرسوم نوعية التجهيزات والمواد التصنيعية الحديثة التي ستستعملها الشركةوالتي سيؤدي استعمالها إلى تشريد الآلاف من الصيادين الذين كانوا يعتمدون الوسائل البدائية(٢).

تجمع الصيادون من مختلف المناطق للمطالبة بإلغاء امتياز شركة "بروتيين" الذي يعتبرونه قطعا لأرزاقهم. وفيما كان الصيادون ومؤيديهم يتجمعون في محلة "بحر العيد" على شاطئ صيدا الغربي كان فريق منهم يتعمد إلى سد الطرقات والمنافذ المؤدية إلى صيدا بوساطة إطارات المطاط المشتعلة، وبزوارق الصيد التي أضرمت فيها النيران وسط الشوارع، وشمل سد الطرقات مدخل صيدا الشمالي عند حدود الرميلة، ومدخلها الجنوبي عند مفرق عين الحلوة فضلا عن طرقات جزين والبرامية(٣).

صدرت التعليمات إلى رجال الدرك وقوات الجيش الذي رابطت آلياته باكراً في مقر المحافظة وفي باحة القصر البلدي في ساحة النجمة في صيدا، بفتح الطرق الرئيسة، في حين كانت التظاهرة قد وصلت إلى ساحة النجمة، بعد أن قطعت ميناء صيدا مروراً بشارع الشاكرية، ومنه إلى شارع رياض الصلح فطريق جزين، وكان في مقدمة المظاهرة نائب صيدا الدكتور نزيه البزري، ونائبها السابق الزعيم الوطني معروف سعد اللذان كان يسيران جنبا إلى جنب خلف اليافطات التي تحمل مطالب المتظاهرين.

اصطدم في معركة كبيرة مع سلطة الانتداب، إذ اقتحم المقر الرئيس للدرك سنة ١٩٣٦م واعتقل، وأطلق سراحه سنة ١٩٣٧ م، ثم أعيد اعتقاله سنة ١٩٤٠ م، وبقي معتقلا حتى أواخر ١٩٤٤م، بعد خروجه من السجن أصبح ناظراً داخلياً لكلية المقاصد الإسلامية في صيدا من ١٩٤٦ – ١٩٤٩م، وأسهم في تأسيس عدد من الأندية الثقافية والرياضية، ثم في ١٩٤٩م عمل مفوضاً في الشرطة، ثم ترشح للانتخابات النيابية عن صيدا وفاز فيها وبقي كذلك حتى عام ١٩٧٢م، بعد دخوله البرلمان واظب على تبنيه قضايا الجماهير والفقراء والصيادين والمزارعين والعمال، فأخذت السلطة تحاربه بشتى الوسائل كي تسقطه في الانتخابات النيابية، لكن محاولاتها باءت بالفشل مما حدا بخصومه السياسيين للاعتراف بأن النيابة كانت تزحف نحو معروف سعد ولم يزحف هو إليها، وفي هذا دليل على صدق الرجل ومحبة الجماهير إليه، قاد في أثناء ذلك مع حركة المقاومة الوطنية والشعبية في صيدا التظاهرات ضد حكومة كميل شمعون والأحلاف العسكرية التي كانت تساندها القوى الرجعية في لبنان، كما اشترك في تأسيس مجلس السلم العالمي وانتخب عضواً في رئاسته، وانتخب رئيساً لبلدية صيدا، واستمر في هذا المنصب من سنة ١٩٦٣ – ١٩٧٣م.. ظل معروف سعد شديد الإيمان بالقضية الفلسطينية وبضرورة تحرير فلسطين، ومواجهة المشروع الصهيوني عربيا، وأكد ذلك من خلال إيمانه بالوحدة العربية وحرصه الشديد على مساعدة اللاجئين الفلسطينيين في مخيماتهم وتبني قضاياهم ومساندة قوى المقاومة الفلسطينية، وقد استشهد بتاريخ ١٩٧٥/٣/٦،وبعد استشهاده استمر نهجه العروبي مع ابنه المناضل مصطفى معروف سعد الذي سار على درب والده الشهيد، وقاد التنظيم الشعبي الناصري والمجلس السياسي للحركة الوطنية اللبنانية في جنوب لبنان، وخلال الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام ١٩٧٥م تسلم مسؤولية قيادة القوات المشتركة اللبنانية – الفلسطينية في الجنوب وأسس جبهة المواجهة الوطنية ضد الاحتلال الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م، وداهمت القوات الإسرائيلية منزله أكثر من مرة حيث اعتقل وأخضع لتحقيقات قاسية، كما أسس وقاد قوات جيش التحرير الشعبي (قوات الشهيد معروف سعد) وذلك عام ١٩٨٥م، وتعرض لأربع محاولات اغتيال لكنه نجا منها، توفي يوم ٢٠٠٢/٧/٢٥م إثر مرض عضال في الرئة دام أربع سنوات ليخلفه في مسيرة النضال أخيه أسامه سعد الذي ترأس التنظيم الشعبي الناصري.

(٢)مصطفى دندشلي إعداد وتصنيف وتقديم، المركز الثقافي للبحوث والتوثيق، صيدا، ط١، ١٩٩٥م.

(٣)شفيق الأرناؤوط، معروف سعد "نضال الثورة".

وبوصول التظاهرة إلى محاذاة سينما "هيلتون" على بعد خمسين متراً من باحة القصر البلدي حيث ترابط قوات الجيش انفصل الزعيم الوطني معروف سعد عن التظاهرة قليلاً وراح يعمل مع آخرين على رفع الحجارة من الطريق، ولدى وصول المتظاهرين إلى ساحة النجمة سمع دوي انفجار إصبع ديناميت باتجاه المتظاهرين فالتفت معروف سعد نحو مصدر الصوت ليرى أن التظاهرة قد تفرقت ولم يبق سوى (خمسة عشر شخصاً) يتقدمهم النائب الدكتور نزيه البزري وبوصولهم إلى مكان قريب من القصر البلدي سمع إطلاق رصاص أصيب على أثره معروف سعد. تراكض المتظاهرون وخلت الساحة ولم يبق على الأرض سوى معروف سعد والمصابون الآخرون، وما هي إلا لحظات حتى ظهر العديد من أهالي صيدا في الشوارع وهم يحملون الأسلحة حيث أقاموا المتاريس، فيما أقفلت المحلات التجارية أبوابها.

نقل معروف سعد إلى مستشفى "أبو ظهر" لإجراء عملية جراحية، إلا أن الجهات الرسمية قطعت الكهرباء مما اضطر إدارة المستشفى إلى الاستعانة بمولد كهربائي. واندلعت مواجهات عنيفة بين الأهالي والجيش اللبناني فسقط العديد من القتلى والجرحى من الطرفين. كانت الرصاصة التي أصيب بها معروف سعد قد اخترقت مجرى البول وعدد من الأوردة الدموية مما أدى إلى نزيف حاد نتج عنه استمرار هبوط الضغط، ورغم كل محاولات الفريق الطبي لمعالجته إلا أن الحالة استمرت تسوء، حيث تقرر نقله إلى مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت وهو في حالة غيبوبة.

عقد رئيس الحكومة اللبنانية رشيد الصلح(*)مؤتمراً صحافياً بحضور أركان حكومته التي تضم ممثلين عن حزب الكتائب وحزب الوطنيين الأحرار، والحزب التقدمي الاشتراكي وكتلة الوسط اللبنانية برئاسة طوني فرنجية، حيث أبدى أسف الحكومة عن الحادث والضحايا، وحاول الزج بالمقاومة الفلسطينية أثناء رده على سؤال صحفي فقال: المقاومة لا علاقة لها بالموضوع إنما اتصالنا معهم هو مبدئي للحؤول دون الاستغلال ودون قيام بعض إخواننا الفلسطينيين بصورة فردية بأعمال مخالفة للقانون.

ومن الجدير بالذكر فإنه وعلى أثر أحداث صيدا تشكل وفد من الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية، وكان الوفد يضم إبراهيم قليلات (أبو شاكر)، أبو الزعيم، أبو حسن سلامه، أبو الطيب للقيام بزيارة صيدا للإشراف بصورة مباشرة على عدم تدخل الفلسطينيين في الأحداث.

(*) تشكلت حكومة رشيد الصلح في ١٩٧٤/١١م وضمت ممثلين عن حزب الكتائب والوطنيين الأحرار والحزب التقدمي الاشتراكي وكتلة الوسط النيابية برئاسة طوني فرنجية ووزراء مستقلين، وقد انفجرت أزمة الصيادين في صيدا في عهده.

وعقد كمال جنبلاط الذي يرأس القوى الوطنية اللبنانية مؤتمراً صحافياً.. اتهم فيه بعض الفئات بافتعال الحادث ويبدو من خلال المعلومات التي نقلها إليه الرئيس رشيد الصلح أنه جرى إطلاق نار على أفراد قوى الجيش من فئات كان عناصرها موزعين في عدد من الأماكن والمواقع بحيث بدا وكأن النار أطلقت من صفوف المتظاهرين.

عقدت الأحزاب والقوى التقدمية والوطنية في صيدا اجتماعاً في مقر نقابة صيادي الأسماك وقرروا المطالبة بسحب الجيش من صيدا والدعوة إلى إضراب عام ونقل محافظ صيدا هنري لحود والعميد في الجيش أحمد زكا، والتحقيق في حادث إطلاق النار على معروف سعد، ومعاقبة المسؤولين. وتلا ذلك اجتماع آخر بمقر جمعية خريجي المقاصد بصيدا بحضور عدد من قادة الحركة الوطنية في لبنان بينهم جورج حاوي، محسن إبراهيم، وتوفيق الصفدي عن المقاومة، وممثلون عن الهيئات الشعبية حيث قرروا البدء بإضراب مفتوح في ١٩٧٥/٢/٢٧م.

بقيت حالة الزعيم معروف سعد تتأرجح.. وحالة لبنان الداخلية تتأرجح معها.. حتى جاء يوم الخميس ١٩٧٥/٣/٦م حين فارق الحياة شهيدا للدفاع عن مصالح الصيادين.. وهكذا أصبحت شخصية معروف سعد رمزاً ومرشداً في وعي أهالي صيدا والجنوب اللبناني... وأصبح رمزاً وطنياً ومفجراً لثورة طبقية ضد التسلط والاحتكار.



من اليمين إبراهيم قليلات، أبو الزعيم، أبو الطيب، أبو حسن على أثر أحداث صيدا بعد استشهاد المناضل معروف سعد حيث تم تشكيل وفد من الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية

مفارقات لا تنسى:

بعد أن تسلم الأستاذ رشيد الصلح رئاسة الحكومة اللبنانية وكان من المقربين لقيادات الحركة الوطنية اللبنانية لا سيما الأخوة محسن إبراهيم وتوفيق سلطان وجورج حاوي. ابدى مواقف وطنية خلال جلسات الحكومة والمجلس النيابي، الأمر الذي عرضه لتهجم شديد من بعض الزعامات الانعزالية، فاجتهد محسن إبراهيم لدى أبو عمار لتأمين حراسة شخصية له في المنزل. استدعاني أبو عمار وطلب تأمين حارس لمنزل الرئيس الصلح شريطة أن يكون على قدر هذه المهمة.

انتدبت لهذه المهمة أحد ضباطنا المميزين الرائد صلاح السهلي والمشهود له بالكفاءة العالية والحس الأمني الجيد، وظلت الأمور تسير على خير ما يرام حوالي أربعين يوما هاتفني رئيس الوزراء بعدها وهو في غاية الارتباك طالبا مني الحضور إلى منزله على وجه السرعة. فورا ركبت السيارة مع المرافقين وتوجهنا إلى الأستاذ رشيد الصلح وعند وصولي لمنزل الرئيس شاهدت مجموعة من الناس محتشدينأمام المنزل، فركنت السيارة جانبا ونزلت منها كي استفسر من أحدهم عن سبب ذلك التجمهر، وعلمت على الفور أن جريمة قتل قد وقعت داخل منزل الرئيس.

هرعت مسرعاًإلى داخل المنزل، وعبرت إلى الصالون حيث كان الباب مفتوحاً، فوجدت جثة لرجل مجهول في أواخر العقد الثالث تقريباً، طويل البنية ممدد ومصاب بعيار ناري في الرأس، بينما الدماء تملأ الصالون، وبعد أن تحققت من وفاة الشخص الممدد على الأرض، قمت أبحث عن الرئيس فوجدته مع زوجته وابنته الوحيدة (مي) داخل غرفة النوم ويسترقون النظر لجثة القتيل من شق الباب، فدخلت لطمأنتهم لا سيما أن زوجته وابنته كانتا في حالة يرثى لها، وبعد أن هدأت من روعهم، اتصلت بالهلال الأحمر الفلسطيني كي يرسلوا سيارة لنقل الجثة إلى المستشفى.

أفادني الرئيس أن الجثة هي لشخص يدعى محمود الأسمر وهو من فلسطينيي لبنان ومن سكان الحي نفسه، وأنه يأتي إليه حسب العادة مثل بقية بعض السكان طلباً للمساعدة، ولكنه لا يعلم ماذا حدث بالضبط، غادرت غرفة نوم الرئيس لأجد الضابط صلاح السهلي واقفاً ومسدسه في يده.

طلبت من صلاح أن يشرح لي ما حدث، فأبلغني قائلاً: تعلم يا أبا الطيب إن اليوم الجمعة وهو يوم عطلة، لذا جلست في الصالون الخارجي كي أتمكن من اعتراض كل من يحاول الدخول لا سيما أن الرئيس كان ما يزال نائماً، ثم سمعت جرس الباب يرن، فركضت لأفتح الباب، تفاجأت بوجود المغدور يسألني عن الرئيس بصوت عال، فقلت له إخفض صوتك لأنه نائم، فلم يمتثل للأمر وقام بدفعي يريد الدخول عنوة، وهو يردد (وين الخواجا) بدي أشوفه، فكررت له القول بأنه نائم،

لكنـه لـم يقتنـع بكلامـي وقـام بـدفعي عـن البـاب محـاولاً اقتحـام المنـزل بـالقوة، عنـدها قمـت بـإطلاق الرصاص عليه..

طلبت من الضابط صلاح أن يسلم مسدسه للمرافقين معي، وأمرت بحجزه في ثكنة المكتب.. بعد نقل الجثة واحتجاز الضابط صلاح السهلي جلست مع رئيس الوزراء وأخذت أطمئنه بأنني سأقوم بالذهاب إلى ذوي القتيل وانهي معهم الأمر متكفلاً بما يتطلبه ذلك من التزامات، ففاجئني الرئيس بقوله: الله يخليك بلغ الأخ أبا عمار أنني لا عايز وزارة ولا حراسة(*).

ذهبت إلى أبي عمار في مكتبه حيث شرحت له ما حصل بالضبط موضحاًأن هناك عادة مستحبة في لبنان حيث يتولى الرجل المتنفذ سواء كان وزيراًأو من كبار التجار أو مختار أو زعيم للحي تقديم مساعدات للمحتاجين، ويطلقون على هذا الشخص لقب (خواجا) وأن القتيل كان يتردد على دولة الرئيس كونه الخواجا في المنطقة، ولكن الضابط صلاح يجهل ذلك واعتقد أن القتيل يريد اقتحام المنزل.

بعد أن أبلغت أبا عمار في نهاية الحديث أن الرئيس يبلغه بأنه لا يريد لا رئاسة حكومة ولا مرافقين.. أمرني أن أسلم صلاح للقضاء الثوري الذي حكم عليه بالسجن ٧ سنوات. وحينما اندلعت الحرب كان صلاح بالسجن وافرج عنه مع باقي السجناء وكانت زوجته لبنانية من حارة الناعمة، ووقع عليه الاختيار لإرسالهإلى لبنان عن طريق قبرص واعتقلته البحرية الإسرائيلية مع دورية محمد قنن "أبو النور" ومكث ٧ سنوات معتقلاً، وأرسل إلى لبنان واستشهد بحرب المخيمات.

الشرارة تحرق السهل:

كانت الولايات المتحدة في تلك الفترة تطبخ على نار هادئة اتفاق فصل القوات في سيناء، وكان مخططو الإتفاق يعرفون مسبقاً أن الثورة الفلسطينية ستقف في مقدمة القوى المعارضة للإتفاق، لهذا كان من الضروري إضعاف الثورة الفلسطينية التي سترفع لواء المعارضة مستندة إلى قوتها العسكرية والشرعية السياسية التي اكتسبتها ولذلك وجدوا من الضروري مشاغلتها بمعارك جانبية. وهكذا تضافرت الضغوط الأمريكية والإسرائيلية، باتجاه تفجير الموقف في لبنان، بمساعدة قوى لبنانية تفضل تكرار التجربة الأردنية واستخدام الجيش اللبناني في ضرب الثورة على أن تلعب المليشيات دور الرديف. ولكن طبيعة الجيش نفسه ونوعية العلاقات السائدة داخل المجتمع اللبناني

(*) عائلة المغدور أظهرت معدنها الأصيل ورفضت أن تأخذ أي شيء وأسقطت حقها دون مقابل.

منعت تكرار التجربة الأردنيةلهذا قامت المليشيات المدعومة ببعض جيوب السلطة باستلام المبادرة وأخذت على عاتقها مهمة البدء بالعمل المضاد[٤].

لقد كانت حادثة اغتيال معروف سعد الشرارة التي انطلقت لتحرق السهل ولتحرك المؤامرة على لبنان باتجاه حرب أهلية تستهدف إشعار اللبنانيين بأن سبب كل ذلك الدمار هو المقاومة الفلسطينية. ولعل أبرز الأحداث، التي رجّحت اختيار نقطة البداية في عام ١٩٧٥، هي:

١. محاولة الجيش اللبناني، في مايو ١٩٧٣، القضاء على المقاومة الفلسطينية، على أرض لبنان. وإزاء فشل الجيش في محاولته، تكوّنت الميليشيات الحزبية، لتضطلع بما عجز عنه الجيش.
٢. قرار مؤتمر القمة العربية في الرباط، في ٢٩ نوفمبر ١٩٧٤، أن (م.ت.ف)، هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.
٣. تغيّر الدبلوماسية الأمريكية، في إطار إستراتيجية السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط. وفي هذا الصدد يقول ولبركرين ايغلاند رجل المخابرات الأمريكية إن الرئيس فورد أعلن في ١٩٧٥/٤/٣٠م انسحاب الولايات المتحدة من فيتنام، وإن الحرب في لبنان من تخطيط هنري كيسنجر لإلهاء العالم عن المشاكل الأخرى لأمريكا وبدافع الرغبة في السيطرة على الأزمات الاقتصادية وعلى أزمة الطاقة التي خلفتها حرب ١٩٧٣م، بدأ كيسنجر ينفذ سياسة جديدة آملا في أنها ستؤدي إلى تبخر الفلسطينيين، وأن محطة (CIA) في روما وإسرائيل ساعدت المليشيات المسحية في تنفيذ المهمة. ومن الجدير بالذكر فقد صرح هنري كيسنجر في ٢٥-٥-١٩٧٥م أن الوضع في لبنان سينفجر ويتحول إلى حرب أهلية كالتي وقعت في الأردن عام ١٩٧٠م.
٤. بداية سلسلة اعتداءات إسرائيلية، ذات طبيعة خاصة، على الفلسطينيين، في لبنان.

ومن أجل تفجير الموقف قام مسلحون مجهولون يوم ١٩٧٥/٤/١٣م بإطلاق النار على بيير الجميل[*] وهو يشارك في إحدى الصلوات الكنسية حيث نجا من الاغتيال في حين قتل مرافقه "جوزيف أبو عاصي"[٥].وبعد تحريض بيير الجميل ضد رئيس الوزراء رشيد كرامي متهما إياه بقبول اتفاق القاهرة حيث تنازل عن سيادة لبنان وهدد باللجوء إلى أي وسيلة للدفاع عن الذات بعد تخلي الدولة عن مسؤولياتها، قامت مجموعة من حزب الكتائب يوم ١٣/٤/ ١٩٧٥م بإطلاق النيران على سيارة باص كانت تقل عدداً من سكان مخيم تل الزعتر أثناء مرورها على طريق

---

(٤)الهيثم الأيوبي، مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني خلال (١٥ عام).
(*)بيار الجميل: (١٩٠٥-١٩٨٤م) سياسي لبناني ومؤسس حزب الكتائب كان من أبرز السياسيين اللبنانيين طوال أكثر من ٤٠ عاما وأحد أبرز أركان الجبهة اللبنانية أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، شغل عدة مناصب وزارية ابتداء من العام ١٩٥٨مإلى وفاته، كما انتخب كعضو في "مجلس النواب اللبناني".
(٥)نقولا نصر، حرب لبنان ومداها، دار العمل للنشر، بيروت ١٩٧٧م،، حرب لبنان، حصار بيروت، حرب الجبل" منشورات المكتبة الحديثة، بيروت ٢٠٠٥.

الجديدة عبر عين الرمانة، وذلك بعد أن كان أولئك الفلسطينيون عائدين بعد إنتهاء إحتفال أقامته الجبهة الشعبية - القيادة العامةفي الذكرى الأولى لعملية "الخالصة"، فقتل الكتائبيون (ستة وعشرين فلسطينياً) وجرحوا (تسعة وعشرين آخرين) من ركاب الباص وإدعى بشير الجميل أن القوات الإسرائيلية قامت بافتعال الحادث. ورغم ادعاء الرئيس الأسبق أمين الجميل في شهادته على العصر من خلال فضائية الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١٩م أن الذين ارتكبوا تلك المجزرة ليسوا من الكتائب وما زالوا غير معروفين فإن شهادة "سعيد نعيم الأسمر" الذي أسرته قوات المقاومة أفادت بأن مسلحي الحزب في عين الرمانة تلقوا أمراً بإطلاق النار على الباص[*].

بعد الحادث عقدت القوى الوطنية اللبنانية بزعامة كمال جنبلاط اجتماعا حيث إعتبرت المجزرة جزءا من مخطط إستعماري صهيوني تنفذه الكتائب. فيما إتهمت القيادة الفلسطينية بأن الحادث مدبرا ذلك أن الإشتباكات تواصلت بعد الحادث ما أدى إلى سقوط (٣٣) قتيلاً.

وبدأت عمليات خطف عشوائية لإثارة الخوف مما خلق حالة من الشك بين الناس، فلا يثق أحد بأحد، إلا في دائرة العائلة والحي والطائفة. ومع التقسيم الجغرافي، بدأت "حرب الأحياء" وأصبح القتل الجماعي على الهوية، أسلوباً للحرب. فِرق من المسلحين تدخل مواقع العمل، وطبقاً لبيانات تحقيق الشخصية، تجمع الخصوم في الحجرات، وتطلق عليهم النيران، وسط توسّل زملائهم، الذين أنقذهم انتماؤهم إلى مذهب القاتل نفسه. فضلاً عن إغتصاب الفتيات، وتقطيع الجثث. حواجز المسلحين في الطرقات، وتجريد المارين من ملابسهم، ومن خلال "عملية الختان"، يمكن تمييز هوية الشخص.

وكشف الوقائع الميدانية، أن "الكتائب" كانت، في بداية الحرب الأهلية، أكثر الأطراف دقة في التنظيم والتنفيذ، بحُكم تنظيمها، وحجم السلاح وعدد المدرَّبين عليه مما اظهر استعدادها المسبق وتحركها بناءً على مخططات طائفية استهدفت إخلاء مناطق لصالح المشروع الطائفي، على الرغم من أن التجمع المسيحي الأرثوذكسي، في حي السريان أو في منطقة المزرعة في بيروت الغربية لم تتعرض للخطر، باستثناء بعض الحوادث الفردية، التي أمكن السيطرة عليها.

حملت القوى الوطنية اللبنانية مسؤولية تفجير الأوضاع إلى ميلشيات حزب الكتائب التي أدخلت سلاحالمدفعيةفيالإشتباكات،وأعلنتعناحتلالجزءمنالكرنتيناوواصلتعملياتالقنصوالإعتداء ضد المدنيين الفلسطينيين وعناصر القوى الوطنية اللبنانية[٦]؛مما أجبر رئيس الحكومة رشيد كرامي[*]

(*) طبقا لجريدة السفير اللبنانية الصادرة يوم ٢٠٠٧/٤/١١م فإن القاضي محمد علي صادق هو الذي حقق في جريمة عين الرمانة (١٩٧٥/٤/١٣م) واستنتج أن عناصر من حزب الوطنيين الأحرار هم الذين ارتكبوا الجريمة.

(٦)يزيد الصايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة،، ص٥١٩.

(*) رشيد عبد الحميد كرامي (١٩٢١ – ١٩٨٧/٦/١م) سياسي لبناني ينتمي لمدينة طرابلس، شغل منصب رئيس الوزراء عشرة مرات كان أولهما بين ١٩٥٥/٩ - ١٩٥٦/٣ وآخرها بين ١٩٨٤/٤، إلى ١٩٨٧/٦/١م ينتمي كرامي إلى عائلة سياسية عريقة إذ شغل والده وأخوه عمر منصب رئيس الوزراء، ويقول الرئيس أمين الجميل في برنامج "شهادة على العصر" مع فضائية الجزيرة بأن: رشيد

على تقديم استقالته يوم ١٩٧٥/٥/١٥م بعد أن ألقى خطابه الأخير أمام مجلس النواب ملقياً اللوم على الكتائب لإثارتهم النزاع، وقدم لائحة بشروط المصالحة تشكل مساندة للحركة الفدائية الفلسطينية.

إستمر التصعيد بشكل يومي وصولا إلى ١٩٧٥/٥/٢٠م حين انفجر الوضع في الدكوانة وتل الزعتر، و تم الإعلان يوم ١٩٧٥/٥/٢٣م عن تأليف أول حكومة عسكرية برئاسة العميد أول المتقاعد نور الدين الرفاعي(٧)، ضمت قائد الجيش العماد اسكندر غانم، رئيس الأركان سعيد نصر الله، مساعد رئيس الأركان العميد ركن موسى كنعان، العميد الركن فوزي الخطيب، العميد الركن فرانسوا جينادري، العميد الركن زين مكي والمدني الوحيد في الحكومة لوسيان دحداح. ولم تصمد الحكومة العسكرية أمام رفض القوى الوطنية اللبنانية فاستقالت يوم ١٩٧٥/٥/٢٦ م. وأعيد تكليف رشيد كرامي بتشكيل الحكومة اللبنانية بتاريخ ١٩٧٥/٥/٢٨م، إلا أن المليشيات اليمينية ظلت على موقفها من التصعيد، وقامت يوم ١٩٧٥/٦/٣م بقطع طريق الحازمية والحدث وفرن الشباك لمنع وصول كرامي إلى قصر الرئاسة.

الأحزاب والقوى التي كانت موجودة خلال الحرب الأهلية:

الأحزاب والمليشيات والقوى الانعزالية	الحركة الوطنية أحزاب وقوى مشتركة
- حزب الكتائب –بيير الجميل	- الحزب التقدمي الإشتراكي – كمال جنبلاط
- مليشيا الكتائب	- حركة الناصريين المستقلين/ المرابطون – إبراهيم قليلات
- الوطنيين الأحرار–كميل شمعون	- الاتحاد الإشتراكي العربي/التنظيم الناصري – كمال يونس
- مليشيا نمور الأحرار	- الحزب السوري القومي الاجتماعي – أنعام رعد
- المرده-طوني فرنجية	- حزب النجادة - عدنان الحكيم
- مليشيا المرده	- حزب الهيئة الوطنية – رياض الصلح وشفيق الوزان
- القوات اللبنانية - إيلي حبيقه بعد مقتل بشير الجميل.	- منظمة العمل الشيوعي – محسن إبراهيم
مليشيات مشتركة	- حزب البعث العربي الإشتراكي – عبد المجيد الرافعي
• حراس الأرز - إيتان صقر/مليشيا مستقلة	- الحزب الشيوعي اللبناني – جورج حاوي
• الرابطة المارونية – الأباتي شربل قسيس	

كرامي أغتيل عن طريق وضع قنبلة تحت المقعد المخصص له في طائرة الهيلوكوبتر المسؤول عنها الجيش اللبناني الذي كان معظم قادته على صلة مع مليشيات سمير جعجع، أدين جعجع قائد القوات اللبنانية بتدبير الاغتيال وحكم بالإعدام وخفضت العقوبة إلى الأشغال الشاقة المؤبدة قبل أن يطلق سراحه سنة ٢٠٠٥م، وإعدام العميد الطيار خليل مطر وخفضت العقوبة إلى الأشغال الشاقة عشر سنين وكشف أمين الجميل أنه في يوم الاغتيال كان من المقرر الإعلان عن إتفاق تاريخي بينه وبين الرئيس كميل شمعون ورئيس المجلس النيابي حسين الحسيني يضع حدا للأزمة اللبنانية، وكان الهدف من إغتيال رشيد كرامي هو تعطيل مؤسسات الدولة اللبنانية، وصف عمر كرامي يوم إطلاق سراح جعجع بأنه بمثابة قتل للرئيس رشيد كرامي مرة ثانية.

(٧)أنطوان خويري، الحرب في لبنان، الجزء الأول، دار الأبجدية، بيروت ١٩٧٧م.

الأحزاب والمليشيات والقوى الانعزالية	الحركة الوطنية أحزاب وقوى مشتركة
• الكتلة الوطنية -ريمون اده • الاتحاد الدستوري -بشارة الخوري • العلماني الديمقراطي- ميشيل الغريب • جيش لبنان الجنوبي – سعد حداد	- جمعية متخرجي المقاصد الإسلامية – عزت حرب - الإتحاد الإشتراكي العربي/الأفواج العربية – غازي شعبان - إتحاد قوى الشعب العامل – قوات ناصر- عصام العرب - حزب النداء الوطني – كاظم الصلح - الحزب الديمقراطي – كامل الأسعد. - حركة أمل – نبيه بري

اغتيال التفاؤل في الكرنتينا والدامور:

واجهت (م.ت.ف) تحديات صعبة من المتشددين في كلا الجانبين المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية والمليشيات الانعزالية، فكان هدف المتشددين في حزب الكتائب "دافعوا عن تراب لبنان" واطردوا الأغراب منه وليرحل الفلسطينيون، ويجب أن لا يتوقف القتال طالما هناك فلسطينيون على أرض لبنان، وترجمة لذلك جددوا هجماتهم على مخيم تل الزعتر منتصف شهر (١٩٧٥/١٠م) ومارسوا موجة من القتل الطائفي وهاجموا بيروت الغربية.

حاولت (م.ت.ف) ضبط النفس وطمأنة المليشيات الإنعزالية، إلا أن المنظمة سرعان ما تعرضت للاختبار، فبعد أن جند حزب الكتائب الرأي العام ضد "الوجود الفلسطيني" وأعلنوا أنهم سيواصلون "ثورتهم" حتى النهاية، وشنوا هجمات على مخيم تل الزعتر في ضاحية بيروت الشرقية، وزاد الوضع تأزماً عندما طرح بيير الجميل نقل المخيم بكامله إلى مكان آخر؛ لأنه يهدد المناطق اللبنانية، وكان ذلك تحدياً مباشراً للثورة الفلسطينية التي حذرت بالرد في حال عدم توقف الهجمات، ولإثبات حسن النوايا "عرضت شراء أرض المخيم من الرهبانية المارونية" لكن العرض رفض.

قام أبو عمار في خطوة لتهدئة الوضع بإرسال قائد قوات الـ١٧ علي حسن سلامه "أبو حسن" سراً للتفاوض في شروط إنهاء الأزمة مع القيادة المارونية على قاعدة مسودة أجندة الإصلاح السياسي التي وضعتها الحركة الوطنية اللبنانية، ونجحت محادثات علي حسن سلامه في إيجاد أرضية مشتركة وفي تضييق مجالات الخلاف ولم يتم الكشف عن هذه المحادثات إلا أن حزب الكتائب تطوع بكشفها، مما أثار غضب الحركة الوطنية اللبنانية فقاموا بقصف

عشوائي على بيروت الشرقية. ومن الجدير بالذكر فإنه عندما أرسل ياسر عرفات أبو حسن سلامة للتفاوض مع الكتائب كان متحسباً لما يلي:

١- خشيته من مخطط بعيد المدى ضد (م.ت.ف) يهدف إلى القضاء على وجودها في المنطقة.

٢- ما يجري في لبنان هو جزء من التطورات الهادفة إلى تحويل النزاع العربي الإسرائيلي إلى نزاعات عربية ثانوية تمهيداً لتجميد هذا النزاع بعد أن استطاعت القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية للدول والشعوب العربية تحقيق انتصارات ملموسة محلياً ودولياً.

٣- أحد الأسباب وراء الأزمة اللبنانية هو التشكيك في جدوى الفكرة القائلة بدولة فلسطينية ديمقراطية تجمع المسلمين والمسيحيين واليهود.

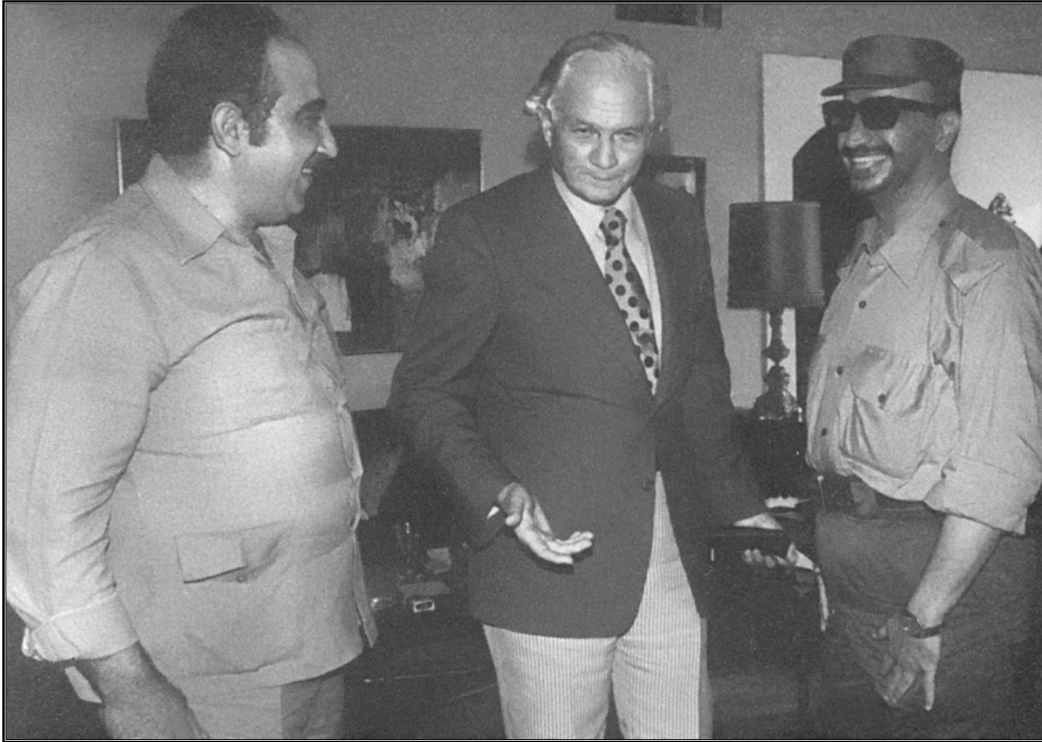
وعلى الرغم من انهيار المحادثات السرية فإن قيادة (م.ت.ف) استمرت في محاولاتها لطمأنة الإنعزاليين، وأكد أبو عمار ذلك يوم ١٩٧٥/٦/٢٥م في بيان تلاه كرر فيه حياد (م.ت.ف) إزاء الشؤون الداخلية اللبنانية، وأكد أن أساس العلاقات الثنائية يقوم على إحترام الثورة الفلسطينية للسيادة اللبنانية وأن المقاومة الفلسطينية ليست طرفاً في الصراع الداخلي اللبناني، وهي ليست طائفية ولا رديفاً لطائفة. وبينما رحب حزب الكتائب بتصريحات أبو عمار، إلا أن بعض المليشيات اليمينية المتشددة ردت بشن هجوم على منطقة المسلخ – الكرنتينا بدعم من قوى الأمن الداخلي الموالية لكميل شمعون.

وشهد النصف الثاني من عام ١٩٧٥م أسوأ ما يمكن وصفه من قتل وتدمير وخطف على جميع المحاور من بيروت حتى طرابلس في ظل تواصل الاعتداءات الإسرائيلية في الجنوب وعلى المخيمات الفلسطينية، فمنذ أن نالت حكومة رشيد كرامي الثقة البرلمانية يوم ١٩٧٥/٧/١٥م انطلقت موجة من التسريبات حول صفقة سلاح أمريكية أرسلت إلى المليشيات الإنعزالية، وبعدها انتشرت ظاهرة مخيمات التدريب في كافة أنحاء لبنان، فيما اشتعلت معارك زحله وزغرتا وطرابلس رافقها معركة سياسية حول طلب تدخل الجيش لضبط الأوضاع، وأسفرت المعركة السياسية عن استبعاد العماد إسكندر غانم قائد الجيش وتعيين اللواء حنا سعيد قائداً للجيش بدلا منه يوم ١٠/٩/ ١٩٧٥م.

وتواصلت الاشتباكات التي امتدت إلى عكار، حيث انتشر الجيش في مناطق عازلة بالشمال لا سيما بعد الاحتلالات لمخافر الأمن على أيدي المليشيات الانعزالية، والتي تزامنت مع تصعيد العمليات على محاور عين الرمانة والشياح والأشرفية ورأس النبع والنبعة والدكوانة، وتزايد عمليات الخطف في بيروت في ظل تصعيد المليشيات الانعزالية للقتال

وسقوط عشرات القتلى ومئات الجرحى وإحراق سينما ريفولي، كما احترقت المنطقة التجارية بفعل القصف المتبادل وتفاقمت الأوضاع في الشياح وعين الرمانة والدامور وحارة الناعمة.

رغم الوساطة التي قام بها مبعوث الفاتيكان الكاردينال برتولي واجتماعاته المتوالية مع الشيخ حسن خالد والإمام موسى الصدر والشيخ محمد أبو شقرا، وكذلك الوساطة الفرنسية التي قام بها المبعوث الفرنسي كوف دومورفيل، إلا أن أجواء التفاؤل لم تظهر إلا نتيجة لاجتماع الرئيسين ياسر عرفات وكميل شمعون يوم ١١/١٠/ ١٩٧٥م بحضور صلاح خلف حيث بدأت حملة التآخي على جبهة الشياح – عين الرمانة، وخرج المقاتلون من متاريسهم يعانقون بعضهم بعضاً، ثم انطلقت تظاهرات الأخوة في رأس بيروت، وضمت مسلمون ومسيحيون يحملون الكتب السماوية ويرفعونها فوق الرؤوس معلنين أن لا فرق بين المواطن اللبناني مهما كانت انتماءاته الروحية.



أبو عمار، كميل شمعون، صلاح خلف

حصار مخيمات بيروت الشرقية:

سادت حالة جنونية لدى جميع الأطراف مع منتصف شهر ١٩٧٥/١٠م، حيث استفحلت ظاهرة الخطف (٣٠٠ مخطوف في يوم واحد) وانتشرت الحواجز في بيروت والكحالة وصوفر وجونيه والشمال وزادها تفاقما ضبط شحنة بنادق أمريكية في المطار مرسلة إلى الجانب الإنعزالي، وأصبحت حرب الاختطاف ظاهرة تتكرر يومياً، ففي ١٩٧٥/١٠/١٧م تم اختطاف مائة شخص بينهم وليم حاوي المسؤول العسكري لمليشيات حزب الكتائب، ثم أفرج عنه وتبعها مباشرة اندلاع "حرب الصواريخ" في بيروت، وبموجبها حدث تراجع كتائبي في شارع كليمنصو، وتقدم قوات المرابطون في حين اشتدت معارك القنطاري وسقوط عشرات القتلى والجرحى، وترافق ذلك في تصاعد أعمال العنف في زحله[٨].

ويوم ١٩٧٥/١١/٦م وصلت باخرة محملة بالأسلحة الإسرائيلية إلى ميناء صغير في جونية يدعى "الأكوامارينا" يملكه تاجر السلاح المعروف بطرس خوري، وطلب رئيس الحكومة ووزير الدفاع آنذاك رشيد كرامي من قائد الجيش حنا سعيد حجر الباخرة، إلا أن قائد الجيش رفض الأمروحين جاءت المعلومات عن هذه الباخرة أرسلنا النقيب سلامه الأسمر ليقوم بتلغيم الباخرة وتفجيرها، إلا أن اللغم البحري انفجر قبل الوصول إلى الباخرة مما أدى إلى استشهاده[*]. وأظهرت هذه الحادثة مدى تورط قيادات من الجيش اللبناني في توتير الأوضاع في تلك الفترة. كما أن إسرائيل لم يرق لها التوافق اللبناني – الفلسطيني الذي نتج عن اجتماع عرفات وكميل شمعون، فقامت ثلاثون طائرة إسرائيلية بالإغارة يوم ١٩٧٥/١٢/٢م على مخيمات البداوي ونهر البارد والنبطية والقرى المحيطة بهما فسقط (ستون شهيداً) وجرح (مائة وأربعون) آخرين، وانتهزت المليشيات الكتائبية والانعزالية الفرصة يوم ١٩٧٥/١٢/٦م وارتكبت مذبحة في بيروت عرفت باسم (السبت الأسود) بقيادة الكتائبي جوزيف سعادة حيث قتل ما يزيد عن (سبعين شهيداً) من الفلسطينيين واللبنانيين بناء على بطاقات الهوية وتم اختطاف (٣٠٠) شخص لم يعرف مصيرهم.

وفرضت المليشيات الانعزالية حصاراً كاملاً على مخيمات تل الزعتر وجسر الباشا وضبيّه، وعلى أحياء الصفيح في المسلخ والكرنتينا، وعلى حي النبعة الذي يقطن فيه مسلمون فقراء في ١٩٧٦/١/٣ م، فمنعت إدخال الطعام والوقود والمواد الطبية إلى تلك المخيمات

---

(٨)صقر أبو فخر، أنيس النقاش، أسرار خلف الأستار، ص٧٤

(*) الشهيد سلامه الأسمر هو: ذيب عبد فرج نسناس، من سكان مدينة عكا، أصول جده سعودية، حضر للجهاد في فلسطين، بعد النكبة أقام في مدينة عكا القديمة، له شقيقتين وثلاثة أشقاء موجودين في عكا حالياً، غادر عائلته والتحق بحركة فتح في الأردن وخرج معها إلى لبنان حيث استشهد في محاولة تفجير باخرة الأسلحة الإسرائيلية التي كانت قد تم إرسالها إلى حزب الكتائب.

والأحياء، الأمر الذي عرّض حياة (١٥٠,٠٠٠) ألف إنسان للخطر، وأغلقت الطرق البديلة إلى الجنوب اللبناني عند دير القمر (بلدة كميل شمعون)، ونشر الجيش اللبناني مفارزه عند المفارق الرئيسة لطريق بيروت – دمشق الدولية.

أصبح هدف (م.ت.ف) مطلع عام ١٩٧٦ م هو فك الحصار عن مخيمات بيروت الشرقية وتخليص بيروت الغربية من الطوق الإنعزالي(٩)، فقد ناشد الفلسطينيون في مخيم تل الزعتر ياسر عرفات تقديم المساعدة بتاريخ ١٩٧٦/١/٤م، وعلى أثر ذلك دعا ياسر عرفات يوم ١٩٧٦/١/٦م المجلس العسكري الأعلى إلى اجتماع للبحث في الخيارات المتاحة حضره ممثلون عن جميع التنظيمات الفدائية والحركة الوطنية اللبنانية وثم وضع خطة على النحو الآتي:

١) تقوم قوة من (م.ت.ف) والحركة الوطنية اللبنانية بشق طريقها من بيروت الغربية إلى تل الزعتر، بالتزامن مع قيام المدافعين عن تل الزعتر والنبعة بالاندفاع إلى خارج مناطقهم للالتحام مع القوة المهاجمة من بيروت الغربية.

٢) تقوم قوة فدائية خاصة بالنزول بحراً في منطقة المسلخ – الكرنتينا لتدعيم دفاع قوة (م.ت.ف) والحركة الوطنية اللبنانية وللاتصال بالنبعة من الشمال.

سيبدأ الهجوم حسب الخطة بعد ساعات قليلة من انتهاء الاجتماع (بعد منتصف الليل) وكان نجاح الخطة سيمكن "القوات المشتركة"، وهو الاسم الذي اتفق عليه بين (م.ت.ف) والحركة الوطنية اللبنانية، من السيطرة على بيروت الشرقية من كل الجهات، ويضعها في موقف قوي يتيح لها إجبار المعسكر الانعزالي على التزام وقف إطلاق النار وعلى القبول بتسوية دائمة.

لم تحقق الخطة أهدافها، وتمكنت المليشيات الإنعزالية من استعادة زمام الموقف وصد الهجوم، مما اضطر حركة فتح إلى اتخاذ مواقع قتالية حول زحلة، وفي ١٩٧٦/١/١٣م نقلت فتح كتيبتين إضافيتين من الجنوب إلى مواقع محيطة ببلدات الدامور والسعديات والجيّه الساحلية، بينما نشرت كتيبة ثالثة على مثلث خلده الاستراتيجي عند المدخل الجنوبي لبيروت، إلا أن المليشيات الانعزالية صعدت الموقف وقامت ليلة ١٩٧٦/١/١٤م باجتياح مخيم ضبيّه وارتكاب مجزرة فظيعة، وهرب معظم الناجين نحو بيروت الغربية، وكانت حامية قوات فتح المؤلفة من حوالي ٨٠ مقاتلا و١٢ عنصرا من الكفاح المسلح الفلسطيني قد فقدت (ثلاثين) شهيداً و(عشرين) جريحاً خلال (١٢ يوم) من الحصار وثلاثة أيام من القتال، وسقط (عشرون) شهيداً بعد ذلك أثناء عملية

(٩)يزيد الصايغ،المرجع نفسه، ص٢٣٣.

الانسحاب والدفاع عن النفس داخل الأحراش المحيطة، ورغم هذه الخسارات تمكن مقاتلو حركة فتح من عزل "الجيّه" لكنهم امتنعوا عن مهاجمتها على أمل أن يرفع الانعزاليين حصارهم عن بيروت، لكن ذلك لم يحدث، فقامت قوات فتح باجتياح مواقع الجيش اللبناني المطلة على السعديات وقطعوا الطريق إلى دير القمر وجاء يوم ١٩٧٦/١/١٦ م حين قام الجيش اللبناني بتدخل واسع، حيث احتل مثلث خلده واندفع نحو الدامور، وظهر سلاح الجو فجأة في سماء المعركة وقام بمهاجمة مواقع حركة فتح ودمر عدد من الآليات فيما أسقط المقاتلون الفلسطينيون طائرة واحدة، ورغم أن الرئيس رشيد كرامي الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع أيضاً قد أصدر أوامره مرتين إلى قائد الجيش حنا سعيد بوقف الهجوم الجوي إلا أن أوامره لم تنفذ.

استجمعت حركة فتح قواتها، وشنت هجوماً كاسحاً أخرجت بموجبه الجيش من خلده، واستولت على الناعمة، وطوقت الدامور، ورد الجيش بالهجوم على حي حوش الأمراء المسلم في زحله يوم ١٩٧٦/١/١٧ م بهدف إقامة منطقة سيطرة تمتد إلى ثكناته في ابلح وإلى قاعدة رياق الجوية، وشنت المليشيات الانعزالية هجوماً في ١٩٧٦/١/١٨م على منطقة المسلخ – الكرنتينا بمساعدة القوات الخاصة بالجيش والمصفحات والقوات البحرية، فدمروا الأحياء وسووها بالأرض.

معركة الدامور:

كانت القوات الإنعزالية تواصل إغلاق الطرق الدولية المؤدية إلى بيروت وتحكم حصارها على المخيمات الفلسطينية حتى مطلع شهر ١٩٧٦/١م، مما فرض على القوات الفلسطينية ضرورة فتح طريق بيروت- صيدا مروراً ببلدة الدامور، التي تسيطر عليها القوات الإنعزالية، وصدر القرار باقتحام بلدة الداور وأوكلت المهمة للأخ سعيد مراغة (أبو موسى) بصفته قائد قوات فتح في الجنوب آنذاك.

لجأ أبو موسى إلى محاولة توسيط قيادات مسيحية لتحقيق هذا الهدف عن طريق التفاوض، إلا أن جميع الجهود باءت بالفشل، وكان رد القوات الإنعزالية بشعاً للغاية حيث أقدمت على اعتقال اثنين من عناصر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على الحاجز الرئيس في بلدة الدامور وقتلوهما بفظاعة حيث أوثقوا رباط كل منهما إلى برميل من الزفت وأشعلوا بهما النار أمام أعين المارة، وفي الوقت نفسه كانت القوات اللبنانية تواصل قصفها لمخيم تل الزعتر، كما حاصرت مخيم ضبية (١/١١/ ١٩٧٦م).

ووردت معلومات إن الرئيس كميل شمعون انتقل إلى قصر السعديات الكائن إلى الجنوب من بلدة الدامور لتنفيذ خطة تهدف إلى فتح معركة واسعة في جبل الشوف ضد غريمه التقليدي كمال جنبلاط بتطويق معقله الأساس تمهيداً لإسقاطه وفرض شروط المنتصر. وتقضي الخطة بالتقدم على محورين:

المحور الأول: ينطلق من السعديات – الجيه – الرميلة – علمان – البرامية – الصالحية – لبعه – عين المير – انان – روم – جزين، ويكون بذلك بمنطقة الشوف من الجنوب بخط طولي بداية من البحر إلى أعلى بداية سلسلة جبل الباروك، معتمداً في تقدمه من خلال هذه البلدات المتصلة على حزب الكتائب الذي له فيها خلايا مسلحة نائمة وسوف تشكل نقاط إرتكاز واستقبال للقوة القادمة من السعديات.

المحور الثاني: ينطلق من الدامور – ملتقى النهرين – دميت – كفر حيم – دير القمر وفي حال السيطرة على هذا المحور، يصبح جبل الشوف مقسما إلى قسمين هما:

أ- القسم الأول ويشمل بعقلين – المختارة – شحيم.

ب- القسم الثاني ويشمل عاليه – بحمدون – صوفر.

وارتكزت الخطة المضادة التي وضعها سعيد مراغة "أبو موسى" إلى إمكانية التصدي من خلال القوات في صيدا وفي المخيمات للقوة الإنعزالية التي قد تتقدم على المحور الأول، لقربه من المواقع وإمكانية حشد مقاتلين من القواعد في الجنوب اللبناني وبالتالي بالمستطاع إفشال الخطة الإنعزالية على المحور الأول. أما المحور الثاني المتجه إلى دير القمر فلم تكن بالقرب منه قوات عسكرية وهو الأخطر، حيث أن بلدة دير القمر هي القاعدة الشعبية والعسكرية، وهي التي تواجه أهم بلدتين بهذا القاطع وهما (المختارة وبعقلين). وتمت الدعوة لقادة الأحزاب والقوى الوطنية للبحث في وجهة القيادة الفلسطينية من الموقف على ضوء خطة كميل شمعون وفي نهاية الاجتماع تم الإتفاق على الآتي:

١- ضرب القاعدة التي ستنطلق منها القوات الإنعزالية بما يعنيه ذلك من مهاجمة قوات حزبي الكتائب والأحرار في الدامور والسعديات.

٢- ضرورة موافقة كمال جنبلاط ؛لأن الاشتباكات ستقع ضمن منطقة الشوف التي لم يسبق أن وقع بها صدامات مسلحة مع القوات الإنعزالية منذ تفجر الحرب الأهلية اللبنانية. وبالفعل قام عصام اللوح، بنقل المعلومات إلى كمال جنبلاط الذي وافق على الخطة المعروضة عليه.

خطة الهجوم:

١- أن تكون ساعة الصفر الساعة الواحدة من صباح ١٩٧٦/١/١٧م على أن يكون الهجوم صامتاً، أي بدون قصف تمهيدي لنحقق ونكسب عامل المفاجأة.

٢- أن يكون الهجوم (جبهوي على جبهة واحدة) من الشمال إلى الجنوب لإفساح المجال لمن يريد الخروج إلى موقع قصر السعديات وأن تقتحم القوات مواقع الإنعزاليين من الجناحين ومن القلب والدخول إلى بلدة الدامور.

٣- ومن أجل تأمين الجناح الأيسر أثناء دخول بلدة الدامور، والذي هو في الجهة الأعلى جغرافيا منها على الطريق الذي يربط بلدة (بعورتا) مع بلدة الدامور، تم تأمين فصيل مجهز.

بدأت المعركة بالوقت المحدد، وتمكنت قواتنا من إقتحام مواقع الإنعزاليين وأن تدخل جزءا من الدامور، وعندها ثبت أن الفصيل المكلف بحماية الجناح الأيسر، لم يتمكن من تحقيق هدفه وأنه عاد إلى الموقع الذي انطلق منه. وشكل هذا الخلل في تنفيذ الخطة واقعا جديد، فرض إعطاء الأمر (بالانسحاب) للقوات من المواقع التي تم احتلالها، خشية وقوع تلك القوات تحت رماية الإنعزاليين، بما يعرضها لخسائر جسيمة، كما وأن هذا الخلل فوت فرصة حسم المعركة، وعرض الهجوم للفشل.

بعد فشل الهجوم الأول أعيد تنظيم القوات، وأدخل تعديلاً على الخطة بأن يكون الهجوم الثاني على النحو الآتي:

١) يتم تحشيد القوات المهاجمة أثناء الليل إلى مواقع الانطلاق للمعركة.

٢) تكون ساعة الصفر مع طلوع شمس ١٩٧٦/١/٢١م.

٣) يصار إلى قصف مدفعي تمهيدي (مركز ومكثف) على مواقع الجيش اللبناني والقوى الإنعزالية المتواجدة على أطراف بلدة الدامور وداخلها.

٤) يتم الهجوم على جبهتين من الشمال باتجاه الجنوب ومن الغرب – من خلال بساتين الموز – إلى الشرق، مع ترك الجهة الجنوبية للبلدة مفتوحة باتجاه قصر السعديات.

تم تنفيذ الخطة حسب المقرر، ولم تدم المعركة سوى عدة ساعات تمت بعدها السيطرة على كامل بلدة الدامور وأطرافها، ولم تتجاوز خسائرنا في هذه المعركة أكثر من عشرة عناصر بين شهيد وجريح، أما خسائر القوات الإنعزالية فقد كانت كبيرة.

كان بعض أهالي الدامور قبل اقتحامها قد تسللوا من الجهة الجنوبية للبلدة إلى قصر السعديات واحتشدوا حواليه الأمر الذي جعل الهجوم على القصر سينجم عنه خسائر كبيرة بين الأهالي، لذلك تقرر إرسال موفد إليهم من قبل الحركة الوطنية اللبنانية ليبلغهم استعداد قواتنا لإيصال كل عائلة إلى المكان الذي تريده، وتم تكليف صلاح التعمري أن يقوم باستئجار وسائط نقل مدنية تكون جاهزة وقت الطلب، إلا أن رد الأهالي كان سلبياً وأبلغونا أنهم يريدون الانتقال إلى المنطقة الشرقية من بيروت.

شوهدت مروحية تهبط في قصر شمعون في صباح يوم ١٩٧٦/١/٢٢م وعلمنا أن نجل الرئيس كميل شمعون قد جاء ليحل مكان والده، لذا أقلعت الطائرة المروحية وهي تقل كميل شمعون، وبعدها شوهدت بواخر لنقل الركاب راسية في البحر قبالة قصر السعديات وأنزلت قوارب لنقل الأهالي المدنيين إلى بيروت الشرقية، واستمرت عملية النقل يومين دون أن تعيقهما قواتنا، وبعد تأكدنا من مغادرة الأهالي بقي في القصر وحوله وحدات المغاوير التابعة للجيش اللبناني، بالإضافة إلى وجود داني شمعون، وتجنباً للمواجهة مع قوات الجيش اللبناني التي كانت في وضع ميؤوس منه، قمنا بإرسال عرض سلمي مع قائمقام الشوف ينص على تقديم الحماية والتسهيلات لوحدات المغاوير في القصر والسماح لهم بالمغادرة مع آلياتهم بسلام عن طريق الدامور مثلث خلده ثم الحدث، وصولاً إلى بيروت الشرقية. وأن يغادر معهم داني شمعون شريطة أن يوقع معنا وثيقة بتسليمنا القصر.

وعاد لنا قائمقام الشوف بالموافقة على العرض السلمي، لكن داني شمعون يرغب بمغادرة القصر عن طريق البحر، وأن الموفد أبلغه بأن تسليم القصر سيتم في الساعة الثامنة من صباح يوم ١٩٧٦/١/١٤م بحضور كل من العقيد محمود أبو ضرغم، والعقيد دويتس اللذان كانا مع والده كميل شمعون في القصر.

تزامن هذا الانتصار في الدامور مع سقوط مخيم (ضبية) للاجئين الفلسطينيين بيد قوات الأحرار بقيادة داني شمعون وكان المسؤول العسكري لفتح في المخيم مأمون مريش قد تم اعتقاله، وأجرت معه قوات الأحرار مقابلة تلفزيونية كأسير ثم أطلقت سراحه، ولهذا أرسلت القيادة من بيروت باعتماد مأمون مريش ليكون هو الذي يحمل إلى داني شمعون وثيقة استلام قصر السعديات. حضر العقيد محمود أبو ضرغم على رأس وفد عسكري لبناني إلى الدامور صباح ١٩٧٦/١/٢٤م، حيث تم وضع خطة نقل وحركة المغاوير لبيروت الشرقية تحت حماية القوات المشتركة ومغادرة داني شمعون القصر بعد توقيع الوثيقة، ثم تحرك الوفد العسكري اللبناني يرافقه مأمون مريش نحو قصر السعديات، وعندما عرض مأمون وثيقة

استلام القصر على داني شمعون ليوقعها تفرس في وجهه وقال: أليس أنت الذي إستسلم لي في مخيم ضبيه..؟ فرد عليه مأمون نعم أنا وبعدها وقع على الوثيقة.

وبخروج مغاوير الجيش اللبناني من قصر السعديات ومحيطه أقدمت قوات الجيش اللبناني المتواجدة في مطار بيروت ومحيطه على رفع الحاجز العسكري الذي إقامته عند بلدة خلده طوعاً وبذلك أصبح الطريق الدولي من بيروت إلى صيدا سالكاً للمرور.

شهادة محمد مصلح العزة (مصعب العزة)في معركة الدامور:

تحركت برفقة أبي الطيب لتمرير القوات عن طريق خلده – الدامور لاجتياز حاجز الجيش اللبناني في خلده واستمرت محادثات الأخ أبو الطيب وحاجز الجيش اللبناني لفترة طويلة دون نتيجة، وفي النهاية ارتأيت أن أعود لأسلك طريق أخرى عبر عرمون ثم الجبل تحديداً بلدة "بعورتا" وبالفعل عدت وسلكت ذلك الطريق ووصلت إلى حارة الناعمة بحدود طلوع الفجر واجتمعت بأبي موسى بصفته قائداً لمنطقة الجنوب، وكوني سأقوم بالهجوم على الدامور والسعديات وبعد يومين من التمركز قمت بالهجوم بعد التنسيق مع المدفعية التي قصفت المنطقة حوالي نصف ساعة تبعها هجومنا الذي استغرق وقتاً قصيراً تمكنا خلاله من اختراق المتاريس المهمة في الدامور، وطلب الجيش اللبناني من خلال العقيد "أبو ضرغام" ولوجود الرئيس كميل شمعون في قصر السعديات وقف إطلاق النار، وبالفعل أبلغنا بإرسال وفد للتفاوض، فتشاورت مع أبي موسى واتفقنا على أن نطلب من أبي عمار أن يرسل مأمون مريش رحمه الله للتفاوض معهم رداً على حصار مخيم تل الزعتر الذي أعطى الإنعزاليين نشوة الانتصار، وقد وصل مأمون مريش إلى مقرنا وطلبنا منه أن يلتزم بالشروط الآتية قبل الموافقة على وقف إطلاق النار وهي: الإنسحاب من الدامور والسعديات والناعمة من قبل جميع القوى الإنعزالية والجيش اللبناني، وبعد ذلك ممكن الموافقة على أية طلبات للطرف الآخر. ووافق الجيش اللبناني والإنعزاليون على هذا الشرط، وأرسل زورق إلى قصر السعديات وتم نقل داني شمعون إلى جونيه عبر البحر وانسحب الجيش اللبناني والقوى الإنعزالية.

انشقاقات الجيش اللبناني:

وصف العميد الأول الركن عزيز الأحدب حالة الجيش اللبناني قبل القيام بانقلابه فقال: "ساهم معظم السياسيين بتهديم الجيش والمس بكرامته، والنيل من معنوياته عن طريق:

١- التشكيك بقدرة الجيش في القيام بواجباته العسكرية.

٢- مهاجمة الجيش في الصحف وانتقاده من خلال المؤتمرات الصحفية والمزايدات الحزبية.

٣- عدم تقوية الجيش ليكون بمستوى التحدي الإسرائيلي على الحدود.

٤- تشكيل المليشيات العسكرية وإحلالها مكان القوات المسلحة النظامية

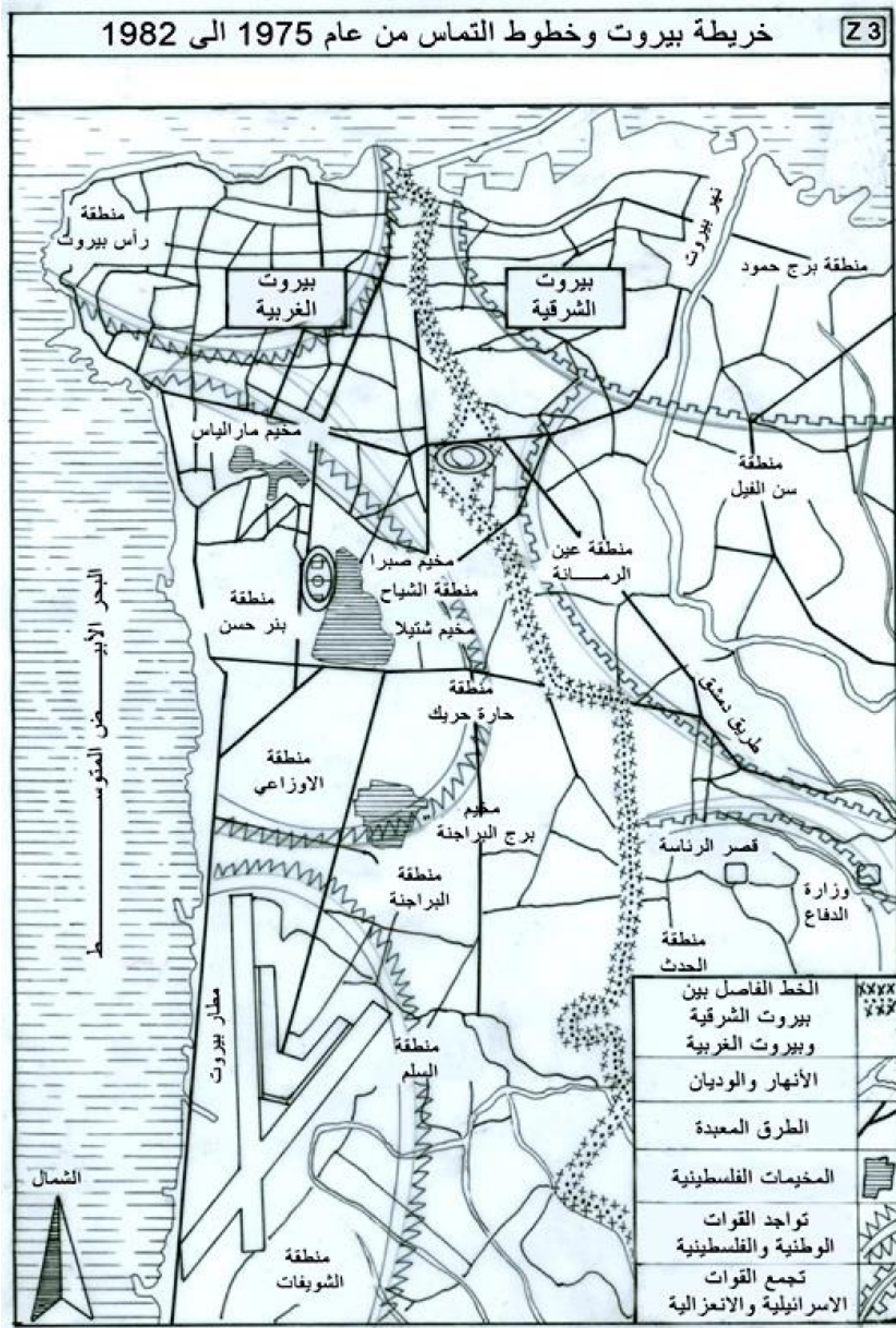
٥- عدم إشراك الجيش في القرارات السياسية التي لها تأثير على مصير لبنان.

إن مؤسسة الجيش المشكلة من جنود ورتباء وضباط ليست كلها من طبقة اجتماعية واحدة، وأن الجنود والرتباء في معظمهم هم من أبناء الفئات المحرومة، وهؤلاء مهيئون أكثر من غيرهم لفضح سياسة النظام في قمع تحركات أبناء مناطقهم ضد التخلف، وهم على استعداد أكثر من غيرهم لتبني مطالب إخوانهم العمال والفلاحين لأنهم يتحسسون أوضاعهم ويدركونها بعفوية واقعية ملموسة وهم أيضا ضحية النظام الاستغلالي فيعطون دماءهم وحياتهم من أجل راتب شحيح ضئيل لا يكفي سوى حاجاتهم الأساسية الملحة.لقد كانت صلاحيات قائد الجيش مبالغ فيها على النحو الآتي:

١- يملك الحق في التصرف بما قيمته (١٠ ملايين ليرة لبنانية) بدون رقابة (وهذا مبلغ ضخم في الستينيات والسبعينيات)، لأن الدولار كان يساوي ما بين ٣-٤ ليرات فقط.

٢- يملك صلاحية تغيير تعليمات تطبيق أحكام قانون الجيش بالشكل الذي يراه مناسبا.

٣- يحدد نوع الأعتدة العسكرية والمعدات مباشرة ويضع شروطها ويعين لجان التلزيم التسليم.



Z3
خريطة بيروت وخطوط التماس من عام 1975 الى 1982
منطقة
رأس بيروت
بيروت
الغربية
بيروت
الشرقية
نهر بيروت
منطقة برج حمود
مخيم مار الياس
منطقة
سن الفيل
مخيم صبرا
منطقة الشياح
مخيم شتيلا
منطقة عين
الرمانة
منطقة
بئر حسن
البحر الأبيض المتوسط
منطقة
حارة حريك
طريق دمشق
منطقة
الاوزاعي
مخيم
برج البراجنة
قصر الرئاسة
وزارة
الدفاع
منطقة
البراجنة
منطقة
الحدث
مطار بيروت
منطقة
السلم
الشمال
منطقة
الشويفات
الخط الفاصل بين
بيروت الشرقية
وبيروت الغربية
الأنهار والوديان
الطرق المعبدة
المخيمات الفلسطينية
تواجد القوات
الوطنية والفلسطينية
تجمع القوات
الاسرائيلية والانعزالية

ويضيف الأحدب: إن أبرز سمات التسلط العسكري والتي ادعى أنها أدت لاتخاذ قرار الإنقلاب تمثلت في فقدان المقاييس للتشكيلات والترقيات والتعيينات واعتماد هيكلية لقيادة الجيش حصرت الصلاحيات بقائد الجيش انطلاقا من الصلاحيات التي كان يتمتع بها قائد قوات الشرق الخاصة أيام الانتداب الفرنسي. ووضع الجيش في تصرف رئيس الجمهورية جعل السلطة السياسية بكاملها بعيدة عن العمل العسكري كما كان متبعا أيام الإنتداب الفرنسي بالنسبة إلى المفوض السامي. إضافة إلى ربط القرار السياسي والإداري والعسكري بقائد الجيش تحت وصاية رئيس الجمهورية مباشرة. وعدد الأحدب مساوئ القيادة وتعطيل الكفايات وعدم الشعور بالمسؤولية في نقاط محددة هي:

١. عدم تحديد هوية لبنان أدخل العسكريين في فراغات مثل عدم معرفة عدو لبنان، وعدم اعتماد خط واضح في الإعلام والتوجيه والثقافة العسكرية، وضياع العقيدة القتالية وهوية القوانين العسكرية.
٢. تجاهل الكفايات والاختصاص واعتماد الطائفية والمذهبية في الوظائف الحساسة في الجيش وإبعاد فئات معينة بسبب انتمائها الطائفي أو المذهبي.
٣. إضعاف الجيش من الناحية العددية للمحافظة على التوازن الطائفي وعدم قبول المتطوع المسلم إلا برفقة متطوع مسيحي.
٤. تسلط فئة معينة على أجهزة الشعبة الثانية بحيث تحولت من مؤسسة ترعى سلامة وأمن الوطن والمواطنين إلى جهاز قمع المواطنين بعضهم ببعض، والمحافظة على مصالح فئة معينة وامتيازاتها.
٥. توريط الجيش في الأمور الحزبية والسياسية مما أدى إلى هوة كبيرة بين الجيش وفئات كثيرة من الشعب أظهرته كأنه لفئة من دون الأخرى.
٦. لقد كانت القوى المسيطرة على الجيش اللبناني والتي برز ضعفها في المواجهات مع إسرائيل وضد الاعتداءات الإسرائيلية على بيروت تبذل قصارى جهدها لشن معركة حاسمة ضد الوجود الفلسطيني في لبنان ومحاولة القضاء على المقاومة الفلسطينية، فلجأت إلى تجريب حظها في إعلان الحرب على المقاومة، واقتحام المخيمات ونزع السلاح الفلسطيني بدلاً من دعم المقاومة وتعزيز قدرات الجيش باتجاه وحماية سيادة لبنان.

وعندما عادت الحرب الأهلية اللبنانية إلى ضراوتها دعت قيادات المليشيات الانعزالية إلى التعبئة العامة، وتزامن هذا التصعيد مع انشقاقات داخل الجيش اللبناني على النحو الآتي:

أولا: جيش لبنان العربي:

نشأت ظاهرة "جيش لبنان العربي" مطلع ١٩٧٦م، فقد بدأت مجموعات من الجنود والضباط تتمرد عل قياداتها وتخرج من الثكنات مع أسلحتها وآلياتها، وكان أبرز وجوه الحركة الرائد أحمد المعاري والملازم أول أحمد الخطيب وكلاهما من الوطنيين السنة داخل الجيش ومن جنوب لبنان. وقال العقيد سليم مغبغب: "منذ البداية اعتبرت تصرف الملازم أول أحمد الخطيب ردة فعل محقة على وضع سائد ظالم داخل الجيش، لكن لم أكن أتوقع أن تتم بهذه السهولة، لقد كنت مع كثيرين غيري من الضباط من مختلف الفئات نشعر بأن هناك غبنا لاحقا بالعسكريين المسلمين الذين كانت المراكز الرئيسة بعيدة عن متناولهم إذ كانت وقفا على المنتمين إلى طائفة معينة. هل كان الضابط المسلم يصبح رئيسا للشعبة الثانية مثلاً.؟ لا. هل كان يمكنه أن يتبوأ أي مركز في القيادات الأساسية للمناطق.؟أيضا لا.. وغير ذلك مما سبب شعوراً بالغبن عند كثيرين، خصوصا من الضباط الجدد".

في الساعة التاسعة من صباح يوم ١٩٧٦/١/٢١م تحرك الملازم أول أحمد الخطيب والرائد أحمد المعاري من منطقة الجنوب، ووصل على رأس عناصره إلى منطقة البقاع، وكان على وشك السيطرة على ثكنتي ابلح ورياق، إلا أن قواته تمركزت على ظهر البيدر وجسر النملية، وبعد ذلك بدأت سلسلة من الانشقاقات والانضمام "لجيش لبنان العربي" النحو الآتي:

١- يوم ١٩٧٦/٣/٨م انضم قائد موقع "ارنون" العسكري الذي يقع شرق بلدة النبطية مع جميع عناصره إلى جيش لبنان العربي وتم الاستيلاء على جميع الأسلحة والذخائر وعلى عدد من الآليات ويعتبر ذلك الموقع من مراكز المدفعية المهمة في منطقة الجنوب.

٢- يوم ١٩٧٦/٣/٩م انضمت حامية راشيا الوادي بكامل عناصرها واعتدتها إلى جيش لبنان العربي، وأعلن الرائد إبراهيم شاهين تأييده لحركة الخطيب مع كل ضباط وجنود كتيبة المشاة الثامنة.

٣- يوم ١٩٧٦/٣/١٠م انضمت ست ثكنات عسكرية إلى جيش لبنان العربي منها أربعة في الشمال هي ثكنات حنا غسطين في عرمان شمال طرابلس، وموقع تربل العسكري إلى الشرق من بلدة المنية، وثكنة القبة أيضاً، وثكنات في الجنوب هي ثكنة يوسف الخيام، وثكنة أنور عثمان (مرجعيون)[١٠].

---

(١٠)"كتاب البيان رقم (١)"، انقلاب العميد الركن عزيز الأحدب دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧ص١٥.

ثانياً: جيش التحرير اللبناني:

كانت قضية القبيات القشة التي قصمت ظهر البعير.. فبعد أن قام الجيش بتطويق البلدة ومهاجمتها بحجة أن بعض السكان قطعوا الطرق وأقاموا الحواجز تأكد للرائد أحمد المعاري قائد جيش لبنان العربي في الشمال بأن المعلومة مغلوطة، لكن تحرك الجيش أثار حفيظة الجنود المسيحيين في ثكنة صربا وفي القاعدة البحرية في جونيه، فقاموا بالانشقاق يوم ١٩٧٦/٣/٥م وخرجوا بملالات الجيش وقد كتبوا عليها عبارة (جيش التحرير اللبناني).

ثالثاً: جيش العماد حنا سعيد:

كان ارتباطه مع رئيس الجمهورية ويضم جميع العناصر الموزعة إلى مخافر الحراسة للثكنات والمنشآت العسكرية، وإلى حواجز منتشرة لمكافحة تهريب الأسلحة في كافة الأراضي اللبنانية، وكذلك قوة قيادة بيروت التي لم يتجاوز عددها الألف عنصر وكانت موزعة بين قيادة المنطقة ومجلس النواب ومبنى الإذاعة ومبنى شركة التلفزيون في تلة الخياط وحراسة بعض المؤسسات العامة وثكنات المنطقة.

رابعا: انقلاب العميد الأول الركن عزيز الأحدب:

قام العميد الأول الركن عزيز الأحدب قائد منطقة بيروت بانقلاب عسكري بتاريخ ١٩٧٦/٣/١١م[١١] حيث انطلق على رأس قوة مدرعة من قيادة منطقته في شارع فؤاد الأول، فاحتل مبنى شركة التلفزيون في تلة الخياط، ثم مبنى الإذاعة اللبنانية ومنها بث البلاغ رقم (١) الذي جاء فيه: "أنه إنقاذا لوحدة الجيش، وإعادة اللحمة إلى العسكريين، وإنقاذاً للوضع المتدهور في البلاد ولمّا كانت الحلول قد ذهبت إدراج الرياح، وحفاظا على المصلحة العامة اللبنانية العليا وإعادة اللحمة إلى الشعب اللبناني الكريم، وبوحي من ضميري وأصالتي العسكرية وانطلاقا من مسؤوليتي أمام الله والتاريخ أقرر ما يلي:

١- أطلب من الحكومة اللبنانية تقديم استقالتها خلال أربع وعشرين ساعة وإلا اعتبرت بحكم المستقيلة.

---

(١١)كشف جوزيف أبو خليل في التاريخ نفسه في كتابه "قصة الموارنة في الحرب" الصادر عن شركة المطبوعات- بيروت ١٩٩٠م كيف أنه أبحر من نادي اليخوت في جونيه سنة ١٩٧٦م، وكيف استقبله ضابط مخابرات إسرائيلي يدعى "أبو داوود"، ثم التقى في الليلة نفسها شمعون بيريز، وهكذا بدأت مرحلة جديدة في علاقة حزب الكتائب بإسرائيل، وكان المسؤول عن الاتصال بهذا الحزب آنذاك (مناحيم نافوت) الملقب مندي من الموساد، وكانت الأسماء الحركية لبعض مسؤولي الكتائب لدى الموساد على النحو الآتي: جوزيف أبو خليل (البير)، زاهي البستاني(مارلون)، سليم الجاهل (ميشال سان أندريه) أنطوان نجم (نبتون) أسعد الشفتري (غي) وكان وليد فارس "وودي" ضابط ارتباط القوات اللبنانية بإسرائيل، وهذا يؤكد أن القادة السنة في الجيش اللبناني كانوا في حالة احتقان من سلوك بعض القادة السياسيين اللبنانيين من الانعزاليين واتصالاتهم مع العدو الإسرائيلي.

٢- أطلب من فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية محافظة على الوحدة اللبنانية أن يمتثل بزميله الأسبق بشارة الخوري ويقدم استقالته من سدة الرئاسة وإلا اعتبر بحكم المستقيل.

٣- أطلب من جميع القطاعات المدنية والعسكرية أن تؤيد حركتي الإصلاحية وأن تلتزم بالهدوء والسكينة تحت طائلة المسؤولية.

٤- أعلن حالة الطوارئ في البلاد وأمنع التجوال في منطقة بيروت حتى إشعار آخر.

٥- أدعو مجلس النواب خلال (سبعة أيام) من تاريخ هذا القرار إلى انتخاب رئيس جديد للبلاد.

٦- أدعو فخامة رئيس الجمهورية الجديد إلى تشكيل حكومة جديدة فور انتخابه.

حرب الفنادق والأسواق التجارية والجبل:

بعد انقلاب الأحدب وما تلى ذلك من أحداث كتوحيد حركتي الأحدب والملازم أحمد الخطيب يوم ١٩٧٦/٣/١٥ وإعلان رئيس الحركة الوطنية اللبنانية كمال جنبلاط بأن هذا التوحيد محصور ريثما يتم تشكيل جيش وطني لبناني عربي ينصهر فيه الجميع ويحقق توازناً وطنياً.

ظهر توتر في بيروت وبعض الضواحي، حيث وقع اشتباك قوي دار على محور الفنادق – برج المر استعملت فيه الأسلحة الثقيلة والرشاشات والمدفعية، وتعرض برج المر لقصف شديد، في حين تقدمت "القوات المشتركة" وتمركزت في فندق فينيسيا، كما سمعت طلقات نارية في المنطقة التجارية على محور باب ادريس وشارع جورج بيكو، واندلعت اشتباكات على طول خط طريق الشام – سوديكو ورأس النبع، واشتد القصف المتبادل على جبهة الشياح – عين الرمانة، وسقط في جميع الاشتباكات المذكورة (١٨ قتيل) و(٢٠ جريح) ووجدت (٢٥ جثة مجهولة الهوية).

وتزامن تصعيد الاشتباكات مع تصعيد سياسي حيث أجمعت الأحزاب والقوى السياسية على ضرورة استقالة الرئيس اللبناني سليمان فرنجية الذي أصر على البقاء في الحكم قائلاً: "إذا أرادوا إخراجي فلن يكون ذلك إلا على جثتي" مشيراً إلى بعض الآراء التي كانت تتحدث عن "الحسم العسكري" في لبنان وتحديداً موقف كمال جنبلاط الذي اعتبر أن الوقت الذي يمر يجعل الحل العسكري للأزمة السياسية شبه مستحيل، قاصدا الموقف السوري الذي يرى أن الحل العسكري هو انقلاب لمعادلات السياسة اللبنانية.

بدا في ٣/١٧/ ١٩٧٦م أن موضوع الحسم العسكري قد سقط نتيجة لاتفاق دمشق الذي لعب دوراً أساسيا فيه الرئيس الأسد بحضور عبد الحليم خدام، حكمت الشهابي، ياسر عرفات، صلاح خلف، زهير محسن، نايف حواتمة، الأمام موسى الصدر ووفد حزب الكتائب الذي يضم جورج

سعادة وكريم بقرادوني، ويقضي الاتفاق بعدم اللجوء إلى القتال لحسم مسألة استقالة الرئيس اللبناني سليمان فرنجيه. هذا الاتفاق كان ضد رغبة كمال جنبلاط، وهو الأمر الذي يفسر اشتعال المعارك في منطقة جبل لبنان بما في ذلك المتن والشوف ليلة ١٩٧٦/٣/١٨م، فيما شهد النهار أشد الاشتباكات على جبهة الكحالة – عاليه، ويمكن التأريخ لحرب الفنادق اعتباراً من ١٩٧٦/٣/١٨م، حيث انفجرت حرب طاحنة استخدمت فيها الدبابات والمصفحات والصواريخ.

وجاء يوم ١٩٧٦/٣/١٩م الذي كاد أن يشعل فتنة كبرى في لبنان، فبينما كان كل من الرؤساء كامل الأسعد وصائب سلام ورشيد كرامي يتأهبون للصعود إلى الطائرة السورية التي ستقلهم إلى دمشق من مطار بيروت.. صعد إلى الطائرة كل من الرئيسين رشيد كرامي وصائب سلام ومرافقيهما، وذلك قبل وصول الرئيس كامل الأسعد بلحظات. وفجأة دوى انفجار هائل، واشتعلت النار في الطائرة وكادت تلتهم جميع من فيها، وبأعجوبة تم إنقاذ الركاب وكان آخر من غادر الطائرة المشتعلة الرئيس صائب سلام الذي قفز من باب الطوارئ بعد أن حالت النيران دون نزوله من الباب العادي، وبعد التحقيق تبين أن صاروخين انطلقا نحو الطائرة فأصاب أولهما أرض المطار في حين أصاب الثاني الطائرة مباشرة. وقيد الحادث ضد مجهول رغم كل الإشاعات التي قالت بأن الرئيس سليمان فرنجية كان وراء الحادث.

أعلن كمال جنبلاط عن تشكيل "جيش فخر الدين" بتاريخ ١٩٧٦/٣/٢٠م داعياً القوى الوطنية من حزبية وعسكرية وشعبية "من زغرتا إلى جزين" إلى مواصلة المعركة إلى أن يستقيل سليمان فرنجية(*) مؤكداً أنه ما من منطقة في جبل لبنان إلا ويمكن السيطرة عليها من عالية وحتى زغرتا مطالباً الأهالي بضرورة استنكار ممارسات حزب الكتائب والوطنيين الأحرار.

(*)سليمان قبلان فرنجية: (١٩١٠/٦/١٥-١٩٩٢/٧/٢٣م) رئيس الجمهورية اللبنانية من ١٩٧٠ – ١٩٧٦م، انتخب سنة ١٩٦٠م كعضو في المجلس النيابي خلفا لاخيه حميد، واعيد انتخابه سنوات ١٩٦٤ و١٩٦٨، انتخب عام ١٩٧٠ رئيسا بفارق صوت واحد (٥٠ ضد ٤٩) امام الياس سركيس، خلفا للرئيس شارل حل، شهد عهده ٧ حكومات ترأسها ٦ رؤساء مختلفون وهم صائب سلام (مرتين) امين الحفاظ، تقي الدين الصلح، رشيد الصلح، نور الدين الرفاعي، رشيد كرامي، كما شهد عهده بداية الحرب الاهلية اللبنانية وذلك في ١٩٧٥/٤، عارضت الحركة الوطنية اللبنانية حكمة وطالبت باستقالته في ١٩٦٧/١/٢٤م وقع ٦٦ نائبا عريضة تطالبه بالاستقالة، لكنه رفضها مصرا على انهاء ولايته، كان من اركان الجبهة اللبنانية حتى انفصاله عنها عام ١٩٧٨م بعدما ساءت علاقته بباقي اعضاءها، وادت هذه الخلافات الى قيام عناصر من القوات اللبنانية بقيادة سمير جعجع بالهجوم على معقله باهدن مما ادى الى مقتل نجله طوني قائد مليشيا المرده رشح نفسه لرئاسة الجمهورية خلفا لامين الجميل سنة ١٩٨٨، لكن حصلت عدة امور ادت الى الغاء الانتخابات حيث لم يتفق اعضاء البرلمان على انتخاب رئيس، بينما حاولت سوريا والولايات المتحدة فرض انتخاب مخايل الضاهر رئيسا للجمهورية، فبهذه الاحداث لم تجري الانتخابات بموعدها وسلم الرئيس الجميل السلطة لحكومة عسكرية بقيادة قائد الجيش ميشال عون ولم يعترف بهذه الحكومة عدد كبير من السياسيين واعترفوا بحكومة كانت قائمة برئاسة سليم الحص رئس الوزراء بالنيابة آنذاك، وتم بهذه الفترة عقد مؤتمر الطائف بين الاطراف اللبنانية، وتم عقد اتفاق الطائف وبعد الاتفاق تم الاتفاق بين السياسيون المشاركون في المؤتمر وبموافقة السعودية وسوريا وعدد من الدول على انتخاب الرئيس رينيه معوض رئيسا للجمهورية وكانت تربط الرئيس فرنجية علاقة مميزة مع الرئيس السوري حافظ الاسد، خلفه سياسيا حفيده سليمان فرنجية، توفي في زغرتا في ١٩٩٢/٧/٢٣م.

وظلت جبهة الفنادق مشتعلة، حيث شهدت تراشقاً عنيفاً بالصواريخ والهاونات والرشاشات الثقيلة على كل المحاور، ونشطت أعمال القنص، وفي المنطقة التجارية استمرت أعمال القنص وخصوصا في ساحة الشهداء، أما جبهة طريق الشام والشياح وعين الرمانة والنبعة وسن الفيل ومحور الكحالة – عالية فقد تحولت إلى ساحات حرب دموية.

وعلى الجانب الفلسطيني فقد وجه الرئيس عرفات كلمة عبر إذاعة صوت فلسطين بمناسبة الذكرى الثامنة لمعركة الكرامة قال فيها: إن ما يحدث في لبنان هو جزء من المخطط الذي قال عنه "بن غوريون" والذي يهدف إلى إنشاء دويلات صغيرة، وأن لبنان يتعرض لمؤامرة حيث يريدون تقسيمه.

انفجرت بيروت ليلة ١٩٧٦/٣/٢١م وتقاذفت فوقها القذائف وتصاعدت ألسنة اللهب في أسواقها التجارية، وكانت الصواريخ تنفجر بين البنايات وفي الشوارع "متزامنة مع اشتعال جبهات الجبل والكحالة وعالية إلى ظهور الشوير وبكفيا في المتن، وتبادلت المنطقتان الغربية والشرقية قذائف المدفعية. وشهدت جبهة الفنادق تبدلاً سريعاً بعد أن احتلت "القوات المشتركة" فندق هوليداي إن، واستمر القصف بين محور الفينيسيا – ستاركو وامتد القصف إلى كل أنحاء العاصمة، وسقط عدد كبير من القتلى والجرحى، والتهمت النيران كل موجودات السرايا الكبيرة ومكتب رئيس الحكومة والوثائق والمستندات والمحفوظات.

استعاد "المرابطون"(*) والقوات المشتركة السيطرة على محور الهوليداي إن – السان شارل في ١٩٧٦/٣/٢٢م، بعد معركة عنيفة بالدبابات والمدفعية، حيث قدر عدد القتلى والجرحى ١٠٠ قتيل و٢٠٠ جريح، وكانت قوات الكتائب قد تمكنت في هجوم سريع مهدت له بقصف مدفعي مركز من اقتحام فندق هوليداي إن في الساعة السادسة صباحاً وسيطرت كذلك على فندق فينيسيا وتحكمت بطرق التموين في منطقة عين المريسة، إلا أن القوات المشتركة عاودت الهجوم على قوات الكتائب مستخدمة الدبابات وأعلن "المرابطون" السيطرة على منطقة السان شارل ونادي

(*) حركة "المرابطون"، ذات التوجه الناصري: مؤسسها هو إبراهيم قليلات "أبو شاكر"، مواليد ١٩٤٠م من أسرة مناضلة، كانت أول مشاركاته السياسية عام ١٩٥٦م دعماً لعبد الناصر عند تأميم القناة إذ التحق بمعسكر أبو قير ثم عاد إلى لبنان ليشارك عام ١٩٥٨م بالثورة ضد الرئيس كميل شمعون داعماً للموقف الناصري العروبي ضد جماعة حلف بغداد. عام ١٩٦٧م بعد خروجه من السجن بتهمة التحريض على قتل صحافي مناهض لعبد الناصر، ألف جماعة الناصريين المستقلين، عام ١٩٧٥م انضم الناصريون المستقلون إلى الحركة الوطنية اللبنانية بزعامة كمال جنبلاط، وشارك مقاتلوها بالتحالف مع قوات الحركة الوطنية في المعارك بوجه ميليشيات الجبهة اللبنانية اليمينية بزعامة كميل شمعون وبيار الجميل. وكان معظم مقاتليها من أبناء بيروت الذين أرادوا الدفاع عن أحيائهم، واكتسبت الحركة شهرة بعد انتصاراتها في معارك الفنادق في بيروت أمام الميليشيات اليمينية، فأصبحت ميليشيا الحركة التي سميت بالمرابطين تيمناً بفاتحي الأندلس، وأصبحت من أكبر الميليشيات السنية. كانت علاقتي مع إبراهيم قليلات علاقة جيدة وكان التنسيق العسكري والأمني بيننا على أكمل وجه، وجميع المعارك التي خاضتها هذه الحركة كانت بالاشتراك معنا، وكنا دائما نقدم لهم الدعم وظل المرابطون أوفياء للقضية الفلسطينية حتى آخر رمق وحين تخلى عنا الأصدقاء إلا أنهم بقوا على وفائهم لنا حتى النهاية. كان ناشطو الحركة في ١٩٨٧م يتألفون من نسبة ٤٥% من المسلمين السنة و٤٥% من المسلمين الشيعة و١٠% من الدروز. ربطتها علاقة وطيدة بحركة فتح وفي تاريخها العسكري، شاركت في مقاومة الاجتياح سنة ١٩٨٢ م وخصوصاً على محاور المرفأ والمتحف حيث تصدت لهجوم إسرائيلي كبير في الرابع من آب عام ١٩٨٢م، ومع خروج القوات الفلسطينية من لبنان فقدت الحركة أكبر حليف لها، وبقيت على العهد في حماية الشعب الفلسطيني في المخيمات وحينما اندلعت الاشتباكات مع حركة أمل الشيعية وقف المرابطون بجانب المخيمات في هذه الاشتباكات.

الضباط والهوليداي إن.

وخلال العمليات القتالية أمطرت قذائف الهاونات منطقة الحمراء والأشرفية والناصرة، والشياح ووقع عدد كبير من القتلى والجرحى وهدمت المنازل والمحلات التجارية وعثر على عشرات الجثث في الشوارع، إلا أن قوات الكتائب شنت هجوماً مضاد بعدد من الآليات عبر منطقة المرفأ والزيتونة وستاركو، فيما كانت المدفعية الثقيلة تقصف طرق الإمدادات إلى المنطقة بكثافة، وتنبه "المرابطون" للهجوم، ودارت معركة من رصيف إلى آخر، وانتشرت الجثث على الأرصفة والشوارع وغصّت أروقة مستشفى الجامعة الأمريكية والمستشفيات الأخرى بالجرحى.. وتدخلت مصفحات جيش لبنان العربي حيث قصفت مكاتب البنك الكندي حيث يتمركز الكتائبيون من عدة اتجاهات، واندلعت النيران في المبنى وفي فندق فينيسيا وبالقرب من النادي العسكري فقد المرابطون مسؤول المنطقة العسكري "عمر بكداش – أبو إبراهيم" كما تعرض القصر الجمهوري مساء لقصف مدفعي من الناحية الشمالية لمطار بيروت الدولي.

استمر التصعيد العسكري يوم ١٩٧٦/٣/٢٣م وبلغ ذروته حين اشتعلت الجبهات في بيروت والجبل بمعارك ضارية استخدمت فيها المدفعية والمصفحات والدبابات، واستمرت معركة الفنادق الأكثر حدة وشراسة في حين غطت القذائف معظم أحياء العاصمة، كما اشتعلت جبهة الجبل بهجمات ومعارك عمليات قصف شملت المتن الشمالي والجنوبي وتركزت معارك بيروت بشكل خاص على المقاطعة الرابعة لتنتقل إلى باب ادريس امتداداً إلى شارع الحوّيك والنادي العسكري ومقبرة الفرنسيين وفندق النورماندي وحول فندق الهيلتون، وقد احترق فندقي قرطاجة وبيبلوس والسفارة البابوية، كما احترقت عدة أبنية في مناطق الحمرا وباب ادريس والمنطقة التجارية وابتداء من الساعات الأولى من صباح يوم (١٩٧٦/٣/٢٣م) كان مقاتلو الكتائب ينفذون عملية التفاف من جهة السراي مرورا بالكبوشية ووادي أبو جميل من أجل فك الحصار عن مجموعات كتائبية محاصرة في منطقة الأسواق التجارية، وجاءت العملية بعد معركة عنيفة بالمدفعية من البرجاوي ورأس النبع استعملت فيها المدفعية والمصفحات.

شب حريق كبير في مرفأ بيروت داخل أحد أكبر مستودعات المرفأ (مستودع رقم١٠) الذي يتألف من خمسة أقسام، وقد أتى الحريق على ثلثي مساحة المستودع وعلى محتوياته من المحروقات والزيوت، وامتد الحريق إلى المستودع رقم (٩) الذي يحتوي على إطارات وورق صحف وأدوات صحية.

واستجد موقف سوري في هذا اليوم حين انكشف تعميم داخلي لقوات الصاعقة بتاريخ ١٩٧٦/٣/١٧م يهاجم الزعيم كمال جنبلاط جاء فيه: "إن الضجة التي تقوم حول التصرف الثوري

السليم الذي تمارسه منظمتنا على الساحة اللبنانية، لم تكن حرصا على المصلحة الوطنية أو المقاومة الفلسطينية، ليس هناك من هو أحرص منا على المصلحة، فحزبنا حزب البعث العربي الاشتراكي هو أحد أطراف الحركة الوطنية اللبنانية، ومنظمتنا هي فصيل أساس من فصائل حركة المقاومة الفلسطينية.. وانتهى التعميم إلى القول: نحن الذين نقرر مصير الخط الوطني وليس جنبلاط أو غيره.

استمر التصعيد حتى ١٩٧٦/٣/٢٥م الذي قررت فيه الجبهة الانعزالية وبالتوافق مع الرئيس فرنجية على الحرب، حيث وجه بيير الجميل زعيم حزب الكتائب نداء دعا فيه جميع العسكريين اللبنانيين إلى نجدة الوطن قائلاً: "لقد صممت على أن أحمل مسؤولياتي حتى الرمق الأخير دفاعا عن الوطن، وإني أناديكم وأنتظركم جميعا كي ننقذ معا لبنان قبل فوات الأوان".. وبناءً على ما أعلنته إذاعة "صوت لبنان" مساء اليوم نفسه فإن (١١٦٣٠) متطوعاً سجلوا أسماءهم في جونيه تجاوبا مع نداء بيير الجميل، وكان الرئيس سليمان فرنجية قد قرر مغادرة مقره الرسمي في بعبدا بسبب استمرار القصف.

وعلى صعيد المعارك فقد كانت حرب الجبل هي الأعنف في الجبل خلال اليوم التالي لإعلان حالة الطوارئ والحشد العسكري من قبل حزب الكتائب اللبناني (١٩٧٦/٣/٢٦م) فيما تزايد القصف المدفعي بين شطري بيروت بينما استمرت الصدامات المعززة بالآليات تدور بشراسة على محور الفنادق وفي الأسواق، وخلال معارك الأسواق قتل أمين الأسود ابن أخت أمين الجميل، وشهدت محاور الضواحي معارك شرسة وتبودلت القذائف في خلده، الليلكي، الحدث، كفر شيما، الشويفات، وسقطت قذائف على القصر الجمهوري وعلى الكحالة واللويزة، وكذلك على القناة (٥ و ٧) وجرت في المتن معارك قوية بالأسلحة الثقيلة والآليات ومدافع الهاون، وركز الاشتراكيون وحلفائهم من جيش لبنان العربي على قصف عينطوره والمتين والمروج وبولونيا وكانت القوات الإنعزالية ترد بعنف على مرابض المدفعية.

بعد القتال الدموي يوم (١٩٧٦/٣/٢٧م) الذي سقط فيه ما يزيد عن (٢٠٠ قتيل) في عالية والكحالة والمتن الشمالي وبيروت،كانت معارك ١٩٧٦/٣/٢٨ م بالغة العنف على محور النورماندي – والهيلتون والأسواق التجارية وفي الكحالة وعالية والمتن وعينطورة وبيروت والضواحي، وباب ادريس على محاور الريجنت اوتيل والريفولي والاتوماتيك، امتدت إلى شارع المصارف فاحترق بنك "مصر – لبنان"، وتعرضت الأشرفية لقصف من جهة تل الزعتر، ومن جهة الشويفات وخلده، وعثر في العاصمة على (٢٣ جثة) وخلال الليل تعرضت الكحالة لقصف مركز لمدة ساعتين انتقلت بعدها قوات من الحزب التقدمي الاشتراكي وجيش لبنان العربي

والجبهة الشعبية وحركة فتح إلى مهاجمة القوات الانعزالية في الكحالة بأعداد قدرت بحوالي (١٠٠٠ مقاتل) تساندهم (٨ مصفحات) و(٥ مدافع) من عيار (١٠٦ ملم) معززة بالدوشكا، ومدفعية من عيار (٧٥ ملم) صيني. وتركز الهجوم على محور غاليري خير الله صعودا باتجاه قصور العبادية، فتصدت القوات الإنعزالية للهجوم وردت المهاجمين الذين خسروا (١٥٠ بين شهيد وجريح) وتمكنت من أسر اثنين، ودمرت العديد من المعدات العسكرية، ثم شنت هجوم مضاد في الساعة السادسة صباحا حيث سيطرت على المناطق حتى مستديرة عالية وسيطرت على بلدة عينطورة.

والجدير بالذكر أنه خلال معارك الأسواق كان لنا سرية مقاتلة قدمت تضحيات كبيرة، كما كان لنا سرية أخرى في منطقة وادي أبو جميل بقيادة راسم الغول، بالإضافة إلى أن الخط الفاصل بين القوات المتحاربة كان من مسؤولية قوات الـ١٧ ويضم أكثر من (٢٠٠) مقاتل، أما في معارك الكحالة فكان لنا (١٥٠ مقاتلا) وقد قدمت قوات الـ١٧ بطولات كبيرة وتضحيات أكبر دفاعا عن (م.ت.ف) والمخيمات ومساندة للحركة الوطنية اللبنانية، وقد سقط لنا في معارك الأسواق وخطوط التماس (٥٦ شهيدا) بينهم أربعة ضباط: الملازم أول حجازي، والملازم أول ثائر، والملازم أول أبو غازي، والملازم فائق علي سالم.

حمل ليل ١٩٧٦/٣/٢٩م مزيداً من الاشتعال على جبهات العاصمة والضواحي والجبل، وتجدد القصف المدفعي بين شطري بيروت وجرى تراشق مدفعي بين المنطقة التجارية وخط فندقي هوليداي إن وفينيسيا وبرج المر، وتعرضت ضواحي القصر الجمهوري ووزارة الدفاع للقصف، فيما أعلنت مصادر كتائبية أن عينطورة والمتن أصبحتا تحت سيطرتها، وأعلن حزب الوطنيين الأحرار أن المتن الشمالي بات تحت سيطرة "نمور الأحرار" والقوات الحليفة، وأن قواتهم تمكنت من تحرير ترشيش ومجدل ترشيش.

استمرت المعارك يوم ١٩٧٦/٣/٣٠م وتميزت بالتفاف زغرتاوي على مقاتلي جيش لبنان العربي في مجدليا سقط على أثره (١٢٠ قتيل) من الطرابلسيين، وتابع لواء "المرده" الزغرتاوي زحفه باتجاه أبي سمرا حيث وصلوا إلى "قناطر برنس" المشرفة على طريق طرابلس الدولية في محلة البحصاص. وفي الليل حاولت زوارق بحرية قصف باخرتين لشركة كيماويات سلعاتا ومبنى الشركة، لكن حرس السواحل صد الزوارق المهاجمة بينما نشطت قوات جيش لبنان العربي في المتن وشنت هجوما باتجاه مجدل ترشيش وفي الكحالة وقعت اشتباكات بالمدافع والهاونات، وفي بيروت جرى تبادل قصف مدفعي بين شطري العاصمة، واحتدمت المعارك في الأسواق التجارية وجوار الفنادق.

الثقة المفقودة بين حركة فتح والنظام السوري:

كان عرفات منذ العام ١٩٧٤م يراقب التحرك السوري باتجاه إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية وبرؤيته السياسية الثاقبة أدرك أن القيادة السورية ستحتمي بالورقة الفلسطينية واللبنانية لتعزيز دورها في أية مفاوضات مع إسرائيل.

وفي هذا الاطار يؤكد ريتشارد مورفي السفير الأمريكي الأسبق في سورية أنه قد تم التوافق بين الولايات المتحدة الأمريكية وسورية بخصوص التدخل السوري في لبنان. وقال::"جئت إلى دمشق في شهر ١٩٧٤/٨م لإعادة العلاقات بين واشنطن وسوريا، وكانت الشخصيات الثلاث التي كنت التقيها الرئيس الأسد ووزير الخارجية خدام واللواء الشهابي، وخلال لقائي مع الشهابي ألمح ضمناً إلى أن سوريا قد تضطر للتدخل مباشرةً لوقف العنف في لبنان، لم يطلب مني أن أنقل كلامه لواشنطن ولم يسألني رأيي في الموضوع ولكنه كان ينقل إليَّ تلميحاً قوياً بأن أركان القيادة في دمشق يدرسون الخطوة بجدية. وتم التوافق بين الجانبين السوري والأمريكي أن هذه حرب أهلية لبنانية لابد من ضبطها وأن سوريا هي المؤهلة لذلك الدور. وجرى التوصل إلى تفاهم سوري – إسرائيلي عبر واشنطن، خاصة أنه لم تكن هناك اتصالات سورية -إسرائيلية مباشرة، عرف بـ "الخطوط الحمراء" مع رئيس الحكومة الإسرائيلية آنذاكإسحاق رابين والذي يقضي، بطمأنة إسرائيل أن التدخل السوري ليس لجعل لبنان جبهة جديدة ضد إسرائيل من خلال الالتزام بعدم انتشار القوات السورية أبعد من عشرة كيلو مترات جنوب طريق بيروت - دمشق وعدم نشر بطاريات صواريخ أو طلعات جوية سورية. وأضاف ميرفي أنه قد جرت أيضا اتصالات مع الرئيس سليمان فرنجية الذي اتصل مع بيير الجميل وكميل شمعون، وكما نعرف لم تقاوم قوات المليشيات الإنعزالية القوات السورية عندما بدأت تدخل وهذا إثبات أنه بالتوافق مع قيادتها[١٢].

ويؤكد كريم بقرادوني القيادي في حزب الكتائب على صحة تلك المعلومات قائلاً: أنا كنت مع اللواء محمد الخولي عندما جاء يبلغ الرئيس سركيس والرئيس فرنجية وبيير الجميل وكميل شمعون عن موضوع الدخول السوري عسكرياً، طبعاً الرئيس سركيس كان متحفظاً، ولكنه قال شيء واحد أنا لن أعلن هذا التحفظ.

وفي بداية العام ١٩٧٦م وفي ضوء التحركات السياسية في المنطقة كان لدى الجانب السوري شكوك قوية أن حركة فتح تسعى للتحالف مع مصر، وقد ازدادت هذه الشكوك عندما وافق الرئيس السادات على طلب (م.ت.ف) بإرسال إحدى كتائب جيش التحرير الفلسطيني إلى لبنان

(١٢)زهير دياب (كاتب ومحلل سوري): مقابلة مع فضائية الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣م.

في منتصف شهر (١٩٧٦/١م) وكانت سوريا تخشى أيضا قيام حركة فتح بإفشال الهدنة الهشة التي أرستها القيادة السورية في لبنان. وكانت أولى الدلائل على الرغبة السورية في كبح جماح (م.ت.ف) قد برزت في وقت سابق يوم ١٩٧٥/١٢/٣١م حين قام مسلحون من منظمة الصاعقة الموالية لدمشق بمهاجمة صحيفتي المحرر وبيروت المؤيدتان ل(م.ت.ف) كردة فعل على نشر مقالات معادية للموقف السوري، فقتل اثنان من الصحفيين، ونجا شفيق الحوت ممثل المنظمة في لبنان من موت محقق، ورد صلاح خلف بتصريحات عنيفة ضد سوريا قال فيها: بأن (م.ت.ف) لن يكون عليها وصاية سورية ونحن في فتح ما سمحنا لأي نظام عربي مهما كان أن يفرض وصايته علينا.

ونتيجة للأمر السوري إلى نائب قائد جيش التحرير الفلسطيني في بيروت محمود أبو مرزوق بالاشتباك مع قوات (م.ت.ف)، وعلى الرغم من رفض أبو مرزوق تنفيذ الأوامر،إلا أنه تزايدت شكوك حركة فتح وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية بأن "التسوية" السورية مع الانعزاليين هي رسالة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

تفاقمت الأحوال بين منظمة التحرير وسوريا يوم ١٩٧٦/٢/٢٢م حين صرح زهير محسن أنه "حان الوقت لدماء جديدة في (م.ت.ف)"، وظهرت ملصقات في شوارع بيروت تظهره مرتديا الكوفية وهو يجلس خلف مكتب والقلم بيده تشبيها بياسر عرفات، وفي خطوة تؤكد قرار فتح في تحدي الرغبة السورية تم إرسال خالد الحسن لعقد مباحثات مع الرئيس السادات يوم ١٩٧٦/٢/٢٨م، حيث رد زهير محسن على تلك الزيارة بتصريحات ندد فيها ببعض الفلسطينيين الذين يرددون شعارات (رفض الوصاية.. رفض التحجيم) وهاجم الرئيس السادات مدعياً أنه يقود خط التخاذل والاستسلام، منوها بأن إصرار (م.ت.ف) على القرار الوطني المستقل والحرص على قرارات مؤتمر الرباط التي تعترف ب(م.ت.ف) ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني هو محاولة للتغطية على الحوار الخفي مع السادات. وتزامنت هذه التصريحات مع نشر سوريا لكتيبة لجيش التحرير في طرابلس، وحركت كتيبتين إضافيتين سوريتين إلى سهل البقاع، وحذر وزير الدفاع طلاس بأن سوريا ستضرب أي جماعة تعارض التسوية الجديدة في لبنان.

ولتطويق الموقف دعت سوريا كل من ياسر عرفات ونايف حواتمة لزيارة دمشق لمقابلة الأسد يوم ١٩٧٦/٣/١٦م وردت المليشيات الانعزالية بفتح جبهة قتال في شمال لبنان وأعادت فرض حصار كامل على تل الزعتر والنبعة في بيروت الشرقية، فصدرت أوامر سورية معاكسة إلى مرابض مدفعية منظمة الصاعقة حيث شاركوا في قصف القصر الرئاسي، كما تنحت القوى المؤيدة لسوريا جانباً عندما قادت وحدات من فتح ومن الحركة الوطنية اللبنانية الهجوم الذي

أخرج القوات الانعزالية من قرى العبادية وشويت والقماطية وعيتات يوم ١٩٧٦/٣/١٨م. وحسب أقوال أحمد جبريل الذي أستدعي لدمشق فجأة يوم ١٩٧٦/٣/١٩ م فإن سوريا كانت تهدف إلى توجيه ضربة كبيرة ومن ثم الدعوة إلى مؤتمر طاولة مستديرة لوضع معادلة لا غالب ولا مغلوب[١٣]، ولذلك فإنه عند عودة أحمد جبريل من دمشق يوم ١٩٧٦/٣/٢١م شنت قواته هجوماً على القوات الكتائبية في منطقة الفنادق وساندته في الهجوم قوات الحركة الوطنية اللبنانية واندفعت القوات المشتركة نحو ميناء بيروت من خلال قتال شوارع مرير.

في تلك الأيام من القتال كان ياسر عرفات يسعى إلى فك الحصار عن مخيم تل الزعتر، فحاولت كتيبة نسور العرقوب التابعة لفتح أن تشق طريقها يوم ١٩٧٦/٣/٢٣م عبر وادي نهر بيروت ومونتيفردي من دون جدوى. واستولت قوة من الحركة الوطنية وجيش لبنان العربيعلى ترشيش ومجدل ترشيس واعتبر عرفات أن هذا التوسع غير مرغوب فيه كونه يتعدى "الخط الأحمر السوري"، إلا أن كمال جنبلاط رفض الدعوات الانعزالية والسورية لوقف إطلاق النار، وحاول ياسر عرفات إقناعه بحل الخلافات مع الرئيس الأسد ورتب لقاء بينهما يوم ١٩٧٦/٣/٢٧م دام تسع ساعات كانت نتيجته القطيعة الكاملة بسبب طلب جنبلاط السماح له بمواصلة الهجوم ضد مناطق الإنعزاليين لأسبوعين آخرين.

اضطر عرفات للذهاب إلى دمشق ومقابلة الرئيس الأسد في ١٩٧٦/٣/٢٨م من أجل التوسط لإيجاد حل وسط، إلا أن قوات الحركة الوطنية شنت هجوماً واستولت على قرية عينطورة في جبل كسروان أثناء وجود عرفات في دمشق، وشن نمر صالح بعد ذلك أربع هجمات فاشلة على بلدة الكحالة في قضاء عاليه خسرت خلالها فتح وجيش لبنان العربي والحركة الوطنية اللبنانية (ستين شهيداً) وبفعل السيطرة على قرية عينطورة أصبح ميناء جونيه في مرمى مدفعية قوات فتح والحركة الوطنية اللبنانية وجيش لبنان العربي، كما تمهدت الطريق لاختراق عمق مناطق الانعزاليين.

وكان تصعيد الهجمات نتيجة اجتماع بين كمال جنبلاط ونمر صالح وموسى العملة وممدوح نوفل القائد العسكري للجبهة الديمقراطية وغيرهم من المسؤولين اليساريين الذين يعتقدون بأن إنزال هزيمة كاملة بالمليشيات الانعزالية سوف يقلل من فرص (م.ت.ف) في الانضمام إلى مصر في عملية السلام التي ترعاها الولايات المتحدة. ونتيجة هذا الهجوم اعتقدت سوريا أن ياسر عرفات يلعب لعبة مزدوجة تشكل تهديداً آخر لتواجدها في لبنان، لا سيما بعد أن عرض الرئيس السادات التوسط وأدرج اقتراحاً لدى جامعة الدول العربية يوم ١٩٧٦/٣/٢٩م بنشر قوة عربية

(١٣)يزيد الصايغ، المرجع نفسه، ص٥٤٦

رمزية لحفظ السلام، كما عاد خطر التدويل للازمة اللبنانية للظهور يوم ١٩٧٦/٣/٣١م مع وصول المبعوث الأمريكي دين براون إلى بيروت.



صورة البطل محمد علي كلاي أثناء زياته لمخيم صبرا وشاتيلا
وكان يرافقه صلاح التعمري وأسد بغداد ووجيه أبو غربية

الاتفاق الأمريكي السوري في طريقه للتنفيذ:

وصل المبعوث الأمريكي دين براون إلى لبنان في مهمة لوقف إطلاق النار في ١-٤-١٩٧٦م، وأعلن أنه يؤيد نشر ثلاثة أو أربعة ألوية سورية في لبنان(*) إلا أن القوات الإنعزالية استثمرت أجواء الهدوء في الجبهات الأخرى، وشنت هجوماً عنيفاً، حيث تعرضت عينطورة لقصف شديد واحتلتها قوات العقيد سمراني والكتائب والأحرار وقبل حلول موعد وقف إطلاق النار شنت القوات المشتركة هجوما لاستعادة عينطورة، فيما التزمت الجبهات الأخرى بوقف إطلاق النار.

قامت القوات السورية في يوم ١٩٧٦/٤/٣م بفرض حظر على رسو السفن في ميناء طرابلس، وقامت قوات الصاعقة الموالية لسوريا بالسيطرة على محطة نفط الزهراني وعلى معمل كهرباء "الجيه الحراري" فقطعت امدادات الوقود والكهرباء عن بيروت، كما قصفت مخيم شاتيلا يوم ١٩٧٦/٤/٨م، وقد استثمرت القوات الانعزالية هذه الحالة وقامت بمنع وصول شحنات الوقود البديلة من خزانات النفط الحكومية الكائنة في الضاحية الشمالية من بيروت، وردت القوات المشتركة بمنع وصول إمدادات الطحين إلى المخازن الحكومية في الشطر الغربي من العاصمة، وبتاريخ ١٩٧٦/٤/٩م سيطرت القوات السورية على نقطة الحدود في المصنع، في اليوم التالي دخل لواءان مدرعان وكتيبتا مشاة إلى سهل البقاع.

(*) برقية بعث بها دين براون إلى وزير الخارجية الأمريكي يوم ١٩٧٦/٤/١م، وحملت البرقية رقم (٢٨٦٨) بيروت (سري).

أوضح الرئيس الأسد ١٩٧٦/٤/١١م بأن كمال جنبلاط و"تجار الدين والثورة" كانوا على خطأ لأنهم أوجبوا الرد عليهم بقوة، كما أرسل بإشارة قوية لمعسكر الانعزاليين شدد فيها مراراً على الرئيس فرنجية سبق أن تنازل عن رئاسة الجمهورية، وبعد الخطاب بلحظات بدأت حواجز التفتيش السورية في لبنان تعتقل عناصر القوات المشتركة، ولتجنب الاحتكاك مع القوات السورية نقلت فتح الجسم الرئيس من قواتها إلى خارج المنطقة الوسطى من سهل البقاع يوم ١٩٧٦/٤/١١م، وتحسباً لتوقعات حول تصاعد الأحداث استدعت (م.ت.ف) قوات عين جالوت التابعة لجيش التحرير الفلسطيني من مصر.

ظل وقف إطلاق النار شبه صامد حيث وقعت بعض المناوشات واستمرت عمليات القنص، لكن حدة الصدامات خفت تماما، وذلك إلى يوم ١٩٧٦/٤/١٥م حين اندلعت اشتباكات على منطقة المتحف – مبنى الأمن العام، وقد بدأت الاشتباكات عند الفجر بين قوات المرابطين المتمركزة في مبنى الأمن العام وبين الكتائب والأحرار المتمركزة في المقر العام لقوى الأمن الداخلي وحي السريان المجاور لقصر العدل، وقد أصيب مبنى الأمن العام بعدة قذائف وشملت دائرة النار ساحة البربير ومستشفى البربير، وأعلن المرابطون أنهم احتلوا مستشفى الدكتور سعيد في الشارع المؤدي إلى مقر قوى الأمن الداخلي، كما احتلوا مبنى المتحف وسيطروا على سباق الخيل، فيما سيطرت القوات المشتركة على محاور الطيونة ومداخل بدارو وإشارة سامي الصلح.

بعد الإعلان عن مبادرة الإمام الصدر توجه أبو عمار إلى دمشق بتاريخ ١٩٧٦/٤/١٦م والتقى بالرئيس الأسد، حيث تم الاتفاق على تجنيب (م.ت.ف) تداعيات الموقف، والانتشار العسكري السوري(*)، بينما أدلى الإمام الصدر ببيان "النقاط العشر" فيما يلي نصه:

دخلنا السنة الثانية من عمر الأزمة الفاجعة، وبعد الضحايا والأثمان الباهظة التي تحملناها نجد أمامنا النقاط العشر التي تتناقض تماما مع أمانينا قبل بدء الأزمة، ومع مكاسبنا المبدئية بعد المبادرة السورية وهذه النقاط هي:

أولاً: الحرمان، أرضية الانفجار وجوهر التخلف اللبناني اتسعت رقعته وتعمقت، وتحول الكثير من المواطنين من أصحاب الدخل المتوسط المحدود، بل من المرفهين عدا تجار السياسة والسلاح، تحولوا إلى محرومين انقطعت سبل المعيشة المتواضعة عن الأكثرية الساحقة من الناس، الحرمان زاد رغم أن جميع ضحايا الحرب الأهلية تقريبا كانوا من المحرومين وبذلك دفعوا ثمناً باهظاً يفوق ما تكلف الثورات الاجتماعية في العالم.

(*) صحيفة تشرين السورية يوم ١٩٧٦/٤/١٦م.

ثانياً:الجنوب وجبهته ومواطنوه أصبحوا تحت رحمة الأقدار والإعتداء أكثر بكثير من بدايات الأزمة، فقد انقطعت السلطة اللبنانية عن المنطقة نهائيا، وتخلت عن السلاح الدفاعي، وها نحن نسمع كل يوم تصريحاً ونرى حشودا ونلاحظ ذرائع وأعذار متجددة للهجوم تجعلها موضع مساومات وضغوط ومناورات.

ثالثاً:السيادة الوطنية انحسرت نهائيا ولم يبق شبر واحد من الأرض بما فيه السلطات الثلاث الأصلية إلا وتحكمه فئات مسلحة ويزيد من الآلام الإحساس بسقوط السيادة بدورها فقط، وأن المطالبة باستردادها غابت عن الساحة، اللهم إلا لأجل التحديات والمناورات السياسية.

رابعاً:سقطت المؤسسات الرسمية كلها وتمزق الجيش ووقف رفاق السلاح مع الآليات والأسلحةالمتنوعة وجها لوجه بعضهم أمام بعض وأحرقت المستندات والخرائط أو نهبت.

خامساً:القتال أخذ الطابع الطائفي بشكل صارخ والصحف العالمية التي كانت طوال المعركة ترفض الطرح العنصري لها بدأت تتحدث عنها بشكل مثير وتنشر الصور الاستفزازية وتحرض المسيحيين والمسلمين معا.

سادساً:تمزقت أوصال الوطن تراباً وشعباً وقيماً وإعلاماً وقانوناً، وتحول لبنان الواحد لا إلى بلدين فحسب بل إلى عدة بلاد، وأصبح شعبه أشلاء وتجمعات متعددة.

سابعاً:المطالب الإصلاحية، السياسية والاجتماعية والإنمائية تبخرت ولم يبق منها إلا استقالة الرئيس، أما القضية فقد أصبحت شعارات وتحركات فقط، فلا حكم حتى نبحث في إصلاحه، ولا مال في الخزانة، وفي قدرة المناطق حتى ينفق على المشاريع الإنمائية، وفي سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية، أما الدراسات والخرائط فإنها احترقت مع كبار المهندسين بأبشع صورة، ولا ندري كم يحتاج الوطن الجريح من سنوات حتى يعود إلى نقطة الصفر.

ثامناً:أما السبيل المختار لتحقيق التقدم الاجتماعي والمطالب الإصلاحية وهو النضال الديمقراطي فقد قضي عليه تحت وطأة السلاح وتعود المسلحون استعماله المرتجل في الضباب المسيطر على المواقف من جراء الأحقاد والأحكام المسبقة والاتهامات التي تمطر من كل جانب.

تاسعاً:والمقاومة الفلسطينية، أمانة الوطن ورسالته مكشوفة جريحة مرهقة معرضة للإعتداءات والمؤامرات تتحمل أعباء المقاتلين والمهجرين وتستدرج في المفاوضات والمصالحات والتفتيش عن الحلول لمشاكل الوطن.

عاشراً:وسوريا الشقيقة بعد التضحيات الكبرى أصبحت معرضة لموجة معادية في الشارع وفي الصحف وفي الأندية وحتى في الكثير من الأوساط العربية، موجة تحاول إبرازها خصما للإرادة الوطنية، منتدبة، منحازة مختلفة مع حلفائها حامية للظالمين والمتجاوزين والمعتدين.

كان الإمام موسى الصدر صادقاً في توجهه بمعارضة الحرب الأهلية اللبنانية بين الطوائف، وكان يلقي من على منبر الكنائس وخاصة في زحلة خطبا يطالب بها بوقف الاقتتال الطائفي في لبنان، وكان يسانده في ذلك المطران (بستول) رئيس الكنسية الكاثوليكية في زحلة، علما بأن الإمام موسى الصدر كان على حق حيث كانت أغلبية من الشيعة القانطين في مدينة زحلة وجوارها مثل بلدة المعلقة وترشيحا وحزرتا ذات الأغلبية الشيعية بحاجة إلى جهوده لتجنب المذابح على يد الانعزاليين.

الاجتياح السوري:

في بادرة لحلحلة الأمور وقع الرئيس فرنجية يوم ١٩٧٦/٤/٢٣م تعديل المادة (٧٣) من الدستور والتي تنص على "قبل موعد انتهاء ولاية رئيس الجمهورية بمدة شهر على الأقل أو ستة أشهر على الأكثر، يلتئم المجلس النيابي بناء على دعوة من رئيسه لانتخاب الرئيس الجديد، وإذا لم يدع المجلس لهذا الغرض فإنه يجتمع حكما في اليوم العاشر الذي يسبق أجل انتهاء ولاية الرئيس وينتهي العمل بهذا التعديل في ١٩٧٦/٩/٢٣م.وتنص المادة الثانية على أنه يعمل بهذا القانون فور توقيعه من رئيس الجمهورية. ورغم التوقيع على قانون تعديل المادة (٧٣) من الدستور إلا أن جلسات انتخاب رئيس جديد للبنان ظلت تتأجل حتى يوم ١٩٧٦/٥/٨م حين انتخب الياس سركيس رئيسا جديدا للبنان.

شنت القوات الإنعزالية هجوماً يوم ١٩٧٦/٥/٨م في جبل كسروان في محاولة لضم مدينة "زحلة" إلى كانتون المليشيات الانعزالية، مما دفع القوات المشتركة إلى شن هجوم مضاد يوم ١٩٧٦/٥/١١م دون أن تتمكن من دحرهم، وتزامن ذلك مع صدور تعليمات من رئيس أركان جيش التحرير الفلسطيني مصباح البديري (مؤيد لسوريا) بإقامة ارتباط منتظم بالجبهة اللبنانية، ونشر ثلاث كتائب (مغاوير) سورية في مطار بيروت وعند مثلث خلده بهدف ردع (م.ت.ف) وقوات الحركة الوطنية اللبنانية. وسحبت القيادة السورية في ١٩٧٦/٥/١٣م وحدات جيش التحرير الفلسطيني التابع لها والمتمركزة في بيروت من الخط الأمامي في مواجهة الانعزاليين، وأعادت نشرها بمحيط صبرا وشاتيلا حيث توجد مقرات (م.ت.ف)، الأمر الذي أحدث تبادلا للقصف المدفعي بين القوات السورية وقوات الحركة الوطنية اللبنانية وقتالا في الشوارع، حيث

سقط (١٩٩ شهيداً) و (٦٥٨ جريحاً)، وفي يوم ١٩٧٦/٥/١٧م استقبل الرئيس السوري أبا عمار والمبعوث الليبي عبد السلام جلود وأبلغهما عزم سوريا على زيادة قواتها في لبنان، فاعترض أبو عمار وانتهى الاجتماع بخلاف حيث باتت سوريا و(م.ت.ف) على مسار تصادمي لا رجعة عنه.

في تلك الأثناء استدعاني ياسر عرفات وطلب مني سرعة إحضار قضبان سكة حديد القطارات الذي كان يربط فلسطين بلبنان والذي ينتهي خطه عند محطة الدامور، وذلك للتجهيز للمعركة المقبلة مع السوريين. وطلب أن يتم تجهيز القضبان على شكل هندسي لتصبح عائقاً أمام تقدم الدبابات، كان ذلك قبل معركتنا مع السوريين بالجبل وبصيدا، وبالفعل صدقت نبوءة أبو عمار حيث حصل الاشتباك مع السوريين فيما بعد ولعبت هذه القضبان دورها في إعاقة الدبابات.

واجتاحت القوات السورية لبنان يوم ١٩٧٦/٦/١م من ثلاثة اتجاهات هي[*]:

١- طريق دمشق – بيروت من جهة وادي البقاع.

٢- اجتياز الحدود اللبنانية في منطقة عكار بوحدات معززة بالدبابات وتوجهت جنوبا لتهديد مواقع الفلسطينيين والحركة الوطنية اللبنانية في ضواحي طرابلس.

٣- تقدم باتجاه جزين وواصل التحرك في الاتجاه الغربي وصولا إلى صيدا.

ولتعزيز الموقف أمام التدخل السوري بعث زعماء "الجبهة اللبنانية"[**] وسطاء للتباحث مع كمال جنبلاط، إلا أن الوقائع التي سبقت الدخول السوري بأيام كانت تحول دون نجاح تلك الوساطات، فقبل الدخول السوري وتحديدا يوم ١٩٧٦/٥/٢٥ م جرت محاولة اغتيال العميد ريمون اده وبعدها بيومين وتحديدا يوم ٥/٢٧ قتلت ليندا الأطرش شقيقة كمال جنبلاط في منزلها بشارع سامي الصلح في بيروت الشرقية، وقد ترك هذان الحادثان أثرهما في النفوس ولم يغير من ذلك التدخل السوري يوم ١٩٧٦/٦/١م.

عقدت الجبهة اللبنانية اجتماعا يوم ١٩٦٧/٦/١م (نفس يوم التدخل السوري) لبحث الموقف وأكدت أنها مصرة على التفاهم مع كمال جنبلاط، وكلفت بشير الجميل بمهمة الدخول في مفاوضات مع كمال جنبلاط، فأرسل بشير الجميل وسطاء جدد للتفاهم وهم أمين علامي والمحامي

(*) كانت الولايات المتحدة أرسلت إشارات موافقتها على التدخل السوري في لبنان، ففي ١٩٧٦/١/٢١م أعلن الرئيس جيرالد فورد أنه تخلى عن معارضته لتدخل عسكري خارجي في لبنان، وفي ١٩٧٦/١/٢٩م أعلنت الخارجية الأمريكية أنها تعترف بأهمية دور سوريا لتسوية الأزمة اللبنانية. ونقل عن هنري كسنجر: "نحن شجعنا المبادرة السورية والوضع يسير لصالحنا ويمكن رؤية خطوط تسوية". نقلت وكالة الصحافة الفرنسية تصريحاً لموشي دايان في ١٩٧٦/٦/٥م إن على إسرائيل أن تظل في موقف المراقب، حتى لو دخلت القوات السورية بيروت لأن دخولها ليس عملاً موجهاً ضد أمن إسرائيل. وجاء التدخل السوري منسقاً مع الانعزاليين، حيث صرح كميل شمعون في ١٩٧٦/٦/١٦: "لقد اتفقنا مع سوريا على خطط ترضينا". وفي ١٩٧٦/٨/٩م صرح: "أنني أثق ثقة كاملة بالرئيس حافظ الأسد، وسوريا هي الدولة الوحيدة التي تستطيع فرض السلام في لبنان".

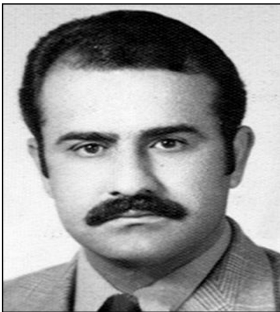
(**) الجبهة اللبنانية: هي تحالف عدة أحزاب وشخصيات يمينية أسست سنة ١٩٧٦م في بداية الحرب الأهلية اللبنانية لمواجهة الحركة الوطنية اللبنانية، طالبت الجبهة بسيادة لبنان على كامل أراضيه، ومن بين مقترحاتها إقامة نظام فيدرالي، لقبت بالجبهة الإنعزالية من طرف خصومها، ترأسها كميل شمعون زعيم حزب الوطنيين الأحرار، ومن أهم أقطابها رئيس حزب الكتائب بيار الجميل، والرئيس سليمان فرنجية، إضافة إلى ايتان صقر من حزب حراس الأرز، والدكتور شارل مالك والدكتور فؤاد افرام البستاني.

رامز يعقوب ولكن موقف كمال جنبلاط بقي على حاله دون تغيير. ولجأ بشير الجميل في الليلة نفسها إلى علي حسن سلامه لإنجاح الوساطة، وقد تمكن أبو حسن من تحديد اللقاء بين الطرفين في ١٩٧٦/٦/٢م في منزل محسن دلول في رمل الظريف. وفي التاسعة من صباح ١٩٧٦/٦/٢ م وصل كمال جنبلاط إلى منزل محسن دلول وبرفقته المقدم الجوي ناصر الدين زوج ابنة ليندا شقيقة كمال جنبلاط، وبعدها بدقائق وصلت سيارة أبو حسن وبرفقته بشير الجميل، وبعد، أن دخل أبو حسن والجميل إلى الصالون تراجع أبو حسن ليجلس أمام باب المصعد مشيرا بذلك إلى أنه لن يسمح لأحد بالتشويش على المفاوضات.

حاول بشير الجميل تسليم كمال جنبلاط ملفاً أزرق وقال: أنا جئت لأعزيك، هذه هي كل التفاصيل عن مقتل المرحومة شقيقتك مع أسماء القتلة. فقال جنبلاط: ابق ملفك معك، أنا لا أريد أن أسمع شيئا فشقيقتي راحت ضحية الثقة بكم، لا أريد أن أعرف، وأنا لست قبلياً. بحث جنبلاط والجميل الموقف على مدار ساعتين ونصف الساعة بعد التدخل السوري وسبل الخروج من الأزمة واصر جنبلاط على ضرورة المطالبة بخروج القوات السورية والعمل المشترك من أجل إخراجها بالقوة إذا لزم الأمر.

وفي مساء اليوم ذاته توجه كمال جنبلاط لمقابلة الرئيس المنتخب الياس سركيس في مبنى قيادة موقع بيروت للجيش اللبناني، وبعد وصوله إلى هناك لحق به صلاح خلف وكان المطلب الوحيد لجنبلاط هو جلاء القوات السورية عن لبنان، وبعد أن انتهى اللقاء توجه جنبلاط لحضور اجتماع تقرر بموجبه تشكيل "القيادة المشتركة لقوات الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية وجيش لبنان العربي".

دفع السوريون بقوات جديدة إلى لبنان يوم ١٩٧٦/٦/٦م حتى وصل تعدادها إلى (١٢ الف جندي) ونشبت في البقاع الغربي أولى الاشتباكات بين السوريين والقوات المشتركة، وعندما قرر النظام السوري أن يغزو لبنان أصدر تعليماته إلى قواته في بيروت والصاعقة وأحمد جبريل والميليشيا للاستيلاء على مكاتب (م.ت.ف) والحركة الوطنية اللبنانية[١٤]. تهيأت الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية للأمر عبر حملة لم تستمر أكثر من يومين للتخلص من الميليشيات الموالية للنظام السوري. وقاد صلاح خلف والعميد سعد صايل هذه الحملة، أذكر كم كان الأمر سهل التنفيذ ؛لأن القاعدة الشعبية للنظام السوري كانت قد تركزت في بيروت الشرقية حيث كان ينظر إليه أنه المنقذ.



الشهيد جواد أبو الشعر

(١٤)حديث للمسؤول العسكري لمنظمة الصاعقة في لبنان حنا بطحيش، إلى جريدة السفير اللبنانية ٢٦/٦/١٩٧٦م.

انشقت عناصر من قوات الصاعقة الموالية لسوريا وعلى رأسها المسؤول العسكري العميد/ محمد دغمان، والعميد محمود أبو مرزوق نائب قائد قوات حطين(*) التي كانت متواجدة في بيروت وبدأت الدفاعات الموالية لسورية تنهار وتمكن زهير محسن(*) من الهرب إلى دمشق عبر المنطقة الشرقية، أما قائد جيش التحرير مصباح البديري فقد وقع في أسر قواتنا وقمنا بنقله فوراً إلى مكتب ال١٧ وظل محجوزاً لدينا، وأمر فاروق القدومي عدم المساس به، وبناءً على تعليمات الأخوة في القيادة تم إطلاق سراحه. وخلال هذه العملية استولت القوات المشتركة على مخازن أسلحة هائلة للصاعقة. ورداً على هذه العملية قامت القوات الخاصة السورية المتمركزة بالمطار وفي خلدة بقصف العاصمة ومخيمات اللاجئين انتقاماً ومنعت إدخال الطعام والوقود إلى بيروت الغربية، وأوردت دوائر الشرطة والمستشفيات عن وقوع ٢٩٠ شهيدا بينهم قائد مليشيا "حركة فتح" "جواد أبو الشعر"(**)ومسؤول الجبهة الديمقراطية في الجنوب(١٥).

القائد العام يعود بحراً:

كان أبو عمار طيلة هذه المعارك خارج لبنان، مطروداً من النظام السوري فقام بجولة خليجية، اضطر في نهايتها للعودة سرا إلى لبنان عن طريق ميناء صيدا يوم ١٩٧٦/٧/٤م وسط تساقط الصواريخ السورية، وكانت عودته مغامرة جريئة كادت تودي بحياته كما يرويها سعيد مراغة (أبو موسى) قائد قواتنا في الجنوب اللبناني آنذاك، ويقول:"كانت الساعة بحدود العاشرة ليلاً، وإذا بباب غرفة الاجتماع يفتح ويطل منه (فتحي) كبير مرافقي أبو عمار، وإذا به يقول:"إن أبو عمار موجود في عرض البحر، على بعد ٣٠ – ٣٥ كلم قبالة شاطئ صيدا على متن سفينة تركية تجارية استأجرها من مصر ولا يريد الاقتراب بالسفينة من مرفأ صيدا تحسباً من إعتراض

(*) قوات جيش التحرير الفلسطيني في سورية (حطين)، وفي العراق (القادسية) وفي مصر (عين جالوت) وفي الأردن (بدر).

(*) زهير محسن ولد سنة ١٩٣٦ في طولكرم وتوفي سنة ١٩٧٩ في فرنسا سياسي فلسطيني تزعم منظمة الصاعقة الموالية للبعث السوري من ١٩٧١ الى ١٩٧٩ تاريخ اغتياله، انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية عن الدائرة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية، كانت علاقته مع ياسر عرفات وحركة فتح متوترة في احيان كثيرة، اغتاله الموساد في شهر ١٩٧٩/٧ في مدينة كان في جنوب الفرنسية.

(**) ولد جواد ذيب صالح محمد (جواد أبو الشعر) في بيت محسير قضاء القدس ١٩٤٤/٨/١٢م وبعد النكبة هاجرت أسرته إلى الخليل ثم انتقلت إلى الكرامة وبعدها إلى عمان، درس الابتدائية في مدارس جبل الجوفة في عمان، وحصل على الثانوية العامة عام ١٩٦٤م، في ١٩٦٥م سافر إلى إسبانيا لدراسة الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة مدريد، وانتخب رئيساً لاتحاد طلبة فلسطين في إسبانيا، وفي ١٩٦٧م تفرغ في حركة فتح، فترك مقاعد الدراسة ليلتحق بدورة عسكرية في الجزائر وفي ١٩٦٧/٨م كلف بمهمة في منطقة طولكرم. وخرج من الضفة الغربية بعد معركة الكرامة وتولى قيادة وحدة عسكرية في العرقوب. وفي ١٩٦٨/٦م التحق بدورة عسكرية في كوبا وكان مشرفاً على الدورة، ثم كلف من قبل القيادة بإنشاء القطاع الأوسط في جنوب لبنان في منطقة بنت جبيل ومارون الراس وياطر والبرج الشمالي كما تولى مسؤولية العمل التنظيمي داخل الأرض المحتلة في شمال فلسطين، وفي ١٩٧٥م تولى قيادة المليشيا في لبنان إلى أن استشهد في ٦-٦-١٩٧م عندما نزل من جبل صنين حيث كان يتفقد السرية الطلابية، وعند عودته إلى بيروت التي كانت تتعرض لقصف سوري حيث أصابه أحد الصواريخ السورية فسقط شهيداً.

(١٥)يقول صلاح خلف: علمت من أحد قادة الصاعقة أنهم سيقومون في ١٩٧٦/٦/٦م باستفزاز يهدف إلى شل التشكيلات الفدائية في بيروت، للسيطرة على مكاتب أحزاب اليسار ومغاوير جبهة الرفض، في حين تقوم وحدة سورية ترابط في المدينة الرياضية بالتحرك بحجة الفصل بين المشتبكين ثم تقوم بالسيطرة على جهاز فتح العسكري والسياسي. وصلتني هذه المعلومات يوم ١٩٧٦/٦/٣م فكان بوسعي استغلال مهلة الثلاثة أيام الباقية لاتخاذ تدابير دفاعية، وبالفعل، فإن الصاعقة بدأت قبيل ظهر يوم ١٩٧٦/٦/٦م هجومها، فما لبث مغاويرنا أن احتلوا قواعد ومكاتب المنظمات الموالية لسورية وينزعون سلاح مليشيات ويوقفون رؤسائها، وانتهت العملية التي دامت ست ساعات بعد أن تكللت بالنجاح، والصحيح هو أن خصومنا لم يبدوا مقاومة حقيقية بحيث أن كثير منهم سلموا أسلحتهم طواعية.(صلاح خلف، فلسطيني بلا هوية، ص٢٨٣).

الزوارق الصهيونية للسفينة التي تقله وبالتالي قد تعتقله، وحضرت بمفردي على زورق وجدفت خمس ساعات، وطلب أبو عمار إبلاغك أنه قرر العودة إلى صيدا، وسأكون برفقتك لأني أعرف اتجاه السفينة في البحر، وستكون مضاءة بأضواء خافتة، وأبلغني أن الأمواج مرتفعة عند السفينة لكنها ليست عاتية، أما بالقرب من الشاطئ فإنها هادئة.

وما أن أنهى فتحي حديثه حتى أدركت ما يجول في خاطر أبو عمار من وراء هذا السلوك، ففي تلك الفترة كان الأسطول الحربي الصهيوني يفرض حصاراً شديداً على الموانئ والشواطئ اللبنانية وتقوم زوارقه الحربية بتفتيش البواخر القادمة إلى ميناء صور وصيدا وتحتجز المسافرين على تلك البواخر حتى أنها كانت تحتجز الصيادين اللبنانيين والفلسطينيين مع قواربهم في كثير من الأحيان.

رغم معرفتي بفتحي وإخلاصه ووفائه للأخ أبو عمار وأمانته وحسن أخلاقه وطباعه إلا أنني أكبرت فيه تضحيته وشجاعته ووجدت نفسي أحتضنه بمحبة صادقة، مدركاً لماذا كان محط ثقة أبو عمار ومحبته، ولم أضيع وقتاً وأمرت بإنارة مئذنة (جامع الزعتري) في صيدا إعتقاداً مني بأن في ذلك إشارة مرسلة إلى أبو عمار بأني تسلمت رسالته ولكي تبقى السفينة التي تقله راسية في مكانه ليسهل علينا إحضاره – وقد فهمت هذه الإشارة على هذا النحو – كما علمت فيما بعد، ثم طلبت إحضار (أبو أحمد البنا) إلى طرفي فوراً، وهو فلسطيني من مدينة عكا ومن تنظيم حركة فتح، وكان فيما مضى من الشباب الذي تربى على يد الزعيم معروف سعد رحمه الله، وهو ذو صداقة وعلاقة طيبة جداً مع الصيادين في صيدا، فأمرته بإحضار أمهر الصيادين لمهمة خاصة، فعاد ليخبرني أن المطلوب أصبح جاهزاً وينتظرني في المرفأ فذهبت وإياه و فتحي إلى المرفأ حيث التقينا بالصياد – البحار، وفي المرفأ حدد فتحي الاتجاه الذي سنبحر منه باتجاه السفينة الراسية في البحر والإشارات الدالة عليها. ثم أخبرت أبا أحمد البنا أننا سنبحر لإحضار أبي عمار من تلك السفينة وأن عليه أن يهيئ زورقاً بخارياً آخر لإحضار عناصر المرافقة من السفينة، وأن يتم ذلك بالسرعة القصوى مع تحديد اتجاه الإبحار له، وأن عليه أن ينتظرنا حيث هو في المرفأ لحين عودتنا وأن لا يخبر أحداً بذلك.

أبحرنا من مرفأ صيدا في الساعة الثانية عشرة ليلاً باتجاه السفينة الراسية في البحر، وكان الموج يزداد ارتفاعا كلما ابتعدنا عن الشاطئ، ولم يعترضنا أي زورق حربي للعدو، وبعد نصف ساعة تقريباً وصلنا السفينة، وكان أبو عمار والقبطان والمرافقين في مقدمة السفينة ينتظروننا وكان موج البحر عاليا، وواجهتنا مشكلة عدم استطاعتنا إيقاف الزورق قرب السفينة ثم نزول أبي عمار منها، ذلك أن السفينة كانت تتأرجح مع كل موجة، وكان الزورق يرتفع بسرعة مع كل

موجة لعدة أمتار، ثم ينزل هابطا معها وبنفس السرعة وليس بين الموجة والأخرى فاصلاً زمنياً كافياً يمكننا من تثبيت القارب وإنزاله إليه بل إن الموجات كانت تتلاحق موجة إثر موجة، وكأنها تتقصد إعاقة عملنا.

وأخذ الصياد الذي أبحر يناور بمهارة فائقة حول السفينة عله يجد حلاً ولكن بلا جدوى، فأشار علينا أن ينزل أبو عمار على سلم في السفينة وفي الجانب الشرقي منها لأن ؛الموج قادم من الغرب، ونزل أبو عمار على سلم في السفينة لعدة درجات وهو متشبث به من الأعلى، إلا أن الموج لم يكن ليرفع القارب إلى المستوى الذي يمكننا من إنزال أبي عمار إليه، كما أنه لم يعد يستطيع النزول من السلم بأكثر مما نزل، خشية أن تأخذه أمواج البحر معها، أو تضرب جسمه بالسفينة ضربة قوية قد تودي بحياته.



أبو عمار أثناء وصوله شواطئ ميناء صيدا وسط تساقط الصواريخ السورية في ١٩٧٦/٧/٤

أبو عمار على أكتاف (من اليمين نبيل عبد عمر ومن الشمال يوسف أبو علي)

ومضى أكثر من نصف ساعة ونحن على هذه الحالة، أبو عمار يتأرجح مع كل موجة، فقلت أنني سأحاول الإمساك بالأخ أبو عمار وجذبه وحمله مع الموجة القادمة، ثم أخبرت أبو عمار أن عليه أن لا يتشبث بالسلم فوافقني على ذلك، وهيأت نفسي وحاولت قدر المستطاع تثبيت قدمي بسطح الزورق، وإذ بالموجة ترفعه إلى أعلى، فأمسكت أبا عمار من وسطه ثم وقعت وإياه على سطح الزورق، ثم نهضت بعد ذلك وأمرت الصياد بالعودة بنا إلى صيدا بأقصى سرعة، ثم التفت للأخ أبو عمار فإذا به ملقى على جانبه الأيمن وبلا حراك، فأخذت أتأكد من صحته وسلامته،

فوجدته سالماً ولكنه لا يتكلم ولا يتحرك، وبقي على هذه الوضعية لخمس دقائق كنت أنظر خلالها إليه مشفقاً عليه من صميم فؤادي، ثم تحرك أبو عمار ونهض واقفا ومتثاقلا بعض الشيء ثم عانقني، وفي الساعة الثانية والربع وصلنا مرفأ صيدا، حيث كان أبو أحمد البنا بانتظارنا وأخذنا إلى بيت أحد الصيادين من معارفه للاستراحة وشرب الشاي بانتظار وصول بقية عناصر المرافقة، وعندما وصل الجميع ودعنا القائد العام وانطلق موكبه نحو بيروت حيث استقل سيارة أبو محمود الصباح وبينما كان الموكب في الطريق سأل أبو محمود الصباح أبو عمار قائلاً: كيف شايف الأمور؟، فرفع أبو عمار رأسه قائلاً عبارته الشهيرة: "يا وحدنا" ".

طيلة الطريق من صيدا إلى بيروت، كان أبو عمار، يلتزم الصمت، لكن عبارة "يا وحدنا" التي أطلقها كانت تنبئ بأن ذهنه مشغولاً بالتخطيط لتجاوز تلك المرحلة التي يحاول السوريون خلالها الإجهاز على (م.ت.ف) وفق معادلة دولية برضا أمريكي وإسرائيلي على دخول القوات السورية إلى لبنان. ورغم حالة الصمت التي كان يميل لها أبو عمار طوال المرحلة إلا أنه كعادته بدا قوياً وتظهر تقاطيع وجهه أنه عائد للمواجهة ولحماية قوات (م.ت.ف) التي يعتبرها "الرقم الصعب"، وهكذا يكون حال أبو عمار في مواجهة الأزمات، يزداد قوة وإيمان بأن الله ناصره، وأن إرادة شعبه وقواته أقوى من كل سلاح.

ردود الفعل الدولية والعربية على التدخل السوري:

لم يلق دخول الجيش السوري الأراضي اللبنانية استنكاراً من جانب الرأي العام العالمي، وإنما كان إيجابيا من الإدارة الأمريكية التي اعتبرت أن دخول الجيش السوري قد يؤدي إلى الاستقرار في لبنان[*]، وجاء الموقف الفرنسي مؤيداً للموقف الأمريكي، أما الموقف السوفييتي فقد كان صامتاً، والموقف الإسرائيلي جاء داعماً لهذا التدخل[١٦]. أما الدول العربية فقد كان الموقف المصري والعراقي هما الأكثر وضوحاً في رفض التدخل السوري.

وعقد وزراء خارجية الدول العربية اجتماعا طارئاً في القاهرة يوم ١٩٧٦/٦/٨م بناءً على طلب ياسر عرفات اتخذ بموجبه قرار بوقف إطلاق النار واستبدال القوات السورية بقوات "عربية" تضم وحدات من ليبيا والجزائر والسودان والسعودية وسوريا وقوات فلسطينية. لكن هذا القرار أثار استياء الأوساط الانعزالية التي وصفت تصرفات الجامعة العربية بأنها "حرب دينية" ضد لبنان، وشنت ميليشيا النمور التابعة لكميل شمعون هجوما يوم ١٩٧٦/٦/٢٠م على مخيمي

(*) يقول الرئيس أمين الجميل في الحلقة الثالثة من سلسلة حلقات "شاهد على العصر" مع قناة الجزيرة يوم ٢٠١٠/١٠/١٩م: أما الضوء الأخضر لسوريا أن تدخل إلى لبنان كان عبر مفاوضات بين هنري كيسنجر وايغان الون، بشكل غير مباشر سمحوا للجيش السوري أن يدخل إلى لبنان.

(١٦)صحيفة هآرتس الإسرائيلية الصادرة يوم ١٩٧٦/٦/٣م

تل الزعتر وجسر الباشا في بيروت الشرقية،وأعلن الرائد عبد السلام جلود يوم ١٩٧٦/٦/٢١م استئناف الوساطة مع الرئيس الأسد الذي وعد بسحب القوات السورية من خلده وصيدا وطرابلس وصوفر ومنطقة البقاع وعكار وظهر البيدر في غضون أربعة أيام، إلا أن ذلك لم يتحقق، حيث اندلعت المواجهات في جميع المناطق ضد القوات السورية، وفي يوم ١٩٧٦/٧/١٢م أعلن كمال جنبلاط عن استحداث "إدارة مدنية" في جميع المناطق التي تسيطر عليها الحركة الوطنية اللبنانية التي شكلت ما سمي "هيئة الأمن الشعبي" التي ترأسها "سنان براج" ممثل المرابطين، كما شكلت الحركة محكمة برئاسة فؤاد شعبلو. ورد الرئيس الأسد على ذلك بخطاب مطول وصف فيه كمال جنبلاط بأنه "سياسي متعطش للسلطة والثأر من المارونيين"، الأمر الذي زاد من اشتعال الفتنة بين كمال جنبلاط والجبهة اللبنانية.

انعقدت قمة ثلاثية مصرية - سعودية – سودانية يوم ١٩٧٦/٧/١٧م اتفقت على تأكيد الدعوة بوقف إطلاق النار، مما دفع ياسر عرفات إلى التكهن بضرورة مفاوضة سوريا وعدم تأزيم العلاقات معها، فقبل بوساطة رئيس الوزراء الليبي عبد السلام جلود حيث تم توقيع الاتفاق الفلسطيني السوري يوم ١٩٧٦/٧/٢٩ م الذي اعتبره كمال جنبلاط بأنه دق إسفين في العلاقات بين (م.ت.ف) والحركة الوطنية وحرمان الحركة من الدعم الفلسطيني، لكن ذلك الاتفاق لم يكتب له النجاح بسبب رفض الجبهة اللبنانية له، وكذلك رفض الحركة الوطنية الأمر الذي أبقى عرفات على وضعه السابق إلى جانب الحركة الوطنية، كما ردت قوات الجبهة اللبنانية الانعزالية على الاتفاق الفلسطيني يوم ١٩٧٦/٨/٥م بهجوم واسع على حي النبعة الفلسطيني – الشيعي انتهى باحتلاله.

مخيم تل الزعتر الجرح الذي لا ينسى:

أقيم مخيم تل الزعتر للاجئين الفلسطينيين على خرائب معسكر إنجليزي بني أثناء الحرب العالمية الأولى، ولم يكن موقع المعسكر مرصوفا، بل تربة طينية غير قابلة للسكن، وقد سمي بهذا الاسم لوجود معمل للزعتر في المنطقة، وفي عام ١٩٥٠م أنشأت الأمم المتحدة من خلال وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين مخيما للاجئين بالقرب من معمل الزعتر، وظل المخيم على حاله طيلة سنوات عديدة عبارة عن براكيات من التنك والزينكو والخشب.

كانت الأراضي المحيطة بالمخيم تعود إلى الرهبانيات المارونية التي ظلت تطالب باقتلاع المخيم واسترداد الأرض التي ارتفع ثمنها في السنوات الأخيرة بعد إنشاء المنطقة الصناعية في الشمال الشرقي لبيروت، ويحد المخيم من الشرق منطقة جسر الباشا وعليها مخيم آخر غالبية سكانه من الطائفة المسيحية، ومن الغرب منطقة الدكوانة وتسيطر عليها القوات الكتائبية، ومنطقة العسيلي ويليها منطقة النبعة وبرج حمود والمسلخ، ومن الشمال منطقة بيت مري وبرمانا تليها سلسلة جبلية وعرة تطل على المخيم، ومن الجنوب سن الفيل، وعين الرمانة وحرج ثابت ودير الراعي الصالح.

ولكون المخيم قريب من العاصمة حيث يجد اللاجئون والفقراء فرصة للعمل، فقد استقطب المخيم أعداداً من مخيمات الجنوب مثل البرج الشمالي وجوبا والرشيدية وعين الحلوة وأعداد من المهجرين في الدامور، وعدد من مخيمات الشمال مثل نهر البارد والبداوي وشحيم، ومن منطقة عرسال في البقاع.

تعاملت السلطات اللبنانية مع المخيم كجسم غير مرغوب فيه، وتملكت الجميع رغبة في التخلص منه حيث ادعى أصحاب رؤوس الأموال أن وجوده في يشوه جمال المدينة ويقطع تواصل القرى المسيحية، ومن هنا تواصلت الاحتجاجات والافتراءات على المخيم والوجود الفلسطيني عامة.

وتصف الكاتبة رحاب كنعان(*) في كتابها "تل الزعتر: مملكة التنك وجمهورية الثوار" الحياة في المخيم فتقول: "في الصيف تشتعل جدران الصفيح ناراً تجعل الجلوس داخلها مهمة شاقة في ظل غياب الكهرباء وشح المياه. وفي الشتاء يتضاعف الجحيم حيث الأرضية الترابية للبيوت وتسرب مياه الأمطار من سقف وجدران التنك لتسيل في قنوات ومزاريب من السطح تتجمع لتغرق الموجودات وتقضّ مضاجع النائمين الذين كانوا يهبون يحملون أطفالهم دون معرفة لمكان

(*) رحاب محمد حسين حمزة "كنعان" مؤلفة كتاب "تل الزعتر مملكة التنك وجمهورية الثوار" عاشت مأساة سقوط تل الزعتر، وفقدت (٥١) شهيداً من أسرتها بينهم الأب والأم وخمسة أخوة وثلاث أخوات، خلدتهم في شعرها ضمن ديوان "البسمة المجروحة" طبع في تونس عام ١٩٩٤م، ويطلق عليها لقب "خنساء فلسطين".

أفضل ينتقلون إليه ليقوموا في اليوم التالي برمي قطع القماش التي تبللت وتلوثت من السيول الطينية دون أن يعرفوا أيضاً من أين يحصلوا على بديل ملائم لها رغم كونها قطع ثياب قديمة. وإذا عبثت الريح بسطح منزل أو جدرانه فإن ذلك يتطلب الانتظار في تلك الأحوال الجهنمية حتى الحصول على إذن من المكتب الثاني(*) كي يسمح بتصليحه أو دق المسامير في حيطانه من الصفيح التي تعجز عن الصمود أمام الريح والمطر والشتاء وأحيانا كان صاحب البراكية أو أبنائه يجلسون وظهورهم إلى ألواح الزينكو بهدف تثبيتها كي لا يقتلعها الريح".

وفي الكفة الأخرى ولد الشعور بالضغط لدى اللاجئين في ذلك المخيم روحاً من التعاطف والتلاحم الداخلي تجعل كل واحد منهم يهب لنجدة الآخر دون تفكير بحجم الإمكانات، فالطيبة والنخوة هي السمة السائدة بين الناس هناك. من الناحية الاجتماعية كان يحظر على أهالي المخيم استضافة أحد من خارجه إلا بعد إبلاغ رجل الدرك عن اسمه وعنوانه ومدة إقامته، وإذا طاب البقاء للضيف عليه الذهاب إلى الدرك لتجديد إقامته في المخيم، وقد منع الدرك التجول داخل المخيم بعد التاسعة ليلاً، أما من الناحية الصحية فإن الدولة لا تسمح ببناء مرحاض لكل بيت، واكتفت ببناء مرحاض عام يتكون من أربع وحدات فردية للرجال ومثلها للنساء بدون أبواب خارجية، ويوجد في أول المخيم دورة مياه عامة واحدة وفي منتصفه واحدة، والأخيرة تقع في نهاية المخيم، وإذا أردت أن تتحدث عن طريقة استخدام تلك المراحيض والمشاهد اليومية للطوابير التي تنتظر قضاء الحاجة تحت أشعة الشمس أو هطول المطر شتاء، فالمنظر لا يحتاج إلى تعليق فهو بكل المقاييس يمس كرامة البش. وأمام ظاهرة تزايد السكان والاكتظاظ البشري في المخيم ترى النسوة طوابير أمام الحنفية العامة، دور طويل يقتضي الوقوف ساعات من أجل الحصول على الماء في وعاء تحمله المرأة على رأسها لتوصله إلى بيتها.

ظل المخيم على هذا الحال من الإهمال والإذلال لسكانه حتى ظهور العمل الفدائي وبواكير تواجد الثورة في لبنان عام ١٩٦٩م الأمر الذي وضع حدا لذلك الكابوس المقيت، فبدأت الحياة تدب في أوصال المخيم مرتبطة بنهوض الثورة، وإن كان بسرية تامة في البدايات؛ لأن مجرد الشك في انتماء أي فلسطيني لأي تنظيم سياسي يجعله هدفا تتعلم المخابرات اللبنانية في جسده التصويب وفي وسط ساحات المخيم حتى يكون عبرة لغيره.

ابتدأت ظاهرة التحاق الشباب والفتيات بخلايا الثورة السرية حتى تحول الأمر إلى ظاهرة علنية، وتم افتتاح معسكرات التدريب والدورات العسكرية وظهور معسكرات الأشبال والزهرات،

(*) كان المكتب الثاني اللبناني متخصصاً في تعذيب الفلسطينيين والتضييق عليهم.

ومراكز الإسعاف التابعة للهلال الأحمر الفلسطيني، ومنذ ذلك الحين بدأ المخيم يخلع ثوبه الصفيحي الصدئ ليرتفع فيه البنيان الحديث، وتم إنشاء معامل صامد للخياطة، كما تم إقامة معمل لصيانة السلاح وتطور المصنع إلى مصنع علمي تحت إشراف اللجنة العلمية، وصار ينتج الكثير من الأسلحة خاصة المتفجرات، وحين قام العدو بشن غارة على بيروت عام ١٩٧٣م لتنفيذ عملية ربيع فردان التي استشهد فيها القادة الثلاثة كان المصنع أحد أهداف العدو، حيث قام بنسفه وتدميره عن طريق إرسال قوات خاصة له.



مخيم تل الزعتر

مجزرة تل الزعتر:

لعله من قدر الشعب الفلسطيني أن يدفع ثمن العزلة العربية وأحقاد الطوائف، وضعف الأنظمة التي تعتقد بأن "النجاة" من التهديدات الأمريكية والإسرائيلية تكمن في الإنخراط بالتآمر على الفلسطينيين وقضيتهم أو التزام الصمت في أحسن الأحوال على ما يتعرض له الفلسطينيون من مذابح وحروب إبادة جماعية.كان تدمير مخيم تل الزعتر على أيدي المليشيات الكتائبية أول ضحايا الوجود الفلسطيني على الأراضي اللبنانية، وبدأت "المأساة الفلسطينية" يوم ١٩٧٦/١/٤م حين حاصرت مليشيات الكتائب والأحرار مخيم تل الزعتر تموينيا وصادرت شاحنتين من الأغذية مرسلة لإطعام السكان بحجة الرد على هجرة السكان من الدكوانه والقلعة، وبلغ الحصار ذروته يوم ١٩٧٦/١/١٢م حين انفتحت الحرب على كل الجبهات، مع قصف كثيف لمخيم ضبية، واقتحام البلدة وقصف النبعة وبرج حمود، فيما انتشرت عمليات القنص في كل مكان على طريق الشام، واندلعت اشتباكات في الشياح – عين الرمانة، الحدث، والحازمية، مع خطف وقصف عاليه- الكحالة، وفي طرابلس وزغرتا، حوش الأمراء، الناعمة والدامور، وصدور تهديدات كتائبية بمسح الكارنتينا عن وجه الأرض بالتزامن مع سقوط المئات من القتلى في الشوارع.

تواصل حصار المخيم حتى يوم ١٩٧٦/٦/٢٣م حين تدهور الوضع الأمني وتصاعدت الحرب، واشتد القصف على المخيم وجسر الباشا، فيما تجددت الاقتحامات في كافة أنحاء بيروت وانفتحت جبهة عاليه – الكحالة، وجبهة المتن – عينطوره وصنين، وفي يوم ١٩٧٦/٦/٢٥ م اشتدت الحرب لإسقاط مخيمي تل الزعتر وجسر الباشا ووصلت الإشتباكات إلى حرش ثابت، واندلع قصف مدفعي بين النبعة وسن الفيل (قذيفة في كل دقيقة) واشتعلت محاور الشياح – عين الرمانة، طريق الشام، المتحف، عاليه، الكحالة، عيون السيمان، فاريا، وسقط في هذا اليوم ثلاثمائة قتيل. وبرر كميل شمعون هذه الحرب بقوله "لا حرب أهلية وإنما حرب مع الغرباء".

وفي اليوم التالي ١٩٧٦/٦/٢٦م تصاعدت الحرب على مخيمي تل الزعتر وجسر الباشا وبقية المحاور، وفي اليوم التالي أعلنت مليشيات نمور الأحرار الإنعزالية سيطرتها على التلال المحيطة بتل الزعتر، واستمرار الحرب الضارية حول المخيم وسقوط ٤٠٠ قتيل وجريح وأعلنت مليشيات الكتائب دخولها معركة تل الزعتر في بيان رسمي بالاشتراك مع حراس الأرز، وتركز الهجوم يوم ١٩٧٦/٦/٢٨ م على جسر الباشا من تحويطة فرن الشباك وحرج ثابت، وسيطرت القوات اللبنانية على المرتفعات المحيطة بتل الزعتر مرة أخرى وتقدمت نحو دائرة المخيم.

نجحت مليشيات الكتائب والأحرار في اختراق جسر الباشا بتاريخ ١٩٧٦/٦/٢٩م بينما نشطت عمليات الاقتحام في عين الرمانة، وشهدت بيروت قصف مدفعي عشوائي انتقل لمناطق

الجبل، وتم قصف صيدا والميه وميه وعين الحلوة، وأصبح الوضع في غاية الخطورة حيث سقط في ذلك اليوم ٧٠٠ قتيل وجريح واستمر القتال حتى يوم ١٩٧٦/٧/٢ م حين تمكنت القوات المدافعة عن المخيم من فك الحصار وقامت حركة "فتح" في اليوم التالي بتوزيع أربعين طناً من الطحين على سكان المخيم.

"تألفت القوة المدافعة عن تل الزعتر وجسر الباشا من ١٢٠٠ من المليشيا يدعمهم ٦٠ من جيش التحرير تولوا تشغيل ٣٦ قطعة من أسلحة الإسناد، وكان هناك بعض التحصينات، بينما كانت الملاجئ الثمانية عشر التي شيدتها منظمة التحرير ضد الغارات الجوية سنة ١٩٧٥ م تتسع فقط إلى (٦٠%) من أهالي تل الزعتر، وكان مخيم جسر الباشا يقع على تلة شديدة الانحدار وفوق أرض صخرية الأمر الذي أعاق بناء الملاجئ، لكن بيوته الإسمنتية وفرت حماية أفضل لسكانه من تلك التي وفرتها أكواخ الصفيح لسكان تل الزعتر، واتضح هذا في اليوم الأول من هجوم المليشيات الانعزالية حيث سقطت (٥ آلاف قذيفة) على المخيمين فدمرت ما يقرب من ٧٠% من بيوتهما.

وفي الواقع دارت المعركة بمحيط تل الزعتر خلال الأشهر الأولى وبالذات منطقة المكلّس وما حولها التي استولى عليها المدافعون عن تل الزعتر لتوفير درع واق للمخيم، ولم يتزحزح المدافعون عن مواقعهم إذ كانوا يستعيدون المباني والنقاط المرتفعة من أيدي المليشيات الانعزالية مرة تلو الأخرى، لكن ميزان المعركة تغير بعد دخول حزب الكتائب المعركة يوم ١٩٧٦/٦/٢٤ م ثم تغير بعد ذلك بأسبوع عندما زجت الأجنحة المتمردة من الجيش اللبناني بقيادة فؤاد مالك وانطوان بركات بقوات المشاة والمدرعات والمدفعية التابعة لهما في المعركة بصورة كاملة.

ورغم اشتداد القصف على المخيم، إلا أنه بفضل المدافعين عنه من داخله والمدافع المتمركزة في جبال المتن وبيروت تمكنوا من حماية تل الزعتر وإقامة "ستار ناري" أصاب بدقة متناهية الموجات الهجومية الانعزالية، لكن خط الدفاع بدأ يتراجع بالتدريج حتى بلغ حدود المخيم يوم ١٩٧٦/٧/٢٠م.

كما قامت قوات فتح والمنظمات الفلسطينية الأخرى بعدة محاولات لرفع الحصار عن تل الزعتر لكن من دون جدوى، فقد اضطرت القوات المشتركة إلى نشر قواتها في مواجهة الجيش السوري على عدة جبهات الأمر الذي استنفذ طاقاتها، وبالتالي لم تتمكن (م.ت.ف) من حشد ما يكفي من قوات الاحتياط لدعم خطة كسر الطوق التي اقترحتها قيادة المخيم، وكبديل قامت عدة قوى تابعة للقوات المشتركة بشن سلسلة من الهجمات الصغيرة على خطوط

الميليشيات الانعزالية في ضاحية عين الرمانة ومناطق أخرى وإزاء هكذا حالة أخذت حركة فتح تعتمد على قوتها الذاتية لكنها واجهت صعوبات كبيرة.

أخذت محنة تل الزعتر تزداد سوءاً يوماً بعد يوم اعتباراً من منتصف شهر تموز (١٩٧٦/٧م) وكانت دوريات فتح تقوم بانتظام بالرحلة الخطرة عبر أحراش وادي نهر بيروت وعبر خطوط المليشيات الانعزالية حول المخيم لإيصال التعزيزات ومعدات القتال.

خلال تلك المرحلة تولى خليل الوزير المسؤولية الكبرى في الدفاع عن المخيم، وإيصال الدعم والتموين وأقام غرفة عمليات في منطقتي راس المتن والمونتيفيردي بالجبل، وكان يواصل العمل لمساعدة أهلنا في مخيم تل الزعتر وتخفيف هجمات القوات الإنعزالية، حيث استخدم مرابض المدفعية في الجبل لعرقلة الهجمات على المخيم، الأمر الذي أسهم إلى حد كبير في صمود المدافعين عن المخيم عدة أشهر وكلما كانت المعارك تشتد كان يرسل الدوريات للاشتباك المباشر وفك الحصار. كما قام بفتح جبهات أخرى في الكحالة ومناطق أخرى لإشغال تلك القوات في معارك جانبية،، وفي غرفة العمليات كان يساعده العميد أحمد عفانة (أبو المعتصم) و غازي الحسيني وعدد كبير من ضباط القطاع الغربي.

إلا أن المشكلة التي برزت لم تكن تتعلق بالتصدي للقوات الإنعزالية، وإنما للنقص الشديد في المياه والطعام والمواد الطبية، ولم يكن لدى المخيم كله في بداية شهر تموز (١٩٧٦/٧م) سوى ثلاثة مصادر للمياه، تقلصت إلى أنبوب مياه واحد صالح للشرب وكان يقع عند الخط الأمامي للمواجهات، الأمر الذي كان يكلفنا كل ليلة سقوط (٢٠ – ٢٥ شهيد) من الأهالي خلال عملية جلب المياه، كما انتشرت حالات سوء التغذية والجفاف بين الأطفال، بينما قضت الغرغرينا والكزاز والنزيف على عدد متزايد من الجرحى بسبب عدم توافر المضادات الحيوية والأمصال. ورغم سوء الأحوال إلا أن المعنويات كانت عالية جداً لدى المدافعين عن المخيم لا سيما بعد أن تمكن أحد المقاتلين من إصابة قائد الحملة العسكرية للكتائب وليم حاويوقتله يوم ١٩٧٦/٧/١٣م.

تعرضت المجموعات المدافعة عن المخيم لقصف عنيف اعتباراً من ١٩٧٦/٧/١٦م، وأصبح الدفاع عن المخيم ميؤوس منه بسبب اختلال التوازن في التسليح ونوعية السلاح، حيث كانت إسرائيل قد سلمت الميليشيات الانعزالية دبابات من طراز "شيرمان" وناقلات جند طراز (م -٣) وقد استخدمت بشراسة في المعارك، حيث تم تدمير المباني بقصف أعمدتها وأساساتها كي تنهار، الأمر الذي أدى إلى مقتل (٢٥٠ مدني) كانوا مختبئين في ملجأ إحدى البنايات في رأس الدكوانة، وقضى حوالي ألف من المدنيين وجرح ألف آخرين، الأمر الذي دفع أبو عمار إلى إجراء

مفاوضات مع حزب الكتائب[*]ونتيجة لذلك سمح للصليب الأحمر الدولي بإخلاء (٣٣٤) جريحا إلى بيروت الغربية، وتبعهم (٥٠٠ طفل)، مع إصرار الجبهة اللبنانية على مواصلة القتال انهار وقف إطلاق النار الذي كان أبو عمار قد توصل إليه في وقت سابق مع حزب الكتائب، وقام بشير الجميل بضم قواته إلى قوات كميل شمعون وشنوا هجوماً نهائياً على تل الزعتر في ١٩٧٦/٨/٨م، وكان من المفترض أن يوقع أبو عمار على الاتفاق مع حزب الكتائب يوم ١٩٧٦/٨/١٠م.

بدأ المدافعون المتبقون عن تل الزعتر والبالغ عددهم (٤٠٠) مقاتل يواجهون نقصا حادا في الذخيرة والطعام، وعاود أبو عمار في اليوم نفسه اتصالاته لتجديد الاتفاق مع حزب الكتائب الذي تعهد بألا يتعرض بسوء للفلسطينيين الذين يستسلمون إلى ممثلي قوة الأمن العربية، وقامت عربات تابعة لحزب الكتائب يوم ٨/١٢ بإذاعة بنود الاتفاق من مكبرات الصوت على السكان في الملاجئ، إلا أن عدداً يتراوح ما بين (١٠٠٠ – ٢٠٠٠) مدني قتلوا رمياً بالرصاص، أو قطعوا إربا.. إربا بالبلطات خلال الساعات التي تلت ذلك، وتقدمت الجرافات على أثر تلك المجزرة البشرية لتزيل المخيم عن الوجود وسحقت تحت الركام كل من ظل مختبئا في الملاجئ، وقدمت تعزيزات للمليشيات الانعزالية من مناطق أخرى للمشاركة في المذبحة، وإقامة نقاط تفتيش كان على الناجين المرور منها إجبارياً، حيث كانت تمارس عمليات قتل بشعة أمام أعين النساء والأطفال، وكانت تلك المذبحة من أبشع جرائم المليشيات الانعزالية بعد سقوط تل الزعتر، حيث بلغ إجمالي الشهداء (٤٢٨٠) شهيد[١٧].

(*) كان علي حسن سلامه (أبو حسن) على اتصال مع بشير الجميل وكريم بقردوني، وكلف من قبل أبي عمار بالبحث عن سبل وقف الهجوم على مخيم تل الزعتر وحصل على وعد من بشير الجميل بألا يتم اقتحام المخيم من قبل القوات الانعزالية إلا أن الأخير لم يلتزم بوعده، لذلك كان الشهيد أبو حسن سلامة غاضباً للغاية وهو يشاهد المذبحة التي حلت بمخيم تل الزعتر حتى أنه بكى وهو يردد: لقد خدعني بشير!!!.

(١٧)رحاب محمد حسين حمزة كنعان، تل الزعتر مملكة التنك وجمهورية الثوار، تونس ١٩٩٤م.



ياسر عرفات في زيارة لضحايا مجزرة مخيم تل الزعتر

شهادات من مخيم تل الزعتر:

شهادة النقيب عبد الرحمن صالح - من قوات الـ١٧:

في بدايات العام ١٩٧٦م كانت قوات الـ١٧ منتشرة على معظم المحاور الفاصلة بين بيروت الغربية والشرقية، حيث كانت الحرب طاحنة لا هوادة فيها بين الانعزاليين والحركة الوطنية اللبنانية. في تلك الأثناء كنت على رأس قوة من قوات الـ١٧ متمركزة في محور الشياح – عين الرمانة، وهو المحور الذي غلبت عليه حرب المواقع من قصف وقنص، وقد جاءتني الأوامر من قيادة قوات الـ١٧ بالتوجه إلى محور عاليه – بحمدون – صوفر، وعند وصولي هذا المحور كانت القذائف تنهال علينا، فأمرت بنشر القوة للتقليل من الخسائر وللثبات في المواقع التي وصلنا إليها بانتظار مساعدة الحزب التقدمي الاشتراكي. ثم جاء أمر من قيادة قوات الـ١٧ بالتوجه إلى عينطورة، فتحركت فوراً حيث كان في استقبالي أبو خالد العملة ونائبه نبيل عبد الرحمن، الذي بدأ يشرح لي تفاصيل موقفنا العسكري، وخلاصته أننا محاصرون بدرجة (٢٧٠) ولم يعد لنا من منفذ إلا بدرجة (٩٠)، وبينما كان القصف متواصل على موقعنا وصلتني برقية من الأخ أبو الطيب بالحضور إلى بيروت حيث تلقيت منه تعليمات بالتوجه إلى المتن حيث خليل الوزير. الذي استدعاني عند وصولي وكان برفقته غازي الحسيني واجتمعت معهم داخل شبه كهف في منطقة (المونتفيردي).

بدأ الحديث خليل الوزير فاجأني بالقول: أريد أن تذهب بدورية إلى تل الزعتر لتخترق الحصار عن هذا المخيم.. قلت: قد نصل إن شاء الله.. لكن لي طلب: أنا لا أعرف الطريق أريد دليلاً. أجاب: سأعطيك دليلين من أشجع الرجال عندي، تعرفت عليهما وهما خليل الجمل ما زال حي يرزق ومحمد شحادة (استشهد في الدامور بإنزال إسرائيلي) لقد كانوا من أشجع الرجال الذين صادفتهم في حياتي.

أحضر خليل الوزير الخارطة وبين لي أن المسافة بين (المونتيفيردي) وتل الزعتر ٢ كم فقط أي لا تحتاجون إلى ماء وطعام كثير بل إلى ذخائر وأسلحة لنقلها إلى المخيم ستصلون خلال ساعتين.

تحركت على رأس مجموعة من ثلاثة عشر مقاتلاً، عشرة منهم من قوات ال١٧ واثنان فرزهم لي خليل الوزير وأنا، لكن حساب الحقل ليس بالضرورة كحساب البيدر فقد كانت كمائن الإنعزاليين منتشرة على طول الطريق المؤدية إلى المخيم إلا أن الأخوة خليل الجمل ومحمد شحادة اختارا طرقا التفافية لتجنب الاصطدام بالكمائن لقد كانت حكمتهم وشجاعتهم ونباهتهم منقطعة النظير.

أمضينا ثلاثة أيام بلياليها ونحن ننتقل من موقع لآخر.. حيث بلغ منا الجوع والعطش والتعب مبلغه وبدا علينا الإرهاق، وأيقنت لماذا فشلت كل هذه الدوريات بالوصول للمخيم، بعدها ونحن مقبلين على (تل الزعتر) إذ بشلال ماء شربنا على عجل واغتسلنا لم يبق أمامنا إلا سفح جبل علينا صعوده للوصول إلى تل الزعتر.. لكنه مكشوف لمواقع الإنعزاليين واقترح علينا خليل الجمل تسلقه بأقصى سرعة ودون النظر إلى الخلف. كاد أحد المقاتلين في تل الزعتر أن يطلق علينا النار عند دخولنا أول نقطة في المخيم؛ لولا أنه تعرف على الأخوة خليل الجمل ومحمد شحادة اللذين كان من المخيم المذكور أصلاً.

(في تل الزعتر): (غالون من الماء يكلفنا غالون من الدم):

كان وصولنا للمخيم مدعاة فرح وبهجة وسرور لدى أبناءه، فقد دخلنا ثلاثة عشر مقاتلا مدججين بالأسلحة والذخائر.. بعد حين.. تأكدت بيني وبين نفسي أن لا جدوى من صمود مخيم محاصر(بدرجة٣٦٠) محاط بالحقد والكراهية.. من المليشيات الانعزالية الذين لا يعرفون سوى سفك الدماء وقتل الأطفال والنساء بقصف يتواصل ليل نهار وبدعم سوري. في هذه الحالة يكون ميزان القوى (صفرا) ولم يبق من مساحة المخيم سوى عشرات الأمتار المربعة يحتضن آلاف الأطفال والنساء حيث لا طعام ولا شراب والشهداء يتساقطون كل ساعة، فالطعام كان محصورا

في شوربة العدس وشراب الكركديه الذي أتذوقه لأول مرة، كانت الجرذان تجاورنا في كل مكان والقمل لا يفارق أجسامنا. نساء تل الزعتر يذهبن إلى بئر مكشوف يستشهد أكثر من نصفهن ليوفرن بعض الماء لأطفالهن.كان موقعي في محور التموين برفقة أبو نضال الصفدي وهو حي يرزق والذي كان مصابا، كان نموذجا للتعاون والتضحية.

كنت قبل تكليفي بهذه المهمة مصابا بخاصرتي اليمنى فعاد الدم ينزف باستمرار، ونظراً لصعوبة وصول الأدوية ونقصها بل وانعدامها كان يجري علاج الجروح بالملح والماء فقط.

استشهد معي في الموقع أربعة مناضلين من أصل الـ١٣ من الجنسية السورية.. أحدهم يدعى ثائر أوصاني قائلاً: إذا استشهدت حنطوني وسلموا جثتي لأهلي في سوريا (وكأنه كان يقرأ استشهاده) حيث استشهد بقذيفة هاون، قابلت الدكتور (عبد العزيز اللبدي) مسئول الخدمات الطبية في المخيم وأخبرته بالأمر وكان متعاطفا مع هذا الموقف قام بتحنيط الشهيد وثم دفنه في مكان بالمخيم. وهناك مجموعة من الأخوة المصريين لا أنسى ما حييت تضحياتهم ومثابرتهم حيث كانوا معنيين بدفن الشهداء... هؤلاء هم الجنود المجهولون.. هؤلاء يستحقون أعلى درجات الأوسمة.

لا زلت اذكر نداء الأخ الأكبر خليل الوزير من خلال جهاز اللاسلكي ٧/٥ حيث كنا نوجه المدفعية لقصف موقع (تلة المير) المشرفة على المخيم، كانت تلة القتل، فمعظم الشهداء سقطوا من هذا الموقع.

وضعت خطة لاقتحام التلة وعرضتها على سلمان قائد المخيم ورحب بالفكرة فأرسل مجموعة استطلاع لكشف ما هي النقطة الأضعف لاقتحام التلة إلا أن كان مصيرها الفشل حيث استشهد اثنين من المجموعة فاقلع عن الفكرة.. لكن هذا لم يمر مرور الكرام.

هناك شبل في المخيم يدعى محمود شحادة لا يتجاوز عمره الـ١٤ عاما وهو أخ الشهيد محمد شحادة وكان باستمرار يتواجد في المحاور، حصل تقدم من الإنعزاليين على المحور المتواجد فيه فأصيب برجليه وحاولوا الإجهاز عليه، إلا أنه وبشجاعة نادرة أطلق ما يملك من رشاشه نحو المجموعة المهاجمة فقتل قائد القوات الكتائبية في المنطقة الشرقية المدعو وليم حاوي(*)وانسحب إلى داخل المخيم وتم علاجه، وما هي إلا دقائق حتى كان ردهم على المخيم عنيفاً... فصبوا حمم

(*) وليم إميل حاوي (١٩٠٨ – ١٩٧٦م) تعرف على بيير الجميل مؤسس حزب الكتائب في لقاءات رياضية، فدعاه عام ١٩٣٧م للانتساب إلى الحزب، في شباط ١٩٦١ تم تعيينه قائدا للقوى النظامية لحزب الكتائب والتي كانت تعتبر بمثابة الجناح العسكري والأمني للحزب، وقام بتأسيس فرقة الكوماندوس الأولى والثانية عام ١٩٦٣، ثم أسس وحدة المغاوير عام ١٩٧٣م ومدرسة القتال عام ١٩٧٥م، وخلال الحرب الأهلية كان قائداً لقوات حزب الكتائب التي شنت معارك ضد المخيمات الفلسطينية في بيروت الشرقية، وكان يملك مصنعاً للمرايا في منطقة جسر الباشا، الذي تم تدميره خلال الهجمات الصاروخية في معارك تل الزعتر، قتله شاب فلسطيني اسمه محمود شحادة يوم ١٩٧٦/٧/١٣م على حدود تل الزعتر حيث أصابته الرصاصة في جبهته، وتسلم قيادة قوات الكتائب من بعد بشير الجميل.

قذائفهم على المخيم واستهدفوا بناية كان في ملجأها ٢٥٠ مواطن من الأطفال والنساء والعجز، وهي البناية الوحيدة المتبقية في المخيم، وبما أن القذائف اخترقتها من جهاتها الأربع، سقطت على من فيها واستشهدوا جميعا، ولم يستطع أحدا الاقتراب من هذه البناية والتي دفن تحت أنقاضها ٢٥٠ بريئا.

أصبح الوضع العسكري بعد هذه الأحداث ميئوسا منه عدا عن الوضع الإنساني، استدعاني سلمان قائد تل الزعتر وأفادني بالآتي: عليك تشكيل دورية من خمسة عناصر لاختراق الحصار والذهاب إلى أبي عمار لتشرح له وضع المخيم فالصمود أصبح من المعجزات.

وبالفعل تم تشكيل الدورية من أبناء المخيم لمعرفتهم الطريق من خمسة مقاتلين أشداء، أذكر منهم فراس وأخر كنا نلقبه (كبوتشي) لشبهه بالمطران ايلاريون كبوتشي انطلقنا قرابة الثامنة مساء من الجهة الغربية للمخيم وعند تقاطع خط التماس شاهدنا سبعة جثث ممددة على الأرض لكنها عظاما نخرة.

أثناء المسير أخذت إصابتي تسوء والدم ينزف ولا أملك أية مواد طبية لمنع النزيف سوى كوفية فلسطينية ربطتها بإحكام حول خاصرتي. بعد مضي ساعة على مسيرنا وصلنا إلى بلدة (المنصورية) وهي قلعة الإنعزاليين المعروفين بحقدهم على الفلسطينيين وقفنا بجانب سور يفصل مقبرة المنصورية.. قال فراس: إذا اجتزنا المنصورية من داخلها نصل (المونتيفيردي) حيث مقر خليل الوزير.

هو أطلق عبارته موجها كلامه لي بصفتي قائداً للدورية.

كيف نخترقها بين البيوت وساكنيها.. أجبته !

فرد قائلاً: سنمضي ثلاثة أيام بلياليها لنصل المونتيفيردي ونحن لم نزود لا بالطعام ولا بالماء!!

كنت غير مقتنع فيما يقول ونحن نسمع أصوات الناس بالقرب منا، كرر عبارته: أخ عبد الرحمن ساعتين ونصل أبو جهاد، أجبته على مضض: هل ترى هذا حلاً أخيرا ً؟؟ لم يجب بل وضع يديه على السور وقفز داخل المقبرة وتبعناه.. كانت لحظات الدقيقة فيها بسنة ونحن نسير في شوارع المنصورية ومسلحو الكتائب يسيرون أما باتجاهنا أو خلفنا، ونشاهد النساء والأطفال على الشرفات وهم يتحدثون ويتسامرون على ضوء الشموع حيث لا كهرباء في معظم مناطق لبنان في هذه الحرب.

لكن.. أيدينا على الزناد.. لو حصل مكروه.. فالأسر ليس وارداً في قاموسنا..ويبدو أنهم (حسبونا منهم) لا أذكر كم دقيقة سرنا داخل المنصورية فقد يكون عشرة دقائق.. وقد يكون عشرون دقيقة.. فالزمن في ذلك الوقت صعب تقديره.. وصلنا في نهاية المطاف إلى نقطة محصورة بأسلاك شائكة تحيط بنا.. وبينما نحاول علاجها للخروج منها.. سمعنا صوت أقدام تدنو نحونا من الشارع الذي يقابلنا.. رجل ذو قامة طويلة.. تبين على ضوء القمر بلباس أسود وصوت أقدامه ترتطم كصوت الرصاص فالهدوء يخيم ويطبق على المكان.. وجهنا نحوه بنادقنا حتى إذا مر من أمامنا لم ينبس ببنت شفه.. يبدو أنه لم يرانا وإن رآنا فالسكوت له أفضل.. فغاب عن أعيننا. لم يبق أمامنا في طرف القرية سوى الكلية الحربية التابعة للقوات اللبنانية، وإذا اجتزناها وصلنا أرض آمنة.. حيث هناك منحدر سحيق يضفي إلى الوادي وتعد منطقة حرام. اجتزنا مبنى الكلية ولم يكن أحدا موجودا فيها.. واختفت المنصورية عن أعيننا بانحدارنا نحو الوادي.. حيث صادفنا ينابيع من الماء وشجر الصفصاف على جانبي الوادي.. هذه مناطق محررة ونحن في مأمن (قال فراس).. وبالفعل ما توقعه فراس حصل، وصلنا إلى المونتيفيردي حيث خليل الوزير، استقبلنا بحرارة أخذني جانبا وشرحت له الموقف بالتفصيل ولاحظ الدم ينزف من خاصرتي فقال: اذهب إلى مستشفى بشامون فورا.

قبل ذهابي إلى بشامون همس في أذني فراس: سأعود من حيث أتيت لملاقاة أهلي والذين هم من المخيم أجبته لا تفعلها، فالوضع الآن أصبح أخطر مما تتوقع، إلا أنه صمم على العودة. وتوجهت إلى مستشفى بيروت حيث وصلني الخبر المفجع أن فراس أثناء عودته وقع في كمين واستشهد..

وبعدها استقبلني أبو الطيب في مكتبه وأخبرته برسالة سلمان الشفوية بخصوص تل الزعتر وكان متأثرا حيث اصطحبني فورا إلى غرفة العمليات بسبب وجود أبو عمار فيها. كان أبو عمار برفقة أبي حسن سلامة في غرفة العمليات.. أخذت أشرح له الوضع في تل الزعتر وما أن وصلت إلي عبارة: نساؤنا في تل الزعتر يذهبن إلى البئر الوحيد للتزود بالمياه (وهو مكشوف لدى العدو) حيث قد تذهب عشرة نساء وترجع منهن ٣ أو ٤ والبقية يستشهدن على البئر فغالون من الماء يكفلنا غالون من الدم. استدعى أبو عمار فوراً العميد سعد صايل وأمره بانسحاب الجميع من تل الزعتر ومن هنا جاءت مقولة أبو عمار: "كأس من الماء في تل الزعتر كان يساوي كأسا من الدماء". وبعدها توجهت إلى المستشفى ثانية حيث أجريت عملية جراحية ومكثت لمدة أسبوع.

(في اقتحام الكحالة) لو يعرف الزيتون غارسه لكان الزيت دمعاً:

بعد شفائي وخروجي من مستشفى بيروت أمرني أبو الطيب بالتوجه إلى عاليه حيث مقر خليل الوزير واجتمعنا به مع قادة القوات التي حضرت من الجنوب، فالهدف الآن هو: اقتحام الكحالة. وقال خليل الوزير ستكون الدبابات من أمامكم والمدفعية تقصف مواقعهم وتكونوا خلف الدبابات وسيارات الإسعاف من خلفكم. لكني لم أكن أعلم أن الهجوم على الكحالة سيكون من بين الصخور الشاهقة والشعاب والأودية السحيقة فبالكاد يمر الإنسان من خلالها.. ما بالك بدبابات المرابطون المدعومة..؟؟ ذهبنا إلى نقطة التجمع وكان في استقبالنا عصام اللوح.

كانت الساعة تقارب الثانية صباحا عندما بدأنا بالاقتحام.. تقدمنا بين الصخور والمنحدرات وكان برفقتي ١٤ مقاتلا من قوات الـ١٧ ومنهم أبو فارس الذي سمعته يقول الله أكبر عندما سقط من علو عشرة أمتار وبقامته الطويلة أصيب برضوض وكسور(*).بعد تقدمنا بأمتار فوجئنا بزخات كثيفة من الرصاص من قبل الكمائن المنتشرة حول الكحالة.. استشهد وأصيب العشرات بادئ الأمر.. أثناء تقدمنا تم أسر أحد المقاتلين.. حيث سمعناهم يقولون فلسطيني.. فلسطيني، والأسير عندهم لا يعيش لدقائق، يتم إعدامه بطريقة وحشية. وأذكر أنه استشهد ١٢ جندي وضابط من قوات الـ١٧ في تلك المعركة.

حوصرنا مع قوة من جيش التحرير وعلى رأسها نقيب تحت شجرة زيتون مع بزوغ الفجر، ولم يستطع الحراك، اعتقد أحد القناصة أننا تحت هذه الشجرة الكثيفة بأغصانها وضخامة جذعها وأخذ يطلق رصاصة بين الفينة والأخرى على جذع الشجرة. مر النهار طويلاً في هذا المكان إلى أن أسدل الظلام وبدأنا بالانسحاب.. تسلقنا جبلا شامخاً.. تفاجأنا أثناء الانسحاب ببعض الجثث بين الصخور.. شهداء وجرحى وتم إخلاءهم.. تموضعنا بالقوات في منطقة القماطية مجدداً، فقد صدرت الأوامر باقتحام الكحالة مرة أخرى.. وأثناء تجمعنا على محور القماطية الكحالة تمهيدا للهجوم انكشفنا لدى العدو فأمطرنا بقذائف دباباته وأصبت برأسي من شظايا دبابة ولاحظت الدم ينزف بغزارة وتم نقلي إلى مستشفى بيروت مجدداً ويبدو أن أبا الطيب قد علم بالأمر في حينه حيث فوجئت بوصوله إلى المستشفى وبرفقته كل من مفيد المصري وأبو حسين طيون وعلي الزئبق ومكثت في المستشفى قرابة الأسبوعين.

استعادت المليشيات الانعزالية زمام المبادرة في ١٩٧٦/٧/١٦م وشنت هجوما على مخيم تل الزعتر تحت اسم (وليم حاوي) بعد ثلاثة أيام من مقتله، ورغم ذلك ظل المخيم صامدا حتى بداية

(*) كان أبو فارس مقاتلاً شجاعاً، شارك في معظم معارك الدفاع عن الثورة الفلسطينية، وقد أصيب خلال المعارك أكثر من مرة، كانت آخرها خلال الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م.

الهجوم الموسع يوم ١٩٧٦/٨/١١م، والذي تم الرد عليه باشتداد المعارك في بيروت وقصفت جونيه بالصواريخ، وبتاريخ ١٩٧٦/٨/١٢م سقط مخيم تل الزعتر، وتم اقتحامه من قبل المليشيات الكتائبية ومليشيات نمور الأحرار وبعد ارتكاب مذبحة كبرى ضد السكان الأبرياء، تم إجلاء (١٢ الف مدني) نقلوا إلى البقاع وبيروت الغربية وتم إسكان بعضهم في الدامور بعد أن قامت مؤسسة صامد بترميم الأبواب والشبابيك فيها ثم مسحت قوات الكتائب المخيم بالأرض وكأن لم يكن هناك أي مخيم.

(٢) شهادة آمنة فياض – ٤٠ سنة – متزوجة وأم لعشرة أولاد (سكان تل الزعتر)[١٨]:

كنت سعيدة مع أسرتي في مخيم تل الزعتر على أمل إنها إقامة مؤقتة لحين العودة إلى فلسطين، كانت أحوالنا المادية سيئة، وزوجي مريض، لذلك ترك أولادي المدرسة لمساعدة والدهم، وفي أثناء الحصار كانوا يحضرون الماء ويمنعوني من الخروج خوفا عليّ كي أبقى وأرعاهم هكذا قالوا لي... أتى يوم التسليم المشؤوم وقال لنا المسؤولين: كل عسكري يسلم سلاحه ونفسه سوف ينجو، وكذلك كل مدني حيث ستأتي سيارات الصليب الأحمر لنقل الجميع، فرضخنا أنا وزوجي وأولادي الصغار لذلك، وقمنا بتسليم أنفسنا، فقاموا بتجميعنا حيث أخذوا يضربون الرجال ويعزلوهم عن النساء ويقلتونهم أمام أعيننا، إلى أن جاء دور دور زوجي فكان يحمل أصغر ولدين لنا بين يديه، فلم ينتظروا حتى يترك الأطفال فصوبوا الرصاص إلى رأسه ثم أخذوا الولدين من ابني الثالث وعمره ١٣ سنة، حيث حملهما بعد مقتل أبيهم ثم قتلوه وأبقوا على الصغيرين اللذين لم أعرف حتى الآن مصيرهما، وبعد أن نقلونا نحن النساء إلى بيروت الغربية لم أجد أولادي الكبار.

(٣) شهادة عليا معروف – ١٨ سنة:

أسهمت خلال الحصار والمعارك بعدة أعمال وأول عمل قمت به كان جمع التموين وتوزيعه على أهالي المخيم وزيارة أهل الشهداء، وخلال الحصار أسهمت بنقل الجرحى إلى أقرب نقطة إسعاف، وكذلك إسعاف الجرحى في الملاجئ، كما ساهمت بنقل الذخيرة وتجهيز حمالات خشبية لنقل الجرحى، إن أقسى ما تعرضنا له عندما نزلنا إلى منطقة الدكوانة، فلقد أخذوا أخي مني رغم توسلات أمي وأجبرونا على المغادرة فورا، وعندما وصلنا إلى منطقة النافعة التقينا أحد الأشخاص وكنا نعرفه فطلبنا منه أن يوصلنا إلى نقطة أمان مقابل ما لدينا من مال، لكنه لم يأبه بنا

(١٨)رحاب كنعان "تل الزعتر مملكة التنك وجمهورية الثوار"، ص٥٥

فقررت والدتي العودة لمعرفة مصير أخي، فرجعنا نبحث بين الجثث حتى عثرنا على جثته، فأخذت والدتي تصيح وتبكي بحرقة جعلت أحد مقاتلي الكتائب ينتبه لذلك، فجاء مسرعاً وشهر سلاحه علينا مهدداً بقتلنا إذا لم نغادر فوراً، ثم لحق به عنصر آخر وطلب منا أن نتبعه حيث كانت تقف سيارة لترحيل النساء، فركبنا معهن ونقلونا إلى "حاجز السريان" وهناك نزلنا من السيارة فهجم علينا مقاتلو الكتائب يوبخونا وطلبوا منا الاصطفاف على الحائط حتى جاء موفد من قوات الأمن العربية ونقلونا إلى بيروت الغربية.

معركة الشياح:

بعد نجاح النقيب عبد الرحمن بالدخول إلى تل الزعتر وعودته حاملا رسالة للسيد الرئيس من قادة مخيم تل الزعتر، طلب مني الرئيس أن أذهب إلى الجبل، للاستعداد لمعركة الجبل لكي أكون قرب أبو جهاد، رغم أن خليل الوزير وأحمد عفانه (أبو المعتصم)، وغازي الحسيني، والكثير من القادة الذين كانوا موجودين بالجبل، كانوا يقومون بالعمل المتواصل ليلاً نهاراً كما سبق وأن ذكرت.

بعد أن جهزت حوالي ١٢٠ مقاتلاً، تحركت بهم إلى الجبل لأكون بالقرب من مقر أبو جهاد وتوزعنا حيث كانت قوات فتح في رأس المتن، وما أن بدأنا في تجهيز أنفسنا وبدأنا بالاستقرار حتى جاءتني برقية من أبي عمار.. وفورا توجهت لمقابلته، وإذ به يقول لي عايزك أن تذهب إلى منطقة الشياح لتقوم باحتلال ولو ٥٠٠ متر لهذه المنطقة، وجاء بالخارطة وأخذ يشرح لي منطقة تقدمنا.

قلت: لا تتعب نفسك فنحن أولاد المنطقة، ٩٠% من مقاتلينا يسكنون تلك المناطق ابتداء من مخيم برج البراجنة وانتهاء بالشياح، وبعد أن تسلمت الأمر من أبي عمار.. عدت إلى الجبل وأوكلت مهمة البقاء للرائد عبد الفتاح أبو عمشه (أبو صلاح) وكان نائبي للشؤون العسكرية وهو ضابط من جيش التحرير، يمتاز بالأخلاق والخبرة، وكان لي أخ وصديق أكثر من نائب، وفعلا أتممت تواجد قواتنا في الجبل وأنا في طريق عودتي إلى بيروت للتوجه إلى المهمة التي كلفني بها السيد الرئيس أبو عمار، وإذ بأحد ضباط المنطقة جاء ليبلغني بأن القوات السورية والتي كانت متواجدة في جميع مواقع الجبل وكانت المناوشات قد خفت بعض الشيء، بأن السوريين قالوا لهم أي سيارة تمر من منطقة تواجدهم وإذا كانت تريد أن تمر بسلام لا بد لها أن ترفع راية بيضاء، أي بمعنى أن يمسك الشخص منديل أبيض ويمد يده من شباك السيارة.. جلست أنا والشباب اللذين كان من المفترض أن يرافقوني إلى بيروت، وأخذنا قراراً بعدم رفع أي منديل أبيض، وسوف نمر

مسرعين من مناطق السوريين.. والذي يحصل.. يحصل وليكن الطوفان ولا نسجل على أنفسنا أننا في يوم من الأيام قد رفعنا راية بيضاء وهي رمز للاستسلام..

وفعلا كنا ثلاث سيارات واقترحت عليهم أن لا نسير مع بعضنا حتى لا يشك السوريون أن بهذه السيارات أشخاصا مهمين، بل ننطلق وتكون بين كل سيارة وسيارة ربع ساعة على الأقل، وفعلاً هذا ما تم فلم نتعرض لقصف مباشر وإنما كانت هناك صليات من رشاشات، ولم تصبنا أي من هذه الطلقات التي كانت عبارة عن تحذير فقط، ووصلنا بيروت سالمين.

وفور وصولي دعيت لاجتماع بغرفة العمليات والتي كانت تضم خيرة ضباطنا وعلى رأسهم الرائد صلاح إبراهيم وهو خريج كلية حربية من ضباط جيش التحرير، وبعد تدارس الوضع اقترحنا أن نذهب لهذه المنطقة للاستطلاع أولاً، وفعلا بعد أن ذهبنا جاءنا عباس الطويل(*)الذي كان يشغل مسؤول لهذه المنطقة وهو من ضباطنا الجيدين، اكتشفنا أن في هذه المنطقة تحصينات عسكرية للكتائب يصعب اختراقها، وأن هذه المنطقة مزدحمة بالبنايات السكنية، ولا نستطيع تحريك أي سيارة تحمل رشاش أو غير ذلك، أخذنا خطوة أولى لا بد من عمل تحصينات على ظهر البنايات وتكون هذه التحصينات أولاً: للاستطلاع عن الطرف الثاني، والمهمة الثانية أن نقوم بإشغال القوات المعادية في حالة أي تقدم من طرفنا، أي بمعنى التغطية بنيران..

أحضرنا حوالي ٢٥٠ كيس رمل فارغة حيث المطلوب أن نقوم بتعبئة هذه الأكياس بالرمل ورفعها إلى سطح ٦ بنايات، تم الاتفاق أن تكون هذه الأبنية هي مراكز مرابط الرشاشات، ولو أوكلنا المهمة لمقاتلينا في عملية تعبئة هذه الأكياس ورفعها، يكون مقاتلونا في خبر كان من المشقة.. وهنا تذكرت أن المقاهي بصبرا يتواجد فيها عدد كبير من العمال المصريين، وأرسلت إلى الضابط أبو جورج ليحضر لي أكبر عدد ممكن منهم، وبعد فترة قليلة جاء أبو جورج بحوالي ٣٠٠ عامل من العمال الذين قاموا بتعبئة الأكياس ورفعها على أسطح البنايات، ثم وضعنا عليها ٦ رشاشات دوشكا بمنصب أرضي. وكان صعب علينا أن نقوم بأي عملية اقتحام للمنطقة لأنه لا يمكن أن نقوم بالقصف حتى تظهر المنطقة حسب العلم العسكري ليتم التقدم.. لأننا نواجه بنايات وتحصينات وأزقة ضيقة..

وبعد دراسة الموقف اتفقنا أنه لا وسيلة أمامنا إلا فتح نفق كبير نستطيع من خلاله التسلل للمنطقة الثانية خاصة وأن المسافة التي كانت تبعد بين مواقعنا ومواقع الانعزاليين هي فقط مساحة الشارع وتقدر بـ١٠٠ متر، وبعد أن أحضرنا المعدات للحفر بدأنا في حفر نفق واستمر معنا الحفر لمدة ثلاثة أيام فقط، وبينما انعكس الضوء على الشارع عرفنا أننا قد وصلنا نهاية النفق، وقمنا

(*) خلال كتابتي لهذه السطور جاءني نبأ وفاة عباس الطويل يوم ٢١/١١/ ٢٠٠٩ م، كان الشهيد من خيرة ضباطنا، وعمل سكرتيراً في أمانة سر المجلس الثوري لحركة فتح رحمه الله.

بإرسال أول مجموعة وكان عددهم اثنان، وانتظرنا ساعة ثم قمنا بإرسال المجموعة الثانية وعددها اثنان.. وانتظرنا ساعتين وكنا بصدد إرسال مجموعة ثالثة لكن هنا استيقنت لشيء مهم جداً وهو أنني لم أسمع اشتباك مسلح مع مقاتلينا الذين أرسلناهم ولم يرجع أي منهم ليشرح لنا عن الوضع، فقمت بإرسال اثنين من المقاتلين وكلفتهم باستطلاع الأمر وعدم الخرج من النفق، وبعد أن ذهب الاثنان واستطلعا الأمر عادا ليخبراني بأن النفق الذي حفرناه لا ينتهي داخل بناية وإنما في آخر الشارع بشكل مكشوفلعناصر قواتالكتائب الذين كلما شاهدوا أحدا يخرج من النفق يطلقون عليه النار، وعلى ضوء هذه المعلومة عدلت عن فكرة استخدام النفق وقررت اقتحام مواقع الكتائب في الجهة المقابلة.

استدعيت ١٥٠ مقاتل، ووضعنا خطة الاقتحام من ثمانية منافذ وزدنا عدد رشاشات الدوشكاإلى ١٠ رشاشات على الأبنية.. وتم تزويد جميع الشباب بكلاشنات مقنبلة.. وكان بين كل ٥ مقاتلين رامي قاذف بي7.. واتفقنا أنه مع أول اقتحام يقوم رماة الدوشكا بنقل مكانهم من وسط البناية إلى آخر سور البناية، حتى يستطيعوا مشاهدة من هم بالشارع لعمل تغطية بكثافة النيران للقوات المقتحمة.

كان أبو عمار يسألني يومياً أين وصلتم.؟ وكنت أضعه بالصورة أول بأول لدرجة أنه جاء وزارنا بالموقع (منطقة الشياح مرتين) وأذكر في إحدى المرات كان معه معتمد الإقليم أبو اكرم، المهم وضعنا خطة الهجوم حيث نقلنا غرفة عملياتنا لمنطقة الشياح وبقينا هناك حوالي ٢١ يوم، وأعطيت الأوامر لرشاشات الدوشكا أن تفتح بنيرانها بوقت واحد.. وقد أحضرنا ٤ سيارات راجمات صواريخ لتكون قوة احتياط.. وكما أسلفت اخترنا ثمانية معابر ليكون منها الاقتحام، وقد كان معظم المقاتلين الموجودين بالقوة المهاجمة من سكان منطقة الشياح، حيث يعرفون كل شارع ومنزل بالتفصيل.

وقررنا أن يكون الهجوم مع آذان الفجر.. وأعترف أن هذه المعركة كانت أشرس معركة تخوضها قواتنا وأن غزارة النيران فيها تفوق الوصف سواء من طرفنا أو من طرف الكتائب.. واستطاعت مجموعتنا بالتقدم والاختراق وحينما واجهنا سيارات الكتائب والتي كانت محملة برشاشات الـ٥٠٠، حيث كان مقاتلونا يطلقون عليها قذائف الـB7 لكنها لم تنفجر بها، وهنا كانت مشكلة لنا، مما أدى إلى أخذنا منحى ثاني في تلغيم البنايات من طرفهم.. وبعد أن استقر لنا الوضع بالشياح ولم نستطع التقدم سوى ١٥٠ متر فقط، وحوصرت مجموعة لنا ببناية كان عددها تسعة أفراد، اضطررنا لتعبئة البنزين بسيارة إطفائية وقمنا برش البناية المقابلة حتى أن لهب النار أبعد مراكز قنص الكتائب.. كانت معركة شرسة حيث سقط لنا في هذه المعركة ٣٧ شهيدا و٥٢

جريحاً، وكان بين الجرحى رشيدة المغربي شقيقة دلال وكانت إصابتها خطيرة، كذلك أصيب الملازم أول مفيد المصري، وبعد تلك المعركة التي استمرت ثماني ساعات متواصلة تم احتلال ما يقرب من ٣٠٠ متر على طول منطقة الشياح وكانت خسائر الانعزاليين ضعف خسائرنا، وبعد ثلاثة أيام ذهبت وقدمت تقرير للسيد الرئيس بما حصل وآنذاك لم أكن أعرف لماذا كان أبو عمار متشددا في تلك المعركة واحتلال أكبر جزء من هذا الشريط.

وبعد أن أعلمت أبا عمار باحتلالنا لشريط بطول ٣٠٠متر في منطقة الشياح الخاضعة لسيطرة الانعزاليين آنذاك، قام باستدعاء أبو حسن سلامة وأبلغه أنه موافق على التفاوض ووقف إطلاق النار، هنا عرفت السبب، حيث كان أبو عمار يريد احتلال أي موطئ قدم في الشياح؛ لأنه كان مقبلا على التفاوض وقد كان يريد تحسين شروطه التفاوضية بعد سيطرتنا على هذا الجزء من الشياح.

عندما قدمت لأبو عمار تقرير عن مجريات المعركة وحينما قرأ بأن قواذف بي٧لم تنجح في تعطيل سيارات الكتائب قال معقولة أنت صدقت شبابك، قلت أنا كنت في المعركة وشاهدت هذا بعيني.. وخلال الحديث دخل عدنان سماره (مسؤول اللجنة العلمية)، فتدخل قائلاً يا أخ أبا عمار الذي يتحدث به أبو الطيب صحيح فإسرائيل أدخلت تحسينات على تجهيزات الكتائب ووضعوا على سياراتهم أشكال هندسية معدنية، ولهذا حينما نضرب قذيفة بي٧ فإنها تنزلق ولا تنفجر، كذلك عملوا على سيارات النقل تصفيح ثاني لجسم السيارة وتركوا حوالي ٢٥ – ٤٠ سم، وضعوا بهذا الفراغ رمل لحماية مركباتهم. فاصدر أبو عمار تعليماته على الفور بإحضار الصفائح وإرسالها للجنة العملية لعمل اللازم. وبالفعل تم احتلال مصنع للصفائح المعدنية في منطقة خلدة كان يملكه الرئيس كميل شمعون، ونقلنا محتوياته إلى اللجنة العلمية. وشكلت هذه المعركة درساً لجميع عناصر قوات ال١٧ وأوضحت لنا ضرورة دراسة كل إضافة أو تغيير في العلم العسكري، فرغم المرارة التي ذقناها من خلال عدم تأثير قذائف الآر بي جي، إلا أننا استفدنا من هذه التجربة في معرفة قدرات العدو وكذلك الاستفادة منها وتجهيز آلياتنا أيضا.

الدور الإسرائيلي في المرحلة الأولى من الحرب الأهلية:

في تمام الساعة التاسعة يوم ١٩٧٤/١٢/١٠م، وبينما كان عدد كبير من موظفي مكتب (م.ت.ف) في منطقة كورنيش المزرعة يزاولون أعمالهم، هزّهم انفجار قوي وقع في الطابق الأول من المبنى حيث يوجد معرض "ذبيان وايوب" للمفروشات، وعثر رجال الأمن على سيارة

(فيات – ١٣٢) بيضاء اللون تقف على الرصيف المواجه، ووجدوا على سطحها قاعدة لإطلاق أربعة صواريخ بلجيكية الصنع عيار (٣,٥ بوصة) مركزة على لوح خشبي متصل بأسلاك كهربائية انطلقت منها الصواريخ، كما عثروا على بعد (٦٥ مترا) على سيارة ثانية من الطراز نفسه وعلى سطحها صندوق خشبي آخر تخرج منه أسلاك كهربائية متصلة ببطارية السيارة. وبينما كان يجري إخلاء المكاتب وسكان البناية انطلقت ستة صواريخ من صندوق خشبي يفتح أوتوماتيكيا لتصيب مكاتب المنظمة إصابات مباشرة.

تزامن الهجوم على مكاتب (م.ت.ف) مع هجوم آخر تعرض له مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الكائن في الطابق الثاني من بناية الدكتور راجي نصر في شارع كولومباني المتفرع من شارع أنور السادات، حيث أصيب المركز بأربعة صواريخ انطلقت من على سطح سيارة من طراز "اودي – ١٨٠" وأسفر الهجوم عن تدمير القسم الأكبر من مكتبة المركز التي تضم أكثر من (١٥ ألف) كتاب مع إصابة العديد من المواطنين وإتلاف العديد من السيارات. ولم تمض دقائق على الانفجارين السابقين، حتى تعرض مكتب شؤون الأرض المحتلة في الدور الأول من بناية الإيمان لصاحبها جعيفل البنا، والكائنة في شارع كرم الزيتون في منطقة الشياح لهجوم بأربعة صواريخ.

والجدير بالذكر أن هذه الهجمات أعقبت هجوما على السفارة العراقية، حيث تمكن أحد عملاء إسرائيل من إدخال حقيبة مفخخة إلى الصالة الرئيسة للسفارة، وبعد انفجارها قتل تسعة بينهم خمسة من اللبنانيين، ومنهم "بلقيس" زوجة الشاعر نزار قباني العراقية الجنسية.

وبسبب عجز الأجهزة اللبنانية عن اكتشاف العملاء الذين يقفون وراء هذه التفجيرات، ونظراً لعدم تجاوب وزارة الداخلية ووزيرها بهيج تقي الدين مع أجهزة الأمن الفلسطينية، فقد أقدم لبنان على فضيحة حيث وجهت السلطات اللبنانية يوم ١٩٧٤/١٢/١٧م نداءً عبر الصحف موجهة "للذين يزرعون القنابل والصواريخ، تطلب فيه السلطات منهم إعلان "هدنة لمدة ٢٤ ساعة" قبل حلول عيد رأس السنة"، وأمام هذه الفضيحة لم يكن أمام الأمن الفلسطيني سوى التحرك لكشف العملاء المنفذين وإلقاء القبض عليهم.

تمكنت أجهزة الأمن الفلسطينية بتاريخ ١٩٧٥/١٢/٩م من إلقاء القبض على المواطن اللبناني المدعو "خميس أحمد بيومي (أربعة وثلاثين عاماً)" وذلك بينما كان يرسم لوحة كروكيه لأحد مباني (م.ت.ف)، ولم يصمد كثيرا خلال التحقيق حيث كشف عن الخلية المنفذة بقيادة "جميل القرح" وثلاثة عملاء آخرين سبق أن جندهم جميل لصالح إسرائيل.

في بناية مطلة على البحر في طريق بوليفار، ولد خميس بيومي لأسرة ميسورة وكثيرة

العدد، فوالده مقاول كان يمتلك مكتباً فخماً في بيروت، لذلك نشأ مدللا يتردد على جلسات اللهو والسهر في المقاهي والأندية الليلية، وقد تعرض والده لحادث سيارة أودى بحياته حيث اكتشفت الأسرة بعد الوفاة أنه مدين للبنوك بمبالغ طائلة، الأمر الذي سبب صدمة لخميس وأخوته، فاضطر للعمل اختصاصي للعلاج الطبيعي في أحد مراكز تأهيل المعاقين في صيدا، وخلال عمله تعرف على سيدة أرمنية مسنة كانت تسأل عن إمكانية علاج طبيعي لابنتها المعاقة في المنزل، تطوع للقيام بتلك المهمة، وخلال زياراته لعلاج الابنة في المنزل تعرف على خالها "كوبليان" الذي يعمل تاجر مجوهرات في بيروت.

لم يضيع خميس الفرصة، حيث توجه ذات يوم إلى محل مجوهرات كوبليان، وبدأ يشرح له قصة حياته، فتطوع كوبليان بمساعدته وقدم له مبلغ خمسة آلاف ليرة لبنانية مقابل أن يعمل لصالحه، حيث ادعى كوبليان أن العمل وطني وهو "تهديد المصالح الأمريكية لوقوفها مع إسرائيل ضد لبنان والعرب".

ترك خميس عمله كمعالج طبيعي ليبدأ عمله الجديد مع "كوبليان" الذي أسكنه في شقة خاصة ادعى أنها لصديق ورجل أعمال برتغالي اسمه "روبرتو" وطمأنه بأنه يتحدث بالعربية، وبعد أيام وصل "روبرتو" إلى الشقة وبدأ يصطحب خميس في سهراته الليلية وينفق عليه، ثم كاشفه بأن كل الأموال التي أنفقت عليه هي من الموساد الإسرائيلي، فلم يمانع، وعليه بدأ روبرتو يدربه على تفخيخ المتفجرات وضبط أوقاتها، وكذلك التفجير عن بعد، وأساليب التخفي والتمويه وعدم إثارة الشبهات وكيفية تجنيد الأفراد، وتمكن خميس فعلا من تجنيد جميل القرح وكان يعمل معلما، لكنه طرد من التعليم لشذوذه مع التلاميذ.

بعد إلقاء القبض على خميس بيومي وشبكته، صدرت تعليقات صحفية في إسرائيل تفيد "أنه يجب على إسرائيل أن تدرس الطرق الفعالة لدفع نظام الحكم في لبنان إلى العمل على تقليص عمليات المقاومة الفلسطينية من أراضيه". وباشر الموساد الإسرائيلي بتجنيد العديد من العملاء أمثال سعد حداد، وشربل قسيس الذي زار تل أبيب يوم ١٩٧٥/٤/٥م وبقي هناك حتى يوم ١٩٧٥/٤/١٣م حيث عاد إلى لبنان بعد ساعات من تنفيذ عملية "عين الرمانة" وبعد عودته اتضح أن إسرائيل قد فتحت قنوات اتصال مع بعض قادة الأحزاب الانعزالية مثل كميل شمعون وبشير الجميل وغيرهم.

واتضح أن إسرائيل كانت في بداية الحرب الأهلية اللبنانية قد قدمت ما قيمته (٣٥ مليون دولار) مساعدة مباشرة للمليشيات الكتائبية والمناصرة لها، بالإضافة إلى (١٢ الف بندقية عادية) غير الملابس والمأكولات، كما قامت بتدريب (١٥٠٠ متطوع) من المليشيات في إسرائيل[١٩].

وكانت إن أول زيارة قام بها شمعون بيريز وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق ورئيس إسرائيل الحالي إلى لبنان كانت في شهر (١٩٧٦/٥م) حين تحركت ثلاث سفن من ميناء حيفا إلى جونيه، وكانت إحداها تحمل إسحق رابين (رئيس وزراء إسرائيل)، وشمعون بيريز، وانضم إليهما كل من كميل شمعون وكان وزيراً للداخلية، وبيير الجميل زعيم حزب الكتائب حيث طلبا حسب رواية المجلة "التدخل الإسرائيلي المباشر" في الحرب الأهلية في لبنان[٢٠].

حرب الجبل ١٩٧٦م:

رغم أن تبادل الهجمات بين القوات الإنعزالية وقوات الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية في منطقة الجبل استمر طيلة الأشهر الأولى من ١٩٧٦م، إلا أن حرب الجبل فعلياً بدأت يوم ١٩٧٦/٩/٢٨م، حين شنت المليشيات الإنعزالية هجوما شرسا على المتن الجنوبي والشمالي ويضم قرى حزرتا وعين حزرتا وقاع الريم وترشيش والمتن وعين الصحة وجبل الكنيسة وكفر سلوان، ومحاصرة حمانا وفالوغا وبحمدون، وقد تصدت قواتنا وقوات الحركة الوطنية للهجوم وصمدت في مواقعها.

دخلت القوات السورية معظم قرى الجبل صباح ١٩٧٦/٩/٢٩م، فيما اشتد هجوم المليشيات الإنعزالية حيث أعلنت الكتائب أن الحرب هي لتحرير لبنان، وفي هذه الأثناء كانت طلائع جيش لبنان العربي قد أنهت عملياتها العسكرية بالسيطرة على عينطورة والمتن.

دخل اليوم الثالث من معارك الجبل (١٩٧٦/٩/٣م) بتقدم القوات السورية نحو الشبانية وبحمدون وعاليه، وقد صمدت قواتنا والقوات المشتركة في رأس المتن واتخذت مواقع جديدة في بحمدون، وأعلن المقدم فهيم الحاج رئيس مجلس قيادة الجيش العربي اللبناني بأن عملية إخلاء وتطهير الجبل كانت ضرورية لربط الجبل بالبقاع وإعادة اللحمة الوطنية ووحدة الأرض والشعب، وفي خضم المعارك اتهم وزير الدفاع السوري مصطفى طلاس (م.ت.ف) بالانحراف.

اشتد القصف على عاليه وسوق الغرب وبحمدون في اليوم الرابع (١٩٧٦/١٠/١ م) فيما تواصلت المعارك في رأس المتن، ولوحظ ظهور الجيش اللبناني بقيادة حنا سعيد على جبهة عاليه

(١٩)مجلة التايم الأمريكية ١٩٧٧/٨/٢٢م
(٢٠)ديفيد كيمحي، الخيار الأخير ط١، مكتبة بيسان، بيروت ١٩٩٢، ص١٧٦.

يقاتل إلى جانب المليشيات الإنعزالية الأمر الذي دفع أبو عمار إلى مخاطبة المقاتلين بالصمود والاستبسال في الدفاع عن الثورة، واعداً بالنصر وتزامن ذلك مع قصف عشوائي للمنطقة الغربية والمخيمات الفلسطينية، واستمر القصف العشوائي حتى يوم ١٩٧٦/١٠/٣ م بينما بيير الجميل يصرح: عازمون على تحرير كل شبر!! وقد إرتكبت ميلشياته مجزرتان في صليما وارصوف، ووقع تسع وعشرون قتيلاً في الشوف.

أعلن الحزب التقدمي الاشتراكي التعبئة العامة في ١٩٧٦/١٠/٥م معلنا أن الجبل منطقة عسكرية من كفر شيما إلى الباروك، فيما أغلقت بوابة المتحف وانسحبت القوات العربية من هناك، وتواصل القصف لليوم التالي (١٠/٦/ ١٩٧٦م) ضد المخيمات الفلسطينية فيما أعلن قائد مليشيات حراس الأرز "أبو أرز" أن أمام الفلسطينيين إما الخروج من لبنان أو الموت بالتقسيط.

عقد اجتماع ثلاثي في شتورا في ١٩٧٦/١٠/٩م حضره عن سوريا العقيد محمد الخولي والمقدم محمد غانم قائد القوات السورية في البقاع، وعن الفلسطينيين هاني الحسن، سعد صايل وأبو فراس، وعن لبنان العقيد أحمد الحاج والعقيد ميشال ناصيف، وكان الاجتماع بحضور الدكتور الخولي ممثل الجامعة العربية، لكن النتائج كانت مخيبة للآمال فتأجل الاجتماع، وكانت حصيلة هذا اليوم حصار بحري إسرائيلي لصيدا وصور، وأسر ثلاث سفن واحتجاز (٩) ركاب في جونيه. واستمرار الاشتباكات في القليعة والخيام ومرجعيون وجزين. وانتشار القذائف العشوائية في جميع أنحاء المنطقة الغربية من بيروت.

قوات الردع العربية:

قدرت مصادر لبنانية أن (٨٠,٠٠٠) الف لبناني غادروا لبنان خلال معارك الجبل، وذلك عبر مرافئ جونيه وصيدا وصور وطرابلس، فقد كانت تلك المرافئ هي الوسيلة الوحيدة لربط لبنان بالخارج بعد إغلاق مطار بيروت في شهر (١٩٧٦/٦م). وقد أسهم استعمال المقاتلين لصواريخ (غراد) خلال الحرب إلى ارتفاع عدد القتلى بين الأطراف المتقاتلة والمدنيين، فما أن دخل شهر (١٩٧٦/٨م) حتى أصبحت حصيلة القصف اليومي ما بين (٥٠ – ١٠٠) قتيل، كما أسهم في ازدياد المغادرين طلبا للنجاة بأنفسهم.

وكانت المعارك قد تطورت حين انفتحت جبهة روم – جزين واتساع حرب الشوارع في العديد من المناطق بما في ذلك داخل أسواق بيروت واشتعال العمليات يوم ١٩٧٦/١٠/١٣م على محور بحمدون – عاليه واستمرار حرب جزين – روم – الزهراني، وتواصل القصف على مرجعيون من منطقة القليعة، بينما تمكنت القوات السورية صباح يوم ١٩٧٦/١٠/١٤م من اجتياز

مواقع القوات المشتركة في بحمدون، في الوقت الذي اشتدت فيه المعارك على جبهات صوفر – بحمدون، ودخلت معارك جزين يومها الثالث.

ظلت الاشتباكات والاقتحامات المتبادلة والقصف العشوائي وعمليات الخطف والمجازر تنتشر في جميع أرجاء الجبل وبيروت حتى خفت قليلا يوم ١٩٧٦/١٠/١٧م حين انعقدت في الرياض جلسات مؤتمر القمة السداسي الذي توصل في اليوم التالي ١٩٧٦/١٠/١٨م إلى ما يسمى "اتفاق الرياض" بوضع قوة ردع من (٣٠ الف) جندي عربي تحت إمرة الرئيس اللبناني إلياس سركيس، وتشكيل لجنة رباعية لتنفيذ اتفاق القاهرة بين السلطة اللبنانية و(م.ت.ف).

وفي اليوم الأول لنفاذ قرار مؤتمر القمة في الرياض بوقف إطلاق النار (١٩٧٦/١٠/٢١م) توقف القتال في الجبل وبيروت ليبدأ في الجنوب اللبناني، حيث قامت القوات اللبناني الانعزالية والقوات الإسرائيلية بهجوم واسع على مناطق مرجعيون، بنت جبيل، والسفيري، وقطعت طريق الخيام، أعلنت قوات الكتائب أنها ترفض الاتفاقات التي تبقى الفلسطينيين في الجنوب بينما اعترف التلفزيون الإسرائيلي بإمداد "القليعة" بالدبابات، وقد صمدت القوات الفلسطينية في حرب الدفاع عن النفس في الجنوب، وتمكنت من صد الهجوم يوم ١٩٧٦/١٠/٢٨م.

تسلم العقيد أحمد الحاج رسمياً قيادة القوات العربية في لبنان بتاريخ ١٩٧٦/١١/٨م، وبعد ذلك بيومين (١٩٧٦/١١/١٠م) دخلت قوات الردع العربية منطقة الجبل في عاليه وظهور الشوير وساحل المتين الشمالي والجنوبي، وفتحت طريق بيروت – دمشق. تقدمت قوات الردع العربية نحو الشوف ليلاً بتاريخ ١٩٧٦/١١/١٤م ودخلت بيروت فجراً، وتسلمت المؤسسات الرسمية في العاصمة ثم قسمتها إلى أربع مناطق عسكرية، وبتاريخ ١٩٧٦/١١/٢١م توجهت نحو صيدا وطرابلس وفرضت الأمن هناك.

يوم ١٩٧٦/١٢/٨م تسلم الدكتور سليم الحص(*) رئاسة الحكومة اللبنانية وبدأ جولة عربية، فيما بدأت الاستعدادات لنشر قوات من دولة الإمارات العربية في إطار قوات الردع في الجنوب، وينتهي اليوم الأخير من عام ١٩٧٦م بتوسيع رقعة الاشتباكات في الجنوب وتحركات إسرائيلية قرب الحدود.

(*)سليم أحمد الحص: (١٩٢٩/١٢/٢٠م) هو سياسي واكاديمي اقتصادي لبناني، شغل منصب رئاسة الوزراء خمس مرات، وانتخب عضوا في مجلس النواب اللبناني لدورتين متتاليتين، يسعى منذ اغتيال رفيق الحريري الى لعب دور توافقي بطرحه مبادرات تسوية رغم اتهام خصومه له بمحاباة الموالين لسوريا، وكان يعتبر من اشد المعارضين للحريري ولمشروعه وبالاخص بعد هزيمته في الانتخابات النيابية عام ٢٠٠٠م على يد قائمة مدعومة من الحريري وكان حينها يتولى رئاسة مجلس الوزراء، حاول حين ترؤسه الحكومة الاولى بعهد الرئيس اميل لحود ان يلاحق كل رجال الحريري الذين عملوا معه بتهم فساد، يتبنى الديمقراطية كشعار للبنان، ويعتبر أحد الاطراف الموالية لسوريا في لبنان ضد الحريري وذلك لما له من قوة على صعيد الطائفة السنية بعام ١٩٨٨م، وعندما كان يتولى رئاسة الحكومة بالنيابة وبعد انتهاء ولاية الرئيس امين الجميل رفض تسليم الحكم للحكومة العسكرية التي شكلها الجميل برئاسة قائد الجيش العماد ميشال عون وذلك كونها لا تضم وزراء من الطوائف الاسلامية وأصبح بلبنان حكومتين وكان يعتبر من وجهة نظر الموالين له والمناوئين لعون بأنه يتولى مهمة رئيس الدولة بالنيابة، ولعب دورا مهما في اقرار اتفاق الطائف.

استشهاد كمال جنبلاط:

في سنة واحدة من الحرب بين ١٩٧٥ و ١٩٧٦م تغير الكثير ففي أوائل ١٩٧٥م كان كمال جنبلاط يشكو من "اليسار المغامر" وكان برنامج الحركة الوطنية الذي أعده محسن إبراهيم وجورج حاوي، لا يتخطى حدود المطالب الليبرالية في بلدان الغرب حتى أن دين براون (وهو ينتمي إلى الحزب الجمهوري وكان مبعوثاً لإدارة جيرالد فورد في لبنان مطلع الحرب) علق على برنامج الحركة بالقول أنه يوافق عليه، وأنه محدود.

التيار الشعبي العلماني الجارف آنذاك دفع كمال جنبلاط إلى أن يغير موقفه المحافظ، وبدأ في حث عرفات نحو الانخراط في الحرب الأهلية للرد على القوات الانعزالية التي بدأت الحرب بأمر عمليات إسرائيلي (لا جدال اليوم في مسؤولية حزب الكتائب في إشعال الحرب بالنيابة عن إسرائيل).

في هذه الأثناء لم تكن الحركة الوطنية ولا المقاومة الفلسطينية تدخل عصر التلوث الطائفي.. ولم تكن الحركة الوطنية اللبنانية مستعدة للمعركة التي كان حزب الكتائب وحلفاؤه يعدونها في لبنان (ويتحمل كمال جنبلاط ومحسن إبراهيم وجورج حاوي مسؤولية كبيرة في هذا القصور الذي دفع ثمنه آلاف من اللبنانيين والفلسطينيين لأن الأفق الإصلاحي الليبرالي للثلاثة منعهم من تسليح الأحزاب اليسارية بصورة تتيح لهم الدفاع عن النفس على الأقل، وكلما زاد الزخم الشعبي، تقدم الأمل بإمكان كسر شوكة المليشيات الانعزالية في لبنان بضربة قاضية واحدة. تحول كمال جنبلاط وتغير وكبرت طموحاته، قد تكون دوافعه في المعارك آنذاك غير علمانية ولعله كان يحلم في تحرير لبنان، وأخذت جماهير المقاومة بالتصدي لمشروع لا تغيب البصمات الإسرائيلية عنه حيث تحولت المطالبة بتطبيق برنامج الحركة الوطنية الإصلاحي إلى مطالبة بتحرير لبنان من القوى الفاشية، كان النصر وشيكا وكان كمال جنبلاط يومياً يذهب إلى خطوط التماس.. وكان يقول أريد أن أصاب بالمعارك لأستفز "الدروز"، حينما غير كمال جنبلاط[*] رأيه وموقفه كان

(*)كمال فؤاد جنبلاط (١٩١٧/١٢/٦ – ١٩٧٧/٣/١٦م) أحد أهم زعماء لبنان في فترة الحرب الأهلية وما قبلها، واحد زعامات الطائفة الدرزية في جبل لبنان إضافة لكونه مفكرا وفيلسوفا، كان زعيما للحركة الوطنية اللبنانية في بدايات الحرب الأهلية اللبنانية واحد مؤسسي الحزب التقدمي الاشتراكي، ويعتبر من الشخصيات اللبنانية المعروفة بدعمها للقضية الفلسطينية، اغتيل في ١٩٧٧/٣/٦م، وقد كتبت اشعار واغاني في رثاءه، ويعتبر بعض الباحثين أن سبب اغتياله يرجع لدفاعه عن السلاح الفلسطيني وقد خلفه في زعامته ابنه وليد جنبلاط. وبعد نشوء حركة ١٤ آذار في عام ٢٠٠٥م والمطالب بخروج الجيش السوري من لبنان صرح جورج حاوي أن رفعت الأسد هو من كان وراء اغتياله، وأكد ابنه وليد أنه كان على علم بهذا وأنه تغاضى عن ذلك أثناء حلفه مع السوريين لمصلحة لبنان. حياته: ولد في بلدة المختارة بقضاء الشوف في لبنان في ١٩١٧/١٢/٦م، والده فؤاد بك جنبلاط اغتيل في ١٩٢١/٨/٦م في وادي عينبال، وكان قائم مقام لقضاء الشوف أيام الانتداب الفرنسي على لبنان، ووالدته السيدة نظيرة جنبلاط التي لعبت دورا سياسيا مهما بعد وفاة زوجها فؤاد بك جنبلاط وعلى امتداد أكثر من ربع قرن، كان يبدي عطفا خاصا وتعلقا بالقضايا العربية، فهو شديد الاعجاب والحماس لسعد زغلول، ومن مواقفه في هذا الصدد ذهابه في العام ١٩٣٤م عند استقلال مصر إلى رئيس الرهبان في مدرسة عينطورة ليطلب منه أن يعلن ذلك اليوم عطلة احتفاء باستقلال اول دولة عربية، وقد استجاب رئيس الرهبان لهذا الطلب، وكان موقفه هذا أول تعبير سياسي له في ما يتعلق بالقضايا الوطنية والعربية، نال شهادة البكالوريا – القسم الاول بقسميها اللبناني والفرنسي وبفرعيها الادبي والعلمي في شهر١٩٣٦/٦، وقد جاء الأول بين طلاب لبنان في الفرع العلمي، تأثر بمدرس الفلسفة في معهد عينطورة الاب هنري دالمه، هذا المدرس المطلع على الفلسفة اليونانية، والذي أصبح في ما بعد أمين سر المجمع المسكوني في معهد البابا بولس السادس، ونال شهادة الفلسفة سنة ١٩٣٧، في شهر١٩٣٧/٩م سافر إلى فرنسا ودخل كلية الآداب في السوربون وحصل على شهادة علم النفس والتربية المدنية واخرى في علم الاجتماع، وخلال اقامته في فرنسا تتلمذ على يد العالم الاجتماعي غورفيتش ومعه أنجز شهادته في علم الاجتماع، وفي شهر ١٩٣٩/٩م عاد إلى لبنان بسبب الحرب

الأسد قد تمكن من فتح حوار مباشر مع الزعيم الدرزي الكبير والأب السياسي والروحي لحلف اليسار اللبناني مع الفلسطينيين.

لكن العلاقة بين جنبلاط والسوريين كانت تتراجع باستمرار فكان كمال جنبلاط قد بدأ يغضب من الموقف السوري اعتباراً من يوم ١٩٧٥/١٢/٦م عندما استقبل الرئيس الأسد رئيس حزب الكتائب بيير الجميل في دمشق استقبال رؤساء الدول، ثم تصاعد غضبه من السلوك السوري بعد زيارة رئيس الدولة اللبنانية سليمان فرنجية يوم ١٩٧٦/٢/٢م حيث توصلا لاتفاق لتسوية الوضع في لبنان تشتمل على (سبع عشرة نقطة) عرفت في حينها باسم (الوثيقة الدستورية) الأمر الذي أوحي لجنبلاط أن سورية قد تخلت عن الحركة الوطنية، وعزز من هذا الاعتقاد الأزمة التي انفجرت داخل الجيش اللبناني بعد أن قام الرئيس اللبناني، بتحريض من كميل شمعون الذي تسلم وزارة الداخلية، باستخدام الجيش للدفاع عن المليشيا الانعزالية وهو الأمر الذي أحدث عدة انشقاقات عن الجيش كما سبق وأشرنا.

وتطور الأمر إلى جفاء تام بين جنبلاط والقيادة السورية بتاريخ ١٩٧٦/٣/٩م حين عقد اجتماع صاخب بين وفد رسمي سوري جاء من دمشق بقيادة عبد الحليم خدام وممثلين عن الحركة الوطنية اللبنانية برئاسة كمال جنبلاط بهدف التوصل إلى توحيد الجيش اللبناني وتشجيع قيام حكومة اتحاد وطني، وخلال الاجتماع الذي كان يجمع خدام ورئيس الأركان السوري اللواء حكمت الشهابي أخذ الحديث حكمت الشهابي بادي عليه الغضب وراح يخضع كمال جنبلاط لاستجواب حقيقي ويطرح عليه أسئلة عدوانية ويسجل الأجوبة على دفتر صغير، ومن ضمن تلك الأسئلة: هل صحيح أنكم تؤيدون الخائن أحمد الخطيب؟ فرد عليه جنبلاط قائلاً: الخطيب وطني كبير، بل مفخرة قومية، أما المسؤول عن تفكيك الجيش فهو نظام سليمان فرنجية الفاسد الذي تدعمونه.

العالمية الثانية وتابع دراسته في جامعة القديس يوسف فنال إجازة الحقوق عام ١٩٤٠م. في عامي ١٩٤١ – ١٩٤٢م مارس المحاماة في مكتب المحامي كميل اده في بيروت، وعين محاميا رسميا للدولة اللبنانية لم يطل عمله في المحاماة أكثر من سنة اذ توفي ابن عمه حكمت جنبلاط نائب جبل لبنان عام ١٩٤٣م واضطر حينها إلى دخول المعترك السياسي، كان يجيد ثلاث لغات: العربية، الفرنسية والانجليزية وكان ملما باللغات الهندية، اللاتينية، الإسبانية والإيطالية، قرأ القرآن والانجيل والتوراة وكتب التوحيد والفيدا فيدانتا الهندية، كان متصوفا ويوغيا، اسس ورفيقه كميل أبو صوان نادي القلم (PEN) في لبنان ليكون هذا البلد حاضرا بين كتاب العالم، وفي ١٩٧٧/٣/١٦م اغتيل مع مرافقيه فوزي شديد وحافظ الغصيني على طريق بعقلين – دير دوريت في كمين مسلح، حياته الاسرية: تزوج من الاميرة مي شكيب ارسلان في شهر ١٩٤٨/٥م، ورزق بوحيده وليد في ١٩٤٩/٨/٧م، كانت عملية اغتيال القائد العربي الكبير كمال جنبلاط تحمل الكثير من الدلائل السياسية ؛لأن كمال جنبلاط كان قائداً لبنانياً وقائدا عربياً كبيراً، وكان الوحيد القادر على قيادة لبنان العربي المنشود، كان قائداًوطنياً لبنانياً كبيراً وقائداً قومياً وهو كان معروفاً على الصعيد الدولي ورجلاً صاحب علاقات اممية واسعة، وكان استشهاده خسارة كبيرة للبنان والثورة الفلسطينية والحركة القومية العربية.(المصدر: ويكيبيديا – الموسوعة الحرة). وقد دعا "رفعت الأسد" رئيس التجمع القومي الموحد عبر قناة ann الاخبارية الحكومتين السورية واللبنانية والنائب وليد جنبلاط إلى اجراء تحقيق فوري وجدي حول ما وصفها" باتهامات وافتراءات "بهجت سليمان رئيس فرع الامن الداخلي السوري السابق التي تحمله المسؤولية عن اغتيال كمال جنبلاط العام ١٩٧٧م.

بهجت سليمان وفي مداخلة له في برنامج الاستحقاق على تلفزيون المستقبل أشار إلى ذلك اثناء رده على تصريحات تتهم سورية بقتل جنبلاط الأب بدعوته لمراجعة مقابلة جورج حاوي مع قناة الجزيرة الاخبارية قبل يومين من اغتياله.

هذا وكان الأخير قد قال خلال المقابلة بان رفعت الأسد هو من قام بإغتيال كمال جنبلاط قرب حاجز عسكري سوري في عام ١٩٧٧ م دون الرجوع إلى الرئيس الراحل حافظ الأسد. المصدر: سيريا نيوز، ٢٠١٢/١/٧م.

وقد علق كريم بقردوني على الاغتيال فقال: " أنا أعتقد إنه لما كمال جنبلاط بلّش [بدأ] يدخل إلى هذه المعادلة الممنوعة أي الكلام عن الصراع العلوي السني، أو الصراع أو الكلام عن تحالف علوي ماروني كان عم بيرتكب ما يمكن أن أعتبره الخطأ الجسيم".

وبعد هذا الاجتماع حدث انقلاب عزيز الأحدب ونقل على أثره للرئيس الأسد تصريح لكمال جنبلاط يندد فيه بالتدخلات السورية ويطالب باستقالة الرئيس سليمان فرنجية، الأمر الذي أثار غضب الرئيس الأسد وطلب من الشهابي مخابرة الرئيس سليمان فرنجية في الحال لطمأنته إلى دعم الجيش السوري له في وجه الذين يطالبونه بالاستقالة.

تدخل الوسطاء لتقريب وجهات النظر بين الرئيس حافظ الأسد وكمال جنبلاط ومنهم نايف حواتمه الذي كانت علاقاته مع الأسد جيدة، فبين له أنه يرتكب خطأ جسيم باستعداء زعيم سياسي مثل كمال جنبلاط ونصحه بالتفاهم معه، وعلى ضوء ذلك استقبل الأسد كمال جنبلاط في دمشق ١٩٧٦/٣/٢٧م ولم يفض اللقاء الذي دام بينهما ثماني ساعات إلى أية نتيجة بل العكس حيث تكرست القطيعة بينهما وأقسم الرئيس الأسد عقب اللقاء ألا يستقبل جنبلاط طالما هو رئيس للجمهورية.

في آخر زياراته لدمشق، خاطب جنبلاط خدام وزير خارجية الأسد: "يوم الخميس المقبل، يا أبا جمال، سنتناول الغداء معا في بكفيا"، وكانت بكفيا المصيف الجبلي الجميل معقلاً لآل الجميل وحزب الكتائب، وكانت القوات الدرزية قد أطبقت عليها من الجبال التي تعلوها.

وبعد الدخول السوري إلى لبنان لم يتوقف كمال جنبلاط عن العمل على تعريب النزاع اللبناني ليتخلص من الحضور السوري.[٢١]

تحدث حافظ الأسد عن تلك المرحلة في خطاب حفظه كل الانعزاليين في لبنان عن ظهر قلب، لا يزال الكتائبيون العتاق يستشهدون به عند كل طلعة شمس، حول الأسد فحوى هدف الحركة الوطنية إلى مقصد طائفي، تعرض النظام السوري جراء تدخله لتهديد داخلي مباشر، في ذلك العام، كان الناس في بيروت الغربية يبتهجون على مر العام لمجرد سماعهم دوي إطلاق نار، لظنهم أن الانقلاب الموعود في دمشق قد تحقق حينما تأكدت السلطات السورية من أن كمال جنبلاط في ترؤسه للحركة الوطنية وتصميمه على القتال حتى يحقق أهداف الحركة الوطنية، اتخذت قرار بتصفيته فقد اغتيل قبل موعد الغداء بتاريخ ١٩٧٧/٣/١٦م حين استقل كمال جنبلاط سيارته "المرسيدس" بصحبة مرافقيه حافظ العضيني وفوزي شديد إلى عاليه حيث كان مدعواً للمشاركة في اجتماع لإحدى الجمعيات، وعندما وصلت سيارة المرسيدس إلى مستديرة "بعقلين" لحقت بها سيارة "بونتياك سبور" وتجاوزتها وعلى مقربة من "دير دوريت" قطعت سيارة البونتياك الطريق على سيارة جنبلاط وقفز منها رجال في بزات كاكية ويضعون أقنعة على وجوههم وامطروا سيارة جنبلاط بالرصاص حيث قتل هو ومرافقوه، وباغتيال جنبلاط خسرت

---

(٢١)صلاح خلف،كتاب فلسطيني بلا هوية، لقاءات مع الكاتب الفرنسي اريك رولو، ص٢٩٦.

الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية أحد أبرز رموزها الذي كان أحد أهم صمامات الأمان في الواقع السياسي اللبناني.



ياسر عرفات مع كمال جنبلاط

إغتيال يوسف السباعي في قبرص- (١٩٧٨/٢/١٧م):

عندما يتحول العمل النضالي عن هدفه السياسي، سواء كان لتحرير الوطن من الاحتلال، أو التعريف بحقوق الشعب وردع العدو الغاصب عن ممارسة أساليب القمع والإذلال والمصادرة للأراضي والممتلكات والزج في السجون والمعتقلات وقتل الأبرياء، فإن أي هدف آخر يصبح "إرهابا" أو"انتقاما" بلا غاية، وربما يكون ذلك العمل "مأجورا" لغايات تخص بعض الدول أو الأجهزة الاستخبارية أو الأفراد.



يوسف السباعي

والفرق بين من يحمل روحه على كفه من أجل قضية عادلة ومن يدفع بالآخرين للموت أو قتل الآخرين أو تدمير المصالح لغايات خاصة، هو تماما كالفرق بين صفة "الشهيد" وصفة "المنتحر". والمقاتل سلاحه البندقية أو العلم أو بالفكر، بينما الإرهابي يحاول أن يكون البطل في قصة من صنعه، أو أنه يريد إصلاح الكون بالعنف، وهو صاحب الفلسفة وصاحب القنبلة، ويعرف علماء النفس الإرهابي بأنه الشخص المتطرف الذي يميل إلى فرض رأيه، وإذا وأبدى وجهة نظر فهو دائماً على صواب ولا بد أن يُسمع، يميل إلى سوء الظن بالآخرين، ويتشدد في غير محل التشدد، وإذا كان قائداً فينبغي أن تتبعه دون معارضة وإلا ستقتل. ويتميز بالعدوانية، وهو عنيد ويقسو على نفسه وعلى الآخرين، ولا مبالي في كثير من الأحيان، ولديه إصرار على تحقيق ما يعتقده صواباً، كما أن العديد من الإرهابيين يميلون إلى استخدام الحبوب المهدئة أو المخدرات بأنواعها والتي تزيدهم اندفاعاً لاقتحام أهدافهم دون الشعور بالندم على ما يترتب نتيجة أفعالهم من أضرار، وقد يندفع بعضهم في حال فشل مهمته إلى الانتحار، إلا أن الغالبية منهم حريصون على حياتهم لذا يبرعون في مسألة الاختفاء والانزواء عن الأضواء.

لقد كان الكاتب المصري الكبير يوسف السباعي(*) وزير الثقافة المصري، نصيراً واعياً للقضية الفلسطينية وللحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، مدافعا عنها بالموقف والكلمة بالموقف في الصحيفة والكتاب، أو منبر منظمة التضامن الآفروآسيوية التي كان الأمين العام لها. ومثل هذا الرجل يكون مستهدفا من قبل الإرهاب الذي ابتلانا به الصهاينة منذ حملتهم العدوانية الاحتلالية

(*) يوسف محمد محمد عبد الوهاب السباعي (١٩١٧/٦/١٧ – ١٩٧٨/٢/١٨م، تخرج في الكلية الحربية سنة ١٩٣٧م، تولى العديد من المناصب منها التدريس في الكلية الحربية، تم تعيينه في سنة ١٩٥٢م مديراً للمتحف الحربي، والسباعي أديب مصري شغل منصب وزير الثقافة سنة ١٩٧٣م ورئيس تحرير مؤسسة الأهرام ونقيب الصحفيين، قدم ٢٢ مجموعة قصصية وأصدر ١٦ رواية آخرها العمر لحظة سنة ١٩٧٢م، نال جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة ١٩٧٣م، وعدداً كبيراً من الأوسمة، لم يكن أديباً عادياً بل كان من طراز خاص وسياسيا على درجة عالية من الحنكة والذكاء، رأس تحرير عدد من المجلات منها الرسالة الجديدة وآخر ساعة والمصور وجريدة الأهرام، عينه الرئيس السادات وزيرا للثقافة وظل يشغل منصبة إلى أن اغتيل في قبرص في ١٩٧٨/٢/١٨م بسبب تأييده لمبادرة السادات.(ويكيبيديا – الموسوعة الحرة).

لفلسطين قبل وبعد وعد بلفور المشؤوم، فصار الإرهاب الصهيوني سببا لنشوء "الانتقام" والأعمال الثأرية التي تفتقر إلى الأهداف السياسية، بمعنى "التبادلية" في القتل، كما أن هذا الرجل يكون مستهدفا من خصوم رأيه أو موقفه السياسي، وتصبح مهمة إزاحته من ساحة العمل السياسي هدفاً مأجوراً لصالح جهة معينة.

الوقائع:

وصل يوسف السباعي وزير الثقافة المصري إلى العاصمة القبرصية على رأس الوفد المصري المشارك في مؤتمر التضامن الأفروآسيوي السادس يوم ١٧-٢-١٩٧٨م، وبصفته أمين عام منظمة التضامن الإفريقي الآسيوي. وفي صباح اليوم التالي نزل السباعي من غرفته في فندق هيلتون متوجها إلى قاعة المؤتمر بالطابق الأرضي، وكان المؤتمر قد بدأ بالفعل برئاسة الدكتور فاسوس ليساريدس نائب سكرتير المنظمة ورئيس الحزب الاشتراكي القبرصي، توقف السباعي في تلك الأثناء أمام محل لبيع الكتب والجرائد المجاور لقاعة المؤتمر وحينها تقدم نحوه شاب وخاطبه قائلاً: "أنت المصري الذي زار إسرائيل، لهذا أردنا نحن المجلس الثوري تطبيق حكم الإعدام لتكون عبرة للآخرين من أمثالك"، وقبل أن يفتح يوسف السباعي فمه للرد رفع محمد خضير مسدسه وصوبه نحو السباعي وأطلق عليه ثلاث رصاصات أصابته في مقتل.. وقد فارق الحياة.

يقول الفريق الركن عبد الرزاق اليحيى الذي كان ضمن الوفد الفلسطيني في قاعة المؤتمر.. سمعنا إطلاق نار خارج القاعة، ودخلت علينا سكرتيرة السباعي وهي تصرخ.. قتلوه.. قتلوه.. ودخل وراء السكرتيرة شاب طويل القامة يحمل في يده مسدس واليد الأخرى قنبلة يدوية مسمارها منزوع، وتكلم الشاب بالإنجليزية بصوت مرتفع، وأعلن أنه مهندس فلسطيني، وأبلغ إلينا أنهم هو ومن معه نفذوا مهمتهم وقتلوا من وصفوه بالخائن، ثم طلب الشاب منا أن ننتقل جميعا إلى قاعة أخرى وحذرنا من أن أي حركة مريبة ستعرض صاحبها للهلاك، ولم يلبث أن انضم إلى هذا الشاب شاب آخر يحمل هو الآخر مسدساً وقنبلة، ونظم الإثنان عملية خروجنا من القاعة، وقد لاحظت وجود سبعة من رجال الشرطة القبارصة قد جردهم قاتلوا السباعي من السلاح واحتجزوهم، وبعد اكتمال عملية إخراجنا من القاعة طالبنا الشاب طويل القامة بالانقسام إلى مجموعتين، العرب في مجموعة وغير العرب في مجموعة أخرى، أمرنا قائد المجموعة بحل ربطات العنق وأمر شخص ومعه رفيقته بتكبيل أيدينا دون أي حركة مقاومة فالتزم الجميع، وكان عدد الأجانب يفوق عدد العرب، وطلب الشابان تجهيز طائرة يخرجان فيها من قبرص مشترطين اصطحابنا معهم رهائن لتأمين سلامتهم، ورضخ القبارصة للطلب، وجهزوا باص سياحي لنقل

القتلة والرهائن إلى المطار، حيث كانت الطائرة بالانتظار في المطار.. ونظم القتلة عملية صعود الرهائن إلى داخلها، حيث اختاروا أحد عشر فقط من الرهائن وأفرجوا عن الباقي(٢٢).

وعندما علم أبو عمار بالخبر غضب جداًلأنه كان يعتبر أن الكاتب يوسف السباعي من الأشخاص الذين وقفوا دائماً مع القضية الفلسطينية سواء بمواقفه السياسية أو كتاباته، حيث إعتبر أبو عمار أن استشهاده خسارة للقضية الفلسطينية، وكذلك أن العملية تمت في قبرص وهي بلد صديق لنا، وكنا بأمس الحاجة لها لأنها كانت الممر الوحيد لنا إلى لبنان، عن طريق البحر.

لقد دفع الكاتب يوسف السباعي حياته ثمناً لفوزه برئاسة اتحاد الكتاب والصحافيين العرب، حيث نجح مقابل منافسه شفيق الكمالي(حزب البعث العراقي) بصوت فقط، وعندما قام يوسف السباعي بزيارة إسرائيل ضمن العشرات مع الرئيس السادات، قام شفيق الكمالي بإصدار بيان يفصل فيه يوسف السباعي من رئاسة الاتحاد، باعتباره قد إرتكب الخيانة العظمى. وهكذا إنقسم إتحاد الكتاب والأدباء والصحافيين العرب على نفسه، فمنهم من إستمر مع شرعية يوسف السباعي، ومنهم من أخذ يشارك في الاجتماعات في العراق برئاسة شفيق الكمالي. هذا الوضع كان قد أربك العراقيين مما حدا بمدير المخابرات العراقية آنذاك "برزان التكريتي" بالطلب إلى أبو نضال (صبري البنا) بتصفية السباعي، وعليه قام أبو نضال باختيار إثنين من عناصره لتنفيذ العملية.

واستدعاني أبو عمار فوراً وكان يجلس معه أبو حسن سلامه.. وبعد اتصال مع الرئيس القبرصي سمعته يقول.. سوف أبعث لك مجموعة من قوات الـ١٧ وعلى رأسهم أبو الطيب "وأنت تعرف إيه يعني الـ١٧".. وضع سماعة الهاتف ثم وجه حديثه إليّ قائلاً: أنت سامع لقد اتفقت مع الرئيس القبرصي على إرسال (٢٠ مقاتلا) لمساعدتهم في تحرير الرهائن، وطلب مني أن أجهز ٢٠ مقاتلاً من خيرة المقاتلين ليكونوا تحت إمرتي، وأبلغني أنه سيقوم بتحضير طائرة خاصة بالاتفاق مع السلطات اللبنانية، وكانت تعليماته لنا مشددة بأن نقوم بإلقاء القبض على القتلة والإفراج عن الرهائن، حيث أبلغني أن القتلة قاموا بقتل يوسف السباعي، ومن ثم اخذوا ١١ رهينة من مجموع الوفد الذي كان يحضر الاجتماع ومن بين المحتجزين الوفد الفلسطيني والذي يضم عضوي اللجنة التنفيذية عبد المحسن أبو ميزر وعبد الرزاق اليحيى وسفيرنا في قبرص زكريا عبد الرحيم.

وقبل أن أغادر مكتب أبو عمار وصلنا نبأ بأن الطائرة قد أقلعت من مطار لارنكا إلى جهة غير معلومة، وكانت تقديرات أبو عمار بأن الطائرة سوف تعود ثانية إلى قبرص، وطلب مني الذهاب

---

(٢٢)عبد الرزاق اليحيى، بين العسكرية والسياسة، ذكريات، ص٢٧٥ – ٢٧٦.

فورا لتجهيز الشباب.. غادرت المكتب وبصحبتي أبو حسن، وأخذنا بالبحث عن خطة لإقتحام الطائرة وتحرير الرهائن وإعتقال القتلة، وبعد نقاش كثير ترك لي أبو حسن حرية تقدير الأمور والتصرف وفق مقتضيات ما يستجد، ودّعني أبو حسن وتوجهت إلى مقر قيادة الـ١٧، وبدأت في استدعاء أكفأ الضباط والعناصر، وكان من بين من اخترتهم راسم الغول، عبد الرحمن، صلاح، بسام، مفيد المصري، أبو فارس، وكان هؤلاء من أكفأ الضباط، وبعد اجتماعي بهم استعرضنا شبابنا وطلبت منهم أن يكون بين المجموعة شباب الكاراتيه.. حيث كانت عندنا مجموعة تتدرب على الكاراتيه، وكان المسؤول عنهم الشهيد سلامه الأسمر.. وفي أقل من ثلاث ساعات كانت المجموعة جاهزة بكامل أسلحتها وتجهيزاتها.. وبعدها أخبرت "أبو حسن سلامه" وأبلغني أنه سوف يقول لي متى نتحرك.

وبعد نصف ساعة هاتفني أبو حسن وقال أذهب إلى الرئيس أبي عمار حيث ينتظرك في غرفة العمليات بطرف سعد صايل وفعلا خلال دقائق كنت بطرف أبو عمار، وبعد التحية له وللأخ أبو الوليد تحدث معي أبو الوليد وقال.. يا أبا الطيب اقترحت على أبو عمار أن يذهب معك على نفس الطائرة المقدم أحمد مفرج (أبو حميد) نائب قائد الكفاح المسلح ومدحت متولي من الأمن الموحد، وسألت أبا وليد هل يوجد معهم أفراد، قال لا.. هي ناحية معنوية فقط، لكن العملية ستكون بقيادتك.

وأخبرني أبو الوليد أنه اتصل بالأخوين (أبو حميد) ومدحت متولي وهما جاهزين للسفر بانتظار أن ترسل لهم سيارة.. وفعلاً بعد السلام على أبو عمار وأبو الوليد وكعادة أبو عمار "ما بدي أوصيك يا خويه.. عايز تبيض وجهي.. وتربي القتلة دول".. ركبت السيارة واتصلت بأبو حميد ومدحت واقترحت عليهم الحضور إلى مقر الـ١٧ لنتوجه إلى مطار بيروت سويا.

وخلال ٢٠ دقيقة كان الأخوة قد حضروا وتوجهنا مع بقية الشباب إلى مطار بيروت وقبل التوجه إلى المطار كنت قد أرسلت النقيب سعيد مهران والذي كان يعمل مندوب الحركة بمطار بيروت، للتنسيق مع أمن المطار، وفعلاً استقبلنا سعيد مهران مع ضابط الأمن اللبناني، وسار المذكوران أمامنا بالسيارة حيث كانت الطائرة رابضة في زاوية بعيدة من أرض المطار، وقد سلمنا جوازات سفرنا للضابط اللبناني الذي استضافنا في أحد مكاتبه. وذهب برفقة سعيد مهران وختم جوازات السفر وأعادها إلينا، كما قام سعيد مهران بتسليم شنط الأسلحة للضابط اللبناني الذي أودعها بالطائرة الخاصة التي سوف تقلنا، وكان أبو فارس مع الضابط اللبناني حيث تسلم منه شنط الأسلحة داخل الطائرة، وبعدها صعدنا إلى الطائرة.

كانت الساعة الثامنة والنصف توجهت بنا الطائرة إلى لارنكا، وحين هبطت كان في استقبالنا ملاذ نائب مدير مكتب (م.ت.ف) ومعه مسؤول قبرصي. وقبل أن ننزل من الطائرة تشاورت مع

أبو حميد وكان الرأي أن نبقي الأسلحة بالطائرة لمعرفة الموقف، وبعد أن شرح ملاذ للمسؤولين القبارصة موقفنا، أبلغنا بأنهم يقدرون هذه النجدة طالبين عدم إستخدام الأسلحة إلا بالتنسيق معهم، وأمرت بإنزال الأسلحة من الطائرة ونقلها إلى مبنى السفارة الفلسطينية لحين الاتفاق على خطة مع القبارصة.

وفعلاً جاء عدد من مسؤولي الأجهزة الأمنية والشرطة القبارصة، وشكلت لجنة التنسيق لتكون برئاستي وضمت كل من الإخوة المقدم أحمد مفرج "أبو حميد" ومدحت متولي وراسم الغول وبدأ الحوار حول الاحتمالات التي قد يلجأ لها الخاطفون – هنا بدأت تتوارد أنباء عن رفض بعض الدول استقبال الطائرة ومنها لبنان واليمن وسوريا.

وبدأ الهلع يظهر على وجه القبارصة خوفاً من نفاذ الوقود وسقوط الطائرة.. حاولت تهدئتهم وطمأنتهم بأن كل تقديراتنا تشير بعودة الطائرة إلى مطار لارنكا لمفاوضة القبارصة على الاستسلام بشروط. سأل المحاورون القبارصة: وما هي الشروط المحتملة حسب تقديراتكم..؟ وهنا طرحت وجهة نظري من أن الخاطفين بعد دورانهم في السماء وعدم وجود من يستقبلهم ممكن أن يتفاوضوا معكم الإبقاء على بعض القبارصة محتجزين لديهم لحين تسليمهم جوازات سفر والمغادرة وتسهيل خروجهم من قبرص سالمين.. هنا رد علي جميع القبارصة بنوع من الإنفعال أن هذا مستحيل إنهم قتلة. وهنا اقترحت خطة بديلة سنعتمدها في حال موافقتكم.. قلت أكيد أنهم حينما يهبطون على مدرج المطار، سوف يطلبون تزويدهم بالوقود بالإضافة إلى تزويدهم بالطعام.. ولو أحصينا كم عامل نحتاج لهذه المهمة يكون أكثر من ٦ أشخاص ما بين سائق السلم، وسائق الفيول، و٣ عمال ليحملوا بربيش الفيول، وإذا احتاجوا لمن يؤمن لهم الطعام.. واقترحت أن يقوم ما بين ٢ - ٣ أشخاص من طرفنا بلباس زي عمال الصيانة، وعندما يأخذون مواقعهم تحت الطائرة متظاهرين بأداء عملهم ينتهزون أي فرصة سانحة لتسلق سلم الطائرة بسرعة ويقوموا بقتل الخاطفين، وهنا احتج أحد الجالسين من الوفد القبرصي، وقال إن الخاطفين يملكون قنابل يدوية سوف يقومون بتفجير هذه القنابل وهنا تحصل الكارثة، أجبته لا.. لن يحصل مثل هذا، قال كيف ترد علي وأنت متأكد من حديثك.. قلت له.. هذا يحصل لو أن الخاطف منتم إلى تنظيم ومستعد للاستشهاد من أجل مبادئ تنظيمه ويشعر أنه صاحب حق، لكن صبري البنا اعتاد أن يجند ٩٩% من المستأجرين القتلة غير المؤمنين بقضيتهم أي أنه دائماً يعتمد على العنصر البشري من ناحيتين: الأولى: يصطاد الطلبة الفاشلين إما في الدراسة أو بالحياة العامة، وتكون هذه الشريحة من الناس من تعتبر التضحية بحياتها لأجل صبري البنا مستحيلة ويكون قيامها بالعمل ليس إيماناً به وإنما للهروب من واقع معيشته. والثانية: وهذا الأهم.. صبري البنا يطلب من عناصره تنفيذ المهمة واستسلامه لصاحب الأرض

وعدم الاشتباك معه ويعدهم بعمل المستحيل للإفراج عنهم فيما بعد، وبهذه النظرية نجح صبري البنا وفعلاً كانت توجهاته أن نفذ ثم سلم نفسك.. وتأكيداً على كلامي لو رجعت لجميع العمليات التي قام بها صبري البنا لوجدت أنه لم يحصل أن قام أحد هذه العناصر بالاشتباك بعد التنفيذ، والأهم أن صبري البنا استطاع الإفراج عن جميع عناصره بتهديد هذه الدول ونجح عكس الآخرين.. وأقول لكم يا رفاق خوفي إن ينطبق هذا على حكومتكم.. هنا استنفر الإخوة القبارصة، وجددت حديثي حيث قلت لهم أن المذكورين ليست عندهم أوامر بالاشتباك فلا تخافوا من الاشتباك معهم.. لديهم أوامر بالاستسلام.. يمكن أن يسأل أحدكم ولماذا بعد أن نفذوا جريمتهم لم يسلموا أنفسهم.. قلت لهم إن احتمالات السلامة الأوفر لهم حسب تقديري بتسليم أنفسهم لجهة تقبل إستقبالهم خارج قبرص. بعد حديثي هذا اتفقنا مع الإخوة القبارصة أن نقوم باستلام سلاحنا من السفارة وأن نكون وإياهم على أهبة الاستعداد حال حدوث أي طارئ مخالف لتقديراتنا وكان الإخوة القبارصة متشجعين لعملية الإقتحام أكثر منا.

أنهينا الاجتماع حوالي الساعة الثالثة من صباح يوم ١٩٧٨/٢/١٩م وذهبنا إلى السفارة الفلسطينية ومن هناك توجهنا إلى الفندق لأخذ قسط من الراحة، وتم الاتفاق أن نبقى على اتصال مستمر حتى يخبرنا الإخوة بعودة الطائرة.. وهنا شرعت بالتفكير في العناصر التي ستنفذ الخطة من الأشخاص غير المعروفين، ووقع الاختيار على شخصين أولهما جمال وهو لاعب كراتيه حاصل على الحزام الأسود، يميل شكله إلى الأجانب يتحدث اللغة الإنجليزية بطلاقة، والثاني كان فؤاد وهو أيضا تنطبق عليه الأوصاف وتم الاتفاق بأن نحضر لهم ملابس عمال الصيانة.

أفقنا بعد راحة قصيرة ولم تصل أي أخبار عن الطائرة، وفي تمام الساعة العاشرة عرفنا أن الطائرة منذ الصباح الباكر وهي جاثمة في مطار جيبوتي، وهناك مفاوضات بين السلطات القبرصية والجيبوتية امتنعت حكومة جيبوتي عن تزويد الطائرة بالوقود حتى يتسن لها معرفة الجهة المتجهة إليها وبعد موافقة الجهة، وبعد الاتصالات بين المسؤولين القبارصة والمسؤولين في جيبوتي تم الاتفاق على تزويد الطائرة بالوقود وعودتها إلى قبرص حيث سيقوم الخاطفون بتسليم أنفسهم مقابل تسلمهم وثائق سفر تسمح لهم بمغادرة قبرص إلى اليونان..

وهنا حضر ملاذ وذهبت برفقته لفاسوس ليسارديس وبعد التداول معه أخبرنا أن السلطات القبرصية سوف لا تسمح لأي جهة بأن تقوم بمهاجمة الطائرة. وشرحت له إننا جئنا إلى قبرص بناءً على اتفاق مسبق من طرفكم مع ياسر عرفات، وشرحت له أن قوات أمنكم وضعت خطة بأن يكون اثنان من مقاتلينا ضمن طاقم الصيانة ويعملون تحت إمرة ضباط أمنكم.. أجاب لا مانع لدي من اثنين فقط، ويكونون تحت إمرة ضباط أمننا، إلا أني أنذركم بأننا لن نسمح لأي مسلح أيا كان

بالنزول لأرض المطار، حيث قمنا بنشر المليشيا بالمطار، وأعطينا أوامرنا بإطلاق النار على كل من ينزل على أرض المطار..

بعدما خرجت أنا وملاذ من عند ليساريدس.. فوجئت بوجود عدد من ضباط أمن الدولة في مصر والمذكورون كانوا قد حضروا للسبب نفسه الذي جئنا من أجله، وكان الضابط مصطفى مازن، والعميد هاني عبد العزيز[٢٣]حيث جلست معهم وأخذت أشرح لهم مهمتنا وكيف أن القبارصة بعدما جئنا بالاتفاق معهم، تغيرت وجهة نظرهم من ذلك، وأبلغونا أنهم لم يسمحوا لنا بمهاجمة الطائرة وكانت وجهة نظري أن القبارصة يعملون على إتمام الصفقة مع الخاطفين، بأن يسلموا أنفسهم.

وحسب تقديري أن الاتفاق تم مع الخاطفين عن طريق أحد ملاحي الطائرة ولهذا سمحت لهم السلطات القبرصية بالعودة إلى لارنكا، وبقينا على اتصال مستمر مع الضباط المصريين، ونحن في المطار، وإذ بالطائرة المخطوفة تنزل على أرض المطار قبل غروب الشمس بساعة ونصف، وبعدها ذهبت برفقة ملاذ إلى مقابلة رئيس الجمهورية كابريانو والذي أخذ يراقب الطائرة من برج المطار.

يقول حسن شاش السفير المصري: أنا أخذت العربية وطلعت على المطار لقيت كابريانو الرئيس القبرصي واقف في البرج وحوله وزراء جاءت لي برقية من مصر أن وزير الإعلام قادم من أجل أن يتفاوض في موضوع الرهائن، بلغت رئيس الجمهورية، فقال خذ معاك الوزير فلان من أجل استقبال الوزير المصري، لقينا طائرة عسكرية (C 130) قادمة أوقفوها في آخر المطار.. هبط أحد جنود الصاعقة للاستطلاع وسرعان ما تأكد للقبارصة أن على متن الطائرة وحدة خاصة مصرية مجهزة بالأسلحة، فحذرت الحكومة القبرصية القوات المصرية من مهاجمة طائرة الرهائن. ذهبت مع الوزير القبرصي ودخلنا الطائرة دي، لقيت واحد لابس صاعقة ونازل جري، يقول لي فين الملحق العسكري..؟ قلت له: أنا السفير، قال لي بصراحة أنا جاي أعمل عملية لتخليص الرهائن، كانت طائرة المختطفين بعيد عن الطائرة العسكرية المصرية، ذهبت لرئيس الجمهورية كابريانو لقيت وشه أحمر ومنزعج جداً، فقابلني بعاصفة.. قال لي: أنتم جايين تحتلوا قبرص.. أنتم إيه يا مصريين.. حد قال لكم أنتم تيجو..؟ قلت له دي مصر جايه عشان خاطر تساعدك، قال أنا دولة محترمة إزاي تعملوا كده..؟ قلت له أنا أعطيك وعد شرف محدش هينزل من الطائرةإلا بإذنك، وإن دول جايين تحت أمرك، ومش عايزين حاجة غير فك الرهائن وإيقاف

---

(٢٣)العميد هاني عبد العزيز قال في شهادته: "فور وقوع حادثة اغتيال يوسف السباعي قام ياسر عرفات بإرسال مجموعة من القوة ١٧ التي كان يرأسها "أبو الطيب" للمساعدة في إنقاذ الرهائن وضبط الفلسطينيين المتهمين، وأنا قابلتهم وكانوا حزانا على فشل الموضوع والإصابات والشهداء. وعندما رجعت إلى مصر طلب مني المسؤولين معرفة حقيقة موقف الفلسطينيين فقدمت شهادتي بالنسبة لحقيقة جهود القوة ١٧ التابعة لياسر عرفات"، (برامج القناة – الجزيرة الجريمة السياسية اغتيال يوسف السباعي- ٢٠٠٧/٣/١١م).

المختطفين والقبض عليهم. كان القبارصة قد توصلوا في تلك الأثناء إلى إتفاق مع الخاطفين على إطلاق سراح الرهائن مقابل الحصول على جوازات سفر قبرصية[*].

جاء أحد ضباط الأمن القبرصي واصطحب معه جمال وفؤاد حوّا اللذين كانا مكلفين بالمهمة.. وكنا نحن جميعا متواجدين بأرض المطار، ولم نكن بعيدين وكان يقف بجانبي (محمد صبيح)[٢٤] الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية، حيث حضر ليكون من ضمن الوفد الفلسطيني في المؤتمر [٢٥].

مال فاسوس ليسارديس نحو ملاذ قائلاً: أعتقد أنهم بسيطو العقل كانوا يتفاوضون لكي نمنحهم جوازات سفر ليذهبوا بها إلى اليونان، ويسلموا أسلحتهم، أرادوا أن يتم تصويرهم، قلت لهم إننا يمكننا أن نمنحهم وثيقة مرور ولكنهم أصروا أن يتم تصويرهم، لم تكن لدينا كاميرا هناك، فأرسلنا لإحضار كاميرا من لارنكا. في هذه الأثناء بعد وصول سلم الطائرة وفتح باب الطائرة وما أن وصل طاقم الصيانة وكان من ضمنهم ضباطنا الاثنان اللذين كانا قد لبسا زي طاقم الصيانة.

وخلال دقائق شاهدنا عربة جيب تخرج من الطائرة العسكرية المصرية وتتجه إلى الطائرة المخطوفة، وأخذت تطلق نيراناً بالهواء، وإنتشر جميع أفراد الصاعقة المصرية، و إنهال عليهم رصاص وقذائف من القوات القبرصية. وبدأ إطلاق النار يتناثر في المطار الذي كان عبارة عن بركسات من الزينكو.. ومرت طلقات فوق رؤوسنا لدرجة أن محمد صبيح كان يقف بجانبي بالضبط حيث كنا نراقب الموقف، وإذ به قد أصيب بطلق ناري في فخذه.

وكان كل هدف قوات الصاعقة المصرية الوصول للطائرة، ولم تفكر للحظة واحدة أن تشتبك مع القوات القبرصية، وبمجرد ما بدأ ضرب النار يخف.. فوجئنا بباب الطائرة يفتح مرة ثانية، ويخرج من الطائرة الصحفي المصري أحمد بهاء الدين رافعاً منديلاً أبيض، وطلب وقف إطلاق النار لأن المختطفين سيسلمون أنفسهم، وحصل توقف إطلاق النار فما كان من ضباطنا تحت الطائرة المخطوفة إلا أن تسلقوا الطائرة وألقوا القبض على الخاطفين وتوجهوا بهم إلى غرفة ختم الجوازات، وتوجهت اليهم فورا.

(*) قوات الصاعقة التي جاءت بالطائرة (C 130) لإنقاذ الرهائن – هم من الوحدة ٧٧٧ وهي وحدة عسكرية لمكافحة الإرهاب في القوات المسلحة المصرية، تم إنشاؤها في عام ١٩٧٧م، في عام ١٩٨٥م جاء أداء الوحدة سيئاء في عملية تحرير رهائن كانوا على متن طائرة ركاب تابعة لمصر للطيران في مالطا، تلقت الوحدة ٧٧٧ تدريبات مشتركة مع قوة دلتا التابعة للقوات الخاصة الأمريكية يقدر عدد أفرادها بحوالي ٢٠٠ إلى ٣٠٠ فرد، يقع مقرها بالقرب من القاهرة، وتوكل إلى الوحدة أيضاً مهمات حماية رئيس مصر في زيارته خارج البلاد.

(٢٤)محمد صبيح قال: "أرسل ياسر عرفات مجموعة من الضباط الفلسطينيين لتحرير الرهائن، كان هناك ضباط مصريين من أمن الدولة مصطفى مازن رحمه الله، واللواء هاني عبد العزيز إضافة إلى التنسيق مع القبارصة حيث كان الاتفاق أن يتنكروا على شكل مضيفين يقومون بتقديم الغذاء والمياه للرهائن على الطائرة"، برامج القناة – الجزيرة – الجريمة السياسية – إغتيال يوسف السباعي-٢٠٠٧/٣/١١م.

(٢٥)برامج قناة الجزيرة – الجريمة السياسية – إغتيال يوسف السباعي-٢٠٠٧/٣/١١م.

أعطيت أمراً لجمال بتكبيل أيديهم وقام مدحت متولي بالاتصال بالرئيس عرفات، وأبلغه بما حصل.. فطلب مني مدحت متولي التحدث مع الرئيس عرفات.. وحين أخذت سماعة الهاتف شرحت للرئيس الموقف وقلت له أن الإخوة القبارصة طلبوا مني أن أسلمهم الخاطفين الاثنين، فأمرني بأن أقوم بتسليمهم للقبارصة.. فتم تسليمهم.

استمرت المعركة حوالي ٤٠ دقيقة وكانت النتيجة أن سقط ١٥ شهيداً من قوات الصاعقة المصرية وجرح ٨٠ من الطرفين، وكان القبارصة قد ضربوا قنبلة في مقدمة الطائرة المصرية التي ما زالت جاثمة على الأرض، واحترق مقدم الطائرة واستشهد جميع طاقم الطائرة. وفي ثاني يوم غادرنا بأسلحتنا إلى بيروت وكان حزننا شديداً على الضحايا الذين سقطوا من القوات المصرية والقبرصية.

في مطار القاهرة تم استقبال رجال الصاعقة استقبال الأبطال.. وتم تكريمهم ومنحهم الأوسمة وأقيمت لهم جنازة شعبية شارك فيها الرئيس السادات. وأشادت وسائل الإعلام المصرية بنجاح مهمة الصاعقة بينما رأى الكثير من المحللين أن العملية قد فشلت، وأن هذه الضجة الإعلامية ليست إلا نوعاً من التغطية على الخطأ الجسيم الذي إرتكبه السادات بإرسال قوات الصاعقة دون الحصول على إذن من السلطات القبرصية **!!**. وفي تقدير أن قوات الصاعقة ارتكبت خطأين: الأول: لم تستطلع بصورة كاملة واقع المطار لتعرف حقيقة أرض المعركة. والثاني لم تنسق لا مع السفير حسن شاش، ولا مع العميد هاني عبد العزيز والعميد مصطفى مازن.. وجاءت متخفية عن كل ما هو موجود في أرض المعركة، وكل همها أن تنفذ تعليمات قيادتها بالقاهرة، ولم تضع في الحسبان المواجهة مع القوات القبرصية.

نتائج تحقيقاتنا:

تلقى المدعو صبري البنا "أبو نضال" تعليمات من المخابرات العراقية بتنفيذ عملية اغتيل يوسف السباعي، والذي سيتواجد في قبرص لحضور مؤتمر التضامن الأفروآسيوي السادس. وعلى الفور اجتمع صبري البنا مع نائبه مصطفى مراد "أبو نزار" والمدعو وصفي عبد الرحيم (رئيس اللجان) ومساعده قصي كنعان ومسؤول العمليات فؤاد السفاريني "عمر حمدي" حيث جرى التباحث في المخططات اللازمة لتنفيذ العملية.

وجرى التوافق على أن يتولىالسفاريني مهمة الاستطلاع الميداني والذي سافر بالفعل إلى قبرص لإجراء دراسة ميدانية منتحلا شخصية سائح أجنبي مع رفيقته اليابانية للابتعاد عن شبهات الأمن القبرصي. ثم عاد بتقرير شامل إلى لبنان والتقى مع خلية التخطيط بقيادة مصطفى مراد.

ومن جهته قام صبري البنا بترشيح اثنين من عناصر التنظيم لتنفيذ العملية وهما سميح محمد أحمد خضر "خليل رباع"(*) (الذي كان يتواجد في يوغسلافيا وجرى استدعاؤه عن طريق مسؤول الساحة اليوغسلافية الدكتور ناصر الحايك)، والمدعو سميح طوقان "أبو الهدى"(**٢٦). حيث جرى اطلاعهم وتجهيزهم لعملية اغتيال يوسف السباعي وكيفية التنفيذ والخطوات الواجب إتباعها وتم الاتفاق على أن يتولى المدعو سميح خضر مهمة إطلاق النار على السباعي ويتولى سميح طوقان مهمة اقتحام قاعة المؤتمر والسيطرة على الرهائن.

وقبل تنفيذ العملية بيومين توجه العناصر المشاركة إلى قبرص، لإجراء التحضيرات النهائية على العملية، المجموعة الأولى كانت تضم المنفذين سميح خضر وسميح طوقان. والمجموعة الثانية للمساندة وضمت المدعو عمر حمدي ورفيقته اليابانية والذين أظهروا أنفسهم وكأنهم نزلاء بالفندق وأنهم لا علاقة لهم بالخاطفين وقاموا بالمشاركة في ربط المختطفين.

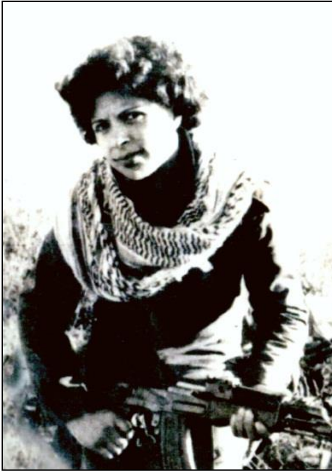
أما المدعو مصطفى مراد "أبو نزار" فقد تواجد أيضاً في الفندق لمتابعة العملية منذ بدايتها وخاصة اغتيال السباعي وهو الهدف الأساس الذي كان يسعى إليه أبو نضال بناءً على تعليمات المخابرات العراقية – كما ذكرنا سابق.

وفي ٩-٣-١٩٧٨م بدأت محاكمة قاتلي السباعي: حسين علي/ فلسطيني الجنسية، محمد خضير/ عراقي الجنسية، أمام المحكمة القبرصية، ترأس الجلسة المدعي العام القبرصي وحضرها فريق من المراقبين المصريين برئاسة المدعي العام المصري عدلي حسين.. وفي ٤-٤-١٩٧٨م حكمت المحكمة القبرصية على قاتلي السباعي بعقوبة الإعدام، وبعد عدة أشهر أصدر الرئيس القبرصي سيبروس كابريانو قراراً رئاسياً بتخفيف الحكم إلى السجن مدى الحياة، وذلك لأسباب غير معروفة قيل أنها تتعلق بأمن قبرص. ثم أعلنت قبرص أنها تلقت تهديدات من منظمات إرهابية عربية قد تقوم بعمليات على أراضيها إذا لم تطلق سراح المتهمين، وترددت أنباء تفيد بأن قاتلي السباعي قد رحلا من قبرص دون تنفيذ الحكم الصادر بحقهما، وهذا ما سبق وأن شرحته للإخوة القبارصة حين قلت لهم أن المجرم أبو نضال سوف يجبر حكومتكم على إخلاء سبيل القتلة.

(*) سميح محمد أحمد خضر " زهير رباع" مواليد ١٩٥٠م نصف جبيل بجوار بلدة سبسطية والفندقومية والدته لبنانية شيعية تدعى سميحة، توفي والده وتزوجت أمه من راتب الحايك وانفصلت عنه وعاشت بدمشق. سافر إلى الكويت ليعمل موظفا كهربائيا في وزارة الأشغال العامة- بكنف عمه سالم، تزوج من امرأة سويدية وأنجب طفلا سماه محمد وانفصل عن زوجته، تجند لصالح تنظيم أبو نضال البنا في الكويت على يد مهندس مسيحي من قريته وكلف بالسفر إلى يوغسلافيا، التقاه مسؤول الساحة (د. نصار حايك)، عاد إلى العراق والتحق بدورة تدريب في إحدى معسكرات التنظيم على احدث الطرق القتالية واستخدام القنابل والأسلحة الفردية، أبدى مهارة فائقة ساعده على ذلك قوته الجسدية وجرأته مما دفع صبري البنا لاختياره لتنفيذ عدة عمليات وتصفيات وأصبح يملك معلومات سواء عن التخطيط للعمليات أو تنفيذها وهذا ما ثار تخوف أبو نضال، ومن جهة أخرى وبعد المصالحة بين القذافي والفرنسيين طلبت فرنسا من القذافي ضرورة تسليمها المدعو سميح خضر المتهم بتنفيذ عدة عمليات على الأراضي الفرنسية وهو ما رفضه القذافي ولكنه وعد بالتخلص من المذكور فقام بالإيعاز لصبري البنا بالتخلص من سميح خضر لما يشكله من عقبة أمام إتمام ملف المصالحة مع الفرنسيين، فقام أبو نضال بتكليفه بالسفر إلى اليونان بحجة القيام بعملية ضد سفينة إسرائيلية وهناك قام بتفجير سيارته حيث قتل.

(**) سميح طوقان (أبو الهدى) من مواليد مخيم إربد عام ١٩٥٨م وكان يعمل عامل تبليط قبل انتسابه إلى المجلس الثوري عام ١٩٧٧م، بعد الإفراج عنه ترك التنظيم وهاجر إلى كندا.

عملية دلال المغربي:


دلال المغربي

عملية الشهيد كمال عدوان التي خطط لها خليل الوزير (أبو جهاد) انتقاماً ورداً على العملية الإرهابية التي نفذتها قوة إسرائيلية خاصة واغتالت القادة الفلسطينيين الثلاثة: أبو يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر يوم ١٩٧٣/٤/١٠م في بيروت. وبالتزامن أيضا مع ذكرى يوم الأرض.

اقترن النضال من أجل تحرير فلسطين بالتضحية والفداء دوما ولكن العمليات الاستشهادية الفدائية التي اشتركت فيها المرأة الفلسطينية شكلت ظاهرة جديدة ليس في النضال العربي فحسب بل في النضال العالمي أيضا والتي برزت بشكل واضح في الثورة الفلسطينية وبعد أن وصلت القضية الفلسطينية إلى مفترق طريقين نكون أو لا نكون فجاءت الإجابة السريعة على هذا السؤال من الفدائية الأولى دلال المغربي "جهاد" التي تساءلت هل القتال والنضال للرجال؟ والمرأة الشجاعة الأبية هل تقبل السكوت؟ ما قيمة الحياة دونما وطن ودونما حرية؟ لم ترهبها الأخطار ولم يكن للموت في تفكيرها حساب قالت لأخوة السلاح الموت فوق أرضنا حياة وكل طلقة من أجلها صلاة هيا معي يا إخوتي ويا رجال ثورتي لنجعل الرصاص طريقنا إلى الخلاص وفي صباح يوم ١٩٧٨/٣/١١م كانت دلال فوق أرضها تقود فرقة من الرجال تقاتل الأعداء في شوارع عروس بلادنا يافا الحبيبة.

ولدت دلال سعيد المغربي على مشارف مخيم صبرا للاجئين الفلسطينيين في مدينة بيروت في ١٩٥٩/١٢/٢٩م لأب فلسطيني من مدينة يافا اضطر إلى اللجوء للبنان في أعقاب نكبة ١٩٤٨م، أما الوالدة آمنة إسماعيل فهي لبنانية من بلدة النبطية. لها ستة أخوة وثلاث أخوات وهي الطفلة الثانية مع شقيقها التوأم محمد بعد أختها الكبرى رشيدة التي كانت مرجعيتها(*). تلقت دراستها الابتدائية في مدرسة يعبد والإعدادية في مدرسة حيفا وكلتا المدرستين تابعتين لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين في بيروت.

التحقت بقوات العاصفة - قطاع الأرض المحتلة "القطاع الغربي" تحت قيادة خليل الوزير "أبو جهاد" لتنضم إلى كتيبة الشهيد أبو يوسف النجار في منطقة صور عام ١٩٧٦م، والتي كانت بقيادة الرائد كايد يوسف ونائبه عزمي الزغير وتلقت التدريبات الشاقة لمدة عامين على

(*) رشيدة مغربي الشقيقة الكبرى لدلال إحدى ضباط قوات الـ١٧، وفي اطار المواجهة المفتوحة مع مجموعات صبري البنا "أبو نضال"، قامت بإلقاء قنبلة يدوية على السفير العراقي رداً على إغتيال عز الدين القلق، وسجنت بإنجلترا لمدة تسعة أعوام.

مختلفالأسلحة وعرفت دلال المغربي بجرأتها وشجاعتها وحسها الوطني ووعيها السياسي وإخلاصها. وتم ترشيحها للانضمام إلى المجموعات الخاصة للعمل داخل الأرض المحتلة من قبل الأخوة مجيد الأغا ومأمون مريش، وبناءً على طلبها من الأخ عزمي الصغير الذي كان يشرف على قيادة كتيبة الشهيد أبو يوسف النجار حيث كان قائد الكتيبةكايد يوسف في دورة عسكرية في الإتحاد السوفييتي. وتم نقلها مع المجموعة المكلفة بتنفيذ عملية الشهيد كمال عدوان في داخل الأراضي المحتلة إلى معسكر خاص شرقي نهر القاسمية في منطقة صور.

تحديد موعد تنفيذ العملية:

تم تحديد الفترة بين ١٩٧٨/١/٢٣ – ١٩٧٨/١/٢٧م موعداً لتنفيذ العملية، حيث تم نقل جميع أفراد المجموعة ومعداتهم من ساحل منطقة الدامور بزوارق صغيرة إلى السفينة الأم والتي كانت تنتظر في عرض البحر على عمق خمسة أميال تقريباً، تم ذلك ليلاً وبدون استعمال أي إضاءة سواء في الزوارق أو السفينة الأم بعدها تحركت السفينة اتجاه سواحل فلسطين بغرض التمويه، وبعد تحرك السفينة الأم بيومين تم إلغاء موعد التنفيذ وعودة المجموعة إلى القاعدة، عندما لم يستطع كابتن السفينة التركي إنزال المجموعة عند النقطة المحددة.

تم تحديد موعد آخر للعملية خلال شهر ١٩٧٨/٢م حيث تم تخفيف عدد أفراد المجموعة بعد أن كان عددهم في المرة الأولى تسعة عشر فرداً وتم تحميلهم على السفينة من منطقة الدامور وبنفس الطريقة ولكن تم إلغاء التنفيذ أيضا هذه المرة حرصاً على نجاح العملية.

تم تحديد موعد خلال شهر ١٩٧٨/٣م وتم نقل المجموعة إلى السفينة من ميناء صور وكانت تتكون من ثلاثة عشر فرداً وقدر الله أن تنجح هذه المحاولة وأن تصل المجموعة إلى سواحل فلسطين بعد يومين من مغادرتها ميناء صور، حيث توجهت السفينة إلى خطوط ملاحية معروفة بعيداً عن التوجه مباشرة لسواحل فلسطين لعدم لفت الانتباه. وتم تسمية العملية: "عملية الشهيد كمال عدوان"، وتسمية المجموعة "مجموعة دير ياسين".

تفاصيل العملية:

أصدرت القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية سلسلة بيانات حول العملية مساء ١٩٧٨/٣/١١م كما يأتي:

بيان رقم (١):

انطلاقاً من إيمان حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) في الاستمرار بتصعيد كفاحها المسلح ضد العدو الصهيوني داخل الوطن المحتل والمضي في النضال على درب الثورة الفلسطينية بكل عزيمة وتصميم، وإيمانا من حركتنا بأن الطريق الأساسي لمواجهة كل موجات التآمر على شعبنا، وتحطيم كافة المحاولات التصفوية لقضيتنا إنما يرتكز على تطوير الكفاح المسلح والثورة الشعبية ضد الاحتلال الصهيوني، وتدعيما لنضال شعبنا الصامد في الأرض المحتلة، ووفاء لتضحيات ودماء شهدائنا الأبرار، فقد صدرت التعليمات إلى مجموعة "دير ياسين" لتنفيذ عملية الشهيد كمال عدوان داخل الأرض المحتلة وذلك باحتجاز أكبر عدد من الرهائن العسكريين، بهدف تحرير جميع الأسرى من سجون العدو الصهيوني وإطلاق سراحهم.

تعليمات القائد أبو جهاد لأفراد المجموعة الأبطال:

١.الهدف تحرير أبطالنا الأسرى من جميع السجون الإسرائيلية.

٢.نضرب مثلاً بالشجاعة والبطولة لكل ثوار العالم.

٣.أن نكون يداً واحدة في عملية التنفيذ متحلين بروح التعاون والمودة والمحبة.

٤.أن ينتصر الوجه الحضاري لثورتنا من خلال تعاوننا وتعاملنا مع الرهائن فلا نقتل أحداً منهم.

٥.إذا كان هناك نساء وأطفال أن نعاملهم معاملة حسنة.

٦.أن نرفع علم فلسطين فوق أرض فلسطين.

٧.من يقع أسيراً في أيدي العدو عليه أن يكون بشموخ جبال الجليل.

٨.أن تجعلوا مناحيم بيغن يبكي كما أبكانا في دير ياسين.

سير المعركة:

بدأت المجموعة بتنفيذ العملية الساعة ١٨:٤٠ من يوم السبت الموافق ١٩٧٨/٣/١١م في المنطقة الساحلية بين حيفا وتل أبيب. وتجري معركة واسعة على كافة الأهداف المحددة بين قواتنا وقوات الجيش وشرطة العدو الصهيوني.

بيان رقم (٢):

في الساعة ٢٠:٠٠ وخلال قيام مجموعة "دير ياسين" بتنفيذ عملية الشهيد كمال عدوان في المنطقة الواقعة ما بين مدينة حيفا وتل أبيب المحتلة قامت قوات العدو الصهيوني بزج قوة كبيرة

من الجيش الإسرائيلي والشرطة وتمكنت قواتنا من تدمير شاحنتين تقلان جنود العدو الصهيوني تدميراً كاملاً. ولا زالت قواتنا مستمرة في تنفيذ مهمتها.

بيان رقم (٣):

في الساعة ٢٠:٣٠ حاولت قوات العدو الصهيوني تطويق قواتنا. وقد باءت المحاولة بالفشل، وتمكنت قوة "دير ياسين" من شق طريقها بالقوة وقامت بعملية جريئة مستخدمة آليات العدو التي تمكنت قواتنا من الاستيلاء عليها والتوجه بها إلى نحو مدينة يافا (تل أبيب)، وهذا وقامت قواتنا بالسيطرة على الطريق ما بين حيفا و يافا (تل أبيب).

بيان رقم (٤):

ما زالت قوة "دير ياسين" من (قوات الداخل) تعمل بحرية في المنطقة الواقعة بين حيفا وتل أبيب وبسبب الارتباك الذي اعترى قيادات وقوات العدو الصهيوني. تمكنت قواتنا لغاية الآن الساعة ٢١:٠٠ من ضرب الأهداف المخصصة لها في المنطقة وأوقعت خسائر كبيرة في قوات العدو وآلياته.

بيان رقم (٥):

حتى الساعة ٢١:٣٠ ما زالت قوة دير ياسين (من قوات الداخل) تعمل في المنطقة ما بين حيفا وتل أبيب وقامت القوة بمهاجمة الأهداف جميعها. وجرت معركة تحت الجسر الواقع في غرب بلدة الطيرة قرب حيفا مما أدى إلى مقتل ما لا يقل عن ١٥ من جنود العدو الصهيوني. وتمكنت قواتنا من السيطرة على الجسر وإحدى آليات العدو الصهيوني. كما جرى اشتباك بين إحدى مجموعات قوة دير ياسين وقوات العدو الصهيوني في منطقة كفار حوليم أسفرت عن مقتل عدد لم يحدد بعد من قوات العدو. وعلى الأثر قامت قوات العدو الصهيوني باستخدام قوات آلية كبيرة وقوات محمولة جوا. بالطائرات العمودية وأنيرت المنطقة كاملة. ورغم ذلك لا زالت كافة المجموعات من قوات دير ياسين تعمل ضمن الخطة كما قامت إحدى المجموعات من قوة دير ياسين بمهاجمة هدفها قرب نادي سبورت شمال تل أبيب. وعلى مفرق طريق الفريديس تمكنت هذه المجموعة من تدمير شاحنة للعدو تقل ما لا يقل عن ١٨ جندياً من جنود العدو الصهيوني وكذلك قامت مجموعة أخرى من قوات دير ياسين بالاشتباك مع قوة للعدو الصهيوني على طريق كفار سابا شمال تل أبيب وأوقعت خسائر في قوات العدو لم يقدر عددها بعد.

بيان رقم (٦):

حتى الساعة ٢٢:٠٠ ما زالت قوة دير ياسين تقوم بتنفيذ مهامها في المنطقة ما بين حيفا وتل أبيب وأوقعت خسائر كبيرة في صفوف قوات العدو الصهيوني الذي قام بعمليات إعادة تنظيم لقواتها أكثر من مرة من جراء الخسائر والارتباك الذي اعترى صفوفها. هذا وقد شملت العمليات الهجومية التي قامت بها قوة دير ياسين أماكن متعددة في المنطقة فهاجمت إحدى المجموعات من القوة كريات عطا وأوقعت خسائر بقوة العدو هناك كما قامت إحدى المجموعات بمهاجمة حواجز الطرق التي أقامتها قوات العدو.

بيان رقم (٧)

لا زالت قوة دير ياسين تواصل عملياتها العسكرية المكلفة بها ضمن الخطة المرسومة لها في كافة المواقع، حيث لا زالت تدور هناك معارك مواجهة عنيفة بين ثوارنا وقوات العدو التي دفع بها إلى أرض المعركة الممتدة بين حيفا وتل أبيب. وقد استطاع الثوار تحقيق إصابات مباشرة في صفوف العدو الآلية والبشرية ولا زال ثوارنا يؤدون مهمتهم في المنطقة بنجاح.

بيان رقم (٨)

استمرت مجموعة قوات دير ياسين في العمل في منطقة الهدف المقرر رغم عمليات التمشيط التي استمرت طيلة الليل وصباح يوم ١٢-٣-١٩٧٨م في كافة مناطق السهل الفلسطيني بين حيفا وتل أبيب. جرت عدة اشتباكات قرب هرتسيليا بين إحدى مجموعات التعزيز التي تقودها الأخت دلال المغربي وبين قوات جيش العدو التي ساندتها طائرات هليكوبتر. وقد تمكنت المجموعة من التصدي ببسالة لقوات العدو في معركة مواجهة استمرت أكثر من أربع ساعات. واستشهدت قائدة مجموعة التعزيز وكان آخر عمل قامت به الشهيدة قائدة مجموعة التعزيز وهي تهتف لفلسطين وثورة شعبنا هو إلقاء آخر قنبلتين لديها على قوات العدو في آخر لحظة، هذا بينما استطاعت مجموعة أخرى من اختراق منطقة الحصار والوصول إلى قاعدتها الآمنة داخل الأرض المحتلة في نفس الوقت الذي استمرت فيه مجموعات أخرى في نشاطاتها الثورية حسب المقرر.

كانت دلال فوق أرضها في صباح يوم ١٩٧٨/٣/١١م تقود فرقة من الرجال من أبناء أمتها العربية تقاتل الأعداء في ساحل فلسطين على الطريق الرئيس بين حيفا ويافا وبعد معركة بطولية استمرت اثنتا عشرة ساعة تكبد العدو ٦٧ قتيلاً و ٨٢ جريحاً وهي تقود مجموعتها الفدائية مجموعة "دير ياسين" في عملية القائد الشهيد كمال عدوان وستبقى دلال المغربي الأولى من رائدات البطولة في أمتنا العربية والفلسطينية إذ استطاعت أن تقاوم العدو لساعات طويلة وترفع

علم فلسطين، وتعلن بسط سيطرتها على المنطقة الواقعة بين يافا وحيفا وأقامت "الجمهورية الفلسطينية الأولى"(*) في عمق الأرض المحتلة على منطقة طولها ٩٥ كلم بين يافا (تل أبيب) وحيفا، وبعد معركة بطولية عنيفة استشهدت دلال مع الرجال الأبطال على تراب الوطن الحبيب.. استشهدت دلال وتخضبت دمائها بشاطئ يافا.. وكان القائد الصهيوني إيهود باراك قائد المعركة لم يصدق أن دلال المغربي هي قائدة المجموعة الفدائية فأمسك بشعرها، ولكن ظل صوت دلال في وصيتها في مسمع النساء والرجال.. في مسمع الشيوخ والأطفال.. في مسمع البعيد والقريب "لا تجعلوا معركتي يا إخوتي الأخيرة وواصلوا المسيرة".

شارك في تنفيذ هذه العملية البطولية يوم ١٩٧٨/٣/١١ إلى جانب قائدة العملية الشهيدة دلال المغربي اثنا عشر مقاتلاً من أبطال حركة فتح ضمن مجموعة دير ياسين وهم:

- الشهيد محمود علي أبو منيف (أبو هزاع) فلسطيني من مواليد نابلس ١٩٦٠م.
- الشهيد يحيى محمد سكاف (أبو جلال) لبناني من مواليد المنية/طرابلس ١٩٥٩.
- الأسير خالد محمد إبراهيم (أبو صلاح) فلسطيني من مواليد الكويت ١٩٦٠.
- الشهيد خالد عبد الفتاح يوسف (عبد السلام) فلسطيني من مواليد طولكرم ١٩٥٧.
- الشهيد محمد محمود عبد الرحيم مسامح (فاخر النحال) فلسطيني من مواليد طولكرم ١٩٥٩م.
- الشهيد محمد حسين الشمري (أبو حسين) يمني مواليد شمر اليمن ١٩٥٨م.
- الشهيد محمد راجي الشرعان (وائل) فلسطيني من لوبية، مواليد صيدا/لبنان ١٩٥٧.
- الشهيد محمد فضل اسعد (الوحش) فلسطيني من حيفا مواليد إربد/الأردن ١٩٥٨م.
- الشهيد عبد الرؤوف عبد السلام علي (أبو أحمد) يمني مواليد صنعاء/اليمن ١٩٥٦م.
- الشهيد عامر أحمد عامرية (طارق بن زياد) لبناني من مواليد المنية/طرابلس ١٩٥٣م.
- الأسير حسين إبراهيم فياض (أبو جريحة) فلسطيني مواليد خان يونس ١٩٦٠م.
- الشهيد علي حسين مراد (أسامه) لبناني من مواليد صيدا/لبنان.

اجتياح الجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ وإنشاء الشريط الحدودي:

في بداية الأحداث اللبنانية ومنذ العام ١٩٧٦م تفككت الوحدات الحدودية الجنوبية اللبنانية، بسبب انفصالها وبعدها عن قيادة الجيش اللبناني في بيروت، وكان من نتيجة هذا التفكك التحاق هذه العناصر بجهات ثلاث، بعضها بقيادة الجيش اللبناني حيث عينت العناصر في وحدات أخرى

(*) هذه التسمية مقتبسة من تعليق للشاعر الكبير نزار قباني على العملية.

وبعضها التحق بالقوى الوطنية اللبنانية التي كانت تقاتل إلى جانب قوات الثورة الفلسطينية، والبعض الآخر فر إلى العدو الإسرائيلي، الذي استغل هذا الوضع وجمع هذه العناصر في وحدات صغيرة اطلقت عليها تسمية جيش لبنان الحر، ونصب عليها العميل الخائن الرائد سعد حداد يعاونه ضابط لبناني آخر هو الرائد شدياق.

وقامت قوات العدو الإسرائيلي بالاستيلاء على بعض القرى اللبنانية الحدودية حيث اتخذت منها قواعد لحماية حدودها من الهجمات الفلسطينية، ومن هذه المواقع الإنعزالية: مرجعيون، القليعة، عين ابل، يارون، رميش، علما الشعب، وقد اتخذ الرائد الخائن بلدة القليعة مقراً لقيادته.

كان هذا العمل بالنسبة للكيان الصهيوني عملاً اقتصادياً عسكرياً دعائياً مناسباً، حيث أمنت إسرائيل به حراسة لبعض نقاط حدودها بقوى لبنانية، عوضاً عن تكليف قواتها بهذا الحراسة، خاصة أن العناصر اللبنانية المحلية تعرف الأرض والسكان والغرباء عن المنطقة بشكل أفضل، وخاصة منهم المعادين لإسرائيل والمتعاونين مع القوى الفلسطينية.

ومن هذه القواعد الانعزالية وبتخطيط إسرائيلي كانت تنطلق الإعتداءات على العناصر الوطنية فتدمر وتقتل وأحيانا توسع قاعدة وجودها في المنطقة[*] وكلما كبر حجم المنطقة التي تسيطر عليها العناصر الانعزالية كلما زاد مستوى الأمان الإسرائيلي. فإسرائيل تفضل الحدود الآمنة على الحدود الدولية، عدا عن كونها تبعد الخطر عن الأهداف الإسرائيلية، فإنها قابلة للتعديل والتوسيع دوما، في حين أن الحدود الدولية ثابتة، لا تريد إسرائيل أن تعترف بها، لأنها تضع حداً لتعديها وتوسعها.

من أجل توسيع هذه القواعد الانعزالية ومنحها شريطاً حدودياً يغطي الحدود الدولية وضعت الحكومة الإسرائيلية خطة للعدوان تهدف إلى تصفية التواجد الفلسطيني المسلح في جنوب لبنان، أو التخفيف منه والاعتمادعلى الشريط الأمني بعمق عشرة كيلو مترا يمتد على أول الحدود الدولية بالإضافة إلى جلب قوات دوليةلاحتلال القسم الباقي، بحيث تصبح فيه الحدود اللبنانية – الفلسطينية مغطاة بشريطين تجاه القوى الفلسطينية واللبنانية، شريط بقوات دولية وشريط بقوات لبنانية متعاونة، يتخللها بالطبع وحدات حراسة إسرائيلية، وأخذت إسرائيل من أجل تنفيذ مخططها هذا تنتظر المبرر.

(*) قامت إسرائيل يوم ١٩٧٨/٣/١٠م بإدخال ست ناقلات جنود مدرعة من طراز م١١٣ بعد تمويهها ووضع شعار قوات الكتائب عليها، إلى قرية مارون الراس وقام الفدائيون بالاشتباك مع هذه الناقلات وتم الاستيلاء عليها حيث سلمت إلى جيش لبنان العربي، وعندما نزع دهان الشارات الكتائبية ظهرت نجمة إسرائيل.

التحضيرات التي سبقت العدوان:

استغلت إسرائيل عملية الشهيد كمال عدوان ذريعة لشن حملة سياسية قوية ضد (م.ت.ف) على المستوى العالمي، خاصة في الدول الأوروبية الغربية التي اعترفت ب(م.ت.ف)، وطالبت إسرائيل تلك الدول بإغلاق مكاتب هذه المنظمة لديها. شنت وسائط الإعلام الإسرائيلية حملة كبيرة استهدفت لفت انتباه العالم إلى خطر "الإرهاب" الذي تمارسه منظمة التحرير وأنه لا بد من اتخاذ الإجراء اللازم لدرء الخطر والدفاع عن النفس.

وعقد الكنيست الإسرائيلي جلسة طارئة يوم ١٩٧٨/٣/١٣م اتخذ فيها قراراً يفوض الحكومة الإسرائيلية بالانتقام من الفلسطينيين وصادق على خطة حكومة بيغن باجتياح الجنوب اللبناني وتدمير البنية العسكرية الفلسطينية فيه. وطلبت الحكومة الإسرائيلية الموافقة على خطة العملية من الرئيس الأمريكي جيمي كارتر.

واعتباراً من يوم ٣/١٢ بدأ العدو بإجراء تعبئة سرية لبعض التشكيلات الاحتياطية من المنطقة الشمالية (فرقة مدرعة). وأعطيت الأوامر إلى تشكيل مقاتل ميكانيكي أن يتحرك إلى منطقة الحشد في نهاريا قريبا من الحدود اللبنانية. وقام العدو بتاريخ ١٩٧٨/٣/١٢ بإنزال بحري على الشاطئ في مواجهة مخيم الرشيدية وقد تمكنت قوات المقاومة الفلسطينية المتمركزة في المخيم، من تدمير زورقين من هذه الزوارق في حين سقط ١٣ شهيدا من رجال المقاومة. وبدأ العدو يحشد قواته في مناطق قريبة من الحدود اللبنانية اعتباراً من صباح ٣/١٣ ويقدر حجم هذه القوات في حدود فرقتين مدرعتين معززتين.

سير الأعمال القتالية:

ركز العدو هجومه على الجنوب اللبناني بضربتين رئيسيتين: ضربة أساسية على طول الخط الساحلي من رأس الناقورة حتى مدينة صور، بهدف تنظيف الاتجاه الساحلي من قوات الثورة الفلسطينية، ومنع وصول الإمدادات البحرية إلى ما وراء الخطوط الإسرائيلية وحصر القوى الفلسطينية بين هذا الاتجاه واتجاه الضربة الثانية. أما الضربة الثانية فقد وجهت اعتباراً من رأس اصبع الجليل "منطقة جسر الخردلي" باتجاه مدينة صور. بهاتين الضربتين كانت القوات الإسرائيلية تهدف إلى تطويق الجنوب اللبناني ومن ثم تمشيطه وتنظيفه نهائياً من الوجود الفلسطيني المسلح.

وفي ٣/١٥ ١٩٧٨اعتبارا من الساعة الواحدة ليلاًبدأ العدو قصف مدفعي شديد لقواعد الفدائيين في منطقة بنت جبيل ومارون الراس ويارون والطيبة والخيام وراشيا الفخار، وهي قرى

تقع كلها قرب الحدود اللبنانية – الفلسطينية. وفي الساعة الثانية أخذت قوات العدو تتقدم بحذر على الاتجاهات:

- المطلة – مرجعيون والخيام وابل السقي.
- العديسة – الطيبة – رب الثلاثين – مركبة.
- براعم – يارون – بنت جبيل – مارون الراس
- قطمون – رميش – عين ابل
- يعرين – جبين – شمعة – طير حرفا
- راس الناقورة – راس البياضة.

وقام الطيران الإسرائيلي منذ الساعات الأولى بالاشتراك في دعم الأعمال القتالية البرية بطلعات استطلاع وإنارة وقصف، وكذلك قامت السفن الحربية الإسرائيلية منذ بدء الأعمال القتالية، بقصف ميناء صور ومخيم الرشيدية "جنوب صور" وأنزلت جواً قوة من المشاة تقدر بحوالي سرية معززة في منطقة العزية جنوب مدينة صور بحوالي ١٠ كلم. كان الهدف الإسرائيلي المعلن من هذه العملية هو تدمير القواعد الفلسطينية في الجنوب القريبة من الحدود الإسرائيلية[٢٧].

ولاقى تقدم الوحدات الإسرائيلية مقاومة عنيفة جداً من قبل رجال الثورة الفلسطينية، وبسبب الطابع القتالي الخاص الذي كان يتبعه رجال الثورة الفلسطينية فإن القوات الإسرائيلية كانت تتقدم بمنتهى البطء والحذر. وبعد مرور تسع ساعات على العملية الهجومية الإسرائيلية، أعلن رئيس الأركان الإسرائيلي "موردخاي غور" للمراسلين في تل أبيب أن معظم الأهداف المطلوبة قد تم احتلالها، ويجري الآن تطهير بعض الأماكن، وبعد ذلك ستقوم قوات جيش الدفاع الإسرائيلي بربط جميع الجيوب المحتلة في شريط أمني يمتد إلى عمق ٧ – ١٠ كلم على طول الحدود، وأن هذه العملية ستنتهي خلال عدة ساعات، لكن القتال ما زال مستمراًفي الوقت الحاضر؛ بسبب وجود بعض القواعد الفلسطينية[٢٨].

ودارت معركة ضارية في شوارع بنت جبيل "في القطاع الأوسط من الحدود" بعد أن أنزلت الحوامات الإسرائيلية وحدة من المغاوير في هذا القطاع، كذلك لم تسقط بلدة الطيبة إلا بعد معركة ضارية مع قوات المقاومة، أما على محور صديقين - قانا فقد تقدم العدو ودخل قرية قانا،

(٢٧)الإذاعة الإسرائيلية- باللغة العبرية الساعة ٢,٠٠ من تاريخ ١٩٧٨/٣/١٥م.
(٢٨)الإذاعة الإسرائيلية، المصدر نفسه.

واضطر العدو أن يدخل في حارات القرية وبين بيوتها بسبب كون الأرض المحيطة بالقرية غير صالحة لتقدم الآليات، وقد لاقت وحدات العدو مقاومة شديدة، وتكبدت خسائر كبيرة.

كما قام الطيران المعادي في الساعة ١٤,٠٠ بقصف قاعدة للفدائيين الفلسطينيين بالقرب من بلدة الدامور، حيث ادعى الإسرائيليون أن الفدائيين الذين اشتركوا في عملية الشهيد كمال عدوان، قد تدربوا فيها.واستخدمت المقاومة الفلسطينية المضادات الأرضية للتصدي للطائرات المعادية.

قام الطيران الإسرائيلي في الساعة ١٤,١٠ لمدة ١٥ دقيقة بقصف الأوزاعي وبرج البراجنة في ضواحي بيروت، الأمر الذي أدى إلى إغلاق مطار بيروت وإصابة منطقة الأوزاعي بتدمير كبير.وقامت مجموعات مؤلفة من ثماني طائرات من نوع فانتوم F4-E بقصف مخيم صبرا جنوب بيروت.

واستطاع الفدائيون بالرغم من كل الهجمات البرية والجوية الصهيونية أن يردوا بقصف المستعمرات الشمالية الإسرائيلية بصواريخ الكاتيوشا مما أحدث بعض الأضرار في مستعمرة "كريات شمونة". وقد دار قتال عنيف بين قوات المقاومة والعدو في منطقة العرقوب، ولم يتمكن العدو من السيطرة عليها حتى مساء يوم ١٥ آذار.وأكد رئيس الأركان الإسرائيلي مرة أخرى في الساعة ١٧,٠٠ أن العمليات الرئيسة التي كلف بها جيش الدفاع الإسرائيلي في الجنوب اللبناني قد انتهت[٢٩].

كذلك صرح بيغن رئيس الوزراء الإسرائيلي في مؤتمر صحفي عقدة في القدس بأن الجيش الإسرائيلي قد أتم تنفيذ مهمته في جبهة مساحتها ١٠٠ كلم مربع ويتوقع أن تحقق تسوية بحيث لا يعود الفدائيون لمهاجمة إسرائيل ومواطنيها في هذه المنطقة، وأن القوات ستبقى حتى تتم التسوية، وأضاف أنه لا يعتبر هذه العملية عملية انتقامية بسبب حادث يوم السبت الماضي "١١ آذار" وأن إسرائيل استخدمت حقها في الدفاع عن النفس، وهاجم الإتحاد السوفييتي بسبب إدانته عملية الجيش الإسرائيلي[٣٠].

كما أعلن كيسنجر أن عملية الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان من أجل ضرب قواعد الفدائيين كانت عملاً لا مفر منه، وقال أن هناك سببين أساسيين لهذه العملية أولهما ضرورة التصدي للإرهاب، والثاني أن الاعتداءات أتت من جنوب لبنان، وطلب استبدال القوات الإسرائيلية في جنوب لبنان بقوى من الجيش اللبناني النظامي[٣١].وكعادة الإسرائيليين بإعلانهم

(٢٩)وكالة الأنباء الفلسطينية– سعت ٢٢,٠٠ – ١٩٧٨/٣/١٥م
(٣٠)الإذاعة الإسرائيلية باللغة العبرية – ٢٣,٠٠- ١٩٧٨/٣/١٥م
(٣١)الإذاعة الإسرائيلية – اللغة العربية سعت ٦,٣٠ – ١٩٧٨/٣/١٦م

عن خسائر بشرية ومادية مخفضة فقد أعلنوا أن عدد الإصابات في اليوم الأول من القتال كان فقط مقتل أحد عشر جندياً وجرح سبعة وخمسون، وسردوا لائحة بأسماء القتلى[٣٢].

الخميس ١٦ آذار:

تابع العدو التقدم تحت تغطية نيران الطيران والمدفعية، بالرغم من إعلانه انتهاء الأعمال القتالية، واستطاع في الساعة ١٠ احتلال راشيا الفخار. وتابع قصف النبطية، كفر تبنيت – كفر رمان – الجرمق – كوكبا – حاصبيا – قنطرة طريق صور ومخيم الرشيدية.وفي الساعة ١٣,٣٠ أعلن مصدر فلسطيني أن قوات الفدائيين ما تزال تقاوم الغزو الإسرائيلي، وأن العدو لم يعد يحتل سوى جيوب صغيرة غير مترابطة، وأن الفدائيين قد أخلوا بعض المواقع متبعين أسلوب الكر والفر ضد قوات العدو وأنهم أسقطوا طائرة معادية من نوع ميراج. وبعد مقاومة بطولية سقطت بلدة راشيا الفخار، كما استطاع طيران العدو تدمير جسر بالقرب من جزين.وأعلنت قيادة (م.ت.ف) أن مجموع خسائرها بلغ ٣٩ شهيداً وجريحاً و١٥٠ قتيلا وجريحا من المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين، في حين فقد الإسرائيليون حوالي ٣٥٠ جنديا بين قتيل وجريح. بالإضافة للأسرى، بينما كررت إسرائيل بأن خسائرها قد بلغت ١١ قتيلاً و٥٧ جريحا.

الجمعة ١٧ آذار:

اعتبارا من صباح هذا اليوم بدأ النشاط السياسي الدولي يدب لإيقاف القتال فاقترحت بريطانيا وضع قوة سلام تابعة للأمم المتحدة، وطلبت الولايات المتحدة انسحاب القوت الإسرائيلية فوراً من لبنان وطلب ياسر عرفات من السادات تدخل الولايات المتحدة لوقف القتال[٣٣].وأعلنت إسرائيل أنها ستوافق على تواجد قوات الأمم المتحدة في لبنان وأنه بعد تواجد هذه القوى ستسحب قواتها من هذه المنطقة[٣٤].وتابع الإسرائيليون التقدم على كافة المحاور وهاجموا سوق الخان – كوكبا – دير السريان – حاريص – كفرة – البياضة – مزرعة جل البحر – تبنين في القطاع الأوسط منذ الصباح، وتمكنوا من احتلالها وتابعوا قصف مدينة صور من الجو والبر، بينما ظل الفلسطينيون يدفعون الإمدادات المادية والبشرية عبر جسر الليطاني إلى منطقة جنوب لبنان، واستمروا في رشق مستعمرات منطقة الجليل الأعلى بالكاتيوشا.

(٣٢)الإذاعة الإسرائيلية – اللغة العربية – سعت ٩,٠٠ تاريخ ٣/١٦.
(٣٣)يونايتدس برس ٢,١٠ جريدة الجمهورية ١٩٧٨/٣/١٧م.
(٣٤)الإذاعة الإسرائيلية، اللغة العبرية سعت ١٠,٠٠ - ١٩٧٨/٣/١٧م.

السبت ١٨ آذار:

استمر القتال صباح هذا اليوم، وكانت الخسائر البشرية والمادية كبيرة لدى الجانب الإسرائيلي، ما اضطر رئيس الأركان الإسرائيلي أن يصرح بأن نصف خسائر إسرائيل كانت نتيجة اصطدامها بحقول ألغام غير معروفة، واستمر تقدم القوات الإسرائيلية على الاتجاه الساحلي بدعم من نيران البحرية المنتشرة جنوب صور. وهدد رئيس الأركان الإسرائيلي بأنه اذا استمرت المقاومة الفلسطينية فإنه سيأمر قواته بمتابعة التوغل نحو الشمال، وقال أن الحزام الأمني سوف يمتد لمسافة ١٠ كلم داخل الأراضي اللبنانية، فقط من أجل عدم استفزاز سوريا ويتمنى أن لا تحصل اشتباكات مع الجانب السوري(٣٥).

ولندرك مدى فشل الاجتياح الإسرائيلي للجنوب اللبناني فيما يتعلق بالقضاء على بنية الثورة الفلسطينية، نقرأ ما كتبه الصحفي الإسرائيليوري أفنيري قائلاً: يستطيع جيش الدفاع أن يتقدم إلى الشمال والشرق والجنوب، وبإمكانه أن يدفع الفلسطينيين أمامه من بلد إلى آخر، ولكنه لن يحل بهذه الطريقة مشكلتهم، إن نصف الشعب الفلسطيني قد دفع إلى خارج البلد، الذي كان يسمى فلسطين، وأن مخيمات اللاجئين هي التي أنجبت الفدائيين. لقد بدأت حرب الاستقلال بالاصطدام بين السكان اليهود والسكان الفلسطينيين، كما أن حرب سيناء نشبت على أساس الحكاية الرسمية التي تقول بضرورة القضاء على أوكار الفدائيين، ونشبت حرب الأيام الستة بسبب العمليات الفدائية من الأراضي السورية والتهديد بالرد الإسرائيلي. ونشبت حرب يوم الغفران في أعقاب عدم إعادة المناطق التي احتلت في الحرب السابقة، وأخيراً نشبت حرب الليطاني كرد مباشر على عملية فلسطينية فدائية، ومع ذلك فلم تستطع أية حرب من هذه الحروب القضاء على القضية.إن النشاط الفدائي الذي يضفي ظله منذ سنوات طويلة على دولة إسرائيل ناجم عن الواقع الفلسطيني، وليكن رأي الإنسان ما يكون حول المسألة الفلسطينية، واذا ما طرد الفدائيون من منطقة فسوف يظهرون في منطقة أخرى.. وإذا لم يعد بإمكانهم تحقيق هدف ما، فإنهم سيصلون إلى هدف آخر، وإذا ما زالت زعامة ما منهم، فإنهم سيخلقون زعامات أخرى.. وهذه أمور أولية مفهومة وقد أثبتها التاريخ مرات كثيرة(٣٦).

---

(٣٥)وكالة الأنباء الفلسطينية وفا الساعة – ١٤،١٠ – ١٨ آذار ١٩٧٨م.
(٣٦)مقال بعنوان حرب الليطاني، يوري افنيري، مجلة هاعولام هازيه العدد ٢١١٧ تاريخ ١٩٧٨/٣/٢٩م.

شهادة معين الطاهر قائد كتيبة الجرمق[٣٧]:

استمرت حرب الجنوب ثمانية أيام، وكانت قواتنا تدرك باستمرار أن مهمتها الأساسية هي إفناء العدو والمحافظة على الذات وأنها عبر هذا القانون تستطيع أن تحقق انتصارها، وبالفعل فقد شاهدنا خسائر عالية في صفوف العدو في مواقع الاشتباك وازدادت ثقتنا بحتمية الانتصار.الصهاينة غيروا تكتيكاتهم العسكرية ثلاث مرات، وإن كان هنالك فواصل مشتركة تجمع ما بين تكتيكاته الثلاثة:

المرحلة الأولى: والتي استهدفت الشريط الحدودي ومواقع قواتنا التي كانت محصنة ومتخندقة، استخدم العدو أسلوب الإغارة الليلية بسلاحه الجوي. واستبدل ثنائي الدبابة وجندي المشاة بثنائي آخر وهو الطائرة وجندي المشاة حيث كان سلاح الجو المعادي يواكب تقدم وحدات المشاة. فعندما تتراجع يعود للانقضاض مرة أخرى على مواقعنا. ولم يستخدم العدو سلاحه المدرع في هذه المرحلة إطلاقا فيما عدى استخدامها كمدفعية ثابتة.

المرحلة الثانية: تابع العدو تقدمه بالأسلوب بنفسه وإن كان قد أدخل سلاحه المدرع في تقدمه.. ونتيجة لهذا فقد كان تقدمه بطيئا جدا.. وأسقطنا للعدو ٤ طائرات.

المرحلة الثالثة: أصبحت شبكة الطرق أوسع في الجنوب، وكان مقاتلونا ما زالوا يقاتلون بروح عالية وغير العدو تكتيكه وقام باندفاعات واسعة بسلاحه المدرع وهو ما كنا نتوقعه.

ومن جهتنا فقد غيرنا الأسلوب الذي استخدمناه والقائم على عمل عقد صغيرة أمام العدو لتعيق تقدمه، وقمنا بوضع مجموعات صغيرة في الأمام وعندما يتقدم العدو ويتجاوز هذه المجموعات الصغيرة يفاجأ بأنه يصطدم بعقدة كبيرة وعدة مجموعات في مكان ما تضطره لأن يوقف تقدمه.

---

(٣٧)مجلة فلسطين المحتلة العدد ٢٥٣، ب.ت، قبرص.


عملية الليطاني 15 - 20 مارس 1978
البحر الأبيض المتوسط
سوريا
دمشق
فلسطين
الجولان
المحتل
خط تحقيق
المهمة النهائية
منطقة تابعة
للأمم المتحدة
حصار بحري
في الجنوب اللبناني
وإبرار بحري في الرشيدية
إبرار جوي
صباح يوم ١٨ مارس
مراحل تنفيذ الخطة:
١- تحقيق مهمة المرحلة الأولى:
16/17 مارس 1978
٢- تحقيق مهمة المرحلة الثانية:
18/19 مارس 1978
٣- استكمال السيطرة على الجنوب اللبناني:
20 مارس 1978
توزيع القوات على المحاور:
١- المحور الساحلي:
فرقة مدرعة خفيفة مدعمة بلواء مظلات
٢- المحور الأوسط الجنوبي:
فرقة مختلطة
٣- الإبرار الجوي والبحري صباح يوم 18
كتيبة آلية + سرية مظلات
صيدا
صور
الناقورة
النبطية
مرجعيون
حاصبيا
راشيا الوادي
جزين
قلعة الشقيف
الخيام
بنت جبيل
الزهراني
عدلون
الصرفند

القوات الدولية في جنوب لبنان:

في ١٩ آذار أصدر مجلس الأمن الدولي قرار تضمن بصورة أساسية أنه يجب احترام وحدة أراضي لبنان واستقلاله، ويدعو إسرائيل لوقف عملياتها العسكرية فورا وسحب قواتها من جميع الأراضي اللبنانية، وأن يقيم قوة مؤقتة لمنطقة جنوبي لبنان تابعة للأمم المتحدة، وذلك من أجل تأكيد انسحاب القوات الإسرائيلية، وإعادة السلام والأمن إلى لبنان، ومساعدة حكومته على ضمان عودة سلطتها إلى الجنوب، وقد طلب في القرار من الأمين العام أن يبلغ مجلس الأمن في غضون أربع وعشرين ساعة على إجراءاته بخصوص تنفيذ هذا القرار.وصلت القوات الدولية إلى جنوب لبنان بتاريخ ١٩٧٨/٤/١١م تنفيذاً لقرار مجلس الأمن، وقد دخلت المجموعة الأولى من هذه القوات وهي عبارة عن وحدة نرويجية، احتلت سبع نقاط في منطقة مرجعيون، واستنادا لذلك سحبت إسرائيل قواتها من الجنوب اللبناني، وأنهت الانسحاب من بعض المناطق بتاريخ ١٩٧٨/٦/٣١م، واحتفظت بالسيطرة على منطقة حدودية بعمق عشرة كيلو مترات تمتد من راس البياضة على البحر الأبيض المتوسط حتى بلدة مرجعيون تحت ستار ما يسمى (بدولة لبنان الحر)، بقيادة الرائد اللبناني الخائن سعد حداد(*).

إعادة هيكلية المؤسسة العسكرية الفلسطينية:

كان الدعم المالي ل(م.ت.ف) من قبل الدول العربية بعد انتهاء القمة العربية في بغداد (١٩٧٨/١١م) سبباً في بروز رؤية فلسطينية لإثبات قدرة منظمة التحرير على "إدارة الدولة الفلسطينية"، وقد أوجدت تلك الرؤية رغبة في تعزيز الصمود الفلسطيني أمام الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على قوات الثورة الفلسطينية في جنوب لبنان، والتصدي لهجمات المليشيات الانعزالية.

ولتأكيد قدرة وقوة (م.ت.ف) بدأت القيادة الفلسطينية في تعزيز الأطر العسكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية على ساحة لبنان، مما جعلها تتحمل أعباء كبرى تفوق قدرة لبنان كدولة في بعض الأحيان، فالقوات الفلسطينية في جنوب لبنان كانت مهيأة تماما لصد كل الاعتداءات الإسرائيلية، والعمل الفدائي في داخل إسرائيل انطلاقاً من لبنان أصبح على أشدّه، وخروج الثورة الفلسطينية رغم كل الخسائر البشرية منتصرة في حماية ذاتها أمام المليشيات الانعزالية خلال

(*)سعد حداد: (١٩٣٨ – ١٩٨٤/١/١٤م) ضابط لبناني، كان رائدا في الجيش اللبناني لما تولى مسؤولية وحدة عسكرية تضم ٤٠٠ جندي في بلدة القليعة على الحدود اللبنانية الجنوبية، تحالف مع اسرائيل وتمرد على الشرعية اللبنانية واعلن في ١٩٧٩/٤/١٩م عن قيام دولة لبنان الحر تحت السيطرة الكاملة لاسرائيل، مات في ١٩٨٤/١/١٤م بعد صراع طويل مع مرض السرطان، وخلفه بقيادة جيش لبنان الجنوبي المتعامل مع إسرائيل الضابط انطوان لحد.

الحرب الأهلية، وكل هذه العوامل أسهمت في الإيحاء بأن (م.ت.ف) قد أصبحت دولة في المنفى تحظى باعتراف عربي وإقليمي ودولي، الأمر الذي دفع بعضهم إلى إطلاق وصف "جمهورية الفاكهاني" على مقر قيادة (م.ت.ف)، وما يتبع لها من مؤسسات عسكرية واجتماعية وثقافية وغيرها، وكانت منطقة الجامعة العربية وشارع عفيف الطيبي لهما مكانة خاصة، فهذا الشارع يمتد بين مفرق جامعة بيروت العربية وشارع كورنيش المزرعة وفيه تقع مكاتب مجلة فلسطين الثورة والإعلام الخارجي ومركز التخطيط الفلسطيني ومقار الحزب الشيوعي ومنظمة العمل الشيوعي ومكاتب المالية المركزية التابعة لفتح ومكاتب اللجنة العلمية التابعة لفتح ومكاتب أخرى لمنظمات عديدة، وفي الشارع الموازي له تقع مكاتب وكالة الأنباء الفلسطينية "وفا" ومكاتب الأمن الموحد ومكاتب معتمد الإقليم، ومقر المجلس الثوري لحركة فتح ومقر الدائرة السياسية وهو أيضا الشارع الذي تقع فيه محلات أبو علي الحلواني (مقهى المثقفين)، وشارع عفيف الطيبي أو شارع فلسطين الثورة أو التخطيط كما كان يسمى عند رواده، خلا من السكان بعد أول أسبوع من الحرب وكان له نصيب دائم فيما نالته المنطقة كلها من قذائف، وما أن توقفت الحرب حتى امتلأ الشارع بالسيارات والقادمين.

لقد كانت طموحات مدير غرفة العمليات المركزية العميد سعد صايل تتطلع نحو بناء "جيش وطني" تقوده حركة فتح، اعتماداً على التوسع الواضح في عدد الوحدات القتالية، فقد سبق أن أنشأت فتح ثلاث كتائب جديدة في خريف عام ١٩٧٦م هي صقور التل، ورأس العين، والجرمق، وفي عام ١٩٧٧م عمدت إلى دمج الكتيبتين الأوليين في لواء جديد اطلقت عليه اسم "لواء أجنادين" واعتبرته احتياطا استراتيجيا، ثم شهدت قوات الـ١٧ تطوراً من كتيبة واحدة سنة ١٩٧٧م إلى لواء من ثلاث كتائب إلى معززة بالدبابات ت-٣٤ والمدفعية والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات والطائرات في سنة ١٩٨٠م، الأمر الذي رفع قوة فتح إلى خمسة ألوية (٢٦ كتيبة) بالإضافة إلى أنه تم استدعاء قوات جيش التحرير الفلسطيني من مصر مرة أخرى بعد تصاعد تهديدات الانعزاليين في الفترة ١٩٧٨ – ١٩٧٩م وهو ما أضاف سبع كتائب إلى جانب ثلاث وحدات مدفعية مختلطة من فتح وجيش التحرير الفلسطيني.

كان الطموح باتجاه العسكرة شبه النظامية أو النظامية في جزء من ذلك يستدعي تعيين ضباط تلقوا تدريبا عسكريا تقليديا في قيادة معظم التشكيلات الجديدة، وكان ضباط قوات اليرموك يقودون كتيبتين من الكتائب الثلاث الجديدة، وفي لواء من اللواءين الجديدين الذين شكلتهما فتح في الفترة (١٩٧٦–١٩٨٠م)، إضافة إلى واحدة من كتائب المدفعية المختلطة التي تشكلت من فتح وجيش التحرير الفلسطيني خلال (١٩٧٨ – ١٩٧٩م) بينما قاد الكتيبتين الأخريين ضباط من

قوات عين جالوت، وكان ضباط سابقون في الجيش الأردني قد تولوا غرفة العمليات المركزية ومديرية التدريب والاستخبارات العسكرية وقوات الكرامة التابعة لفتح، والجدير بالذكر أنه في عام ١٩٧٩م جرى تمتين علاقة حركة فتح بجيش التحرير الفلسطيني إداريا وذلك عند اعتماد الدائرة العسكرية (مسؤولها آنذاك العقيد سمير الخطيب) التابعة ل(م.ت.ف) كجهة وحيدة لرعاية جميع اسر شهداء القوات الفلسطينية.

وعززت حركة فتح من قوتها التسليحية، حيث حصلت على ٢٤ دبابة من طراز (ت – ٣٤) من اليمن خلال شهر (١٩٧٩/٥م) وأمنت التدريب الأساسي لطاقمها من سوريا، كما تلقى عدد من العسكريين تدريباً إضافياً على الدروع في باكستان في السنة نفسها، وأقيمت دورة أخرى في المجر، ونصبت حركة فتح أيضا مدفعية ثقيلة على الساحل، وحصلت على أربعة أجهزة رادار للتعقب (١٩٧٨ – ١٩٧٩م) بهدف صد هجمات سلاح البحرية الإسرائيلي، كما اشترت (٦٠ دبابة) من طراز (ت – ٣٤)(*) من المجر أوائل عام ١٩٨٠ و ٦٠ دبابة أخرى بعدها، بالإضافة إلى (١٢ عربة استطلاع) من طراز (ب.ر.د.م٢) وعلى ناقلات جنود مدرعة طراز (ب.ت.ر. ٦٠) منتصف عام ١٩٨٠م.

وسعت حركة فتح إلى تطوير ذراعها الجوي (القوة – ١٤) حيث تخرج (٣٢ طيار) و (٦٠ تقني) في شهر (١٩٧٨/٨م) بينما التحق (١٥٠) بدورات في هذا التخصص بالإضافة إلى عدد من المتدربين من جميع الرتب إلى الخارج للتدرب على مختلف المهارات العسكرية منها الدفاع الجوي والهندسة، والقتال ضد الدبابات والطيران والعمليات البحرية، وقد عبر العميد سعد صايل في شهر (١٩٨٠/٨م) عن ذلك بالقول أنه نتيجة التدريب في المنشآت الفلسطينية مثل كلية فتح العسكرية التي أعيد افتتاحها في مخيم شاتيلا للاجئين منتصف عام ١٩٧٨م، وفي الخارج فإن (٨٠%) من الكوادر العسكرية للثورة من مقاتلين وضباط قد تأهلوا عسكريا أو أعيد تأهيلهم بعد الخبرات التي اكتسبوها في القتال.

وكان سعد صايل مهتما بالمعلومة الأمنية كما هو اهتمامه بتطوير القدرات العسكرية، وبالفعل فقد زودت قوات الـ١٧ أبو عمار وأبو الوليد بمعلومات أمنية دقيقة ومفصلة أفادت كثيرا في معركتنا مع العدو الصهيوني، ولا أخفي سراً إن قلت أنه كان لنا أصدقاء ومصادر معلومات في الكثير من دول العالم.

(*) الدبابة ت-٣٤ هي دبابة متوسطة سوفيتية أنتجت بدءاً من ١٩٤٠ – ١٩٥٨م. وصفت في حينه بأنها الأفضل حينما دخل الاتحاد السوفيتي الحرب العالمية الثانية، وبالرغم من أن دبابات أخرى تفوقت عليها لاحقاً من حيث التدريع والأسلحة، إلا أنها تعتبر الأكفأ والأكثر تأثيراً.

ولعب مكتب "حركات التحرر" الذي كان يشرف عليه أبو جهاد في إيجاد حضور فلسطيني في الكليات العسكرية لدى العديد من الدول، ومكن من ترشيح الخبرة العسكرية وتراكم الأسلحة ودعم العديد من حركات التحرر في العالم، فقد أرسلت حركة فتح أطقما لمساعدة سلاح الجو الأوغندي سنة ١٩٧٦م، ودربت حرس الرئيس عيدي أمين، كما أرسلت سرية مشاة إلى كمبالا بقيادة اللواء "محمود دعاس" لدعم الجيش الأوغندي في أثناء الغزو التنزاني (١٩٧٩/٣م)، وكان من ضمن هذه القوات ٣٧ ضابط ومقاتل من قوات الـ١٧، وأرسلت شحنات أسلحة إلى ثوار "ساندينيستا" بعد انتصارهم ثم أمدتهم بطياري هيلوكوبتر ومقاتلون شاركوا في الحرب ضد متمردي الكونترا، كما أمدتهم بأطقم لشركة طيرانهم المدني (ايرونيكا) واستقبلت كلية فتح العسكرية سنة ١٩٨١م مائة طالب من زيمبابوي للتدريب.

وعمد ياسر عرفات في تلك المرحلة إلى إحكام قبضته على الشؤون العسكرية، فأصبح المرجع النهائي لجميع التعيينات والترقيات لكبار الضباط، كما ساعده في ذلك خليل الوزير وسعد صايل الذي ركز على الإدارة والتزويد والتخطيط وكان من اكفأ القيادات العسكرية الموجودة في الشرق الأوسط، حيث تعلمت منه شخصيا التخطيط والإدارة بالمفهوم العلمي والصحيح(*).

كانت معرفتي الحقيقية مع سعد صايل عن طريق اللواء محمد جهاد الذي اصطحبني لمقابلته، وبعد أن توثقت علاقتنا أصبح معنياً بقوات الـ١٧، وألزمنا بالذهاب في دورات عسكرية حتى أصبح جميع ضباطنا حاصلين على دورات عسكرية متقدمة، وهو أول من طلب مني تقسيم الجهاز لقطاعات وكتائب عسكرية، وكان دائما يحضر إلى مقرنا لا سيما بعد استشهاد علي حسن سلامه وأصبح موجهاً لي في كثير من الأمور خاصة في علم الإدارة، ويعود له الفضل في رفع المستوى القتالي لقوات الـ١٧.

(*) في هذه الفترة بدأت ظاهرة التجييش في قوات العاصفة تتسع، ونمت معها ظاهرة الميليشيا المسلحة بغرض الدفاع عن المخيمات أمام عمليات الإنزال الإسرائيلية، ونظراً لاعتبارات الجبهة العسكرية المفتوحة من جنوب لبنان نحو شمالي الأراضي الفلسطينية، واتخاذ قوات العاصفة الوضعية القتالية في المواجهة المباشرة مع الجيش الإسرائيلي من العام ١٩٧١م إلى العام ١٩٨٢م، فانتقلت قوات العاصفة من زمن الهاون (٨٠/ ٨١) ملم، الذي أشعلت فيه جبهة أغوار الأردن من الغور الشمالي إلى غور الصافي، إلى زمن الكاتيوشا المتطورة من نوع غراد والراجمات الصاروخية، التي بدأت تصب حممها فوق مستعمرات شمال فلسطين.

اغتيال القائد علي حسن سلامه "أبو حسن":

كان مطلع عام ١٩٧٩م كارثياً على قوات الـ١٧، ففي يوم الاثنين ١٩٧٩/١/٢٢م تمكن عملاء الموساد الإسرائيلي من تفجير موكب قائد قوات الـ١٧ علي حسن سلامه "أبو حسن" وباستشهاده كانت بداية مسؤولية جديدة لي.

لقد اعتقد قادة إسرائيل أنهم باغتيال الشهيد علي حسن سلامة قد أزاحوا من طريقهم خصماً سبق وأن أفشل مخططاتهم وأنزل القصاص بعملائهم وأنه كان القائد المؤهل لتشكيل قوة الحماية للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، وأن قوة أمن الرئاسة التي أنشأها ستلعب دوراً مهماً في التصدي لأنشطة الموساد على الصعيد الخارجي وفي داخل لبنان.

أطلقت عليه رئيسة وزراء العدو غولدا مائير لقب "الأمير الأحمر" فأصبح هذا اللقب يميزه لدى المراقبين السياسيين والإعلاميين للحركة الوطنية الفلسطينية أيضا.

البدايات النضالية لأبو حسن سلامة:

ولد علي حسن سلامه "أبو حسن" في العراق بتاريخ ١٩٤١/٤/١م حيث سبق لوالده الشيخ حسن سلامه أحد القيادات الفلسطينية التي برزت في قيادة النضال ضد العصابات الصهيونية اليهودية للفترة من ١٩٣٦ – ١٩٤٨م، واضطر لمغادرة فلسطين عام ١٩٤١م بسبب مطاردة القوات البريطانية له فلجأ إلى العراق واستقر هناك للتدريب والانخراط في الجيش العراقي حيث ولد ابنه "علي" خلال تلك الفترة، وفي عام ١٩٤٥م انتقل إلى لبنان وعاد إلى فلسطين حيث استشهد في معركة رأس العين بتاريخ ١٩٤٨/٦/١م، وبعد قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢م انتقلت أسرته إلى مصر.

أنجبت زوجة علي حسن سلامه مولودها الأول في القاهرة بتاريخ ١٩٦٦/٦/١م في الذكرى الثامنة عشرة لاستشهاد جده المجاهد الشيخ حسن سلامه، وهي مناسبة مباركة أثارت هياجاً عاطفياً عظيماً في نفوس الأسرة، فموجة الفرح الغامر بقدوم المولود الجديد لم تمنع الجميع من ذرف الدموع لهذا التوافق العجيب بين ذكرى استشهاد الجد ويوم مولد الحفيد، وكأن روح المجاهد الشهيد الشيخ حسن سلامه قد انبعثت من جديد في ذلك اليوم. يقول أبو حسن سلامة: "هذا الإرث النضالي الذي ورثه عن والده قد سبب له مشاكل شخصية لأنه نشأ في عائلة كانت تعتبر النضال جزءا من تراثها يحمله جيلا بعد جيل، ويضيف حتى وأنا طفل اتبعت نمطاً معيناً من السلوك، كانوا يذكروني باستمرار أنني ابن حسن سلامه وعلى أن أكون قدر المسؤولية".



الشيخ حسن سلامة مع ابنته جهاد (صور نادرة)



الشيخ حسن سلامة مع أنجاله جهاد وعلي (صور نادرة)

انتقل أبو حسن إلى القاهرة لإكمال تعليمه هناك، وفي عام ١٩٦٤م انتقل إلى الكويت حيث التحق هناك بحركة فتح عن طريق خالد الحسن "أبو السعيد" وأدار دائرة التنظيم الشعبي في مكتب (م.ت.ف)، ثم اختير عام ١٩٦٨م ضمن مجموعة من عشرة أشخاص لدورة أمنية في القاهرة، وبعد عودته عمل نائبا لمفوض الرصد المركزي لحركة فتح صلاح خلف واستقر في العاصمة الأردنية ممارسا لمهماته النضالية حتى خرج إثر معارك أيلول برفقة القائد ياسر عرفات مع اللجنة العربية العليا التي كانت مكلفة بالوساطة بين الأردن والفدائيين، ومنذ ذلك الخروج أصبح ظلا لأبي عمار ومكلفاً بحمايته، وهو أول من تم تعيينه قائدا لقوات الـ١٧.

ومنذ ذلك التاريخ كان علي حسن سلامه الأقرب إلى ياسر عرفات وعنه يقول "أبو حسن": "لأبي عمار "الختيار" عندي قدسية معينة، وأنا كمقاتل فلسطيني قد أستطيع المزايدة على أي مقاتل آخر ولكني لا أستطيع أن أزايد على "أبي عمار" أنه لا يجد ولو برهة يتمتع فيها بحلاوة العيش، هذا الرجل يجد متعته وسعادته عندما يحقق انتصاراً سياسياً أو عسكرياً للقضية، إن "أبو عمار" إنسان لا يرتاح ولا يشعر بالاستقرار، ونعرفه على حقيقته عندما نكون في مأزق، ندرك ما يعاني من القلق مع الصبر والإيمان والشجاعة في مواجهة الأحداث، ونعرفه عندما نخرج من المأزق وكيف يشعر بالفرح والاعتزاز، وهو قائد كبير يقاتل مثل أي عنصر في أخطر المعارك وأدقها، بالرغم أنه يستطيع أن يكون في مركز القيادة لأن القائد يجب أن يكون دائماً بعيداً عن الخطر، إلا أن "أبا عمار" يرفض ذلك كونه يعيش مع المقاتلين في احلك اللحظات، أما رفقتي له فقد بدأت في معارك أيلول سنة ١٩٧٠م حين كنا سبعين مقاتلاً معه، وبقينا تسعة فقط، وهكذا فقد كانت رفقتي له هي رفقة حياة أو موت، إن "أبو عمار" هو المحارب الوحيد الذي لا يعرف استراحة المحارب".



والدة علي حسن سلامة مريم الخواجة، أبو حسن

أبو حسن والعمليات الخارجية:

فور انتقاله إلى بيروت أسندت إليه قيادة العمليات الخاصة ضد العدو الصهيوني في جميع أنحاء العالم، وارتبط اسمه بالعديد من العمليات النوعية. كما ارتبط اسمه بالاتصالات السرية التي كانت تجريها الثورة الفلسطينية مع الكثير من الأطراف في الساحة اللبنانية والدولية.

وأذكر أنه في أثناء الحرب الأهلية، وأثناء التصدي لقوات الكتائب في الشياح حيث كانت المعارك على أشدها، فوجئت أن سيارة أبو حسن قادمة نحو موقعي في الشياح، وعندما وصلت طلب مني السائق (جميل) أن أرافقه لمقابلة أبو حسن للضرورة، فتوجهت مع السائق إلى حيث يوجد أبو حسن.. وهناك وجدت أبو حسن يطلب مني أن أرافقه في مهمة عاجلة. سألته إلى أين؟ فقال لي إن هناك لقاء مع بشير الجميل وكريم بقرادوني من قادة حزب الكتائب وأنه يريدني أنأكون برفقته في هذه المقابلة التي كلفه به الأخ أبو عمار لإجراء الاتصالات مع الكتائب للتوصل إلى هدنة ووقف الهجوم على مخيم تل الزعتر.. إلا أنني وبحركة لا إرادية رفضت ورجعت بسرعة إلى السيارة في حين كان أبو حسن ينادي علي طالباً العودة ولكني لم أستمع إليه وصعدت إلى السيارة آمراً السائق بإعادتي من حيث أتيت، وحينما وصلت إلى موقعي وسط المقاتلين، شعرت بقيمة الموقف الذي اتخذته.

أبدى أبو حسن غضبه الشديد على موقفي، ومنذ ذلك الحين ولأول مرة حصلت بيننا قطيعة وخصام استمر نحو شهرين رغم تبرير أبو حسن لموقفه أن الاتصالات مع الكتائب كانت بتعليمات القيادة ولمصلحة شعبنا المحاصر في تل الزعتر إذ أنه من المطلوب أن نبحث كل الطرق لإنهاء أزمتهم. فهم أخي أبو حسن من تلك الحادثة أنني شديد الالتزام بموقعي وقيادتي الميدانية لقوات ال١٧، ولذلك توقف كلياً عن اطلاعي على مهماته الخارجية أو اتصالاته، وفي الوقت نفسه التزمت أنا بذلك.

وبدأ أبو حسن بالفعل في التفرغ للقضايا الأمنية والاتصالات مع مختلف القوى والجهات التي كلف بها من قبل أبو عمار وخاصة تلك المتعلقة بالعمليات الخارجية والتي كان ولضرورات العمل يفضل الحفاظ على سريتها، ولذلك لم يوثق أبو حسن أية أوراق أو ملفات لدى قيادة ال١٧، لهذا فإن ما تطرقت إليه من أسرار تلك العمليات الخارجية، كان على لسان منفذيها وربما هناك العديد من العمليات التي خطط لها ونفذها أبو حسن ولم أكن مطلعا عليها لأن ملفاتها كانت في منزل أبي حسن وبعد استشهاده قامت زوجته بتسليمها للأخ أبو عمار، لهذا قد تكون بعض العمليات التي نفذها أبو حسن لم أتطرق إليها لعدم معرفتي بها(*).

(*) لم يوثق أبو حسن أية أوراق أو ملفات لدى قيادة ال١٧، لهذا فإن ما تطرقت إليه من أسرار تلك العمليات الخارجية، كان على لسان منفذيها وربما هناك العديد من العمليات التي خطط لها ونفذها أبو حسن ولم أكن مطلعا عليها؛لأن ملفاتها كانت في منزل أبو حسن وبعد استشهاده قامت زوجته بتسليمها للأخ أبو عمار، لهذا قد تكون بعض العمليات التي نفذها أبو حسن لم أتطرق إليها لعدم معرفتي بها.

أبو حسن سلامة والاتصالات الفلسطينية الأمريكية:

رافق أبو حسن سلامه الرئيس عرفات خلال زيارته التاريخية للأمم المتحدة عام ١٩٧٤م، وخلال المباحثات الأمريكية – الفلسطينية التي جرت بداياتها في فندق "والدروف استوريا" وتم بموجبها التنسيق الأمني المشترك، أوكل الرئيس عرفات إدارة هذه المهمة إليه، حيث ترجم هذا التعاون الأمني خلال الحرب الأهلية عامي (١٩٧٥ – ١٩٧٦م) ثم دعي بعدها "أبو حسن" إلى زيارة الولايات المتحدة الأمريكية حيث اجتمع في واشنطن مع كبار قادة أجهزة المخابرات سعياً وراء تأكيد الاعتراف الأمريكي بمنظمة التحرير، أما فيما يتعلق بدوافع ياسر عرفات لتكليفه بهذه المهمة التي تعتبر في غاية الأهمية فكانت لتكريس الاعتراف الدولي والعالمي بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، في حين اعتبرت إسرائيل القائد الشهيد أبو حسن سلامه منذ تكليفه بالاتصالات مع الإدارة الأمريكية قد أصبح أكثر خطورة عليها، فليس من المصلحة الإسرائيلية أن يكون هناك أي تقارب بين (م.ت.ف) والإدارة الأمريكية، لذا أصبح "أبو حسن" الهدف الأكبر أهمية لإسرائيل والذي يجب اصطياده(*).

وطبقا للمصادر الأمريكية فإن ياسر عرفات انتدب علي حسن سلامه في حين انتدب البيت الأبيض أكبر خبير في الشرق الأوسط وهو "بوب آيمز" الذي كان يعمل في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وأن تكون قناة الوساطة بين بوب آيمز وعلي حسن سلامه و مصطفى الزين الذي كان ناشطا في منظمة الطلبة العرب في أمريكا(**).

ويذكر أن علي حسن سلامة (أبو حسن) قام بزيارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بدعوة من جورج بوش الأب الذي كان آنذاك مديراً للمخابرات المركزية الأمريكية، الأمر الذي أثار غضب إسرائيل بانكشاف أكاذيبها على الإدارة الأمريكية بشأن الوضع الفلسطيني، لذا قررت الانتقام من

(*) حضرت للقاهرة عام ١٩٦٩م بعثة فيشر وقابلت أمين عام الجامعة العربية السيد/ عبد الخالق حسونة بحضور مسئول إدارة فلسطين السيد/ عمر النابلسي وحضر اللقاء السفير سعيد كمال الذى تسلم تقريراً عن دراسة قدمها ألفريد فيشر بخصوص إقامة دولة فلسطينية على كامل الضفة والقطاع، وبعد حرب تشرين عام ١٩٧٣م تم أول لقاء في منزل وزير الخارجية إسماعيل فهمي وكانت د.ليلى تكلا هي صاحبة فكرة حضور سعيد كمال للقاء السفير الأمريكي بالقاهرة هيرمان ايلتس، وطلبت د.ليلى تكلا من سعيد كمال عدم التعريف عن اسمه كمندوب ل(م.ت.ف) ويتم الاكتفاء بذكر الاسم، السفير هيرمن آيلتس صديق لهنري كسينجر يذكر أن لقاء أبو حسن سلامة مع الأمريكان عام ١٩٧٦م كان محادثات رسمية سرية حيث سافر إلى أمريكا وقابل بوش الأب الذي كان مسؤول الCIA في واشنطن، وجرى بعد هذا اللقاء عدة لقاءات في بيروت وكان مندوب الCIA في الشرق الأوسط بوب ايمز الذي قتل في تفجير السفارة الأمريكية في بيروت عام ١٩٨٣م هو قناة الاتصال، وجرى اتصال مع الأمريكان بتاريخ ١٩٨٨/١١/١٧ م بعد إعلان الدولة في الجزائر وفي لقاء بين سفير دولة فلسطين بتونس حكم بلعاوي والسفير الأمريكي بتونس روبرت باليترو وبعدها تم تشكيل لجنة للتباحث مع السفير نفسه واللجنة تتألف من كل من الأخوة: ياسر عبد ربه عضو اللجنة التنفيذية ل(م.ت.ف)، و عبد اللطيف أبو حجلة (أبو جعفر) مدير عام الدائرة السياسية لمنظمة التحرير، وحكم بلعاوي سفير فلسطين في تونس، وبين الحين والآخر كانت تجري لقاءات مع صلاح خلف، واللقاء الأول عام ١٩٩٠م ذهب سعيد كمال إلى واشنطن بتكليف من ياسر عرفات وتم الاجتماع في الخارجية الأمريكية وقابله وكيل أول وزارة الدفاع الذى انتقل نشاطه إلى الخارجية الأميركية وهو السيد ريتشارد أرميتاج. المصدر: مقابلة مع سعيد كمال.

(**) لقد قال Bruce Riedel مدير دائرة التحليلات الاستراتيجية في وكالة الاستخبارات الامريكية CIA الآتي: لقد كان علي سلامه في علاقة سرية مع الامريكان اسس فيها صداقات متينة فاعتبر الاسرائيليون ان هذه العلاقة هي الخطوة الاولى التي ستقود عرفات الى البيت الابيض ولهذا السبب فقط ارادوا قتله.

(بوب) باغتياله عن طرق تفجير السفارة الأمريكية في بيروت يوم ١٩٨٣/٤/١٨م وللأسباب الآتية:

١. مسؤوليته عن فتح العلاقة مع البيت الأبيض وياسر عرفات منذ سنة ١٩٧٥م.

٢. قيامه بترتيب الزيارة الرسمية لـعلي حسن سلامه إلى واشنطن خلال شهر (١٩٧٦/١٢م) بدعوة من جورج بوش الأب الذي كان آنذاك مديرا للمخابرات المركزية الأمريكية[٣٨].

٣. إن روبرت ايمز هو الذي أعد للرئيس الأمريكي رونالد ريغان مبادرته للسلام في الشرق الأوسط عام ١٩٨٣ والتي تسلمها عرفات قبل خروجه من بيروت، واعتبر مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل آنذاك تلك المبادرة بأنها (خنجر ضرب في قلبي).

٤. إن روبرت ايمز حصل على نسخة من شريط الفيديو الذي صورته شبكة (ABC) عن مذبحة صبرا وشاتيلا والذي يكشف دور القوات الإسرائيلية في تلك الجريمة الإنسانية البشعة، وقام بتسليم شريط الفيديو إلى مناحيم بيغن الذي اتخذ قراراً بوقف العمل السياسي منذ ذلك الحين كون الشريط يفضح وزير الدفاع في حينه أرئيل شارون ويشكل سابقة خطيرة لكتلة الليكود وجماعة اليمين الإسرائيلي، وبموجب ذلك فإن زعماء كتلة الليكود لم يغفروا لروبرت آيمز (بوب) ما فعله، وعليه فقد قتلوه بتفجير السفارة الأمريكية وقتلوا معه جميع مدراء محطات المخابرات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط والذين كانوا في ذلك الحين متعاطفين مع (م.ت.ف).

(٣٨)جاء في كتاب إرث من الرماد (تاريخ CIA) من تأليف تيم واينر، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ٢٠١٠، ص٥٢٢: المعلومات التي قدمها علي حسن سلامة شكلت غصن الزيتون الذي رفعه عرفات إلى الولايات المتحدة الأمريكية، تفاوض سلامة وايمز على تفاهم محوره ألا تقوم (م.ت.ف) بمهاجمة أمريكيين. لقد اختفى هذا من تقارير المخابرات المركزية الأمريكية عندما إغتالت الاستخبارات الإسرائيلية علي سلامة.

أنا وصديقي أبو حسن:

ها أنا بعد كل السنوات التي مرت على استشهاده أكتب عن قائدي وأخي وصديقي "أبو حسن" ذلك المناضل الذي أوفى لسيرة والده الشهيد حسن سلامه، فأكمل المشوار، مقدما دمه لشعبه ليفيض شلال الدم الفلسطيني برهانا على نضالات هذا الشعب الذي لا ولن يستكين ما لم يستعيد حقوقه الوطنية المشروعة ويقيم دولته المستقلة "فلسطين" بعاصمتها القدس الشريف.

وكثيرة هي الأحداث التي جمعتني بأبو حسن طيلة حقبة زمنية نضالية تشهد له بأنه الذي صدق الوعد، وصدق لنهج والده المقاتل والمجاهد الذي سبقه إلى قافلة الشهداء، وصدق بوفائه لرئيسه ياسر عرفات ولإخوانه في حركة فتح والفصائل الفلسطينية، وصدق بعطائه لشعبه، وقد كنت صديقه وحبيبه ورفيق دربه، وما أصعب أن يكتب الإنسان عن فقدان أخ وصديق وحبيب، لكنه الوفاء الذي يملي علي أن استجمع الذاكرة وأكتب أيضاً بعضاً من وقائعها.

بتاريخ ١٩٧٩/١/١٢م أي قبل استشهاده بأحد عشر يوما استدعاني أبو حسن، فذهبت إليه في منزله، وما أن جلست بجواره حتى أخرج من جيبه ورقة، ودفع بها إلي قائلاً.. إقرأ!! كانت الورقة عبارة عن رسالة من كريم بقرادوني يخبره فيها بأن لديه معلومات مصدرها رئيس حزب الكتائب بشير الجميل تفيد بأن إسرائيل سوف تقوم بتنفيذ عملية لاغتياله خلال عشرة أيام. بعد أن قرأت الرسالة وضعتها أمامي وقلت له: لا بد من التعامل مع هذه المعلومة بمنتهى الجدية لأن مرسلها على علاقة وطيدة مع إسرائيل، وهو صديق لك.

أجاب أبو حسن: وما الذي تراه..؟

قلت: إن اللجوء إلى السفر خارج لبنان غير وارد، فنحن لسنا بصدد مغادرة لبنان كلما جاءنا خبر حول نوايا الإسرائيليين، فلو سلكنا هذا الأسلوب فلسوف يبقى كل القادة خارج لبنان، لكن الحل الأمثل حسب خبرتي هو تنفيذ الاحتياطات الأمنية بأسلوب "التمويه".. وشرعت أشرح له خطة التمويه لمثل التعاطي مع هذه المعلومات فقلت:

أولاً: أنه بدلاً من تلزيم حارس في الطابق الأرضي من البناية، لا بد من تلزيم حارس بالدوام أمام الشقة مباشرة وبافتراض أن أي شخص قد يأتي لتنفيذ عملية فإن الحارس في الطابق الأرضي لن يستطيع منعه، فربما يبرر صعوده إلى الطوابق العليا بالتمويه وكأنه "مكوجي" ويرغب في إيصال الملابس لأحد الشخصيات في البناية، أو يحمل باقة ورد ويدعي الزيارة للبعض، أو يحمل قالب "كاتو" لاحتفال بعيد ميلاد أو ما شابه ذلك لأحد الساكنين، لذلك فإن وجود حارس على باب الشقة يعطيه الحق بأن يسأل أي شخص يقصد الشقة بالذات.

ثانياً: لا بد من تغيير السيارات المستخدمة وسوف أزودكم بسيارتين من السيارات العاملة عندي في قيادة قوات الـ١٧ بالإضافة إلى سيارة لأحد ضباطنا من أجل التمويه.

أقر أبو حسن بالبند الأول من الخطة، لكنه رفض البند الثاني وأصر على أن تكون تحركاته بالسيارات نفسها، عندها طلبت منه إجراء تغيير في روتين حياته اليومية على النحو الآتي:

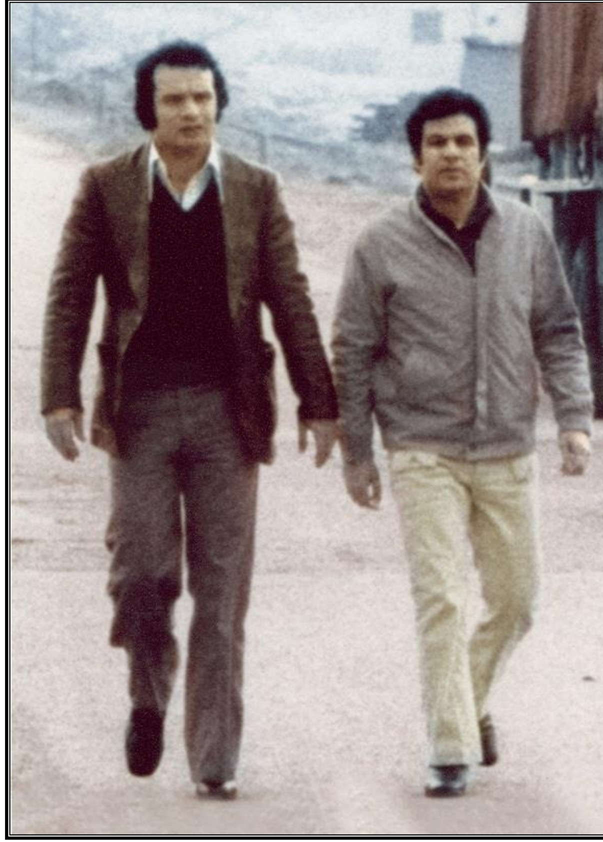
١. كنت في بعض الأحيان أذهب معه إلى نادي الإنترناشونال الرياضي والذي كان يرتاده في أكثر الأيام للتدرب على الكاراتيه، سبق أن حصل على جميع الأحزمة وترأس نادي للكاراتيه وكان نائبه الشهيد سلامه الأسمر، لذلك طلبت منه الامتناع عن الذهاب إلى النادي أو تشديد الحراسات في حالات الضرورة القصوى.

٢. عدم تركين السيارات في الشارع أمام البناية، وضرورة تركينها في الكراج أسفل البناية ذلك أن معظم بنايات العاصمة بيروت مصممة على أعمدة حيث يترك الطابق الأرضي كراج للسيارات، والهدف من وراء ذلك عدم إعطاء أي أحد يراقب البناية فرصة مشاهدة من يركب بالسيارة.

جرى بعد ذلك نقاش حول الخطط التي يمكن أن تلجأ إليها إسرائيل لتنفيذ عملية الاغتيال، فاستقر الرأي أنها ستلجأ إلى زرع عبوات ناسفة على الطريق التي يسلكها الموكب مما جعل أبو حسن يقر بتركين السيارات أسفل البناية "ويا ليته التزم بذلك" **!!** فقد كان أبو حسن "قدرياً" يؤمن بقضاء الله وقدره بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى، فكثيرا ما كنت أذهب وإياه لشراء ملابس، وكنا نشتريها من محلات "جورج" أسفل سينما السارولا، وأثناء رجوعنا من رحلة الشراء كان يقول لي: يا أبا الطيب هل تعتقد أننا سنظل أحياء لنشهد أولادنا عندما يكبروا ونذهب برفقتهم لشراء الملابس؟؟ ثم يجيب هو على السؤال قائلاً: لا أعتقد.. لا أعتقد فنحن مشروع شهادة يا أبا الطيب.. ولهذا لم يفكر أبو حسن يوما في شراء منزل، لقد كانت حياته يوما بيوم.. وعندما كان أحدهم ينتقده لعفويته وتعامله اليومي مع الحياة كان يقول لزوجته: اتركيني أتمتع بهذه الأيام القليلة الباقية لي **!!**

كان أبو حسن يعرف تمام المعرفة أن القوى المعادية تسعى إلى اجتذاب مناضلي العمل السري إلى دائرة الضوء ليسهل عليها ضربهم، لهذا كان التشديد على الالتزام الصارم بالقواعد الأمنية، فالدنيا صعبة ومغرياتها كثيرة، ومن يسلك طريقاً كالذي اختاره عليه أن يتمتع بأعلى درجات اليقظة والحذر، أحيانا كنت أجلس معه ونتطرق في الحديث لموضوعات متعددة، وأكثر ما كان يعجبه

الحديث عن الحياة الاجتماعية، تلك الحياة التي أسهمت بالإيقاع به، كونه يحب الحياة ويميل إلى بناء العلاقات.



أبو الطيب وأبو حسن

رسم الإعلام المعادي عن أبي حسن صورة "الإرهابي" الذي يدير من الظل العديد من العمليات بمشاعر قاسية لا تعرف الرحمة، حين وصفوه بالأمير الأحمر كان أبو حسن محاربا صاحب قضية، كان رجلاً صادقاً يستمع إلى محاوره بانتباه وشغف، يتكلم ببساطة ومن دون تعقيدات، وكان قلبه قلب طفل.. وسلوكه سلوك عملاق وجبار.. لكنه رغم ذلك حنون وحساس للغاية.. صفات كثيرة اجتمعت فيه.. كان سخيا وكريما بلا حدود.. وهو وفي وصادق، يفي بعهده إذا عاهد، ليس لديه للمال قيمة إلا بمدى ما يفيد منه الأصدقاء والأصحاب والفقراء والمحرومين، وإذا كنا نتحدث عن أبو حسن وشخصيته بالعامل الذاتي، هو القوة الجسدية النابغة، وقد اقترنت تلك القوة الجسدية بالإقدام والجرأة والشجاعة الخارقة، وكانت شخصيته تميل بطبيعتها إلى الانطلاق والتحرر وكسر من القيود، فكانت الحرية الجسدية تجد تعبيراتها الصادقة والعفوية بين أحضان الطبيعة، كان يقول دائما (إذا طال الزمن وبقي علي حي يرزق –يقصد نفسه- وفي نهاية عمره يتمنى أن تكون له مزرعة ليعيش بها) وكان يحب ويعشق البحر وحبه لهذه الأشياء كان لها تأثير كبير في تكوين شخصيته، وقد ظهرت بوادر هذه القوة الجسدية وقوة العضلات الجسيمة في مراحل الشباب ووجدت منطلقها في ممارسة شتى أنواع الرياضة، غير أن هذه القوة الجسدية في شخصيته وكما

يؤكد جميع الذين رافقوه وعاصروه من أصحابه ومعارفة لم تستخدم إطلاقاً من أجل ممارسة الاعتداء على أحد أو تخويف الآخرين أو ابتزازهم أو السيطرة عليهم، لم يحدث أن اعتدى عن سابق إصرار وتصميم على أحد من رفاقه وأنداده، بل بالعكس كان ينصفهم جميعا ويزيد في اهتمامه بالضعيف منهم، ومنذ مراحل الشباب والفتوة عامل استقطاب وانجذاب وتآلف حوله مما أضفى على جانب القوة الجسدية تألقا في شخصيته إضافة لكرمه وسخائه لمن صادق وصاحب، فقد كانت حياته مع الرفاق أقرب إلى الحياة الجماعية كأب وصاحب، كل ما في جيبه لأصدقائه وأصحابه، لم يكن ينسى أن والده شهيد من الشهداء.. وقد فتح بيته لكل المقاتلين.. وللضيوف.. مما حمّل عائلته تبعات ثقيلة.

قبل ستة أيام من اغتياله جاءني أحد المرافقين الذين فرزتهم حسب الخطة وأبلغي أن "أبا حسن" ما زال يركن السيارات في الشارع العام، فاتصلت به هاتفياً لاستعلم عن الأمر فدعاني إلى الحضور لمنزله، وهناك فاجأني بقوله: يا أبا الطيب لقد ناضلنا.. وقدنا.. وتعرضنا لكثير من المحن.. وكثير من الأخطار.. وأنت تعلم كم قذيفة سقطت علينا في معارك تل الزعتر وفي الشياح.. وأنا اليوم قررت أن أعيش حياتي العادية دون إجراءات، والمكتوب على الجبين لازم تشوفه العين**!!** أردت أن أتكلم رداً على ما تقدم به لكنه قاطعني قائلاً: يا أبا الطيب أنت تعلم كم أنا أحبك.. وإذا كان الله عز وجل لم يكرمني بأخ شقيق فقد كنت أنت أخي، والله على ما أقول شهيد، فإذا جاءت منيتي فلن آسف أو أندم على شيء سوى فراقكم أنت وعائلتي.. وأرجوك يا أبا الطيب لا تتحدث معي عن خطط أمنية ولا عن خطط عسكرية.

كنت خلال حديثه أختلس النظر إلى عينيه وتعابير وجهه، فلم أشاهد أي تغيير في تقاسيم وجهه رغم أن عيناي قد اغرورقت بالدموع ومثلي كما يقول الشاعر لا يبان له دمع، لقد كان أبو حسن في حديثه ينعى نفسه، ويعزينا عن ذاته، فاستأذنته بالخروج وتوجهت إلى مكتبي محدثا نفسي بعدم إحراجه بالحديث عن ضرورة الالتزام بالخطة الأمنية، فقد كنت أحبه وكم يضعف الإنسان أمام من يحب**!!**

في ليلة الاغتيال طلبني على الهاتف وأراد أن أزوره في شقته بالطابق الخامس في بناية بضاحية الجنزير، فتوجهت فوراً إلى هناك وعندما قرعت الجرس فوجئت أنه يفتح الباب بنفسه، ونظرت إلى الصالون فوجدت لديه ضيوفاً يزيد عددهم عن (خمسة عشر ضيفاً) فأشرت لهم بالسلام، لأن "أبو حسن" شدني من ذراعي نحو الشرفة، وبدأ حديثه معي بشكل عاطفي مثير، فاستأذنته أن يذهب لمجاراة ضيوفه فرفض قائلاً: يا أبا الطيب صحيح أن الجالسين في الصالون هم أصدقاء لي، لكن أنت أخي وموضع ثقتي والمكوث معك أهم عندي من كل الناس. ودام وقوفنا بعد

ذلك على الشرفة حوالي الثلث ساعة، استأذنته بعدها بالخروج، فأصر أن يرافقني حتى باب المصعد ثم أمطرني بقبلات الوداع على أمر لم أعهده منذ أن عرفته عام ١٩٦٨م، وقبل أن أغلق باب المصعد قال لي: تعال غدا لتأخذني.

حوالي الساعة الثالثة والربع عصر اليوم التالي ذهبت بسيارتي ووقفت عند مدخل البناية مستفسراً من الحارس عما إذا كان موجوداً في الشقة، فأفاد بأنه موجود ولديه ضيوف بينهم صديقه جورج قازان، فآثرت العودة قائلاً للحارس أبلغه بحضوري وأنني سوف أعود بعد ذهاب جورج قازان وأصحابه، وتصرفت كذلك كوني لا أحب الصعود بينما يكون أبو حسن عنده أصدقاء، وبالفعل قفلت راجعاً، وبينما كنت في الطريق قبيل الوصول إلى مكتبي سمعت دوي انفجار هائل، لم يخطر لي أنه تفجيرا لموكب أبي حسن كوني تركته مع جورج قازان وأصدقائه في الشقة، وما أن صعدت إلى المكتب حتى بدأ التلفون في الرنين، وعندما رفعت السماعة سمعت صوت بكاء وفهمت أن الانفجار في موكب أبي حسن وقد تم نقله إلى مستشفى الجامعة الأمريكية، سرت مسرعاً في غفلة عن حشود زحمة الشارع وإشارات المرور، عابراً الطريق مخالفاً الإشارات الضوئية الحمراء دون اكتراث، كنت أحاول التفكير بماذا حصل.

دارت بي الدنيا ولا أدري كيف وصلت إلى غرفة الطوارئ في مستشفى الجامعة الأمريكية، حيث تزامن وصولي مع وصول عصام اللوح كان "أبو حسن" ممداً على سرير الطوارئ، اقتربت منه ووضعت يدي على رأسه الذي كان كقطعة من العجين، فأدركت أن منيته قد دنت ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لم يكن أبو حسن قائداً لمقاتلين، وإنما كان أخاً وصديقا للجميع، فإذا كان أحد العناصر بحاجة لمساعدة ما يجد أبو حسن في خدمته، وعندما كان يعلم بمظلمة لأي عنصر كان يتدخل فورا لإنصافه، أذكر يوما أن مسؤول الإدارة في العمليات المركزية قد دفع قيمة فاتورة التليفون لعامل السنترال نقداً كي يذهب ويسددها، وبدلاً من تسديد الفاتورة قام بدفع أجرة منزله، على أمل أن تصرف له مساعدة كان قد طلبها مسبقاً فيعيد المبلغ، إلا أن كتاب المساعدة تأخر وهاتف العمليات انقطع، وانكشف عامل السنترال، فقام مسؤول الإدارة بتحويله إلى السجن. وعندما علم أبو حسن بالقصة دفع المبلغ من جيبه الخاص موبخاً مسؤول الإدارة بغضب قائلاً: إن عامل السنترال ليس سارقاً، لقد كان بحاجة لسداد أجرة منزله، لقد كان أبو حسن يفرق تماما بين الخطأ والخطيئة لذلك يغفر الخطأ لكن لا يتغاضى عن الخطيئة.

لقد كان يوم ١٩٧٩/١/٢٢م هو "يوم الاثنين الحزين" في تاريخ الثورة الفلسطينية، وهو يوم مفعم بالأسى ونوبات الألم القاتلة في حياة كل من أحب القائد الشهيد علي حسن سلامه ذلك الإنسان

الموسوم بطباع المحبة التي تدخل إلى قلوب الجميع، وكما يقول الشاعر "لا يعرف الشوق إلا من يكابده" لذا فلا يعرف المحبة الصادقة لأبي حسن إلا أولئك الذين عايشوه، وكابدوا معه مشقة الخوض في غمار دهاليز الموت الذي كان ينتظرهم في كل لحظة، في انتصارات القوة ١٧، في لحظاتها الحرجة، كان طيف أبي حسن يسكن وما يزال في أسطورة عشق وطني لشعب الاغتراب، ولقد قدر الله أن يجمع أحاسيس المحبة الموجودة في قلوب الذين عرفوه، أو عاصروا مقارعته لأجهزة المخابرات الإسرائيلية، أو أولئك الذين أحبوه عشقا بالوطن، لشهدت الدنيا اندفاع نهر عظيم يفوق كل الأنهار.. هو نهر المحبة لأبي حسن وريث شلال الدم الفلسطيني الذي تفجر مطلع القرن العشرين دفاعا عن عروبة وإسلامية فلسطين، لقد عشقت روح "أبو حسن" النضال إرثا عن والده الشيخ حسن سلامه أحد قادة الجهاد المقدس الذي استشهد في معركة رأس العين يوم ١٩٤٨/٦/١م.

تفاصيل عملية الاغتيال:

كانت سماء العاصمة اللبنانية صباح يوم ١٩٧٩/١/٢٢م ملبدة بغيوم ماطرة تتصارع مع أشعة الشمس التي تحاول أن تزرع الدفء عبثا في الأجواء، فلبنان في مثل هذه الأيام من فصل الشتاء تكون عرضة لموجات من البرد والصقيع، وربما هطول الثلج على المرتفعات الذي يبدأ موسمه قبيل أعياد الميلاد ليستمر حتى نهاية الشهر الأول من كل عام.

وصل مرافقوه حوالي الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر في سيارتين أولهما من طراز "شيفروليه – ستيشن" والثانية جيب من طراز "لاندروفر" وعندما خرج "أبو حسن" من شقته بعد مغادرة جورج قازان ومن معه، هرع حارس الشقة ليفتح له باب المصعد.. وما أن أطل بطلعته المهيبة من باب المصعد حتى ركض أحد مرافقيه إلى فتح باب سيارة الشيفروليه ليصعد إلى داخلها أبو حسن إلى جوار السائق، ثم يتبعه في المقعد الخلفي مرافقان آخران.. في حين صعد المرافقون الأربعة في سيارة المرافقة.. استغرق ذلك دقيقتان.. تحرك الموكب.. عبر شارع فردان وسط زحمة سير شبه مربكة.. كانت على جانب الرصيف سيارة الموت تنتظر.. سيارة من طراز فولكسفاغن من نوع جولف.. لم يكن وجودها بجانب الرصيف مثيراً لأي شبهة، فهي كغيرها من عشرات السيارات مصفوفة على جانب الرصيف، لقد كانت سيارة الموت محشوة بكمية كبيرة من المتفجرات "٥٠ كلغم" تكفي في حال انفجارها بتذكير المحيطين بنيران جهنم.. وما أن وصلت سيارة الشيفروليه بمحاذاة سيارة الفولكسفاغن حتى دوى الانفجار الهائل تمام الساعة الثالثة و ٣٧ دقيقة من بعد ظهر ذلك اليوم المشئوم.

وقد كان للقدر دوره في واقعة اغتيال الشهيد أبو حسن، حيث نجا مرافقوه الذين كانوا في السيارة الثانية بأعجوبة، وذلك عندما انعطفت سيدة بريطانية تدعى سوزان ويرهام العاملة في السفارة البريطانية ببيروت لتفصل بين السيارة التي يستقلها الشهيد أبو حسن وسيارة المرافقين الثانية، وحين وقع الانفجار دمرت سيارة الشهيد أبو حسن وسيارة السيدة البريطانية فيما نجا المرافقون في السيارة الثانية وقد نعتت السفارة البريطانية السيدة سوزان ويرهام في بيان قالت فيه أنها كانت في طريقها إلى منزلها عندما أودى بحياتها الانفجار حيث قتلت.

نقل أبو حسن المثخن بالجراح ورفاقه الشهداء الأربعة وهم: الشهيد علي عيسى عبد الرزاق، والشهيد خليل أحمد حسين عوده، والشهيد جميل حسن الرمحي(جميل صلاح)، والشهيد بدر موسى زايد إلى مستشفى الجامعة الأمريكية، لكن روحه الطاهرة صعدت إلى السماء كما ذكرت لحظة وصولي إلى غرفة الطوارئ بعد أن رفرفت في أجواء بيروت وفلسطين لتعانق أرواح قوافل الشهداء الذين كانت أرواحهم تصطف في استقبال روحه، ولو كنت أعلم بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله لشاهدت في مخيلتي الحفل الروحاني المهيب في استقبال روح الشهيد أبو حسن حيث روح والده الشهيد في مقدمة المستقبلين.



انفجار سيارة الشهيد أبو حسن حيث يقوم المرافقين بالسيارة الثانية بانتشال جثث الشهداء المرافقين لأبو حسن

الموساد ينفذ الجريمة:

وفق المعلومات فقد تم تفجير سيارة الفولكسفاغن بإشارة لاسلكية من قبل إحدى مجندات الموساد، سبق أن استأجرت شقة مطلة على شارع فردان بعد أن وصلت إلى بيروت تحت اسم "أريكا ماري تشامبرز" بجواز سفر بريطاني صادر عام ١٩٧٥م.

وكانت أريكا التي كان يعرفها جيرانها باسم PENELOPE تقعد يوميا على شرفتها العالية تزاول هواية الرسم الزيتي ولكن في حقيقة الأمر كانت تراقب العمارة التي كان يسكنها علي حسن سلامه لكي ترصد أوقات خروجه منها ودخوله إليها مع مجموعة الحراسة الأمنية التي كانت ترافقه دوما، فلاحظت الروتين الذي كان يداوم عليه علي سلامه بعد خروجه من العمارة التي كان يسكن فيها مع زوجته الثانية، وزيارته العمارة القريبة التي كانت تسكنها زوجته الأولى مع ولديه حسن وأسامة، وهكذا قررت أريكا وضع السيارة المفخخة على الطريق بين العمارتين لتنفيذ خطة الاغتيال.

أما من أدار العملية واستأجر تلك السيارة اللعينة فهو عميل الموساد الإسرائيلي الذي دخل إلى لبنان عن طريق المطار تحت اسم "بيتر سكرايفر" بجواز سفر بريطاني مزور رقم (٢٦٠٨٩٦) ونزل بفندق ميدترينيان في غرب بيروت، أما باقي أفراد مجموعة الاغتيال وصلوا إلى بيروت يحملون جوازات سفر إنجليزية وجواز سفر كندي وهذا الجواز كان باسم Ronald Kolberg وكان طالبا جامعيا يدرس في تل أبيب، لقد سرق الموساد جواز سفره واستعمله في عملية الاغتيال، هذه المجموعة أقامت في فنادق متفرقة في بيروت وهم الذين استأجروا سيارة فولكس فاجن التي كانوا قد خططوا لتفجيرها أثناء مرور موكب علي حسن سلامه بجانبها خلال خروجه من سكن زوجته الثانية والذهاب لزيارة سكن زوجته الأولىوأولاده.

بيتر سكرايفر بدأ مهمته باستئجار سيارة الفولكسفاغن عن مكتب "رينت كار" وعن طريق عملاء للموساد كانوا قد سبقوه، ثم تأمين كمية المتفجرات التي زرعت في السيارة التي قادها سكرايفر بهدوء ليركنها في المكان المخصص على طريق ذهاب وإياب القائد الشهيد أبو حسن سلامه إلى شقته التي أصبحت لأول مرة عنوانا ثابتا.

وتحدد يوم الاغتيال في تاريخ ١٩٧٩/١/٢٢م، وهكذا كان والذي كبس على زر التفجير من المجموعة كان أريكا تشامبرز الواقفة على شرفتها المطلة على سيارة فولكس فاجن المركونة على جانب الطريق الذي مرّ به موكب علي سلامه في طريقه إلى شقة زوجته الثانية.

ونوع المتفجرات كان من مادة HEXAGANE التي كان يبلغ وزنها حوالي ١١ كلغم.

توجهت الفرقة إلى بيروت الشرقية بعد الانفجار مباشرة وفي الليل تم نلقهم بواسطة زورق أوصلهمإلى البارجة الحربية الإسرائيلية(*).

وبينما كان هذا الكتاب قيد الإعداد فإن ضابط الموساد "رافي إيتان" الذي كان مستشاراً لشؤون الإرهاب لرئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن إبان عملية الاغتيال، تقاعد عن العمل ويعيش الآن في ضاحية "افيكا" قرب تل أبيب، قد أدلى باعترافات أسبغ فيها الفضل لنفسه باغتيال أبو حسن سلامة، حيث أفاد أن عميلة الموساد "أريكا ماري تشامبرز" قد زودت جهاز الموساد بمواقيت تحركات موكب أبو حسن والشوارع التي يسلكها في العادة، لذلك قام هو شخصياً بزيارة بيروت منتحلاً شخصية رجل أعمال يوناني وتمكن من رصد شقة أبو حسن وتصوير العمارة والشارع الذي يسكن فيه ثم عاد إلى تل أبيب حيث أمر ثلاثة من ضباط الموساد بالسفر إلى بيروت بجوازات سفر مزورة حيث استأجر أحدهم السيارة في حين قام الثاني بتفخيخها والثالث استلمها وركنها في المكان المطلوب، وأعطيت العميلة "تشامبرز" جهاز التفجير، وأعطيت تعليمات بالمراقبة المستمرة إلى حين مرور موكب أبو حسن ثم تفجيره لاسلكيا(*).

ردود الفعل على جريمة الاغتيال:

أصيب الرئيس ياسر عرفات بموجة من الحزن والألم الشديد لفقدان "أبو حسن" فقد كان ذراعاً يمنى له، وكان حامياً لأمنه، وموفدا خاصا لمهماته الضرورية، لكنه رأى في رعاية ولديه حسن وأسامه العزاء الأكبر فاحتضنهما، وكان لهما أبا بحنان أبيهما "أبو حسن".

أما القائد صلاح خلف "أبو إياد" فقد قال عنه: من الصعب على الكلمات أن لا تموت في فمي، فقد عرفته منذ سنوات طويلة يوم كان طالباً في القاهرة، عرفته وكنت أحمل لوالده في قلبي أسمى

(*)انظر: كتاب المؤرخ الأمريكي كاي بيرد عن حياة روبرت ايمز رجل الاستخبارات الأمريكيةالأول المتخصص في قضايا الشرق الأوسط، الجاسوس الصالح،٢٠١٣م.

(*)تنويه لابد منه: ذكر صقر أبو فخر أن الجاسوسة أمينة المفتي تمكنت أن تتغلغل في صفوف المقاومة الفلسطينية وأن تلتقي أبا حسن مرات عدة كما أورد الباحث فريد الفالوجي في الحلقة الأولى من حلقات بعنوان (أشهر جاسوسة عربية للموساد) فقرات من مذكرات الجاسوسة أمينة داود المفتي تدعي فيها أنها زارت ياسر عرفات بمكتبه ثلاث مرات لتطلعه بنفسها على العديد من السلبيات التي واجهتها في الجنوب اللبناني، وقد اهتم الزعيم بمقترحاتها وأفرد لها مساحة طويلة من الوقت للاستماع إليها، فتقربت بذلك منه وأصبح مكتبه مفتوحا دائما أمامها، ومن جانب آخر ادعت أنها كانت على اتصال مع علي حسن سلامة وبوساطته انفتحت أمامها كل الأبواب الموصودة.

وهنا يلزم التنويه إلى أن جميع ما ورد في مذكرات أمينة المفتي ونقله عنها الباحث فريد الفالوجي عار عن الصحة تماماً يكشف حقيقته اللواء طارق أبو رجب الذي كان عند اعتقالها نائباً لمفوض جهاز الأمن الفلسطيني قائلاً : جاءت المذكورة إلى منطقة الحازمية حيث كان يسكن عطا الله عطا الله "أبو الزعيم" بدأت تنسج علاقات مع حارس بناية مصري الجنسية، وتجلب معها الهدايا لأبنائه.. وبدأت تسأله عن تحركات أبو الزعيم مما جعل الحارس يشك في أمرها الأمر الذي دفعه إلى إبلاغ حارس بناية أبو الزعيم عن شكوكه بها، فقام حارس بناية أبو الزعيم بإطلاع مرافقيه على الموضوع وبدورهم أبلغوا أبو الزعيم الذي اتصل مع الأمن اللبناني وتم التنسيق معهم لإلقاء القبض على المذكورة، واقتيدت إلى سجن النساء. وبعد أربعة شهور من توقيفها حضر المحامي نعمه حميّه لمقابلتي وأبلغني أنه سيترافع عن أمينة المفتي وسألني إذا كان ذلك يعد جريمة أم لا.. لا سيما أن موكلته جاسوسة للعدو، فأخبرته أنه لا مانع من ذلك شريطة إبلاغنا فور الإفراج عنها مباشرة من قبل الأمن العام اللبناني، وهذا ما حصل فعلاً، حيث تم إبلاغنا فور خروجها من السجن فقامت المخابرات الفلسطينية باعتقالها وبدأت التحقيق معها، وحين تم حجز أمتعتها تبين وجود "حبوب سامة" في ثناياها، وتم إحضار كلب وإطعامه واحدة من تلك الحبوب ففارق الحياة بعدها بلحظات، وأثناء احتجازها جاء شخص من طرف داني ودوري شمعون واتصل بفؤاد بوارشي (والمذكور كان من تنظيم فتح) ونقل الرسالة أن إسرائيل تعرض مبادلة أمينة المفتي بأسرى فلسطينيين، وتم إطلاق سراح وليم نصار وأبو علي مهدي بسيسو. هذه الشهادة ثبت كذب رواية الجاسوسة أمينة المفتي وأنها لم تكن على اتصال مع أبي حسن أو أي من المسؤولين الفلسطينيين تقابل أبو عمار. اللواء طارق أبو رجب، مقابلة شخصية، وأنيس النقاش، أسرار خلف الأستار، ط١ ٢٠١٠، ص١٠٦.

معاني الشجاعة والبطولة التي عرفناها عن قادتنا السابقين، وبدأت أفتش عنه، فوجدته يعمل في الكويت في مكتب منظمة التحرير، وكانت الثورة التي كلفتني لأول مرة ببناء جهاز لأمن شعبنا فكان واحداً من عشرة من رفاقه ذهبوا في دورة القاهرة ليؤسسوا أول جهاز لأمن الثورة، ورغم صغر سنه وقع اختياري عليه ليكون نائباً لي في هذا الجهاز، وكان في كل مرة تزداد قناعتي في اختياري لأبي حسن فقد كان في مكانه الصحيح، حيث كنت أشعر أنه رجل الأزمات دائماً، ومرت السنوات الطويلة وفي كل مرة كانت تواجه هذه الثورة أزمة أو محنة كان أبو حسن معنا في تلك الأزمات وتلك المحن، كان معنا شجاعاً بطلاً لم يكن يتهرب من واجبه، بل من اخطر المهمات التي كنا نكلفه بها وفي أزماتنا الداخلية كان شهما وكان يؤمن بوحدة هذه الحركة "فتح" ويسعى دائما لتبقى قوية ومنيعة.

كان الدور المهم الحيوي الذي لعبه أبو حسن في تطويق احتجاز داني شمعون في مستشفى الجامعة الأمريكية أثناء زيارته للسفير السعودي، وفي تأمين سلامة شمعون وضمان الإفراج عنه من غير سوء من آخر مآثره في سبيل الحفاظ على تقاليد الفروسية في الخصام وقد تبدي شعور التقدير لأدواره في أن زعماء الجبهة الإنعزالية اللبنانية قد سارعوا إلى التعزية به، مشيدين به وبخصاله، وكانت جنازته "حالة من الإجماع العام" على ما له من مكانه في نفوس الجميع.

وروى الصحفي اللبناني نبيل خوري قصة تدل على ما كان يتميز به "أبو حسن" من معان إنسانية سامية فقال: في قمة التوتر بين بيروت الغربية والشرقية، القي القبض على سائق يقطع طريق المتحف وبحوزته كمية كبيرة من المأكولات وكمية أكبر من البطانيات، وجيء بالسائق إلى أبي حسن، ولدى سؤاله قال السائق: أنه يحمل المأكولات والبطانيات لأطفال ونساء الحي الذي يقطنه، فالبرد والجوع يكادان يقضيان عليهم، وعلى الفور أمر أبو حسن بالإفراج عنه ومرافقته إلى سيارته حتى يمر من المتحف قائلاً: نحن لا نقاتل الأطفال والنساء وواجبنا الإنساني يحتم علينا مساعدتهم(٣٩).

بعد هذه الثورة من الذكريات عن قائدي وصديقي وأخي "أبو حسن" بقي أن أقول أنه كان مولعاً بالقراءة ويلاحق الكتاب الجيد أينما كان، فقد كان يقول "إن كل كتاب هو حياة أخرى لي أحياها دون أن أعيش أيامها".. وكان آخر كتابان قرأهما هما: "الجذور" ثم كتاب "الانهيار عام ١٩٧٩ م" دون أن يعلم أن آخر أيامه سيكون في الشهر الأول من ذلك العام.

(٣٩)نبيل خوري رئيس تحرير مجلة المستقبل العدد (١٠١) بتاريخ ١٩٧٩/١/٢٧ م

D1 المخطط الهيكلي لخطوات تنفيذ عملية اغتيال الشهيد ابوحسن بيروت - ضاحية الجنزير - بتاريخ 21 كانون الثاني 1979

خريطة بيروت - ضاحية ساقية الجنزير

مكان تنفيذ عملية اغتيال الشهيد ابو حسن سلامة



ادارة العمليات الخارجية لمخابرات الجيش الاسرائيلي وحدة الاتصال

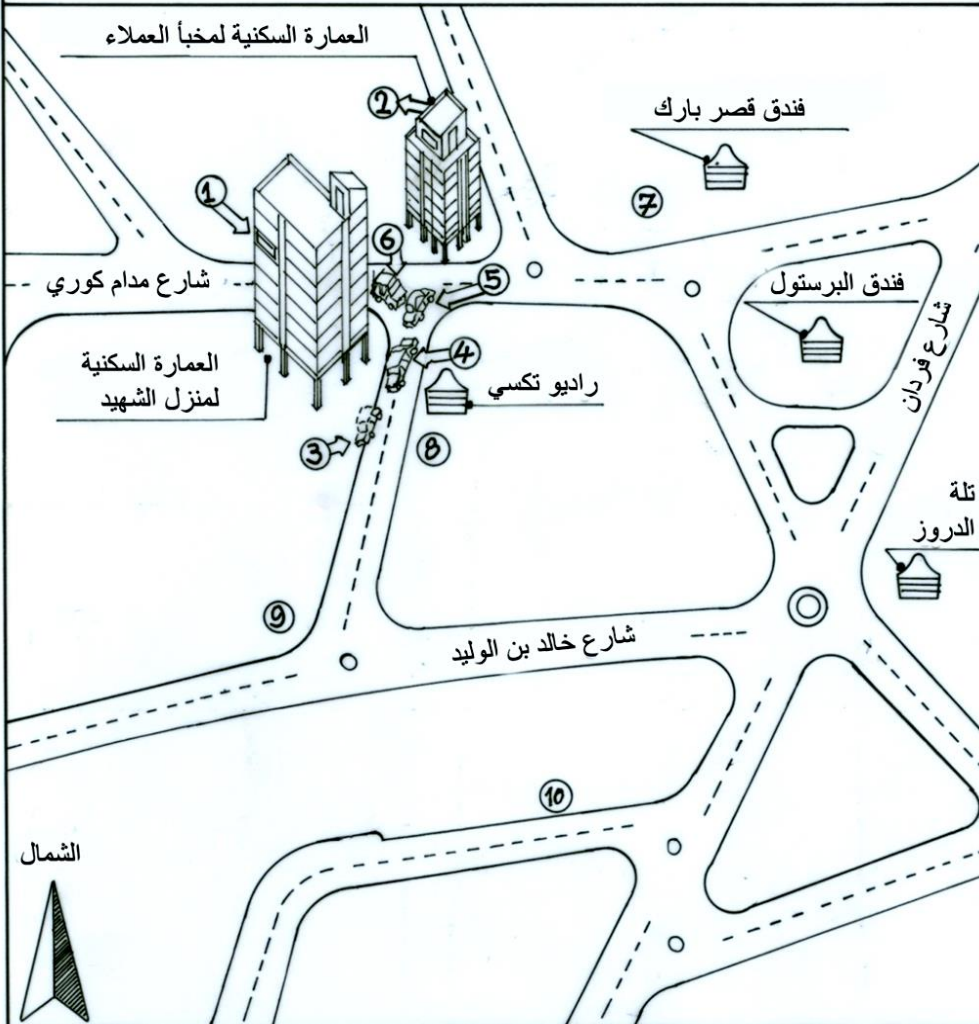
1 - ضابط الموساد رافي ايثان المكلف بالاستطلاع ورسم خطة سير الهدف والعملية ← الضابط المتنكر بصفة سائح بريطاني المكلف بتفخيخ السيارة ولاسلكي التفجير ← العملاء المحليين لتأمين وصول السيارة المفخخة مكان الهدف

2 - عنصر الموساد الراصد والمختبئ المكلف بتشغيل اشارة لاسلكي التفجير ← فريق الطوارئ المكلف بتأمين الحماية وسلامة الانسحاب للمنفذين

3 - العملاء المحليين للمراقبة الدائمة وتأمين سلامة الخطة والمنفذين ← عناصر الاعلام من العملاء المحليين لتوثيق وتصوير نجاح العملية

D2

مخطط بيروت - ساقية الجنزير وفردان
تفصيل عملية اغتيال الشهيد ابوحسن سلامة 22 كانون 2 1979



① الطابق الخامس لشقة منزل الشهيد ابوحسن وزوجته جورجينا	⑥ سيارة المرافقين التي نجت من الحادث
② برج المراقبة لعميلة الموساد المكلفة بتشغيل لاسلكي التفجير للسيارة	⑦ مكان تواجد العملاء المحليين للمراقبة
③ السيارة المفخخة المركونة على جانب الطريق	⑧ عناصر الاعلام من العملاء المحليين لتوثيق وتصوير نجاح العملية
④ سيارة الشهيد المستهدفة بالتفجير	⑨ فريق الطوارئ المكلف بتأمين الحماية وسلامة انسحاب المنفذين
⑤ سيارة موظفة السفارة البرطانية التي صادف دخولها بين سيارة الشهيد والمرافقين	⑩ الموقع القديم لعمارة الشهداء الثلاثة
	الطرق والمحاور الرئيسية

وقد اتفق خبراء الأمن والإرهاب والسياسيون جميعهم أن إغتيال أبو حسن سلامه كان بسبب نجاحه في إقامة علاقات قوية مع المخابرات المركزية الأمريكية، حيث كشف لهم زيف المعلومات التي كانت تقدمها إسرائيل، وبذلك فقد أصبح يشكل خطراً على العلاقات الإسرائيلية الأمريكية وصار لا بد من إغتياله لقطع الطريق على الانفتاح الأمريكي على (م.ت.ف). وعلق كريم بقردوني على الإغتيال فقال: "خطورة أبو حسن سلامة، إنه كان هو خط الاتصال مع المسيحيين، وكانت المخابرات الإسرائيلية يهمها أن تقطع هذا الاتصال، وخط اتصال سري مع الأميركان، وكان الأخطر أن علي سلامة استطاع كشف زيف إسرائيل في إغراق الرأي العام الأمريكي والأوروبي بسيل المعلومات المغلوطة التي تشوه صورة العرب والمسلمين وتعزيز صورة إسرائيل باعتبارهم يمثلون قوى الخير والفضيلة في هذا العالم. واستطاع أبو حسن أن يغير وجهة نظر أمريكا وأوروبا بالنسبة ل(م.ت.ف) فعملت إسرائيل على توقف هذا الاتصال وقامت باغتياله.

وعلق عمر العيساوي(*) على إغتيال أبو حسن فقال: "حاول بشير الجميل تحذير سلامة من خطر على حياته قبيل اغتياله من خلال موفد بعث به إلى أحد محازبيه".

لقد اعتقدت إسرائيل أنها باغتيال الشهيد علي حسن سلامه تنفذ أسلوباً يحقق لها عدة أهداف أهمها إبقاء المقاومين في حالة من التفكير في أنفسهم وعدم توقف البحث عن مخابئ مما سيشغلهم عن التخطيط لتنفيذ عمليات المقاومة، ومع ذلك فإن تحليلاً منطقياً لسياسة الاغتيالات أظهر كم هي فاشلة في وقف المقاومة نهائياً، فقد قال المراسل العسكري الإسرائيلي "أمير بار شالوم": لقد خاب أمل جنرالاتنا، اعتقدوا أن عمليات التصفية التي تعرض لها القادة الفلسطينيون ستؤدي بهم إلى أن يهتموا بأنفسهم، وأن يسعوا للحفاظ على حياتهم، وأن يتركوا التخطيط للعمليات وتنفيذها ضدنا، لقد ثبت أنهم كانوا حالمين فلم تؤدي هذه العمليات إلا إلى تعاظم عملياتهم المدمرة ضدنا. كما عقّب المفكر الإسرائيلي "بي ميخائيل" على عدم جدوى الإغتيالات بقوله: إن عمليات التصفية لم تؤد إلا إلى تعاظم الخسائر الإسرائيلية وتوافر الأسباب للمقاومة لمضاعفة عملياتها وجعلها أكثر ضراوة، إن عمليات التصفية لا توفر دماء الناس وإنما تزيد منها. فيما أكد الخبير العسكري زئيف شيف: إن عمليات التصفية كالوقود الذي يؤجج نار المقاومة وجعل عملياتها أكثر خطورة وأشد تصميماً؟

المتعارف عليه أن كل بنايات بيروت مرفوعة على أعمدة ليكون أسفل البناية كراجا للسيارات ولو صعد أخي أبو حسن إلى سيارته من أسفل البناية حيث يوجد (المصعد) لما استطاعت المرأة التي تراقبه من تحديد السيارة التي تقله.

(*) عمر العيساوي (مواليد ٤ يونيو/حزيران، ١٩٦٧م) الجنسية لبناني هو شخصية إعلامية وصحفي ومخرج سابق، عمل العيساوي مع قناة الجزيرة منذ عام ١٩٩٦م حيث كان أحد الموظفين الأصليين الذين انطلقت بهم حتى تركها في يونيو/حزيران ٢٠١١ م بعد أن قضى خمسة عشر عامًا بها.

قوات الـ١٧ بعد فقدان القائد أبو حسن سلامة:

بعد استشهاد أبو حسن أصبحنا جميعا في الجهاز كالأيتام، وفعلاً تخيل أن تنام بالمساء وتقوم بالصباح لتجد نفسك بدون أب ولا أخ ولا صديق.. كانت ظلاله كشجرة السنديان.. كان الضباط والأفراد أكثر حيرة؛ لأنه كان أمام أعينهم نماذج في حركة فتح لم تعد للأسف تجمع حركة فتح.. مبادئها ولا برنامجها ولا حتى نظامها الداخلي.. أصبحت فتح لأشخاص فمثلاً تقول جماعة أبو عمار – جماعة أبو جهاد – جماعة أبو إياد – جماعة أبو علي إياد – جماعة أبو يوسف النجار – جماعة ماجد أبو شرار.

وأصبح كل اسم من هذه الأسماء هو الحامي لجماعته، وإذا استشهد أيا من هؤلاء الأسماء وغيرهم ذهبت جماعتهم في مهب الريح.. هكذا حصل بعد استشهاد أبو علي إياد حين انشق أبو يوسف الكايد، وهكذا حصل بعد استشهاد أبو يوسف النجار كانت صبرا مركز الثقل كمقر وأشخاص، بعد استشهاده تبعثرت الكوادر ولم تعد صبرا مركزاً لشيء.. من هنا كان تخوف ضباطنا وأخذت الإشاعات تنتشر من يحل مكان أبو حسن لقيادة الجهاز، وأول من أوكلت إليه المهمة (اللواء أحمد عفانه) أبو المعتصم، وحين عرض عليه الموضوع رفض وقال بالحرف الواحد لأبي عمار أن جيل الـ١٧ جيل شباب، وأبو الطيب خير من يقوم بقيادتهم ولا داعي لجلب أي أحد.. أنا شخصياً كنت أتمنى أن يكون أبو المعتصم لأنه كانت تربطني به علاقة جيدة من أيام الأردن، وعندما تكاثرت الإشاعات جمعت كل ضباط الـ١٧ وتحدثت معهم وقلت لهم صحيح أننا فقدنا أعز الناس وأنا أقدر مشاعركم.. لكنني أريد أن أقول لكم ثلاثة أشياء:

أولاً: لا تقلقوا من إشاعات من يتسلم مسؤولية هذا الجهاز بعد الشهيد أبو حسن، لا تقلقوا لأن كرسي الـ١٧ كرسي دماء وتضحية، فمن الصعب أن يأتينا شخصا للجلوس عليه طمعا بالشهادة.

ثانياً: لقد عوضنا الله بأبي حسن بالأخ العميد سعد صايل (أبو الوليد) حيث ذهب إلى أبي عمار وقال له لا أحد يتدخل في الـ١٧ وأنا سوف أقوم بالإشراف عليها، وعملياً كان أبو الوليد يشرف علينا حتى أثناء وجود أبو حسن وكان بالنسبة لنا أب أكثر من قائد.

ثالثاً: نريد أن نعوض الفراغ الذي تركه أبو حسن، وأنا أعرف أن المهمة صعبة، لكن حتى نثبت أننا على قدر المسؤولية، إذا كنا نعمل ١٤ ساعة في اليوم، لابد لنا الآن من العمل ١٨ ساعة في اليوم.

طبعاً كانت رعاية أبو عمار وتوجيهاته لنا هي التي فتحت الطريق أمامنا، ولا أنكر أن أخي وصديقي محمد جهاد قائد القوات الخاصة في ذلك الوقت لم يبخل علينا بشيء سواء في الدعم بالسلاح أو التدريب أو الإرشاد..

الفصل الخامس:



وداعا بيروت

الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢م



الإعتداءات الإسرائيلية تتواصل:

لم تتوقف الإعتداءات الإسرائيلية على الأراضي اللبنانية منذ الغزو الذي حدث في شهر (٣ / ١٩٧٨م) فقد شنت القوات الإسرائيلية الخاصة عدد من الغارات على قواعد الفدائيين، وقصفت المدفعية الإسرائيلية منطقتي صور والنبطية في ٨ و٩ / ١٩٧٨م وشنت إسرائيل هجوماً برياً على مواقع الفدائيين في العيشية منتصف (١ / ١٩٧٩م) تبعه قصف مدفعي دام عشرة أيام أسفر عن نزوح آلاف المدنيين من منطقة النبطية، وأعلن جيش لبنان الجنوبي عن قيام «جمهورية لبنان الحر في المنطقة الحدودية يوم ٨ / ٤ / ١٩٧٩م[1]، وزاد سلاح الجو الإسرائيلي من غاراته على مخيمي نهر البارد والبداوي في الشمال. وقصفت إسرائيل (٢٦) قرية خلال ٨ / ١٩٧٩ حيث نزح عدد كبير من سكان الجنوب واستمرت هجمات القوات الإسرائيلية وجيش لبنان الجنوبي على قواعد الفدائيين قبالة مرجعيون خلال ١٠ و ٩ / ١٩٧٩م ووصل عدد الهجمات الإسرائيلية على جنوب لبنان خلال ١٩٧٩ (١٠٢٠) عملية عسكرية.

وبرزت دعوة القوى الإنعزالية يوم ١٦ / ١٠ / ١٩٧٩م بعنوان "تحرير الأرض اللبنانية بدءاً من بيروت ثم الاندفاع نحو الجنوب" فاندلعت الاشتباكات ١١ / ١٩٧٩م وقصفت المدفعية السورية بيروت الشرقية، وعمدت سورية يوم ٢٣ / ١ / ١٩٨٠ م إلى سحب وحداتها من المواقع التي كانت تحتلها بين صيدا وبيروت وخفضت حجم حاميتها في العاصمة بيروت يوم ٢ / ٢ / ١٩٨٠م ؛مما ألقى عبئاً ثقيلاً على (م.ت.ف) التي اضطرت إلى نشر قواتها على جبهة أطول عبر التمدد إلى المنطقة الساحلية.

وأعلنت الحكومة اللبنانية بتاريخ ٦ / ٢ / ١٩٨٠م عزمها على ملء الفراغ الأمني في بيروت ورفض أي وجود مسلح في كل المناطق اللبنانية لغير القوى الشرعية والجيش اللبناني وقوات الردع العربية وقوى الأمن الداخلي، وطمأن الرئيس سليم الحص القيادة الفلسطينية وهدأ من مخاوفها.

تصاعد الهجوم الكتائبي على القوات السورية لتحرير مدينة "زحلة" وكان ذلك في أواخر شهر (٤ / ١٩٨١م) حيث تدخل سلاح الجو الإسرائيلي في المعركة لصالح مليشيا الكتائب

---

١ ديفيد كيمحي، الخيار الأخير، ١٩٦٧م– ١٩٩١م، الطبعة الأولى، منشورات مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٧٣.

وأسقط طوافتين سوريتين، وقد رد السوريون بنشر بطاريات صواريخ (سام٦) المضادة للطائرات في سهل البقاع، وتم إسقاط أربع مقاتلات سورية في معارك جوية، الأمر الذي وضع إحتمال المواجهة العسكرية بين سورية وإسرائيل حيث صرح موشيه أرنيز رئيس لجنة الشؤون الخاصة والأمن في الكنيست الإسرائيلي بأن على إسرائيل واجب هو حماية المسيحيين في لبنان[٢].

دعا مجلس الأمن الدولي لوقف إطلاق النار بتاريخ ١٤ / ٧ / ١٩٨١م، إلا أن إسرائيل واصلت غاراتها وقصفها للقرى اللبنانية، كما قام سلاح الجو الإسرائيلي بتدمير خمسة جسور على نهر الليطاني والزهراني بهدف عزل الفدائيين عن مصادر الإمداد، ثم أجاز مجلس الوزراء الإسرائيلي بعد الصمود الأسطوري لقوات فتح في الجنوب لسلاح الجو القيام بضربة جوية لمقر قيادة (م.ت.ف) في بيروت يوم ١٧ / ٧ / ١٩٨١م شمل القصف مقر فتح مكتب أبو داوود الملاصق لبناية العمليات المركزية الفاكهاني، وطال القصف بناية رحمة حيث مقر الجبهة الديمقراطية، كما قصف مقر عمليات جبهة التحرير العربية، وأصيبت بعض أطراف بناية أبو سمير الدامرجي حيث منزل أبو الطيب مقابل مقر قوات الـ١٧.

تلقت حركة فتح معلومات بأن إسرائيل وضعت لواءين مدرعين في حالة استنفار، كما كانت تجهز سفينتي إنزال في ميناء حيفا للتحرك مما يشير إلى احتمال قيام إسرائيل بعمليات برية وبرمائية وشيكة بهدف عزل الجنوب اللبناني عن بقية أنحاء لبنان لا سيما بعد أن قام سلاح الجو الإسرائيلي بتدمير الجسور العشرة الأصلية على نهري الليطاني والحاصباني.

عمدت القيادة الفلسطينية إلى التعامل مع هذه المعلومات بتوجيه "ضربة استباقية" حيث أمرت بإطلاق عدد من الصواريخ والقذائف يوم ٢٤ / ٧ / ١٩٨١م على (٣٥ مستعمرة) إسرائيلية وسبعة معسكرات للجيش، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من المستوطنين، ولم يبق في كريات شمونة إلا عدد يقارب (٤٠٠٠) شخص من مجموع سكانها البالغ (١٧٠٠٠) وسقط للإسرائيليين (ستة) قتلى و (٥٩) جريح.

وبذلت جهوداً كبيرة من المبعوث الأمريكي فليب حبيب، الذي تلقى مساعدة سعودية تمثلت في ما قام به الأمير فهد بن عبد العزيز (الذي كان في ذلك الوقت ولياً للعهد) بالتوسط لدى (م.ت.ف). إضافة إلى وساطة وليام كلاهان قائد قوات الطوارئ الدولية في لبنان الذي قام بجولات مكوكية بين مقر منظمة التحرير في بيروت ومكاتب الحكومة الإسرائيلية في القدس،

٢ جوزيف أبو خليل، قصة الموارنة في الحرب، ص١٦٨، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ١-١٢-٢٠٠٠م



وخلال المفاوضات أصرت (م.ت.ف) على أن الهدنة تنطبق على الجنوب اللبناني فقط وإنها حرّة في العمل على جبهات أخرى وداخل الأرض المحتلة، وطالبت بتجميد الإعتداءات الجوية على أنحاء لبنان.

تفادى فيليب حبيب الالتقاء بقيادة المنظمة على الرغم من كونها الطرف الأساس في المواجهة، وآثر الوساطات المختلفة الدولية والسعودية واللبنانية، وبعد عدة أيام من الجولات بين لبنان وإسرائيل نجح المبعوث الأمريكي فيليب حبيب في ٢٤ / ٧ / ١٩٨١م في التوصل إلى وقف إطلاق النار أخذ صيغة نداء وجهه الأمين العام للأمم المتحدة ووافقت عليه جميع الأطراف المعنية. وأصبح هو الاتفاق الرسمي الأول بين (م.ت.ف) والحكومة الإسرائيلية وكذلك إعتراف الأمم المتحدة بـ(م.ت.ف).

أعلن ولي العهد السعودي الأمير فهد بن عبد العزيز بعد قرار وقف إطلاق النار يوم ٧ / ٨ / ١٩٨١م خطة سلام من ثماني نقاط تنص على إنسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧م وإلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة وإلى الإعتراف بحق جميع دول المنطقة العيش بسلام.

لم تكن الحكومة الإسرائيلية راضية عن حصيلة نشاطها العسكري في لبنان، فقد وعدت مواطنيها في الشمال بأنهم لن يكونوا عرضة للقصف الفلسطيني، إلا أن الجيش الإسرائيلي فشل في تحقيق ذلك الوعد ومن ذلك الحين بدأت رئاسة أركان جيش العدو الإسرائيلي في التحضير لحملة عدوانية كبرى لاجتياح لبنان والوصول إلى بيروت لإخراج قوات الثورة الفلسطينية، وقد استعدت حركة فتح في المقابل لإنجاز كل الترتيبات الكفيلة بردع أي عدوان إسرائيلي، وتمت زيادة حجم التدريبات العسكرية في مجالات الدروع والهندسة والخدمات الفنية ولقادة الكتائب وضباط الأركان بدءاً من شهر ١ / ١٩٨٢م.

ومن الجدير بالذكر فإن وقائع المواجهة في ذلك الوقت وحرب المدفعية نبهت إسرائيل إلى احتمال تحول جنوب لبنان إلى جبهة عسكرية أكثر إزعاجاً من الجبهات العربية الأخرى، ومهدت هذه الحرب المسرح الدولي والإقليمي لاجتياح القوات الإسرائيلية لبنان عام ١٩٨٢م، وكان عرفات أول من تنبأ بأن حرب المدفعية ونتائجها سوف تعجل في دفع إسرائيل إلى إجتياح لبنان بأمل تدمير البنية العسكرية الفلسطينية قبل تحولها إلى خطر حقيقي على إسرائيل.

بشير الجميل يحسم صراع الموارنة:

خاض بشير الجميل في بداية ١٩٨٠م أكبر منافسة مع الأقطاب الإنعزالية بسبب الصعوبات التي طرأت بشأن توزيع الأسلحة الإسرائيلية المرسلة إليهم، فقد جرى الاتفاق أن يوزع العتاد العسكري المرسل من إسرائيل بالتساوي بين مليشيات الكتائب والوطنيين الأحرار. وأشاع أنصار بشير الجميل أن داني شمعون يبيع نصيبه من السلاح إلى قوات الحركة الوطنية اللبنانية، فردت مليشيات الأحرار بإغلاق مكاتب الكتائب في المناطق الخاضعة لنفوذهم، ونسف بعضها، وفي خطوة لتطويق الخلافات استدعاهما مناحيم بيغن وهدد بوقف المساعدات، فعادا إلى لبنان لبلورة اتفاق بينهما. وفي ٢٢ / ٢ / ١٩٨٠م رجعا إلى القدس حيث اكتشف الإسرائيليون أنهما غير منسجمين تماماً ويسيران نحو القطيعة[٣].

وبعد أيام من عودتهما إلى لبنان دمر انفجار سيارة بشير الجميل حيث قتلت ابنته "مايا" ومدبرة منزله والحراس الذين كانوا في طريقهم لنقل ابنته إلى جدتها[٤]، وردا على العمليات قامت مليشيات الكتائب خلال (٧ / ١٩٨٠م) بتدمير جميع مراكز قوات الأحرار مع عدم المساس بالرئيس كميل شمعون وابنه داني، وسميت تلك العملية باسم "التالينا" تيمنا بلقب زئيف جابوتينسكي الناشط الصهيوني الذي تبنت منظمة "بيتار" الصهيونية أيدولوجيته، وبتلك المعركة انتهى عهد قوات الأحرار وأصبح بشير الجميل الزعيم الأوحد للقوات اللبنانية.

وبعدها تلقى بشير الجميل رسالة من رئيس مكتب الموساد في لبنان يوم ١٨ / ٩ / ١٩٨٠م يقول فيها: "إن التحقيقات الأمريكية في حادثة الاغتيال الفاشلة للسفير الأمريكي في لبنان "غونتر دين" يوم ٢٧ / ٨ / ١٩٨٠م كشفت أن الصاروخ من طراز (لاو) الذي أطلق باتجاه سيارته يحمل رقماً مماثلاً لأحد الصواريخ التي سلمت لإسرائيل، والتي من جهتها قامت بتسليم كمية منها إلى المليشيات الإنعزالية عام ١٩٧٦م[٥]. وكشفت التحقيقات ان مليشيا

---

٣ آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان، ط٢، الدار الدولية، بيروت ٢٠٠٦م، ص٤٩.

٤ أفادت معلوماتنا في تلك الفترة أن الذين نفذوا العملية هم (أولاد هاشم) من موارنة تنورين (الجرد) والقريبين من القوميين السوريين انتقاماً لقيام الكتائب بقتل إخوتهم ونفذوا العملية للثأر من بشير الجميل، وقد ألقت قوات الكتائب القبض عليهم فيما بعد وتم إعدامهم.

٥ السفير الأمريكي غونتر دين كان قد غادر منزله مساء يوم ١٩٨٠/٨/٢٧م متوجهاً إلى حفل عشاء، فوقع انفجار بالقرب من سيارته طراز كرايزلر امبريال سوداء اللون، وبعد الانفجار مباشرة تعرضت السيارة وعربتا الحماية والمدرعات الثلاث المرافقة إلى زخات من الأسلحة الأوتوماتيكية، وكشفت التحقيقات الأمريكية أن الانفجار ناتج عن انطلاق صاروخ من طراز (لاو) حيث تمكن المحققون من استرداد غلاف قاذف الصاروخ.

حزب الوطنيين الأحرار قامت باستهداف السفير الأمريكي بسبب "الطعن بمصداقية مليشيا الأحرار" فقد اعتقد داني شمعون[٦] ومليشياته بأن السفير الأمريكي هو الذي سرب معلومات حول بيع السلاح الإسرائيلي إلى قوات الحركة الوطنية اللبنانية، وهي المعلومات التي فجرت الحرب مع مليشيا الكتائب.

ولقد كان لقضية الصاروخ وقع سيئ على العلاقات الإسرائيلية-الأمريكية بعد الهجوم على السفير الأمريكي غونتر دين، فقد امتنع المندوب الأمريكي عن التصويت في جلسة لمجلس الأمن الدولي على قرار إدانة إسرائيل بضم مدينة القدس[٧].

إسرائيل على خط المواجهة بين سورية والانعزاليين:

بدأت مؤشرات الحرب الباردة في الظهور بعد عشرة أيام من اجتماع دير «سيدة البير» وانتخاب بشير الجميل زعيما لحزب الكتائب والقوات اللبنانية، وتحديدا يوم ٨ / ١٠ / ١٩٨٠م حين وصل الرئيس الأسد إلى موسكو لتوقيع اتفاقية «معاهدة صداقة وتعاون» مع الإتحاد السوفييتي، وهذا ما كان يرفضه دائما، ورغم أن الاتفاقية عرضت من قبل الرئيس ليونيد بريجنيف كمجرد معاهدة سلام إلا أن التطمينات العسكرية في النص الموقع أشارت إلى عودة السوفييت بقوة إلى الشرق الأوسط، وقد أثارت تلك الاتفاقية تل أبيب وواشنطن باعتبار أن تسليح سوريا ودعمها سوفييتيا سيسهم في إفشال معاهدة كامب ديفيد بين إسرائيل ومصر التي كانت برعاية أمريكية.

نظم الموساد زيارة لوفد من القوات اللبنانية إلى إسرائيل ضم جوزيف أبو خليل وزاهي بستاني وسليم الجاهل وأنطوان نجم واسعد شفتري يوم ١٣ / ١٠ / ١٩٨٠م وتم الاتفاق على أن الطريقة الوحيدة لطرد الفلسطينيين والقوات السورية من لبنان وهي تثبيت نظام قوي يمنح المسيحيين والآخرين الأمن والحرية في وطنهم، وأنه لا مفر أمام القوات اللبنانية سوى

---

٦ داني شمعون: (٢٦/٨/١٩٣٤ – ٢٢/١٠/١٩٩٠م) سياسي لبناني ماروني النجل الأصغر للرئيس كميل شمعون، لعب دوراً مهماً في بداية الحرب الأهلية اللبنانية على رأس مليشيا نمور الأحرار التي قضت عليها القوات اللبنانية سنة ١٩٨٠م في ما سمي بمجزرة الصفرا. تولى منصب الأمين العام لحزب الوطنيين الأحرار سنة ١٩٨٣م، ثم منصب رئيس الحزب سنة ١٩٨٥م خلفاً لوالده، أسس سنة ١٩٨٨م الجبهة اللبنانية الجديدة التي دعمت قائد الجيش العماد ميشال عون، اغتيل في ٢٢/١٠/١٩٩٠م في منزله مع زوجته انغريد عبد النور وطفليه طارق وجوليان وبقي مدبرو الاغتيال مجهولين، وقد وجهت أصابع الاتهام إلى إيلي حبيقة في حين اتهم بعض السياسيين سمير جعجع قائد مليشيا القوات اللبنانية، خلفه على رئاسة حزب الوطنيين الأحرار شقيقه دوري. أنظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

٧ آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان، ص٦٦، بتصرف.

الإستيلاء على السلطة في لبنان إن تعذر ذلك بالطرق الديمقراطية، وأنه في سبيل ذلك لا بد من إقناع الأمريكيين بأن بشير الجميل هو عامل استقرار في لبنان والشرق الأوسط، ووعدت إسرائيل بدعم الكتائب لإخراج السوريين من لبنان بالقوة والتدخل عسكريا في لبنان، وصرح مناحيم بيغن بذلك علنا.

استقبل رئيس الموساد إسحق حوفي الوفد الكتائبي يوم ١٤ / ١٠ / ١٩٨٠م وأبلغهم بالموافقة على خطتهم للاستيلاء على السلطة في لبنان واقترح عليهم تمديد زيارتهم لإسرائيل ٢٤ ساعة لمقابلة وزير الخارجية الإسرائيلي إسحق شامير، الذي كان في استقبالهم يوم ١٥ / ١٠ / ١٩٨٠م بحضور ديفيد سلطان رئيس قسم الشرق الأوسط في الخارجية، وإسحق ليفانون المستشار الخاص له، وديفيد كيمحي بعد إحالته إلى الخارجية وتسلمه منصب مدير عام الشؤون الخارجية. ونصحهم شامير بضرورة إقناع الأمريكان بأنه في حال استلامهم السلطة سيكونون عامل استقرار في لبنان والشرق الأوسط، ووعدهم بالمساعدة في هذا المجال، وقال لهم: "احرصوا على أن يكون لبنان قويا ومستقلاً وليبراليا".

بعد عودة الوفد إلى لبنان، تم إطلاع بشير الجميل على النتائج الإيجابية، وطلب أن يتم تنظيم زيارة للإسرائيليين إلى بيروت لمقابلته. وتم بالفعل إرسال وفد برئاسة الجنرال رفائيل إيتان رئيس الأركان الإسرائيلي إضافة إلى الجنرال أهارون ياريف والعقيد شاحاك ملاّ (الذي سبق أن زار بيروت وشارك القوات اللبنانية المارونية في حصار مخيم تل الزعتر)، وروفن مرحاف (ضابط الموساد الذي رافق ديفيد كيمحي في زيارته السابقة إلى بيروت).

وصل الوفد إلى بيروت على متن مروحية تابعة لسرب السمتيات الأولى في القوات الجوية الإسرائيلية، وهي من طراز (سيكورسكي CH-٥٣)، يوم ١٧ / ١٢ / ١٩٨٠م وخلصت المباحثات إلى الاتفاق على بناء "جيش ماروني" وتزويده بعدد (٣٦) دبابة من طراز (T٥٤) السوفييتية الصنع، والتي استولت عليها إسرائيل في حروبها مع العرب[٨].

٨ آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان، ص٧٧، بتصرف.

أزمة زحلة تنفجر:

قتل خمسة جنود سوريين في كمين داخل مدينة زحلة في يوم ٢٢ / ١٢ / ١٩٨٠م، وعلى الفور قامت القوات السورية بقصف المدينة واشترطت عدم وقف القصف ما لم يقوم حزب الكتائب بتسليم المتورطين، إلا أن الإدارة الأمريكية أعربت عن أسفها لما يحدث في زحلة مما أجبر السوريين على وقف القصف، وإعلان هدنة استثمرها بشير الجميل في إرسال رئيس مخابراته فؤاد أبو ناضر بمهمة اختراق الحصار السوري وإيصال السلاح والمؤن إلى القوات الكتائبية داخل المدينة.

تسلم رونالد ريغان رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية في شهر١ / ١٩٨١م، فأمر زبيغنيو بريجنسكي مستشار للأمن القومي أن يصوغ مشروع سلام في الشرق الأوسط، وكانت الإدارة الأمريكية قد دعت شارل مالك[٩] لزيارة واشنطن بصفته رئيساً سابقاً للجمعية العمومية للأمم المتحدة لاستشارته حول الأوضاع في لبنان، ولذلك عمد شارل مالك قبل سفره إلى مقابلة بشير الجميل لمعرفة توجيهاته فطلب منه بشير الجميل بالتنسيق مع الفرد ماضي رئيس مكتب تمثيل القوات اللبنانية في واشنطن[١٠].

وفي الأسبوع الأول من ٢ / ١٩٨١م حيث ما تزال زحلة تحت الحصار وصل وفد كتائبي يضم سبعة قادة إلى تل أبيب، ونزلوا في فندق "لاروم" حيث انضم إليهم على الفور ثلاثة من الموساد على رأسهم مناحيم نافون "مندي" صاحب الخبرة الطويلة في مساعدة أكراد العراق

---

٩ شارل حبيب مالك: (١٩٠٦ – ١٩٨٧م) هو سياسي ودبلوماسي ومفكر لبناني ارثذوكسي، كان العربي الوحيد الذي شارك في صياغة وإعداد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ١٢/١٩٤٨م بصفته رئيس المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة شغل منصب وزير الخارجية بين ١١/١٩٥٦ و١٢/ ١٩٥٨ م، كما شغل منصب وزير التربية والفنون الجميلة من ١١/١٩٥٦ حتى ٨/١٩٥٧ م في حكومة سامي الصلح في عهد الرئيس كميل شمعون، ترأس الجمعية العامة للأمم المتحدة بين عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ م، أسهم في بدايات الحرب الأهلية اللبنانية في تأسيس الجبهة اللبنانية وكان من أبرز منظريها مع الدكتور فؤاد أفرام البستاني، وقد كان الوحيد بين أقطابها الذي لا ينتمي إلى الطائفة المارونية، توفي في بيروت في ١٨/١٢/ ١٩٨٧م بعد صراع مع مرض السرطان.

١٠ الفرد ماضي هو مهندس لبناني يحمل الجنسية الأمريكية وهو ابن أحد ضباط الجيش الأمريكي، وسبق أن عمل في جهاز مخابرات الكتائب عام ١٩٧٧م، ثم أعاده بشير الجميل إلى واشنطن كي ينظم الجماعات الضاغطة لمصلحة القوات اللبنانية، حيث اعتمد الفريد ماضي على بعض موظفي البنك الدولي، وأبرزهم عبد الله أبو حبيب، وإدوارد عازر الأستاذ الجامعي، وثلاثة من كبار المستشارين في البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) هما روبير وجاك باسيل وبول جريدني (آلان مينارغ، المرجع نفسه، ص٩١، بتصرف.)

وتركيا، والمتمرس في خطط تأليب الأقليات في البلدان العربية ضد حكوماتها، ثانيهما هو "روفن مرحاف" المعروف باسم "روبير" وسبق أن أقام في أثيوبيا يؤدي خدمات لصالح الموساد، والثالث هو شموليك افياتار المعروف باسم "اليكس" وكان ممثل للموساد في لبنان. عرض الوفد الكتائبي وجهة نظره حول الوضع في لبنان والمعوقات التي تحول دون وصول الكتائب إلى السلطة وتنامي الضغوط السورية لعرقلة أي تحالفات لبنانية مع الكتائب، فرد مناحيم نافون على ذلك بالقول: "ينبغي إضعاف سوريا سياسيا وليس عسكريا، فالأمريكان يعتبرونها قاعدة سوفييتية يجب أن تتحلوا بالصبر".. وقام رئيس الموساد إسحق حوفي[11] بزيارة إلى المنطقة الشرقية في بيروت يوم ١٦ / ٣ / ١٩٨١م وقام بجولة لتقدير الموقف عسكريا لإتمام التقرير العسكري الذي كان يفترض أن يضعه رئيس الأركان رفائيل إيتان خلال زيارته لبيروت.

ويوم ٣١ / ٣ / ١٩٨١م بينما كانت أنظار العالم متجهة نحو واشنطن حيث كان الرئيس ريغان قد جرح بطلقات مسدس من مواطنه الأمريكي جون هينكلي اشتعلت الحرب في زحلة من جديد وتمكنت المليشيات الإنعزالية من اقتحام المدينة واستولت على المتاريس التي أقامتها قوات الردع العربية على المحاور الرئيسة لزحلة، الأمر الذي اقنع السوريين بأن بعض الإسرائيليين كانوا يشاركون في معارك زحلة، وعزز قناعاتهم وجود دبابات (ت-٥٤) في المواجهات شكل ظهورها مفاجأة للسوريين، كما أن جهاز التنصت لدى المخابرات العسكرية السورية التقط صوت أحد المتدخلين على شبكة راديو القوات اللبنانية واسمه "شلومو" وبالفعل كان ذلك الاسم الرمزي هو لأحد القادة المسيحيين واسمه "سليمان صوايا" الذي كان قد عاد قبل إندلاع المعارك من إسرائيل بعد حضوره دورة تدريبية هناك.

رغم تقدم الإنعزاليين داخل مدينة زحلة إلا أن القصف السوري ظل مستمراً والمناوشات متصاعدة ما دفع بشير الجميل إلى طلب المساعدة من إسرائيل التي أوفدت إليه مناحيم نافون وضابط آخر من الموساد يدعى "ايرتزك"[12] وملقب "تومي" حيث وصلا إلى ثكنة أدونيس على متن طائرة من طراز (بل) تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي، وكان بانتظارهما بشير الجميل وعدد من مستشاريه، وخلال المباحثات أبلغهم مناحيم نافون: "أن إسرائيل نصحتهم بعدم

---

١١ إسحق حوفي عسكري إسرائيلي، ولد سنة ١٩٢٧م في تل أبيب، وخدم في البالماخ من سنة ١٩٤٤م وحتى نهاية حرب ١٩٤٨م، ثم عين قائد وحدة المظليين خلال العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦م) وعمل بعد ذلك قائد مدرسة الضباط العسكريين ومن ثم رئيس قسم العمليات في هيئة الأركان خلال حرب ١٩٦٧م ورئيس قسم الإرشاد وقائد لواء أثناء حرب عام ١٩٧٣م وعين بعد انتهاء الحرب رئيساً لقسم العمليات العسكرية وقائماً بأعمال رئيس الأركان بعد استقالة دافيد اليعازر وفي ١٩٧٤م، عمل رئيساً للموساد ١٩٧٤-١٩٨٢م.

١٢ ايرتزك: أحد كبار ضباط الموساد الذين ظلوا في الخدمة حتى نهاية عام ٢٠٠٧م.

تحدي السوريين عسكرياً، وأنها لن تتدخل عسكرياً لصالحهم، ليس أنتم الذين ستفرضون علنيا تاريخ ومكان المعركة مع سورية، لكننا سندعمكم بالتصوير الجوي، وبتسخين الأجواء وتصعيد المواقف".

إلا أن تزويد المليشيات المارونية بالصور الجوية لم يفلح في تعزيز الجبهة المارونية، حيث استمرت المعارك مع القوات السورية حتى ٥ / ٤ / ١٩٨١م حين اجتمعت الحكومة الإسرائيلية لبحث أحداث لبنان، واستمع الوزراء يومها إلى شرح مفصل من رفائيل إيتان رئيس الأركان والجنرال يهوشع ساغي رئيس الإستخبارات العسكرية الذي أفهم المجتمعين بأن معركة زحلة مع السوريين قد افتعلها بشير الجميل لجر إسرائيل إلى حرب مع سوريا، لكن مناحيم بيغن لم يقتنع بكلامه وطلب المزيد من المعلومات.

وبعد انتهاء الاجتماع قام إسحق شامير بإطلاق تصريح يقول فيه "لن تظل إسرائيل مكتوفة الأيدي أمام أحداث لبنان" وفي منتصف ليلة ٥ / ٤ / ١٩٨١م وصلت إلى المنطقة المسيحية في بيروت مجموعة من ضباط الموساد برئاسة "ايغال كارمون"[١٣] (الذي أصبح فيما بعد مستشاراً لمكافحة الإرهاب وعضو في مجلس الدفاع القومي الإسرائيلي)، وتوجهت المجموعة إلى مكان الهوائي (الانتين) الدائم للموساد المقام بالقرب من مطار مروحيات محطة الشروق للكهرباء، والمنصوب على فيلا يملكها شخص من آل مطر تقع في زاروب بمنطقة ادونيس كانت تشغلها سفارة السنغال، وكان المشرف على الهوائي مندوب الموساد الدائم في لبنان آنذاك شموليك افياتار "الكس" (يهودي من أصل روسي كلفه شارون فيما بعد بمشاريع التوطين في الضفة الغربية وأصبح وزيراً للإسكان في حكومة إسحق شامير)، وسلمت المجموعة رسالتين إلى بشير الجميل إحداهما من مناحيم نافون والثانية من الجنرال بنيامين اليعازر تتعلقان بنوعية الدعم الذي ستقدمه إسرائيل للقوات اللبنانية. كما وصلت مساء اليوم التالي ٦ / ٤ / ١٩٨١م مروحية إسرائيلية ثانية وعلى متنها الجنرال بن غال "يانوش" (قائد الجبهة الشمالية) كما كانت الطائرة تحمل كميات من (وحدات الدم) وقد أبلغ يانوش بشير الجميل رسالة شفوية من رئيس الموساد اسحق حوفي تقول "لا تقلقوا.. لن ندعكم تسقطون".

كان الكسندر هيغ وزير الخارجية الأمريكي صباح يوم ٧ / ٤ / ١٩٨١م قد هبط في الرياض مديناً القصف السوري لمدينة زحلة، ومتهما موسكو بالوقوف وراء هذا العمل، ورد السوريون

---

١٣ إيغال كارمون: ضابط إستخبارات سابق بالجيش الإسرائيلي من عام ١٩٦٨- ١٩٨٨م، عمل بعدها مستشاراً أمنياً لمكافحة الإرهاب لكل من رئيسي الوزراء الإسرائيليين إسحق شامير وإسحق رابين، ويعمل الآن رئس ومؤسس معهد الشرق الأوسط للبحوث ووسائل الإعلام (ميمري).

بتكثيف القصف، حيث قام وزير الخارجية اللبناني "فؤاد بطرس" في اليوم التالي بمسعى لدى الكسندر سولداتوف سفير الاتحاد السوفييتي للتوسط مع دمشق ولكن دون فائدة.

سقط حي المعلَّقة في زحلة بأيدي القوات السورية بعد معارك شوارع ضارية يوم ٨ / ٤ / ١٩٨١م، وفي ظل حالة الارتباك داخل القوات اللبنانية تشجع قائد كتائبي بارز هو أنطوان نجم بإبلاغ بشير الجميل بأنه لا بد من الصمود، حيث أن القصف السوري جعل لبنان ينتقل في أخبار (BBC) من المرتبة السابعة عشر إلى المرتبة الخامسة من الاهتمام الدولي، وأن الأمريكيين يستعدون لإعادة النظر في الوجود السوري بلبنان، إلا أن بشير الجميل رد بمرارة قائلاً: بأن الحل يكمن في المساعدة الإسرائيلية، وتحت إلحاحه بالطلب من إسرائيل بالتدخل وصل ليلة ٩ / ٤ / ١٩٨١م إلى المنطقة المسيحية في بيروت مناحيم نافون وبصحبته عدد من ضباط الموساد، حيث تم إبلاغ بشير الجميل بما يلي: "إن زحلة لا تبرر حرباً بيننا وبين السوريين، لقد ضغطنا على الأمريكيين حتى يتدخلوا بقوة لدى السعوديين الذين لديهم الوسائل المالية للضغط على دمشق، نحن مستعدون لمساعدتكم دبلوماسياً ولمدكم بالسلاح، أؤكد لكم أن الكسندر هيج جاهز لإعادة النظر في السياسة الأمريكية بخصوص الوجود السوري في لبنان".

وكانت الخارجية الأمريكية أرسلت مبعوثاً رسمياً خاصاً إلى بيروت هو "موريس درايبر" حيث التقى مع الرئيس سركيس ورئيس الحكومة شفيق الوزان[١٤]، وعندما التقى الموفد الأمريكي موريس درايبر مع بشير الجميل طلب منه سحب مليشياته من زحلة والسماح بإدخال الجيش اللبناني، فانفجر بشير الجميل غاضباً وقال: "لقد ضيعت وقتي، سيقوم السوريون بضربنا مجدداً، نحن من حقنا أن نعيش بأمان في مناطقنا، تريدون من الشباب أن يغادروا زحلة، لكن من ينبغي له أن يرحل.؟ نحن أم السوريون.؟.

كان مظليو القوات السورية ينزلون من المروحيات على التلال المحيطة بزحلة ويشنون هجوما كاسحا على المدينة، إلا أن القوات اللبنانية قررت الصمود أمام الهجوم السوري وتحولت العمليات القتالية إلى مجازر بشرية، واستمر القتال حتى ١٨ / ٤ / ١٩٨١م حين قابل السفير الجزائري عطا الله عبد الوهاب بشير الجميل لمفاتحته بإمكانية قطع العلاقات مع إسرائيل مقابل عدم القضاء على القوات اللبنانية، فرد بشير "نحن مستعدون لذلك، ولكن بعد

---

١٤ شفيق أديب الوزان (١٩٢٥ – ١٩٩٩م) سياسي لبناني، رئيس الوزراء ١٩٨٠ – ١٩٨٤م، شهدت فترة توليه رئاسة الوزراء الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢م، ومغادرة قوات منظمة التحرير لبيروت، وكان الوزان في طليعة مودعيها، تعرض لانتقاد شديد بعد توقيع لبنان معاهدة ١٧ آيار مع إسرائيل التي ما لبثت أن ألغيت بعد مظاهرات شعبية وضربات عسكرية قامت بها المليشيات المناوئة للرئيس أمين الجميل، قدم بعدها الوزان استقالته، لم يلعب بعدها دوراً سياسياً يذكر، يشار إلى تعرضه لمحاولة اغتيال في شهر ١٢/١٩٩١م، (أنظر: ويكبيديا الموسوعة الحرة).

ضمان أمننا، نريد أن يعقد مع السوريين اتفاقاً مماثلاً للاتفاق الذي عقدتموه مع الفرنسيين في ايفيان".

أقام جوني عبده[١٥] رئيس المكتب الثاني (المخابرات اللبنانية) مأدبة غداء في منزله للسفير الأمريكي غونتر دين في ١٩ / ٤ / ١٩٨١م، دعا إليها بشير الجميل لتهدأة الموقف بين الطرفين، قال السفير الأمريكي لبشير: "لماذا لا تقبلون أن تنتموا إلى الاستراتيجية الأمريكية.؟ أنت شخص نظيف ونزيه، ويجب أن تذهب بسرعة إلى الولايات المتحدة لعرض وجهة نظرك، سوف تحظى بالقبول، أستطيع ترتيب مقابلة لك مع وزير الخارجية الكسندر هيغ، أنتم جماعة فعالة، اعملوا معنا، لن تكونوا عملاءنا ستشاركون في سياستنا، سنتعاون معا للدفاع عن مصالحنا المشتركة، تعلمون أنه ليس هناك مشروع حل للقضية الفلسطينية، اذهبوا إلى الولايات المتحدة وبعدئذ سيكون من اليسير عليكم إتخاذ القرارات.

رد بشير: "لا أدري إن كنتم تعون خطورة وضعنا، على الصعيدين الأمني والسياسي، أنا مدين لإسرائيل عسكرياً أيمكن لكم أن تلبوا حاجاتنا في هذا المجال". قال السفير الأمريكي: سنرتب لكم ذلك سراً مع (CIA)، لن يرد العرب إن حصلتم على أسلحتكم من الولايات المتحدة الأمريكية، بينما لن يتقبلوا أن تحصلوا عليها من إسرائيل. ثم هل لديكم المال.؟ وعندما تذهبون إلى الولايات المتحدة اطلبوا أن يتمكن رجالكم من التدريب هناك، فأنا لا أضمن لكم شيئاً، لكن بمقدوركم أن تشرحوا وضعكم.

جمع بشير فريقه في مكتبه بالكرنتينا حيث قال لهم:يجب إكراه إسرائيل على تلبية نداءنا وسوف أذهب هذا المساء إلى إسرائيل لأقول لهم إذا لم يساعدونا فنحن مستعدون إلى "مسادا" جديدة". وبعد عدة أيام يوم ٢٤ / ٤ / ١٩٨١م كلف كل من جوزيف أبو خليل، وجان ناضر، وأنطوان نجم بالذهاب بحراً إلى إسرائيل، وصرح جوزيف أبو خليل لمضيفه قائلاً: لم نعد قادرين على الصمود، نعتقد أننا خسرنا الحرب، تتمتع سوريا بحرية حركة كبيرة، السوريون يستعملون المروحيات، وضعنا يتدهور، قادتنا العسكريون منهارون، الآن جاء دور المسيحيين الذين يريدون التفاهم مع السوريين والفلسطينيين.

وكان رفائيل إيتان في استقبالهم يوم ٢٦ / ٤ / ١٩٨١م وطلب منهم أن يخبروه عن تطور الوضع ميدانيا، إلا أن جوزيف أبو خليل طلب أن يتدخل الطيران الإسرائيلي ضد المواقع

---

١٥ جوني عبده: (١٩٤٠م) عسكري وسفير لبناني عمل كمدير مخابرات الجيش اللبناني (الشعبة الثانية) في عهد الرئيس الياس سركيس، لمع اسمه خلال الحرب الأهلية، وبعدها أصبح من انصار بشير الجميل، وقبل نهاية عهد الرئيس سركيس عمل على تسويق بشير الجميل كرئيس للجمهورية، وبعد اغتيال بشير وتولي شقيقه أمين الجميل الرئاسة عينه سفيراً للبنان في سويسرا ثم في فرنسا.

السورية على جبل صنين وحول زحلة. وفي المساء غادر الموفدون الثلاثة تل أبيب حيث كان بشير الجميل وفادي أفرام[١٦] بانتظارهم على رصيف مرفأ الكسليك السياحي وعلى الفور أطلعوه بنتائج زيارتهم لتل أبيب.

وهنا نجح جوزيف أبو خليل بالمناورة أمام الإسرائيليين حيث قال: كما نعرف من خلال اتفاق الخطوط الحمراء إذا حاول الطيران السوري اختراق الأجواء يعتبر هذا إعلان حرب بالنسبة لإسرائيل، الطيارات السورية تقصف مواقعنا في أعالي (صنين) وفي زحلة. هذه حجة لكم بموجب اتفاق الخطوط الحمراء. ونجحت هذه الورقة، فصدر القرار بتدخل الطيران الإسرائيلي، وأسقط الطوافات السورية، الأمر الذي الذي ردت سوريا عليه بإدخال صواريخ سام إلى الأراضي اللبنانية، الذي كان يعني مشروع حرب في المنطقة، فسارع الأميركيون إلى التدخل، وبهذه الطريقة أمكن تحريك الأزمة"[١٧].

انعقد مجلس الوزراء الإسرائيلي يوم ٢٨ / ٤ / ١٩٨١م، حيث اقترح رئيس الأركان شن هجوم جوي على جبل صنين، فأعرب يهوشع صاغي عن تحفظاته مذكراً بإمكانية وجود فخ نصبه بشير الجميل لتوريط إسرائيل في الوضع الداخلي اللبناني، وأشار إلى أن السوريين نشروا في لبنان صواريخ جوية من شأنها الحد من القدرات الجوية الإسرائيلية، إلا أن مناحيم بيغن حسم الأمر لصالح موقف رفائيل إيتان.

أصدر الجنرال رفائيل إيتان أوامره بالتدخل بعد أن أعلم بشير الجميل بالأمر حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً من صباح يوم ٢٨ / ٤ / ١٩٨١م، تلاها انطلاق الطائرات الإسرائيلية من طراز (F–١٥) نحو الأجواء اللبنانية، فأسقطت مروحية سورية من طراز (M–١٨) الناقلة العملاقة وهي من صنع سوفييتي، كانت تحمل تموينا للوحدات السورية المرابطة على جبل صنين، وبعد ذلك شنت المقاتلات الإسرائيلية هجوما على مواقع قوات الردع العربية المتمركزة على تلال الفرزل ومنحدرات صنين، والمرتفعات المحيطة بهما، حيث أسقطت مروحية سورية ثانية من طراز "آلويت" صنع فرنسا.

---

١٦ فادي أفرام: ولد في الأشرفية عام ١٩٥٤م، متزوج من إحدى حفيدات بيار الجميل، تدرج في سلم القوات فقد كان من الأوائل الملتحقين بفرقة مليشيا الكتائب ثم عين في الاستخبارات العسكرية للقوات قبل أن يصبح نائباً لرئيس الأركان، عينه بشير الجميل كخليفة له على رأس القوات بعد انتخابه رئيسا للجمهورية قبل يوم واحد من اغتياله (١٩٨٢/٩/١٣ – ٩/ ١٠/ ١٩٨٤م)، شهدت فترة قيادته حرب الجبل التي منيت فيها القوات بهزيمة مدوية تسببت في تهجير شبه كلي للمسيحيين من الشوف، توترت علاقته بالرئيس أمين الجميل الذي كان يسعى للإمساك بحزب الكتائب الذي يهيمن عناصره على القوات مما أدى إلى تعويضه بفؤاد أبو ناضر، الذي كان يقيم في كندا.

١٧ جوزيف أبو خليل، قصة الموارنة في الحرب، مصدر سابق.



قام السوريون بنصب صواريخ (سام –٦، سام – ٢) في وادي البقاع يوم ٢٩ / ٤ / ١٩٨١م في حين أبلغ جوني عبدو رئيس المكتب الثاني بشير الجميل أن محمد الخولي رئيس استخبارات سلاح الجو السوري يوم ٣٠ / ٤ / ١٩٨١م يرغب في لقائه بقصر بعبداالرئاسي، وبالفعل تم اللقاء عند الساعة السابعة من مساء يوم ٣٠ / ٤ / ١٩٨١م حيث قال محمد الخولي لبشير الجميل بأنه شرح للرئيس الأسد عنه موضحاً أنه يمكن وضع أيدينا بيديك، وأن تقاربكم مع إسرائيل لأنكم شعرتم بأنكم محشورون، ورد بشير الجميل بإمكانية مقابلة الرئيس السوري عند الحدود اللبنانية – السورية فوعده محمد الخولي بالرد يوم ٣ / ٥ / ١٩٨١م وانتهى اللقاء. خرج بشير الجميل من اللقاء طالبا من جوزيف أبو خليل وأنطوان نجم وزاهي البستاني بإعداد ورقة للقائه المقبل مع محمد الخولي فيما كانت مروحية إسرائيل من طراز (CH–٥٣) تنتظر لنقله إلى إسرائيل، حيث طلب مناحيم بيغن مقابلته، وحين وافق بشير الجميل على الذهاب إلى إسرائيل وتوجه لركوب الطائرة فوجئ بوجود الرئيس كميل شمعون بداخل المروحية التي أقلتهم إلى مسكن مناحيم بيغن في شارع بلفور بالقدس، حيث كان مناحيم بيغن محاطا بأركان حكومته وجيشه ومخابراته، وبعد استقبال الجميل وشمعون قال بيغن أن نصب الصواريخ السورية في البقاع هو اعتداء مباشر على القوة الاستراتيجية الإسرائيلية باعتبار أن مصر قد حجمت بمعاهدة السلام، وأن العراق مشغول بحربه مع ايران، فلم يبق إذن سوى سوريا البلد العربي الوحيد القادر سياسياً وعسكرياً على التدخل ضد إسرائيل، وإذا لم يسحب السوريون صواريخهم سنكون مضطرين للرد عليهم، ولم يزد الإسرائيليون الآخرون أي إضافات على ما قاله رئيس الوزراء، لدرجة أن بشير الجميل عندما عاد إلى لبنان تاركا الرئيس كميل شمعون في تل أبيب، قال للسفير الأمريكي غونتر دين الذي جاء لمقابلته في الأشرفية "ما زلت لا أعلم لماذا دعانا الإسرائيليون أنا وشمعون لزيارتهم" !! فرد السفير الأمريكي بأن زيارتكم للقدس كانت دعماً معنوياً لمناحيم بيغن قبل الانتخابات. ولكن انتبهوا إذا تحولت مسألة الصواريخ إلى نزاع بين إسرائيل وسوريا ابقوا خارج المعمعة فنحن ضد كل نزاع مع سوريا، واقترح عليه السفير الأمريكي أن يقوم يوم ٢٢ / ٥ / ١٩٨١م بزيارة واشنطن لمقابلة وزير الخارجية الكسندر هيغ فوافق بشير الجميل.

وخلال تلك الفترة ألقى الرئيس رونالد ريغان بكل ثقله لوقف التصعيد بين سوريا وإسرائيل، وبتاريخ ٣ / ٥ / ١٩٨١م بعث برسالة إلى مناحيم بيغن فسلمت إليه في مكتبه بينما كان يعقد اجتماعاً للجنة الأمن يطلب الرئيس ريغان في رسالته المزيد من الوقت من أجل فك تشابك العلاقات الإسرائيلية – السورية ويبلغه أن واشنطن تنوي في وقت قريب إرسال وسيط

إلى الشرق الأوسط هو فيليب حبيب[١٨].

وبينما كان بيغن يطالع رسالة الرئيس الأمريكي أبلغه رفائيل إيتان عن دخول صواريخ سورية جديدة إلى لبنان، إلا أن بيغن غض الطرف ودعاه للاستماع إلى عبارة في رسالة الرئيس الأمريكي تقول: "من الأهمية بمكان الآن تشجيع كل مبادرة تهدف إلى تخفيف حدة (التوتر) وفضلاً عن ذلك يجب بالضرورة منع السوفييت من توسيع نفوذهم في المنطقة، إنهم الآن يضاعفون جهودهم من أجل التغلغل في المنطقة ولعب دوراً رئيساً فيها، أعتقد أنكم تتمنون معنا عرقلة هذه الجهود".

وصل وزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام إلى قصر بعبدا الرئاسي يوم ٥ / ٥ / ١٩٨١م لمقابلة الرئيس إلياس سركيس ورئيس الوزراء شفيق الوزان مقترحا عليهما تسوية سياسية للأزمة اللبنانية، وقدم لهما وثيقة بعنوان "وثيقة عمل من شأنها أن ترضي الجميع" مكتوبة على خمس ورقات هي عبارة عن معاهدة مؤسسة، سياسية، اقتصادية وثقافية بين لبنان وسوريا، وبعد عرضها على الجانب الماروني رفضت تماماً من قبل بيير الجميل وكذلك رفضتها الأحزاب المارونية.

تم تقديم زيارة بشير الجميل إلى واشنطن لتكون يوم ١٨ / ٥ / ١٩٨١ بدلا من يوم ٢٢ / ٥ / ١٩٨١م لكنها لم تسفر عن نتائج مرضية للكتائب ذلك أن الإدارة الأمريكية كانت تنتظر نتائج جولات مبعوثها فيليب حبيب إلى لبنان والقدس والقاهرة والسعودية، وفي الوقت الذي كانت إسرائيل تصعد من لهجة الهجمات والحرب مع سوريا كانت بالفعل تحضر إلى هجوم في جانب آخر، وبعيدا عن لبنان وسوريا.

بعد منتصف ٥ / ١٩٨١م ادعى مناحيم بيغن أن قيادة (م.ت.ف) حصلت على معلومات من بينها معلومات أمريكية تقول أن الإسرائيليين يعدّون ضدهم عملية واسعة النطاق من أجل طردهم من لبنان، وكانت تلك المعلومات سبباً في حصولهم على صواريخ (س.أ–٣) من ليبيا نشروها في منطقة الدامور، واجتمعت لجنة الأمن الوزارية الإسرائيلية وقررت ضرب بطاريات الصواريخ (س.أ–٣) التي نصبها الفلسطينيون في منطقة الدامور والناعمة، وقد تم ذلك بالفعل حيث قتل عدد من النساء والأطفال، "كانت تلك الصواريخ بعثت بها ليبيا إلى القيادة العامة (أحمد جبريل) وذلك بعد أن رفضت الحكومة اللبنانية استلام هذه الصواريخ للدفاع عن نفسها".

---

١٨ آلان مينارغ، مصدر سابق، ص٢٤٣.



وقبل حلول عطلة يوم السبت ٢٣ / ٥ / ١٩٨١م استقبل رئيس الوزراء الإسرائيلي السفير الأمريكي الذي حمل إليه رسالة من وزير الخارجية الأمريكي يتمنى فيها على إسرائيل أن لا تقوم بعد الآن بعمليات من النوع الذي تعرفه الإدارة الأمريكية إلا كرد على أعمال استفزازية، فرد بيغن قائلاً: "ماذا فعلنا.؟ ضربنا الليبيين، لقد أتوا مع صواريخ وأسلحة مضادة للدروع من أجل منع طائراتنا من تحديد أمكنة نشاطات حركة فتح. رد السفير الأمريكي: كان من الواجب تلافي قتل النساء والأطفال، إن الخبراء الأمريكيين في السفارة أكدوا لي أن الصواريخ التي نشرت بالقرب من الدامور لا يتعدى مداها ٤٥٠٠ متر، في حين أن طائرات الاستطلاع الإسرائيلية تحلق على ارتفاع أعلى من ذلك بكثير، وهي إذن ليست معرضة للخطر، لذا فإن العملية لم تبد بالنسبة للولايات المتحدة بمثل هذه الضرورة.

وفي اليوم نفسه ٧ / ٦ / ١٩٨١م التقى كل من وزراء خارجية السعودية والكويت مع بشير الجميل في محاولة لإقناعه بقطع علاقاته مع إسرائيل، مقابل وقف إطلاق النار مع السوريين وتخفيض ملموس لعدد قواتهم حول بيروت، وفك الحصار عن زحلة، وقد قبل بشير الجميل بذلك، واستجاب لطلب الرئيس الأسد بكتابة رسالة إلى الرئيس إلياس سركيس يؤكد موقفه.

وكان بشير الجميل قد أبلغ الطلب السوري إلى مناحيم بيغن الذي وافق على مضمون الرسالة بعد أن قطع له الجميل وعداً بأن اللجوء إلى هذا المخرج لن يكون سوى "مراوغة" لأن التحالف الإستراتيجي بين إسرائيل والمسيحيين اللبنانيين سيبقى.

جرى يوم ٢ / ٧ / ١٩٨١م التوقيع على "اتفاق زحلة" المرتكز على مبدأ العودة إلى الوضع الذي كان قائما في السابق وكان نجاح هذا الاتفاق بسبب الوساطة السعودية وليس بفضل جهود فيليب حبيب.

وبعدها طلب مناحيم بيغن من الجيش الإسرائيلي والموساد وضع حدود لنشاطهما في جونيه وتخفيض عدد المندوبين ومراكز التدريب التابعة لهما، أما على الصعيد الأمريكي فقد بدأت عملية التقارب مع بشير الجميل التي أوفدت له مندوباً لمعرفة احتياجاته، فلم يصدق الأمريكيون ما سمعوه حين طلب بشير الجميل تدريب لواء من الكتائبيين وإعداد رجاله لقيادة فيلق، ولقيادة طائرات الهيلوكوبتر والسفن الحربية، لمواجهة نزاع مقبل، وطلب أيضا الحصول على دبابات وصواريخ مضادة للدروع وأسلحة أخرى، فوافق الأمريكان على طلبه، وبذلك فقد أصبح بشير الجميل أداة في يد الإدارة الأمريكية مثل كثيرين.

اغتيال نعيم خضر وتدمير المفاعل النووي العراقي:


نعيم خضر

خلال تلك الفترة كانت تجري الاستعدادات للانتخابات الإسرائيلية ولذلك قام مناحيم بيغن بعمليتين لرفع أسهمه لدى الراي العام الإسرائيلي. تمثلت العملية الأولى في قيام جهاز الموساد الإسرائيلي باغتيال نعيم خضر ممثل منظمة التحرير في بلجيكا يوم ١ / ٦ / ١٩٨١م[١٩].

كما أقرت الحكومة الإسرائيلية في ٧ / ٦ / ١٩٨١م عملية "بابل" ضد المفاعل النووي العراقي، التي كان يهوشع ساغي يعكف على إعدادها منذ بداية أزمة الصواريخ بين إسرائيل وسوريا، بالتعاون مع سلاح الجو، وما أن اقتربت ظهيرة ذلك اليوم عبرت (٨ طائرات) قاذفة إسرائيلية من طراز (F-١٦) تحميها (٨ طائرات) مطاردة من طراز (F-١٥) أجواء السعودية

١٩ نعيم خضر ولد في قرية الزبابدة بقضاء جنين في ١٩٣٩/١٢/٣٠م منحدراً من أسرة مناضلة، أتم تعليمه الابتدائي فيها والثانوي في مدينة جنين. التحق بجامعة لوفان في بلجيكا ونال منها شهادة الدكتوراه في القانون الدولي. انضم لحركة فتح سنة ١٩٦٧م وأبدى نشاطاً في الأوساط الطلابية، فاختير رئيساً لاتحاد طلبة فلسطين فيها، كما سمي سنة ١٩٦٩م ممثلا لحركة فتح هناك، وفي سنة ١٩٧٥م عين ممثلا رسميا ل(م.ت.ف) في بلجيكا. وعمل ممثلاً لها لدى السوق الأوروبية المشتركة والبرلمان الأوروبي ومجلس الحوار العربي – الأوروبي. شارك في كثير من المؤتمرات الدولية ومنها مؤتمرات الاتحاد البرلماني الدولي ومجالسه منذ سنة ١٩٧٥م واجتماعات الحوار البرلماني العربي الأوروبي، كما شارك في تنظيم ندوات حول أوضاع العرب في الأراضي العربية المحتلة منذ سنة ١٩٦٧م خلال شهر ١٩٨١/١م والقى فيها بحثاً هاماً عن الأوضاع الاقتصادية المتردية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأقام علاقات وثيقة مع عدد كبير من رجال الفكر والسياسة والنواب في معظم دول أوروبا الغربية، وضع عدداً كبيراً من الدراسات وله بعض المؤلفات عن القضية الفلسطينية منها: كتاب عن الدولة الفلسطينية المقترحة. شارك بفعالية في العديد من المؤتمرات العربية والدولية، له عدد من المؤلفات والأبحاث السياسية والاقتصادية، وكان عضواً بارزاً في لجنة الشؤون الخارجية للمجلس الوطني الفلسطيني وعضوا في اتحاد المحامين الديمقراطيين في بلجيكا وعضو في الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين.
قال عنه الرئيس عرفات: من الممكن قراءة قضية الشعب الفلسطيني في حياة نعيم ويمكن للباحثين أن يعكفوا على دراسة القضية الفلسطينية، وتحليل ثقافة وعادات شعبنا الفلسطيني من خلال دراسة حياته وبصماته التي لا تمحى.. فآثاره ملكٌ للشعب الذي ولدهُ ولامة التي أنجبته. اغتيل في ١٩٨١/٦/١م في بروكسيل بينما كان يهم بدخول مقر (م.ت.ف). واعترفت إسرائيل باغتياله بحجة أنه كان مكلفاً من ياسر عرفات بإجراء اتصالات مع المكتب الإسرائيلي الخارجي بشأن مفاوضات سلمية وخشي الموساد من نجاح هذه الاتصالات في حين كانت إسرائيل تعد لعملية عسكرية ضد (م.ت.ف).
ونشرت صحيفة القدس العربي ٢٠١٢/٧/١٧م عن يديعوت أحرنوت إنه «تسحور» القائد الأسبق لوحدة (كيدون) نفذ للموساد عدة عمليات أشهرها: اغتيال نعيم خضر، نقل جثمان نعيم خضر إلى بيروت فاستقبله في المطار ياسر عرفات وأقيم له مهرجان تأبيني ثم نقل إلى عمان ودفن فيها.



وهي مموهة كطائرات أردنية قبل أن تتوجه نحو هدفها في عمق الشمال لقصف المفاعل النووي العراقي[٢٠].

وبعد أن نجحت إسرائيل في تدمير المفاعل النووي العراقي أعيد تكليف مناحيم بيغن بتشكيل الحكومة مما أثار ارتياحاً شديداً في القوات اللبنانية، حيث بدا ذلك واضحاً حين قام بشير الجميل يوم ٥ / ٧ / ١٩٨١م بزيارة إلى مناحيم بيغن، وقد انتهز بيغن تلك الزيارة وكلف شافان ملا المستشار العسكري بمرافقة الجميل إلى بيروت لمساعدة القوات اللبنانية في تعزيز خطوطها الدفاعية. وبعد أن عاد بشير الجميل إلى الأشرفية يوم ٦ / ٧ / ١٩٨١م قدم إليه جوزيف أبو خليل نص رسالة إلى الرئيس سركيس تقول: إن حزب الكتائب يعتبر أن لبنان يستحق أن نؤكد لفخامتكم تعهدنا بعدم تجديد التعاون مع إسرائيل، فإذا كان تعهدنا إنقاذ لبنان أو فتح طريق الخلاص فإننا نناشد فخامتكم أن تأخذوا علما بذلك بكل ثقة نضع هذا التعهد بين يديكم ولا يمكن الإعلان عنه إلا في سبيل لبنان.



شارون وزيراً للدفاع في إسرائيل:

أصبح أرئيل شارون وزيراً للدفاع في حكومة مناحيم بيغن الثانية التي تشكلت بتاريخ ٣ / ٦ / ١٩٨١م، بالرغم من أن بيغن سبق وأعلن لبعض وزرائه أن شارون لن يشغل هذا المنصب مهما كلف الثمن إذ أن من الممكن أن يصل به الأمر إلى حد محاصرة مكتب رئيس الوزراء بدباباته !!

استهل شارون زياراته للجانب الماروني في لبنان يوم ١٢ / ١ / ١٩٨٢م، وبرفقته معاونه أبراهام تامير، وقائد المشاة والكوماندوس عاموس يارون، وقائد العمليات الجنرال يوري ساغي والجنرال يهوشع ساغي رئيس الاستخبارات العسكرية إضافة إلى ممثلي الموساد وجهاز الشاباك والدكتور يوسف غولدمان الطبيب الخاص لشارون. وعندما وصلوا إلى ميناء جونيه، كان في استقبالهم بشير الجميل ثم انتقلوا إلى منزله في الأشرفية. حضر ذلك الاجتماع بيير الجميل والرئيس كميل شمعون، بشير الجميل، فادي أفرام، زاهي البستاني (رئيس استخبارات الكتائب)، جان نادر (المستشار السياسي لبشير الجميل والقريب من الإسرائيليين

---

٢٠ آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان، مرجع سابق، ص١٥٠

وهو قائد شعبة الأشرفية داخل حزب الكتائب في بيروت والمنسق المالي للحزب)، وجوزيف أبو خليل مسؤول الاتصالات مع إسرائيل، وإيلي حبيقة.

وخلال الزيارة تركزت مطالب بشير الجميل على مطالبة الإسرائيليين بالتدخل لمساعدة الموارنة في مواجهة الهجمات السورية والفلسطينية التي باتت تهدد الوجود المسيحي في لبنان، الذي يشكل ضمانة لأمن إسرائيل. وفي المقابل كانت الرسالة التي أبلغها شارون للحاضرين تتمثل في أن: "ثمة قراراً إسرائيلياً بتدمير البنية التحتية ل(م.ت.ف) وأن البحث يدور داخل الحكومة الإسرائيلية حول عمليتين واحدة محدودة ذات بعد أمني تقضي على الآلة العسكرية الفلسطينية في جنوب لبنان وصولا إلى الليطاني. وثانية كبيرة ذات بعدين أمني وسياسي لتدمير الآلة العسكرية الفلسطينية في الأراضي اللبنانية والتي تتطلب مشاركة القوات اللبنانية في معارك بيروت. وحاول شارون استطلاع قدرات الموارنة للمشاركة في تلك العملية العسكرية وخاصة إمكانية قيامهم بمهمة اقتحام بيروت ومدى استعدادهم لتوقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل في المستقبل[٢١].

تم ترتيب زيارة للإسرائيليين إلى مركز للمراقبة في حي الأشرفية في اليوم التالي حيث استطلع شارون مدينة بيروت وخاصة منطقة المطار والطريق الدولية الموصلة إلى خلده والدامور والجنوب. واكد لبشير الجميل أنه على الرغم أن المخططات لم تكتمل إلا أنه من المؤكد أن القوات الإسرائيلية ستواصل تقدمها وصولاً إلى بيروت حيث ستكون مهمة القوات اللبنانية الاستيلاء على منطقة القصر الجمهوري ووزارة الدفاع المسيطرة على طريق بيروت – دمشق، بما يجعل مهمة اقتحام بيروت سهلة لإفراغ المدينة من الفلسطينيين وأعوانهم. وأشار الجميل إلى أن هذه المهمة ستطلب مشاركة أعداد ضخمة من القوات اللبنانية وهو ما سيؤثر على جبهات أخرى وهو ما سيتطلب مساعدة الجيش الإسرائيلي. وهنا وعد شارون بالمساعدة بتأمين الغطاء الجوي والمدفعي وتزويدهم بوسائل الاتصال الكفيلة بتعزيز المساعدة.

ثم انتقل شارون ومرافقوه إلى موقع على جبل صنين للتعرف على أهمية المنطقة المطلة على ظهر البيدر، والتي تشرف على طريق بيروت – دمشق، وباشر شارون في بلورة مشروع العملية الإسرائيلية للقضاء على قوات (م.ت.ف) في لبنان وإبعاد السوريين عن بيروت والمنطقة الساحلية. واختتمت زيارة شارون بعد التوصل إلى قناعة بوجود طرف لبناني يمكن الاعتماد عليه في العملية العسكرية الإسرائيلية المرتقبة في لبنان.

---

٢١ كريم بقردوني، لعنة وطن، الناشر عبر الشرق للمنشورات، بيروت ١-١-١٩٨٤م، ص٤٠.



صورة تجمع شارون مع بشير الجميل

رغبة أمريكية في التهدئة مع سورية:

في ذلك الحين كانت الولايات المتحدة ترى الوجود السوري في لبنان أمراً مناسباً، وقد وصلت إدارة الرئيس ريغان إلى حد اعتباره عامل استقرار، وحاول الأمريكيون استغلال هذه الأزمة من أجل تحسين علاقاتهم مع سوريا، وبالطبع احتمال إخراجها من المدار السوفييتي، حيث كانت أمريكا تتخوف من امتداد النزاع المسلح بين المسيحيين والسوريين إلى جبهات أخرى، لذا طلبت واشنطن من دمشق وقف إطلاق النار، كما طلبت من إسرائيل احتواء المسيحيين؛ لأن أعمالهم كانت استفزازية للجيش السوري، وفي نفس الوقت عارضت الإدارة الأمريكية المساعدة الإسرائيلية للمسيحيين؛ لأنها كانت تتخوف من نفوذ إسرائيل في لبنان، وتعتبر أن الكتائبيين إذا ما وجدوا من يشجعهم فيصبحون أكثر عدوانية وبذلك يصعب احتواء العنف.

وبعد أن تسلم مناحيم بيغن رسالة ريغان أعلنت الإدارة الأمريكية عن تشكيل فريق خاص في وزارة الخارجية لمتابعة العلاقات الإسرائيلية السورية وتم استدعاء أنطوني دوبرينين سفير الاتحاد السوفييتي في الولايات المتحدة وجرى اطلاعه على خطورة الوضع، وأبلغته بفحوى تهديدات مناحيم بيغن، وأن الإدارة الأمريكية قررت إيفاد فيليب حبيب لنزع فتيل الأزمة بين إسرائيل وسوريا.

وفي الطريق إلى دمشق، درس فيليب حبيب المعلومات التي جرى تزويده بها حول الرئيس الأسد، وفور وصوله إلى دمشق طلب فيليب حبيب من الرئيس السوري العودة إلى الوضع الذي كان قائماً في السباق، وسحب الصواريخ التي سببت الأزمة مذكراً بأن إسرائيل لم تهاجم القوات السورية منذ دخولها إلى لبنان عام ١٩٧٦م، فرد عليه الرئيس الأسد قائلاً: «الولايات المتحدة الأمريكية قبلت وجود جيشنا في لبنان، وأنا لا أستطيع أن أعرض جنودي للغارات الجوية دون تأمين ما يوفر لهم الحماية، كيف تطلب مني العودة إلى الوضع الذي كان قائما في السابق بعد أن اسقط لنا طائرة هيلوكوبتر، هل تستطيع أن ترد لي طائرة الهيلوكوبتر والجنود الذين قتلهم الإسرائيليون..؟ أجاب فيليب حبيب: «لا أستطيع ذلك، لكن بإمكاني منع مقتل جنود آخرين وهذه هي مهمتي. رد الرئيس الأسد: «إسرائيل هي المسؤولة عن تصعيد العنف، لذا لا تطلب مني ترك جنودي دون حماية، ان نشر صواريخنا في لبنان هو أمر مشروع كوجودنا، وقد قررنا ذلك بالاتفاق القائم مع حكومة بيروت، فإذا ما طلب مني الرئيس اللبناني إلياس سركيس سحب هذه الصواريخ فإنني سأرضخ لطلبه.

انتقل فيليب حبيب إلى إسرائيل واستقبله مناحيم بيغن الذي استمع منه إلى ملاحظاته حول اللقاء مع الرئيس الأسد، وبعد أن اختتم اللقاء خرج مناحيم بيغن ليجتمع إلى أعضاء الكنيست لمناقشة المسالة الإسرائيلية – السورية، ومن فوق منصة الكنيست وجه تحذيراً للرئيس السوري جاء فيه: «سيادة رئيس سوريه، إنكم على شفير الهاوية.. انسحبوا، هذا لن يلحق الضرر بهيبتكم، لا ننوي إهانتكم.. في النتيجة ابتعدوا عن الهاوية.. اسحبوا صواريخكم، اسحبوا جنودكم من جبل صنين.. عودوا إلى الوضع الذي كان قائماً في السابق وكل شيء تجري تسويته سلمياً»..

إسرائيل تتخذ قرار الاجتياح:

كانت لهجة المسؤولين الإسرائيليين أكثر تطرفاً بحلول شهر (٤ / ١٩٨١م)، فلقد أعلن يعقوب ايفن الناطق باسم الجيش الإسرائيلي: نحن الآن في طور الهجوم، إننا نتغلغل داخل الحدود المزعومة لدولة لبنان وسوف نصل إلى قوات (م.ت.ف) في كل مكان. وخلال هذا التصعيد في اللهجة العسكرية ضد المنظمة في لبنان اشتعل نقاش في الصحف الإسرائيلية بشأن ردود الفعل الأمريكية المحتملة في حال قيام إسرائيل بعملية اجتياح للأراضي اللبنانية، وقال المحلل العسكري لصحيفة هآرتس زئيف شيف: إن للتدخل العسكري الإسرائيلي في لبنان هدفين أحدهما القضاء على البنية التحتية للمنظمة في لبنان خصوصا في جميع المناطق الواقعة جنوبي بيروت، إن نجاح مثل هذه العملية قد يسدد ضربة قاتلة لمنظمة التحرير. قد تتفهم إدارة الرئيس ريغان سياسة إسرائيل في هذا الخصوص، ذلك أن واشنطن تسعى إلى ردع أي حليف للسوفييت.

واتضح هذا التغيير في السياسة الأمريكية كما توقعه المحلل السياسي الإسرائيلي زئيف شيف بعد تولي الكسندر هيج وزارة الخارجية الأمريكية، ففي أثناء زيارته للقدس (٤ / ١٩٨١م) وبعد اجتماعه مع مناحيم بيغن أعلن هيج للصحفيين عن تطابق وجهات النظر الأمريكية الإسرائيلية حول الخطر السوفييتي في المنطقة، وتعقيباً على ذلك كتب مراسل صحيفة نيويورك تايمز في القدس ديفيد شيبلر يقول: يبدو أن التغيير الأساسي في موقف الولايات المتحدة الأمريكية من العمل العسكري الإسرائيلي في لبنان قد منح مرونة جديدة لجيش إسرائيل في الهجمات على مواقع الفدائيين الفلسطينيين في الأراضي اللبنانية.

وعزز من هذه الرؤية السفير الإسرائيلي لدى الولايات المتحدة موشيه ايرنز حين أبلغ الصحافة في ٤ / ١٩٨٢م بأن الاجتياح الإسرائيلي للبنان هو مجرد مسألة وقت، وتزامن ذلك مع قيام الجنرال يهوشع ساغي، بتزويد الصحافة الإسرائيلية بكم كبير من المعلومات التحريضية ضد (م.ت.ف) وأنها تتلقى إمدادات كبيرة من الأسلحة السوفيتية. وأيد وزير الخارجية الأمريكية هذه المعلومات حين صرح بأن الولايات المتحدة تملك تقارير تفيد أن القوات الفلسطينية تتلقى صواريخ ومدفعية سوفيتية.

وجاءت زيارة شارون إلى الولايات المتحدة في ١١ / ١٩٨١م لتبرير أهداف الاجتياح القادم. وبالفعل فقد تم تتويج الزيارة بالتوقيع على الاتفاق الاستراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية يوم ٣٠ / ١١ / ١٩٨١م، والذي حمل اسم "مذكرة تفاهم" لتحالف عسكري إستراتيجي بين البلدين، وكذلك تصريحات الرئيس ريغان بأن (م.ت.ف) هي "منظمة إرهابية" ورفض حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، بمثابة دليلا قويا أن الإدارة الأمريكية قررت تصعيد مواقفها في إطار الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي، واعتبرت إسرائيل مرتكزا جغرافيا وسياسيا وعسكريا تعول عليه في الشرق الأوسط، وتشكل عنصر توازن عسكري ذا شأن في مواجهة النفوذ السوفييتي في المنطقة.

ورصدت أجهزتنا الأمنية الزيارة السرية التي قام بها شارون لجونية يومي ١٢-١٣ / ١ / ١٩٨٢م على رأس وفد عسكري ضم أبراهام تامير وقائد القوات الخاصة عاموس يارون والجنرال يوري ساغي، ويهوشع ساغي، واثنان من الموساد والشاباك، حيث كان هدف الزيارة إقناع بشير الجميل بالتعاون في عملية الغزو الإسرائيلية، وتبين أن بشير الجميل وأنصار كميل شمعون يؤيدون عملية الاجتياح.

بعد هذه الزيارة استقرأنا بأن العدو الإسرائيلي يخطط لعملية اجتياح لبنان، لا سيما بعد تكرار رسو السفن الإسرائيلية قبالة جونية تحمل عددا من قادة العدو، أمثال الجنرال رفائيل إيتان رئيس الأركان والجنرال يكتوئيل آدم، إضافة لضباط آخرين ومندوبين عن الموساد من أجل تنسيق الخطط المشتركة.

وخلال شهري (٣-٤ / ١٩٨٢) برز تعارض داخل الحكومة الإسرائيلية لخطة شارون بشأن الاجتياح والتي اقترح أن يكون الاجتياح قبل الموعد المحدد لانسحاب إسرائيل من الأجزاء الباقية من سيناء والمقرر يوم ٢٥ / ٤ / ١٩٨٢م لإعاقة الانسحاب الإسرائيلي وقد لعبت الضغوط الأمريكية على تعزيز موقف المعارضين لخطة شارون حيث طلبت الإدارة الأمريكية تأجيل الاجتياح الإسرائيلي للبنان.

استشهاد
ماجد أبو شرار:


ماجد أبو شرار

في الوقت الذي كنا نتخذ فيه العديد من الإجراءات الإحترازية، تلقينا يوم ٩ / ١٠ / ١٩٨١م نبأ استشهاد ماجد أبو شرار بالعاصمة الإيطالية(٢٢)، في عملية نفذها الموساد، مما يعني أن العدو الإسرائيلي ما زال يواصل سياسة الاغتيالات إلى جانب تصعيد عسكري فرض اتخاذ إجراءات احترازية.

يتسائل زياد عبد الفتاح في كتابه ورق حرير عن موقف الشهيد ماجد ابو شرار من الانشقاق فيقول:

٢٢ ماجد محمد عبد القادر أبو شرار: ولد في "دورا" قضاء الخليل عام ١٩٣٦م، ودرس فيها الابتدائية، وقد كان والده يعمل فني للاسلكي في حكومة الانتداب البريطانية، فترك عمله عاما ١٩٤٧ م لينضم إلى جيش الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني، بعد نكبة عام ١٩٤٨م آثر الانسحاب بكامل أسرته مع الجيش المصري إلى قطاع غزة، حيث أكمل ماجد دراسته الثانوية، وفي عام ١٩٥٤م التحق بكلية الحقوق بجامعة الإسكندرية وتخرج منها عام ١٩٥٨م، و التحق بوالدته وأخوته في قرية دورا ثم عمل في مدرسة "عي" بالكرك جنوب الأردن، وأصبح مديراً لها فيما بعد، وفي نهاية عام ١٩٥٩م انتقل إلى السعودية ليعمل محرراً في صحيفة "الأيام". انضم لحركة فتح عام ١٩٦٥م، وفي ١٩٦٨م عاد إلى الأردن ليتفرغ في في جهاز الإعلام ثم أصبح رئيساً لتحرير صحيفة "فتح" اليومية ومديراً لمركز الإعلام، وعندما انعقد المؤتمر الثالث ١٩٧١ م اختير أمينا لسر المجلس الثوري وتسلم مسؤولية التوجيه السياسي والإعلام، وبعد أن استشهد كمال عدوان أصبح مسؤولا عن الإعلام المركزي ثم الإعلام الموحد وعمل على تطوير مدرسة الكوادر في الحركة، انتخب عضوا في اللجنة المركزية في المؤتمر الرابع عام ١٩٨٠م وأصبح عضوا في المجلس المركزي ل(م.ت.ف) وعضوا في المجلس الوطني الفلسطيني، وعضواً في اتحاد كتاب العرب، وكان فيما سبق عضوا في الأمانة العامة للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين عام ١٩٧٢م، كان إعلامياً وسياسياً مرموقا وكان يؤمن بالكفاح المسلح ولهذا كان عضو القيادة العليا للعمل في الأرض المحتلة. كان يشكل قيمة فكرية ونضالية وإنسانية، وقد عرف عنه كفاءته في التنظيم وقدرته على العطاء، وكانت له مواقف حازمة في وجه الأفكار الانشقاقية لدى بعض رموز "اليسار" في حركة فتح، وكان سببا رئيسا في نسج علاقات مع الدول الاشتراكية. من القادة الذين استطاعوا التوحيد بين الفكر والبندقية، وبين الكلمة والرصاصة، فقد تشابكت فيه صلابة المقاتل. كان رجل فكر ورأي، كان شجاعاً يحترم من يخالفه الرأي، ويختار كلماته بحرص وشفافية كي تصل إلى أعماق المستمع، واشد ما كان صلابة عندما يتحدث عن المبادئ والقضايا الإستراتيجية، ولكنه في الوقت نفسه سياسة محنكا ولعب أدوارا في الاتصالات السياسية مع الحركات والأحزاب الفلسطينية والعربية والدولية.. تركز نشاطه في الحقلين الإعلامي والسياسي كان عرف بكتاباته وقدراته التنظيمية العالية، وقام بدور كبير في تطوير وسائل الإعلام الفلسطينية، وحضر عشرات الندوات والحلقات الدراسية والمؤتمرات في شتى أنحاء العالم وله الكثير من المقالات والدراسات حول مختلف أوجه القضية الفلسطينية نشرها في الصحف والمجلات العربية والفلسطينية، كما أن له مجموعة قصصية بعنوان "الخبز المر" كان قد نشرها تباعاً في مطلع الستينيات في مجلة "الأفق" المقدسية.

اغتياله وحرب قذرة ضد قادة الفكر والرأي: عطاءات وإنجازات الإعلاميين الفلسطينيين ضحايا الإرهاب الصهيوني، هم الطلائع الأولى التي أسست المؤسسات الإعلامية الفلسطينية، وكما أدركت النخب الفلسطينية أهمية الكلمة في معركة التحرير، أدرك العدو خطورة (الكلمة المقاتلة)، وأثرها في الوعي الفلسطيني والعربي، والرأي العام العالمي، فكان الرد بالرصاصة، حيث لجأت المخابرات الإسرائيلية إلى اغتيال قادة الفكر والرأي داخل الثورة. لم تستطع إسرائيل أن تحتمل أفكاره، فدبر عملاء الموساد شراكا قاتلة يوم ١٩٨١/١٠/٩م حيث انفجرت تحت سريره قنبلة في فندق فلورا في روما، أثناء مشاركته في فعاليات مؤتمر عالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، فقتل على الفور ونقل جثمانه إلى بيروت ليدفن في مقابر الشهداء. وبعد أن استشهد ترك زوجة وثلاثة أبناء وهم ولد وبنت من الزوجة الأولى هم سلام وسماء، ومن الزوجة الثانية داليه.

«ثمة سؤال ظل يتردد في أعماقنا جميعا، حول موقف العزيز الشهيد ماجد أبو شرار: هل لو ظل على قيد الحياة، حين طرحت "فتح الانتفاضة" ثمارها البائسة أو اسئلتها. هل كان يمضي مع مجموعة أبو صالح إلى الحد الذي مضوا فيه؟ وفي الحقيقة فانني واحد من الذين حسموا الاجابة عن السؤال، على ضوء معرفتي العميقة بالشهيد ماجد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح.

لم يكن من الممكن أن يمضي ماجد معهم بل لعلني أجنح الاعتقاد، إلى أنه ربما لم يحدث انشقاق في الاساس، وإذا حدث فإنه سيكون محدودا تماما. لقد كان ماجد أبو شرار أحد المفكرين والمنظرين والساسة، الذين لا ترتجف بوصلتهم الوطنية، فكيف تميل بوصلته أو تنحرف، بما يخرج عن سياق فلسطيني، حتى النخاع؟.»

ففي كتاب فلسطين قضية حياتي يعترف العقيد سعيد موسى "أبو موسى"[٢٣] : إن تحركات مكثفة للمنشقين بدأت في تلك الفترة في محاولة للوصول إلى السيطرة على القرار السياسي في حركة فتح وضمت تلك التحركات كل من نمر صالح "أبو صالح"، ماجد أبو شرار، سعيد موسى "أبو موسى"، موسى العملة "أبو خالد"، سميح أبو كويك "قدري"، محمد البدارين "أبو مجدي"، زياد الصغير "أبو حازم"، حسن أبو شنار، محمود عيسى "أبو عيسى"، الدكتور الياس شوفاني إضافة إلى أعداد كبيرة من قادة الوحدات العسكرية، ومسؤولين في المواقع التنظيمية والأجهزة الحركية. ويؤكد هذا الاعتراف الخطير أن أهداف المنشقين الحقيقية لم تكن تتعلق بأسباب تنظيمية أو سياسية أو ما حدث في حرب ١٩٨٢م والاتهامات التي وجهوها إلى القيادات العسكرية بالمسؤولية عن الأخطاء التي ارتكبت في حرب ١٩٨٢م.. فهدف السيطرة على القرار في حركة فتح كان قد سبق الانشقاق بثلاثة سنوات أي في العام ١٩٨٠م وهو ما يجعلنا نؤكد أن البداية الحقيقية للانشقاق كانت في المؤتمر الرابع.

ومن الجدير بالذكر فإن وضع اسم الشهيد ماجد أبو شرار ضمن هذه المجموعة غير صحيح وهو محاولة خادعة لإقحام الشهيد أبو شرار في مخططات تلك المجموعة التآمرية على حركة فتح فالجميع يعرف أنه لولا استشهاد ماجد أبو شرار لما تمكن المذكورون من القيام بأي انشقاق ويؤكد ذلك أبو خالد العملة في رسالته إلى خالد مشعل فيقول: "كان ماجد أبو شرار العائق للانشقاق، والخروج عن الحركة، كان وطنيا فلسطينيا خالصا، نقيا من أية شائبة إلى أن لاقى

---

٢٣ أطلق أبو موسى على المجموعة اسم (التيار الوطني الديمقراطي) في كتابه فلسطين قضية حياتي.



ربه شهيدا، وكان صمام الأمان العصي على عبث العابثين في القضية الوطنية المقدسة، ولم يكن ليسمح لنا نحن المقربين منه أو القريبين من فكره من الشطط أو الخروج خارج الدائرة الفلسطينية، وباغتياله أصبحت المهمة أكثر يسراً وسهولة، علماً بأنه كان من المفترض أن يتم التمرد في عام ١٩٨١م، أي عام واحد قبل اجتياح لبنان، ولكن ذلك لم يكن ليتم حيث قام الأخ أبو عمار بسلسلة إجراءات وترتيبات إدارية، وتنقلات ميدانية في عام ١٩٨٠م كان القصد منها إفشال توجهنا الانشقاقي الانفصالي المكشوف والمعروف للجميع، ولم نكن نخفي توجهاتنا، وبالفعل فشلنا في حينه كما فشلنا في محاولات كثيرة سابقة".

((اتحاد الصحفيين العرب الذي كان مقره في بغداد كان الاتحاد قد اتخذ قرارا بعقد مؤتمره للتضامن مع الصحفيين الفلسطينيين تحت الاحتلال، وكان العراقيون يريدون انعقاده في بغداد، لكن اتحاد الكتاب الفلسطينيين ممثلا بمحمود درويش وماجد أبو شرار ويحيى يخلف وياسر عبد ربه رفضوا انعقاده في بغداد، وتم الاقتراح أن يعقد في بلد أوروبي، وتم التوافق على أن يكون في روما، فوافق العراقيون على الاقتراح وبدأ الإعداد للمؤتمر وفعلا عقد المؤتمر، وحضره من صحافيين وكتاب وأدباء من الداخل وكان على رأسهم اميل توما، واميل حبيبي، ومن اليسار الاسرائيلي كان الصحفي العريق يوري افنيري، وعدد من الخارج وكان على رأسهم الشاعر الكبير محمود درويش وماجد أبو شرار ويحيى يخلف وياسر عبد ربه وزياد عبد الفتاح، وعدد كبير من الدول العربية.

قال الشهيد ماجد كما هو معروف أن تمويل المؤتمر من العراق، والعراق سوف تقوم بتغطية الفندق لهذا أحب ماجد أبو شرار كما قال لسفيرنا نمر حماد لا أريد أن أنزل على نفقة العراق، لهذا أراد أن ينتقل إلى فندق آخر على نفقته الخاصة كذلك ياسر عبد ربه لحق بماجد وحجز معه بنفس الفندق.

جاء رئيس بلدية روما وألقى كلمة في المؤتمر والمعروف عنه أنه من المؤيدين للقضية الفلسطينية وللأسف الشديد بعد إنهاء كلمته وبنفس الليلة أصابته سكتة قلبية، وتوفي على أثرها))([٢٤]).

ويكمل زياد عبد الفتاح في كتابه ورق حرير عن اغتيال الشهيد ماجد: «استشهد ماجد أبو شرار في روما، كنا في مؤتمر لاتحاد الصحفيين العرب. وكنت مدعوا باعتباري عضوا في الأمانة

---

٢٤ المصدر: سفير فلسطين في روما آنذاك نمر حماد.

العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين. كان الوفد الفلسطيني كبيرا. وجاء ماجد وعضو اللجنة التنفيذية ياسر عبد ربه إلى المؤتمر.

طلبا أن ينزلا في فندق في قلب روما، وليس في فندق المؤتمر الذي كان على أطرافها.

قال نمر حماد السفير الفلسطيني في روما، بعد أن بذل مساعدوه جهدا خارقا، عثروا خلاله على غرفتين في فندق متوسط في شارع فيا فينيتو اسمه فندق فلورا:

"أخ ماجد سأرسل اثنين مع الشباب يتناوبون الحراسة عليكما. فأنت تعرف روما"..

لم يكمل نمر حماد. قاطعه ماجد: "إننا هنا لثلاثة أيام فقط ولن تكون هناك فرصة لأي خلل أو اختراق أمني".

حاول نمر أن يضغط، لكن ماجد رفض تماما. وحتى يخرج من ذلك الموقف، سأل ماجد نمر حماد، إذا كان لديه أي نوع من السلاح الخفيف.

أعطاه نمر مسدسه، فتناوله ووضعه في حقيبة يده "السمسونايت" وغادرا بعد ذلك ماجد أبو شرار وياسر عبد ربه، إلى فندق "فلورا".

أصر علي السفير نمر حماد أن أنام في منزله، بما أنني وزوجتي وطفلتي معا. فهو سيكون مشغولا تماما، وسيبيت في فندق المؤتمر، وسيكون أمام زوجتي وقتا تمضيه مع زوجته، وقد تمضيان للتسوق، فيما ألحق أنا بالمؤتمر في أي وقت أشاء.

في الليلة الثالثة، فجرا أثناء نوم عميق مضطرب، ألح جرس الباب طويلا. قامت زوجتي لتفتح بعد أن يئست من وجود من يهب لتلبية الرنين.

صحوت وعدت في لحظات إلى ما بين اليقظة والمنام، حين أحسست بجسم صلب يلكزني. أفقت فإذا أنا أمام رشاش من نوع "بريتا" وخلفه يمسك به رجل ذو لحية رمادية، ووراء الرجل على باب الغرفة رجل مدني آخر، يسدد بندقيته في اتجاهي.

أين أنا. أين زوجتي. أين غادة صاحبة البيت؟ ما الذي يجري.. هل هي عملية اغتيال وإذا كانت كذلك، فلماذا لا ينفذان حتى اللحظة؟ فالذي يقوم بالاغتيال يقتحم سريعا ويمضي أسرع، حتى لا تكتشف هويته..

أسئلة لم تتلاحق وإنما انهمرت مرة واحدة، قبل أن تتناهى لي أصوات تتحدث الإيطالية. حوار بين رجال وسيدة، هي السيدة غادة زوجة السفير نمر حماد.

قلت في قلبي "ما دام ثمة حوار، فلا اغتيال ولا يحزنون. هناك بالتاكيد أمر آخر خارج عن كل ذلك تماما". لم يطل الوقت سوى دقائق أخرى، حتى سمعتهم ينادون على محتجزي، فتحركا



وأنا معهم تحت تهديد السلاح، إلى صالة البيت، كان الحوار حاميا والمناقشة تدور بلغة إيطالية فصيحة، فلا أفهم منها شيئا.

سألتني غادة: "هل تعرف شخصا اسمه محمود زيتون جزائري الجنسية"؟ كانوا ثلاثة آخرين مسلحين يحيطون بالمكان.

أجبتها بأنني لا أذكر أحدا بذلك الاسم، ولكن لماذا تسأل؟.

قالت: "لقد كان الجزائري يحضر عبوة ناسفة في فندقه، وقد انفجرت فيه، ومات على الفور".

سألت بعفوية وقد خطر لي خاطر غامض اضطرب له قلبي: "ما اسم الفندق؟".

سألتهم غادة فأعلنوا أن اسمه فندق فلورا، الذي كنت أعلم بحكم وجودي في السفارة أثناء وصولهما ماجد أبو شرار وياسر عبد ربه، إنهما يسكنان فيه. وكنت أعلم أيضا بالمصادفة أن ماجد يحمل جواز سفر جزائريا، ولكنني لا أعرف اسمه فيه.

سألت من جديد: "لماذا جاءوا هنا. ما علاقتنا نحن بالأمر".

قالت: "لأنهم عثروا في غرفته، التي كادت تحترق تماما، على مسدس في حقيبة يده "السمسونايت" وأن المسدس مسجل باسم قاسم حماد شقيق نمر وحارسه الشخصي". أما عنوانه فهو عنواننا.

صحت بفزع: "غادة، اغتالوا ماجد أبو شرار، محمود زيتون هو ماجد. يا إلهي. لقد أعطاه زوجك مسدسه، قبل أن يمضي إلى فندق فلورا في ضاحية فيا فينيتو، أعطاه إياه أمامنا جميعا، ووضعه ماجد في حقيبته "السمسونايت".

لم أفق من الصدمة إلا وأنا داخل ملابسي، وسيارة الشرطة تمضي بي مخترقة شوارع روما، وصوت بوقها يلعلع، فتنفتح أمامه الطرق.

قادتني حاستي الروائية والصحفية، إلى التوغل في استنتاجات بدت لي غريبة ومقلقة. ففي ذلك النهار في شارع فيا فينيتو، الذي يعج بكل ما هو مثير لشهوة الشراء، مضى ماجد مع أحد معارفه ربما زملائه، ربما أكثر من ذلك قليلا فيما أعلم. فاشترى لابنته الصغيرة لعبة، وكاد يعود، لولا أن صاحبه أصر عليه أن يشربا القهوة، في مقهى ثم اقترح أن يتمشيا سيرا على الاقدام جيئة وذهابا في ذلك الشارع الشهير والمثير فيا فينيتو، أظن أن معنى الشارع بالعربية هو جادة النهاية. بعد ذلك بأكثر من ثلاث ساعات عادا الى الفندق.

ودعه صاحبه حتى باب غرفته، وعندما ألح عليه ماجد أن يستضيفه على فنجان قهوة، فإنه اعتذر تماما، متعللا بضرورة عودته إلى فندق المؤتمر.. هو نفسه صاحبه، قال لي ذلك، بينما كنا ننتظر المثول أمام الشرطة. وقال: "إن الله أراد له النجاة وإلا كان جثة ثانية. إلى جانب ماجد أبو شرار".

مضى ماجد إلى شؤونه الخاصة، خلع ملابسه ولبس بيجامته، وتناول من على مكتبه الصغير داخل غرفته الضيقة أعدادا من صحف عربية، كان قد أوصى بها فوصلته ذلك الصباح، كانت الصحف حافلة بتفاصيل دقيقة لروايات مبكرة متضاربة، عن حادث اغتيال محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، والتي اشتهرت بحادثة المنصة، تلكأ ماجد وهو يقرأ عناوين الصحف واقفا. كانت صحف أيام ثلاثة، وقد تكدست أمامه، فقرر الاستلقاء فوق سريره، ليقرأ فيها براحة وإمعان.

ما كاد يجلس، ويكاد يمدد جسده، حتى ثارت العبوة الناسفة المزروعة أسفل فراشه. عبوة شديدة الانفجار بقوة ديناميت صاعق، خلفت كل شيء في ثوان حطاما وركاما، حتى أن سقف الغرفة أسفله تناثرت أجزاؤه فوق سائحين، كان يستعدان للقاء حميم، فأخرجهما الفزع عن طورهما، ففرا من الغرفة عاريين.

عندما عادت بنا الطائرة تحمل جثمان الشهيد ماجد أبو شرار، وكان قد حضر إلى روما القائد العسكري لفتح الانتفاضة. التي قامت بعد سنتين من تلك الواقعة، قال لي العقيد أبو موسى "لقد اغتال ماجد أحد أعوان نمر حماد. هو الذي اختار له الفندق ودل عليه جهاز الموساد".

قلت له بوضوح: "ليس ذلك هو الذي اغتاله، ولا الذي دل عليه، وإنما ذلك الرجل الذي أخر خطو ماجد ثلاث ساعات حتى يعود إلى فندقه. في تلك الساعات الثلاث التي قد تكون امتدت إلى أربع، تم زرع العبوة الناسفة أسفل فراشه".

قال أبو موسى: "ليس صحيحا، لا يمكن أن يكون الأمر كما تقول، إنك مجنون وتتهم من لا يمكن أن يفعلها".

أجبته: "أنا لا أتهم أحدا، ولكني أستخدم حاستي ودليلي، وقبل ذلك المعلومات التي بحوزتي والمنطق الذي يحكمني. ولقد سردت له حكايتي مع الشرطة الإيطالية. ولكنه لم يشأ أن يفهم.. إن الذين لا يريدون أن يفهموا يمكن أن ينفذوا أجندات تخصهم أو لا تخصهم، دون أن يفهموا كذلك، أو يحاولوا الفهم.»

((بعد الحادث كلف سفيرنا في روما نمر حماد المحامي الإيطالي "كالفن" بمتابعة القضية ومن خلال اطلاع المحامي على ملف التحقيق، والمعلومات التي طلب أن يحصل عليها من جهاز الأمن.. تبين ان هناك فتاة ورجل غادروا الفندق مباشرة بعد عملية التفجير، وتبين من متابعة الأمن الإيطالي أن الرجل الذي غادر الفندق مباشرة يملك محل الكترونيات في مدينة "أسدود" إسرائيل.

كل الشبهات والأدلة العامة بالنسبة للمحامي أن إسرائيل هي وراء العملية.

بموجب القانون الإيطالي تبقى القضية مفتوحة لدى الدائرة القانونية التي كلفت بهذا الموضوع([٢٥]))).

إكتمال الحشود الإسرائيلية:

استمرت القيادة الفلسطينية في رصد التطورات والتحركات الإسرائيلية الأمر الذي جعلها تكشف أبعاد الخطتين اللتان عرضهما شارون على مجلس الوزراء الإسرائيلي، حيث كانت (الخطة الكبرى) تقضي بوصول الجيش الإسرائيلي إلى مشارف بيروت ومحاصرتها وكذلك قطع طريق بيروت دمشق، أما (الخطة الصغرى) فتقضي بوصول الجيش الإسرائيلي لمسافة (٤٥كم) داخل الأراضي اللبنانية وقد لجأ شارون للتسويق الإعلامي للخطة الصغرى من أجل إخفاء نواياه في الوصول إلى بيروت وحصارها وتركز الحديث قبل الشروع في الحرب بأن إسرائيل تهدف إلى (تحقيق الأمن) وإبعاد التهديد الفلسطيني عن مستوطنات الشمال وإخلاء منطقة بعمق (٤٥كم) وتحطيم البنية العسكرية ل(م.ت.ف).

أنهى العدو الإسرائيلي إنشاء تجمعاته الضاربة، وكانت قواته في جاهزية قتالية منذ صباح يوم ١ / ٦ / ١٩٨٢م[٢٦] وكان بانتظار القرار لبدء العدوان، حيث حشدت إسرائيل الفرق الأتية على الجبهة اللبنانية، وعلى النحو الآتي:

١- فرقة مدرعة في منطقة الخالصة – المطلة – النخيلة.

٢- فرقة ثانية في منطقة علما – الصفصاف – صفد.

٣- فرقة ثالثة على الاتجاه الساحلي في منطقة عين يعقوب – البصّة.

---

٢٥ المصدر: سفير فلسطين في روما آنذاك نمر حماد.

٢٦ مجموعة من الباحثين: كتاب الغزو الإسرائيلي للبنان، إشراف وزير الدفاع السوري السابق مصطفى طلاس، ص١٨٧، وكتاب حرب لبنان (١٩٧٥– ١٩٨٢م) حصار بيروت وحرب الجبل/ المكتبة الحديثة للطباعة، بيروت ١-١٢-٢٠٠٥م.

٤- كما حشدت المعدات العسكرية الأخرى في عمق هضبة الجولان ومنطقة سهل الحولة.

وكانت خطته تقضي بتوجيه الضربة الرئيسة بالاتجاه العام: ارنون - النبطية - صيدا، ترافقها ضربة مساعدة على الاتجاه الساحلي: الناقورة - صور - صيدا، وبالتعاون مع الإنزالات البحرية عل الساحل للعمل في مؤخرة قوات المقاومة الفلسطينية، وإرباك عمليات السيطرة والمناورات والإمداد بحيث تندفع القوات البرية بأقصى سرعة للوصول إلى أهدافها مع الأخذ بعين الإعتبار تنفيذ أعمال مشاغلة، وتثبيت على الاتجاه الشرقي في المرحلة الأولى بهدف التضليل والإيحاء بأن العملية تستهدف فقط مواقع المقاومة الفلسطينية التي كانت تؤثر في مستعمرات شمال فلسطين المحتلة.

الإستعدادات الفلسطينية تتواصل:

قامت القيادة الفلسطينية بدراسة دقيقة للساحل اللبناني ووضعت سائر الاحتمالات لعمليات الإنزال البحرية، ووضعنا الكمائن المعززة بالقرب من المناطق التي يحتمل أن يقوم العدو بالإنزال فيها، وتم اتخاذ نفس الإجراءات في العمق حول قلعة الشقيف ومنطقة الزهراني والدامور وخلده وشاطئ مخيم الرشيدية مستفيدين لأبعد الحدود من تجارب الإنزال الإسرائيلي السابقة.

وبناءً على توجيهات من أبي عمار الذي اعتبر أن (م.ت.ف) في حرب شاملة مع العدو تم تعزيز الاحتياطات في مناطق عدلون، والزهراني، والجيه، والسعديات، والدامور، وتزودت قواتنا هناك بكل ما يلزمها من الأسلحة والذخيرة والتموين، كما أعطى قادة الفصائل تعليمات ضرورية حول حرية الحركة وتقدير الموقف، في حال بدأ العدو بعدوان جديد، وأبرز تلك التعليمات الاعتماد على استقلالية القرار والمواجهة إذا ما تعطلت إمكانية الاتصال بسبب عملية التشويش. وواجهتنا آنذاك مشكلة حماية الشاطئ اللبناني الذي يمتد لمسافة طويلة، في غياب أي دور للجيش اللبناني، واضطرارنا لتأمين الحماية من القوات الفلسطينية، في حين نفتقر إلى الأسلحة الضرورية لمقاومة البوارج كصواريخ أرض - بحر، لكن استخدمنا عوضا عن ذلك نظام الكمائن وتوزيع عدد من مقاتلينا على المرتفعات المسيطرة والمطلة على البحر، معتمدين على مساعدة من قوات المليشيا التابعة للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية..

وتم تكليف العميد سعد صايل بوضع كافة الاستعدادات لمواجهة العدوان، واستجابة للتقديرات المبنية على معلومات مؤكدة، وجه أبو عمار أمراً إلى العميد سعد صايل بتهيئة مجموعة



من غرف العمليات بعيداً عن مراكز القيادة المعروفة تحسباً من القصف الجوي الإسرائيلي، وتولى العميد سعد صايل تنفيذ المهمة حيث أقيمت عدة غرف عمليات أخذت أسماء الأرقام مثل غرفة عمليات (٣،٤،٥،٦) وكان أهمها غرفة العمليات بمركز قيادة قوات ال١٧ كونها المعنية بسلامة القائد العام، وكانت هذه الغرفة تحمل رقم (٥) وهي عبارة عن طابق تحت الأرض معبأة بأجهزة الاتصال والخرائط وأثاث بسيط.

وكان العميد سعد صايل يقضي معظم وقته إلى جانب القائد العام في غرفة العمليات يهيئ له بمهنية عالية القرارات التي ينبغي اتخاذها بشأن التشكيلات العسكرية الفلسطينية استعدادا للتصدي للقوات الإسرائيلية، وقد كانت هذه المهمة في غاية الصعوبة كونها تعتمد على إدارة المعارك بإمكانات غير متكافئة مع إمكانات العدو الذي يملك ترسانة ضخمة من الآليات والمعدات والدبابات والمدافع والصواريخ والسفن الحربية بالإضافة إلى سلاح جو مقاتل ومهاجم.

ومن الجدير بالذكر فقد دعا الأخ أبو عمار لانعقاد المجلس الثوري في مكان غير مقر المجلس، واستمر النقاش الحاد ساعات طويلة، وكانت آخر الكلمات التي ألقاها الأخ أبو عمار "أيها الإخوة من الممكن أن يكون هذا المجلس آخر مجلس يكتمل العدد فيه ببيروت فالمعركة قادمة، وإنها لمعركة شرف لنا سوف نخوضها بكل رجولة، لكن لي وصية "من منكم يبقى حيا فعليه أن يكمل المشوار" .

صاروخ فروغ الذي لم يأت:

في بداية عام ١٩٨٢م قام ياسر عرفات وخليل الوزير وصلاح خلف بزيارة هامة وسرية إلى ليبيا، حيث تم اللقاء بالعقيد القذافي وخلال هذا اللقاء وضعت القيادة الفلسطينية الزعيم الليبي بصورة ما لديها من معلومات حول الخطط الإسرائيلية الهادفة إلى القيام باجتياح يستهدف المقاومة الفلسطينية في لبنان، وعليه فقد تقدمت القيادة بقائمة احتياجات مستعجلة من الأسلحة والمعدات. ووعدهم القذافي ان تلك الاحتياجات بالكامل ستصل قبلهم إلى بيروت.

وقبل الغزو الإسرائيلي بشهرين استدعاني الأخ أبو عمار وطلب أن أحضر ناقلة دبابات قديمة إلى معسكر بئر حسن. وفي اليوم التالي طلب مني استدعاء المهندس عدنان سمارة مسؤول اللجنة العلمية، ورافقنا الأخ أبو عمار إلى معسكر بئر حسن، وأحاط بنا المقاتلون في المعسكر. وأخذ الأخ أبو عمار المهندس سمارة وانتحى به جانباً، ثم تقدما إلى الناقلة وبدأ أبو عمار يقيسها بالمتر ويسجل المقاسات على ورقة، وبعد الانتهاء من كل عملية قياس كان ينظر إلينا وكأنه يخبئ

مفاجأة سارة، ثم دخلنا معا إلى قاعة الرياضة حيث توجد طاولات للتنس، فأخذ يلعب التنس بسرور بالغ مع المقاتلين.

علمت من أبو عمار أن معمر القذافي وعده بأن يقدم أسلحة جديدة للثورة، وكان من هذه الأسلحة صواريخ فروغ بعيدة المدى، وصدق الأخ أبو عمار وعد القذافي واخذ الأمر على محمل الجد، وبدأ بإجراء الترتيبات اللازمة لمفاجأة العدو، بحيث أراد أن تكون عملية نقل هذه الأسلحة إلى الجنوب مخفية تماما، ولذا أراد أن يصنع صندوقاً مصفحاً فوق ناقلة الدبابات ليضع بداخله الصاروخ ويكون مفاجأة للعدو حين إطلاقه، وطلب من المهندس عدنان سمارة التفرغ وسرعة إنجاز ما طلبه من إعداد للناقلة، وطلب مني تقديم ما يلزم له، وبعد ثلاثة أيام كان كل شيء جاهز ولكن الصاروخ لم يصل.

وكان الأخ أبو عمار يبرق يومياً لممثل الحركة في ليبيا لمراجعة القذافي «صاحب الوعد» بأن يرسل ما وعد به.. ولكنه لم يرسل شيئاً.. وبقيت الناقلة تدفن في قلبها سراً على عدم مصداقية القذافي الذي طالبنا بالموت والانتحار دون أن يحرك ساكناً.



من اليمين أبو الطيب، أبو عمار مع المهندس عدنان سمارة
في معسكر بير حسن التابع لـ ١٧ والتحضير لاستقبال صاروخ الفروغ الذي لم يصل



أبو عمار، أبو سفيان قائد المعسكر، فيصل أبو شرخ، أبو الطيب في معسكر بير حسن بيروت
كان الشهيد يلعب التنس مع بعض الضباط



الاستعدادات قبل حرب ١٩٨٢م وكان ياسر عرفات يشرف على التحصينات بنفسه ويتفقدها

خريطة انتشار القوات الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية:

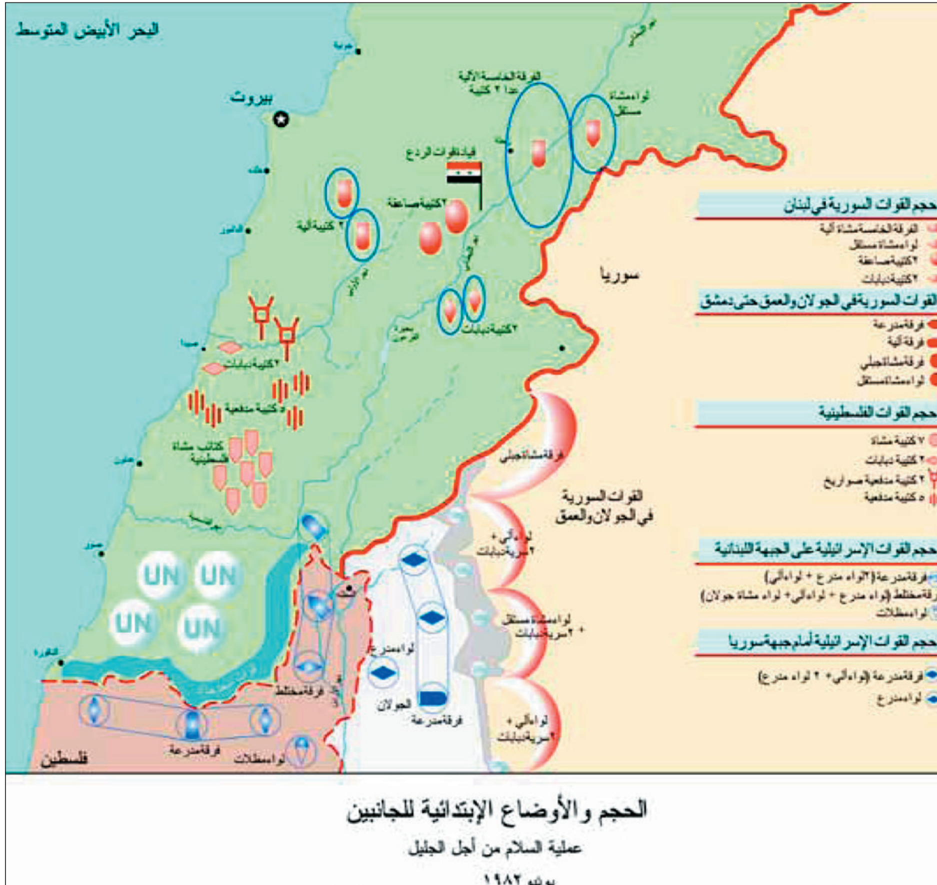
بذلت القوات المشتركة، التي تضم جميع التنظيمات الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية جهداً كبيراً لصد العدوان. ومن الجدير بالذكر فقد كانت القوات المشتركة بالجنوب تتألف آنذاك من:

١- قوات (م.ت.ف) وهي:

- حركة فتح
- منظمة الصاعقة (طلائع حرب التحرير الشعبية)
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (جورج حبش)
- الجبهة الشعبية القيادة العامة (أحمد جبريل)
- الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
- جبهة التحرير العربية
- جبهة النضال الشعبي
- جيش التحرير الفلسطيني
- الكفاح المسلح الفلسطيني

٢- القوى الوطنية اللبنانية في الجنوب وأهمها:

- الحزب التقدمي الاشتراكي
- حزب البعث العربي الاشتراكي
- التنظيم الناصري (بكل تقسيماته)
- الحزب السوري القومي الاجتماعي
- الحزب الشيوعي اللبناني
- حركة امل



الحجم والأوضاع الإبتدائية للجانبين
عملية السلام من أجل الجليل
يونيو ١٩٨٢

أولاً: حركة فتح

وهي تعد أكبر فصائل المقاومة المتواجدة على الساحة اللبنانية في العدد والتسليح وكانت تتألف من:

أ- قوات القسطل: وتضم خمس كتائب مشاة، في كل كتيبة (٢٠٠ - ٢٥٠) عنصر بأسلحتهم الفردية (بنادق - أسلحة م/د خفيفة). وكانت هذه الكتائب موزعة بالفصائل ضمن قطاع المسؤولية لكل كتيبة على النحو الآتي:

- كتيبة في منطقة عيرا - علمان.
- كتيبة في منطقة الزهراني - زفتا - البابلية
- كتيبة في منطقة النبطية - أرنون - أنصار

- كتيبة في منطقة صور – الرشيدية – رأس العين
- كتيبة في منطقة البرج الشمالي – دير قانون – صدّيقين
- بالإضافة إلى كتيبة مدفعية ميدان (١٢ مدفع) موزعة بالمدافع والسرايا، ويلحق بكل كتيبة بطارية هاون (١٢٠ ملم) وفصائل رشاشات (م / ط) من عيار (١٤،٥ ملم) و (٢٣ ملم) و (٢٧ ملم) موزعة على السرايا للتعامل مع الطيران.

ب– قوات الكرمل: تمركزت قيادتها في منطقة (أم دوخة) وكانت تضم ثلاث كتائب:

- كتيبة الجليل في منطقة القاطع الشرقي (كفر الزيات – حاصبيا).
- كتيبة الكرمل في منطقة البقاع الشرقي (ينطا – بكار–أم دوخة).
- كتيبة النسور في منطقة راشيا – وكفر دنيس.

ج– قوات جيش التحرير الفلسطيني: عبارة عن كتيبة دبابات موزعة بالسرايا من الزهراني – القاسمية وحتى شمال صور والفوج المدرع الأول الذي يضم أربع مجموعات في كل مجموعة ثلاث دبابات وثلاث رشاشات، وثلاث مدافع (م / د) وتحشد في منطقة علمان – شرحبيل في شمال صيدا.

د– قوات اليرموك: قوامها ثلاث كتائب منها في الجنوب:

- الكتيبة الأولى في منطقة المحمودية – الدمشقية.
- الكتيبة الثانية في منطقة القطراني – ميدون.

وهكذا فإن إجمالي عدد مقاتلي حركة فتح في الجنوب كان يتراوح بين (٣٠٠٠ – ٣٥٠٠) مقاتل، وعدد الدبابات (٥٠ – ٦٠ دبابة) طراز T٣٤، وعدد المدافع (٥٠ – ٦٠) فوهة من مختلف العيارات، بالإضافة إلى عدد من الوسائط المضادة للدبابات والطائرات.

ثانيا: سائر التنظيمات الأخرى:

أما بقية التنظيمات فقد كان كل تنظيم منها يضم من ٢٠٠ – ٥٠٠ عنصر مزودين بالأسلحة الخفيفة وموزعين بالفصائل على مواقع المقاومة في الجنوب اللبناني في صور، البص، صيدا، عين الحلوة، الرشيدية والبرج الشمالي.

ثالثا: تنظيمات القوى الوطنية اللبنانية:

معظم عناصر هذه القوى والتنظيمات كانت تتواجد داخل المدن، والقليل منها كان موزعا بين



الفصائل الفلسطينية، ولعبت عناصر القوى الوطنية اللبنانية دورا كبيرا في تفويت الفرص على العدو في محاولاته المتكررة لاختراق المدن.

وبمقارنة القوات الغازية الإسرائيلية وقوات المقاومة الفلسطينية نلحظ الفارق الكبير بين الطرفين حيث بلغت قوات الغزو (١٠٠ الف) جندي (١٢٥٠ دبابة) و (٢٠٠ مدفع ميدان) وجزء كبير من سلاح البحرية بالإضافة إلى سلاح الطيران الذي بلغ متوسط طلعاته اليومية (٣٠٠ طلعة) للقصف.



بداية العدوان الإسرائيلي:

في ليلة ٣-٦-١٩٨٢م تعرض السفير الإسرائيلي في لندن لمحاولة اغتيال من قبل عناصر من مجموعات صبري البنا «أبو نضال».. كان السفير حينها شلومو أرجوف يتناول وجبة الطعام في أحد المطاعم وسط لندن وقرب السفارة الإسرائيلية حيث شارك أرغوف في عشاء عمل، وقد غادر العشاء باتجاه سيارته القريبة وحين ركب السيارة قام شخص يحمل سلاحا رشاش بإطلاق النار بكثافة تجاهه فأصيب في رأسه وسقط على الفور. لاحق ضباط الأمن البريطاني المنفذ ومساعديه، فيما ساعد آخرون السفير، وتسببت إصابته بإحداث شلل بجسده إلى أن توفي في شباط ٢٠٠٣ في مستشفى هداسا بعين كارم بالقدس. وعقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعها على الفور وقررت البدء في عملية عسكرية موسعة تحمل اسم عملية «سلامة الجليل».

بدأ الطيران الإسرائيلي قصف مواقع المقاومة الفلسطينية المدنية والعسكرية في الجنوب اللبناني صباح يوم الجمعة ٤ / ٦ / ١٩٨٢م، وكنت حينذاك عائدا إلى مقر قواتنا بعد أن رافقت أبو عمار إلى مدخل بلدة عالية حيث كان مسافرا إلى دمشق ومنها إلى جدة لحضور اجتماع اللجنة الإسلامية الحميدة بين العراق وايران، وبناء على الأمر الذي أصدره أبو عمار للجميع باتخاذ إجراءات الحيطة والحذر عقب سماعه نبأ إطلاق النار على السفير الإسرائيلي في لندن، وفور وصولي للمقر دعوت كافة الضباط من القوات وأمرتهم بإخلاء جميع المكاتب والثكنات والانتشار في أوسع رقعة ممكنة، وفي حوالي الساعة الواحدة ذهبت إلى منطقة مارالياس حيث

مركز قيادة كتيبة (م/ط) فاجتمعت إلى قائدها أبو عوض وبقية الضباط والمقاتلين، ثم رجعت إلى مقر عملياتنا وأجريت اتصالات مع ضباط الكتائب والسرايا لقواتنا في منطقة بيروت ودعوتهم للاجتماع في مقرنا بمنطقة الرملة البيضاء.

وفي الساعة الثالثة واثنتين وعشرين دقيقة بدأ الطيران الإسرائيلي بقصف أهداف في بيروت الغربية وخاصة المدينة الرياضية، وامتزج قصف الطيران الإسرائيلي بصوت رماية الرشاشات المضادة، وشاهدت انقضاض الطائرات على منطقة المدينة الرياضية والتدمير الذي حدث للمباني وتكسير خط المياه الرئيسي المغذي لمنطقة الفاكهاني، على الفور أعطيت الإيعاز بالتعامل الفوري مع الطائرات، وتوجهت إلى مقر العمليات المركزية حيث وجدت العقيد محمد جهاد هناك فيما هرع سكان المنطقة إلى ملجأ الكلية، ثم خرجت من غرفة العمليات لتفقد المنطقة المحيطة بنا، وما هي إلا دقائق حتى عادت الطائرات بأعداد أكبر لتقصف مرة أخرى المدينة الرياضية وفي هذه المرة أصيبت سيارات الدفاع المدني وسيارات الإسعاف، وبلا شعور تحركت بالسيارة نحو المدينة الرياضية، حيث كان الناس يتراكضون في كل اتجاه، وجثث الدفاع المدني والإسعاف متناثرة في كل مكان، توقفت الغارة وأنا في منتصف الطريق، فبدأت بإصدار الأوامر لشرطتنا العسكرية بتحويل السير فورا، وشاركت في إخراج الشهداء من تحت الأنقاض، وبعد ذلك قررت العودة إلى مقر قواتنا لاحتمال أن تكون الطائرات قد قصفت غرفة العمليات وبقية مراكزنا في منطقة الفاكهاني أو ما نسميه (منطقة المربع) حيث مركز تجمع أجهزتنا، ورغم الفوضى العارمة التي ميزت المكان إلا أن مواقع مدفعيتنا المضادة للطائرات كانت سليمة تماما. وكالعادة انهارت شبكة الاتصال التليفوني تحت ضغط الذين يحاولون الاطمئنان، وانقطعت عن المربع المواصلات العادية (السرفيس) ولم يبق متحركا إلا السيارات الخاصة وكلها تابعة لمنظمات أو منظمين، وانتظر الناس الغروب حتى يعودوا إلى بيوتهم للاطمئنان عليها.

أدرك الجميع أن المعركة ستستمر وأن الغد سيشهد غارات أخرى، تزايد عدد القادمين والراحلين والسيارات التي تحمل الأمتعة والأطفال، بين الحين والآخر كانت تسمع صفارات سيارات الدفاع المدني، وأن معنى ذلك أن جثثا جديدة وجدت تحت أنقاض المدينة الرياضية أو أن هناك جرحى ينقلون من الجنوب إلى مستشفيات بيروت، في تلك الليلة سقطت الحواجز الرملية التي كانت قد أقيمت بين مخيم شاتيلا وحي الغبيري ذي الأغلبية الشيعية، وسقطت معها الشكوك ورغبات الثأر وبدايات القطيعة بين سكان المنطقتين، كذلك بدأ أول معسكر للاجئي الغزو الإسرائيلي للبنان عندما لجأ بعض سكان مخيمي صبرا وشاتيلا المجاورين



للمدينة الرياضية وهدمت منازلهم أو تصدعت إلى حديقة الصنايع التي اختاروها لبعدها عن المربع وقربها من مقر رئاسة الوزراء وحي الحمرا، بعض العائلات فضلت الذهاب إلى شاطئ المنارة وافتراش الجزيرة التي تتوسط شارع الكورنيش والنوم في حمى السفارتين البريطانية والأمريكية.

وكانت بيروت الغربية خلال السنوات الأخيرة قد تمايزت إلى ثلاث مناطق: «الجنوبية» وتشمل مخيم برج البراجنة وحي الشياح والأحياء المحيطة بهما، ثم «المربّع»: ويمتد من دوار (ميدان) المطار حتى دوار الكولا، وينحصر بين شارع السفارة الكويتية وشارع كورنيش المزرعة، وفيه معظم مقار القيادات وغرف العمليات العسكرية والمخازن والمستودعات بل والمستشفيات التابعة لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، وبه أيضا تقع مباني جامعة بيروت العربية وأبرزها مبنى كلية الهندسة، وهو مبنى حديث عال يشمخ كنموذج للقدرة المعمارية المصرية، وله طوابق تحت الأرض، وفي قلب كل ذلك مكتب «أبو عمار» وثكنة الـ١٧، المنطقة الثالثة: هي ما يقع خارج هذا المربع في اتجاه شاطئ البحر ومنطقة الحمرا حتى «خطوط التماس» بين بيروت الغربية وبيروت الشرقية.

حل الظلام.. ولأول مرة منذ شهور شهدت شوارع المنطقة الغربية حركة سيارات ليلية كبيرة، تحرك الناس يطمئنون على أهلهم وليطمئنوهم، ودخلت أسر كثيرة إلى بيوتها في المنطقة لتأخذ ما تحتاجه للإقامة عند أقارب أو خارج بيروت، وأذاعت الإذاعات أن القوات المشتركة في الجنوب قد ردت على الغارة الجوية بقصف مركز على المستوطنات الإسرائيلية في شمال الجليل بفلسطين.

فعليا لم يكن هناك عمل إلا في مكاتب المالية ومخازن التسليح واللاسلكي والباقي كله اجتماعات رسمية وغير رسمية، الجميع يتبادل عبارة الحمد لله على السلامة.. أخبارك؟ القيادة تشدد على الاستنفار واستدعاء قوات التعبئة (الاحتياطي) على جميع الأخوات العاملات الالتحاق بجمعيات الهلال الأحمر الفلسطيني، على الأخوة القادرين المدربين الالتحاق بنقاط «التجمع» الباقون على اتصال.. لأول مرة تمر ليلة بكاملها دون سماع أصوات إطلاق النار.. صمت ثقيل إلا من أصوات السيارات المسرعة وسيارات الشحن التي تنقل مواد التموين والذخيرة.. مجموعات التنصت تتابع أخبار مجلس الأمن.. صدر قرار ٥٠٨ المطالب بالامتناع عن الأعمال العدوانية، أرسل ريغان رسالة إلى بيغن يطالبه بضبط النفس.

استمر قصف الطيران الإسرائيلي لمناطق الجنوب اللبناني طيلة يومي الجمعة ٤ / ٦ والسبت

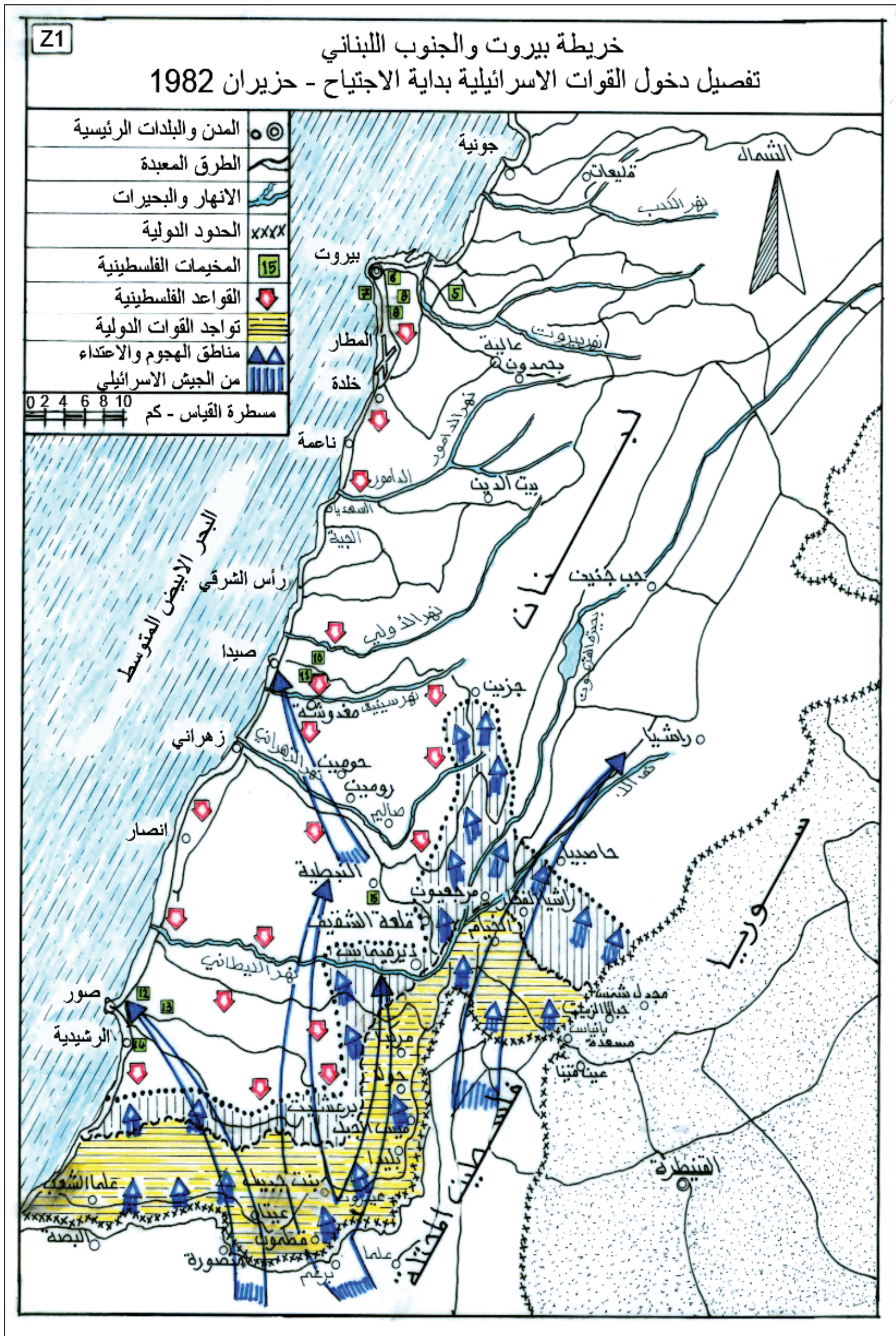
٥/٦ وتجدد صباح يوم الأحد٦/٦ حيث وتركز القصف على أرنون، الجرمق، النبطية، الدامور، صيدا، الزهراني، صور، الرشيدية، ورافق القصف الجوي قصف مدفعي مركز على مواقع المقاومة في الحد الأمامي خاصة في أرنون والجرمق والمحمودية، وفي الوقت نفسه قصف مدفعي من القطع البحرية باتجاه مناطق صيدا، الزهراني، الصرفند، صور والرشيدية.

أبو عمار يعود إلى لبنان:

توجهت ليلة ٥/٦/١٩٨٢م إلى غرفة العمليات حيث استمعت إلى توجيهات العميد سعد صايل الذي استفسر عن احتياجاتنا من الذخيرة والوقود، والتموين والأسلحة وطلب أن أخلي مواقعنا في الثكنات، وفي الليلة نفسها دعوت إلى اجتماع لضباط ال١٧ في بيروت وحضر جميع هيئة أركان غرفة عمليات قوات ال١٧ بقيادة الرائد أبو صلاح، واستمر الاجتماع ساعتين شرحت خلالهما الموقف على كافة المحاور وأبعاد المعركة وتعليمات القيادة، واتخذنا قرارات من أبرزها تجهيز كتيبة الدبابات وإخراجها من مستودعاتها لتأخذ مواقعها القتالية حيث كنا قد قسمناها إلى ثلاث سرايا، وتم استدعاء سريتين من المنطقة الشمالية لتلتحق بقواتنا في منطقة بيروت وتم تعيين أبو هيثم مسؤولاً لها وسميت كتيبة الاحتياط.

ذهبت صباح يوم الأحد ٦/٦/١٩٨٢م لمقابلة الأخ أبو عمار الذي كان عائداً إلى بيروت من السعودية حيث كان يشارك في أعمال لجنة المساعي الحميدة بين العراق وايران لحظة بدء العدوان الإسرائيلي، لاطلاعه على التطورات وأوضاع قواتنا، فكان يبدو عليه الإرهاق، إلا أنه منشرح الصدر وحوله يجلس بعض الإخوة من بينهم محسن إبراهيم، وكان الحديث يدور عن معركة الأمس فقال أبو عمار لأحد الإخوة: "ربك كبير يا شيخ" وكان يقصد موضوع الأسير الإسرائيلي الطيار الذي جاء من يؤكد وصوله إلى بيروت بعد أن تم أسره في منطقة قلعة الشقيف.

تركت الأخ أبا عمار لينال قسطاً من النوم، ثم رجعت إلى مقر عملياتنا لمباشرة الاتصالات وتوجيه القوات. وعندما أفاق أبو عمار من النوم استدعاني إلى غرفة (العمليات – ٥) فتحركت فوراً إلى هناك حيث وجدته يترأس اجتماعا مع أركان غرفة العمليات المركزية، فانضممت للاجتماع حيث تم تكليفي شأن بقية الأخوة بتجهيز فصيل مسلح وإرساله إلى مدينة صيدا وبالفعل نفذت التكليف وأرسلت الفصيل بقيادة الملازم محمد أبو النجا ثم واصلت مهماتي في متابعة الموقف القتالي لقواتنا.


Z1
خريطة بيروت والجنوب اللبناني
تفصيل دخول القوات الاسرائيلية بداية الاجتياح - حزيران 1982
المدن والبلدات الرئيسية
الطرق المعبدة
الانهار والبحيرات
الحدود الدولية
المخيمات الفلسطينية
القواعد الفلسطينية
تواجد القوات الدولية
مناطق الهجوم والاعتداء
من الجيش الاسرائيلي
0 2 4 6 8 10
مسطرة القياس - كم
جونية
الشمال
نهر الكلب
بيروت
المطار
عالية
بحمدون
خلدة
ناعمة
الدامور
بيت الدين
الجية
رأس الشرقي
البحر الابيض المتوسط
صيدا
جزين
جب جنين
زهراني
راشيا
انصار
النبطية
حاصبيا
مرجعيون
صور
الرشيدية
سوريا
القنيطرة
علما الشعب

المعارك في الجنوب:

اقتحمت القوات الإسرائيلية جنوب لبنان صباح يوم ٦-٦-١٩٨٢م تحت ستار من نيران القاذفات المقاتلة والزوارق البحرية وبمساندة من الدبابات والمدفعية، وتقدمت المفارز المدرعة والمشاة الآلية عابرة للحدود مخترقة أثناء تقدمها مواقع حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، الساعة الحادية عشرة قبل الظهر بالرغم من صدور قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٥٠٨)، وشمل التقدم الإسرائيلي عدة محاور في القطاعات الشرقي، والأوسط، والغربي، على جبهة عرضها (٩٠كم) من شبعا شرقا حتى صور غربا:

١. محور الرشيدية– صور.
٢. محور عباسية – معشوق.
٣. محور جسر القاسمية.
٤. محور القعقعية– النبطية، انقسم هذا المحور إلى محورين: الأول شرق النبطية والثاني غربها.
٥. محور الخردلي– سهل الباروك.

أولاً: قلعة الشقيف:

شيدت هذه القلعة في قمة هضبة أرنونعلى ارتفاع (٧١٧ متر) فوق سطح البحر، وعلى حافة نهر الليطاني من الغرب، وتبعد حوالي سبعة كيلومترات عن مرجعيون من الشمال الشرقي، والنبطية من الشمال الغربي، والمطلة من الجنوب الشرقي، وباعتبارها تشرف على المناطق المجاورة لها فقد استخدمت كموقع جيد للرصد والنيران.

كانت فصيلة مشاة فدائية من قوات الجرمق[٢٧] مكلفة بالدفاع عن القلعة، وقد عززت الفصيلة بجماعتين من قوات الحركة الوطنية وجماعة (م/ط) من طراز صواريخ سام٧ (ستريلا) وتقدم نحوها خلال العدوان كتيبتان هما كتيبة مشاة خاصة من لواء جولاني وكتيبة دبابات معززة بالمشاة الميكانيكية.

٢٧ قوات الجرمق، كانت في الأصل تسمى الكتيبة الطلابية (١٩٧٦م) وتشكلت من متطوعين فلسطينيين ولبنانيين وإيرانيين وطلاب جامعات عرب وتميز مقاتلوها بروح الفكر السياسي الفتحوي الأصيل كونها ضمت كذلك نخبة من المفكرين والمثقفين ودوي الخبرة والتجربة، وخاضت معارك تل الزعتر والجبل ونتيجة لمؤتمر القمة العربية المنعقد في الرياض عام ١٩٧٦م والذي تم الاتفاق فيه على تشكيل قوات الردع العربية وتسليم القوات السورية مناطق التماس في لبنان، كلفت الكتيبة بمغادرة مواقعها في الجبل والاتجاه للتمركز وسط الجنوب بقيادة معين الطاهر، وكانت معركة (الطيبة) ١٩٧٧م في الوسط الشرقي من جنوب لبنان بقيادة الأبطال سعد جرادات وعلي أبو طوق وأبو حسن قاسم من أهم معارك الكتيبة، بالتعاون مع كتيبة شهداء أيلول بقيادة كمال الشيخ وكتيبة بيت الأوسط بقيادة بلال نور، وبعد ذلك أنشأت الكتيبة لها قاعدة حصينة في قلعة الشقيف وفي عام ١٩٨٢م سطر مقاتلونا ملاحم بطولية في التصدي لقوات العدو الإسرائيلية التي تقدمت لاحتلال القلعة.



قلعة الشقيف



يظهر في الصورة كايد يوسف، علي أبو طوق، معين الطاهر، عبد العزيز أبو فضة
وآخرون مع ياسر عرفات في قلعة الشقيف

ومنذ اليوم الأول للعدوان شنت الطائرات الإسرائيلية غاراتها على القلعة وقصفتها بقنابل زنة (٢٥٠ – ١٠٠٠ كلغم) بالإضافة إلى رمايات المدفعية والهاون المتقطعة نهاراً وليلاً، ومنذ صباح يوم ٥ / ٦ / ١٩٨٢م ركز الطيران المعادي قصفه للقلعة بطائرات "سكاي هوك" حيث أصيبت إحداها بصاروخ (سام٧ – ستريلا) وسقط طيارها النقيب أهارون أحيعز أسيراً بأيدي القوات الفلسطينية وقام قائد الكتيبة معين الطاهر ونائبه مروان كيالي بنقله إلى بيروت، وحوالي الساعة الحادية عشر صباحاً أعلم مرصد القلعة عن تقدم أرتال مدرعة إسرائيلية بقوام الكتائب المعززة على عدة محاور هي[٢٨]:

محور الطيبة – الغندورية وباتجاه جسر القعقعية. محور شبعا – مرجعيون. محور شبعا – كفر شوبا.

كما أعلم هذا الموقع عن تحرك قوات في منطقة الخيام – مرجعيون – القليعة عبر القوات الدولية وباتجاه الشمال والغرب، حيث شكلت قاعدة نارية في مواجهة قوات المقاومة محاولة عبور الجسور على نهر الليطاني، وحتى الساعة الخامسة مساءً من يوم ٦ / ٦ / ١٩٨٢م تمكنت قوة العدو المدعومة من الطيران المقاتل والحوامات وتحت ستاره من رمايات المدفعية الكثيفة من احتلال رؤوس الجسور غربي وشمالي نهر الليطاني والتمسك بها، وفي الساعة السابعة ومع حلول الظلام بدأت المعركة البرية ضد قلعة الشقيف، فقد أسند العدو إلى كتيبة الدبابات التي نجحت بالعبور على جسر الخردلي والوصول إلى شمالي أرنون بمهمة تطويق القلعة من الشمال، وإلى كتيبة الدبابات التي نجحت في العبور على جسر القعقعية والوصول إلى جنوب ارنون بمهمة تطويق القلعة من الغرب، أما كتيبة المشاة الخاصة فقد كلفت العمل بمجموعتين الأولى تهاجم مداخل القلعة تحت رماية الدبابات، والثانية نزلت بالحوامات فوق القلعة مباشرة مستفيدة من رمايات الطيران المقاتل وحوامات الدعم الناري، واعتباراً من الساعة السابعة وحتى الساعة الحادية عشر ليلاً استمر الرمي الليلي بالدبابات على القلعة، كما قام الطيران بقصفها عدة مرات.

وفي تمام الساعة الثانية عشر ليلاً حاولت ثلاث حوامات تنفيذ الإنزال الرأسي على القلعة، إلا أن المقاومة الفلسطينية أحبطت الإنزال وأسقطت طائرة هيلوكوبتر، وفي تمام الساعة الخامسة من صباح يوم ٧ / ٦ / ١٩٨٢م كررت الدبابات المعادية والمشاة محاولات الاقتراب من مداخل

٢٨ استناداً إلى لقاء تلفزيوني مع تيمور غوكسل المتحدث باسم قوات الأمم المتحدة فإنه وفي تمام الساعة العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة صباحا ليوم ٦/٦/١٩٨٢م اقتربت (١٣ دبابة) ميركافا عند جسر الحمراء الفاصل وكان هناك في تلك اللحظة ستة جنود هولنديين عند الحاجز حاولوا منع الدبابات من التقدم بوضع عوائق على الطريق، ولكن جنود الجيش الإسرائيلي استمروا بالتقدم هاتفين «نحن آسفون هذا غزو»، تمكن الهولنديون من إعاقة دبابتين بصورة مؤقتة لكن ذلك لم يدم طويلاً فقد تلا الدبابات الأولى سيل من الدبابات الأخرى.

القلعة، فاستطاع المقاومون الفلسطينيون تدمير ما لا يقل عن سرية دبابات وناقلات، إلا أن العدو نجح في الوصول إلى مداخل القلعة، واستمر القتال داخلها حيث سقط أولاً قائد الهجوم الإسرائيلي الجنرال هارنيك قتيلاً مع ستة آخرين من جنوده وهم من وحدة (سايريت متكال)[٢٩] من بينهم العقيد الركن أفنير شماعيا والمقدم جوني هدنيك والمقدم يتسائيل مزراحي والرائد يفتاح بن حاسو، في حين استشهد الغالبية العظمى من المدافعين عن القلعة بعد أن أوقعوا عشرات القتلى والجرحى في القوات المهاجمة.



بيغن وشارون أثناء حضورهم لقلعة الشقيف بعد سقوطها وتكبدهم خسائر لم يكونوا يتوقعوها في العام ١٩٨٢م

٢٩ سايريت متكال: كانت تسمى (الوحدة ٢٦٩) وهي وحدة استطلاعية مرتبطة بهيئة أركان الجيش، كما أنها تختلف عن الوحدة المسماة (سايريت هآدروزيم) التي هي قوة استطلاعية مجوقلة استخدمت عام ١٩٦٨م بناء على اقتراح العقيد الدرزي في الجيش الإسرائيلي محمد ملاّ، وتتكون من جنود يتكلمون العربية من الدروز والبدو والشركس، وقد نشطت هذه الوحدة في الضفة الغربية وغزة عام ٢٠٠٠م.

شهادات بعض ضباط العدو الإسرائيلي حول معركة قلعة الشقيف:

يقول المقدم زوف، قائد الحملة الإسرائيلية التي احتلت قلعة الشقيف: «لقد تلقيت أمراً من قائد اللواء الجنرال يكوتئيل آدام»: في حوالي الخامسة من مساء يوم الأحد ٧ يونيه، بمهاجمة قلعة الشقيف، وتطهيرها من القوات الفلسطينية المتمركزة فيها. وأُبلغتُ بأن عليّ أن أستوليّ على الحصن من أيدي الفلسطينيين المرابطين فيه، وكان تحت قيادتي ٩ دبابات و١٧ ناقلة جند مدرعة. وفي الساعة السابعة والنصف، كنت مع قواتي على بعد عشرات الأمتار فقط من الحصن، دون أن نواجه أي مقاومة، ونزل العديد من الجنود من مدرعاتهم، واقتربوا مني، وبينما كنت أرد على استفسارات الجنود، استعداداً لاقتحام الحصن، فُتحت علينا النيران من كل جانب. لقد أمطرونا بالقذائف الصاروخية والبازوكا، وتعالى الصراخ والصياح بين الجنود. لقد قُتل، في الحال، جميع الجنود، الذين كانوا خارج دباباتهم ومدرعاتهم. وأخذت أصرخ بالجنود للتقهقر إلى الخلف، لإعادة التنظيم والانتشار، لم يكن هناك أي مجال للنجاة، لقد وقعنا في المصيدة. استمر تبادل إطلاق النيران بيننا وبينهم حتى العاشرة ليلاً. وفي تلك الأثناء، وصلتنا تعزيزات كبيرة، وتم إخلاء القتلى والجرحى، ولم يبقَ من قواتي (٩٠ جندياً، ٧ ضباط) سوى سبعة جنود فقط. كما دُمِّرت الدبابات والآليات المدرعة، كان عدد الفلسطينيين ٣٣ فرداً «من قوات فتح»، ولم نأسر أي فرد منهم، لأنهم قاتلوا حتى الموت، ولم يستسلم أحد، لقد دهشت من ضراوة مقاومة هؤلاء الفلسطينيين، إننا لم نحسن تقدير قوتهم الحقيقية»[٣٠].

ويقول أحد الجنود الإسرائيليين من الذين خدموا في قلعة الشقيف وهو (ليرون نحماد).. هذا مكان ملعون بالمطلق لأن المقاومين الفلسطينيين يجيدون الإصابة، وهو ملعون لأنك قد تفقد رفاقك في كل لحظة، وهو مكان ملعون بسببنا لأننا أتينا لهذا المكان.

ويقول الرائد في الجيش الإسرائيلي (غوغان): الفلسطينيون مقاتلون أشداء ومن الأفضل الاعتراف بذلك، فأنا لم أشارك في المعارك التي دارت هناك، لكن الكثيرين من أصدقائي قد قتلوا، وكلما طلبت من أحد الجنود أن يحدثني عما دار خلال الهجوم على الموقع يعتذر بلطف وكأنه

---

٣٠ موقع المقاتل، الاجتياح الإسرائيلي، ٢٠١٢/٣/٢٧م



يخشى الاعتراف بالحقيقة، على أية حال فإن سقوط عدد كبير من الضباط والجنود في موقع القلعة يثبت أن معارك شرسة قد دارت، وأن المقاتلين الفلسطينيين الذين كانوا في قلعة الشقيف ليسوا مقاتلين عاديين وقد قاتلوا حتى آخر رجل.

ويقول الميجور يعقوب براق: عندما باشرت بتمشيط المنطقة شاهدت أمامي ظلال مقاتل يرتدي خوذة، وصحت من هناك.. كنت متردد في إطلاق النار خوفاً من أن يكون جندي إسرائيلي من كتيبة أخرى، ولم أكن أعلم أن المقاتلين الفلسطينيين يعتمرون الخوذ أيضا، وقد صاح ضابط العمليات الخاصة بالعربية قائلاً: من أنت..؟ لكن الشبح لم يجب.. وبعد ثانيتين من التردد قررت أن أضغط على الزناد، ولكن فجأة أطلق المقاتل الفلسطيني النار، وسبقني بعشر ثانية، وقد أسفرت رصاصاته عن مقتل أربعة جنود وإصابة سبعة آخرين، أما أنا فقد أصبت في صدري ووجهي، وفجأة اختفى المقاتل عن الأنظار، حاولت طلب النجدة باللاسلكي فوجدته معطل، فأخذت أشتم بيغن وشارون ودولة إسرائيل التي تقتل أبناءها. جميع القوات التي أرسلت لنجدتنا حوصرت، وأن القتال على قلعة الشقيف كان صعباً وقوياً، وأن فصيلا فلسطينيا قيل لنا أنه من وحدة "الجرمق" كان يرابط هناك، ولم يهرب أحد من المقاتلين الفلسطينيين، كما وأن القصف الصاروخي الذي نزل عليهم قبل المعركة لم يؤثر فيهم، لقد كان المكان محصنا جيدا، واستمرت المعركة ما يزيد عن تسع ساعات متواصلة، إنني اكره الفلسطينيين بشكل عام، لكني بدأت احترمهم.. فأنا احترم المقاتل.. أي مقاتل حين يقاتل بشراسة وضراوة.

أما الصحفي الإسرائيلي يوري أفنيري فقد قال: فقدت إسرائيل في قلعة الشقيف في جنوب لبنان ما يزيد عن (٢٠٠ قتيل) ما بين جندي وضابط[٣١].

ثانياً: معركة صور والمخيمات المجاورة لها:

تقع مدينة صور على مسافة (٢٥ كم) من الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة، وقد أعطاها موقعها على الساحل أهمية كبيرة، حيث تشكل من الناحية العسكرية مع المخيمات الثلاثة المحيطة بها (الرشيدية – البرج الشمالي – البص) عقبة في وجه حملات الغزو الإسرائيلي القادمة من الجنوب للتقدم شمالا إلى بيروت عبر مدينة صيدا.

وكان عدد سكان المدينة يبلغ آنذاك حوالي (١٢ الف) نسمة، وسكان المخيمات الثلاثة حوالي

---

٣١ عبد العزيز أبو فضه، تقرير عن ا معركة قلعة شقيف.

(٣٠ الف) نسمة، وهذا العدد من السكان يقدم بدون شك دعماً كبيراً للقوة العسكرية العاملة في المنطقة، مما دفع العدو الإسرائيلي إلى استخدام مختلف الأساليب المادية والمعنوية ضد السكان المدنيين في المدنية والمخيمات للتقليل من دورهم في المعركة خاصة في المرحلة الأولى للغزو، بحيث تكون معركته ضد قوات المقاومة معزولة عن السياج الشعبي الذي يدعمها ويحملها.

بلغ عدد المقاومين عن المدينة والمخيمات الثلاثة بداية العدوان حوالي (١٢٠٠ مقاتل) مرتبطين بثلاث قيادات بمستوى كتيبة، وحسب نوع وعدد الأسلحة المتوافرة يمكن تقدير القوة القتالية للمقاومة بثلاث كتائب مشاة توزعت حسب خطة الدفاع عن المدينة والمخيمات كما يلي:

١. كانت خطة الدفاع تشمل منطقة مداخل المدينة وبشكل مترابط مع المخيمات مما يساعد على إشراك المليشيا في القتال.

٢. توزعت الوحدات على:

أ-كتيبة مشاة للدفاع عن مدينة صور من الاتجاهين الجنوبي والشرقي.

ب-كتيبة مشاة للدفاع عن مخيم الرشيدية والمداخل الجنوبية المؤدية إلى مدينة صور.

ج-كتيبة مشاة للدفع عن مخيم البرج الشمالي، عدا سرية أرسلت للدفاع عن عقدة البزورية شرق المخيم المذكور بحوالي (٣ كم).

٣. كما اقتضت خطة الدفاع المعتمدة توزيع وحدات المقاومة للعمل في المنطقة على شكل مجموعات صغيرة بهدف مقاومة العدو عند نجاحه في دخول المنطقة سواء من داخل المدينة والمخيمات بالتعاون مع الأهالي أم في المزارع المحيطة بالمنطقة.

شاركت رشاشات (م/ط) من عيار (١٤ ملم) في الرماية على طائرات العدو، رغم أن تأثيرها ضعيف على الطائرات الحديثة من نوع فانتوم، اف١٥، اف ١٦، واستطاعت وحدات المقاومة رغم ضعف تسليحها يوم ٦/٦/١٩٨٢م التصدي لقوات العدو وأجبرتها على التوقف، وطيلة يوم ٧/٦/١٩٨٢م كان المقاتلون يواجهون العدو من نقطة إلى أخرى مكبدين قواته خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات.

مهد العدو لاقتحام المدينة والمخيمات بقصف جوي استمر ثلاثة أيام، وكان نصيب مدينة صور من الطلعات الجوية الإسرائيلية (٦٠ طلعة يوميا) كانت ترمي ما معدله ٣٠٠ طن من القنابل يوميا، وتقدر قوة العدو التي استخدمت في مرحلة السيطرة على مدينة صور بعدد (٧ كتائب) معززة بمجموعة مدفعية ميدان بالإضافة إلى الدعم الجوي والبحري ومساعدة مليشيات العميل سعد حداد.



تقدمت قوة إسرائيلية تقدر بلواء مختلط كطليعة على المحور الساحلي من اتجاه رأس الناقورة وحوالي الساعة الثانية ظهراً توقفت على مسافة (٢ كم) من مخيم الرشيدية، وبدأت تقصف المخيم ومواقع المقاومة بالمدفعية والدبابات. وفي الوقت نفسه تقدمت قوة أخرى تقدر بلواء معزز من الاتجاه الجنوبي الشرقي، وعملت كمجموعتين إحداها على محور صدّيقين – قانا – الرشيدية، وتقدمت الثانية على محور البزورية – البرج الشمالي، وحتى الساعة الرابعة عصراً تمكنت قوات العدو من عزل مدينة صور والمخيمات من الجنوب والشرق، وفي ساعة قبل الغروب من يوم ٦ / ٦ / ١٩٨٢م أنزل العدو قوة عن طريق البحر تقدر بكتيبة دبابات جنوب صور، وقوة أخرى شمال مدينة صور لقطع الطريق الساحلي قرب جسر القاسمية.

تركزت أعمال العدو يوم ٧ / ٦ / ١٩٨٢م على تطويق المخيمات واحتلال مدينة صور، ومما عمله العدو لضمان السيطرة على المدينة هو إخراج جميع السكان إلى الشاطئ وبعد التفتيش والتدقيق في الهويات تم اعتقال العديد، أما في أيام ٨ / ٦ / ١٩٨٢م وما بعدها فقد كانت مهمة القوات الإسرائيلية القضاء على مجموعات المقاومة في المخيمات الثلاثة، والجدير بالذكر أن المعارك البطولية التي خاضها أشبال حركة فتح دلت على التربية العقائدية الصحيحة التي نشئوا عليها، وبعد السيطرة على المدينة والمخيمات بدأت تنفيذ الحكم العسكري اعتماداً على حرس الحدود ومليشيات العميل سعد حداد.

ثالثا: معركة صيدا ومخيم عين الحلوة:

تعد مدينة صيدا من أهم مدن الساحل اللبناني، حيث اكتسبت أهمية خاصة كونها تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، إضافة لبعدها عن الحدود مع فلسطين المحتلة، الأمر الذي يجعلها خارج مدى الاشتباكات مع العدو الإسرائيلي (تبعد ١٠٠ كم عن رأس الناقورة) حيث يجعلها ذلك تصلح لانتشار معسكرات التدريب ومخازن التسليح ومقرات القيادة والمستشفيات والمدارس، يجاورها من المخيمات الفلسطينية مخيم عين الحلوة، ومخيم الميه ميه، ولهذه المميزات أخذت صيدا أهميتها لدى المقاومة الفلسطينية وقد استهدفها العدوان الإسرائيلي بحقد شديد حيث أزال القصف الجوي والمدفعي أحياء كاملة من المدينة. وحرصت المقاومة الفلسطينية على تحصين هذه المدينة ومخيماتها دفاعياً حيث تمركزت فيها الوحدات الآتية:

١- وحدة دبابات (ت-٣٤)[٣٢] من جيش التحرير الفلسطيني و(٢٠) دبابة معززة بوحدة

---

٣٢ الدبابة (ت-٣٤) صناعة سوفييتية منذ الحرب العالمية الثانية، وقد كان لها دور مميز آنذاك.

مضادة للطيران (٢٣ ملم) و (١٤،٥ ملم) وبوحدة مضادة للدبابات (١٠٦ ملم و ٧٥ ملم).

٢- كتيبة مشاة من قوات القسطل معززة بالإضافة للمليشيا.

٣- سرية مشاة محمولة من قوات القسطل.

٤- وحدات أمنية وإدارية مع فصيلتي مضاد للطائرات، وفصيلة صواريخ (سام٩).

خلال هجومه على المدينة خطط العدو الضغط عليها من الاتجاهين الشمالي والجنوبي، بهدف الدخول إليها بعد استكمال تطويقها وتدمير المواقع الفلسطينية لإحكام السيطرة عليها وعلى المخيمات المجاورة ومن أجل ذلك عمد إلى:

- شن هجوم بري عبر المحور الساحلي والوصول إلى المداخل الجنوبية للمدينة مع نهاية اليوم الأول للعدوان.
- انزال بحري ليلي شمال صيدا (مصب نهر الأولي) للضغط على صيدا من الشمال وحدث ذلك يوم ٦ / ٦ / ١٩٨٢ وهو اليوم الأول من العمليات القتالية.
- هجوم بري عبر هضبة النبطية صباح اليوم التالي (٧ / ٦) لاستكمال تطويق صيدا من الشرق.
- انزال جوي بالحوامات في اليوم الثاني للمساعدة في دخول المدينة واحتلالها.
- زج قوات مشاة لاستكمال تطهير المدينة وتمرير القسم الأعظم من الوحدات المدرعة والميكانيكية التي أسهمت في احتلال المدينة كي تطور الهجوم باتجاه الدامور.

معركة الإنزال البحري في مصب نهر الأولي شمال صيدا:

كان العدو الإسرائيلي اعتبارً من مساء يوم ٥ / ٦ / ١٩٨٢م قد أعد القوات التي ستقوم بالإنزال البحري على الشاطئ والمكونة من وحدات مغاوير بحرية ووحدات مظليين على الناقلات المدرعة، ووحدات دبابات بالإضافة إلى وحدات تأمين المعركة، وتقرر أن تبحر وسائط الإنزال قبل ظهر يوم ٦ / ٦ / ١٩٨٢ منذ عبور القوات البرية الحدود اللبنانية باتجاه الشمال، وقد خصصت بعض تلك الوسائط لصالح العملية جنوب صور، بينما خصصت معظمها لصالح العملية الرئيسة شمال صيدا، وقد وصلت سفن الإنزال إلى مصب نهر الأولي ليلا الساعة التاسعة والنصف من يوم ٦ / ٦ / ١٩٨٢م وكان الطيران الإسرائيلي قد ركز طيلة فترة بعد الظهر على تدمير الأهداف العسكرية الموجودة في منطقة الإنزال، فقصفت وحدة دبابات جيش التحرير الفلسطيني في منطقة علمان، ومواقع المقاومة في الرميلة وشرحبيل، وكتيبة بيت المقدس



في عبره، ومواقع فصائل المقاومة من مداخل صيدا وحتى مخيم الميه وميه..

كما قامت زوارق البحرية بتركيز رمايات مدفعية ورمي مباشر على منطقة مصب نهر الأولي والبساتين المجاورة لها، وأدت الرمايات والقصف الجوي إلى عرقلة دفاعات المقاومة في المنطقة قبل تنفيذ عملية الإنزال، وتمكنت من تأمين رأس جسر للقوات المنزلة، بعد أن تصدت لها قوات الثورة الفلسطينية بالأسلحة الفردية وقواذف الآر.بي.جي. كما قامت وحدات المظليين بتوسيع رأس الجسر ليلاً بعمق (٤كم) واحتلت خط الرميله – علمان – شرحبيل مؤمنة بذلك نزول باقي الوحدات المدرعة.

المعركة داخل مدينة صيدا:

تابعت القوات الإسرائيلية الغازية والمنزلة تقدمها صباح الاثنين ٧ / ٦ / ١٩٨٢م باتجاه مدينة صيدا ومداخلها الشرقية بدعم متواصل من الطيران والمدفعية، مع الإنزالات الجوية بالحوامات، وتمكنت حتى ظهر اليوم نفسه من الوصول إلى مداخل صيدا، وإلى معسكر الجيش اللبناني في الصالحية شرقاً وإلى مخيم الميه وميه، وحققت الاتصال مع القوات المهاجمة من جنوب صيدا حيث دفع العدو ببعض تلك الوحدات شمالا باتجاه الدامور، وفي الوقت الذي قام بتعزيز القوات التي دخلت صيدا بواسطة الإنزال بالحوامات وإنزالات بحرية أخرى، تمكنت القوات من الوصول إلى الشارع الرئيس بصيدا (شارع رياض الصلح)، وقد عمد العدو إلى إخلاء المدينة من السكان فألقى مناشير تحذيرية.

لم يستكمل العدو السيطرة على المدينة طوال يوم الثلاثاء ٨ / ٦ / ١٩٨٢م رغم كل وسائل الدمار التي لحقت بسبب القصف الجوي والمدفعي، وتوقفت القوات الإسرائيلية المهاجمة من الجنوب عند مداخل المدينة الصناعية ومداخل مخيم عين الحلوة، إلا أن قواتنا تمكنت من تدمير سرية دبابات مما أجبر العدو إلى الزج بقسم آخر من قواته التي هاجمت عبر هضبة النبطية، وقد وصلت القوات الإسرائيلية مساء يوم الثلاثاء ٨ / ٦ عبر محور الجباع – صيدا، واستمر القتال مع قواتنا طوال الليل في جميع قطاعات المدينة[٣٣]. وفي صباح يوم الأربعاء ٩ / ٦ واصلت القوات الإسرائيلية بالدعم المستمر للطيران تقدمها داخل المدينة حيث دارت معارك عنيفة مع قواتنا منها معركة المصرف المركزي بالقرب من السرايا، ومعركة البلدية، وقد ظلت قواتنا تقاتل داخل المدينة طيلة اليوم التالي ١٠ / ٦.

٣٣ مها معتوق، وقائع الحرب الإسرائيلية الفلسطينية في لبنان، مؤسسة مطابع معتوق، بيروت ١-٦-١٩٨٣م، ص٤٣.

معركة مخيم عين الحلوة:

بدأ العدو يطبق على مخيم عين الحلوة منذ صباح الأربعاء ٩ / ٦ / ١٩٨٢م مركزاً القصف الجوي والمدفعي على كافة أحياء المخيم، ومتقدما بأرتال الدبابات والمشاة الميكانيكية على المحاور التالية:

١- محور سيروب – عين الحلوة.

٢- محور الميه وميه – عين الحلوة.

٣- محور صيدا – عين الحلوة.

وتمكنت وحدات العدو حتى مساء ٩ / ٦ من الدخول إلى الشارع الرئيس في المخيم، إلا أن الأعمال الاستشهادية التي نفذها مقاتلونا الأبطال أدت إلى تكبيدها خسائر كبيرة، وقد تميزت العمليات داخل المخيم بتضحيات نادرة قدمتها عناصر المليشيا التابعة لحركة فتح والمنظمات الفلسطينية الأخرى، كما قدم أشبال حركة فتح نموذجا خارقا من البطولات سواء في مخيم البص أو مخيم عين الحلوة.

معارك الشوف والجبل:

لم يكن هناك أي تواجد لقوات الثورة الفلسطينية في مناطق الشوف والجبل باستثناء بعض الوحدات التي كانت مهمتها التركيز على مقاومة الإنزالات البحرية على الشريط الساحلي وحماية مدخل بيروت الجنوبي. وتحت غطاء القصف الجوي والبحري المعادي لمناطق شرق الرميلة والجية والناعمة وسفوح الدلهمية والدوحة وخلده، بدأ تقدم العدو من الجسر الأولي لجهة الشمال باتجاهين:

- جسر الأولي – بلدة جون – غريفة – بعقلين.
- جسر الأولي – الرميلة – السعديات (شحيم، حصروت – غريفا).

واستطاع العدو الوصول بالاتجاه الشمال الشرقي لبلدة بعقلين، كذلك لبلدة بيت الدين بنفس الوقت وتقدر قوات العدو التي انطلقت بهذين الاتجاهين بفرقة ميكانيكية أثر ذلك قامت القوات السورية المتواجدة في جزين بتخفيف تواجدها حيث يقع بالبلد مركز القوات السورية التابعة لقوات الردع العربية.

استمر القصف الجوي والبحري للشريط الساحلي واستطاع العدو أن يحقق نجاحا بعملية إنزال بحري على شاطئ السعديات بعد اشتباكات محدودة، وانطلق من هناك إلى بلدة الدبيه



والدلهمية حيث واجه مقاومة من القوات المتواجدة، لكن العدو استطاع أن يواصل تقدمه لجهة الشرق والشمال بعد أن توقف على المدخل الجنوبي لبلدة الدامور بفعل المقاومة العنيفة والخسائر الكبرى التي تكبدها، وخلال ذلك حاول العدو انزال آليات بالتلال شرق الدامور والسعديات وخلده بوساطة الطائرات المروحية، إلا أنه لم يحقق نجاحا وتم تدمير حوالي ٣٤ آلية مختلفة وقتل وجرح خمسون من قواته، وقد تم شن عدد من الغارات الليلية على مواقع وآليات العدو بالمنطقة وتكبد بها العدو عدداً من الخسائر، وحاول ثانية دخول بلدة الدامور بعد أن سيطر على مدخلها الجنوبي ومرتفعاتها الشرقية وواصل تقدمه للشرق إلى بلدة بعورتا وللشمال باتجاه بلدة خلده.

شاركت جميع القوات الفلسطينية والحركة الوطنية في التصدي لقوات العدو وبالتعاون مع العقيد عبد الله صيام كانت هناك سيطرة على الموقف وتم تنفيذ عدد من الغارات الليلية على مواقع العدو، وأبقى على الوحدات للقتال خلف خطوط العدو بمنطقة الدامور وبالمساء واصل العدو تقدمه باتجاه خلده وحصلت معركة كبيرة تم تدمير أربع آليات للعدو وأسر واحدة صالحة وقتل جميع من فيها، وكان من أبرز المدافعين المناضل جمال درباس والملازم أول مازن زكريا وزوجته وكانوا أبطالاً بهذه المعركة.

وتمكنت قواتنا وقوات الصاعقة وحركة أمل من السيطرة على دبابة والكل كان يريد أن يحصل عليها وكادت تدور معركة بين التنظيمات الثلاثة وقام الملازم أبو علي الشورت بالاتصال بي حيث كنت متواجداً في غرفة عملياتنا في منطقة الأوزاعي. تحركت فورا إلى موقع الاشتباك وكان الكل متمترس ويده على الزناد وكانت قواتنا هي المسيطرة على الموقف، أما حركة أمل فكانت تريد سحب الدبابة إلى مكتبها في مدينة الزهراء، وكان النقيب أحمد الحلاق يريد سحبها إلى مكتب الصاعقة في صبرا، وكان مقاتلي الـ١٧ يريدونها في مكتب الفاكهاني، أخذت خطوة أولى ذهبت لمكتب الأستاذ نبيه بري حتى أجد حل لهذه المشكلة، واتصلت بـ سعد صايل الذي أمرني فوراً بالتخلي عن جلب الدبابة والعمل على حل الموضوع بين الأخوة، إذا بقي الأمر بين طرفي أمل والصاعقة وبعد تفاوض وجدل استمرا أكثر من ساعة اقترح الحلاق أن يأخذ الدبابة فقط لمكتب الصاعقة لمدة نصف ساعة ثم يعيدها لحركة أمل، هنا أصرت أمل بأنه لا يمكن أن تتحرك الدبابة من مكانها والكل كان يسعى لتصوير الدبابة إعلاميا وكأن تنظيمه هو من قام بأسرها، وقمت واتصلت بالأخ الرائد محمد دغمان مسؤول الصاعقة وتم الاتفاق معه بأن تترك الدبابة مكانها لتتسلمها حركة أمل وذلك بسبب قربها من مكتبهم.



الدبابة التي تم أسرها في خلدة وتم الخلاف على من يحتفظ بها

استطاع العدو السيطرة على مثلث قبر شمون يوم ١٠ / ٦ / ١٩٨٢م بعد أن سيطر في اليوم السابق على مرتفعات بعورتا وثم شن عدة غارات ليلية على قبر شمون وخلده وحاول العدو إنزال قوات بحرا مقابل الدوحة إلا أنه فشل بسبب المقاومة وكذلك قام بمحاولة أخرى مقابل مدينة الزهراء وتم صده أيضا، ودارت معركة عنيفة مع كتيبة من قوات بدر كانت قد وصلت في اليوم السابق لمثلث قبر شمون ولكن استطاع العدو السيطرة على مثلث قبر شمون.

واصل العدو تعزيز مواقعه يوم ١١ / ٦ / ١٩٨٢م التي استمرت بمنطقة الدامور وشرق السعديات وقبر شمون وواصل تقدمه بالجبل حتى مثلث قبر شمون إلى كيفون وبيصور وشملان وسوق الغرب، في هذه الأثناء استدعاني العقيد أبو الوليد وكان قد علم سابقاً أن لدينا معسكر بالجبل ولنا تنظيم من الإخوة الدروز أكثر من ٤٠ مقاتل وكان يقودهم الملازم أول غسان مكارم، وفوراً طلب مني استدعاء غسان وحينما حضر تم وضع خطة لديه بأن تقوم المجموعات على عمليات خلف خطوط العدو وكل ما طلبه غسان من أسلحة وذخائر قد استلمها كما اقترح أبو الوليد أن أدعم هؤلاء المقاتلين ببعض الضباط الذين لهم خبرة قتالية ومعرفة بالمنطقة وهنا تبرع الرائد ابراهيم اسحق العلمي (أبو ابراهيم) أن يكون على رأس هذا الفصيل وتم تجهيزه وارسل مع غسان، وفي ١١ / ٦ / ١٩٨٢م خاض مقاتلونا المعركة بجدارة حيث استشهد من قواتنا الرائد ابراهيم اسحق العلمي (أبو ابراهيم) وجميع أفراد الفصيل وعددهم ٣٥ مقاتل. وبرز في تلك المعارك مجموعات القطاع الغربي ومقاتلين من كتيبة الجرمق.



تم تعزيز الجبل من الاتجاه الشرقي بمجموعات «بي ٧» من قوات الكرامة واليرموك يوم ١٣ / ٦ / ١٩٨٢م كذلك تم إرسال وحدتين من قوات الكرامة لمنطقة عاليه وصوفر، واستلمت قيادة قوات الكرامة قيادة الجبل يوم ١٤ / ٦ وبدأت يوم ١٥ / ٦ وحتى ٢١ / ٦، الاشتباكات المتبادلة على محور كيفون – بيات – رأس الجبل وتم تنفيذ عدد من الإغارات الليلية خلف خطوط العدو ويوم ٢٢ / ٦ ركز العدو هجومه على بلدة المنصورية بعد قصف شديد بالمدفعية والطيران إلا أن قواتنا والقوات السورية استطاعت صده وتدمير عدد من الآليات وقتل وجرح أعداد كبيرة من أفراده واستمرت محاولات العدو للسيطرة على رويسات النعمان والمنصورية حتى صباح يوم ٢٣ / ٦، وقد تكبد العدو خسائر كبيرة.

دور قوات الـ١٧ في المعركة:

لقد صنع مقاتلوا قوات ال١٧ ملحمة البطولة في معارك خلدة، كانت الأوامر واضحة من أبي عمار بأنه يجب الصمود ووقف تقدم العدو حتى استكمال تحصين مدينة بيروت التي كانت من مسؤولية قوات الردع العربية، وعندما لم تقم تلك القوات بمسؤولياتها كان علينا أن نحصن المدينة ولتعزيز صمود خلدة دفعت بسرية مشاة مجهزة بعشرين قاذف (R.B.G)، وعشرين دكتريوف، وأربعين كلاشن مقنبل وخمسة غرينوف معدل إضافة إلى الكلاشينات العادية وكانت تلك السرية تحت إمرة قائد محور خلدة الملازم أول محمد الغزاوي وتم توزيعها على شكل كمائن على امتداد طريق الشاطئ ابتداء من محطة اورينت، مثلث خلدة، مصنع شمعون، بنايات المهجرين، مسبح الفاميلي بيتش ولغاية منزل النائب مجيد أرسلان. ثم دفعت بسرية ثانية بقيادة الملازم أول أبو علي الشورت والملازم أول زياد وتمركزت تلك السرية على شكل كمائن بين البنايات والأشجار بمدينة الزهراء، بالإضافة إلى فصيل أشرف على المنطقة من قصر النائب مجيد أرسلان ولغاية فندق ليبانون بيتش، وللدعم اللوجستي أرسلت فصيلاً ثالثاً محمولاً على سيارات (BTR) وتم توضيع مدفع بالقرب من الرادار السوري فوق تلال أول منطقة الدوحة والكسارات وأضيف لكل هذه القوات سرية المليشيا المسلحة بالقنابل اليدوية وقواذف (RBG) ووضعت هذه السرية أيضا تحت إمرة الملازم أول محمد الغزاوي.

جميع هذه القوات أرسلت لتعزيز خلدة بينما كانت المعارك تدور على أشدها في الدامور والناعمة والتي سبق أن أرسلت إلى هناك سرية بقيادة النقيب سعد الدين لإسناد قوات العقيد

عبد الله صيام[٣٤] الذي جاءنا متطوعا فجهزنا له القوات والسلاح وأبدى صمودا رائعا وقتلت قواته الجنرال يكتوئيل آدم نائب رئيس أركان العدو. ومن أبرز البطولات خلال تلك المعارك أن الضابط السوري (موفق) استطاع تدمير سبع دبابات للعدو، حيث كانت سرية للقوات السورية ما بين محيط المطار وبداية مدخل برج البراجنة، وقد أبلت هذه السرية بلاءً جيداً في القتال.

وعندما تقدمت وحدة من اللواء المدرع الإسرائيلي بقيادة العقيد (جيبع) من منطقة الناعمة باتجاه خلدة، بدأت بالانعطاف نحو الطريق الرئيسي المؤدي إلى بيروت وواصلت سيرها إلى الشمال من منطقة قريبة من الشاطئ على الطريق القديم الممتد من أول الناعمة ولغاية مثلث خلدة حيث تنتشر على هذا الطريق الفنادق والشاليهات، فأمرت القوات بعدم التصدي المباشر لها وتركها حتى تتوغل داخل المنطقة ثم الانقضاض عليها فتم إعطاب دبابتين مقابل مدينة الزهراء ولم يستطع العدو سحبهما من ساحة المعركة وتدمير دبابتين أخرتين مقابل مسبح الفاميلي بيتش، كما تم حصار سرية مشاة وجرى التعامل معها بكافة أنواع الأسلحة وقد أبيد أكثر من نصفها، مما اضطر العدو إلى التراجع والانسحاب باتجاه الدامور، فخرجت له مجموعاتنا من البنايات تلاحقه ودمرت له ثلاث دبابات أخرى كانت على الطريق القديم عند ملتقى الطريقين إلى الأوتوستراد.

لم يقتصر قتال قوات ال١٧ على الجنوب ومناطق الجية والدامور والناعمة وخلدة والأوزاعي والتصدي للحرب النفسية التي استخدمها العدو أثناء حصار بيروت وإنما شمل معارك التلة الحمراء الأولى والثانية (المزبلة) والكوكودي والمطار والسمرلاند وغيرها، مما قمت بذكر تفاصيلها في كتابي (زلزال بيروت- القاطع الثالث) حيث يمكن لأي باحث أو متابع الرجوع إليه بعد أن أعيدت طباعته للمرة السادسة عن دار الشيماء للنشر والتوزيع، رام الله٢٠٠٧م.

---

٣٤ العقيد عبد الله صيام: من مواليد قرية الجورة ١٩٣٤ وتلقى تعليمه الإبتدائي فيها من أوائل مهندسي الطيران الفلسطينيين الذين تخرجوا من جامعة القاهرة، عمل مهندس طيران في القوات العراقية، ثم التحق بصفوف جيش التحرير الفلسطيني كضابط مدفعية، اشتهر بصلابته في القتال، لم يكن مسؤول قاطع أو محور في معركة ١٩٨٢ لكنه كعادته يتقدم لملاقاة العدو، ومنذ ان بدأت معركة بيروت حضر لمكتبنا مع الشهيد اللواء محمد قنن «أبو النور» (من قوات الـ١٧) الذي كانت تربطه به صداقة حيث انهما من بلدة الجورة، حضر الأثنان وطلبوا مني تجهيز سرية لتكون تحت إمرتهم للذهاب بها إلى الدامور – حارة الناعمة لان الأخبار كانت ترد إلينا بأن العدو الإسرائيلي قد استطاع الإنزال على جسر الأولي، ومن هناك يريد التقدم باتجاه طريق الساحل – الجيه – الدامور – حارة الناعمة، استشهد عبد الله صيام في هذه المعركة بعد ملحمة بطولية.

شهادة أبو العبد الحجاوي عن معارك الشوف والجبل:

ليس من الإنصاف أن نذكر معارك الشوف والجبل دون أن نشير إلى دور قوات الإسناد التي تمركزت في البقاع حيث يتحدث أبو العبد الحجاوي وهو من الضباط المميزين في قوات ال١٧ عن تشكيل وتموضع هذه القوات في البقاع فيقول: كلفني أبو الطيب بالعمل على تشكيل قوات الـ١٧ في منطقة البقاع، وفعلا تحركت إلى منطقة بعلبك وقمت باستئجار مكتب وبدأت بالتجنيد والتسليح كما كان هناك دور في التسليح للأخ الشهيد أحمد الأسعد قائد قوات الـ١٧ في منطقة الشمال وفي خلال مدة بسيطة قمنا بالتوسع في المنطقة حيث كان لنا تواجد في ٢٧ ضيعة لبنانية وكان من أهم واجباتنا تأمين طريق القوات من البقاع إلى طرابلس فكان لنا تواجد في شتورة حتى كنيسة الضنيات شمالا، كما كان لنا مركزا في الهرمل وفي النبي عثمان وبلدة قصّة.

في معارك ١٩٨٢م وبناءً على تعليمات أبي الطيب قمنا بإرسال مجموعات إلى بيروت وكانت بقيادة الشهيد جمال البقاعي والشهيد نبيل وشاركت هذه المجموعات في معارك بيروت وتمكنوا من اسر رقيب في الجيش الإسرائيلي. وقام جمال البقاعي ونبيل بنقله في صندوق سيارة خاصة وفي طريق عودتهم اشتبكوا مع القوات الإسرائيلية في منطقة المونتفردي، فقاموا بقتل الرقيب الإسرائيلي قبل أن يستشهد جمال البقاعي ونبيل.

وقمنا بإرسال سرية إلى منطقة يحمر وسحّر وهناك اشتبكنا مع العدو في أكثر من موقع وكان قائد السرية المرحوم الشهيد البطل أبو الغصون وهو ضابط عراقي متمرس حيث قام بتدمير دبابتين إسرائيليتين عند عودتنا إلى المقر بالقرب من سد القرعون فقامت الطائرات الإسرائيلية بقصف قواتنا واشتبكنا معها واستشهد أبو الغصون وعلي الزكره وضابط إداري اسمه أبو جهاد، وتم دفنهم في مقبرة مخيم الجليل في بعلبك.

تقدم القوات الإسرائيلية لحصار بيروت:

وصلت القوات الإسرائيلية ابتداء من يوم ٩ / ٦ / ١٩٨٢م إلى الشوفين (الأعلى والأوسط) والساحل الممتد من خلدة إلى السعديات مرورا بالدامور، ففي منطقة الشوف الأعلى توقف التقدم الإسرائيلي عند مشارف عين زحلتا بعد أن أدخلت إلى المنطقة أرتال جديدة من الآليات انتشرت في القرى المحيطة، كما تقدم الإسرائيليون نحو الشوف الأوسط من محورين ووصلوا إلى بلدة شحيم ومشارف كفرحيم. أما على المحور الساحلي فقد كثفت القوات الإسرائيلية

عملياتها البرية والبحرية والجوية، وحاولت احتلال الدامور لكنها فشلت بعد معارك دامية تكبدت خلالها خسائر مرتفعة في الجنود والضباط والآليات كما حصل إنزال مظلي في خلدة تصدت له القوات الفلسطينية وتمكنت من تدمير سبع دبابات والاستيلاء على ناقلتي جند واضطرت القوات الإسرائيلية إلى التقهقر وإعادة تجميع الآليات في منطقة تلال الدوحة وكانت هذه القوات تهدف من كل هذه المعارك إغلاق المنافذ من بيروت وإليها استعداداً لحصارها.

دخل الغزو الإسرائيلي للبنان يومه السابع صباح يوم الخميس ١٠ / ٦ / ١٩٨٢م، واتسعت رقعة المواجهات لا سيما في خلدة التي كرر العدو محاولات الإنزال فيها لكنه فشل تماماً، مما جعل العدو يلجأ إلى تكثيف القصف الجوي والبحري والبري على خلدة والناعمة وعرمون والدوحة، وتزامن كل ذلك مع قصف جوي لأحياء داخل بيروت وضاحيتها الجنوبية، فقد قصفت المدينة الرياضية ومنطقة الفاكهاني، ومخيمات صبرا، وشاتيلا وبرج البراجنة ومحيط مطار بيروت.

في مطلع الأسبوع الثاني (يوم الجمعة ١١ / ٦ / ١٩٨٢م) تم الإعلان عن وقف إطلاق النار الساعة الثانية فجراً وأعلنت (م.ت.ف) قبولها بذلك، إلا أن الطائرات الإسرائيلية واصلت قصف بيروت والجبل كما شاركت القطع البحرية الإسرائيلية في قصف الأماكن الساحلية حيث تواصلت المعارك على الخط الممتد من الأوزاعي وخلدة وبرج البراجنة والشويفات وخط سوق الغرب– عاليه. وكان خليل الوزير قد كلف المقدم عبود (أبو إبراهيم) بالتوجه لمنطقة الجبل بهدف تجميع المقاتلين المنسحبين من الجنوب والسيطرة على القوات التي تصل للجبل عن طريق قبر شمون كذلك لأي قوات تصدر إليها تعليمات بالتواجد ضمن في الجبل ثم تم تكليف محمود العالول وحليم والدكتور محمد حمزه بتلك المهمة في الجبل، ووصل أيضاً للمنطقة العقيد مطلق حمدان على رأس أربعين من كوادر وأفراد الكلية العسكرية وعلى رأسهم سميح نصر الناطور ومعتصم وكتيبة من قوات بدر ووحدة من الكتيبة المحمولة وأخرى من الفوج المدرع وما تبقى من كتيبة الجرمق.

وفي يوم ١٢ / ٦ / ١٩٨٢م ادعت إسرائيل بعد ١٨ ساعة من القصف الجوي على أحياء بيروت والضواحي الجنوبية في برج البراجنة وحي السلم وخلدة والجبيل، أنها ملتزمة بوقف إطلاق النار مع (م.ت.ف) دون أن يعني ذلك إجراء مفاوضات معها، لكنها لم تلتزم بذلك عملياً حيث أن القوات الإسرائيلية تقدمت في اليوم التالي (١٣ / ٦ / ١٩٨٢م) واحتلت بعبدا وسرايا

الحكومة والمستشفى الحكومي في بيروت الشرقية ثم واصلت تقدمها إلى ضاحية (الحدث) وصولاً إلى مشارف الشويفات، وبذلك أحاطت القوات الإسرائيلية بالقصر الجمهوري، وكان شارون على رأس تلك القوات المتقدمة[٣٥].

وفي الوقت نفسه تجدد القتال على محور (خلدة- الأوزاعي) ورافقه قصف مدفعي وصاروخي من البر والبحر والجو شمل عدة أحياء في بيروت الغربية والضاحية الجنوبية والمطار.

القوات الإسرائيلية على مشارف بيروت:

وسعت إسرائيل يوم ١٤ / ٦ / ١٩٨٢م نطاق احتلالها لمشارف بيروت في محاولة لعزل الضواحي والجبل، وتقدمت القوات الإسرائيلية حتى وصلت إلى «عين سعادة» كما تحركت بعض تلك القوات المتمركزة في بعبدا في ثلاثة اتجاهات:

١. القوة الأولى تقدمت إلى ضهور الشويفات ومفترق عرمون وقطعت الجسر الذي يفصل مفترق عرمون عن مفترق بشامون وعززت أوضاعها على طريق المعروفية- بسابا.

٢. القوة الثانية عبرت طريق الشام وتحركت من الحازمية إلى الفياضية واليزرة وأقامت مراكز ثابتة قبالة ثكنة الجيش اللبناني في الفياضية وقوة أخرى قرب منزل قائد الجيش اللبناني العماد فيكتور خوري.

٣. القوة الثالثة سلكت طريق الحازمية- جسر الباشا وتوجهت إلى المكلس ومنها إلى المنصورية ثم تمركزت على الطريق الذي يربط المتن الشمالي بالمتن الأعلى.

وواصلت القوات الإسرائيلية يوم ١٥ / ٦ / ١٩٨٢م تقدمها في ضواحي بيروت وعلى مشارفها واحتلت بلدة بيت مري في المتن الشمالي ودير القلعة، وفي بعبدا اقتحمت القوات الإسرائيلية البلدة وكذلك الحدث والحازمية وبلدة الشويفات وقامت بقصف مركز على القوات الفلسطينية امتداداً من خلدة حتى محيط المطار، كما قطعت طريق بيروت – دمشق الدولي في محلة الجمهور إضافة إلى عدة طرق في قرى قضاء عاليه، واستمرت القوات في الانتشار شرق وشمال شرق بيروت على نحو يسمح لها بتحقيق السيطرة على المخيمات الفلسطينية من الخلف واستمرار مهاجمتها من الجنوب.

---

٣٥ موقع المقاتل، الإجتياح الإسرائيلي للجمهورية اللبنانية، ١٩٨٢م (سلامة الجليل) موضوعات سياسية وعسكرية (١٨/ ١/ ٢٠١٢م)

بدأت القوات الإسرائيلية صباح ١٦ / ٦ / ١٩٨٢م قصف الضاحية الجنوبية وبرج البراجنة وحي السلم ومطار بيروت حيث أحرقت عدة طائرات مدنية لبنانية كما تكثف القصف على طول المحور الممتد من الأوزاعي إلى مطار بيروت ومخيمات برج البراجنة وصبرا وشاتيلا وصحراء الشويفات، وفي هذا اليوم انضمت ميليشيات الكتائب إلى القوات الإسرائيلية بعدما عمدت في الأيام السابقة إلى قطع شبكات الماء والكهرباء عن بيروت الغربية الأمر الذي زاد من مأساة السكان، وقد واجهت القوات الإسرائيلية وميليشيات حزب الكتائب خلال هذا اليوم معارك طاحنة خاضتها قوات (م.ت.ف) لمنع تلك القوات المهاجمة من السيطرة على كلية العلوم بضاحية كفار شيما جنوب شرقي بيروت والتي يعني سقوطها فتح المجال أمام القوات الإسرائيلية وحلفاءها للوصول إلى المداخل الجنوبية لمخيم برج البراجنة وعلى حافة ممر الإقلاع الرئيس في مطار بيروت.

خلال هذه المواجهات المحتدة مع قوات العدو لمنع تقدمها لإحكام السيطرة والحصار على بيروت الغربية كنت متواجداً في غرفة العمليات بالأوزاعي، فدعوت إلى اجتماع طارئ لجميع ضباط وكوادر قواتنا وطلبت منهم وضع كمائن على طول خط المواجهة مع العدو بحيث يتكون كل كمين من ثمانية عناصر ولكل كمين ضابط ومهمة تنحصر في هدفين أولهما عمل مكامن لقوات العدو في حال التقدم وثانيهما عدم السماح للعدو بالتقدم باتجاه المنطقة الفاصلة كما حصل على سبيل المثال أثناء وقف إطلاق النار الأول حين وصل العدو إلى مثلث خلدة وكانت قواتنا موجودة في أول الأوزاعي عند موقع البناء القديم للجيش اللبناني، قرب المدرج الغربي للمطار، وكان تموضع كمائننا في مصنع شمعون، مثلث خلدة، كفر شيما، راديو اورينت، الآثار، وكانت هذه الكمائن تبعد عن قواتنا مسافة كيلومترين، وقد تم الاتفاق مع محمد جهاد على تجهيز عشرة كمائن أخرى من قواتنا وقوات أجنادين، كما تم فرز سرية مضادة الدبابات بقيادة الملازم أول عبد الرحمن صالح لتكون قوة إسناد لتلك الكمائن التي وضعت بكامل آلياتها المحمولة وتوزعت في أول الأوزاعي تنفيذا لنظرية الدفاع الثابت والمتحرك.



أبو عمار، أبو الوليد، أبو الطيب في جبل الشوف قبل الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢م



أبو عمار أثناء تفقد القاطع الرابع ويظهر برفقته سعد صايل (أبو الوليد)، ومحمد جهاد، وخطاب

إسرائيل تقصف وعملاء الداخل يفجرون:

منذ الأيام الأولى للغزو الإسرائيلي تواصل قصف بيروت جواً وبراً وبحراً، كان عملاء الداخل ينفذون مخطط موازي حيث نشطوا في تفجير السيارات والعبوات المفخخة بهدف ترويع السكان في أحياء بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية، وكما فشل مخطط الغزو في كسر إرادة الصمود الفلسطيني واللبناني فقد فشل أيضا مخطط التفجيرات الداخلية التي نستعرض بعضها وفقا للتسلسل الزمني لتلك التفجيرات[٣٦].

- ١١ / ٦ / ١٩٨٢م: وقع انفجار عنيف في بناية جورج روزلي المؤلفة من سبعة طوابق بمحلة المنارة أدى إلى تهدم جزء فيها ومقتل (٧) من سكانها وإصابة (١٦) آخرين بجروح في حين ظل عدد من الأحياء والقتلى تحت الأنقاض واستمرت أعمال الدفاع المدني لإنقاذهم ومعظم الموجودين في البناية هم من المهجرين.
- ١٤ / ٦ / ١٩٨٢م: في الساعة الثامنة مساء انفجرت سيارة ملغومة في محلة ساقية الجنزير قرب بناية الكعيلي أدى انفجارها إلى إصابة (١٨ شخصاً) بجروح وأحدث أضراراً جسيمة. وفي طرابلس بالشمال انفجرت سيارة ملغومة أمام مقر "اللجنة الأمنية" في محلة الزهرية فأوقعت عددا من القتلى والجرحى وأضرارا جسيمة.
- ١٨ / ٦ / ١٩٨٢م: وقع انفجار في الباخرة (ترانزيت) في طرابلس أدى إلى مقتل (١٢) وفقدان (١٣)، وتبين أن الانفجار ناتج عن عبوتين زنة كل منهما (٢٥ كلغم) من مادة (تي أن ت) وقد وضعت الأولى تحت الجانب الأيسر من غرفة القيادة والثانية تحت الجانب الأيمن.
- ١٩ / ٦ / ١٩٨٢م: انفجرت عبوة ناسفة تحت سيارة في محلة الوتوات في الظريف فأحرقت عدة سيارات.
- ٢٢ / ٦ / ١٩٨٢م: انفجرت سيارة ملغومة الساعة الخامسة في شارع فردان عند المفرق المؤدي إلى ساقية الجنزير على بعد أمتار من مركز سيّار قوى الأمن الداخلي وأوقع الانفجار قتيلين وأربعة جرحى وحطم عشرات السيارات. وانفجرت عبوتان ناسفتان ضخمتان في وقت واحد الأولى في سيارة نقل كبيرة والثانية داخل مبنى بجانب نادي الضباط في محلة الزيتونة، وأدت عمليتا التفجير إلى مقتل (٤٠ مواطناً) وجرح (١٢٣)

---

٣٦ مها معتوق، وقائع الحرب الإسرائيلية الفلسطينية في لبنان، (وقائع الأيام من ٦/٤ إلى ١٩٨٢/٨/٣٠م)، مصدر سابق.



وتدمير المبنى وإصابة المباني المجاورة وكان توقيت الانفجار تمام الساعة الخامسة وخمسة وأربعين دقيقة بعد الظهر وقدرت زنة العبوتين بحوالي (٣٠٠ كلغم) من مادة (تي ان تي) شديدة الانفجار.

- ٢٤ / ٦ / ١٩٨٢م: الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً انفجرت سيارة أمام مستوصف الإمام الحسين في الشياح مستهدفة المستوصف ونتج عن الانفجار وقوع قتيلين وعدد من الجرحى.
- ٢٧ / ٦ / ١٩٨٢م: الخامسة بعد الظهر انفجرت عبوة ناسفة تحت سيارة من طراز (رينو – ٥) رقمها ٤٧٤١٨٦ تملكها الموظفة في وكالة الصحافة الفرنسية نادرة صولة وأدى الانفجار إلى تدمير عدد من السيارات التي كانت تقف في الجزار ووقوع قتيلين وعدد (١٢ جريح).
- ٣٠ / ٦ / ١٩٨٢م: التاسعة إلا ربع مساء دوى انفجار قوي في منطقة رأس بيروت وتبين أن عبوة ناسفة انفجرت على مدخل دار الطائفة الدرزية في شارع فردان، وقدر وزن العبوة بـ (٢٠ كلغم) من مادة (تي أن تي) شديدة الانفجار بالإضافة إلى (٢٠ كلغم) من مادة الهكسوجين وأدى الانفجار إلى تهدم أعمدة المدخل وتحطيم زجاج القاعات والمباني المجاورة.
- ١٣ / ٧ / ١٩٨٢:م الساعة السادسة والدقيقة الثانية والعشرين مساء اليوم وقع انفجار في بؤرة تقع وراء مركز الأبحاث الفلسطيني في نزلة أبو طالب في رأس بيروت أدى إلى سقوط (٣٤ جريحاً) وأضرار مادية جسيمة واحتراق (١٢ سيارة).
- ٦ / ٨ / ١٩٨٢م: انفجرت سيارة مفخخة في محلة الصنايع أمام المدخل الجنوبي لمبنى الإذاعة اللبنانية ووزارتي الإعلام والسياحة أدت إلى إصابة (١١ شخصا) الساعة الخامسة وعشرين دقيقة، بعد ثلاث ساعات فقط من تدمير مبنى عسكر من قبل طائرات العدو الصهيوني.
- ١٠ / ٨ / ١٩٨٢م: قتل تسعة أشخاص وجرح (٢٩ آخرين) في انفجار سيارة ملغومة قبل ظهر اليوم في الشارع الرئيس بمدينة طرابلس حيث يقع تمثال المرحوم عبد الحميد كرامي، واحترقت نتيجة الانفجار عشرون سيارة وتطايرت شظايا زجاج الأبنية في دائرة قطرها ٥٠٠ متر.

ضغوط وتدخلات أمريكية:

اتخذ المستشارين الخاصين للرئيس الأمريكي ريغان موقفا حازما من الغزو الإسرائيلي خاصة جيمس بيكر، وادوين ميز، وميشال دافير وكذلك وزير الدفاع كاسبار واينبرغر والقاضي جيمس كلارك والوحيد في الإدارة الأمريكية الذي ظل مؤيدا للموقف الإسرائيلي هو وزير الخارجية الكسندر هيج. وبعد بعد المكالمة الهاتفية على الخط الأحمر بين الرئيسين الأمريكي والسوفييتي، أوفدت واشنطن فيليب حبيب إلى الشرق الأوسط.

وإزاء الانقلاب في الموقف الأمريكي قرر مناحيم بيغن زيارة نيويورك يوم ١٥ / ٦ / ١٩٨٢م، حيث نزل في فندق ولدورف استوريا، وفي ١٦ / ٦ / ١٩٨٢م أبلغه الكسندر هيج بضرورة السماح للمبعوث الأمريكي فيليب حبيب بالحصول على اتفاق يضمن خروج الفلسطينيين سالمين من بيروت وأن يوافق على وقف إطلاق النار، لكنه أشار في سياق الحديث بأن على إسرائيل أن تنجز عملها الرامي إلى استئصال (م.ت.ف) من بيروت وأن تتولى القوات اللبنانية تلك المهمة.

وعندما أصر بيغن على مقابلة الرئيس ريغان الذي استقبله بفتور شديد، وحاول أن يقنع الرئيس الأمريكي بأن إسرائيل كانت في حالة دفاع عن النفس وأن هدفها هو القضاء على الإرهاب العربي في لبنان الذي تموله موسكو، لكن ريغان رفض الحجة الإسرائيلية مشيراً إلى أن إسرائيل قد زعزعت مكانة واشنطن في العالم العربي وكادت تثير أزمة مفتوحة في العلاقات الأمريكية – السوفييتية وطلب الإسراع بانسحاب القوات الإسرائيلية، فأجابه مناحيم بيغن متعهدا بعدم دخول الجيش الإسرائيلي لبيروت الغربية. خرج رئيس الوزراء من لقائه مع الرئيس الأمريكي موجها أمر فوري لشارون بضرورة البدء بأسرع وقت ممكن بعملية تصفية (م.ت.ف) في بيروت بواسطة القوات اللبنانية وبدعم من إسرائيل.

انتقل فيليب حبيب وبصحبته السكرتير الأول في السفارة الأمريكية ريان كروكر والوزير مروان حماده إلى المختارة يوم ١٧ / ٦ / ١٩٨٢م حيث تم اللقاء مع وليد جنبلاط الذي أطلق على نفسه خلال لقاء مع التلفزيون الإسرائيلي لقب "السجين السياسي" وكان فريق تلفزيوني إسرائيلي قد زاره في المختارة بعد أن اعتصم في قصره هناك بصحبة والدته، ونقل إليه فيليب حبيب رسائل من الرئيس ريغان والرئيس سركيس يطلبون منه الانضمام إلى لجنة السلامة العامة، وأقنعه بالانتقال إلى منزله في المصيطبة غرب بيروت حيث كان ينتظره قادة الأحزاب اليسارية اللبنانية، الذين سبق أن اتهموه بعدم خوض القتال رغم ما كان لديه من أسلحة، فرد

جنبلاط قائلاً: لم أكن قادراً على مقابلة الماكينة الحربية الإسرائيلية، ودوري هو الدفاع عن طائفتي لا إحصاء الشهداء، ولكن سرعان ما طويت صفحة الاتهامات وكلف وليد جنبلاط بأن يعرض في اللجنة الشروط التي تضعها الحركة الوطنية اللبنانية و(م.ت.ف).

مراوغة السوريين:

وردت إلينا معلومات يوم ١٨ / ٦ / ١٩٨٢م أفادت بأن كتيبة الدبابات السورية قد غيرت مواقعها من منطقة الكوكودي في الجهة الشمالية لمطار بيروت، وهي عبارة عن تلال رملية توصل تقاطع طرق تمتد نحو دوار المطار – الحسينية – الرمل العالي وباتجاه حي السلم وبرج البراجنة وعلى الفور أمرت بتحريك السرية الموجودة في بئر حسن بقيادة الملازم «أمين بسيسو» وفصيل مشاة من معسكر بئر حسن أيضا بقيادة الملازم «جمال»، وفصيل مضاد طائرات من كتيبة النقيب أبو عوض في مار إلياس لتحل محل القوات السورية المنسحبة، وكنت قد عقدت اجتماعاً مع قادة الكتائب النقيب أبو سفيان عن المعسكر، النقيب زياد حموري قائد كتيبة الدبابات، النقيب أبو عوض قائد كتيبة م / ط وطلبت منهم وضع محور جديد يكون امتداداً لقواتنا الموجودة في الرمل العالي وبرج البراجنة.

كان وزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام يستقبل يوم ١٩ / ٦ / ١٩٨٢م وفداً من القوات الكتائبية على رأسه كريم بقرادوني ويضم جورج سعادة وجوزيف أبو خليل بهدف استطلاع الموقف السوري من وجود (م.ت.ف) في لبنان[٣٧]. وبعد أن طلب خدام من الوفد اللبناني لاستطلاع موقف الرئيس حافظ الأسد، عاد فأكد لهم أن دمشق تنظر بعين الرضا إلى تشكيل حكومة إنقاذ وطني يمكن لها أن تطلب انسحاب القوات السورية، إلا أنه يتمنى ألا تجري هذه المناقشات تحت الضغط الإسرائيلي.

ليس في نية الفلسطينيين أن يستسلموا:

توقفت الغارات الجوية الإسرائيلية على بيروت الغربية صباح اليوم نفسه وفقاً لتعهدات مناحيم بيغن للرئيس الأمريكي، وأسفر هذا التوقف عن حصول نزوح مزدوج، فحصل نزوح للسكان من بيروت الغربية إلى الشرقية نحو المنطقة المسيحية بقصد الاحتماء واجتاحت نقطة عبور المتحف الوحيدة موجة عارمة من النازحين الذين كانوا يخضعون لتفتيش دقيق على حاجز للجيش الإسرائيلي ثم لحاجز آخر من قبل عناصر القوات اللبنانية، أما النزوح الآخر

---

٣٧ جوزيف أبو خليل، قصة الموارنة في الحرب، ط٦، بيروت٢٠٠٥، ص٢٠٤، مصدر سابق.

فكان نزوح آلاف من اللاجئين الفلسطينيين والشيعة الذين غادروا الضاحية الجنوبية لبيروت نحو الشمال هرباً من المعارك والقصف الجوي، واستقروا في المباني التي غادرها أصحابها، وفي شارع الحمراء احتل النازحون المباني الإدارية والمدارس.

وفي ذات اليوم اجتاز كل من رئيس الوزراء شفيق الوزان ونبيه بري ووليد جنبلاط بحراسة موكب من قوى الأمن الداخلي اللبناني وحرسهم الشخصي معبر غاليري سمعان وعبروا خط التماس باتجاه القصر الجمهوري في بعبدا، حيث كان يجب أن تنعقد أول جلسة للجنة السلامة العامة[٣٨].

وفي داخل قاعة الاجتماع بالقصر الجمهوري كان يجلس إلى جانب الرئيس إلياس سركيس رئيس الوزراء شفيق الوزان، وفؤاد بطرس، وفي مقابلهما جلس نصري المعلوف ونبيه بري ثم بشير الجميل ووليد جنبلاط، وطلب الرئيس سركيس في بداية حديثه ضرورة العمل في اتجاه واحد، فيما شدّد رئيس الوزراء شفيق الوزان على أن الوضع يستلزم عملاً مشتركاً، فرد نائب الروم الكاثوليك نصري المعلوف قائلاً: علينا أن نحدد معا مستقبل البلاد ودعمنا للقضية الفلسطينية، فقاطعه بشير الجميل قائلاً: يبدو لي أنك تبحث الوضع في المالوين وليس في لبنان، فبيروت تحترق، وعلى أرضنا (٦٠،٠٠٠) جندي إسرائيلي، والفلسطينيون لم يتوقفوا عن لعبة الحرب، والإسرائيليون يريدون إخراج الفلسطينيين، فهل هؤلاء مستعدون لذلك.؟ إذا كان الجواب بالإيجاب فيجب أن ندرس آليات تطبيقه..؟

- رد وليد جنبلاط على بشير الجميل قائلاً: ليس في نية الفلسطينيين أن يستسلموا، إنهم يطلبون أن يتراجع الجيش الإسرائيلي خمسة كيلو مترات وإعطائهم مهلة شهر قبل الإقدام على أي شيء.
- رد بشير الجميل: أما زال سنّة بيروت يأخذون في الاعتبار أكاذيب ومناورات أبي عمار.؟ هل يقبل السنّة اقتراح عرفات.؟
- رد رئيس الجمهورية: أنا أؤيد ما قاله الشيخ بشير.
- انتفض وليد جنبلاط وقال: هذا يعني أنك ستنقل إلينا أوامر مناحيم بيغن.؟
- رد رئيس الجمهورية بحدة: لو كنت أنا من اجتمع مع شمعون بيريز أو استخدم التلفزيون الإسرائيلي للإدلاء بتصريح لكان الأمر عاصفة من الاحتجاج.

---

٣٨ لجنة السلامة العامة (أو هيئة الإنقاذ) شكلها الرئيس الياس سركيس لمعاونته ومعاونة الحكومة على إنقاذ بيروت المحاصرة وجمعت كل من بشير الجميل ورئيس الوزراء شفيق الوزان ووليد جنبلاط ونبيه بري (جوزيف أبو خليل، المرجع نفسه، ص٢٠٦).



استمر النقاش طويلاً حول المطالب الفلسطينية التي عرضها وليد جنبلاط، ولكن دون تقدم، وطرحت مسألة جمع السلاح الفلسطيني بوساطة الجيش اللبناني، فطلب وليد جنبلاط استشارة ياسر عرفات، وتم تكليف شفيق الوزان ونبيه بري ووليد جنبلاط لمعرفة نوايا عرفات. وبعد انتهاء اجتماع لجنة السلامة العامة همس بشير الجميل في أذن مساعدة العسكري جان ناضر قائلاً: لقد وضعنا قدماً في الشرعية، ومن حسن الطالع أننا لم نتوصل إلى اتفاق، ولو حصل ذلك لكان مجرد تسوية إضافية، الآن ستدمر بيروت وحينها سيهرولون كلهم راضين بالحلول التي سأطرحها.



التخطيط لاقتحام بيروت:

عندما وصل زاهي البستاني إلى مدرسة مون لاسال (الفرير) في بيروت مساء يوم ١٩ / ٦ / ١٩٨٢م ادهشه كثرة العتاد وعدد الرجال الذين كانوا في المقر العام الإسرائيلي، فشق طريقه إلى مكتب الجنرال أمير دروري قائد الجبهة الشمالية في إسرائيل، حيث كان شارون متواجداً، فشرح البستاني لشارون أسباب العجلة في تحديد أهداف دقيقة جداً على المدى القصير بهدف منع المسلمين من العودة إلى مقدمة المسرح السياسي. فأجاب شارون: إن الهدف الوحيد الممكن هو القيام بهجوم على بيروت الغربية، وأنه سبق أن طلب من القوات اللبنانية إشعال «شرارة» ضد بيروت الغربية ستسمح للقوات الإسرائيلية بتبرير هجوم شامل على القسم الغربي من بيروت، وبعدها سيتاح لبشير الجميل الاستيلاء على الحكم وتأليف حكومة مسيحية. ويمكن أن تبدأ هذه العملية في غضون ٤٨ ساعة، ولا تخافوا، سندافع عن زحله وكل القرى التي يهددها السوريون، وبعد ذلك ستتولون أمر الشمال. تردد البستاني في إعطاء رد إيجابي، لعلمه بأن بشير الجميل يدرك أن مثل هذه العملية قد تطيح بكل حظوظه في الحصول على أصوات المسلمين كي يكون انتخابه لرئاسة الجمهورية دستوريا، وطلب من زاهي البستاني أن يبلغ الإسرائيليين التمهل لكي لا يكون عليه هو أن يرفض «لعب دور الشرارة».

كان أرئيل شارون قد أعلن يوم ١٨ / ٦ / ١٩٨٢م أن على اللبنانيين أنفسهم أن ينتهوا من (م.ت.ف) إذا كانوا يريدون دولة مستقلة، واعتبر أن تنظيف بيروت من البنية التحتية للمنظمة

هو مهمة الحكومة اللبنانية. وهذا ما أكد عليه رئيس الوزراء مناحيم بيغن في اليوم التالي ١٩ / ٦ / ١٩٨٢م عندما قال: إن إسرائيل لا تنوي دخول بيروت الغربية وإن القيادة المسيحية في لبنان يجب أن تعالج مشكلة القوات المسلحة التابعة ل(م.ت.ف)[٣٩].

وفي اليوم التالي ٢٠ / ٦ / ١٩٨٢م التقى زاهي البستاني مع شارون وبحضور فادي أفرام من القوات اللبنانية وأفنير ازولاي "فيليب" من الموساد، وتم البحث في إمكانية تحويل لجنة السلامة العامة إلى حكومة يتولى فيها بشير الجميل حقيبة الداخلية، إلا أن وزير الدفاع الإسرائيلي دفع الحوار باتجاه تنفيذ عملية عسكرية ضد بيروت الغربية مقترحا أن تكون ليلة ٢٢ – ٢٣ / ٦ / ١٩٨٢م مخاطبا الحضور من القوات اللبنانية قائلاً: عليكم أنتم أن تقوموا بالخطوات الأولى، نحن نعرف قدراتكم ولن ندعكم تتحملون من الجهود ما يفوق طاقتكم، لا يمكن أن تكون العملية إسرائيلية صرف، سيسقط منكم قتلى، لقد سقط منا (٢٥٠) حتى الآن ولا نستطيع أن نتدخل رسمياً إلا لكي نساعدكم أو ننقذكم، يمكن أن يكون الهدف هو الشياح يمكنكم بحث هذا الأمر مع أمير دروري أو عاموس يارون نحن لن نفعل شيئاً بدونكم، فإذا بدأتم فنحن سننهي، نريد مساعدتكم على إعادة توحيد البلاد ونعتقد أن لجنة السلامة العامة ليست قوية بما يكفي بعد لأجل القيام بذلك، فيجب التفكير بشيء آخر، وسنكون نحن على استعداد بعد ذلك لمناقشة وتوقيع اتفاقات معكم.

في جانب آخر من المعركة كان جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية قد زود جهاز أمن إيلي حبيقه بخريطة جدارية مؤلفة من صور فوتوغرافية جوية طولها عشرة أمتار وعرضها ستة أمتار، تغطي كامل بيروت الغربية، وقد قسمت هذه الخريطة إلى مربعات يبلغ طول ضلعها كيلو متر واحد ورقّمت إحداثياتها بأرقام وأحرف كما لو كانت معدّة لمعركة بحرية، كانت كل المباني الموجودة داخل كل مربع رقما، ولأجل حسن رؤية المباني والتأكد من هويتها، وضع جهاز أمان في المكاتب ذاتها خزائن معدنية تحتوي على أكثر من (١٠٠٠ صورة) مأخوذة على الأرض، فأنه قبل الاجتياح بكثير كان الجواسيس الإسرائيليون قد تجولوا بالسيارات وبصورة منتظمة في كل شوارع بيروت الغربية، وكانوا قد ركبوا في واجهة سياراتهم آلات تصوير ذات زاوية كبيرة التقطت صورة لكل ١٥ – ٢٠ مترا، وكانت تلك الصور تستعمل للتثبت من صحة الملاحظات التي يدونها الجواسيس الموجودين في بيروت الغربية، وكان هناك نظام مراجعة يتيح

---

٣٩ جوزيف أبو خليل، قصة الموارنة في الحرب، ص٢٠١)، مصدر سابق.

فيما بعد التعرف على المبنى في الصورة الجوية الجدارية، فكانت تنظم كل مساء لائحة بالأهداف تسلم إلى غرفة العمليات في قاعدة جوية إسرائيلية تحوز وثيقة مطابقة كل المطابقة.

وفي فجر اليوم التالي ٢١ / ٦ / ١٩٨٢ كانت القاذفات المقاتلة أو الصواريخ تؤدي مهماتها[٤٠]، وكان الهدف الرئيسي لجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية من كل ذلك هو: تصفية ياسر عرفات جسديا، وقد استنفر في مكاتب جهاز أمن القوات اللبنانية رجل اختصاصي في التصوير الجوي، وحددت لعملاء إيلي حبيقه في بيروت الغربية وللإسرائيليين الذين تسللوا سراً مهمة وحيدة هي معرفة مكان وجود ياسر عرفات، فكان أحد الإسرائيليين الذي حمل اسما مزورا هو "سيليستان" والذي يجيد انتحال شخصية "متشرد" فقد كل ما يملك، كان يتردد على الفنادق والحانات التي يؤمها الصحافيون الأجانب في بيروت الغربية حيث يصغي لكل كلمة من احاديثهم ومواعيدهم مع المسؤولين الفلسطينيين، وكانت كل المعلومات المتعلقة بياسر عرفات تنقل فورا ومباشرة من قبله إلى غرفة العمليات في القاعدة الجوية حيث كانت طائرة قاذفة تنتظر في حالة تأهب للانقضاض على ياسر عرفات فور معرفة مكانه.

المطالب الفلسطينية:

كان هدير القصف المتواصل لا يزال يغطي المدينة حينما وصل موكب نبيه بري ووليد جنبلاط إلى قصر بعبدا عند الساعة الحادية عشر من يوم ٢٢ / ٦ / ١٩٨٢م للمشاركة في الجلسة الثالثة للجنة السلامة العامة، وقد اشتد القصف لحظة دخولهما إلى قاعة الاجتماعات، فطلبا من الرئيس سركيس أن يتدخل بصورة حازمة لأجل إيقاف القصف، كما طلبا دعوة فيليب حبيب لحضور الاجتماع ولم يعارض بشير الجميل وشفيق الوزان ذلك، وفي انتظار حضور فيليب حبيب اتفق أعضاء اللجنة أنه من الضروري جدا أن تنسحب المنظمات الفلسطينية من بيروت قبل انسحاب الإسرائيليين، وعندما حضر فيليب حبيب هبّ بشير الجميل لاستقباله في الممر، فدنا منه حبيب وهمس في أذنه قائلاً: ما فعلته وما تقوله ممتاز، ستكون رئيس الجمهورية القادم[٤١].

وعندما بدأت اللجنة في الحوار مع فيليب حبيب الح نبيه بري بأن الفلسطينيين لا يقبلون بالنقاش ما دام القصف مستمراً، فقال الرئيس سركيس يوجد اقتراح بأن ينسحب

٤٠ مها معتوق وقائع الحرب الإسرائيلية الفلسطينية في لبنان، ص١٨٩، مصدر سابق.

٤١ اجتياح لبنان (يوميات، صور، وثائق) وكالة مختارات الأخبار العالمية، بيروت ١٩٨٢م، ص٢٨٧.

الإسرائيليون خمسة كيلو مترا بدءا من الموقع الذي يحتلونه الآن، وإقامة منطقة عازلة وإيقاف لإطلاق النار مدة شهر. قال شفيق الوزان: "إذا طبقت هذه النقاط فإن (م.ت.ف) ستنفذ بسرعة ما تطلبه الحكومة اللبنانية". وشرح نبيه بري ووليد جنبلاط أن الفلسطينيين ينوون احترام السيادة اللبنانية وسلطة الدولة ويطلبون قوة فصل دولية. ورد فيليب حبيب: "سأحاول إقناع الإسرائيليين لكنني لست متأكداً من الموافقة على ذلك". ما أثار غضب بشير الجميل وصاح مهاجما الحكومة الأمريكية ناعتا إياها بالمراوغة والكذب. فغضب فيليب حبيب وقال: "حكومتي أشرف من حكومتكم التي هي المسؤولة الوحيدة عن كل ما يجري، فأنتم تريدون وقفً لإطلاق النار وتراجعاً إسرائيلياً مسافة خمسة كيلو مترات، ومنطقة عازلة، واحترام سيادتكم وانسحاب السوريين والفلسطينيين، لن أعود وأتدخل إن لم تتوصلوا خلال ٤٨ ساعة إلى اتفاق بينكم على انسحاب السوريين والفلسطينيين، ولم يتطرق فيليب حبيب إلى الانسحاب الإسرائيلي.

وفور انتهاء الاجتماع توجه بشير الجميل إلى منزل فادي أفرام في منطقة برمانا حيث كان ينتظره أرئيل شارون وضباط الموساد مناحيم نافوت (مندي) وأفنير ازولاي (فيليب)، وأطلعه على نتائج اجتماع لجنة السلامة العامة والشروط الفلسطينية. ورفضها شارون على الفور مؤكداً على ضرورة قطع الكهرباء والماء والإمدادات الغذائية عن بيروت الغربية. وخلال الاجتماع أكد بشير الجميل لشارون أن حزب الكتائب قرر تنفيذ المهمة المناطة بهم وهي اقتحام بيروت الغربية في اطار عملية سبارك "الشرارة"، ولكنه طلب مهلة ثلاثة أسابيع حتى تجري الانتخابات الرئاسية التي ستأتي به رئيساً للجمهورية[٤٢].

واستأنفت لجنة السلامة العامة اجتماعها في ١٩٨٢/٦/٢٣م بحضور فيليب حبيب الذي أصر على معرفة ما إذا كانت الأطراف اللبنانية قد اتفقت بشأن الشروط التي وضعها الفلسطينيون فأخبره بشير أنه لم يتم الاتفاق معتبراً أن الوقت يعمل لصالح أبي عمار الذي يناورن كسباً للوقت للتوصل إلى اتفاق يسمح لـ(م.ت.ف) أن يكون لها دور سياسي في لبنان وتتاح لها إمكانية تكديس الأسلحة والذخائر. وهنا طالب فيليب حبيب بضرورة إعطاء أجوبة للإسرائيليين على الأسئلة الآتية:

---

٤٢ ذكر الرئيس اللبناني الأسبق أمين الجميل في برنامج «شاهد على العصر» الذي بث على قناة الجزيرة في الحلقة (السابعة) بتاريخ ٢٠٠٩/١١/٢٢م أن بشير كان يميل إلى الاشتراك مع الإسرائيليين في اقتحام بيروت الغربية إلا أنه وقف في وجهه ومنعه من المشاركة في تلك العملية، وذكر أيضاً أن الطاقم الذي كان محيطاً بأخيه كان مخترقاً من قبل الإسرائيليين وينفذ أوامرهم دون علم من بشير.

١– هل سيكون الفلسطينيون الذين سيبقون في لبنان تحت سلطة الدولة اللبنانية.؟
٢– هل ستبقى القيادة الفلسطينية في لبنان.؟
٣– هل ستتمركز وحدات عسكرية فلسطينية على الأرض اللبنانية.؟"

قال وليد جنبلاط: "لن أنقل هذه الأسئلة إلى الفلسطينيين لأنهم لن يقبلوها، سأتخلى عن كل شيء وأصعد إلى المختارة". واقترح نبيه بري أن تصاغ "وثيقة لبنانية" يكتبها نصري المعلوف تتضمن مواقف اللجنة. وهو ما رفضه الجميل مطالباً المجتمعين بصياغة الوثيقة ثم يتصل شفيق الوزان مع ياسر عرفات مباشرة لمعرفة الأجوبة. وانفض الاجتماع دون الاتفاق على الوثيقة اللبنانية التي اقترحها نبيه بري"[٤٣].

بعد الاجتماع توجه بشير الجميل واثنان من مساعديه إلى القدس حيث كان بانتظارهم بيغن وشارون ورفائيل إيتان وأوري ساغي رئيس غرفة العمليات، واسحق حوفي مدير الموساد، ودافيد كيمحي مدير وزارة الخارجية والجنرال أبراهام تامير، وطلبوا منه ضرورة تنفيذ عملية سبارك "الشرارة" بمشاركة القوات اللبنانية واقترح رئيس هيئة الأركان أن تبدأ القوات اللبنانية المعركة قبل أن تدخل القوات الإسرائيلية بثلاث ساعات لتفتح الطريق أمام القوات الإسرائيلية للتوغل في بيروت الغربية، وتحدث رئيس الموساد إسحق حوفي موضحا بأن الفلسطينيين سوف يقاتلون من بيت لبيت. وأوضح بشير الجميل أنه يتخوف من الإعلان عن مشاركتهم في الأعمال القتالية إلى جانب الإسرائيليين في هذا التوقيت سيكون له عواقب سياسية لن تساعده على تأمين غطاء سياسي لأية إتفاقات مع الإسرائيليين خاصة أنه لا يمتلك الكفاءة السياسية لتغطية هذه العملية العسكرية. إضافة إلى التخوف من الأعمال الانتقامية ضد المسيحيين في زحله والشمال.

وخلال الاجتماع ذكر مناحيم بيغن أنه اضطر للقبول بتهديدات وضغوط الرئيس ريغان لوقف القتال ما جعل اقتحام بيروت ممنوعاً عليهم ولذلك فإن المطلوب سرعة مشاركة القوات اللبنانية في المرحلة التالية من العمليات القتالية لاقتحام بيروت باعتبار أنها تمثل لبنان. وحاول طمأنة بشير الجميل إلى أن الإسرائيليين سيتولون حماية المسيحيين في تلك المناطق. ومن الجدير بالذكر فقد طلب إسحاق حوفي (رئيس الموساد) من بشير الجميل الاتصال مع ياسر عرفات بحجة إجراء محادثات مباشرة بهدف تحديد مكان إقامته تمهيداً لاغتياله[٤٤].

---

٤٣ فطين أحمد فريد، حروب لبنان/ دراسة تحليلية، ط١، ص١٤٦ (١٩٨٣–١٩٨٤).

٤٤ آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان، ص٢٥٩، مصدر سابق.

مفاوضات في مقر قوات الـ١٧:

بعد أن توالت عمليات قصف مقر قوات الـ١٧ لما يزيد عن عشر مرات حيث تهدمت البنايات المحيطة لكن المقر الذي هو غرفة العمليات بقي صامدا عدا بعض الخسائر الطفيفة، وبينما كان المقر يتعرض للقصف المتوالي في تلك اللحظة وردت إشارة تفيد أن الجنرال كالاهان قائد قوات الأمم المتحدة في جنوب لبنان يطلب لقاء عاجلا مع الجنرال سعد صايل، وأنه سيحضر إلى بيروت على متن طائرة هيلوكوبتر في أي ساعة يحددها الجنرال أبو الوليد، لكي يشرح للقيادة الفلسطينية موقف قوات الطوارئ الدولية التي لم تتصدى للعبور الإسرائيلي عبر حواجز قوات الأمم المتحدة، وقف القائد سعد صايل وقفة استعداد انتظارا لتعليمات القائد العام.

سأل ابو عمار : أين ستلتقون..؟

تداولنا الآراء ورأى الرئيس ان اللقاء يجب ان يتم في (ال١٧) غرفة قيادته المعروفة بالرغم من كل الدمار، وطلب من القائد سعد صايل تحديد موعد للجنرال كالاهان في السادسة والنصف مساء حتى يتسنى للشباب تهيئة المكان، واصدر تعليماته ان يذهب القائد سعد صايل بصحبة الاخ هاني الحسن وبسام ابو شريف.

اصدر القائد ابو الوليد رحمه الله تعليماته الفورية، وكان قليل الكلام وكانت كلماته كطلقات مسدس لا يخطئ.

استدعاني أبو الوليد وطلب مني تنظيف مقر ال١٧ وترميم ما يمكن ترميمه من الزجاج المكسور وطلب مني إنجاز المهمة خلال ثلاث ساعات فقط، أي قبل الساعة الخامسة والنصف، وأخبرني السبب في ذلك لاجتماعه مع الجنرال كلاهان قائد قوات الأمم المتحدة في جنوب لبنان رغم أن المهمة صعبة ومستحيلة إلا أنني استنفرت أكثر من ٥٠ مقاتل وقمنا بتنظيف المكان وساعدنا شباب رابطة الدامرجي في تركيب الزجاج بدل الزجاج المكسور، وتركيب كل الاشرطة الكهربائية، وأجهزة التبريد يجب ان تعمل، والمقر من الداخل "لازم يلمع لمع" اريد ان ادخل المقر فأجده نظيفا ومبردا، لا تنسوا.. الجنرال كالاهان يحب الليمونادة الطازجة والشاي فحضرنا كل شيء، وقد نفذ الشباب أوامره على أتم وجه خلال تلك المدة القصيرة حيث أصبح المقر وكأنه في أحسن حالاته العادية من نظافة وترتيب، باستثناء آثار ضربات القصف الإسرائيلي.

توجهنا خارج عمليات (٥) وفي الخامسة اتصل القائد سعد صايل ليطمئن على سير الأمور، فأعلم ان كافة الأوامر قد نفذت على أكمل وجه، فعلق بنصف ابتسامة (كانت ابتسامته نادرة تماما).



نظر الى الاخ هاني الحسن والى بسام ابو شريف وقال: كل شيء جاهز..

توجهنا للمكان وكان الأمر فعلا مثيرا للإعجاب، فخلال ساعتين من الزمن أتم الشباب تنظيف المدخل من الركام، وأعادوا كافة أمور مقر الرئيس ابو عمار الى طبيعتها، وكان المقر بارد في ظل حرارة بيروت ورطوبة صيفها.

يقول بسام أبو شريف: وفي السادسة والنصف مساء وصل الجنرال كالاهان يرافقه اثنان من ضباط الامم المتحدة، صافحناهم وتوجهنا الى طاولة الاجتماع، اتخذنا مواقعنا في جانب من جوانب الطاولة: القائد سعد صايل وهاني الحسن وأنا بقينا واقفين، أدى الجنرال كالاهان التحية العسكرية للأخ ابو الوليد، فبادله التحية العسكرية، لكنه لم يأذن له بالجلوس بعد، وحسب الأعراف لا يمكن له ان يجلس قبل ان يدعوه القائد سعد صايل، هو من العسكريين البارزين الذين تخرجوا من أهم كلية عسكرية في العالم "وست بوينت الامريكية" والجنرال كالاهان يعلم ذلك، وراحت طلقات مسدس ابو الوليد التي لا تخطئ تتكلم بالانجليزية بوضوح وبهدوء، ولكن الهدوء القاسي الرزين.

أطلق أبو الوليد.

"جنرال كالاهان" لقد خنت شرفك العسكري فلقد سمحت للقوات الاسرائيلية ان تمر عبر مواقعك دون مقاومة.

أجاب الجنرال كالاهان وهو يقف وقفة استعداد.

سيدي الجنرال أنت تعلم الوضع على الأرض أكثر مني، إن حجم الاندفاع كان كبيرا إلى الحد الذي لا يمكن لي وضباطي معه أن نتصدى له.

وأطلق سعد صايل:

"جنرال شرفك العسكري كان يقتضي منك أن تطلق حتى لو رصاصة واحدة من مسدسك، هكذا تعلمنا الأخلاق العسكرية أليس كذلك..؟

وطأطأ كالاهان رأسه فدعاه عندها ابو الوليد للجلوس، شرح كالاهان حجم الهجوم، وأنه لم يكن يتوقع وصولهم بيروت.

وكالاهان مندهش.

قال ابو الوليد:

"أنا أعلم أن الوقت ضيق وعلى أن أعود لغرفة العمليات، لكن أريد أن أقول لك أنني بدأت

بتحصين بيروت.

فرد كالاهان على الفور:

"ولكن يا جنرال بيروت لا يمكن تحصينها".

فابتسم أبو الوليد قائلا:

دعهم يظنون هذا "وقوفا"

تحية عسكرية، حرس الشرف يأخذ الاستعداد وفجأة يصل الرئيس ياسر عرفات.

"جنرال كيف حالك" بادره أبو عمار بالتحية.

أدى الجنرال كالاهان التحية للرئيس الذي كان يحمل عصا قصيرة، وأجابه الوضع صعب سيدي الرئيس.

فأجابه أبو عمار بسرعة:

"سيكون صعبا عليهم، لن أؤخرك، لدي جولة في كافة المواقع"

وغادر أبو عمار

وغادر الجنرال[٤٥].

إستقالة ألكسندر هيج (وزير الخارجية الأمريكي):

يوم ٢٤ / ٦ / ١٩٨٢م شدد الإسرائيليون قصفهم لبيروت الغربية والضاحية الجنوبية ودخلت القوات الإسرائيلية مدينة عاليه ووصلت إلى بحمدون المحطة بعد معارك عنيفة، وتم الإعلان عن ترشيح بشير الجميل لرئاسة الجمهورية. وفي ٢٥ / ٦ / ١٩٨٢م استمر قصف بيروت الغربية والضاحية الجنوبية من البر والبحر والجو وسقطت منطقة الجبل الممتدة من عاليه حتى الجمهور بأيدي القوات الإسرائيلية لعدم وجود مقاومة وتحديدا من القوات السورية التي كانت تلك المناطق خاضعة لسيطرتها قبل العدوان.

وجاء يوم ٢٦ / ٦ / ١٩٨٢م ليحمل تطورا هاماً تمثل في تقديم وزير الخارجية الأمريكي الكسندر هيغ استقالته ليخسر مناحيم بيغن حليف مهم في إدارة الرئيس ريغان، حيث كان هيغ من مناصري الغزو الإسرائيلي للبنان ويضغط على الرئيس ريغن ليدع الإسرائيليين يدمرون القيادة الفلسطينية ويسهلون قيام حكومة قوية في لبنان تعقد صلحا مع إسرائيل وجرى تعيين

---

٤٥ المصدر: كتاب بسام ابو شريف (ياسر عرفات)، ص٩٢.

جورج شولتز خلفا له في المنصب[٤٦].

جمع مناحيم بيغن مجلس الوزراء المصغر بتاريخ ٢٧/٦/١٩٨٢م ليصدر بيان عقب الاجتماع يتحدث لأول مرة عن "اقتراح إيجاد حل لمشكلة بيروت الغربية عن طريق التفاوض جاء فيه: تقترح الحكومة أن يدخل الجيش اللبناني بيروت الغربية، وتقوم المنظمات الإرهابية الخمسة عشرة الموجودة هناك بتسليم أسلحتها له، وبعد ذلك يرحّل جميع أعضاء هذه المنظمات عن لبنان، تحت إشراف الصليب الأحمر، إلى ما وراء الحدود الدولية اللبنانية سالكا الطريق الدولية بيروت – دمشق وفي القطاع الذي يسيطر عليه الجيش الإسرائيلي، وإذا آثر الموكب سلوك طريق أخرى فسيسمح الجيش الإسرائيلي لهم بذلك، وبعد تحرير بيروت الغربية، تبدأ مفاوضات للوصول إلى تسوية تؤمن الحفاظ على كامل الأراضي اللبنانية وانسحاب القوات الأجنبية واستقلال لبنان وسلامة أراضيه. وبصدور هذا البيان بات واضحا بأن الجيش الإسرائيلي والقوات اللبنانية لم يعد بوسعهما الاستمرار في تنفيذ عملية الشرارة، التي تأجلت.

في يوم ٢٧/٦/١٩٨٢م التقى بشير الجميل وفادي أفرام مع رئيس أركان الجيش الإسرائيلي في مركز القيادة العامة الإسرائيلية في مدرسة مون لاسال "الفرير" وكان يرافق رئيس الأركان رئيس غرفة العمليات أوري ساغي وعضوان من الموساد هما أفنير ازولاي وماريون، فقال رئيس الأركان الإسرائيلي لبشير بأن الحكومة الإسرائيلية المصغرة قررت ترك الفلسطينيين يرحلون معطية لنفسها كل الوقت اللازم لإنجاح هذه العملية. سأل بشير الجميل: "هل هذا يعني أن عملية (سبارك) الشرارة قد ألغيت"..؟ رد رفائيل إيتان: "العملية لا تزال واردة لكنها مؤجلة يجب انتظار اللحظة المناسبة، وهناك بعض الأمور التي يجب القيام بها ومن بينها تسهيل رحيل أكبر عدد ممكن من المدنيين عن غرب بيروت مشيراً إلى أن الطائرات الإسرائيلية بدأت تلقي مناشير باللغة العربية تدعو السكان إلى المغادرة، كما تم التأكيد على قطع الماء والكهرباء باعتباره أمر جيد ولا يمكن التراجع عنه".

٤٦ يقول جوزيفٍ أبو خليل لو لم تتطوع إسرائيل لمهمة تحطيم البنية العسكرية والسياسية ل(م.ت.ف) لكان بشير الجميل قد ظل رئيساً لتنظيم مسلح محدود الدور والفعالية. أنظر: قصة الموارنة في الحرب، ص٢١٠:

إصابتي في المعركة:

بعد أن اكتملت خطة حماية المطار، والدفاع عنه وتشكيل محوره الممتد من دوار المطار شمالاً حتى نهاية مدرجيه الشرقي والغربي، ومن الأوزاعي غرباً حتى مخيم برج البراجنة – التحويطة شرقاً، وذلك بتاريخ ٢٧ / ٦ / ١٩٨٢م توجهت نحو مقر عملياتنا في المقاصد، وبقيت في العمليات حتى الصباح وبرفقتي النقيب أبو حسين ضابط التسليح في قوات الـ١٧ وجميع مساعديه، حيث قمنا بتوزيع الأسلحة الإضافية اللازمة على عناصرنا في المحور، إضافة إلى أننا قمنا بنقل أسلحة وذخائر إلى مواقع تبادلية وكنا في السابق قد صنعنا «هنغارات حديدية» دفنت في الأرض لوضع الأسلحة فيها لها مواصفات التخزين اللازمة للأسلحة، ولا يمكن للعدو أن يدمرها ومن هنا لم نواجه نقصاً في الذخائر والأسلحة في قاطعنا، ولم تتضرر مستودعاتنا.

وفي ٢٨ / ٦ / ١٩٨٢ حضر الرائد أبو صلاح وكنت قد طلبت منه استدعاء قادة الكتائب لعقد اجتماع في مقرنا في منطقة بئر حسن التابع لكتيبة المشاة، وتم الاتفاق على اجتماع الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. ومع اقتراب الوقت تحركت بالسيارة وبرفقتي الرائد أبو صلاح والملازم أول سعيد مهران، وما ان وصلنا دوار الكولا – طريق المدينة الرياضية حتى انهمرت القذائف علينا من كل حدب وصوب، تضاعفت سرعة السيارة باتجاه السفارة الكويتية ومقرنا في بئر حسن، وقبل وصولنا إلى المقر ب ٥٠٠ متر سقطت بالقرب منا قذيفة شعرنا أنها حملتنا بالسيارة إلى فوق، وبلا شعور أوقف السائق السيارة ونزلنا منها وسط غبار القذيفة، وكل منا يحسب أن الآخر قد جرح، وسقطت قذيفة أخرى بالقرب من الأولى وتفرقنا جميعاً في كل الاتجاهات؛ لأن المنطقة كانت مكشوفة والأبنية الموجودة ضعيفة بناها المهجّرون من فقراء الشيعة.

ومع شدة القصف كنت ألاحظ أنه تركز شديد على الشارع، فانتقلت إلى مدخل أول بناية أمامي، وأخذت أراقب أهداف القصف، وصعدت إلى سطح البناية المكونة من ثلاثة طوابق، وتكاملت عملية القصف، وأغارت إحدى الطائرات على الموقع الذي كنت فيه ولم أشعر إلا وكأنني أطير من عملية تفريغ هواء القذيفة وسقطت على قدمي اليمنى من هذا العلو، ومكثت على الأرض لمدة تزيد عن نصف ساعة دون أن أستطيع الحركة، أو أن أشاهد أحداً من دخان

الغارة، حاولت التحرك ثانية فلم أستطع، فصرخت أنادي أبو صلاح وسعيد مهران فحضرا على الفور، وكان كل واحد يتوقع استشهاد الآخرين، حملاني إلى السيارة وانتقلت إلى مستشفى المقاصد ولحسن حظي أن الدكتور سمير برغوث أخصائي العظام كان قد وصل المستشفى تقريباً في الوقت نفسه، وأدخلت إلى غرفة الأشعة فوراً وكانت النتيجة تفتت عظام الكاحل في قدمي اليمنى، وهذا الأمر يتطلب إجراء عملية فورية، حاولت أن ألغي موضوع العملية، فأصر الطبيب على ذلك، وأدخلت غرفة العمليات، وبعد إجراءها تم وضع الجبس على طول القدم، وما أن خرجت من غرفة العمليات حتى بدأ القصف على المستشفى نفسه، استشهد ثلاثة جرحى، وفي ٢٩ / ٦ / ١٩٨٢ تركز القصف ثانية على المستشفى والمنطقة المحيطة بها وأصيب الجناح الذي تواجدت فيه ولا أدري كيف حملني راسم الغول ونقلني إلى مستشفى نجار في شارع الحمرا.



القائد العام يهنئ أبو الطيب بالسلامة

بعد ستة أيام من وجودي في المستشفى، خرجت على عكازين إلى قيادة القاطع والجبس في قدمي، كان الألم حادا. كانت زيارتي الأولى في الأوزاعي وما أن شاهدني موسى عبد الرؤوف أبو خاطر(الشيخ علقمة) والأخ أبو حديد حتى ركضا والعناصر من كل مكان والتفوا حولي، تضاعف الألم عندي في هذه اللحظات، ورأيت الشفقة في عيون المقاتلين، شعرت بالحرج لضعفي أمامهم فقد كنت دائماً أرفع معنوياتهم، وأضفي كل محبتي واحترامي لهم، أما اليوم فهم يبادلونني شعوري السابق، جلست في قيادة القاطع فترة، انتقلت بعدها إلى بئر حسن، كان هذا يوم ٥ / ٧ / ١٩٨٢م، وتفقدت الشباب وهكذا أصبحت أخرج إلى المواقع يومياً بهذه الحالة، فمرة أتحرك على العكاكيز ومرة أخرى على العربة، وحتى اليوم ما زلت أشعر بالألم وأذكر حديث الدكتور سمير برغوث عن حاجتي لعملية أخرى، لكنني ما زلت أكابر وأعض على الجرح وأتحدى الألم.

الشروط الإسرائيلية:

حدد الإسرائيليون رغبتهم في إجراء المصالحة بين بشير الجميل والرائد سعد حداد قائد جيش لبنان الجنوبي[٤٧] في خطة لربط جنوب لبنان مع شماله، وأبدى استعداده للقاء سعد حداد على مضض، وعليه فقد نقل الإسرائيليون القائد الجنوبي على متن مروحية يوم ٣ / ٧ / ١٩٨٢م إلى مكتب الجنرال أمير دروي في مركز القيادة العامة الإسرائيلية بمدرسة مون لاسال حيث التقى مع بشير الجميل وكان اللقاء قصيراً وبارداً اقتصر على السلام والمجاملة.

لم يغير لقاء بشير الجميل وسعد حداد من الوقائع على الأرض، فقد كانت كل الأمور تسير باتجاه المفاوضات بين الأطراف، وبما أن فيليب حبيب لم يكن على اتصال مباشر مع (م.ت.ف)، فقد اختار أن تتم المفاوضات معها عن طريق رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان، وطلب منه أن يقوم بنقل الشروط الإسرائيلية الستة إلى ياسر عرفات "أبو عمار" والتي تتعلق برحيل الفلسطينيين عن بيروت وهي:

---

٤٧ جيش لبنان الجنوبي: تشكل من بعض العناصر المنشقة عن الجيش اللبناني بالتعاون مع إسرائيل عام ١٩٧٦ م تمركز في مرجعيون والقليعة، بقيادة الرائد سعد حداد وبعد وفاته بمرض السرطان عام ١٩٨٤م خلفه أنطوان لحد، كان التحالف بين جيش لبنان الجنوبي وإسرائيل وطيداً، ودعم الجيش الإسرائيليين بقتاله كل من (م.ت.ف) وحزب الله. ظل أفراد الجيش يتقاضون رواتبهم من الجيش اللبناني حتى ١٩٩٠م، عندما أعلنت الحكومة اللبنانية بأن جيش لبنان الجنوبي منظمة خارجة، وأوقفت دفع الرواتب لأعضائها، قام جيش لبنان الجنوبي بالعديد من المهام في منطقة الشريط الحدودي بين لبنان وإسرائيل كما أدار الشؤون الإدارية في المنطقة. وبعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من المنطقة عام ٢٠٠٠م تم نقل الكثير من عناصر الجيش الجنوبي وعائلاتهم إلى إسرائيل ونزح العديد منهم إلى دول أوروبية وبعضهم سلموا أنفسهم للسلطات اللبنانية.



١. نزع سلاح كل الفصائل في بيروت الغربية.

٢. انتشار الجيش اللبناني ووجوب تسلم (م.ت.ف) سلاحها الثقيل.

٣. الموافقة على قيام قوة فلسطينية نظامية رمزية تتمركز خارج بيروت، وتنسحب من لبنان عند انسحاب سائر القوات الأجنبية منه متى آن الأوان.

٤. تستطيع (م.ت.ف) أن تحدد كيفية جلائها عن بيروت سواء أكان ذلك بوساطة الصليب الأحمر مع جواز مرور أمريكي.

٥. على القيادات والكوادر السياسية مغادرة بيروت دون أن تحمل أي شيء غير أسلحتها الفردية.

٦. القبول بوجود مكتب سياسي دائم ل(م.ت.ف) في لبنان لكن خارج بيروت.

ورد ياسر عرفات على الشروط الإسرائيلية بالآتي:

- بقاء تمثيل سياسي في بيروت، ووجود قوة مسلحة رمزية مؤلفة من (٢٠٠٠ مقاتل) يشكلون كتيبتين توضعان تحت إمرة وزارة الدفاع اللبنانية.
- بقاء الشرطة المسلحة الفلسطينية داخل المخيمات.
- إبقاء السلاح الثقيل في أيدي الحركة الوطنية وحلفائها.
- رحيل (٤٠٠٠) مقاتل ومعهم أسلحتهم الفردية.
- بقاء المؤسسات الفلسطينية المدنية أو السياسية ومواصلة النشاطات الثقافية والإعلامية من خلال البنى التحتية القائمة في بيروت.

وبعد أن وصلت ردود أبو عمار للجانب الإسرائيلي نشرت وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) مقالاً افتتاحياً يؤكد "ليس لدى المقاومة الفلسطينية أية نوايا لمغادرة لبنان واللجوء إلى إحدى الدول العربية الشريكة في التحالف الإسرائيلي – الأمريكي لأنها إن فعلت ذلك لوقّعت بيدها على قرار موتها، منظمة التحرير لم تهزم وهي لا تنوي الاستسلام، لن يكون قتال في بيروت إذا وجد حل مشرف وإذا لم يوجد مثل هذا الحل فإن (م.ت.ف) مستعدة للقتال كما فعلت منذ أن شن مناحيم بيغن هذه الحرب القذرة غير المبررة". وبموجب هذا المقال الافتتاحي في "وفا" اعتبر الإسرائيليون أن هذا المقال يعكس رأي ياسر عرفات "أبو عمار" وهو بمثابة تحدٍ حقيقي.

ضياع حقيبة أبو عمار:

وفي خضم هذا التحدي جاء أبو عمار لينام بطرفنا في منزل قرب مستشفى البربير، وهو واحد من عدة منازل سبق أن استأجرتها في بيروت لتكون مواقع تبادلية، وبعضها تم تجهيزه كغرف عمليات. وبعد أن نام ليلته وغادر في الصباح فوجئت باثنين من حراساته يطلبان مقابلتي للضرورة القصوى، وعندما قابلتهما بدا عليهما الارتباك الشديد، وكان سؤالهما حول حقيبة أبي عمار.

تلك الحقيبة موضع السؤال لم تكن تحوي أغراضا ثمينة مثل النقود أو الأسلحة، لكنها رغم هذا كان تضم في داخلها ما هو أثمن وأغلى من ذلك، فلقد كانت تضم (ذاكرة أبا عمار) فالمعروف عنه منذ بواكير سنوات الثورة أنه كان يسجل ملاحظاته في دفاتر جيب صغيرة ذات لون ازرق بقياس (١٥ سم) ولا تتجاوز صفحاتها الأربعين صفحة، وقد تزايدت هذه الدفاتر، لذا كان يحتفظ بها في حقيبة خاصة ترافقه دائما في تنقلاته وحينما ينام تنام الحقيبة إلى جواره. كان أبو عمار يقول أنه لا يكتب مذكراته؛ لأنه إن كتبها سيشعل ثورة لما ستكشفه من أسرار يصعب عليه كقائد كشفها، أما الدفاتر والملاحظات الموجودة بداخلها فإنها تحوي معلومات سرية كما أنها تسجل تاريخ ثورة الشعب الفلسطيني، نظراً للدقة التي كان يلتزم بها في تسجيل الملاحظات المهمة بدءاً من ملخص اجتماعاته مع القيادات أو الرؤساء العرب والأجانب، وانتهاء بأسماء الحضور لتلك الاجتماعات وملاحظاته وتاريخ الاجتماع ومكانه. وخلال حصار بيروت سأله بعض الأخوة عن سبب الحرص الشديد الذي يبديه لتدوين كل شيء في دفاتره الصغيرة، فأجاب: هذا تاريخ شعبنا ويجب على الأجيال القادمة أن تعرف كل ما مررنا به.

ومن الجدير بالذكر فإن يقظة عرفات الدائمة، وحرصه الأمني غير المسبوق، كانا يدفعانه دائماً، حسب كل من عملوا معه، إلى الاحتفاظ بأوراق خاصة كثيرة في الجيوب الأربعة لبدلته العسكرية الخضراء، إضافة إلى الدفاتر الصغيرة، بحيث كانت جيوبه، على حد وصف مصوره الخاص حسين حسين، أشبه بمكتبة متجولة تقبع فيها أسرار ووثائق يحتاج إليها عرفات في اجتماعاته وجولاته، إلى جانب قصاصات صحف، ويقول حسين: "إن أبو عمار كان عادة ما يبرز من جيوبه بعض تلك الأوراق والقصاصات خلال لقاءاته مع زعماء وقادة الدول، كي يبرهن على كلامه". مشيراً إلى أن من بين ما أبرزه من جيبه للرئيس الأميركي بيل كلينتون،



خلال مفاوضات كامب ديفيد الثانية، كانت قصاصة من صحيفة إسرائيلية تكشف أن نصف ٢٥٦٨ القادمين الجدد إلى إسرائيل ليسوا بيهود.

أما فيما يخص الحقيبة فقد علمت منهما أنها مفقودة، وبدأ كل منهما يلقي بالمسؤولية على الآخر أمامي، فمسؤول المرافقين (فتحي) يقول أنه سلم الحقيبة إلى (ثائر) في حين أن الثاني ينفي ذلك بشكل قاطع، فهدأت من روعهما وأمرت كل المنتسبين لقواتنا بالاستنفار وضرورة البحث عن الحقيبة. وبعد البحث والتحري تبين لنا الآتي:

- حسب ما هو معتاد حينما كان أبو عمار يحضر، كان المرافقون يتولون انزال حقيبة الدفاتر أولا ثم رشاش الشتاير وبعدها حقيبة شخصية تحوي منشفة، بدلة رياضية، حفاية، معجون أسنان وفرشاة، ومستلزمات الحمام.
- بعد أن قضى أبو عمار ليلته تلك بطرفنا ونزل للمغادرة في الصباح، حمل المرافقون الحقائب والرشاش لوضعهما في صندوق السيارة.
- ونظراً للسرعة الكبيرة لنزول أبي عمار وصعوده إلى السيارة حسب الإجراءات الأمنية، سمع المرافقون صوت قصف مدفعي، وبهدف حماية أبي عمار قام أحدهم بنقل حقيبة الملابس ورشاش الشتاير فقط ووضعهما في السيارة في حين بقيت حقيبة الدفاتر على الأرض.
- تنبه أحد المارة إلى وجود الحقيبة فشك أن تكون مليئة بالمتفجرات، وحتى يضمن عدم انفجارها في السكان قام بالاتصال مع مكتب الصاعقة في صبرا القريب من المكان، واطلع مسؤول المكتب الرائد سلطان الترك على موضوع الحقيبة وشكوكه حولها.
- بعث الرائد سلطان الترك دورية لنقل الحقيبة إلى منطقة خالية من السكان ليتم تفجيرها هناك، وأشرف بنفسه على العملية، حيث قام بإطلاق النار على الحقيبة لتفجيرها، لكنه فوجئ بأن الحقبة لم تنفجر فطلب إحضارها وفتحها فتبين أن الموجود بها مجموعة دفاتر أبو عمار.
- اتصل الرائد سلطان بي، حيث تربطني به علاقة صداقة نشأت لكون عائلته تسكن مقابل مكتبنا في الفاكهاني، كما أن والدته من أعز الناس، فذهبت إليه واصطحبته معي إلى منزل أبي عمار وصادف أثناء ذلك أن التقينا بالأخ أبو الزعيم الذي كان هو الآخر قد حرك مجموعة من الأمن العسكري للبحث عن الحقيبة. ولا أستطيع أن أصف مدى فرحة أبي عمار لعثورنا على الحقيبة.

لن يرحلوا (برافو يا عرفات):

بالرغم من تزايد الضغوط الأمريكية ومعارضة الرأي العام الإسرائيلي، عاد أريئيل شارون يوم ٢ / ٧ / ١٩٨٢م إلى إسرائيل واجتمع إلى مناحيم بيغن وأفصح له عن نواياه بضرورة اقتحام بيروت الغربية مهما بلغت الضغوط، فاستجاب له بيغن وأمره بالعودة إلى لبنان مرة ثانية للتنفيذ. ووصل شارون إلى بيروت الشرقية صباح يوم ٣ / ٧ / ١٩٨٢م وأمر القوات الإسرائيلية بإقامة حصار كامل وشامل حول بيروت الغربية، وعند تمام الساعة الواحدة ظهراً منعت القوات الإسرائيلية مرور أي مركبة من الشرق إلى الغرب، وأجبرت عدة شاحنات تحمل مواد غذائية إلى المحاصرين أن تعود أدراجها، وفي هذه الأثناء كان بيغن يلقي كلمة في الكنيست الإسرائيلي قائلاً: فليرحلوا سيراً على الأقدام أو في سيارات المهم هو أن يرحلوا، الفلسطينيون يجب أن يرحلوا أو سيرّحلون.

أما رئيس الأركان رفائيل إيتان فقد صرح بأن هناك عشرة خيارات عسكرية لترحيل الفلسطينيين، فيما صرح اسحق شامير للإذاعة الإسرائيلية قائلاً: أنه يجب أن يرحل الفلسطينيون في أسرع وقت فقد نفذ صبر إسرائيل، كما أن دان مريدور الناطق باسم الحكومة الإسرائيلية قال: يجب أن يغادر الفلسطينيون لبنان، وقد رفضت الحكومة الإسرائيلية رفضاً قاطعاً كل اقتراح ينص على وجودهم حتى ولو رمزياً سواء تحت شكل سياسي أو عسكري.

إثر هذه التصريحات، رفض شفيق الوزان مقابلة فيليب حبيب في بعبدا ما دام الجنود الإسرائيليين في طريقه، كما بدأ المجلس الإسلامي يعقد اجتماعات متوالية وطلبت (م.ت.ف) ضمانات وحماية للمدنيين الفلسطينيين الذي سيبقون في لبنان، وضرورة نشر قوة دولية لضمان أمنها قبل إنسحاب المقاتلين، وأيد المجلس الإسلامي وكل القوى الإسلامية والوطنية اللبنانية المطلب الفلسطيني.

وعلى صعيد جبهة الشوف فقد إمتنع الدروز عن التصدي للقوات الإسرائيلية التي بدأت تقيم تعزيزات كثيفة بقيادة العقيد الدرزي في الجيش الإسرائيلي إسماعيل قبلان الذي قال في تصريحات لصحيفة (لوماتان دو باري) الفرنسية لدى وصوله إلى قصر وليد جنبلاط في المختارة «نحن رفاق سلاح لا فاتحون» الأمر الذي أثار غضب بشير الجميل فقام على الفور يرافقه أنطوان بريدي لمقابلة الجنرال أمير دروي وخاطبه بالقول: «أنا أعلم أن لكم علاقات مع الدروز، لكن يجب أن تعلموا أنه إذا لم يكن المسيحيون بأمان في الشوف بعد إنسحابنا، فلن



نستطيع تنفيذ عملية «سبارك» في بيروت الغربية، بيننا مقاتلين من أبناء الجبل ومن الصعب أن نطلب منهم أن يقاتلوا في بيروت بينما أهلهم بخطر في الجبل». وطلب بشير الجميل نزع سلاح بعض قرى الجبل وسحب الضباط الدروز من الجيش الإسرائيلي المتمركز في الشوف ووعده الجنرال دوري ببحث هذه الطلبات[٤٨].

التقى شارون وديفيد كيمحي وأزولاي (فيليب) من الموساد مع بشير الجميل وزاهي البستاني وإيلي حبيقه في منزل جوني عبدو بتاريخ ٥ / ٧ / ١٩٨٢م، وخلال اللقاء أبدى بشير الجميل أسفه لوجود جنود إسرائيليين دروز في الشوف وعزاً إليهم المسؤولية عن بعض الحوادث، فتذرع شارون بأن الجيش الإسرائيلي يواجه صعوبات أمام الرأي العام الإسرائيلي، يجب أن نرجئ بعض أعمال سفك الدماء، وأطلب منكم أن تضبطوا رجالكم، وأن تتحلوا بمزيد من ضبط النفس، لإزالة هذا التوتر. وذكر شارون أنهم في إسرائيل يكنون كثيراً من الاعتبارات لسعد حداد، فهو يقدر على تنفيذ بعض الأمور القذرة[٤٩]. وخلال اللقاء وافق شارون أن تتمركز القوات اللبنانية في ثكنة الجيش اللبناني في "بيت الدين"، رغم تحفظات الموساد، وأخرج شارون من حقيبته خريطة أعدتها رئاسة الأركان لمنطقة "بسابا" تتضمن مواقع كل من الطرفين حينذاك، كما قام بتقديم مجموعة من الصور أخذها الموساد لفيلا "مقصود" في طبرجا، فابتهج بشير الجميل شاكراً لشارون إقامة رباط على الأرض بين القوات اللبنانية والجيش الإسرائيلي. واستفسر شارون عن جاهزية الجيش اللبناني لدخول بيروت الغربية إذا خرج منها الفلسطينيون للسيطرة على مستودعات الأسلحة خاصة أن هناك مؤشرات قوية تشير إلى أن فيليب حبيب سيتوصل إلى اتفاق خلال الساعات القادمة. واقترح شارون أن ينضم جوني عبدو إلى لجنة السلامة العامة ليضغط باتجاه عدم ربط الانسحاب بحضور قوات أمريكية أو متعددة الجنسيات لان من شأن ذلك ان يعيق مخططات اقتحام بيروت. وتساءل عن مدى جاهزية القوات اللبنانية لدخول بيروت الغربية. وهنا أكد بشير الجميل أنه قد جرى استدعاء الاحتياط وتجري عملية تجهيزهم بالتعاون مع رئيس الأركان الإسرائيلي رفائيل إيتان.

غادر شارون متوجها للقاء فيليب حبيب بمنزل السفير الأمريكي، ثم توجه إلى مكتب بشير الجميل في الكرنتينا حيث أبلغه إلحاح فيليب حبيب على فتح معبر غاليري سمعان لكي يستعمله

---

٤٨ كتاب أسرار حرب لبنان، بتصرف، ص٣٠٢.

٤٩ هذا ما أكدته جميع وسائل الإعلام بأن إسرائيل قامت بجلب قوات من سعد حداد وأشركتهم بمجزرة صبرا وشاتيلا حيث قام الطرفان الكتائب وقوات سعد حداد بالمجزرة. (مراجعة مجازر صبرا وشاتيلا، ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

شفيق الوزان والوزراء والدبلوماسيين والجنرالات الذين يشاركون في المفاوضات وكذلك أعضاء لجنة صائب سلام دون أن يفتشهم الجيش الإسرائيلي أو القوات اللبنانية. وأكد له شارون أن الفلسطينيين سيغادرون براً نحو دمشق والنصف الآخر سيغادر عن طريق البحر، وأكد على ضرورة جاهزية القوات اللبنانية للدخول إلى بيروت الغربية؛ لأن الحكومة اللبنانية لا تريد جمع الأسلحة الثقيلة.

أعلن الرئيس ريغان بتاريخ ٦ / ٧ / ١٩٨٢م أن الولايات المتحدة الأمريكية مستعدة لإرسال قوات إلى لبنان إذا طلبت بيروت من أجل إحلال السلام وإجلاء الفلسطينيين، وفي الساعة التي أعقبت ذلك الإعلان أبحرت ثلاث سفن ناقلة للجنود تابعة للأسطول السادس (ارميتاج[٥٠]، مانيتوول، ساغينا) منطلقة من ميناء نابولي الإيطالي وعلى متنها (١٨٠٠ جندي) من مشاة البحرية الأمريكية التابعين للوحدة (٣٢) لمشاة البحرية المتمركزة اعتيادياً في "كمب لوجون" بولاية كارولينا الشمالية والذين سبق أن نقلوا إلى البحر الأبيض المتوسط قبل شهر من ذلك، وكانت السفن الثلاث قد تلقت الأمر بالالتحاق بحاملة الطائرات "فروستال" وحاملة المروحيات "غوام" والفرقاطة "ناشفيل" التي كانت تبحر على مسافة (٢٠٠ كلم) من لبنان، وكانت مهمة هذا الأسطول مساندة الجيش اللبناني في الإشراف على ترحيل الفلسطينيين والمساعدة على بسط سلطة الحكومة اللبنانية على بيروت.

اتصل الرئيس ريغان مع مناحيم بيغن طالباً منه وضع حد لحصار بيروت الغربية وبموجب ذلك أعيدت الكهرباء والمياه إلى بيروت الغربية الأمر الذي أثار غضب بشير الجميل فما كان من إسرائيل سوى إيفاد رئيس الأركان رفائيل إيتان وناحوم عرموني من الموساد إلى بيروت الشرقية لمقابلة بشير الجميل وشرح أسباب الموافقة الإسرائيلية بإعادة الكهرباء والماء إلى بيروت الغربية. فرد بشير الجميل: لقد رفض ياسر عرفات الانسحاب تحت حماية البحرية الأمريكية بناءً على نصائح السفير السوفييتي الكسندر سولداتوف، وبوسع عرفات أن ينتظر حتى بدون كهرباء أو ماء، أنه لن يسلمكم بيروت!! لن يسلمكم بيروت!! كرر بشير الجميل هذه العبارة وهو يضرب بيده على الطاولة، وصاح بشير من جديد: برافو يا عرفات، لقد تلاعب بالجميع، وهو محق فيما يفعل، لقد عادت إليه الكهرباء والماء والغذاء، وبعد دخولنا بيروت الغربية هل سنتمكن من تنظيف المخيمات بالجرافات"..؟

---

٥٠ اسم المتحف الروسي في بترسبيرغ المنافس لمتحف اللوفر.



وبنهاية اللقاء بين الطرفين كانت الأنباء تنقل إعلان فرنسا أنها جاهزة للاشتراك في قوة الفصل في لبنان، إذا طلب لبنان ذلك وبموافقة الأطراف المتواجهة، إسرائيل و(م.ت.ف)، وسوريا، وبضمانة الأمم المتحدة، وأعلن وزير خارجية فرنسا كلود شيسون من باريس أن (م.ت.ف) قبلت بأن تنتقل من العمل العسكري إلى العمل السياسي وقال: أطلب من المنظمة ومن إسرائيل أن تقبلا بصورة متبادلة الشروع في طريق تسوية القضية الفلسطينية على قاعدة حق جميع دول المنطقة بالوجود والأمن بما في ذلك قيام دولة فلسطينية.

بدا أن حلاً للانسحاب الفلسطيني قد أصبح قيد الإنجاز يوم ٧ / ٧ / ١٩٨٢م وفحواه أن ينتقل المقاتلون إلى اللاذقية ثم يتوجهوا بعد ذلك إلى سهل البقاع أو شمال لبنان تحت حماية البحرية الفرنسية فيما يتولى (٨٠٠ جندي) من البحرية الأمريكية حماية المدنيين وينتشر الجيش اللبناني في بيروت الغربية ويتراجع الجيش الإسرائيلي عدة كيلو مترات وأن يتم انتشار القوات المتعددة الجنسيات قبل انسحاب الفلسطينيين بناء على طلب ياسر عرفات، إلا أن هذا الحل سرعان ما تم رفضه من إسرائيل حيث أصر وزير الدفاع على انتشار القوات المتعددة الجنسيات بعد الانسحاب، كما أن (م.ت.ف) أعلنت يوم ٨ / ٧ / ١٩٨٢م رفضها الانسحاب عن طريق البحر وطلبت الإنتقال مباشرة إلى شمال لبنان وسهل البقاع ويكون ذلك تحت حماية قوة متعددة الجنسيات تشارك فيها فرنسا، إلا أن دمشق أعلنت يوم ٩ / ٧ / ١٩٨٢م أنه ليس وارداً عندها أن تستقبل الفلسطينيين على أراضيها وبالتالي في اللاذقية.

خرج مناحيم بيغن من اجتماع مجلس الوزراء بتاريخ ١٠ / ٧ / ١٩٨٢م ليهدد بأن إسرائيل قد تضطر إلى حلول أخرى غير الطرق الدبلوماسية، وفي تمام الساعة التاسعة وأربعين دقيقة من يوم ١١ / ٧ / ١٩٨٢م انتهكت إسرائيل وقف إطلاق النار وبدأت في قصف بيروت الغربية أحد عشر ساعة متواصلة[٥١]، ومن أبرز أحداث ذلك اليوم أن رئيس أركان الجيش الإسرائيلي رفائيل إيتان نجا بأعجوبة من ضرباتنا الصاروخية حين كان يتفقد الخطوط بصحبة عدد من كبار ضباطه، وقد سقطت عليه قذيفة فلسطينية في الموقع الذي تحصن فيه فقتل قائد الموقع وجرح عدد آخر من الجنود ونجا إيتان بمعجزة، وكان العدو ركز قصفه على مواقعنا في الأوزاعي والمطار محاولاً التقدم عبر محاور خلده، أحراش عرمون، والمدرج الشرقي للمطار، فتم التصدي لقواته فيما عرف بمعركة التلة الحمراء الثانية "المزبلة"..

أوقفت إسرائيل القصف العنيف عند الساعة التاسعة مساء يوم ١١ / ٧ / ١٩٨٢م حيث

---

٥١ بدأت إسرائيل بقصف بيروت يوم ١١/٧/١٩٨٢م بكل الأسلحة سواء المدفعية أو الطيران أو البوارج الحربية على مدار (١٢ ساعة)، وكان ذلك اليوم أعنف الأيام خلال الحصار حيث سقط على بيروت (٢٢٠ الف) قذيفة حسب ما تناقلته وكالات الأنباء أي ما يوازي القنبلة الذرية الذي القيت على هيروشيما. (اجتياح لبنان «يوميات، صور، وثائق» وكالة مختارات الأخبار العربية والعالمية، ص٥٤، بيروت ١٩٨٢م..

تكبدت القوات الإسرائيلية خسائر فادحة وهي التي انتهكت وقف إطلاق النار بعد أن حشدت (٣٥٠٠ جندي) وأكثر من (٣٠٠ دبابة) ومائة مدفع طويل المدى حول بيروت الغربية لذلك الانتهاك، فكان ردنا قويا من خلال العديد من بطاريات الصواريخ المتعددة سوفييتية الصنع.

وعلى أثر هذا الانتهاك الإسرائيلي هرع كل من ديفيد كيمحي ويهوشع ساغي ليطلبا من بشير الجميل التحرك لاستئصال "الإرهاب الفلسطيني" في بيروت. وطالبوه بالحصول على تفاصيل الحسابات المصرفية التي يملكها الفلسطينيون في المصارف اللبنانية". واكدوا على أن مهمة القوات اللبنانية ستنحصر في اقتحام المخيمات الفلسطينية وسيكون دور القوات الإسرائيلية مقتصراً في السيطرة على المناطق الإسلامية في المدينة. مؤكدين أن لديهم الكثير من المتعاونين الذين يعملون معنا وقد بدأوا يعدّون لأعمال انتقامية.

ومن الجدير بالذكر فإنه تنفيذاً لما ذكره يهوشع ساغي فقد انفجرت يوم ١٣ / ٧ / ١٩٨٢م سيارة ملغومة طراز مرسيدس حوالي الظهر أمام مركز الدراسات الفلسطينية غير البعيد عن سينما فرساي في شارع الحمراء، وكانت ملغمة بحوالي (٥٠ كلغم) من مادتي (ت.ن.ت والهيكسيوجين) وربطت بعشرين ليتر من البنزين و(٣٠ قذيفة مدفعية) من عيار (١٢٢ ملم) ووصلت بجهاز توقيت، وقد أدى الانفجار إلى سقوط (٤٣ جريحا) وكان ذلك الانفجار هو السادس عشر من نوعه في بيروت الغربية منذ بداية الغزو الإسرائيلي للبنان.

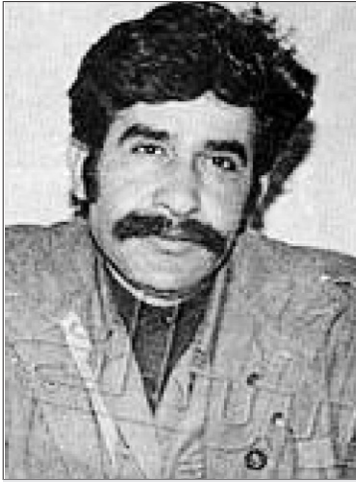
وفي اليوم نفسه وصل رئيس الأركان الإسرائيلي رفائيل إيتان إلى بيروت لإبلاغ بشير الجميل بأن إسرائيل قد أعدت خطة اقتحام بيروت الغربية وحددت دور القوات اللبنانية للتقدم على محور غاليري سمعان باتجاه كنيسة مارمخايل في الشياح وستكون مهمة الإسرائيليين الدعم والإسناد بالأسلحة والذخائر والمدرعات للقوات اللبنانية التي ستحمل علامات الهوية (قماشة برتقالية اللون ممدودة على سطح المركبات). وطلب اجتماع عاجل بين فادي أفرام وأمير دروي لوضع اللمسات الأخيرة للعملية.

ذهب وفد من القوات اللبنانية في يوم ١٤ / ٧ / ١٩٨٢م يضم كريم بقرادوني وجورج سعادة وجوزيف أبو خليل بزيارة إلى دمشق لاستكشاف الموقف السوري حيال ترشيح بشير الجميل لرئاسة الجمهورية، فتم استقبال الوفد من قبل عبد الحليم خدام المسؤول عن الملف اللبناني آنذاك بكل حفاوة، وأبلغهم أنه يمكن ذلك بعد معرفة نواياه فيما يتعلق برؤية لبنان، ومفهوم العلاقات التي يمكن أن يقيمها مع العالم العربي وسوريا ومع من سيعمل في الحقل الداخلي، وعاد الوفد إلى لبنان لإبلاغ بشير الجميل بما سمعوه في دمشق فاستثمر بشير الجميل الأيام من ١٥ – ١٩ / ٧ / ١٩٨٢م في تهدئة الأوضاع في الشوف.

تصريحات للمبعوث الأمريكي فيليب حبيب يوم ١٩ / ٧ / ١٩٨٢م حول فكرة نشر مراقبين

من الأمم المتحدة حول العاصمة اللبنانية أطارت بصواب شارون الذي هرع إلى بيروت لمقابلته. ثم توجه لمقابلة بشير الجميل وفادي افرام وجوني عبدو الذي كان قد التقى في اليوم نفسه مع ياسر عرفات في بيروت الغربية. وبادر شارون بسؤاله عن ياسر عرفات وهل ينوي الرحيل".؟ فأجابه جوني عبدو: معنوياته أفضل مما كانت يوم التقيته آخر مرة ويظن تماماً أن الوقت يعمل لصالحه.

استشهاد عزمي الصغير وبلال الأوسط:


الشهيد بلال الاوسط

عندما اشتد القتال والقصف الجوي وما رافق ذلك من إنزالات بحريه على منطقه استراحة مدينة صور؛ إضافة إلى القتال الذي تم على كل من مثلث البص ومخيم البص ومخيم البرج الشمالي، توجه عزمي الصغير والأخ زكي ركن العمليات إلى شمال مخيم البص، وإلى مخيم جل البحر. يذكر أن المحور الممتد بين مخيم البص والذي يصل إلى كل من جسر القاسميه ومثلث أبو الأسود كان يشهد تحركات عسكرية إسرائيلية كبيرة ؛ اضطر خلالها عزمي ومرافقوه إلى التوجه إلى فيلا بالقرب من البحر.

وتجدر الإشارة إلى أنه من المعروف عن عزمي حذره ولكن شاءت الظروف أن يباغته العدو وقد بدأ بتطويق المنطقة والاقتراب من المنزل لاعتقاله ومرافقيه ولكن يبدو أن الأخ عزمي لاحظ حركة الإسرائيليين فبادر بالاشتباك مع القوة العسكرية الإسرائيلية التي تتولى تطويق المنزل ونشبت معركه غير متكافئة واستمرت طويلاً واستشهد عزمي الصغير[٥٢] بتاريخ ٦ / ٨ / ١٩٨٢م، بعد أن تم هدم المنزل الذي تحصن فيه ومرافقيه ليسطروا ملحمة بطولية شهد لها أبناء المنطقة.

---

٥٢ عزمي الزغير (عبد المغني الزغير)، ولد في الخليل عام ١٩٤٠م، متزوج وله من الأولاد ثلاثة، عرفته أرض المعارك في الأغوار وبيروت وجنوب لبنان خاض العديد من المعارك منذ التحاقه بحركة فتح منذ العام ١٩٦٧م ولم يتأخر عن المشاركة في جميع معارك الثورة الفلسطينية وكتب بالدم أعظم صور البطولة وجرح عدة مرات نتيجة مشاركته في الكثير من المعارك، كان مثالاً للعطاء والتضحية، تاريخه مليء بالمواقف الباسلة من خلال المواقع التي عمل فيها وهي: وحدة الاستطلاع في غور الأردن، جهاز الأمن مع زكريا عبد الرحيم، وحدة الاستطلاع في لبنان، عمل نائباً لقيادة كتيبة الشهيد أبو يوسف النجار (كايد يوسف (أبو نشأت) من سنة ١٩٧٤ ولغاية ١٩٧٩م التي كانت مواقعها في منطقة صور في الجنوب اللبناني، شارك في أعداد وتدريب أكثر العمليات الجريئة التي كانت تشارك فيها كتيبة الشهيد أبو يوسف النجار مع الشهيد القائد أبو جهاد وأهمها: عملية سافوي عام ١٩٧٥م، عملية دلال المغربي عام ١٩٧٨م، شارك في معارك اجتياح إسرائيل لجنوب لبنان (عملية الليطاني) عام ١٩٧٨م، قائداً لكتيبة الشهيد أبو يوسف النجار من عام ١٩٧٩م ولغاية استشهاده في حرب عام ١٩٨٢م، مازالت إسرائيل تحتجز جثمانه الطاهر مع العديد من جثامين الشهداء.

واعترف موشي يعلون أن القوات الإسرائيلية في عملية «سلامة الجليل» قامت بإغتيال أحد كبار القادة العسكريين الفلسطينيين وهو «عزمي الصغير» أحد المقربين من ياسر عرفات وخليل الوزير، وأحد القيادات التي كان يعتمد عليها في العمليات النوعية التي كانت تستهدف إسرائيل. وكشف أن إسرائيل وضعت «الصغير» على قائمة المطلوبين بعد عملية دلال المغربي والتي يعد أحد أبرز المخططين لها.



الشهيد عزمي الصغير وأبو جهاد



أما بلال قائد القطاع الأوسط « جنوب نهر الليطاني فقد وصلت معلومات إلى الجيش الإسرائيلي تفيد أنه سيجتاز نهر الليطاني شمالا في المنطقة الواقعة إلى الشمال من جسر القاسميه بثلاثة كيلومترات؛ وقام الجيش الإسرائيلي بنصب كمين في المكان نفسه الذي توقع أن يجتاز منه نقطه العبور؛ وفعلاً فتح الجيش الإسرائيلي النار وكان الوقت ليلاً؛ «وكان بلال مجروحاً في يده؛ إثر اشتباكات وقعت بينه وبين القوات الإسرائيلية في منطقه جويا» وقد دارت اشتباكات بين قوة الحماية التي كان قد وضعها بلال في الجانب الآخر من النهر؛ وبين الجيش الإسرائيلي أستشهد على أثرها الأخ بلال[٥٣] ومن معه.

---

٥٣ محمود شريف طاهر سمودي (بلال الأوسط)، ولد في اليامون – جنين عام ١٩٤٣م، عمل مدرساً في الجزائر عام ١٩٦٤م وتعرف على القائد الشهيد أبو جهاد والتحق بحركة فتح عام ١٩٦٥م وفي أوائل عام ١٩٦٨م غادر الجزائر إلى سوريا ومن ثم التحق في قوات العاصفة في منطقة العرقوب في جنوب لبنان وكان من أوائل المقاتلين الذين أقاموا القواعد في مناطق الهبارية وكفر حمام وكفر شوبا وكان برفقة الشهيد نعيم وعمل نائباً للشهيد جواد أبو الشعر في القطاع الأوسط عام ١٩٧٣ م وحصل على عدة دورات عسكرية في الصين والاتحاد السوفياتي وفي عام ١٩٧٧م عين قائدا للقطاع الأوسط وفي اجتياح إسرائيل لجنوب لبنان في أذار ١٩٧٨م خاض معارك ضد الجيش الإسرائيلي في مناطق بنت جبيل ومارون الراس وجويا وقاتل خلف خطوط العدو وفي حرب ١٩٨٢م، قاتل بشرف إلى أن أستشهد في الجنوب اللبناني. كان رمزاً في التضحية وكان محبوباً وكان مثال الأخلاق وكان قائداً يحتذى به في نضاله، ويتذكر أهل الجنوب اللبناني والمخيمات تضحياته. عرفته أرض المعارك في الجولان وفي جنوب لبنان وشهدت له بالشجاعة خاض العديد من المعارك منذ التحاقه بحركة فتح وكان من القادة الذين رسخوا صورة الفدائي للأجيال الفلسطينية وسجله النضالي والوطني سيبقى في ذاكرة أبناء شعبنا، ما زالت إسرائيل تحتجز جثمانه الطاهر مع العديد من جثامين الشهداء.

بشير الجميل مرشحاً للرئاسة:

كان مكتب التنسيق لأجل انتخاب بشير الجميل برئاسة زاهي البستاني قد ضاعف جهوده لجمع (٦٢ نائبا) لتأمين النصاب القانوني لانتخاب بشير الجميل، ولكن الترشيح الرسمي للرئاسة لم يعلنه بشير إلا يوم ٢٤ / ٧ / ١٩٨٢م عبر بيان بثته إذاعة الكتائب فرد وليد جنبلاط معتبراً ذلك «تحدياً» وأنه ترشيح الدبابات والمدافع الإسرائيلية فيما أكدت سوريا أن بشير الجميل «قد خان» وكذلك فعلت القوى الوطنية اللبنانية والإسلامية اللبنانية.

ردت إسرائيل على الاعتراضات بترشيح بشير الجميل يوم ٢٦ / ٧ / ١٩٨٢م بقصف عنيف جداً على بيروت الغربية، ومعاودة قطع الكهرباء والماء، واستمر القصف طيلة يوم ٢٧ / ٧ / ١٩٨٢، وبعد توقف القصف اجتمع وجهاء السنة في التجمع الإسلامي في منزل صائب سلام ووافقوا بالإجماع على إجراء انتخابات في اطار دستوري، وفي ذلك اليوم أعلن ياسر عرفات تعهده بسحب القوات الفلسطينية من بيروت، فطلب فيليب حبيب من شفيق الوزان أن يحصل على التعهد الخطي من عرفات. وفي اليوم نفسه اجتمع مجلس الأمن بطلب من إسبانيا لاتخاذ قرار برفع الحصار عن بيروت، وامتنعت الولايات المتحدة عن التصويت، وقبل أن يتخذ القرار استأنفت إسرائيل القصف براً وبحراً وجواً، وأصاب القصف منزل صائب سلام، فيما تقدمت القوات الإسرائيلية لاختراق دفاعاتنا ووصلت إلى مسافة خمسة كيلو مترات جنوبي بيروت الغربية، وضيقت الحصار على مطار بيروت وقام العدو بالإغارة على المناطق السكنية في بيروت وتم تدمير بناية كاملة في منطقة الروشة[٥٤]، وسقط جراء هذه الغارة (١٦٠ شهيدا وجريحا) ولم تكن تلك العملية مفاجأة لنا حيث كنا نتوقع الهجمات الإسرائيلية في كل لحظة.

وصل إسحق حوفي مدير الموساد صباح يوم ٤ / ٨ / ١٩٨٢م إلى بيروت الشرقية في ظل قصف إسرائيلي شديد لبيروت الغربية، وذلك لملاقاة بشير الجميل الذي أكد له أن هناك ضغوط سورية وفلسطينية لمنع إجراء الانتخابات اعتماداً على مقاطعة المسلمين، لكنه يعتقد أن صائب سلام ينتظر الضوء الأخضر من السعوديين للمشاركة، وأنه حصل على وعد من فيليب حبيب أن

---

٥٤ كان الهدف من قصف البناية في الروشة قتل أبو عمار، ويبدو أن أحد العملاء قام بتزويد إسرائيل بأن أبو عمار موجود في البناية والصحيح أن أبو العباس/ الأمين العام لجبهة تحرير فلسطين هو من كان يتردد بعض الأوقات على تلك البناية.

يتدخل لدى السعوديين بهذا الشأن، وحسب تقديراته فإنه اذا لم تنجح المقاطعة فانه سيحصل على النصاب القانوني اللازم لانعقاد جلسة انتخاب رئيس الجمهورية وكذلك الحصول على (٥٥ صوتاً) في الدورة الأولى، خاصة في ضوء التأكيدات التي تلقاها من كميل شمعون من أنه سيقوم بدعمه[٥٥].

بيغن يصر على الكتائب لاقتحام بيروت[٥٦]:

خرج شارون يوم ٨ / ٨ / ١٩٨٢م من اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي ليتوجه مباشرة إلى بيروت الشرقية للاجتماع مع بشير الجميل في منزل جوني عبدو، وفور وصوله أكد شارون على ضرورة توفير أية معلومات عن القادة الفلسطينيين، بمساعدة أسعد شفتري (مساعد إيلي حبيقه)، وجرى التركيز على خليل الوزير، الذي أكد بشير الجميل أنه قد جرى قصف مبنيين كان يحتمل تواجد خليل الوزير داخلهما.

ثم نقل شارون إلى بشير الجميل احتجاجات الحكومة الإسرائيلية بسبب الموقف الغامض للكتائب وعدم حسم مسألة اقتحام بيروت وتصريحات كميل شمعون التي أكد فيها أنه لن يكون بمقدور لبنان أن يوقع على اتفاق سلام مع إسرائيل، وأصر بيغن على ضرورة دخول القوات اللبنانية إلى بيروت. وهنا أكد بشير الجميل أنه ملتزم وجاهز لذلك معتبراً أن الظروف السياسية والميدانية باتت مناسبة أكثر مما سبق.

وتطرق شارون إلى موضوع القوة متعددة الجنسيات، مؤكدا على اتخاذ كل الترتيبات لمنع نزولهم قبل رحيل الفلسطينيين، وأكد أنه قد تم نشر قوات إسرائيلية في الأماكن الممكن استخدامها من قبل تلك القوات بما يفسح المجال أمام مخططاتهم لاقتحام بيروت من قبل قوات الجيش اللبناني والقوات اللبنانية لتنفيذ عملية اقتحام بيروت الغربية للقضاء على المسلحين والاستيلاء على مستودعات الأسلحة والذخائر. وفي نهاية اللقاء أكد بشير الجميل أنه إذا تحقق الانسحاب الفلسطيني سوف يطلب في مرحلة أولى أن تبقى القوات الإسرائيلية، وتعهد ان تقوم وحدات الجيش اللبناني والقوات اللبنانية بتنفيذ عملية اقتحام بيروت تحت غطاء شرعي بعد تسلمه الحكم بصورة رسمية يوم ٢٣-٨-١٩٨٢م.

---

٥٥ أسرار حرب لبنان، ص٢٨٣، مصدر سابق.

٥٦ أسرار حرب لبنان، ص٢٠٢، مصدر سابق.

الاتفاق النهائي بالشروط الفلسطينية:

بعد أن عبرت شاحنات وسيارتا إسعاف تابعتان للصليب الأحمر الدولي يوم ٢٠ / ٨ / ١٩٨٢م وعلى متنها تسعة توابيت والطيار الإسرائيلي الأسير لدى منظمة التحرير (هارون أهياز) عبرت خط النار على محور المرفأ حيث كانت قوة إسرائيلية بانتظارهم. ثبت وقف إطلاق النار الذي سعى إليه فيليب حبيب بعد مفاوضات طويلة، وبعد أن فشلت كل جهود شارون في استخدام الضغط العسكري على القيادة الفلسطينية لفرض الشروط الإسرائيلية على قيادة (م.ت.ف).

وبعد الالتزام بوقف إطلاق النار بدأت وكالات الأنباء تذيع خبر التوصل إلى اتفاق نهائي بين المقاومة الفلسطينية وفيليب حبيب كان يديره بامتياز عن الجانب الفلسطيني العميد سعد صايل (أبو الوليد) بتعليمات مباشرة من ياسر عرفات، وهو الاتفاق الذي اضطر الإسرائيليون للقبول به وفق الشروط الفلسطينية للخروج من بيروت. وفي ٢١ / ٨ / ١٩٨٢م أخذت طلائع العناصر الفرنسية التابعة للقوة متعددة الجنسية مواقعها في مطار بيروت لتحل محل القوات الإسرائيلية المنسحبة طبقاً للبرنامج الذي أعدته القيادة الفلسطينية والذي ينص على:

١. الخروج للجميع ذكراً أو أنثى باللباس العسكري.
٢. أن يحمل كل شخص سلاحاً واحداً، إما بندقية أو مسدساً أو رشاشاً قصيراً.
٣. أن يحمل كل شخص حقيبة كتف واحدة ويمنع حمل أي لباس مدني.
٤. السيارات العسكرية مسموح بها ولكن للوصول إلى الميناء فقط.
٥. السماح بتواجد أي فلسطيني لاجئ في لبنان منذ عام ١٩٤٨م.
٦. اشتراط مغادرة الرئيس عرفات كرئيس دولة مع كامل الإجراءات المطلوبة لذلك.

برنامج خروج قوات الثورة الفلسطينية من بيروت:

- ٢١ آب:٣٩٧ مقاتلا من كتيبة بدر والجبهة العربية توجهوا إلى قبرص ومن هناك إلى الأردن والعراق.
- ٢٢ آب:٩٨٢ من قوات عين جالوت وقسم من قوات ال١٧ توجهوا إلى تونس.
- ٢٣ آب: ٧٠٠ مقاتل من المنظمات المختلفة أبحروا إلى اليمن الجنوبية.
- ٢٤ آب: ٥٩٤ مقاتلاً من منظمات مختلفة أبحروا إلى طرطوس.
- ٢٥ آب: ١٠٣٨ مقاتلاً أبحروا على دفعتين إلى طرطوس والسودان.

- ٢٦ آب:٦٩٧ إلى طرطوس إضافة إلى ١٦٧ جريحا نقلهم الصليب الأحمر الدولي إلى قبرص واليونان.
- ٢٧ آب:١٧٥١ جندياً من لواء حطين براً إلى دمشق، و٧٢٧ فلسطينياً أبحروا إلى طرطوس.
- ٢٨ آب: ٧٦٤ أبحروا إلى طرطوس.
- ٢٩ آب:١٥٠٠ من لواء القادسية غادروا براً إلى دمشق، و٤٤٥ فلسطينيا أبحروا إلى طرطوس.
- ٣٠ آب:٥٨٨ إلى الجزائر، كذلك غادر بحرا ياسر عرفات مع ٦٢ من معاونيه إلى اليونان.
- ٣١ آب: ٩٢١ فلسطينياً أبحروا على دفعتين إلى اليمن الشمالية وطرطوس.
- ١ أيلول: ٧١٥ فلسطينياً أبحروا إلى طرطوس.

شمس لن تغيب.. ووداع مؤقت:

فرضت الحرب على بيروت وقائع يومية جديدة، وبسبب القصف الجوي تطوع الكثيرون في صفوف جمعية الصليب الأحمر اللبناني حتى أعلن عن إغلاق باب التطوع، والتنظيمات والأحزاب والمليشيات شكلت فرق الدفاع المدني الخاصة بها، كما تقاطر المتطوعون على مستشفى الهلال الأحمر الفلسطيني، وتشكلت بين الأهالي لجان عديدة: لجنة الإسكان، لجنة الأفران، جهاز التموين، المستوصفات الشعبية ونقاط الإسعاف، فرق حرق النفايات، مجموعات توفير المياه، جهاز التحصينات والموانع، ولم يكن ذلك سهلاً وهي محاصرة من كل الجهات وأبوابها مشرعة للقادمين والخارجين وبوارج العدو تمخر البحر أمام الشاطئ.

وفي مشهد آخر تجمع الكتاب والصحفيون والشعراء وصدرت جريدتان «المعركة والرصيف» كما صدرت نشرة عن الهلال الأحمر الفلسطيني «نشرة بلسم» وعاودت بعض الصحف الصدور حيث تمكنت صحف السفير والنهار واللواء من الاستمرارية ولكن باختصار عدد الصفحات بسبب نقص الورق والطاقة، ونقص المحررين وكنا نقوم بتوزيع صحف «فلسطين الثورة» والمعركة والرصيف مع التموين على المواقع لكن الصحف لم تغن عن تتبع الأخبار بوساطة الإذاعات، وما يحز في النفس الآن هو أن تلك الصحف فقدت صحفيين أعزاء، فقد فقدت صحيفة الرصيف مؤسسا ورئيس تحريرها الشهيد علي فوده الذي أصيب من القصف حين كان بمنطقة عين المريسه الساحلية ونقل إلى مستشفى الجامعة الأمريكية حيث فاضت روحه

إلى بارئها من جراء إصابته ولولا أن كاتب مستشفى الجامعة الأمريكية واسمه علي فاضل قام بتوثيق اسمه في السجل لما عرف باستشهاده الكثيرون، أما صحيفة «فلسطين الثورة» فقد فقدت اثنان من كتابها وهما من الجنسية العراقية كانا قد خرجا إلى مخيم برج البراجنة دون أن يعرفا بأن الطرق قد تم تلغيمها، ورغم وجود لافتة كتب عليها «خطر ممنوع المرور» فقد ظنا أنها تنبيه للمدنيين بعدم اقتراب من خطوط القتال، نزل أحدهما ونقل اللافتة جانباً لكي تمر السيارة فانفجر بهما اللغم.

مع استمرارية الحرب والاعتداءات الإسرائيلية على لبنان أصبح للجنازات تقاليدها، فقد كان إطلاق النار في الهواء بكثافة من لوازم جنازات الشهداء، وبعد فترة تمكنت حركة "فتح" من السيطرة على جنازات الشهداء وتوقف إطلاق النار في الجنازات تماماً إلا من واحد وعشرين طلقة يطلقها "الكفاح المسلح" عند المقبرة، كما كانت بعض الجنازات تحظى بالفرقة الموسيقية التابعة لقوات "العاصفة" أو الفرقة الموسيقية لمدرسة أبناء الشهداء وهكذا تنوعت جنازات الشهداء ولكن في حدود، وبقيت أمور مشتركة بينها جميعا، أولها أن كافة الإجراءات الخاصة بالمدفن تقوم بها المؤسسة الاجتماعية لرعاية أسر الشهداء والأسرى، والمعروفة باسم "مؤسسة الشهداء" وهي من أقدم وأقدر المؤسسات الفلسطينية وأكثرها انتظاما وأقلها كادراً وعاملين، ولعل ذلك كان سر نجاحها، ثم الطريق الذي تسلكه الجنازة، فقد كان طريقاً ثابتاً من أمام جامعة بيروت العربية إلى مقابر الشهداء على طريق المطار، ثم سيارة جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني التي تحمل النعش ملفوفا بالعلم الفلسطيني.

أبو عمار يتحدث عن الملحمة الأسطورية في بيروت:

«لقد صنع أبطالنا في القوات المشتركة والأحرار من أمتنا العربية الذين قاتلوا إلى جانبنا، ملحمة صمود أسطورية، وفي هذا الصدد أذكر الباكستانيين والبنغال واليمنيين الذين قاتلوا معنا بضراوة، أود أيضاً الإشارة إلى أن هؤلاء جميعا صنعوا معاً شيئاً اسمه "الإسبارطيون" في منطقة الشرق الأوسط.

لمعارك بيروت تقييم عسكري هام، فالدبابة أعطيت أهمية استثنائية في المعارك البرية عندما استخدمها هتلر في فرق البانزر (Panzer) ومنذ ذلك الحين اعتبرت الدبابة أهم الأسلحة في المعارك، وظلت كذلك حتى حرب لبنان، حيث شطب الـ"ر.بي.جي" وأطفاله الدبابة من أن تكون السلاح رقم واحد في المعركة، والآن في أوروبا وفي حلف الناتو على وجه التحديد، ويدرسون



تأثيرات حرب لبنان على الأسلحة المختلفة، بما فيها الدبابة، خاصة وأن المدن في أوروبا تتسع وتتصل مع بعضها بعضاً، أشياء أخرى كثيرة أود التحدث عنها في المجال، غير أن لجنة عسكرية فلسطينية من المفترض أن تكون قد أنهت أعمالها، كلفت من قبل القيادة الفلسطينية بإعداد تقرير عن المعارك العسكرية، هذه اللجنة قابلت قادة المناطق والمحاور والمواقع، ومن المرجح أن تنجز تقريرها قريباً، ثم ترفعه إلى المجلس العسكري الأعلى للثورة الفلسطينية وتقرير اللجنة يعبر أكثر بكثير عما أريد قوله هنا.

بلا شك أن معركة بيروت أحدثت تغيرات كثيرة منها على سبيل المثال شطب الجيش الإسرائيلي من أن يكون رأس الرمح في قوة التدخل السريع الأمريكية[٥٧]، و "بدي أقولها بالبلدي" هذا الجيش الذي دفع بحوالي مئة وسبعين ألفاً من قواته في مختلف قطاعاتها البرية والبحرية والجوية، وأمام من..؟ أمام "قردين وحارس" كما يقول المثل، فنحن في الحصيلة أمام هذه الجحافل لا نتعدى القردين والحارس، فعدد قواتنا في بيروت في مقابل قوات العدو لم يتجاوز الثمانية آلاف مقاتل، وفي الجنوب لم يتجاوز عدد هذه القوات الستة آلاف مقاتل، يعني أربعة عشر الف مقاتل في مقابل مئة وسبعين ألفاً أي بنسبة ١ – ١٤، علماً بأنه في بيروت لم تكن لدينا قوة رئيسة مقاتلة، فمعظم مقاتلينا في بيروت كانوا من الأجهزة، لذا فإن حسابات البنتاغون والناتو تبدو الآن حائرة أمام ظاهرة المقاتل الفلسطيني الذي أوقف الجيش الإسرائيلي ثمانية وثمانين يوماً، مقابل هذا ككله، كم يكون "سعر" الجيش الإسرائيلي في الاستراتيجية الشاملة للبنتاغون الأمريكي وحلف الناتو.؟ من غير الوارد بعد الآن، الاعتماد على هذا الجيش في الاستراتيجية الشاملة للإمبريالية الأمريكية، لهذا جاز لبيروت بكل استحقاق أن نقول فيها ما قلته أنا ذات يوم "أيها المجد اركع"".

لم يكن القتال وحده هو المهم في بيروت، فتأمين المياه وتوفير أسباب الصمود بعد قيام الغزاة بقطع المياه والمحروقات والدواء والطعام، كان شغلنا الشاغل كيف نؤمن كل هذا برغم الحصار..؟ حفرت ثمانية وثلاثون بئراً لتأمين المياه، كان هذا أول شيء عملناه أثناء الحصار،

---

٥٧ ثبت فيما بعد أن رؤية أبو عمار كانت صائبة تماماً، فبعد الصمود الأسطوري لقوات (م.ت.ف) أمام جحافل الغزو الإسرائيلي عام ١٩٨٢م، بدأ العد التنازلي للجيش الإسرائيلي الذي هزم عام ٢٠٠٠م وانسحب من الأراضي اللبنانية في الجنوب تاركاً وراءه جيش العميل لحد بين هارب ومستقيل، وفي صيف عام ٢٠٠٦م لحقت هزيمة كبرى بالجيش الإسرائيلي على يد حزب الله اللبناني وليس على يد جيش دولة، كما عجز الجيش الإسرائيلي بكل آلته العسكرية عن تحقيق انتصار في الحرب على غزة مطلع عام ٢٠٠٩ م ولم يتمكن من الإفراج عن الأسير الإسرائيلي (شاليط) أو القضاء علي قيادة الحركة الوطنية والإسلامية.

وعندما ضربت الإذاعة سعينا وراء تشغيل إذاعة قديمة مستعملة ظل الشباب يجرون عليها التصليحات حتى تمكنوا من تشغيلها، حافظنا على استمرار طباعة الجرائد، لأهمية دورها التعبوي والإعلامي، اضطررنا لتأمين المازوت للمطابع والمخابز والمستشفيات وغرف العمليات وأجهزة الإرسال على حد سواء، الأفران عملت بلا توقف.. تعبت بيروت من قلة الخبز يوماً واحداً خلال الحرب كلها، وأذكر أنني عقدت اجتماعاً في إحدى المرات مع كادر أحد الأفران في بيروت، قالوا لي: توجد أفران في المناطق كذا وكذا.. قلت لتفتح هذه الأفران فوراً.. قالوا: لكن من سيعمل فيها..؟ قلت الطلبة.. طلبة الجامعات، وفي إحدى المرات زرت أحد الأفران وكان أحد هؤلاء الطلبة يعمل في الفرن، سألته كم ساعة تعمل هنا..؟ قال: ثماني ساعات قلت له، أليس بالإمكان جعلها اثنتي عشر ساعة، قال: يا أبا عمار جرب أنت العمل في الفرن، وسوف ترى بنفسك إن كان بالإمكان المكوث هنا لمدة ساعة واحدة، وتعرف يا أبا عمار أنها المرة الأولى في حياتي التي أعمل فيها في فرن"..

الهلال الأحمر نموذج آخر على الديناميكية الفلسطينية في الحرب، إنه لمن الإعجاز حقا أن يتمكن الهلال الأحمر من إقامة مستشفيات ميدانية تحت الأرض مع تأمين الأدوية والمعدات لها، الاتصالات أيضاً كنا في ظل الحصار أكبر مركز للاتصال في العالم، كنا نتصل بالقيادات السوفييتية والصينية والفرنسية والقيادات العربية والأمم المتحدة وبكاسترو رئيس دول عدم الانحياز، وكانت أجهزة اتصالات القيادة الفلسطينية تصدر يومياً ما معدله ٥٠ – ٦٠ برقية ورسالة، ونتلقى رقماً مماثلاً وبعض التقارير كان يزيد على العشر صفحات، فضلاً عن قسمي ترجمة جاهزين للاستقبال والإرسال، وقد أشرف على مجالي الأخبار والاتصالات الدولية اثنان من الدكاترة كانت مهمتهما مواصلة الاتصالات عبر التلكس والوسائل الأخرى، أجهزتنا عملت خلال الحرب بتناغم مذهل، كما الكمبيوتر.

المعركة الفلسطينية – الإسرائيلية على جبهة المفاوضات كانت بالأساس معركة أعصاب وحرب إرادات، لقد عرضوا علينا الخروج بداية تحت رعاية الصليب الأحمر رافعين الرايات البيضاء، ثم قالوا لنا: اخرجوا لكن بدون أسلحتكم ثم اقترحوا علينا الخروج بكفالة أمريكية وعلى سفن أمريكية تلك هي حرب الإرادات التي انتصرت فيها الإرادة الفلسطينية عندما تمكنت من فرض شروطها على العدو المتغطرس، أريد هنا أن أشير وبدون تسميات إلى أحد "العناتر" قائد فلسطيني "يعنتر" علينا هذه الأيام من ليبيا، قال لي أثناء الحصار وأمام



القيادة الفلسطينية "ماذا تنتظر يا أبا عمار، دعما نخرج مع الصليب الأحمر فهذا ليس عيباً، هو قال ذلك، وأما أنا فقد رفضت وأكثر من الرفض، فرضت شروطي على الطرف الآخر، لعشرة أيام متواصلة ناقشت حول كيف يكون موكب خروجي من بيروت، على أثر ذلك أرسل لي بيغن رسالته الشهيرة التي سألني فيها عما إذا كنت أنا أحاصر تل أبيب أم هو الذي يحاصر بيروت.؟

يومها قلت له: "بحصاري في بيروت حاصرت تل أبيب وكل العواصم"، عشرة أيام ناقشت فيها كل تفاصيل الخروج بما في ذلك المراسيم حسب الأصول البروتوكولية الدولية كيف يؤدي لي حرس الشرف، من غير قواتي التحية العسكرية ومرافقة بعثة عسكرية يونانية بقيادة جنرال لموكبي، فضلاً عن إرسال مبعوث رسمي يوناني وأربع سفن مواكبة للباخرة التي ستقلني إلى اليونان، والتي رفع عليها علم فلسطين، كل هذه المراسيم بتفاصيلها نوقشت لا لشخص ياسر عرفات وإنما لرمز مدينة قاتلت وصمدت فاستحقت فرض شروطها، فالأمر لا يتعلق بي شخصياً وإنما بكرامة الأجيال من أبناء شعبي، وأما الجماهير اللبنانية فمن المرات القليلة التي بكيت فيها طوال حياتي تلك المرة التي ودعت فيها بيروت وجماهير بيروت التي لم أرى كحنانها حنانا.

كلما كانت المفاوضات تتعسر كان فيليب حبيب يتصنع "الزعل" ويرسل لنا الطيران الحربي والبوارج لتفاوضنا بالنار والدمار، وكنا نعرف أن كل يوم مفاوضات إضافي سوف يعني المزيد من القتل والتدمير وسفك الدماء، لذا أذكر في آخر وصلة مفاوضات كنت فيها وسعد صايل جاء لنا جنرال لبناني يحمل رسالة من سركيس، قلت للجنرال: "بلغ الرئيس سركيس التالي: "لقد مر الفرنجة على هذه المنطقة وغادروها وأخذوا معهم جماعتهم، وجاء التتار ثم غادروها وانتصرت هذه المنطقة على التتار، وكذلك سيغادر الصهاينة هذه المنطقة وسيأخذون معهم كلابهم، ثم يا جنرال قد تكون اطلعت على مسار الحرب ضدنا من شاشة العرض في بعبدا، لكني أود هنا أن أسألك: هل هنالك فاتورة لم ندفعها، لقد دفعنا الفاتورة الإسرائيلية كاملة، ودفعنا الفاتورة الأمريكية كاملة أيضاً، وكذلك الفاتورة اللبنانية، وبعض الفواتير العربية، فهل هنالك من فواتير لم ندفعها بعد..؟ وتوجهت لأبي الوليد قائلاً: "إذا كان لديك يا أبا الوليد فواتير بعد فوقع عليها بما في ذلك تلك الفواتير السخيفة التي ادعاها بشير الجميل (فواتير الكهرباء).

عندما سئلت هل أفاوض لفك اشتباك كامل أم لفك نقاط، قلت":فك اشتباك كامل وإلا

فلا انسحاب"، وأما العدو الإسرائيلي وحبيب فقد فاوضوني بالنار، وبالفانتوم وبالقنابل الانشطارية والقنص بالطائرات.

لم يكن من الممكن خروج قوات الثورة الفلسطينية من بيروت بالضغط الإسرائيلي أو بالمفاوض الأمريكي ولا بالصمت العربي، قواتنا خرجت من بيروت من أجل بيروت وأطفالها ونسائها ورجالها، الذين أعطونا أكثر مما يمكن أن يعطيه أي شعب في العالم لشعب شقيق، قاسمونا رغيف الخبز مغمساً بالدم والبارود، قاسمونا لحد الشهيد، وكم أتمنى لو أن بيروت كانت مدينة فلسطينية، حتى لا أخرج منها.. بيروت تتجدد على أي حال في ولادة قواتنا العسكرية ويتعملق العملاق أكثر فأكثر كلما حافظنا على منجزات صمود بيروت.. بيروت التي غاب العرب عنها في أحلك لحظاتها، ماذا أقول عن غيابهم، فبيروت كاشفة "العورات العربية".. آه.. ويكفي أن أقول آه..

النفق المظلم الذي كنت أتحدث عنه باستمرار، دخلته بيروت معي، دخلت بيروت هذا النفق لمدة تسعة وسبعين يوماً، وللدقة ثمانية وثمانين يوماً؛ لأن بيروت هي التي تلقت أولى ضربات الحرب في غارات الرابع من حزيران على المدينة الرياضية والمخيمات، بيروت دخلت معي هذا النفق برجالها ونسائها وأطفالها، هذا النفق الذي حذرت منه طويلاً، دخلته معي أيضا القوات المشتركة اللبنانية – الفلسطينية، ولقد قلت في بيروت ما تستحقه هذه المدينة العظيمة، قلت: أيها المجد اركع لبيروت، وقد استحقت مني بيروت قبل أن أغادرها "وسام بيروت المجاهدة" الذي منحته لها باسم القوات المسلحة الفلسطينية وباسم (م.ت.ف)، هذا الوسام الذي استحدثناه في منظمة التحرير لكل من دافع عن بيروت ولكل من صمد فيها، وقد سلمت هذا الوسام قبل مغادرتي بيروت لإخوتي من أهل بيروت الكرام الذين خرجوا لوداعي، لن أنسى تلك اللحظات لسماحة المفتي خالد ولرؤساء الوزراء السابقين، سلمت وسام بيروت مع رسالة وجهتها لأهل بيروت، نشرت في الصحف في اليوم التالي لرحيلي عن بيروت، المدينة التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، وقف أمامها قاتل الأطفال والنساء شارون الجبان عاجزاً عن احتلالها رغم ما بحوزته من معدات أمريكية ضخمة، فشل شارون في أن يقتحم بيروت عندما كان هؤلاء الأبطال من القوات المشتركة يزنرون خصرها، وفي خلسة من ليل رحيلنا، وبتواطؤ من الإدارة الأمريكية سفح القاتل دم المدينة الشامخة بعد خروجنا منها.

في ذلك اليوم كنت في روما، وكان لي يومها لقاء مع وزير الخارجية الإيطالي، قلت له "أنت



مسؤول عن المذبحة القادمة ضد أهل بيروت، لم أكن أتصور أن المذبحة ستقتصر على مخيمي صبرا وشاتيلا، طبعا أعرف لماذا اختاروا صبرا وشاتيلا، هما مركز قيادتنا ورمز ثورتنا، قلت لوزير الخارجية الإيطالي: "أود أن اسأل بأي حق تسحبون قواتكم من بيروت دون أن تبلغوني، لقد سلمت المدينة لكم عند خروجي منها، ولم أسلمها للجيش اللبناني، سلمت المدينة للقوات الثلاث متعددة الجنسيات، الفرنسية والإيطالية والأمريكية ولأربعة وخمسين مراقباً دولياً، فكيف حصل ما حصل..؟ قال الوزير الإيطالي "لقد مورس علينا ضغط أمريكي، وأيضا أوضح لي السفير الإيطالي عمليات الضغط التي مارسها عليه فيليب حبيب وقال: راجعت بنفسي شولتس فقال لي: سوف نرحل لأننا لا نريد البقاء في هذه المدينة ولا نتحمل مسؤولية ما سيجري بها.

إذن كان الأمريكيون يعرفون ما سيجري في المدينة، الكلام نفسه قيل لي عندما قابلت في تونس كلود شيسون وزير الخارجية الفرنسي، فبعد مرور أيام على المذبحة التقيت شيسون وحملته مسؤولية ما حصل، فقال إن ضغطاً أمريكياً كبيراً مورس عليهم للخروج من المدينة، هذا الكلام موجود في محاضر جلستين رسميتين بيني وبين وزيري الخارجية الإيطالي والفرنسي كل على حدة[٥٨].

موكب القبلات والدموع في الرحلة إلى تونس:

أبلغت في الساعة الثانية عشرة ظهراً من يوم ٢٢ / ٨ / ١٩٨٢م بأن علينا كقوات الـ١٧ أن نكون جاهزين للرحيل إلى تونس تمام الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي ٢٣ / ٨ / ١٩٨٢ وأن قسماً من قواتي ستتوجه إلى اليمن الجنوبي وقسم إلى الشام.

فور إبلاغي بذلك انتابني غضب شديد؛ لأن ذلك التوزيع لقواتي لم يكن حسبماً اتفقت عليه مع الأخوين أبي عمار وأبي الوليد، وفي تلك المرحلة كنت لا أزال اتكئ على عكازين بسبب إصابتي خلال المعارك، ورغم ذلك طلبت من الإخوة ضباط عمليات ال١٧ القدوم للتشاور حول الموقف، وكان رأيهما أن نمتثل للقرار كونه قراراً عسكرياً، واتفقنا أن يتولى أبو صلاح إعداد قائمة بأسماء المغادرين إلى تونس.

ساد جو من الهرج والمرج بين ضباط وعناصر قواتي احتجاجا على القرار بتوزيع القوات،

---

٥٨ شهادة ياسر عرفات «أبو عمار» على حرب بيروت ١٩٨٢م.

وأصرّ الجميع على أن يرافقوني حيثما توجهت ضاربين عرض الحائط بقرار التوزيع ومهددين بالقول: «أنت قائدنا، فإما أن نكون معاً، وإما سنبقى لنموت معاً»، وأمام هذا الإصرار والوفاء عجزت عن الإجابة، لكن أبو صلاح أنقذ الموقف وأبلغ الجميع أن ذلك أمراً عسكرياً من القيادة ولا يمكن التمرد عليه.

استدعيت جميع الذاهبين معي إلى تونس من ضباط ومقاتلين، وطلبت منهم أن يكون لباسنا موحداً، وأن نأخذ معنا علم القوات، وحين دقت الساعة الواحدة من صباح يوم ٢٣ / ٨ / ١٩٨٢م كنت في مقر قواتي فوصلتني برقية من مقر عملياتنا تقول بضرورة حضوري لمقابلة أبي عمار، فذهبت لمقابلته حيث استفسر عن كيفية ترتيب عملية الرحيل من حيث اللباس، وإبراز علم فلسطين والأسلحة المنقولة، فأجبته بأن كل شيء جاهز وأن السيارات تقف في الميناء في الوقت المحدد.

في تمام الساعة الرابعة والنصف صباحاً بدأ الجميع يتوافدون يحمل كل واحد منهم علم كتيبته فجهاد الغول يحمل علم كتيبة المدفعية الثقيلة، وزياد حموري يحمل علم كتيبة الدبابات، وعبد الرحمن يحمل علم كتيبة المقر، وأبو عوض يحمل علم كتيبة المدفعية المضاد للطائرات، وأبو رفعت يحمل علم كتيبة المشاة، وأبو أحمد يحمل علم الإشارة.

لم استطع كبح مشاعري عند رؤية هذا التنظيم الذي يعبر عن إرادة المقاتلين في التحدي والخروج رافعي الرؤوس، ورافعي أعلام الصمود.

في الساعة الخامسة صباحاً اكتمل العدد فطلبت منهم أن يصطفوا طابوراً، وفجأة تقدمت مني سيدة تمسك بيدها طفلاً لا يتجاوز الخامسة من عمره وسألتني: يا أبا الطيب.. أين أبو أبراهيم..؟ فتساءلت: من هو أبو إبراهيم..؟ وتقدم مني أحد الضباط وهمس في أذني أن المرأة هي زوجة الشهيد الرائد ابراهيم اسحق العلمي (أبو ابراهيم)، وللحظة وبدون تفكير قلت لها: إن زوجك قد استشهد، لكنها كانت متماسكة ولم تبك فاعتقدت أنها كانت تعلم، لذلك سألتها: ألم يصلك خبر استشهاده..؟ فأجابت لأ.. وأنها جاءت من منطقة الجبل كي تشاهده قبل الرحيل، وأنهارت باكية بحرقة، الأمر الذي حرك مشاعر الطفل الذي تعلق بي باكياً: «أين بابا»..؟ فلم أعد أحتمل ذلك المنظر، وشعرت أن قواي قد خارت، فذهبت نحو أحد الحجارة وجلست عليه بينما قام أحد الضباط باصطحاب المرأة لتهدئة روعها.

وبينما أنا جالس على الحجر بالقرب من البرميل الشهير الذي وضعناه لمنع وقوف السيارات أمام مدخل قوات ال١٧، إذ تتقدم مني امرأة تلبس ثوباً أسود ومعصوبة الرأس، سمراء



البشرة وهي تبكي بحرقة، فسألت أحد الضباط والذي كان واقفاً بجواري، وهل جاءت هذه المرأة تسأل عن أحد من القوات..؟ فردت المرأة قائلة: لا يا ابني أنا أعرف أن ولدي قد أستشهد وقد حضرت جنازته.. فسألت الضابط: ومن يكون ولدها..؟ فأجاب إنه الشهيد البطل الملازم فرج الأسمر الذي كان يقف وراء مدفع (١٠٠ ملم) فقلت للمرأة ما دمت تعلمين باستشهاد ابنك، هل تحتاجين إلى المساعدة..؟ فقالت لا يا ابني.. لقد جئت لأودعكم، فأنتم كلكم أولادي وأرى في وجوهكم وجه ابني فرج!!!!

في حوالي الساعة السادسة صباحاً بدأ أبو الوليد الذي وصل إلى مقر قواتنا يودعنا واحداً تلو الآخر، وعندما جاء دوري للوداع تقدم مني وعانقني بحرارة، فقلت له: أهكذا أردت أن نخرج متفرقين..؟ فقال: الله يرضى عليك يا أبا الطيب لا داعي للعتاب، ويكفينا تمزقاً، بعد ذلك طلبت أن أحمل علم القوات، فاستغرب الضابط والعناصر متسائلين: كيف ستحمل العلم وأنت تتكئ على العكازين..؟ فأجبت بأنه تم صرف عربة لي من المستشفى فجاءوا بالعربة وجلست فيها حاملاً للعلم وتقدمت الطابور.

في تلك اللحظة وصلت جماهير الفاكهاني لوداع قواتي وأول من وصل مختار المنطقة وما لا يقل عن (٢٠٠ عائلة) وهم يحملون اللافتات التي تحيي الثورة، ثم وصلت رابطة فخر الدين وجماعات غفيرة من أنصار الحركة الوطنية اللبنانية حيث اختلطت القبلات بالدموع.. وكان من بين العائلات الصديق والرفيق رضا كبريت الذي حضر مع عائلته لوداعنا أما رضا كبريت فبقي يعيش على ذكرى كل من مر عبر منزله من الاحياء والشهداء من الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية.

وبينما كنا نغادر مقر القيادة في اطار الاستعدادات للرحيل، هبت رياح هوجاء، كادت تقتلع صور القائدين أبو عمار وأبو حسن، وبينما كانت صورهما تتأرجح على الحائط طلب بعض المقاتلين انتزاعها لأخذها معنا كي لا تسقط على الأرض ويراها من سيعقبنا في المكان «ملقاة على الأرض» وألح هؤلاء على طلبهم عندما اقتلعت الرياح الشبابيك المفتوحة والتي كانت ضفتيها ترتطم بقوة في الجدار..

قلت لهم: لن ننتزع صورهما، ستظل هذه الصور في صدارة المكان ولن تسقطها رياح عاتية، فمن يأت بعدنا إلى المكان لا شك أنه سيقدم التحية لهما، فالسكان في المنطقة كانوا أهل لنا، قاتلوا معنا، وصمدوا معنا، وقضيتهم هي قضيتنا، وكل ما سنفعله هو أن نعمل على تثبيت الصور

بأي وسيلة على الجدار، وقد نجحنا في ذلك مرددين مقولة أبو عمار الشهيرة «يا جبل ما يهزك ريح».

تحرك موكبنا من مكتب قوات الـ١٧ في الفاكهاني إلى الملعب البلدي، وكنت أتقدم الطابور فيما كان أبو الفدا يجر العربة.. وعلى أحد جوانب الملعب البلدي كانت تتجمع الشاحنات التابعة للجيش اللبناني التي ستقلنا إلى الميناء، لقد كان الملعب لحظة وصولنا يعج بالمودعين، ومهما كتبت ومهما وصفت لا يمكن أن أنسى ذلك المنظر الوداعي، فقد تحول الملعب إلى مهرجان من العناق وانهمار الدموع.. توجهت لأصعد إلى الشاحنة بجوار السائق، فسمعت صوت بكاء يثير الاهتمام فنظرت نحو الشخص الباكي، ويا للهول! ! لقد كان أخي وصديقي الرائد أبو صلاح، فقلت له يا أبا صلاح أنت قائد ولا يليق بك البكاء.. قال إنني أبكي على منظرك وأنت على عكازين يا صديقي ! !

وبعد لحظات من صعودي إلى الشاحنة وصل صلاح خلف (أبو إياد) ليودع جموع المغادرين، فتفاجأ برؤيتي في الشاحنة فأسرع نحوي وقبلني مودعاً، فكانت لحظة ظلت عالقة في مخيلتي لما كان فيها من تعاطف ومحبة..

انطلقت الشاحنات نحو الميناء ودنت لحظة وداع بيروت عاصمة المجد والشموخ.. وعندما نزل المقاتلون من الشاحنات واصطفوا في طابور عسكري منظم، أصر «صلاح أبو زرد» وهو أحد ضباط جيش التحرير الفلسطيني المرابط على الأراضي السورية، أصرّ على أن يودعنا وأشهر سلاحه ليطلق إحدى وعشرين طلقة تحية لقواتنا قبل صعودها للباخرة.

حالة من الحنيـن...

لحظة الصعود إلى الباخرة كان هناك ضابط لبناني يسجل أسماء الصاعدين وكان بعض الأخوة يعطيه أسماء حركية وعندما جاء دوري قلت: سجّل.. أنا المقدم أبو الطيب قائد قوات الـ١٧، فنظر إليّ الضابط باستهجان، فسألته عن السبب فقال: لأنني كنت أسمع بهذا الاسم ولم تسنح لي فرصة معرفة صاحبه.. خلال ذلك تقدم عدد من الشباب لمساعدتي بالصعود للباخرة نظراً لأن إصابتي ما تزال قيد العلاج وكنت اتكئ على عكازين لم يمنعاني من ارتداء كامل اللباس العسكري.

داخل الباخرة تشاركت الكابينة الضيقة مع الرائد حسني سليم سليمان «أبو سليم»، ثم بدأت عملية جمع الأسلحة «الكلاشن فقط» حيث احتفظ الجميع بمسدساتهم وبعض القنابل اليدوية، وتم تسليم الأسلحة للضابط المسؤول لتخزينها في مستودع بالباخرة. وبعد لحظات تعالت أصوات صراخ متبادل بين العناصر، فهرعت للاستفسار حيث علمت أنهم يتعاركون على حجز الكبائن نظراً؛ لأن عدد العناصر يزيد عما تستوعبه، فأمرت الشباب بأن يجلسوا على جوانب الباخرة.

انطلقت الباخرة تمخر عباب البحر باتجاه ميناء ليماسول القبرصي، كنت أتفرس وجوه الشباب كان بعضهم يبكي من حالة «القهر» الداخلي، لا شك أنهم كانوا يتمنون الشهادة بدلاً من معايشة حالة الخروج من بيروت، ورغم أن حالة «القهر» كانت أشدّ وطئا على نفسي، إلا أن دمعي كان عصياً عن الهطول، حاولت أن أتغلب على ذاتي وإبداء البكاء ولكن دموعي أبت الاستجابة مما زاد من الألم النفسي وطغيان التوتر الداخلي الذي رافقه سيل من الأسئلة والتساؤل حول «إلى أين نحن ذاهبون وكيف سيكون الحال، مرة أخرى انقطع حبل أفكاري بسبب ارتفاع الصراع المتبادل بين الشباب، ما هو الموضوع يا إخوان.؟ المياه مقطوعة يا أبا الطيب!! ونحن نريد أن نشرب ونتوضأ!! اتصلت بطاقم السفينة لإيجاد الحل، فعلمت أن كمية المياه على الباخرة لا تكفي لهذا العدد من الركاب طيلة مدة الرحلة، ومع ذلك فقد استجاب الطاقم وأعاد ضخ المياه.. ولكنني أمرت الشباب بعدم الإسراف باستخدام المياه.

بعد ان عاد الهدوء ومضى كل واحد من الشباب ليتدبر أمره، انتابتني حالة من «الحنين»

إلى أخواني من رفاق الدرب لسنوات طويلة، وبدأت أتفقدهم في مخيلتي، أين الرائد صلاح إبراهيم.؟ إنه ما زال في دمشق.. وأين علي شلبية.؟ إنه في اليمن على رأس قوة!! وأين أبو الفضل.؟ إنه في الجزائر!! وأين فيصل.؟ إنه في البقاع.؟ وأين أبو النور.؟ إنه في طرابلس بشمال لبنان!! وأين النقيب أبو جورج.؟ إنه باق في بيروت!! ومن تزاحم هذه الأسئلة في مخيلتي بدأت اشعر بالدوران لفقدان رفقة هؤلاء الذين كنت معهم فرداً من عائلة متماسكة تفوق في تماسكها أي تماسك اسري خاص، فالكثير منا لم يكن يرى زوجته وأولاده إلا لماما، بينما هؤلاء كانوا هم الأهل والعائلة التي تجتمع على الطعام والشراب وعلى القتال والدفاع عن الثورة، تجتمع بشكل متواصل ودائم أضفى شعوراً في نفوس الجميع بالآلفة والمحبة والافتداء بالنفس من أجل الآخر.

تهيأ لي أن دمعة على وشك أن تسقط عندما تذكرت إخوتي الجرحى، ففي ليلة المغادرة قضيت معظم الساعات إلى جوار الرائد راسم الغول في مستشفى الجامعة الأمريكية الذي أصيب خلال معركة المطار حيث كانت حالته «سيئة» ودرجة حرارة جسمه مرتفعة توحي بالخطر الشديد، وبدا متعباً للغاية، يا ترى ماذا حلّ به الآن.؟ ألف سلامه عليك يا راسم!! هل الكلمات تكفي.. لم أقتنع بذلك حيث داهمتني حالة أخرى هيجت وجعي النفسي، فعندما كنت في السيارة التي أقلتني إلى الميناء بكى الرائد أبو صلاح على حالتي وإصابتي.. حينما شاهد المرافقين يحملونني ويضعوني في كرسي السيارة لأنني في ذلك الوقت لم أستطع المشي على قدمي إلا باستخدام عكازين.. فماذا كان سيفعل أبو صلاح لو كان معنا على ظهر الباخرة، إخوتنا من المصابين والجرحى ممن إصاباتهم خطرة مثل إصابة البطل راسم الغول وأبو فارس والملازم أول خضر الذي ذهبت لأودعه قبل الخروج فصعقني منظر جسده الملتصق بالفرشة نتيجة الحروق في جسده، وكم عصرني الألم وكاد ان يستنزف قواي عندما أصر الملازم أول خضر على النهوض لاستقبالي بكل إباء وشهامة، فنهض وكانت الفرشة ما تزال ملتصقة بظهره في مشهد يعبر عن مأساة إنسانية كبرى.. أما أخي أبو حديد فقد كانت إصابته رصاصة في رأسه ولم يستطع الأطباء إخراجها ومع ذلك كان يرد التحية بتحريك أهداب عينيه.

ماذا كان سيفعل أبو صلاح.. وماذا ستكون ردة فعله لو كان القى نظرة وداع على جثمان الشهيد الرائد مصطفى خليل صالح.. ذلك الشهيد الذي انحنت البطولة أمامه عندما كان أول من قاد سرية إسناد الجيه متصدياً لزحف قوات العدو ودفع روحه ثمناً للشهادة في معركة



ستظل رمزاً للقوة والصمود، ومثله أيضاً جثمان الشهيد الرائد ابراهيم اسحق العلمي (أبو ابراهيم) الذي أصيب في المعارك مرتين إحداهما معركة الأسواق التجارية أوائل عام ١٩٧٦م والثانية في إحدى معارك الشياح بقيادة الشهيد القائد [بو حسن سلامه، وكذلك أيضا جثمان الشهيد الملازم مجاهد ذلك البطل المقدام الذي استشهد في منطقة الغازار بالقرب من المطار وهو صامد على مدفعه (٨٥ ملم) الذي الحق بصفوف جنود العدو قتلى وجرحى عديدون، ولن أنسى أبداً ملامح جثمان الملازم الشهيد أبو الليل ذلك العملاق الذي ظل صامداً بدبابته (تي – ٣٤) يقارع دبابات العدو من طراز شيرمان، وباتون، وميركافا.

لقد فاض أبو صلاح ألماً لرؤيتي مصاباً وأمشي على عكازين.. فكيف سيكون حاله لو رأى ما رأيت..؟ وشاهد ما شاهدت..؟ من بطولات لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أمثال من ذكرت، ومن لم تسعفني الذاكرة حينذاك عن ذكرهم كالشهيد فرج الأسمر، والشهيد أبو فراس، وغيرهم كثيرون كانوا وسيظلون في الذاكرة الفلسطينية إلى الأبد رموزاً للنضال الوفي.

كدت أسقط على أرض الباخرة من شدة الدوار وتواتر الأسئلة والتساؤلات حتى لاحظ بعض الشباب ذلك، فهرعوا متسائلين، فقلت أخرجوني إلى سطح الباخرة.. أريد أن استنشق بعض الهواء.. حاولت النهوض فلم أتمالك نفسي لذا صار لا بد من استدعاء الطبيب الذي كان على ظهر الباخرة بالصدفة وهو الدكتور "خالد شبيب" هرع الطبيب نحوي وبدأ في إجراءاته لمعرفة حالتي وفجأة تركني وغادر المكان راكضاً لإحضار دواء وطلب مني تناوله وظل بجواري حتى هدأت حالتي، سألته: ما الأمر الطارئ يا دكتور.؟ أجاب ليطمئنني: الحمد لله لا يوجد ما هو سيء.. إنها حالة إرتفاع للضغط فقط !!

بعد أن شعرت بالتحسن استدعيت أحد الضباط وطلبت منه أن يزودني بأسماء جميع الضباط وضباط الصف وأن يستدعيهم لاجتماع، وبعد دقائق معدودة كان الجميع يقف أمامي، فطلبت أن يكتب كل واحد منهم مذكراته ومشاهداته عن الحرب.. وبناءً على تعليمات من سعد صايل "أبو الوليد" طلبت من (ثلاثين عنصراً) التهيؤ لدورة أمنية بعد الوصول، فنظروا إلي جميعا باستغراب حيث فاجأهم طلبي الذي جاء كما يبدو غير متوافقاً مع حالتهم النفسية، وربما كان الواحد منهم يقول في قرارة نفسه: إحنا في (إيش) وأبو الطيب في (إيش)!! ومع ذلك استجابت العناصر وسجلت أسماءها للدورة.

بعد تسعة أيام من الإبحار، وصلت الباخرة إلى تونس، وبعد أن رست على الرصيف صعد

إليها المستقبلون، كان أولهم رفيق النتشة عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، وسفيرنا في تونس حكم بلعاوي وبدأوا بالسلام علينا، وحين جاءت لحظة نزولنا من الباخرة انكشفت أمامنا أسارير القادة والشعب التونسي وكأنها نهر من المشاعر التي تفيض بالمحبة والاحتضان الدافئ، المعبر عن مشاعر التونسيين نحو الثورة الفلسطينية والمقاتلين الفلسطينيين، كان الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة على رأس المستقبلين بكل وقاره وولاء شعبه، في تلك اللحظة بلغ مني التأثر أعلى درجاته وشعرت بالكبرياء لصمودنا في بيروت أمام الغزو الإسرائيلي، فها هو الشعب التونسي قيادة وشعبا يحيي صمودنا فشعرت بمدى تعاطف الشعوب العربية لنضالنا ولقضيتنا الوطنية.

حان دوري للسلام على الرئيس الحبيب بورقيبة فتقدمت بخطى واثقة، رافع الرأس رغم اعتمادي على العكازين، فشدّ من أزري وعزيمتي بكلماته الصادرة عن قلب صادق العواطف والأحاسيس.

بعد هذا الاستقبال التاريخي تم نقل مجموعة الجرحى من قواتنا إلى المستشفى العسكري لمواصلة العلاج، فيما أوصى الأطباء بوجوب إخضاع الباقين لعلاج نفسي لتمكينهم من متابعة حياتهم الطبيعية التي تأثرت كثيراً بسبب المعاناة الشديدة والضغوط التي فرضت عليهم نحو ثلاثة أشهر من القتال اليومي تحت وابل من القصف الجوي والبري والبحري، لكن مقاتلينا رفضوا هذه التوصية بلطف قائلين إن حرارة الاستقبال أزالت عنهم كل ضيق وشرحت صدورهم، وبقيت بينهم في المستشفى ٢٥ يوما.

انتقل مقاتلونا إلى معسكر في منطقة وادي الزرقا، بينما انتقل الإداريون إلى فندق سلوى، وبينما كنت لم أزل في المستشفى، جاءني خبر يفيد بتذمر المقاتلين في المعسكر، لم يكن بسبب سوء أوضاع المعسكر وإنما لانفعال شديد بسبب الانتقال من حالة قتالية إلى حالة من الاسترخاء.

هرعت فوراً إلى المعسكر لتهدئة الشباب الذين كانوا في غاية التوتر، وعندما استفسرت عن السبب من ثلاثة ضباط كانوا معي منذ معركة الكرامة عام ١٩٦٨م، كان الجواب: احترامنا لك أيها القائد في كل لحظة، لكن أنت تعلم أنه عندما كنا نقاتل تحت إمرتك في غور الأردن كنا قريبين من فلسطين وعلى حدودها، وعندما انتقلنا معك إلى لبنان كنا قريبين من فلسطين وعلى حدودها أيضاً، فماذا سنفعل هنا.؟ لقد أثار الجواب على هذا السؤال قلقنا ونحن الذين ابتعدنا كثيراً عن فلسطين، ولا نخفي عليك صار بعضنا يفكر في الهجرة إذا استمر الحال وبعدنا عن فلسطين



على ما هو عليه!!.

لقد وجدت لهم العذر، ووجدت في حديثهم المصداقية، ولكني أقنعتهم بأن وجودنا على الأرض التونسية هو فرصة لمزيد من التدريب والتخطيط لمواصلة كفاحنا المسلح الذي مهما طالت المسافات عن فلسطين سنجعلها الأكثر قرباً لكل واحد منهم، وأوفيت لهم ما وعدت وقدتهم لمرحلة جديدة وصعبة لكن الإخوة المذكورين أصروا على موقفهم وهاجروا.



بيروت تودع ياسر عرفات:

كانت اللجنة الإدارية التي شكلتها القيادة الفلسطينية بقيادة العميد سعد صايل «أبو الوليد» مدير غرفة العمليات وعضوية ممدوح نوفل والعقيد أبو موسى وعدد من أعضاء المجلس العسكري والضباط الإداريين والتي اسند لها مهمة تنظيم ترحيل المقاتلين وتوزيعهم على عدة دول قد أكملت ترتيبات خروج الغالبية من المقاتلين، وبينما كانت عملية رحيل القوات الفلسطينية عن بيروت تتواصل كان صباح يوم ٢٣ / ٨ / ١٩٨٢م يحمل أنباء التحضيرات لانتخاب بشير الجميل رئيسا للبنان على أنقاض دمار بيروت وعشرات المجازر ضد ساكنيها من لبنانيين وفلسطينيين وعرب وأجانب، ففي تمام الساعة الحادية عشر صباحاً أعلن رئيس مجلس النواب كامل الأسعد افتتاح الجلسة النيابية، وكان مناصرو ومؤيدو بشير الجميل من أعضاء مجلس النواب قد تم تسريبهم إلى قاعة مدرسة الحربية، وقد نجح التصويت بانتخاب بشير الجميل رئيساً للبنان بأغلبية (٥٧ صوتا) مقابل خمسة أوراق بيضاء فعمت الفرحة بيروت الشرقية في حين كان الجزء الغربي منها ساكناً تماما[٥٩].

غادرت أول القوات العاصمة بيروت يوم ٢٦ / ٨ / ١٩٨٢م متوجهة إلى دمشق في موكب من الشاحنات، حيث يرفع الجنود صور الرئيس أبو عمار والعلم الفلسطيني، وما أن حل يوم ٣٠ / ٨ / ١٩٨٢م حتى اكتمل رحيل (١٤٩٢٨) فلسطيني عن بيروت.

---

٥٩ موقع المقاتل، الاجتياح الإسرائيلي للجمهورية اللبنانية، ٢٠١٢/٣/٢٧م، ومجلد اجتياح لبنان (يوميات. صور. وثائق) إعداد وكالة مختارات الأخبار العربية والدولية، ص٢٥٩.



بيروت في وداع المقاتلين



وليد جنبلاط بكى وأطلق الرصاص في وداع المقاتلين الفلسطينيين



ويذكر أنه قبل مغادرة أول قافلة من المقاتلين ناقشت القيادة الفلسطينية مسألة خروج أعضائها ودعا بعضهم إلى وضع ترتيبات سرية لخروج أبو عمار خشية اغتياله خصوصا أن دخول منطقة الميناء وركوب البواخر يتم على مرأى من القوات الإسرائيلية والقوات اللبنانية المتحالفة معها، وتحت مدى نيران أسلحتها الفردية، فرد أبو عمار قائلاً: أنا إنسان قدري، والإنسان لا يهرب من قدره، وحماية القيادة تتم بخروجها بمراسم علنية، واختار أبو عمار الرحيل إلى بلد أوروبي وتحديدا اليونان ليظهر للشعوب العربية ضيقه من موقف أطراف النظام الرسمي العربي دون استثناء.

كانت اللحظات مؤثرة جداً وكان أبناء فلسطين في أرضهم المحتلة وفي جميع المنافي يرقبون بشموخ عظيم الوقائع الأخيرة لمغادرة الرئيس أبو عمار لبيروت، فقد أعدت له مراسم تليق برئيس دولة كبرى، استبقها في جولة وداعية برفقة رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان، حيث توقف في كل منزل من منازل الزعماء اللبنانيين، وكان اللبنانيون في بيروت الغربية قد تحاشدوا على جوانب الطرق التي سلكها موكب الرئيس عرفات وهم يرفعون الأعلام الفلسطينية ويهتفون لفلسطين وقائدها، وكانت آلاف من النسوة اللاتي فقدن أولادهن وأزواجهن شهداء دفاعاً عن الثورة يهتفن "بالروح بالدم نفديك يا أبا عمار" وهو الشعار الذي أهاج الأطفال والأشبال والشباب والشيوخ، فصاروا يرقصون في الشوارع ملوحين بأيديهم وبأعلام فلسطين مرددين بصوت مزلزل "فتح.. ثورة.. ثورة حتى النصر" وكان أبو عمار يلّوح للجموع بيديه، ويوزع عليهم القبلات رافعا علامة النصر، في حين كان مقاتلو الحركة الوطنية اللبنانية يفرغون رصاص رشاشاتهم في الهواء تحية لقائد فلسطين وثورة الشعب الفلسطيني، وكان منظر مؤثر وأنت تشاهد وليد جنبلاط يحمل رشاشه ويقف على رصيف الشارع وحده ويطلق النار وهو يبكي، منظره أبكى الجميع.. نعم هذا وليد ابن كمال جنبلاط كما عرفناه.

بعد الانتهاء من عملية الوداع انطلقت سيارة رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان وبرفقة الرئيس عرفات إلى ميناء بيروت، وقبل وصول الرئيس عرفات إلى الميناء كانت مجموعة من قوات جيش التحرير الفلسطيني تصطف على جانب الطريق ترفع العلم الفلسطيني، فترجل القائد أبو عمار من السيارة ليؤدي تحية العلم بينما هاجت مشاعر جنود جيش التحرير الفلسطيني وصاحوا بصوت واحد "بالروح بالدم نفديك يا أبا عمار".

بعد الانتهاء من تحية العلم عاد أبو عمار إلى السيارة ثم أكمل المسير نحو الميناء، وقبل صعوده على متن المركب الأبيض "الاتلانتيس" الذي يرفع العلم اليوناني عقد أبو عمار مؤتمراً

صحفياً رد فيه على أسئلة الصحفيين حول ما بعد الخروج من بيروت بالقول: "أنا ذاهب إلى بلدي فلسطين"، وصاح بصوت عال: أيها المجد لتركع أمام بيروت، وأعلن أنه قرر باسم الجهاد منح كل من ساهم في شرف الدفاع وفي شرف الجهاد عن مدينة بيروت الباسلة وسام صمود بيروت المجاهدة، وفيما بعد وصف عرفات تلك اللحظات بقوله: "حين ألقيت النظرة الأخيرة على المدينة قبل أن أغادرها "بكيت" كانت تلك من اللحظات النادرة في حياتي التي جرت فيها دموعي بهذه الغزارة.. إن حصار بيروت ومغادرتي لها قد فتحا جرحاً عميقاً في قلبي.. نظرت إلى المدنية وأنا على ظهر السفينة وشعرت كأني طائر مذبوح يتخبط في دمه". وبرحيله طويت صفحة وجود (م.ت.ف) عسكرياً في بيروت ليتحول كل فلسطيني أينما وجد إلى مشروع شهيد دفاعاً عن الحلم الوطني الفلسطيني بالنصر والعودة وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

كان مشهد رحيل القائد أبو عمار مشهدا له مغزاه في تاريخ الصمود الفلسطيني، فقد وقف العالم بأسره متسمرا أمام شاشات التلفاز لمتابعة خروج القائد العظيم، في لحظات كان مناحيم بيغن ووزير دفاعه أرئيل شارون يضربان كفا بكف لخسران معركة القضاء على (م.ت.ف)، فها هو رئيس (م.ت.ف) يرفع شارة النصر أمام أعين آلاف الجنود الإسرائيليين الذين عجزوا عن إلحاق الهزيمة بالمقاتلين الفلسطينيين، وها هم أبناء الشعب اللبناني ومقاتلو الحركة الوطنية اللبنانية يلوحون لهذا القائد العظيم رائد الصمود وصانع أسطورة المجد الفلسطينية التي أعجزت إسرائيل حتى تاريخه.. وها هم الأشبال من أطفال مخيمات فلسطين في لبنان يهتفون لقائدهم.. بالروح بالدم نفديك يا أبا عمار..

وعلى الصعيد العربي فقد كانت الشعوب العربية في أروع حالات التضامن مع الشعب الفلسطيني وقيادته، فقد سطّرت المقاومة الفلسطينية أثناء حصار بيروت ملحمة نضالية كبرى حيث كان الدم الفلسطيني يحاصر الآلة الحربية الإسرائيلية وليس العكس..

وفي لحظة صعود الرئيس أبو عمار إلى الباخرة كان موريس درايبر مساعد فيليب حبيب يقف على سطح مبنى كهرباء لبنان الذي يشرف على الميناء يتابع المشهد فليس من السهل على هذا الدبلوماسي الأمريكي أن يغفل عن مشاهدة هذا الحدث الأهم في تلك الحقبة من الزمن.

اللواء سعد صايل "أبو الوليد" رحلة مشرفة:

بعد أن طويت صفحة الرحيل عن بيروت لا بد من وقفة اعتزاز برجل العسكرية الفلسطينية مخطط ومهندس الصمود الفلسطيني في مجابهة الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م والذي كان يهدف القضاء على (م.ت.ف) وإبادة قواتها، إنه الأخ والقائد سعد صايل "أبو الوليد" ورغم أنني اعترف بالفضل للأخ القائد العام ياسر عرفات (أبو عمار) أنه رعاني وكان قائداً لي، وأخ وأب.. رغم أنني أعترف بكل ذلك للأخ أبو عمار باعتباره الرجل الأول الذي تعلمت منه، فإنني أعتبر الشهيد سعد صايل "أبو الوليد" الرجل الثاني الذي تعلمت منه أشياءً كثيرة.

بعد استشهاد الأخ القائد علي حسن سلامه "أبو حسن" عوضنا الله خيرا بشخص أبو الوليد الذي بدأ يتردد على قواتنا بشكل دائم، وتولى عملية الإشراف المباشر على تطويرها، فأدخل أنظمة ولوائح إدارية وأنظمة لوجستية عالية المستوى، ولم يكن ذلك بالأمر السهل، بل استغرق جهدا كبيرا، وتطلب الكثير من التعب من هذا القائد صاحب ملكة الإقناع والجاد والحازم في آن واحد، كما تطلب الأمر إيفاد المئات من الضباط إلى العديد من الأكاديميات العسكرية في العالم التي تتبنى عقائد عسكرية متنوعة، بل وصل الأمر إلى حد إنشاء كلية عسكرية فلسطينية، وكانت كل هذه التطورات في هيكلية قواتنا ستصبح أكثر صعوبة لولا اهتمام اللواء أبو الوليد وقوة عناده أيضا وتلك الجدية التي تتسم بها شخصيته بحيث حظي دائما بأكبر قدر من احترام الجميع..

وصفه القائد العام أبو عمار بالقول: كان أبو الوليد ركناً شامخاً من أركان بنائنا الوطني، كان عسكرياً مثالياً مخلصاً في أداء مهامه، كفؤاً في إدارة شؤون قواتنا المنتشرة على مساحة الوطن العربي كله، وكان نموذجا يحتذى، في الرأي والمثابرة والعطاء.

قاد "أبو الوليد" الرجال في أشرف معارك الشعب الفلسطيني ضد مغتصبي حقوقه والمعتدين عليه، فلم تكن له قضية سوى قضية شعبه، ولا كان شاغله إلا من أجل بناء القوة الضاربة للثورة الفلسطينية وتطوير أدائها، وما من جهد بذل في هذا المجال إلا وكان لسعد صايل نصيب فيه، وما من تطور استجد إلا وله فيه حصة المخطط والمحفّز والمتصل بالتنفيذ، لقد عمم الثقافة العسكرية على أرضية الوعي الوطني بين المقاتلين، وعمل على تنظيم التدريب وبناء الوحدات بما يتلاءم مع حاجات الثورة وظروفها، ورسخ علاقات انضباطية وديمقراطية بين أبناء الثورة وعمل بجهد من أجل تحديث الأسلحة والتجهيزات وتأسيس غرفة العمليات المركزية وتعزيز دورها.

تميز اللواء سعد صايل بتواضعه الثوري وتماسكه في أصعب الظروف، ويقول أبو الوليد عن تجربته في الثورة: اعتمدت على الدوافع الموجودة لدى المقاتل وعلى حماسه الوطني ورغبته في العطاء والتضحية، وهذه صفات يعتبر توافرها في المقاتل أمرا أساسيا لأنه يخوض معركة معقدة وشرسة مع عدو قوي لا يجوز الاستهانة بقدراته، ومثل هذا المقاتل استطاع اكتساب خبرات جيدة في ميدان القتال، ثم أخذنا في إنشاء معاهد متواضعة داخل الثورة الفلسطينية هدفها صقل خبرات المقاتلين وتوحيد مفاهيمهم العسكرية وتزويدهم بالمعارف العسكرية النظرية المطروحة في العالم، وبعدها وجدنا من الضروري أن يطلع مقاتلونا على ما يستجد من معارف عسكرية وأن يطوروا ثقافتهم وقدراتهم، فأرسلنا مقاتلينا إلى المعاهد العسكرية في دول صديقة كثيرة وفرت لهم مدارك أوسع في الفهم العسكري ومكنتهم من أن يطلعوا على نظريات عسكرية أخرى غير تلك التي يعرفونها من خلال تجاربهم في الثورة، وكل ذلك أسهم في صقل المقاتل ووضعه في الطريق الصحيح حتى يتقن استخدام الأسلوب الذي نعتمده وهو أسلوب حرب العصابات، وكما تعلمون فإن المدارس السائدة في العالم هي المدارس الشرقية والغربية ويستطيع مقاتلونا الاطلاع على النوعين واستخلاص الأسلوب الملائم ولطبيعة قتالنا مع العدو.

كان اللواء سعد صايل مفاوضاً محنكاً خلال حصار بيروت بالإضافة إلى قدراته العسكرية، وقد نقل عن فيليب حبيب من خلال ضباط الارتباط اللبنانيين قوله: إن المفاوض الفلسطيني سعد صايل رجل يثير الإعجاب بدقته، ومهارته وحسن أدائه وقدرته على التنظيم.. لقد كان أبو الوليد يرتبط بزمالة عسكرية مع عدد من الضباط اللبنانيين الذين كلفوا بدور الوسيط بين قيادة الثورة الفلسطينية وحلفائها، وبين فيليب حبيب فقد أسندت مهمة التفاوض والمناورة له وتوفير أفضل الشروط لإنسحاب مشرف من بيروت آنذاك كان الأكثر تعرضاً للخطر وهو يتنقل من موقع لآخر حاملاً رسائل الفلسطينيين لمحاصريهم، وحاملاً بعد ذلك رسائل المحاصرين المرهقة له وللفلسطينيين، ولم يكن مجرد ناقل رسائل وإنما كان قوة استطلاع مستنيرة لما يرتب للثورة.

كان أبو الوليد حينما يجتمع إلى أبي عمار وأبي جهاد يعرض وقائع المباحثات التي تمت مع العسكريين اللبنانيين والذين كانوا ينقلون بدقة مطالب فيليب حبيب وإملاءاته، كان يقترح على أبي عمار وأبي جهاد كيفية الرد، وكان صارماً في طريقة الاقتراح كما لو أنه يصدر أمراً قطعياً بذلك، وكان أبو عمار الذي يحتاج الوقت أكثر من أي شيء آخر من أجل استكمال اللعبة



سياسياً واستراتيجيً يثق في نصائح أبو الوليد، وحين يتبلور الرد النهائي كان أبو الوليد يتصرف على النحو الآتي: يأتي بورقة بيضاء ويستخدم مسطرة معدنية لوضع الهامش، ويبدأ بالكتابة، وحين يفكر أبو عمار وأبو جهاد بتغيير ولو كلمة واحدة، كان أبو الوليد يعيد الكتابة من جديد مؤمناً بأن شكل الرسالة ودرجة ترتيبها ودقة المصطلحات التي تكتبها تعكس صورة قيادة المنظمة أمام الخصم..

فلم يكن أحد غير أبو الوليد يستطيع أداء دور كدوره، فقد كان المقاتل والمفاوض والرجل الذي ينظم القوات تحت القصف، ويبحث عن أفضل الوسائل لإنقاذها من إبادة محققة وقد توج عمله بالقول: "إننا في سباق مع الزمن، فإما أن تتوج سنوات وجودنا في لبنان بملحمة عسكرية وإنسانية مشرفة، وإما أن يكون الانهيار".. ولكي لا يحدث الانهيار عمل أبو الوليد ليلاً و نهاراً من أجل تنظيم إنسحاب منظم لقوات تعد بعشرات الآلاف.

في إحدى الجلسات الحاسمة التي تقرر فيها الإنسحاب وفق الكيفية التي توصل إليها مع مفاوضيه اللبنانيين والأمريكيين، وخلال عرضه لمشروع الاتفاق قاطعه أحد قادة الفصائل محاولا استفزازه قائلاً: يا أبا الوليد ألا ترى أننا متسرعون في اتخاذ قرار كهذا.. إن لدينا قدرات كافية على مواصلة الصمود وإلحاق الهزيمة بالمعتدين، فتخلى أبو الوليد عن هدوئه المعتاد وقلب الأوراق التي أمامه وقال: "أنا لست هنا في حفلة مزايدة أو مناقصة، ولا أسمح لكائن من كان أن يقامر بحياة الآلاف من شبابنا لقاء شعارات لا تسمن ولا تغني من جوع.. لقد قام شبابنا بما عليهم من واجبات وتحملوا فوق طاقة أي جيش في العالم، إلا أنني لا أنظر إلى الوراء.. وإنما أنظر إلى الوضع الحالي وما ينتظرنا غداً".

واقترح أبو الوليد أن يقوم هو شخصيا بجولة على جميع مواقع المقاتلين ويسألهم إذا كانوا موافقين على وقف إطلاق النار والرحيل وفق الشروط الفلسطينية أم لا، وأن الاستطلاع سيمهد للقرار الصحيح وكان أكثر المؤيدين لاقتراح أبو الوليد الأخوة قيادة حركة فتح، وفعلاً قام أبو الوليد بزيارات إلى (٩٠٪) من المواقع وأخذ يسأل المقاتلين والعاملين في الأجهزة الأمنية، وكنت أنا بصفة شخصية أرافقه في أكثر جولاته وزياراته فلم يعترض أحد على قرار وقف إطلاق النار إلا واحد فقط هو محمود اللبدي الذي كان يشغل منصب المسؤول عن الإعلام الخارجي الذي كان يتجول بين المواقع محرضاً على عدم الاستجابة لطلب القيادة بوقف إطلاق النار والخروج معتقداً أنه كان من الممكن أن نصمد أكثر حسب تقديراته.

وبعد ذلك الصمود الأسطوري الذي تحقق في ظل الصمت العربي والدولي المشهود لهما، وفي أوائل آب ادركت قيادة" م ت ف" ان رحيلها عن بيروت بات أمرا لا مفر منه.

وسعى أبو الوليد إلى تجيير صمود القيادة والمقاتلين لصالح تحسين شروط الخروج وتوفير حماية مضمونة للمخيمات وتحقيق مكاسب سياسية للقضية الفلسطينية. وبعد مفاوضات غير مباشرة شارك فيها أبو الوليد مع المبعوث الأمريكي "فليب حبيب"، تم التوصل يوم ١٣ آب ١٩٨٢الى اتفاق لوقف اطلاق النار والفصل بين المتحاربين، نال موافقة جميع أعضاء القيادة الفلسطينية. وضمن الاتفاق انسحابا مشرفا للقيادة ومقاتليها تحت إشراف قوات متعددة الجنسيات أمريكية، فرنسية، وإيطالية، وكذلك المحافظة على أمن وسلامة أبناء المخيمات بعد خروج المقاتلين. وقبل مغادرة أول قافلة من المقاتلين ناقشت القيادة الفلسطينية مسألة خروجها من بيروت، ودعا بعض أعضائها إلى وضع ترتيبات سرية لخروج أبو عمار وأعضاء القيادة خشية الاغتيال. خاصة وأن دخول الميناء وركوب البواخر يتم على مرأى من القوات الإسرائيلية والانعزالية.



أبو الطيب مع أبي الوليد



لكن أبو الوليد رفض الفكرة من أساسها وقال "الحماية تتم بتنظيم مراسم رسمية لخروجها" في حينه شكلت القيادة الفلسطينية لجنة بقيادة أبو الوليد أشرفت على تنظيم عملية الرحيل. وقررت اللجنة بتوجيه من قائدها السماح للمقاتل الخروج بتجهيزاته الشخصية وعتاده وسلاحه، واعدت القوائم لكل باخرة وحددت الملعب البلدي مكانا لتجمع المقاتلين. وصباح كل يوم من أيام الرحيل كان أبو الوليد يصر على النزول إلى أرض الملعب لتفقد الراحلين. وخلال لحظات الوداع الصعبة، استمع أبو الوليد بألم مصحوب بدموع القلق لصيحات مؤلمة وجارحة من النسوة الفلسطينيات واللبنانيات المودعات للقيادة والمقاتلين الراحلين تقول "لا ترحلوا.. ارفضوا الخضوع للمؤامرة العربية الدولية حتى لو دمرت بيروت وكل العواصم العربية.

وإن رحلتم خذونا معكم ولا تتركونا تحت رحمة حزب الكتائب والجيش اللبناني والإسرائيليين" . وكانت تلك الصيحات الحارة الصادقة تعكس حقيقة مشاعر كل الفلسطينيين في لبنان وعلى كل المستويات. إلا أن مشيئة الأقدار لم ترحم أطفال ونساء وشيوخ وشباب فلسطين في لبنان رغم صمودهم الجبار فترة ثلاثة أشهر. بعد رحيل الغالبية الساحقة من القوات الفلسطينية من بيروت إلى البلدان العربية المتفق عليها، ورحيل أبو عمار وأركانه باتجاه الأراضي اليونانية، سيطرت قوات الجيش اللبناني "والقوات الانعزالية" على معظم مناطق وأحياء بيروت الغربية الخاضعة للسيطرة الفلسطينية والوطنية اللبنانية.

وصار الخروج الفلسطيني المدني والعسكري من صبرا وشاتيلا والأحياء اللبنانية " فيه مخاطر كبيرة. وبات وصول المستشفيات لإخراج الجرحى ونقلهم إلى بواخر الترحيل الراسية في ميناء بيروت مغامرة كبيرة. وبالرغم عن ذلك كله أصر "أبو الوليد" يوم ١ / ٩ / ١٩٨٢ على أن يودع هو ومن تبقى من أعضاء المجلس العسكري الفلسطيني الأعلى مدينة بيروت بأداء زيارة رسمية لمقبرة الشهداء الواقعة في حي "قصقص" . ونزولا عند رغبته سار الجميع مشيا على الأقدام وهم يحملون ما أمكن ترتيبه من الزهور. وفي الطريق إلى مقبرة الشهداء حيث يرقد الحاج أمين الحسيني وآخرون من شهداء حرب ١٩٤٨ وشهداء الثورة، تمنى الجميع لو كان بالإمكان ترحيل كل سكان المخيمات الفلسطينية من لبنان بعد ان تحملوا من العذاب ما لم يتحمله بشر، وأصبح بقائهم في خطر. وبعد تلاوة الفاتحة على أرواح الشهداء تمم أبو الوليد قائلا "يجب ان لا ننسى ان الزعماء العرب أهانوا الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين. وأنه لم يجد مكانا يقيم فيه، وعاش في العراق وطرد منها كما طرد من مصر وسوريا" .



أبو الوليد في طريقه لمقبرة الشهداء قبل الرحيل ويرافقه جميع قادة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ويظهر بالصورة أبو ماهر اليماني وممدوح نوفل وأبو عدوي ويتقدم المسيرة بعض من ضباط قوات ال١٧ وهم يحملون الورود لوضعها على مقبرة الشهداء

وفي طريق العودة تساءل أبو الوليد بحزن شديد وبصوت خافت: "هل ستطأ أقدام أولادنا أرض فلسطين؟ وهل سنستطيع يوما ما تنفيذ وصية الشهداء بنقلهم إلى أرض الآباء والأجداد؟ أم أن ممارسات بعضنا وانحطاط الوضع العربي وهزيمتنا في بيروت ستقود الآخرين لنبش قبورهم ورمي عظامهم في المزابل؟ وهل سنجد لنا في هذا الوطن العربي الكبير مكانا ندفن فيه، بعد ان نقضي ما تبقى لنا من عمر في هذه الدنيا الزائلة؟ وهل سنجد نحن الأحياء من يدفنا باحترام كما دفنا من سبقونا من الشهداء؟ وماذا سيقول التاريخ عنا..؟" طرح هذه الأسئلة من "أبو الوليد" كان له في حينه ما يبرره، فعلاقة الثورة الفلسطينية بمعظم الدول العربية لم تكن على ما يرام، وكان خروج اكبر مظاهرة في شوارع تل أبيب، وليس في عاصمة عربية، استنكارا للهجوم الإسرائيلي ومجازر صبرا وشاتيلا شاهدا صادقا على مدى انحطاط الوضع العربي.

وعلى ظهر الباخرة اليونانية، التي ركبها آخر دفعة من القيادة والكوادر والمقاتلين باتجاه ميناء طرطوس السوري، كان أبو الوليد قليل الكلام كعادته. وقبل النزول عن ظهرها بادر



ورتب موعدا للقاء المتواجدين من المجلس العسكري في البقاع اللبناني وقال "الوقت ثمين وعلينا ان نلتقي خلال ٧٢ ساعة كحد اقصى، وقدرنا إكمال المشوار والوفاء بالعهد الذي قطعناه على انفسنا. أمامنا مهام كبيرة كثيرة أولها إعادة تنظيم وتشكيل قواتنا المتواجدة في البقاع والشمال اللبنانيين، وإدامة المعركة مع العدو، ومساعدة الحركة الوطنية اللبنانية في استنزافه في منطقتي الجبل والساحل. إمكاناتنا البشرية والتسليحية ليست قليلة، ويجب توظيفها في إثبات فشل الهدف الاستراتيجي للهجوم الإسرائيلي.

لا خوف على بقاء م ت ف كجسم سياسي، ستبقى حية طالما هناك شعب اسمه الشعب الفلسطيني، والمهم تأكيد بقاء جسمها العسكري حيا فاعلا" خاليا من كل مقصر ومنهزم. وبعد أقل من ٧٢ ساعة عاد أبو الوليد إلى لبنان وشرع في ترجمة أفكاره. وكان همه استخلاص الدروس المستفادة من تجربة الثورة في لبنان ومن الهجوم الإسرائيلي، ووضعها موضع التطبيق على الأرض وفي العلاقة اليومية مع الجماهير اللبنانية وقواها الوطنية، وأيضا في العمل اليومي الدؤوب ضد الاحتلال.

وخلال جولاته على قواعد المقاتلين شدد أبو الوليد على أهمية إبراز دور المقاومة الوطنية اللبنانية في مقاومة الاحتلال وكان يقول "وجود مقاومة لبنانية فعالة ومقاومة فلسطينية مستمرة يخلق مناخ لانبعاث مقاومة عربية شاملة. في السابق كنا نقطع مسافات طويلة ونجتاز موانع وعقبات كثيرة حتى نخلق التماس ونشتبك مع قوات الاحتلال، أما الآن فالقوات الإسرائيلية باتت في متناول اليد. انتشارها واسع وخطوط إمدادها طويلة وبالإمكان إرهاقها واستنزافها، في السابق قاتلت الحركة الوطنية اللبنانية تحت رايات الثورة الفلسطينية، ومستجدات الصراع تفرض علينا القتال تحت رايات الوطنيين اللبنانيين. ليس مهما الإعلان عن أعمالنا، إسرائيل ستقوم بهذه المهمة، والعمل الناجح يعلن عن نفسه".

نتائج الغزو عسكرياً وسياسياً على إسرائيل

أولاً: على الصعيد العسكري:

كانت حرب لبنان بما قدمته من معطيات جديدة على الساحة وعلى العقلية العسكرية الصهيونية جديدة على الرأي العالم العالمي وعلى الغرب أنفسهم أيضا..

فالعقلية العسكرية الصهيونية المتغطرسة، لا تنظر إلى الدول العربية مجتمعة بأي اهتمام من الجانب العسكري، وإذا جاءت الاستراتيجية الإسرائيلية الصهيونية في الثمانينيات، والمقدمة من قبل أرئيل شارون وزير دفاع العدو في بدايات هذا العام، متجاوزة هذا الوطن العربي بكامله، ومركزة الأبصار ومسددة إياها على عدد من الأقطار الإسلامية البعيدة جداً عن ساحات وميادين القتال آنذاك[٦٠]، وكأنه لا يحيط بفلسطين المحتلة عدد من الدول العربية، والتي يبلغ عددها اثنتان وعشرون دولة حتى الآن، وتملك من الجيوش والأعتدة الشيء الكثير والذي يفوق إمكانات إسرائيل بكثير.

من هنا كان هذا الجديد في حرب لبنان على العقلية العسكرية الصهيونية، التي أصيبت بصدمة كبيرة بل بتيار كهربائي صاعق، كاد يفقدها صوابها من هول المفاجأة وعمقها، وبعيد أثرها، وذلك من جراء الصمود البطولي الرائع الذي تجلى في صفوف مقاتلي الثورة الفلسطينية وأبطال جيش التحرير الفلسطيني والقوات المشتركة العائدة للقوى الوطنية اللبنانية بمختلف تياراتها وتنظيماتها وأحزابها التقدمية الذين خاضوا غمار هذه الحرب مع أشقائهم ببطولة.

إن صمود مقاتلي هذه القوات المشتركة البطولي والرائع، أذهل قادة العدو وأفقدهم صوابهم، وهو أمر لم يكن يدر في خلدهم البتة، بل كانوا يظنون – كما هو مألوف – أن تنتهي عملية السياحة والاصطياف والصيد في لبنان خلال فترة ١٢ – ٢٤ ساعة فقط – حسب أجندة رئيس الأركان الإسرائيلي رفائيل إيتان – ولكن زاد مناحيم بيغن المدة الزمنية حتى ٧٢ ساعة[٦١]، ولكن لم تنته العملية حتى في تسعين يوما.. بالرغم من زيادة أعداد القوات المساهمة في عملية الغزو هذه، حتى زادت عن مائة وعشرين ألفا من الجنود من كافة صفوف القوات والأسلحة الصهيونية

---

٦٠ يمكن الرجوع بهذا الصدد إلى صحيفة هآرتس ١٩٨٢/٣/٣٠م ونشرة الصحف العبرية العدد ٥٤/٧٨، ص١١٥٢، الصادرة عن مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق، ودافار ١٩٨٢/٤/١٣م، وكذلك نشرات مؤسسة الدراسات الفلسطينية خلال الأشهر الأولى من عام ١٩٨٢م.

٦١ مجلة الأرض، مؤسسة الأرض، دمشق، العدد ٢٤، تاريخ ١٩٨٢/٩/٧ م، ص١٠..



من مدرعات ووحدات ميكانيكية ووحدات خاصة ومظليين ومدفعية وهندسة وصواريخ متعددة الأهداف والأنواع ووحدات فنية ومؤخرات وإشارة وإلكترون وكيمياء وتسليح واستطلاع وغيرها من الصفوف الأخرى، يضاف لهذا العدد إشراك سلاح الجو الإسرائيلي بكامل أسلحته وأعتدته وطائراته وعناصره وسلاح البحرية كذلك، وبهذا يزداد أعداد القوات المشاركة في حرب لبنان بإضافة أعداد عناصر كل من سلاحي الجو والبحرية والأسلحة الأخرى التابعة لهما من خدمات وصيانة، وهكذا يكون تعداد القوات المشاركة في هذه الحرب يتراوح بين مائة وخمسين إلى مئتي ألف جندي من كافة الرتب والاختصاصات والأسلحة المختلفة والحديثة.

كل هذا الحشد الضخم والهائل من القوات والأعتدة والدبابات الذي تنامت أعداده يوماً إثر يوم خلال مسيرة القتال، لم يكن إلا بسبب الصمود البطولي الرائع لمقاتلي الثورة الفلسطينية والقوات المشتركة جميعا وبكافة انتماءاتها، وعلى الرغم من قلة الوسائل المتاحة لها وضعف الإمكانات وقلة الأعداد إذ لا يتجاوز أعداد كافة المقاتلين في كافة أرجاء لبنان (الفلسطينيين منهم) بمن فيهم المتواجدين في الشمال (طرابلس) والبقاع وغيرها عشرون ألفاً.

وعلى الرغم من كل هذه الحشود الكبيرة للعدو والقوات وصفوف الأسلحة المختلفة والمتزايدة أعدادها يوماً بعد يوم مع استمرارية الصمود البطولي لمقاتلي الثورة الفلسطينية والقوات المشتركة، وفداحة الخسائر التي منيت بها قوات الغزو الصهيوني، وبالتالي ملاحم البطولة والفداء التي كان ينسج قصصها وينفذها أبطال قوات الثورة الفلسطينية والقوات المشتركة.. كل هذه الأمور مجتمعة وضعت القيادة العسكرية الإسرائيلية في دوامة متابعات لا متناهية، لم يعرفوا كيفية التخلص منها وبالرغم من كثافة القصف (جواً وبراً وبحراً) واستخدام القنابل العنقودية[٦٢] والقنابل الفسفورية والانشطارية والفراغية والموقوتة (على شكل دمى وأقلام وغيرها من النماذج الأخرى، والتي في ظاهرها الرحمة وفي باطنها الموت الزؤام) والنابالم وقطع المياه والكهرباء والإمدادات الطبية والغذائية والحرب النفسية وغيرها من الأعمال والوسائل البربرية التي لجأت إليها ونفذتها قوات الغزو الصهيونية، وبمنتهى الحقد والكراهية والبربرية في ذات الوقت، فإنها جميعا لم تضعف قناة المقاتلين، ولم تهن قواهم بل كانت تزيدهم إيماناً، وإصراراً على الصمود والتصدي البطوليين الرائعين، مجسدين بذلك أروع آيات البطولة والفداء، ومقدمين أنصع الأمثلة وأصدقها على الصمود والتفاني من أجل قضية الحق والعدل التي يناضلون من أجلها.. ومن هنا اضطرت هذه الملاحم البطولية من المقاتلين قادة العدو الصهيوني إلى الاعتراف إبان مجريات هذه الحرب بأن عصر الحرب الخاطفة قد ولى وانقضى "تصريح رئيس أركان الجيش

٦٢ لقد استخدمت هذه القنابل داخل شوارع بيروت لتقتل أكبر عدد من المدنيين.

الصهيوني الجنرال رفائيل إيتان لإذاعة مونت كارولو خلال الحرب" هذا عن الصمود، وهناك أمر آخر أو أمور كان منها على الصعيد العسكري نفسه، هو فداحة الخسائر التي منيت بها قوات الغزو الصهيوني سواء في صفوف الأفراد بمختلف الرتب أو في العتاد المتنوع.. الأمر الذي ترك انعكاسات عديدة على الكيان الصهيوني، وولد شعوراً بالخيبة والألم تجاه قيادة كهذه لا تجلب لهم ولأبنائهم إلا الموت والدمار..

وقد تحدثت الصحف الإسرائيلية عن هذه الخسائر وفداحتها، واعترف قادة العدو بهذا الأمر في العديد من المجلات.. وفي هذا المجال يمكننا أن نسوق عدداً من الأمثلة لما نشرته الصحف الإسرائيلية حيال الحرب وفداحة خسائرها..

– إن الحرب في لبنان قد تحولت إلى حرب طويلة مضنية ورطّت إسرائيل في أزمة سياسية وعسكرية قاسية وجعلت وضعها لا يطاق في الحلبة الدولية[٦٣] وأشارت صحيفة أخرى لهذا الجانب حيث تقول: "إن كل يوم من تواجد قواتنا في بيروت وكل يوم من الحصار وتبادل إطلاق النار يكلفنا خسائر داخلية وخارجية دون أن تظهر في الأفق بوادر حل"[٦٤].

وأما أرئيل شارون فقد اضطر للاعتراف في مقابلة مع صحيفة "معاريف" فقال: "إن الحرب كانت قاسية جداً وأضاف أن أحد المقاتلين الإسرائيليين المجربين قد قال له: تصورت أن القتال من أجل الذات هو أصعب قتال يمكن أن نتصوره، ولكن رأيت الحرب في لبنان أقسى بكثير"... وبصدد الخسائر يقول شارون وفي المقابلة نفسها: لقد دفعنا ثمناً باهظاً جداً في عملية سلام الجليل[٦٥].

ورغم محاولات قادة العدو المستميتة للتكتم على الحقيقة وإخفاء المعلومات والأرقام الحقيقية عن خسائرهم، فقد أشارت مصادر غربية إلى فداحة الخسائر التي منيت بها القوات الإسرائيلية على الصعيد البشري وكذلك فداحة الخسائر في العتاد سواء من دبابات وناقلات وغيرها من الأسلحة الأخرى.. ويتبين أن تقديرات المخابرات الفرنسية للخسائر البشرية الإسرائيلية في حرب لبنان تقترب من أربعة آلاف جندي.. ويبدو هذا الرقم قريبا من الرقم الذي ورد في إحدى جلسات الكنيست، وكذلك من الرقم الذي ورد في تقرير سري لوزارة الدفاع الإسرائيلية وهو: ٣٧٧٤ قتيلاً – و ١٢٣٩١ جريحاً[٦٦].

---

٦٣ هآرتس ١٩٨٢/٧/٢٨م.

٦٤ دافار ١٩٨٢/٧/١٤م.

٦٥ معاريف ١٩٨٢/٦/١٨م.

٦٦ صدى المعركة العدد ٨٩، تاريخ ١٩٨٢/٨/١٥م، ص٤ – دمشق.

هذا بالإضافة للمتغيرات التي أحدثتها هذه الحرب العدوانية الغادرة والتي تمت الإشارة إلى عاملي الصمود والتصدي البطوليين للقوات الفلسطينية والمشتركة في وجه قوات الغزو البربري، ومن ثم الإشارة إلى فداحة الخسائر التي منيت بها هذه القوات على الصعيد البشري، فإن هذه الحرب أبرزت العديد من الأمور على الصعيد العسكري داخل صفوف المؤسسة العسكرية الصهيونية منها:

اهتزاز الانضباط العسكري في صفوف أفراد الجيش الصهيوني:

تعد مثل هذه الظاهرة، ظاهرة خطيرة لها أكثر من دلالة على صعيد المجتمع العسكري الصهيوني، القائم على العسكرية، والذي يعتز بوجود قوات مسلحة تستخدمها إسرائيل للحصول على قرارات سياسية – استراتيجية حاسمة(٦٧).

ان الجيش الإسرائيلي وهو المؤسسة التي يفخر بها الكيان الصهيوني، بأنه جيش الانتصارات فلأول مرة في تاريخ هذا الكيان تشهد هذه المؤسسة المنضبطة والصارمة نوعا من الاحتجاج والرفض، وهذا ما يجعل هذه الظاهرة على غاية من الأهمية وواسعة وذات أبعاد خطيرة.. إذ لأول مرة في تاريخ الجيش الإسرائيلي يستقيل عدد من العسكريين على مستوى القادة والأفراد من الجيش، فقد استقال العقيد الركن إيلي جيفع قائد أحد الألوية المدرعة في لبنان(٦٨)، وكذلك أبلغ العميد عميرام متسناع قائد كلية القيادة والأركان التابعة لجيش الدفاع في ٢٣ / ٩ / ١٩٨٢م رئيس الأركان أنه يطلب إيقافه عن تولي مهام منصبه لأنه يود الذهاب لقضاء إجازة وأنه لم يعد لديه ثقة بشارون.

هذا ومن الجدير بالذكر أن متسناع هذا قد عمل خلال الحرب نائبا للواء يانشو الذي قاتل في القطاع الشرقي ضد السوريين وكان في الماضي قائدا نائبا لكتيبة نظامية(٦٩)، واستقالة العقيد الاحتياط مائير بعيل للهدف نفسه، ولعل هناك العديد من الأمثلة على مظاهر اهتزاز الانضباط في صفوف الجيش الإسرائيلي ومن أبرزها رفض العديدين من جنود الاحتياط الذهاب للخدمة في لبنان.

انتشار ظاهرة التهرب من الخدمة العسكرية والفرار وكذلك تزايد أعداد الانتحار والأمراض النفسية بين الجنود والضباط والاحتجاجات ضد الجيش.

---

٦٧ هآرتس ١٩٨٢/٦/٢٤م مقالة شكوك تتجاوز الاستراتيجية اللواء هارايفن.

٦٨ دافار ١٩٨٢/٧/٢٧م.

٦٩ هآرتس ١٩٨٢/٩/٢٤م عن نشرة الصحف العبرية، العدد ٢١٣، ص٣٠٨٥ تاريخ ١٩٨٢/١٠/٥م مؤسسة الأرض، دمشق وصدى المعركة العدد ١٦٦ ص ٤، تاريخ ١٩٨٢/١٠/٣١م.

أولاً: قدرة المقاتل العربي:

وعلى الصعيد العسكري فقد أبرزت هذه الحرب ولأول مرة منذ تاريخ الصراع الدامي الطويل العربي – الإسرائيلي بأن هناك مقاتلين عرب، ترخص لديهم الحياة في سبيل وطنهم أو مبادئهم وأمتهم وذودا عن ثورتهم.. أولئك المقاتلون والذين على الرغم من أسلحتهم المتواضعة جداً أمام الأسلحة المعادية فإنهم لم يتراجعوا أمام جحافل جيش العدوان الجرارة والغازية لهم والمزودة بأحدث ما في الترسانة الأمريكية من صنوف الأسلحة، بل خاض أولئك المقاتلون غمار معارك طاحنة في العديد من مواقعهم ولقنوا العدو الصهيوني المتغطرس دروساً لن ينساها، والتي اعترف العديد من ضباط العدو بفاعلية وكفاءة وشجاعة مقاتلي القوات الفلسطينية والقوات المشتركة وكان لأبطال الأر.بي.جي دوراً هاماً وحساساً في هذه المعركة[٧٠] هذا الصمود البطولي أدى أن يدفع العدو ثمنا فادحا في صفوف قواته البشرية واعتدته العسكرية، وبالرغم من عدم التكافؤ بين قوات الطرفين نوعا وعددا ولكن شنّت القوات الفلسطينية والقوات المشتركة لحرب العصابات أدى إلى تقليل دور التفوق التقني للعدو، وارغم قوات العدو مضطرة أن تواجه حفنة من المقاتلين الأشاوس والمزودين بالأسلحة الفردية هنا تارة وهناك أخرى، أو تلقي الوخزات المفاجئة مما كان يوقع بجنودها خسائر عديدة[٧١]، وبهذا الصدد تقول إحدى الصحف الإسرائيلية: "علينا الاعتراف وإن كانت الحقيقة مؤلمة، ان مقاتلي منظمة التحرير أبدوا خلال الحرب الأخيرة جرأة يحظر علينا الاستهانة بها، وقد عرف جنود جيش الدفاع الذين تعلموا الاستخفاف بالفلسطينيين، هذه الحقيقة بطريقة مؤلمة جداً"[٧٢].

وبهذا يتضح لنا أن هذه الحرب أبرزت عدداً من الأمور أهمها:

كفاءة القيادة العسكرية الفلسطينية بمختلف رتبها العسكرية من خلال:

قيادة العمليات العسكرية.

أعمال التنظيم الإدارة وغيرها.

وذلك خلال مجريات هذه الحرب والتي دامت قرابة ثلاثة أشهر..

قدرة وكفاءة وفاعلية المقاتل العربي على القتال والصمود واستخدام الأسلحة المتوافرة بشكل مثالي، وخاصة بعد أن أثبت هذا المقاتل أنه قادر على دحر العدو إذا أحسن توجيهه وتدريبه وبأبسط الوسائط واقلها إمكانية، فما بالك لو توافر لأولئك المقاتلين من السلاح

---

٧٠ نشرت صدى المعركة العديد من المقابلات التي أجرتها الصحف الإسرائيلية مع عدد من الضباط الجرحى حيال هذا الموضوع، ويمكن الرجوع لهذه الأعداد لأن فيها فائدة كبيرة ولها مدلولات عظيمة.

٧١ كان لأشبال الثورة الفلسطينية دورا شجاعا وعظيما في المعارك على كل المواقع.

٧٢ يديعوت أحرنوت ١٩٨٢/٦/٢٨م.



والعتاد ما توافر لقوات الغزو الإسرائيلي أو يتوفر لدى جيوش الأنظمة العربية.

قدمت هذه الحرب خبرة ميدانية عملية للمقاتلين، إذ أسهم فيها غالبية هؤلاء المقاتلين وتصدّوا وجها لوجه بالسلاح الأبيض في كثير من المواقع لجنود العدو الغازي، وهذه أول حرب تشترك فيها قوات الثورة الفلسطينية بهذه الكثافة والأعداد.. إن لم نقل اشتركت كل القوات المتوفرة لدى الثورة.. فأبلت بلاءً حسناً وأعطت أحسن النتائج، الأمر الذي جعل الصحف الإسرائيلية تتهجم على القيادة العسكرية الإسرائيلية حيث قالت إحداها بهذا الخصوص: "العينان المغمضتان والنفس محبوس، والأصابع مشدودة إلى بعضها تبتهل إلى الله أن تنقضي هذه الأيام المتبقية حتى موعد الإخلاء بسرعة، القلب مليء بالخوف من أن لا يكون كل شيء قد انتهى، فما زالت ترن في الآذان كلمات (الملاك) نصر آخر على غرار النصر الحالي، ويضيع كل شيء[٧٣].

وأبرزت هذه الحرب أهمية العودة بالثورة الفلسطينية للانطلاقة، للبدايات الأولى لحرب العصابات.. وذلك لأن جيشاً عصرياً حديثاً قوي الإعداد حديث التجهيز بالأسلحة البرية والجوية والبحرية وتسنده الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، هذا الجيش لا يمكن لقوات الثورة الفلسطينية المحدودة العدد والعُدة أن تجابهه في حرب كلاسيكية نظامية.

ثانياً: على الصعيد السياسي:

كانت حرب لبنان بمثابة الزلزال الذي أصاب إسرائيل فأحدث العديد من الآثار المباشرة وغير المباشرة على الصعيد السياسي، وغيره من الأصعدة. فعندما فشلت القوات العدوانية من تحقيق أهدافها، وفقاً لما هو مخطط لها زمنياً من جهة وتجاوز هذه القوات الحدود التي قررتها في بياناتها المقدمة للحكومة والكنيست وهي بأن العملية ترمي إلى إبعاد المواقع الفلسطينية لمسافة (٤٠ كلم) عن الحدود الشمالية، هذا بالإضافة إلى عدد آخر من العوامل الهامة التي أفرزتها الحرب وبلورتها والتي من أبرزها:

١. إطالة أمد الحرب بشكل غير مألوف.

٢. فداحة الخسائر التي لحقت بالقوات الإسرائيلية وإحجام إسرائيل عن ذكر الأرقام الحقيقية للخسائر.

٣. شمول تجنيد الاحتياط وزج مئات الآلاف تحت السلاح حيث أوردت إحدى الصحف الإسرائيلية، أن ١٥٪ من مجموع الاحتياط استدعي قبل بدء العملية.. وما يخلفه مثل هذا الوضع على الكيان الصهيوني من نتائج عديدة..

---

٧٣ صدى المعركة العدد ١٥٣، ص٤ تاريخ ١٨/١٠/١٩٨٢م، عن يديعوت أحرنوت ٢٠/٨/١٩٨٢م بقلم سيلفي كيشت.

٤. الإعلان عن حجم النفقات الاقتصادية للحرب وانعكاسها بشكل مباشر على الجمهور الإسرائيلي والذي يعاني قبل الحرب من الأوضاع الاقتصادية المتأزمة داخل الكيان...

٥. تعقيد الوضع السياسي وعدم ظهور بوادر حل سريع للمشكلة وفقا لما وعد به قادة الكيان.

فمن جراء كل هذه العوامل مجتمعة وغيرها فقد أدت جميعها إلى حدوث خلخلة في بنيان الكيان الإسرائيلي السياسي. وتبدلت المواقف لدى غالبية الأحزاب والكتل التي كانت مؤيدة بداية للعملية العسكرية ثم تحولت هذه الأحزاب نفسها والكتل إلى موقف المعارضة والتنديد. وهكذا نجد بأن أصوات التنديد ارتفعت، ولهذا نسوق هنا عدداً من الشواهد على مدى المعارضة السياسية وحجمها وتأثيرها:

- طالبت حركة شلي يوم (١٢ / ٦ / ١٩٨٢م) بالاشتراك مع حركة سلام الآن بوقف الحرب العدوانية وإدانتها، وضرورة وقف كافة الأعمال العسكرية في لبنان، وقد وصف عضو إدارة حركة شلي الدكتور مئير بعيل خطاب مناحيم بيغن في الأمم المتحدة: بأنه رياء ووقاحة من الدرجة الأولى، وخاصة عندما تجرأ بيغن على التحدث عن السلام ونزع السلاح بعد الغزو الإسرائيلي المدبر والعدائي والوحشي على لبنان[٧٤]. ويعتقد أوري افنيري عضو إدارة هذه الحركة وسكرتير تحرير "هعولام هازيه" أن تحدث زعزعة في الجهاز السياسي في الكيان الصهيوني، بعد عودة الجنود من لبنان، والإعلان عن رأيهم حول هذه الحرب[٧٥]. قامت هذه الحركة مع كل من راكح وحركة سلام الآن بتنظيم العديد من المظاهرات شارك فيها الآلاف من الرجال والنساء والطلاب[٧٦].

- قال اللواء احتياط ماتي بيلد: "إن المعارضة لاحتلال بيروت الغربية شملت الغالبية العظمى من الشعب في إسرائيل فهذه الحرب ليست حرب الشعب وإنما حرب الحكومة، والدخول إلى بيروت إن تم فسيكون متناقضاً مع رغبة الجمهور الإسرائيلي وهذه الحرب ستكون تقريباً أطول حروب إسرائيل منذ حرب الاستقلال، ولا أحد يعرف ما هي نتائج الحرب، وعدد الجرحى والقتلى آخذ في الزيادة يوماً بعد يوم.. وأردف قائلاً: إذا لم تضع الحكومة حداً لهذه الحرب التعيسة يجب إذن وضع حد للحكومة"[٧٧].

- وأما حزب (مبام) فقد دعى في (٢٣ / ٦ / ١٩٨٢م) الحكومة إلى منع خطر توسع الحرب

---

٧٤ علهمشمار ١٩٨٢/٦/٢٠م.

٧٥ دافار ١٩٨٢/٦/٢٩م.

٧٦ هآرتس ١٩٨٢/٦/٢٧م.

٧٧ علهمشمار ١٩٨٢/٦/٢٥م.

وعدم إدخال جيش الدفاع إلى بيروت الغربية. وقال مئير تامي: إنه من الواضح أن الأهداف الاستراتيجية التي عملت حكومة إسرائيل من أجلها في هذه الحرب لا يمكن تحقيقها، وأن وهم الحل العسكري غير ممكن التحقيق بالنسبة للقضية الفلسطينية ومنظمة التحرير[٧٨].

■ وأما حزب العمل الذي كان مع الحرب في البداية تغير آراؤه ومواقفه بعد ان تبين لهم أن الحرب لم تنته كما هو مألوف في عهود حكم العمل، وتصاعدت الآراء المنددة بالحرب والداعية لوقفها لأنها لا يمكن أن تنهي (م.ت.ف). واعتبر إسحاق رابين أنه من الخطأ الإعتقاد بأن (م.ت.ف) قد إنتهت نتيجة عملية جيش الدفاع الإسرائيلي في لبنان ويعتقد أن هناك إمكانية لدعم موقف السلطة المركزية في لبنان بعد هذه العملية ولكنه يحذر من الانخداع وتسليم السلطة في لبنان للكتائب[٧٩].

كما أثرت حرب لبنان بمعطياتها الجديدة، ومجازرها الرهيبة على الرأي العام العالمي، وبمختلف الأصعدة الحكومية والشعبية والمنظمات والأحزاب السياسية، وأثرت على مواقف الجاليات اليهودية، ولهذا، وبناء على معطيات الواقع الجديدة فقد انبرى العديدون من قادة إسرائيل، للحديث عن خطورة الوضع الناجم عن حرب لبنان، وفداحة الخسائر التي منيت بها دولتهم جراء التحولات الكبيرة التي حدثت لدى الرأي العام العالمي. ولعل أبرز هذه المواقف هو الموقف الأوروبي، وكذلك الموقف الأمريكي حيث أعلن الرئيس ريغان عن مبادرته للسلام في الشرق الأوسط والتي تعترف ب(م.ت.ف).

أملت مثل هذه المتغيرات على الساحة الدولية على شمعون بيرس إلى القول: ان إسرائيل دفعت ثمناً غالياً على الصعيد الدولي، مقابل الثلاثين كيلو متراً التي تجاوزتها في لبنان[٨٠]. وقالت صحيفة علهمشمار: إن خروج (م.ت.ف) من بيروت، تم التوصل إليه بثمن غال من الخسائر والدمار والقتل بين المدنيين في لبنان، والحاق ضرر بليغ في مكانة إسرائيل في العالم[٨١]. ومن شأن الهزيمة العسكرية ل(م.ت.ف)، أن تدعم مكانتها وهيبتها كمنظمة سياسية، ولن يقتصر أمر الاعتراف بها على الدول الأوروبية، بل من الممكن أن يشمل ذلك الولايات المتحدة الأمريكية.. وعندئذ سيتم نقل المعركة من بيروت إلى الضفة الغربية.. وسيتضح أن من حاول حل المشكلة الفلسطينية بوساطة ضربة عسكرية، لن يكون بوسعه أن يتهرب من منافسة سياسية مع المنظمة[٨٢].

---

٧٨ علهمشمار ١٩٨٢/٦/٢٤م

٧٩ دافار ١٩٨٢/٦/١١م.

٨٠ هآرتس ١٩٨٢/٧/١١م، عن نشرة الصحف العبرية العدد ٧/١٥٩، تاريخ ١٩٨٢/٧/١٥م.

٨١ علهمشمار، ١٩٨٢/٨/٢٦م، عن نشرة الصحف العبرية، العدد ٨/١٩٣، تاريخ ١٩٨٢/٨/٣٠م.

٨٢ علهمشمار، ١٩٨٢/٧/٧م، عن نشرة الصحف العبرية، العدد ٧/١٥٦، تاريخ ١٩٨٢/٧/١٢م.



الفصل السادس:



لبنان بعد الخروج الفلسطيني



بشير الجميل رئيساً:

بعد إعلان انتخابه رئيساً لجمهورية لبنان، ركب بشير الجميل سيارته الهوندا الرمادية اللون وانطلق مسرعاً إلى المدرسة الحربية حيث كان النواب ينتظرونه، وفور دخوله القاعة عانق والده ثم كميل شمعون، ثم شكر المجلس على الثقة التي منحه إياها شارحاً برنامج عمله وصاح: لقد قدمنا برهاناً وكسبناه. وفي اليوم التالي أعيد التيار الكهربائي والاتصالات الهاتفية إلى بيروت الغربية، وبدأ بيت الجميل في بكفيا يستقبل المهنئين. وكان السرور واضحاً لدى الحكومة الإسرائيلية، حيث بعث مناحيم بيغن برسالة تهنئة لبشير الجميل يقول فيها: «نحن مسرورون من أعماق قلبنا بانتخابكم، فليأخذ الله بيدكم أيها الصديق العزيز في رسالتكم التاريخية العظيمة لأجل نيل حرية لبنان واستقلاله»[١].

وصل إلى بيروت وفد إسرائيلي ضم شارون ورفائيل إيتان، وموشيه ليفي وأفنير أزولاي من الموساد في ٢٧ / ٨ / ١٩٨٢م حيث اجتمعا سراً في منزل جوني عبده لتهنئة بشير الجميل، ثم قام رفائيل إيتان بتذكيره بالاتفاق المسبق بضرورة البدء في اقتحام بيروت الغربية فور رحيل آخر الفلسطينيين والسوريين. فأكد بشير أنه ملتزم بالاتفاق وسوف يعطي الجيش اللبناني أمراً بالدخول والتفتيش، وطلب المزيد من المساعدة الإسرائيلية وخاصة فيما يتعلق بمشاكل متوقعة خاصة مع المرابطين[٢]. واكد رفائيل إيتان أن المرابطين سيرحلون، وطلب عقد اجتماع فوري بين الجنرال أمير دروي من الجيش الإسرائيلي وفادي افرام من القوات اللبنانية وضباط من الجيش اللبناني لوضع ترتيبات هذه العملية. وأكد أنهم يقومون بالاستعداد للانتشار في البقاع في مواجهة السوريين معتبراً أن المفاوضات معهم ستكون شاقة جداً.

واعتبر بشير الجميل أن هزيمة الفلسطينيين وهبوط معنويات السوريين من الممكن أن تساعد على حصار البقاع تمهيداً للقيام بعمل عسكري، مؤكداً أنه طلب من فيليب حبيب الاتصال بالسوريين لمعرفة نواياهم ومخططاتهم في البقاع والشمال. ووعد بإعادة سعد حداد إلى الجيش

---

١ شيمون شيفر، أسرار الغزو الإسرائيلي للبنان، ترجمة حسان يوسف، شركة المطبوعات الشرقية، بيروت ١٩٨٥، وكتاب بيروت احتلال عاصمة عربية (كتاب الشراع المصور، وثائق ويوميات الحرب) مجلة الشراع ١٩٨٣ ص٣٦٦.

٢ بعد انتخاب بشير الجميل رئيساً انتشر الجيش اللبناني في بيروت الغربية وخاصة اللواء الثامن بقيادة العقيد ميشال عون الذي بعث بوفد إلى مسؤولي «المرابطون» ليشرح لهم تمنياته بأن يتمكن من العمل دون مشاكل، ورد عليه مسؤولو المرابطون بأنهم ليسوا بصدد مواجهة الجيش وعليه فقد كانت عملية انتشار الجيش اللبناني سهلة.

بالتنسيق مع النائب العام العسكري أسعد جرمانوس، مؤكداً أنه وسوف يعامل كبطل. وأكد رفائيل إيتان أن الدروز سيدعمونه، وهذا ما أكده له اثنين من زعمائهم زاروه. وكان وجهة نظر بشير الجميل أنه لن تكون هناك مشكلة مع الدروز، فالأمير مجيد أرسلان يلعب الآن دور المرشد وسنساعده، وأخذ الدروز يلتفون حوله، في حين أن وليد جنبلاط يتشبث بزعامته وسنفهمه أن عليه أن يمر بأرسلان إذا أراد الحصول على أي شيء.

بشير الجميل ومعاهدة الصلح مع إسرائيل:

رتب الموساد لقاء بين مناحيم بيغن وبشير الجميل في مصنع للعتاد العسكري يوم ١ / ٩ / ١٩٨٢م عند الساعة العاشرة ليلاً، وقبل هذا الموعد بساعات كانت مروحية إسرائيلية من طراز (CH-٥٣) تابعة لسرب المروحيات الأول في سلاح الجو الإسرائيلي تهبط في باحة محطة الزوق للكهرباء لتنقل بشير الجميل إلى إسرائيل، لتهبط في مطار المروحيات العسكري في نهاريا، حيث نزل بشير الجميل ومعاونيههم جوزيف أبو خليل، وجوزيف سعادة وجورج فريحةونقلوا مباشرة إلى حيث كان شارون، إسحق شامير، ديفيد كيمحي، أبراهام تامير، إسحق حوفي، ناحوم عرموني ومناحيم نافون[٣].

ثم توجهوا إلى قاعة الاجتماع وعند حوالي الساعة الحادية عشرة وصل مناحيم بيغن الذي قال: أود أن أرحب بكم سيدي الرئيس، يوم كنت تأتي إليّ فيما مضى كنت أناديك "ابني" والآن صرت رئيساً لبلادك، علي أن أعبر عن الإمتنان لسلفي إسحق رابين وحكومته، كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد جلبت إلى لبنان كوارث وقيود على السلطة وفقدانا للاستقلال، كان هذا ينذر بالقضاء على المسيحيين في الجنوب وغير الجنوب، وعانى السكان معاناة هائلة من القصف، لقد جئت هذه الليلة لأقول لك أنه لن يهددكم أحد بعد الآن، فالجيش الإسرائيلي سحق منظمة التحرير الفلسطينية وجردها من السلاح، وطردها خارج لبنان، وانهزم الجيش السوري، لقد دمرنا لهم ٤٠٥ دبابات، و١١٢ طائرة، ولأول مرة أسقطت طائرة من طراز (ميغ ٢٥) وقضينا على (٢١) بطارية لصواريخ سام ٦ وسام ٨، كما سحقنا وحدات سورية كبيرة، وحافظ الأسد يعلم أنه إذا نشبت حرب فجيشه سوف يسحق، يجب أن يغادر كل السوريين لبنان. ثم تأتي المرحلة الثانية التي ستكون طرد كل الإرهابيين من الشمال والبقاع. والمرحلة الثالثة ستشهد خروج كل القوات الأجنبية بما فيها الإسرائيلية والسورية، وأمامنا خيارين

---

٣ قصة الموارنة في الحرب، مصدر سابق.



إما ألا نغادر لبنان قبل أن يغادره السوريون، وإما أن ننسحب وإياهم في الوقت ذاته، ولقد اخترنا الحل الثاني. وعند انتهاء المرحلة الثالثة سيكون هناك لبنان جديد حر ديمقراطي لديه جيش قوي مزود بأحدث الأسلحة، ويجب أن يكون الضباط مخلصين للرئيس قائدهم الأعلى، ويجب أن يكون للبنان أجهزة أمن داخلي مناسبة، نحن على استعداد لمساعدتكم، نحن في حرب منذ سنة ١٩٤٨م حتى هذه الليلة، ونحن أصدقاء ودولتان وحكومتان لا تزالان في حالة حرب. إن إسرائيل تستحق أكثر من أمريكا وفرنسا وباقي العالم التي لم تساعدكم، أما نحن فقد ساعدناكم، ولكن الرئيس كميل شمعون أعلن أن لبنان لن يوقع معاهدة صلح مع إسرائيل ؛لأنه فقير ويحتاج إلى المساعدات العربية، ولقد فوجئت بهذا الكلام وأقول له أن مصر فقيرة وتحتاج إلى العالم العربي أكثر من لبنان، ولكنها مع ذلك وقعت على معاهدة صلح، هل إن المال هو الذي يقرر نوعية العلاقة التي يجب أن تقوم بيننا، يجب أن تكون علاقتنا مبنية على الشرف والكرامة، يجب الانتهاء من الحرب ولهذا علينا أن نوقع معاهدة صلح باللغتين العربية والعبرية، وسنوقع على النسخة العبرية في القدس وعلى النسخة العربية في بيروت، دع صداقتنا تنعكس على شعبينا، يمكن أن تقوم وحدة اقتصادية بين بلدينا ويمكن أن تكون بيننا صداقة في الشؤون الدولية، وهذا ما أتوقعه هذه الليلة، فسوريا لن تجرؤ على مهاجمة إسرائيل أو لبنان، والأردن لن يهاجمنا، ونحن سعداء لكونك انتخبت بصورة ديمقراطية رئيساً للبنان، ويمكن لنا أن نقول أن لك صديقاً في القدس وأن لي صديقاً في بيروت"[٤].

ورد بشير الجميل: لقد كنا محظوظين حين حصلنا على دعمكم غير المشروط، اليوم صار صديقكم رئيساً للجمهورية اللبنانية، وسوف نقوم بخطوة أخرى وهي إخراج (٥٠٠ ألف) فلسطيني موجودين في لبنان، فلن يبقى إرهابيون على أرضنا أبداً، وفي المرحلة الثانية سيخرج السوريون من لبنان، لكننا لن نرضى بأن يكون الانسحاب السوري والانسحاب الإسرائيلي على مستوى واحد، لسنا بحاجة إلى تطبيع بين شعبينا، وسأعمل ما بوسعي كرئيس للدولة حتى تتحقق أحلامنا. لقد انتصرنا في الحرب بفضل مساعدتكم ودعمكم.. وخاطب رئيس الوزراء الإسرائيلي قائلاً: لقد كنت "سيداً كبيراً" وقالها باللغة الفرنسية".

ثم طلب مناحيم بيغن الاختلاء عقد اجتماع منفرد مع بشير الجميل الذي أشار إلى جورج فريحه الذي كان يسجل الملاحظات وإلى جوزيف سعادة أن يرافقاه في الجلسة، في حين التحق مع مناحيم بيغن كل من شارون واسحق شامير واسحق حوفي ويهوشع ساغي.

---

٤ آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان، ص٣٧٠، شيمون شيفر، أسرار الغزو الإسرائيلي للبنان، ص١٣٣.

وبدأ بيغن الحديث مستهجناً موقف بشير الجميل أمام وسائل الإعلام وعدم الحديث عن المساعدات التي تلقاها من إسرائيل خلال السنوات الماضية والتي تكللت بهذا الإنجاز قائلاً: أنتم أشدتم بالجنود الأمريكيين والإيطاليين والفرنسيين، فلماذا لم تقولوا كلمة واحدة عنا.؟ والسوريون سينسحبون تحت الضغط، أما نحن فسوف نغادر بملء إرادتنا ولم نسمع كلمة شكر واحدة أو كلمة تفيد أننا أنقذناكم، إن صمتكم قد يؤثر على علاقتنا المستقبلية، لم أطلب منك شيئاً قبل الانتخابات، أما الآن فأنت الرئيس وهذا وضع آخر، لقد قال شمعون أنه لا يمكن عقد معاهدة صلح بين لبنان وإسرائيل، وقال والدك إن لبنان جزء غير منفصل من العالم العربي، إذا كنت لا تريد معاهدة صلح، قلها الآن فنحن عشنا ثلاثة آلاف وسبعمائة سنة بدون سلام، وبوسعنا أن نستمر. وهنا أصر بيغن على ضرورة الإسراع بالتوقيع على معاهدة صلح بين إسرائيل ولبنان خاصة في ضوء الضغوط التي يمارسها الرأي العام الإسرائيلي على حكومته والذي يطالب برؤية نتائج حقيقية على الأرض.

وتذرع الجميل أنه يواجه صعوبات خاصة وجود مليون ونصف المليون من المسيحيين لا يزالون تحت السيطرة السورية والفلسطينيين، وصدور أية تصريح سياسي بهذا المعنى سيسبب لهم الكثير من المشاكل. فأكد بيغن أنه لم تعد للسوريين القدرة على القيام بهجمات، وهنا تساءل شارون: هل صحيح أن المسلمين اللبنانيين يشترطون عدم عقد معاهدة صلح كي يتعاونوا معك.؟ فأجابه بشير الجميل: إن هذا صحيح، إن لبنان سيتفكك إن أنا أدليت بتصريح كهذا. وهنا صاح بيغن غاضبا: إذن أنت تذعن للابتزاز وتهمل الصداقة. أنا لا أريد أن يتفكك بلدكم قالها بمزيد من السخرية اعتبر أن الاجتماع انتهى وهمّ بالخروج. وتدخل شارون قائلاً: رضينا بأن لا نتدخل في الانتخابات، وها أنت الآن قد تم انتخابك، فإذا لم تعقد معاهدة صلح فإن وحدة لبنان ستتعرض للخطر في الجنوب. وأقترح بيغن تأليف لجنة مشتركة مهمتها صياغة نصوص السلام وتحديد الرزنامة الواجب التقيد بها. وأكد على ضرورة صدور تصريح لبشير الجميل يؤكد ضرورة عقد معاهدة صلح مع إسرائيل، وبعد ذلك تبدأ مباحثات لأجل الوصول إلى تحديد الأساليب، ومن جهتي فإنني أعين إسحق شامير وأرئيل شارون عن الجانب الإسرائيلي لتلك المباحثات ويجب أن نحدد الآن تاريخ أول اجتماع للجنة وسيكون ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م في بيروت.

وانتقل بيغن للحديث عن موضوع سعد حداد وقال إنه قاتل من أجل لبنان، وبدلاً من أن يحظى بترفيع يتوجب عليه أن يمثل أمام النائب العام، لن أسمح بذلك، هذا عار.. الرجل ليس



خائناً وهو صديقي ووطني لبناني، عليك أنت كرئيس للبنان أن ترقيه وتجعله يشارك في عملية المصالحة، ويجب أن يكون عضواً في الحكومة ويجب أن تكون قواته جزءا من الجيش اللبناني. سوف أستقبله قريبا، أريد منك أن تسجل أننا لن نتخلى عنه، ولن يمثل أمام أي نائب عام ولن أسمح بأن توجه إليه أي تهمة، أعلم أنك تفكر في تعيينه ملحقاً عسكرياً، لكني لا أظن أن هذا يليق بصديق، وأعتقد أنه سيفضل أن يعيش في إسرائيل إذا لاحقتموه وأنه سيطلب اللجوء السياسي وسأمنحه إياه.. وعلى أية حال إذا لم يكن هناك معاهدة صلح فسيكون الوضع القانوني في جنوب لبنان مختلفاً، سنحتفظ في هذا الحال بشريط عمقه أربعون أو خمسة وأربعون كلم في لبنان، ولن يستطيع أي ضغط أمريكي أن يزحزحنا مترا واحدا، وأقول لك كصديق أن علاقتنا هي الآن في منعطف حاسم. وأضاف شارون حداد ضابط جيد، وأفضل من كثيرين غيره من الضباط اللبنانيين، كان يسيطر على منطقة يسكنها مائة وخمسون ألف مدني، لقد خاطر بحياته وفقد عدداً من رجاله وهو الآن على رأس لواء يضم (٢٠٠٠ شخص)[٥].

بشير الجميل يفقد صوابه:

طبقاً لتقارير الشرطة اللبنانية فإن الاجتياح الإسرائيلي أوقع (١٧٨٢٥ قتيل) و (٣٠١٠٣ جريح) ولا يدخل في هذا الرقم الضحايا الذين لم يعثر على جثثهم أو الذين دفنوا في مقابر جماعية، ورغم هذه المأساة التي سببتها إسرائيل، وأنها خسرت الحرب وانعكست نتائجها سلباً على المجتمع الإسرائيلي بسبب ارتفاع نسبة القتلى بين الجنود ولعدم تحقيق أي مكسب سياسي من الحرب سوى المراهنة على انتخاب بشير الجميل رئيساً للبنان. ومن هنا جاءت الضغوط الإسرائيلية على بشير الجميل لتحقيق إنجاز سياسي يمكن تقديمه للشعب الإسرائيلي كثمن للحرب متمثلا في توقيع اتفاقية سلام مع لبنان[٦].

أمضى بشير الجميل بعد عودته من نهاريا يوم ٢ / ٩ / ١٩٨٢م في استقبال المهنئين في بيت والده في بكفيا، ثم استدعى قيادات الكتائب إلى اجتماع في المساء، منهم: جوزيف سعادة، وجان ناضر، جورج سعادة، جوزيف أبو خليل، سليم الجاهل، جورج فريحه، كريم بقرادوني، أنطوان

---

٥ يقول جوزيف أبو خليل: خرج بيغن وبشير وعلى وجهيهما كل علائم سوء التفاهم، واقترب مني بشير ليهمس في أذني قائلاً: هذا أسوأ اجتماع عرفته في حياتي، وبدا لاحقاً أنه مستاء أشد الاستياء من اللغة التي خاطبه بها بيغن. قصة الموارنة في الحرب، ص٢٢٤.

٦ آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان، ص٣٧٥.

نجم، الفرد ماضي، زاهي البستاني، جوني عبده. ومن العسكريين: فادي افرام، أنطوان بريدي، أسعد سعيد، فؤاد بطرس خوند، إيلي وازان، إيلي الزايك، ومن الإستخبارات الكتائبية كل من سامي شدياق، وإيلي حبيقه، وأسعد شفتري، ومن الدعم والإسناد ريمون حرب، ووليد فارس.

خلال الاجتماع أخرج بشير الجميل من جيبه ورقة هي عبارة عن برقية من ملك المغرب الحسن الثاني يدعوه لحضور قمة فاس حيث كان على جدول الأعمال، وبناءً على طلب من الرئيس السابق إلياس سركيس إنهاء مهمة قوات الردع العربية والتي سبق أن انتهت مدة تفويضها بتاريخ ٢١ / ٧ / ١٩٨٢م. وأبلغهم بشير الجميل أنه يريد إجراء حوار مع القادة العرب، ولذلك أرسل "بول جريديني" اللبناني الأمريكي والمستشار في وزارة الدفاع الأمريكية إلى الأردن ليقيم اتصالاً مع الملك حسين، كما أرسل موفدين آخرين إلى الرياض و القاهرة والكويت وتمنى أن يتم فتح حوار مع الرئيس حافظ الأسد، وأنهى بشير الجميل حديثه قائلاً: سأذهب إلى مؤتمر القمة كي أتحدث للملوك والأمراء والرؤساء العرب.

فقد بشير الجميل صوابه صباح يوم ٣ / ٩ / ١٩٨٢م واجتاحته حالة من الهستيريا عند سماعه النبأ الذي أوردته وكالة رويترز والذي يكشف اجتماعه مع مناحيم بيغن في نهاريا وأن الرجلين بحثا مستقبل العلاقات اللبنانية الإسرائيلية وإمكانية عقد معاهدة صلح بين البلدين على غرار اتفاق كمب ديفيد مع مصر، وأثناء فورة الغضب صاح بشير الجميل "لا أريد أن أرى إسرائيلياً بعد الآن".

وفي حركة غير متوقعة قامت وحدات من الجيش الإسرائيلي بالتقدم إلى الأمام من المطار الدولي نحو بئر حسن وعلى طول الخط المتاخم للبحر في جنوب بيروت، وتمركزت فصيلة من الجنود على طول المنطقة الملاصقة للسفارة الكويتية، الأمر الذي أثار القلق في مخيمي صبرا وشاتيلا اللذين لا يبعد مدخلهما كثيراً عن السفارة الكويتية، ثم أقام الجنرال عاموس يارون مقراً لقواته في أعلى مبنى من ست طبقات وكان ذلك المبنى يضم مساكن ومراتب الجيش اللبناني سابقاً.

أثار هذا الخرق لاتفاقية فيليب حبيب جدلاً لدى الجانب الماروني حيث تراجع بشير الجميل عن الوعد الذي قطعه بعدم استقبال أي إسرائيلي، واستقبل يوم ٧ / ٩ / ١٩٨٢ إسحق حوفي مدير الموساد الذي أبلغه أنه سيغادر منصبه ليحل بدلا منه ناحوم عرموني "بيتر" وعبر بشير الجميل عن غضبه لإفشاء خبر اجتماعه مع مناحيم بيغن في نهاريا، فيما طلب إسحق حوفي منه استقبال شارون لتجاوز الأزمة.



افتتحت القمة العربية في فاس صباح ٩ / ٩ / ١٩٨٢م دون حضور بشير الجميل الذي تراجع عن الذهاب في آخر لحظة بحجة أنه لم يتسلم الولاية رسمياً بعد، وفي صباح يوم ١٠ / ٩ / ١٩٨٢م أمر الرئيس الأمريكي رونالد ريغان بسحب جنوده من بيروت، حيث أبحرت الكتيبة رقم (٣٢) من مشاة البحرية على الفور، وأعقب الانسحاب الأمريكي طلعات استكشافية للطيران الإسرائيلي، وفي يوم ١١ / ٩ / ١٩٨٢م حذا الإيطاليون حذو الأمريكيين وانسحبوا من بيروت، وانسحب الفرنسيون يوم ١٢ / ٩ / ١٩٨٢م.

وبينما كانت آخر عناصر القوات الفرنسية تنسحب من لبنان، وصل شارون وبرفقته إسحق حوفي إلى بيروت وتوجها على الفور إلى منزل بشير الجميل الجديد في بكفيا، وبعد تناول طعام العشاء بدأ شارون مازحاً فقال: لا يعلم أحد أين أنا، وبالتالي لن يكون هناك تسريب للخبر واعتذر عن الموقف المتشنج من رئيس الوزراء مناحيم بيغن خلال اجتماع نهاريا.

- رد عليه بشير الجميل: لقد خاطبني بيغن كما لو أنني فلسطيني أو سوري وليس كصديق، هل يمكنك أن تعطيني تفسيراً لذلك.؟

- شارون: أود أن أعتذر، لقد عدت إلى بيتي في تلك الليلة والألم ينهشني، فالمكان كان لا يليق باستقبال رئيس لبنان، وكان رئيس الوزراء مستاءً جداً لعدم سماعه كلمة لصالح إسرائيل، نحن نتعرض لانتقادات قاسية، لقد أجريت خلال ثلاثة أشهر أربعة وخمسون اجتماعاً معك ومع جوني عبده، ومع فيليب حبيب، وقد حلت بنا خسائر جسيمة، لقد ساعدناكم لأنكم أمة صغيرة ونحن أمة صغيرة، حين هاجم العراق الأكراد ساعدناهم، فأرسلنا إليهم أطباءً وضباطاً وجنوداً ظلوا سنوات في تلك الجبال يقاتلون إلى جانبهم.. إن بيغن يحبك كثيرا ولكنه متألم، ولقد أحس بكثير من الإهانة لعدم صدور ردة فعل علنية عنكم، لقد هاجمنا صواريخ سام٦، وسوف نعاود ذلك غداً، إن تصريح الرئيس شمعون وصمتك سببا له حرجا كبيرا، على كل حال لقد غادر بيروت (١٥٠٠٠) فلسطيني وسوري، إلا أنه لا تزال هناك مراكز قيادة صالحة للعمل، فشفيق الحوت يتلقى فيها أوامر من عرفات، وأحمد جبريل ترك (٢٠٠٠) مقاتل في المدينة.

- بشير الجميل: معلوماتنا تقول ١٥٠٠ مقاتل.

- شارون: الأمر سيان نحن ننوي أن تتولى أمرهم، لقد وصل جنودنا إلى بئر حسن والسفارة الكويتية أتمنى الحصول على إذنكم لكي أدخل المدينة لأننا لم ندخلها قبل الآن بسبب حضور القوة المتعددة الجنسيات.

- بشير الجميل: لن تستطيعوا دخول بيروت ما لم تقرر الحكومة اللبنانية الآلية اللازمة لذلك.

- شارون: وكيف تتصور تنظيف بيروت..؟
- بشير الجميل: يوم ٢٣ / ٩ / ١٩٨٢م بعد تنصيبي سيصبح بإمكاني أن أصدر الأوامر.
- شارون: نحن سنعمل بحرية أينما أتيحت الفرصة لقواتنا.
- بشير الجميل: لا تدخلوا الآن، لكن ابقوا حيث أنتم، فالضغط الناجم عن حضوركم يتيح للجيش اللبناني أن يعمل بمزيد من السهولة.
- شارون: إذا دخل جيشكم إلى صبرا وشاتيلا أتريدون أن تتقدم قواتنا على مهل وراءكم..؟
- بشير الجميل: نعم ستقولون أن الجيش اللبناني دخل إلى هناك، يجب أن يتم التنسيق بين فادي افرام وأمير دروي وميشال عون.
- شارون: إذ ليس من الضروري القيام بذلك غداً، وهل ستعمل أجهزة مخابراتكم بصورة شرعية في بيروت الغربية.
- بشير الجميل: سيقوم إيلي حبيقه بالتنسيق معكم.
- قال شارون: ما زال الفلسطينيون يريدون خلق مشاكل ومن مصلحة الجميع أن تتدبر هذا الأمر وتتصرف بسرعة.
- رد بشير الجميل: نحن جاهزون لذلك سيتولى إيلي حبيقه هذا الأمر.

اغتيال بشير الجميل:

بالتوازي مع تلك التطورات التي كانت تشهدها لبنان كانت مجموعة تابعة للحزب القومي السوري الاجتماعي تسابق الزمن للإنتهاء من التجهيز لاغتيال بشير الجميل.. بإشراف المدعو نبيل العلم (مسؤول الشؤون الداخلية في الحزب القومي السوري)، الذي قام باختيار المدعو حبيب الشرتوني(٧)، الذي تم تجنيده في صفوف الحزب أثناء وجوده في باريس في وقت سابق، وجاء اختياره للاشتراك في عملية اغتيال بشير الجميل بسبب إقامته في مبنى يضم مكتب حزب

٧ حبيب الشرتوني ماروني ولد في قرية صغيرة تسمى شرتون بالقرب من عاليه الواقعة في جبل لبنان عام ١٩٥٨م، تأثر بالحزب القومي السوري الاجتماعي. عندما بدأت الحرب الأهلية، تطوع للخدمة في أحد مواقع الحزب في عاليه. بعد أشهر قليلة، نصحه أهله بمغادرة لبنان إلى قبرص ثم إلى فرنسا حيث درس في جامعة في باريس ونال شهادة في العمل. قضى عاما في باريس بعيدا عن السياسة، حتى أواخر صيف ١٩٧٧م خلال زيارته إلى لبنان حيث انضم رسمياً للحزب القومي السوري الاجتماعي وأصبح عضواً فاعلاً منذ ذلك الوقت. عند عودته إلى فرنسا، قام بالاتصالات اللازمة مع ممثلي الحزب في فرنسا وبدأ بحضور اجتماعاته السرية، حيث التقى نبيل علم، مسئول الشؤون الداخلية في الحزب في ذلك الوقت. ترك علم انطباعا على الشرتوني، ما مهد الطريق لاغتيال بشير الجميل.



الكتائب في منطقة الأشرفية في الطابق الثاني بينما كانت الشقة التي يقيم فيها الشرتوني، والتي تعود ملكيتها لجده وجدته وتقيم فيها أيضا شقيقته، في الطابق الثالث. وقام نبيل العلم باستئجار شقة في بيروت الغربية لتخزين المتفجرات على أن يتم نقلها للمنطقة الشرقية بالإضافة إلى أن يتم تدريبه على المفجر وفعلاً بعد تسلم الشرتوني المتفجرات والمفجر من علم قام بنقل المتفجرات بأمان إلى بيت عمته في الأشرفية، على بعد بضعة أميال من المقر وثم قام بنقلها إلى مكان سكنه بالطابق الثالث.

وفي ليلة ١٣ أيلول ١٩٨٢م، تسلل إلى الطابق الثاني من المبنى حيث مكتب الكتائب في الأشرفية. تصرفه لم يثر أي شكوك بما أنه يقطن في الطابق الثالث من المبنى نفسه مع أخته وجديه. دخل إلى غرفة في يمين مكان يجلس فيه بشير ورفاقه ووضع حقيبة في مكان مخفي تحوي ٣٥ كلغم من مادة TNT شديدة الانفجار.

في اليوم التالي تجول الشرتوني في المكان حيث كان من المقرر أن يلقي بشير خطاباً. وعندما تأكد من وصول بشير، قام بالاتصال بشقيقته وأخبرها أنه حصل معه حادث سير وهو الآن بالمستشفى يجب حضورها بالسرعة الممكنة وما أن تلقت شقيقته الخبر حتى تركت المنزل مسرعة وكان هو يشاهدها وحينما تأكد من مغادرتها المنزل توجه خارج المبنى وركض إلى حي النصرا، حيث يوجد المفجر.

ذهب بشير الجميل إلى مركز الأشرفية كي يتحدث إلى سكان الحي ويقوم بتكريم "جان ناضر" الذي كان رئيساً للمركز يوم ١٤ / ٩ / ١٩٨٢م عند الساعة الرابعة وعشر دقائق عصراً، وما كاد يأخذ مكانه المخصص ويبدأ بإلقاء خطابه تأكد الشرتوني من وجوده فضغط على المفجر وقد سمع صوت الانفجار في كل بيروت، وبعد الانفجار عاد للموقع لتفقد النتيجة.

بدأت عملية البحث عن بشير الجميل بين الركام، وكان هناك منقذون يرفعون كتلاً من الإسمنت وقطعاً حديدية لعدة ساعات، فصاح أحدهم أنه عثر على جسد آخر، فتقدم فادي افرام ليتعرف على الجثة، ورغم الغبار الكثيف استدل على لون القميص "الأزرق السماوي" الذي كان يرتديه بشير الجميل، لكن الوجه كان مسحوق تماما ولا يمكن التعرف على صاحب الجثة، لكن فادي افرام لاحظ الخاتم ذو الثمانية أضلاع الذي كان في إصبع الجثة.. لقد كان خاتم بشير.. ونقلت الجثة إلى مستشفى أوتيل ديو لاتخاذ الإجراءات اللازمة وتأكيد نبأ وفاة بشير الجميل الرئيس المنتخب الذي لم يتسلم الحكم بصورة رسمية رغم مرور واحد وعشرين يوما على انتخابه.

بعد انقضاء يومين في ١٦ سبتمبر – أيلول عند الساعة الخامسة والنصف عصراً أوقف حبيب طانيوس الشرتوني البالغ من العمر ٢٤ سنة في منزله، من قبل أحد أبناء عمه إلياس الشرتوني الذي كان أحد ضباط جهاز الأمن الذي يرأسه إيلي حبيقة، فقد وشت بحبيب عن غير قصد أخته التي كانت في حالة هستيرية تصيح قائلة أنها مدينة ببقائها حية لأخيها، الأمر الذي لفت انتباه المحققين.

تم تسليم حبيب الشرتوني من قبل القوات اللبنانية إلى أمين الجميل شقيق بشير، فعهد به في حراسة أحد قادة المليشيا ويدعى "طانسا" وهو المسؤول عن منطقة الدوار في المتن الأعلى وتم تقييد الشرتوني والزج به في الطبقة السفلية لبيت مهجور، وتمكن الشرتوني من فك قيوده وفر هاربا، لكن قوات من الكتائب تمكنت من إلقاء القبض عليه عند الفجر وكان لحظتها عند آخر حاجز للقوات اللبنانية، وحيث كان الشرتوني يحاول العبور إلى المنطقة التي يسيطر عليها السوريون، فأعيد إلى مبنى الأمن العام (الكتائب) وبدأ التحقيق معه فأفاد أن "نبيل العلم" رئيس جهاز الإستخبارات في الحزب السوري القومي الاجتماعي سبق أن اتصل به من باريس وطلب منه الانضمام للحزب بصفته شقيق جورج الشرتوني رئيس خلية الحزب في إيطاليا والعضو في منظمة أمنية تدعى "المبعوثون الأمنيون" وكان من أعضائها في بيروت الشرقية العنصرين اللذين حاولا اغتيال بشير الجميل سابقاً في شهر (٢ / ١٩٨٠م) عن طريق تفجير عبوة ناسفة، وأدى الانفجار لمقتل ابنته مايا واثنان من حرسه الشخصي، والمنفذان هما جوزيف كازريان ونزيه شعيا وكانا عضوان في مجموعة خاصة ضمن جهاز إستخبارات القوات اللبنانية تحت أمرة "إلياس الشرتوني" وبرئاسة إيلي حبيقه.

وبعد يومين من اعتقال الشرتوني، اعترف أمام مؤتمر صحفي، بمسؤوليته عن عملية اغتيال بشير الجميل واصفاً إياه "بالخائن الذي باع البلاد لإسرائيل"، قائلاً: "أنا حبيب الشرتوني أقر وأنا بكامل أهليتي القانونية بأني نفذت حكم الشعب بحق الخائن بشير الجميل وأنا لست نادماً على ذلك بل على العكس إذا أتى مرة أخرى فسوف اقتله وستصح مقولة لكل خائن حبيب وأبشركم أن هناك ألف حبيب لكل خائن عميل في بلادي". وأضاف: "لقد أعطيت المتفجرات ومفجراً بعيد الأمد في رأس بيروت من قبل نبيل العلم".

وبعد ثمانية أشهر قام إيلي حبيقة[٨] بناءً على أوامر فادي افرام بتسليم حبيب الشرتوني إلى الدولة اللبنانية لاستكمال التحقيقات معه من قبل الأمن العام اللبناني. وعندها أعلن الشرتوني بكل جرأة وشجاعة: "أنها طريقة شخصية للاشتراك في الحرب، هذا نوع من الحرب والصراع في لبنان، أنا لست مأجوراً ولم أتقاض في مقابل عملي مالا أو أي شيء". وعندما سئل هل قرار الاغتيال والتنفيذ هو قرار حزبي قيادي، أجاب: "لا، في الحقيقة إن العملية تمت بيني وبين الشخص المسؤول المدعو نبيل العلم مسؤول الاستخبارات في الحزب السوري القومي، ما كنت مقتنعاً بالأمر لكن المسؤول استطاع إقناعي سياسياً بعد الاجتياح الإسرائيلي، ونفذت العملية، وكان في استطاعتي تنفيذها قبل هذا الوقت لأني كنت مقيماً في المبنى منذ سنوات".

ثم نقله العقيد صلاح منصور إلى زنازين الشعبة الثانية (المخابرات) الكائنة آنذاك في المبنى الثاني لوزارة الدفاع في اليرزة، وجرى تقديمه أمام النائب العام العسكري أسعد جرمانوس حيث اعترف بالعملية، ووجهت إليه تهمة قتل رئيس الدولة. وبعد انتخاب أمين الجميل رئيساً أمر بنقل ملفه من القضاء العسكري إلى المحكمة العليا المنصوص عليها في الدستور. قضى الشرتوني ٨ سنوات في سجن روميه بدون أي محاكمة رسمية، حتى ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠م عندما فر خلال الهجوم السوري الأخير من أجل إسقاط الحكومة التي ترأسها ميشال عون. حين دخلت القوات السورية منطقة المتن عام ١٩٩٠م تم اقتحام مبنى السجن، وأفرج عن جميع من كانوا موقوفين وكان من بين السجناء حبيب الشرتوني.

الحزب القومي السوري ينفي علاقته باغتيال بشير الجميل:

رغم ادعاء حبيب الشرتوني بوجود علاقة للمنظمة الأمنية في الحزب القومي السوري مع فؤاد الشمالي عضو العمليات الخارجية في الحزب والذي يرتبط بعلاقات وثيقة مع قادة أمنيين فلسطينيين ولعب دوراً في مسيرة العمل الوطني الفلسطيني، «إلا أن إنعام رعد الأمين العام

---

٨ ايلي حبيقة: الياس (ايلي) جوزيف حبيقه (١٩٥٦/٩/٢٢ – ٢٠٠٢/١/٢٤م) سياسي لبناني واحد قادة مليشيا القوات اللبنانية خلال الحرب الأهلية اللبنانية انضم في شبابه إلى حزب الكتائب قبل أن يلتحق بالقوات اللبنانية عند تشكيلها، أصبح سنة ١٩٧٩ مسؤولا عن جهاز الامن والمعلومات في القوات وهو من المتورطين في مذبحة صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م، أصبح سنة ١٩٨٥ قائدا للقوات بعد قيامه بانقلاب داخلي مع سمير جعجع على قائدها آنذاك فؤاد أبو ناضر، ازاحه جعجع عن القيادة في شهر١/١٩٨٦ بعد توقيعه الاتفاق الثلاثي مع وليد جنبلاط ونبيه بري في دمشق تبناه السوريين بعد ارتكابه مجزرة صبرا وشاتيلا، اضطر بعدها الى اللجوء الى زحلة ثم بيروت الغربية وهناك اطلق حركة سياسية أصبحت فيما بعد حزب الوعد، كما انتخب كعضو في المجلس النيابي سنتي ١٩٩٢ و١٩٩٦ بمقعد بعبدا، خسر مقعده في انتخابات سنة ٢٠٠٠ اغتيل في بيروت يوم ٢٠٠٢/١/٢٤ عن طريق سيارة مفخخة.

للحزب نفى رسميا أن يكون لحبيب الشرتوني أية علاقة بحزبه»[٩].

وعند اعتقال الشرتوني أعلنت الشعبة الخامسة في "القوات اللبنانية"، أو أعلام القوات أن "القومي السوري حبيب الشرتوني الذي يرتبط بعلاقة وثيقة بالاستخبارات السورية، نفذ عملية اغتيال بشير الجميل. ولم توجه "القوات" ولا الكتائب أصابع الاتهام إلى الحزب القومي رغم العداء الكبير بين الحزبين، ولم تفعل ذلك أيضاً الدولة اللبنانية التي بقي الشرتوني في عهدتها عدة سنوات مما حصر مسؤولية العملية بين منفذها حبيب الشرتوني والمسؤول عنه نبيل العلم فقط.

وهناك معلومات متضاربة حول الشخص الذي قام بالاتصال مع نبيل العلم (مسؤول الشؤون الداخلية في الحزب القومي السوري، وكلفه بالتحضير لعملية إغتيال بشير الجميل، هل هو عصام المحايري (أمين دفاع الحزب القومي السوري سابقاً) أم نبيل سلامة (مسؤول منطقة البقاع في الحزب القومي السوري).


حبيب الشرتوني

وفي أيلول ١٩٩٢م نشرت جريدة "الحياة" وتحت عنوان "التفاصيل الكاملة لاغتيال بشير الجميل" أربع حلقات عن الاغتيال تضمنت المقابلة الوحيدة لحبيب الشرتوني، وفيها أن محاولات عدة جرت لاغتيال الجميل أهمها في شباط ١٩٨٠م لكنها فشلت وأودت بحياة ابنته الطفلة مايا ومرافقيها. وأضافت "إن المعلومات المتوافرة لديه تقول أن نبيل العلم توجه وبعد التأكد من نجاح العلمية إلى دمشق حيث أمضى يومين أو ثلاثة ثم انتقل إلى برلين الشرقية". وأفاد الشرتوني أنه لم يذكر اسم نبيل العلم في التحقيقات إلا بعد أسبوعين من اعتقاله وهذا ما سهل عليه مجالات السفر. وبعد ذلك عاد العلم إلى بيروت وشارك في اجتماعات حزبية عدة لكنه يقيم الآن (أي عام ١٩٩٢م) في إحدى الدول العربية في شمال إفريقيا والأرجح أنها ليبيا.

حبيب الشرتوني عاتب بشدة على الحزب السوري القومي الاجتماعي. يقول: «اعتبرني

---

٩ آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان، ص٣٩٦.



الحزب منذ ١٩٨٢م عبئاً عليه وتنكّر لي إلاّ من باب التباهي بالبطولة الآتية هكذا من خلف الضباب والسحاب وعلم الغيب. بينما كان هاجسي حمايته وعدم تعريضه أو تعريض أي فرد من أفراده لأي أذى. ومع الوقت اقتنع الناس أنني فتحت بطولة على حسابي، وهذا التعبير الساخر لسعيد ميرزا». ويتابع: «بعد ثلاثين عاماً من السجن والتعذيب والنفي وخسارة أهلي وأربعة أفراد من عائلتي وكل ما أملك، وعدم تكبيدهم أي خسارة، انزعجَ خاطرهم من تعبير صغير قلت فيه: نفّذت ما طُلب مني تنفيذه!»[١٠].

السيدة صولانج الجميل زوجة بشير الجميل تقدمت بادعاء شخصي في القضية ولم يتضمن ملف القضية أي شكوى ضد الحزب السوري القومي الاجتماعي، حيث أعتبرت أن الحزب كان منقسماً إلى مجموعات، وإن من يتحمل المسؤولية هم أفراد منه تلقوا تعليمات للقيام بالعملية التي لم تصدر بقرار لا عن مكتب سياسي ولا عن مجلس قيادة. وترى أن هناك تفسيرات عدة وكلاماً كثيراً قيل عن الموضوع، ولكن برأيها: "المجرم معروف، ومن يريد خراب لبنان دائماً هو النظام السوري. ومنذ اليوم الأول حملت النظام السوري المسؤولية عن اغتيال بشير الجميل. وتؤكد ان لديها معلومات أن نبيل العلم موجود حالياً في سوريا، أما حبيب الشرتوني فليس إلا أداة للتنفيذ. فالنظام السوري لا يريد للبنان أن يستعيد عافيته ولا يريد قيامة الدولة الحرة.



القوات الإسرائيلية تحتل بيروت الغربية:

بعد انسحاب الدفعة الأخيرة للمقاتلين المدافعين عن بيروت، بدأت القوات المتعددة الجنسيات تعد نفسها للرحيل المبكر، خلافاً لجدول تفصيل الانسحاب من بيروت، وحلول الجيش اللبناني والقوات المتعددة الجنسيات فيها. وبدأ الجيش اللبناني ينفذ خطته في الانتشار داخل بيروت الغربية وفي كل يوم يتسلم مواقع جديدة من القوى الوطنية (المرابطون، وحركة أمل)، ويتسلم ما تركته المقاومة الفلسطينية من عتاد وذخيرة، وفي ١٣-٩-١٩٨٢م، الذي سبق اغتيال «بشير الجميّل»، تسلم هذا الجيش موقعين هامين من المرابطين هما «برج المر» وفندق «النورماندي».

١٠ التفاصيل الكاملة لاغتيال بشير الجميل، الحياة اللندنية، أيلول ١٩٩٢م

وهذا ما جعل الجزء الغربي من بيروت بلا دفاعات بعد أن أزال الجيش اللبناني والقوات المتعددة الجنسيات حقول الألغام، والحواجز وتسلم المناطق والمواقع الدفاعية من القوى الوطنية، مما جعل المدينة مهيأة لاقتحام سهل. وتجدر الإشارة هنا أنّ الجيش اللبناني لم يدخل إلى المخيمات ضمن عملية انتشاره التي كان يجري تطبيقها.

وبالتزامن مع هذه الخطوة شرعت القوات الإسرائيلية في التحضير لاقتحام بيروت الغربية، من خلال عمليات تقدم يومية لقوات الجيش الإسرائيلي ففي أيام ٤، ٥، ٦ من أيلول ١٩٨٢م تقدمت هذه القوات واحتلت قصر منصور «المجلس النيابي» ودخلت منطقة الليلكي وبئر حسن، واحتلت ثكنة «هنري شهاب» واستولت على مبنى السفارتين: «اليمنية الديمقراطية» و«الهنغارية» وحصلت اصطدامات مع القوى الوطنية في منطقتي «بئر حسن» و«سان سيمون». وهددت إسرائيل يوم ٦-٩-١٩٨٢م باجتياح خطوط التماس واحتلال بيروت الغربية إذا لم تنسحب قوات الحركة الوطنية وحركة أمل من شاطئ البحر، ومن منطقة الجناح. ثم عاودت القوات الإسرائيلية دخول منطقة بئر حسن في ١٢-٩-١٩٨٢م، ولم يعد هناك غير قلب المدينة «شارع الحمراء، وكورنيش المزرعة، والبسطة وغيرها.

وفي الليلة نفسها التي اغتيل فيها بشير الجميل صادق رئيس أركان الجيش الإسرائيلي رفائيل إيتان على قرار دخول الجيش الإسرائيلي إلى بيروت، وقام أمير دروي (قائد المنطقة الشمالية) بإبلاغ عاموس يارون (قائد القوات الإسرائيلية في بيروت) بضرورة الجاهزية لاقتحام بيروت الغربية فجر فجر الأربعاء ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م.

وفي الساعة الأولى من صباح يوم الأربعاء ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م قام شارون مع باقي أركان القيادة العسكرية بالانتقال إلى بيروت لكن موعد الاقتحام تأجل قليلاً لأن مناحيم بيغن وإسحق شامير التقيا مع المبعوث الأمريكي موريس درايير وأبلغاه إن ما سيجري في بيروت ما هو إلا عملية محدودة، في حين أن شارون كان قد استكمل التخطيط لاقتحام بيروت الغربية وأطلق على العملية اسم «الدماغ الحديدي».

وشهد مطار بيروت فجر ذلك اليوم جسراً جوياً إسرائيلياً، حيث أنزلت الدبابات و ٢٠٠٠ جندي إسرائيلي من مظليي لواء غولاني ومن اللواء المدرع الذي كان يقوده إيلي جيفع، واتجهت القوات نحو طريق الساحل ثم تجمعت في مناطق التأهب بمنطقة الرمل العالي، وفي تمام الساعة الخامسة من صباح ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م ابتدأت عملية اجتياح بيروت الغربية عبر أكثر من محور طبقا لأقوال عاموس يارون وعلى النحو الآتي:

١- محور الشاطئ: تحركت القوات الإسرائيلية على امتداد طريق الشاطئ حتى مطعم البيكنيك في الأوزاعي، ثم انقسمت إلى قسمين، أحدهما استمر بالتقدم على خط الساحل حتى التقى بكورنيش



المزرعة، وثانيهما اتخذ المسار المؤدي إلى ثكنة هنري شهاب حتى مستديرة السفارة الكويتية فالمدينة الرياضية فمستديرة الكولا عبر الطريق الجديدة عند كلية الهندسة في جامعة بيروت العربية وشارع البستاني فكورنيش المزرعة وتكون بذلك قد طوقت المنطقة من الجهة الغربية.

٢- محور طريق المطار: حيث تحركت القوات الإسرائيلية من مطار بيروت الدولي إلى مستديرة المطار ومن هناك انقسمت إلى قسمين أحدهما استمر بالتقدم باتجاه مستديرة شاتيلا فكورنيش المزرعة مطوقا المنطقة من الشرق، وثانيهما انعطف باتجاه اليسار إلى مستديرة السفارة الكويتية ليلتقي مع القوات الموجودة هناك وبذلك أحكم تطويق المنطقة من الجنوب.

٣- وتحرك الجيش الإسرائيلي لإحكام السيطرة على المنطقة المحصورة ما بين مستديرة المطار ومستديرة السفارة الكويتية ومستديرة الكولا ومستديرة شاتيلا.

وفي خطوة مفاجئة أخلى الجيش اللبناني المواقع التي كان قد تسلمها من القوى الوطنية وتراجع عنها ليدخلها الإسرائيليون، وانكفأ بعيداً وراء المباني الآمنة، وبدأ الإسرائيليون في الاستيلاء على الأبنية المرتفعة وعلى مفارق الطرق لإحكام السيطرة على المناطق المجاورة، وبسرعة تمّ الاستيلاء على الكثير من الأماكن الحساسة. وعلى الرغم من المقاومة التي أبدتها القوى الوطنية الموجودة في غرب بيروت إلا أنّ المدينة كانت شبه مفتوحة، نظراً للتفوق الساحق للقوات الإسرائيلية والخطوات الاستباقية للجيش اللبناني الذي قام بإزالة حقول الألغام والمتاريس والتحصينات أثناء انتشاره في بيروت الغربية.

وصل شارون حوالي الساعة التاسعة والنصف إلى غرفة العمليات الموجودة في بيروت فوق سطح بناية (الأكوا) التابعة للأمم المتحدة بالقرب من السفارة الكويتية في منطقة بئر حسن في حين تمركز أمن القوات الإسرائيلية في خلده، وفي ذلك الحين كانت التعليمات تنص على عدم دخول المخيمات وإنما السيطرة على مداخلها، ومن أجل ذلك أقام الإسرائيليون مركزي مراقبة متقدمين على سطحي عمارتين تقعان في جوار المنطقة، يتيح وجودهم فيها مراقبة المخيمات بشكل واضح والتنصت على شبكة اتصالات الكتائب، وقطعوا كل الطرقات المؤدية إلى المخيمات.

ومن الجدير بالملاحظة أن طبيعة تحركات القوات الإسرائيلية عند اقتحامها لبيروت الغربية وحجم تلك القوات يؤكد أنها جاءت ضمن مخططات مسبقة وليس كما ادعت إسرائيل أنها جاءت كرد فعل على اغتيال «بشير الجميل»، إذ لا يمكن حشد القوات ووضعها في حالة من الجاهزية للعمل في هذه السرعة، كما أن هذا التسلسل يؤكد أنّ العمل بدأ قبل الانفجار، وهذا ما أكدته طبيعة المفاوضات التي كانت قد جرت بين بشير الجميل وشارون قبيل اغتيال الجميل والتي أظهرت إصراراً إسرائيلياً على دخول بيروت الغربية. ولذلك فإنه يمكن التأكيد أن كل شيء كان جاهزاً،

صبرا وشاتيلا الجريمة الكبرى:

وإنّ القرار بالتحرك اتُخذ قبل معرفة مصير الرئيس «بشير الجميل»، الذي لم تتأكد وفاته إلا بعد الحادية عشرة ليلاً، وأنَ القوات الإسرائيلية شرعت في عملية الاحتلال قبل إعلان الوفاة الرسمي.

في يوم الخميس ١٦ / ٩ / ١٩٨٢م كانت القوات الإسرائيلية تقوم بإحكام سيطرتها على الشوارع والمناطق الداخلية في مدينة بيروت الغربية. وقد التقت الطوابير الإسرائيلية المدرعة القادمة من اتجاهين مختلفين قبل ظهر ذلك اليوم في «جادة باريس» قرب السفارة الأمريكية، وأعلن الناطق العسكري الإسرائيلي: إن الجيش الإسرائيلي يسيطر على جميع النقاط الاستراتيجية في بيروت، ويحاصر مخيمات اللاجئين حيث هناك بعض «جيوب الإرهابيين» في منطقة الفاكهاني وفي مخيمي صَبرا وشاتيلا»[11].

وتجدر الإشارة إلى خطورة هذا الإعلان الذي كان يمثل محاولة لتهيأة الأذهان لما سيحدث في المخيمات باختلاقه مسألة «تجمعات الإرهابيين» في المخيمات، وبالحديث عن مكاتب منظمة التحرير وعن جيوب المقاومة في المخيمات مصوراً الأمر: كما لو أنّ منظمة التحرير والقوات الفلسطينية ما زالت موجودة في بيروت.

وبينما كانت الدبابات والقوات الإسرائيلية تحاصر المخيمات انعقد في ظهر اليوم اجتماع على أعلى المستويات بين الإسرائيليين والكتائب، حضره عن الجانب الإسرائيلي رئيس الأركان رفائيل إيتان والجنرال أمير دروي قائد المنطقة الشمالية، وعن الجانب الكتائبي فادي افرام الذي حل محل بشير الجميل قائد للقوات اللبنانية، وإيلي حبيقه رئيس جهاز مخابرات الكتائب.

تجمعت في بيروت ظهر يوم ١٦ / ٩ / ١٩٨٢م قوة تضم (٥٠٠ مسلح) من المليشيات اليمينية ضمت: كتيبة الدامور الكتائبية، وعناصر مؤيدة لكميل شمعون، وعناصر من مليشيات سعد حداد التي وصلت إلى الشويفات في شاحنات من جنوب لبنان عبر الخطوط الإسرائيلية، ومن هناك اتبعت علامات خاصة على الطرق المؤدية إلى المطار وإلى السفارة الكويتية حيث أقيم مركز قيادي كتائبي، وفي الوقت الذي كانت فيه قوات حبيقه تتجمع في المعسكر الخاص بالقوات الإسرائيلية في المطار وصل رجال من الكتائب واجتمعوا إلى عاموس يارون بهدف التنسيق

١١ المصدر: زئيف شيف/هارتس ١٦-٩-١٩٨٢م.



ومعرفة حجم القوة اليمينية المسموح لها بالدخول إلى المخيمات، وقد حدد عاموس يارون لهم الجهة الجنوبية والجهة الغربية من مخيم شاتيلا كنقطتي دخول إلى المخيمات باتجاه الشمال والشرق. وكان على رأس «قوات الكتائب» المشاركة «إيلي حبيقة» مسؤول الاستخبارات في قوات الكتائب، ويساعده كل من «ميشال عيد» و«ميشال زوين» و«ديب انطلياس» ومسؤول الشرطة العسكرية الكتائبية وآمر منطقة بيروت الشرقية «مارون مشعلاني»، وقائد «المغاوير» في قوات الكتائب «جوزيف إدة» ومعهم ضابط الارتباط الإسرائيلي «جيس».

وفي وقت سابق تجمعت في وادي شحرور عناصر من الكتائب ومن الأحرار من بيروت الشرقية ومن عكار ومن جنوب لبنان، كما حضر إلى هذا التجمع «١٢» إسرائيلياً بزيهم العسكري حيث طلب من الكتائبيين أن لا يسربوا أي شيء عن المهمة التي سيقومون بها، ونُقلوا في سيارات عسكرية إسرائيلية إلى مطار بيروت حيث انضم إليهم عدد من الجنود الإسرائيليين الذين كانوا يلبسون زي الكتائب العسكرية، وقد أبلغهم الضابط الكتائبي المسؤول بأنّ «هؤلاء الأصدقاء الإسرائيليين المرافقين لكم هم متطوعون لم يخبروا آمريهم بأنهم سيشاركون... لكنهم سيسهلون عليكم مهمتكم..»[١٢].

كان الجيش اللبناني قد أتم انسحابه من مواقعه حول المخيمات بعد أن حاصرته القوات الإسرائيلية في اليوم نفسه (١٦ / ٩ / ١٩٨٢م)، وأبقى بعضاً من جنوده متمركزين على مسافة قريبة من مخيم شاتيلا، وهكذا وقبل اقتحام المخيمين كانت كل الإجراءات قد اكتملت على النحو الآتي:

- قطع الطرقات المؤدية إلى المنطقة.
- طوق محكم حول منطقة صبرا وشاتيلا والفاكهاني.
- تشتيت المقاومة التي جوبهت بها القوات الإسرائيلية في منطقة الغبيري.
- إجبار الأهالي بوساطة القصف والقنص المركز على النزول إلى الملاجئ والاحتماء بها.
- اعتقال كل من تقع يد القوات الإسرائيلية عليه في المحاور التي تسيطر عليها.
- في تلك الليلة التي قُطعت فيها الكهرباء عن بيروت الغربية، وكان مخيمات صبرا وشاتيلا مضائين بشكل كامل.

---

١٢ مقابلة مع أحد عناصر الكتائب المشاركين في الجريمة، دير شبيغل الألمانية ١٤-٢-١٩٨٣م.

الجريمة في يومها الأول: الخميس ١٦-٩-١٩٨٢م:

استمر القصف الإسرائيلي المدفعي للمنطقة طوال نهار الخميس، واستمر القناصة الإسرائيليون بإطلاق النيران على المخيمات والأحياء المحيطة، طوال النهار أيضاً، الأمر الذي أخلى كافة الشوارع من المارة، وأبقى الناس في بيوتها. وفي المساء تقدم إلى المخيم عددا كبيرا من المركبات العسكرية «الكتائبية»، التي قدر عدد المسلحين فيها بين ١٠٠٠ – ١٥٠٠ مسلح. وبدأ المسلحون بدخول البيوت في المخيم، وبدأوا بإطلاق الرصاص دون تفرقة، في جميع الجهات.

تقدمت قوات حبيقه على موجتين في مجموعات تبعد عن بعضها بعضا باتجاه المخيمات عبر الخطوط الإسرائيلية، إحدى الموجتين خرجت من المطار وسلكت طريق كفر شيما – الحدث – كنيسة مار مخايل فمستديرة المطار، فالمقابر الموجودة في الحرش خلف مستشفى عكا في جنوب مخيم شاتيلا والثانية اندفعت من المطار باتجاه الرمل العالي فالأوزاعي فمستديرة السفارة الكويتية فالمدينة الرياضية في الجانب الغربي من المخيم، وفور وصول تلك القوات الكتائبية إلى مشارف المخيمات بدأت القوات الإسرائيلية عند الساعة الخامسة مساء ١٦ / ٩ / ١٩٨٢م تمطر المنطقة بالقنابل المضيئة التي تطلقها المدافع والطائرات الإسرائيلية بمعدل قذيفتين كل دقيقة لتنير مسرح الرعب ولينجز السفاحون مهمتهم.

وصلت العناصر الكتائبية إلى مشارف المنطقة واتخذت لها مواقع وكانت ترتدي زياً عسكرياً أخضر اللون، ويحملون شارات القوات اللبنانية وشارات قوات لبنان الحر التي كانت قد أخفت تحت زيها أدوات القتل من بلطات وخناجر وحراب وسكاكين بالإضافة إلى السلاح الشخصي وعدد من القنابل، كما زودتهم القوات الإسرائيلية بجرافات لهدم البيوت وخرائط وصور جوية تفصيلية للمنطقة، ثم ابتدأ الكابوس الذي استمر ما بين (٣٢ – ٤٠ ساعة) متواصلة، حيث قامت تلك القوات بهجوم واسع على المخيم بشكل مروحة من منطقة الحرش المواجه لمستشفى عكا باتجاه مستشفى غزة، ومن منطقة الداعوق ومأوى العجزة باتجاه مستشفى غزة أيضاً وأخذوا يطلقون النار وهم يدخلون المنازل لقتل كل كائن حي متحرك، وترتب على شدة القصف الإسرائيلي أن التجأ سكان أحياء صبرا وشاتيلا والداعوق إلى مأوى العجزة إلى الملاجئ حيث فاجأهم القتلة في المرحلة الأولى من المجزرة والتي بدأت من الخامسة من مساء الخميس، ومن لم يكن في الملاجئ داهموه في بيته، وصاحوا عبر المكبرات اخرجوا من بيوتكم.. سلّموا.. تسلموا.. ومن صدق النداء من الأهالي تسلمه القتلة وأبشعوا فيه عملية القتل، والباقون هربوا من أمام



القتلة في حرش مستشفى عكا باتجاه مستشفى غزة الذي امتلأ هو الآخر بالهاربين وكذلك جامع الدنا في منطقة صبرا.

كانت أعمال القتل تجري دون ضجة كبيرة تُقتحم البيوت التي التجأ إليها أهلها هرباً من القنص ورمايات المدافع في النهار، تُقتحم هذه البيوت ويُقتل الناس بالبلطات والسكاكين أو يُخنقون بالحبال. وقسم آخر يُجمع ويُنقل بالشاحنات ليُقتل في أماكن مجهولة. وفي بعض الأحيان تُطلق النيران على الناس وهم جالسون حول موائدهم.. أو يشاهدون التلفزيون، دون أي كلمة.. وفي أغلب الأحيان كان القتل يأخذ شكلاً بالغ الوحشية والقسوة.. يُقتل الأطفال أمام ناظري والديهم «يُحمل الرضيع والأطفال الصغار وتُضرب رؤوسهم على الأحجار حتى تخرج نخاعاتهم.. تُغتصب الفتيات الصغيرات أمام أنظار أهلهم المقيدين بالحبال، أشكال من التقتيل لم تخطر على البال.

وقام بعض سكان مخيم شاتيلا بمبادرتين لوقف المذبحة غير مدركين لطبيعة ما يجري. إذ شكلوا وفداً من أربعة رجال: توجهوا نحو النقطة الإسرائيلية قرب السفارة الكويتية ليوضحوا أنه لا يوجد في المخيم لا سلاح ولا مقاتلون، وأنّ سكانه مستسلمون اعتقاداً من هؤلاء أنّ الدخول كان للبحث عن السلاح - هؤلاء الأربعة هم: أبو أحمد إسماعيل ٥٥ سنة، وأبو أحمد سعيد ٦٥ سنة، وأبو سويد ٦٢ سنة، وتوفيق هاشمة ٦٤ سنة.. وكانت آخر مرة شوهد فيها هؤلاء الأربعة أحياء وهم يتجهون إلى المخرج الجنوبي من المخيم، وبعد يومين وجدت جثث ثلاثة منهم قرب السفارة الكويتية. المبادرة الثانية قام بها رجل يدعى «سعيد» يعمل في محطة بنزين قرب مستشفى عكا حيث التجأ عدد كبير من الناس - كما أشرنا سابقاً - وقد نظم سعيد هذا مجموعة من / ٥٠ / شخصاً معظمهم من النساء وساروا يحملون علماً أبيض باتجاه النقطة الإسرائيلية قرب السفارة الكويتية، ليطلبوا وقف إطلاق النار، وقبل أن يبلغوا الحاجز الإسرائيلي، أوقفهم الكتائبيون، حيث اقتادوا سعيد وابنه حسن إلى جهة مجهولة، ثمّ قاموا باغتصاب النساء وقتلهن في أماكنهن، أما اللواتي تمكن من الفرار والاختباء فلم يظهرن إلا في اليوم التالي في مستشفى عكا.

نام بعض سكان المخيمات تلك الليلة دون أن يعرفوا أن مجزرة ترتكب في ضواحي المخيمات، لأن الأحياء التي دخلها القتلة كانت تلك المتواجدة في أطراف المخيم. توجه العديد من سكان المخيمات في تلك الليلة إلى المستشفيات المحيطة بالمخيم، للاحتماء من القصف الإسرائيلي، كما توجه بعضهم إلى الملاجئ، فكان مصيرهم القتل الجماعي في اليوم التالي للمجزرة.

الجريمة في يومها الثاني الجمعة ١٧-٩-١٩٨٢م:

كان اليوم الثاني حافلاً بالنشاط الدموي، فقد وصلت تعزيزات على شكل قوات إضافية من مليشيا الكتائب، فدخلوا المخيم، وبدأوا بإطلاق نداء «سلّم تسلم»، إلا أن الجثث الملقاة في الشوارع، دلّت على أمر واحد، هو أن هذا النداء الذي أطلق عبر مكبرات الصوت، كان نداءً كاذباً، وأن أفراد مليشيا الكتائب، لو استطاعوا، لقتلوا كل ما يتحرك في المخيم. أطلق المسلحون في اليوم الثاني للمجزرة، القنابل الفوسفورية على الملاجئ، مطورين بذلك أسلوب القتل، وبالتالي عدد الضحايا، فقضى غالبية من بداخل هذه الملاجئ حرقا، ومن لم يمت وحاول الهرب، انتظره المسلحون في الخارج، وأطلقوا عليه الرصاص!! إحدى الأمور التي ميزت عمليات القتل هي أنها استهدفت عائلات بأكملها.

تواصلت خلال اليوم الثاني عمليات القتل الجماعي، إما عن طريق النحر بالسيوف أو عن طريق إطلاق الرصاص أو عن طريق دفن الضحايا أحياء. واستمرت في هذا اليوم أيضا عمليات النهب والسرقة والاغتصاب، حيث كانت عمليات الاغتصاب تنتهي عادة بالقتل، خاصة عندما تكون المغتصبة فلسطينية. تميز يوم الجمعة أيضاً باقتحام أفراد المليشيا للمستشفيات، فحاولت طواقم منظمة الصليب الأحمر إخلاء هذه المستشفيات ونجحت في بعض الحالات، إلا أن حالات أخرى انتهت بقتل المرضى والأطباء والممرضين والممرضات، خاصة الفلسطينيين منهم.

في الساعة الثانية عشرة قام الصليب الأحمر بإخلاء الجرحى.. وقام القائم بالأعمال النرويجي بإخلاء الطاقم الطبي الأجنبي، في ذلك الوقت انطلقت مسيرة من منطقتي الشياح، الغبيري تضم ما بين «٧٠٠ - ٨٠٠» شخص يحملون الأعلام البيضاء، واتجهت إلى السفارة الكويتية، إلا أن القتلة اعترضوها وأطلقوا النار عليها فأُصيب البعض، وولى البقية الأدبار عائدين من حيث أتوا.

قامت الجرافات في هذا اليوم بإعداد حفر كبيرة في جنوب مخيم شاتيلا في منتصف المسافة بين القيادة العامة للجيش الإسرائيلي في بيروت وبين موقع إسرائيلي وقامت بطمر الجثث في هذه الحفر، كما قام المسلحون بدفن مئات الجثث في حفر أُعدت في المخيم، وقد شاهد القائم بالأعمال النرويجي في حوالي الرابعة مساءً جرافة مليئة بالجثث.. وكانت الروائح المنبعثة تملأ الجو ووصلت إلى الأماكن التي يرابط فيها الإسرائيليون.

وتدفق الجرحى والمصابون والهاربون إلى مستشفى غزة وأخذت الشائعات تنتشر في بيروت حول مجزرة تجري في المخيمات.. وقد جرى إخلاء الطاقم الطبي الأجنبي من مستشفى عكا حيث قاد الممرضات والأطباء رجال يلبسون «زي الكتائب» إلى مدخل مخيم شاتيلا حيث استقبلهم القائم بالأعمال النرويجي، والذي قادهم بدوره إلى مقر الصليب الأحمر في شارع الحمراء.. حيث سارع هؤلاء الأطباء إلى إبلاغ الصحافيين والدبلوماسيين الأجانب بأنّ ثمة «أعمال خطيرة تجري في المخيمين.

وكان الضباط والجنود الإسرائيليون يتابعون من مراكزهم ما يجري في المخيمات وقد شاهدوا أكواماً من الجثث، وأعداداً من الناس المدنيين عندما كان القتلة يستعدون لإطلاق النار عليهم وإعدامهم. واكد عدد من جنود الاحتلال الإسرائيلي، بأنهم لم يسمعوا أصوات تبادل إطلاق نار من داخل المخيم، وقالوا أن إطلاق النار كان من طرف واحد، الأمر الذي يدل على أن أفراد مليشيا الكتائب كانوا يقتلون العزّل فقط. وعلى الرغم من أقوال الجنود الإسرائيليين هذه، إلا أن القوات الإسرائيلية لم تتدخل لمنع المجزرة، بل على العكس، استمر قصفها المتقطع للمخيم، واستمر حصارها حول بعض المداخل، لمنع الفلسطينيين من الهرب وقالوا إنهم كانوا يرفعون تقاريرهم إلى السلطات العليا وأنّ الإجابة كانت: بعدم التدخل[١٣].

في الساعة الواحدة ظهراً وافق الجنرال «يارون» على عملية تبديل لقوات «القتلة». وفي الساعة الثالثة كان الجنرال «أمير دروري» يستقبل «رفائيل إيتان» في مطار بيروت.. وتوجها مباشرة إلى قيادة «القوات الكتائبية» حيث اجتمعا مع «فادي أفرام» وقادة «القوات اللبنانية». وقد تحدث «قادة القوات اللبنانية» عن «ضغوط» يمارسها الأمريكيون عليهم للخروج من المخيمات، وقالوا إنهم «أكملوا مهمتهم» فقام إيتان بتهنئتهم، قالوا لهم: «لقد قمتم بعمل جيد» وسمح لهم بالبقاء مدة / ١٢ / ساعة أخرى، فطلبوا جرافات «فسُمح بإعطائهم بعض الجرافات على أن يمسحوا عنها العلامات الإسرائيلية.

كانت قوات جديدة للقتلة تتجمع عند المطار قبل ظهر ذلك اليوم لتدخل إلى المخيمات عند الحصول على الترخيص من «إيتان». وشوهد طابور كتائبي يتألف من عشر سيارات (كوماند كار) وسيارتي جيب مجهزتين بمدافع غير مرتدة.. يعبر حي الحازمية متوجهة صوب المطار. وشوهد طابوراً آخر يعبر حي سن الفيل ضم ١٣ دبابة بينها عدد من دبابات تشيرمان، «م ٤٧، ت ٤٥»، ومدافع عيار ١٢٠مم مركبة على مجنزرات، وسيّارات مجهزة برشاشات ثقيلة، وعدد

١٣ المصدر: جيروزاليم بوست ٢٠-٩-١٩٨٢م)

من سيّارات «كوماند كار» وعدد من سيّارات الإسعاف. توجه هذا الرتل حتى المطار استعدادا للتوجه إلى المخيمين، وكانت معدات الجنود موضوعة على الأرض «وهي من صنع إسرائيلي» حتى البزّات العسكرية من صنع إسرائيل مع فارق وحيد إذ كُتب عليها «القوات اللبنانية». وأثناء تحرك هذه القوات من المطار تحدث هؤلاء القتلة إلى الصحافيين الإسرائيليين دون أن يتركوا أي شك حول مهمتهم وما هم مقدمون عليه. قالوا «سنذبحهم»، وللتأكيد كانوا يشيرون بأيديهم وأصابعهم للإفصاح عن نياتهم، أحدهم قال: «هذه حصتنا من المعركة»[١٤].



ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا

١٤ رون بن يشاي – تلفزيون إسرائيل ٢٠-٩-١٩٨٢م.

الجريمة في يومها الثالث: السبت ١٨-٩-١٩٨٢م:

كان من المفترض أن ينسحب مرتكبو الجريمة صباح يوم السبت، بحسب أقوال جاءت بعد المجزرة على لسان مسؤولين عسكريين إسرائيليين، ادعوا أنهم أصدروا الأوامر لقوات الميليشيا بالانسحاب «بعد أن اكتشفوا ما يحدث داخل المخيم»! إلا أن الانسحاب لم يتم، بل استمرت عمليات القتل الجماعي، وتم الانسحاب من داخل المخيم فقط عند ساعات الظهر، ومن منطقة المخيم بأكملها، بعد الظهر. خلال ساعات النهار الثالث، أجبر سكان شاتيلا (من بقي منهم)، وسكان ضاحية صبرا بالخروج إلى شارع شاتيلا الرئيسي، والوقوف على جوانبه، في ما يعرف بـ»المارش الأخير»، وكان هؤلاء السكان شهود على عمليات قتل واغتصاب، كانت تتم في الشارع، بصورة عشوائية، إن دلت على شيء، فعلى انعدام الحس الإنساني للمجرمين من قوات الكتائب، وعلى كراهية هؤلاء لكل ما هو فلسطيني، كراهية زرعت فيهم بالتحريض العنصري والطائفي.

القتل والسحل وتقطيع الأوصال، وهدم البيوت على رؤوس من فيها، وجرف الجثث وطمرها في حفر أعدتها البلدوزرات، وخطف الناس وسوقهم إلى جهات مجهولة حيث يُقتلون.. هذه الفظائع استمرت طوال الليل وحتى الصباح. وتؤكد الشهادات بأن عمليات القتل الجماعي والدفن في القبور الجماعية استمرت خلال ساعات النهار الأولى من يوم المجزرة الثالث، السبت ١٧ / ٩ / ١٩٨٢م، وأن المهاجمين لم يتصرفوا على أساس أن هذه ساعتهم الأخيرة في المخيم، بل على العكس، تصرفوا على أساس أنهم باقون. ظاهرة أخرى تميز بها اليوم الثالث كانت عمليات الاختطاف التي قام بها أفراد الميليشيا، فاختطفوا عددا كبيرا من سكان المنطقة، ووضعوهم في الشاحنات، وأخذوهم إلى مصيرهم المجهول.

وفي اليوم الثالث، شارك جنود الاحتلال الإسرائيلي بعمليات استجواب سكان المنطقة، ومن السكان من عاد إلى منزله بعد الاستجواب، ومنهم من لم يعد أبداً. في هذه المرحلة يبدو أنّ الإسرائيليين شعروا بأنّ رائحة الجريمة قد فاحت كثيراً، وأن عليهم وقف العملية خاصة وأنه لم يبقَ من الناس في المخيمين إلا القليل بعد أن قُتل أو هرب الباقون. كان القتل قد وصل إلى منطقة مستشفى غزة على الطرف الشمالي لمخيم صبرا. عندئذ طُلب من القتلة أن ينتهوا من الشغل ويخلوا المخيمين.

هنا صار القتلة يشتغلون على عجل.. البلدوزرات تواصل هدم البيوت لطمر الجثث. وهنا

وما بين الخامسة والسادسة صباحاً، القتلة يجوبون شوارع مخيم صبرا ويطلبون من الناس التسليم.. يجمعون حوالي ألف شخص من الشيوخ والنساء والأطفال الذين خرجوا حاملين أعلاماً بيضاء وأعلاماً لبنانية.. حيث اقتادهم المسلحون باتجاه الجنوب عبر شارع أبو حسن سلامة باتجاه السفارة الكويتية..

خلال ذلك لم تتوقف البلدوزرات عن العمل.. واستمر القتل في اختيار مجموعات صغيرة من الصف الطويل ثم أخذها لتصف على جدار أحد الزواريب، ثم يسمع الناس في الطابور الطويل صوت زخات كثيفة من الرصاص.

يقف الطابور على بوابة المخيم (شاتيلا) حيث يقوم فريق من القتلة بفرز اللبنانيين عن الفلسطينيين ثم النساء عن الرجال من الفلسطينيين.. ثم أُخذت المجموعة الأولى وأُصعدت إلى شاحنات متوقفة أمام السفارة الكويتية والتي لم تتسع لكل المجموعة، فأُرغم الباقون على الانبطاح ووضع وجوههم على الأرض، ثم ذهبت الشاحنات وسُمع صوت إطلاق نار كثيف... وهكذا جرت العملية حتى الساعة الثامنة صباحاً.. كان الرجال يؤخذون في الشاحنات، أما النساء فقد أُمرن بالدوران حول المخيم والذهاب باتجاه المدينة الرياضية.

كان العاملون في مستشفى غزة قد واصلوا عملهم منذ مساء الخميس حتى صباح السبت دون انقطاع.. كانوا يعملون في الطوابق السفلى ولا يقتربون من النوافذ.. يسمعون صوت إطلاق النار، ولا يدرون بما يجري.. كان الأطباء والممرضات والممرضون الأجانب وعددهم ٢٢ شخصاً قد لاحظوا أن الإصابات حدثت من مسافات قصيرة.. ومن الرصاص، أو القنابل اليدوية.. كان حولهم الكثير من الصراخ.. كانت الإصابات كثيرة.. اضطروا للعمل المتواصل.. ولم يكن لديهم الوقت لفهم ما يحصل.

في الساعة التاسعة صباحاً كان القتلة قد ركبوا سياراتهم وغادروا المخيمين.. في العاشرة تقريباً ترك الإسرائيليون الناس الذين جُمعوا في المدينة الرياضية.. وبدأ الصحافيون والناس الذين ظهروا من جديد في الاقتراب من المخيمين وتكشفت صورة المذبحة المروعة.



ضحايا يتم التعرف على أصحابها



إمرأة تنتحب على جثامين ضحايا الهجوم

أعداد الضحايا:

عدد الشهداء في المذبحة لا يعرف بوضوح وتتراوح التقديرات بين ٣٥٠٠ و٥٠٠٠ شهيد من الرجال والأطفال والنساء والشيوخ المدنيين العزل من السلاح، أغلبيتهم من الفلسطينيين ولكن من بينهم لبنانيين أيضا. صحيفة «هآرتس» قالت إن القتلى ربما بلغوا أربعة آلاف. وأفاد الصحافي البريطاني روبرت فيسك أن أحد ضباط الميليشيا المارونية قال أنهم قتلوا ٢٠٠٠ فلسطيني. أما الصحافي الإسرائيلي الفرنسي أمنون كابليوك فقال في كتاب نشر عن المذبحة أن الصليب الأحمر جمع ٣٠٠٠ جثة بينما جمع أفراد الميليشيا ٢٠٠٠ جثة إضافية مما يشير إلى ٣٠٠٠ قتيل في المذبحة على الأقل. ويقسم الضحايا إلى ما يلي:

- ٢١٢ جثة دفنت في مقابر جماعية لم يتم التعرف عليها.
- ٣٠٢ جثة شخص تم التعرف عليها.
- ٢٤٨ جثة شخص حرقت ودفنت في مقابر جماعية.
- ١٢٠٠ جثة شخص استلمهم أهاليهم وقاموا بدفنهم في مقابر خاصة.
- ١٧١ جثة أخرجت من تحت الأنقاض دون معرفة هوياتهم.
- والأعداد الباقية سجلت في عداد المفقودين سواء كانوا جثث أم أحياء قتلوا لاحقاً.

شهادات الناجين من المجزرة:

(حكاية مصطفى هبرات):

كان مصطفى هبرات رجلاً عاملاً ذكياً ومدركاً لخطورة الموقف منذ ابتدأت الإضاءة غير المعقولة، أي منذ تحول الليل إلى نهار. عرف مصطفى أن القادمين ليسوا إسرائيليين، بل قتلة مجرمون في حماية الإسرائيليين. أعطى مصطفى زوجته آمال، الجزائرية الأصل، الهويات والأوراق الرسمية وما يملك من مال، وودعها وأوصاها بالأولاد، وقال لها كلمتين: «يمكن يأخذوني». ولم يتركوا له وقتاً للحديث مع زوجته، ولم يتركوا له وقتاً حتى للهرب، فبيت مصطفى يقع على حافة الحرش الملاصق لشاتيلا. وتلك المنطقة نالت الرصاص والجثث ما لم تنله منطقة أخرى. فقتلوا زوجته وأولاده الثلاثة ثم قاموا بتجميعهم مع باقي الرجال في المنطقة، وكان عددهم يتجاوز العشرين رجلاً، ثم بدأوا بإطلاق الرصاص عليهم بصورة عشوائية. وأصيب مصطفى هبرات وكان حظه أن أحد الشهداء سقط فوقه فشكل له حماية حيث ظل طوال الليل يدعو الله أن يرحمه وينجيه.

(حكاية محمد محمود سعد):

في ذلك الخميس المجنون قصفاً وخوفاً، كان لكل فرد في الأسرة موقف وكان مسكن العائلة على حدود المخيم. الأم لم تحتمل القصف الإسرائيلي في أثناء النهار فهربت إلى مستشفى غزة. الابنة الصبية عفاف رفضت الهروب. كانت متعبة من كثرة الهروب ومن حياة اللجوء، لم يكن قد مر على عودتهم إلى البيت، بعد الهجرة القسرية إلى شارع الحمرا أكثر من أيام معدودة. الأب محمد محمود سعد من مواليد فلسطين في أول الثلاثينيات، لم يغادر البيت كزوجته، بقي مع ابنته لكن بقاءه كان لأسباب تختلف عن أسباب بقائها، كان مقتنعاً بأن البيت أكثر أماناً من ملجأ المستشفى المكتظ بالبشر. كانت تلك تصوراته، وقد كانت صحيحة، فلم يكن في مستشفى غزة كلها، وليس في الملجأ فحسب، موقع قدم. الابن حاول إقناع أبيه بالهروب إلى خارج المنطقة، قال له أنه سمع أنهم يقتلون الناس في بيوتهم، لكن الأب لم يصدق.

وتقول الأم، نقلاً عن الجيران، ومن وحي ذاكرتها أيضا: خبروني بعدين إنو اللي هجموا

كانوا خمسة عشر مسلح، منهم حاملين بلطات، منهم حاملين بواريد متل الكلاشينكوف. بنتي كانت لابسة فستان حلو كتير جابلها إياه أخوها هدية من السعودية لما رجع، لكن.. يا ويلي على اللي مقدر. شو حكيوا معهم؟ ما حدا بيعرف، لكن العملية كلها كانت بدقايق. راحوا قاتلين بنتي بالرصاص، الرصاص خزق صدرها، ورموا عليها لوح زينكو، ليش؟ ما بعرف.. كانت بنتي متل الملاك بأحلى فستان لبسته بنت بحياتها.. أبوها ما عرفنا أبداً شو صار فيه. كان علينا نستنى كتير حتى نعرف. يا ريتني ما تركت البيت، يا ريتنا كلنا رحنا سوا.

شهادات صحفية:

صحيفة هآرتس «٢٠ / ٩ / ١٩٨٢م» كتبت تقول: إنّ مئات الرجال والنساء والأولاد والأطباء والممرضات تعرضوا للذبح في مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت الغربية على أيدي رجال الكتائب حلفاء إسرائيل، لقد قتل الكتائبيون كل رجل وامرأة وولد استطاعوا العثور عليه في المكان، وفي وقت لاحق تحركت الجرافات على امتداد الطرق الترابية الضيقة في المخيمات ودمرت بيوت الفلسطينيين، ومن ثمّ قامت الجرافات بوضع بقايا المباني والنفايات فوق الجثث من أجل إخفاء معالم المجزرة. لقد شاهد من زار المكان بنفسه أيدي وأرجل القتلى تبرز من بين أكوام الردم والتراب.. «جثة امرأة» وربما «جثتا امرأتين» أُلقيت على جثتي طفلين. الجثث انتشرت في كل مكان.. أُلقيت على جنبات الشوارع في المخيمين وكذلك داخل البيوت، جثث كثيرة جرى تكويمها على جوانب الجدران حيث جرت فيما يبدو «عمليات إعدام جماعية».

لورن جنيكس «مراسل» صحيفة «الواشنطن بوست» في بيروت كتب يقول: «لقد تحول مخيم شاتيلا للاجئين إلى مخيم أشباح، وبدا المشهد الذي تكشّف صباح السبت أمام أنظار الصحفيين الأجانب بعد نجاحهم في دخوله: كابوساً منقولاً من «جحيم دانتي».. النساء يبكين أمواتهن وروائح عفنة تنبعث من الجثث التي تلفحها حرارة الشمس اللاهبة. جثث ملقاة على شوارع تملؤها خراطيش رصاص فارغة.. تحاذيها لعبة أطفال على هيئة سيّارة، وحذاء نسائي ذو كعب عال». لقد أحصى ستاً وأربعين جثة قبل أن يصاب بالغثيان.. كما أحصى صحفيون آخرون أكثر من مئة جثة. وأبداً لن يعرف عدد من قتلوا.. وربما يكونون مئاتاً أو ألوفاً لقوا مصرعهم، أو اختفت آثارهم بعد أن جرى اقتيادهم في ساعات الفجر الأولى، من قبل رجال قوات الكتائب الذين كانوا يرتدوا ملابس من إنتاج إسرائيلي، ويحملون مدافع إسرائيلية، ولم يبقَ في المخيم للمراقبين والصحفيين وأقارب الضحايا، سوى شهادات القتل كإشارات على الجريمة.



لقد جرى تفجير المنازل وطحنها على أصحابها بوساطة البلدوزرات، وانتشرت أكوام الجثث التي فارقتها الحياة تحت حطام الجدران التي نقرها الرصاص وهي تشهد الجريمة. في حديقة متواضعة: استلقت جثتا امرأتين كأنهما كيسي طحين، ومن بينهما أطل رأس طفل تحجرت عيناه، وبقربهما استلقى طفل رضيع - ربما لم يبلغ السنة من العمر وكان مهشم الرأس تماماً. في أحد الأزقة وجدنا جثتي فتاتين: الأولى في الحادية عشرة من العمر والأُخرى لم تطفئ شمعتها الأولى بعد.. كان في رأس كل واحدة منهما ثقب رصاصة... وعلى بعد خطوات منهما أُطلق الرصاص على ثمانية رجال أُسندوا إلى حائط بيت يحمل رقم ٤٢٢، ٤٢٤. في زقاق آخر تكومت جثث ستة عشر رجلاً بعضها فوق بعض وعلى مقربة منها على أرضية ساحة من الباطون، استلقت جثة امرأة في حوالي الأربعين تلبس فستاناً قطنياً وتلف رأسها بمنديل، لقد مزق الرصاص ثدييها. أما في مخيم صبرا فأول ما طالعنا من المشاهد: جثة أبو دياب ديراني «وهو مسن في السبعين، رأسه مدفون في الرمل ويده ممدودة وعلى بعد خطوات منه استلقت على ظهرها جثة مسن آخر ملتح وقد مُزق الجزء العلوي من رأسه. وفي مدخل المخيم الجنوبي هدمت البلدوزرات حياً بكامله وحفرت بئراً قطرها عشرة أمتار امتلأت بالردم.. ربما يكون قبراً جماعياً.. ويبدو أنّ الأمر لن يتضح حتى يتم حفر المكان. وفي مكان آخر تعلقت جثة مغدور بعارضة شباك أحد المنازل الذي لم ينجز المجرمون هدمه، وبين ردم بناية محاذية تمكنا من رؤية جثث ثلاثة خيول غبراء.. ومن بعيد سمعنا صوت مأمأة ماعز صغير تمكن من البقاء على قيد الحياة في بحر الموت.. لقد بدا هذا الصوت وكأنه نغمة تنبعث من عالم آخر.

«توماس فريدمان» مراسل صحيفة «نيويورك تايمز» (١٩٨٢/٩/٢٨ قال «بناءً على مشاهداته داخل مخيمي صبرا وشاتيلا:«بأنّ العديد من ضحايا المجزرة هم أفراد عائلة كاملة: ذبحوا فيما كانوا جالسين حول موائد العشاء، وبعضهم ذُبح ذبحاً من عنقه بالسكاكين، وبعضهم قُتل ضرباً بقضبان الحديد وأكثرهم قُتل رمياً بالرصاص» وقال: «مما لا شك فيه أنّ بعض هؤلاء كان من سكان حيفا أو غيرها في عام ١٩٤٨م، ممن تركوا موائد طعامهم فيها ولم يشربوا القهوة، فجاءهم الموت في الوضع نفسه بعد أربعة وثلاثين عاماً».

الأمريكيون متورطون في الجريمة:

لم تكن مجزرة صبرا وشاتيلا عملاً ارتجالياً وإنما عملية مدبرة تكشف عن تواطؤ بين المسؤولين الإسرائيليين والكتائبيين والأمريكيين، فالمجزرة كانت نتيجة عملية حسابية طويلة

وليس نتيجة رغبة بالثأر لمقتل بشير الجميل كما حاولت بعض الأوساط الإسرائيلية الادعاء، فقد أبلغ الإسرائيليون الكتائب بقرار إدخالهم المخيمات الفلسطينية صباح يوم الأربعاء ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م قبل موعد بدء تحرك الجيش الإسرائيلي نحو بيروت بساعة ونصف الساعة، وكان المسؤولون الكتائبيون فخورين بالمهمة، فنظموا في بيروت الشرقية عرضاً عسكرياً كبيراً سار فيه المسلحون الكتائبيون صفوفا وبكامل العدة، وسارت معهم عشرات الدبابات والملالات[١٥].

وفي اليوم الذي أحكمت فيه القوات الإسرائيلية سيطرتها على العاصمة اللبنانية ١٦ / ٩ / ١٩٨٢م، ظهر الموقف الأمريكي متناقضاً ومرتبكاً فبينما طلب البيت الأبيض من إسرائيل سحب قواتها من غربي بيروت، خرج في المقابل تصريح للرئيس الأمريكي في اليوم نفسه بأن: «ما دفع بالإسرائيليين للتقدم غربي بيروت هو قيام المليشيات اليسارية بمهاجمة القوات الإسرائيلية» ما أدى إلى ظهور ارتباك الموقف الأمريكي، وتحفيز القيادة الإسرائيلية في المضي قدماً نحو تحقيق خططها.

وجرت لقاءات بين شارون وموفد الرئيس ريغان إلى الشرق الأوسط السفير موريس درابر وفي أحد اللقاءات وبحضور السفير الأمريكي سام لويس ورئيس الأركان الإسرائيلي رافائيل إيتان ورئيس الاستخبارات العسكرية يهوشواع ساغي، ذكّر درابر بموقف بلاده المطالب بانسحاب قوات الجيش الإسرائيلي من بيروت. رد شارون: «إن الإرهابيين لا يزالون في العاصمة، مؤكداً أنهم يملكون أسماءهم وأن عددهم يتراوح ما بين ٢٠٠٠ و٣٠٠٠، متسائلاً: «من سيتولى أمر المخيمات؟»» ليجيبه درابر بأن الجيش وقوى الأمن اللبناني سيقومان بذلك.

ورغم إصرار شارون على دخول المخيمات، قائلاً: «إن هذا الأمر يجب أن يكون من أولى اهتمامات الولايات المتحدة أيضاً، قبل الإسرائيليون، الانسحاب من بيروت، بشرط إعطائهم مهلة ٤٨ ساعة. وتكمن المفاجأة في موافقة درابر على ذلك، مشدداً على أن خطة الانسحاب يجب أن تطبق في غضون ٤٨ ساعة. لكن شارون، لم يترك طاولة الاجتماع إلا بعد أن تأكد من خلو الاتفاق من أي التباس، معدداً أسماء المخيمات التي سيدخلها، وهي صبرا وشاتيلا، برج البراجنة والفكهاني. عندها بادره درابر بالقول: «لكن البعض سيزعم بأن الجيش الإسرائيلي باق في بيروت لكي يسمح للبنانيين بقتل الفلسطينيين». فما كان من شارون إلا أن رد قائلاً: «سنقتلهم نحن إذاً، لن نبقي أحداً منهم، لن نسمح لكم (يقصد للولايات المتحدة) بإنقاذ هؤلاء

---

١٥ حرب لبنان (حصار بيروت وحرب الجبل) المكتبة الحديثة للطباعة- بيروت من ١٩٧٥-١٩٨٢م.

الإرهابيين». وإذا كان رد شارون غير مفاجئ، إلا أن المفاجأة أتت من درابر نفسه الذي «أذعن» قائلاً: «لسنا مهتمين بإنقاذ أحد من هؤلاء». فكرر شارون قائلاً: «إن كنتم لا تريدون أن يقتلهم اللبنانيون فسنقتلهم بأنفسنا». فأعاد عندها السفير درابر موقف الحكومة الأمريكية قائلاً: «نود منكم الرحيل. دعوا اللبنانيين يتصرفون».

وفي مذكراته، كان وزير الخارجية الأمريكي جورج شولتز الأكثر قسوة فكتب: «الإسرائيليون قالوا لنا إنهم يدخلون بيروت لتفادي حمام دم. لكنه تبين أنهم سهلوا هذا الأمر وربما أيضاً تسببوا به، وبسبب أن واشنطن وثقت بحلفائها، أصبحنا مسؤولين جزئياً» عن المذبحة»[١٦].

المجزرة وأهداف إسرائيل الحقيقة:

ادعى الجيش الإسرائيلي أنه دخل بيروت لمنع سفك الدماء والحفاظ على الأمن! فوجد نفسه يشرف على سفك دماء بريئة كثيرة في واحدة من افظع مجازر العصر، وحين ووجه شارون خلال برنامج تلفزيوني إسرائيلي عرض يوم ٢٤ / ٩ بهذه المفارقة الدموية اعترف بأن «التبرير الأولي كان تمويها» فقط وأن السبب الرئيس للتحرك ذاك هو «القضاء على ألفين من المخربين».

إلا أن المعلومات السابق عرضها تؤكد عدم صحة تلك الادعاءات خاصة وأنه لم يكن هناك الكثير من الشباب بين الضحايا كما أنه لم يتم رصد مقاومة حقيقية من قبل عناصر فلسطينية داخل المخيمات ولتلك العصابات الإجرامية.

إذا ما الذي كان يبحث عنه شارون يتم حقاً في صبرا وشاتيلا..؟ وما هي مآربه الحقيقية من إرسال القتلة إلى هناك..؟ وهو من يعرف تماما أنهم قتلة مدفوعون بشهوة التنكيل والعطش إلى الدم، وهو يعرف أن ليس ثمة في المخيمين غير السكان العزل ينتابهم القلق والذعر في لحظة ملتبسة.

لقد تأكد لنا وبعد تحقيقات مطولة أجريناها أن مجزرة صبرا وشاتيلا قد جرت بتنسيق كامل بين الإسرائيليين وقادة الكتائب والقوات اللبنانية، الذين ارتبطوا لسنوات طويلة بعلاقات وتنسيق استمر منذ بدايات الحرب الأهلية اللبنانية، والتي كشفنا في الفصل السابق عن تفاصيل الاتصالات بين الجانبين. والتي أدت إلى ظهور تيار داخل معسكر الكتائب والقوات اللبنانية ارتبط بصورة مباشرة ولدرجة العمالة مع الإسرائيليين وهذا ما أكده الرئيس أمين الجميل في شهادته على العصر في الحلقات التي إذاعتها قناة الجزيرة. حيث قال: «الاختراق اللي حصل

١٦ المذبحة التي كان يمكن تفاديها، نيويورك تايمز ١٧-٩-٢٠١٢م سيث أنزيسكا الباحث الأمريكي في جامعة كولومبيا.

في الشعب اللبناني وهالتصرفات بعض أجهزة المخابرات اللي استأجرت ناس تقوم ببعض الأعمال البربرية من أجل تبرير تدخل أو تبرير مواقف معينة لتلك الدول، مثلا قضية صبرا وشاتيلا أنا بأقدر أؤكد لك أن هذا كان مشروعاً إسرائيلياً من ضمن مخطط اجتياحها للبنان، كان متفقا عليها قبل ما تدخل إسرائيل إلى لبنان».. القوات التي دخلت للمخيمات كانت منسقة مباشرة مع الموساد الإسرائيلي. وأنا أتأسف أنا أعتذر على كل حال من الشعب الفلسطيني كله أنه حصل هذا الأمر هذا العمل على يد بعض المسيحيين[١٧].

لقد جاءت مجزرة صبرا وشاتيلا كعمل تنسيقي واضح بين الجانبين في إطار رغبة الحكومة الإسرائيلية في ذلك الوقت بصورة خاصة لتعجيل التوصل إلى اتفاقية السلام بين لبنان وإسرائيل والتي كانت تواجه بعض العقبات في تلك الفترة واعتبر الإسرائيليون أن تورط الكتائب في هذه المجزرة سيجعلهم مضطرين للاندفاع في تعزيز العلاقات مع إسرائيل وتوقيع اتفاقية السلام بين البلدين باعتبار أن أية فرصة أخرى باتجاه علاقات طبيعية مع العالم العربي لم تعد ممكنة بعد هذه المجزرة.

ولقد جاءت حادثة اغتيال إيلي حبيقة، مسؤول أمن القوات اللبنانية واحد المسؤولين بصورة مباشرة على مجزرة صبرا وشاتيلا، وذلك في ٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٢م. لتؤكد على رغبة أريئيل شارون إخفاء هذه الصفحة من تاريخه الأسود وإخفاء معالم جريمته باعتبار أن حبيقة كان شاهداً وشريكاً في الجريمة التي أعيد فتح التحقيق فيها مجدداً من قبل القضاء البلجيكي حيث أبدى إيلي حبيقة استعداده للمثول أمام المحكمة للإدلاء بشهادته التي تدين شارون بصورة مباشرة. وهو الأمر الذي كان شارون يخشاه في تلك الفترة التي شهدت عودته إلى الأضواء مجدداً بعد فترة من الإبعاد حيث جرى تعيينه رئيساً للحكومة الإسرائيلية في تلك الفترة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ وفد قضائي بلجيكي التقى حبيقة قبل أيام من اغتياله، واستمع منه إلى روايته التي تؤكد امتلاكه ما يكفي من الأدلة والقرائن لنسف الرواية الإسرائيلية الرسمية التي اكتفت بتحميل شارون مسؤولية غير مباشرة عن المذبحة (تقرير لجنة كاهان). وقد سجّل الوفد شريطاً مصوراً تحدث فيه حبيقة عن استعداده للإدلاء بشهادته أمام المحكمة البلجيكية، وقد حمل الوفد هذا الشريط المصور لعرضه على مجلس الشيوخ البلجيكي ووضعه في تصرف القضاء البلجيكي. وقد سارع عضو الوفد البلجيكي «جوزيه دوبيه» فور سماعه نبأ الاغتيال إلى القول «إنّ حبيقة أبلغ الوفد في لقاء سري أنه مهدد، وأنّ لديه معلومات يريد الإدلاء بها حول

١٧ أمين الجميل في شهادته على العصر، فضائية الجزيرة ن برنامج شاهد على العصر.



مجازر صبرا وشاتيلا، وهو مستعد لزيارة بروكسل لإقامة دعوى ضدّ شارون والكشف عن المعلومات التي في حوزته».

لقد سعت إسرائيل من خلال ارتكاب مجزرة صبرا وشاتيلا إلى دفع القوى الإنعزالية اللبنانية إلى المربع الأكثر انعزالا، وإحباط أية محاولة للتصدي للمخططات الإسرائيلية لدفع الدولة اللبنانية إلى تحالف استراتيجي مع دولة إسرائيل، وهو ما تمثل في توقيع الرئيس اللبناني أمين الجميل على اتفاق السلام بين إسرائيل ولبنان والذي عرف باتفاق السابع عشر من آذار ١٩٨٣م، وقام بتقديمه باعتباره إنجازا سياسيا للشعب الإسرائيلي مقابل الثمن الباهظ الذي تكلفوه جراء المغامرة العسكرية لحكومتهم في لبنان.

قد يكون شارون قد استطاع الهروب بجريمته من أمام القضاء إلا أن التاريخ سيظل يذكر التاريخ الأسود لشارون وأمثاله من قادة الكيان الإسرائيلي الذين تلطخت أيديهم بالدم الفلسطيني سعيا وراء أهداف لم تتحقق.

ومن الجدير بالذكر فقد هزت المذبحة الرأي العام والنظام السياسي في إسرائيل، كما أنها عززت الشعور بأن الجيش الإسرائيلي قد تورط في حرب زائدة. في الأيام القليلة بعد الأحداث نفت الحكومة الإسرائيلية أية علاقة للجيش الإسرائيلي بالمذبحة، ولكن في ٢٥ سبتمبر ١٩٨٢م احتشد مئات الآلاف من المتظاهرين في ساحة "ملخيه يسرائيل" وسط تل أبيب مطالبين بتعيين لجنة تحقيق خاصة للبحث في الأمر. وأمرت الحكومة الإسرائيلية المحكمة العليا بتشكيل لجنة تحقيق خاصة في ١ / ١١ / ١٩٨٢م، وقرر رئيس المحكمة العليا، إسحاق كاهَن، أن يرأس اللجنة بنفسه، حيث سميت "لجنة كاهن". في ٧ / ٢ / ١٩٨٣م أعلنت اللجنة نتائج البحث وقررت أن شارون يتحمل مسؤولية غير مباشرة عن المذبحة إذ تجاهل إمكانية وقوعها ولم يسعى للحيلولة دونها. كذلك انتقدت اللجنة رئيس الوزراء مناحيم بيغن، وزير الخارجية إسحاق شامير، رئيس أركان الجيش رفائيل إيتان وقادة المخابرات، قائلةً إنهم لم يقوموا بما يكفي للحيلولة دون المذبحة أو لإيقافها حينما بدأت. رفض أريئيل شارون قرار اللجنة ولكنه استقال من منصب وزير الدفاع عندما تكثفت الضغوط عليه.

انتشار الجيش اللبناني في بيروت الغربية:

شهد الأسبوع الأول من شهر (٩ / ١٩٨٢م) دخول قوات الجيش اللبناني إلى بيروت الغربية بعد أن عزز من مواقعه على خطوط التماس وإقامة الحواجز على مداخل العاصمة والضاحية الجنوبية تنفيذا للخطة الأمنية، وقد تمكن الجيش من إزالة العوائق والأتربة والألغام من الشوارع، واستولى على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر بعد حملة تفتيش واسعة شملت عدداً من المباني والمستودعات وتمركز الجيش في المواقع التي أخلتها القوة المتعددة الجنسيات.

وفي أعقاب الإجتياح الإسرائيلي لبيروت الغربية ومجزرة صبرا وشاتيلا التي بدأت عمليات يوم ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م عقدت لجنة الاتصال العسكرية اللبنانية – الإسرائيلية اجتماعاً واتخذت قراراً بدخول وحدات من الجيش اللبناني إلى المخيمين، وتنفيذاً للقرار دخل الجيش إلى المخيمين وانتشر في جميع وأحياء بيروت الغربية والضاحية الجنوبية، ورافق عملية الانتشار حملة مداهمات واسعة لمختلف المنازل والمؤسسات والمستودعات شملت بعض المؤسسات الصحفية كمجلة «الشراع» ومكاتب مجلة «صباح الخير» الناطقة باسم الحزب السوري القومي الاجتماعي، وجريدة «السفير» وجريدة «النداء» وذلك يوم ٢٣ / ٩ / ١٩٨٢م، كما داهمت قوات الجيش مقر الحزب الشيوعي اللبناني ومكاتب مجلة «بيروت المساء» بتاريخ ٧ / ١٠ / ١٩٨٢م، كما عبثت بمحتويات أرشيفها وصادرت بعض الوثائق وكذلك فعلت في مجلة «الراية» يوم ٢ / ١١ / ١٩٨٢م ومركز الأبحاث الفلسطيني.

كما داهم الجيش منزل الرئيس رشيد كرامي ومقر رابطة الشغيلة ذات الصلة بالنائب زاهر الخطيب، وداهم منزله أيضا ومنزل قائد جيش لبنان العربي أحمد الخطيب، ورافق الحملة كذلك عملية هدم شملت ٤٠٠ منزل ومحل تجاري في المنطقة الممتدة من حسينية الرمل العالي «حسينية الكوراني» إلى تلة الكوكودي في الجانب الشرقي من طريق المطار امتداداً على الطريق الجنوبي من نزلة الحسينية وشارع عين الدلبه، وأنذر الجيش سكان ما تبقى من منازل لم تهدم بوجوب إخلائها، وأثناء عملية الهدم حاولت النساء الاحتجاج على تشريدهن وعائلاتهن من المنازل التي لا يملكن لها بديلا، فجلسن في وسط الطريق أمام آليات الجيش والجرافات فأقدم الجيش على سحبهن من شعورهن وإطلاق الرصاص لتفريقهن كما اعتدوا على بعض الشبان



الذين حاولوا التدخل.

دخلت قوة من الجيش منطقة الرمل العالي في برج البراجنة يوم ١٥ / ١٠ / ١٩٨٢م وأخلت مسجد المنطقة من محتوياته تمهيداً لهدمه، وأطلقت النار على المتظاهرين الذين حاولوا منع عملية الهدم فقتل منهم (٦ أشخاص) واعتقل (٥٠ شخصاً) وإضافة إلى عملية الدهم والهدم قام الجيش بحملة اعتقالات واسعة شملت عدداً كبيراً من اللبنانيين والفلسطينيين وغيرهم من جنسيات مختلفة بلغ عددهم الإجمالي (١٤٤١ معتقل) حسب ما أعلنه وزير الدفاع الإيطالي «ليليو لاغوريو» الذي نفى أمام لجنة الدفاع التابعة لمجلس النواب الإيطالي بتاريخ ١٣ / ١٠ / ١٩٨٢م أن يكون أي جندي من الوحدة الإيطالية قد شارك في عمليات الدهم وأعلن أن إيطاليا أبلغت عن قلقها من هذه العمليات البوليسية إلى الحكومة اللبنانية وإلى الرئيسين الفرنسي والأمريكي.

يذكر أنه في الوقت الذي كانت تتعرض له بيروت الغربية والضاحية الجنوبية إلى حملات الدهم والاعتقال كانت بيروت الشرقية لا تزال تحت سيطرة القوات اللبنانية كسلطة بديلة عن سلطة الدولة، والمهم أن كل هذه الأعمال والممارسات التي قام بها الجيش في بيروت الغربية والضاحية الجنوبية كانت مثيرة للرعب، إلا أن ما أثار المزيد من الرعب هو دخول عناصر كتائبية إلى أحيائهم بمرافقة الجيش ولجوء تلك العناصر إلى عمليات إرهابية بحق المواطنين وإلقاء القبض على كل شخص مطلوب لديهم ونقله إلى بيروت الشرقية لينال نصيبه من الضرب والتعذيب في حين اختفى معظمهم ولم يعرف مصيرهم، كما لجأت العناصر الكتائبية إلى فتح عدد من المكاتب في بيروت الغربية بشارع المتني والضاحية (المريجة) ورفع أعلام حزب الكتائب عليها[١٨].

١٨ كانت قيادة الجيش الأولى بالإضافة إلى عدد كبير من الضباط ذوي الرتب العليا من الطائفة المسيحية التي تدين بالولاء للقوات اللبنانية.

أمين الجميل رئيساً:

انتخب المجلس النيابي اللبناني أمين الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية خلفاً لأخيه الراحل بشير الجميل صباح يوم ٢١ / ٩ / ١٩٨٢م، وذلك بأغلبية (٧٧ صوتا) من أصل (٨٠ صوتا)، وبعد ثلاثة أيام من انتخابه بدأت طلائع القوات المتعددة الجنسيات في الوصول إلى بيروت، وأخذت القوات الإسرائيلية تجلي مواقعها في المنطقة الغربية من بيروت باستثناء الميناء والمطار.

قدم رئيس الوزراء شفيق الوزان استقالة حكومته يوم ٢٤ / ٩ / ١٩٨٢م و قبلها الرئيس اللبناني أمين الجميل، الذي أمر يوم ٣٠ / ٩ / ١٩٨٢م بإعادة توحيد شطري العاصمة بيروت وفتح كل المعابر وإعادة تشغيل المطار فيما أعاد يوم ٧ / ١٠ / ١٩٨٢م تكليف شفيق الوزان بتشكيل الحكومة مرة أخرى.

ومنذ تشكيل حكومة الرئيس أمين الجميل لم يكن أمامها من مجال سوى التعاطي مع مبادرة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان للسلام في الشرق الأوسط في إطار الرغبة الإسرائيلية المعلنة بالطلب من لبنان توقيع اتفاقية صلح على غرار اتفاقية كمب ديفيد مع مصر، وهو الطلب الذي يصر عليه مناحيم بيغن، وبموجب عدم قدرة حكومة الرئيس أمين الجميل على استخدام أية خيارات أخرى، فقد أقرت مبدأ الدخول في مفاوضات مع إسرائيل.

بدأت المفاوضات اللبنانية – الإسرائيلية صباح يوم ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٢م برعاية أمريكية يمثلها آنذاك موريس درايبر مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط في فندق "ليبانو بيتش" في منطقة خلده ومثل الجانب اللبناني في المفاوضات الدكتور أنطوان فتّال، ومثل الجانب الإسرائيلي ديفيد كيمحي المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية وأبراهام تامير مساعد وزير الدفاع الإسرائيلي، وقد بدأت هذه الجولة من المفاوضات باحتقان شديد حيث ضرب أبراهام تامير مساعد وزير الدفاع الإسرائيلي بقبضته على الطاولة ورفع صوته محذراً في وجه الدكتور أنطوان فتّال قائلاً: ضعوا في اعتباركم أننا لن نتخلى عن مطالبتنا بتطبيع علاقاتنا معكم، ونصر على هذا الموقف وكل كلام آخر هو لغو، إن التطبيع هو أولاً وأخيراً وإذا رفضتم التطبيع فإننا باقون في بلادكم، ولن نخرج منها أبدا وإلى الأبد[١٩].

---

١٩ وثائق الحرب اللبنانية الصادرة عن المركز العربي للأبحاث والتوثيق.



ولم تحسّن الجلسة الثانية من المفاوضات التي انعقدت في كريات شمونه (الخالصة) يوم ٣٠ / ١٢ / ١٩٨٢م من الموقف الإسرائيلي، وكذلك ظل الحال حتى الجلسة رقم (١٨) بتاريخ ٢٤ / ٢ / ١٩٨٣م بين الجانبين اللذين كانا يتبادلان الانعقاد في بلديهما والتي أعلن الرئيس الأمريكي ريغان عشيتها استعداد بلاده لاتخاذ كل الإجراءات الضرورية لضمان أمن الحدود الشمالية لإسرائيل إذا ما انسحب الإسرائيليون من لبنان، لكن الإسرائيليين في الجلسة رقم (١٩) التي انعقدت في خلده يوم ١ / ٣ / ١٩٨٣م، أصروا على موضوع إقامة نقاط مراقبة وإقامة منطقة عازلة أمنية بعمق ٤٥ كلم، وعلى إلغاء المقاطعة الاقتصادية، وتكررت المطالب نفسها في جلسة المفاوضات رقم (٢٠) التي انعقدت في ناتانيا يوم ٣ / ٣ / ١٩٨٣م إلا أن وزير الخارجية الإسرائيلي أعلن في ختامها بأنه سيتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمقابلة وزير الخارجية الأمريكي جورج شولتز بحضور وزير الخارجية اللبناني إيلي سالم، فيما استمر الجانبان اللبناني والإسرائيلي في مواصلة جلسات الحوار وفي الجلسة رقم (٢٤) التي انعقدت في ناتانيا يوم ٢٥ / ٣ / ١٩٨٣م اتضح أن الجانب اللبناني أصبح قابلاً بالتحفظات الإسرائيلية، ولكن حسب الرؤية الأمريكية وليست الإسرائيلية، فرفض الإسرائيليون ذلك بوضوح الأمر الذي دفع الرئيس الأمريكي رونالد ريغان إلى تعليق أمر تزويد إسرائيل بعدد (٧٥ طائرة مقاتلة قاذفة من طراز (اف–١٦).

لكن الجلسة (٢٥) من المفاوضات حلحلت الأمور وتقرر تشكيل لجنة عسكرية لبنانية – أمريكية – إسرائيلية مهمتها الإشراف على تطبيق التدابير الأمنية في الجنوب، وجاء الرد على ذلك من بيروت يوم ١٨ / ٤ / ١٩٨٣م حين تم تدمير السفارة الأمريكية بسيارة مفخخة تحمل (٢٠٠ كلغم) من المتفجرات أدت إلى انهيار جزء من المبنى الذي يضم سبع طبقات وأوقع (٦٣ قتيلا) بينهم (١٧ أمريكي).

وحتى الجلسة رقم (٣٤) من المفاوضات التي انعقدت الجلسة الختامية ثم الاتفاق اللبناني الإسرائيلي على "صيغة اتفاق بالنص الإنجليزي"، وفي يوم ١٤ / ٥ / ١٩٨٣م وافق مجلس الوزراء اللبناني على النص، وفي يوم ١٥ / ٥ / ١٩٨٣م توصل الجانبان اللبناني والإسرائيلي إلى اتفاق حول الاتفاق حسب النصوص الأربعة (العربية والعبرية والإنجليزية والفرنسية)، وفي يوم ١٧ / ٥ / ١٩٨٣م تم حفل توقيع الاتفاق بين لبنان وإسرائيل بكفالة أمريكية في اجتماعين بالتناوب بين خلده وكريات شمونه، ووقعه عن الجانب اللبناني الدكتور أنطوان فتال، وعن الجانب الإسرائيلي ديفيد كيمحي وعن الجانب الأمريكي موريس درايبر وعرف الاتفاق باسم (اتفاق ١٧ آيار).


الشهيد القائد سعد صايل «أبو الوليد»

اغتيال القائد سعد صايل "أبو الوليد":

نتائج معارك بيروت إبان الغزو الإسرائيلي للبنان والملحمة الأسطورية التي حققتها القوات الفلسطينية والقوات المشتركة اللبنانية، غيرت من المعادلات العسكرية على الصعيدين الإقليمي والدولي، فلم يعد الجيش الإسرائيلي رأس الرمح في قوة التدخل السريع، وأصبح من غير الوارد بعد الصمود الفلسطيني ثمانية وثمانين يوما عجز خلالها ذلك الجيش عن تحقيق أهدافه، أن يعتمد عليه في الاستراتيجية الشاملة للولايات المتحدة الأمريكية.

ولقد تم التصدي للجيش الإسرائيلي باستراتيجية عسكرية فلسطينية أصبحت تدرّس في أرقى الأكاديميات العسكرية العالمية، وكان الفضل في صياغة هذه الاستراتيجية العسكرية الفلسطينية لرجل العسكرية والقائد العسكري الفلسطيني اللواء سعد صايل «أبو الوليد» الذي جمع بين النظريات العسكرية الأمريكية والأوروبية التي درسها في الأكاديميات العسكرية لمختلف الدول، وبين حرب العصابات الفدائية، وصاغ استراتيجيته الجديدة التي أعجزت شارون ومختلف قياداته العسكرية، وأثارت دهشة العالم الذي كان يراقب العجز العسكري الإسرائيلي والخسائر الكبرى التي لحقت بجيش إسرائيل رغم كثافة الهجوم جواً وبراً وبحراً[٢٠].

---

٢٠ ( ) ولد الشهيد سعد وليد صايل (أبو الوليد) في قرية كفر قليل الواقع على السفح الشرقي لجبل جرزيم أحد جبال مدينة نابلس عام ١٩٣٢م. التحق بالكلية العسكرية الأردنية عام ١٩٥١م، أرسل في دورة عسكرية إلى بريطانيا عام ١٩٥٤م، وارسل إلى دورة عسكرية إلى مصر عام ١٩٥٦م، ودورة عسكرية في العراق عام ١٩٥٨م، ودورتين عسكريتين في الولايات المتحدة عامي ١٩٦٠، ١٩٦٦م. تدرج في عدة مناصب عسكرية في الجيش الأردني، إلى أن أسندت إليه قيادة اللواء حسين بن علي وهو يحمل رتبة (عقيد). في أيلول ١٩٧٠م، انظم إلى المقاتلين الفلسطينيين تاركا منصبه في الجيش الأردني كقائد للواء الهاشمي. أسندت إليه عدة مناصب عسكرية في حركة فتح تتناسب مع قدراته وكفاءته العسكرية المميزة منها: أنه كان عضوا في القيادة العامة لقوات العاصفة، كان عضوا في قيادة الأرض المحتلة حيث رقي إلى رتبة عميد، عين مديرا لهيئة العمليات المركزية لقوات الثورة الفلسطينية، هذا وقد اختير عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني وشارك في مؤتمرات وزراء الدفاع ورؤساء الأركان العرب. وفي المؤتمر الرابع لحركة=

الأهمية الاستثنائية للاستراتيجية العسكرية التي صاغها اللواء أبو الوليد ونفذها مقاتلو منظمة التحرير الفلسطينية والقوات المشتركة اللبنانية في مواجهة (١٢٠ ألف) من قوات الجيش الإسرائيلي الذي يعتبر الأقوى في الشرق الأوسط، جعلت القادة العسكريون الإسرائيليون ينظرون بغضب لقدرات اللواء سعد صايل على إدارة المعارك خلال الغزو الإسرائيلي للبنان، واعتبروا ذلك "خطاً أحمر" لا يجوز لقوات منظمة التحرير الفلسطينية أن تجتازه أو أن تحظى به حتى بعد خروج قوات المنظمة من لبنان، لكن أبو الوليد بشجاعته وخبرته العسكرية وولائه للشرعية الفلسطينية أصرّ على اجتياز هذا الخط الأحمر الأمريكي الإسرائيلي.

فتح الذي عقد في دمشق عام ١٩٨٠م تم انتخابه عضوا في اللجنة المركزية لحركة فتح ونال أعلى الأصوات. كان مثال الشرف والانضباط والالتزام، نال الكثير من الأوسمة لتميزه في جميع الدورات والتخصصات التي اجتازها بكفاءة عالية، إضافة إلى أوسمة أخرى من قيادة الجيش الأردني لتميزه، ونال وسامه الخاص يوم استشهاده.

في لمحات من تاريخ كل أمة، ظهرت شخصيات غير عادية اتسمت بصفات بارزة وارتبطت بأحداث باهرة، وأدت أدوارا تاريخية ليست في متناول قدرات العاديين من الناس، ولذلك أصبح لهؤلاء العظام ميزة السبق وطابع الخلود، ولا تقف هذه الشخصية عند حدود زمانها أو مكانها، ولا ينحصر تأثيرها في دائرة بناء وطنها وحسب، ولكنها تتجاوز حدود الزمان والمكان وتصبح قبلة الجماهير. فكم من نجوم بشرية سطعت قبل عشرات السنين وما زال بريقها يخلب الألباب وكم من شخصية لم يطو الموت أثرها، ولم يفقدها جاذبيتها وإنما استمرت تعيش في قلوب الناس وتجول بخاطرهم نابهة الذكر، خالدة الأثر، ذلك لأنها شخصية تاريخية خالدة، فالإنسان العظيم عندما يفارق دنياه يفتح له التاريخ أبوابه ويودعه أحد بروجه الشاهق، حيث لا يخفت له صوت ولا تخبو له صورة وإنما يظل واضح المعالم ظاهر الأثر يلتفت إليه الناس من كل مكان، وفي أي زمن يطالعون صفحاته، ويدرسون ميزاته، ويعددون مواقفه، وقد يقال أن لكل ناس رجلها، ولكل بلد بطله الذي يحمد له مواقفه، ولكن من الرجال القلائل من يصبح بطلا لجميع الأزمان، وذلك لأن شخصيته تفوقت على مستوى الزمن المحدود، فانتقلت إلى مشاعر الناس واستوجبت تقديرهم وحفاوتهم وكأنها تعيش بين ظهرانيهم، إن القائد الباسل أبو الوليد الذي صد الغزاة المعتدين عن بيروت عام ١٩٨٢م لا يموت أبدا ويبقى حيا يرزق عند ربه لقد استطاع هذا القائد العسكري الفذ.. أن يضع خطة الصمود والدفاع عن بيروت التي أثبتت فعالية وكفاءة عسكرية، تجاوزت كل التوقعات والمحاذير.. حتى أنه شهد له العدو والصديق.. وأثنوا على براعته وكفاءته في إدارة المعركة غير المتكافئة طيلة ثمانية وثمانون يوما متواصلة، لم يكن أبو الوليد محاربا بحكم الصفة، ولم تكن الحرب هوايته، ولكنه كان مواطنا محبا لوطنه، فلما دعاه الداعي لحمل السلاح وإنقاذ الوطن، تولى قيادة الجيش وحارب بكفاءة وبسالة من أجل استقلال شعبه، لا لكي يعتدي على الآخرين، وليس للمطامع الشخصية والأمجاد البطولية.. كان أبو الوليد قائد موفقا ببركة إيمانه الصادق وبفضل تجاربه الميدانية الممتدة وقدرته القوية في التأثير على رجاله وكسب ثقتهم وتعمير نفوسهم بالنظام والشجاعة والكرامة..

في ٢٩-٩-١٩٨٢م توجه أبو الوليد إلى سهل البقاع وزار وحدات المقاومة الفلسطينية هناك، وتفقد أحوالها واطمأن على أفرادها وفي أثناء عودته تعرض لإطلاق رصاص من كمين غادر فأصيب بعدة رصاصات قاتلة، حيث أسلم الروح شهيداً وقائداً شهد له خصومه قبل أصدقائه بأنه شرف العسكرية العربية كلها بعقله وجهده وعطائه المتواصل طوال تاريخه المجيد وحتى لحظة استشهاده، وبقيت عملية الاغتيال أحد الألغاز السياسية والأمنية الخطيرة، التي اكتنفها كثير من الغموض وأحيطت بعديد من الملابسات والأسرار، لأنها شكلت منعطفاً تاريخياً حاداً في المسار السياسي للقضية الفلسطينية. وشيع جماهير غفيرة في دمشق، وعلى رأسها القائد العام ياسر عرفات والعديد من القادة، الشهيد اللواء سعد صايل في مشهد بما يليق بقائد عظيم.

تفاصيل عملية الاغتيال:

لقد تقاطعت المصالح الأمريكية والإسرائيلية، وحتى السورية، على ضرورة التخلص من رجل العسكرية الفلسطينية، ذلك أن إعادة تجميع القوات الفلسطينية في البقاع، ومباشرة شن العمليات من هناك ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي، يعني استعادة جاهزية قوات منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها الشرعية لمواصلة اضطلاعها بدورها في تمثيل وقيادة الشعب الفلسطيني، وهو الأمر الذي قاتلت ضده إسرائيل لسنوات طويلة وترفضه الولايات المتحدة الأمريكية. ولهذا لم يكن أمام أعداء منظمة التحرير الفلسطينية من قرار سوى التخلص من اللواء أبي الوليد، وتم التخطيط لذلك وجرى التنفيذ صبيحة يوم عيد الأضحى المبارك بتاريخ ٢٩ / ٩ / ١٩٨٢م. ولقد ظلت عملية اغتيال هذا القائد لغزاً حاول الكثيرون تعطيل فك رموزه والتعتيم على الجهة المنفذة، لكننا وإكراما لروح الشهيد أبو الوليد نفتح الملف من جديد..

على أثر الخروج من بيروت بعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م، توجه القادة خليل الوزير «أبو جهاد» وصلاح خلف أبو إياد» وهايل عبد الحميد «أبو الهول» واللواء سعد صايل «أبو الوليد» إلى سوريا عن طريق البحر لميناء طرطوس السوري.

وشرع القادة» خليل الوزير» وأبو الوليد» فور وصولهما إلى الأراضي السورية في التخطيط لتجميع القوات الفلسطينية المنسحبة من الجنوب اللبناني، وقد بذلوا جهداً كبيراً بإعادة تشكيل وتجميع القوات الفلسطينية المنسحبة إلى البقاع والشمال اللبناني وإعادة تمركز قوات الثورة الفلسطينية بدء من» البقاع» والجبل اللبناني» والشمال اللبناني»، وتم توزيع القوات الفلسطينية في تشكيلات جديدة واستطاعا رفع معنويات المقاتلين في قوات الثورة الفلسطينية وفور الانتهاء من إعادة التموضع والتشكيل الذي تم بنجاح كبير وسرعة فائقة، باشرت قوات الثورة الفلسطينية» وقوات الحركة الوطنية اللبنانية عملياتها العسكرية ضد القوات الإسرائيلية وحققت نجاحات كبيرة أوجعت العدو الإسرائيلي وأذهلت قواته العاملة في لبنان في جميع مناطق» الجنوب اللبناني» والبقاع الغربي والشرقي» والجبل اللبناني» حيث أوقعت بالقوات الإسرائيلية خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات اعترف بها العدو الإسرائيلي حينذاك.

وتكللت هذه الجهود يوم ٤-٩-١٩٨٢م عندما قامت مجموعة من مقاتلي حركة فتح، بالتحرك لتنفيذ عملية فدائية نوعية لأسر جنود إسرائيليين، وتحركت المجموعة بقيادة عيسى حجو وقامت برصد دورية لقوات الاحتلال اعتادت المرور في وقت محدد من شمال بحمدون عبر

واد كثيف الأشجار وشديد الوعورة إلى منطقة حمانا، وبسبب كثافة الأشجار ووعورة الطريق اعتادت الدورية السير على الأقدام بسبب عدم قدرة الآليات على الدخول. ونجحت مجموعتنا الفدائية في السيطرة على الدورية الإسرائيلية وأسر ثمانية جنود إسرائيليين وتم نقلهم إلى المقر في البقاع وتم تسليم الأسرى الجنود إلى محمود العالول، وتم إبلاغ القيادة في دمشق بنجاح العملية[٢١].



الأسرى الإسرائيليون الستة الذين تم أسرهم

بعدها تفرغ الأخوان القائدان" أبو جهاد" وأبو الوليد" لإجراء تحقيق عسكري شامل مع الرتب العسكرية كافة دون أن يستثنى أي من الأخوة القادة العسكريين من التحقيق، وعملا على معرفة أداء قوات الثورة الفلسطينية التي كانت عاملة في الجنوب اللبناني والقاطع الشرقي

٢١ يروي قائد عملية الأسر عيسى حجو فيقول: كان هناك مشكلة في نقل الأسرى من منطقة يوجد فيها حواجز ومواقع عسكرية لتنظيمات مختلفة، وبالفعل بدأت عملية الإخلاء الصعبة والشاقة، كلفنا الجنود بحمل أسلحتهم الفارغة، قمت بالتوجه لوحدي في البداية للقاعدة وأبلغتهم إن عملية الأسر نجحت، وفي سبيل التغلب على نقل الأسرى إلى منطقة البقاع وعلى مشكلة الحواجز والمواقع المنتشرة في المنطقة تم الاتفاق مع موقع الجبهة الشعبية – القيادة العامة – للمساهمة في عملية نقل الأسرى، حيت تتمتع سيارات الجبهة الشعبية بحرية أكبر للحركة على الحواجز والمواقع المنتشرة على الطريق(حواجز سورية)، وتم تقسيم الأسرى إلي مجموعتين، المجموعة الأولى تضم أسيرين في سيارة تابعة للجبهة الشعبية وتسير في المقدمة وتضم المجموعة الثانية ستة اسرى في سيارة تابعة لفتح وتسير في المؤخرة وبهذا الأسلوب تم اجتياز الحواجز والمواقع على الطريق إلي مقر القيادة في البقاع ولكن الجبهة الشعبية – القيادة العامة أصرت على الاحتفاظ بالأسيرين وبقي ستة أسرى لحركة فتح. ومن الجدير بالذكر فانه قد جرت عملية تبادل الجنود بمعتقلي معسكر أنصار رقم (١) في أهم وأكبر عملية تبادل أسرى في تاريخ الثورة الفلسطينية بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢٤م حيث تم تحرير ٤٦٠٠ أسير مقابل ٦جنود من جيش الاحتلال الإسرائيلي هذه العملية حصلت بعد استشهاد أبو الوليد لكنها كانت ضمن حرب الاستنزاف التي خطط لها أبو جهاد وأبو الوليد.

وفي البقاع الغربي والشرقي والأوسط ومعرفة أدق التفاصيل عن مهام تلك القوات أثناء سير المعارك وكيفه كان تصديها للقوات الإسرائيلية التي اجتاحت الجنوب اللبناني.

ركز الأخوة القادة التدقيق ومعرفة كيفية انسحاب قواتنا من الجنوب خاصة مناطق "صيدا" وصور" والنبطية" والقاطع الشرقي في البقاع بشكل عام ومعرفة كيفه إدارة المعارك التي خاضتها قوات الثورة الفلسطينية وقوات حركة فتح وقوات الحركة الوطنية اللبنانية ومعرفة من أعطى الأوامر بانسحاب جميع القوات دون تعليمات من القيادة في بيروت.

الأخ أبو ماهر غنيم الذي كان على رأس مهامه في البقاع منذ اللحظة الأولى للاجتياح الإسرائيلي ولم يغادر موقع القيادة المؤقتة في بلدة جديتا اللبنانية وتواجد معه أيضا "العميد أبو المعتصم" مدير غرفة العمليات المركزية في منطقة البقاع والذي أسندت له هذه المهمة وقت الاجتياح الإسرائيلي. وكان لدى الأخ "أبو ماهر غنيم" ملاحظات كثيرة عن كيفية انسحاب قادة "القوات" "والكتائب" منذ تاريخ وصولها إلى منطقة البقاع بكل وقائعها، والذي بدوره وضع الأخوة القادة "أبو جهاد وأبو الوليد" بجميع التفاصيل المهمة حول عملية انسحاب، أو هروب بعض القادة".

وفور سماعه نبأ اغتيال بشير الجميل قائد القوات اللبنانية يوم ١٤ أيلول ١٩٨٢دعا أبو الوليد المتواجدين من المجلس العسكري الفلسطيني إلى لقاء عاجل لتدارس الموقف وفي الاجتماع قال " كلكم تعرفون ان بشير وصل رئاسة الجمهورية اللبنانية على ظهر دبابة إسرائيلية. وبصرف النظر عن منفذ عملية القتل، فالعملية كبيرة واكبر من طاقات القوى الوطنية اللبنانية، والمهم ان لا ندفع نحن الفلسطينيون ثمن اغتياله كما دفعنا ثمن طموحاته الرعناء". وبعد سماعه نبأ المجزرة التي ارتكبتها القوات اللبنانية يوم ١٧ أيلول بقيادة إيلي حبيقة في صبرا وشاتيلا. قال "عار علينا الصمت أمام استباحة دم أطفالنا ونسائنا وشيوخنا العزل من السلاح. ويجب ان لا ننسى فالذاكرة الحية تصون الحقوق". وراح يواصل العمل ليل نهار لحماية الوجود المدني الفلسطيني، وحماية استقلالية القرار الفلسطيني وحينها قال وردد دائما المقولة الشهيرة له (نموت ليعيش شعبنا وتحيا فلسطين) وقد تجسدت مقولته بالعمل والقول..

وفي هذه الأثناء توافر لدى القيادة الفلسطينية معلومات حول مخططات إسرائيلية لتنفيذ عمليات اغتيال لعدد من القيادات الفلسطينية وقيادات من الحركة الوطنية المتواجدة في البقاع، وبموجب هذه المعلومات حاول الأخ أبو عمار اصطحاب أبو الوليد معه لأداء فريضة الحج، وذلك بهدف إبعاده لفترة عن منطقة البقاع، وهنا طلب أبو عمار من أبي جهاد إقناع أبو الوليد



بالسفر، وفعلاً ذهب أبو جهاد إلى منزل أبي الوليد وحاول إقناعه بالسفر إلا أنه رفض واقترح على أبي جهاد أن يسافر بدلا منه فوافق أبو جهاد شرط عدم ذهاب أبو الوليد إلى البقاع في فترة العيد، لكن أبو الوليد رفض لأنه قال له لا يجوز أن يأتي أول عيد ونحن في البقاع ولم يذهب أي منا (أبو عمار- أبو جهاد- أبو الوليد) للمعايدة على القوات، وفعلاً ذهب أبو جهاد مع أبي عمار إلى السعودية وتوجه أبو الوليد إلى البقاع.

غادر أبو الوليد منزله في دمشق متوجها إلى منطقة البقاع وحين وصوله صباح يوم عيد الأضحى المبارك تفقد معظم قوات الثورة الفلسطينية وقوات فتح خاصة في مناطق تواجدها على الطريق العام دمشق – شتورة، وأثناء تواجده في منطقة البقاع زار موقع العمليات المركزية في بلدة "ثعلبايا" ومن ثم زار قوات القسطل ثم كتيبة الجرمق ثم كتيبة شهداء أيلول ومقر اللاسلكي العام وآخر زيارة له كانت لقوات اليرموك، الذي كان قائدها في ذلك الوقت ياسين سعادة ونائبه نصر يوسف، ومنها قرر الانطلاق إلى بعلبك لزيارة قوات القاطع الشرقي بقيادة أبي هاجم في أطراف منطقة بعلبك.

وحين علم الأخ أبو المعتصم أن أبا الوليد يريد تكملة مشواره إلى القاطع الشرقي اعتذر بعدم الذهاب بسبب أن أبا هاجم كان قبل يوم قد أرسل برقية غير لائقة بحق أبي المعتصم، فتفهم أبو الوليد الأمر وأعفى أبا المعتصم من مرافقته، واتفق الاثنان أن يذهب أبو الوليد بسيارتيه الرانج روفر والمرسيدس، وقام أبو المعتصم بإعطائه سيارته مع السائق وهي من نوع "جيمس" وكان سائقها محمود، وافترق الاثنان عند مفرق دير زنون على الطريق العام الواصل بين دمشق وشتورة ثم سلك أبو الوليد طريقه إلى بعلبك ودير زنون، عرب الفاعور وصولا إلى بلدة رياق ومن ثم نحو الطريق العام المؤدي إلى مدينة بعلبك، وفي هذه الأثناء كانت مجموعات حركة أمل تراقب حركة السيارات منذ اللحظة الأولى لدخولها بلدة رياق، وعند وصوله إلى مدخل مدينة بعلبك كان الوقت بعد العصر، واتضح أن مرافقيه لا يعرفون المنطقة جيدا ولا يعلمون موقع مقر قيادة أبو هاجم، حتى أبو الوليد لم يكن يعرف، لهذا توجه إلى مخيم بعلبك للسؤال عن الموقع فقيل له أن "أبا علي مصطفى عثمان" أحد قيادة الحركة الوطنية في بعلبك وهو مسؤول في حركة الناصريين العرب القريبة من حركة "فتح" يعرف مكان قيادة أبي هاجم، وقد تم إرشاد الأخ" أبو الوليد" ومرافقيه عن الموقع الذي توجد به قيادة "أبو هاجم" فسلك نحو منطقة "بساتين بلدة دورس" في محيط "مدينة بعلبك" وحاول الدخول بسياراته إلى الطريق الفرعي المؤدي للموقع فلم تستطع سيارة المرسيدس السير بسبب وجود" سكة حديد" مرتفعة أعاقت تقدمها، فبقيت السيارة على مدخل الطريق وعلى الطريق العام فيما عبرت سيارة" الرنج

روفر" والجميس" التي تقل أبو الوليد وواصلت السير نحو الموقع ونظرا لتخلف السيارة على الطريق العام لمدة تزيد عن الساعتين فقد تم رصدهما من حركة أمل الإسلامية بقيادة حسين الموسوي صاحب القرار والمأمور من السوريين، وتبين فيما بعد وجود سيارة من نوع (كاديلاك) زرقاء اللون كانت تراقب حركة سير أبو الوليد وقد توقفت على بعد (مائتي متر) من سيارة المرسيدس وبها أربعة أشخاص تظاهروا أن سيارتهم تعطلت إلا أنها تحركت عند عودة سيارة أبي الوليد إلى الشارع العام.

بعد أن تناول أبو الوليد الطعام في مقر قيادة الأخ أبو هاجم استأذن بالذهاب، وغادر أبو الوليد دون أن يرسل معه الأخ أبو هاجم أية مرافقة رغم أن الظلام بدأ يحل.

وعند وصول الأخ "أبو الوليد" إلى مدخل بلدة "طليا" اللبنانية القريبة من قرية "السفري" على الطريق العام "بعلبك" شتورة" وعند مدخل بلدة طليا كان يتمركز حاجز عسكري سوري ثابت بصفة دائمة على الطريق العام في مدخل "بلدة طليا" وبعد أن قطع الأخ " أبو الوليد الحاجز السوري بحوالي أقل من "كيلو متر" وقبل وصوله إلى الحاجز السوري الذي يليه تم استهداف سيارته والموكب عند اقترابه من مثلث طريق عام الزراعة المعروف بالنقطة الرابعة أو المزرعة الأمريكية بكمين كبير للغاية من على جانب الطريق العام بدؤوا بإطلاق نار كثيفة على الموكب بتاريخ ٢٩ / ٩ / ١٩٨٢م وكانت الساعة تشير تقريبا إلى الخامسة والنصف.

حاول المرافقون الإفلات من الكمين وتغطية السيارة المقلة للأخ "أبو الوليد" من على جانبها تحاشياً للنيران الكثيفة التي كانت تطلق عليهم، فأصيبت إحدى سيارات المرافقة واستشهد السائق "محمود" سائق الأخ أبو المعتصم على الفور.

أنسحب المهاجمون، الذين تجاوز عددهم ثلاثين شخصاً، إلى قرية" حور تعلا "الجبلية في منطقة شرق بعلبك الموصولة ببلدة " طليا"، علماً أن حركة أمل" كان لها في بلدة "طليا" معسكر حربي ومكتب تنظيمي[٢٢]. أما يوسف عبيد[٢٣] الذي كان خلف موكب أبو الوليد حينما رأى عن بعد أن عملية إطلاق نار يتعرض لها موكب الأخ" أبو الوليد" عاد إلى موقع الأخ "أبو هاجم دون أن يفعل شيئاً هو ومن معه.

---

٢٢ إسماعيل عنبة، مقابلة شفوية.

٢٣ يوسف عبيد قائد إحدى الكتائب في قوات الكرامة التي كان مسؤولها العقيد أبو هاجم، وخلال زيارة أبو الوليد لقيادة أبو هاجم طلب أن يرافقه إلى دمشق كون أسرته هناك، فسأله أبو الوليد هل تريد أن ترافقني في سيارتي أم ستذهب في سيارتك الخاصة، فقال له على مسمع من الجميع أنه سيذهب بسيارته الخاصة، فأجاب أبو الوليد إذن الحقني.. وحين تعرض موكب أبو الوليد للكمين شاهد الحادث، فتوقف عند الحاجز السوري بطلية ثم عاد أدراجه فورا لإبلاغ العقيد أبو هاجم.

تم نقل الأخ أبو الوليد إلى مستشفى بر الياس التابع للهلال الأحمر الفلسطيني وتحرك على الفور كل من أبو المعتصم وإسماعيل عنبة وصالح مصلح إلى المستشفى وحين وصلوا دخلوا إلى غرفة الطوارئ حيث كان أبو الوليد ممدداً على السرير ينزف دماً وإذا به يستعيد وعيه فجأة ويقول لإسماعيل عنبة شعل لي سيجارة وفعلاً أشعل السيجارة وأمسكها بيده وتناول منها عدة جرعات.

ويتذكر الدكتور رضوان الأخرس الذي كان مدير مستشفى بر الياس في ذلك الوقت تلك الحادثة قائلاً: حينما وصل الأخ أبو الوليد إلى المستشفى، كان وجهه أصفراً وشاحباً كثيراً جراء إصابته في الشريان الوردي "الرئيسي" في منطقة الفخذ، بأكثر من طلقة، ما أدى إلى فقدانه الكثير من الدماء، فقمنا على الفور بالعمل على إيقاف النزيف من الشريان، وطلبنا من المتواجدين ضرورة التبرع بالدم فصيلة (O-) لتعويض الأخ أبو الوليد كمية الدم التي فقدها جراء النزيف. وعلى الرغم من أن تلك الفصيلة من النوع النادر، إلا أنه وحسن الحظا تطابقت مع فصيلة دم الأخ عصام مرافق "أبو المعتصم" الذي قام بالتبرع بالدم، وقمنا على الفور بإعطاء الخ أبو الوليد حوالي ٢٠ وحدة[٢٤].

وجرى اتصال مع الجانب السوري حيث أرسل العميد "محمد غانم" رئيس فرع الأمن والاستطلاع السوري في لبنان "الرائد أحمد صوان" مدير مكتبه إلى مستشفى بر الياس ليبلغ الأخ أبو المعتصم برغبة العميد محمد غانم نقل "أبو الوليد" إلى مستشفى "الميس" في شتورة" أو مستشفى "تل شيحا" في مدينة زحلة على الفور، حيث تم اتخاذ جميع الإجراءات لاستقباله، لكن "أبو المعتصم" رفض ذلك معللاً رفضه بأن المستشفى يقع تحت سيطرة الكتائب والقوات اللبنانية، وبموجب ذلك قام الأخ إسماعيل عنبه بإبلاغ العميد محمد غانم رغبة القيادة الفلسطينية نقل الأخ أبو الوليد إلى إحدى مستشفيات دمشق.

ومن الجدير بالذكر فإن الدكتور محمد السيد، وهو فلسطيني من العراق، وكان مسؤولا عن قسم الإستقبال والطوارئ في مستشفى بر الياس، أكد أنه لا خطورة على الأخ أبي الوليد وأن هناك إمكانية لنقله إلى إحدى المستشفيات في دمشق، واتضح لاحقا أن تقديره خاطئ.

وجرى اتصال مع أبي ماهر في دمشق عن طريق جهاز اللاسلكي وتم إحاطته بكل التفصيل بشأن إمكانية نقل الأخ أبو الوليد إلى دمشق. وبالفعل تحركت سيارة الإسعاف وكان على متنها الأخ أبو الوليد وبرفقته الأخ أبو المعتصم والدكتور محمد السيد، وتوجهت إلى مستشفى يافا

٢٤ المصدر: اتصال هاتفي مع الدكتور رضوان الأخرس بتاريخ ٢٠١٣/٧/٢٨م.

في دمشق والذي كان يبعد مسافة ٦٥ كلم، واستطاع السائق أن يقطعها خلال ٢٠ دقيقة، وتم الاتصال مع المستشفى لتجهيز غرفة العمليات لاستقبال الأخ أبو الوليد. وعندما وصلت سيارة الإسعاف إلى مستشفى يافا في منطقة المزة كان في الانتظار عدداً من القادة، وعلى الفور أصدر أحمد عفانة (أبو المعتصم) تعليماته بالتحرك فوراً إلى مستشفى المواساة الحكومي السوري في منطقة المزة. وفي حوالي الساعة الحادية عشر مساءً من اليوم نفسه صعدت روح الشهيد إلى بارئها.

أذاعت وكالات الأنباء في جميع أنحاء العالم نبأ استشهاد اللواء سعد صايل، وتم تشييع جثمانه وسارت جنازته من المستشفى في دمشق تشق طريقها في شوارع دمشق يحيط بها رفاق دربه في السلاح والآلاف من أبناء شعبه حتى وصلت إلى أطراف مخيم اليرموك لتجد شعبه الوفي، هذا الشعب العظيم الذي ودع الآلاف من الشهداء يحتضن نعشه نعش أبو الوليد بطل بيروت وبعد أن صلى عليه في جامع مخيم اليرموك ووري الثرى في مقبرة الشهداء في المخيم.

وباستشهاده ترك وراءه جيلاً مقاتلاً سار على دربه وأوقع بقوات العدو الإسرائيلي أكبر الخسائر البشرية والمادية كما حدث في يوم الخميس الموافق ١١ / ١١ / ١٩٨٢م حين قام أحد المقاتلين الأبطال ويدعى أحمد قصير بتفجير مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في بناية عزمي وسط مدينة صور بجنوب لبنان في عملية جريئة أدت إلى مقتل أربعة وسبعين ضابطاً وجندياً إسرائيلياً.

حركة أمل تقف وراء الجريمة:

على ضوء المعلومة التي توافرت لنا منذ اللحظة الأولى حول ضلوع حركة أمل في استهداف أبو الوليد قام الأخ إسماعيل عنبه بالتوجه إلى مقر العمليات المركزية في بلدة ثعلبايا اللبنانية وجهز قوة عسكرية لمهاجمة قاعدة حركة أمل في منطقة «طليا» بمشاركة قوات ال١٧ في بعلبك بقيادة طاهر عبد الرحيم عودة «أبو العبد الحجاوي» وقوات من الأمن المركزي بقيادة صالح مصلح مسؤول الأمن المركزي في البقاع وبعض القوى اللبنانية الوطنية ونفذ الهجوم بالفعل حيث تم اقتحام المعسكر ولم يجدوا أحداً فيما هرب مقاتلو حركة أمل باتجاه «بلدة حور تعلا» وبلدة بريتال شرق بعلبك.

وقام "إسماعيل عنبه" بالاتصال والتواصل مع "الشيخ حسين" أمين سر تنظيم حركة فتح في البقاع والموجود في بعلبك، والذي بعث برقية تفيد أن حركة أمل كانت تستهدف

"إسماعيل عنبه" وليس أبو الوليد، وأنه حصل على هذه المعلومة من" حسين الموسوي" أحد قيادات حركة أمل العسكرية في البقاع المقيم في مدينة بعلبك. حيث اتهموه بالمسؤولية عن إغتيال أحد قادة الحركة في منطقة البقاع المدعو عبده مرتضى الذي كشفت التحقيقات السورية في ذلك الوقت مسؤوليته عن عدة تفجيرات استهدفت القوات السورية في البقاع الشرقي قبل وبعد الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢م، وحينما طلب السوريون تسليم المذكور اعتذر مسؤولي حركة أمل بحجة أن المذكور يعمل لصالح الشعبة الثانية ولا علاقة لهم به، واتهمه السوريون بأنه مجند لصالح المخابرات الإسرائيلية. فاتخذ غازي كنعان[٢٥] قرارا بتصفيته، وهذا ما حدث بالفعل عندما تم وضع كمين للمذكور على طريق أبلح حيث تمت تصفيته. فقامت حركة امل بتجهيز كمين لاستهداف إسماعيل عنبة انتقاما للمدعو عبده مرتضى إلا أن المصادفة – حسب ادعاءات حركة أمل – أوقعت اللواء سعد صايل في طريق الكمين حيث جرى استهدافه.

طلب الأخ "أبو الهول" من إسماعيل عنبة ضرورة ترتيب موعد له بالسرعة المكنة لمقابلة القيادتين العسكرية والأمنية السورية في دمشق، للبحث في الموضوع والتشاور معهم. وأبلغت القيادة الأمنية في سوريا "إسماعيل عنبه" كونه مسؤول الارتباط المركزي بأنهم ليس لهم أي علاقة مطلقاً بحادث "إغتيال أبو الوليد" وهو محل احترام وتقدير من كافة المستويات السياسية والعسكرية والأمنية في سوريا ويكنون له كل محبة واحترام وتقدير وقدموا واجب العزاء "بالأخ الشهيد" أبو الوليد" واقترحوا أن يتم لقاء غير رسمي بين الأخ "أبو الهول" وأحد القادة الأمنيين السوريين.

---

٢٥ غازي كنعان (١٩٤٢ – ١٢ أكتوبر ٢٠٠٥م) ويلقب بأبو يعرب. رمز من رموز الأمن السوري، ورئيس شعبة المخابرات السورية في لبنان مما جعله يعتبر حاكم لبنان الفعلي في الفترة من ١٩٨٢ حتى ما بعد ٢٠٠١، ووزير الداخلية في سوريا من أكتوبر ٢٠٠٣م حتى انتحاره بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠٠٥م. ولد في قرية بحمرا في محافظة اللاذقية بسوريا من عائلة تنتمي إلى الأقلية العلوية الحاكمه. وهو كان من بين عدة مسؤولين أمن سوريين إستجوبهم محققون من الأمم المتحدة في إطار التحقيق الدولي في مقتل رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري. كانت لجنة التحقيق الدولية باغتيال الحريري قد حققت معه في سبتمبر ٢٠٠٥م في منتجع المونتي روزا قرب الحدود السورية – اللبنانية. كما جمدت وزارة الخزانة الأمريكية في مطلع عام ٢٠٠٥م أصول غازي كنعان والعميد رستم غزالة خليفته في لبنان في خطوة قالت عنها أنها تهدف للعزل المادي للممثلين السيئين الذين يدعمون جهود سوريا للإخلال باستقرار جيرانها. قبيل حادثة انتحاره صرح الرئيس السوري بشار الأسد بأن أي مسؤول سوري يثبت تورطه باغتيال رفيق الحريري سيحاكم بتهمة الخيانة. وآخر مقابلة معه كانت في اتصال هاتفي مع إذاعة صوت لبنان فيها أعرب عن حزنه من المسؤولين اللبنانيين وخيبة أمله منهم ونفى اتهامات بالرشوة تداولتها محطة نيو تي في، وختم المقابلة بقوله هذا آخر تصريح ممكن أن أعطيه وطلب من مقدمة البرنامج ان تعطي تصريحه لثلاث محطات تلفزيونية لبنانية. كان من مهندسي إلغاء اتفاق ١٧ أيار وإنهاء تمرد العماد ميشال عون. انتحاره في صباح يوم الأربعاء ١٢ أكتوبر ٢٠٠٥م غادر مكتبه في وزارة الداخلية لمدة ثلث ساعة إلى منزله ثم عاد ودخل مكتبه وبعد عدة دقائق سمع صوت طلق ناري وكانت الطلقة من مسدس في فمه، وهذا وفق إفادة العميد وليد أباظة مدير مكتبه. وسرعان ما أعلن المحامي العام الأول في دمشق محمد مروان اللوجي أن التحقيق الرسمي في ظروف وفاة كنعان انتهى باعتباره حادث انتحار.

عقد على ضوء ذلك اجتماع بين "أبو الهول" والعميد "مظهر فارس" رئيس فرع التحقيق العسكري بفندق أمية الجديد في دمشق، وجرى البحث في ملابسات عملية الاغتيال تقرر بعدها أن يتم ترتيب لقاء آخر للأخ" أبو الهول" مع" العميد محمد غانم" رئيس فرع الأمن والاستطلاع السوري في لبنان كون فرع الأمن والاستطلاع والعميد غانم هم أصحاب الاختصاص في لبنان وإن حدثت أي معوقات فلا مانع من مراجعة القيادة الأمنية والعسكرية في دمشق.

وبالفعل تم الاتفاق مع العميد محمد غانم على ترتيب اللقاء بينه وبين الأخ أبو الهول وجرى اللقاء في أحد المكاتب الفرعية لفرع الأمن والاستطلاع في لبنان على طريق بلدة "مكسي اللبنانية" على الطريق العام الواصل بين شتورة وبيروت.

جرى اللقاء بين الأخ أبو الهول يرافقه طارق أبو رجب وإسماعيل عنبه مع العميد "محمد غانم" في المكان المحدد، وفور دخول الأخوة أبو الهول وطارق أبو رجب وإسماعيل عنبه شاهدا المدعو "زكريا حمزة" المتهم بعملية اغتيال" أبو الوليد" حاضرا في مقر فرع الأمن والاستطلاع والذي أوجد حالة من التوتر وطلب من الأخ "إسماعيل عنبة السلام على المدعو "زكريا حمزة " وهو المسؤول العسكري الأول لحركة أمل في لبنان، فرفض ووجه كلامه إلى الأخ "العميد محمد غانم" من أحضر هذا المجرم عندك.

طلب "العميد غانم" والأخ "أبو الهول" من إسماعيل عنبة التريث قليلا لمعرفة سبب إحضار زكريا حمزة لهذا اللقاء عندها قال" زكريا حمزة" أمام الحضور بأن المقصود من الاغتيال كان" إسماعيل عنبه" وليس "أبو الوليد" .

أدت تلك المشاجرة إلى تعكير الجو بشكل كبير، وبعد ذلك طلب من "إسماعيل عنبة" الخروج من المكتب ليضبط أعصابه ثم يعود، وعندما عاد مرة أخرى عند انتهاء الاجتماع بين كل من العميد محمد غانم وأبو الهول لم يشاهد زكريا حمزة وأستغرب "إسماعيل عنبة" من عدم وجود "زكريا حمزة " وقال: "أين المجرم" قال كل من "العميد غانم" وأبو الهول" أسكت اتفقنا على تشكيل لجنة تحقيق مشتركة للتحري وتثبيت وقائع عملية "اغتيال أبو الوليد" تضم محققين من "حركة فتح" ومن وفرع الأمن والاستطلاع السوري في لبنان ومن حركة أمل وسوف نطلب جميع المتهمين التي تورد أسمائهم بعد عملية التحري عن الأسماء، سواء من حركة أمل أو غيرها، وهم على استعداد لإخضاع من يورد اسمه في القضية مهما كان موقعه في حركة أمل من أجل إنجاح مهمة اللجنة.



وحول ما قاله زكريا حمزة لإسماعيل عنبة قيل له لا عليك من هذا الكلام، قال الأخ إسماعيل عنبة ما هذا الكلام ألم يقل زكريا إنني المقصود بدل الشهيد أبو الوليد أمامكم قال العميد محمد غانم لقد أوضح لنا زكريا ما يقصد من وراء هذا الكلام ومن الآن أن لجنة التحقيق سوف تحدد الهدف والغاية من وراء عملية الاغتيال وربما كان هنالك عناصر مندسة لصالح جهة ما في حركة أمل أو غيرها ولذلك عليك عدم القيام بأي نشاطات تؤدي إلى إفشال عمل اللجنة بعدها نقر الإجراءات المطلوبة وانتهى هذا اللقاء حسب ما أشرنا إلية دون زيادة أو نقصان. وضمت اللجنة كل من:

١. اللواء غازي الجبالي– النائب العام.

٢. المقدم محمد غانم مسؤول امن منطقة البقاع(سوريا)وهو غير العميد محمد غانم ولكن الاسم يتطابق.

٣. الأخ صالح مصلح – مسؤول الأمن المركزي في منطقة البقاع.

٤. المقدم محمد يعقوب مصلح (أبو إسلام) – مسؤول الأمن العسكري في البقاع.

٥. شاكر شكر – مسؤول أمن حركة أمل في البقاع.

وتحدد موقع ومقر اللجنة على أن يكون في مكتب" المقدم محمد غانم" مسؤول "منطقة البقاع" مقرة في بلدة رياق" . وباشرت لجنة التحقيق عملها في إطار تحقيق شامل مع المشتبه فيهم وجرى توثيق الإفادات لدى كل طرف من أطراف اللجنة.

وأثناء الاجتماع تقدم الأخ صالح مصلح بكشف بأسماء من حركة أمل ثبت أنهم كانوا موجودين على الحاجز الذي أطلق النار على سيارة أبي الوليد. تسلم مندوب أمل الكشف بأسماء الأشخاص المطلوب حضورهم للاستجواب، والذين ثبت اشتراكهم في عملية الإغتيال وهم:

١. مهدي شرف– من بيت شاما.

٢. حسين شمص – من تمنين التحتا.

٣. نضال الديراني– من بلدة قصرنبا المحاذية لبلدة بدنايل.

٤. حسين طليس – مسؤول القاعدة التي انطلق منها الكمين.

عاد مندوب حركة أمل ليبلغنا بأن هذه الأسماء لا تستطيع الحضور إلى مقر اللجنة لأن بعضها موجود ب الجنوب وبعضها الآخر في بيروت، وذلك بسبب وجود القوات الإسرائيلية

على مفارق الطرق. غادر المتهم "زكريا حمزه" منطقة البقاع إلى مدينة بيروت ليلاً بعد اللقاء مباشرة في ظل وجود قوات الاحتلال الإسرائيلي على كل الطرق المؤدية إلى بيروت ولم يعد بعدها إلى البقاع، ولم يذكر مندوب أمل باللجنة كيف استطاع زكريا حمزه اختراق الحواجز ولم يستطع بقية المطلوبين أن يفعلوا كما فعل زكريا حمزة في الحضور.

على أثر فشل لجنة التحقيق الأولى التي اجتمعت في رياق في القيام بمهمتها، قررت القيادة السورية والفلسطينية تشكيل لجنة تحقيق عليا للتحقيق في جريمة الاغتيال مكونة من:

العميد مظهر فارس مسؤول فرع التحقيق في الأمن العسكري السوري، ممثلا للقيادة السورية.

العقيد غازي الجبالي، ممثلا لحركة فتح.

زكريا حمزة، المسؤول العسكري لحركة أمل، ممثلا لحركة أمل.

صالح مصلح، مسؤول أمن فتح في البقاع.

وقد اجتمعت اللجنة عدة اجتماعات وتوصلت إلى نتيجة مفادها علاقة حركة أمل ومسؤوليتها عن عملية الاغتيال باعتبار أن العملية تمت في منطقة نفوذها.

ولكن زكريا حمزة انسحب بعد ذلك وأقر الباقون هذه النتيجة وهي مسؤولية حركة أمل عن جريمة الاغتيال وحسب ما جاء في توصيات اللجنة الأولى.

ولنا أقوال أخرى..

في البداية يمكن القول ان هناك أخطاء طبية ساهمت بصورة رئيسية في استشهاد اللواء سعد صايل «أبو الوليد».. وأهمها:

تم اغتيال عضو اللجنة المركزية لحركة فتح القائد «سعد صايل» بتاريخ ٢٩ / ٩ / ١٩٨٢م بإطلاق النار على سيارته من كمين مسلح يقوده المدعو زكريا حمزه أحد قيادات حركة أمل وقد طرحت الكثير من التساؤلات: من فعل هذا.؟ ولماذا..؟ ولمصلحة من..؟ ولماذا سعد صايل..؟ وماذا كان يمثل بالنسبة لمن كانوا يقفون وراء الإغتيال..؟ هنا نتساءل، وهنا نكتب بعض ملاحظاتنا:

١. جميع التقارير والمعلومات المؤكدة التي كانت بحوزتنا كانت تقول أن هناك استهدافاً لبعض القيادات الفلسطينية، وتم تعميم هذه المعلومة على جميع قيادة "فتح" وقادة قطاعاتها وأجهزتها. بدليل أن أبو عمار أرسل أبو جهاد لإقناع أبي الوليد بأن يذهب معه إلى السعودية



لأداء فريضة الحج، والقصد كان من ذلك اكتساب فريضة الحج بالإضافة إلى تغييبه عن الساحة لفترة زمنية، وحين أصر أبو الوليد من خلال حديثه مع أبي جهاد بأنه لا يجوز أن يمر عيد الأضحى دون المعايدة على القوات، حيث كان قد وعدهم بذلك، واقترح على أبو جهاد أن يذهب بدلا منه لمرافقة أبو عمار إلى السعودية، بعد أن فشل أبو جهاد في إقناعه بالسفر طلب منه راجياً عدم ذهابه إلى البقاع أيام العيد، ولكن أبو الوليد لم يقدم وعد بذلك، وحصل أن سافر أبو جهاد إلى السعودية، وذهب أبو الوليد إلى البقاع.. أيعقل أن تكون كل هذه المعلومات بحوزتنا ولم نوفر للشهيد أبي الوليد سيارة مصفحة ليتنقل بها، على الأقل بفترة ذهابه إلى البقاع أيام العيد... أنا متأكد لو حصرنا السيارات المصفحة لوجدنا أكثر من سيارة كانت موجودة بالشام.

٢. بعد وصول اللواء لمقر أبو هاجم أصر هو وجميع الضباط بأن يتناول وجبة الغداء بطرفهم، وبناءً على رغبتهم تم تناوله الغداء الذي لم يكن مقررا وجاء الغداء متأخرا ساعة، حتى أن الشهيد غادر متأخرا من طرف أبو هاجم حيث بدأ الليل بالزحف.. التقاليد المتبعة في حركتنا أنه حينما يحضر الضيف نقوم بمرافقته حتى تأمين الطريق له ومن باب اللياقة أن تصطحبه عدة سيارات.

٣. كانت الإشاعات والأحاديث تملأ أجهزتنا ومقراتنا وقطاعاتنا في أن هناك عمليات إغتيال ستحصل في الأيام القادمة، والكل أخذ حذره، أيعقل أن يغادر الشهيد بسياراته الثلاث دون إرسال سيارات استطلاع للطريق الذي سيسلكه أو ترافقه على الأقل لمسافة قصيرة.

٤. لم تكمل التحقيقات بسبب مغادرة المتهم زكريا حمزه " المسؤول العسكري الأول لحركة أمل في لبنان وتهرب مسؤول أمن حركة أمل في البقاع من إحضار بعض الأشخاص المشتبه بهم.

٥. من خلال اطلاعنا على مجريات الأمور: اتضح لنا أن إغتيال الشهيد سعد صايل كان مصلحة إسرائيلية، أمريكية، سورية:

أولاً: إسرائيلياً وأمريكياً:

اللواء سعد صايل «أبو الوليد» انتقل من بيروت إلى منطقة البقاع واستطاع خلال فترة زمنية وجيزة إعادة تنظيم قوات حركة «فتح»، وانتقل إلى مرحلة الاشتباك مع العدو، وكان هو والشهيد أبو جهاد يقومان بعمل دؤوب في عمليات خلف خطوط العدو التي تمتد من الجنوب اللبناني من صيدا وصور وكانت هذه العمليات قد أنزلت خسائر كبيرة في قوات العدو، وكانت الجهة الأكثر سخونة عمليات الجبل وهنا تكاتفت جميع قوات وأجهزة الحركة في مقاومة

الاحتلال، في بيروت كانت الحركة الوطنية بالتنسيق مع فتح تخوض معارك أخرى، ولذلك فإن إسرائيل وضعت أبا الوليد على رأس قائمة الاغتيالات التي أعدتها لاغتيال القادة الفلسطينيين واللبنانيين من الحركة الوطنية، وهنا نؤكد على مصلحة إسرائيل بالدرجة الأولى في إغتيال القائد أبو الوليد.

وبينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية الراعي والضامن لاتفاقية وقف إطلاق النار ما بين م.ت.ف وإسرائيل كان من ضمن اتفاقية فيليب حبيب عدم وجود أي من أفراد المقاومة الفلسطينية على الساحة اللبنانية باستثناء الفلسطينيين الذين يحملون بطاقات إعاشة. ولذلك فإنها اعتبرت أن تواجد اللواء سعد صايل "أبو الوليد" على الأراضي اللبنانية وتحركاته لإعادة تشكيل قوات منظمة التحرير الفلسطينية يعتبر مخالفة واضحة وخطيرة للاتفاق الذي وقع مع قيادة م.ت.ف لهذا كان الهدف الإسرائيلي والهدف الأمريكي متقاربين في اغتيال أبو الوليد وغير بعيدين عن الهدف السوري وزكريا ظل حتى أخر عمره يتلقى الأوامر من دمشق حتى عندما انضم إلى أمل الإسلامية (الإيرانية) ثم عاد إلى حركة أمل.

ثانياً: سوريا:

لقد كان واضحاً منذ زمن بعيد الخلاف بين حافظ الأسد وأبو عمار، وعلى الدوام كانت سوريا لا تخفي أن تكون الورقة الفلسطينية ضمن أجندتها، وأبو عمار كان يعتبر كفاحه بالدرجة الأولى يتمثل في القرار المستقل، بعد خروجنا من لبنان عام ١٩٨٢م كان هناك التزام سوري باتفاقية فيليب حبيب، وإلا لما سمحت أمريكا وإسرائيل ببقاء القوات السورية بالبقاع، وجود سعد صايل على رأس قوات م.ت.ف في البقاع ما هو إلا مؤشر لإعادة حركة «فتح» للخارطة السياسية وطبعا كان سعد صايل يمثل عرفات قلباً وقالبا.. ولا تخفي سوريا ومن خلال حديث المنشق عبد الحليم خدام أنها هي التي ساعدت ودعمت الانشقاق، إذا كانت سوريا تعد للانشقاق في صفوف فتح، وهذا الشيء لا تستطيع فعله بوجود القائد القوي سعد صايل.. إذ لا بد من إزاحته حتى يتسنى لها ذلك..

من خلال متابعتنا لمجريات الأمور وما توصلنا إليه من خلال تحقيقاتنا الخاصة: بأن تغيب القائد الشهيد سعد صايل عن الساحة كان مصلحة سورية نفذتها أدواتهم وأجهزتهم لتسهيل الوصول إلى الانشقاق والتخلص من ياسر عرفات أو إضعافه على الأقل، وبالتالي الاحتواء الكامل للجسم الفلسطيني مقاومة ومنظمة، وفي النهاية الورقة الفلسطينية. وبهدف التضليل



في سياق التهيئة المخططة في بداية ليل حالك السواد للقادم من الأيام، واختصار للشر أحيلت المسؤولية عما حدث لحركة أمل، وكأنها كانت بعيدة عن النظام السوري، علماً أن كمين حركة أمل الذي أطلق النار على سيارة الشهيد كان بين حاجزين للقوات السورية والحاجز الأول السوري يبعد أقل من كيلو متر واحد عن الكمين.

ثالثاً: حركة أمل:

لا أستطيع التحدث مطولا عن حركة أمل، بل إنني أعتبرها فصيل من فصائل النظام السوري بعدما تأسست في حضن حركة فتح ومع موسى الصدر الذي تم تغييبه وقتله مع كمال جنبلاط ليستفرد السوريون بحركة امل ويضعوها في وجه المقاومة وحركة فتح خصوصا وكان نفس الهدف من قتل جنبلاط بالنسبة للدروز لولا أن وليد جنبلاط كان صلبا وأكثر قدرة على التحايل عليهم من حسين الحسيني ثم نبيه بري، وأقرّ أنها صارت أقرب إلى النظام السوري من الصاعقة، وسوف نتحدث عن أدوارها لاحقا، كما أوعز لها السوريين بحرب المخيمات، أضف إلى ذلك في تلك الفترة كانت منقسمة لعدة أجنحة بين صفوفها وأحد تلك الأجنحة كان يقودها المدعو (عقل حمية) المعروف في منطقة الجنوب اللبناني وله امتداد في منطقة البقاع وبعلبك.

تدعي حركة أمل أنها حينما وضعت الكمين الذي استهدف الشهيد أبو الوليد حصل خطأ حيث أنها كانت تستهدف إسماعيل عنبه بإطلاق النار وليس أبو الوليد.. وهنا نتساءل أيعقل أن تقوم جهة ما باغتيال شخص دون التأكد من شخصية المستهدف وكان الوقت كاف لحركة أمل من خلال عملية رصد وقوف سيارة المرسيدس التي كانت تقف بجانبها سيارة (أمل) للمراقبة وتحركت فورا عندما تحرك الموكب. كما كانت سيارة أبو المعتصم G.M.C ضمن الثلاث سيارات التي وقع عليها إطلاق النار، ولم يسبق أن استعار عنبه أي سيارة. كما خروج الموكب من القاطع الشرقي "أبو هاجم" معروف أن القادم هو أبو الوليد وليس إسماعيل عنبه: لأن إسماعيل عنبه لم تكن له العادة أن يذهب للمعايدة على القوات.

وأفادت مصادر جماعة صبري البنا (أبو نضال) في بداية حرب المخيمات وعلى ضوء تبادل التصفيات بين أمل وصبري البنا في الساحة اللبنانية، ومن خلال التحقيقات التي حصلت مع الأسرى من جماعة أمل الذين كانوا موقوفين لدى جماعة البنا تبين لهم أن التالية أسماءهم كان لهم دور رئيس في اغتيال الشهيد أبو الوليد وهم[٢٦]:

---

٢٦ المصدر: منصور حمدان (أبو نادر) نائب أبو نضال.

١. زكريا حمزه "أبو يحيى" المسؤول العسكري الأول لحركة أمل في لبنان.

٢. شاكر شكر – مسؤول أمن منطقة البقاع لحركة أمل.

٣. حسين طليس المسؤول العسكري لبلدة بريتال – شرق بعلبك.

٤. محمود أبو حمدان –نائب ووزير لاحقا، مسؤول تنظيم وأمن أمل في ثعلبايا وحزرتا– يقطن في ظهور ثعلبايا.

وللحديث بقية...

المقدم محمد يعقوب مصلح (أبو إسلام) مندوب جهاز الاستخبارات العسكرية وعضو لجنة التحقيق غادر إلى بلد عربي وبحوزته كل الوثائق والإفادات دون علم أو استئذان القيادة مما عرقل عمل التحقيقات وأدى إلى فقدان نتائج التحقيق، ومن الجدير بالذكر فقد قمت بالبحث في جميع أجهزتنا الأمنية والقضائية لم أجد أو لم يدلني أحد على أي ورقة معلومات عن استشهاد أبو الوليد. وإذا قلنا أن أبو إسلام هرب بمحضر التحقيق لأسباب لم نعرفها، وهل تسقط هذه الجرائم بالتقادم..؟ ويصبح لا قيمة لطرح قضايا مرّ عليها ثلاثون عاما من الزمن.. نحن لا نريد مشاهدة فيلم وثائقي قديم عنوانه استشهاد الجنرال سعد صايل بل نريد الحقيقة.

التحقيق في هذه القضية بالذات لا يمكن له أن يغلق بل أنه على الأرجح سيبقى مفتوحاً كالجرح النازف في الصدور إلى أن يعاقب القتلة على جريمتهم.. أو تعاقب بعض الأنفس على التقصير، وإذا كان من الصعب الاختيار بين واحد من هذين الاحتمالين، فإن الأصعب منهما معا هو أن يجرؤ أحد على متابعة التحقيق نفسه في هذه القضية الخطيرة والشائكة، نظرا لطابعها السياسي المعقد، وفي ظروف تكاد تجمع فيها أطراف عديدة على ضرورة إغلاق ملفات هذا التحقيق.. وليس إعادة فتحه ويزداد الأمر صعوبة نظرا للتشابك والتداخل ما بين الجانب الأمني والجانب السياسي لقضية اغتيال القائد "سعد صايل" واستحالة الفصل ما بين الجانبين في أي محاولة جديدة للتوصل إلى نتائج، أو على الأقل لإبقاء التحقيق حيا ومفتوحا حين ندقق ونبحث عن كشف اغتيال أبو الوليد يجب بنفس البحث والجهد أن نقوم به للبحث عن اغتيال القائد الرمز أبو عمار.

خريطة لبنان والبقاع الغربي

- موقع اغتيال الشهيد ابو الوليد
- الفرزل اول مركز اسعاف للشهيد
- برإلياس ثاني مركز اسعاف للشهيد
- مستشفى المواساة اخر اسعاف
- الطرق الرئيسية الدولية
- الطرق الفرعية المعبدة
- المدن والبلدات الرئيسية
- القرى الرئيسية
- الحدود الدولية
- الانهار والوديان
- السكة الحديدية

مسطرة القياس بالكيلومتر

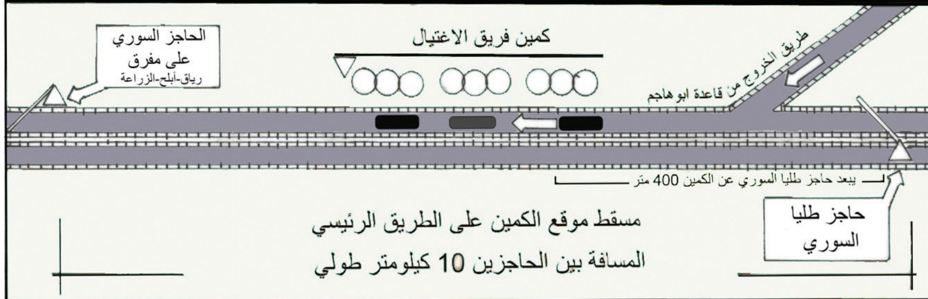
0 2 4 6 8 10 12 14 16

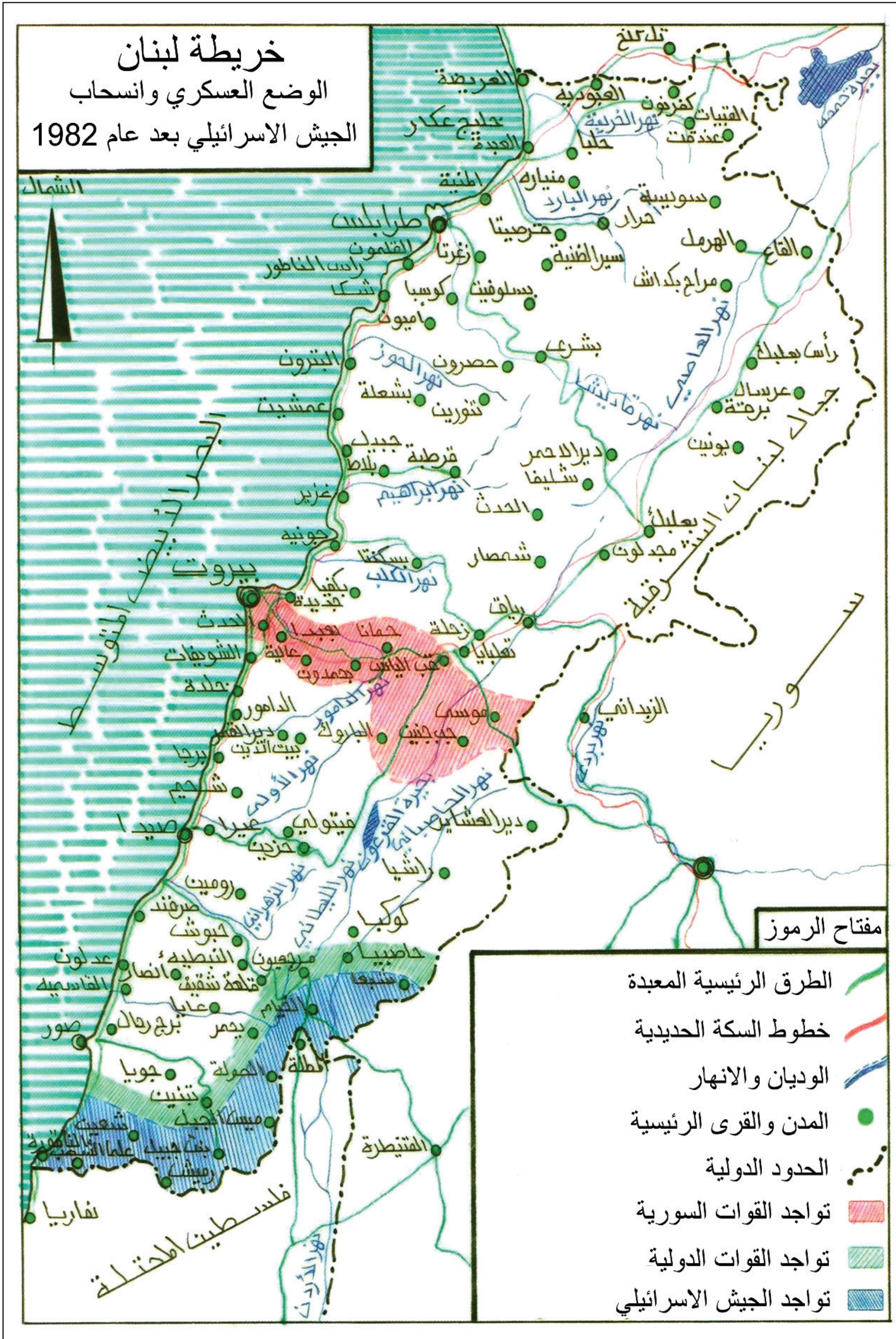
بعلبك
مجد لون
مخيم يوفل
دروس
مخيم الضليل
الشمال
مزرعة بيت صليبي
البقاع الغربي
نبي سباط
طاليا
بريتال
بيت شامة
بدنايل
سفري
كمين الاغتيال
مصنع بدنايل
الفرزل
لبنان
علي النهري
رياق
برالياس
سرغايا
البقاع الشرقي
تربل
عنجر
الزبداني
بلودان
مضايا
سوريا
جديدة يابوس
وادي القرن
دير قانون
عين الفيجة
الديماس
القابون
مزرعة دير العشاير
أشرفية الوادي
مدينة دمشق
مستشفى المواساة
صبورا

مخطط الطريق الرئيسي في البقاع الغربي اللبناني

عملية اغتيال الشهيد سعد صايل ابو الوليد 29 ايلول 1982

الشمال




خريطة لبنان
الوضع العسكري وانسحاب
الجيش الاسرائيلي بعد عام 1982
الشمال
البحر الأبيض المتوسط
سوريا
جبال لبنان الشرقية
فلسطين المحتلة
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
بعلبك
زحلة
مفتاح الرموز
الطرق الرئيسية المعبدة
خطوط السكة الحديدية
الوديان والانهار
المدن والقرى الرئيسية
الحدود الدولية
تواجد القوات السورية
تواجد القوات الدولية
تواجد الجيش الاسرائيلي

إسقاط الاتفاق اللبناني الإسرائيلي:

في يوم توقيع الاتفاق اللبناني – الإسرائيلي يوم ١٧ / ٥ / ١٩٨٣م أعلن الرئيس الأسد رفض سوريا لمشروع الاتفاق كونه ينتهك استقلال لبنان ويحوله إلى محمية إسرائيلية في حين أعلنت منطقة البقاع «الحداد الوطني» كما أعلن الإضراب العام بدعوة من الحركة الوطنية اللبنانية وبعض علماء المسلمين ولجنة المتابعة للمؤتمر الوطني والشعبي الذي يضم القوى السياسية والهيئات الشعبية، وفي الضاحية الجنوبية أقيم اعتصام في جامع الإمام الرضا بمنطقة بئر العبد قاده السيد محمد حسين فضل الله والشيخ زهير كنج، في حين بدأت بعد ذلك بشهرين تقريبا (حرب التفجيرات) بمحاولة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان يوم ٧ / ٧ / ١٩٨٣م بتفجير عبوة عن بعد بسيارته بالقرب من القصر الجمهوري.

وفي غمرة حرب التفجيرات وتحديدا يوم ٩ / ٩ / ١٩٨٣م شن مقاتلو الحزب التقدمي اللبناني هجوما احتلوا بموجبه جميع مواقع القوى اللبنانية في منطقتي عاليه والشوف، مما هدد بعودة الحرب الأهلية اللبنانية، حيث تدخلت السعودية وكلفت الأمير بندر بن سلطان[٢٧] ورفيق الحريري القيام بوساطة مع سوريا انتهت بإعلان وقف إطلاق النار من دمشق يوم ١٢ / ٩ / ١٩٨٣م وتبع ذلك إعلان سعودي – سوري من دمشق يوم ٢٥ / ٩ / ١٩٨٣م أنه تم الاتفاق على إنهاء الحرب ووقف إطلاق النار في لبنان والدعوة إلى حوار وطني لبناني الذي اتفق فيما بعد أن ينعقد في جنيف.

وفي ٢٣ / ١٠ / ١٩٨٣م تم تنفيذ عمليتي تفجير استهدفتا مقر قيادة قوات المارينز في مديرية الطيران المدني، ومقرا للوحدة الفرنسية في بئر حسن ونتج عنهما مصرع (مائتين وواحد وأربعين أمريكياً)، وجرح أكثر من مائة ومصرع (أربعة وسبعين فرنسياً) وجرح أكثر من ستين آخرين.

---

٢٧ خلال الحرب العراقية الإيرانية كانت سورية تقف إلى جانب إيران، الأمر الذي دفع الملك فهد لمعاتبة الرئيس الأسد متسائلا كيف تقف دولة عربية إلى جانب دولة فارسية تحارب دولة عربية (يقصد العراق)، فرد عليه الرئيس الأسد: وكيف أنتم تتفرجون على قواتي وأنا غارق في لبنان دون أن تحركوا ساكنا، وكان ذلك سببا في تكليف السعودية لرفيق الحريري لمساعدة سورية في لبنان وصولا إلى اتفاق الطائف.



وفي ٣١ / ١٠ / ١٩٨٣م افتتح مؤتمر الحوار الوطني أعماله في فندق "انتركونتيننتال" في جنيف بمشاركة الرئيس أمين الجميل والوفد الحكومي الرسمي الذي ضم المدير العام لرئاسة الجمهورية القاضي جوزيف جريصاتي ومستشار الجميل للشؤون الوطنية الدكتور وديع حداد ومستشار رئيس الجمهورية محمد شقير، والسفير لطيف أبو الحسن والدكتور حافظ قبيسي والسفير في وزارة الخارجية اليزيه العلم، وحضره عن جبهة الخلاص الوطني الرئيس سليمان فرنجية ومعه النائب الدكتور عبد الله الراسي ورامز خازن وكذلك الرئيس رشيد كرامي ومعه الدكتور عمر مسبكه ومحمد المملوك ووليد جنبلاط، ومعه مروان حماده وخالد جنبلاط وعبد الله الأمين، والرئيس عادل عسيران ومعه ابنه علي عسيران وعادل قانصوه، والرئيس صائب سلام ومعه النائب جميل كبي ومحمد المشنوق ورئيس حركة أمل نبيه بري ومعه المحامي هيثم جمعه والدكتور محمد بيضون.

أما عن الجبهة اللبنانية فقد حضر كميل شمعون والنائب ميشال ساسين والمهندس مارون حلو، وبيير الجميل والنائب جورج سعادة وجوزيف أبو خليل والفرد ماضي وكان الوفدان المراقبان هما الوفد السعودي ويضم وزير الدولة محمد إبراهيم مسعود، وسفير السعودية أحمد الكحيمي ورفيق الحريري، والوفد السوري ويمثله عبد الحليم خدام وانعقد المؤتمر برئاسة الرئيس السويسري بيار اوتير، وبعد سبع جلسات انتهت المرحلة الأولى بتاريخ ٤ / ١١ / ١٩٨٣م وصدر بيان يعلن هوية لبنان العربية والتزام ميثاق الجامعة العربية، وتكليف الرئيس أمين الجميل القيام بالإجراءات والاتصالات الدولية من أجل إنهاء الاحتلال الإسرائيلي وتأمين سيادة لبنان بكامله.

بتاريخ ١١ / ١١ / ١٩٨٣م تم اتصال هاتفي بين الرئيسين أمين الجميل والرئيس حافظ الأسد وتم الاتفاق على عقد لقاء بينهما لكنه استبدل بقيام نائب رئيس الجمهورية ووزير الخارجية عبد الحليم خدام بزيارة بيروت بدلا عن مقابلة الرئيس الأسد بسبب الوعكة الصحية التي ألمت به آنذاك، فوصلها يوم ١٦ / ١١ / ١٩٨٣م حيث عرض وجهة النظر السورية بوجوب إلغاء اتفاق (١٧ أيار)، وفي يوم ٢٣ / ١١ / ١٩٨٣م وصل إلى بيروت المبعوث الأمريكي الجديد دونالد رامسفيلد في إطار مهمته الجديدة واجتمع إلى الرئيس أمين الجميل ناقلا إليه وجهة نظر الإدارة الأمريكية باعتبار اتفاق (١٧ أيار) مجمدا، وفي يوم ١٣ / ١ / ١٩٨٤ استقبل الرئيس حافظ الأسد رامسفيلد وأبلغه بضرورة إلغاء اتفاق (١٧ أيار) وليس تجميده وإن القوات السورية ستكون آخر من يغادر لبنان.

بعد انتفاضة ٦ / ٢ / ١٩٨٤ وسيطرة حركة أمل والحزب التقدمي الاشتراكي على بيروت الغربية[٢٨] واستقالة الحكومة وقرار أمريكا وبريطانيا وإيطاليا سحب قواتهم من لبنان، أصبح وضع الرئيس أمين الجميل سيئا لا سيما بعد سقوط منطقة (الشحار الغربي) في أيدي الحزب التقدمي وسيطرة حركة أمل على الدامور والمشرق والناعمة وخلده ومطالبة وليد جنبلاط ونبيه بري باستقالة رئيس الجمهورية، وفي يوم ٢٩ / ٢ / ١٩٨٤م انعقدت القمة السورية – اللبنانية بين الرئيسين الأسد والجميل، حيث تم الاتفاق على ضرورة إلغاء اتفاق (١٧ أيار)، وبموجب ذلك انعقدت الجولة الثانية من جلسات مؤتمر الحوار الوطني اللبناني بمدينة لوزان السويسرية بتاريخ ١٢ / ٣ / ١٩٨٤ بفندق "بوريفاج" واختتم المؤتمر أعماله ببيان يوم ٢٠ / ٣ / ١٩٨٤م يؤكد على وقف إطلاق النار وتشكيل هيئة تأسيسية لوضع دستور لبناني جديد.

الجاسوس الايراني علي رضا اصغري كنز المعلومات الاسرائيلي:



شهدت تلك المرحلة تحركات إيرانية قوية على الساحة اللبنانية في محاولة للبحث عن دور يمكنها من تمرير استراتيجية تصدير الثورة الإسلامية إلى خارج حدود الدولة الإيرانية معتمدة في ذلك على السكان الشيعة في لبنان والكثير من السنة والذين أصبحوا قوة لا يستهان بها بفضل منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح بصورة خاصة لهم على عدة أصعدة. ونجحت ايران في الاستفادة من قوات الحرس الثوري الذين تم إرسالهم إلى لبنان في تلك الفترة بحجة المشاركة في مواجهة الاجتياح الإسرائيلي للأراضي اللبنانية عام ١٩٨٢م. وبالفعل فقد شهدت تلك المرحلة موجة من العمليات العسكرية التي كان للكثير منها الفضل في خلق الأرضية المناسبة التي عززت المقاومة في وجه الاحتلال الإسرائيلي وأفشلت مخططاته، وكان المقاتلون الأوائل

---

٢٨ انتفاضة ١٩٨٤/٢/٦م– تسارعت الأحداث في بيروت اعتباراً من يوم ١٩٨٤/٢/١ الذي شهد اشتباكات عنيفة بالقذائف المدفعية والصاروخية والقصف العشوائي لإحياء الضاحية الجنوبية، وفي يوم ١٩٨٤/٢/٢م بدأت عملية اقتحامات متبادلة بين الجيش اللبناني وحركة أمل، تطور يوم ١٩٨٤/٢/٤ م إلى قصف تدميري مركز للأحياء السكنية في الشياح وبئر العبد وصفير وحي ماضي وحارة حريك والغبيري وسقوط قذائف ثقيلة على أحياء مارون مسك/ المصبغة، أسعد الأسعد، عبد الكريم الخليل، المشيرفة في الشياح وتصعيد الرمايات بمختلف أنواع الأسلحة على جميع محاور الضاحية، وفي هذا اليوم عقد رئيس حركة أمل نبيه بري مؤتمرا صحفيا طالب فيه باستقالة جميع الوزراء المسلمين والوطنيين وبموجبه قدم رئيس الوزراء استقالة حكومته التي قبلها الرئيس اللبناني أمين الجميل يوم ١٩٨٤/٢/٥م، وفي يوم ١٩٨٢/٢/٦م تصاعد التدهور الأمني في الضاحية الجنوبية وامتداده إلى المنطقة الغربية من بيروت وسيطر مقاتلو حركة أمل وحلفائها على كل المواقع والثكنات والمراكز العسكرية بعد معارك ضارية.



والذين احتوتهم ايران مناضلون من امل تربوا في قواعد فتح خاصة مع الكتيبة الطلابية وعدد من الفتحاويين الجنوبيين.

إلا أنه وفي المقابل فقد شهدت تلك المرحلة عمليات وضع ولها علامات استفهام حول الجهات المستفيدة منها وخاصة تلك التي تتعلق بتفجير مقر السفارة الأمريكية في بيروت والتي قتل فيها العديد من كبار ضباط المخابرات المركزية الأمريكية (CIA).

وتوفرت لدينا معلومات عن اختراقات إسرائيلية لوحدات الحرس الثوري الإيراني، ممثلة في الجنرال علي رضا أصغري الذي كان يتولى قيادة قوات الحرس الثوري الإيراني في لبنان في تلك الفترة، لتنفيذ عمليات استهدفت النشاط الاستخباري الأمريكي في المنطقة، بصورة عامة، وبعض ضباط المخابرات الأمريكية بصورة خاصة الذين كانوا مسؤولين عن إعادة صياغة سياسات الولايات المتحدة في المنطقة بما ينهي الانفراد الإسرائيلي في الاستحواذ على موقع الشراكة الاستراتيجية والمعلوماتية مع الولايات المتحدة في المنطقة. وهو الهدف الذي سعت إسرائيل لتحقيقه قبل ذلك بسنوات من خلال إغتيال الشهيد أبو حسن سلامة. وسنحاول من خلال الاستعراض التالي تقديم كافة المعلومات التي توافرت لدينا عن نشاطات الجاسوس الإيراني على أصغري الذي كان يعتبر بمثابة كنز استخباري لإسرائيل.

مولده ونشأته:

ولد علي رضا أصغري في بلدة (اردشتان) بمحافظة أصفهان عام ١٩٤٤م، وعندما بلغ العشرين من عمره التحق بالخدمة العسكرية في الجيش الإيراني، وفي عام ١٩٧٣ أحيل إلى الخدمة في جهاز استخبارات شاه ايران (السافاك) وشارك بدورات أمنية في إسرائيل، وظل يعمل في السافاك حتى عام ١٩٧٩ م حيث سقط نظام الشاه. وبعد أن سيطرت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني على الحكم في إيران، أعلن ولاءه للجمهورية الإسلامية مع العديد من ضباط السافاك السابقين الذين لم يهربوا من إيران، ثم التحق للخدمة في حرس الثورة الإيراني.

قرر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران خلال الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م، إرسال قوات إيرانية للمشاركة في التصدي للغزو، وبعد أن حطت الطائرة الإيرانية الخامسة في دمشق التي نقلت وحدات من الحرس الثوري وقوات الباسيج ولواء ذو الفقار الخاص (الخالدون في عهد الشاه) تراجع الإمام الخميني عن إرسال المزيد من القوات[٢٩] مبررا تراجعه

٢٩ علي أكبر محتشمي بور سفير إيران السابق لدى سوريا للفترة من ١٩٨٢ – ١٩٨٥ م في حديث لصحيفة (شرق الإيرانية) بتاريخ ٢٠٠٨/٨/٣م.

بأن القوات المرسلة إلى لبنان وسوريا لا بد أن يكون لها دعم لوجيستي كبير، وأن المشكلة هي أن طرق الإسناد والدعم تمر عبر العراق وتركيا، والأول في حرب شرسة مع إيران والثاني عضو في حلف الناتو ومتحالف مع أمريكا وأن الطريق الوحيد هو تدريب الشبان الشيعة هناك.

وبموجب قرار الخميني تم إرسال قوات من الحرس الثوري إلى لبنان لتدريب الشبان الشيعة، حيث يقول علي أكبر محتشمي السفير الإيراني لدى سوريا حينذاك فإن العديد من الشباب تلقوا تدريبات قتالية منذ أن أسهم حرس الثورة في تأسيس حزب الله اللبناني بالتزام مجموعة من داخل حركة أمل[٣٠] وخلال تلك الفترة كان علي رضا أصغري نائبا لقائد حرس الثورة في لبنان الحاج أحمد متوسليان والذي كان يعمل تحت غطاء دبلوماسي بصفته الملحق العسكري في السفارة الإيرانية ببيروت.

وحينما كان القصف الجوي والبري والبحري الإسرائيلي على أشده ضد القوات الفلسطينية والمشتركة في بيروت خلال عملية الغزو الإسرائيلي للبنان أرسلت إيران وفدا أمنيا إلى بيروت فاستقبله في دمشق قائد حرس الثورة في لبنان الحاج أحمد متوسليان إلا أن الوفد الذي كان يضم، إضافة إلى الحاج أحمد متوسليان، كل من محسن موسوي القائم بأعمال السفارة الإيرانية في بيروت وكاظم اخوان مصور وكالة أنباء أرنا الإيرانية وتقي رستكار سائق الوفد تعرض للاختطاف يوم ٤ /٧ /١٩٨٢م على حاجز للقوات اللبنانية الكتائبية في موقع تفتيش بمنطقة "بربارة" شمال بيروت، والتي كانت محاصرة من قبل قوات العدو الإسرائيلي وطبقا لتصريحات المسؤول الكتائبي آنذاك سمير جعجع[٣١] في اتصال هاتفي معه

---

٣٠ المصدر نفسه حديث لصحيفة (شرق الإيرانية) بتاريخ ٢٠٠٨/٨/٣م.

٣١ سمير جعجع (١٩٥٢/١٠/٢٥) سياسي لبناني يعتبر أحد أبرز المشاركين في الحرب الاهلية اللبنانية، يلقب بالحكيم أي الطبيب في اللهجة اللبنانية لدراسته الطب على الرغم من أنه لم يكملها بسبب اندلاع الحرب، هو رئيس الهيئة التنفيذية لحزب القوات اللبنانية إحدى الميليشيات السابقة التي لعبت دورا مهما في الحرب وتحولت الآن الى حزب سياسي، اعماله اثناء الحرب الاهلية: بعد دخول الجيش السوري ومعارك تل الزعتر على يد الميليشيات المسيحية، عاد الى دراسته في الجامعة، لكنه تركها قبل تخرجه بشهور اثر تجدد القتال وطلب بشير الجميل الحاقه في القوات اللبنانية المشكلة حديثا آنذك، وفي تلك المعارك اصيب اصابة خطيرة نقل على اثرها الى فرنسا للعلاج، كما أنه قاد المجموعة التي ارسلها بشير الجميل الى اهدن لمحاربة النائب طوني فرنجية زعيم مليشيا المرده ضمن خطته لتوحيد البندقية المسيحية، وبعد تنامي سيطرته وقيامه بانتقاد الزعامات المسيحية التي وصفها بالتقليدية تم طرده من حزب الكتائب فقام بانتفاضة على رئيس مليشيا القوات اللبنانية آنذاك فؤاد ابو ناضر مع كريم بقرادوني وايلي حبيقه وذلك عام ١٩٨٥، حيث صار ايلي حبيقه القائد العام لمليشيا القوات اللبنانية قبل ان يطيح به في ١٩٨٦ ويستلم القيادة مكانه بعد توقيع حبيقه على الاتفاق الثلاثي مع نبيه بري رئيس حركة امل ووليد جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي برعاية سورية، كما خاض حربا شرسة ضد الجيش اللبناني بقيادة العميد ميشال عون سميت بحرب الالغاء، وبعد اتفاق الطائف وجب على القوات ان تصبح حزبا سياسيا كما بقية المليشيات المتصارعة، وفي عام ١٩٩٤ سجن بسبب اتهامه بتفجير كنيسة سيدة النجاة في كسروان وقد حصل على براءته منها، وحوكم بتهمة اغتيال رئيس الحكومة الاسبق رشيد كرامي ورئيس حزب الوطنيين الاحرار داني شمعون، كما اتهم باغتيال النائب طوني فرنجية ابن الرئيس سليمان فرنجية وعائلته في اهدن وهو ما سمي لاحقا بمجزرة اهدن وحكمت المحكمة عليه بالإعدام وتم تخفيف الحكم من قبل رئيس الجمهورية الياس الهرواي الى السجن مدى الحياة، وكذلك حكم بحل القوات اللبنانية، اطلق سراحه عبر عفو نيابي خاص من قبل المجلس الجديد الذي انبثق بعد خروج الجيش السوري من لبنان عام ٢٠٠٥ ليعود الى نشاطه السياسي وهو يعد من أبرز قادة تحالف ١٤ آذار مع وليد جنبلاط وسعد الحريري، متزوج من ستريدا طوق وليس لهم اولاد.



يوم ٢٠ / ١١ / ١٩٩٠م فقد قال أن الدبلوماسيين الإيرانيين قد تم إعدامهم في هيئة الأركان العامة لقوات الكتائب في منطقة "الكرنتينا" وتم نقل أجسادهم إلى خربة تقع خلف مبنى الأركان العامة وتمت تسوية قبورهم بالأرض[٣٢] وبعد مقتل قائد حرس الثورة الإيراني في لبنان الحاج أحمد متوسليان، وبناءً على ترشيح من قيادة حرس الثورة في إيران، تولى الجنرال علي رضا أصغري قيادة حرس الثورة الإيراني في لبنان.

العلاقة بين أصغري وعماد مغنيه:


علي رضا أصغري

ولد القائد العسكري في حزب الله اللبناني عماد فايز مغنيه في قرية (طير دبا) بجنوب لبنان عام ١٩٦٢م ثم انتقلت أسرته إلى بيروت لتعيش في منطقة الضاحية الجنوبية بالقرب من المخيمات الفلسطينية، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية التحق بقوات ال١٧ في حركة فتح، حيث تلقى دورات عسكرية وأمنية متعددة، وشارك خلال الغزو الإسرائيلي للبنان في القتال ضد القوات الإسرائيلية، وعندما تقرر رحيل قوات منظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت أواخر شهر (٨ / ١٩٨٢) بصفته لبناني الجنسية ليبقى في بيروت مع المقاتلين في قوات الثورة الفلسطينية ممن يحملون الجنسية اللبنانية التزاما بالاتفاق مع فيليب حبيب المبعوث الأمريكي للبنان الذي ينص على عدم ترحيل حملة الجنسية اللبنانية مع القوات الفلسطينية، وعين عماد مغنية في حراسة السيد محمد حسين فضل الله.

وبينما كان الجنرال علي رضا أصغري يتردد على السفارة الإيرانية في دمشق لحضور الاجتماعات الأمنية لحرس الثورة الإيراني، كان عماد مغنيه ضمن عناصر حزب الله الحاضرين بهدف التنسيق، فأثار اهتمام الجنرال أصغري فاستقطبه ضمن الحرس الثوري الإيراني في لبنان، وجند له عدداً من كوادر الحرس من أصول عراقية وتم تكليف هؤلاء للعمل في جهاز العمليات لحزب الدعوة العراقي، وبموجب هذه المهمة انتقل عماد مغنيه إلى معسكرات البقاع

---

٣٢ وكالة أنباء الجمهورية الإيرانية (أرنا) ومركز مهر للأنباء بتاريخ ٢٠٠٨/٧/٦م.

التابعة للحرس الثوري، وبدأ يخطط وينفذ عمليات خطف وتفجير ضد السفارة والمصالح الأمريكية والعديد من العمليات ضد عدد من الأهداف الحيوية في عدد من الدول العربية كما حدث باختطاف طائرة الجابرية الكويتية بشهر ٤ / ١٩٨٨م وبعد مرور ستة عشر يوما منها ثلاثة أيام في مطار مشهد في إيران وخمسة أيام في لارنكا-قبرص وثمانية في مطار هواري في الجزائر وتم إنزال الطائرة في الجزائر بعد أن قتل اثنين من ركابها ورميهم من شباك الكبينة[٣٣].

هكذا نسفت السفارة الأمريكية في بيروت:

لم يعد خافيا على أحد، أو سرا من الأسرار أن الحرس الثوري الإيراني أثناء قيادة الجنرال أصغري كان مسؤولا عن تفجير مقر السفارة الأمريكية في بيروت يوم الاثنين الموافق ١٨ / ٤ / ١٩٨٣م حيث قتل ثلاثة وستون شخصاً هم (٣٢ لبنانياً) و (١٧ أمريكياً) و (١٤ من الزوار للسفارة) ومن بين القتلى الأمريكيين سبعة يعملون لحساب وكالة الاستخبارات المركزية على رأسهم (كن هاس) رئيس محطة بيروت، و(بوب ايمز) كبير المحللين في وكالة الاستخبارات، (وجون هاريسون) ضابط الاتصال في السفارة، كما قتلت فيليس فيلاتشي السكرتيرة في السفارة، وجين لويس نائب رئيس محطة المخابرات المركزية الأمريكية في بيروت.

وفي تفاصيل تفجير السفارة قام انتحاري يقود شاحنة نقل صغيرة محملة بحوالي (٩١٠كلغم)[٣٤] من المتفجرات باقتحام مبنى السفارة حيث انفجرت بداخلها، ما أدى لانهيار واجهة المبنى المركزي بكامله.

وقد أعلنت مجموعة موالية لإيران تطلق على نفسها اسم (منظمة الجهاد الإسلامي) مسؤوليتها عن التفجير في اتصال هاتفي مع مكتب الأخبار حيث قال متحدث باسم المنظمة: هذا جزء من حملة الثورة الإيرانية ضد أهداف الإمبريالية في جميع أنحاء العالم، ونحن سوف نبقى نضرب أي وجود للإمبريالية في لبنان بما في ذلك القوة الدولية[٣٥].

---

٣٣ المصدر منتديات مملكة البحرين - شهر ١ / ٢٠٠٤م.

٣٤ تقرير عن تفجير السفارة الأمريكية - مصدر سابق.

٣٥ تقرير عن تفجير السفارة الأمريكية ١٩٨٣ بتاريخ ٢٠٠٤/١/٣ - ويكيبيديا.



وكشف وجود بوب ايمز كبير المحللين في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومدير منطقة الشرق الأوسط بين القتلى عن مصلحة إسرائيلية في تفجير السفارة الأمريكية في بيروت يوم ١٨ / ٤ / ١٩٨٣م، وقد لمح إلى ذلك السفير الأمريكي في تل أبيب سام لويس قائلاً: "جعلنا ذلك نعتمد كلياً على الاستخبارات الإسرائيلية وستنظر المخابرات الأمريكية إلى التهديد الإسلامي في الشرق الأوسط من خلال المنظور الإسرائيلي". وقول السفير الأمريكي في تل أبيب سام لويس جاء تعقيباً على ضعف قدرة المخابرات المركزية الأمريكية على جمع المعلومات في المنطقة العربية وتحليلها بعد مقتل بوب ايمز ورئيس محطة المخابرات الأمريكية في بيروت ونائبه. كما نقلت الإذاعة الإسرائيلية عن موشيه ارينز قوله في مجلس الوزراء عن "أن الهجوم يبرر المطالب الإسرائيلية للترتيبات الأمنية في لبنان[٣٦]".

وتمثلت المصلحة الإسرائيلية في التخلص من بوب ايمز لكونه مسؤولا عن إعادة صياغة الاستراتيجية الأمنية الأمريكية في المنطقة وأسهم بدور أساسي في إعداد مبادرة الرئيس الأمريكي ريغان للسلام في الشرق الأوسط، وكان على علاقة واتصال مباشر مع الشهيد علي حسن سلامه "أبو حسن" قائد قوات ال١٧ الذي اغتالته إسرائيل عام ١٩٧٩.

ولعل استهداف مقر السفارة الأمريكية في ذلك الوقت الذي كانت تجري فيه اجتماعات هامة لكبار المسؤولين في جهاز المخابرات الأمريكية (CIA) يضع علامات استفهام حول الجهات التي توفرت لها تلك المعلومات حول تلك التحركات والتي لا يمكن أن تتوافر إلا لجهات استخبارية كان لها سيطرة فعلية على الأراضي اللبنانية في تلك الفترة وهي المخابرات الإسرائيلية التي استطاعت مراقبة تحركات بوب أيمز مدير منطقة الشرق الأوسط في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية منذ مغادرته تل أبيب متوجهاً إلى قبرص ومنها وصل إلى بيروت يوم الأحد ١٧ / ٤ / ١٩٨٣م لحضور اجتماع في مقر السفارة الأمريكية ببيروت لمحطة الوكالة، ومن مطار بيروت توجه إلى مبنى السفارة مباشرة.

وفي إطار استفسارات مشروعة يمكن الإشارة إلى أن المخابرات الإسرائيلية قامت بتمرير تلك المعلومات حول اجتماعات المخابرات الأمريكية في بيروت إلى المدعو "امير فرشاد إبراهيمي" أحد قيادات الحرس الثوري الإيراني والذي كان مرتبطا مع جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد" والذي قام بدوره بنقل تلك المعلومات إلى المدعو علي أصغري قائد الحرس الثوري في لبنان في تلك الفترة. وهو ما شكل فرصة لا تعوض للمذكور لتنفيذ عملية نوعية تستهدف النشاطات الاستخبارية الأمريكية في المنطقة في إطار الصراع الذي كان على أشده بين الطرفين.

---

٣٦ تقرير عن تفجير السفارة الأمريكية، ١٩٨٣ بتاريخ ٢٠٠٤/١/٣ – ويكيبيديا.

الجنرال أصغري والانشقاق عن النظام الإيراني:

عاد علي رضا أصغري إلى إيران عام ١٩٩٤م ليتولى منصب الإشراف على الصناعات العسكرية الإيرانية التي تنتج الصواريخ البالستية وأسلحة حرس الثورة والجيش الإيراني ثم نائبا لوزير الدفاع الإيراني عام ١٩٩٥م وظل في هذا المنصب حتى نهاية عام ٢٠٠٥[٣٧] حيث أحيل على التقاعد.

بعد تسلم الرئيس محمود أحمدي نجاد السلطة في إيران، وكان أصغري على خلاف معه لا سيما أن نجاد اعتبره محسوباً على جماعة الرئيس الإيراني الإصلاحي محمد خاتمي، وأدرج اسمه ضمن قائمة للتحقيق في قضايا فساد، لكن علاقة أصغري ظلت مستمرة مع حرس الثورة حتى الأشهر الأولى من عام ٢٠٠٦م حين بدأت لجنة في داخل الحرس الثوري الإيراني برئاسة قائد فيلق القدس الجنرال قاسم سليماني التحقيق بأمر من الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد.

قرر الجنرال أصغري تأسيس شركة تجارية للاستيراد والتصدير باسم "زيتون" تكون غطاءً لتحركاته واتصالاته مع مجموعات حرس الثورة في سوريا ولبنان. وتمكن من إقناع قيادة الحرس الثوري تكليفه بمهمة التشييك على المنشآت الدفاعية لحزب الله اللبناني بما في ذلك شبكة الأنفاق الجديدة للتأكد من صلاحيتها لنشر وإخفاء منظومة صواريخ متوسطة المدى التي سيتم تزويدها لحزب الله. وبموجب ذلك وصل الجنرال أصغري إلى دمشق يوم ٩ / ١٢ / ٢٠٠٦م فاستقبله القائد العسكري لحزب الله عماد مغنيه وثيق الصلة والمعرفة به منذ سنوات طويلة، وانتقل الاثنان إلى لبنان حيث اصطحبه عماد مغنيه في جولة على المنشآت العسكرية والتحصينات وشبكة الأنفاق التابعة لحزب الله.

وفي هذه الفترة أصرت لجنة التحقيق على حضوره إلى إيران للتحقيق في التجاوزات التي نسبت إليه، إضافة إلى العديد من قيادات الحرس الثوري، فقام الجنرال أصغري بالاتصال مع زميله السابق في الحرس الثوري "أمير فرشاد إبراهيمي" والذي كان ملحقاً إعلامياً بالسفارة الإيرانية في بيروت، لكنه انشق عن النظام عام ٢٠٠٣م وهرب إلى ألمانيا، وطلب مساعدته في

---

٣٧ دافنا لينز مراسلة الواشنطن بوست ٢٠٠٨/٣/٨م موقع ١٤ آذار بتاريخ ٢٠١١/٦/٦م، وكذلك صحيفة الغارديان البريطانية بتاريخ ٢٠٠٧/٨/١٢م.

اللجوء لألمانيا[٣٨].

كان أمير فرشاد إبراهيمي مرتبطاً مع جهاز الموساد الإسرائيلي فقام بنقل طلب الجنرال أصغري إلى رؤسائه في الموساد، فرحبوا على الفور بالموضوع معتبرين أن الجنرال أصغري "صيد ثمين" نظراً للمعلومات التي يملكها بصفته نائبا لوزير الدفاع الإيراني، وجند الموساد عملاءه في سوريا لتأمين هروبه فور وصوله إلى سوريا باتجاه تركيا.

عاد أصغري إلى دمشق بعد انتهاء مهمته في لبنان، وأجرى اتصالاً ثانياً[٣٩] مع زميله السابق أمير فرشاد إبراهيم في ألمانيا مستفسراً عن طلب اللجوء، فأبلغه إبراهيمي أن كل شيء أصبح جاهزا وأن أشخاصا في دمشق سيتصلون به وسينقلونه إلى تركيا حيث سيكون أشخاصاً مهمين في انتظاره.

قام الموساد الإسرائيلي بإجراء اتصال آمن مع الجنرال أصغري في دمشق، وكلف مجموعة من عملائه في سوريا بتهريبه يوم ٦ / ٢ / ٢٠٠٧ عن طريق البر إلى تركيا في حين كان عملاء آخرين للموساد في تركيا قد حجزوا له غرفة في الفندق، وبعد وصوله سالماً قضى ليلة واحدة في الفندق للراحة، وفي اليوم الثاني نقله عملاء الموساد إلى مكان محدد في استانبول لإخفائه عن الأنظار، وبعدها قام الموساد الإسرائيلي باطلاع المخابرات المركزية الأمريكية بموضوع انشقاق الجنرال أصغري، فتولت المخابرات المركزية الأمريكية إجراءات نقله إلى ألمانيا لإجراء تحقيق مشترك أمريكي إسرائيلي في قاعدة (واين ماير) الجوية قرب فرانكفورت التابعة لحلف الناتو.

طلب الجنرال أصغري قبل الإدلاء بما لديه من معلومات أن يتم منحه اللجوء السياسي لأمريكا، وتسليمه المكافأة التي خصصت لمن يدلي بمعلومات عن مكان عماد مغنيه وقدرها (٢٥ مليون دولار)، فتم إبلاغه بالموافقة عندها كشف أصغري عن معلومات مذهلة لم تكن في حسبان المخابرات المركزية الأمريكية وإسرائيل ومنها[٤٠]:

١. معلومات دقيقة عن الملف النووي السوري في دير الزور، واتفاق التعاون لبنائه مع كوريا الشمالية، وهي معلومات أفادت إسرائيل في قصف هذا المفاعل.

٢. معلومات عن مستشار الرئيس السوري للشؤون العسكرية اللواء محمد سليمان المشرف على المشروع النووي السوري (تم اغتياله فيما بعد).

---

٣٨ دير شبيغل – بارك فورت وهولغر ستارك – ٢٠٠٩/١١/٢م.

٣٩ دير شبيغل المرجع نفسه

٤٠ موقع اخبار جاما – طارق نجم – ٢٠١١/١٢/٨م.

٣. معلومات إضافية عن الملف النووي الإيراني.
٤. معلومات عن تحصينات حزب الله اللبناني وأنفاقه في الجنوب وكميات التسليح ونوعية الصواريخ التي زودته ايران بها.
٥. معلومات تفصيلية وهامة عن تحركات عماد مغنيه القائد العسكري لحزب الله اللبناني والذي اغتيل لاحقا بفضل هذه المعلومات التي قدمها الجنرال أصغري.

بعد انتهاء التحقيقات مع الجنرال أصغري مارس الموساد الإسرائيلي ضغوطا هائلة على إدارة الرئيس الأمريكي بوش الابن لمنحه حق اللجوء السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية ومنحه المكافأة المعلن عنها، وقد تم توسيط ايليوت ابرامز رئيس قسم الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي بالبيت الأبيض لهذا الشأن، فصدر قرار رئاسي من البيت الأبيض بأمر من المخابرات المركزية الأمريكية بإدخاله إلى الولايات المتحدة الأمريكية والموافقة على منحه حق اللجوء السياسي.

إسرائيل تدعي انتحار الجنرال أصغري في أحد سجونها:

بعد وصوله إلى أمريكا كشفت معلومات صحفية أن الجنرال علي رضا أصغري كان يقود حرس الثورة الإيراني في لبنان خلال تفجير السفارة الأمريكية عام ١٩٨٣، فأثارت هذه المعلومات مخاوف الطرفين الإسرائيلي والأمريكي، الأمر الذي سيضع الإدارة الأمريكية في حرج شديد أمام المواطنين الأمريكان بشأن منح اللجوء السياسي لمن أشرف على قتل الجنود والمسؤولين الأمريكيين في بيروت، كما سيضع إسرائيل في دائرة التواطؤ في مقتل الجنود والمسؤولين الأمريكان مما سيترك عواقب وخيمة في العلاقات بين البلدين، وللتخلص من هذا المأزق سربت إسرائيل معلومات كاذبة عن انتحار الجنرال علي رضا أصغري في أحد السجون الإسرائيلية، ونقل هذه المعلومات الكاذبة الصحفي الأمريكي ريتشارد سيلفر شتاين على موقعه الإلكتروني يوم ٢٨ / ١٢ / ٢٠١٠م حيث ادعى أن الجنرال أصغري الذي اختفى في تركيا عام ٢٠٠٧ قد عثر عليه ميتا داخل سجن أيالون الإسرائيلي، ونسب هذا النبأ إلى مصادر قريبة من إيهود باراك، وقد أعادت نشر الخبر الكاذب صحيفة يديعوت أحرنوت على موقعها الإلكتروني التي أضافت أن الجنرال أصغري الذي كان مسجوناً في الزنزانة رقم (٠١٥) قد وجد منتحرا في الزنزانة.

لقد أرادت المخابرات المركزية الأمريكية وجهاز الموساد الإسرائيلي إنهاء قصة الجنرال علي رضا أصغري بإعلان وفاته لطي صفحته وقطع الطريق على كل من يشير إلى وجوده



حياً وطي هذا الموضوع الخطير كما سبق أن طوي موضوع تدمير السفينة الحربية الأمريكية "ليبيرتي"[٤١] يوم ٩ / ٦ / ١٩٦٧م بواسطة الطائرات الحربية الإسرائيلية مقابل الشواطئ المصرية أثناء حرب ١٩٦٧م، وكذلك تفجير مكاتب المعلومات الأمريكية في القاهرة في الخمسينات بوساطة الموساد تحت اسم "عملية لافون"[٤٢] الذي كان وزيرا للداخلية في الحكومة الإسرائيلية والتي تم كشفها وغطيت أيضاً.

ورغم كل هذا الكذب الإسرائيلي فإن زميل الجنرال أصغري الموجود في ألمانيا "أمير فرشاد إبراهيمي" كشف في تصريح لصحيفة دير شبيغل الألمانية يوم ٢ / ١١ / ٢٠٠٩ أن الجنرال أصغري حي يرزق بعد أن منحته الولايات المتحدة الأمريكية حق اللجوء السياسي، وأن أصغري اتصل به شخصيا مرتين أولاهما من واشنطن والثانية من تكساس.

بدوره فقد نشر الصحفي الإسرائيلي يوسي ميلمان مقالاً في صحيفة هآرتس الإسرائيلي انتقد فيه الموساد الإسرائيلي معتبرا أنه من المستبعد تماما وجود شخص مثل أصغري في إسرائيل، وما هي إلا أسطورة وخبر لا أساس له من الصحة[٤٣].

أما صحيفة الثبات اللبنانية فقد نشرت تحقيقا بتاريخ ١١ / ١١ / ٢٠١٠م كشف النقاب بأن الجنرال أصغري قد حصل على جائزته المالية وقيمتها (٢٥ مليون) كما ذكرنا سابقاً، ويعيش في مزرعته التي اشتراها في مقاطعة أوهايو بعد منحه أوراق هوية جديدة[٤٤].

---

٤١ ٤٣ بحاراً أمريكيا قتلوا، و١٧١ جرحوا جراء هجوم الطائرات الإسرائيلية المتعمد على باخرة التجسس الأمريكية «ليبيرتي» قبل أن تحدد مدى التقدم الذي أحرزه الجيش الإسرائيلي في سيناء لكي تمنع قرارا دوليا تؤيده أمريكا يطلب وقف إطلاق النار في سيناء، وفي ١٩٦٩/٣ م دفعت إسرائيل (٣,٥٦٦,٤٥٧ مليون دولار أمريكي) للجرحى الأمريكيين و(٢٢,٢ مليون دولار) لعائلات الذين قتلوا في الهجوم، وقد تم خصم هذه المبالغ من المساعدات الأمريكية التي تدفعها الحكومة الأمريكية لإسرائيل سنوياً. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

٤٢ بموجب هذه العملية تم زرع قنابل في مكاتب المعلومات الإنجليزية والأمريكية في مصر في ١٩٥٤ وألقي اللوم على الإخوان المسلمين والشيوعيين والقوميين المصريين لخلق موجة عنف في مصر وحال من عدم الاستقرار تجبر بريطانيا بالإبقاء على قواتها الحربية في منطقة قناة السويس، هذه العملية تمت تحت اسم (عملية سوزانا) أدارها جهاز الموساد الإسرائيلي عبر تجنيد عدد من المصريين اليهود، وألقت المخابرات المصرية القبض على كل المتورطين الذين اعترفوا بأن من قاد هذه العملية هما الكولونيل (Dar و Elad) اللذين تمكنا من الهرب في حين تم اعتقال إسرائيليين هما يوسف كارمون اليهودي المولود في هنغاريا وميير ماكس بينث من جهاز (أمان) حيث أقدما على الانتحار داخل السجن.

٤٣ موقع أخبار جاما – ٢٠١١/١٢/٨

٤٤ حسب تقرير BAER (موظف في الCIA) الذي رفعه رسميا للوكالة في سنة ١٩٨٤ بعد تحقيقاته في بيروت، فإن علي رضا اصغري هو الذي كان وراء تفجير السفارة وتفجير المارينز قرب مطار بيروت في سنة ١٩٨٣، وبالرغم عن هذا يقول الكتاب ان اليوت ابرامز رئيس قسم الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي في البيت الابيض هو الذي اقنع الرئيس بوش (الابن) في سنة ٢٠٠٧ لاعطاء الجنرال علي رضا اصغري المناعة القانونية والبراءة مع اللجوء السياسي الى الولايات المتحدة وساعد ابرامز في تسويق الجنرال علي رضا اصغري جهاز الموساد.

الخروج من بيروت وذكريات لا تنسى مع قوات الـ١٧:

مرت سنوات عديدة، لكن جرح الذكريات لم يندمل، بل ازداد وجعه وألمه، وقيل ان لا شفاء له، الا اذا صار الدمع دما، وكم من الدموع يمكنها ان تنساب في لحظة ذكرى لإخوة وأحبة ورفاق مسيرة نضالية، فما لم تمسحه السنوات الطويلة يعجز الدمع مهما تدفق من المآقي عن إذابته، لقد كان اخوتي ورفاق دربي في مسيرة قوات ال١٧ عظاما لم تقربهم الصغائر، وعظيم الناس من يبكي العظام، كانوا عظاما حيث قطعوا رحلة التضحيات التي لا خيار فيها بين الفناء على طريق الاستشهاد او البقاء ليخبروا الأحياء في شعبهم عن ذكرياتهم عبر مسيرة الثورة.

تلك المسيرة التي قطعتها وقطعها أبناء شعبي منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية إيمانا منا بأن الثورة المسلحة هي حالة إرادة وطنية لمقاومة العدو المحتل، وقد قادتني هذه المسيرة لأكون قائدا لقوات ال١٧ بعد استشهاد اخي وصديقي وقائدي علي حسن سلامه (ابو حسن) ومنذ تلك البداية شاركني ضباط وعناصر قوات ال١٧ في صياغة نظرية جديدة محورها ان القيادة لا بد ان تكون للبنادق الملتزمة بالثورة، وعرفت في جميع من انتموا لهذه القوات انهم اصحاب ارادة مقاتلة كانت بالنسبة لي العزاء الوحيد امام كل مظاهر العجز والاستسلام على مستوى الصراع العربي الاسرائيلي.

كان منتسبي قوات الـ١٧ على قناعة بأن انتسابهم لتلك الأسرة المقاتلة هو اختيارهم الواعي لطريق النضال الوطني وقد انتسبوا من موقع المحبة والفهم والالتزام. كنت في نظرهم أبا وأخا، ورفيق تضحية، قبل أن أكون قائدا يأتمرون بأوامره، وقد عمق هذا الشعور لديهم سلوك المحبة والتعاضد والتواضع الذي ساد فيما بيننا لذا كنت وما زلت فخورا بهم رغم تقادم سنوات البعد عن الشهداء والاحياء منهم، ولم يؤثر هذا البعد على إرادتي الوطنية وقناعتي الأكيدة بهم، فأبناء أسرة قوات ال١٧ أراهم أصحاب قضية والأكثر ولاءا ووفاءا لها رغم أن الوفاء للثورة هو عهد قطعه الفلسطينيون على أنفسهم.

ورغم حالة الاستنفار القتالي التي لم تتوقف يوما فقد جعل ضباط وعناصر قوات الـ١٧ من التفاؤل مادة حياتهم وخبزهم اليومي وكان صمودهم على جراح المجد هو الذي صنع هيبة هذه القوات. كنت بينهم واحدا منهم تجمعنا وحدة الإدراك والفهم بأن أعداء الثورة يعتقدون أنه



بالإرهاب الجماعي والإرهاب الفردي، قادرون على إلحاق الهزيمة بنا، لكن الأعداء أغفلوا أن إرهابهم هو الذي دفعنا لحمل البنادق، وأنه بالكفاح المسلح تفجر الثورة شلال الدم الذي تنتصر به. ونحن في قوات ال١٧ لم نفاجأ أبدا في لحظة من اللحظات بالهجمة المضادة على الثورة وعلى حركة فتح وعلينا بصفتنا نحمل أعباء ثورية مشتركة تبدأ بضمان أمن قائد الثورة ولا تنتهي عند خوض المعارك للدفاع عن الشرعية الفلسطينية. نعم لم نفاجأ بالهجمة المضادة التي شنها باستمرار من يفترض بهم أن يكونوا أصدقاء أو من العدو لسبب واضح وهو أن الاستراتيجية التي التزمنا بها مستمدة من استراتيجية الكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة الأمد التي قادتها حركة فتح، وكنا ندرك هذه المعاني وندرك مدى التضحيات وقوافل الشهداء، والثمن الكبير الذي ينبغي علينا أن ندفعه نتيجة التزامنا بهذه الاستراتيجية فولاؤنا لفتح أكبر وأخطر وأدق من أن نحيد عن مبادئها لذا تميزت قواتي بحرية الحركة وحرية الإرادة، فلا ميوعة تحت غطاء المرونة ولا تشنج باسم التصلب، وكان لدينا في هذه القوة شعورا بأننا وحدنا الذين نعيش خارج السجن الكبير الذي يعيش فيه أعداؤنا، وعلى الرغم من كل محاولات التطويق والتصفية الجسدية والسياسية، وفي ظل أسوأ الأحوال المعيشية، والضغوط النفسية لم نفقد التفاؤل يوما لفهمنا بأننا أبناء هذه الثورة، وروادها وحماتها وسياج أمنها، وأننا المنتصرون على أنفسنا قبل الانتصار على أعدائنا.

ومهما تزايدت سنوات الابتعاد والفراق عن تاريخ قوات ال١٧ الذي سطره رجالها الأفذاذ، فإن الشوق والحنين يشدني إليهم، فقد قضيت معهم وبهم أعز أيام حياتي، ورغم عدم قدرتي على التعبير العاطفي العميق وما أكنه من محبة فائقة لأولئك الرجال الذين كانوا أسرتي وعائلتي إلا أنني أستعيد الذكريات معهم وعنهم أيام فرحهم ولحظات حزنهم، وهي أيام ولحظات تحكي قصص وروايات منها المضحك ومنها المبكي، ومنها ما قد تستغربه الأجيال المعاصرة أو حتى تستهجنه، لكنها أحداث ستبقى خالدة في مخزون ذاكرتي عن هذه القوات ورموزها وكوادرها الذين عاشوا حالة خاصة فكانوا بحق "عائلة قوات ال١٧" يتقاسمون كل شيء، من رغيف الخبز حتى مصروف الجيب لا يملك أحدهم بنطالا أو قميصا أو حذاءا خاصا به، فالملكية ملغاة في تلك العائلة، ورغم هذا الأسلوب في العيش، كان لدى كل واحد منهم كرامة وعزة وامتثال للأوامر دون اعتراض.

وإذا ابتعدنا عن الخوض في لغة الأرقام، حول حجم عمليات ال١٧ داخل وخارج الأرض المحتلة أو الحديث عن جسارة رجالها في تنفيذ مهامهم، فإن من باب الحق والحقيقة نستطيع

القول أن عدد الشهداء في هذه القوات يساوي عدد تنظيمين من التنظيمات الفلسطينية، ويكفينا شرفا أن قادة هذه القوات إما استشهد وإما جرح بالمعارك وإما أسر، سواء عند إسرائيل أو في عدد من البلدان. وعندما نذكر القادة الشهداء لا يسعني إلا أن أذكر الشهداء الذين سقطوا على أيدي الموساد الإسرائيلي لأنهم كانوا مسؤولين عن العمليات الخارجية وهم[٤٥]:

١. الشهيد علي حسن سلامة (أبو حسن) قائد القوات.
٢. الشهيد الدكتور محمود الهمشري.
٣. الشهيد فؤاد الشمالي.
٤. الشهيد محمد بوضيا.
٥. الشهيد كمال خير بك.
٦. العميد خالد الجزائري (مساعد لمحمد بوضيا - جزائري الجنسية).

---

٤٥ عدد كبير من الشهداء لم نتمكن من إنزالهم بهذا الكتاب ولكننا وضعنا أسمائهم على موقع مركز الناطور للدراسات والأبحاث.


شهداء
قيادة الـ17
فتح
القائد علي حسن سلامة
الدكتور محمود الهمشري
العميد ابراهيم اسحق العلمي
الدكتور فؤاد الشمالي
اللواء محمد محمود قنن
المناضل محمد بوضيا
اللواء نزيه ضبان
الدكتور كمال خير بيك
اللواء علي الزيبق
اللواء راسم الغول
اللواء حسين الهيبة
اللواء حسني سليم
اللواء امين كايد

وحتى انتقالنا إلى لبنان كان كل يوم يمر يسقط شهداء سواء في معارك الأسواق أو الشياح أو برج البراجنة أو المطار أو الأوزاعي أو حارة الناعمة والدامور والجية وصيدا. حينما وصل امتدادنا إلى البقاع بقيادة العقيد أبو العبد الحجاوي امتدادا إلى الشمال بقيادة الشهيد العقيد احمد الأسعد حتى الجبل استطعنا بفتح معسكرنا بقيادة العقيد غسان مكارم، حتى حينما كانت الحركة تقوم بدعم بعض الأصدقاء مثل رئيس أوغندا عيدي أمين حينما ذهب اللواء (أبو خالد دعاس) إلى أوغندا كانت المجموعة التي ترافقه من قواتنا وكان عددهم ٣٩ ضابط وعنصر وللأسف جميعهم استشهدوا في أوغندا.



صورة اللواء محمود دعاس (أبو خالد) برفقة الضباط الذين ذهبوا إلى أوغندا واستشهدوا جميعهم

وفرضت حربنا مع العميل صبري البنا متابعته وملاحقته، وكانت فترة الثمانينات هي التصادم والقتال مع المخابرات العراقية التي كانت تدعمه وكثير من العمليات كانت تقوم بها تحت مسميات المجلس الثوري صبري البنا وهذا فرض علينا جبهة جديدة كان امتدادها في كل أنحاء العالم فمثلا بعد تنفيذ عملياتنا ضد جماعة صبري البنا أو النظام العراقي سجن لنا في لندن المناضلة العقيد رشيدة المغربي لمدة ١١ سنة ووليد حمامي سجن ٤ سنوات في إسبانيا، ومحمد خليل ٥ سنوات في باريس، والعقيد علي شلبية مع مجموعة من ٦ ضباط ٣ سنوات في ألمانيا الغربية وقبرص ٤ ضباط لمدة ٧ سنوات (عملية لارنكا) (أبو عبيدة وزملائه) واليونان ضابطين ٦ سنوات، والباكستان (سمير الأسمر ورمزي قديح) وليبيا العقيد محمد دبور (أبو حلمي) لمدة ٤ سنوات والعراق مجموعة على رأسهم عبد الرحمن عددهم ٨ ضباط لمدة ٥ سنوات، اكتفي بهذا القرار ولا أريد التحدث عن الباقي في الدول العربية.



لا أريد شرح التفاصيل عن تضحياتنا فتقرير لجنة تقصي الحقائق اللجنة التي شكلت بقرار من الشهيد أبو جهاد وكان يرأسها اللواء أبو الحكم أكد أن قواتنا سقط لها ١٦٧ شهيد في منطقة الأوزاعي فقط أثناء الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢م، نحن عدنا بالدم عودتنا إلى لبنان بعد خروجنا عام ١٩٨٢م وسقط لنا ٤ ألوية وهم: اللواء راسم الغول، اللواء حسين الهيبة، اللواء حسني سليم، اللواء أمين كايد.

وكانت نتيجة إرسالنا قوات إلى لبنان أن تم أسر ٣٥ ضابطا وجندي من جانب إسرائيل، مكثوا ما بين ٥ سنوات و٧ سنوات. أذكر منهم على سبيل المثال، اللواء محمد قنن، اللواء فيصل أبو شرخ، النقيب جهاد السهلي، المقدم عبدو أفندي، والرائد متعب الخطيب، والعقيد خلدون، والرائد محمد الفاهوم، والنقيب جواد البكري والنقيب تركي عثمان، وقد اعتقل كل منهم في موعد مختلف عن الأخر ولم يكن السجن هو الجزاء الوحيد لكل من ينتمي إلى ال١٧ بل أن القتل أيضا كان سلاحا مطروحا من قبل الموساد في مواجهة أعضاء ال١٧ ولا ننسى غارة حمام الشط، كانت حصتنا من الشهداء ١٥ شهيدا على رأسهم اللواء مجدي الأنصاري (علي الزيبق) مسؤول ال١٧ على الساحة التونسية ونائب قائد القوات.

هكذا كان حالنا في قوات الـ١٧ تجمعنا الأخوة في حالة الاستنفار اليومي، أو خلال اندلاع المعارك ولا يعرف معنى "الأخوة" التي تتسامى في الحرب سوى المقاتلين الذين يحملون أرواحهم على الأكف، فكم من الأخوة في المجال الأسري الطبيعي تختلف تضحياتهم من اجل بعضهم البعض، وربما قد تنعدم في بعض الحالات، إلا أنه في حالة الحروب يتبادل المقاتلون الفداء رغم أنه لا تربطهم صلة القرابة بالدم سوى قرابة المشاركة في الاستنفار والحرب، أو الانخراط في واجبات الفداء عن النفس وعن القضية المشتركة التي أصبحت (أسرتهم الأسمى) والأهم وعنوان عقيدتهم الموجبة للجهاد.

إن التركيبة الاجتماعية لهذه العائلة لم يكن فيها طبقية أو تمييزا أو محاباة فمنهم الطبيب والمحامي والعالم والخبير العسكري والإداري وأصحاب المهن المختلفة، ومنهم أنصاف المتعلمين والأميين، ومنهم من فقد عائلته واستبدلها بقواتنا، ولكل واحد من هذه التركيبة الاجتماعية رواية وقصة أو حدث لو أردت سردها بالكامل لاحتاج الأمر إلى عدة مجلدات.. ولكني اكتفيت ببعضها للاستدلال فقط وعزائي في هذه الأسرة المقاتلة لو أردت أن استفيض في الذكرى فإن حروف اللغة لا تكفيهم.

ما بين انتظار الموت، وانبعاث الأمل مسافات طويلة في مدى التفكير الإنساني إلا أنها في حالات الاستنفار المستمر لحماية النفس تكون عبارة عن "مجرد لحظات" ليس بمقدور المرء أن يبالغ في آماله وطموحاته في أثناءها، فالتقدم خلالها نحو الموت أو نيل الشهادة يكون مشفوعا بجرأة غير عادية تحتسب في موازين الشجاعة والبطولة، وهي قيم سامية، ودرجات عالية من التضحية تهون دونها النفس بما كانت تختزنه من آمال..

ولقد فرضت علينا حالات الهدنة المؤقتة بين المعارك أن لا نتخلى عن قيم الأسرة السامية، بل نترجمها إلى سلوك اجتماعي يتبدّى في حياتنا اليومية من خلال مظاهر التعاضد والتلاحم والانصهار الذاتي في جوقة المجموعة التي أصبحت بلا "خصوصيات" فالفرد من أجل الكل، والكل من أجل الفرد..

لم يكن الموت "يشغل بالنا" ولم تكن الآمال والطموحات لتبعدنا عن واقعنا المعاش الذي تكررت أيامه، وأشرقت صباحاته إما بذكرى لفقدان رفيق درب أو بحكاية لطرفه أو حادثة قد تثير الضحك أو البكاء.. فالأمر سيان !!

كان في قلوبنا مخزنا من الحزن والشوق والقلق والذكريات بعد خروجنا من بيروت، وكان قول شاعرنا الجميل العاشق لبيروت الراحل محمود درويش.. بيروت خيمتنا الأخيرة تعبيرا عما في وجدان كل واحد منا.. وكنا نهرب من ضغط القلق والشوق والحنين باجترار ذكرياتنا في بيروت ونوادر عناصرنا وكوادرنا، فلكل واحد منا قصصه، وهناك العشرات من الأحداث والنوادر والقصص تحتاج إلى كتب ومجلدات لروايتها.. وخاصة أن قوات ال١٧ كانت ذات حضور وهاج وسط عناصر الثورة وكوادرها وفصائلها، فما أن تذكر ال١٧ حتى تقرأ في وجوه الحضور وكل حسب علاقته إما بالابتسام أو الامتعاض أو التوتر، وبكل بساطة كانت قوات ال١٧ موجودة على الساحة الفلسطينية بتميزها، وعند الأعداء ظاهرة قلق خفي لا يعرفون سره، ومن هنا كان قادة الانعزاليين يطلقون الألقاب العجيبة عني وعن قيادة وعناصر ال١٧ حتى أنهم قالوا فيما بعد "جمهورية أبو الطيب" عن تواجدنا في منطقة الفاكهاني وفيما بعد وضعت مسرحية بهذا العنوان.

فمن نحن في قوات ال١٧..!؟ نحن وقبل كل شيء جنود لفلسطين ومشاريع شهادة عبر المحطات والمراحل، اجتمعنا في هذه القوات من كل قرية وبلدة ومدينة ومخيم على ارض فلسطين، ربطنا الهدف الاسمى والإخلاص والوفاء والالتزام بقيادتنا وبرئيسنا.



بعد هذه السنوات الطويلة التي انتهت إلى ما لا تحمد عقباه.. إلا من بقية حَمدْ ما تزال هي التي تعزيني بفقدان الأخوة أو غيابهم في دول مختلفة يحملون في صدورهم وذاكراتهم أغلى ما يملكون وهي ذكرياتهم أثناء مراحل الاستنفار والحرب.. وكنت شريكهم وما زلت في السراء والضراء وأغلى ما أملك بعد هذا الفراق هو مجموعة من حكايات فيها من العبرة ما يفيد. وأنا الآن إذ أقدم بعض البعض من قصصنا ونوادرنا، فأنا أستعيد بعض روحي وشوقي لأولئك الأبطال.

الرواية الأولى: لو كنت أفهم مثلك:

راسم الغول، أحد ضباط قوات الـ١٧ المميزين بصفاتهم، وسلوكهم وانضباطهم وجرأتهم، وفيه ميل إلى الكوميديا في أقصى لحظات التراجيديا، وتضفي عليه ثقافته ومتابعاته السياسية هالة من الجدية في بعض الأحيان، ولم يكن له في اسمه من نصيب سوى أنه «راسم» وهي كلمة تدل على اسم الفاعل للفعل «رسم» وبالفعل، كان يرسم العديد من المواقف الاجتماعية والسياسة والنضالية وفقا لرؤيته التي تفاجئ الآخرين، الأمر الذي يعكس على أفعاله حالة من التناقض تتراوح ما بين الإعجاب والسخط، فمن جهة هو مثقف وسياسي لكنه ليس متطرفا في الفكر والعقيدة، ومن جهة ثانية هو مقاتل عنيف، يبدو في تلك الحالة وكأنه لا يعير النظريات السياسية أي اهتمام في حالة الدفاع عن الثورة، وفي بعض الحالات تجده «لا في هذه ولا في تلك» وإنما يبدو كبعض رجال «المافيا» في الأفلام السينمائية. كان راسم بكل تناقضاته وإيجابياته منحازاً إلى «فريق اليسار» في قوات الـ١٧، فقد كانت تشده الجذور عندما كان مرتبطا بعلاقات مع عضو اللجنة المركزية في حركة فتح نمر صالح «أبو صالح» ومع الأخ الشهيد ماجد أبو شرار عضو اللجنة المركزية لحركة فتح أيضا وكلاهما كانا يمثلان جناح اليسار في حركة فتح.

ولعل الموقف التالي يعطي دلالة لبيان شخصيته ونضج مداركه وسرعة بديهته، ذات اجتماع لهيئة أركان قوات ال١٧.. كان ضباطي في حالة استماع لما أمليه عيهم من توجيهات تتعلق بغايات وأهداف أمر عسكري معين.. والجميع يدونون الملاحظات باهتمام شديد وخلال حديثي طغت الجدية على سلوكي ومظهري، وفجأة حدث أمر قلب الأوضاع رأسا على عقب، فدون ما يشير إلى رغبة الضابط راسم الغول في الحديث، رفع يده طالبا الكلام، فاعتقدت أن لديه شيء غاية في الأهمية ويريد أن يبديه أمام زملائه الضباط الآخرين، وحسب ما اعتقدته فقد أجزت له أن يتكلم وأمام دهشتي ودهشة الحضور أخذ يتحدث في موضوع مختلف تماماً ولا علاقة له

بالأمر العسكري موضوع اجتماعنا، وعندما أنهى كلامه كنت أكاد أنفجر من الغضب ورغم ذلك تمالكت أعصابي وقلت له: يبدو أنك كنت شارد الذهن ولم تنتبه إلى موضوع حديثنا ! كان رده على تساؤلي أنه كاد ينفجر من الضحك..

في تلك اللحظة سيطرت مشاعر من الغضب في داخلي، وكدت أنهال عليه ضرباً لاعتقادي أنه يهزأ بأهمية الموضوع الذي أتحدث به، لكنني تمالكت نفسي وصرخت به: يبدو أن حديثي لم يعجبك!؟ توقف عن الضحك واكتسى وجهه بملامح الإحراج والخجل وصمت للحظات وهو يراقب انفعالي ثم قال: لم أقصد ذلك يا سيدي.. فأنا لو كنت أفهم مثلك وأشرح بطريقتك فما فائدة أن تكون قائدي!!

بعد أن نطق بعبارته الأخيرة تبدل الموقف تماماً وانفجر بقية الضباط بالضحك، فهم يعرفون راسم جيداً، ويدركون أنه لم يتعمد الإساءة، لكن موقفه أثار قضية جديدة للحوار خلال الاجتماع مفادها أن القائد لا بد أن تكون له مواهب وصفات تفوق مؤتمريه وتجعلهم أكثر استجابة لقيادته.

الرواية الثانية: مرطبان العسل:

إن سرعة البديهة المقرونة بالفهم الصحيح لأي قضية هي ميزة تضفي على من يمتلكها صفات الموهبة في معالجة المواقف والأحداث بما يزيل سوء الفهم أو التلكؤ في إعطاء الحلول المطلوبة، وها هي قصة أخرى تبرز جانبا آخر من سلوكيات وصفات راسم الغول.

فقبل انعقاد المؤتمر الرابع لحركة فتح في دمشق، كاد تصاعد الخلاف في وجهات النظر بين أعضاء الصف الأول لقيادة الحركة أن يتحول إلى صراع واتهامات ونشوء تحالفات فكثرت الانتقادات وانعكست على بقية الكوادر في الحركة الذين اعتقدوا أن الخلافات سوف تؤدي إلى شق وحدة الحركة.

كان راسم الغول في تلك المرحلة مسؤولا عن كتيبة الجرحى، وبينما كان مجموعة من الضباط والكوادر يتبادلون الآراء حول مستقبل حركة فتح على ضوء ما يجري من استقطابات وتحالفات قد تنعكس سلبا على مؤتمر الحركة أمر راسم بإحضار (مرطبان عسل) وصحن طعام فارغ فأثار دهشة المجتمعين واستغرابهم حتى أن بعضهم ردد في سريرته قائلاً: إحنا في إيش وراسم في إيش!!!

وعندما جيء بمرطبان العسل والصحن الفارغ، طلب راسم من الجميع الانتباه في ما سيعمله،



ثم قام بإفراغ مرطبان العسل في الصحن الفارغ وقام بالضغط على العسل بإحدى أصابعه فانقسم العسل إلى قسمين بينما كان المجتمعين في حيرة من أمره وفي استيعاب ما يقصده. وبعد أن انقسم العسل رفع راسم إصبعه فعاد العسل إلى الالتحام حسب وضعه الطبيعي، وعند ذلك وجه الضابط راسم كلامه للمجتمعين قائلاً: هكذا أيها الإخوة هي حركة فتح مهما حاول البعض أن يقسمها على اثنين فإنها لا تقبل القسمة !!

وبتلك الوسيلة اقنع راسم الضابط والكوادر المجتمعين بأن حركة فتح عصية على الانقسام ونال إعجاب واحترام الموجودين الذين أوقفوا الحديث حول مستقبل حركة فتح وصاروا على ثقة أنها ومهما اختلفت الآراء والاجتهادات ستظل قوية بوحدتها وتماسكها.

الرواية الثالثة: مقاتل رغم أنفه:

وهذه واقعة أخرى بطلها راسم الغول إلا أنها تقدم جانبا آخر من شخصيته، ففي ذات يوم تلقت غرفة العمليات برئاسة سعد صايل «أبو الوليد» معلومة تفيد باحتمال قيام العدو الإسرائيلي بتنفيذ عملية عسكرية خاصة ضد قواتنا في جنوب لبنان.

قرر العميد سعد صايل إرسال تعزيزات لقواتنا هناك، فاتصل بي طالبا حضوري لغرفة العمليات، وبعد أن أطلعني على المعلومة التي لديه والآتية من قواتنا في الجنوب طلب مني تجهيز (١٠٠ مقاتل) من قوات الـ١٧ وإرسالهم على الفور إلى الجنوب. رجعت إلى مقر قيادتي وطلبت اجتماع لقادة الكتائب بحضور راسم الغول وعبد الرحمن وأبو عوض، وأمرت بتجهيز فصيل يضم (٣٥ مقاتل) لإرسالهم إلى الجنوب لتعزيز قواتنا هناك.

خلال ساعتين تم تجهيز الفصائل وأرسلت إلى الجنوب، حيث تمركزت قواتنا بطرف القوات الخاضعة لإمرة اللواء كمال الشيخ المعروف «بانضباطه العسكري» وفور وصول الكتيبة بدأ كمال الشيخ يستعرض جاهزية الكتيبة بالحركات المعتادة (استرح.. استعد) فلاحظ أن أحد أفراد الكتيبة لا يستجيب للأوامر، فاقترب منه كمال الشيخ هامساً في أذنه: هل أنت من المتفرغين الجدد في قوات الـ١٧.. ولم تكمل تدريباتك بعد..؟ فرد عليه المقاتل: والله إني لا أعرف الـ١٧ ولا الـ١٨.. أنا يا سيدي ميكانيكي كنت في زيارة لكتيبة الجرحى للسؤال عن ابن خالتي الذي قيل لي أنه يداوم هناك بطرف راسم الغول، وبينما كنت أنتظر قدومه في المكتب وإذ براسم الغول يدخل علينا قائلاً: الكل جاهز!! فأجاب الموجودون بنعم لكني لم أشاركهم الإجابة، فنظر إليّ بغضب قائلاً: ألم تجهز بعد..؟ فقلت له: يا سيدي أنا حضرت أسأل عن ابن خالتي!! فجن

جنونه وانهال علي بالضرب المبرّح وهو يصيح: يا جبان تريد أن تتهرب عن الذهاب إلى الجنوب، وأمر أحد الكوادر بالتكفل لتجهيزي فوراً، فألبسوني هذه البدلة العسكرية وصرفوا لي قطعة السلاح!! وحتى تصدقني سأريك آثار الضرب..!!

وفي صباح اليوم التالي اصطحب كمال الشيخ ذلك الفتى وجاء به إلى بيروت حيث غرفة العمليات المركزية، وقابل العميد سعد صايل بحضوري وشرح له قصة الفتى، في تلك اللحظة كاد العميد أبو الوليد يغمى عليه من الضحك، ولأول مرة في حياتي أراه يضحك بهذه الطريقة التي جعلت الدموع تنهمر من عينيه..

رغم ملابسات هذه الحالة التي تعكس روح الفكاهة، إلا أن تصرف راسم الغول أوضح جانباً من شخصيته التي لا تقبل الأعذار إذا كان الأمر يتعلق بأداء الواجب، وهو يميل إلى العنف إذا شعر بوجود ضعف لدى البعض قد ينعكس سلباً على حماس المجموعة، كما أنه يكره التردد في المواقف ويلجأ إلى أسلوب «نفذ ثم اعترض» لفهمه الواسع بأن التردد في ساحة المعركة، أو حين القتال يعني الهزيمة لكن بعد النصر يمكن البحث في كل النقاط والسلوكيات.

الرواية الرابعة: كلب بسن من ذهب:

بينما كان الأخ أبو عمار في إحدى جولاته التفقدية لقواتنا في الجنوب، عقد اجتماعا لعدد من الضباط والكوادر للحديث في الشؤون العسكرية، وعندما أنهى حديثه إليهم طلب أحد المقاتلين الحديث فقال: هل يعقل يا أخ أبو عمار أن نبقى هنا في الجنوب في حالة استنفار دائم وفي ظروف معيشية صعبة، بينما إخوتنا في بيروت يركبّون أسنان من ذهب للكلاب..؟

فرد عليه الأخ أبو عمار باندهاش قائلاً: شو.. إنت بتهزر..!! فأجاب المقاتل: لا والله يا سيدي فالجميع يعلم أن أحد عناصر قوات الـ١٧ لديه كلب وقد علمت أنه ركّب له سن من ذهب..!!

عاد أبو عمار إلى بيروت وعلى الفور قام باستدعائي مستفسراً عن القصة التي سمعها من أحد المقاتلين في الجنوب، فأجبته بأنني سمعت هذه الإشاعة أيضا!! فقال: إزاي ده يحصل..؟ فأجبت: أحد عناصري وهو محمود فرج الله ويدعى (طخه يا عيد) وهو من أبناء قطاع غزة. وقبل أن أكمل صاح حانقاً: أحضروه فوراً..!!

أصدرت أمرا بإحضار محمود فرج الله (طخه يا عيد) مع الكلب إلى المكتب حيث كان يوجد أبو عمار، وما هي إلا دقائق معدودة حتى كان المذكور يمثل أمام أبو عمار بهيئة تثير الأسى في النفس جعلت الأخ الرئيس أمام حالة "المضحك المبكي" والتي تحكي مأساة إنسانية بكل معنى الكلمةّ!!



كان جسد محمود فرج الله (طخه يا عيد) أثناء مثوله أمام أبو عمار يهتز ويرتعش كمن ينتظر تنفيذ حكم بالإعدام وأضافت هيئته الخارجية مسحة من الحزن والشفقة عليه فقد كان يرتدي قميصا بالياً وبنطالاً رثا يبدو أنه لم يغسل منذ شهور وينتعل "شبشب" لم يخفي التشقق في كعبيه.

لقد بدا أبو عمار مصدوماً لرؤيته فقد كان يتصور أن الذي يركّب سن ذهب لا بد أن يكون على قدر من الرفاهية، لكن الذي يقف أمامه هو أقرب إلى المتسولين!!

وقبل أن ينطق أبو عمار بأي كلمة، انفلت لسان محمود فرج الله (طخه يا عيد)، بعد أن استعاد رباطة جأشه وبدأ يخاطب أبو عمار كصديق يعرفه منذ سنوات، وأخذ يذكره بالأيام الخوالي عندما كان يرافقه في الدوريات الفدائية ولدهشتي مما سمعت ألقيت نظرة على وجه أبو عمار وكأنني أسأله عن صحة الأقوال التي أسمعها، فوجدت ملامح وجه أبو عمار وقد اكتست بالحزن الشديد، لكنه حاول أن يجمع الكلمات مخاطباً محمود فرج الله (طخه يا عيد) قائلاً: أين تسكن يا ابني..؟ فكان الجواب أشد قسوة على النفس حين قال: ليس لي بيت، أنام أنا وكلبي عند حارس ملجأ العجزة في أول مدخل صبرا، ووقت نوبة الحراسة أستلقي مكانه.

صمت أبو عمار لبرهة ثم قال بصوت متهدج: يا ابني إنت كده أحرجتنا وأحرجت نفسك!! رد عيد: أنا لم أركب سن ذهب لكلبي وكل ما في الأمر أن أحد المقاتلين في الجنوب اللبناني التقاني أثناء حضوره إلى بيروت، وأنا أصطحب الكلب في جولة بالقرب من ملجأ العجزة فاستفزني باستهتاره حيث قال: أي هو أنت لاقي توكل علشان تقتني كلب!! فقلت له على كل حال أنا مصطحب الكلب متوجهاً إلى (النَوَر) الموجودين بالقرب من شاتيلا حتى أركب له سن ذهب!! ويبدو أنه اعتبرها قصة صار يرويها لكل من يعرفه. وأرجوك يا أخ أبو عمار حينما تذهب إلى القوات في الجنوب مرة أخرى أن تصحبني معك، حتى يرى إخوتي المقاتلين إنني جائع ولكن كلبي شبعان!! أنا أصرف راتبي على هذا الكلب، فأنا وحيد ليس لي امرأة ولا أولاد، كل ما لدي هذا الكلب. ويبدو أنكم عازمون على حرماني منه.

حاول الأخ أبو عمار أن يخفي مظاهر تأثره الشديد أمام هذه الحالة، وأخرج قلمه ليصرف مساعدة مالية إلى محمود فرج الله، فكانت المفاجأة الأكثر إيلاماً بأنه رفض المساعدة وأجهش بالبكاء!!! ووجه كلامه للأخ أبو عمار بعبارات قد يعجز عنها أشهر الكتاب والأدباء والمفكرين وجعلنا أسرى للدهشة والاستغراب فقال: أنا لم أحضر لأستجدي مساعدة مالية، إنما حضرت

لأبين لكم أن الفدائي إنسان، من حقه أن يقتني آلة موسيقية أو لوحة فنية، أو يبرز قناعته بالإحسان ورعاية الحيوان كما يبرز قناعته بالشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. وكل ما أريده يا سيدي أن تقنع الأخ أبو الطيب أن لا يعترض طريقي في تربية كلبي، وهكذا انتزع منا (طخه يا عيد) الموافقة على بقاء الكلب.

الرواية الخامسة: صلاح الفلس:

كان حارس مستودع التموين لقواتنا يدعى «صلاح الفلس» وهو رجل قصير القامة ونحيف الجسد، لكنه كان يقوم بواجباته على أحسن ما يرام، ولم يسجل أي انتقاد على سلوكه طيلة فترة انتسابه لقواتنا بل العكس من ذلك، كان دمث الأخلاق وذو معشر حسن.. وفي مقابل صفات «صلاح الفلس»، كان أحد ضباطنا «نبيل اللول» طويل القامة بشكل ملحوظ،، وهكذا شغل الاثنان اهتمام الكوادر الأخرى الذين كانوا يتندرون بذكر صفاتهما التي جعلت منهما مشهورين ومعروفين لجميع قوات فتح في بيروت.

وذات يوم تشاجر الاثنان لسبب غير معروف وصدف أنني كنت بالقرب منهما، فسمعت نبيل اللول يقول لصلاح الفلس: والله لو في محل بوجهك للكف لضربتك إياه!! وصار هذا الشجار وما قيل فيه من كلمات نكتة يرددها الجميع، وهذه هي إحدى المشاهد الكوميدية التي كانت بمثابة عزاء لنا في أيام كان لا يدري أحدنا متى ستكون لحظة استشهاده!!.

الرواية السادسة: السبع يمشي على عكاكيز:

بينما كنت على شرفة مكتبي لأخذ استراحة قليلة، وإذ بي أرى أحد مقاتلينا واسمه «السبع» وهو من أبناء قطاع غزه، يمشي على «عكاكيز» قصيرة اضطرته إلى أن يحني جسمه خلال عملية المشي. وكان المذكور قد شارك في معظم المعارك في الأوزاعي والشياح وحرب الفنادق، حيث أصيب في قدمه وأدخل إلى مستشفى القدس للعلاج، وبعد أن خرج من المستشفى يبدو أن العكاكيز الطويلة كانت مفقودة تماما، وعليه صرفوا له عكاكيز قصيرة.

لقد آلمني منظر «السبع» فأرسلت من يستدعيه وأرسلت كادرا آخر لشراء عكاكيز طويلة له، وعندما جلس أمامي سألته: أين تنام..؟ فقال كل يوم أنام في مكان حسب التساهيل، فليس لدي غرفة لأنام فيها، فطلبت إحضار آمر التموين الملازم أول حسن أبو الغور.. وأمرته بتسليمه نسخة من مفتاح مستودع التموين. فبدأ يتذرع بأسباب مختلفة لعدم تسليم المفتاح تعبيرا عن



حرصه الشديد إلى السبع لعدم إدخال أي عنصر إلى المستودع عدا حارسه صلاح الفلس، فقلت له: أتخشى أن يأكل السبع التموين؟! إذا كان الأمر كذلك دعه يأكل ما يشاء.. فامتثل للأمر مكرها. وبعد مرور أسبوع من مبيت السبع في المستودع وإذ بالملازم أبو الغور يهرول نحوي ويطلب مني مشاهدة السبع في الشارع، فاستجبت فورا حيث رأيت السبع يتجول بعربة يبيع بها «البليلة» (أكلة شعبية عبارة عن الحمص المطبوخ). وتبين لنا أن السبع أحضر «تنكه» وبدأ ينقع فيها الحمص من المستودع ثم يقوم بغليه حتى يصبح «بليلة» ثم استأجر عربة وبدأ يتجول في الشوارع مناديا لبيع البليلة، والأمر المستغرب أنه صار يتمركز للبيع في شارع مكتبنا أمام نظر الجميع.. والأكثر غرابة من ذلك أن الملازم أول حسن أبو الغور لم يطلب ترحيله من المستودع عطفا عليه.

لقد كان مقاتلونا يعيشون كعائلة، وإذا ما نقص على أحدهم فلوس كان يأخذ من أخيه دون أن يعتبر ذلك سلفة، ومن معه فلوس يعطي من لا يوجد معه، ويتشاركون في المسكن والملبس، ومن الأمور المعتادة أن ترى قميصاً تداول على لبسه عدد من الكوادر.. لقد كانت التشاركية سمة أساسية في قوات الـ١٧ أسهمت في زيادة الألفة بين الجميع[٤٦].

---

٤٦ ملاحظة: من ذكرتهم في الروايات السابقة قد استشهدوا جميعا، لكن ذلك لا يعني ان الروايات في قوات الـ١٧ قد انتهت باستشهادهم، فلو أردت أن أسرد كل ما أتذكره عن هذه العائلة المقاتلة لاحتاج الأمر إلى موسوعة.. في قواتنا كان الجميع يعيشون ليومهم فقط.. وهم على قناعة تامة بأنهم مشروع شهادة.. لذا لم يخططوا ليوم غد.. أو لشهر قادم.



الفصل السادس:



لبنان بعد الخروج الفلسطيني



بشير الجميل رئيساً:

بعد إعلان انتخابه رئيساً لجمهورية لبنان، ركب بشير الجميل سيارته الهوندا الرمادية اللون وانطلق مسرعاً إلى المدرسة الحربية حيث كان النواب ينتظرونه، وفور دخوله القاعة عانق والده ثم كميل شمعون، ثم شكر المجلس على الثقة التي منحه إياها شارحاً برنامج عمله وصاح: لقد قدمنا برهاناً وكسبناه. وفي اليوم التالي أعيد التيار الكهربائي والاتصالات الهاتفية إلى بيروت الغربية، وبدأ بيت الجميل في بكفيا يستقبل المهنئين. وكان السرور واضحاً لدى الحكومة الإسرائيلية، حيث بعث مناحيم بيغن برسالة تهنئة لبشير الجميل يقول فيها: «نحن مسرورون من أعماق قلبنا بانتخابكم، فليأخذ الله بيدكم أيها الصديق العزيز في رسالتكم التاريخية العظيمة لأجل نيل حرية لبنان واستقلاله»[1].

وصل إلى بيروت وفد إسرائيلي ضم شارون ورفائيل إيتان، وموشيه ليفي وأفنير أزولاي من الموساد في ٢٧ / ٨ / ١٩٨٢م حيث اجتمعا سراً في منزل جوني عبده لتهنئة بشير الجميل، ثم قام رفائيل إيتان بتذكيره بالاتفاق المسبق بضرورة البدء في اقتحام بيروت الغربية فور رحيل آخر الفلسطينيين والسوريين. فأكد بشير أنه ملتزم بالاتفاق وسوف يعطي الجيش اللبناني أمراً بالدخول والتفتيش، وطلب المزيد من المساعدة الإسرائيلية وخاصة فيما يتعلق بمشاكل متوقعة خاصة مع المرابطين[2]. واكد رفائيل إيتان أن المرابطين سيرحلون، وطلب عقد اجتماع فوري بين الجنرال أمير دروي من الجيش الإسرائيلي وفادي افرام من القوات اللبنانية وضباط من الجيش اللبناني لوضع ترتيبات هذه العملية. وأكد أنهم يقومون بالاستعداد للانتشار في البقاع في مواجهة السوريين معتبراً أن المفاوضات معهم ستكون شاقة جداً.

واعتبر بشير الجميل أن هزيمة الفلسطينيين وهبوط معنويات السوريين من الممكن أن تساعد على حصار البقاع تمهيداً للقيام بعمل عسكري، مؤكداً أنه طلب من فيليب حبيب الاتصال بالسوريين لمعرفة نواياهم ومخططاتهم في البقاع والشمال. ووعد بإعادة سعد حداد إلى الجيش

١ شيمون شيفر، أسرار الغزو الإسرائيلي للبنان، ترجمة حسان يوسف، شركة المطبوعات الشرقية، بيروت ١٩٨٥، وكتاب بيروت احتلال عاصمة عربية (كتاب الشراع المصور، وثائق ويوميات الحرب) مجلة الشراع ١٩٨٣ ص٣٦٦.

٢ بعد انتخاب بشير الجميل رئيساً انتشر الجيش اللبناني في بيروت الغربية وخاصة اللواء الثامن بقيادة العقيد ميشال عون الذي بعث بوفد إلى مسؤولي «المرابطون» ليشرح لهم تمنياته بأن يتمكن من العمل دون مشاكل، ورد عليه مسؤولو المرابطون بأنهم ليسوا بصدد مواجهة الجيش وعليه فقد كانت عملية انتشار الجيش اللبناني سهلة.

بالتنسيق مع النائب العام العسكري أسعد جرمانوس، مؤكداً أنه وسوف يعامل كبطل. وأكد رفائيل إيتان أن الدروز سيدعمونه، وهذا ما أكده له اثنين من زعمائهم زاروه. وكان وجهة نظر بشير الجميل أنه لن تكون هناك مشكلة مع الدروز، فالأمير مجيد أرسلان يلعب الآن دور المرشد وسنساعده، وأخذ الدروز يلتفون حوله، في حين أن وليد جنبلاط يتشبث بزعامته وسنفهمه أن عليه أن يمر بأرسلان إذا أراد الحصول على أي شيء.

بشير الجميل ومعاهدة الصلح مع إسرائيل:

رتب الموساد لقاء بين مناحيم بيغن وبشير الجميل في مصنع للعتاد العسكري يوم ١ / ٩ / ١٩٨٢م عند الساعة العاشرة ليلاً، وقبل هذا الموعد بساعات كانت مروحية إسرائيلية من طراز (CH-٥٣) تابعة لسرب المروحيات الأول في سلاح الجو الإسرائيلي تهبط في باحة محطة الزوق للكهرباء لتنقل بشير الجميل إلى إسرائيل، لتهبط في مطار المروحيات العسكري في نهاريا، حيث نزل بشير الجميل ومعاونيههم جوزيف أبو خليل، وجوزيف سعادة وجورج فريحةونقلوا مباشرة إلى حيث كان شارون، إسحق شامير، ديفيد كيمحي، أبراهام تامير، إسحق حوفي، ناحوم عرموني ومناحيم نافون[٣].

ثم توجهوا إلى قاعة الاجتماع وعند حوالي الساعة الحادية عشرة وصل مناحيم بيغن الذي قال: أود أن أرحب بكم سيدي الرئيس، يوم كنت تأتي إليّ فيما مضى كنت أناديك "ابني" والآن صرت رئيساً لبلادك، علي أن أعبر عن الإمتنان لسلفي إسحق رابين وحكومته، كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد جلبت إلى لبنان كوارث وقيود على السلطة وفقدانا للاستقلال، كان هذا ينذر بالقضاء على المسيحيين في الجنوب وغير الجنوب، وعانى السكان معاناة هائلة من القصف، لقد جئت هذه الليلة لأقول لك أنه لن يهددكم أحد بعد الآن، فالجيش الإسرائيلي سحق منظمة التحرير الفلسطينية وجردها من السلاح، وطردها خارج لبنان، وانهزم الجيش السوري، لقد دمرنا لهم ٤٠٥ دبابات، و١١٢ طائرة، ولأول مرة أسقطت طائرة من طراز (ميغ ٢٥) وقضينا على (٢١) بطارية لصواريخ سام ٦ وسام ٨، كما سحقنا وحدات سورية كبيرة، وحافظ الأسد يعلم أنه إذا نشبت حرب فجيشه سوف يسحق، يجب أن يغادر كل السوريين لبنان. ثم تأتي المرحلة الثانية التي ستكون طرد كل الإرهابيين من الشمال والبقاع. والمرحلة الثالثة ستشهد خروج كل القوات الأجنبية بما فيها الإسرائيلية والسورية، وأمامنا خيارين

٣ قصة الموارنة في الحرب، مصدر سابق.



إما ألا نغادر لبنان قبل أن يغادره السوريون، وإما أن ننسحب وإياهم في الوقت ذاته، ولقد اخترنا الحل الثاني. وعند انتهاء المرحلة الثالثة سيكون هناك لبنان جديد حر ديمقراطي لديه جيش قوي مزود بأحدث الأسلحة، ويجب أن يكون الضباط مخلصين للرئيس قائدهم الأعلى، ويجب أن يكون للبنان أجهزة أمن داخلي مناسبة، نحن على استعداد لمساعدتكم، نحن في حرب منذ سنة ١٩٤٨م حتى هذه الليلة، ونحن أصدقاء ودولتان وحكومتان لا تزالان في حالة حرب. إن إسرائيل تستحق أكثر من أمريكا وفرنسا وباقي العالم التي لم تساعدكم، أما نحن فقد ساعدناكم، ولكن الرئيس كميل شمعون أعلن أن لبنان لن يوقع معاهدة صلح مع إسرائيل ؛لأنه فقير ويحتاج إلى المساعدات العربية، ولقد فوجئت بهذا الكلام وأقول له أن مصر فقيرة وتحتاج إلى العالم العربي أكثر من لبنان، ولكنها مع ذلك وقعت على معاهدة صلح، هل إن المال هو الذي يقرر نوعية العلاقة التي يجب أن تقوم بيننا، يجب أن تكون علاقتنا مبنية على الشرف والكرامة، يجب الانتهاء من الحرب ولهذا علينا أن نوقع معاهدة صلح باللغتين العربية والعبرية، وسنوقع على النسخة العبرية في القدس وعلى النسخة العربية في بيروت، دع صداقتنا تنعكس على شعبينا، يمكن أن تقوم وحدة اقتصادية بين بلدينا ويمكن أن تكون بيننا صداقة في الشؤون الدولية، وهذا ما أتوقعه هذه الليلة، فسوريا لن تجرؤ على مهاجمة إسرائيل أو لبنان، والأردن لن يهاجمنا، ونحن سعداء لكونك انتخبت بصورة ديمقراطية رئيساً للبنان، ويمكن لنا أن نقول أن لك صديقاً في القدس وأن لي صديقاً في بيروت"[٤].

ورد بشير الجميل: لقد كنا محظوظين حين حصلنا على دعمكم غير المشروط، اليوم صار صديقكم رئيساً للجمهورية اللبنانية، وسوف نقوم بخطوة أخرى وهي إخراج (٥٠٠ ألف) فلسطيني موجودين في لبنان، فلن يبقى إرهابيون على أرضنا أبداً، وفي المرحلة الثانية سيخرج السوريون من لبنان، لكننا لن نرضى بأن يكون الانسحاب السوري والانسحاب الإسرائيلي على مستوى واحد، لسنا بحاجة إلى تطبيع بين شعبينا، وسأعمل ما بوسعي كرئيس للدولة حتى تتحقق أحلامنا. لقد انتصرنا في الحرب بفضل مساعدتكم ودعمكم.. وخاطب رئيس الوزراء الإسرائيلي قائلاً: لقد كنت "سيداً كبيراً" وقالها باللغة الفرنسية" .

ثم طلب مناحيم بيغن الاختلاء عقد اجتماع منفرد مع بشير الجميل الذي أشار إلى جورج فريحه الذي كان يسجل الملاحظات وإلى جوزيف سعادة أن يرافقاه في الجلسة، في حين التحق مع مناحيم بيغن كل من شارون واسحق شامير واسحق حوفي ويهوشع ساغي.

---

٤ آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان، ص٣٧٠، شيمون شيفر، أسرار الغزو الإسرائيلي للبنان، ص١٣٣.

وبدأ بيغن الحديث مستهجناً موقف بشير الجميل أمام وسائل الإعلام وعدم الحديث عن المساعدات التي تلقاها من إسرائيل خلال السنوات الماضية والتي تكللت بهذا الإنجاز قائلاً: أنتم أشدتم بالجنود الأمريكيين والإيطاليين والفرنسيين، فلماذا لم تقولوا كلمة واحدة عنا.؟ والسوريون سينسحبون تحت الضغط، أما نحن فسوف نغادر بملء إرادتنا ولم نسمع كلمة شكر واحدة أو كلمة تفيد أننا أنقذناكم، إن صمتكم قد يؤثر على علاقتنا المستقبلية، لم أطلب منك شيئاً قبل الانتخابات، أما الآن فأنت الرئيس وهذا وضع آخر، لقد قال شمعون أنه لا يمكن عقد معاهدة صلح بين لبنان وإسرائيل، وقال والدك إن لبنان جزء غير منفصل من العالم العربي، إذا كنت لا تريد معاهدة صلح، قلها الآن فنحن عشنا ثلاثة آلاف وسبعمائة سنة بدون سلام، وبوسعنا أن نستمر. وهنا أصر بيغن على ضرورة الإسراع بالتوقيع على معاهدة صلح بين إسرائيل ولبنان خاصة في ضوء الضغوط التي يمارسها الرأي العام الإسرائيلي على حكومته والذي يطالب برؤية نتائج حقيقية على الأرض.

وتذرع الجميل أنه يواجه صعوبات خاصة وجود مليون ونصف المليون من المسيحيين لا يزالون تحت السيطرة السورية والفلسطينيين، وصدور أية تصريح سياسي بهذا المعنى سيسبب لهم الكثير من المشاكل. فأكد بيغن أنه لم تعد للسوريين القدرة على القيام بهجمات، وهنا تساءل شارون: هل صحيح أن المسلمين اللبنانيين يشترطون عدم عقد معاهدة صلح كي يتعاونوا معك.؟ فأجابه بشير الجميل: إن هذا صحيح، إن لبنان سيتفكك إن أنا أدليت بتصريح كهذا. وهنا صاح بيغن غاضبا: إذن أنت تذعن للابتزاز وتهمل الصداقة. أنا لا أريد أن يتفكك بلدكم قالها بمزيد من السخرية اعتبر أن الاجتماع انتهى وهمّ بالخروج. وتدخل شارون قائلاً: رضينا بأن لا نتدخل في الانتخابات، وها أنت الآن قد تم انتخابك، فإذا لم تعقد معاهدة صلح فإن وحدة لبنان ستتعرض للخطر في الجنوب. وأقترح بيغن تأليف لجنة مشتركة مهمتها صياغة نصوص السلام وتحديد الرزنامة الواجب التقيد بها. وأكد على ضرورة صدور تصريح لبشير الجميل يؤكد ضرورة عقد معاهدة صلح مع إسرائيل، وبعد ذلك تبدأ مباحثات لأجل الوصول إلى تحديد الأساليب، ومن جهتي فإنني أعين إسحق شامير وأرئيل شارون عن الجانب الإسرائيلي لتلك المباحثات ويجب أن نحدد الآن تاريخ أول اجتماع للجنة وسيكون ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م في بيروت.

وانتقل بيغن للحديث عن موضوع سعد حداد وقال إنه قاتل من أجل لبنان، وبدلاً من أن يحظى بترفيع يتوجب عليه أن يمثل أمام النائب العام، لن أسمح بذلك، هذا عار.. الرجل ليس



خائناً وهو صديقي ووطني لبناني، عليك أنت كرئيس للبنان أن ترقيه وتجعله يشارك في عملية المصالحة، ويجب أن يكون عضواً في الحكومة ويجب أن تكون قواته جزءا من الجيش اللبناني. سوف أستقبله قريبا، أريد منك أن تسجل أننا لن نتخلى عنه، ولن يمثل أمام أي نائب عام ولن أسمح بأن توجه إليه أي تهمة، أعلم أنك تفكر في تعيينه ملحقاً عسكرياً، لكني لا أظن أن هذا يليق بصديق، وأعتقد أنه سيفضل أن يعيش في إسرائيل إذا لاحقتموه وأنه سيطلب اللجوء السياسي وسأمنحه إياه.. وعلى أية حال إذا لم يكن هناك معاهدة صلح فسيكون الوضع القانوني في جنوب لبنان مختلفاً، سنحتفظ في هذا الحال بشريط عمقه أربعون أو خمسة وأربعون كلم في لبنان، ولن يستطيع أي ضغط أمريكي أن يزحزحنا مترا واحدا، وأقول لك كصديق أن علاقتنا هي الآن في منعطف حاسم. وأضاف شارون حداد ضابط جيد، وأفضل من كثيرين غيره من الضباط اللبنانيين، كان يسيطر على منطقة يسكنها مائة وخمسون ألف مدني، لقد خاطر بحياته وفقد عدداً من رجاله وهو الآن على رأس لواء يضم (٢٠٠٠ شخص)[٥].

بشير الجميل يفقد صوابه:

طبقاً لتقارير الشرطة اللبنانية فإن الاجتياح الإسرائيلي أوقع (١٧٨٢٥ قتيل) و (٣٠١٠٣ جريح) ولا يدخل في هذا الرقم الضحايا الذين لم يعثر على جثثهم أو الذين دفنوا في مقابر جماعية، ورغم هذه المأساة التي سببتها إسرائيل، وأنها خسرت الحرب وانعكست نتائجها سلباً على المجتمع الإسرائيلي بسبب ارتفاع نسبة القتلى بين الجنود ولعدم تحقيق أي مكسب سياسي من الحرب سوى المراهنة على انتخاب بشير الجميل رئيساً للبنان. ومن هنا جاءت الضغوط الإسرائيلية على بشير الجميل لتحقيق إنجاز سياسي يمكن تقديمه للشعب الإسرائيلي كثمن للحرب متمثلا في توقيع اتفاقية سلام مع لبنان[٦].

أمضى بشير الجميل بعد عودته من نهاريا يوم ٢ / ٩ / ١٩٨٢م في استقبال المهنئين في بيت والده في بكفيا، ثم استدعى قيادات الكتائب إلى اجتماع في المساء، منهم: جوزيف سعادة، وجان ناضر، جورج سعادة، جوزيف أبو خليل، سليم الجاهل، جورج فريحه، كريم بقرادوني، أنطوان

---

٥ يقول جوزيف أبو خليل: خرج بيغن وبشير وعلى وجهيهما كل علائم سوء التفاهم، واقترب مني بشير ليهمس في أذني قائلاً: هذا أسوأ اجتماع عرفته في حياتي، وبدا لاحقاً أنه مستاء أشد الاستياء من اللغة التي خاطبه بها بيغن. قصة الموارنة في الحرب، ص٢٢٤.

٦ آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان، ص٣٧٥.

نجم، الفرد ماضي، زاهي البستاني، جوني عبده. ومن العسكريين: فادي افرام، أنطوان بريدي، أسعد سعيد، فؤاد بطرس خوند، إيلي وازان، إيلي الزايك، ومن الإستخبارات الكتائبية كل من سامي شدياق، وإيلي حبيقه، وأسعد شفتري، ومن الدعم والإسناد ريمون حرب، ووليد فارس.

خلال الاجتماع أخرج بشير الجميل من جيبه ورقة هي عبارة عن برقية من ملك المغرب الحسن الثاني يدعوه لحضور قمة فاس حيث كان على جدول الأعمال، وبناءً على طلب من الرئيس السابق إلياس سركيس إنهاء مهمة قوات الردع العربية والتي سبق أن انتهت مدة تفويضها بتاريخ ٢١ / ٧ / ١٩٨٢م. وأبلغهم بشير الجميل أنه يريد إجراء حوار مع القادة العرب، ولذلك أرسل "بول جريديني" اللبناني الأمريكي والمستشار في وزارة الدفاع الأمريكية إلى الأردن ليقيم اتصالاً مع الملك حسين، كما أرسل موفدين آخرين إلى الرياض و القاهرة والكويت وتمنى أن يتم فتح حوار مع الرئيس حافظ الأسد، وأنهى بشير الجميل حديثه قائلاً: سأذهب إلى مؤتمر القمة كي أتحدث للملوك والأمراء والرؤساء العرب.

فقد بشير الجميل صوابه صباح يوم ٣ / ٩ / ١٩٨٢م واجتاحته حالة من الهستيريا عند سماعه النبأ الذي أوردته وكالة رويترز والذي يكشف اجتماعه مع مناحيم بيغن في نهاريا وأن الرجلين بحثا مستقبل العلاقات اللبنانية الإسرائيلية وإمكانية عقد معاهدة صلح بين البلدين على غرار اتفاق كمب ديفيد مع مصر، وأثناء فورة الغضب صاح بشير الجميل "لا أريد أن أرى إسرائيلياً بعد الآن".

وفي حركة غير متوقعة قامت وحدات من الجيش الإسرائيلي بالتقدم إلى الأمام من المطار الدولي نحو بئر حسن وعلى طول الخط المتاخم للبحر في جنوب بيروت، وتمركزت فصيلة من الجنود على طول المنطقة الملاصقة للسفارة الكويتية، الأمر الذي أثار القلق في مخيمي صبرا وشاتيلا اللذين لا يبعد مدخلهما كثيراً عن السفارة الكويتية، ثم أقام الجنرال عاموس يارون مقراً لقواته في أعلى مبنى من ست طبقات وكان ذلك المبنى يضم مساكن ومراتب الجيش اللبناني سابقاً.

أثار هذا الخرق لاتفاقية فيليب حبيب جدلاً لدى الجانب الماروني حيث تراجع بشير الجميل عن الوعد الذي قطعه بعدم استقبال أي إسرائيلي، واستقبل يوم ٧ / ٩ / ١٩٨٢ إسحق حوفي مدير الموساد الذي أبلغه أنه سيغادر منصبه ليحل بدلا منه ناحوم عرموني "بيتر" وعبر بشير الجميل عن غضبه لإفشاء خبر اجتماعه مع مناحيم بيغن في نهاريا، فيما طلب إسحق حوفي منه استقبال شارون لتجاوز الأزمة.



افتتحت القمة العربية في فاس صباح ٩ / ٩ / ١٩٨٢م دون حضور بشير الجميل الذي تراجع عن الذهاب في آخر لحظة بحجة أنه لم يتسلم الولاية رسمياً بعد، وفي صباح يوم ١٠ / ٩ / ١٩٨٢م أمر الرئيس الأمريكي رونالد ريغان بسحب جنوده من بيروت، حيث أبحرت الكتيبة رقم (٣٢) من مشاة البحرية على الفور، وأعقب الانسحاب الأمريكي طلعات استكشافية للطيران الإسرائيلي، وفي يوم ١١ / ٩ / ١٩٨٢م حذا الإيطاليون حذو الأمريكيين وانسحبوا من بيروت، وانسحب الفرنسيون يوم ١٢ / ٩ / ١٩٨٢م.

وبينما كانت آخر عناصر القوات الفرنسية تنسحب من لبنان، وصل شارون وبرفقته إسحق حوفي إلى بيروت وتوجها على الفور إلى منزل بشير الجميل الجديد في بكفيا، وبعد تناول طعام العشاء بدأ شارون مازحاً فقال: لا يعلم أحد أين أنا، وبالتالي لن يكون هناك تسريب للخبر واعتذر عن الموقف المتشنج من رئيس الوزراء مناحيم بيغن خلال اجتماع نهاريا.

- رد عليه بشير الجميل: لقد خاطبني بيغن كما لو أنني فلسطيني أو سوري وليس كصديق، هل يمكنك أن تعطيني تفسيراً لذلك.؟

- شارون: أود أن أعتذر، لقد عدت إلى بيتي في تلك الليلة والألم ينهشني، فالمكان كان لا يليق باستقبال رئيس لبنان، وكان رئيس الوزراء مستاءً جداً لعدم سماعه كلمة لصالح إسرائيل، نحن نتعرض لانتقادات قاسية، لقد أجريت خلال ثلاثة أشهر أربعة وخمسون اجتماعاً معك ومع جوني عبده، ومع فيليب حبيب، وقد حلت بنا خسائر جسيمة، لقد ساعدناكم لأنكم أمة صغيرة ونحن أمة صغيرة، حين هاجم العراق الأكراد ساعدناهم، فأرسلنا إليهم أطباءً وضباطاً وجنوداً ظلوا سنوات في تلك الجبال يقاتلون إلى جانبهم.. إن بيغن يحبك كثيرا ولكنه متألم، ولقد أحس بكثير من الإهانة لعدم صدور ردة فعل علنية عنكم، لقد هاجمنا صواريخ سام٦، وسوف نعاود ذلك غداً، إن تصريح الرئيس شمعون وصمتك سببا له حرجا كبيرا، على كل حال لقد غادر بيروت (١٥٠٠٠) فلسطيني وسوري، إلا أنه لا تزال هناك مراكز قيادة صالحة للعمل، فشفيق الحوت يتلقى فيها أوامر من عرفات، وأحمد جبريل ترك (٢٠٠٠) مقاتل في المدينة.

- بشير الجميل: معلوماتنا تقول ١٥٠٠ مقاتل.

- شارون: الأمر سيان نحن ننوي أن تتولى أمرهم، لقد وصل جنودنا إلى بئر حسن والسفارة الكويتية أتمنى الحصول على إذنكم لكي أدخل المدينة لأننا لم ندخلها قبل الآن بسبب حضور القوة المتعددة الجنسيات.

- بشير الجميل: لن تستطيعوا دخول بيروت ما لم تقرر الحكومة اللبنانية الآلية اللازمة لذلك.

- شارون: وكيف تتصور تنظيف بيروت..؟
- بشير الجميل: يوم ٢٣ / ٩ / ١٩٨٢م بعد تنصيبي سيصبح بإمكاني أن أصدر الأوامر.
- شارون: نحن سنعمل بحرية أينما أتيحت الفرصة لقواتنا.
- بشير الجميل: لا تدخلوا الآن، لكن ابقوا حيث أنتم، فالضغط الناجم عن حضوركم يتيح للجيش اللبناني أن يعمل بمزيد من السهولة.
- شارون: إذا دخل جيشكم إلى صبرا وشاتيلا أتريدون أن تتقدم قواتنا على مهل وراءكم..؟
- بشير الجميل: نعم ستقولون أن الجيش اللبناني دخل إلى هناك، يجب أن يتم التنسيق بين فادي افرام وأمير دروي وميشال عون.
- شارون: إذ ليس من الضروري القيام بذلك غداً، وهل ستعمل أجهزة مخابراتكم بصورة شرعية في بيروت الغربية.
- بشير الجميل: سيقوم إيلي حبيقه بالتنسيق معكم.
- قال شارون: ما زال الفلسطينيون يريدون خلق مشاكل ومن مصلحة الجميع أن تتدبر هذا الأمر وتتصرف بسرعة.
- رد بشير الجميل: نحن جاهزون لذلك سيتولى إيلي حبيقه هذا الأمر.

اغتيال بشير الجميل:

بالتوازي مع تلك التطورات التي كانت تشهدها لبنان كانت مجموعة تابعة للحزب القومي السوري الاجتماعي تسابق الزمن للإنتهاء من التجهيز لاغتيال بشير الجميل.. بإشراف المدعو نبيل العلم (مسؤول الشؤون الداخلية في الحزب القومي السوري)، الذي قام باختيار المدعو حبيب الشرتوني[٧]، الذي تم تجنيده في صفوف الحزب أثناء وجوده في باريس في وقت سابق، وجاء اختياره للاشتراك في عملية اغتيال بشير الجميل بسبب إقامته في مبنى يضم مكتب حزب

٧ حبيب الشرتوني ماروني ولد في قرية صغيرة تسمى شرتون بالقرب من عاليه الواقعة في جبل لبنان عام ١٩٥٨م، تأثر بالحزب القومي السوري الاجتماعي. عندما بدأت الحرب الأهلية، تطوع للخدمة في أحد مواقع الحزب في عاليه. بعد أشهر قليلة، نصحه أهله بمغادرة لبنان إلى قبرص ثم إلى فرنسا حيث درس في جامعة في باريس ونال شهادة في العمل. قضى عاما في باريس بعيدا عن السياسة، حتى أواخر صيف ١٩٧٧م خلال زيارته إلى لبنان حيث انضم رسمياً للحزب القومي السوري الاجتماعي وأصبح عضواً فاعلاً منذ ذلك الوقت. عند عودته إلى فرنسا، قام بالاتصالات اللازمة مع ممثلي الحزب في فرنسا وبدأ بحضور اجتماعاته السرية، حيث التقى نبيل علم، مسئول الشؤون الداخلية في الحزب في ذلك الوقت. ترك علم انطباعا على الشرتوني، ما مهد الطريق لاغتيال بشير الجميل.



الكتائب في منطقة الأشرفية في الطابق الثاني بينما كانت الشقة التي يقيم فيها الشرتوني، والتي تعود ملكيتها لجده وجدته وتقيم فيها أيضا شقيقته، في الطابق الثالث. وقام نبيل العلم باستئجار شقة في بيروت الغربية لتخزين المتفجرات على أن يتم نقلها للمنطقة الشرقية بالإضافة إلى أن يتم تدريبه على المفجر وفعلاً بعد تسلم الشرتوني المتفجرات والمفجر من علم قام بنقل المتفجرات بأمان إلى بيت عمته في الأشرفية، على بعد بضعة أميال من المقر وثم قام بنقلها إلى مكان سكنه بالطابق الثالث.

وفي ليلة ١٣ أيلول ١٩٨٢م، تسلل إلى الطابق الثاني من المبنى حيث مكتب الكتائب في الأشرفية. تصرفه لم يثر أي شكوك بما أنه يقطن في الطابق الثالث من المبنى نفسه مع أخته وجديه. دخل إلى غرفة في يمين مكان يجلس فيه بشير ورفاقه ووضع حقيبة في مكان مخفي تحوي ٣٥ كلغم من مادة TNT شديدة الانفجار.

في اليوم التالي تجول الشرتوني في المكان حيث كان من المقرر أن يلقي بشير خطاباً. وعندما تأكد من وصول بشير، قام بالاتصال بشقيقته وأخبرها أنه حصل معه حادث سير وهو الآن بالمستشفى يجب حضورها بالسرعة الممكنة وما أن تلقت شقيقته الخبر حتى تركت المنزل مسرعة وكان هو يشاهدها وحينما تأكد من مغادرتها المنزل توجه خارج المبنى وركض إلى حي النصرا، حيث يوجد المفجر.

ذهب بشير الجميل إلى مركز الأشرفية كي يتحدث إلى سكان الحي ويقوم بتكريم "جان ناضر" الذي كان رئيساً للمركز يوم ١٤ / ٩ / ١٩٨٢م عند الساعة الرابعة وعشر دقائق عصراً، وما كاد يأخذ مكانه المخصص ويبدأ بإلقاء خطابه تأكد الشرتوني من وجوده فضغط على المفجر وقد سمع صوت الانفجار في كل بيروت، وبعد الانفجار عاد للموقع لتفقد النتيجة.

بدأت عملية البحث عن بشير الجميل بين الركام، وكان هناك منقذون يرفعون كتلاً من الإسمنت وقطعاً حديدية لعدة ساعات، فصاح أحدهم أنه عثر على جسد آخر، فتقدم فادي افرام ليتعرف على الجثة، ورغم الغبار الكثيف استدل على لون القميص "الأزرق السماوي" الذي كان يرتديه بشير الجميل، لكن الوجه كان مسحوق تماما ولا يمكن التعرف على صاحب الجثة، لكن فادي افرام لاحظ الخاتم ذو الثمانية أضلاع الذي كان في إصبع الجثة.. لقد كان خاتم بشير.. ونقلت الجثة إلى مستشفى أوتيل ديو لاتخاذ الإجراءات اللازمة وتأكيد نبأ وفاة بشير الجميل الرئيس المنتخب الذي لم يتسلم الحكم بصورة رسمية رغم مرور واحد وعشرين يوما على انتخابه.

بعد انقضاء يومين في ١٦ سبتمبر – أيلول عند الساعة الخامسة والنصف عصراً أوقف حبيب طانيوس الشرتوني البالغ من العمر ٢٤ سنة في منزله، من قبل أحد أبناء عمه إلياس الشرتوني الذي كان أحد ضباط جهاز الأمن الذي يرأسه إيلي حبيقة، فقد وشت بحبيب عن غير قصد أخته التي كانت في حالة هستيرية تصيح قائلة أنها مدينة ببقائها حية لأخيها، الأمر الذي لفت انتباه المحققين.

تم تسليم حبيب الشرتوني من قبل القوات اللبنانية إلى أمين الجميل شقيق بشير، فعهد به في حراسة أحد قادة المليشيا ويدعى "طانسا" وهو المسؤول عن منطقة الدوار في المتن الأعلى وتم تقييد الشرتوني والزج به في الطبقة السفلية لبيت مهجور، وتمكن الشرتوني من فك قيوده وفر هاربا، لكن قوات من الكتائب تمكنت من إلقاء القبض عليه عند الفجر وكان لحظتها عند آخر حاجز للقوات اللبنانية، وحيث كان الشرتوني يحاول العبور إلى المنطقة التي يسيطر عليها السوريون، فأعيد إلى مبنى الأمن العام (الكتائب) وبدأ التحقيق معه فأفاد أن "نبيل العلم" رئيس جهاز الإستخبارات في الحزب السوري القومي الاجتماعي سبق أن اتصل به من باريس وطلب منه الانضمام للحزب بصفته شقيق جورج الشرتوني رئيس خلية الحزب في إيطاليا والعضو في منظمة أمنية تدعى "المبعوثون الأمنيون" وكان من أعضائها في بيروت الشرقية العنصرين اللذين حاولا اغتيال بشير الجميل سابقاً في شهر (٢ / ١٩٨٠م) عن طريق تفجير عبوة ناسفة، وأدى الانفجار لمقتل ابنته مايا واثنان من حرسه الشخصي، والمنفذان هما جوزيف كازريان ونزيه شعيا وكانا عضوان في مجموعة خاصة ضمن جهاز إستخبارات القوات اللبنانية تحت أمرة "إلياس الشرتوني" وبرئاسة إيلي حبيقه.

وبعد يومين من اعتقال الشرتوني، اعترف أمام مؤتمر صحفي، بمسؤوليته عن عملية اغتيال بشير الجميل واصفاً إياه "بالخائن الذي باع البلاد لإسرائيل"، قائلاً: "أنا حبيب الشرتوني أقر وأنا بكامل أهليتي القانونية بأني نفذت حكم الشعب بحق الخائن بشير الجميل وأنا لست نادماً على ذلك بل على العكس إذا أتى مرة أخرى فسوف اقتله وستصح مقولة لكل خائن حبيب وأبشركم أن هناك ألف ألف حبيب لكل خائن عميل في بلادي". وأضاف: "لقد أعطيت المتفجرات ومفجراً بعيد الأمد في رأس بيروت من قبل نبيل العلم".

وبعد ثمانية أشهر قام إيلي حبيقة[٨] بناءً على أوامر فادي افرام بتسليم حبيب الشرتوني إلى الدولة اللبنانية لاستكمال التحقيقات معه من قبل الأمن العام اللبناني. وعندها أعلن الشرتوني بكل جرأة وشجاعة: "أنها طريقة شخصية للاشتراك في الحرب، هذا نوع من الحرب والصراع في لبنان، أنا لست مأجوراً ولم أتقاض في مقابل عملي مالا أو أي شيء". وعندما سئل هل قرار الاغتيال والتنفيذ هو قرار حزبي قيادي، أجاب: "لا، في الحقيقة إن العملية تمت بيني وبين الشخص المسؤول المدعو نبيل العلم مسؤول الاستخبارات في الحزب السوري القومي، ما كنت مقتنعاً بالأمر لكن المسؤول استطاع إقناعي سياسياً بعد الاجتياح الإسرائيلي، ونفذت العملية، وكان في استطاعتي تنفيذها قبل هذا الوقت لأني كنت مقيماً في المبنى منذ سنوات".

ثم نقله العقيد صلاح منصور إلى زنازين الشعبة الثانية (المخابرات) الكائنة آنذاك في المبنى الثاني لوزارة الدفاع في اليرزة، وجرى تقديمه أمام النائب العام العسكري أسعد جرمانوس حيث اعترف بالعملية، ووجهت إليه تهمة قتل رئيس الدولة. وبعد انتخاب أمين الجميل رئيساً أمر بنقل ملفه من القضاء العسكري إلى المحكمة العليا المنصوص عليها في الدستور. قضى الشرتوني ٨ سنوات في سجن روميه بدون أي محاكمة رسمية، حتى ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠م عندما فر خلال الهجوم السوري الأخير من أجل إسقاط الحكومة التي ترأسها ميشال عون. حين دخلت القوات السورية منطقة المتن عام ١٩٩٠م تم اقتحام مبنى السجن، وأفرج عن جميع من كانوا موقوفين وكان من بين السجناء حبيب الشرتوني.

الحزب القومي السوري ينفي علاقته باغتيال بشير الجميل:

رغم ادعاء حبيب الشرتوني بوجود علاقة للمنظمة الأمنية في الحزب القومي السوري مع فؤاد الشمالي عضو العمليات الخارجية في الحزب والذي يرتبط بعلاقات وثيقة مع قادة أمنيين فلسطينيين ولعب دوراً في مسيرة العمل الوطني الفلسطيني، «إلا أن إنعام رعد الأمين العام

٨ ايلي حبيقة: الياس (ايلي) جوزيف حبيقه (١٩٥٦/٩/٢٢ – ٢٠٠٢/١/٢٤م) سياسي لبناني واحد قادة مليشيا القوات اللبنانية خلال الحرب الأهلية اللبنانية انضم في شبابه إلى حزب الكتائب قبل أن يلتحق بالقوات اللبنانية عند تشكيلها، أصبح سنة ١٩٧٩ مسؤولا عن جهاز الامن والمعلومات في القوات وهو من المتورطين في مذبحة صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م، أصبح سنة ١٩٨٥ قائدا للقوات بعد قيامه بانقلاب داخلي مع سمير جعجع على قائدها آنذاك فؤاد أبو ناضر، ازاحه جعجع عن القيادة في شهر١/١٩٨٦ بعد توقيعه الاتفاق الثلاثي مع وليد جنبلاط ونبيه بري في دمشق تبناه السوريين بعد ارتكابه مجزرة صبرا وشاتيلا، اضطر بعدها الى اللجوء الى زحلة ثم بيروت الغربية وهناك اطلق حركة سياسية أصبحت فيما بعد حزب الوعد، كما انتخب كعضو في المجلس النيابي سنتي ١٩٩٢ و١٩٩٦ بمقعد بعبدا، خسر مقعده في انتخابات سنة ٢٠٠٠ اغتيل في بيروت يوم ٢٠٠٢/١/٢٤ عن طريق سيارة مفخخة.

للحزب نفى رسميا أن يكون لحبيب الشرتوني أية علاقة بحزبه»[٩].

وعند اعتقال الشرتوني أعلنت الشعبة الخامسة في "القوات اللبنانية"، أو أعلام القوات أن "القومي السوري حبيب الشرتوني الذي يرتبط بعلاقة وثيقة بالاستخبارات السورية، نفذ عملية اغتيال بشير الجميل. ولم توجه "القوات" ولا الكتائب أصابع الاتهام إلى الحزب القومي رغم العداء الكبير بين الحزبين، ولم تفعل ذلك أيضاً الدولة اللبنانية التي بقي الشرتوني في عهدتها عدة سنوات مما حصر مسؤولية العملية بين منفذها حبيب الشرتوني والمسؤول عنه نبيل العلم فقط.

وهناك معلومات متضاربة حول الشخص الذي قام بالاتصال مع نبيل العلم (مسؤول الشؤون الداخلية في الحزب القومي السوري، وكلفه بالتحضير لعملية إغتيال بشير الجميل، هل هو عصام المحايري (أمين دفاع الحزب القومي السوري سابقاً) أم نبيل سلامة (مسؤول منطقة البقاع في الحزب القومي السوري).


حبيب الشرتوني

وفي أيلول ١٩٩٢م نشرت جريدة "الحياة" وتحت عنوان "التفاصيل الكاملة لاغتيال بشير الجميل" أربع حلقات عن الاغتيال تضمنت المقابلة الوحيدة لحبيب الشرتوني، وفيها أن محاولات عدة جرت لاغتيال الجميل أهمها في شباط ١٩٨٠م لكنها فشلت وأودت بحياة ابنته الطفلة مايا ومرافقيها. وأضافت "إن المعلومات المتوافرة لديه تقول أن نبيل العلم توجه وبعد التأكد من نجاح العلمية إلى دمشق حيث أمضى يومين أو ثلاثة ثم انتقل إلى برلين الشرقية". وأفاد الشرتوني أنه لم يذكر اسم نبيل العلم في التحقيقات إلا بعد أسبوعين من اعتقاله وهذا ما سهل عليه مجالات السفر. وبعد ذلك عاد العلم إلى بيروت وشارك في اجتماعات حزبية عدة لكنه يقيم الآن (أي عام ١٩٩٢م) في إحدى الدول العربية في شمال إفريقيا والأرجح أنها ليبيا.

حبيب الشرتوني عاتب بشدة على الحزب السوري القومي الاجتماعي. يقول: «اعتبرني

---

٩ آلان مينارغ، أسرار حرب لبنان، ص٣٩٦.



الحزب منذ ١٩٨٢م عبئاً عليه وتنكّر لي إلاّ من باب التباهي بالبطولة الآتية هكذا من خلف الضباب والسحاب وعلم الغيب. بينما كان هاجسي حمايته وعدم تعريضه أو تعريض أي فرد من أفراده لأي أذى. ومع الوقت اقتنع الناس أنني فتحت بطولة على حسابي، وهذا التعبير الساخر لسعيد ميرزا». ويتابع: «بعد ثلاثين عاماً من السجن والتعذيب والنفي وخسارة أهلي وأربعة أفراد من عائلتي وكل ما أملك، وعدم تكبيدهم أي خسارة، انزعجَ خاطرهم من تعبير صغير قلت فيه: نفّذت ما طُلب مني تنفيذه!»[١٠].

السيدة صولانج الجميل زوجة بشير الجميل تقدمت بادعاء شخصي في القضية ولم يتضمن ملف القضية أي شكوى ضد الحزب السوري القومي الاجتماعي، حيث أعتبرت أن الحزب كان منقسماً إلى مجموعات، وإن من يتحمل المسؤولية هم أفراد منه تلقوا تعليمات للقيام بالعملية التي لم تصدر بقرار لا عن مكتب سياسي ولا عن مجلس قيادة. وترى أن هناك تفسيرات عدة وكلاماً كثيراً قيل عن الموضوع، ولكن برأيها: "المجرم معروف، ومن يريد خراب لبنان دائماً هو النظام السوري. ومنذ اليوم الأول حملت النظام السوري المسؤولية عن اغتيال بشير الجميل. وتؤكد ان لديها معلومات أن نبيل العلم موجود حالياً في سوريا، أما حبيب الشرتوني فليس إلا أداة للتنفيذ. فالنظام السوري لا يريد للبنان أن يستعيد عافيته ولا يريد قيامة الدولة الحرة.



القوات الإسرائيلية تحتل بيروت الغربية:

بعد انسحاب الدفعة الأخيرة للمقاتلين المدافعين عن بيروت، بدأت القوات المتعددة الجنسيات تعد نفسها للرحيل المبكر، خلافاً لجدول تفصيل الانسحاب من بيروت، وحلول الجيش اللبناني والقوات المتعددة الجنسيات فيها. وبدأ الجيش اللبناني ينفذ خطته في الانتشار داخل بيروت الغربية وفي كل يوم يتسلم مواقع جديدة من القوى الوطنية (المرابطون، وحركة أمل)، ويتسلم ما تركته المقاومة الفلسطينية من عتاد وذخيرة، وفي ١٣-٩-١٩٨٢م، الذي سبق اغتيال «بشير الجميّل»، تسلم هذا الجيش موقعين هامين من المرابطين هما «برج المر» وفندق «النورماندي».

١٠ التفاصيل الكاملة لاغتيال بشير الجميل، الحياة اللندنية، أيلول ١٩٩٢م

وهذا ما جعل الجزء الغربي من بيروت بلا دفاعات بعد أن أزال الجيش اللبناني والقوات المتعددة الجنسيات حقول الألغام، والحواجز وتسلم المناطق والمواقع الدفاعية من القوى الوطنية، مما جعل المدينة مهيأة لاقتحام سهل. وتجدر الإشارة هنا أنّ الجيش اللبناني لم يدخل إلى المخيمات ضمن عملية انتشاره التي كان يجري تطبيقها.

وبالتزامن مع هذه الخطوة شرعت القوات الإسرائيلية في التحضير لاقتحام بيروت الغربية، من خلال عمليات تقدم يومية لقوات الجيش الإسرائيلي ففي أيام ٤، ٥، ٦ من أيلول ١٩٨٢م تقدمت هذه القوات واحتلت قصر منصور «المجلس النيابي» ودخلت منطقة الليلكي وبئر حسن، واحتلت ثكنة «هنري شهاب» واستولت على مبنى السفارتين: «اليمنية الديمقراطية» و«الهنغارية» وحصلت اصطدامات مع القوى الوطنية في منطقتي «بئر حسن» و«سان سيمون». وهددت إسرائيل يوم ٦-٩-١٩٨٢م باجتياح خطوط التماس واحتلال بيروت الغربية إذا لم تنسحب قوات الحركة الوطنية وحركة أمل من شاطئ البحر، ومن منطقة الجناح. ثم عاودت القوات الإسرائيلية دخول منطقة بئر حسن في ١٢-٩-١٩٨٢م، ولم يعد هناك غير قلب المدينة «شارع الحمراء، وكورنيش المزرعة، والبسطة وغيرها.

وفي الليلة نفسها التي اغتيل فيها بشير الجميل صادق رئيس أركان الجيش الإسرائيلي رفائيل إيتان على قرار دخول الجيش الإسرائيلي إلى بيروت، وقام أمير دروي (قائد المنطقة الشمالية) بإبلاغ عاموس يارون (قائد القوات الإسرائيلية في بيروت) بضرورة الجاهزية لاقتحام بيروت الغربية فجر فجر الأربعاء ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م.

وفي الساعة الأولى من صباح يوم الأربعاء ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م قام شارون مع باقي أركان القيادة العسكرية بالانتقال إلى بيروت لكن موعد الاقتحام تأجل قليلاً لأن مناحيم بيغن وإسحق شامير التقيا مع المبعوث الأمريكي موريس درايبر وأبلغاه إن ما سيجري في بيروت ما هو إلا عملية محدودة، في حين أن شارون كان قد استكمل التخطيط لاقتحام بيروت الغربية وأطلق على العملية اسم «الدماغ الحديدي».

وشهد مطار بيروت فجر ذلك اليوم جسراً جوياً إسرائيلياً، حيث أنزلت الدبابات و ٢٠٠٠ جندي إسرائيلي من مظليي لواء غولاني ومن اللواء المدرع الذي كان يقوده إيلي جيفع، واتجهت القوات نحو طريق الساحل ثم تجمعت في مناطق التأهب بمنطقة الرمل العالي، وفي تمام الساعة الخامسة من صباح ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م ابتدأت عملية اجتياح بيروت الغربية عبر أكثر من محور طبقا لأقوال عاموس يارون وعلى النحو الآتي:

١- محور الشاطئ: تحركت القوات الإسرائيلية على امتداد طريق الشاطئ حتى مطعم البيكنيك في الأوزاعي، ثم انقسمت إلى قسمين، أحدهما استمر بالتقدم على خط الساحل حتى التقى بكورنيش



المزرعة، وثانيهما اتخذ المسار المؤدي إلى ثكنة هنري شهاب حتى مستديرة السفارة الكويتية فالمدينة الرياضية فمستديرة الكولا عبر الطريق الجديدة عند كلية الهندسة في جامعة بيروت العربية وشارع البستاني فكورنيش المزرعة وتكون بذلك قد طوقت المنطقة من الجهة الغربية.

٢- محور طريق المطار: حيث تحركت القوات الإسرائيلية من مطار بيروت الدولي إلى مستديرة المطار ومن هناك انقسمت إلى قسمين أحدهما استمر بالتقدم باتجاه مستديرة شاتيلا فكورنيش المزرعة مطوقا المنطقة من الشرق، وثانيهما انعطف باتجاه اليسار إلى مستديرة السفارة الكويتية ليلتقي مع القوات الموجودة هناك وبذلك أحكم تطويق المنطقة من الجنوب.

٣- وتحرك الجيش الإسرائيلي لإحكام السيطرة على المنطقة المحصورة ما بين مستديرة المطار ومستديرة السفارة الكويتية ومستديرة الكولا ومستديرة شاتيلا.

وفي خطوة مفاجئة أخلى الجيش اللبناني المواقع التي كان قد تسلمها من القوى الوطنية وتراجع عنها ليدخلها الإسرائيليون، وانكفأ بعيداً وراء المباني الآمنة، وبدأ الإسرائيليون في الاستيلاء على الأبنية المرتفعة وعلى مفارق الطرق لإحكام السيطرة على المناطق المجاورة، وبسرعة تمّ الاستيلاء على الكثير من الأماكن الحساسة. وعلى الرغم من المقاومة التي أبدتها القوى الوطنية الموجودة في غرب بيروت إلا أنّ المدينة كانت شبه مفتوحة، نظراً للتفوق الساحق للقوات الإسرائيلية والخطوات الاستباقية للجيش اللبناني الذي قام بإزالة حقول الألغام والمتاريس والتحصينات أثناء انتشاره في بيروت الغربية.

وصل شارون حوالي الساعة التاسعة والنصف إلى غرفة العمليات الموجودة في بيروت فوق سطح بناية (الأكوا) التابعة للأمم المتحدة بالقرب من السفارة الكويتية في منطقة بئر حسن في حين تمركز أمن القوات الإسرائيلية في خلده، وفي ذلك الحين كانت التعليمات تنص على عدم دخول المخيمات وإنما السيطرة على مداخلها، ومن أجل ذلك أقام الإسرائيليون مركزي مراقبة متقدمين على سطحي عمارتين تقعان في جوار المنطقة، يتيح وجودهم فيها مراقبة المخيمات بشكل واضح والتنصت على شبكة اتصالات الكتائب، وقطعوا كل الطرقات المؤدية إلى المخيمات.

ومن الجدير بالملاحظة أن طبيعة تحركات القوات الإسرائيلية عند اقتحامها لبيروت الغربية وحجم تلك القوات يؤكد أنها جاءت ضمن مخططات مسبقة وليس كما ادعت إسرائيل أنها جاءت كرد فعل على اغتيال «بشير الجميل»، إذ لا يمكن حشد القوات ووضعها في حالة من الجاهزية للعمل في هذه السرعة، كما أن هذا التسلسل يؤكد أنّ العمل بدأ قبل الانفجار، وهذا ما أكدته طبيعة المفاوضات التي كانت قد جرت بين بشير الجميل وشارون قبيل اغتيال الجميل والتي أظهرت إصراراً إسرائيلياً على دخول بيروت الغربية. ولذلك فإنه يمكن التأكيد أن كل شيء كان جاهزاً،

صبرا وشاتيلا الجريمة الكبرى:

وإنّ القرار بالتحرك اتُخذ قبل معرفة مصير الرئيس «بشير الجميل»، الذي لم تتأكد وفاته إلا بعد الحادية عشرة ليلاً، وأنَ القوات الإسرائيلية شرعت في عملية الاحتلال قبل إعلان الوفاة الرسمي.

في يوم الخميس ١٦ / ٩ / ١٩٨٢م كانت القوات الإسرائيلية تقوم بإحكام سيطرتها على الشوارع والمناطق الداخلية في مدينة بيروت الغربية. وقد التقت الطوابير الإسرائيلية المدرعة القادمة من اتجاهين مختلفين قبل ظهر ذلك اليوم في «جادة باريس» قرب السفارة الأمريكية، وأعلن الناطق العسكري الإسرائيلي: إن الجيش الإسرائيلي يسيطر على جميع النقاط الاستراتيجية في بيروت، ويحاصر مخيمات اللاجئين حيث هناك بعض «جيوب الإرهابيين» في منطقة الفاكهاني وفي مخيمي صَبرا وشاتيلا»[11].

وتجدر الإشارة إلى خطورة هذا الإعلان الذي كان يمثل محاولة لتهيأة الأذهان لما سيحدث في المخيمات باختلاقه مسألة «تجمعات الإرهابيين» في المخيمات، وبالحديث عن مكاتب منظمة التحرير وعن جيوب المقاومة في المخيمات مصوراً الأمر: كما لو أنّ منظمة التحرير والقوات الفلسطينية ما زالت موجودة في بيروت.

وبينما كانت الدبابات والقوات الإسرائيلية تحاصر المخيمات انعقد في ظهر اليوم اجتماع على أعلى المستويات بين الإسرائيليين والكتائب، حضره عن الجانب الإسرائيلي رئيس الأركان رفائيل إيتان والجنرال أمير دروي قائد المنطقة الشمالية، وعن الجانب الكتائبي فادي افرام الذي حل محل بشير الجميل قائد للقوات اللبنانية، وإيلي حبيقه رئيس جهاز مخابرات الكتائب.

تجمعت في بيروت ظهر يوم ١٦ / ٩ / ١٩٨٢م قوة تضم (٥٠٠ مسلح) من المليشيات اليمينية ضمت: كتيبة الدامور الكتائبية، وعناصر مؤيدة لكميل شمعون، وعناصر من مليشيات سعد حداد التي وصلت إلى الشويفات في شاحنات من جنوب لبنان عبر الخطوط الإسرائيلية، ومن هناك اتبعت علامات خاصة على الطرق المؤدية إلى المطار وإلى السفارة الكويتية حيث أقيم مركز قيادي كتائبي، وفي الوقت الذي كانت فيه قوات حبيقه تتجمع في المعسكر الخاص بالقوات الإسرائيلية في المطار وصل رجال من الكتائب واجتمعوا إلى عاموس يارون بهدف التنسيق

---

١١ المصدر: زئيف شيف/هارتس ١٦-٩-١٩٨٢م.



ومعرفة حجم القوة اليمينية المسموح لها بالدخول إلى المخيمات، وقد حدد عاموس يارون لهم الجهة الجنوبية والجهة الغربية من مخيم شاتيلا كنقطتي دخول إلى المخيمات باتجاه الشمال والشرق. وكان على رأس «قوات الكتائب» المشاركة «إيلي حبيقة» مسؤول الاستخبارات في قوات الكتائب، ويساعده كل من «ميشال عيد» و«ميشال زوين» و«ديب انطلياس» ومسؤول الشرطة العسكرية الكتائبية وآمر منطقة بيروت الشرقية «مارون مشعلاني»، وقائد «المغاوير» في قوات الكتائب «جوزيف إدة» ومعهم ضابط الارتباط الإسرائيلي «جيس».

وفي وقت سابق تجمعت في وادي شحرور عناصر من الكتائب ومن الأحرار من بيروت الشرقية ومن عكار ومن جنوب لبنان، كما حضر إلى هذا التجمع «١٢» إسرائيلياً بزيهم العسكري حيث طلب من الكتائبيين أن لا يسربوا أي شيء عن المهمة التي سيقومون بها، ونُقلوا في سيارات عسكرية إسرائيلية إلى مطار بيروت حيث انضم إليهم عدد من الجنود الإسرائيليين الذين كانوا يلبسون زي الكتائب العسكرية، وقد أبلغهم الضابط الكتائبي المسؤول بأنّ «هؤلاء الأصدقاء الإسرائيليين المرافقين لكم هم متطوعون لم يخبروا آمريهم بأنهم سيشاركون... لكنهم سيسهلون عليكم مهمتكم..»[١٢].

كان الجيش اللبناني قد أتم انسحابه من مواقعه حول المخيمات بعد أن حاصرته القوات الإسرائيلية في اليوم نفسه (١٦ / ٩ / ١٩٨٢م)، وأبقى بعضاً من جنوده متمركزين على مسافة قريبة من مخيم شاتيلا، وهكذا وقبل اقتحام المخيمين كانت كل الإجراءات قد اكتملت على النحو الآتي:

- قطع الطرقات المؤدية إلى المنطقة.
- طوق محكم حول منطقة صبرا وشاتيلا والفاكهاني.
- تشتيت المقاومة التي جوبهت بها القوات الإسرائيلية في منطقة الغبيري.
- إجبار الأهالي بوساطة القصف والقنص المركز على النزول إلى الملاجئ والاحتماء بها.
- اعتقال كل من تقع يد القوات الإسرائيلية عليه في المحاور التي تسيطر عليها.
- في تلك الليلة التي قُطعت فيها الكهرباء عن بيروت الغربية، وكان مخيمات صبرا وشاتيلا مضائين بشكل كامل.

---

١٢ مقابلة مع أحد عناصر الكتائب المشاركين في الجريمة، دير شبيغل الألمانية ١٤-٢-١٩٨٣م.

الجريمة في يومها الأول: الخميس ١٦-٩-١٩٨٢م:

استمر القصف الإسرائيلي المدفعي للمنطقة طوال نهار الخميس، واستمر القناصة الإسرائيليون بإطلاق النيران على المخيمات والأحياء المحيطة، طوال النهار أيضاً، الأمر الذي أخلى كافة الشوارع من المارة، وأبقى الناس في بيوتها. وفي المساء تقدم إلى المخيم عددا كبيرا من المركبات العسكرية «الكتائبية»، التي قدر عدد المسلحين فيها بين ١٠٠٠ – ١٥٠٠ مسلح. وبدأ المسلحون بدخول البيوت في المخيم، وبدأوا بإطلاق الرصاص دون تفرقة، في جميع الجهات.

تقدمت قوات حبيقه على موجتين في مجموعات تبعد عن بعضها بعضا باتجاه المخيمات عبر الخطوط الإسرائيلية، إحدى الموجتين خرجت من المطار وسلكت طريق كفر شيما – الحدث – كنيسة مار مخايل فمستديرة المطار، فالمقابر الموجودة في الحرش خلف مستشفى عكا في جنوب مخيم شاتيلا والثانية اندفعت من المطار باتجاه الرمل العالي فالأوزاعي فمستديرة السفارة الكويتية فالمدينة الرياضية في الجانب الغربي من المخيم، وفور وصول تلك القوات الكتائبية إلى مشارف المخيمات بدأت القوات الإسرائيلية عند الساعة الخامسة مساء ١٦ / ٩ / ١٩٨٢م تمطر المنطقة بالقنابل المضيئة التي تطلقها المدافع والطائرات الإسرائيلية بمعدل قذيفتين كل دقيقة لتنير مسرح الرعب ولينجز السفاحون مهمتهم.

وصلت العناصر الكتائبية إلى مشارف المنطقة واتخذت لها مواقع وكانت ترتدي زياً عسكرياُ أخضر اللون، ويحملون شارات القوات اللبنانية وشارات قوات لبنان الحر التي كانت قد أخفت تحت زيها أدوات القتل من بلطات وخناجر وحراب وسكاكين بالإضافة إلى السلاح الشخصي وعدد من القنابل، كما زودتهم القوات الإسرائيلية بجرافات لهدم البيوت وخرائط وصور جوية تفصيلية للمنطقة، ثم ابتدأ الكابوس الذي استمر ما بين (٣٢ – ٤٠ ساعة) متواصلة، حيث قامت تلك القوات بهجوم واسع على المخيم بشكل مروحة من منطقة الحرش المواجه لمستشفى عكا باتجاه مستشفى غزة، ومن منطقة الداعوق ومأوى العجزة باتجاه مستشفى غزة أيضاً وأخذوا يطلقون النار وهم يدخلون المنازل لقتل كل كائن حي متحرك، وترتب على شدة القصف الإسرائيلي أن التجأ سكان أحياء صبرا وشاتيلا والداعوق إلى مأوى العجزة إلى الملاجئ حيث فاجأهم القتلة في المرحلة الأولى من المجزرة والتي بدأت من الخامسة من مساء الخميس، ومن لم يكن في الملاجئ داهموه في بيته، وصاحوا عبر المكبرات اخرجوا من بيوتكم.. سلّموا.. تسلموا.. ومن صدق النداء من الأهالي تسلمه القتلة وأبشعوا فيه عملية القتل، والباقون هربوا من أمام



القتلة في حرش مستشفى عكا باتجاه مستشفى غزة الذي امتلأ هو الآخر بالهاربين وكذلك جامع الدنا في منطقة صبرا.

كانت أعمال القتل تجري دون ضجة كبيرة تُقتحم البيوت التي التجأ إليها أهلها هرباً من القنص ورمايات المدافع في النهار، تُقتحم هذه البيوت ويُقتل الناس بالبلطات والسكاكين أو يُخنقون بالحبال. وقسم آخر يُجمع ويُنقل بالشاحنات ليُقتل في أماكن مجهولة. وفي بعض الأحيان تُطلق النيران على الناس وهم جالسون حول موائدهم.. أو يشاهدون التلفزيون، دون أي كلمة.. وفي أغلب الأحيان كان القتل يأخذ شكلاً بالغ الوحشية والقسوة.. يُقتل الأطفال أمام ناظري والديهم «يُحمل الرضيع والأطفال الصغار وتُضرب رؤوسهم على الأحجار حتى تخرج نخاعاتهم.. تُغتصب الفتيات الصغيرات أمام أنظار أهلهم المقيدين بالحبال، أشكال من التقتيل لم تخطر على البال.

وقام بعض سكان مخيم شاتيلا بمبادرتين لوقف المذبحة غير مدركين لطبيعة ما يجري. إذ شكلوا وفداً من أربعة رجال: توجهوا نحو النقطة الإسرائيلية قرب السفارة الكويتية ليوضحوا أنه لا يوجد في المخيم لا سلاح ولا مقاتلون، وأنّ سكانه مستسلمون اعتقاداً من هؤلاء أنّ الدخول كان للبحث عن السلاح. هؤلاء الأربعة هم: أبو أحمد إسماعيل ٥٥ سنة، وأبو أحمد سعيد ٦٥ سنة، وأبو سويد ٦٢ سنة، وتوفيق هاشمة ٦٤ سنة.. وكانت آخر مرة شوهد فيها هؤلاء الأربعة أحياء وهم يتجهون إلى المخرج الجنوبي من المخيم، وبعد يومين وجدت جثث ثلاثة منهم قرب السفارة الكويتية. المبادرة الثانية قام بها رجل يدعى «سعيد» يعمل في محطة بنزين قرب مستشفى عكا حيث التجأ عدد كبير من الناس. كما أشرنا سابقاً. وقد نظم سعيد هذا مجموعة من / ٥٠ / شخصاً معظمهم من النساء وساروا يحملون علماً أبيض باتجاه النقطة الإسرائيلية قرب السفارة الكويتية، ليطلبوا وقف إطلاق النار، وقبل أن يبلغوا الحاجز الإسرائيلي، أوقفهم الكتائبيون، حيث اقتادوا سعيد وابنه حسن إلى جهة مجهولة، ثمّ قاموا باغتصاب النساء وقتلهن في أماكنهن، أما اللواتي تمكن من الفرار والاختباء فلم يظهرن إلا في اليوم التالي في مستشفى عكا.

نام بعض سكان المخيمات تلك الليلة دون أن يعرفوا أن مجزرة ترتكب في ضواحي المخيمات، لأن الأحياء التي دخلها القتلة كانت تلك المتواجدة في أطراف المخيم. توجه العديد من سكان المخيمات في تلك الليلة إلى المستشفيات المحيطة بالمخيم، للاحتماء من القصف الإسرائيلي، كما توجه بعضهم إلى الملاجئ، فكان مصيرهم القتل الجماعي في اليوم التالي للمجزرة.

الجريمة في يومها الثاني الجمعة ١٧-٩-١٩٨٢م:

كان اليوم الثاني حافلاً بالنشاط الدموي، فقد وصلت تعزيزات على شكل قوات إضافية من مليشيا الكتائب، فدخلوا المخيم، وبدأوا بإطلاق نداء «سلّم تسلم»، إلا أن الجثث الملقاة في الشوارع، دلّت على أمر واحد، هو أن هذا النداء الذي أطلق عبر مكبرات الصوت، كان نداءً كاذباً، وأن أفراد مليشيا الكتائب، لو استطاعوا، لقتلوا كل ما يتحرك في المخيم. أطلق المسلحون في اليوم الثاني للمجزرة، القنابل الفوسفورية على الملاجئ، مطورين بذلك أسلوب القتل، وبالتالي عدد الضحايا، فقضى غالبية من بداخل هذه الملاجئ حرقا، ومن لم يمت وحاول الهرب، انتظره المسلحون في الخارج، وأطلقوا عليه الرصاص! ! إحدى الأمور التي ميزت عمليات القتل هي أنها استهدفت عائلات بأكملها.

تواصلت خلال اليوم الثاني عمليات القتل الجماعي، إما عن طريق النحر بالسيوف أو عن طريق إطلاق الرصاص أو عن طريق دفن الضحايا أحياء. واستمرت في هذا اليوم أيضا عمليات النهب والسرقة والاغتصاب، حيث كانت عمليات الاغتصاب تنتهي عادة بالقتل، خاصة عندما تكون المغتصبة فلسطينية. تميز يوم الجمعة أيضاً باقتحام أفراد المليشيا للمستشفيات، فحاولت طواقم منظمة الصليب الأحمر إخلاء هذه المستشفيات ونجحت في بعض الحالات، إلا أن حالات أخرى انتهت بقتل المرضى والأطباء والممرضين والممرضات، خاصة الفلسطينيين منهم.

في الساعة الثانية عشرة قام الصليب الأحمر بإخلاء الجرحى.. وقام القائم بالأعمال النرويجي بإخلاء الطاقم الطبي الأجنبي، في ذلك الوقت انطلقت مسيرة من منطقتي الشياح، الغبيري تضم ما بين «٧٠٠ ـ ٨٠٠» شخص يحملون الأعلام البيضاء، واتجهت إلى السفارة الكويتية، إلا أن القتلة اعترضوها وأطلقوا النار عليها فأُصيب البعض، وولى البقية الأدبار عائدين من حيث أتوا.

قامت الجرافات في هذا اليوم بإعداد حفر كبيرة في جنوب مخيم شاتيلا في منتصف المسافة بين القيادة العامة للجيش الإسرائيلي في بيروت وبين موقع إسرائيلي وقامت بطمر الجثث في هذه الحفر، كما قام المسلحون بدفن مئات الجثث في حفر أعدت في المخيم، وقد شاهد القائم بالأعمال النرويجي في حوالي الرابعة مساءً جرافة مليئة بالجثث.. وكانت الروائح المنبعثة تملأ الجو ووصلت إلى الأماكن التي يرابط فيها الإسرائيليون.



وتدفق الجرحى والمصابون والهاربون إلى مستشفى غزة وأخذت الشائعات تنتشر في بيروت حول مجزرة تجري في المخيمات.. وقد جرى إخلاء الطاقم الطبي الأجنبي من مستشفى عكا حيث قاد الممرضات والأطباء رجال يلبسون «زي الكتائب» إلى مدخل مخيم شاتيلا حيث استقبلهم القائم بالأعمال النرويجي، والذي قادهم بدوره إلى مقر الصليب الأحمر في شارع الحمراء.. حيث سارع هؤلاء الأطباء إلى إبلاغ الصحافيين والدبلوماسيين الأجانب بأنّ ثمة «أعمال خطيرة تجري في المخيمين.

وكان الضباط والجنود الإسرائيليون يتابعون من مراكزهم ما يجري في المخيمات وقد شاهدوا أكواماً من الجثث، وأعداداً من الناس المدنيين عندما كان القتلة يستعدون لإطلاق النار عليهم وإعدامهم. واكد عدد من جنود الاحتلال الإسرائيلي، بأنهم لم يسمعوا أصوات تبادل إطلاق نار من داخل المخيم، وقالوا أن إطلاق النار كان من طرف واحد، الأمر الذي يدل على أن أفراد مليشيا الكتائب كانوا يقتلون العزّل فقط. وعلى الرغم من أقوال الجنود الإسرائيليين هذه، إلا أن القوات الإسرائيلية لم تتدخل لمنع المجزرة، بل على العكس، استمر قصفها المتقطع للمخيم، واستمر حصارها حول بعض المداخل، لمنع الفلسطينيين من الهرب وقالوا إنهم كانوا يرفعون تقاريرهم إلى السلطات العليا وأنّ الإجابة كانت: بعدم التدخل[١٣].

في الساعة الواحدة ظهراً وافق الجنرال «يارون» على عملية تبديل لقوات «القتلة». وفي الساعة الثالثة كان الجنرال «أمير دروري» يستقبل «رفائيل إيتان» في مطار بيروت.. وتوجها مباشرة إلى قيادة «القوات الكتائبية» حيث اجتمعا مع «فادي أفرام» وقادة «القوات اللبنانية». وقد تحدث «قادة القوات اللبنانية» عن «ضغوط» يمارسها الأمريكيون عليهم للخروج من المخيمات، وقالوا إنهم «أكملوا مهمتهم» فقام إيتان بتهنئتهم، قالوا لهم: «لقد قمتم بعمل جيد» وسمح لهم بالبقاء مدة / ١٢ / ساعة أخرى، فطلبوا جرافات «فسُمح بإعطائهم بعض الجرافات على أن يمسحوا عنها العلامات الإسرائيلية.

كانت قوات جديدة للقتلة تتجمع عند المطار قبل ظهر ذلك اليوم لتدخل إلى المخيمات عند الحصول على الترخيص من «إيتان». وشوهد طابور كتائبي يتألف من عشر سيارات (كوماند كار) وسيارتي جيب مجهزتين بمدافع غير مرتدة.. يعبر حي الحازمية متوجهة صوب المطار. وشوهد طابوراً آخر يعبر حي سن الفيل ضم ١٣ دبابة بينها عدد من دبابات تشيرمان، «م ٤٧، ت ٤٥»، ومدافع عيار ١٢٠مم مركبة على مجنزرات، وسيّارات مجهزة برشاشات ثقيلة، وعدد

١٣ المصدر: جيروزاليم بوست ٢٠-٩-١٩٨٢م)

من سيّارات «كوماند كار» وعدد من سيّارات الإسعاف. توجه هذا الرتل حتى المطار استعدادا للتوجه إلى المخيمين، وكانت معدات الجنود موضوعة على الأرض «وهي من صنع إسرائيلي» حتى البزّات العسكرية من صنع إسرائيل مع فارق وحيد إذ كُتب عليها «القوات اللبنانية». وأثناء تحرك هذه القوات من المطار تحدث هؤلاء القتلة إلى الصحافيين الإسرائيليين دون أن يتركوا أي شك حول مهمتهم وما هم مقدمون عليه. قالوا «سنذبحهم»، وللتأكيد كانوا يشيرون بأيديهم وأصابعهم للإفصاح عن نياتهم، أحدهم قال: «هذه حصتنا من المعركة»[١٤].



ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا

١٤ رون بن يشاي – تلفزيون إسرائيل ٢٠-٩-١٩٨٢م.

الجريمة في يومها الثالث: السبت ١٨-٩-١٩٨٢م:

كان من المفترض أن ينسحب مرتكبو الجريمة صباح يوم السبت، بحسب أقوال جاءت بعد المجزرة على لسان مسؤولين عسكريين إسرائيليين، ادعوا أنهم أصدروا الأوامر لقوات المليشيا بالانسحاب «بعد أن اكتشفوا ما يحدث داخل المخيم»! إلا أن الانسحاب لم يتم، بل استمرت عمليات القتل الجماعي، وتم الانسحاب من داخل المخيم فقط عند ساعات الظهر، ومن منطقة المخيم بأكملها، بعد الظهر. خلال ساعات النهار الثالث، أجبر سكان شاتيلا (من بقي منهم)، وسكان ضاحية صبرا بالخروج إلى شارع شاتيلا الرئيسي، والوقوف على جوانبه، في ما يعرف بـ«المارش الأخير»، وكان هؤلاء السكان شهود على عمليات قتل واغتصاب، كانت تتم في الشارع، بصورة عشوائية، إن دلت على شيء، فعلى انعدام الحس الإنساني للمجرمين من قوات الكتائب، وعلى كراهية هؤلاء لكل ما هو فلسطيني، كراهية زرعت فيهم بالتحريض العنصري والطائفي.

القتل والسحل وتقطيع الأوصال، وهدم البيوت على رؤوس من فيها، وجرف الجثث وطمرها في حفر أعدتها البلدوزرات، وخطف الناس وسوقهم إلى جهات مجهولة حيث يُقتلون.. هذه الفظائع استمرت طوال الليل وحتى الصباح. وتؤكد الشهادات بأن عمليات القتل الجماعي والدفن في القبور الجماعية استمرت خلال ساعات النهار الأولى من يوم المجزرة الثالث، السبت ١٧ / ٩ / ١٩٨٢م، وأن المهاجمين لم يتصرفوا على أساس أن هذه ساعتهم الأخيرة في المخيم، بل على العكس، تصرفوا على أساس أنهم باقون. ظاهرة أخرى تميز بها اليوم الثالث كانت عمليات الاختطاف التي قام بها أفراد المليشيا، فاختطفوا عددا كبيرا من سكان المنطقة، ووضعوهم في الشاحنات، وأخذوهم إلى مصيرهم المجهول.

وفي اليوم الثالث، شارك جنود الاحتلال الإسرائيلي بعمليات استجواب سكان المنطقة، ومن السكان من عاد إلى منزله بعد الاستجواب، ومنهم من لم يعد أبداً. في هذه المرحلة يبدو أنّ الإسرائيليين شعروا بأنّ رائحة الجريمة قد فاحت كثيراً، وأن عليهم وقف العملية خاصة وأنه لم يبقَ من الناس في المخيمين إلا القليل بعد أن قُتل أو هرب الباقون. كان القتل قد وصل إلى منطقة مستشفى غزة على الطرف الشمالي لمخيم صبرا. عندئذ طُلب من القتلة أن ينتهوا من الشغل ويخلوا المخيمين.

هنا صار القتلة يشتغلون على عجل.. البلدوزرات تواصل هدم البيوت لطمر الجثث. وهنا

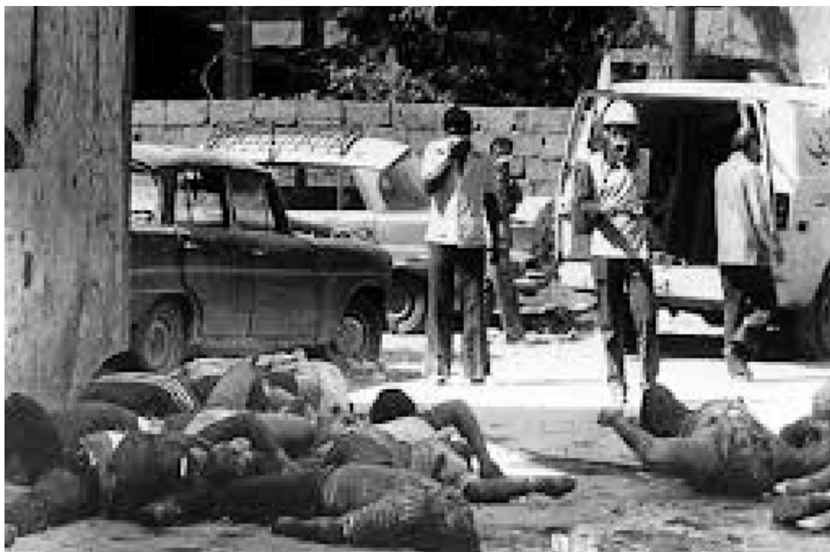
وما بين الخامسة والسادسة صباحاً، القتلة يجوبون شوارع مخيم صبرا ويطلبون من الناس التسليم.. يجمعون حوالي ألف شخص من الشيوخ والنساء والأطفال الذين خرجوا حاملين أعلاماً بيضاء وأعلاماً لبنانية.. حيث اقتادهم المسلحون باتجاه الجنوب عبر شارع أبو حسن سلامة باتجاه السفارة الكويتية..

خلال ذلك لم تتوقف البلدوزرات عن العمل.. واستمر القتل في اختيار مجموعات صغيرة من الصف الطويل ثم أخذها لتصف على جدار أحد الزواريب، ثم يسمع الناس في الطابور الطويل صوت زخات كثيفة من الرصاص.

يقف الطابور على بوابة المخيم (شاتيلا) حيث يقوم فريق من القتلة بفرز اللبنانيين عن الفلسطينيين ثم النساء عن الرجال من الفلسطينيين.. ثم أُخذت المجموعة الأولى وأُصعدت إلى شاحنات متوقفة أمام السفارة الكويتية والتي لم تتسع لكل المجموعة، فأُرغم الباقون على الانبطاح ووضع وجوههم على الأرض، ثم ذهبت الشاحنات وسُمع صوت إطلاق نار كثيف... وهكذا جرت العملية حتى الساعة الثامنة صباحاً.. كان الرجال يؤخذون في الشاحنات، أما النساء فقد أُمرن بالدوران حول المخيم والذهاب باتجاه المدينة الرياضية.

كان العاملون في مستشفى غزة قد واصلوا عملهم منذ مساء الخميس حتى صباح السبت دون انقطاع.. كانوا يعملون في الطوابق السفلى ولا يقتربون من النوافذ.. يسمعون صوت إطلاق النار، ولا يدرون بما يجري.. كان الأطباء والممرضات والممرضون الأجانب وعددهم ٢٢ شخصاً قد لاحظوا أن الإصابات حدثت من مسافات قصيرة.. ومن الرصاص، أو القنابل اليدوية.. كان حولهم الكثير من الصراخ.. كانت الإصابات كثيرة.. اضطروا للعمل المتواصل.. ولم يكن لديهم الوقت لفهم ما يحصل.

في الساعة التاسعة صباحاً كان القتلة قد ركبوا سياراتهم وغادروا المخيمين.. في العاشرة تقريباً ترك الإسرائيليون الناس الذين جُمعوا في المدينة الرياضية.. وبدأ الصحافيون والناس الذين ظهروا من جديد في الاقتراب من المخيمين وتكشفت صورة المذبحة المروعة.



ضحايا يتم التعرف على أصحابها



إمرأة تنتحب على جثامين ضحايا الهجوم

أعداد الضحايا:

عدد الشهداء في المذبحة لا يعرف بوضوح وتتراوح التقديرات بين ٣٥٠٠ و٥٠٠٠ شهيد من الرجال والأطفال والنساء والشيوخ المدنيين العزل من السلاح، أغلبيتهم من الفلسطينيين ولكن من بينهم لبنانيين أيضا. صحيفة «هآرتس» قالت إن القتلى ربما بلغوا أربعة آلاف. وأفاد الصحافي البريطاني روبرت فيسك أن أحد ضباط الميليشيا المارونية قال أنهم قتلوا ٢٠٠٠ فلسطيني. أما الصحافي الإسرائيلي الفرنسي أمنون كابليوك فقال في كتاب نشر عن المذبحة أن الصليب الأحمر جمع ٣٠٠٠ جثة بينما جمع أفراد الميليشيا ٢٠٠٠ جثة إضافية مما يشير إلى ٣٠٠٠ قتيل في المذبحة على الأقل. ويقسم الضحايا إلى ما يلي:

- ٢١٢ جثة دفنت في مقابر جماعية لم يتم التعرف عليها.
- ٣٠٢ جثة شخص تم التعرف عليها.
- ٢٤٨ جثة شخص حرقت ودفنت في مقابر جماعية.
- ١٢٠٠ جثة شخص استلمهم أهاليهم وقاموا بدفنهم في مقابر خاصة.
- ١٧١ جثة أخرجت من تحت الأنقاض دون معرفة هوياتهم.
- والأعداد الباقية سجلت في عداد المفقودين سواء كانوا جثث أم أحياء قتلوا لاحقاً.

شهادات الناجين من المجزرة:

(حكاية مصطفى هبرات):

كان مصطفى هبرات رجلاً عاملاً ذكياً ومدركاً لخطورة الموقف منذ ابتدأت الإضاءة غير المعقولة، أي منذ تحول الليل إلى نهار. عرف مصطفى أن القادمين ليسوا إسرائيليين، بل قتلة مجرمون في حماية الإسرائيليين. أعطى مصطفى زوجته آمال، الجزائرية الأصل، الهويات والأوراق الرسمية وما يملك من مال، وودعها وأوصاها بالأولاد، وقال لها كلمتين: «يمكن يأخذوني». ولم يتركوا له وقتاً للحديث مع زوجته، ولم يتركوا له وقتاً حتى للهرب، فبيت مصطفى يقع على حافة الحرش الملاصق لشاتيلا. وتلك المنطقة نالت الرصاص والجثث ما لم تنله منطقة أخرى. فقتلوا زوجته وأولاده الثلاثة ثم قاموا بتجميعهم مع باقي الرجال في المنطقة، وكان عددهم يتجاوز العشرين رجلاً، ثم بدأوا بإطلاق الرصاص عليهم بصورة عشوائية. وأصيب مصطفى هبرات وكان حظه أن أحد الشهداء سقط فوقه فشكل له حماية حيث ظل طوال الليل يدعو الله أن يرحمه وينجيه.

(حكاية محمد محمود سعد):

في ذلك الخميس المجنون قصفاً وخوفاً، كان لكل فرد في الأسرة موقف وكان مسكن العائلة على حدود المخيم. الأم لم تحتمل القصف الإسرائيلي في أثناء النهار فهربت إلى مستشفى غزة. الابنة الصبية عفاف رفضت الهروب. كانت متعبة من كثرة الهروب ومن حياة اللجوء، لم يكن قد مر على عودتهم إلى البيت، بعد الهجرة القسرية إلى شارع الحمرا أكثر من أيام معدودة. الأب محمد محمود سعد من مواليد فلسطين في أول الثلاثينيات، لم يغادر البيت كزوجته، بقي مع ابنته لكن بقاءه كان لأسباب تختلف عن أسباب بقائها، كان مقتنعاً بأن البيت أكثر أماناً من ملجأ المستشفى المكتظ بالبشر. كانت تلك تصوراته، وقد كانت صحيحة، فلم يكن في مستشفى غزة كلها، وليس في الملجأ فحسب، موقع قدم. الابن حاول إقناع أبيه بالهروب إلى خارج المنطقة، قال له أنه سمع أنهم يقتلون الناس في بيوتهم، لكن الأب لم يصدق.

وتقول الأم، نقلاً عن الجيران، ومن وحي ذاكرتها أيضا: خبروني بعدين إنو اللي هجموا

كانوا خمسة عشر مسلح، منهم حاملين بلطات، منهم حاملين بواريد متل الكلاشينكوف. بنتي كانت لابسة فستان حلو كتير جابلها إياه أخوها هدية من السعودية لما رجع، لكن.. يا ويلي على اللي مقدر. شو حكيوا معهم؟ ما حدا بيعرف، لكن العملية كلها كانت بدقايق. راحوا قاتلين بنتي بالرصاص، الرصاص خزق صدرها، ورموا عليها لوح زينكو، ليش؟ ما بعرف.. كانت بنتي متل الملاك بأحلى فستان لبسته بنت بحياتها.. أبوها ما عرفنا أبداً شو صار فيه. كان علينا نستنى كتير حتى نعرف. يا ريتني ما تركت البيت، يا ريتنا كلنا رحنا سوا.

شهادات صحفية:

صحيفة هآرتس «٢٠ / ٩ / ١٩٨٢م» كتبت تقول: إنّ مئات الرجال والنساء والأولاد والأطباء والممرضات تعرضوا للذبح في مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت الغربية على أيدي رجال الكتائب حلفاء إسرائيل، لقد قتل الكتائبيون كل رجل وامرأة وولد استطاعوا العثور عليه في المكان، وفي وقت لاحق تحركت الجرافات على امتداد الطرق الترابية الضيقة في المخيمات ودمرت بيوت الفلسطينيين، ومن ثمّ قامت الجرافات بوضع بقايا المباني والنفايات فوق الجثث من أجل إخفاء معالم المجزرة. لقد شاهد من زار المكان بنفسه أيدي وأرجل القتلى تبرز من بين أكوام الردم والتراب.. «جثة امرأة» وربما «جثتا امرأتين» أُلقيت على جثتي طفلين. الجثث انتشرت في كل مكان.. أُلقيت على جنبات الشوارع في المخيمين وكذلك داخل البيوت، جثث كثيرة جرى تكويمها على جوانب الجدران حيث جرت فيما يبدو «عمليات إعدام جماعية».

لورن جنيكس «مراسل» صحيفة «الواشنطن بوست» في بيروت كتب يقول: «لقد تحول مخيم شاتيلا للاجئين إلى مخيم أشباح، وبدا المشهد الذي تكشّف صباح السبت أمام أنظار الصحفيين الأجانب بعد نجاحهم في دخوله: كابوساً منقولاً من «جحيم دانتي».. النساء يبكين أمواتهن وروائح عفنة تنبعث من الجثث التي تلفحها حرارة الشمس اللاهبة. جثث ملقاة على شوارع تملؤها خراطيش رصاص فارغة.. تحاذيها لعبة أطفال على هيئة سيّارة، وحذاء نسائي ذو كعب عال». لقد أحصى ستاً وأربعين جثة قبل أن يصاب بالغثيان.. كما أحصى صحفيون آخرون أكثر من مئة جثة. وأبداً لن يعرف عدد من قتلوا.. وربما يكونون مئاتاً أو ألوفاً لقوا مصرعهم، أو اختفت آثارهم بعد أن جرى اقتيادهم في ساعات الفجر الأولى، من قبل رجال قوات الكتائب الذين كانوا يرتدوا ملابس من إنتاج إسرائيلي، ويحملون مدافع إسرائيلية، ولم يبقَ في المخيم للمراقبين والصحفيين وأقارب الضحايا، سوى شهادات القتل كإشارات على الجريمة.



لقد جرى تفجير المنازل وطحنها على أصحابها بوساطة البلدوزرات، وانتشرت أكوام الجثث التي فارقتها الحياة تحت حطام الجدران التي نقرها الرصاص وهي تشهد الجريمة. في حديقة متواضعة: استلقت جثتا امرأتين كأنهما كيسي طحين، ومن بينهما أطل رأس طفل تحجرت عيناه، وبقربهما استلقى طفل رضيع - ربما لم يبلغ السنة من العمر وكان مهشم الرأس تماماً. في أحد الأزقة وجدنا جثتي فتاتين: الأولى في الحادية عشرة من العمر والأُخرى لم تطفئ شمعتها الأولى بعد.. كان في رأس كل واحدة منهما ثقب رصاصة... وعلى بعد خطوات منهما أُطلق الرصاص على ثمانية رجال أُسندوا إلى حائط بيت يحمل رقم ٤٢٢، ٤٢٤. في زقاق آخر تكومت جثث ستة عشر رجلاً بعضها فوق بعض وعلى مقربة منها على أرضية ساحة من الباطون، استلقت جثة امرأة في حوالي الأربعين تلبس فستاناً قطنياً وتلف رأسها بمنديل، لقد مزق الرصاص ثدييها. أما في مخيم صبرا فأول ما طالعنا من المشاهد: جثة أبو دياب ديراني «وهو مسن في السبعين، رأسه مدفون في الرمل ويده ممدودة وعلى بعد خطوات منه استلقت على ظهرها جثة مسن آخر ملتح وقد مُزق الجزء العلوي من رأسه. وفي مدخل المخيم الجنوبي هدمت البلدوزرات حياً بكامله وحفرت بئراً قطرها عشرة أمتار امتلأت بالردم.. ربما يكون قبراً جماعياً.. ويبدو أنّ الأمر لن يتضح حتى يتم حفر المكان. وفي مكان آخر تعلقت جثة مغدور بعارضة شباك أحد المنازل الذي لم ينجز المجرمون هدمه، وبين ردم بناية محاذية تمكنا من رؤية جثث ثلاثة خيول غبراء.. ومن بعيد سمعنا صوت مأمأة ماعز صغير تمكن من البقاء على قيد الحياة في بحر الموت.. لقد بدا هذا الصوت وكأنه نغمة تنبعث من عالم آخر.

«توماس فريدمان» مراسل صحيفة «نيويورك تايمز» (١٩٨٢/٩/٢٨ قال «بناءً على مشاهداته داخل مخيمي صبرا وشاتيلا:«بأنّ العديد من ضحايا المجزرة هم أفراد عائلة كاملة: ذبحوا فيما كانوا جالسين حول موائد العشاء، وبعضهم ذُبح ذبحاً من عنقه بالسكاكين، وبعضهم قُتل ضرباً بقضبان الحديد وأكثرهم قُتل رمياً بالرصاص» وقال: «مما لا شك فيه أنّ بعض هؤلاء كان من سكان حيفا أو غيرها في عام ١٩٤٨م، ممن تركوا موائد طعامهم فيها ولم يشربوا القهوة، فجاءهم الموت في الوضع نفسه بعد أربعة وثلاثين عاماً».

الأمريكيون متورطون في الجريمة:

لم تكن مجزرة صبرا وشاتيلا عملاً ارتجالياً وإنما عملية مدبرة تكشف عن تواطؤ بين المسؤولين الإسرائيليين والكتائبيين والأمريكيين، فالمجزرة كانت نتيجة عملية حسابية طويلة

وليس نتيجة رغبة بالثأر لمقتل بشير الجميل كما حاولت بعض الأوساط الإسرائيلية الادعاء، فقد أبلغ الإسرائيليون الكتائب بقرار إدخالهم المخيمات الفلسطينية صباح يوم الأربعاء ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م قبل موعد بدء تحرك الجيش الإسرائيلي نحو بيروت بساعة ونصف الساعة، وكان المسؤولون الكتائبيون فخورين بالمهمة، فنظموا في بيروت الشرقية عرضاً عسكرياً كبيراً سار فيه المسلحون الكتائبيون صفوفا وبكامل العدة، وسارت معهم عشرات الدبابات والملالات[١٥].

وفي اليوم الذي أحكمت فيه القوات الإسرائيلية سيطرتها على العاصمة اللبنانية ١٦ / ٩ / ١٩٨٢م، ظهر الموقف الأمريكي متناقضاً ومرتبكاً فبينما طلب البيت الأبيض من إسرائيل سحب قواتها من غربي بيروت، خرج في المقابل تصريح للرئيس الأمريكي في اليوم نفسه بأن: «ما دفع بالإسرائيليين للتقدم غربي بيروت هو قيام المليشيات اليسارية بمهاجمة القوات الإسرائيلية» ما أدى إلى ظهور ارتباك الموقف الأمريكي، وتحفيز القيادة الإسرائيلية في المضي قدماً نحو تحقيق خططها.

وجرت لقاءات بين شارون وموفد الرئيس ريغان إلى الشرق الأوسط السفير موريس درابر وفي أحد اللقاءات وبحضور السفير الأمريكي سام لويس ورئيس الأركان الإسرائيلي رافائيل إيتان ورئيس الاستخبارات العسكرية يهوشواع ساغي، ذكّر درابر بموقف بلاده المطالب بانسحاب قوات الجيش الإسرائيلي من بيروت. رد شارون: «إن الإرهابيين لا يزالون في العاصمة، مؤكداً أنهم يملكون أسماءهم وأن عددهم يتراوح ما بين ٢٠٠٠ و٣٠٠٠، متسائلاً: «من سيتولى أمر المخيمات؟»» ليجيبه درابر بأن الجيش وقوى الأمن اللبناني سيقومان بذلك.

ورغم إصرار شارون على دخول المخيمات، قائلاً: «إن هذا الأمر يجب أن يكون من أولى اهتمامات الولايات المتحدة أيضاً، قبل الإسرائيليون، الانسحاب من بيروت، بشرط إعطائهم مهلة ٤٨ ساعة. وتكمن المفاجأة في موافقة درابر على ذلك، مشدداً على أن خطة الانسحاب يجب أن تطبق في غضون ٤٨ ساعة. لكن شارون، لم يترك طاولة الاجتماع إلا بعد أن تأكد من خلو الاتفاق من أي التباس، معدداً أسماء المخيمات التي سيدخلها، وهي صبرا وشاتيلا، برج البراجنة والفكهاني. عندها بادره درابر بالقول: «لكن البعض سيزعم بأن الجيش الإسرائيلي باق في بيروت لكي يسمح للبنانيين بقتل الفلسطينيين». فما كان من شارون إلا أن رد قائلاً: «سنقتلهم نحن إذاً، لن نبقي أحداً منهم، لن نسمح لكم (يقصد للولايات المتحدة) بإنقاذ هؤلاء

---

١٥ حرب لبنان (حصار بيروت وحرب الجبل) المكتبة الحديثة للطباعة- بيروت من ١٩٧٥-١٩٨٢م.

الإرهابيين». وإذا كان رد شارون غير مفاجئ، إلا أن المفاجأة أتت من درابر نفسه الذي «أذعن» قائلاً: «لسنا مهتمين بإنقاذ أحد من هؤلاء». فكرر شارون قائلاً: «إن كنتم لا تريدون أن يقتلهم اللبنانيون فسنقتلهم بأنفسنا». فأعاد عندها السفير درابر موقف الحكومة الأمريكية قائلاً: «نود منكم الرحيل. دعوا اللبنانيين يتصرفون».

وفي مذكراته، كان وزير الخارجية الأمريكي جورج شولتز الأكثر قسوة فكتب: «الإسرائيليون قالوا لنا إنهم يدخلون بيروت لتفادي حمام دم. لكنه تبين أنهم سهلوا هذا الأمر وربما أيضاً تسببوا به، وبسبب أن واشنطن وثقت بحلفائها، أصبحنا مسؤولين جزئياً» عن المذبحة»[١٦].

المجزرة وأهداف إسرائيل الحقيقة:

ادعى الجيش الإسرائيلي أنه دخل بيروت لمنع سفك الدماء والحفاظ على الأمن! فوجد نفسه يشرف على سفك دماء بريئة كثيرة في واحدة من افظع مجازر العصر، وحين ووجه شارون خلال برنامج تلفزيوني إسرائيلي عرض يوم ٢٤ / ٩ بهذه المفارقة الدموية اعترف بأن «التبرير الأولي كان تمويها» فقط وأن السبب الرئيس للتحرك ذاك هو «القضاء على ألفين من المخربين».

إلا أن المعلومات السابق عرضها تؤكد عدم صحة تلك الادعاءات خاصة وأنه لم يكن هناك الكثير من الشباب بين الضحايا كما أنه لم يتم رصد مقاومة حقيقية من قبل عناصر فلسطينية داخل المخيمات ولتلك العصابات الإجرامية.

إذا ما الذي كان يبحث عنه شارون يتم حقاً في صبرا وشاتيلا..؟ وما هي مآربه الحقيقية من إرسال القتلة إلى هناك..؟ وهو من يعرف تماما أنهم قتلة مدفوعون بشهوة التنكيل والعطش إلى الدم، وهو يعرف أن ليس ثمة في المخيمين غير السكان العزل ينتابهم القلق والذعر في لحظة ملتبسة.

لقد تأكد لنا وبعد تحقيقات مطولة أجريناها أن مجزرة صبرا وشاتيلا قد جرت بتنسيق كامل بين الإسرائيليين وقادة الكتائب والقوات اللبنانية، الذين ارتبطوا لسنوات طويلة بعلاقات وتنسيق استمر منذ بدايات الحرب الأهلية اللبنانية، والتي كشفنا في الفصل السابق عن تفاصيل الاتصالات بين الجانبين. والتي أدت إلى ظهور تيار داخل معسكر الكتائب والقوات اللبنانية ارتبط بصورة مباشرة ولدرجة العمالة مع الإسرائيليين وهذا ما أكده الرئيس أمين الجميل في شهادته على العصر في الحلقات التي إذاعتها قناة الجزيرة. حيث قال: «الاختراق اللي حصل

---

١٦ المذبحة التي كان يمكن تفاديها، نيويورك تايمز ١٧-٩-٢٠١٢م سيث أنزيسكا الباحث الأمريكي في جامعة كولومبيا.

في الشعب اللبناني وهالتصرفات بعض أجهزة المخابرات اللي استأجرت ناس تقوم ببعض الأعمال البربرية من أجل تبرير تدخل أو تبرير مواقف معينة لتلك الدول، مثلا قضية صبرا وشاتيلا أنا بأقدر أؤكد لك أن هذا كان مشروعاً إسرائيلياً من ضمن مخطط اجتياحها للبنان، كان متفقا عليها قبل ما تدخل إسرائيل إلى لبنان».. القوات التي دخلت للمخيمات كانت منسقة مباشرة مع الموساد الإسرائيلي. وأنا أتأسف أنا أعتذر على كل حال من الشعب الفلسطيني كله أنه حصل هذا الأمر هذا العمل على يد بعض المسيحيين[١٧].

لقد جاءت مجزرة صبرا وشاتيلا كعمل تنسيقي واضح بين الجانبين في إطار رغبة الحكومة الإسرائيلية في ذلك الوقت بصورة خاصة لتعجيل التوصل إلى اتفاقية السلام بين لبنان وإسرائيل والتي كانت تواجه بعض العقبات في تلك الفترة واعتبر الإسرائيليون أن تورط الكتائب في هذه المجزرة سيجعلهم مضطرين للاندفاع في تعزيز العلاقات مع إسرائيل وتوقيع اتفاقية السلام بين البلدين باعتبار أن أية فرصة أخرى باتجاه علاقات طبيعية مع العالم العربي لم تعد ممكنة بعد هذه المجزرة.

ولقد جاءت حادثة اغتيال إيلي حبيقة، مسؤول أمن القوات اللبنانية واحد المسؤولين بصورة مباشرة على مجزرة صبرا وشاتيلا، وذلك في ٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٢م. لتؤكد على رغبة أريئيل شارون إخفاء هذه الصفحة من تاريخه الأسود وإخفاء معالم جريمته باعتبار أن حبيقة كان شاهداً وشريكاً في الجريمة التي أعيد فتح التحقيق فيها مجدداً من قبل القضاء البلجيكي حيث أبدى إيلي حبيقة استعداده للمثول أمام المحكمة للإدلاء بشهادته التي تدين شارون بصورة مباشرة. وهو الأمر الذي كان شارون يخشاه في تلك الفترة التي شهدت عودته إلى الأضواء مجدداً بعد فترة من الإبعاد حيث جرى تعيينه رئيساً للحكومة الإسرائيلية في تلك الفترة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ وفد قضائي بلجيكي التقى حبيقة قبل أيام من اغتياله، واستمع منه إلى روايته التي تؤكد امتلاكه ما يكفي من الأدلة والقرائن لنسف الرواية الإسرائيلية الرسمية التي اكتفت بتحميل شارون مسؤولية غير مباشرة عن المذبحة (تقرير لجنة كاهان). وقد سجّل الوفد شريطاً مصوراً تحدث فيه حبيقة عن استعداده للإدلاء بشهادته أمام المحكمة البلجيكية، وقد حمل الوفد هذا الشريط المصور لعرضه على مجلس الشيوخ البلجيكي ووضعه في تصرف القضاء البلجيكي. وقد سارع عضو الوفد البلجيكي «جوزيه دوبيه» فور سماعه نبأ الاغتيال إلى القول «إنّ حبيقة أبلغ الوفد في لقاء سري أنه مهدد، وأنّ لديه معلومات يريد الإدلاء بها حول

---

١٧ أمين الجميل في شهادته على العصر، فضائية الجزيرة ن برنامج شاهد على العصر.



مجازر صبرا وشاتيلا، وهو مستعد لزيارة بروكسل لإقامة دعوى ضدّ شارون والكشف عن المعلومات التي في حوزته».

لقد سعت إسرائيل من خلال ارتكاب مجزرة صبرا وشاتيلا إلى دفع القوى الإنعزالية اللبنانية إلى المربع الأكثر انعزالا، وإحباط أية محاولة للتصدي للمخططات الإسرائيلية لدفع الدولة اللبنانية إلى تحالف استراتيجي مع دولة إسرائيل، وهو ما تمثل في توقيع الرئيس اللبناني أمين الجميل على اتفاق السلام بين إسرائيل ولبنان والذي عرف باتفاق السابع عشر من آذار ١٩٨٣م، وقام بتقديمه باعتباره إنجازا سياسيا للشعب الإسرائيلي مقابل الثمن الباهظ الذي تكلفوه جراء المغامرة العسكرية لحكومتهم في لبنان.

قد يكون شارون قد استطاع الهروب بجريمته من أمام القضاء إلا أن التاريخ سيظل يذكر التاريخ الأسود لشارون وأمثاله من قادة الكيان الإسرائيلي الذين تلطخت أيديهم بالدم الفلسطيني سعيا وراء أهداف لم تتحقق.

ومن الجدير بالذكر فقد هزت المذبحة الرأي العام والنظام السياسي في إسرائيل، كما أنها عززت الشعور بأن الجيش الإسرائيلي قد تورط في حرب زائدة. في الأيام القليلة بعد الأحداث نفت الحكومة الإسرائيلية أية علاقة للجيش الإسرائيلي بالمذبحة، ولكن في ٢٥ سبتمبر ١٩٨٢م احتشد مئات الآلاف من المتظاهرين في ساحة "ملخيه يسرائيل" وسط تل أبيب مطالبين بتعيين لجنة تحقيق خاصة للبحث في الأمر. وأمرت الحكومة الإسرائيلية المحكمة العليا بتشكيل لجنة تحقيق خاصة في ١ / ١١ / ١٩٨٢م، وقرر رئيس المحكمة العليا، إسحاق كاهَن، أن يرأس اللجنة بنفسه، حيث سميت "لجنة كاهن". في ٧ / ٢ / ١٩٨٣م أعلنت اللجنة نتائج البحث وقررت أن شارون يتحمل مسؤولية غير مباشرة عن المذبحة إذ تجاهل إمكانية وقوعها ولم يسعى للحيلولة دونها. كذلك انتقدت اللجنة رئيس الوزراء مناحيم بيغن، وزير الخارجية إسحاق شامير، رئيس أركان الجيش رفائيل إيتان وقادة المخابرات، قائلةً إنهم لم يقوموا بما يكفي للحيلولة دون المذبحة أو لإيقافها حينما بدأت. رفض أريئيل شارون قرار اللجنة ولكنه استقال من منصب وزير الدفاع عندما تكثفت الضغوط عليه.

انتشار الجيش اللبناني في بيروت الغربية:

شهد الأسبوع الأول من شهر (٩ / ١٩٨٢م) دخول قوات الجيش اللبناني إلى بيروت الغربية بعد أن عزز من مواقعه على خطوط التماس وإقامة الحواجز على مداخل العاصمة والضاحية الجنوبية تنفيذا للخطة الأمنية، وقد تمكن الجيش من إزالة العوائق والأتربة والألغام من الشوارع، واستولى على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر بعد حملة تفتيش واسعة شملت عدداً من المباني والمستودعات وتمركز الجيش في المواقع التي أخلتها القوة المتعددة الجنسيات.

وفي أعقاب الإجتياح الإسرائيلي لبيروت الغربية ومجزرة صبرا وشاتيلا التي بدأت عمليات يوم ١٥ / ٩ / ١٩٨٢م عقدت لجنة الاتصال العسكرية اللبنانية – الإسرائيلية اجتماعاً واتخذت قراراً بدخول وحدات من الجيش اللبناني إلى المخيمين، وتنفيذاً للقرار دخل الجيش إلى المخيمين وانتشر في جميع وأحياء بيروت الغربية والضاحية الجنوبية، ورافق عملية الانتشار حملة مداهمات واسعة لمختلف المنازل والمؤسسات والمستودعات شملت بعض المؤسسات الصحفية كمجلة «الشراع» ومكاتب مجلة «صباح الخير» الناطقة باسم الحزب السوري القومي الاجتماعي، وجريدة «السفير» وجريدة «النداء» وذلك يوم ٢٣ / ٩ / ١٩٨٢م، كما داهمت قوات الجيش مقر الحزب الشيوعي اللبناني ومكاتب مجلة «بيروت المساء» بتاريخ ٧ / ١٠ / ١٩٨٢م، كما عبثت بمحتويات أرشيفها وصادرت بعض الوثائق وكذلك فعلت في مجلة «الراية» يوم ٢ / ١١ / ١٩٨٢م ومركز الأبحاث الفلسطيني.

كما داهم الجيش منزل الرئيس رشيد كرامي ومقر رابطة الشغيلة ذات الصلة بالنائب زاهر الخطيب، وداهم منزله أيضا ومنزل قائد جيش لبنان العربي أحمد الخطيب، ورافق الحملة كذلك عملية هدم شملت ٤٠٠ منزل ومحل تجاري في المنطقة الممتدة من حسينية الرمل العالي «حسينية الكوراني» إلى تلة الكوكودي في الجانب الشرقي من طريق المطار امتداداً على الطريق الجنوبي من نزلة الحسينية وشارع عين الدلبه، وأنذر الجيش سكان ما تبقى من منازل لم تهدم بوجوب إخلائها، وأثناء عملية الهدم حاولت النساء الاحتجاج على تشريدهن وعائلاتهن من المنازل التي لا يملكن لها بديلا، فجلسن في وسط الطريق أمام آليات الجيش والجرافات فأقدم الجيش على سحبهن من شعورهن وإطلاق الرصاص لتفريقهن كما اعتدوا على بعض الشبان



الذين حاولوا التدخل.

دخلت قوة من الجيش منطقة الرمل العالي في برج البراجنة يوم ١٥ / ١٠ / ١٩٨٢م وأخلت مسجد المنطقة من محتوياته تمهيداً لهدمه، وأطلقت النار على المتظاهرين الذين حاولوا منع عملية الهدم فقتل منهم (٦ أشخاص) واعتقل (٥٠ شخصاً) وإضافة إلى عملية الدهم والهدم قام الجيش بحملة اعتقالات واسعة شملت عدداً كبيراً من اللبنانيين والفلسطينيين وغيرهم من جنسيات مختلفة بلغ عددهم الإجمالي (١٤٤١ معتقل) حسب ما أعلنه وزير الدفاع الإيطالي «ليليو لاغوريو» الذي نفى أمام لجنة الدفاع التابعة لمجلس النواب الإيطالي بتاريخ ١٣ / ١٠ / ١٩٨٢م أن يكون أي جندي من الوحدة الإيطالية قد شارك في عمليات الدهم وأعلن أن إيطاليا أبلغت عن قلقها من هذه العمليات البوليسية إلى الحكومة اللبنانية وإلى الرئيسين الفرنسي والأمريكي.

يذكر أنه في الوقت الذي كانت تتعرض له بيروت الغربية والضاحية الجنوبية إلى حملات الدهم والاعتقال كانت بيروت الشرقية لا تزال تحت سيطرة القوات اللبنانية كسلطة بديلة عن سلطة الدولة، والمهم أن كل هذه الأعمال والممارسات التي قام بها الجيش في بيروت الغربية والضاحية الجنوبية كانت مثيرة للرعب، إلا أن ما أثار المزيد من الرعب هو دخول عناصر كتائبية إلى أحيائهم بمرافقة الجيش ولجوء تلك العناصر إلى عمليات إرهابية بحق المواطنين وإلقاء القبض على كل شخص مطلوب لديهم ونقله إلى بيروت الشرقية لينال نصيبه من الضرب والتعذيب في حين اختفى معظمهم ولم يعرف مصيرهم، كما لجأت العناصر الكتائبية إلى فتح عدد من المكاتب في بيروت الغربية بشارع المتني والضاحية (المريجة) ورفع أعلام حزب الكتائب عليها[١٨].

١٨ كانت قيادة الجيش الأولى بالإضافة إلى عدد كبير من الضباط ذوي الرتب العليا من الطائفة المسيحية التي تدين بالولاء للقوات اللبنانية.

أمين الجميل رئيساً:

انتخب المجلس النيابي اللبناني أمين الجميل رئيساً للجمهورية اللبنانية خلفاً لأخيه الراحل بشير الجميل صباح يوم ٢١ / ٩ / ١٩٨٢م، وذلك بأغلبية (٧٧ صوتا) من أصل (٨٠ صوتا)، وبعد ثلاثة أيام من انتخابه بدأت طلائع القوات المتعددة الجنسيات في الوصول إلى بيروت، وأخذت القوات الإسرائيلية تجلي مواقعها في المنطقة الغربية من بيروت باستثناء الميناء والمطار.

قدم رئيس الوزراء شفيق الوزان استقالة حكومته يوم ٢٤ / ٩ / ١٩٨٢م و قبلها الرئيس اللبناني أمين الجميل، الذي أمر يوم ٣٠ / ٩ / ١٩٨٢م بإعادة توحيد شطري العاصمة بيروت وفتح كل المعابر وإعادة تشغيل المطار فيما أعاد يوم ٧ / ١٠ / ١٩٨٢م تكليف شفيق الوزان بتشكيل الحكومة مرة أخرى.

ومنذ تشكيل حكومة الرئيس أمين الجميل لم يكن أمامها من مجال سوى التعاطي مع مبادرة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان للسلام في الشرق الأوسط في إطار الرغبة الإسرائيلية المعلنة بالطلب من لبنان توقيع اتفاقية صلح على غرار اتفاقية كمب ديفيد مع مصر، وهو الطلب الذي يصر عليه مناحيم بيغن، وبموجب عدم قدرة حكومة الرئيس أمين الجميل على استخدام أية خيارات أخرى، فقد أقرت مبدأ الدخول في مفاوضات مع إسرائيل.

بدأت المفاوضات اللبنانية – الإسرائيلية صباح يوم ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٢م برعاية أمريكية يمثلها آنذاك موريس درايبر مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط في فندق "ليبانو بيتش" في منطقة خلده ومثل الجانب اللبناني في المفاوضات الدكتور أنطوان فتّال، ومثل الجانب الإسرائيلي ديفيد كيمحي المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية وأبراهام تامير مساعد وزير الدفاع الإسرائيلي، وقد بدأت هذه الجولة من المفاوضات باحتقان شديد حيث ضرب أبراهام تامير مساعد وزير الدفاع الإسرائيلي بقبضته على الطاولة ورفع صوته محذراً في وجه الدكتور أنطوان فتّال قائلاً: ضعوا في اعتباركم أننا لن نتخلى عن مطالبتنا بتطبيع علاقاتنا معكم، ونصر على هذا الموقف وكل كلام آخر هو لغو، إن التطبيع هو أولاً وأخيراً وإذا رفضتم التطبيع فإننا باقون في بلادكم، ولن نخرج منها أبدا وإلى الأبد[١٩].

---

١٩ وثائق الحرب اللبنانية الصادرة عن المركز العربي للأبحاث والتوثيق.



ولم تحسّن الجلسة الثانية من المفاوضات التي انعقدت في كريات شمونه (الخالصة) يوم ٣٠ / ١٢ / ١٩٨٢م من الموقف الإسرائيلي، وكذلك ظل الحال حتى الجلسة رقم (١٨) بتاريخ ٢٤ / ٢ / ١٩٨٣م بين الجانبين اللذين كانا يتبادلان الانعقاد في بلديهما والتي أعلن الرئيس الأمريكي ريغان عشيتها استعداد بلاده لاتخاذ كل الإجراءات الضرورية لضمان أمن الحدود الشمالية لإسرائيل إذا ما انسحب الإسرائيليون من لبنان، لكن الإسرائيليين في الجلسة رقم (١٩) التي انعقدت في خلده يوم ١ / ٣ / ١٩٨٣م، أصروا على موضوع إقامة نقاط مراقبة وإقامة منطقة عازلة أمنية بعمق ٤٥ كلم، وعلى إلغاء المقاطعة الاقتصادية، وتكررت المطالب نفسها في جلسة المفاوضات رقم (٢٠) التي انعقدت في ناتانيا يوم ٣ / ٣ / ١٩٨٣م إلا أن وزير الخارجية الإسرائيلي أعلن في ختامها بأنه سيتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمقابلة وزير الخارجية الأمريكي جورج شولتز بحضور وزير الخارجية اللبناني إيلي سالم، فيما استمر الجانبان اللبناني والإسرائيلي في مواصلة جلسات الحوار وفي الجلسة رقم (٢٤) التي انعقدت في ناتانيا يوم ٢٥ / ٣ / ١٩٨٣م اتضح أن الجانب اللبناني أصبح قابلاً بالتحفظات الإسرائيلية، ولكن حسب الرؤية الأمريكية وليست الإسرائيلية، فرفض الإسرائيليون ذلك بوضوح الأمر الذي دفع الرئيس الأمريكي رونالد ريغان إلى تعليق أمر تزويد إسرائيل بعدد (٧٥ طائرة مقاتلة قاذفة من طراز (اف–١٦).

لكن الجلسة (٢٥) من المفاوضات حلحلت الأمور وتقرر تشكيل لجنة عسكرية لبنانية – أمريكية – إسرائيلية مهمتها الإشراف على تطبيق التدابير الأمنية في الجنوب، وجاء الرد على ذلك من بيروت يوم ١٨ / ٤ / ١٩٨٣م حين تم تدمير السفارة الأمريكية بسيارة مفخخة تحمل (٢٠٠ كلغم) من المتفجرات أدت إلى انهيار جزء من المبنى الذي يضم سبع طبقات وأوقع (٦٣ قتيلا) بينهم (١٧ أمريكي).

وحتى الجلسة رقم (٣٤) من المفاوضات التي انعقدت الجلسة الختامية ثم الاتفاق اللبناني الإسرائيلي على "صيغة اتفاق بالنص الإنجليزي"، وفي يوم ١٤ / ٥ / ١٩٨٣م وافق مجلس الوزراء اللبناني على النص، وفي يوم ١٥ / ٥ / ١٩٨٣م توصل الجانبان اللبناني والإسرائيلي إلى اتفاق حول الاتفاق حسب النصوص الأربعة (العربية والعبرية والإنجليزية والفرنسية)، وفي يوم ١٧ / ٥ / ١٩٨٣م تم حفل توقيع الاتفاق بين لبنان وإسرائيل بكفالة أمريكية في اجتماعين بالتناوب بين خلده وكريات شمونه، ووقعه عن الجانب اللبناني الدكتور أنطوان فتال، وعن الجانب الإسرائيلي ديفيد كيمحي وعن الجانب الأمريكي موريس درايبر وعرف الاتفاق باسم (اتفاق ١٧ آيار).



الشهيد القائد سعد صايل «أبو الوليد»

اغتيال القائد سعد صايل "أبو الوليد":

نتائج معارك بيروت إبان الغزو الإسرائيلي للبنان والملحمة الأسطورية التي حققتها القوات الفلسطينية والقوات المشتركة اللبنانية، غيرت من المعادلات العسكرية على الصعيدين الإقليمي والدولي، فلم يعد الجيش الإسرائيلي رأس الرمح في قوة التدخل السريع، وأصبح من غير الوارد بعد الصمود الفلسطيني ثمانية وثمانين يوما عجز خلالها ذلك الجيش عن تحقيق أهدافه، أن يعتمد عليه في الاستراتيجية الشاملة للولايات المتحدة الأمريكية.

ولقد تم التصدي للجيش الإسرائيلي باستراتيجية عسكرية فلسطينية أصبحت تدرّس في أرقى الأكاديميات العسكرية العالمية، وكان الفضل في صياغة هذه الاستراتيجية العسكرية الفلسطينية لرجل العسكرية والقائد العسكري الفلسطيني اللواء سعد صايل «أبو الوليد» الذي جمع بين النظريات العسكرية الأمريكية والأوروبية التي درسها في الأكاديميات العسكرية لمختلف الدول، وبين حرب العصابات الفدائية، وصاغ استراتيجيته الجديدة التي أعجزت شارون ومختلف قياداته العسكرية، وأثارت دهشة العالم الذي كان يراقب العجز العسكري الإسرائيلي والخسائر الكبرى التي لحقت بجيش إسرائيل رغم كثافة الهجوم جواً وبراً وبحراً[٢٠].

---

٢٠ ( ) ولد الشهيد سعد وليد صايل (أبو الوليد) في قرية كفر قليل الواقع على السفح الشرقي لجبل جرزيم أحد جبال مدينة نابلس عام ١٩٣٢م. التحق بالكلية العسكرية الأردنية عام ١٩٥١م، أرسل في دورة عسكرية إلى بريطانيا عام ١٩٥٤م، وارسل إلى دورة عسكرية إلى مصر عام ١٩٥٦م، ودورة عسكرية في العراق عام ١٩٥٨م، ودورتين عسكريتين في الولايات المتحدة عامي ١٩٦٠، ١٩٦٦م. تدرج في عدة مناصب عسكرية في الجيش الأردني، إلى أن أسندت إليه قيادة اللواء حسين بن علي وهو يحمل رتبة (عقيد). في أيلول ١٩٧٠م، انظم إلى المقاتلين الفلسطينيين تاركا منصبه في الجيش الأردني كقائد للواء الهاشمي. أسندت إليه عدة مناصب عسكرية في حركة فتح تتناسب مع قدراته وكفاءته العسكرية المميزة منها: أنه كان عضوا في القيادة العامة لقوات العاصفة، كان عضوا في قيادة الأرض المحتلة حيث رقي إلى رتبة عميد، عين مديرا لهيئة العمليات المركزية لقوات الثورة الفلسطينية، هذا وقد اختير عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني وشارك في مؤتمرات وزراء الدفاع ورؤساء الأركان العرب. وفي المؤتمر الرابع لحركة=

الأهمية الاستثنائية للاستراتيجية العسكرية التي صاغها اللواء أبو الوليد ونفذها مقاتلو منظمة التحرير الفلسطينية والقوات المشتركة اللبنانية في مواجهة (١٢٠ ألف) من قوات الجيش الإسرائيلي الذي يعتبر الأقوى في الشرق الأوسط، جعلت القادة العسكريون الإسرائيليون ينظرون بغضب لقدرات اللواء سعد صايل على إدارة المعارك خلال الغزو الإسرائيلي للبنان، واعتبروا ذلك "خطاً أحمر" لا يجوز لقوات منظمة التحرير الفلسطينية أن تجتازه أو أن تحظى به حتى بعد خروج قوات المنظمة من لبنان، لكن أبو الوليد بشجاعته وخبرته العسكرية وولائه للشرعية الفلسطينية أصرّ على اجتياز هذا الخط الأحمر الأمريكي الإسرائيلي.

فتح الذي عقد في دمشق عام ١٩٨٠م تم انتخابه عضوا في اللجنة المركزية لحركة فتح ونال أعلى الأصوات. كان مثال الشرف والانضباط والالتزام، نال الكثير من الأوسمة لتميزه في جميع الدورات والتخصصات التي اجتازها بكفاءة عالية، إضافة إلى أوسمة أخرى من قيادة الجيش الأردني لتميزه، ونال وسامه الخاص يوم استشهاده.

في لمحات من تاريخ كل أمة، ظهرت شخصيات غير عادية اتسمت بصفات بارزة وارتبطت بأحداث باهرة، وأدت أدوارا تاريخية ليست في متناول قدرات العاديين من الناس، ولذلك أصبح لهؤلاء العظام ميزة السبق وطابع الخلود، ولا تقف هذه الشخصية عند حدود زمانها أو مكانها، ولا ينحصر تأثيرها في دائرة بناء وطنها وحسب، ولكنها تتجاوز حدود الزمان والمكان وتصبح قبلة الجماهير. فكم من نجوم بشرية سطعت قبل عشرات السنين وما زال بريقها يخلب الألباب وكم من شخصية لم يطو الموت أثرها، ولم يفقدها جاذبيتها وإنما استمرت تعيش في قلوب الناس وتجول بخاطرهم نابهة الذكر، خالدة الأثر، ذلك لأنها شخصية تاريخية خالدة، فالإنسان العظيم عندما يفارق دنياه يفتح له التاريخ أبوابه ويودعه أحد بروجه الشاهق، حيث لا يخفت له صوت ولا تخبو له صورة وإنما يظل واضح المعالم ظاهر الأثر يلتفت إليه الناس من كل مكان، وفي أي زمن يطالعون صفحاته، ويدرسون ميزاته، ويعددون مواقفه، وقد يقال أن لكل ناس رجلها، ولكل بلد بطله الذي يحمد له مواقفه، ولكن من الرجال القلائل من يصبح بطلا لجميع الأزمان، وذلك لأن شخصيته تفوقت على مستوى الزمن المحدود، فانتقلت إلى مشاعر الناس واستوجبت تقديرهم وحفاوتهم وكأنها تعيش بين ظهرانيهم، إن القائد الباسل أبو الوليد الذي صد الغزاة المعتدين عن بيروت عام ١٩٨٢م لا يموت أبدا ويبقى حيا يرزق عند ربه لقد استطاع هذا القائد العسكري الفذ.. أن يضع خطة الصمود والدفاع عن بيروت التي أثبتت فعالية وكفاءة عسكرية، تجاوزت كل التوقعات والمحاذير.. حتى أنه شهد له العدو والصديق.. وأثنوا على براعته وكفاءته في إدارة المعركة غير المتكافئة طيلة ثمانية وثمانون يوما متواصلة، لم يكن أبو الوليد محاربا بحكم الصفة، ولم تكن الحرب هوايته، ولكنه كان مواطنا محبا لوطنه، فلما دعاه الداعي لحمل السلاح وإنقاذ الوطن، تولى قيادة الجيش وحارب بكفاءة وبسالة من أجل استقلال شعبه، لا لكي يعتدي على الآخرين، وليس للمطامع الشخصية والأمجاد البطولية.. كان أبو الوليد قائد موفقا ببركة إيمانه الصادق وبفضل تجاربه الميدانية الممتدة وقدرته القوية في التأثير على رجاله وكسب ثقتهم وتعمير نفوسهم بالنظام والشجاعة والكرامة..

في ٢٩-٩-١٩٨٢م توجه أبو الوليد إلى سهل البقاع وزار وحدات المقاومة الفلسطينية هناك، وتفقد أحوالها واطمأن على أفرادها وفي أثناء عودته تعرض لإطلاق رصاص من كمين غادر فأصيب بعدة رصاصات قاتلة، حيث أسلم الروح شهيداً وقائداً شهد له خصومه قبل أصدقائه بأنه شرف العسكرية العربية كلها بعقله وجهده وعطائه المتواصل طوال تاريخه المجيد وحتى لحظة استشهاده، وبقيت عملية الاغتيال أحد الألغاز السياسية والأمنية الخطيرة، التي اكتنفها كثير من الغموض وأحيطت بعديد من الملابسات والأسرار، لأنها شكلت منعطفاً تاريخياً حاداً في المسار السياسي للقضية الفلسطينية. وشيع جماهير غفيرة في دمشق، وعلى رأسها القائد العام ياسر عرفات والعديد من القادة، الشهيد اللواء سعد صايل في مشهد بما يليق بقائد عظيم.

تفاصيل عملية الاغتيال:

لقد تقاطعت المصالح الأمريكية والإسرائيلية، وحتى السورية، على ضرورة التخلص من رجل العسكرية الفلسطينية، ذلك أن إعادة تجميع القوات الفلسطينية في البقاع، ومباشرة شن العمليات من هناك ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي، يعني استعادة جاهزية قوات منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها الشرعية لمواصلة اضطلاعها بدورها في تمثيل وقيادة الشعب الفلسطيني، وهو الأمر الذي قاتلت ضده إسرائيل لسنوات طويلة وترفضه الولايات المتحدة الأمريكية. ولهذا لم يكن أمام أعداء منظمة التحرير الفلسطينية من قرار سوى التخلص من اللواء أبي الوليد، وتم التخطيط لذلك وجرى التنفيذ صبيحة يوم عيد الأضحى المبارك بتاريخ ٢٩ / ٩ / ١٩٨٢م. ولقد ظلت عملية اغتيال هذا القائد لغزاً حاول الكثيرون تعطيل فك رموزه والتعتيم على الجهة المنفذة، لكننا وإكراما لروح الشهيد أبو الوليد نفتح الملف من جديد..

على أثر الخروج من بيروت بعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م، توجه القادة خليل الوزير «أبو جهاد» وصلاح خلف أبو إياد» وهايل عبد الحميد «أبو الهول» واللواء سعد صايل «أبو الوليد» إلى سوريا عن طريق البحر لميناء طرطوس السوري.

وشرع القادة» خليل الوزير» وأبو الوليد» فور وصولهما إلى الأراضي السورية في التخطيط لتجميع القوات الفلسطينية المنسحبة من الجنوب اللبناني، وقد بذلوا جهداً كبيراً بإعادة تشكيل وتجميع القوات الفلسطينية المنسحبة إلى البقاع والشمال اللبناني وإعادة تمركز قوات الثورة الفلسطينية بدء من» البقاع» والجبل اللبناني» والشمال اللبناني»، وتم توزيع القوات الفلسطينية في تشكيلات جديدة واستطاعا رفع معنويات المقاتلين في قوات الثورة الفلسطينية وفور الانتهاء من إعادة التموضع والتشكيل الذي تم بنجاح كبير وسرعة فائقة، باشرت قوات الثورة الفلسطينية» وقوات الحركة الوطنية اللبنانية عملياتها العسكرية ضد القوات الإسرائيلية وحققت نجاحات كبيرة أوجعت العدو الإسرائيلي وأذهلت قواته العاملة في لبنان في جميع مناطق» الجنوب اللبناني» والبقاع الغربي والشرقي» والجبل اللبناني» حيث أوقعت بالقوات الإسرائيلية خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات اعترف بها العدو الإسرائيلي حينذاك.

وتكللت هذه الجهود يوم ٤-٩-١٩٨٢م عندما قامت مجموعة من مقاتلي حركة فتح، بالتحرك لتنفيذ عملية فدائية نوعية لأسر جنود إسرائيليين، وتحركت المجموعة بقيادة عيسى حجو وقامت برصد دورية لقوات الاحتلال اعتادت المرور في وقت محدد من شمال بحمدون عبر

واد كثيف الأشجار وشديد الوعورة إلى منطقة حمانا، وبسبب كثافة الأشجار ووعورة الطريق اعتادت الدورية السير على الأقدام بسبب عدم قدرة الآليات على الدخول. ونجحت مجموعتنا الفدائية في السيطرة على الدورية الإسرائيلية وأسر ثمانية جنود إسرائيليين وتم نقلهم إلى المقر في البقاع وتم تسليم الأسرى الجنود إلى محمود العالول، وتم إبلاغ القيادة في دمشق بنجاح العملية[٢١].



الأسرى الإسرائيليون الستة الذين تم أسرهم

بعدها تفرغ الأخوان القائدان" أبو جهاد" وأبو الوليد" لإجراء تحقيق عسكري شامل مع الرتب العسكرية كافة دون أن يستثنى أي من الأخوة القادة العسكريين من التحقيق، وعملا على معرفة أداء قوات الثورة الفلسطينية التي كانت عاملة في الجنوب اللبناني والقاطع الشرقي

٢١ يروي قائد عملية الأسر عيسى حجو فيقول: كان هناك مشكلة في نقل الأسرى من منطقة يوجد فيها حواجز ومواقع عسكرية لتنظيمات مختلفة، وبالفعل بدأت عملية الإخلاء الصعبة والشاقة، كلفنا الجنود بحمل أسلحتهم الفارغة، قمت بالتوجه لوحدي في البداية للقاعدة وأبلغتهم إن عملية الأسر نجحت، وفي سبيل التغلب على نقل الأسرى إلى منطقة البقاع وعلى مشكلة الحواجز والمواقع المنتشرة في المنطقة تم الاتفاق مع موقع الجبهة الشعبية – القيادة العامة – للمساهمة في عملية نقل الأسرى، حيت تتمتع سيارات الجبهة الشعبية بحرية أكبر للحركة على الحواجز والمواقع المنتشرة على الطريق(حواجز سورية)، وتم تقسيم الأسرى إلي مجموعتين، المجموعة الأولى تضم أسيرين في سيارة تابعة للجبهة الشعبية وتسير في المقدمة وتضم المجموعة الثانية ستة اسرى في سيارة تابعة لفتح وتسير في المؤخرة وبهذا الأسلوب تم اجتياز الحواجز والمواقع على الطريق إلي مقر القيادة في البقاع ولكن الجبهة الشعبية – القيادة العامة أصرت على الاحتفاظ بالأسيرين وبقي ستة أسرى لحركة فتح. ومن الجدير بالذكر فانه قد جرت عملية تبادل الجنود بمعتقلي معسكر أنصار رقم (١) في أهم وأكبر عملية تبادل أسرى في تاريخ الثورة الفلسطينية بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢٤م حيث تم تحرير ٤٦٠٠ أسير مقابل ٦جنود من جيش الاحتلال الإسرائيلي هذه العملية حصلت بعد استشهاد أبو الوليد لكنها كانت ضمن حرب الاستنزاف التي خطط لها أبو جهاد وأبو الوليد.

وفي البقاع الغربي والشرقي والأوسط ومعرفة أدق التفاصيل عن مهام تلك القوات أثناء سير المعارك وكيفه كان تصديها للقوات الإسرائيلية التي اجتاحت الجنوب اللبناني.

ركز الأخوة القادة التدقيق ومعرفة كيفية انسحاب قواتنا من الجنوب خاصة مناطق "صيدا" وصور" والنبطية" والقاطع الشرقي في البقاع بشكل عام ومعرفة كيفه إدارة المعارك التي خاضتها قوات الثورة الفلسطينية وقوات حركة فتح وقوات الحركة الوطنية اللبنانية ومعرفة من أعطى الأوامر بانسحاب جميع القوات دون تعليمات من القيادة في بيروت.

الأخ أبو ماهر غنيم الذي كان على رأس مهامه في البقاع منذ اللحظة الأولى للاجتياح الإسرائيلي ولم يغادر موقع القيادة المؤقتة في بلدة جديتا اللبنانية وتواجد معه أيضا "العميد أبو المعتصم" مدير غرفة العمليات المركزية في منطقة البقاع والذي أسندت له هذه المهمة وقت الاجتياح الإسرائيلي. وكان لدى الأخ "أبو ماهر غنيم" ملاحظات كثيرة عن كيفية انسحاب قادة "القوات" "والكتائب" منذ تاريخ وصولها إلى منطقة البقاع بكل وقائعها، والذي بدوره وضع الأخوة القادة "أبو جهاد وأبو الوليد" بجميع التفاصيل المهمة حول عملية انسحاب، أو هروب بعض القادة".

وفور سماعه نبأ اغتيال بشير الجميل قائد القوات اللبنانية يوم ١٤ أيلول ١٩٨٢ دعا أبو الوليد المتواجدين من المجلس العسكري الفلسطيني إلى لقاء عاجل لتدارس الموقف وفي الاجتماع قال " كلكم تعرفون ان بشير وصل رئاسة الجمهورية اللبنانية على ظهر دبابة إسرائيلية. وبصرف النظر عن منفذ عملية القتل، فالعملية كبيرة واكبر من طاقات القوى الوطنية اللبنانية، والمهم ان لا ندفع نحن الفلسطينيون ثمن اغتياله كما دفعنا ثمن طموحاته الرعناء" . وبعد سماعه نبأ المجزرة التي ارتكبتها القوات اللبنانية يوم ١٧ أيلول بقيادة إيلي حبيقة في صبرا وشاتيلا. قال "عار علينا الصمت أمام استباحة دم أطفالنا ونسائنا وشيوخنا العزل من السلاح. ويجب ان لا ننسى فالذاكرة الحية تصون الحقوق" . وراح يواصل العمل ليل نهار لحماية الوجود المدني الفلسطيني، وحماية استقلالية القرار الفلسطيني وحينها قال وردد دائما المقولة الشهيرة له (نموت ليعيش شعبنا وتحيا فلسطين) وقد تجسدت مقولته بالعمل والقول..

وفي هذه الأثناء توافر لدى القيادة الفلسطينية معلومات حول مخططات إسرائيلية لتنفيذ عمليات اغتيال لعدد من القيادات الفلسطينية وقيادات من الحركة الوطنية المتواجدة في البقاع، وبموجب هذه المعلومات حاول الأخ أبو عمار اصطحاب أبو الوليد معه لأداء فريضة الحج، وذلك بهدف إبعاده لفترة عن منطقة البقاع، وهنا طلب أبو عمار من أبي جهاد إقناع أبو الوليد



بالسفر، وفعلاً ذهب أبو جهاد إلى منزل أبي الوليد وحاول إقناعه بالسفر إلا أنه رفض واقترح على أبي جهاد أن يسافر بدلا منه فوافق أبو جهاد شرط عدم ذهاب أبو الوليد إلى البقاع في فترة العيد، لكن أبو الوليد رفض لأنه قال له لا يجوز أن يأتي أول عيد ونحن في البقاع ولم يذهب أي منا (أبو عمار– أبو جهاد– أبو الوليد) للمعايدة على القوات، وفعلاً ذهب أبو جهاد مع أبي عمار إلى السعودية وتوجه أبو الوليد إلى البقاع.

غادر أبو الوليد منزله في دمشق متوجها إلى منطقة البقاع وحين وصوله صباح يوم عيد الأضحى المبارك تفقد معظم قوات الثورة الفلسطينية وقوات فتح خاصة في مناطق تواجدها على الطريق العام دمشق – شتورة، وأثناء تواجده في منطقة البقاع زار موقع العمليات المركزية في بلدة "ثعلبايا" ومن ثم زار قوات القسطل ثم كتيبة الجرمق ثم كتيبة شهداء أيلول ومقر اللاسلكي العام وآخر زيارة له كانت لقوات اليرموك، الذي كان قائدها في ذلك الوقت ياسين سعادة ونائبه نصر يوسف، ومنها قرر الانطلاق إلى بعلبك لزيارة قوات القاطع الشرقي بقيادة أبي هاجم في أطراف منطقة بعلبك.

وحين علم الأخ أبو المعتصم أن أبا الوليد يريد تكملة مشواره إلى القاطع الشرقي اعتذر بعدم الذهاب بسبب أن أبا هاجم كان قبل يوم قد أرسل برقية غير لائقة بحق أبي المعتصم، فتفهم أبو الوليد الأمر وأعفى أبا المعتصم من مرافقته، واتفق الاثنان أن يذهب أبو الوليد بسيارتيه الرانج روفر والمرسيدس، وقام أبو المعتصم بإعطائه سيارته مع السائق وهي من نوع "جيمس" وكان سائقها محمود، وافترق الاثنان عند مفرق دير زنون على الطريق العام الواصل بين دمشق وشتورة ثم سلك أبو الوليد طريقه إلى بعلبك ودير زنون، عرب الفاعور وصولا إلى بلدة رياق ومن ثم نحو الطريق العام المؤدي إلى مدينة بعلبك، وفي هذه الأثناء كانت مجموعات حركة أمل تراقب حركة السيارات منذ اللحظة الأولى لدخولها بلدة رياق، وعند وصوله إلى مدخل مدينة بعلبك كان الوقت بعد العصر، واتضح أن مرافقيه لا يعرفون المنطقة جيدا ولا يعلمون موقع مقر قيادة أبو هاجم، حتى أبو الوليد لم يكن يعرف، لهذا توجه إلى مخيم بعلبك للسؤال عن الموقع فقيل له أن "أبا علي مصطفى عثمان" أحد قيادة الحركة الوطنية في بعلبك وهو مسؤول في حركة الناصريين العرب القريبة من حركة "فتح" يعرف مكان قيادة أبي هاجم، وقد تم إرشاد الأخ" أبو الوليد" ومرافقيه عن الموقع الذي توجد به قيادة "أبو هاجم" فسلك نحو منطقة "بساتين بلدة دورس" في محيط "مدينة بعلبك" وحاول الدخول بسياراته إلى الطريق الفرعي المؤدي للموقع فلم تستطع سيارة المرسيدس السير بسبب وجود" سكة حديد" مرتفعة أعاقت تقدمها، فبقيت السيارة على مدخل الطريق وعلى الطريق العام فيما عبرت سيارة" الرنج

روفر" والجميس" التي تقل أبو الوليد وواصلت السير نحو الموقع ونظرا لتخلف السيارة على الطريق العام لمدة تزيد عن الساعتين فقد تم رصدهما من حركة أمل الإسلامية بقيادة حسين الموسوي صاحب القرار والمأمور من السوريين، وتبين فيما بعد وجود سيارة من نوع (كاديلاك) زرقاء اللون كانت تراقب حركة سير أبو الوليد وقد توقفت على بعد (مائتي متر) من سيارة المرسيدس وبها أربعة أشخاص تظاهروا أن سيارتهم تعطلت إلا أنها تحركت عند عودة سيارة أبي الوليد إلى الشارع العام.

بعد أن تناول أبو الوليد الطعام في مقر قيادة الأخ أبو هاجم استأذن بالذهاب، وغادر أبو الوليد دون أن يرسل معه الأخ أبو هاجم أية مرافقة رغم أن الظلام بدأ يحل.

وعند وصول الأخ "أبو الوليد" إلى مدخل بلدة "طليا" اللبنانية القريبة من قرية "السفري" على الطريق العام "بعلبك" شتورة" وعند مدخل بلدة طليا كان يتمركز حاجز عسكري سوري ثابت بصفة دائمة على الطريق العام في مدخل "بلدة طليا" وبعد أن قطع الأخ " أبو الوليد الحاجز السوري بحوالي أقل من "كيلو متر" وقبل وصوله إلى الحاجز السوري الذي يليه تم استهداف سيارته والموكب عند اقترابه من مثلث طريق عام الزراعة المعروف بالنقطة الرابعة أو المزرعة الأمريكية بكمين كبير للغاية من على جانب الطريق العام بدؤوا بإطلاق نار كثيفة على الموكب بتاريخ ٢٩ / ٩ / ١٩٨٢م وكانت الساعة تشير تقريبا إلى الخامسة والنصف.

حاول المرافقون الإفلات من الكمين وتغطية السيارة المقلة للأخ "أبو الوليد" من على جانبها تحاشياً للنيران الكثيفة التي كانت تطلق عليهم، فأصيبت إحدى سيارات المرافقة واستشهد السائق "محمود" سائق الأخ أبو المعتصم على الفور.

أنسحب المهاجمون، الذين تجاوز عددهم ثلاثين شخصاً، إلى قرية" حور تعلا "الجبلية في منطقة شرق بعلبك الموصولة ببلدة " طليا"، علماً أن حركة أمل" كان لها في بلدة "طليا" معسكر حربي ومكتب تنظيمي[٢٢]. أما يوسف عبيد[٢٣] الذي كان خلف موكب أبو الوليد حينما رأى عن بعد أن عملية إطلاق نار يتعرض لها موكب الأخ" أبو الوليد" عاد إلى موقع الأخ "أبو هاجم دون أن يفعل شيئاً هو ومن معه.

---

٢٢ إسماعيل عنبة، مقابلة شفوية.

٢٣ يوسف عبيد قائد إحدى الكتائب في قوات الكرامة التي كان مسؤولها العقيد أبو هاجم، وخلال زيارة أبو الوليد لقيادة أبو هاجم طلب أن يرافقه إلى دمشق كون أسرته هناك، فسأله أبو الوليد هل تريد أن ترافقني في سيارتي أم ستذهب في سيارتك الخاصة، فقال له على مسمع من الجميع أنه سيذهب بسيارته الخاصة، فأجاب أبو الوليد إذن الحقني.. وحين تعرض موكب أبو الوليد للكمين شاهد الحادث، فتوقف عند الحاجز السوري بطلية ثم عاد أدراجه فورا لإبلاغ العقيد أبو هاجم.

تم نقل الأخ أبو الوليد إلى مستشفى بر الياس التابع للهلال الأحمر الفلسطيني وتحرك على الفور كل من أبو المعتصم وإسماعيل عنبة وصالح مصلح إلى المستشفى وحين وصلوا دخلوا إلى غرفة الطوارئ حيث كان أبو الوليد ممدداً على السرير ينزف دماً وإذا به يستعيد وعيه فجأة ويقول لإسماعيل عنبة شعل لي سيجارة وفعلاً أشعل السيجارة وأمسكها بيده وتناول منها عدة جرعات.

ويتذكر الدكتور رضوان الأخرس الذي كان مدير مستشفى بر الياس في ذلك الوقت تلك الحادثة قائلاً: حينما وصل الأخ أبو الوليد إلى المستشفى، كان وجهه أصفراً وشاحباً كثيراً جراء إصابته في الشريان الوردي "الرئيسي" في منطقة الفخذ، بأكثر من طلقة، ما أدى إلى فقدانه الكثير من الدماء، فقمنا على الفور بالعمل على إيقاف النزيف من الشريان، وطلبنا من المتواجدين ضرورة التبرع بالدم فصيلة (O-) لتعويض الأخ أبو الوليد كمية الدم التي فقدها جراء النزيف. وعلى الرغم من أن تلك الفصيلة من النوع النادر، إلا أنه وحسن الحظا تطابقت مع فصيلة دم الأخ عصام مرافق "أبو المعتصم" الذي قام بالتبرع بالدم، وقمنا على الفور بإعطاء الخ أبو الوليد حوالي ٢٠ وحدة[٢٤].

وجرى اتصال مع الجانب السوري حيث أرسل العميد "محمد غانم" رئيس فرع الأمن والاستطلاع السوري في لبنان "الرائد أحمد صوان" مدير مكتبه إلى مستشفى بر الياس ليبلغ الأخ أبو المعتصم برغبة العميد محمد غانم نقل "أبو الوليد" إلى مستشفى "الميس" في شتورة" أو مستشفى "تل شيحا" في مدينة زحلة على الفور، حيث تم اتخاذ جميع الإجراءات لاستقباله، لكن "أبو المعتصم" رفض ذلك معللاً رفضه بأن المستشفى يقع تحت سيطرة الكتائب والقوات اللبنانية، وبموجب ذلك قام الأخ إسماعيل عنبه بإبلاغ العميد محمد غانم رغبة القيادة الفلسطينية نقل الأخ أبو الوليد إلى إحدى مستشفيات دمشق.

ومن الجدير بالذكر فإن الدكتور محمد السيد، وهو فلسطيني من العراق، وكان مسؤولا عن قسم الإستقبال والطوارئ في مستشفى بر الياس، أكد أنه لا خطورة على الأخ أبي الوليد وأن هناك إمكانية لنقله إلى إحدى المستشفيات في دمشق، واتضح لاحقا أن تقديره خاطئ.

وجرى اتصال مع أبي ماهر في دمشق عن طريق جهاز اللاسلكي وتم إحاطته بكل التفصيل بشأن إمكانية نقل الأخ أبو الوليد إلى دمشق. وبالفعل تحركت سيارة الإسعاف وكان على متنها الأخ أبو الوليد وبرفقته الأخ أبو المعتصم والدكتور محمد السيد، وتوجهت إلى مستشفى يافا

---

٢٤ المصدر: اتصال هاتفي مع الدكتور رضوان الأخرس بتاريخ ٢٠١٣/٧/٢٨م.

في دمشق والذي كان يبعد مسافة ٦٥ كلم، واستطاع السائق أن يقطعها خلال ٢٠ دقيقة، وتم الاتصال مع المستشفى لتجهيز غرفة العمليات لاستقبال الأخ أبو الوليد. وعندما وصلت سيارة الإسعاف إلى مستشفى يافا في منطقة المزة كان في الانتظار عدداً من القادة، وعلى الفور أصدر أحمد عفانة (أبو المعتصم) تعليماته بالتحرك فوراً إلى مستشفى المواساة الحكومي السوري في منطقة المزة. وفي حوالي الساعة الحادية عشر مساءً من اليوم نفسه صعدت روح الشهيد إلى بارئها.

أذاعت وكالات الأنباء في جميع أنحاء العالم نبأ استشهاد اللواء سعد صايل، وتم تشييع جثمانه وسارت جنازته من المستشفى في دمشق تشق طريقها في شوارع دمشق يحيط بها رفاق دربه في السلاح والآلاف من أبناء شعبه حتى وصلت إلى أطراف مخيم اليرموك لتجد شعبه الوفي، هذا الشعب العظيم الذي ودع الآلاف من الشهداء يحتضن نعشه نعش أبو الوليد بطل بيروت وبعد أن صلى عليه في جامع مخيم اليرموك ووري الثرى في مقبرة الشهداء في المخيم.

وباستشهاده ترك وراءه جيلاً مقاتلاً سار على دربه وأوقع بقوات العدو الإسرائيلي أكبر الخسائر البشرية والمادية كما حدث في يوم الخميس الموافق ١١ / ١١ / ١٩٨٢م حين قام أحد المقاتلين الأبطال ويدعى أحمد قصير بتفجير مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في بناية عزمي وسط مدينة صور بجنوب لبنان في عملية جريئة أدت إلى مقتل أربعة وسبعين ضابطاً وجندياً إسرائيلياً.

حركة أمل تقف وراء الجريمة:

على ضوء المعلومة التي توافرت لنا منذ اللحظة الأولى حول ضلوع حركة أمل في استهداف أبو الوليد قام الأخ إسماعيل عنبه بالتوجه إلى مقر العمليات المركزية في بلدة ثعلبايا اللبنانية وجهز قوة عسكرية لمهاجمة قاعدة حركة أمل في منطقة «طليا» بمشاركة قوات ال١٧ في بعلبك بقيادة طاهر عبد الرحيم عودة «أبو العبد الحجاوي» وقوات من الأمن المركزي بقيادة صالح مصلح مسؤول الأمن المركزي في البقاع وبعض القوى اللبنانية الوطنية ونفذ الهجوم بالفعل حيث تم اقتحام المعسكر ولم يجدوا أحداً فيما هرب مقاتلو حركة أمل باتجاه «بلدة حور تعلا» وبلدة بريتال شرق بعلبك.

وقام "إسماعيل عنبه" بالاتصال والتواصل مع "الشيخ حسين" أمين سر تنظيم حركة فتح في البقاع والموجود في بعلبك، والذي بعث برقية تفيد أن حركة أمل كانت تستهدف

"إسماعيل عنبه" وليس أبو الوليد، وأنه حصل على هذه المعلومة من" حسين الموسوي" أحد قيادات حركة أمل العسكرية في البقاع المقيم في مدينة بعلبك. حيث اتهموه بالمسؤولية عن إغتيال أحد قادة الحركة في منطقة البقاع المدعو عبده مرتضى الذي كشفت التحقيقات السورية في ذلك الوقت مسؤوليته عن عدة تفجيرات استهدفت القوات السورية في البقاع الشرقي قبل وبعد الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢م، وحينما طلب السوريون تسليم المذكور اعتذر مسؤولي حركة أمل بحجة أن المذكور يعمل لصالح الشعبة الثانية ولا علاقة لهم به، واتهمه السوريون بأنه مجند لصالح المخابرات الإسرائيلية. فاتخذ غازي كنعان[٢٥]قرارا بتصفيته، وهذا ما حدث بالفعل عندما تم وضع كمين للمذكور على طريق أبلح حيث تمت تصفيته. فقامت حركة امل بتجهيز كمين لاستهداف إسماعيل عنبة انتقاما للمدعو عبده مرتضى إلا أن المصادفة – حسب ادعاءات حركة أمل – أوقعت اللواء سعد صايل في طريق الكمين حيث جرى استهدافه.

طلب الأخ "أبو الهول" من إسماعيل عنبة ضرورة ترتيب موعد له بالسرعة الممكنة لمقابلة القيادتين العسكرية والأمنية السورية في دمشق، للبحث في الموضوع والتشاور معهم. وأبلغت القيادة الأمنية في سوريا "إسماعيل عنبه" كونه مسؤول الارتباط المركزي بأنهم ليس لهم أي علاقة مطلقاً بحادث "إغتيال أبو الوليد" وهو محل احترام وتقدير من كافة المستويات السياسية والعسكرية والأمنية في سوريا ويكنون له كل محبة واحترام وتقدير وقدموا واجب العزاء "بالأخ الشهيد" أبو الوليد" واقترحوا أن يتم لقاء غير رسمي بين الأخ "أبو الهول" وأحد القادة الأمنيين السوريين.

---

٢٥ غازي كنعان (١٩٤٢ – ١٢ أكتوبر ٢٠٠٥م) ويلقب بأبو يعرب. رمز من رموز الأمن السوري، ورئيس شعبة المخابرات السورية في لبنان مما جعله يعتبر حاكم لبنان الفعلي في الفترة من ١٩٨٢ حتى ما بعد ٢٠٠١، ووزير الداخلية في سوريا من أكتوبر ٢٠٠٣م حتى انتحاره بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠٠٥م. ولد في قرية بحمرا في محافظة اللاذقية بسوريا من عائلة تنتمي إلى الأقلية العلوية الحاكمه. وهو كان من بين عدة مسؤولين أمن سوريين إستجوبهم محققون من الأمم المتحدة في إطار التحقيق الدولي في مقتل رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري. كانت لجنة التحقيق الدولية باغتيال الحريري قد حققت معه في سبتمبر ٢٠٠٥م في منتجع المونتي روزا قرب الحدود السورية – اللبنانية. كما جمدت وزارة الخزانة الأمريكية في مطلع عام ٢٠٠٥م أصول غازي كنعان والعميد رستم غزالة خليفته في لبنان في خطوة قالت عنها أنها تهدف للعزل المادي للممثلين السيئين الذين يدعمون جهود سوريا للإخلال باستقرار جيرانها. قبيل حادثة انتحاره صرح الرئيس السوري بشار الأسد بأن أي مسؤول سوري يثبت تورطه باغتيال رفيق الحريري سيحاكم بتهمة الخيانة. وآخر مقابلة معه كانت في اتصال هاتفي مع إذاعة صوت لبنان فيها أعرب عن حزنه من المسؤولين اللبنانيين وخيبة أمله منهم ونفى اتهامات بالرشوة تداولتها محطة نيو تي في، وختم المقابلة بقوله هذا آخر تصريح ممكن أن أعطيه وطلب من مقدمة البرنامج ان تعطي تصريحه لثلاث محطات تلفزيونية لبنانية. كان من مهندسي إلغاء اتفاق ١٧ أيار وإنهاء تمرد العماد ميشال عون. انتحاره في صباح يوم الأربعاء ١٢ أكتوبر ٢٠٠٥م غادر مكتبه في وزارة الداخلية لمدة ثلث ساعة إلى منزله ثم عاد ودخل مكتبه وبعد عدة دقائق سمع صوت طلق ناري وكانت الطلقة من مسدس في فمه، وهذا وفق إفادة العميد وليد أباظة مدير مكتبه. وسرعان ما أعلن المحامي العام الأول في دمشق محمد مروان اللوجي أن التحقيق الرسمي في ظروف وفاة كنعان انتهى باعتباره حادث انتحار.

عقد على ضوء ذلك اجتماع بين "أبو الهول" والعميد "مظهر فارس" رئيس فرع التحقيق العسكري بفندق أمية الجديد في دمشق، وجرى البحث في ملابسات عملية الاغتيال تقرر بعدها أن يتم ترتيب لقاء آخر للأخ" أبو الهول" مع" العميد محمد غانم" رئيس فرع الأمن والاستطلاع السوري في لبنان كون فرع الأمن والاستطلاع والعميد غانم هم أصحاب الاختصاص في لبنان وإن حدثت أي معوقات فلا مانع من مراجعة القيادة الأمنية والعسكرية في دمشق.

وبالفعل تم الاتفاق مع العميد محمد غانم على ترتيب اللقاء بينه وبين الأخ أبو الهول وجرى اللقاء في أحد المكاتب الفرعية لفرع الأمن والاستطلاع في لبنان على طريق بلدة "مكسي اللبنانية" على الطريق العام الواصل بين شتورة وبيروت.

جرى اللقاء بين الأخ أبو الهول يرافقه طارق أبو رجب وإسماعيل عنبه مع العميد "محمد غانم" في المكان المحدد، وفور دخول الأخوة أبو الهول وطارق أبو رجب وإسماعيل عنبه شاهدا المدعو "زكريا حمزة" المتهم بعملية اغتيال" أبو الوليد" حاضرا في مقر فرع الأمن والاستطلاع والذي أوجد حالة من التوتر وطلب من الأخ "إسماعيل عنبة السلام على المدعو "زكريا حمزة" وهو المسؤول العسكري الأول لحركة أمل في لبنان، فرفض ووجه كلامه إلى الأخ "العميد محمد غانم" من أحضر هذا المجرم عندك.

طلب "العميد غانم" والأخ "أبو الهول" من إسماعيل عنبة التريث قليلا لمعرفة سبب إحضار زكريا حمزة لهذا اللقاء عندها قال" زكريا حمزة" أمام الحضور بأن المقصود من الاغتيال كان" إسماعيل عنبه" وليس "أبو الوليد".

أدت تلك المشاجرة إلى تعكير الجو بشكل كبير، وبعد ذلك طلب من "إسماعيل عنبة" الخروج من المكتب ليضبط أعصابه ثم يعود، وعندما عاد مرة أخرى عند انتهاء الاجتماع بين كل من العميد محمد غانم وأبو الهول لم يشاهد زكريا حمزة وأستغرب "إسماعيل عنبة" من عدم وجود "زكريا حمزة" وقال: "أين المجرم" قال كل من "العميد غانم" وأبو الهول" أسكت اتفقنا على تشكيل لجنة تحقيق مشتركة للتحري وتثبيت وقائع عملية "اغتيال أبو الوليد" تضم محققين من "حركة فتح" ومن وفرع الأمن والاستطلاع السوري في لبنان ومن حركة أمل وسوف نطلب جميع المتهمين التي تورد أسمائهم بعد عملية التحري عن الأسماء، سواء من حركة أمل أو غيرها، وهم على استعداد لإخضاع من يورد اسمه في القضية مهما كان موقعه في حركة أمل من أجل إنجاح مهمة اللجنة.



وحول ما قاله زكريا حمزة لإسماعيل عنبة قيل له لا عليك من هذا الكلام، قال الأخ إسماعيل عنبة ما هذا الكلام ألم يقل زكريا إنني المقصود بدل الشهيد أبو الوليد أمامكم قال العميد محمد غانم لقد أوضح لنا زكريا ما يقصد من وراء هذا الكلام ومن الآن أن لجنة التحقيق سوف تحدد الهدف والغاية من وراء عملية الاغتيال وربما كان هنالك عناصر مندسة لصالح جهة ما في حركة أمل أو غيرها ولذلك عليك عدم القيام بأي نشاطات تؤدي إلى إفشال عمل اللجنة بعدها نقر الإجراءات المطلوبة وانتهى هذا اللقاء حسب ما أشرنا إلية دون زيادة أو نقصان. وضمت اللجنة كل من:

١. اللواء غازي الجبالي- النائب العام.

٢. المقدم محمد غانم مسؤول امن منطقة البقاع(سوريا)وهو غير العميد محمد غانم ولكن الاسم يتطابق.

٣. الأخ صالح مصلح – مسؤول الأمن المركزي في منطقة البقاع.

٤. المقدم محمد يعقوب مصلح (أبو إسلام) – مسؤول الأمن العسكري في البقاع.

٥. شاكر شكر – مسؤول أمن حركة أمل في البقاع.

وتحدد موقع ومقر اللجنة على أن يكون في مكتب" المقدم محمد غانم" مسؤول "منطقة البقاع" مقرة في بلدة رياق". وباشرت لجنة التحقيق عملها في إطار تحقيق شامل مع المشتبه فيهم وجرى توثيق الإفادات لدى كل طرف من أطراف اللجنة.

وأثناء الاجتماع تقدم الأخ صالح مصلح بكشف بأسماء من حركة أمل ثبت أنهم كانوا موجودين على الحاجز الذي أطلق النار على سيارة أبي الوليد. تسلم مندوب أمل الكشف بأسماء الأشخاص المطلوب حضورهم للاستجواب، والذين ثبت اشتراكهم في عملية الإغتيال وهم:

١. مهدي شرف- من بيت شاما.

٢. حسين شمص – من تمنين التحتا.

٣. نضال الديراني- من بلدة قصرنبا المحاذية لبلدة بدنايل.

٤. حسين طليس – مسؤول القاعدة التي انطلق منها الكمين.

عاد مندوب حركة أمل ليبلغنا بأن هذه الأسماء لا تستطيع الحضور إلى مقر اللجنة لأن بعضها موجود ب الجنوب وبعضها الآخر في بيروت، وذلك بسبب وجود القوات الإسرائيلية

على مفارق الطرق. غادر المتهم "زكريا حمزه" منطقة البقاع إلى مدينة بيروت ليلاً بعد اللقاء مباشرة في ظل وجود قوات الاحتلال الإسرائيلي على كل الطرق المؤدية إلى بيروت ولم يعد بعدها إلى البقاع، ولم يذكر مندوب أمل باللجنة كيف استطاع زكريا حمزه اختراق الحواجز ولم يستطع بقية المطلوبين أن يفعلوا كما فعل زكريا حمزة في الحضور.

على أثر فشل لجنة التحقيق الأولى التي اجتمعت في رياق في القيام بمهمتها، قررت القيادة السورية والفلسطينية تشكيل لجنة تحقيق عليا للتحقيق في جريمة الاغتيال مكونة من:

العميد مظهر فارس مسؤول فرع التحقيق في الأمن العسكري السوري، ممثلا للقيادة السورية.

العقيد غازي الجبالي، ممثلا لحركة فتح.

زكريا حمزة، المسؤول العسكري لحركة أمل، ممثلا لحركة أمل.

صالح مصلح، مسؤول أمن فتح في البقاع.

وقد اجتمعت اللجنة عدة اجتماعات وتوصلت إلى نتيجة مفادها علاقة حركة أمل ومسؤوليتها عن عملية الاغتيال باعتبار أن العملية تمت في منطقة نفوذها.

ولكن زكريا حمزة انسحب بعد ذلك وأقر الباقون هذه النتيجة وهي مسؤولية حركة أمل عن جريمة الاغتيال وحسب ما جاء في توصيات اللجنة الأولى.

ولنا أقوال أخرى..

في البداية يمكن القول ان هناك أخطاء طبية ساهمت بصورة رئيسية في استشهاد اللواء سعد صايل «أبو الوليد».. وأهمها:

تم اغتيال عضو اللجنة المركزية لحركة فتح القائد «سعد صايل» بتاريخ ٢٩ / ٩ / ١٩٨٢م بإطلاق النار على سيارته من كمين مسلح يقوده المدعو زكريا حمزه أحد قيادات حركة أمل وقد طرحت الكثير من التساؤلات: من فعل هذا.؟ ولماذا..؟ ولمصلحة من..؟ ولماذا سعد صايل..؟ وماذا كان يمثل بالنسبة لمن كانوا يقفون وراء الإغتيال..؟ هنا نتساءل، وهنا نكتب بعض ملاحظاتنا:

١. جميع التقارير والمعلومات المؤكدة التي كانت بحوزتنا كانت تقول أن هناك استهدافاً لبعض القيادات الفلسطينية، وتم تعميم هذه المعلومة على جميع قيادة "فتح" وقادة قطاعاتها وأجهزتها. بدليل أن أبو عمار أرسل أبو جهاد لإقناع أبي الوليد بأن يذهب معه إلى السعودية



لأداء فريضة الحج، والقصد كان من ذلك اكتساب فريضة الحج بالإضافة إلى تغييبه عن الساحة لفترة زمنية، وحين أصر أبو الوليد من خلال حديثه مع أبي جهاد بأنه لا يجوز أن يمر عيد الأضحى دون المعايدة على القوات، حيث كان قد وعدهم بذلك، واقترح على أبو جهاد أن يذهب بدلا منه لمرافقة أبو عمار إلى السعودية، بعد أن فشل أبو جهاد في إقناعه بالسفر طلب منه راجياً عدم ذهابه إلى البقاع أيام العيد، ولكن أبو الوليد لم يقدم وعد بذلك، وحصل أن سافر أبو جهاد إلى السعودية، وذهب أبو الوليد إلى البقاع.. أيعقل أن تكون كل هذه المعلومات بحوزتنا ولم نوفر للشهيد أبي الوليد سيارة مصفحة ليتنقل بها، على الأقل بفترة ذهابه إلى البقاع أيام العيد... أنا متأكد لو حصرنا السيارات المصفحة لوجدنا أكثر من سيارة كانت موجودة بالشام.

٢. بعد وصول اللواء لمقر أبو هاجم أصر هو وجميع الضباط بأن يتناول وجبة الغداء بطرفهم، وبناءً على رغبتهم تم تناوله الغداء الذي لم يكن مقررا وجاء الغداء متأخرا ساعة، حتى أن الشهيد غادر متأخرا من طرف أبو هاجم حيث بدأ الليل بالزحف.. التقاليد المتبعة في حركتنا أنه حينما يحضر الضيف نقوم بمرافقته حتى تأمين الطريق له ومن باب اللياقة أن تصطحبه عدة سيارات.

٣. كانت الإشاعات والأحاديث تملأ أجهزتنا ومقراتنا وقطاعاتنا في أن هناك عمليات إغتيال ستحصل في الأيام القادمة، والكل أخذ حذره، أيعقل أن يغادر الشهيد بسياراته الثلاث دون إرسال سيارات استطلاع للطريق الذي سيسلكه أو ترافقه على الأقل لمسافة قصيرة.

٤. لم تكمل التحقيقات بسبب مغادرة المتهم زكريا حمزه " المسؤول العسكري الأول لحركة أمل في لبنان وتهرب مسؤول أمن حركة أمل في البقاع من إحضار بعض الأشخاص المشتبه بهم.

٥. من خلال اطلاعنا على مجريات الأمور: اتضح لنا أن إغتيال الشهيد سعد صايل كان مصلحة إسرائيلية، أمريكية، سورية:

أولاً: إسرائيلياً وأمريكياً:

اللواء سعد صايل «أبو الوليد» انتقل من بيروت إلى منطقة البقاع واستطاع خلال فترة زمنية وجيزة إعادة تنظيم قوات حركة «فتح»، وانتقل إلى مرحلة الاشتباك مع العدو، وكان هو والشهيد أبو جهاد يقومان بعمل دؤوب في عمليات خلف خطوط العدو التي تمتد من الجنوب اللبناني من صيدا وصور وكانت هذه العمليات قد أنزلت خسائر كبيرة في قوات العدو، وكانت الجهة الأكثر سخونة عمليات الجبل وهنا تكاتفت جميع قوات وأجهزة الحركة في مقاومة

الاحتلال، في بيروت كانت الحركة الوطنية بالتنسيق مع فتح تخوض معارك أخرى، ولذلك فإن إسرائيل وضعت أبا الوليد على رأس قائمة الاغتيالات التي أعدتها لاغتيال القادة الفلسطينيين واللبنانيين من الحركة الوطنية، وهنا نؤكد على مصلحة إسرائيل بالدرجة الأولى في إغتيال القائد أبو الوليد.

وبينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية الراعي والضامن لاتفاقية وقف إطلاق النار ما بين م.ت.ف وإسرائيل كان من ضمن اتفاقية فيليب حبيب عدم وجود أي من أفراد المقاومة الفلسطينية على الساحة اللبنانية باستثناء الفلسطينيين الذين يحملون بطاقات إعاشة. ولذلك فإنها اعتبرت أن تواجد اللواء سعد صايل "أبو الوليد" على الأراضي اللبنانية وتحركاته لإعادة تشكيل قوات منظمة التحرير الفلسطينية يعتبر مخالفة واضحة وخطيرة للاتفاق الذي وقع مع قيادة م.ت.ف لهذا كان الهدف الإسرائيلي والهدف الأمريكي متقاربين في اغتيال أبو الوليد وغير بعيدين عن الهدف السوري وزكريا ظل حتى أخر عمره يتلقى الأوامر من دمشق حتى عندما انضم إلى أمل الإسلامية (الإيرانية) ثم عاد إلى حركة أمل.

ثانياً: سوريا:

لقد كان واضحاً منذ زمن بعيد الخلاف بين حافظ الأسد وأبو عمار، وعلى الدوام كانت سوريا لا تخفي أن تكون الورقة الفلسطينية ضمن أجندتها، وأبو عمار كان يعتبر كفاحه بالدرجة الأولى يتمثل في القرار المستقل، بعد خروجنا من لبنان عام ١٩٨٢م كان هناك التزام سوري باتفاقية فيليب حبيب، وإلا لما سمحت أمريكا وإسرائيل ببقاء القوات السورية بالبقاع، وجود سعد صايل على رأس قوات م.ت.ف في البقاع ما هو إلا مؤشر لإعادة حركة «فتح» للخارطة السياسية وطبعا كان سعد صايل يمثل عرفات قلباً وقالبا.. ولا تخفي سوريا ومن خلال حديث المنشق عبد الحليم خدام أنها هي التي ساعدت ودعمت الانشقاق، إذا كانت سوريا تعد للانشقاق في صفوف فتح، وهذا الشيء لا تستطيع فعله بوجود القائد القوي سعد صايل.. إذ لا بد من إزاحته حتى يتسنى لها ذلك..

من خلال متابعتنا لمجريات الأمور وما توصلنا إليه من خلال تحقيقاتنا الخاصة: بأن تغيب القائد الشهيد سعد صايل عن الساحة كان مصلحة سورية نفذتها أدواتهم وأجهزتهم لتسهيل الوصول إلى الانشقاق والتخلص من ياسر عرفات أو إضعافه على الأقل، وبالتالي الاحتواء الكامل للجسم الفلسطيني مقاومة ومنظمة، وفي النهاية الورقة الفلسطينية. وبهدف التضليل

في سياق التهيئة المخططة في بداية ليل حالك السواد للقادم من الأيام، واختصار للشر أحيلت المسؤولية عما حدث لحركة أمل، وكأنها كانت بعيدة عن النظام السوري، علماً أن كمين حركة أمل الذي أطلق النار على سيارة الشهيد كان بين حاجزين للقوات السورية والحاجز الأول السوري يبعد أقل من كيلو متر واحد عن الكمين.

ثالثاً: حركة أمل:

لا أستطيع التحدث مطولا عن حركة أمل، بل إنني أعتبرها فصيل من فصائل النظام السوري بعدما تأسست في حضن حركة فتح ومع موسى الصدر الذي تم تغييبه وقتله مع كمال جنبلاط ليستفرد السوريون بحركة امل ويضعوها في وجه المقاومة وحركة فتح خصوصا وكان نفس الهدف من قتل جنبلاط بالنسبة للدروز لولا أن وليد جنبلاط كان صلبا وأكثر قدرة على التحايل عليهم من حسين الحسيني ثم نبيه بري، وأقرّ أنها صارت أقرب إلى النظام السوري من الصاعقة، وسوف نتحدث عن أدوارها لاحقا، كما أوعز لها السوريين بحرب المخيمات، أضف إلى ذلك في تلك الفترة كانت منقسمة لعدة أجنحة بين صفوفها وأحد تلك الأجنحة كان يقودها المدعو (عقل حمية) المعروف في منطقة الجنوب اللبناني وله امتداد في منطقة البقاع وبعلبك.

تدعي حركة أمل أنها حينما وضعت الكمين الذي استهدف الشهيد أبو الوليد حصل خطأ حيث أنها كانت تستهدف إسماعيل عنبه بإطلاق النار وليس أبو الوليد.. وهنا نتساءل أيعقل أن تقوم جهة ما باغتيال شخص دون التأكد من شخصية المستهدف وكان الوقت كافٍ لحركة أمل من خلال عملية رصد وقوف سيارة المرسيدس التي كانت تقف بجانبها سيارة (أمل) للمراقبة وتحركت فورا عندما تحرك الموكب. كما كانت سيارة أبو المعتصم G.M.C ضمن الثلاث سيارات التي وقع عليها إطلاق النار، ولم يسبق أن استعار عنبه أي سيارة. كما خروج الموكب من القاطع الشرقي "أبو هاجم" معروف أن القادم هو أبو الوليد وليس إسماعيل عنبه: لأن إسماعيل عنبه لم تكن له العادة أن يذهب للمعايدة على القوات.

وأفادت مصادر جماعة صبري البنا (أبو نضال) في بداية حرب المخيمات وعلى ضوء تبادل التصفيات بين أمل وصبري البنا في الساحة اللبنانية، ومن خلال التحقيقات التي حصلت مع الأسرى من جماعة أمل الذين كانوا موقوفين لدى جماعة البنا تبين لهم أن التالية أسماءهم كان لهم دور رئيس في اغتيال الشهيد أبو الوليد وهم[٢٦]:

٢٦ المصدر: منصور حمدان (أبو نادر) نائب أبو نضال.

١. زكريا حمزه "أبو يحيى" المسؤول العسكري الأول لحركة أمل في لبنان.

٢. شاكر شكر – مسؤول أمن منطقة البقاع لحركة أمل.

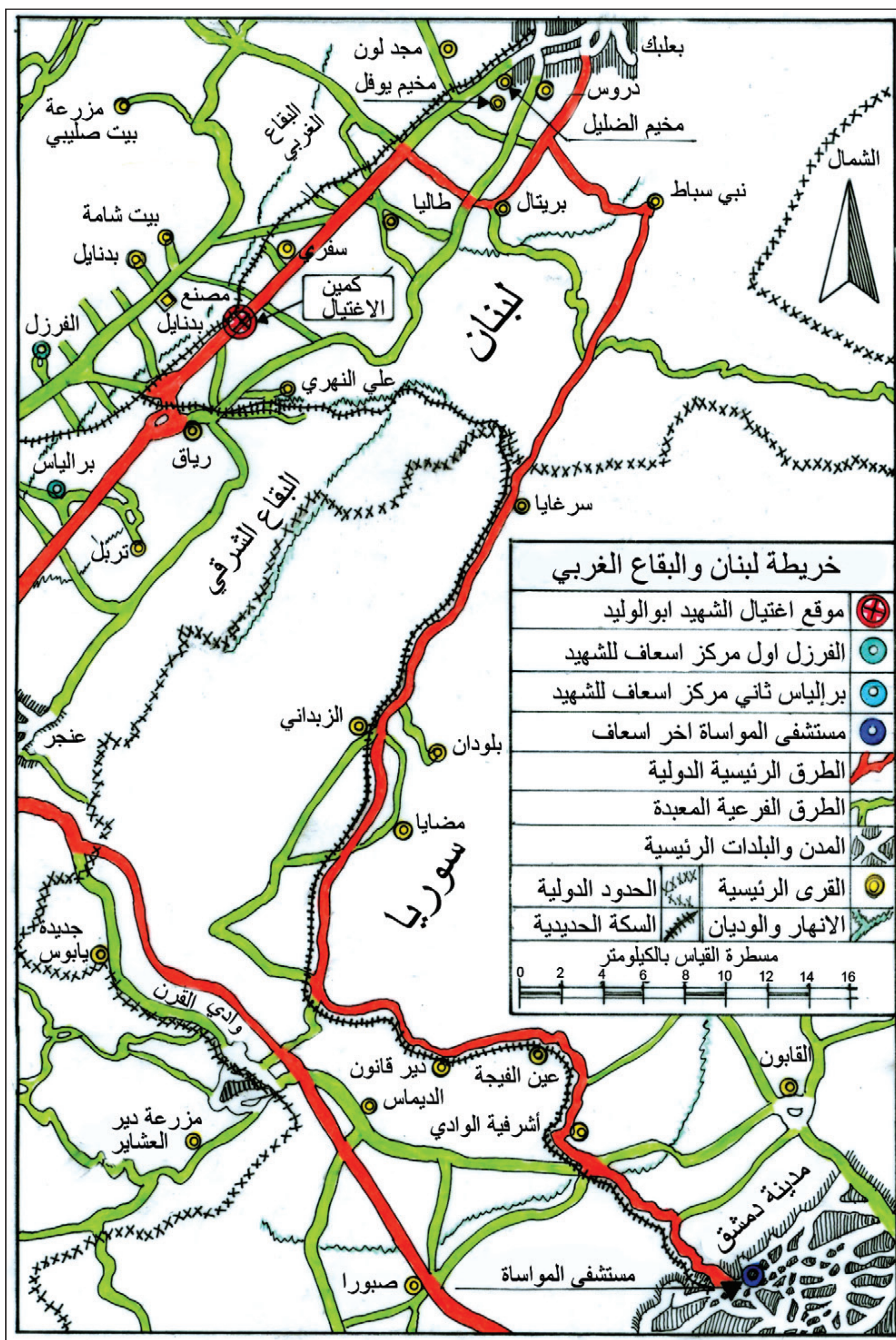
٣. حسين طليس المسؤول العسكري لبلدة بريتال – شرق بعلبك.

٤. محمود أبو حمدان –نائب ووزير لاحقا، مسؤول تنظيم وأمن أمل في ثعلبايا وحزرتا– يقطن في ظهور ثعلبايا.

وللحديث بقية...

المقدم محمد يعقوب مصلح (أبو إسلام) مندوب جهاز الاستخبارات العسكرية وعضو لجنة التحقيق غادر إلى بلد عربي وبحوزته كل الوثائق والإفادات دون علم أو استئذان القيادة مما عرقل عمل التحقيقات وأدى إلى فقدان نتائج التحقيق، ومن الجدير بالذكر فقد قمت بالبحث في جميع أجهزتنا الأمنية والقضائية لم أجد أو لم يدلني أحد على أي ورقة معلومات عن استشهاد أبو الوليد. وإذا قلنا أن أبو إسلام هرب بمحضر التحقيق لأسباب لم نعرفها، وهل تسقط هذه الجرائم بالتقادم..؟ ويصبح لا قيمة لطرح قضايا مرّ عليها ثلاثون عاما من الزمن.. نحن لا نريد مشاهدة فيلم وثائقي قديم عنوانه استشهاد الجنرال سعد صايل بل نريد الحقيقة.

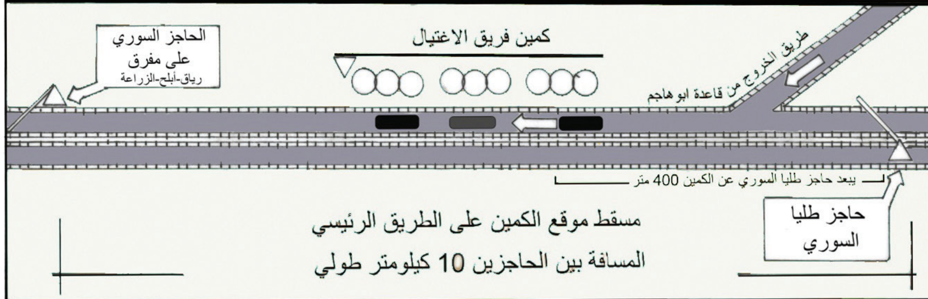
التحقيق في هذه القضية بالذات لا يمكن له أن يغلق بل أنه على الأرجح سيبقى مفتوحاً كالجرح النازف في الصدور إلى أن يعاقب القتلة على جريمتهم.. أو تعاقب بعض الأنفس على التقصير، وإذا كان من الصعب الاختيار بين واحد من هذين الاحتمالين، فإن الأصعب منهما معا هو أن يجرؤ أحد على متابعة التحقيق نفسه في هذه القضية الخطيرة والشائكة، نظرا لطابعها السياسي المعقد، وفي ظروف تكاد تجمع فيها أطراف عديدة على ضرورة إغلاق ملفات هذا التحقيق.. وليس إعادة فتحه ويزداد الأمر صعوبة نظرا للتشابك والتداخل ما بين الجانب الأمني والجانب السياسي لقضية اغتيال القائد "سعد صايل" واستحالة الفصل ما بين الجانبين في أي محاولة جديدة للتوصل إلى نتائج، أو على الأقل لإبقاء التحقيق حيا ومفتوحا حين ندقق ونبحث عن كشف اغتيال أبو الوليد يجب بنفس البحث والجهد أن نقوم به للبحث عن اغتيال القائد الرمز أبو عمار.

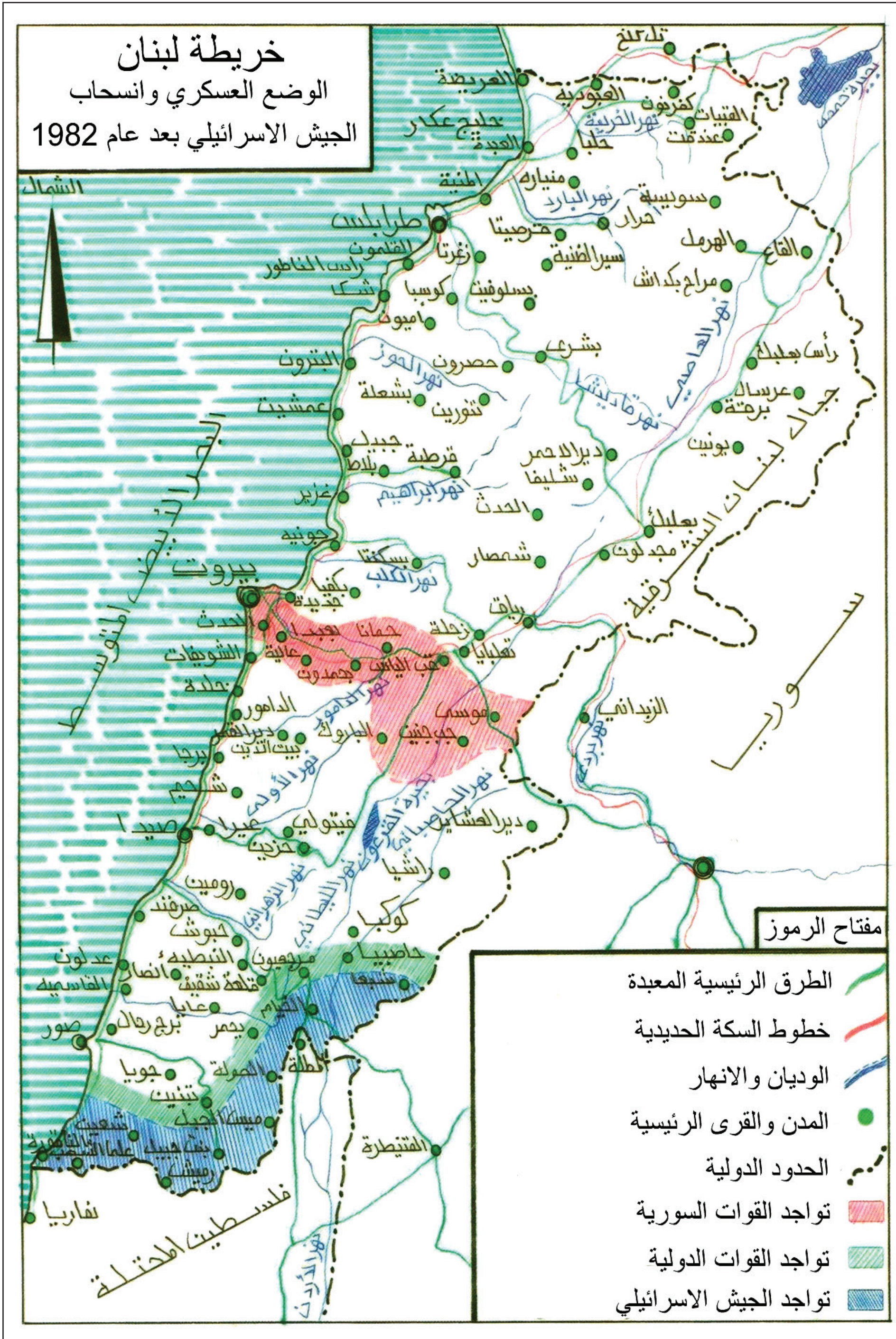

خريطة لبنان والبقاع الغربي
موقع اغتيال الشهيد ابوالوليد
الفرزل اول مركز اسعاف للشهيد
برإلياس ثاني مركز اسعاف للشهيد
مستشفى المواساة اخر اسعاف
الطرق الرئيسية الدولية
الطرق الفرعية المعبدة
المدن والبلدات الرئيسية
القرى الرئيسية
الحدود الدولية
الانهار والوديان
السكة الحديدية
مسطرة القياس بالكيلومتر
0 2 4 6 8 10 12 14 16
الشمال
لبنان
سوريا
البقاع الشرقي
البقاع الغربي
بعلبك
دروس
مخيم الضليل
مجد لون
مخيم يوفل
مزرعة بيت صليبي
نبي سباط
بريتال
طاليا
بيت شامة
بدنايل
سفري
كمين الاغتيال
مصنع بدنايل
الفرزل
علي النهري
رياق
برالياس
تربل
سرغايا
عنجر
الزبداني
بلودان
مضايا
جديدة يابوس
وادي القرن
دير قانون
عين الفيجة
الديماس
أشرفية الوادي
مزرعة دير العشاير
القابون
مدينة دمشق
مستشفى المواساة
صبورا

مخطط الطريق الرئيسي في البقاع الغربي اللبناني

عملية اغتيال الشهيد سعد صايل ابو الوليد 29 ايلول 1982

الشمال




خريطة لبنان
الوضع العسكري وانسحاب
الجيش الاسرائيلي بعد عام 1982
الشمال
البحر الأبيض المتوسط
بيروت
طرابلس
صيدا
صور
سوريا
جبال لبنان الشرقية
فلسطين المحتلة
مفتاح الرموز
الطرق الرئيسية المعبدة
خطوط السكة الحديدية
الوديان والانهار
المدن والقرى الرئيسية
الحدود الدولية
تواجد القوات السورية
تواجد القوات الدولية
تواجد الجيش الاسرائيلي

إسقاط الاتفاق اللبناني الإسرائيلي:

في يوم توقيع الاتفاق اللبناني – الإسرائيلي يوم ١٧ / ٥ / ١٩٨٣م أعلن الرئيس الأسد رفض سوريا لمشروع الاتفاق كونه ينتهك استقلال لبنان ويحوله إلى محمية إسرائيلية في حين أعلنت منطقة البقاع «الحداد الوطني» كما أعلن الإضراب العام بدعوة من الحركة الوطنية اللبنانية وبعض علماء المسلمين ولجنة المتابعة للمؤتمر الوطني والشعبي الذي يضم القوى السياسية والهيئات الشعبية، وفي الضاحية الجنوبية أقيم اعتصام في جامع الإمام الرضا بمنطقة بئر العبد قاده السيد محمد حسين فضل الله والشيخ زهير كنج، في حين بدأت بعد ذلك بشهرين تقريبا (حرب التفجيرات) بمحاولة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان يوم ٧ / ٧ / ١٩٨٣م بتفجير عبوة عن بعد بسيارته بالقرب من القصر الجمهوري.

وفي غمرة حرب التفجيرات وتحديدا يوم ٩ / ٩ / ١٩٨٣م شن مقاتلو الحزب التقدمي اللبناني هجوما احتلوا بموجبه جميع مواقع القوى اللبنانية في منطقتي عاليه والشوف، مما هدد بعودة الحرب الأهلية اللبنانية، حيث تدخلت السعودية وكلفت الأمير بندر بن سلطان[٢٧] ورفيق الحريري القيام بوساطة مع سوريا انتهت بإعلان وقف إطلاق النار من دمشق يوم ١٢ / ٩ / ١٩٨٣م وتبع ذلك إعلان سعودي – سوري من دمشق يوم ٢٥ / ٩ / ١٩٨٣م أنه تم الاتفاق على إنهاء الحرب ووقف إطلاق النار في لبنان والدعوة إلى حوار وطني لبناني الذي اتفق فيما بعد أن ينعقد في جنيف.

وفي ٢٣ / ١٠ / ١٩٨٣م تم تنفيذ عمليتي تفجير استهدفتا مقر قيادة قوات المارينز في مديرية الطيران المدني، ومقرا للوحدة الفرنسية في بئر حسن ونتج عنهما مصرع (مائتين وواحد وأربعين أمريكياً)، وجرح أكثر من مائة ومصرع (أربعة وسبعين فرنسياً) وجرح أكثر من ستين آخرين.

---

٢٧ خلال الحرب العراقية الإيرانية كانت سورية تقف إلى جانب إيران، الأمر الذي دفع الملك فهد لمعاتبة الرئيس الأسد متسائلا كيف تقف دولة عربية إلى جانب دولة فارسية تحارب دولة عربية (يقصد العراق)، فرد عليه الرئيس الأسد: وكيف أنتم تتفرجون على قواتي وأنا غارق في لبنان دون أن تحركوا ساكنا، وكان ذلك سببا في تكليف السعودية لرفيق الحريري لمساعدة سورية في لبنان وصولا إلى اتفاق الطائف.



وفي ٣١ / ١٠ / ١٩٨٣م افتتح مؤتمر الحوار الوطني أعماله في فندق "انتركونتيننتال" في جنيف بمشاركة الرئيس أمين الجميل والوفد الحكومي الرسمي الذي ضم المدير العام لرئاسة الجمهورية القاضي جوزيف جريصاتي ومستشار الجميل للشؤون الوطنية الدكتور وديع حداد ومستشار رئيس الجمهورية محمد شقير، والسفير لطيف أبو الحسن والدكتور حافظ قبيسي والسفير في وزارة الخارجية اليزيه العلم، وحضره عن جبهة الخلاص الوطني الرئيس سليمان فرنجية ومعه النائب الدكتور عبد الله الراسي ورامز خازن وكذلك الرئيس رشيد كرامي ومعه الدكتور عمر مسبكه ومحمد المملوك ووليد جنبلاط، ومعه مروان حماده وخالد جنبلاط وعبد الله الأمين، والرئيس عادل عسيران ومعه ابنه علي عسيران وعادل قانصوه، والرئيس صائب سلام ومعه النائب جميل كبي ومحمد المشنوق ورئيس حركة أمل نبيه بري ومعه المحامي هيثم جمعه والدكتور محمد بيضون.

أما عن الجبهة اللبنانية فقد حضر كميل شمعون والنائب ميشال ساسين والمهندس مارون حلو، وبيير الجميل والنائب جورج سعادة وجوزيف أبو خليل والفرد ماضي وكان الوفدان المراقبان هما الوفد السعودي ويضم وزير الدولة محمد إبراهيم مسعود، وسفير السعودية أحمد الكحيمي ورفيق الحريري، والوفد السوري ويمثله عبد الحليم خدام وانعقد المؤتمر برئاسة الرئيس السويسري بيار اوتير، وبعد سبع جلسات انتهت المرحلة الأولى بتاريخ ٤ / ١١ / ١٩٨٣م وصدر بيان يعلن هوية لبنان العربية والتزام ميثاق الجامعة العربية، وتكليف الرئيس أمين الجميل القيام بالإجراءات والاتصالات الدولية من أجل إنهاء الاحتلال الإسرائيلي وتأمين سيادة لبنان بكامله.

بتاريخ ١١ / ١١ / ١٩٨٣م تم اتصال هاتفي بين الرئيسين أمين الجميل والرئيس حافظ الأسد وتم الاتفاق على عقد لقاء بينهما لكنه استبدل بقيام نائب رئيس الجمهورية ووزير الخارجية عبد الحليم خدام بزيارة بيروت بدلا عن مقابلة الرئيس الأسد بسبب الوعكة الصحية التي ألمت به آنذاك، فوصلها يوم ١٦ / ١١ / ١٩٨٣م حيث عرض وجهة النظر السورية بوجوب إلغاء اتفاق (١٧ أيار)، وفي يوم ٢٣ / ١١ / ١٩٨٣م وصل إلى بيروت المبعوث الأمريكي الجديد دونالد رامسفيلد في إطار مهمته الجديدة واجتمع إلى الرئيس أمين الجميل ناقلا إليه وجهة نظر الإدارة الأمريكية باعتبار اتفاق (١٧ أيار) مجمدا، وفي يوم ١٣ / ١ / ١٩٨٤ استقبل الرئيس حافظ الأسد رامسفيلد وأبلغه بضرورة إلغاء اتفاق (١٧ أيار) وليس تجميده وإن القوات السورية ستكون آخر من يغادر لبنان.

بعد انتفاضة ٦ / ٢ / ١٩٨٤ وسيطرة حركة أمل والحزب التقدمي الاشتراكي على بيروت الغربية[٢٨] واستقالة الحكومة وقرار أمريكا وبريطانيا وإيطاليا سحب قواتهم من لبنان، أصبح وضع الرئيس أمين الجميل سيئا لا سيما بعد سقوط منطقة (الشحار الغربي) في أيدي الحزب التقدمي وسيطرة حركة أمل على الدامور والمشرق والناعمة وخلده ومطالبة وليد جنبلاط ونبيه بري باستقالة رئيس الجمهورية، وفي يوم ٢٩ / ٢ / ١٩٨٤م انعقدت القمة السورية – اللبنانية بين الرئيسين الأسد والجميل، حيث تم الاتفاق على ضرورة إلغاء اتفاق (١٧ أيار)، وبموجب ذلك انعقدت الجولة الثانية من جلسات مؤتمر الحوار الوطني اللبناني بمدينة لوزان السويسرية بتاريخ ١٢ / ٣ / ١٩٨٤ بفندق "بوريفاج" واختتم المؤتمر أعماله ببيان يوم ٢٠ / ٣ / ١٩٨٤م يؤكد على وقف إطلاق النار وتشكيل هيئة تأسيسية لوضع دستور لبناني جديد.



الجاسوس الايراني علي رضا اصغري كنز المعلومات الاسرائيلي:

شهدت تلك المرحلة تحركات إيرانية قوية على الساحة اللبنانية في محاولة للبحث عن دور يمكنها من تمرير استراتيجية تصدير الثورة الإسلامية إلى خارج حدود الدولة الإيرانية معتمدة في ذلك على السكان الشيعة في لبنان والكثير من السنة والذين أصبحوا قوة لا يستهان بها بفضل منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح بصورة خاصة لهم على عدة أصعدة. ونجحت ايران في الاستفادة من قوات الحرس الثوري الذين تم إرسالهم إلى لبنان في تلك الفترة بحجة المشاركة في مواجهة الاجتياح الإسرائيلي للأراضي اللبنانية عام ١٩٨٢م. وبالفعل فقد شهدت تلك المرحلة موجة من العمليات العسكرية التي كان للكثير منها الفضل في خلق الأرضية المناسبة التي عززت المقاومة في وجه الاحتلال الإسرائيلي وأفشلت مخططاته، وكان المقاتلون الأوائل

٢٨ انتفاضة ١٩٨٤/٢/٦م– تسارعت الأحداث في بيروت اعتباراً من يوم ١٩٨٤/٢/١ الذي شهد اشتباكات عنيفة بالقذائف المدفعية والصاروخية والقصف العشوائي لإحياء الضاحية الجنوبية، وفي يوم ١٩٨٤/٢/٢م بدأت عملية اقتحامات متبادلة بين الجيش اللبناني وحركة أمل، تطور يوم ١٩٨٤/٢/٤ م إلى قصف تدميري مركز للأحياء السكنية في الشياح وبئر العبد وصفير وحي ماضي وحارة حريك والغبيري وسقوط قذائف ثقيلة على أحياء مارون مسك/ المصبغة، أسعد الأسعد، عبد الكريم الخليل، المشيرفة في الشياح وتصعيد الرمايات بمختلف أنواع الأسلحة على جميع محاور الضاحية، وفي هذا اليوم عقد رئيس حركة أمل نبيه بري مؤتمرا صحفيا طالب فيه باستقالة جميع الوزراء المسلمين والوطنيين وبموجبه قدم رئيس الوزراء استقالة حكومته التي قبلها الرئيس اللبناني أمين الجميل يوم ١٩٨٤/٢/٥م، وفي يوم ١٩٨٢/٢/٦م تصاعد التدهور الأمني في الضاحية الجنوبية وامتداده إلى المنطقة الغربية من بيروت وسيطر مقاتلو حركة أمل وحلفائها على كل المواقع والثكنات والمراكز العسكرية بعد معارك ضارية.



والذين احتوتهم ايران مناضلون من امل تربوا في قواعد فتح خاصة مع الكتيبة الطلابية وعدد من الفتحاويين الجنوبيين.

إلا أنه وفي المقابل فقد شهدت تلك المرحلة عمليات وضع ولها علامات استفهام حول الجهات المستفيدة منها وخاصة تلك التي تتعلق بتفجير مقر السفارة الأمريكية في بيروت والتي قتل فيها العديد من كبار ضباط المخابرات المركزية الأمريكية (CIA).

وتوفرت لدينا معلومات عن اختراقات إسرائيلية لوحدات الحرس الثوري الإيراني، ممثلة في الجنرال علي رضا أصغري الذي كان يتولى قيادة قوات الحرس الثوري الإيراني في لبنان في تلك الفترة، لتنفيذ عمليات استهدفت النشاط الاستخباري الأمريكي في المنطقة، بصورة عامة، وبعض ضباط المخابرات الأمريكية بصورة خاصة الذين كانوا مسؤولين عن إعادة صياغة سياسات الولايات المتحدة في المنطقة بما ينهي الانفراد الإسرائيلي في الاستحواذ على موقع الشراكة الاستراتيجية والمعلوماتية مع الولايات المتحدة في المنطقة. وهو الهدف الذي سعت إسرائيل لتحقيقه قبل ذلك بسنوات من خلال إغتيال الشهيد أبو حسن سلامة. وسنحاول من خلال الاستعراض التالي تقديم كافة المعلومات التي توافرت لدينا عن نشاطات الجاسوس الإيراني على أصغري الذي كان يعتبر بمثابة كنز استخباري لإسرائيل.

مولده ونشأته:

ولد علي رضا أصغري في بلدة (اردشتان) بمحافظة أصفهان عام ١٩٤٤م، وعندما بلغ العشرين من عمره التحق بالخدمة العسكرية في الجيش الإيراني، وفي عام ١٩٧٣ أحيل إلى الخدمة في جهاز استخبارات شاه ايران (السافاك) وشارك بدورات أمنية في إسرائيل، وظل يعمل في السافاك حتى عام ١٩٧٩ م حيث سقط نظام الشاه. وبعد أن سيطرت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني على الحكم في إيران، أعلن ولاءه للجمهورية الإسلامية مع العديد من ضباط السافاك السابقين الذين لم يهربوا من إيران، ثم التحق للخدمة في حرس الثورة الإيراني.

قرر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران خلال الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م، إرسال قوات إيرانية للمشاركة في التصدي للغزو، وبعد أن حطت الطائرة الإيرانية الخامسة في دمشق التي نقلت وحدات من الحرس الثوري وقوات الباسيج ولواء ذو الفقار الخاص (الخالدون في عهد الشاه) تراجع الإمام الخميني عن إرسال المزيد من القوات[٢٩] مبررا تراجعه

٢٩ علي أكبر محتشمي بور سفير إيران السابق لدى سوريا للفترة من ١٩٨٢ – ١٩٨٥ م في حديث لصحيفة (شرق الإيرانية) بتاريخ ٢٠٠٨/٨/٣م.

بأن القوات المرسلة إلى لبنان وسوريا لا بد أن يكون لها دعم لوجيستي كبير، وأن المشكلة هي أن طرق الإسناد والدعم تمر عبر العراق وتركيا، والأول في حرب شرسة مع إيران والثاني عضو في حلف الناتو ومتحالف مع أمريكا وأن الطريق الوحيد هو تدريب الشبان الشيعة هناك.

وبموجب قرار الخميني تم إرسال قوات من الحرس الثوري إلى لبنان لتدريب الشبان الشيعة، حيث يقول علي أكبر محتشمي السفير الإيراني لدى سوريا حينذاك فإن العديد من الشباب تلقوا تدريبات قتالية منذ أن أسهم حرس الثورة في تأسيس حزب الله اللبناني بالتزام مجموعة من داخل حركة أمل[٣٠] وخلال تلك الفترة كان علي رضا أصغري نائبا لقائد حرس الثورة في لبنان الحاج أحمد متوسليان والذي كان يعمل تحت غطاء دبلوماسي بصفته الملحق العسكري في السفارة الإيرانية ببيروت.

وحينما كان القصف الجوي والبري والبحري الإسرائيلي على أشده ضد القوات الفلسطينية والمشتركة في بيروت خلال عملية الغزو الإسرائيلي للبنان أرسلت إيران وفدا أمنيا إلى بيروت فاستقبله في دمشق قائد حرس الثورة في لبنان الحاج أحمد متوسليان إلا أن الوفد الذي كان يضم، إضافة إلى الحاج أحمد متوسليان، كل من محسن موسوي القائم بأعمال السفارة الإيرانية في بيروت وكاظم اخوان مصور وكالة أنباء أرنا الإيرانية وتقي رستكار سائق الوفد تعرض للاختطاف يوم ٤ / ٧ / ١٩٨٢م على حاجز للقوات اللبنانية الكتائبية في موقع تفتيش بمنطقة "بربارة" شمال بيروت، والتي كانت محاصرة من قبل قوات العدو الإسرائيلي وطبقا لتصريحات المسؤول الكتائبي آنذاك سمير جعجع[٣١] في اتصال هاتفي معه

---

٣٠ المصدر نفسه حديث لصحيفة (شرق الإيرانية) بتاريخ ٢٠٠٨/٨/٣م.

٣١ سمير جعجع (١٩٥٢/١٠/٢٥) سياسي لبناني يعتبر أحد أبرز المشاركين في الحرب الاهلية اللبنانية، يلقب بالحكيم أي الطبيب في اللهجة اللبنانية لدراسته الطب على الرغم من أنه لم يكملها بسبب اندلاع الحرب، هو رئيس الهيئة التنفيذية لحزب القوات اللبنانية إحدى المليشيات السابقة التي لعبت دورا مهما في الحرب وتحولت الآن الى حزب سياسي، اعماله اثناء الحرب الاهلية: بعد دخول الجيش السوري ومعارك تل الزعتر على يد المليشيات المسيحية، عاد الى دراسته في الجامعة، لكنه تركها قبل تخرجه بشهور اثر تجدد القتال وطلب بشير الجميل الحاقه في القوات اللبنانية المشكلة حديثا آنذك، وفي تلك المعارك اصيب اصابة خطيرة نقل على اثرها الى فرنسا للعلاج، كما أنه قاد المجموعة التي ارسلها بشير الجميل الى اهدن لمحاربة النائب طوني فرنجية زعيم مليشيا المرده ضمن خطته لتوحيد البندقية المسيحية، وبعد تنامي سيطرته وقيامه بانتقاد الزعامات المسيحية التي وصفها بالتقليدية تم طرده من حزب الكتائب فقام بانتفاضة على رئيس مليشيا القوات اللبنانية آنذاك فؤاد ابو ناضر مع كريم بقرادوني وايلي حبيقه وذلك عام ١٩٨٥، حيث صار ايلي حبيقه القائد العام لمليشيا القوات اللبنانية قبل ان يطيح به في ١٩٨٦ ويستلم القيادة مكانه بعد توقيع حبيقه على الاتفاق الثلاثي مع نبيه بري رئيس حركة امل ووليد جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي برعاية سورية، كما خاض حربا شرسة ضد الجيش اللبناني بقيادة العميد ميشال عون سميت بحرب الالغاء، وبعد اتفاق الطائف وجب على القوات ان تصبح حزبا سياسيا كما بقية المليشيات المتصارعة، وفي عام ١٩٩٤ سجن بسبب اتهامه بتفجير كنيسة سيدة النجاة في كسروان وقد حصل على براءته منها، وحوكم بتهمة اغتيال رئيس الحكومة الاسبق رشيد كرامي ورئيس حزب الوطنيين الاحرار داني شمعون، كما اتهم باغتيال النائب طوني فرنجية ابن الرئيس سليمان فرنجية وعائلته في اهدن وهو ما سمي لاحقا بمجزرة اهدن وحكمت المحكمة عليه بالإعدام وتم تخفيف الحكم من قبل رئيس الجمهورية الياس الهرواي الى السجن مدى الحياة، وكذلك حكم بحل القوات اللبنانية، اطلق سراحه عبر عفو نيابي خاص من قبل المجلس الجديد الذي انبثق بعد خروج الجيش السوري من لبنان عام ٢٠٠٥ ليعود الى نشاطه السياسي وهو يعد من أبرز قادة تحالف ١٤ آذار مع وليد جنبلاط وسعد الحريري، متزوج من ستريدا طوق وليس لهم اولاد.



يوم ٢٠ / ١١ / ١٩٩٠م فقد قال أن الدبلوماسيين الإيرانيين قد تم إعدامهم في هيئة الأركان العامة لقوات الكتائب في منطقة "الكرنتينا" وتم نقل أجسادهم إلى خربة تقع خلف مبنى الأركان العامة وتمت تسوية قبورهم بالأرض[٣٢] وبعد مقتل قائد حرس الثورة الإيراني في لبنان الحاج أحمد متوسليان، وبناءً على ترشيح من قيادة حرس الثورة في إيران، تولى الجنرال علي رضا أصغري قيادة حرس الثورة الإيراني في لبنان.

العلاقة بين أصغري وعماد مغنيه:



علي رضا أصغري

ولد القائد العسكري في حزب الله اللبناني عماد فايز مغنيه في قرية (طير دبا) بجنوب لبنان عام ١٩٦٢م ثم انتقلت أسرته إلى بيروت لتعيش في منطقة الضاحية الجنوبية بالقرب من المخيمات الفلسطينية، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية التحق بقوات ال١٧ في حركة فتح، حيث تلقى دورات عسكرية وأمنية متعددة، وشارك خلال الغزو الإسرائيلي للبنان في القتال ضد القوات الإسرائيلية، وعندما تقرر رحيل قوات منظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت أواخر شهر (٨ / ١٩٨٢) بصفته لبناني الجنسية ليبقى في بيروت مع المقاتلين في قوات الثورة الفلسطينية ممن يحملون الجنسية اللبنانية التزاما بالاتفاق مع فيليب حبيب المبعوث الأمريكي للبنان الذي ينص على عدم ترحيل حملة الجنسية اللبنانية مع القوات الفلسطينية، وعين عماد مغنية في حراسة السيد محمد حسين فضل الله.

وبينما كان الجنرال علي رضا أصغري يتردد على السفارة الإيرانية في دمشق لحضور الاجتماعات الأمنية لحرس الثورة الإيراني، كان عماد مغنيه ضمن عناصر حزب الله الحاضرين بهدف التنسيق، فأثار اهتمام الجنرال أصغري فاستقطبه ضمن الحرس الثوري الإيراني في لبنان، وجند له عدداً من كوادر الحرس من أصول عراقية وتم تكليف هؤلاء للعمل في جهاز العمليات لحزب الدعوة العراقي، وبموجب هذه المهمة انتقل عماد مغنيه إلى معسكرات البقاع

---

٣٢ وكالة أنباء الجمهورية الإيرانية (أرنا) ومركز مهر للأنباء بتاريخ ٢٠٠٨/٧/٦م.

التابعة للحرس الثوري، وبدأ يخطط وينفذ عمليات خطف وتفجير ضد السفارة والمصالح الأمريكية والعديد من العمليات ضد عدد من الأهداف الحيوية في عدد من الدول العربية كما حدث باختطاف طائرة الجابرية الكويتية بشهر ٤ / ١٩٨٨م وبعد مرور ستة عشر يوما منها ثلاثة أيام في مطار مشهد في إيران وخمسة أيام في لارنكا–قبرص وثمانية في مطار هواري في الجزائر وتم إنزال الطائرة في الجزائر بعد أن قتل اثنين من ركابها ورميهم من شباك الكبينة[٣٣].

هكذا نسفت السفارة الأمريكية في بيروت:

لم يعد خافيا على أحد، أو سرا من الأسرار أن الحرس الثوري الإيراني أثناء قيادة الجنرال أصغري كان مسؤولا عن تفجير مقر السفارة الأمريكية في بيروت يوم الاثنين الموافق ١٨ / ٤ / ١٩٨٣م حيث قتل ثلاثة وستون شخصاً هم (٣٢ لبنانياً) و (١٧ أمريكياً) و (١٤ من الزوار للسفارة) ومن بين القتلى الأمريكيين سبعة يعملون لحساب وكالة الاستخبارات المركزية على رأسهم (كن هاس) رئيس محطة بيروت، و(بوب ايمز) كبير المحللين في وكالة الاستخبارات، (وجون هاريسون) ضابط الاتصال في السفارة، كما قتلت فيليس فيلاتشي السكرتيرة في السفارة، وجين لويس نائب رئيس محطة المخابرات المركزية الأمريكية في بيروت.

وفي تفاصيل تفجير السفارة قام انتحاري يقود شاحنة نقل صغيرة محملة بحوالي (٩١٠كلغم)[٣٤] من المتفجرات باقتحام مبنى السفارة حيث انفجرت بداخلها، ما أدى لانهيار واجهة المبنى المركزي بكامله.

وقد أعلنت مجموعة موالية لإيران تطلق على نفسها اسم (منظمة الجهاد الإسلامي) مسؤوليتها عن التفجير في اتصال هاتفي مع مكتب الأخبار حيث قال متحدث باسم المنظمة: هذا جزء من حملة الثورة الإيرانية ضد أهداف الإمبريالية في جميع أنحاء العالم، ونحن سوف نبقى نضرب أي وجود للإمبريالية في لبنان بما في ذلك القوة الدولية[٣٥].

---

٣٣ المصدر منتديات مملكة البحرين – شهر ١ / ٢٠٠٤م.

٣٤ تقرير عن تفجير السفارة الأمريكية – مصدر سابق.

٣٥ تقرير عن تفجير السفارة الأمريكية ١٩٨٣ بتاريخ ٢٠٠٤/١/٣ – ويكيبيديا.



وكشف وجود بوب ايمز كبير المحللين في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومدير منطقة الشرق الأوسط بين القتلى عن مصلحة إسرائيلية في تفجير السفارة الأمريكية في بيروت يوم ١٨ / ٤ / ١٩٨٣م، وقد لمح إلى ذلك السفير الأمريكي في تل أبيب سام لويس قائلاً: "جعلنا ذلك نعتمد كلياً على الاستخبارات الإسرائيلية وستنظر المخابرات الأمريكية إلى التهديد الإسلامي في الشرق الأوسط من خلال المنظور الإسرائيلي". وقول السفير الأمريكي في تل أبيب سام لويس جاء تعقيباً على ضعف قدرة المخابرات المركزية الأمريكية على جمع المعلومات في المنطقة العربية وتحليلها بعد مقتل بوب ايمز ورئيس محطة المخابرات الأمريكية في بيروت ونائبه. كما نقلت الإذاعة الإسرائيلية عن موشيه ارينز قوله في مجلس الوزراء عن "أن الهجوم يبرر المطالب الإسرائيلية للترتيبات الأمنية في لبنان[٣٦]".

وتمثلت المصلحة الإسرائيلية في التخلص من بوب ايمز لكونه مسؤولا عن إعادة صياغة الاستراتيجية الأمنية الأمريكية في المنطقة وأسهم بدور أساسي في إعداد مبادرة الرئيس الأمريكي ريغان للسلام في الشرق الأوسط، وكان على علاقة واتصال مباشر مع الشهيد علي حسن سلامه "أبو حسن" قائد قوات ال١٧ الذي اغتالته إسرائيل عام ١٩٧٩.

ولعل استهداف مقر السفارة الأمريكية في ذلك الوقت الذي كانت تجري فيه اجتماعات هامة لكبار المسؤولين في جهاز المخابرات الأمريكية (CIA) يضع علامات استفهام حول الجهات التي توفرت لها تلك المعلومات حول تلك التحركات والتي لا يمكن أن تتوافر إلا لجهات استخبارية كان لها سيطرة فعلية على الأراضي اللبنانية في تلك الفترة وهي المخابرات الإسرائيلية التي استطاعت مراقبة تحركات بوب أيمز مدير منطقة الشرق الأوسط في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية منذ مغادرته تل أبيب متوجهاً إلى قبرص ومنها وصل إلى بيروت يوم الأحد ١٧ / ٤ / ١٩٨٣م لحضور اجتماع في مقر السفارة الأمريكية ببيروت لمحطة الوكالة، ومن مطار بيروت توجه إلى مبنى السفارة مباشرة.

وفي إطار استفسارات مشروعة يمكن الإشارة إلى أن المخابرات الإسرائيلية قامت بتمرير تلك المعلومات حول اجتماعات المخابرات الأمريكية في بيروت إلى المدعو "امير فرشاد إبراهيمي" أحد قيادات الحرس الثوري الإيراني والذي كان مرتبطا مع جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد" والذي قام بدوره بنقل تلك المعلومات إلى المدعو علي أصغري قائد الحرس الثوري في لبنان في تلك الفترة. وهو ما شكل فرصة لا تعوض للمذكور لتنفيذ عملية نوعية تستهدف النشاطات الاستخبارية الأمريكية في المنطقة في إطار الصراع الذي كان على أشده بين الطرفين.

٣٦ تقرير عن تفجير السفارة الأمريكية، ١٩٨٣ بتاريخ ٢٠٠٤/١/٣ – ويكيبيديا.

الجنرال أصغري والانشقاق عن النظام الإيراني:

عاد علي رضا أصغري إلى إيران عام ١٩٩٤م ليتولى منصب الإشراف على الصناعات العسكرية الإيرانية التي تنتج الصواريخ البالستية وأسلحة حرس الثورة والجيش الإيراني ثم نائبا لوزير الدفاع الإيراني عام ١٩٩٥م وظل في هذا المنصب حتى نهاية عام ٢٠٠٥[٣٧] حيث أحيل على التقاعد.

بعد تسلم الرئيس محمود أحمدي نجاد السلطة في إيران، وكان أصغري على خلاف معه لا سيما أن نجاد اعتبره محسوباً على جماعة الرئيس الإيراني الإصلاحي محمد خاتمي، وأدرج اسمه ضمن قائمة للتحقيق في قضايا فساد، لكن علاقة أصغري ظلت مستمرة مع حرس الثورة حتى الأشهر الأولى من عام ٢٠٠٦م حين بدأت لجنة في داخل الحرس الثوري الإيراني برئاسة قائد فيلق القدس الجنرال قاسم سليماني التحقيق بأمر من الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد.

قرر الجنرال أصغري تأسيس شركة تجارية للاستيراد والتصدير باسم "زيتون" تكون غطاءً لتحركاته واتصالاته مع مجموعات حرس الثورة في سوريا ولبنان. وتمكن من إقناع قيادة الحرس الثوري تكليفه بمهمة التشييك على المنشآت الدفاعية لحزب الله اللبناني بما في ذلك شبكة الأنفاق الجديدة للتأكد من صلاحيتها لنشر وإخفاء منظومة صواريخ متوسطة المدى التي سيتم تزويدها لحزب الله. وبموجب ذلك وصل الجنرال أصغري إلى دمشق يوم ٩/ ١٢/ ٢٠٠٦م فاستقبله القائد العسكري لحزب الله عماد مغنيه وثيق الصلة والمعرفة به منذ سنوات طويلة، وانتقل الاثنان إلى لبنان حيث اصطحبه عماد مغنيه في جولة على المنشآت العسكرية والتحصينات وشبكة الأنفاق التابعة لحزب الله.

وفي هذه الفترة أصرت لجنة التحقيق على حضوره إلى إيران للتحقيق في التجاوزات التي نسبت إليه، إضافة إلى العديد من قيادات الحرس الثوري، فقام الجنرال أصغري بالاتصال مع زميله السابق في الحرس الثوري "أمير فرشاد إبراهيمي" والذي كان ملحقاً إعلامياً بالسفارة الإيرانية في بيروت، لكنه انشق عن النظام عام ٢٠٠٣م وهرب إلى ألمانيا، وطلب مساعدته في

---

٣٧ دافنا لينز مراسلة الواشنطن بوست ٢٠٠٨/٣/٨م موقع ١٤ آذار بتاريخ ٢٠١١/٦/٦م، وكذلك صحيفة الغارديان البريطانية بتاريخ ٢٠٠٧/٨/١٢م.

اللجوء لألمانيا[٣٨].

كان أمير فرشاد إبراهيمي مرتبطاً مع جهاز الموساد الإسرائيلي فقام بنقل طلب الجنرال أصغري إلى رؤسائه في الموساد، فرحبوا على الفور بالموضوع معتبرين أن الجنرال أصغري "صيد ثمين" نظراً للمعلومات التي يملكها بصفته نائبا لوزير الدفاع الإيراني، وجند الموساد عملاءه في سوريا لتأمين هروبه فور وصوله إلى سوريا باتجاه تركيا.

عاد أصغري إلى دمشق بعد انتهاء مهمته في لبنان، وأجرى اتصالاً ثانياً[٣٩] مع زميله السابق أمير فرشاد إبراهيم في ألمانيا مستفسراً عن طلب اللجوء، فأبلغه إبراهيمي أن كل شيء أصبح جاهزا وأن أشخاصا في دمشق سيتصلون به وسينقلونه إلى تركيا حيث سيكون أشخاصاً مهمين في انتظاره.

قام الموساد الإسرائيلي بإجراء اتصال آمن مع الجنرال أصغري في دمشق، وكلف مجموعة من عملائه في سوريا بتهريبه يوم ٦ / ٢ / ٢٠٠٧ عن طريق البر إلى تركيا في حين كان عملاء آخرين للموساد في تركيا قد حجزوا له غرفة في الفندق، وبعد وصوله سالماً قضى ليلة واحدة في الفندق للراحة، وفي اليوم الثاني نقله عملاء الموساد إلى مكان محدد في استانبول لإخفائه عن الأنظار، وبعدها قام الموساد الإسرائيلي باطلاع المخابرات المركزية الأمريكية بموضوع انشقاق الجنرال أصغري، فتولت المخابرات المركزية الأمريكية إجراءات نقله إلى ألمانيا لإجراء تحقيق مشترك أمريكي إسرائيلي في قاعدة (واين ماير) الجوية قرب فرانكفورت التابعة لحلف الناتو.

طلب الجنرال أصغري قبل الإدلاء بما لديه من معلومات أن يتم منحه اللجوء السياسي لأمريكا، وتسليمه المكافأة التي خصصت لمن يدلي بمعلومات عن مكان عماد مغنيه وقدرها (٢٥ مليون دولار)، فتم إبلاغه بالموافقة عندها كشف أصغري عن معلومات مذهلة لم تكن في حسبان المخابرات المركزية الأمريكية وإسرائيل ومنها[٤٠]:

١. معلومات دقيقة عن الملف النووي السوري في دير الزور، واتفاق التعاون لبنائه مع كوريا الشمالية، وهي معلومات أفادت إسرائيل في قصف هذا المفاعل.

٢. معلومات عن مستشار الرئيس السوري للشؤون العسكرية اللواء محمد سليمان المشرف على المشروع النووي السوري (تم اغتياله فيما بعد).

---

٣٨ دير شبيغل – بارك فورت وهولغر ستارك – ٢/١١/٢٠٠٩م.

٣٩ دير شبيغل المرجع نفسه

٤٠ موقع اخبار جاما – طارق نجم – ٨/١٢/٢٠١١م.

٣. معلومات إضافية عن الملف النووي الإيراني.

٤. معلومات عن تحصينات حزب الله اللبناني وأنفاقه في الجنوب وكميات التسليح ونوعية الصواريخ التي زودته ايران بها.

٥. معلومات تفصيلية وهامة عن تحركات عماد مغنيه القائد العسكري لحزب الله اللبناني والذي اغتيل لاحقا بفضل هذه المعلومات التي قدمها الجنرال أصغري.

بعد انتهاء التحقيقات مع الجنرال أصغري مارس الموساد الإسرائيلي ضغوطا هائلة على إدارة الرئيس الأمريكي بوش الابن لمنحه حق اللجوء السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية ومنحه المكافأة المعلن عنها، وقد تم توسيط ايليوت ابرامز رئيس قسم الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي بالبيت الأبيض لهذا الشأن، فصدر قرار رئاسي من البيت الأبيض بأمر من المخابرات المركزية الأمريكية بإدخاله إلى الولايات المتحدة الأمريكية والموافقة على منحه حق اللجوء السياسي.

إسرائيل تدعي انتحار الجنرال أصغري في أحد سجونها:

بعد وصوله إلى أمريكا كشفت معلومات صحفية أن الجنرال علي رضا أصغري كان يقود حرس الثورة الإيراني في لبنان خلال تفجير السفارة الأمريكية عام ١٩٨٣، فأثارت هذه المعلومات مخاوف الطرفين الإسرائيلي والأمريكي، الأمر الذي سيضع الإدارة الأمريكية في حرج شديد أمام المواطنين الأمريكان بشأن منح اللجوء السياسي لمن أشرف على قتل الجنود والمسؤولين الأمريكيين في بيروت، كما سيضع إسرائيل في دائرة التواطؤ في مقتل الجنود والمسؤولين الأمريكان مما سيترك عواقب وخيمة في العلاقات بين البلدين، وللتخلص من هذا المأزق سربت إسرائيل معلومات كاذبة عن انتحار الجنرال علي رضا أصغري في أحد السجون الإسرائيلية، ونقل هذه المعلومات الكاذبة الصحفي الأمريكي ريتشارد سيلفر شتاين على موقعه الإلكتروني يوم ٢٨ / ١٢ / ٢٠١٠م حيث ادعى أن الجنرال أصغري الذي اختفى في تركيا عام ٢٠٠٧ قد عثر عليه ميتا داخل سجن أيالون الإسرائيلي، ونسب هذا النبأ إلى مصادر قريبة من إيهود باراك، وقد أعادت نشر الخبر الكاذب صحيفة يديعوت أحرنوت على موقعها الإلكتروني التي أضافت أن الجنرال أصغري الذي كان مسجوناً في الزنزانة رقم (٠١٥) قد وجد منتحرا في الزنزانة.

لقد أرادت المخابرات المركزية الأمريكية وجهاز الموساد الإسرائيلي إنهاء قصة الجنرال علي رضا أصغري بإعلان وفاته لطي صفحته وقطع الطريق على كل من يشير إلى وجوده



حياً وطي هذا الموضوع الخطير كما سبق أن طوي موضوع تدمير السفينة الحربية الأمريكية "ليبيرتي"(٤١) يوم ٩ / ٦ / ١٩٦٧م بواسطة الطائرات الحربية الإسرائيلية مقابل الشواطئ المصرية أثناء حرب ١٩٦٧م، وكذلك تفجير مكاتب المعلومات الأمريكية في القاهرة في الخمسينات بوساطة الموساد تحت اسم "عملية لافون"(٤٢) الذي كان وزيرا للداخلية في الحكومة الإسرائيلية والتي تم كشفها وغطيت أيضاً.

ورغم كل هذا الكذب الإسرائيلي فإن زميل الجنرال أصغري الموجود في ألمانيا "أمير فرشاد إبراهيمي" كشف في تصريح لصحيفة دير شبيغل الألمانية يوم ٢ / ١١ / ٢٠٠٩ أن الجنرال أصغري حي يرزق بعد أن منحته الولايات المتحدة الأمريكية حق اللجوء السياسي، وأن أصغري اتصل به شخصيا مرتين أولاهما من واشنطن والثانية من تكساس.

بدوره فقد نشر الصحفي الإسرائيلي يوسي ميلمان مقالاً في صحيفة هآرتس الإسرائيلي انتقد فيه الموساد الإسرائيلي معتبرا أنه من المستبعد تماما وجود شخص مثل أصغري في إسرائيل، وما هي إلا أسطورة وخبر لا أساس له من الصحة(٤٣).

أما صحيفة الثبات اللبنانية فقد نشرت تحقيقا بتاريخ ١١ / ١١ / ٢٠١٠م كشف النقاب بأن الجنرال أصغري قد حصل على جائزته المالية وقيمتها (٢٥ مليون) كما ذكرنا سابقاً، ويعيش في مزرعته التي اشتراها في مقاطعة أوهايو بعد منحه أوراق هوية جديدة(٤٤).

---

٤١ ٤٣ بحاراً أمريكيا قتلوا، و١٧١ جرحوا جراء هجوم الطائرات الإسرائيلية المتعمد على باخرة التجسس الأمريكية «ليبيرتي» قبل أن تحدد مدى التقدم الذي أحرزه الجيش الإسرائيلي في سيناء لكي تمنع قرارا دوليا تؤيده أمريكا يطلب وقف إطلاق النار في سيناء، وفي ١٩٦٩/٣ م دفعت إسرائيل (٣,٥٦٦,٤٥٧ مليون دولار أمريكي) للجرحى الأمريكيين و(٢٢,٢ مليون دولار) لعائلات الذين قتلوا في الهجوم، وقد تم خصم هذه المبالغ من المساعدات الأمريكية التي تدفعها الحكومة الأمريكية لإسرائيل سنوياً. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

٤٢ بموجب هذه العملية تم زرع قنابل في مكاتب المعلومات الإنجليزية والأمريكية في مصر في ١٩٥٤ وألقي اللوم على الإخوان المسلمين والشيوعيين والقوميين المصريين لخلق موجة عنف في مصر وحال من عدم الاستقرار تجبر بريطانيا بالإبقاء على قواتها الحربية في منطقة قناة السويس، هذه العملية تمت تحت اسم (عملية سوزانا) أدارها جهاز الموساد الإسرائيلي عبر تجنيد عدد من المصريين اليهود، وألقت المخابرات المصرية القبض على كل المتورطين الذين اعترفوا بأن من قاد هذه العملية هما الكولونيل (Dar و Elad) اللذين تمكنا من الهرب في حين تم اعتقال إسرائيليين هما يوسف كارمون اليهودي المولود في هنغاريا وميير ماكس بينث من جهاز (أمان) حيث أقدما على الانتحار داخل السجن.

٤٣ موقع أخبار جاما – ٢٠١١/١٢/٨

٤٤ حسب تقرير BAER (موظف في الCIA) الذي رفعه رسميا للوكالة في سنة ١٩٨٤ بعد تحقيقاته في بيروت، فإن علي رضا اصغري هو الذي كان وراء تفجير السفارة وتفجير المارينز قرب مطار بيروت في سنة ١٩٨٣، وبالرغم عن هذا يقول الكتاب ان اليوت ابرامز رئيس قسم الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي في البيت الابيض هو الذي اقنع الرئيس بوش (الابن) في سنة ٢٠٠٧ لاعطاء الجنرال علي رضا اصغري المناعة القانونية والبراءة مع اللجوء السياسي الى الولايات المتحدة وساعد ابرامز في تسويق الجنرال علي رضا اصغري جهاز الموساد.

الخروج من بيروت وذكريات لا تنسى مع قوات الـ١٧:

مرت سنوات عديدة، لكن جرح الذكريات لم يندمل، بل ازداد وجعه وألمه، وقيل ان لا شفاء له، الا اذا صار الدمع دما، وكم من الدموع يمكنها ان تنساب في لحظة ذكرى لإخوة وأحبة ورفاق مسيرة نضالية، فما لم تمسحه السنوات الطويلة يعجز الدمع مهما تدفق من المآقي عن إذابته، لقد كان اخوتي ورفاق دربي في مسيرة قوات ال١٧ عظاما لم تقربهم الصغائر، وعظيم الناس من يبكي العظام، كانوا عظاما حيث قطعوا رحلة التضحيات التي لا خيار فيها بين الفناء على طريق الاستشهاد او البقاء ليخبروا الأحياء في شعبهم عن ذكرياتهم عبر مسيرة الثورة.

تلك المسيرة التي قطعتها وقطعها أبناء شعبي منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية إيمانا منا بأن الثورة المسلحة هي حالة إرادة وطنية لمقاومة العدو المحتل، وقد قادتني هذه المسيرة لأكون قائدا لقوات ال١٧ بعد استشهاد اخي وصديقي وقائدي علي حسن سلامه (ابو حسن) ومنذ تلك البداية شاركني ضباط وعناصر قوات ال١٧ في صياغة نظرية جديدة محورها ان القيادة لا بد ان تكون للبنادق الملتزمة بالثورة، وعرفت في جميع من انتموا لهذه القوات انهم اصحاب ارادة مقاتلة كانت بالنسبة لي العزاء الوحيد امام كل مظاهر العجز والاستسلام على مستوى الصراع العربي الاسرائيلي.

كان منتسبي قوات الـ١٧ على قناعة بأن انتسابهم لتلك الأسرة المقاتلة هو اختيارهم الواعي لطريق النضال الوطني وقد انتسبوا من موقع المحبة والفهم والالتزام. كنت في نظرهم أبا وأخا، ورفيق تضحية، قبل أن أكون قائدا يأتمرون بأوامره، وقد عمق هذا الشعور لديهم سلوك المحبة والتعاضد والتواضع الذي ساد فيما بيننا لذا كنت وما زلت فخورا بهم رغم تقادم سنوات البعد عن الشهداء والاحياء منهم، ولم يؤثر هذا البعد على إرادتي الوطنية وقناعتي الأكيدة بهم، فأبناء أسرة قوات ال١٧ أراهم أصحاب قضية والأكثر ولاءا ووفاءا لها رغم أن الوفاء للثورة هو عهد قطعه الفلسطينيون على أنفسهم.

ورغم حالة الاستنفار القتالي التي لم تتوقف يوما فقد جعل ضباط وعناصر قوات الـ١٧ من التفاؤل مادة حياتهم وخبزهم اليومي وكان صمودهم على جراح المجد هو الذي صنع هيبة هذه القوات. كنت بينهم واحدا منهم تجمعنا وحدة الإدراك والفهم بأن أعداء الثورة يعتقدون أنه



بالإرهاب الجماعي والإرهاب الفردي، قادرون على إلحاق الهزيمة بنا، لكن الأعداء أغفلوا أن إرهابهم هو الذي دفعنا لحمل البنادق، وأنه بالكفاح المسلح تفجر الثورة شلال الدم الذي تنتصر به. ونحن في قوات ال١٧ لم نفاجأ أبدا في لحظة من اللحظات بالهجمة المضادة على الثورة وعلى حركة فتح وعلينا بصفتنا نحمل أعباء ثورية مشتركة تبدأ بضمان أمن قائد الثورة ولا تنتهي عند خوض المعارك للدفاع عن الشرعية الفلسطينية. نعم لم نفاجأ بالهجمة المضادة التي شنها باستمرار من يفترض بهم أن يكونوا أصدقاء أو من العدو لسبب واضح وهو أن الاستراتيجية التي التزمنا بها مستمدة من استراتيجية الكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة الأمد التي قادتها حركة فتح، وكنا ندرك هذه المعاني وندرك مدى التضحيات وقوافل الشهداء، والثمن الكبير الذي ينبغي علينا أن ندفعه نتيجة التزامنا بهذه الاستراتيجية فولاؤنا لفتح أكبر وأخطر وأدق من أن نحيد عن مبادئها لذا تميزت قواتي بحرية الحركة وحرية الإرادة، فلا ميوعة تحت غطاء المرونة ولا تشنج باسم التصلب، وكان لدينا في هذه القوة شعورا بأننا وحدنا الذين نعيش خارج السجن الكبير الذي يعيش فيه أعداؤنا، وعلى الرغم من كل محاولات التطويق والتصفية الجسدية والسياسية، وفي ظل أسوأ الأحوال المعيشية، والضغوط النفسية لم نفقد التفاؤل يوما لفهمنا بأننا أبناء هذه الثورة، وروادها وحماتها وسياج أمنها، وأننا المنتصرون على أنفسنا قبل الانتصار على أعدائنا.

ومهما تزايدت سنوات الابتعاد والفراق عن تاريخ قوات ال١٧ الذي سطره رجالها الأفذاذ، فإن الشوق والحنين يشدني إليهم، فقد قضيت معهم وبهم أعز أيام حياتي، ورغم عدم قدرتي على التعبير العاطفي العميق وما أكنه من محبة فائقة لاؤلئك الرجال الذين كانوا أسرتي وعائلتي إلا أنني أستعيد الذكريات معهم وعنهم أيام فرحهم ولحظات حزنهم، وهي أيام ولحظات تحكي قصص وروايات منها المضحك ومنها المبكي، ومنها ما قد تستغربه الأجيال المعاصرة أو حتى تستهجنه، لكنها أحداث ستبقى خالدة في مخزون ذاكرتي عن هذه القوات ورموزها وكوادرها الذين عاشوا حالة خاصة فكانوا بحق "عائلة قوات ال١٧" يتقاسمون كل شيء، من رغيف الخبز حتى مصروف الجيب لا يملك أحدهم بنطالا أو قميصا أو حذاءا خاصا به، فالملكية ملغاة في تلك العائلة، ورغم هذا الأسلوب في العيش، كان لدى كل واحد منهم كرامة وعزة وامتثال للأوامر دون اعتراض.

وإذا ابتعدنا عن الخوض في لغة الأرقام، حول حجم عمليات ال١٧ داخل وخارج الأرض المحتلة أو الحديث عن جسارة رجالها في تنفيذ مهامهم، فإن من باب الحق والحقيقة نستطيع

القول أن عدد الشهداء في هذه القوات يساوي عدد تنظيمين من التنظيمات الفلسطينية، ويكفينا شرفا أن قادة هذه القوات إما استشهد وإما جرح بالمعارك وإما أسر، سواء عند إسرائيل أو في عدد من البلدان. وعندما نذكر القادة الشهداء لا يسعني إلا أن أذكر الشهداء الذين سقطوا على أيدي الموساد الإسرائيلي لأنهم كانوا مسؤولين عن العمليات الخارجية وهم[٤٥]:

١. الشهيد علي حسن سلامة (أبو حسن) قائد القوات.
٢. الشهيد الدكتور محمود الهمشري.
٣. الشهيد فؤاد الشمالي.
٤. الشهيد محمد بوضيا.
٥. الشهيد كمال خير بك.
٦. العميد خالد الجزائري (مساعد لمحمد بوضيا – جزائري الجنسية).

٤٥ عدد كبير من الشهداء لم نتمكن من إنزالهم بهذا الكتاب ولكننا وضعنا أسمائهم على موقع مركز الناطور للدراسات والأبحاث.


شهداء
قيادة الـ17
فتح
العاصفة
حركة التحرير الوطني الفلسطيني
فتح
العميد ابراهيم اسحق العلمي
القائد علي حسن سلامة
الدكتور محمود الهمشري
اللواء محمد محمود قنن
الدكتور فؤاد الشمالي
اللواء نزيه ضبان
المناضل محمد بوضيا
اللواء علي الزيبق
الدكتور كمال خير بيك
اللواء امين كايد
اللواء حسني سليم
اللواء حسين الهيبة
اللواء راسم الغول

وحتى انتقالنا إلى لبنان كان كل يوم يمر يسقط شهداء سواء في معارك الأسواق أو الشياح أو برج البراجنة أو المطار أو الأوزاعي أو حارة الناعمة والدامور والجية وصيدا. حينما وصل امتدادنا إلى البقاع بقيادة العقيد أبو العبد الحجاوي امتدادا إلى الشمال بقيادة الشهيد العقيد احمد الأسعد حتى الجبل استطعنا بفتح معسكرنا بقيادة العقيد غسان مكارم، حتى حينما كانت الحركة تقوم بدعم بعض الأصدقاء مثل رئيس أوغندا عيدي أمين حينما ذهب اللواء (أبو خالد دعاس) إلى أوغندا كانت المجموعة التي ترافقه من قواتنا وكان عددهم ٣٩ ضابط وعنصر وللأسف جميعهم استشهدوا في أوغندا.



صورة اللواء محمود دعاس (أبو خالد) برفقة الضباط الذين ذهبوا إلى أوغندا واستشهدوا جميعهم

وفرضت حربنا مع العميل صبري البنا متابعته وملاحقته، وكانت فترة الثمانينات هي التصادم والقتال مع المخابرات العراقية التي كانت تدعمه وكثير من العمليات كانت تقوم بها تحت مسميات المجلس الثوري صبري البنا وهذا فرض علينا جبهة جديدة كان امتدادها في كل أنحاء العالم فمثلا بعد تنفيذ عملياتنا ضد جماعة صبري البنا أو النظام العراقي سجن لنا في لندن المناضلة العقيد رشيدة المغربي لمدة ١١ سنة ووليد حمامي سجن ٤ سنوات في إسبانيا، ومحمد خليل ٥ سنوات في باريس، والعقيد علي شلبية مع مجموعة من ٦ ضباط ٣ سنوات في ألمانيا الغربية وقبرص ٤ ضباط لمدة ٧ سنوات (عملية لارنكا) (أبو عبيدة وزملائه) واليونان ضابطين ٦ سنوات، والباكستان (سمير الأسمر ورمزي قديح) وليبيا العقيد محمد دبور (أبو حلمي) لمدة ٤ سنوات والعراق مجموعة على رأسهم عبد الرحمن عددهم ٨ ضباط لمدة ٥ سنوات، اكتفي بهذا القرار ولا أريد التحدث عن الباقي في الدول العربية.



لا أريد شرح التفاصيل عن تضحياتنا فتقرير لجنة تقصي الحقائق اللجنة التي شكلت بقرار من الشهيد أبو جهاد وكان يرأسها اللواء أبو الحكم أكد أن قواتنا سقط لها ١٦٧ شهيد في منطقة الأوزاعي فقط أثناء الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢م، نحن عدنا بالدم عودتنا إلى لبنان بعد خروجنا عام ١٩٨٢م وسقط لنا ٤ ألوية وهم: اللواء راسم الغول، اللواء حسين الهيبة، اللواء حسني سليم، اللواء أمين كايد.

وكانت نتيجة إرسالنا قوات إلى لبنان أن تم أسر ٣٥ ضابطا وجندي من جانب إسرائيل، مكثوا ما بين ٥ سنوات و٧ سنوات. أذكر منهم على سبيل المثال، اللواء محمد قنن، اللواء فيصل أبو شرخ، النقيب جهاد السهلي، المقدم عبدو أفندي، والرائد متعب الخطيب، والعقيد خلدون، والرائد محمد الفاهوم، والنقيب جواد البكري والنقيب تركي عثمان، وقد اعتقل كل منهم في موعد مختلف عن الأخر ولم يكن السجن هو الجزاء الوحيد لكل من ينتمي إلى ال١٧ بل أن القتل أيضا كان سلاحا مطروحا من قبل الموساد في مواجهة أعضاء ال١٧ ولا ننسى غارة حمام الشط، كانت حصتنا من الشهداء ١٥ شهيدا على رأسهم اللواء مجدي الأنصاري (علي الزيبق) مسؤول ال١٧ على الساحة التونسية ونائب قائد القوات.

هكذا كان حالنا في قوات الـ١٧ تجمعنا الأخوة في حالة الاستنفار اليومي، أو خلال اندلاع المعارك ولا يعرف معنى "الأخوة" التي تتسامى في الحرب سوى المقاتلين الذين يحملون أرواحهم على الأكف، فكم من الأخوة في المجال الأسري الطبيعي تختلف تضحياتهم من اجل بعضهم البعض، وربما قد تنعدم في بعض الحالات، إلا أنه في حالة الحروب يتبادل المقاتلون الفداء رغم أنه لا تربطهم صلة القرابة بالدم سوى قرابة المشاركة في الاستنفار والحرب، أو الانخراط في واجبات الفداء عن النفس وعن القضية المشتركة التي أصبحت (أسرتهم الأسمى) والأهم وعنوان عقيدتهم الموجبة للجهاد.

إن التركيبة الاجتماعية لهذه العائلة لم يكن فيها طبقية أو تمييزا أو محاباة فمنهم الطبيب والمحامي والعالم والخبير العسكري والإداري وأصحاب المهن المختلفة، ومنهم أنصاف المتعلمين والأميين، ومنهم من فقد عائلته واستبدلها بقواتنا، ولكل واحد من هذه التركيبة الاجتماعية رواية وقصة أو حدث لو أردت سردها بالكامل لاحتاج الأمر إلى عدة مجلدات.. ولكني اكتفيت ببعضها للاستدلال فقط وعزائي في هذه الأسرة المقاتلة لو أردت أن استفيض في الذكرى فإن حروف اللغة لا تكفيهم.

ما بين انتظار الموت، وانبعاث الأمل مسافات طويلة في مدى التفكير الإنساني إلا أنها في حالات الاستنفار المستمر لحماية النفس تكون عبارة عن "مجرد لحظات" ليس بمقدور المرء أن يبالغ في آماله وطموحاته في أثناءها، فالتقدم خلالها نحو الموت أو نيل الشهادة يكون مشفوعا بجرأة غير عادية تحتسب في موازين الشجاعة والبطولة، وهي قيم سامية، ودرجات عالية من التضحية تهون دونها النفس بما كانت تختزنه من آمال..

ولقد فرضت علينا حالات الهدنة المؤقتة بين المعارك أن لا نتخلى عن قيم الأسرة السامية، بل نترجمها إلى سلوك اجتماعي يتبدّى في حياتنا اليومية من خلال مظاهر التعاضد والتلاحم والانصهار الذاتي في جوقة المجموعة التي أصبحت بلا "خصوصيات" فالفرد من أجل الكل، والكل من أجل الفرد..

لم يكن الموت "يشغل بالنا" ولم تكن الآمال والطموحات لتبعدنا عن واقعنا المعاش الذي تكررت أيامه، وأشرقت صباحاته إما بذكرى لفقدان رفيق درب أو بحكاية لطرفه أو حادثة قد تثير الضحك أو البكاء.. فالأمر سيان !!

كان في قلوبنا مخزنا من الحزن والشوق والقلق والذكريات بعد خروجنا من بيروت، وكان قول شاعرنا الجميل العاشق لبيروت الراحل محمود درويش.. بيروت خيمتنا الأخيرة تعبيرا عما في وجدان كل واحد منا.. وكنا نهرب من ضغط القلق والشوق والحنين باجترار ذكرياتنا في بيروت ونوادر عناصرنا وكوادرنا، فلكل واحد منا قصصه، وهناك العشرات من الأحداث والنوادر والقصص تحتاج إلى كتب ومجلدات لروايتها.. وخاصة أن قوات ال١٧ كانت ذات حضور وهاج وسط عناصر الثورة وكوادرها وفصائلها، فما أن تذكر ال١٧ حتى تقرأ في وجوه الحضور وكل حسب علاقته إما بالابتسام أو الامتعاض أو التوتر، وبكل بساطة كانت قوات ال١٧ موجودة على الساحة الفلسطينية بتميزها، وعند الأعداء ظاهرة قلق خفي لا يعرفون سره، ومن هنا كان قادة الانعزاليين يطلقون الألقاب العجيبة عني وعن قيادة وعناصر ال١٧ حتى أنهم قالوا فيما بعد "جمهورية أبو الطيب" عن تواجدنا في منطقة الفاكهاني وفيما بعد وضعت مسرحية بهذا العنوان.

فمن نحن في قوات ال١٧..!؟ نحن وقبل كل شيء جنود لفلسطين ومشاريع شهادة عبر المحطات والمراحل، اجتمعنا في هذه القوات من كل قرية وبلدة ومدينة ومخيم على ارض فلسطين، ربطنا الهدف الاسمى والإخلاص والوفاء والالتزام بقيادتنا وبرئيسنا.



بعد هذه السنوات الطويلة التي انتهت إلى ما لا تحمد عقباه.. إلا من بقية حَمدْ ما تزال هي التي تعزيني بفقدان الأخوة أو غيابهم في دول مختلفة يحملون في صدورهم وذاكراتهم أغلى ما يملكون وهي ذكرياتهم أثناء مراحل الاستنفار والحرب.. وكنت شريكهم وما زلت في السراء والضراء وأغلى ما أملك بعد هذا الفراق هو مجموعة من حكايات فيها من العبرة ما يفيد. وأنا الآن إذ أقدم بعض البعض من قصصنا ونوادرنا، فأنا أستعيد بعض روحي وشوقي لأولئك الأبطال.

الرواية الأولى: لو كنت أفهم مثلك:

راسم الغول، أحد ضباط قوات الـ١٧ المميزين بصفاتهم، وسلوكهم وانضباطهم وجرأتهم، وفيه ميل إلى الكوميديا في أقصى لحظات التراجيديا، وتضفي عليه ثقافته ومتابعاته السياسية هالة من الجدية في بعض الأحيان، ولم يكن له في اسمه من نصيب سوى أنه «راسم» وهي كلمة تدل على اسم الفاعل للفعل «رسم» وبالفعل، كان يرسم العديد من المواقف الاجتماعية والسياسة والنضالية وفقا لرؤيته التي تفاجئ الآخرين، الأمر الذي يعكس على أفعاله حالة من التناقض تتراوح ما بين الإعجاب والسخط، فمن جهة هو مثقف وسياسي لكنه ليس متطرفا في الفكر والعقيدة، ومن جهة ثانية هو مقاتل عنيف، يبدو في تلك الحالة وكأنه لا يعير النظريات السياسية أي اهتمام في حالة الدفاع عن الثورة، وفي بعض الحالات تجده «لا في هذه ولا في تلك» وإنما يبدو كبعض رجال «المافيا» في الأفلام السينمائية. كان راسم بكل تناقضاته وإيجابياته منحازاً إلى «فريق اليسار» في قوات الـ١٧، فقد كانت تشده الجذور عندما كان مرتبطا بعلاقات مع عضو اللجنة المركزية في حركة فتح نمر صالح «أبو صالح» ومع الأخ الشهيد ماجد أبو شرار عضو اللجنة المركزية لحركة فتح أيضا وكلاهما كانا يمثلان جناح اليسار في حركة فتح.

ولعل الموقف التالي يعطي دلالة لبيان شخصيته ونضج مداركه وسرعة بديهته، ذات اجتماع لهيئة أركان قوات ال١٧.. كان ضباطي في حالة استماع لما أمليه عيهم من توجيهات تتعلق بغايات وأهداف أمر عسكري معين.. والجميع يدونون الملاحظات باهتمام شديد وخلال حديثي طغت الجدية على سلوكي ومظهري، وفجأة حدث أمر قلب الأوضاع رأسا على عقب، فدون ما يشير إلى رغبة الضابط راسم الغول في الحديث، رفع يده طالبا الكلام، فاعتقدت أن لديه شيء غاية في الأهمية ويريد أن يبديه أمام زملائه الضباط الآخرين، وحسب ما اعتقدته فقد أجزت له أن يتكلم وأمام دهشتي ودهشة الحضور أخذ يتحدث في موضوع مختلف تماماً ولا علاقة له

بالأمر العسكري موضوع اجتماعنا، وعندما أنهى كلامه كنت أكاد أنفجر من الغضب ورغم ذلك تمالكت أعصابي وقلت له: يبدو أنك كنت شارد الذهن ولم تنتبه إلى موضوع حديثنا ! كان رده على تساؤلي أنه كاد ينفجر من الضحك..

في تلك اللحظة سيطرت مشاعر من الغضب في داخلي، وكدت أنهال عليه ضرباً لاعتقادي أنه يهزأ بأهمية الموضوع الذي أتحدث به، لكنني تمالكت نفسي وصرخت به: يبدو أن حديثي لم يعجبك!؟ توقف عن الضحك واكتسى وجهه بملامح الإحراج والخجل وصمت للحظات وهو يراقب انفعالي ثم قال: لم أقصد ذلك يا سيدي.. فأنا لو كنت أفهم مثلك وأشرح بطريقتك فما فائدة أن تكون قائدي!!

بعد أن نطق بعبارته الأخيرة تبدل الموقف تماماً وانفجر بقية الضباط بالضحك، فهم يعرفون راسم جيداً، ويدركون أنه لم يتعمد الإساءة، لكن موقفه أثار قضية جديدة للحوار خلال الاجتماع مفادها أن القائد لا بد أن تكون له مواهب وصفات تفوق مؤتمريه وتجعلهم أكثر استجابة لقيادته.

الرواية الثانية: مرطبان العسل:

إن سرعة البديهة المقرونة بالفهم الصحيح لأي قضية هي ميزة تضفي على من يمتلكها صفات الموهبة في معالجة المواقف والأحداث بما يزيل سوء الفهم أو التلكؤ في إعطاء الحلول المطلوبة، وها هي قصة أخرى تبرز جانبا آخر من سلوكيات وصفات راسم الغول.

فقبل انعقاد المؤتمر الرابع لحركة فتح في دمشق، كاد تصاعد الخلاف في وجهات النظر بين أعضاء الصف الأول لقيادة الحركة أن يتحول إلى صراع واتهامات ونشوء تحالفات فكثرت الانتقادات وانعكست على بقية الكوادر في الحركة الذين اعتقدوا أن الخلافات سوف تؤدي إلى شق وحدة الحركة.

كان راسم الغول في تلك المرحلة مسؤولا عن كتيبة الجرحى، وبينما كان مجموعة من الضباط والكوادر يتبادلون الآراء حول مستقبل حركة فتح على ضوء ما يجري من استقطابات وتحالفات قد تنعكس سلبا على مؤتمر الحركة أمر راسم بإحضار (مرطبان عسل) وصحن طعام فارغ فأثار دهشة المجتمعين واستغرابهم حتى أن بعضهم ردد في سريرته قائلاً: إحنا في إيش وراسم في إيش!!!

وعندما جيء بمرطبان العسل والصحن الفارغ، طلب راسم من الجميع الانتباه في ما سيعمله،

ثم قام بإفراغ مرطبان العسل في الصحن الفارغ وقام بالضغط على العسل بإحدى أصابعه فانقسم العسل إلى قسمين بينما كان المجتمعين في حيرة من أمره وفي استيعاب ما يقصده. وبعد أن انقسم العسل رفع راسم إصبعه فعاد العسل إلى الالتحام حسب وضعه الطبيعي، وعند ذلك وجه الضابط راسم كلامه للمجتمعين قائلاً: هكذا أيها الإخوة هي حركة فتح مهما حاول البعض أن يقسمها على اثنين فإنها لا تقبل القسمة !!

وبتلك الوسيلة اقنع راسم الضابط والكوادر المجتمعين بأن حركة فتح عصية على الانقسام ونال إعجاب واحترام الموجودين الذين أوقفوا الحديث حول مستقبل حركة فتح وصاروا على ثقة أنها ومهما اختلفت الآراء والاجتهادات ستظل قوية بوحدتها وتماسكها.

الرواية الثالثة: مقاتل رغم أنفه:

وهذه واقعة أخرى بطلها راسم الغول إلا أنها تقدم جانبا آخر من شخصيته، ففي ذات يوم تلقت غرفة العمليات برئاسة سعد صايل «أبو الوليد» معلومة تفيد باحتمال قيام العدو الإسرائيلي بتنفيذ عملية عسكرية خاصة ضد قواتنا في جنوب لبنان.

قرر العميد سعد صايل إرسال تعزيزات لقواتنا هناك، فاتصل بي طالبا حضوري لغرفة العمليات، وبعد أن أطلعني على المعلومة التي لديه والآتية من قواتنا في الجنوب طلب مني تجهيز (١٠٠ مقاتل) من قوات الـ١٧ وإرسالهم على الفور إلى الجنوب. رجعت إلى مقر قيادتي وطلبت اجتماع لقادة الكتائب بحضور راسم الغول وعبد الرحمن وأبو عوض، وأمرت بتجهيز فصيل يضم (٣٥ مقاتل) لإرسالهم إلى الجنوب لتعزيز قواتنا هناك.

خلال ساعتين تم تجهيز الفصائل وأرسلت إلى الجنوب، حيث تمركزت قواتنا بطرف القوات الخاضعة لإمرة اللواء كمال الشيخ المعروف «بانضباطه العسكري» وفور وصول الكتيبة بدأ كمال الشيخ يستعرض جاهزية الكتيبة بالحركات المعتادة (استرح.. استعد) فلاحظ أن أحد أفراد الكتيبة لا يستجيب للأوامر، فاقترب منه كمال الشيخ هامساً في أذنه: هل أنت من المتفرغين الجدد في قوات الـ١٧.. ولم تكمل تدريباتك بعد..؟ فرد عليه المقاتل: والله إني لا أعرف الـ١٧ ولا الـ١٨.. أنا يا سيدي ميكانيكي كنت في زيارة لكتيبة الجرحى للسؤال عن ابن خالتي الذي قيل لي أنه يداوم هناك بطرف راسم الغول، وبينما كنت أنتظر قدومه في المكتب وإذ براسم الغول يدخل علينا قائلاً: الكل جاهز!! فأجاب الموجودون بنعم لكني لم أشاركهم الإجابة، فنظر إليّ بغضب قائلاً: ألم تجهز بعد..؟ فقلت له: يا سيدي أنا حضرت أسأل عن ابن خالتي!! فجن

جنونه وانهال علي بالضرب المبرّح وهو يصيح: يا جبان تريد أن تتهرب عن الذهاب إلى الجنوب، وأمر أحد الكوادر بالتكفل لتجهيزي فوراً، فألبسوني هذه البدلة العسكرية وصرفوا لي قطعة السلاح!! وحتى تصدقني سأريك آثار الضرب..!!

وفي صباح اليوم التالي اصطحب كمال الشيخ ذلك الفتى وجاء به إلى بيروت حيث غرفة العمليات المركزية، وقابل العميد سعد صايل بحضوري وشرح له قصة الفتى، في تلك اللحظة كاد العميد أبو الوليد يغمى عليه من الضحك، ولأول مرة في حياتي أراه يضحك بهذه الطريقة التي جعلت الدموع تنهمر من عينيه..

رغم ملابسات هذه الحالة التي تعكس روح الفكاهة، إلا أن تصرف راسم الغول أوضح جانباً من شخصيته التي لا تقبل الأعذار إذا كان الأمر يتعلق بأداء الواجب، وهو يميل إلى العنف إذا شعر بوجود ضعف لدى البعض قد ينعكس سلباً على حماس المجموعة، كما أنه يكره التردد في المواقف ويلجأ إلى أسلوب «نفذ ثم اعترض» لفهمه الواسع بأن التردد في ساحة المعركة، أو حين القتال يعني الهزيمة لكن بعد النصر يمكن البحث في كل النقاط والسلوكيات.

الرواية الرابعة: كلب بسن من ذهب:

بينما كان الأخ أبو عمار في إحدى جولاته التفقدية لقواتنا في الجنوب، عقد اجتماعا لعدد من الضباط والكوادر للحديث في الشؤون العسكرية، وعندما أنهى حديثه إليهم طلب أحد المقاتلين الحديث فقال: هل يعقل يا أخ أبو عمار أن نبقى هنا في الجنوب في حالة استنفار دائم وفي ظروف معيشية صعبة، بينما إخوتنا في بيروت يركبّون أسنان من ذهب للكلاب..؟

فرد عليه الأخ أبو عمار باندهاش قائلاً: شو.. إنت بتهزر..!! فأجاب المقاتل: لا والله يا سيدي فالجميع يعلم أن أحد عناصر قوات الـ١٧ لديه كلب وقد علمت أنه ركّب له سن من ذهب..!!

عاد أبو عمار إلى بيروت وعلى الفور قام باستدعائي مستفسراً عن القصة التي سمعها من أحد المقاتلين في الجنوب، فأجبته بأنني سمعت هذه الإشاعة أيضا!! فقال: إزاي ده يحصل..؟ فأجبت: أحد عناصري وهو محمود فرج الله ويدعى (طخه يا عيد) وهو من أبناء قطاع غزة. وقبل أن أكمل صاح حانقاً: أحضروه فوراً..!!

أصدرت أمرا بإحضار محمود فرج الله (طخه يا عيد) مع الكلب إلى المكتب حيث كان يوجد أبو عمار، وما هي إلا دقائق معدودة حتى كان المذكور يمثل أمام أبو عمار بهيئة تثير الأسى في النفس جعلت الأخ الرئيس أمام حالة "المضحك المبكي" والتي تحكي مأساة إنسانية بكل معنى الكلمةّ!!



كان جسد محمود فرج الله (طخه يا عيد) أثناء مثوله أمام أبو عمار يهتز ويرتعش كمن ينتظر تنفيذ حكم بالإعدام وأضافت هيئته الخارجية مسحة من الحزن والشفقة عليه فقد كان يرتدي قميصا بالياً وبنطالاً رثا يبدو أنه لم يغسل منذ شهور وينتعل "شبشب" لم يخفي التشقق في كعبيه.

لقد بدا أبو عمار مصدوماً لرؤيته فقد كان يتصور أن الذي يركّب سن ذهب لا بد أن يكون على قدر من الرفاهية، لكن الذي يقف أمامه هو أقرب إلى المتسولين!!

وقبل أن ينطق أبو عمار بأي كلمة، انفلت لسان محمود فرج الله (طخه يا عيد)، بعد أن استعاد رباطة جأشه وبدأ يخاطب أبو عمار كصديق يعرفه منذ سنوات، وأخذ يذكره بالأيام الخوالي عندما كان يرافقه في الدوريات الفدائية ولدهشتي مما سمعت ألقيت نظرة على وجه أبو عمار وكأنني أسأله عن صحة الأقوال التي أسمعها، فوجدت ملامح وجه أبو عمار وقد اكتست بالحزن الشديد، لكنه حاول أن يجمع الكلمات مخاطباً محمود فرج الله (طخه يا عيد) قائلاً: أين تسكن يا ابني..؟ فكان الجواب أشد قسوة على النفس حين قال: ليس لي بيت، أنام أنا وكلبي عند حارس ملجأ العجزة في أول مدخل صبرا، ووقت نوبة الحراسة أستلقي مكانه.

صمت أبو عمار لبرهة ثم قال بصوت متهدج: يا ابني إنت كده أحرجتنا وأحرجت نفسك!!

رد عيد: أنا لم أركب سن ذهب لكلبي وكل ما في الأمر أن أحد المقاتلين في الجنوب اللبناني التقاني أثناء حضوره إلى بيروت، وأنا أصطحب الكلب في جولة بالقرب من ملجأ العجزة فاستفزني باستهتاره حيث قال: أي هو أنت لاقي توكل علشان تقتني كلب!! فقلت له على كل حال أنا مصطحب الكلب متوجهاً إلى (النَوَر) الموجودين بالقرب من شاتيلا حتى أركب له سن ذهب!! ويبدو أنه اعتبرها قصة صار يرويها لكل من يعرفه. وأرجوك يا أخ أبو عمار حينما تذهب إلى القوات في الجنوب مرة أخرى أن تصحبني معك، حتى يرى إخوتي المقاتلين إنني جائع ولكن كلبي شبعان !! أنا أصرف راتبي على هذا الكلب، فأنا وحيد ليس لي امرأة ولا أولاد، كل ما لدي هذا الكلب. ويبدو أنكم عازمون على حرماني منه.

حاول الأخ أبو عمار أن يخفي مظاهر تأثره الشديد أمام هذه الحالة، وأخرج قلمه ليصرف مساعدة مالية إلى محمود فرج الله، فكانت المفاجأة الأكثر إيلاماً بأنه رفض المساعدة وأجهش بالبكاء !!! ووجه كلامه للأخ أبو عمار بعبارات قد يعجز عنها أشهر الكتاب والأدباء والمفكرين وجعلنا أسرى للدهشة والاستغراب فقال: أنا لم أحضر لأستجدي مساعدة مالية، إنما حضرت

لأبين لكم أن الفدائي إنسان، من حقه أن يقتني آلة موسيقية أو لوحة فنية، أو يبرز قناعته بالإحسان ورعاية الحيوان كما يبرز قناعته بالشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. وكل ما أريده يا سيدي أن تقنع الأخ أبو الطيب أن لا يعترض طريقي في تربية كلبي، وهكذا انتزع منا (طخه يا عيد) الموافقة على بقاء الكلب.

الرواية الخامسة: صلاح الفلس:

كان حارس مستودع التموين لقواتنا يدعى «صلاح الفلس» وهو رجل قصير القامة ونحيف الجسد، لكنه كان يقوم بواجباته على أحسن ما يرام، ولم يسجل أي انتقاد على سلوكه طيلة فترة انتسابه لقواتنا بل العكس من ذلك، كان دمث الأخلاق وذو معشر حسن.. وفي مقابل صفات «صلاح الفلس»، كان أحد ضباطنا «نبيل اللول» طويل القامة بشكل ملحوظ،، وهكذا شغل الاثنان اهتمام الكوادر الأخرى الذين كانوا يتندرون بذكر صفاتهما التي جعلت منهما مشهورين ومعروفين لجميع قوات فتح في بيروت.

وذات يوم تشاجر الاثنان لسبب غير معروف وصدف أنني كنت بالقرب منهما، فسمعت نبيل اللول يقول لصلاح الفلس: والله لو في محل بوجهك للكف لضربتك إياه!! وصار هذا الشجار وما قيل فيه من كلمات نكتة يرددها الجميع، وهذه هي إحدى المشاهد الكوميدية التي كانت بمثابة عزاء لنا في أيام كان لا يدري أحدنا متى ستكون لحظة استشهاده!!.

الرواية السادسة: السبع يمشي على عكاكيز:

بينما كنت على شرفة مكتبي لأخذ استراحة قليلة، وإذ بي أرى أحد مقاتلينا واسمه «السبع» وهو من أبناء قطاع غزه، يمشي على «عكاكيز» قصيرة اضطرته إلى أن يحني جسمه خلال عملية المشي. وكان المذكور قد شارك في معظم المعارك في الأوزاعي والشياح وحرب الفنادق، حيث أصيب في قدمه وأدخل إلى مستشفى القدس للعلاج، وبعد أن خرج من المستشفى يبدو أن العكاكيز الطويلة كانت مفقودة تماما، وعليه صرفوا له عكاكيز قصيرة.

لقد آلمني منظر «السبع» فأرسلت من يستدعيه وأرسلت كادرا آخر لشراء عكاكيز طويلة له، وعندما جلس أمامي سألته: أين تنام..؟ فقال كل يوم أنام في مكان حسب التساهيل، فليس لدي غرفة لأنام فيها، فطلبت إحضار آمر التموين الملازم أول حسن أبو الغور.. وأمرته بتسليمه نسخة من مفتاح مستودع التموين. فبدأ يتذرع بأسباب مختلفة لعدم تسليم المفتاح تعبيرا عن



حرصه الشديد إلى السبع لعدم إدخال أي عنصر إلى المستودع عدا حارسه صلاح الفلس، فقلت له: أتخشى أن يأكل السبع التموين؟! إذا كان الأمر كذلك دعه يأكل ما يشاء.. فامتثل للأمر مكرها. وبعد مرور أسبوع من مبيت السبع في المستودع وإذ بالملازم أبو الغور يهرول نحوي ويطلب مني مشاهدة السبع في الشارع، فاستجبت فورا حيث رأيت السبع يتجول بعربة يبيع بها «البليلة» (أكلة شعبية عبارة عن الحمص المطبوخ). وتبين لنا أن السبع أحضر «تنكه» وبدأ ينقع فيها الحمص من المستودع ثم يقوم بغليه حتى يصبح «بليلة» ثم استأجر عربة وبدأ يتجول في الشوارع مناديا لبيع البليلة، والأمر المستغرب أنه صار يتمركز للبيع في شارع مكتبنا أمام نظر الجميع.. والأكثر غرابة من ذلك أن الملازم أول حسن أبو الغور لم يطلب ترحيله من المستودع عطفا عليه.

لقد كان مقاتلونا يعيشون كعائلة، وإذا ما نقص على أحدهم فلوس كان يأخذ من أخيه دون أن يعتبر ذلك سلفة، ومن معه فلوس يعطي من لا يوجد معه، ويتشاركون في المسكن والملبس، ومن الأمور المعتادة أن ترى قميصاً تداول على لبسه عدد من الكوادر.. لقد كانت التشاركية سمة أساسية في قوات الـ١٧ أسهمت في زيادة الألفة بين الجميع[٤٦].

٤٦ ملاحظة: من ذكرتهم في الروايات السابقة قد استشهدوا جميعا، لكن ذلك لا يعني ان الروايات في قوات الـ١٧ قد انتهت باستشهادهم، فلو أردت أن أسرد كل ما أتذكره عن هذه العائلة المقاتلة لاحتاج الأمر إلى موسوعة.. في قواتنا كان الجميع يعيشون ليومهم فقط.. وهم على قناعة تامة بأنهم مشروع شهادة.. لذا لم يخططوا ليوم غد.. أو لشهر قادم.

